﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بديعُ بيانٍ[١] لا يحتذى مثاله، ومنيعُ تبيانٍ لا يختطى[٢] مناله. توشيحُ حبير[٣] الكتاب بطراز المحامد وأعلامها، وترشيحُ صدور الخطاب برايات المدائح وأعلامها. فللّه الحمدُ في الآخرة والأولى، وله المثل الأعلى في فاتحة كلّ كتاب، وله الشكر على جزيل ما أولى من نعم يتبدّى منها العجبُ العجاب، وأوثقُ عصام ما له انفصام، الاعتصامُ بالصلوٰة والسلام على رسوله محمد، جامع علوم الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ما سئل في العلوم عن المسائل، ووُشِّح بالمحامد صدور الكتب والرسائل.

أما بعد:

فهذه بَثٌّ[٤] لما وقر في صدري من العلوم الفاخرة، وعينٌ بعد أثرٍ في تحصيل سعادة الآخرة[٥]، أمليتها بقلمٍ يُبدي العجاب، إذا سأل أو أجاب، ويُنسى حسَّانٌ وسَحْبان إذا أبان في البيان، فجاءت بحمد الله بديع المثال في كلّ باب من التبيان، منيع الشان، رفيع الجناب

---

(١) البيان: الفصاحة وما يبين به الشيء، ومنه يقال للكلام مطلقاً بيانًا، والكلام الواضح الدلالة على المراد.

(٢) الخطوة: حصول المرام، من حظيت المرأة إذا أخذت مرادها من الزوج.

(٣) الحبير: هو الناعم الجديد. (القاموس ٢/٢).

(٤) بث الحديث: نشره وفرقه، ووقر كوعد: ثقل.

(٥) فيه إشارة إلى قسمي الكتاب: النظري والعملي.

عند العلماء والأعيان. مخضت[١] فيها حقائق العلوم عن دِرَرِها، ومحضت[٢] نُصحي في استخراج دُرَرِها، وشربت من النهر صبابتها، بعد أن عرفت مجاريها، وتعلمت الرمي من القوس وقد كنت باريها.

فهاكم إخواني وعلى التقوى أخداني[٣] مدينةُ علم عليٍّ الباب، منيع الجناب، رفيع الأسوار، سحيق[٤] الأقطار، وجنةٌ أشجارُها مورِقة، وأنهارها مونقة، وأكلها دائم في الليل والنهار، وظلّها قائم في الهجير[٥] والأسحار، ونعيمها مقيم، ومزاجها من تسنيم، ودونك خزانة مَنْ فَضَّ ختامَها اطّلع على نبأٍ يقين، وحقّ مبين، وسرّ مخزون، ودُرّ مكنون؛ وليس وراءها مزيدٌ لرائد[٦]، ولا دونها مَرامٌ لجاحد. ومنحتك منيحةً إنْ رَوَّيْت فيها ترويك درّها، وآثرتك أحاديث تقول حين تسمعها لله درّها، وقدَّمت إليك سفينةً تعبرُ بها بحارًا بعيدة الأغوار، وتتخلَّص في قاموسها[٧] وتيارها من البوار. ورحَّلتك مطية تصل بها إلى رياض، وتشرب هنيأً لك مما فيها من الحياض، وتجتني أطايب أثمارها، وتقف على عجائب أسمارها.

وإياك ثم إياك أنْ تظنَّ، وبعض الظَّنِّ إثم، أنك حصَّلت من هذا العلم قدرًا لا مزيد عليه حتى تنتصب لأن يرجع الكلّ إليك، فتقعد متكِئًا على أريكة العُجْب، وتستلقي على كتفي الفراغ، وتمدّ على بساط الكسل رجليك، وتعدّ نفسك من جهابذة الفضلاء، وتحسب نفسك من دهماء العلماء[٨]، وتظنّ أنك أحرزت الفضائل بشطريها، وملكت الكمالات بقطريها، وفزت من مارية بقرطيها، وتقول: ها أنا برَّزت على لداتي، وتفرغت عن تكميل ذاتي، فيهب في دماغك أعاصير حبّ الرياسة، وتهتاج لتربية أشياعك إلى تقلّد السياسة. فهيهات هيهات ما خطر ببالك، وهجس في خيالك. إنَّ هذا طيش يوجبُ الحرمان، بل همهمة[٩] الحسبان[١٠] ووسوسة الشيطان. يتراءى منها مخائل الزور، ويتدسَّس فيها حبائل الغرور.

أين أنت من قول سيِّد الأنبياء وسند الأصفياء: «لا بورك لي في صبيحة لا أزداد فيها علمًا»[١١]، مع أنَّ ربه أدَّبه فأحسن تأديبه. وقوله صلوات الله عليه وسلامه: «من استوى

(١) مخض اللبن: أخذ زبده. (القاموس ٢/٣٥٦).
(٢) محض النصح: أخلصه.
(٣) أخدان: جمع خِدن (بالكسر) أو خدين كأمير الصاحب، ومن يخادنك في أمر ظاهر وباطن.
(٤) أي بعيد الأقطار.
(٥) هو نصف النهار عند زوال الشمس.
(٦) أي طالب.
(٧) القاموس معظم ماء البحر والتيار موج البحر.
(٨) أي جماعة العلماء.
(٩) الهمهمة الكلام الخفي وتنويم المرأة الطفل بصوتها.
(١٠) الحسبان: جمع حسبانة، هي السهم الصغير.
(١١) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الأوراد، بيان أعداد الأوراد ٥/ ١٥٠، بلفظ فيه خيراً.
المرجع نفسه، كتاب العلم، الباب الأول في فضل العلم، ٧٨/١، بمعناه.

يوماه فهو مغبون[١]». وإنْ أردت المزيد عليه في هذا الباب، فتأمّل قول ربّ الأرباب: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢]. وقوله عز وجل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٣]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة في الكتاب الكريم.

وإلى الله المشتكى من قوم وقعتُ بين أظهرهم اليوم، إذْ غلب عليهم الجهل وطمّهم[٤]، وأعماهم حسن الظنّ بأنفسهم وأصمّهم. كلما هديتهم إلى العلم كان أصم وأعمى لهم، ويحسبون أنهم يحسنون أعمالهم. وما غرز في غريزتهم إلّا العصبية والجدال، وما طبع نحيرتهم[٥] إلّا على تنقيص أهل الكمال. والعالم بينهم موجوم[٦] تتلاعب به الصبيان، والكامل عندهم مذموم داخل في كفه النقصان. وأيم الله هذا الزمان قد افترض فيه السكوت، وأن تصير حلسًا[٧] من أحلاس البيوت. ولولا ما ورد في صحيح الأخبار: «من علم علمًا فكتمه أُلْجِم بلجام من النار[٨]»، لسددت فم الدواة وكسرت سِنّ الأقلام، وانقطعت في زاوية إلى وقت الحُمام[٩]، بأمر الله الملك العلام. إلّا أنّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلّبها كيف يشاء، وكلّ يوم هو في شأن.

ثم إنك إنْ أخطرت بالبال، أيها الطالب للفضل والكمال، أنّ الفنون كثيرة، وتحصيل كلّها بل جلّها غير يسيرة. مع أنّ مدة العمر قصيرة، وتحصيل آلات التحصيل عسيرة، فكيف الطريق إلى الخلاص عن هذا المضيق! فتأمّل فيما قدمتُ إليك من العلوم إسمًا ورسمًا، وموضوعًا ونفعًا، وفيما اخترعت من التفصيل في طريق التحصيل؛ ومن آداب بها غرس التمني يثمر، وليل الترجّي قد يقمر، بعد عفاء طَلَلِ العلم ودروسه، وأفول أقماره وشموسه، بحيث يقول الراؤون: أعجب بما أوتي هذا من الإصابة، والتبريز على الذين مضوا من العصابة. فإن سهل عليك تحصيل تلك العلوم كلّها فحبذا، وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا﴾[١٠]، كما قال أفلاطون: ما من علم مستقبح إلّا والجهل به قبح وكما قال القائل:

إحرصّ على كلّ علم تبلغ الإملا ... ولا تموتنَّ بعلم واحدٍ كسلا
النحلُ لمّا رعتْ من كلّ فاكهة ... أبدت لنا الجوهرين الشمعَ والعسلا
الشمعُ في الليل ضوءٌ يستضاءُ به ... والشهدُ يبرى بإذن البارىء العِلَلا

---

(١) الزبيدي اتحاف، كتاب العلم، باب الكلام في فضل العلم، ١/ ٧٩.
(٢) طه/ ١١٤.
(٣) يوسف/ ٧٦.
(٤) طمّ الماء الإناء: ملأه، وطمّ الشيء: كثر.
(٥) النحيرة: أول يوم من الشهر أو آخره.
(٦) أي مكروه موكوز.
(٧) الحِلس: بالكسر، كساء على ظهر البعير تحت البرذعة، ويبسط في البيت تحت حرّ الثياب. ويقال: هو حلس بيته إذا لم يبرح مكانه. (القاموس ٢/ ٢١٥).
(٨) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب فضيلة التعليم، ١/ ١٠٨.
(٩) الحمام: الموت.
(١٠) الأعراف/ ٤٣.

وإن أعجلك الوقت وخشيت أنْ يخترمك الشواغل بالفوت، فخذ ما قال القائل:

مـا حـوى الـعـلـمَ جـمـيـعًـا أحـدٌ　　لا ولــو مــارســه ألــفَ ســنــة
إنَّـمـا الـعـلـمُ مـنـيـعٌ غـورُه　　فـخـذوا مـن كـلِّ عـلـمٍ أحـسـنـه

وإنْ اختلج في صدرك وقلبك، ودار في خلدك ولبّك، أنَّ الأغراض مختلفة في أمر العلوم، وتتفاوت في الميل إليها الطباعُ والفهوم، وتتباينُ في استحسانها العاداتُ والرسوم، حتى يعدَّ طائفةٌ من قبيل الجنون، تحصيلَ ما عند الآخرين من الفنون، إذ كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون، فمن أين نعرف الأفضل على الإطلاق، الذي حصل في حسنه الاطباق من علماء الآفاق؟ فنقول الذي يثلج صدرك ببرد اليقين، وتعرف مطلوبك على التعيين، قول من قال بطريق الإجمال:

كـلّ الـعـلـوم سوى الـقـرآن مـشـغـلـةٌ　　إلَّا الـحـديـث وإلَّا الـفـقـه فـي الـديـن
والـعـلـم مـا كـان فـيـه قـال حـدّثـنـا　　ومـا سـواه فـوسـواسُ الـشـيـاطـيـن

وقد قيل:

جـمـيـعُ الـعـلـمِ فـي الـقـرآن لـكـن　　تـقـاصـرَ عـنـه أفـهـامُ الـرجـال

وبالجملة العلوم التي يتوسَّل بها إلى السعادة الأبدية في دار السلام، في جوار القدس عند الملك العلام، ما سأل جبرائيل عن النبي عليهما الصلوٰة والسلام، وأشار بالسؤال عن الإيمان إلى أصول الدين المسمّى بالكلام، بشرط أنْ لا يتبع الباحث على الأهواء والأوهام، بل يبحث على قواعد عقائد الإسلام وعن الإسلام، إلى علم الفقه الباحث عن الحلال والحرام، وعن الإحسان إلى علم التصوف الذي هو ثمرة الإيمان ونتيجة الإسلام. وأما التفسير والحديث فداخلان فيما ذكر كما ستعرفه إنْ شاء الله الملك العلام. وإذا انتهى الكلام إلى هذا المقام، فلا علينا أن نوجِّه عنان الأقلام إلى صوب الشروع في المرام، وبالله التوفيق والإعلام.

وسمّيت الرسالة بمفتاح السعادة ومصباح السيادة، وقدمت أمام المقصود عدة مقدمات هي مفتاح الميامن والبركات، ثم أتبعتها في ضمن الطرفين بعدة دوحات فيها ثمراتٌ طيِّبات. والمرجو من فضل الله تعالى أنْ يجعل سعيي مشكورًا وصنيعي مبرورًا، ويجعلني غدًا بأعمالي مسرورًا، إنَّه الجواد الكريم والبرّ الرؤوف الرحيم.

المقدمة الأولى في بيان فضيلة العلم

والتعلم والتعليم بالآيات والأخبار والآثار ودلائل ترتضيها العقل السليم، واكتفيت من كلٍّ منها بالقليل، إذْ العبرة بقوة الأدلة لا بكثرتها.

فضيلة العلم:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾[١]، فانظر

(١) آل عمران/ ١٨.

كيف بدأ بنفسه سبحانه وثنّى بملائكته وثلّث بأهل العلم. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١]. قال ابن عباس[٢] للعلماء درجاتٌ فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين خمسمائة عام. وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣]. أو لم يكف بالعلم وأهليه الشرف الأصيل والمجد الأثيل أمثال هذه الآيات الواردة في التنزيل.

ومن كان حق له مادحًا فحقّ على الناس أنْ يمدحوه

أما الأخبار فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «العلماءُ ورثة الأنبياء»[٤]. ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أقربُ الناس من درجة النبوّة أهلُ العلم والجهاد. أما أهل العلم فدلّوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل»[٥]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء»[٦]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»[٧]. فأعظم برتبة هي تلو النبوّة وفوق الشهادة. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يبعث الله تعالى العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء، ثم يقول: يا معشر العلماء: إني لم أضع علمي فيكم إلّا لعلمي بكم، ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم. إذهبوا فقد غفرت لكم»[٨]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأبى عليه العلم فيكون لله. ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله. وإنّ بابًا من العلم يتعلمه الرجل خيرٌ له من أن يكون أبو قبيس[٩] ذهبًا له فأنفقه في سبيل الله»[١٠].

---

(١) المجادلة/ ١١.

(٢) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس، ولد بمكة عام ٣ قبل الهجرة/ ٦١٩، وتوفي بالطائف عام ٦٨/ ٥٦٨/ ٦٨٧ م. ابن عم النبي ﷺ. من كبار الصحابة وأعلمهم، لقب بحبر الأمة، وروى الكثير من الأحاديث وسمي بترجمان القرآن. الأعلام ٤/ ٩٥، صفة الصفوة ١/ ٣١٤، حلية الأولياء ١/ ٣١٤، تاريخ الخميس ١/ ١٦٧، معجم المفسرين ١/ ٣١١، العبر ١/ ٧٦، تاريخ بغداد ١/ ١٧٣، طبقات القراء ١/ ٤١، شذرات الذهب ١/ ٥٧، طبقات السبكي ١١/ ٣٦٥، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٦.

(٣) الزمر/ ٩.

(٤) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل العلماء. . .، ح ٢٢٣، ١/ ٨١.

(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب الكلام في فضل العلم، ١/ ٧٣، بلفظ: «وأهل الجهاد».

(٦) السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٧٢؛ بلفظ: «ودم الشهداء».

(٧) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، ح ٤٣١٣، ٢/ ١٤٤٣.

(٨) الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب في فضل العلماء، ١/ ١٢٦؛ بلفظ: «يميز» بدلاً من «يبعث» و«فيكم علمي» بدلاً من «علمي فيكم».

(٩) هو الجبل المشرف على مكة من غربيها، وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما، وكان يسمى في الجاهلية الأمين، لأنه استودع فيه الحجر أيام الطوفان. (مراصد الاطلاع ٣٠).

(١٠) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب الانتفاع بالعلم. . .، ح ٢٥٨، ١/ ٩٥، بلفظ: «فليتبوأ مقعده من النار» بدلاً من قوله: «لم يخرج. . . فيكون لله».

وأما الآثار فقول عليّ بن أبي طالب[١] كرَّم الله وجهه: العلم أفضل من المال بسبعة أوجه: العلمُ ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة، العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص بها. المال يحتاج إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه. إذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره. المال يحصل للمؤمن والكافر، والعلم لا يحصل إلّا للمؤمن. جميع الناس محتاجون إلى العالِم في أمرِ دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال. العلم يقوّي الرجل عند المرور على الصراط، والمال يمنعه منه.

وقال حكيم: القلبُ ميت وحياته بالعلم، والعلم ميت وحياته الطلب؛ والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة، ومحتجب بعد المدارسة وإظهاره بالمناظرة، وإذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل. فإذا زوّج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكًا أبديًا لا آخر له.

وقال أبو الأسود[٢]: ليس شيء أعزّ من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

وقال ابن عباس: خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه. وقال أيضًا: تذاكُرُ العلمِ بعضَ ليلةٍ أحبّ إليَّ من إحيائها. وكذا روي عن أبي هريرة[٣] رضي الله عنه وأحمد بن حنبلَ[٤].

قال الشافعي[٥] رحمه الله من شرف العلم أنَّ كلَّ من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، ومن دفع عنه حزن.

---

(١) علي بن أبي طالب: هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، ولد عام ٢٣ ق. هـ/ ٦٠٠ م، وتوفي عام ٤٠ هـ / ٦٦١ م، أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين. ابن عم النبي وزوج ابنته فاطمة. كتب عنه الكثير الكثير.
الأعلام ٤/ ٢٩٥، الطبري ٦/ ٨٣، البدء والتاريخ ٥/ ٧٣، صفة الصفوة ١/ ١١٨، اليعقوبي ٢/ ١٥٤، مقاتل الطالبيين، ١٤ حلية الأولياء ١/ ٦١، شرح نهج البلاغة ٢/ ٥٧٩ وغيرها كثير.

(٢) أبو الأسود: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، ولد عام ١٨ ق. هـ/ ٦٠٥ م وتوفي عام ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م. واضع علم النحو، فقيه، أمير شاعر، أول من نقط المصحف. وله شعر جيد مطبوع في ديوان صغير.
الأعلام ٣/ ٢٣٦، صبح الأعشى ٣/ ١٦١، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٠، تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠٤، إنباه الرواة ١/ ١٣.

(٣) أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة، ولد عام ٢١ ق. هـ/ ٦٠٢ م وتوفي بالمدينة عام ٥٩ هـ/ ٦٧٩ م. صحابي جليل، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث وروايته. تولى الإمارة عدة مرات.
الأعلام ٣/ ٣٠٨، صفة الصفوة ١/ ٢٨٥، الجواهر المضية ٢/ ٤١٨، حلية الأولياء ١/ ٣٧٦، ذيل المذيل ١١١.

(٤) أحمد بن حنبل: هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي. ولد في بغداد عام ١٦٤ هـ/ ٧٨٠ م. وتوفي فيها عام ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م. أحد الأئمة الأربعة في الفقه الإسلامي، وإمام المذهب الحنبلي.
أصولي، متكلم، كثير الأسفار، له عدة مؤلفات هامة. الاعلام ١/ ٢٠٣، ابن عساكر ٢/ ٢٨، حلية الأولياء ٩/ ١٦١، صفة الصفوة ٢/ ١٩٠، وفيات الأعيان ١/ ١٧، تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢، البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٤٩١، معجم المفسرين ١/ ٥٧.

(٥) الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله. ولد في غزة بفلسطين عام ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م، ثم رحل إلى بغداد فمصر حيث توفي فيها عام ٢٠٤ هـ/ ٨٢٠ م، أحد الأئمة الأربعة الكبار في الفقه، أصولي ولغوي ومفسر. له كتب هامة في الفقه والأصول والأحكام. الأعلام ٦/ ٢٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٥، وفيات الأعيان ١/ ٤٤٧، إرشاد الأريب ٦/ ٣٦٧، غاية النهاية ٢/ ٩٥، صفة الصفوة ٢/ ١٤٠، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، حلية الأولياء ٩/ ٦٣، طبقات الشافعية ١/ ١٨٥ وغيرها.

قال الأحنف[١]: كاد العلماء أن يكونوا أربابًا، وكلّ عزٍّ لم يوجد بعلم فإلى ذُلٍّ مصيره.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: العالِم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالِم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها إلّا خلفٌ منه.

وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء، ويفقد وجهه ولا يُنسى ذكره.

فضيلة التعلّم:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

وأما الأخبار فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة»[٤]. وقال: صلى الله عليه وسلم: «إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع»[٥] وقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٦]. وقال: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[٧]. وقال: «من جاءه ملك الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة»[٨].

وأما الآثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا. وقال أبو الدرداء[٩] رضي الله عنه: لأنْ أتعلّم مسئلة أحبّ إليّ من قيام ليلة. وقال أيضًا: العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس همج لا خير فيهم. وقال أيضًا: كُنْ عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكن الرابع فتهلك.

---

(١) الأحنف: هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي التميمي، أبو بحر، ولد في البصرة عام ٣ ق هـ/ ٦١٩ م، وتوفي بالكوفة عام ٧٢ هـ/ ٦٩١ م. سيد تميم، داهية فصيح شجاع. أدرك الرسول ولم يره وكانت له مكانة عند عمر وعلي. تولى إمرة خراسان. كتب عنه الكثيرون.
الأعلام ١/ ٢٧٦، طبقات ابن سعد ٧/ ٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٣٠، جمهرة الأنساب ٢٠٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ١٢٩.

(٢) التوبة/ ١٢٢.

(٣) الأنبياء/ ٧.

(٤) مسند أحمد، ٢/ ٢٥٢.

(٥) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل العلماء، ح ٢٢٣، ١/ ٨١، بلفظ: «رضاً لطالب العلم» بدلاً من قوله: «لطالب العلم رضى بما يصنع».

(٦) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل العلماء، ح ٢٢٤، ١/ ٨١.

(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب فضيلة التعلم، ١/ ٩٨.

(٨) سنن الدرامي، باب في فضل العلم والعالم، ١/ ١٠٠، دون لفظ: «ملك».

(٩) أبو الدرداء: هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء. توفي عام ٣٢ هـ/ ٦٥٢ م صحابي، من الحكماء الفرسان القضاة، راوٍ للحديث.
الأعلام ٥/ ٩٨، حلية الأولياء ١/ ٢٠٨، غاية النهاية ١/ ٦٠٦، صفة الصفوة ١/ ٢٥٧.

قال الشافعي رحمه الله: طلب العلم أفضل من النافلة. وقال ابن عبد الحكم[1]: كنت عند مالك[2] أقرأ عليه العلم، فدخل وقت الظهر، فجمعت الكتب لأصلّي فقال: يا هذا: ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحَّت النيّة.

فضيلة التعليم:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾[3]، والمراد هو التعليم. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[4]، وهو إيجاب التعليم. وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾[5].

وأما الأخبار فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث معاذًا[6] إلى اليمن: «لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها»[7]. وقال ﷺ: «من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صدّيقًا»[8]. وقال عيسى عليه السلام: «من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات». وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من علم علمًا فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[9]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا حسدَ إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها»[10]. وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فرأى مجلسين، أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه والثاني يعلمون الناس فقال: «أمّا هؤلاء فيسألون الله عز وجل إنْ شاء أعطاهم وإنْ شاء منعهم. وأمّا هؤلاء

---

(١) ابن عبد الحكم: هو عبد الله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد. ولد عام ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م، وتوفي عام ٢١٤ هـ/ ٨٢٩ م. فقيه من العلماء الأجلاء. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٩٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٨.

(٢) مالك: هو الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله. ولد بالمدينة عام ٩٣ هـ/ ٧١٢ م. وتوفي فيها عام ١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م. إمام دار الهجرة. وأحد الأئمة الأربعة في الفقه وهو صاحب المذهب المالكي. أصولي مجتهد محدث ومفسر: له عدة مؤلفات.
الأعلام ٥/ ٢٥٧، معجم المفسرين ٢/ ٤٦٠، وفيات الأعيان ١/ ٤٣٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ٥، صفة الصفوة ٢/ ٩٩، حلية الأولياء ٦/ ٣١٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٢، اللباب ٣/ ٨٦، تاريخ التراث العربي ٢/ ١٢٠، مرآة الجنان ١/ ٣٧٣.

(٣) التوبة/ ١٢٢.

(٤) آل عمران/ ١٨٧.

(٥) النحل/ ١٢٥.

(٦) معاذ: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن. ولد عام ٢٠ ق.هـ/ ٦٠٣ م وتوفي ١٨ هـ/ ٦٣٩ م. صحابي جليل. أعلم الناس بالحلال والحرام. أسلم صغيراً وأرسله النبي ﷺ إلى اليمن ليعلم أهلها الدين. وشهد الفتوح مع الرسول. روى الكثير من الأحاديث النبوية. الأعلام ٧/ ٢٥٨، ابن سعد ٣/ ١٢٠، أسد الغابة ٤/ ٣٧٦، حلية الأولياء ١/ ٢٢٨، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٤٣، غاية النهاية ٢/ ٣٠١.

(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب فضيلة التعليم، ١/ ١٠٥.
صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، ح ١٥٢، ٤/ ١٢٣، بلفظ: «لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

(٨) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب فضيلة التعليم، ١/ ١٠٦.

(٩) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب فضيلة التعليم، ١/ ١٠٨.

(١٠) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم، ح ١٥، ١/ ٤٧.

فيعلمون الناس وإنما بعثتُ معلمًا ثم عدل إليهم وجلس معهم»[١].

وأمّا الآثار فقول عمر[٢] رضي الله عنه: من حدَّث بحديث فعمل به فله مثل أجرِ مَنْ عمل ذلك العمل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر. وقد روي أنَّ سفيان الثوري[٣] قدم عسقلان[٤] فمكث أيامًا لا يسأله إنسان فقال: إكتروا لي، هذا بلدٌ يموتُ فيه العلم. وقال عطاء[٥]: دخلت على سعيد بن المسيب[٦] وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: ليس أحد يسألني عن شيء. وإنما قالا ذلك حرصًا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به.

واعلم أنَّ فضل العلم مما نطق به الكتب السابقة من كتب الله. أما التوراة فقال جلَّ وعلا فيها لموسى عليه السلام: «عظِّم الحكمة فإني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلَّا وأردت أن أغفر له، فتعلَّمها ثم إعملْ بها ثم أبذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والأخرى».

وأمّا الزبور فقال سبحانه: «قلْ لأحبار بني إسرائيل ورهبانهم: حادثوا من الناس الأتقياء، فإنْ لم تجدوا فيهم تقيًا فحادثوا العلماء، فإن لم تجدوا عالمًا فحادثوا العقلاء، فإنَّ التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في واحد وأنا أريد هلاكه». واعلم أنَّ العقل كالبذر والعلم كالشجر والتقى كالثمر، ولذلك قدم الله سبحانه التقى على العلم والعلم على العقل.

وأمَّا الإنجيل فقد قال عزّ من قال في السورة السابعة عشر منه: «ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال إلى النار. أطلبوا العلم وتعلَّموه فإنَّ العلم إنْ لم يسعدكم

---

(١) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب فضل العلماء، ح ٢٢٩، ١/ ٨٣، بمعناه دون جميع لفظه.

(٢) عمر: هو الخليفة عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص. ولد عام ٤٠ ق. هـ/ ٥٨٤ م. وتوفي ٢٣ هـ/ ٦٤٤ م. ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لقب بأمير المؤمنين. صحابي جليل، شجاع عدل حازم. أسلم قبل الهجرة. فتح العراق والشام على عهده وكذلك فلسطين ومصر. كانت له مواقف مشهودة في تاريخ الدعوة الإسلامية. وهو أول من دوّن الدواوين في الإسلام. مات قتلاً بخنجر من أبي لؤلؤة الفارسي.
الاعلام ٥/ ٤٥، ابن الأثير ٣/ ١٩، الطبري ١/ ١٨٧، اليعقوبي ٢/ ١١٧، صفة الصفوة ١/ ١٠١، حلية الأولياء ١/ ٣٨، تاريخ الخميس ١/ ٢٥٩، البدء والتاريخ ٥/ ٨٨.

(٣) سفيان الثوري: هوسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله. ولد بالكوفة عام ٩٧هـ/ ٧١٦ م وتوفي بالبصرة عام ١٦١ هـ/ ٧٧٨ م. لقب بأمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى له عدة كتب.
الاعلام ٣/ ١٠٤، وفيات الأعيان ١/ ٢١٠، الجواهر المضية ١/ ٢٥٠، طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٧، حلية الأولياء ٦/ ٣٥٦.

(٤) مدينة بالشام من أعمال فلسطين (اليوم) تقع على ساحل البحر بين غزة وجبريت، يقال لها: عروس الشام، وكان المسلمون يرابطون بها لحراسة الثغر منها.

(٥) عطاء: هو عطاء بن أسلم بن صفوان، ولد بجند (اليمن) عام ٢٧ هـ/ ٦٤٧ م. وتوفي بمكة عام ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م. تابعي من أجلاء الفقهاء. محدث.
الأعلام ٤/ ٢٣٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٢، صفة الصفوة ٢/ ١١٩، ميزان الاعتدال ٢/ ١٩٧، حلية الأولياء ٣/ ٣١٠.

(٦) سعيد بن المسيب: هو سعيد بن المسيِب بن حَزْن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد. ولد عام ١٣ هـ/ ٦٣٤ م. وتوفي بالمدينة عام ٩٤ هـ/ ٧١٣ م. سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع.
الأعلام ٣/ ١٠٢، طبقات ابن سعد ٥/ ٨٨، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٦، صفة الصفوة ٢/ ٤٤، حلية الأولياء ٢/ ١٦١.

لم يشقكم، وإنْ لم يرفعكم لم يضعكم، وإنْ لم يغنكم لم يفقركم، وإنْ لم ينفعكم لم يضركم، ولا تقولوا نخاف أن نعلم فلا نعمل، ولكن قولوا نرجو أن نعلم فنعمل، إذْ العلم يشفع لصاحبه، وحقّ على الله أنْ لا يخزيه. وإنَّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا معشر العلماء: ما ظنّكم بربكم؟ فيقولون ظنّنا أنْ ترحمنا وتغفر لنا فيقول: إنّي قد استودعتكم حكمتي لا لشرٍّ أردته بكم بل لخير أردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي إلى جنّتي برحمتي».

ثم إنك إذا عرفت من الأدلة النقلية قدرًا يحصل به التنبيه على المرام فلنورد من الشواهد العقلية ما يحصل لك اليقين التام.

واعلم أنَّ شرف الشيء وفضيلته إمَّا لذاته أو لغيره، والعلم حائز لكلا الشرفين وجامع لكلتا الفضيلتين، لأنه لذيذ في نفسه، فيطلب لذاته ولغيره، فيطلب لأجله من وجوه:

أمَّا الأول: فلا يخفى على أحد من مزاوليه لأنها لذة لا نهاية لها ولا لذة فوقها. وكان محمد بن الحسن[1] يقول عندما تنحل له مشكلات العلوم: أين أبناء الملوك من هذه اللذة سيما إذا كانت الفكرة في ملكوت السماوات والأرضين، وفي أسرار ربِّ العالمين. وأيضًا إنَّ شرف العلم لا يقبل العزل كعزل الولاة والأمراء وسائر أرباب المناصب الدنيوية. ومع دوامها لا مزاحمة فيها لأحد لأنَّ المعلومات متسعة للطلاب وإن كثروا، بل تزيد بكثرة الشركاء بخلاف حطام الدنيا وجاهها، ولهذا تكثر فيها البغضاء وتعظم في تحصيلها الشحناء. ومع كونها أوفى اللذات وأدومها وأشملها وأعمها لا ترى أحدًا من الولاة والأمراء وسائر أبناء الدنيا إلَّا يتمنون أن يكون عزّهم كعزّ العلماء إلَّا أنَّ الموانع الشهوانية تمنع عن نيلها. هذه هي اللذائذ الحاصلة في نفس العلم.

وأمَّا اللذائذ الحاصلة له لغيره، أمَّا في الأخرى فلكونه وسيلة تارة إلى أعظم اللذائذ الأخروية، وأخرى إلى أكمل السعادات الأبدية. أمَّا الأول فلذة الوصول إلى جوار ربّ العالمين والبلوغ إلى مرضاته التي هي المقصد الأقصى والسعادة الكبرى، ولذة النظر إلى وجهه الكريم التي هي غاية الغايات ومنتهى جميع السعادات. وأمَّا الثاني فلأنَّ العلم لا أقل من أن يكون سببًا للوصول إلى الأفق المبين ولحوق زمرة الملأ الأعلى في جوار رب العالمين ولا يخفى أنه لا بلوغ إلى شيء منها إلَّا بالعمل المتوقف على العلم فهو رأس السعادات ورئيسها.

وأما المنافع الدنيوية فالعزّ والوقار، ونفوذ الحكيم على الملوك، ولزوم الاحترام في الطباع ولو ابتلى بداء الحسد والعناد. ألا ترى أنَّ بعض الجهلة المعاندين قالوا عند رؤية

---

(١) محمد بن الحسن: هو محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله. ولد بواسط عام ١٣١ هـ/ ٧٤٨ م. وتوفي بالري عام ١٨٩ هـ/ ٨٠٤ م. فقيه أصولي مجتهد. صاحب أبي حنيفة. تولى القضاء للرشيد. وكان فصيحاً. له تصانيف هامّة. الأعلام ٦/ ٨٠، الفوائد البهية ١٦٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٢، الجواهر المضية ٢/ ٤٢، لسان الميزان ٥/ ١٢١، تاريخ بغداد ٢/ ١٧٢ وغيرها.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك عن خبرِ

وأيضًا ترى أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباع أنفسهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة، بل البهيمة تجدها توقر الإنسان بطبعها لشعورها بتميز الإنسان بكمالٍ مجاوزٍ لدرجتها، حتى إنَّها تحتشمه وتنزجر بزجره وإنْ كانت قوّتها أضعاف قوّة الإنسان، وما ذاك إلَّا لاختصاصه بالعلم.

المقدمة الثانية في شرائط المتعلم ووظائفه وهي كثيرة

قال زينون(١) سمعت أرسطوطاليس(٢) يقول: سمعت معلِّمي أفلاطون(٣) يقول: سمعت معلِّمي سقراط(٤) يقول: ينبغي لمن يتعلم الحكمة أن يكون شابًا فارغ القلب، غير ملتفت إلى الدنيا، صحيح المزاج، محبًا للعلم حيث لا يختار على العلم شيئًا من الأشياء؛ ويكون صدوقًا لا يتكلم بغير الصدق. ويكون محبًا للإنصاف بالطبع لا لتكلّف. ويكون متدينًا عالمًا بالوظائف الشرعية والأعمال الدينية، غير مخلٍّ بواجب فيها، ويحرم على نفسه ما يحرم في ملة نبيه، ويوافق الجمهور في الرسوم والعادات المستعملة عند أهل الزمان، ولا يكون قط سيء الخلق، ويرحم على من دونه في المرتبة، ولا يكون أكولًا ولا منهتكًا ولا خاشعًا من الموت ولا جامعًا للمال إلَّا بقدر الحاجة، فإنَّ الاشتغال بطلب أسباب المعيشة مانع عن التعلّم.

واعلم أنَّا نكتفي من الشرائط بعشرة نفصلها ههنا في ضمن عشرة وظائف. الوظيفة

---

(١) هناك زينون الإيلي الذي ولد بين ٤٩٠ و٤٨٥ ق. م. صاحب مذهب الثبات، وحججه المشهورة على امتناع الحركة، ولاسيما منها حجة أخيل والسلحفاة. لكن طاش كبرى زادة يذكر لنا هنا أن زينون قد سمع أرسطو والمعروف أن أفلاطون ولد حوالي ٤٢٨ ق. م. وسقراط ولد حوالي ٤٧٠ ق. م. وتبيّن لنا أن هناك زينون ٣٣٥ ـ ٢٦٤ ق. م. مؤسس المدرسة الرواقية، ولد في كيثوم من أعمال قبرص، ثم سافر إلى أثينا. فقرأ التراث الفلسفي اليوناني ثم أنشأ مدرسة في رواق، ودعا إلى مبادىء عدة منها ما يوافق شروح طاش كبرى زاده في المتن ومؤداها التلاؤم مع الطبيعة والقناعة والخير والفضيلة. لذا نرجح أن الكلام يقصد به زينون الرواقي وليس زينون الإيلي. المنجد في الأعلام ٢٣٣.

(٢) أرسطو من أكبر فلاسفة اليونان وأعظمهم شأناً. عاش بين عامي ٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق. م. كان والده طبيباً يعمل في بلاط الملك فيليب ملك مقدونيا شمال اليونان، وعاش طفولته يبحث ويتأمل في أحوال مجتمعه. ولما كبر ذهب إلى أثينا ليتلقى فيها العلم على يد أستاذه أفلاطون. وفي أثينا كوّن مذهبه الفلسفي إلاَّ أن أرسطو عاد إلى مقدونيا بطلب من ملكها ليعلم ابنه الاسكندر الذي صار فيما بعد ملك الملوك الاسكندر الأكبر. ثم عاد مجدداً إلى أثينا ليموت فيها، تاركاً وراءه مجموعة كبيرة من المؤلفات الفلسفية والمنطقية وغيرها. المنجد في الأعلام ٣٧.

(٣) أفلاطون (٤٢٨ ـ ٣٤٧ ق. م) فيلسوف يوناني تتلمذ على سقراط وكان أستاذاً لأرسطو من أسرة أرستقراطية، كان أول من وضع أسس المذهب المنهجي العقلي المثالي، واتصف جزء من مذهبه بالزهد والإشراقية ولا سيما تصويره لعالم المثل ودور الحكيم في إدراك الحقائق. أشهر مؤلفاته محاورات أفلاطون وله الجمهورية المثلى. أسس الأكاديمية المشهورة حيث مجّد فيها تلامذته الحق والخير والجمال. المنجد في الأعلام ٥٨.

(٤) فيلسوف يوناني، عاش بين ٤٧٠ ـ ٣٩٩ ق. م. ولد في أثينا، وعلم فيها الفلسفة بأسلوبه وفكره، وجعل محور الفلسفة الإنسان من خلال معرفته بنفسه وتصرفاته. فكان مؤسس علم الأخلاق حارب السفسطة. وانتقد الحكم فاتهم بالزندقة وحكم عليه بالإعدام. ومن أهم تلاميذه أفلاطون. انظر: المنجد في الأعلام ٣٠٢.

الأولى: تزكية النفس عن رذائل الأخلاق وهذه متقدمة على الكلّ تقدّم طهارة الجوارح على عبادة البدن، أعني الصلوٰة إذْ العلم عبادة القلب، وجوارحها أوصافها وأخلاقها، فلا بد من تطهيرها قبل الشروع في العلم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب»(١). فكما أنّ الملائكة لا تدخل البيوت المحسوسة إذا وجد فيها الكلاب الصورية كذلك لا تدخل البيوت المعنوية أعني القلوب إذا وجد فيها الكلاب الباطنية أعني خبائث الأخلاق وأنجاس الصفات. حكي عن بعض الأمم السالفة أنّهم كانوا يختبرون المتعلّم أولًا فإنْ وجدوا فيه خلقًا رديًا منعوه التعليم أشدّ المنع، وكانوا يعتذرون عنه بأنَّ العلم يصير آلة يستعين بها في الفساد. وإنْ وجدوه مهذَّب الأخلاق قيدوه في دار التعليم وعلَّموه ولا يطلقونه قبل الاستكمال خيفةً من أن يقصِّر في العلم فيفسد به دينه ودين غيره. ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: لا تعلِّموا أولاد السفلة فإنْ هم نالوا الشرف حرصوا على مذلّة الأحرار، والسبب فيه غلبة سوء الخلق في أولاد السفلة. وأما ما تراه عالِمًا سيء الأخلاق فذلك عالم باللسان دون القلب، وعالم باصطلاح هذا الزمان دون السلف، إذْ لو ظهر نور العلم على قلبه لحسنت أخلاقه، فإنَّ أقل درجات العالِم أنْ يعرف أنَّ المعاصي ورذائل الأخلاق سموم مهلكة؛ وهل تطيب نفس عاقل يتناول السم! ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من ازداد علمًا ولم يزدد هُدى لم يزدد من الله إلَّا بعدًا»(٢). وقال بعض المحققين: معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلَّا لله، أنَّ العلم امتنع وأبى أنْ يحصل إلى أنْ يحصل النية لله تعالى، وما حصل قبلها كان حديثًا يفترى وإنَّما الصيد في جوف الفرا.

الوظيفة الثانية: تحصيل الإخلاص في مقاساة هذا المسلك الوعر وقطع الطمع عن قبول زيد وعمرو، ولكلِ امرىء ما نواه لا ما جمعه صدره وحواه، على وفق عجبه وهواه. أما قرع سمعك أنَّ بعضًا من العلماء لما سمع قول حبيب ربّ العالمين: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحًا فجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(٣)، وفعل ذلك طمعًا في الحكمة ولم يحظ منها بطائل. رأى في المنام هاتفًا يقول: إنك ما أخلصت لله بل للحكمة، والأعمال بالنيات، وإنما لكلِ امرىء ما نوى، فينبغي أنْ ينوي في التعلم أن يعمل بعلمه لله تعالى واليوم الآخر، وأن يعلّم الجاهل ويوقظ الغافل ويرشد الغوي ويؤيد من ليس بقوي، فإنّ التعلّم لغير الله حرام باطل، وطلب العلم لا للعمل به ضائع. وفي الحديث: «علم لا ينتفع به ككنز لا ينفق منه»(٤). ونفع العلم حسنُ الاهتداء في العبادة، فمن لم يزدد بالعلم ورعًا وزهدًا لم يزدد من الله إلَّا مقتًا وبُعدًا. وقد كان النبي ﷺ يتعوَّذ بالله تعالى من علم لا

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين...، ح ٣٥، ٤/٢٣٥.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب في آفات العلم، ١/٣٥١.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب الحلال والحرام، باب فضيلة الحلال...، ٦/٧، بلفظ: «أربعين يوماً ظهرت».
(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب العلم، باب في آفات العلم ووعيد من لم يعمل بعلمه، ح ٢٨٩٩٢، ١٠/١٨٩، وعزاه إلى ابن عساكر عن أبي هريرة.

ينفع، وكان يقول: «العلم علمان: علمٌ في القلب فذلك العلم النافع، وعلمٌ على اللسان فذلك حجة الله تعالى على بني آدم»[١]. وقال: «أشد الناس عذابًا من لم ينفعه الله بعلمه»[٢]، ومن لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

قال بعض العلماء الصالحين: الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب. أقول ولقد جربته كثيرًا ووجدته كما قال. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من تعلم العلم لأربع دخل النار، ليباهي به العلماء، وليماري به السفهاء، ويقبل به وجوه الناس إليه، وليأخذ به الأموال»[٣]. ومن جملة التسويلات الشيطانية أن يؤخر العمل إلى أنْ يتمهر ويتبحر في العلم، وهذا من جملة خداع النفس، إذْ ربما يفاجئه الموت ويخترمه الأجل قبل القيام بحق العمل، فيصير إلى النار مع الفساق والفجار. نبهنا الله تعالى وإيَّاكم عن هذه الغفلة.

الوظيفة الثالثة: تقليل العلائق الدنيوية حتى الأهل والأولاد والوطن، فإنَّ العلائق صارفة وشاغلة للقلوب، وما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه. ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق وفهم الدقائق. وقد قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلّك، فإذا أعطيته كلّك فأنت على خطر من الوصول إلى بعضه. وأيضًا الفكرة المتوزّعة كجدول تفرَّق ماؤه فيختطف الهوى وينشف الأرض فلا يبقى منه ما يبلغ المزرعة.

الوظيفة الرابعة: ترك الكسل والتشمر لنيل المعالي وإيثار السهر في الليالي. وقد قيل: ما اشتار[٤] العسل من اختار الكسل، فعليك بحزم العزم وتطلب الحزم. ومن جملة أسباب الكسل الاعتماد على الاستقبال، فإنَّ ذلك ربما يخترم الآمال ويمنع الأشغال. ومن المقرّر لدى العامة والخاصة أنَّ فوت الفرصة مما يورث الغصة. قال الشاعر:

إذا هجع النوّام أسبلت عبرتي ... وأنشدت بيتًا فهو من أحسن الشعر
أليس من الخسران أنَّ لياليا ... تمرّ بلا شيء وتحسب من عمري
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا ... ندمت على التفريط في زمن البذر

ومن جملة أسباب الكسل في اكتساب العلم تذكّر الموت والخوف منه. فاعلم أنَّ تذكّره ينبغي أن يكون من جملة أسباب التحصيل إذْ لا عمل يحصل به الاستعداد للموت أفضل من العلم والعمل به، وجعله سبب الكسل إمّا من عدم الوقوف على فضل العلم، أو من جعله سببًا للأمور الدنيوية المنقطعة بالموت. وأمّا الخوف من الموت فلا ينبغي أن يتسلّط على الإنسان بحيث يشغله عن الاستعداد للأمور الأخروية. وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا ذكر هادمِ اللذات»[٥] يدل على أنه ينبغي أنْ يكون ذكره سببًا للانقطاع

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٢٥٠، بلفظ «خلقه» بدلاً من «بني آدم».

(٢) الزبيدي، اتحاف، المقدمة، باب الكلام على البسملة، ١/ ٥٧، بلفظ: «يوم القيامة عالم» بدلاً من «من».

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب بيان شرف العقل. ١/ ٣٥٠، بلفظ من طلب العلم لإحدى ثلاث، ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار، دون قوله: «وليأخذ به الأموال».

(٤) اشتار العسل: استخرجه من الخلية.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ح ٢٣٠٧، ٤/ ٥٥٣، بلفظ: «هاذم».

عن اللذات الفانية دون الباقية، وطريق نفي الخوف عن الموت أنَّه إمّا لأجل مفارقة الدنيا وذلك حمق وخرق، وإمّا لما بعد الموت وذلك غير مفيد إلَّا أنْ يتداركه، وتداركه الاستعداد في الحال ولا نفع لمجرد الغمّ لذلك، بل اللائق أنْ يبقى ساكن القلب منتظرًا لقضاء الله وقدره، ويتحقق أنَّ ما قدّر فهو كائن، ويتذكّر قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[١] الآية.

ثم إنَّ الغمَّ لأجل الموت إمّا لفوت شهوة بطنه وفرجه، وإمّا على ما يخلفه من ماله، وإمّا على جهله بحالة ما بعد الموت ومآله، وإمّا على ما قدَّمه من عصيانه. أمَّا الأول فجهل لأنَّ لذة الطعام دفع ألم الجوع، ولذة الجماع دفع ألم دغدغة المني لأوعيته، وطلب هاتين اللذتين كإرادة داء ليلتذّ بدوائه، وكالإكثار من القعود في الحمام ليلتذّ بشرب ماء بارد.

وأمّا الثاني فمن جهله بخساسة المال وحقارة الدنيا بالإضافة إلى النعيم المقيم الموعود للمتقين على أنك إنْ لم تترك المال فهو يتركك قطعًا كما قيل: -

تناضله الآفات من كلِّ جانب ... فتخطئه طورًا وطورًا تصيبه

وعليك أنْ تعرف أنَّ الدنيا جمّة المصائب، وكدرة المشارب، تورث للبرية أنواع البلية، مع كل لقمة غصة. فإنْ تأمّلت لماضٍ فذلك لا يلمّ ما شعث، ولا يرم ما انتكث. وإن كان لحاضر فذلك بقضاء الله وقدره ومع ذلك فمنقض. وإنْ كان لمستقبل فإنْ كان مما يحتمل وقوعه فذلك حُمْقٌ إذْ الحزن الحاضر لأمرٍ محتمل الوقوع خارج عن طور العقل، وإنْ كان محقَّق الوقوع كالموت فستعرف حاله. قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[٢]. قيل هذه الآية جامعة لأصول الزهد بتمامها.

وأمَّا الثالث فعليه أنْ يطلب علمًا يكشف حاله بعد الموت كما قال حارثة[٣] للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يتعاوون فيها»[٤]. وهذا العلم إنما يحصل بمعرفة حقيقة النفس وكيفية علاقتها بالبدن، ووجه خاصيته التي خلق البدن لها، ووجه التذاذه بخاصيته وكماله، مع معرفة الرذائل المانعة له من كماله. وقد نبَّه الشرع عليه في مواضع كثيرة وأمر بالتفكّر في النفس كما أمر بالتفكّر في ملكوت السموات والأرض.

وأمَّا الرابع فلا ينفع الغمّ فيه بل المداواة المبادرة بالتوبة وإصلاح ما فرط من أمره كمن انفجر عرقه وهو يغتم له ولا يعصبه. وأيضًا الفائت لا يتدارك فليشتغل بالمستقبل.

وأما حال الإنسان عند الموت فثلاثة:

---

(١) الحديد/ ٢٢.

(٢) الحديد/ ٢٣.

(٣) حارثة: هو حارثة بن وهب الخزاعي، أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأمه. من أصحاب رسول الله ﷺ. انظر عنه: الإصابة ١/ ٢٩٩، أسد الغابة ١/ ٣٥٩، الثقات ٣/ ٧٩.

(٤) اتحاف الزبيدي، كتاب الفقر والزهد، باب بيان فضيلة الزهد ٩/ ٣٢٧، بلفظ كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً دون باقي لفظه. السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ١٦٣، دون قوله: «كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً».

الأول ذو بصيرة يعلم أنَّ الحياة رِقٌّ والموت عتقٌ، وأنَّ الدنيا كخطفة برق وإنْ طال مكثه فيها. فهذا لا يغتم لموته إلَّا لما يفوت من خدمة ربِّه والازدياد من قربه، فإذا عجز عن خدمة ربِّه ربما اشتاق إلى الموت. قيل لبعضهم عند موته: لِمَ تجزع؟ قال: لأني أسلك طريقًا لم أعهده وأقدِمُ على ربٍّ لم أره، ولا أدري ما أقول ولا ما يقال لي.

والثاني ردي البصيرة، رضي بالحياة الدنيا واطمأنَّ بها ويئس من دار الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور. فإذا خرج إلى دار الخلود أضرَّ به كما يضرّ رياح الورد بالجعل، فالدنيا سجن الأول وجنة الثاني، وشتَّان ما بينهما. والأول كعبد دعاه مولاه للإحسان والثاني كعبد آبق رُدَّ إلى مولاه مأسورًا مقهورًا ناكس الرأس محتزنًا من جنايته.

والثالث رتبة بين الرتبتين، رجل عرف غوائل الدنيا وكره صحبتها ولكن أنس به وألفه فيكره الخروج منه، فإذا خرج ورأى ما أعدّ للصالحين قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾[١]. وذلك كالصبي يبكي للانتقال عن رحم الأم ثم إذا أنس فضاء العالم لا يتمنى الانتقال إليها. وقد ثبت عند المحققين أنَّ الموت ولادة ثانية وأنَّ فضاء الدنيا بالنسبة إلى عالم الآخرة نسبة الرحم إلى الدنيا، كما قال بعضهم: ينبغي أن يكون شكرنا لعزرائيل كشكرنا لجبرائيل وميكائيل عليهم السلام. كما ورد في الدعاء: اللهم صلِّ على محمد وجبرائيل وميكائيل وملك الموت. فإنَّ جبرائيل وميكائيل سببان لسبيل الخلاص في الآخرة بواسطة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعزرائيل سبب لإخراجنا إلى ذلك العالم، فحقه عظيم وشكره لازم. وقد حكي عن طائفة من حكماء الأمم السالفة تعظيم زحل بالتقديس والتسبيح لأنَّهم اعتقدوا أنَّه لا يعين على الحياة العرضية بل هو سيف الهلاك الذي به الخلاص عن الدنيا الدنية.

الوظيفة الخامسة: أنْ توطن نفسك على التعلّم إلى آخر العمر لما قيل: الطلب من المهد إلى اللحد. ومن كلام الإمام الشافعي صناعتنا هذه رِقّ الأبد، فمن قصد أنْ يتركها ساعة فليترك. وقيل: من ظنَّ أنَّ للعلم غاية فقد بخسه حقه. أما سمعت قوله تعالى لحبيبه وهو أعرف العارفين بالله وصفاته وأحكامه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

وسئل عبدالله بن المبارك[٤]: إلى متى تتعلَّم؟ قال: لعلَّ الكلمة التي أنتفع بها لم

---

(١) فاطر/ ٣٤ ـ ٣٥.
(٢) طه/ ١١٤.
(٣) يوسف/ ٧٦.
(٤) عبد الله بن المبارك: هو عبد الله بن واضح الحنظلي التميمي المروزي، أبو عبد الرحمن. ولد عام ١١٨هـ/ ٧٣٦ م. وتوفي عام ١٨١هـ/ ٧٩٧ م. من حفاظ الحديث، لقب بشيخ الإسلام، تاجر، مجاهد، تنقل كثيراً في البلاد، له عدة كتب. الأعلام ٤/ ١١٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣، حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، شذرات الذهب ١/ ٢٩٥، تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢.

أسمعها بعد. روي أنَّ حسن بن زياد[(١)] أخذ في التفقه وهو ابن ثمانين سنة ولم يبت على الفراش أربعين سنة، فأفتى بعد ذلك أربعين سنة. والحيلة في صرف جميع الأوقات إلى التحصيل أنه إذا ملَّ من علم اشتغل بآخر، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ملَّ من الكلام مع المتعلمين: هاتوا ديوان الشعراء. وكان محمد بن الحسن لا ينام الليل وكان يضع عنده دفاتر، وكان إذا ملَّ من نوع ينظر في آخر، وكان يزيل نومه بالماء، وكان يقول: إنَّ النوم من الحرارة. فعليك أن تغتنم من أزمان العمر أيام الحداثة وعنفوان الشباب، ومن الأوقات ما بين العشائين وأوقات السحر، وأصل الكلّ ملازمة السهر. وقد قال موسى صلوات الله عليه وسلامه: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾[(٢)] ليعلم أنَّ سفر العلم لا يخلو عن النصب، ولا بد من اختياره لأنَّ طلب العلم أمرٌ عظيم بل هو أفضل من الجهاد عند الأكثرين، وأنَّ موسى عليه السلام مع كونه نبيًا اختار هذا النصب في طلب العلم. وينبغي أنْ لا يضيق صدرك ممن ينكر قدرك لما قال أفلاطون لا يضرنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك.

الوظيفة السادسة: أنْ تختار من المعلم من هو ناصح نقي الحسب، مأمون الغيبة، عدل في الدين، كريم العرق، كبير السن، لا يخالط السلطان ولا يلابس الدنيا بحيث يشغله عن دينه، ويسافر في طلب الأستاذ إلى أقصى البلاد الشاسعة كما طلب موسى خضر عليهما السلام بمجمع البحرين، ولو مسح الأرض كلّها بقدمه وضرب آباط الإبل في طلبه لكان أحقّ وأولى. قال محمد بن سلمه[(٣)]: أول ما يذكر من المرء أستاذه فإنْ كان جليلًا جلَّ قدره، وإنما خفض ذكر محمد بن مقاتل[(٤)] عند أهل العراق لأنَّه لم يعرف له أستاذ جليل القدر.

وإذا وجد مثل ما وصفناه فعليه أنْ لا يتكبَّر على العلم ولا يتأمَّر على المعلم بل يلقي إليه بزمام أمره في تفصيل طريق التعليم، ويذعن لنصحه إذعان المريض للطبيب. أمَّا التكبّر على العلم بأن يستنكف من استفادته ممن يعرفه، وهو عين الحمق، بل الحكمة ضالّة كلّ حكيم، فحيث يجدها فهو أحقّ بها، فينبغي أن يغتنمها ويستفيدها ويتقلّد بها المنّة.

فالعلم حربٌ للفتى المتعالي كالسيل حربٌ للمكان العالي

فلا بد من التواضع. ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى

---

(١) حسن بن زياد: هو الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، أبو علي، توفي عام ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م قاض، فقيه، من أصحاب أبي حنيفة، وكان عالماً بمذهب الرأي. تولى القضاء. وله عدة مؤلفات في الفرائض والفقه. الأعلام ٢/ ١٩١، الفوائد البهية ٦٠، ميزان الاعتدال ١/ ٢٢٨، تاريخ بغداد ٧/ ٣١٤.

(٢) الكهف/ ٦٢.

(٣) محمد بن سلمة: هو محمد بن سلمة بن أرشبيل اليشكري، أبو جعفر، توفي نحو عام ٢٣٠ هـ/نحو عام ٨٤٥ م. عالم بالعربية والأنساب، أخذ عنه ابن السكيت له عدة كتب. الأعلام ٦/ ١٤٧، منهج المقال ٢٩٧.

(٤) محمد بن مقاتل: هو محمد بن مقاتل بن حكيم العلي. توفي بعد عام ١٨٤ هـ/بعد عام ٨٠٠ م. أمير، له أخبار مشهورة. انظر عنه. الأعلام ٧/ ١٠٧، البيان المغرب ١/ ٥٨٩.

﴿ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴿٣٧﴾﴾[١]، أي يكون مشتغلًا بالعلم وهو المراد بمن له قلب أو كان فيه من العقل ما يحمد على إلقاء السمع وحسن الإصغاء والفراغة. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يحتمل ذلّ التعلّم ساعة بقي في ذلّ الجهل أبدًا»[٢]. قال الشاعر:

إنَّ المعلِّم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إنْ جفوت طبيبه واصبر لجهلك إنْ هجرت معلِّما

وينبغي أنْ يكون المتعلِّم لمعلِّمه كأرض دمثة نالت مطرًا غزيرًا فيتلقاه بالقبول من غير دفع. وليكن المتعلِّم متبعًا لمعلمه وإنْ ظنَّ أنَّ الصواب في خلافه، فإنَّ سالك الطرق قد يظنّ من يهديه أنَّه قد أخطأ ثم يظهر أنَّه الصواب. ألا ترى أنَّ موسى عليه السلام لم يصبر وراجع الخضر عليه السلام حتى حرم عن صحبته حيث قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[٣]. وأيضًا فليحترز المتعلم عن أنْ يتكل على ذهنه فيقعد ملومًا محسورًا لما قيل: العلم في الصدور لا في السطور. وعن عليّ رضي الله عنه: العلم قفل ومفتاحه السؤال.

ومن الآداب أنْ يتواضع لمن علَّمه حرفًا ويتملَّق له ويخدمه وينصره ويدعو له سرًا وجهرًا. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من علَّم عبدًا آية من كتاب الله تعالى فهو مولاه»[٤]. ولا ينبغي له أنْ يخذله ولا يستأثر عليه أحدًا، فإنْ فعل ذلك فقد فصم عروة من عرى الإسلام.

قلت ومن جملة أسباب انقراض العلم في زماننا عدم تحرزهم عن مراعاة حقّ المعلم، ولقد صار هذا سُنَّة سيِّئة في زماننا هذا. أمات الله تعالى هذه السُّنَّة من بين أظهرنا، وقاتل من وضعها وأحياها.

قيل من تأذَّى منه أستاذه يحرم بركة العلم ولا ينتفع به إلَّا قليلًا.

ومن احترام المعلم وإجلاله أنْ لا يقرع عليه باب داره بل ينتظر خروجه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[٥]، ولا يخالفه فيما يأمره من مباح الدين، ويتحرَّى مسرته في ذلك كله. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتخول الصحابة في الموعظة كراهة السآمة عليهم. فإذا كان التخول في التعليم أحبّ ففي التعلم أولى.

وينبغي أنْ يقدّم حقّ معلمه على حق أبويه وسائر المسلمين. حكي أنَّ الشيخ الإمام

---

(١) ق/ ٣٧.

(٢) الهيثمي، مجمع، كتاب العلم، باب أدب الطالب، ١/ ١٢٩، بلفظ «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة، وتواضعوا لمن تعلمون منه».

(٣) الكهف/ ٧٨.

(٤) الهيثمي، مجمع، كتاب العلم، باب في معرفة حق العالم، ١/ ١٢٨.

(٥) الحجرات/ ٥. وقد قال الإمام البيضاوي: وفي (إليهم) إشارة بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم.

شمس الأئمة الحلواني[(١)] قد كان خرج من بخارى[(٢)] وقد زارته تلامذته إلّا الشيخ الإمام أبا بكر الزرنجري[(٣)]، فقال له: لِمَ لم تزرني؟ قال: منعتني عنها خدمة الوالدة. قال ترزق العمر ولا ترزق رونق الدرس. وكان كذلك، فإنه كان يسكن في أكثر أوقاته في القرى. قال الشاعر:

آبـاءُ أجـسـامـنـا الـذيـن مـضـوا قـد أوقـعـونـا هـم فـي مـوقـع الـتـلـف
مـن عـلـم الـعـلـم كـان خـيـر أبٍ وذا أب الـروح لا أب الـنـطـف

وقال آخر:

رأيـت أحـقّ الـحـقّ حـقّ الـمـعـلـم وأوجـبـه حـفـظًـا عـلـى كـلِّ مـسـلـم
لـقـد حـقّ أن يـهـدى إلـيـه كـرامـة لـتـعـلـيـم حـرف واحـد ألـف درهـم

وأيضًا لا يتبع زلّة المعلم وهفوته ويحمل ما سمع منه من الهفوات على أحسن المحامل والتأويلات. وقال بعض المشايخ: من توقير المعلّم أنْ لا تمشي أمامه ولا تجلس مكانه ولا تبتدىء الكلام عنده إلّا بإذنه، ولا تكثر الكلام عنده، ولا تسأل شيئًا عند ملالته، وتراعي الوقت، وتمتثل أمره في غير معصية الله، إذْ لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلّق به. وللسلف في توقير المعلم أمور لا يكاد يخطر فعله ببال أحد في زماننا هذا.

يروى أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي الفيروزابادي[(٤)] صاحب المهذب[(٥)] والتنبيه[(٦)] لما صار سفيرًا للمقتدر بأمر الله[(٧)] في خطبة ابنة الملك جلال الدولة[(٨)]، فسافر إلى نيسابور[(٩)]،

---

(١) هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر الحلوائي البخاري، أبو محمد، الملقب بشمس الأئمة. توفي عام ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م. فقيه حنفي، إمام عالم، له عدة مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٤/١٣، الفوائد البهية ٩٥، الجواهر المضيئة ١/٣١٨.

(٢) بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، يُعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان. وهي مدينة قديمة، نزهة البساتين، وبينها وبين سمرقند سبعة أيام، واسمها أبو محلب، وهي على أرض مستوية، وبناؤها خشب مشبك. ومنها خرج الكثير من العلماء، منهم الإمام المحدث البخاري وغيره. وهي اليوم إحدى المدن الهامة في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية.

(٣) هو عمر بن بكر بن محمد بن علي الزرنجري البخاري الحنفي، عماد الدين أبو بكر، فقيه، له عدة كتب.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٧/٢٩٧، إيضاح المكنون ١/٥١، هدية العارفين ١/٧٨٥.

(٤) هو ابراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي الشيرازي، أبو إسحاق. ولد عام ٣٩٣ هـ/١٠٠٣ م. وتوفي ببغداد عام ٤٧٦ هـ/١٠٨٣ م. علامة مناظر، فصيح وكان يفتي. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ١/٥١، طبقات السبكي ٣/ ٨٨، وفيات الأعيان ١/٤، اللباب ٢/٢٣٢.

(٥) المهذب في الفروع للشيخ الإمام أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي (ـ ٤٧٦ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩١٢.

(٦) التنبيه في فروع الشافعية للشيخ أبي إسحاق ابراهيم بن علي الفقيه الشيرازي الشافعي (ـ ٤٧٦ هـ). كشف الظنون ١/ ٤٨٩.

(٧) هو جعفر بن أحمد بن طلحة، أبو الفضل، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق. ولد عام ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م. وتوفي عام ٣٢٠ هـ/ ٩٣٢ م. من الخلفاء العباسيين. لم يعرف الاستقرار في حكمه، وكان ضعيفاً غير مبال حتى استحكم الغلمان والنساء في قصره. الأعلام ١/١٢١، ابن الأثير ٨/٣ ـ ٧٥، النجوم الزاهرة ٣/٢٣٣، تاريخ بغداد ٧/ ٢١٣.

(٨) هو فيروز جرد بن الملك بهاء الدولة أبي نصر بن السلطان عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، جلال الدولة أبو طاهر. توفي عام ٤٣٥ هـ. صاحب العراق، ملك، ضعيف الهمة، له أخبار. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٧، المنتظم ٨/١١٨، الكامل ٩/٣٦١، البداية والنهاية ١٢/٥٢، النجوم الزاهرة ٥/٣٧، شذرات الذهب ٣/ ٢٥٥.

(٩) بفتح أوله والعجم يسمونها نشاوور، مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين مرو=

ناظر هناك إمام الحرمين(١)، وأراد الإنصراف من نيسابور فخرج إمام الحرمين إلى وداعه وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق بغلته، وظهر له في خراسان(٢) منزلة عظيمة. وكان الناس من المتعلمين ومن دونهم يأخذون التراب من أثر مواطىء بغلته فيتبركون به. وكان رحمه الله إمامًا عالمًا ورعًا زاهدًا عابدًا، وكانت وفاته سنة ست وسبعين وأربعمائة.

ويروى أيضًا أنَّ إمام الحرمين لما توفي غلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره بالجامع، وكانت تلامذته قريبًا من أربعمائة نفر فكسروا محابرهم وأقلامهم، وأقاموا على ذلك عامًا كاملًا. وكانت وفاته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

ويروى أيضًا أنَّ الإمام أبا حنيفة رحمه الله كان له جار إسكافي، كان بالنهار في صناعته، وإذا كان بالليل وتعشى، جلس يستعمل الشراب، فإذا دبَّ فيه الشراب يغني ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليومِ كريهةٍ وسدادِ ثغر

ولا يزال يشرب ويردِّد هذا البيت حتى يأخذه النوم والإمام أبو حنيفة يسمعه كل ليلة. وكان الإمام أبو حنيفة يصلِّي الليل كله. ثم إنَّه فقد صوت جاره ليالي، فسأل عنه فقيل له: قيضه أصحاب العسس منذ ليالٍ. فلمَّا صلَّى الإمام أبو حنيفة رحمه الله صلاة الفجر من غده، ركب بغلته وأتى دار الأمير فاستأذن عليه فقال: ائذنوا له وأقبلوا به إليَّ راكبًا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك، فتلقاه الأمير وأجلسه في مجلسه وقال: هل من حاجة؟ فقال: نعم. جئت لأشفع في جاري. فقال الأمير: أطلقوه وأطلقوا كلّ من أخذ في تلك الليلة، فأطلقوهم. ثم ركب الإمام أبو حنيفة بغلته وخرج الإسكافي يمشي وراءه. فقال له الإمام أبو حنيفة رحمه الله: هل أضعناك؟ فقال: بل حفظت ورعيت، فجزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار، ثم تاب إلى الله تعالى، ولم يعد إلى ما كان يفعل. قيل إنه صار بعد ذلك من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله في الفقه.

وإذا عرفت هذه الكنايات والروايات وكيف كان توقير العلماء في الزمان الأول فأنصف من نفسك يا أخي، هل بقي من توقير العلم العلماء شيء أصلًا؟ فإنْ اعترضت وقلت: لم يبق مثل هؤلاء الأعلام في هذه الأيام فلا يليق بهم التوقير.

فنقول: أما قولك لم يبق مثل هؤلاء العلماء فمسلَّم. وأمّا قولك لا يليق بهم التوقير

=الشاهجان ثلاثون فرسخاً. فتحها المسلمون في أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، على يد عبد الله بن عامر. وقيل فتحها الأحنف بن قيس أيام عمر، وانتقضت ثم فتحها عبد الله بن عامر صلحاً. (مراصد الاطلاع ١٤١١).

(١) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين الملقب إمام الحرمين. ولد بنواحي نيسابور عام ٤١٩ هـ/١٠٢٨ م. وتوفي فيها عام ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م. فقيه شافعي، متكلم أشعري. له الكثير من المؤلفات الهامة. الأعلام ٤/ ١٦٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٧، طبقات السبكي ٣/ ٢٤٩، تبيين كذب المفتري ٢٧٨.

(٢) خراسان بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق آزاد وقصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان، وليس ذلك منها. ومن أهم مدنها نيسابور، هراة، مرو، وهي كانت قصبة بلخ وطالقان، وغيرها، وما تخلل ذلك من المدن التي دون جيحون. (مراصد الاطلاع ٤٥٥).

فمما يحقّ عليه النكير لأنَّ التوقير لأجل العلم، فلا تقصِّر أنت في حقهم إنْ كنت تحب العلم. وعدم كونهم أمثال هؤلاء ليس عليك بل العهدة في ذلك عليهم. وبالجملة حبّ العلم يوجب توقير كلّ من انتسب إليه وإلَّا فلست من المحبين له.

ومن تعظيم العلم تعظيم الكتاب حتى لا يأخذه إلَّا بالطهارة ولا تمدّ الرجل إليه ولا يضع عليه شيئًا، ويضع كتب التفسير فوق الكلّ. وتأمَّل ما قاله ابن سريج[1] في مختصر المزني[2] حيث قال:

لصيق فؤادي منذ عشرين حجة ... وصيقل ذهني والمفرِّج عن غمِّي
عزيز على مثلي إعارةُ مثله ... لما فيه من علم لطيفٍ ومن نظمِ
جموع لأصناف العلوم بأسرها ... فاخلق به أنْ لَا يفارقه كمي

وقيل:

لا يملّ الحديث منها معادًا ... كانتشاق الهواء ليس يملّ

وقيل:

هذا كتاب لو يُباع بوزنِهِ ... ذهبًا لكان البايع المغبونا
أوْ ما من الخسران إنَّك آخذ ... ذهبًا وتترك جوهرًا مكنونا

ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء.

الوظيفة السابعة: أنْ لا يدع المتعلِّم فنًّا من فنون العلم ونوعًا من أنواعه إلَّا وينظر فيه نظرًا يطلع به على غايته ومقصده وطريقته. ثم إنْ ساعده العمر ووافقه الأسباب طلب التبحر فيه، فإنَّ العلوم كلّها متعاونة مرتبطة بعضها ببعض. قيل:

إحرص على جمع العلوم مجاهدًا ... ولا تموتنَّ بعلم واحدٍ كسلا
النحلُ لمَّا رعت من كلٍّ فاكهة ... أبدت لنا الجوهرين الشمعَ والعسلا
الشمع في الليل نورٌ يستضاء به ... والشهدُ يبري بإذن البارىء العِلَلا

لكن عليك أنْ لا ترغب في الآخر قبل أنْ تستحكم الأول لئلَّا تصير مذبذبًا فتحرم من الكلّ، ولا تكن ممن يميل إلى البعض ويعادي الباقي لأنَّ ذلك جهل عظيم، كما قيل: الناس أعداء ما جهلوا. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[3]. قال الشاعر:

ومن يكُ ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ ... يجدْ مرًّا به الماءَ الزلالا

---

(١) هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس. ولد ببغداد عام ٢٤٩ هـ/ ٨٦٣ م. وتوفي فيها عام ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م. فقيه الشافعية في عصره، قاضٍ مناظر، له عدة مؤلفات هامة.
الأعلام ١/ ١٨٥، طبقات الشافعية ٢/ ٨٧، البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧، وفيات الأعيان ١/ ١٧.

(٢) مختصر المزني في فروع الشافعية للشيخ الإمام إسماعيل بن يحيى المزني الشافعي (ـ ٢٦٤هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٦٣٥.

(٣) الأحقاف/ ١١.

وقيل:

ما ضرَّ شمس الضحى والشمسُ طالعة أنْ لا يرى ضوءَها مَنْ ليس ذا بصر

حُكي عن بعض فضلاء القضاة أنَّه رُؤي بعدما طعن في السِّنِّ وهو يتعلَّم أشكال الهندسة، فقيل له في ذلك فقال: وجدته علمًا نافعًا فكرهت أنْ أكون لجهلي به معاديًا.

وإياك ثم إياك أنْ تستهين بشيء من العلوم تقليدًا لما سمعته من جهلة أسلافك من الطعن فيه، بل يجب أن تجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه ومنزله الذي يستوجبه، وتشكر من هداك إلى فهمه وصار سببًا لعلمه. فقد حُكي عن بعض الفضلاء أنَّه قال: يجب أن نشكر الآباء العلماء الذين ولدوا لنا الشكوك إذْ كانوا أسبابًا لمن حرَّك خواطرنا للنظر في العلم فضلًا عن شكر من أفادنا طرفًا من العلم. ولولا مكان فكر من تقدَّمنا لأصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح دنياهم فضلًا عن مصالح آخرتهم. فمن تأمل حكمة الله في أقلِّ شيء يستعملها الناس، كالمقراض حيث جمع بين سكينين مركّبًا على وجه يتوافى حدّاهما على نمط واحد للقرض، أكثر تعظيم الله وشكره ويقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[1]، فلا تكن من الذين يستهينون من العلوم ما جهلوا به مثل استهانتهم المنطق الذي هو أصل كل علم وتقويم كل ذهن. وحكى أبو حيان[2] في البحر[3] أنَّ أهل المنطق بجزيرة الأندلس[4] كانوا يعبرون عن المنطق بالمفعل تحرزًا عن صولة الفقهاء، حتى أنَّ بعض الوزراء أراد أنْ يشتري لابنه كتابًا من المنطق فاشتراه خفية خوفًا منهم، ومثل ذمّهم العلوم الحكمية على الإطلاق من غير معرفة القدر المذموم والممدوح منها، ومثل ذمّ علم النجوم على الإطلاق مع أنَّ بعضًا منه فرض كفاية، والبعض منه مباح، وبعض آخر حرام؛ ومثل ذمّهم مقالات الصوفية الموحدين مطلقًا لاشتباهها عندهم بكلمات الملحدين. وستعرف تفاصيل ذلك.

وبالجملة لا تنكر قدر العلوم بمجرد تقليد الآباء والأجداد بل أطلب التحقيق تصل إلى المراد. قال عليّ رضي الله عنه: لا تعرف الحقّ بالرجال، إعرف الحقّ تعرف أهله. على أنَّ العلم وإن كان مذمومًا في نفسه فلا يخلو تحصيله عن فائدة أقلها ردّ القائلين بها.

---

(١) الزخرف/١٣.

(٢) هو محمد بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الاندلسي الجياني، أثير الدين أبو حيان. ولد بجهة غرناطة عام ٦٥٤ هـ/١٢٥٦ م. وتوفي بالقاهرة عام ٧٤٥ هـ/١٣٤٤ م. من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. له الكثير من المصنفات. الأعلام ٧/١٥٢، الدرر الكامنة ٤/٣٠٢، بغية الوعاة ١٢١، فوات الوفيات ٢/ ٢٨٢، نكت الهميان ٢٨٠، غاية النهاية ٢/ ٢٨٥، نفح الطيب ١/٥٩٨، شذرات الذهب ٦/ ١٤٥، النجوم الزاهرة ١٠/ ١١١، طبقات السبكي ٦/ ٣١، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٣٢.

(٣) البحر المحيط في التفسير للشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ـ ٧٤٥ هـ) كشف الظنون ١/ ٢٢٦.

(٤) قيل: هي جزيرة لها ثلاثة أركان على شكل مثلث. فالأول قبلها وعنده فم الخليج الذي من البحر المحيط إلى البحر الرومي، وقدر سعته اثنا عشر ميلاً. والثاني شرقي الأندلس بين أربونة وبر ديل. والثالث بين الجنوب والغرب من حد جليقية. (مراصد الاطلاع ١٢٣).

ثم العلوم على تكثر درجاتها إمَّا موصلة للعبد إلى مولاه أو معينة على أسباب السلوك، ولها منازل مترتبة في القرب والبعد من المقصد، ولكلّ واحد منها رتبة ترتيبًا ضروريًا يجب تنزيلُ كلّ منها في رتبته، فينبغي أن يراعى الترتيب في تحصيلها، فيبتدأ بالأهم فالأهم إذْ البعض طريق إلى البعض. ومن وفّق لرعاية ذلك الترتيب والتدريج فقد فاز بمطلوبه فوزًا عظيمًا. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾(١)، أي لا يجاوزون فنًا حتى يحكموه علمًا وعملًا. وليكن قصدك من كلّ علم الترقي به إلى ما فوقه.

وإيّاك أن تظنّ من كلامنا هذا أنْ تعتقد كلّ ما أطلق عليه اسم العلم حتى الحكمة المموهة التي اخترعها الفارابي(٢) وابن سينا(٣) ونقحه نصير الدين الطوسي(٤) ممدوحًا. هيهات هيهات، إنَّ كلَّ ما خالف الشرع فهو مذموم سيما طائفة سمّوا أنفسهم حكماء الإسلام، عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال وسمّوها الحكمة، وربما استجهلوا من عرّي عنها، وهم أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله، والمحرفون كلم الشريعة عن مواضعه. ولا تكاد تلقى أحدًا منهم يحفظ قرآنًا ولا حديثًا وإنَّما يتجمَّلون برسوم الشريعة حذرًا من تسلُّط المسلمين عليهم، وإلَّا فهم لا يعتقدون شيئًا من أحكام الشرع بل يريدون أنْ يهدموا قواعده وينقضوا عراه عروة عروة. قيل:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلَّا ... لصون دمائهم عن أنْ تُسالا
فيأتون المناكرَ في نشاطٍ ... ويأتون الصلوة وهم كسالى

فالحذر الحذر منهم؛ وإنما الاشتغال بحكمتهم حرام في شريعتنا وهم أضرّ على عوام المسلمين من اليهود والنصارى لأنَّهم يتسترون بزي أهل الإسلام. نعم، إنَّ من رسخ قواعد الشريعة في قلبه وامتلأ قلبه من عظمة هذا النبي الكريم وشريعته وتأيّد دينه بحفظ الكتاب والسنة، وقوي مذهبه في الفروع، يحل له النظر في علوم الفلسفة لكن بشرطين: أحدهما أنْ لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة وإنْ تجاوز فإنَّما يطالعها للردّ لا لغيره. وثانيهما أنْ لا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام.

---

(١) البقرة/ ١٢١.

(٢) هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي. ولد بفاراب عام ٢٦٠ هـ/ ٨٧٤ م. وتوفي بدمشق عام ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م. أكبر فلاسفة المسلمين، ويعرف بالمعلم الثاني، تركي الأصل، مستعرب، أول من وضع آلة القانون. له العديد من المصنفات الهامة.
الأعلام ٧/ ٢٠، وفيات الأعيان ٢/ ٧٦، طبقات الأطباء ٢/ ١٣٤، تاريخ حكماء الإسلام ٣٠، آداب اللغة ٢/ ٢١٣، البداية والنهاية ١١/ ٢٢٤، الوافي بالوفيات ١/ ١٠٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٤٠٧ وغيرها.

(٣) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس. ولد في ضواحي بخارى عام ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م. ومات بهمذان عام ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧ م. من دعاة الباطنية. طبيب وفيلسوف إلهي، ناظر العلماء واشتهر، وله العديد من المؤلفات المعروفة. الاعلام ٢/ ٢٤١، وفيات الأعيان ١/ ١٥٢، تاريخ حكماء الإسلام ٢٧ ـ ٧٢، خزانة الأدب ٤/ ٤٦٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٠٣، لسان الميزان ٢/ ٢٩١، تاريخ آداب اللغة ٢/ ٣٣٦ وغيرها.

(٤) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي، ولد عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م. وتوفي عام ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤ م. فيلسوف عالم كبير له باع طويل في العلوم العقلية والفلك والرياضيات له الكثير من الكتب والمؤلفات الهامة.
الأعلام ٧/ ٣٠، فوات الوفيات ٢/ ١٤٩، الوافي ١/ ١٧٩، شذرات الذهب ٥/ ٣٣٩.

ولقد حصل ضرر عظيم على المسلمين من هذه الجهة لعدم قدرتهم على تمييز الجيد من الرديء. وربما يستدلّون بإيرادها في كتب الكلام على صحتها، وما كان هذا المزج إلّا منذ ظهر نصير الطوسي وأحزابه لا حيَّاهم الله. وإنما السلف مثل الإمام الغزالي[١] والإمام الرازي[٢] مزجوا كتب الكلام بالحكمة لكن للردّ كما تراه في تصانيفهم، ولا بأس بذلك، بل ذلك إعانة للمسلمين وحفظ لعقائدهم. ثبتنا الله وإيّاكم على الصراط المستقيم إنه جواد كريم.

وينبغي لطالب العلم أنْ يفوّض ترتيب العلوم في التحصيل إلى رأي الأستاذ الناصح، إذْ الناشيء أمهر من الدخيل وهو أعرف بما يليق طبعك منك، ولا يدخر نصحه عنك، لأن الأستاذ قد حصل له التجارب وكيفية الاهتداء إلى المطالب والمآرب.

يُحكى أنَّ الشيخ الإمام الأجل برهان الدين كان يقول: كان طالب العلم في الزمان الأول يفوِّض أمره في التعلّم إلى أستاذه وكان يصل إلى مقصوده ومراده، والآن يختارون بأنفسهم فلا يبلغون مقاصدهم.

هذا الذي ذكرناه لمن ساعده الذهن والسنّ والوقت وسامحه الدهر عما يفضيه إلى الحرمان والفوت، وإلّا فعليه أنْ يقتصر على الأهم لأنَّ ما لا يدرك كله لا يترك كله. وذلك الأهم هو قدر ما يحتاج إليه في الحال، وهو ما يحتاج إليه في كمال النفس وفضيلتها، وما يقرب به إلى الله عزّ وجل في الآخرة، وما لا بد منه في إقامة دينه وإخلاص عمله لله ومعاشرة عباده على الشرع الشريف والورع والتقوى، ومرجع الكلّ معرفة الله بالآيات الواضحة والشواهد الناطقة، ومعرفة ما وجب عليه في نفسه وماله وليله ونهاره. ويدخل فيه أحكام الشريعة من الجواز والفساد والحِلّ والحرمة والكراهة والاستحباب، ومعرفة سنن النبي عليه الصلوٰة والسلام في إقامة ما فرض الله تعالى على أعدل السبل وأقوم المناهج، فإنه لا يعرف إلّا ببيان من أدَّبه فأحسن تأديبه. ويدخل فيه أيضًا علم أخلاق الأنبياء والمرسلين من اليقين والإخلاص والزهد والتواضع والنصيحة، وعلم آداب النفس من العفة والرفق والتؤدة والحياء والسماع، وحسن التدبير والنظر في الأمور، والأخذ بالحزم في الدين، ومداراة العدو، واحتمال أذى الخلق، وصلة الرحم المقطوعة، وبِرّ الجافي، وإعطاء الحازم، والتجاوز عن الظالم، والإحسان إلى المسيء، وحسن التورّع عن أذى الخلائق

---

(١) هو الإمام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، ولد بطوس بنواحي خراسان عام ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م. وفيها توفي عام ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م. فيلسوف فقيه وصوفي، له العديد من المصنفات الهامة. الأعلام ٧/ ٢٢، وفيات الأعيان ١/ ٤٦٣، طبقات الشافعية ٤/ ١٠١، شذرات الذهب ٤/ ١٠، الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٧، تبيين كذب المفتري ٢٩١، تاريخ آداب اللغة ٣/ ٩٣، اللباب ٢/ ١٧٠، وغيرها.

(٢) هو الإمام الكبير محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري، فخر الدين الرازي. ولد في الري ٥٤٤ هـ/ ١١٥٠ م، وتوفي بهراة عام ٦٠٦ هـ/ ١٢١٠ م. من كبار العلماء في المعقول والمنقول، وضع العديد من الكتب وذاع صيته حتى رحل إليه الناس.
الأعلام ٦/ ٣١٣، طبقات الأطباء ٢/ ٢٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٧٤، آداب اللغة ٣/ ٩٤، البداية والنهاية ١٣/ ٥٥ وغيرها.

باليد واللسان والجنان. وستعرف تفاصيل هذه العلوم.

وبالجملة أصل الأصول ومنتهى السؤل معرفة الله تعالى التي هي غاية الغايات، وسبب الفوز والنجاة، ورئيس جميع السعادات. وهذا العلم حُرٌّ لا يخدم غيره أصلًا بوجه من الوجوه، وما عداه خَدَم له، والمطلوب الأهم مما عداه ما يتوسَّل به إليه. ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾(١). ومن الظاهر المكشوف أنْ ليس المراد تحريك عضلات اللسان بكلمة الله، فإنَّ حركة الأطراف لا تجدي إذا لم تؤثر في القلب بأثر هو الاعتقاد المسمَّى بالإيمان الذي أدناه التصديق، وله مراتب بحسب القوة حتى ينتهي إلى رتبة لو وزن بإيمان العالَمين لرجح وهو إيمان أبي بكر(٢) رضي الله عنه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا بكثرة صلاة، ولكن بسرٍّ وقر في صدره»(٣). ولو كان منتهى العلم ما اعتقده المقلّد أو ما حصله المتكلّم المتعلّم لم يعجز عنه آحاد الصحابة فضلًا عن عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم حتى كان قد فضلهم أبو بكر به. وبهذا تبيَّن أنَّ وراء العلم الثابت بالأدلة يقينًا يخصه الصوفية أولو الكرامات والمشاهدات. وناهيك بشرفهم وفضلهم أمثال ما ذكر من الشواهد المقررة في الشرع، فلا يعاديهم إلَّا الجاهل الشقي أو المعاند الأشقى، وكيف لا.

لله تحت قباب العزّ طائفة أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أطمار مسكنة استعبدوا من ملوك الأرض أقيالا(٤)
غبرٌ ملابسهم شمٌّ معاطسهم جرّوا على الفلك الخضراء أذيالا

وقد رُوي أنَّه رؤي صورتا حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها: إنْ أحسنت كلّ شيء فلا تظنَّنَّ أنَّك أحسنت شيئًا حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنَّه مسبب الأسباب وموجد الأشياء، وفي يد الآخر: كنت قبل أن عرفت الله أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب.

وسمعت بعض العلماء نقل عن بعض المحققين أنَّ الأرواح لما تجلَّى لها الحقّ في الأزل عشقته وتطلبه في الدنيا، وتارة تزعم أنّ ذاك الكمال في حسن الصورة والجمال، وتارة في المال، وتارة في الجاه، ثم تقف على نقصانها وترغب عنها في الآخر، لما تعلم أنَّ الكمال الذي تطلبه لا يعتريه نقصان ولا يسكن هذا الطلب عنها إلَّا عند مشاهدة ذاك المطلوب الحقيقي.

---

(١) الأنعام/ ٩١.

(٢) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي أبو بكر، ولد بمكة عام ٥١ ق. هـ/ ٥٧٣ م. وتوفي بالمدينة عام ١٣ هـ/ ٦٣٤ م، أول من آمن بالرسول من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين من رجال العرب المشهورين ومن سادات قريش، تاجر، عالم بالأنساب والأخبار، شهد الوقائع مع الرسول وحدّث عنه، ولقبه النبي بالصديق.
الأعلام ٤/ ١٠٢، طبقات ابن سعد ٩/ ٢٦، ابن الأثير ٢/ ١٦٠، الطبري ٤/ ٤٦، اليعقوبي ٢/ ١٠٦، صفة الصفوة ١/ ٨٨، حلية الأولياء ٤/ ٩٣، تاريخ الخميس ٢/ ١٩٩.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب قواعد العقائد، الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد. . .، ٢/ ٦٦، بلفظ: «بشيء» بدلاً من «بسر».

(٤) جمع قيل، وهو الملك الكبير النافذ أمره في كل أمة.

وإيَّاك أنْ يكون شغلك من العلم أن تجعله صنعة تهوس بها، بل ينبغي لكل ذي دين أنّ يتخذه سبيلًا إلى النجاة ومرقاة إلى الزلفى يتوصل بها إلى الملأ الأعلى والقرب من جناب المولى. ولا تكن من الذين غلبت صنعتهم على قلبهم ولبهم حتى ختم بتكرار ذلك عند النزع، كما يحكى أنّ أبا طاهر الزيادي(١) كان يكرر مسئلة ضمان الدرك عند النزع.

حكي أنَّ امرأة جاءت إلى عروضي بقال فقالت: أريد بذي القطعة زيتًا وبذي البيضة حنًا، فشغله كلامها عن مبايعتها وأخذ يقول: فاعلاتن فاعلاتن، يقطّع كلامها. فقالت المرأة: أمّك الفاعلة وسبّته وانصرفت.

وحكي عن ركن الدين بن القريع أنَّ رجلًا سأله وهو في الطريق فقال: يفتح الله. فقال: يا شيخ: قد فتح الله عليك، إذا جادت الدنيا عليك، فجُدْ بها. فقال الشيخ: لِمَ قلت إنَّها جادت عليّ؟ وإنْ سلّم، فلم قلت: إنَّه يجب عليّ الجود بها؟ وإنْ سلّم، فلم قلت: إنّي ما جدت وما انحصرت القسمة فيك؟ وكان الغالب عليه المناظرة فاستعملها مع رجل لا يعرفها. وأقبح من ذلك ما يحكى أنَّ دباغًا ختم عند النزع بتكرار ما يناسب صنعته. وبعض الأمراء كان آخر كلامه هاتوا القباء الفلاني، إلى غير ذلك، والعياذ بالله، لأنّ من أكثر من شيء ظهر على فلتات لسانه، وكل إناء بالذي فيه ينضح، فلا تعوِّدْ لسانك إلّا بما تنتفع بتكراره عند الموت، وكن مثل أبي زرعة(٢)، سئل عند النزع عن حديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلّا الله دخل الجنّة»(٣) فساقه بإسناده إلى أنْ وصل إلى: لا إله إلّا الله، ومات قبل أن يقول دخل الجنة. أنظر كيف نفعه الله بعلم الحديث، فعليك أن تمتزج لحمك ودمك بما تنتفع به في الآخرة وأن تحصل سائر العلوم وتلتفت إليها من حيث كونها آلة، لا أنْ تملأ بها قلبك ولبّك بحيث يختم بها عند النزع. وبالجملة عليك أنْ تنزّل كلّ علم منزلته من الإقبال عليه والتوجه به.

الوظيفة الثامنة: مذاكرة الأقران ومناظرتهم لما قيل: العلم غرس وماؤه درس، لكن طلبًا للثواب وإظهارًا للصواب، لا للمفاخرة والعصبية أو لهيجان القوة الغضبية. وما أفلح من نبض فيه هذا العرق. وفي الفتاوى أنَّ من ناظر لتخجيل الخصم يخشى عليه الكفر، فينبغي أنْ يكون المناظرة والمطارحة بالإنصاف والتأنّي والتأمُّل ويتحرَّز عن الشغب

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمش بن علي بن داود الزيادي الشافعي النيسابوري، أبو طاهر. ولد عام ٣١٧ هـ/ ٩٢٩ م. وتوفي عام ٤١٠ هـ/١٠١٩ م. محدث، فقيه، أديب. له عدة كتب.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١١/ ٢٩٨، طبقات الشافعية ٣/ ٨٢، شذرات الذهب ٣/ ١٩٢، كشف الظنون ١/ ١٦٣.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي بن ابراهيم بن الحكم، أبو زرعة، الرازي الصغير. توفي عام ٣٧٥ م. إمام حافظ، رحالة صدوق، واسع العلم، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٦، تاريخ بغداد ٤/ ١٠٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٩٩، العبر ٢/ ٣٦٨، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٧، شذرات الذهب ٣/ ٨٤.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب المراقبة والمحاسبة، باب في بيان ما يقرأ عند الميتِ، ١٠/ ٢٧٤، بلفظ: «عند الموت دخل الجنة».

والغضب، فإنَّ المناظرة مشاورة، والمشاورة لاستخراج الصواب، وذلك إنَّما يحصل بالتأمُّل والإنصاف. وأمّا إرادة التمويه والحيلة فلا يجوز أصلًا إلّا إذا كان الخصم متعنتًا لا طالبًا للحقّ. وكان محمد بن يحيى[1] إذا توجّه عليه الإشكال ولم يحضره الجواب يقول: ما ألزمته لازم وأنا فيه ناظر، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وفائدة المطارحة والمناظرة إذا كان مع الإنصاف أقوى من فائدة مجرد التكرار. وقيل: مطارحة ساعة خير من تكرار شهر، ولكن مع منصفٍ سليم الطبيعة. وإيَّاك والمذاكرة مع متعنتٍ غيرِ مستقيمِ الطبعِ، فإنَّ الطبيعة متسرقة والأخلاق متعدية والمجاورة مؤثرة.

وينبغي لطالب العلم أن يكون متأمِّلًا في جميع الأوقات في دقائق العلم ويعتاد ذلك، فإنما يدرك الدقائق بالتأمّل، ولذا قيل: تأملْ تدركْ، خصوصًا قبل الكلام، فإنَّ الكلام كالسهم فلا بدّ من تقويمه بالتأمُّل أولًا.

الوظيفة التاسعة: أنْ لا تؤخِّر شغل يومك إلى غدك، فإنَّ كلّ يومٍ آت بمشاغله. وقيل: إنَّ يوم الأعجزين غدًا. وقيل: الجد والهمة كجناحين يطير بهما الإنسان إلى شواهق الكمالات. روي أن أبا حنيفة رحمه الله قال لأبي يوسف[3] رحمه الله تعالى: كنت بليدًا أقرحتك المواظبة، وإياك والكسل فإنه شؤم وآفة. وعليك أيضًا أنْ تكتب كلّ ما استنبطته من الزوائد أو سمعته من الفوائد فإنَّ العلم صيد والكتابة قيد. ولله درّ الإمام الجعبري[4] فيما قال:

ونكرت حافظتي عقيب شبيبتي   وعدمت من إفراطه الإحساسا
وظللت مهما عنَّ لي من حاجة   أودَعْتُها من خوفي القرطاسا
فبقيت أنساها وأنسى أنّني   أنسيتها فنسيت من قد ناسا

لكن عليك أنْ لا تكتفي بثبته في القراطيس ولا تتكل على إيداعه في بطون الكراريس، إذْ العلم ما ثبت في صحائف الخواطر لا ما أودع في صفائح الدفاتر، بل الغرض من إثباتها فيها المراجعة إليها عند عروض النسيان، لا الاعتماد على الأوراق، كما قال الشاعر:

---

(١) هو محمد بن يحيى بن حبان بن منقذ الأنصاري. توفي عام ١٢١ هـ. من حفّاظ أهل المدينة ومشايخهم. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢١٨، الجمع ٢/ ٢١٦، شذرات الذهب ١/ ١٥٩، ابن سعد ٧/ ٤٤٩.

(٢) يوسف/ ٧٦.

(٣) هو الإمام يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف، ولد بالكوفة عام ١١٣ هـ/ ٧٣١ م. وتوفي ببغداد عام ١٨٢ هـ/ ٧٩٨ م. صاحب ابي حنيفة النعمان وتلميذه، فقيه حنفي، أصولي، حافظ للحديث، وقاض لقب بقاضي القضاة، له الكثير من الكتب الهامة. الأعلام ٨/ ١٩٣، أخبار القضاة ٣/ ٢٥٤، النجوم الزاهرة ٢/ ١٠٧، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٠، تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢، وفيات الأعيان ٢/ ٣٠٣، مرآة الجنان ١/ ٣٨٢، شذرات الذهب ١/ ٢٩٨، معجم المفسرين ٢/ ٧٣٩، هدية العارفين ٢/ ٥٣٦.

(٤) هو ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق، ولد في الرقة عام ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م. ومات بفلسطين عام ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م. فقيه شافعي، عالم بالقراءات، وله نظم ونثر. له أكثر من مائة كتاب.
الأعلام ١/ ٥٥، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٠، الدرر الكامنة ١/ ٥٠، غاية النهاية ١/ ٢١، طبقات الشافعية ٦/ ٨٢، علماء بغداد ١٢.

أضحى الفقيه لجمع الكتب مغتبطًا لا بارك الله في البيت الذي جمعه
وظلّ يحمل أسفارًا فقلت له أنت الحمار الذي في سورة الجمعه

وقال آخر:

إذا لم تكن حافظًا واعيًا فجمعك للكتب لا ينفع
أتحضر بالجهل في مجلسٍ وعلمك في البيت مستودع

وقيل لا بدّ أنْ يكون مع الطالب محبرة في كل وقت حتى يكتب ما يسمعُ من الفوائد. قيل: ما حُفِظَ فرَّ، وما كُتِبَ قَرَّ. ورُوي عن الأستاذ ركن الإسلام المعروف بالأديب المختار[١] أنّه روى عن هلال بن يسار[٢] قال: «رأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلّم يقول لأصحابه شيئًا من العلم والحكمة. فقلت: يا رسول الله: أعِدْ لي ما قلت لهم. فقال لي: هل معك محبرة؟ فقلت: ما معي محبرة. فقال: يا هلال: لا تفارق المحبرة فإنّ الخير فيها وفي أهلها إلى يوم القيامة»[٣]. ووصى الصدر الشهيد حسام الدين[٤] لابنه شمس الدين[٥] رحمهما الله تعالى أنْ يحفظ كلّ يوم شيئًا من العلم والحكمة فإنّه يسير، وعن قريب يكون كثيرًا. واشترى عصام بن أبي يوسف[٦] قلمًا بدينار ليكتب ما سمع في الحال، فالعمر قصير والعلم كثير. فينبغي أن لا يضيع الأوقات والساعات، ويغتنم الليالي والخلوات. وينبغي أن يغتنم الشيوخ ويستفيد منهم، وليس كلّ ما فات يُدرك. قال الشاعر:

ولستُ بمدركٍ ما فات منّي بلهفٍ ولا بُليتَ ولا لوْ أنّي

الوظيفة العاشرة: أنْ تعرف معنى شرف العلم ورتبته ووثاقته في البرهان. وأمّا الشرف فإمّا بشرف ثمرته أو بوثاقة دلائله، والأول كعلم الدين فإنَّ ثمرته الحياة الأبدية التي لا آخر لها، فكان أشرف من الكلّ. والثاني كعلم الطب فإنَّ ثمرته حياة البدن إلى غاية الموت. فعلم الدين أشرف من علم الطب أيضًا، وعلم الطب أشرف من علم الحساب باعتبار غايته وثمرته، فإنَّ صحة البدن أشرف من معرفة كمية المقادير، وعلم الحساب أشرف منه بحسب وثاقة دلائله لكونها ضرورية غير محتاج إلى تجربة بخلاف الطب.

---

(١) لعله الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز، المعروف بالمسيحي الكاتب، الحراني المصري. مؤرخ، أديب. له تصانيف كثيرة، انظر عنه: وفيات الأعيان ٤/ ٣٧٧، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٧١، العبر ٣/ ١٣٩، شذرات الذهب ٣/ ٢١٥، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٨.

(٢) لعله هلال بن زيد بن يسار، أبو عقال البصري. توفي عام ١٤٤ هـ. محدث، متروك الحديث. يعد من الطبقة الخامسة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٧٥.

(٣) لم نعثر على تخريجه في الكتب المعتمدة والمعروفة.

(٤) هو عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، أبو حامد، برهان الأئمة، حسام الدين المعروف بالصدر الشهير، ولد بخراسان عام ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠ م. ومات قتلاً بسمرقند عام ٥٣٦ هـ/ ١١٤١ م من أكابر الحنفية، له العديد من المؤلفات الهامة. الأعلام ٥/ ٥١، الفوائد البهية ١٤٩، الجواهر المضية ١/ ٣٩١.

(٥) الأرجح أنه محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة الملقب بشمس الدين، من فقهاء الأحناف.

(٦) هو عصام بن أبي يوسف بن ميمون بن قدامة البلخي الحنفي. توفي عام ٢١٥ هـ/ ٨٣٠ م. فقيه له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٦/ ٢٨٢، هدية العارفين ١/ ٦٦٣.

ثمَّ إنَّ الشرف لما كان من جهة الثمرة تارة ومن جهة قوة الدليل أخرى، فاعلم أنَّ شرف الثمرة أولى من شرف قوة الدلالة. فأشرف العلوم ثمرة العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله وما يَعين عليه، فإنَّ ثمرته السعادة الأبدية.

ومما ينبغي أنْ يعلم أيضًا أنَّ لكل علم حدًا بحسب البرهان لا يتعداه مثلًا لا تقصد إقامة البراهين في النحو ولا تقصر عنه أيضًا كأنْ تقنع بالجدل في الهيئة، وكذلك ملاك الأمر في المعاني هو الذوق، وإقامة البرهان عليه خارج عن الطوق. ومن طلب البرهان عليه أتعب نفسه ولم يحصل من جده بطائل.

قال السكاكي[1]: وقبل أن تمنح هذه الفنون حقّها فلننبهك على أصلٍ لتكون على ذكر منه وهو أنْ ليس من الواجب في صناعة، وإنْ كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرَّد العقل أنْ يكون الدخيل فيها كالناشىء عليها، في استفادة الذوق منها، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية واعتبارات ألفية، فلا بأس على الدخيل في صناعة علم المعاني أنْ يقلّد صاحبها في بعض فتاواه إنْ فاته الذوق هناك إلى أنْ يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق.

المقدمة الثالثة في وظائف المعلّم:

وهي أيضًا عشرة:

الوظيفة الأولى: ينبغي أنْ يكون تعليمه لوجه الله تعالى ولا يريد بذلك رياءً ولا سمعة، ولا رَسْمًا ولا عادةً، ولا زيادةَ جاه ولا حرمة، وإنَّما يريد ابتغاء مرضاة الله تعالى، والامتثال لأوامره، والاجتناب عن نواهيه، ويريد نشر العلم، وتكثير الفقهاء، وتقليل الجهلة، وإرشاد عباد الله إلى الحقّ ودلالتهم على ما يصلحهم في النشأتين، وإظهار دين الله، وإقامة سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وتشييد قواعد الإسلام، والتفريق بين الحلال والحرام، ويكون مخلصًا في ذلك راغبًا في الآخرة، ومتيقنًا بما وعد الله للعلماء العاملين، راجيًا ثوابه وخائفًا عقابه.

واعلم أنَّ العلم كالمال، له حال اكتساب وحال ادخار، فيكون به غنيًا عن السؤال وحال إنفاق على نفسه وعلى غيره فيكون به سخيًا متفضّلًا وهو أشرف أحواله. فلا بد للعلم أيضًا من حال كسب واستفادة، وحال تحصيل وضبط، وحال استبصار وانتفاع، وهو التفكّر فيما حصّله إنْ كان اعتقاديًا، أو العمل به إنْ كان عمليًا، وحال نفع وتعليم وهو أشرف أحواله، فيصير كالشمس مضيئًا لنفسه ولغيره، والمسك الطيب المطيب لغيره. ومن أفاد غيره ولم ينتفع به كان كالدفتر المفيد غيره وهو غير منتفع به. وكالمِسَنّ يشحذُ غيره ولا يقطع،

---

(١) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب سراج الدين. ولد بخوارزم عام ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م. وفيها توفي عام ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م. عالم بالعربية والأدب. له عدة تصانيف. الأعلام ٨/ ٢٢٢، إرشاد الأريب ٧/ ٣٠٦، الجواهر المضية ٢/ ٢٢٥، شذرات الذهب ٥/ ١٢٢، بغية الوعاة ٤٢٥.

وكذبالة المصباح تضيء وتحترق. وليعلم يقينًا: لأنْ يهدي الله على يديه رجلًا خيرٌ له مما طلعت عليه الشمس والقمر، ولأنْ يردّ عبدًا آبقًا عن الله تعالى إلى طاعته أحبّ إلى الله تعالى من عبادة الثّقلين.

الوظيفة الثانية: أن يجري المتعلّم منه مجرى بنيه، كما قال صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «إنّما أنا لكم مثل الوالد لولده»[(١)]. بل ينبغي أن يكون الولد الإلهي أحبّ إليه من الولد الصلبي. ذكر حافظ الدين البزازي[(٢)] عن المرغيناني[(٣)] عن عصام بن أبي يوسف رحمه الله: لم يكن لأحد عليَّ من الحق كما كان له، وكان مشفقًا على أصحابه لو وقع الذباب على أحدهم، يرى مشقة ذلك عليه. وبلغ من شفقته عليهم أنَّ رجلًا دخل عليه متغيّر اللون وقال: إنَّ فلانًا سقط من السطح، وكان الإمام يصلّي فسمع وصاح حتى سمع من في المسجد. فلمّا فرغ، ذهب إلى الرجل وقال: إنْ قدرت أنْ أحمل على نفسي هذه العِلّة فعلت، وخرج من عنده باكيًا. وكان يأتيه صباحًا ومساءً حتى برأ الرجل.

وليعتقد المتعلم أنَّ حقَّ المعلم أكبر من حقّ الأب فإنَّه سببُ حياته الباقية، والأب سبب حياته الفانية. ولذلك قال الاسكندر[(٤)] لما قيل له: أمعلمك أكرم عليك أم أبوك؟ فقال: بل معلمي. فكما أنَّ الأخوة يجب بينهم التوادد والتحابب فكذلك شركاء الدرس، بل ينبغي أنْ يكون فوقهم، فإنَّ العلماء كلّهم مسافرون وسالكون إلى طريق الله تعالى، والمعلم المرشد والهادي، والشركاء الرفقاء، ولا ينتظم أمر المسافرة إلّا بموافقتهم ومحبتهم. وإنَّما ينشأ البغض والتحاسد لجعلهم العلم وسيلة إلى المال والرياسة فيخرجون به عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(٥)] ويدخلون تحت قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾[(٦)]. ولا يخفى أنَّ المال والرياسة يوجبان التحاسد والتباغض، كما وقع في زماننا هذا بسبب حب الرياسة والمال العداوة والبغضاء والتحاسد بين العلماء، وإلى الله المشتكى من زمانٍ ملأ الله قلوبَ أهليه من الحسد وغلب عليهم العناد، حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد قوم غلب عليهم الجهل وطمّهم، وأعماهم حبّ الرياسة وأصمّهم.

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة، ح ٣١٣، ١/ ١١٤.

(٢) هو محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردري البريقيني الخوارزمي الشهير بالبزازي. توفي عام ٨٢٧ هـ/ ١٤٢٤ م. فقيه حنفي، له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٤٥، شذرات الذهب ٧/ ١٨٣.

(٣) هو علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين، ولد عام ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ م، وتوفي عام ٥٩٣ هـ/ ١١٩٧ م. من كبار فقهاء الحنفية، حافظ، مفسر، محقق، أديب، له تصانيف جيدة. انظر عنه. الأعلام ٤/ ٢٦٦، الفوائد البهية ١٤١، الجواهر المضية ١/ ٣٨٣.

(٤) هو الاسكندر الأكبر المقدوني ذو القرنين اسكندر بن فيلقوس. حكم من سنة ٣٣٦ ـ ٣٢٣ ق. م. وقد بنى مدينة الاسكندرية فنسبت إليه ودفن فيها. وذكر المسعودي أن قبره كان لا يزال بها حوالى سنة ٣٢٢ هـ.
أخبار الحكماء ٢٦، خطط المقريزي ١/ ١٥٠، دائرة المعارف الإسلامية مادة الاسكندر، طبقات الأطباء والحكماء ٢٨ هامش ١٠.

(٥) الحجرات/ ١٠.

(٦) الزخرف/ ٦٧.

فمن طائفة يطولون أكمام الافتخار، ويجرّون أذيال الاستكبار، يتربعون في صدور الإيوان، ويتنافسون باحتشاد[١] الحواشي والغلمان، يستبدلون الجواب بالإعراض، ويستقلون في مجالسهم هتك الأعراض. أسأل الله تعالى من فضله أن يتوب عليهم ويسامحهم ببركة العلم والإسلام، ويبوّئهم أحسن مستقر ومقام.

الوظيفة الثالثة: أنْ يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ولا يطلب على إفاضة العلم أجرًا أو جزاءً. قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[٢]. فيجب عليه قطع الطمع عن المتعلمين والرفق بهم في التعليم، والتواضع لهم، والعطف عليهم. بل يجب عليه تقريب الفقير لفقره وانكساره، كما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يجالس الفقراء ويحبّ المساكين.

واعلم أنَّ طلب المال وإعراض الدنيا بالعلم كمن نظف أسفل مداسه بوجهه ومحاسنه، فجعل المخدوم خادمًا والخادم مخدومًا. فعليك أن لا تركن إلى حطام الدنيا وإقبالها، وولاية المناصب وإجلالها، فإنَّ ذلك حبالة الشيطان يصطاد بها ضعفاء الأحلام من الأنام، كما قال عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وعلى نبينا: العلماء دواء الدين، والمال داء الدين، فمن جرّ الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره. إلّا أنَّ العجب العجيب أنّ الأمر قد انتهى بحكم تراجع الزمان وخلوّ الأعصار عن علماء الدين إلى عدم ابتهاج العلماء بانتهاج سبيل العلوم، بل بالرياسة والتجمل اللذين لا ينخدع بهما إلّا العوام والجهلة.

فسادٌ كبيرٌ عالِمٌ متهتِّكٌ ... وأكبر منه جاهلٌ متنسِّكُ
هما فتنةٌ للعالمين عظيمة ... لمن بهما في دينه يتمسَّكُ

قال محمد بن الحسن: لو كان الناس كلهم عبيدي لأعتقتهم وتبرَّأت عن ولائهم. ومن وجد لذة العلم والعمل به قلَّما يرغب فيما عند الناس. قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى:

من طلب العلم للمعاد ... فاز بفضلٍ من الرشاد
فيا لخسران طالبيه ... لنيل فضلٍ من العباد

اللهم إلّا إذا طلب الجاه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحقّ وإعزاز الدين لا لنفسه وهواه، فيجوز ذلك بقدر ما يقيم به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وينبغي أنْ يتفكّر في ذلك فإنّه يتعلّم العلم بجهد كثير فلا يصرفه إلى الدنيا الحقيرة الفانية. وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اتقوا الدنيا فوالذي نفس محمد بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت»[٣]

هي الدنيا أقلّ من القليل ... وعاشقها أذلّ من الذليل
تصمّ بسحرها قومًا وتُعمي ... فهم متحيرون بلا دليل

---

(١) الاحتشاد: الاجتماع.

(٢) الشورى/ ٢٣.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب الأخلاق، باب الزهد، ح ٦٠٦٣، ٣/ ١٨٣، بلفظ: «فوالذي نفسي بيده».

الوظيفة الرابعة: أنْ لا يدخر نصحه عن المتعلم وزجره عن الأخلاق الردية بالتعريض والتصريح، ومنعه أن يتشوَّف إلى رتبة فوق استحقاقه، وأنْ يتصدَّى للاشتغال فوق طاقته، وأنْ ينبّهه على غاية العلوم وأنَّها هي السعادة الأخروية دون إعراض الدنيا. وينبغي أنْ لا يزجر عن التعلّم إذا رأى أنَّه يتعلَّمه لأجل الرياسة ومباهاة العلماء إذْ اشتغاله ربما أدَّى إلى اكتساب العلم وتنبه بالآخرة لحقائق الأمور، وعلم أن الطالب بالعلم لأعراض الدنيا مغبون، وهو المعنى من قولهم: تعلّمنا العلم لغير الله فأبى العلم أنْ يكون إلَّا لله. ولهذا ينبغي أنْ يرغب في نوع من العلم يستفاد به الرياسة بالأطماع في الرياسة حتى يستدرجهم بعد ذلك إلى الحقّ. ولهذا رخَّصوا في علم المناظرة في الفقهيات لأنَّها بواعث على المواظبة لطلب المباهاة أولًا، ثم بالآخرة يتنبه لفساد قصده ويعدل عنه إلى المنهج القويم. بل الله سبحانه وتعالى جعل الرياسة وحسن الذكر حفظًا للشرع والعلم مثل الحَبّ الملقى حوالى الشبكة ومثل الشهوة الداعية إلى التناسل. ولهذا قيل: لولا الرياسة لبطل العلم. لكن ينبغي أنْ ينبه عليه أنَّ المتعلّم إن كان طبعه على الشر والفساد وحبّ المال والجاه فلا يحسن له الرياسة لاحتمال أنْ يرسخ في طبعه ثم لا يزول أو يشقّ زواله.

الوظيفة الخامسة: أن يزجر عما يجب الزجر عنه بالتعريض لا بالتصريح لأنَّ التعريض يؤثر في الزجر، والتصريح ربما يعزى بالمنهي عنه. قال ﷺ: «لو نهى الناس عن فت[1] البعر لفتوه وقالوا أما نهينا عنه إلَّا وفيه شيء»[2]. وينبّه على هذا قصة آدم وحواء وما نهيا عنه. ولذا قيل: الإنسان حريص على ما مُنع. وقد قيل: رُبَّ تعريض أبلغ من التصريح، إذْ التعريض لا يهتك حجاب الهيبة والتصريح يرفعه بالكلية، فيستفيد المنهي جرأة على المخالفة إذا اضطر إلى المخالفة له مرة أخرى. ولقد شاهدنا هذا الأمر في المولى الوالد روَّح الله روحه حيث ما قابلنا في أمر بتصريح بل كان يعرِّض، وكنا ننزجر عن ذلك الأمر فوق ما ينزجر الناس عن التصريح.

وينبغي أنْ يكون ناصحًا لهم ومتواضعًا لهم مع الوقار، صابرًا على تعليمهم في أكثر النهار، ومحرضًا لهم على كسب العلوم، ومشفقًا عليهم، ومتحملًا منهم ما يصدر عنهم من الهفوات، وناظرًا في أحوالهم الدنيوية والأخروية، يبرّ حقوقهم بقدر وسعه وطاقته.

الوظيفة السادسة: أنْ يبدأ في التعليم ما يهمّ المتعلّم في الحال إمّا في معاشه أو في معاده، ويعيّن له ما يليق بطبعه من العلوم، إذْ كلّ ميسّر لما خُلِقَ له[3]، ويراعى الترتيب الأحسن في ترتيب العلوم حسبما يقتضيه رتبتها. ولا ينبغي أن يرقيهم من الجلي إلى الدقيق ومن الخفي إلى الظاهر دفعة وفي أول رتبة، بل على قدر الاستعداد اقتداءً بمعلم البشر كافة ومرشدهم قاطبة حيث قال: «إنَّا معشر الأنبياء أُمِرْنا أنْ ننزل الناس منازلهم ونكلّم الناس

---

(١) ألفت: الدقّ والكسر بالأصابع.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب بيان وظائف المعلم المرشد، ١/ ٣٤١.
(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي. . ، ح ٩، ٤/ ٢٠٤١.

بقدر علومهم»[١]، وقال عليّ رضي الله عنه وقد أومىء إلى صدره: «إنَّ هاهنا لعلومًا جمّة لو وجدت لها حملة». وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «كلِّموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون. أتريدون أن يكذب الله ورسوله»[٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾[٣]. وسئل بعض المحققين عن شيء فأعرض، فقال السائل: أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «من كتم علمًا نافعًا جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار»[٤]. فقال: أترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه فكتمته فليلجمني به. وقد نبَّه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾[٥]. على أن حفظ المعلم وإمساكه عمن لا يكون أهلًا له أولى. وبقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٦]. على أنَّ من بلغ رشده في العلم ينبغي أنْ يبث إليه حقائق العلوم، ويرقى من الجلي الظاهر إلى الدقيق الخفي. وليس الظلم في منع المستحق بأقل من الظلم في إعطاء غير المستحق. قال أبو بكر الشاشي[٧] رحمه الله: رأيت الشافعي رحمه الله في المنام فأنشدني هذه الأبيات:

أأنثر درًا بين راعية الغنم ... أأنظم منثورًا لسارحة النعم
فإنْ لطف الله الكريم بفضله ... وصادفتُ أهلًا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدًا واستعدت ودادهم ... وإلّا فمخزونٌ لديَّ ومكتتم
فمن منح الجهالَ علمًا أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فظهر منه أنَّ بثّ المعارف إلى غير أهلها مذموم في العلوم كلّها. قال النبي ﷺ: «لا تطرحوا الدّرر في أفواه الكلاب»[٨]. وقال عيسى عليه السلام: لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، فإن العلم خير من الجوهر، ومنكره شرّ من الخنزير.

وقيل:

قد ضيَّع الله ما جمعت من أدب ... بين الحمير وبين الشاء والبقر

وأيضًا إدخار حقائق العلوم من المستأهلين لها فاحشة عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٩]. قال بعض المحققين: وضع العلم في غير أهله إضاعة ومنعه عن أهله ظلم وجور، وكلاهما حرام على العلماء.

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب بيان وظائف المعلم المرشد، ١/ ٣٤٢، بلفظ: «نحن».
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم، ١/ ٣٤٤.
(٣) الأنفال/ ٢٣.
(٤) مسند أحمد، ٢/ ٤٩٩، بلفظ «يعلمه» بدلاً من «نافعاً».
(٥) النساء/ ٥.
(٦) النساء/ ٦.
(٧) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر، أبو بكر الشاشي القفال الفارقي، فخر الإسلام المستظهري، ولد عام ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م. وتوفي عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٤ م. من كبار فقهاء الشافعية. له عدة تصانيف هامة. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٣١٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٦٤، طبقات السبكي ٤/ ٥٨.
(٨) السيوطي، اللآلىء المصنوعة، ١/ ١٠٨.
(٩) آل عمران/ ١٨٧.

الوظيفة السابعة: أنْ يحثّ الصغار على التعليم سيما الحفظ لأنَّ ذلك كالنقش في الحجر والتعلم في الكبر كالرقم على الماء. وأيضًا ينبغي أنْ يذكر لهم ما يحتمله فهمهم ولا يذكر للمتعلمين أنَّ وراء ما ذكر لهم تحقيقًا وتدقيقًا ادخره عنهم، فإنَّ ذلك يفتر فهمهم في تلقف ما ألقي إليهم، بل يخيّل إليهم أنَّ ما ذكر لهم كلّ المقصود. ثم إذا استقل به رقي إلى غيره.

وعلى هذا القياس ينبغي أنْ تجنب إسماع العوام المتشرعين عن كلمات الصوفية التي يعجزون عن تطبيقها بالشرع فإنَّ ذلك يؤدّي إلى انحلال قيد الشرع عنهم، ولا يمكن لهم التطبيق بينه وبين الشرع، فينفتح عليهم باب الإلحاد والزندقة فينقلب شيطانًا مريدًا كما نشاهد ذلك في بعض عوام زماننا المتتبعين لكلمات الفصوص[١] وغيره الغير المستأهلين لتحقيقها وإتقانها، فينبغي للمعلم أن يرشد العوام إلى علم العبادات الظاهرة، وأنْ يميل أنفسهم إلى الرغبة والرهبة كما يفعله الوعاظ والمذكرون، وإنْ عرض لهم شبهة يعالج بكلام إقناعي وتقرير واضح عالي، ولا يفتح عليهم باب الحقائق، فإنَّ في ذلك فساد النظام. وإنْ وجد ذكيًا ثابتًا على قواعد الشرع ومستعدًا لدرك الحقائق العقلية والأسرار الإلهية جاز أنْ يفتح له باب المعارف الربانية بعد امتحانات متوالية وتجارب متتالية حتى لا يتزلزل عن جادة الشرع، ويجمع بينه وبين الحقائق، وماذا بعد الحقّ إلّا الضلال.

وقد أسلفنا أنَّ السلف كانوا يختبرون المتعلم في أخلاقه فإنْ وجدوه مهذَّب الأخلاق اشتغلوا بتعليمه وإلَّا منعوه أشدّ المنع خيفةً من أنْ يقصر في الفهم فيفسد دينه ودين غيره. ولهذا قالوا: نعوذ بالله من نصف فقيه ونصف طبيب، فإنَّ الأول يفسد الدين والثاني يفسد البدن.

وإذا انتهى الكلام إلى هذا المقام فأنا أوصيك وصية عمل من طبّ لمن حبّ، لعلك تنتفع بها وتدعو لي بخير، وهي أنَّ الواجب عليك أيّها الطالب للحق والراغب في الصدق أنْ لا تنكر أولياء الله تعالى فإنّهم الوسيلة بينك وبين الله تعالى، والخليفة من حضرة رسول الله ﷺ.

فإذا كنت في المدارج غرًا ... ثم أبصرت حاذقًا لا تمار
لا تكن منكرًا فثم أمور ... لطوال الرجال لا للقصار
فإذا لم تر الهلال فسلّم ... لأناس رأوه بالأبصار

وما لا تفهم من مقالاتهم الخفية وأحوالهم الغريبة فكلّه إلى أهله إذْ كلّ ميسَّر لما خُلق له. وقال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢]. قال بعض الحكماء: كلّ ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان ما لم يذدك عنه قائم البرهان. وقال بعض

---

(١) فصوص الحكم للشيخ محيى الدين أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي الطائي الحاتمي الأندلسي (ـ ٦٣٨ هـ). كشف الظنون ١/ ١٢٦١.
(٢) المائدة/ ٤٨.

المحققين في حقّ أسرار التوحيد وأطوار المتصوفة:

وكان ما كان مما لست أذكره … فظنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخبر

فإنْ قلت كلّ ما يخالف الشرع فهو كفر والتوقّف فيه لا يصح من المسلم.

قلت: نعم. إنَّ التوقّف في الكلام الذي هو كفر صريح من حيث إنّه يجوز أنْ يكون صحيحًا لا يجوز من مسلم فضلًا عن عالم، لأنَّ ذلك شكّ في الدين وخرم لنظام الإسلام والشرع، لكنّا والعياذ بالله لا نتوقّف في ذلك أبدًا. عصمنا الله وإياكم عن التساهل في الدين والإسلام، لكنّا نتوقف في كون مرادهم ذلك المعنى، إذْ الدليل القاطع دلَّ على أنَّ ظاهره غير مراد فلا بدّ من أنْ يصرف عن ظاهره بوجه من وجوه التأويل لوجهين:

أحدهما: تصريحهم بأنَّ المفهوم من ظاهر كلامنا كفر وإلحاد، إذْ التعبير عن أصل المراد يوهم الحلول أو الاتحاد، وليس الأمر كذلك، بل ذلك لضيق العبارة وغير الإشارة، فلا يحاول معبِّر أنْ يعبِّر عنها إلَّا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه، كذا ذكر الإمام الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال(١).

وثانيهما: ما ذكره بعض الكاملين أنَّ المعارف الإلهية لم توضع بإزائها الألفاظ بل اقتصر الوضع بإزاء الممكنات. وأيضًا لا يمكن الإشارة إليها بطريق الكناية والاستعارة إذْ ليس كمثله شيء، فغاية حال من أراد التعبير عن الأسرار الإلهية وقصارى أمرهم التعبير عنها بما يماثلها من جهة من الجهات وإنْ كان مخالفًا له حقيقة ومن سائر الجهات، فالتعبير عن الأسرار الإلهية وإنْ كان تقريبًا إلى الأذهان من جهة فهو تبعيد عنها من وجوه كثيرة. وإنَّما الغرض من التصنيف التذكرة لمن يعرف تلك الأسرار لأنَّه يعرف العلاقة في إطلاق اللفظ عليها، وكذا التنبيه على من لا يعرفها أنَّ لنا علمًا يجل عن الأذهان فهمه حتى يرغب في تحصيله، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلَّا العلماء بالله، وإذا نطقوا لا ينكره إلَّا أهل الغرة»(٢). وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعائين، أمَّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم»(٣). وقيل:

إنِّي لأكتم من علمي جواهره … كي لا يرى الحقَّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدَّم في هذا أبو حسن … إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا رب جوهر علم لو أبوح به … لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي … يرون أقبح ما يأتونه حسنا

---

(١) المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ـ ٥٠٥ هـ). كشف الظنون ٢/١٨٦٩.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، الباب الثاني من بيان العلم المحمود. . . ، ١/١٦٦؛ بلفظ: «يعلمه» بدلاً من «يعرفه» و«فإذا» بدلاً من «وإذا».

(٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح ٦١، ١/٦٨.

لكن إياك وإياك أن تظنَّ أنَّهم أضمروا الكلمات المخالفة للشرع وليس كذلك، فحاشاهم ثم حاشاهم عن ذلك، بل غرضهم عدم إمكان التعبير وخوف مقايسة السامعين الأحوال الإلهية بأحوال الممكنات فيضلوا أو يضلوا، أو يسيئوا الظنّ في قائلها ويقابلوه بالإنكار. جلَّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعةً لكلّ وارد، أو يطلع على سرائر قدسه إلَّا واحد بعد واحد.

وقيل:

لقد طفت في تلك المعاهد كلّها وسيرت طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ إلَّا واضعًا كفَّ حائرٍ على ذقنٍ أو قارعًا سِنَّ نادمِ

قال تاج الدين السبكي[1]: ومن الفقهاء طائفة يستهزؤون بالفقراء وأهل التصوّف ولا يعتقدون فيهم شيئًا ويعيبون عليهم السماع وأمورًا كثيرة. والسماع قد عرف اختلاف الناس فيه، وتلك الأمور قلَّ أنْ يفهمها من يعيبها، والواجب تسليم أحوال القوم إليهم، فإنَّا لا نأخذ أحدًا إلَّا بحرمة ظاهرة. ومتى أمكننا تأويل كلامهم وحمله على محملٍ حَسَنٍ لا نعدل عن ذلك، لاسيما من عرفنا منهم الخير ولزوم الطريقة. ثم لو بدرت لفظة عن غلطة أو سقطة فإنَّها لا تهدم عندنا ما مضى، وقد جرَّبنا فلم نجد فقيهًا ينكر على الصوفية إلَّا ويهلكه الله ويكون عاقبته وخيمة. كما أنَّا لم نجد جنديًا يهزأ بالفقهاء إلَّا ويهلكه الله ويكون عاقبته شديدة. والصوفية هم أهل القلوب فهم أهل الله تعالى وخاصته، نفعنا الله تعالى بهم، وأكثر من يقع فيهم لا يفلح. هذا حاصل ما ذكره السبكي رحمه الله تعالى.

الوظيفة الثامنة: ينبغي أنْ لا يخالف قوله فعله بل يأمر بما هو أول عامل به إذْ لو أكذب مقاله بحاله ينفر الناس عنه وعن الاسترشاد به لأنَّ أكثر الناس مقلدون ينظرون إلى حال القائل، والمحقق الذي لا ينظر إلى القائل بل يقصر النظر إلى ما قاله فهو نادر، فليكن عنايته بتزكية أعماله أكثر منه بتحسين علمه ونشره. وإذا زجر الطبيب عما يتناوله إما يحمل على الهزء والسفه أو يتهم على علمه وصدقه، أو يحمل على أنَّه يريد أنْ يستأثر به فينقلب النهي إغراءً وتحريضًا. كذلك العامي إذا رأى العالِم الغير العامل فهو بين أنْ يحمله على الكذب، أو أنَّه يعرف حيلة في فعله ويخصنا بالنهي عنه، أو يحمله على السمعة والرياء. نعوذ بالله من آفات التساهل في العمل. قال النبي ﷺ: «أشدّ الناس عذابًا عالِمٌ لم ينفعه الله بعلمه»[2]. وعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أول ما يسعر يوم القيامة رجل عالم فيندلق لسانه فيدور فيها كما يدور الحمار مع الرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا هذا أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر، تاج الدين. ولد في القاهرة عام ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م، توفي بدمشق عام ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م. قاضي القضاة في عصره، مؤرخ، باحث، له الكثير من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٨٤، جلاء العينين ١٦، الدرر الكامنة ٢/ ٤٢٥، حسن المحاضرة ١/ ١٨٢.

(٢) الزبيدي، اتحاف، باب الكلام على البسملة، ١/ ٥٧.

عن المنكر وآتيه[١]. وفي الحديث أيضًا: «إنَّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة رجلان: رجل علم علمًا فيرى غيره يدخل الجنة بعلمه لعمله به، وهو يدخل به النار لتضييعه العمل به. ورجل جمع المال من غير وجهه وتركه لوارثه فعمل به الخير، فيرى غيره يدخل به الجنة وهو يدخل به النار»[٢]. وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي يستعيذ بالله من هذا العلم حيث كان يقول: نعوذ بالله من علم يكون حجة علينا، وينشد:

علمت ما حلَّل المولى وحرَّمه ... فاعمل بعلمك إنَّ العلم للعمل

ومثل الواعظ والمتعظ مثل النقش والطين والعمود والظلّ، وكيف ينقش الطين ما لا نقش فيه، وكيف يعتدل الظلّ والعمود أعوج. ولذلك قيل:

يَا أيّها الرجل المعلّم غيره ... هلَّا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الضنا ... ومن الضنا مذ كنت أنت سقيم
مازلت تلقح بالرشاد عقولنا ... صفة وأنت من الرشاد عديم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهتْ عنه فأنت حليم
فهناك تقبل إنْ وعظت ويقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

وقيل:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

وقيل:

يا واعظَ الناس قد أصبحت متهمًا ... إذْ عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

بل قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[٣]. ولذلك قيل: وزرُ العالِم في معاصيه أكثر من وزر الجاهل لأنَّه يقتدى به، كما قال عليه الصلوة والسلام: «مَنْ سَنَّ سنَّةً سيِّئةً فعليه وزرُها ووزرُ مَنْ عملَ بها»[٤]. فعلى العاصي الجاهل في كلِّ معصية وزر الإتيان وعلى العالِم العاصي وزر الإتيان ووزر أنْ يقتدى به. ولذلك قال عليّ رضي الله عنه: قصم ظهري رجلان: جاهل متنسك وعالِم متهتّك. فالجاهلِ يغرّ الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه. وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: «ويل للجاهل مرة وللعالم سبعين مرة»[٥].

ومن العالم من لا يترك الفرائض ولكنه أحبَّ المناظرة ليقال فلان اليوم فقيه البلد حتى

---

(١) الزبيدي، اتحاف كتاب العلم، باب وظائف المعلم، ١/ ٣٥٢، بلفظ: يؤتى العالم يوم القيامة ويلقى في النار، فتنزلق اقتابه فيدور كما يدور الحمار بالرّحى.

(٢) الزبيدي، اتحاف، باب الكلام على البسملة، ١/ ٥٧، بمعناه دون لفظه وبلفظ «ثلاثة رجل...».

(٣) البقرة/ ٤٤.

(٤) مسند أحمد، ٤/ ٣٥٧، بلفظ: «كان عليه».

(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب بيان وظائف المعلم المرشد، ١/ ٣٤٧ بلفظ: «ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات». وفي المرجع نفسه، كتاب العلم، باب تتمات ختم بها الشارح كتاب العلم، ١/ ٣٧١، بلفظ: «يغفر للجاهل سبعون ذنباً ما لم يغفر للعالم ذنب واحد».

اختلط بلحمه وعظمه، فيترك النوافل وينسى القرآن بعد حفظه، وإذا قام إلى الصلوة أخذ يتفكر في باب الحيض ودقائق الجنايات ويعتذر في ذلك ويقول: طلب العلم أفضل من صلوة النافلة، وإنَّ الخشوع ليس من شرائط صحة الصلوة، مع أنَّه روي عن الأستاذ أبي علي الدقاق[١] أنَّه كان يقول: من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السُّنَّة، ومن ترك سُنَّة عوقب بحرمان الفريضة، ومن استهان بالفرائض قيّض الله مبتدعًا يوقع عنده باطلًا فيوقع في قلبه شبهة.

أنظر أيّها الفقيه إلى أين انتهى ترك الأدب والنوافل.

ولا بدّ للعالم من الورع ليكون علمه أنفع وفوائده أكثر. روي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: «من لم يتورع في تعلمه ابتلاه الله بإحدى ثلاثة أشياء: إمَّا أنْ يميته في شبابه أو يوقعه في الرساتيق أو يبتليه بخدمة السلطان»[٢].

ومن الورع أنْ يتحرز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا يعنيه، وعن أكل طعام السوق فإنَّه أقرب إلى النجاسة والخباثة والغفلة وأبعد عن ذكر الله، ويذهب بركته بوقوع أبصار المحاويج والفقراء. وينبغي أنْ يتحرز عن الغيبة ومجالسة المكثار. وقيل: من أكثر الكلام يسرق عمره ويضيع أوقاته، ويجتنب من أهل الفساد والمعاصي وأهل العطلة إذْ المجاورة مؤثرة. وينبغي أن يختلط مع صاحب الطبع المستقيم والأذكياء ويفرّ من الكسلان والمفسد والفتان.

عن المرء لا تسألْ وأبصِرْ قرينه وكلّ قرين بالمقارن يقتدي

ومن العلماء من يستهين بصغائر الذنوب كالغيبة والاستهزاء بخلق الله تعالى وغير ذلك، أو كان له معصية ابتلاه الله بها فلم يستتر، وقال: علمُنا يغطي معصيتنا، وهذا جهل لا علم، إذْ المعصية سترها واجب سيما من العالم لأنَّه يقتدي به. ولذلك كان بعض العارفين لا يظهر لتلميذه إلَّا على أشرف أحواله خوفًا أنْ يقتدى به. فينبغي للعالم الكفّ عن صغار المعاصي فضلًا عن كبارها فإنْ هو لم يكف فلا أقلّ من التستر صيانة لمنصب العلم.

ومن جملة أحوالهم الشنيعة أنْ يطعنوا في أمة قد سلفت والاشتغال بعلماء قد مضوا سيما المخالفين في العقائد، حتى إنَّ بعضًا من المتعصبين من الأشاعرة يكفرون الحنابلة، وبعضًا من الحنابلة يكفرون الأشاعرة، إلَّا أنَّ هذا منكر من القول وزور، إذْ الأئمة يعتبرون من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة والأشاعرة مذهبهم على أن لا يكفر أحد من أهل القبلة، فلِمَ هذا التعصب وما لنا لا نسكت عن أقوامٍ مضوا إلى ربهم ولم ندرِ على ماذا ماتوا. هذا الذي فعلوه والله ما لا ينبغي.

---

(١) هو الحسن بن علي الدقاق النيسابوري، توفي عام ٤٠٦ هـ، زاهد، عارف، شيخ الصوفية في عصره. فقيه شافعي، له كرامات ومكاشفات. شذرات الذهب ٣/ ١٨٠.

(٢) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين كتاب الحلال والحرام، باب فيما يحل من مخالطة السلاطين ٦/ ١٣١، بلفظ عن ابن المبارك: «من يخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما يموت أو ينسى أو يلزم السلطان».

الوظيفة التاسعة: في آداب الدرس والفتوى والقضاء والتذكير.

أما آداب الدرس أنْ يكظم غيظه عند التعليم ولا يخلطه بهزل فيقسو قلبه، ولا يضحك فيه، ولا يلعب، فيموت قلبه. ويستعمل الحلم والوقار والتؤدة والرفق والمداراة فيما ينوبه من الأمور، ولا يبالي إذا لم يقبل قوله، ويقول إنَّما عليَّ البلاغ والهداية والتوفيق من الله تعالى، ولا بأس بأنْ يمتحن فهم المتعلّم ويبحث عن حرصه على العلم، فإنَّ النبي ﷺ كان يجرب أصحابه بنحوٍ من ذلك، كما قال: «إنَّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنَّها مثل المسلم، فحدّثوني ما هي. فوقعوا في شجر البوادي ووقع في نفس ابن عمر[1] رضي الله عنهما أنَّها النخلة فاستحيى أنْ يسبق الأكابر بذكرها»[2]. وفي هذا الحديث إشارة إلى أنَّ الصغار لا تتقدم الكبار في الكلام، اللهم إلَّا أنْ يفهم الإذن العام. وينبغي أنْ لا يجادل في العلم، ولا يماري في الحقّ فإنَّه يفتح باب الضلال ويتذكر ما يحفظه في نفسه لينجع ويرسخ ويفيد ما يحتاج إليه دون ما يستغني عنه، وإنْ كان الطلاب مبتدئين لا يلقي عليهم المشكلات، بل يدرِّبهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، وإن كانوا منتهين لا يلقي عليهم الواضحات، بل يدخل بهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم عبابه الزاخر.

ومن أقبح المنكرات أنْ ينظر المدرّس كلّ يوم في عدة سطور ويفهمها ويلقنها المتعلّم ولا يوجد في ذهنه المعلومات في جميع الأبواب أو في أكثرها، فإنَّ هذا يطرق العوام إلى روم منصب التدريس، إذْ قلما يوجد عامي لا يقدر على فهم عدة سطور. وهذه البلية شاعت في زماننا، ولهذا اجترأ الجهال على الدخول في منصب التدريس، وبهذا اندرس رونق المدارس ورسوم العلم. ثم إنَّ مثل هؤلاء هم السبب في اندراس العلم، ومع ذلك فهم يعاتبون الزمان. سيجزيهم الله بما فعلوه والله الرقيب على الكل. قلت في هذا المعنى:

فواأسفا رسم المدارس دارس   فهل عند رسمِ دارسٍ من معول

وينبغي أنْ ينوي بتعليمه إرشاد عباد الله إلى الحقّ ودلالتهم على ما يصلحهم ويقطع الطمع عن المتعلم. وينبغي أنْ يقرّب الفقير ويتواضع له ويعطف على المتعلّم ويبدأ بأقرب ما يفتقر وأهم ما يغنيه في معاشه ومعاده، ويكلّم كلّ صنف بما يبلغه عقله ويدركه فهمه، ولا يجيب متعنّتًا في سؤاله، ولا ما يلقي عليه من الأغلوطات.

ومن جملة آداب الدرس أنْ ينظر في الطالب إنْ كان له زيادة فهم بحيث يقدر على حلّ المشكلات وكشف المعضلات يهتم لتعليمه أشدّ الاهتمام، وإلَّا فيعلّمه قدر ما يعرف الفرائض والسنن، ثم يأمره باشتغال الاكتساب ونوافل الطاعات، لكن يصبر في امتحان ذهنه مقدار ثلاث سنين.

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة عام ١٠ ق. هـ/ ٦١٣م. وتوفي فيها عام ٧٣ هـ/ ٦٩٢ م. صحابي جليل، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئاً في الحق. نشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة وشهد الفتح مع النبي ﷺ. كان زاهداً عدلاً على سيرة والده. وعرضت عليه الخلافة فرفضها.
الأعلام ٤/١٠٨، تهذيب الأسماء ١/٢٧٨، طبقات ابن سعد ٤/١٠٨، حلية الأولياء ١/٢٩٢، صفة الصفوة ١/٢٢٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب مثل المؤمن مثل النخلة، ح ٦٣، ٤/٢١٦٥.

وأمّا آداب الفتوى فاعلم أنَّ السلف لم يجوّزوا الاجتراء على تقلّد الفتيا لقول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أجرؤكم على النار أجرؤكم على الفتيا»[١]، وإنْ ظهر المفتي جسر الناس إلى جهنم فيما يحلّ ويحرم من المال والدم والفرج. فالسُّنَّة أنْ لا يتقلَّد الفتوى من طوع قلب وطيب نفس إلَّا أنْ يكره عليه بالوعيد الشديد، ولا يستعمل الإمام أيضًا من يطلبه، وإنْ طلبه وكل إلى نفسه، وإنْ أكره عليه سدد فيه. وكان السلف يعدّون السكوت والاستماع أفضل من الكلام، والخمول أشرف من النباهة، فلم يكن أحد منهم إلَّا ودَّ أنَّ أخاه كفاه الحديث والفتيا. وكان عمر رضي الله عنه ربما يجمع أهل بدر كلهم في واقعة ولا يحكم فيها برأيه، لكن إنْ لم يكن له بدّ منها بأنْ لا يوجد أفضل منه أو أكره عليه إذْ حينئذٍ يفترض عليه، فعليه أنْ لا يفتي إلَّا فيما يقعِ من المهمات الدينية دون الغوامض الغريبة. وإنْ سئل عما يشكّ فيه يقول لا أدري، فإنَّ لا أدري نصف العلم. وسئل الإمام مالك عن أربعين مسئلة فقال في ست وثلاثين لا أدري مع أنَّه من الأئمة المجتهدين اتفاقًا. وتوقُّفُ أبي حنيفة رحمه الله في ستٍّ مسائل مشهورٌ، وكذا يحكى الجواب بلا أدري عن كثير من علماء السلف.

وينبغي أنْ لا يطلب بالفتيا سيادة ولا رياسة ولا إقبال الناس عليه ولا سبي قلوبهم لجلب النفع منهم وكسب الجاه منهم، بل كان نيته حِسْبَةً للثواب من الله عزّ وجلّ وابتغاءً لمرضاته وإعلاءً لكلمته ونصرةً لدينه وأداءً للأمانة عندهم إلى من يعقبهم من إخوان الدين، فإنَّ ذلك فرض عليه.

وأمَّا شرائط الفتوى قال الإمام محمد رحمه الله: إذا كان صوابه أكثر من خطئِه يحلّ له أنْ يفتي، يعني برأيه، رواه عنه أبو نصر العراقي[٢]. وقال أبو يوسف رحمه الله وقد شدّد الأمر فيه: لا يحلّ له أنْ يفتي حتى يعرف أحكام الكتاب والسُّنَّة والناسخ والمنسوخ وأقاويل الصحابة والمتشابه ووجوه الكلام. وعن أبي يوسف وزفر[٣] وعافية بن زيد[٤] رحمة الله عليهم أنَّهم قالوا: لا يحلّ لأحد أنْ يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا، وإنْ كان حافظًا كتب أصحابنا لا بأس بالجواب على وجه الحكاية، وإنْ كان غير حافظ لا يسعه القياس إلَّا أنْ يعرف طرق المسائل ومذاهب القوم. قال أبو بكر: وإنْ حفظ جميع كتب أصحابنا فلا بدّ أنْ يتّلمذ للفتوى حتى يهتدي إليه.

---

(١) سنن الدارمي، باب الفتيا وما فيه من الشدة، ١/٥٧، بلفظ «أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار».

(٢) لعله عبد الله بن عبد الرحمن الضبي، أبو نصر الكوفي. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الخامسة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣١١.

(٣) هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري، من تميم، أبو الهذيل. ولد عام ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م. وتوفي بالبصرة ١٥٨ هـ/ ٧٧٥ م. فقيه كبير، صاحب أبي حنيفة. الأعلام ٣/ ٤٥، شذرات الذهب ١/ ٢٤٣، الجواهر المضية ١/ ٢٤٣.

(٤) هو عافية بن يزيد بن قيس الأودي الكوفي الحنفي. توفي عام نيف وستين ومائة. قاضي بغداد، عالم عادل، له رواية وحديث ثقة. له أخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٨، ابن سعد ٧/ ٣٣١، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٨، البداية والنهاية ١٠/ ١٧٦.

وقيل: ينبغي لكلِّ مفتٍ أنْ ينظر إلى عادة أهل بلده فيما لا يخالف الشريعة، وينبغي أنْ لا يجيب متعنتًا في السؤال ولا من يلقى إليه من الأغلوطات والعويصات، ويحرم على السائل إلقاء ذلك على العلماء فإنَّ حاصله يؤول إلى استخفافٍ بالعلماء وتهاون بالدين.

وينبغي أنْ يجتنب المفتي عن تتبع الرخص للأمراء وتخصيصهم بذلك من بين العوام مثل أنْ يقول: لعب الشطرنج حلال عند الشافعي والمجاوزة عن الحدود في التعزيرات جائزة عند مالك وبيع الوقف إذا خرب وتعطلت منفعته ولم يكن له ما يعمّر به حلال عند أحمد بن حنبل. وتتبع الرخص وإنْ كان جائزًا على ضعف لكن ذلك ابتلاء الضعفة بسبب عدم الاستطاعة. وأمَّا تخصيص الأمراء بذلك وتخصيص المفتي من يشاؤه بذلك من غير اعتقاده بالصحة وإلَّا لأفتى على العموم من غير تخصيص بالبعض، فمن علامات الاستهانة بدين الله. نعوذ بالله من الخذلان. وما هذا المفتي إلَّا ضال خارق لحجاب الهيبة مسقط لأبهة الشرع مفسد لنظام الدين. قال بعض السفهاء من الشعراء وأهل المجون:

الشافعي من الأئمة قائل ... اللعب بالشطرنج غير حرام
وأبو حنيفة قال وهو مصدّق ... في كل ما يروي من الأحكام
شرب المثلث والمربع جائز ... فاشرب على أمنٍ من الآثام
وأباح مالك السفاح تكرّمًا ... في ظهر جارية وظهر غلام
والحبر أحمد حل جلد عميرة[(١)] ... وبذاك يستغني عن الأرحام
فاشربْ ولَطْ وازْنِ وقامرْ واحتججْ ... في كلِّ مسئلة بقول إمام

والرأي الحقّ في مثل هذا الشاعر أنْ يضرب بالسياط ويطاف به في الأسواق، فقبحه الله وأخزاه، كيف اجترأ على أئمة المسلمين وهداة المؤمنين، وقد افترى على مالك فيما عزاه إليه وعلى غيره في تسمية الشطرنج قمارًا وإطلاق الشرب واللواط والزنا على ما سمّاه. ولعل الأصل في هذا قول أبي نواس[(٢)]:

أباح العراقي النبيذ وشربه ... وقال حرامان المدامةُ والسكرُ
وقال الحجازي الشرابان واحدٌ ... فحلَّت لنا من بين قوليهما الخمرُ

أراد بالعراقي أبا حنيفة رحمه الله تعالى وبالحجازي الشافعي، وادعى الشاعر أنَّ أبا حنيفة رحمه الله قال بحلِّ النبيذ وأنَّ الشافعي قال النبيذ والخمر واحد، فيلزم من قولهما حلّ الخمر وليس كذلك، إذْ الشافعي قال إنَّهما واحد في الحرمة لا في الحل. وهذا القول إنْ صدر عن اعتقاد فزندقة والعياذ بالله، إلَّا أنَّ الظاهر من حال أبي نواس أنَّه لم يقصد إلَّا

(١) كناية عن الاستمناء باليد.
(٢) هو الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن صباح الحكمي، أبو نواس. ولد بالأهواز عام ١٤٦ هـ/ ٧٦٣ م. وتوفي ببغداد عام ١٩٨ هـ/ ٨١٤ م. شاعر العراق في عصره. اشتهر بخمرياته وغزله. له عدة دواوين شعر مطبوعة.
الأعلام ٢/ ٢٢٥، تهذيب ابن عساكر ٤/ ٢٥٤، نزهة الجليس ١/ ٣٠٢، خزانة الأدب ١/ ١٦٨، وفيات الأعيان ١/ ١٣٥، تاريخ بغداد ٧/ ٤٣٦.

نوعًا من المجون الذي لا يخلو عنه الأدباء، ولكن المجون في هذا الباب قبيح جدًا لأنَّه تلاعب بدين الله. وينبغي أنْ يكون المفتي بابه مفتوحًا ومستفتيه غير مردود.

قال الفقيه أبو الليث[(١)] رحمه الله: يراد من العلماء عشرة أشياء: الخشية والنصيحة والشفقة والاحتمال والصبر والحلم والتواضع والعفة عن أموال الناس والدوام على النظر في الكتب وقلة الحجاب وهو أنْ يكون بابه مفتوحًا للوضيع والشريف، فإنَّه بلغنا أنَّ داود عليه السلام إنَّما ابتلي من شدّة الحجاب.

ومن آداب الفتيا أنْ لا يصرّ على الخطأ ولا يستكبر عن قبول الحقّ وإنْ كان ممن هو دونه. وقد وقع من أبي حنيفة الرجوع إلى قول تلامذته خصوصًا أبو يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى. وينبغي أنْ لا ينازع أحدًا ولا يخاصمه لأنَّه يضيّع أوقاته. قيل المحسن سيجزى بإحسانه والمسيء ستكفيه مساويه. وعليه أنْ يشتغل بمصالح نفسه لا بقهر عدوه. قيل: من أراد أنْ يرغم أنف عدوه فليحصل العلم. إيَّاك والمعاداة فإنَّها تفضحك وتضيع أوقاتك، وعليك بالتحمُّل لاسيما من السفهاء. قال عيسى ابن مريم عليهما السلام: احتملوا من السفيه واحدًا كي تربحوا عشرًا. وإيَّاك وظنّ السوء فإنَّه منشأ العداوة، ولا يحلّ ذلك لقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ظنّوا بالمؤمنين خيرًا»[(٢)]، وإنَّما ينشأ ذلك من خبث النيّة وسوء السريرة كما قال أبو الطيب:

إذا ساء فعل المرء ساء ظنونه ... وصدّق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته ... وأصبح في ليلٍ من الشكّ مظلم

ثم إنَّ ممّا يجب على المفتي أنَّه كما لا يرخص لأرباب الظلم في الأمور الشرعية كذلك لا يغلظ عليهم بحيث يؤدّي إلى نفورهم عن الانقياد للشرع. وينبغي أنْ يراعى في الرخص والتشديد حال السائل. يروى أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما سئل: هل للقاتل توبة؟ فقال: لا. وسأله آخر، فقال: له توبة. فسئل ابن عباس عن ذلك فقال: رأيت في عيني الأول إرادة القتل فمنعته. وأمَّا الثاني فقد جاء مستكنًا قد قتل فلم أقنطه. ومن ثم قال الصيمري[(٣)]: من سأله سائل إنْ قتلت عبدي فهل عليَّ قصاص؟ يسعه أنْ يقول: إنْ قتلته قتلناك لأنَّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من قتل عبده قتلناه»[(٤)]، ولأنَّ القتل له معانٍ، وهذا إذا لم يترتب على إطلاقه مفسدة. وأيضًا ينبغي للمفتي أنْ يتجنَّب في ألفاظ

---

(١) هو الإمام نصر بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى. توفي عام ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ م. علامة، فقيه حنفي، زاهد، صوفي. له تصانيف كثيرة ومشهورة.
الأعلام ٨/ ٢٧، الفوائد البهية ٢٢٠، الجواهر المضية ٢/ ١٩٦، مفتاح الكنوز ١٣٠، كشف الظنون ٢٢٥.

(٢) الرازي، التفسير الكبير، (تفسير سورة الحجرات/ ١٢)، مج ١٤، ٢٨/ ١٣٤، بلفظ: «ظنوا بالمؤمنين خيراً».

(٣) هو الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصيمري، ولد عام ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م. وتوفي عام ٤٣٦ هـ/ ١٠٤٥ م. قاضٍ، فقيه، شيخ الحنفية ببغداد. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٤٥، الفوائد البهية ٦٧، الجواهر المضيئة ١/ ٢١٤، تاريخ بغداد ٨/ ٧٨.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في الرجل يقتل عبده، ح ١٤١٤، ٣/ ٢٦.

جوابه عن الألغاز فيوقع الخلق في جهلٍ عظيم، ويقع هو في إثم كبير. وربما أدّاه ذلك إلى إراقة الدماء لغرض، مثل قول القائل: أنا أحمد النبي ويريد بأحمد الفعل ويجعل النبي منصوبًا مفعولًا يعني أحمد نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم. ومثل قول القائل: معي ما لم يخلقه الله ويريد به القرآن، ونحو ذلك. وحكاية بعض العلماء مع الخليفة المأمون(١) شهيرة. ولكن إنْ وقع مثل هذا في حقّ أحد لا ينبغي للمفتي الإقدام على التكفير من غير تأمّل وفحص، وإنْ كان الإطلاق نفسه مستهجنًا ومستقبحًا.

وأمّا آداب القضاء فاعلم أنَّ السلف حذّروا العلماء عن تقلّد القضاء والاجتراء عليه لما روي أنَّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «من جعل قاضيًا فكأنَّما ذبح نفسه بغير سكين»(٢). وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «قاضيان، قاضٍ في النار وقاضٍ في الجنة»(٣). ومما شاع بين الناس أنَّ أبا حنيفة رحمه الله اختار الحبس والضرب ولم يتقلّد القضاء. قيل إنَّه دعي إلى القضاء ثلاث مرات فأبى حتى ضُرب في كلّ مرّة ثلاثين سوطًا، فلمّا كان في المرّة الثالثة قال: حتى أستشير أصحابي. فاستشار أبا يوسف رحمه الله، فقال أبو يوسف: لو تقلّدت لنفعت الناس. فنظر إليه أبو حنيفة نظر المغضب وقال: أرأيت لو أمرت أنْ أعبر البحر سباحة أكنت أقدر عليه وكأنّي بك قاضيًا. وروي عنه أنَّه لما تقلّد نوح(٤) لجامع من أصحابه القضاء بمرو(٥) كتب إليه: يا نوح، ورد كتابك ووقفت على ما فيه، تقلّدت أمانة عظيمة يعجز عنها الكبار من الناس، وأنت كالغريق. واطلب لنفسك مخرجًا، وعليك بالتقوى فإنَّه ملاك الأمر والخلاص في المعاد والنجاة من كلّ بليّة، وبه يدرك حسن العواقب. قرن الله تعالى بخير العواقب أمورنا ووفقنا لمرضاته إنَّه سميع قريب.

قال الفقهاء: إذا كان للسلطان أو القاضي من العلم ما يجوز به قضاؤه لم يسعه أنْ يمتنع، وإلّا أي إنْ لم يكن له ذلك فهو في سعة من الامتناع. وقال بعضهم: لا بأس بالدخول في القضاء لمن يثق بنفسه أنْ يؤدّي فرضه، ويكره الدخول فيه لمن يخاف العجز عنه، ولا يأمن على نفسه الحيف فيه. وكره بعضهم الدخول في القضاء، وفسّر الكراهية هنا

---

(١) هو عبد الله أبو العباس المأمون بن الرشيد. ولد ببغداد عام ١٧٠ هـ وتوفي بطوس إثر حمى أصابته عام ٢١٨ هـ. الخليفة العباسي. تولى الإمارة قبل أن يصبح خليفة. كان معتزلي المذهب، وحارب كثيراً وحقق انتصارات عظيمة. وفي عهده ظهرت محنة القول بخلق القرآن. الطبري ١٠/ ٢٧٠، المقريزي ٢/ ٤٩٢، الفخري ١٩٧، تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٣، الكامل ٦/ ١٤٤، الأعلام ٤/ ١٤٢.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب ذكر القضاة،ح ٢٣٠٨، ٢/ ٧٧٤.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، الباب السابع في العقل وشرقه، ١/ ٣٧٥، بلفظ: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة».

(٤) هو نوح بن يزيد بن جعونة المروزي، أبو عصمة، المعروف بابن أبي مريم، توفي عام ١٧٣ هـ/ ٧٨٩ م. قاضي مرو، وكان يلقب بالجامع لجمعه علوماً كثيرة. عاصر أبا حنيفة، وأخذ العلماء عليه بدعته في الإرجاء. وضعّفوا روايته للحديث. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٥١، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٤٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٨٦.

(٥) من بلاد خراسان، وتسمى بمرو الشاهجان، والنسبة إليها مروزي، وأخبارها مستفيضة. الروض المعطار ٥٣٢، معجم ما استعجم ١٢١٦/٤، ابن حوقل ٢٦٤، المقدسي ٢٩٨، ياقوت، مادة مرو.

بعدم الجواز، والصحيح من بين الأقوال أنَّ الدخول فيه رخصة والترك عزيمة إلَّا إذا كان هو الأهل للقضاء دون غيره، فحينئذٍ يفترض عليه التقلّد صيانة لحقوق العباد، وإخلاءً للعالم عن الفساد. فإذا لم يكن له بدّ من القضاء فعليه أنْ يقضي بين الناس بالحق والإنصاف، ويعين المظلوم ولا يأخذ الرشوة والهدية لا هو ولا من يتبعه من أعوانه. وقيل يجوز قبول الهدية من ذي رحم محرم إذا لم يكن له خصومة لأنه صلة الرحم، وإذا كان له خصومة لا يقبل هديته لأنَّه لأجل القضاء فيتحاباه، ويجوز قبولها ممن جرت عادته قبل القضاء بمهاداته لأنه ليس للقضاء بل جري العادة. ولا يقبل الزيادة عن المعتاد لأنَّه يصير آكلًا بقضائه إلَّا أنَّ الأحوط عدم القبول بالكلية لئلَّا تستدرجه النفس إلى الزيادة، ولا يخاف السلطان، ويقول الحق بين يديه، وإنْ كان مرًّا، ولا يتكلَّم بهواه في غير الحقّ، ويقضي بينه وبين خصمه بالقسط، ويكون السلطان والرعايا والأغنياء والفقراء عنده سواء في الحكم بينهم، ولا يميل إلى أحد منهم ويتفحَّص عن نوابه وأعوانه كيلا يظلموا الناس، ويقعد ظاهرًا كي يصل إليه الغريب والفقير والخامل والعاجز بلا كلفة ومشقة، ويكون مستمعًا لكلام الوضيع والشريف مجيبًا لهم باللين والإنصاف، غير مائل في الحكم إلى صنف دون صنف، ولا يتواضع لأحد لغناه، ولا لذي جاه لجاهه، بل يكون تواضعه لأجل الله تعالى. والأكرم عنده من هو الأكرم عند الله تعالى، ويكون محبًا لأهل الخير ومحرِّضًا لهم على خيراتهم ومبغضًا لأرباب الشرور وناهيًا لهم عن سوء فعالهم، ويدلّهم على الخيرات ويهديهم إلى سبيل الرشاد، ويكون صادقًا في كلامه معهم ومستقيمًا في معاملته معهم، وعادلًا في أحكامه بينهم وناصحًا وداعيًا لهم إلى الطاعة، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. وينبغي أن يكون القاضي وكذا الأمير محكمَيْ الرأي صحيحيْ العزم، وكارهين لعملهما، وشديدين في غير عنف، وليِّنين في غير ضعف، جوادين عن غير سرف، بخيلين من غير كفّ.

وينبغي أنْ يكون القاضي سائس الولاية بالعلم ومؤيدها بالحلم ومزينها بالورع. ويكون حسن السريرة ومرضي السيرة، ويبسط يديه لهم بالمعروف ويوفر عليهم أموالهم، وينتصف للضعيف من القوي، ويعدل بينهم، ويكون تقيّ القلب كريم الخلق، فإنَّ التقى والكرم ركنان بهما صلاحُ الرعيّة. ويكون ناصحًا لهم رحيمًا بهم مشفقًا عليهم، لا يحتجب عن ذوي الخلات والفاقات ليلًا ونهارًا، ويكون دائم الاهتمام بأمن العامة في النوم واليقظة، في السفر والحضر، ويعدل بين الخصمين في لحظه وإشارته ومقعده وفي كلامه. ويستعمل معهم الحلم ويكثر عنهم العفو والتجاوز، ولا يعجّل في تعذيب الجاني، ويطلب له عن الجناية مخرجًا ويدرأ الحدّ عن الجاني بشبهته، ويطلب مدفعًا، فإنَّ خطأه في العفو خير من خطئه في العقوبة، ولا يقضي بين الخصمين إلَّا وهو ريّان وشبعان راضٍ غير غضبان. والأولى للقاضي أنْ يعيّن رزقه من بيت المال لأنَّه مشتغل بحاجة المسلمين، وقيل: يأخذ قدرَ ما ينكح زوجة ويشتري به دابة وخادمًا ومسكنًا، فإنْ أصاب أكثر من ذلك فهو غالٍ وسارق. وجوَّزوا أنْ يأخذ الأجر على كتب السجلات بنفسه بقدر ما أخذ به غيره لأنَّ ذلك ليس بواجب عليه. وقيل: قاضٍ يأخذ الأجر فإنَّه لا يكون عاملًا بأجر لكنه يعمل لله تعالى، وله

أنْ يستوفي حظّه من مال الله تعالى، وكذلك العلماء والفقهاء وأرباب الإفتاء يعملون لله تعالى، ولهم أن يأخذوا حظّهم من بيت المال، وكذلك معلم القرآن للناس، ويقول حين يجلس للقضاء: اللهم إنّي أسألك أنْ أفتي بعلمٍ وأقضي بحلمٍ، وأسألك العدل في الغضب والرضا. ولا يقضي لأحد الخصمين حتى يسمعَ كلام الآخر ويفهمه على وجهه ليعرف وجه القضاء.

وأمّا آداب التذكير: فاعلم أنَّ السلف كانوا لا ينتصبون للموعظة والتعليم، وكانوا يعدون السكوت والاستماع أفضل من الكلام والخمول أشرف من النباهة، وكانوا يودّون أنَّ صاحبه كفاه الحديث والجواب، وإنْ لم يكن له بدّ من ذلك فلا بدّ أنْ يدعو الناس من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة. وينبغي أنْ لا يخالف قوله فعله بل يأمر بما هو أول عامل به، كما قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

وينبغي أن يزين حديث النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأحسنه، أي يردّه إلى أحسن التأويل، ويحمله على أسدّ الوجوه، ولا يحدّث عمّن لا يقبل شهادته، فإنَّ من روى حديثًا يرتاب في صحته فهو أحد الكاذبين، ولا يحدّث إلّا ما يشهد على صحته أصول الدين ويصدقه. وأيضًا يوافقه مشاهير الأخبار والآثار. وممّا يعرف به صحة الحديث أنْ يعرفه قلوب أهل البصائر ويوافق ذوقهم، ولن يرزق هذا الذوق إلّا لأهله الخصوص من الأصفياء الأتقياء، ويجتنب القصص وهو حكايات الأولين من غير ثقة بثبوتها ولا اعتبار ولا اتعاظ بها، فذكر هذا القصص بدعة حدثت أيام الفتنة، ويفتح بالحمد لله والصلوة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والتسمية والاستعاذة، ويجتنب اللّحن والغَلَط والتصحيف. ويختار أفضل اللغات وهي العربية التي هي كلام أهل الجنة ويجتنب الرطانة[1] والفارسية إلّا عند الضرورة فإنّهما لغة أهل النار. ويخفض صوته فإنَّ أنكر الأصوات أرفعها إلّا بقدر الضرورة. ويتكلّم بفصيح الكلام دون مبهمه ويجتنب التفيهق والتشدّق والتعمّق فيه، ويرتّل الكلام ترتيلًا ويسرده سردًا. فقد كان كلام نبينا صلّى الله عليه وآله وسلّم فصلًا يفهمه كلّ من سمعه ولو عدّه عادٌ لأحصاه. ويفهم السامع فإنَّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثًا وإذا تكلَّم تكلَّم ثلاثًا. ويتجوَّد في كلامه تجوّدًا، لا يتكلّف النظم والسجع، فإنَّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عن ذلك وقال: «أنا وأتقياء أمتي براء من التكلّف»[2]. وقال: «إيّاكم وسجع كسجع الكهان»[3]. ويكثر في كلامه الصلوٰة على الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم،

(١) الرطانة هي الكلام بالأعجمية.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آفات اللسان، باب الآفة السادسة التبقعر في الكلام، ٧/ ٤٧٦.

(٣) صحيح، مسلم، كتاب القسامة، باب دية الجنين، ح (٣٧)، ٣/ ١٣١٠، بلفظ: «أسجع كسجع الأعراب». سنن، أبو داوود، كتاب الديات، باب دية الجنين، ح (٤٥٧٤)، ٤/ ٧٠٠، بلفظ: «سجع الجاهلية وكهانتها».

ومن الاستغفار، ومن كلمة التوحيد لاسيما إذا نسي الحديث الذي يريده، فإنَّه يصلِّي على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فربما يتذكّر أو يكون ذلك عوضًا عن حديثه. فإذا أراد أنْ لا ينسى حديثًا فليقل: الحمد لله يذكر الخبر. وينبغي أنْ يذكر من كتاب يعتمد عليه مثل إحياء العلوم[(١)] للغزالي ورياض الصالحين[(٢)] والاذكار[(٣)] كلاهما للنووي[(٤)] و سلاح المؤمن في الأدعية[(٥)] لابن الإمام[(٦)] وشفاء الأسقام في زيارة خير الأنام[(٧)] للسبكي[(٨)] وكتب ابن الجوزي[(٩)] في المواعظ لا بأس بها. وينبغي أنْ لا يأخذ على وعظه أجرًا من الناس، بل إنْ كان لا بدّ له من الرزق فليأخذ من بيت المال وقد عرفت مقدار حقه من بيت المال.

الوظيفة العاشرة: آداب العلماء في المطعم والملبس:

ومن آدابهم أنْ لا يترفَّه العالِم في المطعم والملبس ولا يتجمَّل في الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبَّه بالسلف الصالح. وكلَّما ازداد إلى جانب القلّة ميله ازداد قربه من الله سبحانه وارتفع حزبه في علماء الآخرة. والتحقيق أنَّ التزيّن بالمباح ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشقّ تركه. واستدامة الزينة قد تتوقَّف على أسبابٍ محظورة من مراعاة الخلق والسلطان ومراءاتهم ومداهنتهم وأمثال ذلك، فالحزم اجتنابُ ذلك لأنَّ من خاض في الدنيا لا يسلم منها الْبَتَّة.

وتفصيل حال المال هو أنَّ الدنيا مزرعة الآخرة وأنَّ حبّها رأس كلّ خطيئة. فكم من غنيٍّ سعيدٍ لا يحبّها، وكم من فقير شقي يحبّها. ففيها الخير النافع، والسمّ الناقع. وتلك كالحية ترياق لمن عرفها، وسمّ لمن جهلها. ففي تمييز النافع من الضارّ منه خمسة أحوال:

---

(١) للإمام حجة الإسلام ابي حامد محمد ابن محمد الغزالي الشافعي (ـ ٥٠٥ هـ) كشف الظنون ١/ ٢٣.

(٢) رياض الصالحين للإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي الحافظ (ـ ٦٧٦ هـ). كشف الظنون ١/ ٩٣٦.

(٣) أذكار النووي المسمى بحلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار في الحديث للإمام محي الدين ابن زكريا يحي بن شرف بن مرى النووي الشافعي (ـ ٦٧٦ هـ). كشف الظنون، ١/ ٥٢/ ٦٨٨.

(٤) هو يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي الشافعي، أبو زكريا، محي الدين. ولد بضواحي حوران بالشام عام ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م. وفيها توفي عام ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م. من علماء الفقه والحديث. وله الكثير من المصنفات الأعلام ٨/ ١٤٩، طبقات الشافعية ٥/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨، تاريخ آداب اللغة ٣/ ٢٤٢، وغيرها.

(٥) سلاح المؤمن لتقي الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن علي بن همام المصري الشافعي (ـ ٧٤٥ هـ). كشف الظنون ٢/ ٩٩٤.

(٦) هو محمد بن محمد بن علي بن همام بن راجي الله بن سرايا بن ناصر بن داود العسقلاني المصري، المعروف بابن الإمام، أبو الفتح تقي الدين. ولد عام ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م. وتوفي عام ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ م. محدث، مقرىء، شافعي، له عدة تصانيف.

انظر عنه: معجم المؤلفين ١١/ ٢٥٢، الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٣، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٤٦، طبقات القراء ٢/ ٢٤٥.

(٧) شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام للشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ـ ٧٥٦ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٤٩.

(٨) ورد تعريفه سابقاً.

(٩) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج. ولد ببغداد عام ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م وتوفي فيها عام ٥٩٧ هـ/ ١٢٠١ م. علامة عصره في التاريخ والحديث فقيه له أكثر من ثلاثمائة مصنف. الأعلام ٣/ ٣١٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٩، البداية والنهاية ١٣/ ٢٨، آداب اللغة ٣/ ٩١، مرآة الزمان ٨/ ٤٨١.

الأول: معرفة رتبة المال. واعلم أنَّ المقتنيات المرغوب فيها إمَّا مخدوم على الإطلاق كالعلم الذي هو كمال للنفس، أو مخدوم من جهة وخادم من جهة أخرى، كالأحوال البدنية من المطاعم والملابس والمناكح، فإنَّها تخدم العلم ويخدمها المال الذي هو حال البدن الخادم للنفس، أو خادم على الإطلاق كالدراهم والدنانير. فمن أنزل كلّ واحد من هذه الأمور في مرتبته التي تليق به صار داخلًا تحت قوله تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾[١]، وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[٢]. ومن عكس الأمر وجعل الدراهم والدنانير مخدومًا وصار معتكفًا بكنه همته على تحصيله واقتنائه وألقى شراشره على حبّه فدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٤]. وقال الخليل صلوات الله عليه وسلامه: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[٥] أي هذين الحجرين الذهب والفضة إذْ رتبة النبوّة أجلّ من أنْ يخشى فيها أنْ يعتقد الإلهية في شيء من الحجارة. وقال عليه الصلوة والسلام: «تعس عبد الدرهم والدينار»[٦]. فعليك أنْ تطلب الدرهم والدينار لأجل تقوية البدن بالمطاعم والملابس وبقاء النسل بالمناكح، وتطلب تقوية البدن لأجل كسب العلوم والمعارف الذي هو المقصد الأقصى والمطلب الأعلى، وإلَّا فتصير كمن سافر مع جماعة في سفينة متوجهين إلى أشرف بلدة لينال أعلى رتبة، فخرجوا منها لتجديد الطهارة إلى جزيرة ذات أسود وأساود وحذّروه منها، فرأوا حجرًا مزبرجًا وزهرًا منورًا فاشتغلوا به عن رفقائهم حتى جنَّ عليهم الليل، فثارت عليهم الأسود تفترسهم وهجمت عليهم الأساود تنتهشهم، فيقول واحد منهم: يا ليتني كنت ترابًا، والآخر ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه، والآخر يا حسرتا على ما فرَّطت في جنب الله. ولهذا قال عليّ رضي الله عنه: يا حمراء غرِّي غيري ويا بيضاء غرِّي غيري.

والثاني[٧]: مراعاة جهة الدخل وهو إمّا بالاكتساب أو بالبخت كالميراث أو وجود دفينة أو عطية غير مترقبة. وأمر البخت لكونه غير اختياري لا يحتاج إلى البيان. وأمَّا الكسب فينبغي أنْ يأخذه من الوجه المشروع فإنْ وجد حلالًا طيِّبًا فبها وإلَّا فإنْ كان حرامًا محضًا فليجتنبه، وكذا إنْ كان مشتبهًا، والحرام غالب وإنْ كان الحلال غالبًا أو تساويا فإنْ قدر على الحلال الطيب فليتركه فإنَّ مَنْ حام حول الحمى يوشك أنْ يقع فيه وإنْ لم يقدر يأخذ منه قدر الحاجة، وإنْ قدر على الحلال لكن بالتعب واستغراق الوقت فعلى العامل العامي أنْ يختار التعب لأنَّ تعبه في طلب الحلال عبادة. وإنْ كان من أصحاب القلوب فإنْ كان ما

(١) نوح/١٢.
(٢) مسند أحمد، ٤/١٩٧، بلفظ: «للمرء».
(٣) الأنفال/٢٨.
(٤) المنافقون/٩.
(٥) ابراهيم/٣٥.
(٦) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ما تبقى من فتنة المال ح ٢٣، ٨/ ١٦٥، بلفظ «الدينار والدرهم».
(٧) أي الثاني من الأحوال.

فاته من العلم والحال أكثر من الثواب الحاصل في طلب الحلال فله أنْ يختار الحلال الغير الطيب، كمن غصَّ بلقمة يسيغه بالخمر وكأكل لحم الخنزير عند المخمصة، لكن يخفيه من الجاهل مهما أمكن ويتلطَّف فيه كيلا يحرّك سلاسل الشيطان لأنَّ تناول العالم ما زجر عنه الجاهل يثور شغبهم. ومن هذا القبيل ما اعتاده المتصوّفة من الذكر على وجه الدوران حيث يقولون إنَّه حرام لكنَّه قد يؤثر في تخلية القلب عن الشواغل الدنيوية ما لا يمكن تحصيله بغيره من المجاهدات في أضعاف ذلك الزمان. وهذا الكلام إنْ صدق فيؤول إلى ما قاله صدر الشريعة[١] في كتاب تعديل العلوم في مقامات العارفين[٢] في بيان أنَّ العشق المجازي قنطرة الحقيقة لأنَّ أكثر ما زاولوه من المجاهدات لتخلية القلب عن الشواغل الدنيوية. ولا يخفى أنَّ العشق يخلي القلب عمَّا سوى محبوبه المجازي. ثم نقل محبته إلى المطلوب الحقيقي يكون أيسر لأنَّ قطع العلائق الكثيرة أصعب من قطع علاقة واحدة، ثم قال: ولا يبالي بحرمة هذا العشق لأنَّ قاطع العوائق لا يبالي بحرمته. ثم أورد نظيرًا له من الشرع حيث قال: الدم اليابس إذا لم يوجد ماء حار وعسر إزالة أثره من الثوب يغسل بالبول، ثم إزالة البول بالماء البارد يكون أيسر. هذا كلام وقع في البين ولنرجع إلى ما كنا فيه.

واعلم أنَّ طلب الكفاف من الحلال الطيِّب تعففًا لا تكثرًا فرضٌ، وطلب ذلك بالكسب المشروع سُنَّة. وإنَّ أطيب ما يأكل الرجل من كسبه، وكان الأنبياء عليهم السلام يحترفون ويكتسبون. ويباكر في طلب الرزق، قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: «باكروا في طلب الرزق فإنَّ في الغدو بركة ونجاحًا»[٣]. وينوي بالاكتساب التعفف عن السؤال والاستغناء عن الخلق، ولكن لا يقبل الكسب إقبالًا يشغله عن ذكر الله تعالى والعلم والعمل للآخرة.

وأفضل المكاسب الجهاد في سبيل الله إعلاءً لكلمته، ثم يليها في الفضل التجارة بشرط الأمانة والصدق والنصيحة، وليعتمد على الله تعالى متوقعًا منه الرزق والفضل. وإذا رزق من شيء فليلزمه فإنْ اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يرزق منه فليتركه، هذا كلّه حال المتوسطين. وأمَّا الكاملون من أهل التوكّل فلهم في أمر الرزق أطوار وأحوال ذكرناها في رسالة الشفاء.

الثالث[٤]: في المقدار المأخوذ منه وقدر الحاجة، وأنواع المال أربعة: المسكن والمطعم والملبس والمنكح، وكلّ منها إمَّا أدنى أو أوسط أو أعلى.

---

(١) هو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد المحبوبي البخاري الحنفي، صدر الشريعة الأصغر ابن صدر الشريعة الأكبر. توفي ببخارى حوالي عام ٧٤٧ هـ/١٣٤٦ م. من علماء الحكمة والأصول والفقه والطبيعيات. له الكثير من المؤلفات. الأعلام ٤/١٩٧، الفوائد البهية ١٠٩، المكتبة الأزهرية ٢/٢٤، سركيس ١١١٩.

(٢) تعديل العلوم للفاضل العلامة عبيد الله بن مسعود المعروف بصدر الشريعة البخاري الحنفي (ـ ٧٤٧ هـ). كشف الظنون ١/ ٤١٩.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب البيوع، باب البكور وما فيه من البركة، ٤/٦١، بلفظ: «باكروا طلب الرزق فإن الغدو بركة ونجاح».

(٤) أي الثالث من الأحوال المذكورة.

أمَّا المسكن فأدناه ما يقلك من الأرض ويقيك من السباع وأمثالها، وما يظلك من الفوق رباطًا أو مسجدًا وأمثالهما. وأوسطه ملك يخصك على حدّ الكفاية كمًّا وكيفًا وتخلو فيه إلى آخر عمرك. وأعلاه دار واسعة مزيَّنة كثيرة المرافق على ما هو عادة المترفهين من أهل الدنيا، والأول ما يقنع به المتوكلون والسالكون لطريق الآخرة. والأوسط حدّ الكفاية يخلّ بالتوكل ولا يخلّ بالشرع. والأعلى مخلّ بالورع ومباح في الشرع إنْ أدَّى على الإقبال بالدنيا والابتهاج بزخارفها وإلَّا فمباح في الورع أيضًا لكنّه حرام عند المتورّعين، إذْ الدنيا وزخارفها حرام على أهل الآخرة.

وأمَّا المطعم فهو أصل عظيم إذْ المعدة مفتاح للخيرات والشرور. وله ثلاث درجات أيضًا: أدناها القوت وهو ما يسدّ الرمق ويبقى معه البدن ويقوى على العبادة، وقدر القوت على قدر رياضة السالكين منهم من يأكل في عشرة أيام ومنهم من يأكل في عشرين إلى أربعين، وقد انتهى بعضهم إلى قدر حمصة كلّ يوم، وهذه رتبة قلَّما يصل إليها أحد. وأوسطها ثلث البطن وهو الذي حدّ له الشرع وما زاد عليه فبطنة مذمومة. وكما ينبغي أنْ يقتصر على الوسط من قدره فكذلك ينبغي أنْ يقتصر على الوسط من نوعه. وأعلاها كمًّا ادخار القوت وكيفًا التلذّذ بالأطعمة الشهية. والادّخار مذموم مطلقًا، وأدناها الادّخار لغد وأوسطها الادّخار لسنة وأعلاها الادّخار لما يجاوز السنة. وإنْ كان لا بدّ من الادّخار فليوم بل لساعة فقط. وأمَّا الادّخار لسنة فجائز شرعًا لكنه يخلّ بالتوكّل للمبتدين. وأمَّا الكاملون فلا يتفاوت عندهم الحال فلا يمكن حصر أحوالهم. وأمَّا الادّخار لما فوق السنة فصاحبه من المطرودين الذي يحسب أنَّ ماله أخلده.

وأمَّا الملبس فأدناها كمًّا ما يستر العورة ليمكن له العبادة وكيفًا أرذل الأنواع وأخسّها. وأوسطه ما يليق بحاله من غير حرام ومن غير ترفّه وتزيّن. وأعلاه جمع ثوب الشهرة كمًّا، واختيار الأزين والألين كيفًا على ما عليه أبناء الدنيا والمقبلين على مزخرفاتها.

وأمَّا المنكح فاللائق بالسالكين إلى طريق الآخرة التجرّد والصبر على مضض العزوبة لئلَّا يفضي إلى الحرمان عن المطلب الأعلى. قال أبو حنيفة رحمه الله في وصاياه لأبي يوسف رحمه الله: واطلب العلم أولًا ثم اجمع المال من الحلال ثم تزوَّج، فإنَّك إنْ طلبت المال في وقت التعلّم عجزت عن طلب العلم. إنَّما دعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم، فإنَّه يضيع وقتك ويجمع عليك الولد ويكثر عيالك فتحتاج إلى القيام بحوائجهم فتحرم العلم، فاشتغل بالعلم في عنفوان عمرك ووقت فراغ قلبك، وخاطرك، ثم تجمع المال من الحلال، هذا كلامه.

ثم إنَّ اللائق بالعوام العاملين وبأهل العرفان الكاملين التأهّل ويفترض في العوام إنْ تاقت نفسه وإلَّا فيسنّ، وفي الكاملين مسنون لا غير إذْ ليس في أنفسهم التوقان إلى الأمور الدنيوية من حيث إنَّها شاغلة عن المطلب، وإنَّما يميلون إليها إقامة للسُّنَّة الواردة في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: النساء والطّيب وقرّة عيني في

الصلوة»[١]، وتكثيرًا لسواد الإسلام وإبقاءً لنسل الأنام. وبالجملة الصبر عن الدنيا ممدوح مهما أمكن، كما قال ﷺ: «من أصبح آمنًا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[٢].

الرابع[٣]: أحوال الخرج والإنفاق. فالمحمود منه الصدقة المفروضة والإنفاق على العيال ويحصل بهذين العدالة، ومنه ما يكسب به الحرية والفضيلة وهو إيثار الغير على النفس على الوجه المندوب إليه شرعًا. والمذموم إمّا إفراط وهو الإخلال بالأهم وصرفه إلى ما دونه وتفريطه المنع عن الواجبات بالكلية أو النقص من قدر الواجب.

ثم إنَّ الناس اختلفوا في أنَّ أخذ المال الحلال وإنفاقه على الوجه المشروع أولى أمْ تركه رأسًا. ولا شك أنَّ الإقبال على الدنيا بالكلية مذموم وإنْ أخذ من الحلال ووضعه في موضعه، فالتارك بالكلية المقبل على الدنيا أفضل منه بلا شبهة. وأمَّا المقبلون على الآخرة والصارفون للدنيا في محلّه فهم الأفضلون لكونهم قوام أسباب الدنيا والآخرة، ومنهم عامة الأنبياء المبعوثين لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد.

فإنْ قلت: قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[٤].

فاعلم: أنَّ مراعاة مصالح العباد من جملة العبادات بل من أفضلها. قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الخلق كلّهم عيال الله وأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله»[٥]. إلَّا أنَّ من شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين، ومن شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين، ومن جمع بينهما فهو من المخاطرين.

ولا يخفى أنَّ الفائز أحسن من الهالك. وأمَّا النظر الجليل فيقتضي فضله على المخاطر، إلَّا أنَّ مقتضى النظر الدقيق عكسه، إذْ الخطر ليس إلَّا لصاحب المنازل الرفيعة والرياسة التامة، إذْ خطر الخلافة الإلهية في أمرِ عباده بيِّن، ولا يرشح لها إلَّا الأفراد. قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٦].

ثم إنَّ الناس على مراتب: إمَّا ضعيف الهمّة ينخدع بمزخرفات الدنيا وزينتها فعليه اختيار طريق الفائزين والتحرّز عن ورطة الهالكين، وإمَّا قويّ الهمّة جَسور لا يخدعه النفس

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب النكاح، باب خير هذه الأمة. . .، ٢/ ١٦٠، بلفظ: «حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة».
الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب فضائل الصلوات والسجود، ٣/ ٢٢، بلفظ: «حبب إلي من دنياكم».
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، باب بيان أن الغضب هل يمكن إزالته بالرياضة، ٨/ ١٥.
(٣) أي الرابع من الأحوال المذكورة.
(٤) الذاريات/ ٥٦.
(٥) الهيثمي، مجمع، كتاب البر والصلة، باب فضل قضاء الحوائج، ٨/ ١٩١، بلفظ: «فأحب الخلق» بدلاً من «فأحبهم».
(٦) القصص/ ٧٧.

والشيطان وله همّة عليّة يريد معالي الأمور، فعليه أن يجتهد رتبة المخاطرين ويتحرّز عن أنْ ينخدع من حيث لا يدري.

الخامس(١): أن يكون نيّته صالحة في الأخذ والإنفاق. أمّا الأخذ فأنْ ينوي فيه أنْ يستعين به على العبادة ويأكل ليتقوّى به على العبادة، وكذا في الترك يتركه زهدًا واستحقارًا لا عجزًا واضطرارًا. قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من طلب رزقه على ما سُنَّ فهو جهاد»(٢). وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم لابن مسعود(٣): «إنَّ المؤمن ليؤجر في كلِّ شيء حتى اللقمة يضعها في في امرأته»(٤). وأراد بالمؤمن من يقصد في كلِّ الأمور وجه الله تعالى والاستعانة بالدنيا على سلوك طريقة الآخرة. ومن هنا تبيَّن أنَّ الزاهد من ليس مشغولًا بالمال، وإنْ كان له أموال العالمين، كما قال عليّ رضي الله عنه: لو أنَّ رجلًا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو أنَّه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد. وإذا تأمَّلت ملك سليمان ورتبة النبوّة تحقّقت أنَّ الزهد زهد النفس لا خلوّ اليد.

فاعلم أنَّ الإنسان مسافر وله ثلاث منازل: بطن أمه وفضاء العالم والبرزخ. والدنيا رباط ينتهي إليه الإنسان في المنزل الأوسط، والمال أوَانيّ وأقواتٍ يأخذها بشكر ويتركها بانشراح. ومن ظنَّ أنَّه وهب له وتفجع إذا فارقه واسترجع فهو من الحمقاء.

المقدمة الرابعة: في بيان النسبة بين طريق النظر وطريق التصفية:

اعلم أنَّ الكلّ متفقون على أنَّ السعادة الأبدية والسيادة السرمدية لا تتم إلَّا بالعلم والعمل وأنَّها توأمان، وله توجيهان: أحدهما: الشائع المشهور وهو أنَّه لا يعتد بواحد منهما بدون الآخر، إذْ العلم بدون العمل وَبالٌ، والعمل بلا علم ضلال. وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٥). وثانيهما: أنَّ كلًّا منهما ثمرة للآخرة. مثلًا إذا تمهر الرجل في اكتساب العلم وحذق فيه لا مندوحة له عن العمل بموجبه، إذْ لو قصر في العمل لم يكن في علمه كمال. وأيضًا إذا باشر الرجل العمل وجاهد فيه وارتاض حسبما بيّنوه من الشرائط ينصب على قلبه العلوم النظرية بكمالها كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٦).

---

(١) أي الخامس من الأحوال المذكورة.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الحلال والحرام، باب فضيلة الحلال ومذمة الحرام، ٦/٦، بلفظ: «من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله».

(٣) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن. توفي بالمدينة المنورة عام ٣٢ هـ/ ٦٥٣ م. صحابي جليل من أهل مكة. من السابقين للإسلام خدم الرسول وصاحبه. من أكابر الصحابة علماً وورعاً.
الأعلام ٤/١٣٧، غاية النهاية ١/٤٥٨، صفة الصفوة ١/١٥٤، حلية الأولياء ١/١٢٤، تاريخ الخميس ٢/٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١/٤٦١، الإصابة ٢/ ٣٦٠، وغيرها.

(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب النكاح، باب بيان آفات النكاح. . .، ٥/ ٣١٤، بلفظ: «إن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته».

(٥) فاطر/ ١٠.

(٦) العنكبوت/ ٦٩.

وهاتان طريقتان، والأول منهما طريقة الاستدلال والثاني طريق المشاهدة. والأول درجة العلماء الراسخين والثاني درجة الصديقين. وقد ينتهي كلّ من الطريقتين إلى الأخرى فيكون صاحبه مجمعًا للبحرين أي بحري الاستدلال والمشاهدة أو العلم والعرفان أو الشهادة والغيب.

وإذا عرفت أنَّ السالكين إلى الحقّ مع كثرة الطرق وخروجها عن حدّ الإحصاء نوعان: أحدهما ما يبتدىء من طريق العلم إلى العرفان ومن طريق الشهادة إلى الغيب، وثانيهما ما ينجلي الحق له بالجذبة الإلهية فيبتدىء من الغيب ثم ينكشف له عالم الشهادة. قال بعض العارفين: يشبه أنْ يكون الأول طريقة الخليل حيث ابتدأ من الاستدلال بأفول الشمس والقمر إلى وجود رب العالمين، والثاني طريقة الحبيب حيث ابتدأ بشرح الصدور وكشف له سبحات وجه ذي الجلال وأحرقته حتى انمحق جميع ما أدركه وتلاشى في ذاته، ولم يبق له لحظة إلى نفسه لفنائه عن نفسه، فتحقَّق رتبة كلّ شيء هالك إلَّا وجهه ذوقًا وحالًا لا علمًا وقالًا. هذا حال الجامعين بين المرتبتين. وأمَّا السالكون إلى إحدى الطريقتين فقد اختلفوا.

وقال أرباب النظر: الأفضل طريق النظر لأنَّ طريق التصفية صعب الوصول لأنَّ مسلكها وعرٌ وإفضاءها إلى المقصد بعيد، لأنَّ محو العلائق إلى حدٍّ يؤدِّي إلى انكشاف المعارف متعذّر بل قريب من الممتنع وإنْ أفضى إلى المقصد فثباته أبعد منه، إذْ أدنى وسواس وخاطر يمحو ما حصل، ويقطع ما وصل، على أنَّه قد يفسد المزاج ويختلط العقل في أثناء تلك المجاهدات الصعبة، والرياضات الشاقة.

وقال أرباب التصفية: العلوم الحاصلة بالنظر لا تصفو في الأكثر عن شوب أحكام الوهم ولا تخلص عن مخالطة الخيال في الغالب. ولهذا كثيرًا ما يقيسون الغائب على الشاهد فيضلّون ويُضلّون كما تراه، في أكثر مذاهب الاعتزال، وغير ذلك من اعتقادات الجهال من أصحاب الضلال. وأيضًا لا يتخلَّصون في مناظراتهم ومباحثاتهم عن اتباع الأهواء والعادات بخلاف التصوّف، فإنَّ ذلك تصفية للروح وجلاء للنفوس وتطهير للقلوب عن أحكام النفس وتخليتها عن الأوهام والخيالات، فلا يبقى إلَّا الانتظار للفيض من العلوم الإلهية الحقة، فتنكشف عليهم علوم إلهية، ومعارف ربانية؛ ويرد عليهم وارد إلهام هو حديث عهد بربه. وأمَّا وعورة المسلك وبعده فلا يقدح في قوة اليقين وصحة العلم مع أنَّه يسير على من يسَّره الله تعالى من السالكين سبل أنبيائه، والمتبعين لكمال أوليائه. وأمَّا اختلال المزاج فإنْ وقع فيقبل العلاج لأنَّهم كما أنَّهم أطباء النفوس والأرواح كذلك عارفون أحوال الأبدان والأشباح. فالرياضة على ما شرطوه من الآداب والأحوال أمان من الفساد والاختلال وخلاص من الأفزاع والأهوال.

يحكى أن: أهل الصين والروم في زمان قديم تباهوا في صناعة النقش والترسيم وطال بينهم النزاع والجدال، ودار بينهم الكلام في النقص والكمال، حتى أدَّى الافتخار في هذا الشأن إلى الاختبار والامتحان، فعيّن لكلّ من الطائفتين جدار بينهما حجاب ليتميَّز الكامل

من الناقص في هذا الباب، فجمع أهل الصين من الأصباغ العجيبة والألوان الغريبة، وتكلَّفوا الصنايع النادرة والرسوم الباهرة، حتى استفرغوا المجهود في تحصيل المقصود؛ واشتغل أهل الروم عن الترسيم بالتصقيل، وعرفوا أنَّ ترك التحلية إلى التجلية هو التكميل. فلمَّا كشف الغطاء وارتفع الحجاب لمعرفة الحال بين الأصحاب، رأوا أنَّ جانب أهل الروم تلألأ لجميع نقوش أهل الصين مع زيادة الصفاء ولطافة الصقالة والجلاء. فهذا مثال العلوم النظرية والكشفية. والأول يحصل من طريق الحواس بالكد والعناء. والثاني يحصل من اللوح المحفوظ والملأ الأعلى.

إذا عرفت هذا فاعلم أنَّ المحاكمة بين هذين الفريقين وتعيين الأفضل من الطريقتين هي أنَّ العلوم مع تكثّر فنونها وتعدّد شجونها منحصرة في أربعة أنواع، وذلك لأن للأشياء وجودًا في أربع مراتب في الأعيان وفي الأذهان وفي العبارة وفي الكتابة. فالعلوم المتعلقة في الأول من حيث حالها في نفس الأمر هي العلوم الحقيقية التي لا تتبدَّل باختلاف الأزمان وتجدّد الملل والأديان. وهذه تسمَّى علومًا حكمية إنْ جرى الباحث عن أحوالها فيها على مقتضى عقله، وعلومًا شرعية إنْ بحث عنها فيها على قانون الإسلام. والعلوم المتعلقة بالثانية هي العلوم الآلية المعنوية كالمنطق ونحوه. والعلوم المتعلقة بالأخيرين هي العلوم الآلية اللفظية أو الخطية، وهذه هي العلوم العربية المعتبرة في ديننا هذا لورود شريعتنا هذه على لسان العرب وعلى كتابته. ثم إنَّ الثلاثة الأخيرة من هذه الأنواع لا سبيل إلى تحصيلها إلَّا الكسب بالنظر. وأمَّا النوع الأول منها فقد يتحصل بالنظر وقد يتحصل بالتصفية.

ثم إنَّ أشخاص الإنسان أربعة أصناف:

صنف منهم الشيوخ وهم الذين تجاوزت أسنانهم الستين فاللائق بشأنهم طريق التصفية والرياضة والانتظار لما منحه الله تعالى من العلوم والمعارف على قدر مساعدة استعداده الفطري، إذْ الوقت لا يساعد في حقّهم تقديم طريق النظر.

وصنف منهم الشبان الأغبياء فحكمهم حكم الشيوخ لكن بحكم الاضطرار الطبيعي لا الاضطرار الزماني.

وصنف منهم الشبان الأذكياء القابلون للعلوم المستعدة لفهم الحقائق طباعهم، ولدرك الدقائق أنفسهم. فلا يخلوا إمَّا أنْ لا يساعدهم التقدير في وجود عالم ماهر في العلوم النظرية المرتفع عن رتبة التقليد في مصرهم أو عصرهم، فعليه ما على صنف الشيوخ بحكم الاضطرار الزماني، وإمَّا أنْ يساعدهم التقدير في وجود عالِم موصوفٍ بما ذكر مع أنَّه أعزّ من الكبريت الأحمر، بل لا يكاد يوجد إلَّا في الأقلّ الأندر، فعليه تقديم طريقة النظر وأنْ يحصل من العلوم النظرية قدرًا يساعده استعدادهم ووقتهم، ثم الإقبال بإلقاء شراشر النفس والفؤاد، وصرف مجامع القوى مع الأحشاء والأكباد إلى قرع باب الملكوت، والولوج إلى حظيرة الجبروت، ليكون فائزًا بالطريقتين، وجامعًا بين الرياستين، وحائزًا لغنيمة باردة لا تفنى أبدًا، ونعمة باقية لا تحصى عددًا. يسَّر الله لنا ولكم الجمع بين العلم والعمل، فإنَّ

ذلك منتهى السؤل والأمل، ويرزقنا حسن العفو في العاقبة تاليًا لنعمتي السلامة والعافية، وهو حسبي ونعم الوكيل، والهادي إلى سواء السبيل، إنَّه مجيب قريب عليه توكَّلت وإليه أنيب.

ولما انحصر كسب السعادة في طريقين، رتّبت الرسالة على طرفين:

الطرف الأول

من الرسالة في الإرشاد إلى كيفية تحصيل طريق النظر

واعلم أنَّ تحصيل العلوم لما لم يمكن إلَّا بتصورها اسمًا ورسمًا وموضوعًا أحببنا أنْ نبيِّن في هذه الرسالة الأمور المذكورة في كلِّ علمٍ علم أصلًا وفرعًا ونبيِّن أسماء الكتب المؤلفة فيها وأسماء مؤلِّفيها ليكون عونًا لك في تحصيل العلوم وترغيبًا في طلبها وإرشادًا إلى طرف تحصيلها. أمَّا ذكر المصنفات فللتنبيه على مراتبها وجلالة قدرها والتفاوت بين تلك الكتب، وفي ذلك إرشاد للطالب إلى تحصيلها وتعريف له بما يعتمده منها وتحذيره مما يخاف من الاغترار. وأمَّا ذكر مؤلِّفيها فمنها معرفة مناقبهم وأحوالهم، فتتأدَّب بآدابهم وتقتبس المحاسن من آثارهم. ومنها مراتبهم وأعصارهم فينزلون منازلهم ولا يقصر بالعالي في الجلالة عن درجته، ولا يرفع غيره عن مرتبته، وقد قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١]. وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم»[٢] (ثلاثًا). وعن عائشة[٣] رضي الله عنها قالت: «أمرنا صلّى الله عليه وآله وسلّم أن ننزّل الناس منازلهم»[٤]. ومنها أنَّهم أئمتنا وأسلافنا كالوالدين لنا، وأجرى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا، فيقبح بنا أنْ نجهلهم وأنْ نهمل معرفتهم. ومنها أنْ يكون العمل بقول أعلمهم وأورعهم إذا تعارضت أقوالهم وغير ذلك من الفوائد.

إذا عرفت هذا فاعلم أنَّه لا بدّ أولًا من ذكر:

---

(١) يوسف/٩٦.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء ليليني منكم...، ح ٢٨٨، ١/ ٤٤٠.

(٣) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، ولدت عام ٩ ق. هـ/ ٦١٣ م. وتوفيت بالمدينة عام ٥٨ هـ/ ٦٧٨ م. أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب تكنى بأم عبد الله. تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة. وروت عنه الكثير من الأحاديث. كانت تفتي الصحابة. ولها مواقف مشهودة. الأعلام ٣/ ٢٤٠، الإصابة رقم الترجمة ٧٠١ في كتاب النساء، طبقات ابن سعد ٨/ ٣٩، تاريخ الطبري ٣/ ٦٧، ذيل المذيل ٧٠، أعلام النساء ٢/ ٧٦٠، حلية الأولياء ٢/ ٤٣، تاريخ الخميس ١/ ٤٧٥، الدر المنثور ٢٨٠.

(٤) الزبيدي، اتحاف، ١/ ٣٤٢، بلفظ: «أمرنا أن ننزل الناس منازلهم...».

مقدمة في بيان حصر العلوم على الإجمال
ثم الشروع في تفصيل كل نوع منها أصولًا وفروعًا.

مقدمة

اعلم أنَّ للأشياء وجودًا في أربع مراتب، في الكتابة والعبارة والأذهان والأعيان، وكل سابق منها وسيلة إلى اللاحق، لأنَّ الخط دالّ على الألفاظ، وهذه على ما في الأذهان، وهذا على ما في الأعيان. ولا يخفى أنَّ الوجود العيني هو الوجود الحقيقي الأصيل، وفي الوجود الذهني خلاف في أنَّه حقيقي أو مجازي. وأمَّا الأولان فمجازيان قطعًا. ثم العلم المتعلِّق بالثلاث الأول آلي الْبَتَّة. وأمَّا العلم المتعلِّق بالأعيان فإمَّا عملي لا يقصد به حصول نفسه بل غيره، أو نظري يقصد به حصول نفسه فقط. ثم كلّ منهما إمَّا أنْ يبحث فيه من حيث إنَّه مأخوذ من الشرع فهو العلم الشرعي أو من حيث إنَّه مقتضى العقل فقط فهو العلم الحكمي، فهذه هي الأصول السبعة. ولكلّ منها أنواع ولأنواعها فروع يبلغ الكلّ على ما اجتهدنا في الفحص والتنقير عنه بحسب موضوعاته وآساميه، وتتبع ما وقع فيه من المصنفات إلى مائة وخمسين نوعًا. ولعلِّي سأزيد عليه بعد هذا إنْ شاء الله تعالى.

قيل:

لقد جاد الإله على وجودي ... بما أخفاه عن خلق كثير
من العلم الذي ما فيه ريب ... ولا شكّ لذي الفطن الخبير

وقال بعض الفضلاء: علم التفسير لا يتم إلَّا بأربع وعشرين علمًا على ما هو المختار عند المفسِّرين. وعدّ الإمام الشافعي رحمه الله في مجلس الرشيد[1] ثلاثة وستين نوعًا من علوم القرآن. وقال بعض العلماء: العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون علمًا ودوّن فيها كتابًا. وقيل: إنَّ العلوم الحكمية تتضمَّن خمسة عشر فنًّا، إلَّا أنَّ فروعها أكثر من خمسين كما ستقف عليه. ثم قال نقلًا عن بعض العلماء: إنَّ العلوم المدوَّنة ثلاثمائة وستة وستون علمًا. ثم قال: والمختار عندي أنَّ عدد العلوم أكثر من أنْ يضبطه القلم. ونقل الإمام الغزالي عن بعضهم: أنَّ القرآن يحوي سبعًا وسبعين ألف علم، ومائتي علم نقله في الإحياء في كتاب آداب التلاوة في الباب الرابع منه. ونقل السيوطي[2] عن القاضي أبي بكر بن

---

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي. أبو جعفر. ولد عام ١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م. وتوفي عام ١٩٣ هـ/ ٨٠٩ م. خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم. عالم بالأدب والأخبار والحديث والفقه، فصيح له شعر حسن، وأخباره مشهورة. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٦٢، البداية والنهاية ١٠/ ٢١٣، اليعقوبي ٣/ ١٣٩، الطبري ١٠/ ٤٧، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣١، تاريخ بغداد ١٤/ ٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن ابن بكر بن محمد بن سابق الدين الخضري السيوطي، جلال الدين. ولد بالقاهرة عام ٨٤٩ هـ/ ١٤٤٥م. ومات فيها عام ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م إمام حافظ، مؤرخ، أديب وعالم. لم يترك فناً إلاَّ وكتب فيه. وله نحو ستماية مصنف. طبع منها الكثير. الأعلام ٣/ ٣٠١، معجم المفسرين ١/ ٢٦٤، الكواكب السائرة ١/ ٢٢٦، شذرات الذهب ٨/ ٥١، آداب اللغة ٣/ ٢٢٨، الضوء اللامع ٤/ ٦٥، حسن المحاضرة ١/ ١٨٨، وغيرها.

العربي[١] أنّه ذكر في قانون التأويل[٢] أنَّ علوم القرآن خمسون علمًا وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم على عدد كَلِم القرآن، مضروبة في أربعة، إذْ لكلّ علم ظهر وبطن وحدّ ومطلع. ونقل عن الغزالي أيضًا أنَّ من العلم ما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا. ومنها ما يعرفه الملائكة دون البشر. ومنها ما يعرفه الأنبياء دون من عداهم. ومنها ما تصوّرها أذهان العلماء ولم يدوّنوها في الكتب. ومنها ما دوّنوها ثم ضاعت كتبها وانطمست آثارها وانقطعت أخبارها، والعلم عند الملك العلام.

وقيل:

عند الإله علوم ليس يعرفها ... إلّا لبيب له في الوزن رجحان

لله في ذاك سر ليس يعرفه ... إلا فريد وذاك الفرد إنسان

إذا عرفت هذا فاعلم أنَّا نرتّب الكلام في هذه الرسالة على سبع دوحات كلّ منها في بيان أصل من الأصول السبعة، ثم نذكر في كلّ دوحة شُعبًا لبيان الفروع، ومن الله التوفيق لحسن الاختتام، إنّه ميسّر كلّ مرام.

الدوحة الأولى
في بيان العلوم الخطية وفيها مقدمة وشعبتان

المقدمة في فضيلة الخط وبيان الحاجة إليه وكيفية وضعه

أمّا فضيلته نقلًا فقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[٣]، فأضاف تعليم الخط إلى نفسه وامتنَّ به على عباده، وناهيك بذلك شرفًا. وقال عزّ وجلّ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾[٤] فأقسم بما يسطرونه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[٥] أنّه الخط. ويروى أنَّ سليمان عليه السلام سأل عفريتًا عن الكلام فقال: ريح لا تبقى. قال: فما قيده؟ قال: الكتابة. وقال عبدالله بن عباس: الخط لسان اليد. وقال جعفر بن يحيى[٦]: الخط سمط الحكمة، وبه يفصل

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي الاشبيلي، أبو بكر. ولد في إشبيلية عام ٤٦٨ هـ/ ١٠٧٦ م. وتوفي بالقرب من فاس بالمغرب عام ٥٤٦ هـ/١١٤٨ م. قاض، حافظ للحديث، فقيه مالكي، مجتهد، مفسر. تجول في البلاد وأخذ عنه العلماء له الكثير من الكتب. الأعلام ٧/ ١٠٦، معجم المفسرين ٢/ ٥٥٨، طبقات المفسرين للسيوطي ٣٤، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٦٢، نفح الطيب ٢/ ٢٥، الديباج المذهب ٢٨١، شذرات الذهب ٤/ ١٤١ مرآة الجنان ٣/ ٢٧٩، تذكرة الحفاظ ١٢٩٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٨.

(٢) قانون التأويل للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي المعروف بابن العربي الحافظ (ـ ٥٤٦ هـ) كشف الظنون ٢/ ١٣١٠.

(٣) العلق/ ٣ ـ ٥.

(٤) القلم/ ١.

(٥) الأحقاف/ ٤.

(٦) هو جعفر بن يحي بن ابراهيم التميمي، أبو الفضل المعروف بابن الحكاك، ولد عام ٤١٦ هـ/ ١٠٢٥ م. وتوفي ببغداد عام ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م. كاتب مترسل، عالم بالحديث. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٢/ ١٣٠، العبر ٣/ ٣٠٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢.

شذورها، وينتظم منثورها. وقال إبراهيم بن محمد الشيباني[١]: الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووصي الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند الفرقة، ومحادثتهم على بعد المسافة، ومستودع السر وديوان الأمور.

وأمَّا عقلًا فلو لم يكن من شرف الخط إلَّا أنَّ الله تعالى أنزله على آدم أو هود عليهما السلام، وأنزل الصحف على الأنبياء مسطورة، وأنزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبة، لكان فيه كفاية. وأيضًا ليس يذكر ذاكر شيئًا مما يجري به الخطر أو يميل إليه العقل أو يلقيه الفهم أو يقع عليه الوهم أو يدركه الحواس إلَّا والكتاب موكل به ومدبر له ومعبر عنه، فلم يكتف منه أمة بأمة ولم تستغن عنه ملّة دون ملّة. وأيضًا به ظهرت خاصة النوع الإنساني من القوة إلى الفعل وامتاز به عن سائر الحيوان في حفظ العلوم في الأدوار واستمرارها على الأكوار، وانتقال الأخبار من زمانٍ إلى زمان، وحمل سرّ من مكانٍ إلى مكان. وأيضًا فإنَّ فيه من حفظ الحقوق ومنع تمرد ذوي العقول بما يسطر عليهم من الشهادات التي تقع في السجلات والمكاتبات بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التي لا ينضبط مثل ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضر بمشافهة وإنْ كثر حفظه وزادت بلاغته. ولذلك قيل: الخط أفضل من اللفظ لأنَّ اللفظ يفهم الحاضر فقط والخط يفهم الحاضر والغائب. ولله درّ القائل في وصف القلم:

وأخرس ينطق بالمحكمات ... وجثمانه صامت أجوف
بمكة ينطق في خفية ... وبالشام منطقه يعرف

ومن فضل القلم أنَّه أول المخلوقات لما روي عن عبادة بن الصامت[٢] قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتبْ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»[٣]. وهذا اختيار ابن عباس والحسن[٤] وعطاء[٥] ومجاهد[٦] وعامة

(١) هو ابراهيم بن محمد الشيباني، أبو اليسر، ويعرف بالرياض الكاتب. ولد عام ٢٢٣ هـ/ ٨٣٨ م. وتوفي عام ٢٩٨ هـ/ ٩١١ م. أديب، عالم، له عدة مصنفات انظر عنه: الأعلام ١/ ٦٠.

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن ثعلبة، أبو الوليد، توفي عام ٣٤ هـ كان أول من ولي قضاء فلسطين. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٨٧، ابن سعد ٣/ ٥٤٦، الاستيعاب ٢/ ٨٠٧، أسد الغابة ٣/ ١٦٠، العبر ١/ ٣٥، الإصابة ٢/ ٢٦٨، شذرات الذهب ١/ ٤٠.

(٣) ابن أبو عاصم، كتاب السنة، باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى، ح ١٠٥، ١/ ٤٩، بلفظ: «فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد» بدلاً من «فجرى... القيامة».

(٤) هو الحسن بن يسار البصري. ولد بالمدينة عام ٢١ هـ/ ٦٤٢ م. وتوفي بالبصرة عام ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م. تابعي، إمام البصرة، فقيه، محدث، مجتهد. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٢٦، ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٤، حلية الأولياء ٢/ ١٣١.

(٥) هو عطاء بن مسلم بن ميسرة الخراساني. ولد عام ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م. وتوفي عام ١٣٥ هـ/ ٧٥٢ م. مفسر، مجاهد، عالم بالقرآن، له عدة كتب. انظر عنه:
الأعلام ٤/ ٢٣٥، شذرات الذهب ١/ ١٩٢، العبر ١/ ١٨٢.

(٦) هو مجاهد بن جبير، أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم. ولد بمكة عام ٢١ هـ/ ٦٤٢ م. وتوفي عام ١٠٤ هـ/ ٧٢٢ م. تابعي كبير، مفسر فقيه، تلميذ ابن عباس. كان يعتبر في عصره شيخ المفسرين والقراء. له كتاب في التفسير. الأعلام ٥/ ٢٧٨، صفة الصفوة ٢/ ١١٧، غاية النهاية ٢/ ٤١، ميزان الاعتدال ٣/ ٩، حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩.

العلماء. وقال ابن عباس: لما خلق الله القلم وقال له إجرِ بما هو كائن إلى يوم القيامة، جرى على اللوح المحفوظ بذلك. وفي رواية عن ابن عباس: فسبَّح الله تعالى ومجَّده ألف عام قبل أنْ يكتب المقدّرات. قال: وهو من زمرّدة خضراء طوله ألف عام، وهو مشقوق بالنور. ولما نظر الله إليه انشقَّ بنصفين من هيبة الله تعالى. فإنْ قيل: فهذا القلم مكلّف أم لا؟ فالجواب: أنَّه مكلّف بأشياء مخصوصة وهي الكتابة والجريان بخلاف الإنسان فإنَّه مكلّف مطلق. فإنْ قيل: فقد أقسم الله به بقوله: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[1] فمن أين تسلّط عليه لفظ؟ فالجواب: أنَّ هذا القلم ما احتاج قط إلى لفظ وإنَّما احتيج إليه في هذا القلم ليذهب عنه الفضول والبؤس. ألا ترى أنَّ حياة الشمعة في ضرب العنق. روي عن ابن المقفع[2] أنَّه قال: الأقلام مطايا اللفظ ورسل الكرام وبيان البنان. وقوام الأمور بشيئين: بالقلم والسيف، والقلم فوق السيف، وأنشد:

إنْ يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب وكلت دونه الأمم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... إنَّ السيوف لها مذْ أرهفت خدم

ولأبي تمام الطائي[3]

ولضربة من كاتب ببنانه ... أمضى وأبلغ من دقيق حسام
قوم إذا عزموا عداوة حاسد ... سفكوا الدما بأسنّة الأقلام

قيل: وقد ناقض أبو تمام قوله: السيف أصدق أنباءً من الكتب. قلت: لا تناقض لأنَّه أراد بالكتب كتب النجوم لا مطلقًا على ما شهدت به الواقعة. ومن أحسن ما قيل في هذا الباب:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ... ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن كثروا ... ما لا ينال بحد المشرفيات

وأمَّا وجه الحاجة إلى الخط فاعلم أنَّ فائدة التخاطب والمحاورات في إفادة العلوم واستفادتها، لما لم تتبين للطالبين إلَّا بالألفاظ وأحوالها، كان ضبط أحوالها مما اعتنى بها العلماء العاملون والفضلاء الكاملون، فاستخرجوا من أحوالها علومًا انقسم أنواعها إلى اثني عشر قسمًا، وسمّوها بالعلوم الأدبية لتوقف أدب النفس والدرس عليها، وبالعلوم العربية أيضًا لبحثهم عن الألفاظ العربية فقط لوقوع شريعتنا التي هي أفضل الشرائع وأعلاها وأحسنها وأولاها على أفضل اللغات وأكملها ذوقًا ووجدانًا، بل يقينا وبرهانًا، وهي لغة

---

(١) القلم/ ١.

(٢) هو عبد الله بن المقفع. ولد عام ١٠٦ هـ/ ٧٢٤ م، وتوفي عام ١٤٢ هـ/ ٧٥٩ م. من كبار المشتغلين بالترجمة، تولى كتابة الديوان للمنصور العباسي. وله تصانيف عديدة. انظر عنه:
الأعلام ٤/ ١٤٠، لسان الميزان ٣/ ٣٦٦، البداية والنهاية ١٠/ ٩٦، خزانة الأدب ٣/ ٤٥٩.

(٣) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام. ولد بحوران عام ١٨٨ هـ/ ٨٠٤ م. وتوفي بالموصل عام ٢٣١ هـ/ ٨٤٦ م. أحد أمراء البيان، شاعر، أديب فصيح حلو الكلام. له عدة تصانيف أدبية هامة.
الأعلام ٢/ ١٦٥، وفيات الأعيان ١/ ١٢١، خزانة البغدادي ١/ ١٧٢، معاهد التنصيص ١/ ٣٨.

العرب التي هي أوسط الأمم وأكرمهم وفصّهم في الصياغة وأخصهم في البلاغة.

ثم إنَّ أرباب الهمم من بين الأمم لما لم يكتفوا بالمحاورة في إشاعة هذه النعم لاختصاصها بالحاضرين، سمت همّتهم السامية إلى إطلاع الغائبين، بل الذين سيولدون بعدهم على ما استنبطوه من المعارف والعلوم وأتعبوا نفوسهم في تحصيلها وتدوينها لينتفع بها علماء الأقطار، ولتزداد العلوم بتلاحق الأفكار؛ بحثوا عن أحوال الكتابة الثابتة نقوشها على وجه كلّ زمان وعن حركاتها وسكناتها، ونقطها وضوابطها من شدَّاتها ومدَّاتها، وعن تركيبها وتسطيرها، لينتقل منها الناظرون إلى الألفاظ والحروف، ومنها إلى المعاني الحاصلة في الأذهان. وإنَّما لم يضعوا الكتابة بإزاء ما في الأعيان بأنْ يضعوا للجوهر مثلًا نقشًا وللعرض نقشًا آخر لئلَّا يلزم عدم فهم الألفاظ من الكتابة، إذْ لا يلزم من الدلالة على المدلول الدلالة على دواله، بخلاف ما إذا وضع بإزاء الألفاظ إذْ يلزم من الدلالة على الدال الدلالة على مدلوله. وأيضًا لم يضعوها بإزاء ما في الأذهان لاعتياد المفكرة بتخيّل الألفاظ عند تصوّر المعاني حتى كان المفكّر يناجي نفسه بألفاظ يتخيّلها عند الفكر، ولعسر الانتقال حينئذٍ إلى اللفظ، إذْ الانتقال من المدلول إلى الدال أصعب من عكسه. ألا ترى أنَّ إنشاء الألفاظ بإزاء ما في النفس من المعاني أشقّ عند النفس من فهم المعاني من الألفاظ.

وأمَّا كيفيّة وضعه فقيل: أوّل من وضع الخط آدم عليه السلام كتبه في طين وطبخه، فأصاب بعد الطوفان كلّ قوم كتابهم وخطهم. وقيل: أخنوخ وهو إدريس عليه السلام. وقيل: هود عليه السلام. وقيل: أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة. والأصحّ أنَّها توقيفية كلّها أو بعضها، ولا تباين بين هذه الأقوال لجواز نزول الخط على كلّ منها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ أول من وضع الخط العربي ثلاثة رجال من بولان(١) وهي قبيلة من قبيلة طي(٢) نزلوا مدينة الأنبار(٣)، فأولهم مرار وهو وضع الصور. وثانيهم أسلم فهو وصل وفصل. وثالثهم عامر فوضع الإعجام، ثم نقل هذا العلم إلى مكّة وتعلّمه من تعلّمه وكثر في الناس وتداولوه. ونقل الجوهري(٤) عن شرقي ابن القطامي(٥) أنَّ

---

(١) بطن من بطون قبيلة طيء، بنو عمرو بن الغوث بن طيء، واسم بولان الحصين. ومن بولان انحدر الثلاثة الذين وضعوا الخط العربي. انظر: أنساب العرب ١٤٧.

(٢) طي بن أدد، من بني يشجب، من كهلان، يرتقي نسبه لقبائل العرب القحطانية. جد جاهلي كانت منازل بنيه في اليمن، ثم انتقلوا إلى الشمال وسكنوا بين جبلي أجا وسلمى من بلاد نجد، إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة. واسم صنمهم في الجاهلية الغلس. وقد انحدرت من طيء قبائل كثيرة منها: بنهان، جديلة، زبيد، ثعلبة، بنو شعر وغيرها ونبغ فيهم شعراء كثيرون ومشاهير. تاريخ الإسلام ١/ ٨ ـ ٩، نهاية الارب ٢٦٦، ابن خلدون العبر ٢/ ٢٥٤، جمهرة الأنساب ٣٨٠ و٤٥٩، معجم قبائل العرب ٢/ ٦٨٩، عشائر العراق ١/ ١٣٠، الأعلام ٣/ ٢٣٤، المحبر ٣١٩.

(٣) أطلال مدينة في العراق على الفرات. كانت عاصمة السفاح قبل تأسيس بغداد. واليوم توجد محافظة كبيرة في غرب العراق على الحدود السورية الأردنية، مركزها الرمادي ويتبعها عدة أقضية. انظر: المنجد في الأعلام ص ٧٢.

(٤) هو اسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر. توفي عام ٣٩٣ هـ/ ١٠٠٣ م. من كبار الأئمة في الأدب واللغة. وهو أول من حاول الطيران وسقط ميتاً له عدة مؤلفات. الأعلام ١/ ٣١٣، معجم الأدباء ٢/ ٢٦٩، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٧، لسان الميزان ١/ ٤٠٠.

(٥) هو الوليد (المعروف بشرقي) بن حصين (الملقب بالقطامي) بن حبيب بن جمال الكلبي أبو المثنى. توفي نحو عام ١٥٥ هـ/ ٧٧٢ م. عالم بالأدب والأنساب، وله أخبار. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٢٠، تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٨، لسان الميزان ٣/ ١٤٢، اللباب ٢/ ١٧.

أول من وضعه رجال من طي منهم مرارة بن مرة. وقيل: أول من اخترعه ستة أشخاص من طسم[١]، كانوا نزولًا عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم: أبجد ـ وهوز ـ وحطي ـ وكلمن ـ وسعفص ـ وقرشت، فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم وما شذّ من أسمائهم من الحروف ألحقوها وسمّوها الروادف، وهي: تخذ وضظغ. ويروى أنَّها أسماء ملوك مدين[٢] وأنَّ (كلمن) كان في زمن شعيب عليه السلام، ثم انتقل الخط عنهم إلى الأنبار واتصل بأهل الحيرة[٣]، وفشا في العرب ثم انتشر بعد المبعث. وقيل: إنَّ نفيسًا ونصرًا وتيمًا ودومة بني إسماعيل وضعوا كتابًا واحدًا وجعلوه سطرًا واحدًا موصول الحروف كلّها غير متفرّق، ثم فرّقه نبت وهميسع وقيذار وجعلوا الأشباه والنظائر. وعن هشام[٤] عن أبيه محمد[٥] قال: أخبرني قوم من علماء مصر أنَّ أول من كتب الخط العربي رجل من بني النضر بن كنانة. وفي السيرة[٦] لابن هشام[٧] أنَّ أول من كتب بالخط العربي حمير بن سبأ علّمه في المنام. قال السهيلي[٨] في التعريف والأعلام[٩]. والأصح ما رويناه من طريق أبي عمر بن عبد البر[١٠] يرفعه إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أول من كتب بالعربية

---

(١) من قبائل العرب العاربة، تنسب إلى طسم بن لاوذ بن إرم، جد جاهلي. كانت منازلهم في الأحقاف بين عُمان وحضرموت. لهم قصص مع جديس مشهورة انظر عنهم:
الأعلام ٣/ ٢٢٦، صبح الأعشى ١/ ٣١٣، ابن الأثير ١/ ١٢٢، نهاية الأرب ٢٦٤، تاريخ العرب قبل الإسلام ١/ ٢٥٢، المحبر ٣٩٥.

(٢) منطقة جبلية تقع إلى الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية على البحر الأحمر، وتتفرع من جبال الشراة. انظر: المنجد في الأعلام ٥٢٧.

(٣) أطلال قاعدة الملوك اللخميين بين النجف والكوفة في العراق. كان أهلها من النساطرة، وعرفت بحيرة النعمان. بلغت أوج مجدها في عهد المنذر الثالث، واشتهرت بنشاطها الثقافي والأدبي، قصدها الشعراء: طرفة والنابغة وغيرهما. انظر عنها: المنجد في الأعلام ٢٢٧.

(٤) هو هشام بن محمد ابي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، أبو المنذر. توفي عام ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م. مؤرخ، عالم بالأدب والأنساب، كثير التصانيف. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٧٨، ابن النديم ١/ ٩٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٩٥، إرشاد الأريب ٧/ ٢٥٠، لسان الميزان ٦/ ١٩٦.

(٥) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، أبو النضر. توفي عام ١٤٦ هـ/ ٧٦٣ م. مفسر، اخباري، نسّابة راوية، له عدة كتب. معجم المؤلفين ١٠/ ١٥، ميزان الاعتدال ٣/ ٦١، الوافي بالوفيات ٣/ ٨٣، الأعلام ٧/ ٣.

(٦) السيرة: تهذيب سير ابن إسحق لأبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ـ ٢١٨ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠١٢، هدية العارفين ٥/ ٦٢٤.

(٧) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين. توفي عام ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م. مؤرخ، عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب. له تصانيف جيدة. الأعلام ٤/ ١٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٩٠، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٧، إنباه الرواة ٢/ ٢١١.

(٨) هو عبد الرحمن بن عبد الله، الأندلسي السهيلي، أبو القاسم، ولد عام ٥٠٨ هـ/ ١١١٤ م، وتوفي عام ٥٨١ هـ/ ١١٨٥ م مؤرخ، لغوي، حافظ، مقرىء. له العديد من المصنفات.
معجم المؤلفين ٥/ ١٤٧، وفيات الأعيان ١/ ٣٥١، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧، إنباه الرواة ٢/ ١٦٢.

(٩) التعريف والأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للشيخ الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي السهيلي (ـ ٥٨١ هـ). كشف الظنون ١/ ٤٢١.

(١٠) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر. ولد عام ٣٦٨ هـ/ ٩٧٨ م. وتوفي عام ٤٦٣ هـ/ ١٠٧١ م. من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاثة، له الكثير من المصنفات الهامة. الأعلام ٨/ ٢٤٠، بغية الملتمس ٤٧٤، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٨، آداب اللغة ٣/ ٦٦، الديباج ٣٥٧.

إسماعيل عليه السلام»[١]. وقيل لابن عباس: من أين تعلَّمتم الهجاء والكتاب والشكل؟ قال: علمناه حرب بن أمية. قيل: ومن أين علمه حرب بن أمية؟ قال: طارىء طرأ عليه من اليمن. قيل: من أين علمه ذلك الطارىء؟ قال: كانت بالوحي لهود عليه السلام. وذكر أبو عمرو بن الداني[٢] في كتاب التنبيه على النقط والشكل[٣] ونحوه؛ وقيل: أول ما ظهرت باليمن من قبل أبي سفيان بن أمية عم أبي سفيان بن حرب، وأتته من قبل رجل من أهل الحيرة. قال أهل الحيرة: أخذناها من أهل الأنبار. وتعلم من أبي سفيان بن حرب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه وجماعة من قريش، وتعلمه معاوية بن أبي سفيان من عمه سفيان. وأمَّا الأوس[٤] والخزرج[٥] تعلموه من يهودي، فجاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون كسعد بن زرارة[٦] والمنذر بن عمرو[٧]، وأبي بن كعب[٨] وزيد بن ثابت[٩] وهم يكتبون الكتابين جميعًا العربية والعبرانية. ومنهم رافع بن مالك[١٠]، وأسيد بن حضير[١١]، ومعن بن

(١) مستدرك الحاكم، كتاب التاريخ، باب ذكر اسماعيل عليه الصلاة والسلام، ٢/ ٥٥٣، بلفظ: أول من نطق بالعربية ووضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعل كتاباً واحداً مثل بسم الله الرحمن الرحيم الموصول حتى فرق بينه ولده اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما.

(٢) هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي. ولد بدانية في الأندلس عام ٣٧١ هـ/ ٩٨١ م. وتوفي فيها عام ٤٤٤ هـ/١٠٥٣ م. أحد حفاظ الحديث، عالم بقراءة القرآن ورواياته وتفسيره. له أكثر من مائة مصنف. الأعلام ٤/ ٢٠٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٥٤. نفح الطيب ١/ ٣٩٢، الصلة ٣٩٨، بغية الملتمس ٣٩٩، غاية النهاية ١/ ٥٠٣.

(٣) التنبيه على النقط والشكل للشيخ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ـ ٤٤٤ هـ) كشف الظنون ١/ ٤٩٣.

(٤) من قبائل العرب التي كانت في المدينة المنورة، تعود في نسبها إلى الجد الأكبر للقبيلة وهو كهلان بن الأزد. كانوا يسكنون أول الأمر في اليمن ثم هاجروا إلى المدينة. وسكنوا فيها، وجاء الإسلام وهم فيها، مشكلين مع الخزرج ما عرف باسم الأنصار. وقد تفرعت عنهم بطون كثيرة. كان لهم صنم في الجاهلية اسمه مناة. انظر عنهم: الأعلام ٢/ ٣١، مجلة المجمع العلمي العربي ٥/ ٣٨٢، مجلة المشرق ٢٥/ ١٥٣، معجم المطبوعات ٤٠٩.

(٥) من قبائل العرب اليمنية، أصلهم يعود إلى قحطان بن الأزد، نزلوا بالمدينة المنورة، وعرفوا في الإسلام مع الأوس: باسم الأنصار. تفرع عنهم بطون كثيرة منها: بنو النجار، بنو عوف، بنو غنم وغيرهم. انظر عنهم: الأعلام ٢/ ٣٠٤، جمهرة الأنساب ٣٢٦، اليعقوبي ٢/ ٢٧، عمدة الأخبار ٢٤.

(٦) هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن النجار. من الصحابة أول من أسلم من الأنصار. وكان من نقباء بني ساعدة. توفي عام اهـ. له مواقف. انظر عنه: أسد الغابة ١/ ٨٦، سيرة ابن هشام ١/ ٤٣١، شذرات الذهب ١/ ٩.

(٧) هو المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن الخزرج الأنصاري الساعدي. مات يوم بئر معونة. صحابي، له رواية. انظر: أسد الغابة ٤/ ٤٩٣، سيرة ابن هشام ١/ ٤٦٦.

(٨) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، النجاري الخزرجي، أبو المنذر، توفي عام ٢١ هـ/ ٦٤٢ م. كان من أحبار اليهود قبل إسلامه. وبعد الإسلام شهد الفتوح وكان من كتاب الوحي، روى بعض الأحاديث عن النبي ﷺ، كما كان مشهوراً بقراءة القرآن الكريم. الأعلام ١/ ٨٢، طبقات ابن سعد ٣/ ٥٩، غاية النهاية ١/ ٣١، صفة الصفوة ١/ ١٨٨، حلية الأولياء ١/ ٢٥٠.

(٩) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة، ولد عام ١١ ق. هـ/٦١١ م. وتوفي عام ٤٥ هـ/ ٦٦٥ م. صحابي جليل من أكابرهم. كاتب الوحي لرسول الله ﷺ. شهد الهجرة والفتوح. وشارك في جمع القرآن وتدوينه. كان عالماً بالقراءات والتفسير ومرجعاً في علوم القرآن. الأعلام ٣/ ٥٧، غاية النهاية ١/ ٢٩٦، صفة الصفوة ١/ ٢٩٤، التقريب ٢٢٢.

(١٠) هو رافع بن مالك بن العجلان، أبو مالك. توفي بالمدينة، صحابي جليل، شهد العقبتين وبدراً، وأخباره مستفيضة. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٤٦، الإصابة ١/ ٤٤٩، أسد الغابة ٢/ ١٥٨، الثقات ٣/ ١٢٣.

(١١) هو أسيد بن حضير بن سماك الأشهلي، أبو يحيى، وقيل أبو عتيق، وأبو حضير. مات في خلافة عمر بن الخطاب عام ٢٠ هـ. ودفن في البقيع، صحابي جليل، من سادات الأنصار، وممن شهد العقبتين وبدراً وغيرها. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣٣، طبقات ابن سعد ٣/ ١٣٥، الاستيعاب ١/ ١٧٥، أسد الغابة ١/ ١١١، الإصابة ١/ ٤٩، شذرات الذهب ١/ ٣١.

عدي[١]، وأبو عبس بن كثير[٢]، وأوس بن خولي[٣] وبشير بن سعد[٤] رضي الله عنهم.

واعلم أنَّ جميع كتابات الأمم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة: العربية، والحميرية، واليونانية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والقبطية، والبربرية، والأندلسية، والهندية، والصينية. فخمس منها اضمحلّت وذهب من يعرفها وهي: الحميرية، واليونانية، والقبطية، والبربرية، والأندلسية، وثلاث بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الإسلام وهي: الرومية، والهندية، والصينية. وبقيت أربع هي مستعملات في بلدان الإسلام وهي: العربية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية.

قال صاحب[٥] الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة[٦]: والخط العربي هو المعروف الآن بالكوفي، ومنه استنبطت الأقلام التي هي الآن، ونقل من الكوفي في أواخر خلافة بني أمية وأوائل خلافة بني العباس[٧]. وأول من كتب الخط البديع المنسوب أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة الوزير[٨] ومات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. ثم ظهر في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة صاحب الخط البديع المنسوب علي بن هلال ابن البواب البغدادي[٩]. ثم ظهر أبو الدرّ ياقوت بن عبدالله الموصلي أمين الدين الملكي[١٠]، وتوفي سنة ثمان عشرة وستمائة. ثم ظهر أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي شهاب الدين[١١]، وتوفي سنة سبع

---

(١) هو معن بن عدي بن الجدّ بن عجلان. توفي يوم اليمامة. من الصحابة الأفاضل. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٥١، التجريد ٢/ ٩٠، الثقات ٣/ ٤٠٢، الإصابة ٣/ ٤٤٩، ابن سعد ٣/ ٣٥، أسد الغابة ٣/ ٧٥.

(٢) لعله أبو عبس بن جبر، ابن زيد بن جشم الأنصاري، واسمه عبد الرحمن، وقيل عبد الله، وقيل معبد. توفي عام ٣٤ هـ. صحابي جليل من الأنصار شهد بدراً وما بعدها. انظر عنه: تقريب التهذيب ٦٥٦.

(٣) هو أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث بن عبيد بن الخزرج الأنصاري توفي في خلافة عثمان بن عفان، صحابي جليل، شهد بدراً وأحدًا وغيرها. له رواية. انظر عنه: أسد الغابة ١/ ١٧٠.

(٤) هو بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري. مات في آخر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. صحابي جليل، شهد بدراً وأحدًا. وهو والد النعمان بن بشير. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣٣، التجريد ١/ ٥٣، الثقات ٣/ ٣٣، الإصابة ١/ ١٥٨، أسد الغابة ١/ ١٩٥.

(٥) هو برهان الدين، ابراهيم الجعبري المتوفى عام ٧٣٣ هـ.

(٦) الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة يعني الرائية، وهي عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وهي نظم المقنع للداني. منظومة رائية في رسم المصحف للشيخ أبي محمد قاسم بن فيرة الشاطبي (ـ ٥٩٠ هـ). كشف الظنون ١/ ٢، ٢/ ١١٥٩.

(٧) من المعروف أن الخلافة الأموية في المشرق انتهت عام ١٣٢ هـ، وقام بعدها الحكم العباسي الذي دام عدة قرون، وانتهى عام ٦٥٦ هـ حين اقتحم المغول بغداد.

(٨) هو محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي. ولد عام ٢٧٢ هـ/ ٨٦٦ م. وتوفي عام ٣٢٨ هـ/ ٩٤٠ م. وزير، من الشعراء الأدباء، خطاط، وله أخبار. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٧٣، وفيات الأعيان ٢/ ٦١.

(٩) هو علي بن هلال، أبو الحسن المعروف بابن البواب، توفي عام ٤٢٣ هـ/ ١٠٣٢ م. خطاط مشهور. له عدة نسخ للقرآن لا تزال مخطوطة. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٣٠، وفيات الأعيان ١/ ٣٤٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٤.

(١٠) هو ياقوت بن عبد الله الموصلي، أمين الدين، توفي عام ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م. خطاط، له عدة كتب: انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٣٠، وفيات الأعيان ٢/ ٢٠٧، نزهة الخميس ٢/ ٣١٥، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٣.

(١١) هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين. ولد عام ٥٧٤ هـ/ ١١٧٨ م. وتوفي عام ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م. مؤرخ، أديب، شاعر، عالم بتقويم البلدان له عدة مصنفات. النجوم الزاهرة ٨/ ١٨٧، شذرات الذهب ٥/ ١٢١، معجم المؤلفين ١٣/ ١٧٨. الأعلام ٨/ ١٣١، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٠، آداب اللغة ٣/ ٨٨، مرآة الجنان ٤/ ٥٩.

وستين وستمائة. ثم ظهر أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي مهذب الدين[١] وتوفي سنة سبع وستين وستمائة. ثم ظهر أبو الدر ياقوت الرومي المستعصمي[٢]، وهو الذي طبق الأرض شرقًا وغربًا اسمه، وسار ذكره مسير الأمطار في الأمصار، وأذعن لصنعته الكلّ، واعترفوا بالعجز عن مداناة رتبته فضلًا عن الوصول إليها لأنَّه سحر في الكتابة سحرًا، لو رآه السامري لقال: إنَّ هذا سحر حلال. وتوفي هو سنة ثمان وتسعين وستمائة. وإنَّما ذكرت هذه النكتة لئلَّا يقع الالتباس على كثير من الناس في أصحاب الخط البديع المنسوب من برعاء الكتاب.

الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، وفيها مقدمة وعدة شعب[٣]:

المقدمة

اعلم أنَّ من المقدمات المقررة في الطباع، والمقبولات العامة في الأصقاع، والمسلّمات المستحسنة في الطباع، والكلمات التي قرع بها جميع الأسماع، أنَّ الإنسان لما كان مدنيًا بالطبع احتاج في تعيّشه إلى إعلام ما في ضميره إلى غيره، وفهمه ما في ضمير الآخرين، فاقتضت الحكمة الإلهية والرحمة الأزلية، إحداث دوال يخفّ عليه إيرادها ولا يتعبه إصدارها بل لا يحتاج في تحصيلها إلى آلات غير الآلات الطبيعية، لئلَّا يصرف أوقاته إلَّا فيما يهمّه ويعنيه. فقاده الإلهام الإلهي إلى استعمال الصوت العارض للنفس الضروري للحيوان بالآلات الذاتية الطبيعية، وتقطيعه بتوسط تلك الآلات، والكيفيات العارضة للأصوات بتوسط تلك الآلات على أنحاء مختلفة وطرق شتى إلى حروف يمتاز بعضها عن بعض باعتبار مخارجها الستة عشر وصفاتها، كالجهر والهمس والمعتدلة والشديدة والرخوة والمعتلة والقلقلة والمستعلية والمنخفضة والمطبقة والمنفتحة، إلى غير ذلك، حتى يحصل من الحروف بحسب التركيبات المتنوعة كلمات دالة بحسب الأوضاع المختلفة على المعاني الحاصلة في ضمائر المتكلمين، الخفية عن الأغيار، حتى يتيسَّر لهم فائدة التخاطب والمحاورات من الوقوف على ما في نفوس الآخرين من المقاصد التي لا يتيسَّر معايشهم وضروريات أحوالهم إلَّا بها، ومن إفادة المعارف والعلوم التي لا يمكن الاطلاع عليها بدونها.

---

(١) هو ياقوت بن عبد الله الرومي، أبو الدر، الملقب مهذب الدين. توفي عام ٦٢٢ هـ ١٢٢٥ م، شاعر له ديوان. انظر عنه الأعلام ٨/ ١٣١، وفيات الأعيان ٢/ ٢٠٨، مرآة الجنان ٤/ ٤٩، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٣.

(٢) هو ياقوت بن عبد الله المستعصمي الرومي جمال الدين. توفي عام ٦٨٩ هـ/ ١٢٩٩ م. كاتب أديب، خطاط كبير. له شعر وكتب عدة. انظر عنه:
الأعلام ٨/ ١٣١، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٣، آداب اللغة ٣/ ١٣١، البداية والنهاية ١٤/ ٦.

(٣) هي الدوحة الثانية بحسب تقسيم المؤلف. ونكتفي بإيراد مقدمتها هنا. أما علوم الدوحة الأولى والدوحة الثانية والثالثة وكل الدوحات فقد فرزت علومًا تبعًا للتسلسل الألفبائي كما فصّلنا في التقديم. واكتفينا هنا بوضع مقدمات الدوحات والفروع.

ثم إنَّ تركيبات تلك الحروف لما أمكنت على وجوه مختلفة وأنحاء متنوعة مع التغاير الحاصل في حروفها من جهة المخارج والأوصاف حصل لهم ألْسنة مختلفة ولغات متباينة، بحيث لا تعد كثرة، إلَّا أنَّ أفضلها وأعلاها اللغة التي خُصَّت بها أوسط الأمم وهم خير أمة أخرجت للناس، وخير الأمور أوساطها، وقد نزل عليها أشرف الكتب وأعلاها وأقومها وأدومها، أعني التنزيل الذي شرّفه الله تعالى بالبراءة عن النسخ والتبديل، سيما وقد نطق بهذه اللغة أفضل الأنبياء وخاتمهم وأشرفهم وفصّ خاتمهم. وهل اتصف لغة غير هذه بالبلاغة والإعجاز، وبسحر الكناية والمجاز؟ وهل اختص غير هذه بفنون لو عُدَّ أشهرها لبلغت إلى أربعين؟ وهل تشرف ما عداها بالتحدّي حتى فاق واحد على مئين؟ وقل لي: هل ظهرت العلوم منقحة بلغة أخرى؟ أفليست هذه بالتعظيم والتبجيل أحرى. الحمد لله الذي جبلني على الحبّ لهذه اللغة الجليلة الشأن، والشغف بهذا اللسان الباهر البرهان.

وإذا تمهد هذا التصوير، فنقول: لما اختلفت الحروف باعتبار اختلاف اللغات مخارج وأوصافًا، احتيج في تمييز اللغات العربية إلى بيان كميات حروفها وكيفياتها، بحسب المخارج، ثم أحوال تركيباتها بحسب اشتقاق بعضها عن بعض، ثم أحوال وضع الكلم للمعاني العقلية، ثم تبديل الحروف الأصول والزوائد بعضها إلى بعض لتحصيل الخفة، ثم كيفية إعراباتها، ثم تطبيقها لمقتضى الحال وإيرادها بعبارات جلية، فيجب تتبع طرقها ليختار الأوضح، ثم رعاية المحسنات اللفظية وإنْ كانت عرضية لأنَّها تكون باعثةً إلى قبول الأذهان لمعانيها، ورغبة الأسماع في الانفتاح لها، ثم معرفة أحوال الخطوط الدالة عليها. فهذه جملة أصول الفنون العربية المسماة بالفنون الأدبية، لتوقف أدب الدرس بلا واسطة، وأدب النفس بوسائط عليها. فعلى هذا علم الأدب يحترز معه عن الخلل في كلام العرب لفظًا أو كتابة، ولها فروع كثيرة ستعرف تفاصيلها إنْ شاء الله تعالى.

إذا عرفت هذا، فاعلم أنَّ علم الأدب إمَّا أنْ يبحث عن المفردات أو عن المركبات، أو عن فروعها، ففيها ثلاث شعب[1].

الدوحة الثالثة في علوم باحثة
عما في الأذهان من المعقولات الثانية، وفيها مقدمة وشعبتان:

المقدمة

إعلم أنَّ العلوم الباحثة عن أحوال الأذهان هي العلوم الآلية المعنوية، وأجلّها علم المنطق، حتى إنَّ بعضًا من الحكماء أجراه مجرى الرئيس للعلوم العقلية، حتى إن بعضًا من

(١) هذه الشعب هي: الشعبة الأولى فيما يتعلق بالمفردات.
الثانية فيما يتعلق بالمركبات.
الثالثة في فروع العلوم العربية.
وقد ذكرناها في أماكنها بحسب التسلسل الذي اعتمدناه في تقسيم العلوم وبيانها.

العلماء جعلوه من فروض العين لكونه موقوفًا عليه معرفة الواجب تعالى، وهي واجبة، فكذا ما يتوقف عليه الواجب المطلق. وكان مقدورًا للمكلف حتى حكم بعض من الحكماء الإشراقية أنَّ رياضة المتصوفة وسلوكهم تدور أيضًا على قواعد المنطق. وبالجملة المنطق علم باهر البرهان، وكالشمس لا تخفى بكل مكان، ولا يجحد فضله إلَّا من يعشو عن إدراك الحقائق، ويعمى عن فهم الدقائق. ولله درّ من قال:

عاب المنطق قوم لا عقولَ لهم — وليس له إذا عابوه من ضرر
ما ضرَّ شمس الضحى والشمس طالعة — أنْ لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقيل في مدح النحو والمنطق:

إنْ رمت إدراك العلوم بسرعة — فعليك بالنحو القويم ومنطق
هذا لميزان العقول مرجّح — والنحو إصلاح اللسان بمنطق

ولا عبرة بما قيل في ذمّ المنطق.

دع منطقًا فيه الفلاسفة الأولى — ضلَّت عقولهم ببحر مغرق
واجنح إلى نحو البلاغة واعتبر — أنَّ البلاء موكل بالمنطق

وقد صحّ بشهادة أهل التواريخ القدماء أنَّ أول من دوَّن علم المنطق أرسطو، وقد بذل له ملك زمانه في مقابلة ذلك خمسمائة ألف دينار، وأدرَّ عليه في كلّ سنة مائة وعشرين ألف دينار. قيل: إنَّه تنبه لوضعه وترتيبه من نظم كتاب إقليدس(١) في الهندسة. قال يحيى بن عدي(٢) الفيلسوف: رأيت شرح الإسكندر الحكيم للسماع الطبيعي(٣) ولكتاب البرهان من المنطق(٤) في تركة واحد من الحكماء، وإنَّ الشرحين عرضا عليّ بمائة وعشرين دينارًا، فمضيت لتحصيل الدنانير وعدت فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب أخر على رجل خراساني على ثلاثة آلاف دينار(٥). وقال غير يحيىٰ: إنَّ هذه الكتب التي أشار إليها

---

(١) أقليدس المهندس النجار الصوري (المتوفى ٢٨٥ ق. م.) مارس التعليم في الاسكندرية عهد بطليموس الأول، ترك كتباً باليونانية في الرياضيات، ولا سيما في الهندسة، وقد فقد معظمها. عرفه العرب وذكروه كما عرفوا كتابه «الأصول» الذي انقسم إلى ثلاثة عشر كراساً.
السجستاني، صوان الحكمة، ص ٢٠٦. القفطي إخبار العلماء ص ٤٥. .Larousse du XXes/siec, P.879

(٢) يحي بن عدي، أبو زكريا المنطقي. ولد عام ٨٩٣ م وتوفي عام ٩٧٤ م. فيلسوف سرياني، عالم بالمنطق والحكمة أصله من تكريت تلميذ أبي بشر متى والفارابي. نقل وترجم إلى العربية كثيراً من الكتب اليونانية، وله مصنفات أدبية ولاهوتية وفلسفية. المنجد في الأعلام ٦١٨.

(٣) السماع الطبيعي لأرسطو (المتوفى ٣٢٢ ق. م.) شرحه الاسكندر وبعض من مشائية العرب. ويعالج الكتاب مسائل الطبيعة كمسألة الموجودات مبدأوها وحركتها وما يلحقها من أبحاث الجوهر والعرض، الحركة والزمان، الهيولى والصورة، عناصر المادة.

(٤) كتاب البرهان لأرسطو أو التحليلي الثاني، ويتألف من مقالتين تبحثان في طرق البرهان وضعهما المعلم الأول بعد نضوج النسق المنطقي لديه. شرح الكتاب الاسكندر الأفروديسي (حوالي ٢٠٠ م) من عظماء المشائية. وقع لديه بعض التغيير ومنه عرف التراث الفكري المنطقي عند العرب، وقيل إنه هو الذي شق الطريق بنوع خاص إلى ما ذهب إليه العرب.
دائرة معارف البستاني، ٩/ ٤٣٥ .Blanché,la logique et son histoire, P.101

(٥) في الأصل، دنانير، والصواب ما أثبتناه.

كانت تحمل في الكم. قال مؤرّخ أخبار الحكماء:[١] أنظر إلى همتهم والله لو حضرت هذه الكتب في زماننا وعرضت على مدّعي علمها ما أدّوا فيها عُشر معشار ما ذكره. قلت: وإلى الله المشتكى من زمان كسدت فيه بضائع العلوم، وفسدت فيه صنائع الرسوم. وأقول: والله الرقيب، لو عرضت تلك الكتب على محصّلي زماننا بلا شيء بل بطريق هبة لا امتنان فيها ولا غرض لرغبوا عنها ولم يلتفتوا إليها، فضلًا عن الابتياع. نعم يرغبون في كتب الشعر والهزل ويغالونها في الأثمان، بل يكتبونها ويحصلونها ولا يفارقونها لا في الليل ولا في النهار.

واعلم أنَّ هذا الكلام من قبيل نفثة المصدور فليعذرني من رآه من الأصحاب، ولا يعاملني باللوم والعتاب، واستغفر الله لنا ولكم عن الخطأ والخطل في القول والعقد والعمل، إنَّه عفوٌ غفور.

ثم اعلم أنَّ من أمثالهم الشيء بالشيء يذكر لما وضع بيدباء[٢] الفيلسوف الهندي كتاب كليلة ودمنة[٣] لـ دابشليم ملك الهند[٤] وهو الذي ملك مائة وعشرين سنة، وضع التاج على رأسه، وجعله وزيره، وجعل كتابه على ألسنة البهائم والطيور تنزيهًا للحكمة وفنونها عن العوام، وضنة بها على الجهلاء شركاء الطعام.

حكي أنَّ كسرى أنوشروان[٥] لما سمع بكتاب كليلة ودمنة أرسل برزويه الحكيم[٦] إلى بلاد الهند لاستخراج الكتاب، وأعطاه خمسين جرابًا في كل جراب عشرة آلاف دينار، فاضلًا عن أدوات الأسفار. ثم إنَّ برزويه الحكيم استخرج من بلاد الهند كتاب كليلة ودمنة ونقله من الهندية إلى الفارسية، واستخرج معه الشطرنج التام الذي هو عشرة في عشرة. وأمّا الشطرنج الذي هو ثمانية في ثمانية فقد وضعه صصه بن داهر الهندي للملك شهرام، وما اشتهر بين العوام من أنَّ واضعه اللجلاج فليس كذلك، لأنَّه كان ممن يحسن اللعب به. وممن يحسن اللعب به أبو بكر الصولي[٧] في المشهور عند أهل التاريخ. ووضع أردشير بن

---

(١) إخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين ابي الحسن علي بن القاضي. الأشرف يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) طبع في ليبزغ ١٩٠٣.

(٢) بيديا حكيم هندي وفيلسوف، ألّف بالسنسكريتية مقدمة كتاب كليلة ودمنة، وأهداها لدبشليم الملك، ملك الهند حوالي القرن الثالث الميلادي. المنجد في الأعلام ١٥٦.

(٣) كتاب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، فيه من العبر على لسان الحيوان الكثير، وضعه كما يقال الفيلسوف الهندي بيدبا حوالي القرن الثالث الميلادي وأهداه لدبشليم ملك الهند، ترجمه عبد الله بن المقفع الخطيب (ـ ١٤٢ هـ) كاتب أبي جعفر المنصور من الفارسية إلى العربية. كشف الظنون ٢/١٥٠٨.

(٤) دبشليم ملك هندي، كان محبًّا للحكمة.

(٥) كسرى الأول أوخسرو أنو شروان، ملك ساساني (٥٣١ ـ ٥٧٩ م). حارب يوستينيانوس واحتل أنطاكية عقد هدنة مع البيزنطيين ٥٥٥ م. استولى على اليمن عام ٥٧٠ م. اشتهر بعدله وإصلاحاته. المنجد في الأعلام ٤٦٣.

(٦) برزويه حكيم فارسي، أرسله كسرى أنو شروان إلى بلاد الهند ليأتيه بكتب حكمة الهند وغيرها من كتب فلسفة الهند، كما ترجم عن الهندية كتاب كليلة ودمنة وله أخبار كثيرة. دائرة معارف البستاني، ٥/٣٢٤.

(٧) هو محمد بن يحي بن عبد الله، أبو بكر الصولي، وقد يعرف بالشطرنجي. توفي عام ٣٥٥ هـ/ ٩٤٦ م. نديم، عالم بالأدب، نادم ثلاثة من خلفاء العباسيين، له عدة تصانيف. الأعلام ٧/١٣٦، وفيات الأعيان ١/٥١٨، النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧، لسان الميزان ٥/٤٢٧.

بابك الهندي[١] الحكيم أول ملوك الفرس المؤرَّخة به النرد في مقابلة الشطرنج، ولذلك قيل له: النردشير نسبوه إلى واضعه[٢]، جعله مثالًا للدنيا وأهلها، فجعل الرقعة اثني عشر بيتًا بعدد شهور السنة، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر، وجعل الفصوص مثل القضاء والقدر وتقلّبه في الدنيا، فافتخرت الفرس بوضع النرد. وقيل: إنّما جعلوا نصف القطع الثلاثين سودًا ونصفها بيضًا كالأيام والليالي، وأيضًا جعلوا الفصوص مسدَّسة إشارة إلى أنَّ الجهات ست لا سابع لها، وأيضًا إنَّ ما فوق الفصوص من الأعداد ما تحتها من الأعداد يكون سبعة أبدًا كيف ما وقعت الفصوص، وهذا إشارة إلى عدد الأفلاك والأرض والكواكب السيارة.

ومن العجائب أنَّ واضع الشطرنج اقترح من الملك في أول بيت من بيوته درهمًا[٣]، ثم يضعّف إلى آخر البيوت. قال الملك: لقد اعتقدت نبل رأيك عند وضعك الشطرنج والآن لقد سجلت على فساد عقلك. قال الوزير: مهلًا أيّها الملك، فإنَّ خزائنك وخزائن ملوك الأرض تنفد عند ذلك، فأنكره الملك أشدّ الإنكار، ففهّموه طريق حسابه، وقال: هذا أعجب من وضعك الشطرنج[٤]. وقيل: لو وضع في أول بيته حبة حنطة ثم ضوعف على النهج المذكور لا يفي بذلك ملؤ المدن[٥] الموجودة في الأرض حنطة. وقد اعتنى بعض من الحُسَّاب[٦] بذلك، فمن تأمَّل ذلك يصدقه، وهذا كلام وقع في البين، ثم رجعنا إلى المقصود[٧] فنقول: ثم نقل عبدالله بن هلال الأهوازي[٨] كتاب كليلة ودمنة من الفارسية إلى العربية ليحيى بن خالد البرمكي[٩] في خلافة المهدي[١٠] وقد نظم سهل بن نوبخت

---

(١) هو الملك الساساني، أردشير الأول المعروف بأردشير بابكان أو أردشير بن بابك، امبراطور فارس، حكم عام ٢١٢ م. وقام بأعمال كثيرة من إصلاحات في الإدارة والدين، والعمران فضلاً عن توحيد البلاد، اتسم عهده بالنصح والإرشاد والتعاليم الدينية الزرادشتية والحكم، وأخباره منتشرة. دائرة معارف البستاني ٩/ ٢٣٦ ـ ٢٤٠.

(٢) قيل: إنه وضع النرد على الجبر، ووضع الشطرنج على القدر.
لا يخفى أن ما نقله المصنف من وضع النرد في مقابلة الشطرنج يخالف المشهور والمشهور عكسه. (هامش الأصل).

(٣) والمشهور حبة حنطة وهو الأنسب لأشد إنكار الملك فتدبر. (هامش الأصل).

(٤) وفائدته بينة على أن الملوك الماضية اعتبروا الحكم وأربابها غاية الاعتبار، وإن كانت في صورة الملعبة واللاعب. (هامش الأصل).

(٥) قيل: تبلغ عدد المدن في آخر أبيات رقعة الشطرنج إلى ستة عشر ألف وثلاثماية واربع وثمانين مدينة، وعدد مدن المعمور من الأرض لا يفيه على مائتين في كتب المساحة. (هامش الأصل).

(٦) ذكره ابن خلكان في ترجمة أبي بكر محمد الصولي. (هامش الأصل).

(٧) لا يخفى أن ما رجع إليه ليس بمقصود أيضاً، لأن ما في كليلة ليس من العلوم الآلية، غايته أنه من الحكمة العملية. والكلام في العلوم الآلية إلاّ أن يقال إنه من تتمة ما شرع إليه بعد القدر بقوله. ثم أعلم أن من أمثالهم إلى آخره فتذكر وتدبر. (هامش الأصل).

(٨) لم نعثر على ترجمة له.

(٩) هو يحي بن خالد بن برمك، أبو الفضل (١٢٠ ـ ١٩٠ هـ/ ٧٣٨ ـ ٨٠٥ م) وزير، مؤدب الرشيد الخليفة ومعلمه، استوزره المهدي ومات مسجوناً إثر نكبة البرامكة. الأعلام ٨/ ١٤٤، إرشاد الأريب ٧/ ٣٧٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٤ تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٨.

(١٠) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله (١٢٧ ـ ١٦٩ هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٨٥ م)، من خلفاء العباسيين، محمود السيرة والعهد، حسن الخلق، جواد. الأعلام ٦/ ٢٢١، فوات الوفيات ٢/ ٢٢٥، البدء والتاريخ ٦/ ٩٥، ابن الأثير ٦/ ١١، الطبري ١٠/ ١١، تاريخ بغداد ٥/ ٣٩١.

الحكيم[١] كتاب كليلة ودمنة ليحيى بن خالد البرمكي وزير المهدي والرشيد، وأجازه يحيى على ذلك ألف دينار. وكان الملك الناصر[٢] صاحب الأندلس بالمغرب متطلّبًا للعلوم الإلهية والأسرار الحكمية فسمع به ملك الهند ملو، فسيَّر له كتاب كليلة ودمنة مصوّرًا في الحكم والأمثال[٣]، وكتاب سفر آدم عليه السلام في علم الحروف، وكتاب الحروف المنزلة على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين ورقة من زيتون الجنة وآسِها بأسمائها وصفاتها وأعدادها، وما يتولَّد عنها من علم الأسماء والصفات والحكم والآيات البيِّنات، وسيَّر له مع هذه هدايا وتحفًا غريبة من جملتها فرش من جلد حية مدنر كأنَّه لون ريش الطاووس وفرش آخر من جلد حيوان إذا جلس عليه مَنْ به علّة البواسير أبرأه، وكان ملك القسطنطينية الحكيم أرمانوس طالبًا لكتاب علم الحروف، فكاتب الملك الناصر في سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة، وهاداه هدايا جليلة وأسرارًا غريبة، من جملتها كتاب ديسقوريدوس[٤] الحكيم مصور الحشايش بالتصوير الرومي البديع، وكان مكتوبًا بالقلم الأغريقي الذي هو اليوناني القديم، وبعث معه كتاب هروشيش صاحب القصص وهو تاريخ ملوك الروم، وقصص المبعوث إليهم من الأنبياء وكان باللسان اللطيني وهو الفرنجي في سنة أربعين وثلاث مائة بعث أرمانوس إلى الملك الناصر براهب يُسمَّى نقولا لاستخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدوس إلى اللسان العربي، وهو أول من عمل بقرطبة ترياق الفاروق على التجارب التي فيه. وفي أيام الخليفة جعفر المتوكل ترجم اصطفن ابن بسيل[٥] الترجمان كتاب ديسقوريدوس بدار السلام بغداد من اليوناني إلى العربي، وتوفي الملك الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد الأموي في سنة خمسين وثلاث مائة. وإنَّما خرجنا عن المقصود لفائدة الترغيب.

ولتعلم أنَّ العلوم التي سهلها لك الأوائل كيف تعاونوا في تحصيلها، وكيف جمعوها

---

(١) لعله سهل بن سابور، توفي عام ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م. طبيب من أهل الأهواز له أخبار ودعابات مع يوحنا بن ماسويه وجورجيس بن بختيشوع، له عدة كتب. الأعلام ٣/ ١٤٣، أخبار الحكماء ١٣٤، طبقات الأطباء ١/ ١٦٠.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، أبو المطرف المرواني الأموي (٢٧٧ ـ ٣٥٠ هـ/ ٨٩٠ ـ ٩٦١ م) أول من ثبت بالخلافة، من رجال الدولة الأموية في الأندلس، داهية مصلح.
الأعلام ٣/ ٣٢٤، طبقات السبكي ٢/ ٢٣٠، نفح الطيب ١/ ١٦٦، ابن الأثير ٨/ ١٧٧ الحلة السيراء ١/ ٩٩.

(٣) ثم ترجم كتاب كليلة المولى علي بن صالح الشهير بواسع على شير. إنما اشتهر به لأنه وصل إلى خدمة المولى عبد الواسع وصار مفيداً لدرسه، فاشتهر بالإضافة إليه بالتركية بإنشاء بليغ في الغاية سماه (بهمايون نامة). والمولى المزبور ولد في مدينة قلية ثم جاء إلى القسطنطينية وقرأ على علمائها، فصار مدرساً في المدارس، ثم قاضياً بمدينة بروس، فتوفي وهو قاض بها في سنة خمسين وتسعماية، ودفن في جوار الإمام البخاري رحمة الله عليهما رحمة واسعة. (هامش الأصل).

(٤) ديوسقوردس بدانيوس، طبيب يوناني عاش في القرن الأول الميلادي. له مؤلفات طبية ونباتية، أخذ عنها أطباء العرب. المنجد في الأعلام، ٢٥٥.

(٥) اصطفان بن باسيل من المترجمين الأقدمين عاش في بداية القرن التاسع الميلادي. نقل إلى العربية كتاب الخصائص في الطب أو هيولي علاج الطب لديوسقوريدوس، عمل مع حنين إضافة إلى كونه طبيباً للمتوكل حوالي ٨٥٠ م، وذكر جوامعه لجالينوس أو عن جالينوس ابن القفطي. منجد الأعلام، ط ١٩٧٣، ص ٤٢ وتاريخ الحكماء لابن القفطي، ط لينبرغ، ص ٣٥.

بضروب من الحيل وأنواع من المشاق حتى تعرف بذلك قدر العلوم والمعارف.

ومن جملة اهتمامهم في هذا الباب جمعهم خزائن الكتب ليمكن النيل إليها كلّما أرادوا، ويأمنوا من ضياعها بالنهب والسرقة وأمثالها. قال القلقشندي[١] في صبح الأعشى[٢] قد كان للخلفاء في القديم مزيد اهتمام بالكتب حتى حصلوا منها على العدد الجم، وحصلوا على الخزائن الجليلة. والخزائن في الإسلام ثلاث: أحدها خزانة العباسيين ببغداد، وكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أنْ دهمت التتار بغداد، فذهبت الكتب فيما ذهب وذهبت معالمها وجهل آثارها. والثانية خزانة الفاطميين بمصر وكانت من أعظم الخزائن وأكثرها جمعًا للكتب النفيسة من جميع العلوم، ولم تزل على ذلك إلى أنْ انقرضت دولتهم بموت العاضد[٣] آخر خلفائهم واستيلاء السلطان صلاح الدين على المملكة بعدهم، فاشترى القاضي الفاضل[٤] أكثر كتب هذه الخزانة ووقفها بمدرسة الفاضلية بدرب ملوخيا بالقاهرة، فبقيت فيها إلى أنْ استولت عليها الأيدي، فلم يبق منها إلّا القليل. والثالثة خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس وكانت من أجلّ خزائن الكتب أيضًا، ولم تزل على ذلك إلى انقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس، فذهبت كتبها كل مذهب.

أمّا الآن فقد قلّت عناية الملوك بخزائن الكتب اكتفاءً بخزائن المدارس التي ابتنوها من حيث إنّها بذلك أمسّ، إلّا أنّ لسلطاننا الأعظم الذي تشرَّف زماننا هذا بوجوده وظله خزانة كتب يحكى أنَّه ليس كتاب شرعي وغير شرعي وعربي وفارسي إلّا ويوجد فيها، إلّا أنّها مصونة عن أيدي الطالبين، أدام الله دولة هذا السلطان وأبقى عمره إلى آخر الزمان.

يحكى أنَّ عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية وجد فيها خزانة كتب فاستشار فيها عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: أمّا الكتب التي ذكرتها إنْ كان فيها ما يوافق كتاب الله ففيه غنى عنها، وإنْ كان غير ذلك فلا حاجة فيها، فتقدّم بإعدامها، فأخذ عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها، فنفد في مدة ستة أشهر. وذكر في فتوحات الشام[٥] أنَّ الإسكندرية حين فتحت كان فيها ألف حمّام واثنا

(١) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي القاهري، (٧٥٦ ـ ٨٢٠ هـ/ ١٣٥٥ ـ ١٤١٨ م)، مؤرخ أديب باحث، له عدة تصانيف.
الأعلام ١/ ١٧٧، الضوء اللامع ٢/ ٨، أداب اللغة ٣/ ١٣٣.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ثم المصري (ـ ٨٢١ هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٠٧٠.

(٣) هو عبد الله العاضد بن يوسف بن الحافظ العلوي الفاطمي، أبو محمد، (٥٤٤ ـ ٥٦٧ هـ/ ١١٤٩ ـ ١١٧١ م)، آخر ملوك الدولة الفاطمية العبيدية ببلاد المغرب، له أخبار مستفيضة.
الأعلام ٤/ ١٤٧، ابن الأثير ١/ ٩٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٧، ابن إياس ١/ ٦٧.

(٤) هو عبد الرحيم بن علي بن سعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل. (٥٢٩ ـ ٥٩٦ هـ/ ١١٣٥-١٢٠٠ م)، وزير من أئمة الكتّاب، سريع البديهة كثير الرسائل، له عدة مصنفات.
الأعلام ٣/ ٣٤٦، النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٤، طبقات السبكي ٤/ ٢٠٣.

(٥) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ـ ٢٠٧ هـ). كتاب في التاريخ مشهور. كشف الظنون ٢/ ١٢٣٧.

عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر. فانظر أيّها الطالب للعلوم والمعارف إلى اهتمام الأوائل بالعلوم وكتبها حتى يتفطن منه إلى معنى ما قيل:

لو كانت العلوم تحصل بالمنى   لم يبق أصلًا في البرية جاهل

وبعد هذا نرجع إلى ما كنا فيه وهو أنَّ أرسطو بعدما دوَّن المنطق صارت كتبه مخزونة في إتنه من ولاية موره من بلاد الروم عند ملك من ملوك اليونان. ولما رغب الخليفة المأمون في علوم الأوائل[١]، أرسل المأمون إلى الملك المذكور وطلب الكتب، ولم يرسل، فغضب المأمون وجمع العساكر وبلغ الخبر إلى الملك فجمع البطاريق والرهابين وشاورهم في الأمر فقالوا: إنْ أردت الكسر في دين المسلمين وتزلزل عقائدهم فلا تمنعهم عن الكتب، فاستحسن الملك ذلك وأرسلها إلى المأمون، فجمع المأمون مترجمي مملكته كحنين بن إسحاق[٢] وثابت بن قرة[٣] وغيرهما وترجموها بتراجم متخالفة لا توافق ترجمة أحدهم ترجمة الآخر، فبقيت التراجم غير محررة إلى أنْ التمس منصور بن نوح الساماني[٤] من أبي نصر الفارابي أن يحرِّرها ويلخِّصها ففعل كما أراد، ولهذا لقب بالمعلم الثاني. وكان كتبه في خزانة الكتب المبنية بأصبهان المسماة بصنوان الحكمة إلى زمان السلطان مسعود[٥]، لكن كانت غير مبيَّضة لأنَّ الفارابي كان غير ملتفتٍ إلى جميع التصانيف ونشرها بل غلب عليه السياحة[٦]. ثم إنَّ الشيخ أبا عليّ تقرَّب عند السلطان مسعود بسبب الطبّ حتى استوزره واستولى على تلك الخزانة وأخذ ما في تلك الكتب، ولخَّص منها كتاب الشفاء وغير ذلك من تصانيفه. وقد اتفق أنْ احترقت تلك الكتب فاتهم من يتعصَّب على أبي علي بأنَّه أحرقها لينقطع انتساب تلك العلوم عن أربابها، ويختص بنفسه، لكن هذا الكلام للحساد الذين ليس لهم هاد.

---

(١) قيل بسبب رغبته ما حكى عبد الله بن طاهر أن المأمون قال: رأيت في المنام رجلاً قد جلس مجلس الحكماء. وقلت له: من أنت؟ قال: أرسطا طاليس الحكيم. فقلت: أيها الحكيم: ما أحسن الكلام؟ قال: ما يستقيم في الرأي. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما يستحسنه سامعه. قلت: ثم ماذا؟ قال: ما لا يخشى عواقبه. فلت: ثم ماذا؟ قال: ما عدا هذا هو ونهيق الحمار سواء. قال المأمون: ولو كان حياً ما زاد على هذا. (هامش الأصل).

(٢) حنين بن إسحاق النصراني (٨٠٨ ـ ٨٧٣ م) طبيب من أهل الحيرة. عيّنه المأمون رئيساً لديوان الترجمة، فنقل وترجم كثيراً من الكتب بالسريانية واليونانية، له عدة مصنفات.
المنجد في الأعلام ٢٢٦.

(٣) هوثابت بن قره (٨٣٦ ـ ٩٠١ م) من حران. رياضي وطبيب، فيلسوف صابئي، نقل وترجم إلى العربية كتباً يونانية، وله عدة مصنفات. المنجد في الأعلام ١٩١.

(٤) هو المنصور بن نوح الأول الساماني. أمير خراسان وما وراء النهرين (٩٦١ ـ ٩٧٦ م). اشتهر بعدله، حارب بني زياد والبويهيين، وازدهرت الدولة في أيامه.
المنجد في الأعلام ٥٤٩.

(٥) هو مسعود بن محمود بن سبكتكين، توفي عام ٤٣٢ هـ/ ١٠٤٠ م. من ملوك الدولة الغزنوية. نشأ في بيت سلطنة وجهاد وعدل. شجاع كريم محب للعلماء. له آثار كثيرة وأخبار مستفيضة.
الأعلام ٧/ ٢٢٠، ابن الأثير ٩/ ١٣٨.

(٦) لأن ديدنهم عليها. (هامش الأصل).

ثم اعلم أنَّ أفلاطون الحكيم كان يعلِّم بعضًا من تلامذته بطريق التصفية وأعمال الفكر الدائم في جناب القدس، وسُمّوا بالإشراقيين، وبعضًا منهم بطريق البحث والنظر فسُمّوا المشّائين لتردّدهم إلى مجلسه، أو لأخذهم الحكمة وقت مشيه إلى تعليم أولاد السلطان، أو لتعليمهم وقت مشيه في بستان كان له. وأمّا في غير هذا الوقت كان منقطعًا عن الناس. ورئيس الطائفة المشّائين هو أرسطو، وهو الذي دون الحكمة البحثية لأنَّ الحكماء قبل هذا كانوا لا يدوّنون الحكمة صونًا لها عن غير أهلها، والذي وقع فإنّما وقع شبه الإلغاز والتعمية، وكانوا يكتمونها كالكيمياء وغيرها من العلوم الخفية، ولا يعلمونها غير أبناء الحكماء والسلاطين، ويتوارثونها كابرًا عن كابر. ولما عرض أرسطو تدوينه على أفلاطون غضب عليه، وقال: أتريد أنْ تفشي سرّ الحكمة الذي كتمه الحكماء؟ فقال: لكني أودعت فيها مهاوي لا يطلع عليها إلّا أهلها، فأجازه على ذلك، فجمع جميع أنواع الحكمة. ولهذا لُقِّب بالمعلِّم الأوّل، ثم استخرج المنطق بقوة قريحته وجودة طبعه ليكون آلة لتحصيل العلوم الحكمية، وقدَّمه على سائر أقسام الحكمة بكونه آلة لها، والله أعلم بحقيقة الحال.

الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان

وهذا قسمان: ما يبحث فيه مجرد الرأي ومقتضى العقل فقط وهو العلوم الحكمية الباحثة عن أحوال الموجودات الخارجية بحسب الطاقة البشرية، وما يبحث فيه على قواعد الشرع وعلى تسليم المدعى وأخذه من الشرع وهو علم أصول الدين، وعلى هذا التقسيم حال الحكمة العملية. ولما تقدم علم الحكمة على علم الكلام بحسب التدوين وكان علم الكلام مناسبًا للطرف الثاني من الرسالة قدمنا العلوم الحكمية على ذلك، ففيها مقدمة وعدة شعب:

المقدمة

اعلم أنَّ العلوم الحكمية النظرية، إمَّا أنْ يبحث فيه عن موجود منزَّه عن المادة في الخارج وعند البحث، أو يبحث عن موجود مقارن للمادة خارجًا دون البحث، أو يبحث عن موجود مقارن لها خارجًا وبحثًا أيضًا.

والقسم الأول يُسمَّى بالعلم الإلهي لبحثه عن الإلآهيات، وبالعلم الأعلى لعلوّ موضوعه بسبب تجرّده عن المادة ويسمَّى بعلم ما بعد الطبيعة أيضًا لقراءتهم إياها بعد العلم الطبيعي.

والقسم الثاني يسمَّى بالرياضي لرياضة النفوس بها أولًا، إذْ الأوائل كانوا يبتدئون في التعليم بها لكون دلائلها يقينية ولتعتاد النفوس باليقينيات بادىء ذي بدء حتى كانوا يقدمونها على المنطق أيضًا، ويسمَّى بالعلم الأوسط أيضًا لعدم تجرّده عن المادة بالكلية ولعدم مقارنته إياها بالكلية.

والقسم الثالث يسمَّى بالعلم الطبيعي لبحثه عن طبائع الأجسام وبالعلم الأدنى لمقارنته

بالمادة بالكلّية، فهذه هي الأصول الثلاثة للعلوم الحكمية. ولنذكر كلًّا منها في شعبة ولكل منها فروعًا لا تحصى، ولنذكر فروع كلّ منها عقيبه في شعبة أخرى فتصير الشعب ستًا، ولنقدم العلم الإلهي على الباقيين لشرفه، ثم لنذكر الأوسط ثم الأدنى.

الدوحة الخامسة في الحكمة العملية

واعلم أنَّ الإنسان لما كان مدنيًا بالطبع وكان أشخاصه إلَّا شرذمة ممن عصمهم الله، وقليلٌ ما هم مجبولين على جلب المنافع ورفع المضار، بحيث يريدون أخذ ما في أيدي الآخرين بقوته الشهوية، ودفع ما يزاحمه في ذلك بقوته الغضبية، وكان ذلك مؤديًا إلى التقاتل والتناحر، ولا أقلّ من العداوة والشحناء المنافية هذه الأمور إلى قضية التمدن والاجتماع وعمارة المدن في الأصقاع، اقتضت الحكمة الإلهية وضع قوانين متعلقة بجميع الأشخاص على العموم بحيث لا يختص بشخص شخص ولا بطائفة طائفة، بل كل الطوائف والأمم سواسية في هذه السياسة والقانون الجاري بطريق التعادل.

ثم إنَّ هذه القوانين لا بدّ وأنْ يؤخذ من إنسان يعلمه الله تعالى بواسطة الملك، ويؤيِّده من عنده بالمعجزات الناقضات للعادات، ليصدقه الكل، إذْ مَنْ له قوّة قدسية حكمة تامة لا يحتاج إلى المعجزات الحسّية في تصديقه، بل يقول:

لو لم يكن فيه آيات مبيّنة كانت بديهته تنبيك عن خبره

وبالجملة لا يحتاج إلى المعجزات الحسيّة بل يكتفي بمعجزاته الباطنية. وأمَّا من هو نازل عن هذه الدرجة بمرتبة أو بمراتب يحتاج إلى معجزة حسّية إمَّا مرَّة أو مرَّات حسب قوّة جهله أو ضعفه. ومنهم من يلتحق بمنزلة الحيوان بل الجماد، أو يغلب على طبعه العناد لا ينتفع بشيء منها، كأبي جهل وأحزابه عليهم لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى.

وبالجملة لا بد وأنْ يكون لذلك الإنسان المؤيّد بالمعجزات جهتان يستفيض بجهة قوته القدسية ولحوقه بالملأ الأعلى، بل إلى قاب قوسين أو أدنى من جنابه سبحانه وتعالى، ويفيض بجهة بشريته ومبعوثيته لتكميل نوع البشر على بني نوعه من أفراد البشر. لقد جاءت رسل ربنا بالحق، وذلك المعلم في زماننا هذا ليس إلَّا أفضل المخلوقات من لدن بدء العالم، وسيِّد ولد آدم، ومقدّم الجماعة، وفاتح باب الشفاعة، وفص خاتم النبيين، وخاتمهم وأفضلهم وأكملهم، سيِّد الأنبياء وسند الأصفياء، حبيب ربّ العالمين أبو القاسم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلّم وعلى سائر الأنبياء وسلّم، مع شرف شرعه على سائر الشرائع بأمور: أظهرها البراءة عن النسخ والتبديل إلى قيام الساعة وساعة القيام، وأنْ تكون سمحة سهلة بيضاء نقية مع اشتمالها على محاسن سائر الشرائع وأواسطها، والاجتناب عن طرفي الاقتصاد تفريطها وإفراطها.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنَّ سُنَّة الله تعالى جرت على أنَّه إذا أخلى العالم عن مثل هذه

الأنوار ومعادن العلم والأسرار لم يترك العالم سدى، بل جعل عقول البشر مهتدية إلى قدر ما يبقى به النظام بين النوع، وأرشدهم إلى ما تكمل به مصالح دنياهم أكثريًا، وبعض من مصالح آخرتهم.

فالذي جاءت به الرسل عن الله تعالى هي العدل حقيقة، وأمّا الذي استحسنه عقول العقلاء والحكماء فهو ما يشبه العدل، وهو السياسة الاصطلاحية، التي هرم عليها الكبير، ونشأ عليها الصغير، وبعيدٌ أنْ يبقى سلطان أو تستقيم رعية في حال إيمان أو كفر بلا عدل قائم، أو ترتيب للأمور الذي يشبه العدل.

فالسياسة مما يبقى به نظام العالم وإنْ لم تصلح بها أمور الآخرة، لكن العمل بها إلى أنْ جاء الشرع الشريف، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وأمَّا الذين يقولون لا بدّ للشرع من انضمام السياسة فهذا من خطأ الجهلة والعوام، إذْ الشرع لا يحتاج إلى غيره. ومضمون قولهم هذا إنَّ الشرع لم يرد بما يكفي في السياسة فاحتجنا إلى تتمة من آرائنا، فيقتلون من لا يجوز قتله شرعًا، ويفعلون ما لا يحلّ فعله، ويسمّون ذلك سياسة، وهذا تعاطٍ على الشريعة بما يشبه المراغمة به. أولئك الذين ينتصف الله منهم في الدنيا والآخرة، قاتلهم الله وخذلهم. وكيف يحتاج الشرع إلى السياسة والأنبياء تكمل بهم أمور الدارين وما يصلح به البشر، كليًا علميًا وعمليًا وذوقيًا وكشفيًا وشهودًا، سيما ولا أكمل ولا أفضل مما نطق به خير البشر وأشار إليه سيِّد الأنبياء، حتى لو اجتمع عقول العقلاء وفهوم الحكماء والأصفياء لم يقدروا المزيد عليها ولو بجزء من ألف ألف جزء من ذرة صغيرة.

الحمد لله الذي هدانا لهذه النعمة الجليلة، ونسأله أن يرزقنا الحظوة الكاملة الجزيلة من هذا الشرع الصافي والمنبع الوافي في الأول والآخر والباطن والظاهر. ثم إنَّ الحكماء ذكروا علومهم العملية وبحثوا فيها عن الأعمال الصادرة عن البشر، وتلك الأعمال إمَّا أنْ تتعلّق بالشخص وحده، وهي علم الأخلاق أو يتعلق بأهل المنزل لدوام الأنس والائتلاف، وهي علم تدبير المنزل، أو تتعلّق بأحوال أهل البلد لنظام أحوال الملك والسلطنة، وهي علم السياسة. وهذه علوم ثلاثة ولنذكر كلًّا منها في شعبة ثم نردفها بشعبة رابعة لبيان فروعها[1].

الدوحة السادسة في العلوم الشرعية

وإنَّما سمّي علم الشرائع لأخذ الناس منها حظوظهم، إذْ الشريعة لغة مورد الشاربة كما تسمّى الشريعة دينًا لإطاعة الناس إيَّاها وملّة لاجتماعهم عليها، ويسمَّى أيضًا علم النواميس

(١) قسم المؤلف علوم الحكمة العملية إلى أربع شعب، وجعل كل شعبة علماً له أصوله ومزاياه. وقد وضعنا علوم هذه الشعب في مكانها بحسب الترتيب الأبجدي الذي درجنا عليه في وضع المعجم الحديث، مع الإشارة في الهامش إلى موضعها في الأصل بحسب تقسيم المؤلف لها.

أخذًا من الناموس وهو الملك النازل بالوحي. والناموس لغة البعوضة، وهي تصوت في أذن الإنسان، فشبه بها صاحب السّر لتكلّمه السّر في أذن صاحبه، فيستعار له لفظ الناموس، ثم نقل إلى الملك النازل بالوحي، وفي هذه الدوحة مقدمة وشعب:

المقدمة

واعلم أنَّ العلوم الاعتقادية إمَّا متعلّقة بالنقل أو فهم المنقول أو تقريره وتشييده بالأدلة أو استخراج الأحكام المستنبطة، فالنقل إنْ كان بما أتى به الرسول بواسطة الوحي فهو علم القراءات، أو بما صدر عن نفسه المؤيّدة بالعصمة فعلم رواية الحديث، وفهم المنقول إنْ كان من كلام الله تعالى فعلم تفسير القرآن، أو من كلام الرسول فعلم دراية الحديث والتقرير. إمَّا الآراء فعلم أصول الدين أو الأفعال فعلم أصول الفقه، واستخراج الأحكام من أدلتها فعلم الفقه. ومنافع هذه العلوم جمّة. أمَّا في الدنيا فحفظ المهج والأموال وانتظام سائر الأحوال، وأمَّا في الآخرى فالنجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم. فهذه العلوم هي جملة أصول الشريعة ولكل منها فروع كثيرة. فلنذكر كلًّا من هذه السبعة في شعبة وفروع هذه في شعبة أخرى بقدر ما تفي به قوة التقرير والتصوير، ويحيط به نطاق التحرير والتسطير.

الطرف الثاني من الرسالة

في العلوم المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العمل بالعلم

قال النبي ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[١]. ولهذا العلم أيضًا ثمرة تُسمَّى علوم المكاشفة لا يكشف عنها العبارة غير الإشارة، كما قال ﷺ: «إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعرفها إلَّا العلماء بالله، فإذا نطقوا ينكره أهل الغرة»[٢]. لا جرم رتّبنا هذا الطرف من الرسالة على مقدمة ودوحة لها شعب ثمرة لها طيبة.

المقدمة

إعلم أنَّ الإنسان مركَّب من عالَمين، لأنَّ بدنه الكثيف من عالم الأجسام وروحه اللطيف من عالم الملكوت. ولما وجب في التركيب من المناسبة بين الأجزاء خلق الله سبحانه وتعالى في البدن الكثيف جسمًا صنوبريًا مسمًّى بالقلب، وأودع فيها بخارًا لطيفًا، وصاد بذلك الروح اللطيف وحبسه في سجن هذا البدن الكثيف، لأنَّ ذلك البخار للطافته ناسب الروح العلوي، ولنوع جسميتها ناسب البدن الكثيف، فصار ذلك البخار طوعًا لنزاهته

---

(١) اتحاف الزبيدي، كتاب العلم، باب في آفات العلم، ١/ ٤٠٣، بلفظ «ورّثه».

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب العلم، باب في بيان العلم المحمود والمذموم. . .، ١/ ١٦٦، بلفظ: لا يعرفه إلاَّ أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلاَّ أهل الاغترار به. . .

عنه أيضًا. ربطه الحق به قهرًا، ولهذا قدّر مفارقته عنه بهذا العسر الشديد الذي تراه عند مفارقة الروح البدن جزاء لما عصى ربه في النفرة عمّا خلقه لأجله.

ثم إنَّ الروح بعدما تعلّق بالبدن أفاض قوى جزئية من محله الأصلي الذي هو القلب إلى أطراف البدن حيث أفاض الدماغ قوة مدركة والكبد قوة نفسانية إلى غير ذلك من القوى الجزئية الحالة في البدن.

ثم إنَّ طريق العلم بالروح ويُسمَّى النفس الناطقة إمّا من طريق القوة المدركة المستَمَدة من الحواس ويسمَّى العلم الحصولي، أو بلا واسطة تلك القوى ويسمّى علمًا حضوريًا، وأسباب العلم الحضوري الفكر أو النظر في المحسوسات وأسباب العلم الحضوري تصفية النفس عن الشواغل الدنيوية، إذ النفس كالمرآة وقد كدرها الشواغل الحسية. فإذا صقلها الإنسان عن تلك الشواغل ينتقش فيها المعلومات دفعة بلا حاجة إلى التقاطها من طرق الحواس، كمرآة مصيقلة حوذي بها شطر النور. وأمّا النظر فلا يصقل منها إلّا قدر ما ينتقش فيها النتائج فلذلك يكون العلم الحضوري أكمل وأتمّ من العلم الحصولي هذا.

ثم إنَّه كما أنَّ طريق العلم الحصولي النظر، كذلك طريق العلم الحضوري التصفية، والأول قد مرَّ بما لا مزيد عليه. وأمّا طريق التصفية فأمران: إمّا بقطع النفس عن المألوفات بالرياضات والمجاهدات ويسمَّى هذا علم الباطن، وإمّا بانجذاب النفس إلى عالم القدس بعد التصفية بواسطة عشقها إلى العالم الروحاني، فيفيض لها العلوم الحاصلة في الروحانيات بالمشاهدة والتحقق، ويسمَّى علم المكاشفة. والفرق بين العلمين لا يفهم إلّا بمثال. ومثال العلم الحاصل بالتصفية كمرآة صقلت ووصلت إليها النور من كوة تقابلها، ومثال الثاني وهو علم المشاهدة كمرآة مصيقلة حوذي بها قرص الشمس ووصل إلى ينبوع النور. ولما كان العلم الثاني ثمرة للعلم الأول ونتيجة له، ذكرنا الأول في دوحة لها عدة شعب والثاني في ثمرة لها.

الدوحة السابعة من الرسالة

في علوم الباطن ولها أربع شعب: العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات العلم(*): وفيه مطالب.

المطلب الأول: في معرفة فضل العلم والتعلّم والتعليم، وقد مرَّ شواهد هذه في صدر الرسالة بما لا مزيد عليه[1].

المطلب الثاني: في معرفة ما يجب على المسلم من العلم. قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة»[2]. وقال: «أطلبوا العلم ولو بالصين»[3]. واختلفوا في

(*) هذا هو الأصل الأول من الشعبة الأولى في العبادات، من الدوحة السابعة في علوم الباطن، وذلك بحسب التقسيم الذي اتبعه المؤلف في كتابه.

(١) أي ورد ذكر الشواهد في المقدمة الأولى من مقدمات الكتاب كما وضعها المؤلف.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) السيوطي، اللآليء، كتاب العلم، ١/ ١٠٠.

العلم الذي هو فرضُ عين[١]، وادّعى كلّ طائفة أنَّ ما عنده هو ذلك. فقال الكلامي[٢]: الكلام الذي يعرف به ذات الله وصفاته والنبوّة والمعاد. وقال الفقيه: الفقه الذي يعرف به الحلال والحرام. وقال المفسِّر والمحدِّث علم الكتابة والسُّنّة التي يتوصَّل بهما إلى كلّ العلوم. وقالت المتصوفة: علم الحال من تحصيل الإخلاص وترك الآفات إذْ بهما يتقرَّب العبد إلى مولاه. وقال بعضهم: هو علم الباطن، وخصّوا الوجوب على أقوام مخصوصين، وليس كذلك. والصحيح: أنَّ المراد به علوم المعاملة دون المكاشفة، وهو العلم بالمباني الخمسة الإسلام، كما نطق به الحديث وهو قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس»[٣]. فأوَّل الواجب على العاقل البالغ تعلّم كلمتي الشهادة، ثم وثم، وهذا يختلف باختلاف الأزمان والأشخاص، إذْ يجب على من لا يقدر على التفصيل العلم الإجمالي بمضمون هاتين الكلمتين، وإذا قدر على التفصيل يجب عليه مقدار فهمه، وإلّا فلا. وأيضًا يجب على البالغ تعلّم أركان الصلاة ما يصحّ ويفسد دون الصبي. وكذا يجب على الغني تعلّم أحوال الزكاة، والحج دون الفقير. هذا حال الاعتقاد والعمل. وأمَّا الترك فلا يجب على الأبكم تعلّم حرمة الكلام ولا على الأعمى تعلّم ما يحرم به النظر، وعلى هذا القياس. وبالجملة الواجب على العبد من العلم هو قدر ما يتجدَّد عليه من الوقائع من عباداته ومعاملاته، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان.

المطلب الثالث: في المحمود من العلوم والمذموم منها. واعلم أنَّ العلوم إمَّا شرعية تستفاد من الأنبياء فقط، وإمَّا غير شرعية يستبد بإدراكها العقلاء. وغير الشرعية أنْ توقف عليه قوام أمور الدنيا، كالطب لبقاء الأبدان، وكالحساب لقسمة الوصايا والمعاملات، فهي محمودة بمنزلة الصناعات الجزئية من الفلاحة والحياكة والحجامة والسياسة، فهذه من فروض الكفايات، فكذا العلوم المذكورة. وإنْ لم يتوقف عليه قوام الدنيا لكن يحسن للإنسان تعاطيها فهي فضيلة كالتعمق في دقائق الحساب والطب. وأمَّا إنْ لم يتوقف عليه شيء من أمور الدنيا فإنْ أخلَّ ببعض الأمور فهي العلوم المذمومة كالسحر والطلسمات والشعوذة وأمثال ذلك من التلبيسات، وإنْ لم يخل بذلك فهي العلوم المباحة كالأشعار والتواريخ وما يجري مجرى ذلك.

وأمَّا العلوم الشرعية فهي محمودة كلّها لكن قد يلتبس بها ما يظن أنَّها شرعية وليست كذلك، فتقسم إلى المحمودة والمذمومة.

أمَّا المحمودة: فإمَّا أصول كالكتاب والسُّنّة والإجماع والقياس، وإمَّا فروع، إمَّا دنيوي كأكثر مسائل الفقه أو أخروي كبعض مسائله ومعرفة أحوال القلب من أخلاقها[٤] المحمودة

---

(١) فرض العين، مصطلح أصولي فقهي يقصد به الفرض اللازم الذي يطلب تحقيقه، ومعرفته من كل شخص مكلف، ولا يجوز أن يقوم به شخص عن آخر، ويقابله فرض الكفاية الذي إذا قام به البعض سقط عن الآخرين.

(٢) عالم الكلام.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي...، ح ٧، ١/ ١٤.

(٤) أي كذا.

والمذمومة. وإمَّا مقدمات تجري مجرى الآلات كاللغة والنحو والمعاني وعلم كتابة الخط لأنَّه صار ضروريًا في الغالب لتوقّف حفظ العلوم الشرعية عليها، وإمَّا متمّمات كعلم القراءات والمخارج في اللفظ وكعلم التفسير في المعنى وكمعرفة الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من العلوم القرآنية التي سيأتي تفصيلها. وكذا الحال في الحديث كعلم أسامي الرجال وأحوالهم وغير ذلك.

وأمَّا العلوم المذمومة فاعلم أوّلًا أنَّ العلم لا يذمّ من حيث إنَّه علم، وإنَّما يذمّ لأمور: إمَّا أنَّه لا يقدر الخائض فيه على إدراكه فيكون مذمومًا في حقه، كأكثر من اشتغل بالعلوم الفلسفية ولم يقدر على تمييز الحقّ عن خلافه. وإمّا لإضراره بغيره كعلم السحر والطلسمات فإنَّهما وسيلة إلى إضرار الخلق والوسيلة إلى الشرّ شرّ. وإمَّا لإضراره بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم فإنَّه من حيث إنَّه حساب للشمس والقمر غير مذموم، بل قد ورد في القرآن: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾(١)، وقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾(٢)، بل ذمّه من حيث بيان الأحكام وهو مذموم. قال ﷺ: «إذا ذُكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا»(٣). وقال عمر رضي الله عنه: تعلّموا من النجوم ما تهتدون به في البرّ والبحر ثم أمسكوا. وإنَّما ذمّ لأحد ثلاثة أمور: إمَّا أنَّه ربما يوهم الخلق أنَّ الكواكب هي المؤثّرة في الحوادث، وإمَّا لأنّه ظنٌّ وتخمين، فالحكم به جهل لا علم. وقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام ثم انمحى وانمحق. وما يتفق من الإصابة على الندور فاتفاقي، كظنّ الإنسان أنَّ المطر ينزل اليوم فيقع. وإمَّا لأنَّه علم لا ينفع وجهل لا يضرّ لأنَّه تضييع العمر بلا فائدة.

إذا عرفت أنَّ من العلم المحمود والمذموم، فاعلم أنَّ من العلوم الشرعية ما هو المحمود صورةً والمذموم معنى، منها الفقه، وقد كان يطلق الفقه على علم طريق الآخرة، ومعرفة آفات النفوس ومفاسد الأعمال، والإحاطة بحقارة الدنيا وشرف نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب. والآن خصّ بمعرفة الفروع الغريبة والفتاوى العجيبة، والاطلاع على عللها وتتبع المقالات المتعلقة بها، والاستكثار من المسائل الفرعية حتى تفريعات الطلاق واللِّعان(٤) والسَّلم(٥) والإجارة سواء تجرد للأمور الأخروية أوْ لا. وقد كان في العصر الأول، الأصل معرفة أمور الآخرة وأمور الدنيا بالتبع لها، والآن انعكس الحال، فتداخل الذمّ إلى الفقه من هذه الجهة، وإنْ كان محمودًا في الأصل.

ومنها العلم وقد كان يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته وأفعاله في عباده وخلقه،

---

(١) الرحمن/ ٥.

(٢) يس/ ٣٩.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٣٥، بلفظ: وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا.

(٤) اللِّعان مشتق من اللَّعن، وهو في الأصل بمعنى الطرد. ثم استعير بصورة القذف الواقع بين الزوج وزوجته حيث يتهم بعضهما بعضاً بتهمة الزنا؛ ويقال له أيضاً: الملاعنة.

(٥) السَّلَم: نوع من أنواع البيوع، وله صورته وشروطه، وهي مذكورة في كتب الفقه.

وخصّصوه اليوم بمن يشتغل بالمناظرة في المسائل الفقهية وغيرها، ويقال له هو الفحل في العلم والعالِم على الحقيقة. ومن لم يكن كذلك يعدّونه من الضعفة وإنْ كان عارفًا بالله وصفاته والمبدأ والمعاد والتفسير والأخبار.

ومنها التوحيد وقد كان يطلق على أنْ يرى الأمور كلّها من الله تعالى رؤية تقطع إلتفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشرّ إلّا منه جلَّ جلاله، والآن عبارة عن صناعة الكلام، ومعرفة طريق المجادلة، والإحاطة بالمناقضات، والقدرة على التشدّق فيها بتكثير الأسئلة، وإثارة الشبهات، وتأليف الإلزامات، حتى لقّب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وسمّي المتكلّمون العلماء بالتوحيد، مع أنَّ أبواب الجدل والمماراة كان مما يشتد النكير عليه في العصر الأول.

ومنها الذكر والتذكير وقد كان في العصر الأول يطلق على التكلّم في علم الآخرة التذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات النفس والأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد في شكره، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرّمها وقلّة عهدها، وخطر الآخرة وأهوالها. فهذا هو التذكير المحمود شرعًا الذي قد ورد الحثّ عليه، فنقل ذلك الآن إلى ما ترى من حال الوعاظ وما يواظبون عليه من القصص والأشعار والشطح والطامات. أمّا القصص فهو بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس إلى القصاص لأنّهم إنْ[١] اقتصروا على القصص الواردة في القرآن لأصابوا، لكنّهم غيّروا وزادوا ونقصوا حتى إنَّهم من سمح نفسه[٢] وضع الحكايات المرغّبة في الطاعات، ويزعم أنَّ قصده فيه دعوة الخلق إلى الحقّ، وهذه من نزغات الشيطان، فإنَّ في الصدق مندوحة عن الكذب.

وأمّا الأشعار فأكثرها في الوعظ مذموم والمستمع ينزّل كلّ ما يسمعه على ما يستولي على قلبه، ومجالس الوعاظ لا تحوي إلّا أجلاف العوام، وبواطنهم مشحونة بالشهوات، فتحرك الأشعار المشتملة على تواصف العشق ومدح الوصال وبثّ آلام الهجر ما هي مستكنة في قلوبهم من نيران الشهوات، فيزعقون ويتواجدون على تصوّر الفساد، اللهم إلّا إذا كانت الأشعار مشتملة على المواعظ والحِكَم أو كانت الحضار الخواص خاصة، فأولئك ينزلون الشعر الوارد في المخلوق على ما استولى على قلبهم من حبّ الخالق.

وأمّا الشطح فإمّا دعاوى طويلة عريضة في العشق مع الله والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية، والمشافهة بالخطاب، فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا كذا. وإمّا كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة، فيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل. وهذا إمّا أنْ لا يفهمه القائل أيضًا، وإمّا لخبط في

(١) كذا.
(٢) كذا.

عقله وتشويش في خياله، أو تكون مفهومة للقائل ولا يقدر على التعبير لقلّة ممارسته التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة. قال ﷺ: «كلّموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرون، أتريدون أنْ يكذب الله ورسوله»(١). وهذا فيما يفهمه صاحبه، فكيف فيما لا يفهمه قائله. فإنْ كان يفهم القائل دون السامع فلا يحلّ ذكره.

وأمّا الطامات فمنها ما ذكرناه من الشطح، وأمر آخر وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهر المفهوم إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام حقيقة يعتمد عليها كدأب الباطنية في التأويلات. وهذا أيضًا حرام، فإنَّ الألفاظ إذا صرفت عن ظواهرها بلا نقل من الشرع أو دليل من العقل لبطل التعويل على النصوص، وبهذا توصَّل الباطنية إلى هدم الشرائع، إذْ النفوس مائلة إلى المستغرب ومستلذة له.

ومنها الحكمة وقد كانت الحكمة تعد خيرًا كثيرًا كما نطق به التنزيل بقوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(٢). وقوله ﷺ: «كلمة من حكمة يتعلّمها الرجل خيرٌ له من الدنيا وما فيها»(٣). والآن نقل إلى الطبيب والشاعر والمنجم حتى الذين يدحرجون القرعة على أكف السواد في شوارع الطرق، فانظر هذا النقل من أين إلى أين. إذا عرفت مثار الالتباس في العلوم فعليك أنْ تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف ولا تتدلَّ بحبل الغرور حتى تتشبه بالخلف. فاعلم أنَّ من العلم ما هو المذموم قليله وكثيره ولا فائدة فيه دينًا ودنيا، أو ضرره يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم، ومنه ما هو المحمود كله كالعلم بالله سبحانه وتعالى وبصفاته وأفعاله وسنّته في خلقه فإنّه بحر لا ساحل له، وما خاض فيه إلّا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم، فمفتاحه أولًا التعلّم والجدّ ومشاهدة أحوال العلماء، وآخره المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه بأنبياء الله وأوليائه.

وأمّا العلوم التي لا يحمد منها إلّا قدر مخصوص فهي العلوم التي هي فروض الكفايات فإنَّ لكلّ علم اقتصارًا واقتصادًا واستقصاءً. فإنْ كنت أصلحت نفسك فلا عليك الاستقصاء فيها لإصلاح غيرك، ويكفيك الاقتصاد، بل هو الخير، إذْ لا يفي الأعمار بالاستقصاء في كلّ العلوم. فاستقصاء البعض دون الآخر ليس بخير، بل الأحسن الاقتصاد في الكلّ. وإنْ لم تكن أصلحت نفسك أولًا فإيَّاك أنْ تقصد إصلاح غيرك وتترك نفسك، إذْ لا أعظم منه خسرانًا. فعليك أنْ تشتغل أولًا بتطهير نفسك من ظاهر الإثم وباطنه بحيث تجعله ديدنًا وعادة منتشرة فيك، ثم اشتغل بفروض الكفايات على التدريج الذي سنذكر لك ذلك، فابتدىء بكتاب الله ثم بسنّة رسوله، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة، ثم اشتغل بالفروع من علم الفقه دون الخلاف، ثم بأصول الفقه؛ وهكذا إلى بقية العلوم بقدر ما يتسع له

(١) سبق تخريجه.
(٢) البقرة/ ٢٦٩.
(٣) الزبيدي، اتحاف. كتاب العلم، باب بيان ما يدل من ألفاظ العلوم من الحكمة، ١٠/ ٢٦٤؛ بلفظ: «الحكمة».

وقتك. ولا تستغرق عمرك في واحد منها طالبًا للاستقصاء، فإنَّ العلم كثير والعمر قصير. وإنْ طلبت الزيادة عليها واتسع لك الوقت فاقتصرْ من شائع علم اللغة قدر ما تفهم به كلام العرب وتنطق به، ومن غريبها على غريب القرآن والحديث، وتعد التعمق فيه، واقتصر من النحو على قدر ما يتوقف عليه معرفة الكتاب والسُّنّة، وتعمّق في التفسير قدر ما يعدّه العلماء وسيطًا، ثم اصرف ذهنك على لطائفه وإشاراته، وفي الحديث قدر تحصيل ما في الصحيحين والصحاح الستّة قدر ما يحتاج إليه في الأعمال، وحصّل نسخة صحيحة منهما أو منها على رجل خبير بمتون الحديث، ودعْ حفظ أسامي الرجال ومعرفة عللهم لأنَّ السلف من جامعي الصحاح قد كفينا[١] مؤنتها. فأمّا الفقه فيكفي فيه حفظ البداية[٢] والوقاية[٣] والمنظومة[٤] للنسفي[٥]. وأمّا الكلام فيكفي فيه قدر محافظة عقائد واردة في الكتاب والسُّنّة، وإنْ قدرت مع ذلك على دفع المبتدعة فأحسن وأحسن. وأمّا الخلافيات فلا حاجة لك بها على كلّ حال إذْ الغرض منها إقبال الناس ووفور الحرمة والحشمة عند الولاة، وهذا من أخسّ الأغراض وأرذلها، سيّما إذا أدّى إلى بذل العلم في باب هؤلاء، سيّما مع طلب رضاهم في الأحكام. اللهم عفوًا عفوًا. وأمّا المنطق فهو داخل في علم الكلام. وأمّا الفلسفة فما كان منها مخالفًا للشرع فأكثره مباحث علم الإلهي وبعض من الطبيعي فذلك في حكم السحر بل أضرّ منه لأنّه يؤدّي إلى الكفر أسرع من السحر، وما لم يكن مخالفًا للشرع كبعض مسائل الإلهي وأكثر مسائل الطبيعي وكلّ مباحث الرياضي فلا منع عنها، فهو في حكم علم الحساب، إلَّا أنْ يخاف أنْ يستدرج مشتغله إلى العبور إلى البواقي فيمنع منها البعض دون ذلك.

فالذي يجب عليك الإقبال بعلوم[٦] الآخرة وهي قسمان: علوم معاملة وعلوم مكاشفة. والأول طريق للثاني.

أمّا علوم المعاملة فهي معرفة أحوال القلب. أمّا ما يُحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والزهد والرضا والقناعة والتقوى والإحسان والسخاء وحسن الظنّ والخلق والمعاشرة والصدق والإخلاص. وأمّا ما يُذمّ منها فخوف الفقر وسخط المقدور والغِلّ والحقد والحسد والغِشّ وطلب العلو وحُبّ الثناء وحُبّ البقاء في الدنيا والكِبَر والرِّياء

---

(١) كذا، والظاهر كفونا.

(٢) بداية المبتدى في الفروع للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي (ـ ٥٩٣ هـ). كشف الظنون ١/ ٢٢٧.

(٣) وقاية الرواية في مسائل الهداية للإمام برهان الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبي الحنفي. كشف الظنون ١/ ٢٣.

(٤) منظومة النسفي في الخلاف، لأبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ـ ٥٣٧ هـ). كشف الظنون ج ٢، ص ١٨٦٧.

(٥) هو عمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل أبو حفص، نجم الدين النسفي، ولد بنسف عام ٤٦١ هـ/ ١٠٦٨ م وتوفي بسمرقند عام ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م. عالم بالكلام والتفسير والتاريخ والأدب، فقيه حنفي، له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٦٠، الفوائد البهية ١٤٩، الجواهر المضية ١/ ٣٩٤، لسان الميزان ٤/ ٣٢٧.

(٦) كذا.

والغضب والفخر والخيلاء والتنافس وطول الأمل والفرح بالدنيا والأنس بأهلها إلى غير ذلك.

وأمّا علوم المكاشفة فمعرفة ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وأفعاله وحكمته، ومعرفة معنى النبوّة والنبي، ومعنى الوحي والملائكة، والشياطين، ومعرفة الجنّة والنار، وعذاب القبر، والصراط، والميزان، والحساب، ومعنى لقاء الله والنظر إلى وجهه الكريم، ومعنى القرب منه والنزول في جواره، إلى غير ذلك من الأحوال، بأنْ يرتفع الغطاء ويتضح جلية الحق اتضاحًا يجري مجرى العيان الذي لا يشكّ فيه. وهذا ممكن في جوهر الإنسان. وإنّما يشتغل عنه كَدَرُ قاذورات الدنيا، فإذا صقل القلب عنها يتجلّى له تلك العلوم بلا شك ويتلألأ فيه أنوار تلك الحقائق لا محالة. وهذه العلوم لا تسطر في الكتب ولا يتحدّث بها إلّا من يعرفها. فلا تحقروا عالِمًا آتاه الله علمًا، فإنّ الله عز وجل آتاه إيّاه. وقال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا العلم يعني علم المكاشفة أخاف عليه سوء الخاتمة. وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله. وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم وهما: البدعة والكبر. وقيل: من كان محبًا للدنيا ومصرًا على هوى لم يتحقّق به؛ وقد يتحقّق بسائر العلوم. وأقل عقوبة من ينكره أنْ لا يرزق منه شيئًا وهو علم الصدّيقين والمقرّبين.

المطلب الرابع في آداب المعلّم والمتعلّم ووظائفهما وقد استوفينا الكلام عليه في أول الكتاب[1]، فلا نشتغل بإملال الأصحاب بسلوك طريق الإسهاب.

المطلب الخامس في آفات العلم وبيان علامات علماء الدنيا وعلماء الآخرة.

إعلم أنّه قد ورد في شأن العلماء نصوص وأخبار تدلّ على أنّهم أشدّ عذابًا يوم القيامة إذا لم يعملوا بعلمهم، والذين يقصدون بعلمهم التنعم في الدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها، ولا حاجة إلى ذكر تلك الأخبار والآثار لشهرتها عند العلماء.

وحاصل الجميع أنّ العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسّ حالًا وأشدّ عذابًا من الجاهل. ثم إنّ الفائزين المقربين من العلماء لهم علامات بها تمتاز[2] عن علماء الدنيا، فلنذكر منها مع كثرتها اثنتي عشرة علامة:

منها أنْ لا يطلب الدنيا بعلمه، فإنّ أقلّ درجات العالم أنْ يدرك حقارة الدنيا وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها، وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ويعلم أنّهما كالضرّتين، متى أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، وككفتي ميزان في رجحان إحداهما خفّة الأخرى، كالمشرق والمغرب يستلزم قرب أحدهما البعد من الآخر. فإنّ من لم يعلم كدورة الدنيا وامتزاج لذتها بألمها، بل يقال إنّ أمور الدنيا إمّا عين ألم أو مقدمة للألم، فهو فاسد العقل غافل عن المشاهدة والتجربة، فكيف يكون من العلماء من لا عقل له. وأيضًا من لا يعلم

---

(١) أي في الكلام الذي ورد في المقدمات.
(٢) كذا.

عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر بالنصوص، ومن لا إيمان له لا يكون عالمًا. وأيضًا من غفل عن مضادة الدنيا والآخرة وأنَّ الجمع بينهما نفخ بلا ضرم فهو جاهل بالشرائع كلّها بل هو كافر بما بين دفّتي المصاحف كلّها، فكيف يعدّ من زمرة العلماء. ومن علم هذا كلّه ثم لم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان، وقد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته، فكيف يعدّ من حزب العلماء من هذه الدرجة. وقيل:

وراعي الشاة يحمي الذئبَ عنها ... فكيف إذا الرعاةُ لها ذئابُ

ومنها أن لا يخالف قولهُ فعلَه، بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به، ولا ينهى إلّا عن شيء ينتهي هو عنه أولًا. قيل:

يا واعظ الناس قد أصبحتَ متهمًا ... إذْ عِبْتَ منهم أمورًا أنت تأتيها

وقيل:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

والآيات والأخبار والآثار في هذا الباب أكثر من أنْ تُحصى وأشهر من أنْ تذكر.

ومنها أنْ تكون عنايته لتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة، متجنبًا في العلوم التي يقلّ نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال.

ومنها أنْ يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك، ويتشبه فيه بالسلف، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل. وكلّما ازداد إلى طرف القلّة ميله ازداد من الله سبحانه قربه، وارتفع في علماء الآخرة حزبه. والتحقيق أنَّ التزيّن بالمباح ليس بحرام لكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى يشقّ تركه، واستدامة الزينة لا تمكن إلّا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وأمور أخر محظورة؛ فالحزم اجتناب ذلك.

ومنها أن يكون منقبضًا عن السلاطين لا يدخل إليهم الْبَتّة ما دام يجد عن الفرار عنهم سبيلًا بل ينبغي أنْ يحترز عن مخالطتهم وإنْ جاؤوا إليه، فإنَّ الدنيا حلوة خضرة وزمامها بأيدي السلاطين، والمخالط لهم لا ينفك عن تكلّف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنَّهم ظلمة. ويجب على كلّ متديّن الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم، فالداخل عليهم إمَّا أنْ يلتفت إلى تجمّلهم فيزدري نعمة الله تعالى أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهنًا، أو يتكلّف في كلامه بمرضاتهم وتحسين حالهم، وذلك هو البهت الصريح. أو يطمع في أنْ ينال من دنياهم وذلك هو السحت[1]. وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح لعدة شرور، وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط.

ومنها أنْ لا يكون مسارعًا للفتوى بل يكون متوقفًا متحرِّزًا ما وجد إلى الخلاص سبيلًا، فإنْ وجد عمّا يعلمه تحقيقًا أفتى، وإنْ سئل عمّا يشكّ فيه قال لا أدري، وإنْ سئل

---

(١) السحت هو الحرام.

عمّا يظنّه باجتهاد أو تخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره، وإنْ كان في غيره غنية. هذا هو الحزم لأنَّ تقلّد خطر الاجتهاد عظيم.

ومنها أنْ يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن، ومراقبة القلب، ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه، وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة، فإنَّ المجاهدة تثمر المراقبة في دقائق علم القلوب، والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع إليه عمّا سواه، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف. وكم من متعلّم طال تعلّمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من مقتصر على المهم في التعلّم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكم ما يحار فيه عقول ذوي الألباب.

ومنها أنْ يكون شديد العناية بتقوية اليقين الذي هو رأس مال الدين. واعلم أنَّ اليقين عند المتكلمين هو رجحان أحد طرفي الحكم رجحانًا لا يقبل التشكيك، وهو الذي لا يتصوّر الإيمان بدون بلوغه هذه الرتبة. وعند الفقهاء والصوفية وأكثر العقلاء أنْ يستولي ذلك الإدراك على النفس، ويغلب على القلب، وهذا انفعال للقلب عن هذا الإدراك. ونفوذه في القلب مثل تأثير الحناء في اليد وانفعال اليد منه، مثلًا، يقال: إن هذا الرجل لا يوقن بالموت لما أنّه يغفل عنه ويسهو عن العمل بمقتضاه، ويقال: هذا الرجل له قوّة اليقين بالموت يعني أنَّه مستغرق الهم في استعداده مع أنَّ كليهما متساويان في القطع بموته. وربما يعبّر عن هذا المعنى بالإذعان وعن الأول بالإدراك. والتحقيق فيه أنَّك قد عرفت فيما ذكرناه من التحقيق أنَّ في الإنسان قوّة جزئية محلّها الدماغ من شأنها الإدراك بالنظر، وفيه قوة كلّية محلها القلب الأول، فاليقين بالمعنى الثاني حاصل فيه وهما مشتركان في معنى التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع، إلّا أنَّ الحاصل في القوة الجزئية لتوقفه على التفات النفس إلى ذلك ربما يسهى عنه ويغفل فلا يعمل بمقتضاه، بخلاف الثاني فإنَّه الحاصل في النفس لا في الآية[1]، فلا يحتاج إلى التفات النفس إلى ذلك مثل احتياجه في الأول، لأنّه علم حضوري لا يغيب عن النفس فلا يغفل عنه أصلًا لولا ملابسة الكدورات. فالإدراكان المذكوران متّحدان والتغاير بحسب المحل. ومن نظر إلى اتحادهما حقيقة يقول: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ومن نظر إلى مغايرتهما بحسب المحل يقول بزيادته ونقصه، إذْ لا يخفى أنَّ الإيمان الحاصل بطريق العلم الحضوري أقوى من الحاصل بطريق العلم الحصولي، فاحفظ هذه الغاية لأنَّك قلَّما تجدها فيما عهدت من الكتب، ولذلك ترى أكثر المؤمنين لاقتصارهم بالإيمان على الطريق الأول يغفلون عن كثير من أحكامه. وأمَّا الذين يكملونه على الطريق الثاني ترى فيهم الحياء والخوف والذل والاستكانة والخضوع وغير ذلك من الأوصاف المتشعبة من الإيمان.

ومنها أنْ يكون العالم حزينًا منكسرًا مطرقًا صامتًا يظهر أثر الخشية على أحواله ويكون

---

(١) كذا.

نظره مذكرًا لله تعالى والآخرة، وتكون صورته دليلًا على علمه، فهم الذين سيماهم على وجوههم من أثر السجود.

ومنها أنْ يكون أكثر بحثه فيما يفسد من الأعمال، وفيما يشوش القلوب ويشوش الوساوس ويثير الشره، ولا يكون ممن يتبعون غرائب التعريفات في الحكومات والأقضية ويتغنَّون في وضع صور ينقضي الدهر لا تقع أو تقع لغيره، لأنَّه إذا وقعت وفي العالمين بها كثرة يكفون مؤنته. وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثارًا للقبول أو التقرب من الخلق على القرب من الله تعالى. وشرها في أنْ يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلًا محققًا عالمًا بالدقائق، وجزاؤه من الله تعالى أنْ لا ينتفع من الدنيا بقبول الخلق، بل يتكدَّر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسًا متحسرًا على ما يشاهده من ربح العالمين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين.

ومنها أنْ يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، وإنَّما الذي يقلد عليه[1] هو صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله، وإنَّما يقلِّد الصحابة من حيث إنَّ فعلهم يدلّ على سماع منه ﷺ. ثم إذا قلّد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فينبغي أن يحرص على فهم أسراره، ولا يكون وعاءً للعلم لا عالِمًا. ومن كشف عن قلبه الغطاء صار متبوعًا لمن يجيء بعده، فلا ينبغي أنْ يقلّد المجتهد الآخر. فإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدًا غير مرضي فالاعتماد على التصانيف أبعد لأنَّها محدَثة بعد الصحابة وصدور التابعين، وإنَّما حدثت بعد مائة وعشرين سنة من الهجرة. وأمَّا السلف فقد امتنعوا عن تصنيف الكتب بل كتب الأحاديث حتى إنَّ أبا بكر كره كتب المصاحف في مصحف واحد كما ستعرف تفصيله، وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطأ[2] وقال: ابتدع ما لم يفعله الصحابة. وقيل: أول كتاب صنّف في الإسلام كتاب ابن جريج[3] في الآثار ـ حروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني[4] باليمن جمع فيه سننًا شتى منثورة مبوّبة، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثم جامع

---

(١) كذا.

(٢) الموطأ في الحديث للإمام مالك بن أنس (الحميري الأصبحي المدني. إمام دار الهجرة) (ـ ١٧٩ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٠٧.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد، ولد بمكة عام ٨٠ هـ/ ٦٩٩ م وفيها توفي عام ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م. فقيه الحرم المكي. إمام الحجاز في عصره. محدث مدلّس لكنه ثبت.
الأعلام ٤/ ١٦٠، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٠، صفة الصفوة ٢/ ١٢٢، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٦، تاريخ بغداد ١٠/ ٤٠٠، طبقات المدلّسين ١٥.

(٤) هو معمر بن راشد، مولى عبد السلام بن عبد القدوس، أبو عروة. ولد بالبصرة وتوفي باليمن عام ١٥٢ هـ، فقيه متقن، وحافظ ورع. انظر عنه:
مشاهير علماء الأمصار ٣٠٥، ابن سعد ٥/ ٥٤٦، التقريب ٢/ ٢٦٦، تذكرة الحفاظ ١١/ ١٩٠، ميزان الاعتدال ٤/ ١٥٤، العبر ١/ ٢٢٠.

سفيان الثوري؛ ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في إبطال المقالات، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ فأخذ علم اليقين في الاندراس ذلك الزمان، حتى صار يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان، وأعرض عن ذلك إلَّا الأقلّون، فصار يسمّى المجادِل المتكلم عالمًا والقاصّ المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالمًا، وأصبح علم الآخرة مطويًا.

ومنها أنْ يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإنْ اتفق عليه الجمهور، ولينظر، هل كان أحوال الصحابة وأعمالهم التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الأوقاف وأموال الأيتام ومخالطة السلاطين، أم الخوف والحزن والتفكّر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن، واجتناب دقيق الإثم، وجليله، إلى غير ذلك. وأكثر معروفات هذه الأعصار منكرات عصر الصحابة كتزيين المساجد وتنجيدها وإنفاق الأموال العظيمة في دقائق عماراتها والفرش الرفيعة فيها وقد كان فرش البواري في المسجد من بدع الحجاج وكانوا لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزًا. ومن ذلك التلحين في الأذان والقرآن. ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة مع التساهل في حلّ الأطعمة وتحريمها إلى غير ذلك. فإذا سمعت هذه الأوصاف فكن من أهل الإنصاف بأنْ تنصف بها أو تقرّ بتقصيرك فيها. وإيَّاك وإيَّاك أنْ تكون الثالث الشقي فتصير من البطالين حتى تلحق بزمرة الهالكين. فنعوذ بالله من خدع الشيطان، وبها هلك الجمهور. ونسأل الله تعالى أنْ يجعلنا ممن لا يغرّه الحياة الدنيا ولا يغرّه بالله الغرور.

المطلب السادس في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه.

إعلم أنَّ شرف العقل معلوم بالضرورة ولا سيما قد ذكرنا شرف العلم والعقل منبعه ومطلعه وأساسه، ويجري منه مجرى الشجر من الثمر، والنور من الشمس، والرؤية من العين. فما يدلّ على شرف العلم دليل على شرف العقل بالضرورة. وكيف لا يشرف وهو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة، أو كيف يستراب فيه وأعظم البهائم بدنًا وأشدهم ضراوة وأقواهم[(١)] سطوة إذا رأى الإنسان احتشم وهابه لشعوره بما يختص به من العقل الذي تسهل به الحيل. وكذلك ترى كثيرًا من الأتراك وأجلاف العوام من الأتراك مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون مشايخهم بالطبع.

ثم إعلم أنَّ العقل يُطلق على معان:

أحدها الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وبه استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية. وهذا ما قيل في حدّه: إنَّه غريزة يتهيَّأ بها درك العلوم النظرية وكأنَّه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء.

وثانيها أنَّه بعض العلوم الضرورية لجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وهي العلوم

---

(١) كذا.

التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميّز، وهو أيضًا صحيح لأنَّ هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلًا ظاهرًا، إذْ يقال: صار الصبي عاقلًا، وهو بهذا المعنى. وأمّا من أثبت هذا ونفى المعنى الأول أعني الغريزة المذكورة فقد أخطأ.

وثالثها علوم تستفاد من التجارب لهذه الأحوال فإنَّ من هذَّبته التجارب يُقال له في العرف عاقل، ويقابله غبي غمر جاهل.

ورابعها أنْ تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أنْ يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، وهي الغاية القصوى للقوة الغريزية المذكورة. والمعنيان الأولان بالطبع للإنسان والأخيران بالاكتساب.

ثم اعلم أنَّ التفاوت يتطرَّق إلى هذه الأقسام سوى الثاني منها، لأنَّ الضروري لا تفاوت فيه. وأمَّا الرابع فلا يخفي تفاوت الناس فيه وذلك بالتفاوت في الشهوة، إذْ يغلب بعض الشهوة في البعض فلا يقدر على تركه ويضعف في الآخر فيتركه. وقد يتفاوت في شخص واحد، فإنَّ الشاب لا يقدر على ترك الزنا بخلاف الشيخ غالبًا. وأمّا بالتفاوت في العلم بغائلة الشهوة كالعامي والعالم في معرفة ضرر المعصية. وأمَّا الثالث فإنَّ الناس متفاوتون في علوم التجارب إذْ قد يتفاوت الإنسان في الغريزة، والتجارب ثمرتها، وقد يتفاوت في الممارسة فيتفاوت التجارب. وأمَّا الأول أعني تفاوت الغرائز فلا سبيل إلى جحدها لأنَّ من جوّز أنَّ عقل النبي ﷺ مثل عقل السوادية وأجلاف البوادي فقد خلع ربقة الإنسانية عن عنقه. ولولا هذا التفاوت لما اختلف الناس في فهم العلوم، ولما اقتسموا إلى بليد لا يفهم إلَّا بعد تعب طويل، وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة، وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق العلوم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذْ يتضح لهم في باطنهم أمور غامضة من غير تعلّم وسماع، ويعبّر عن ذلك بالإلهام، كما قال النبي ﷺ : «إنَّ روح القدس نفث في روعي»[1]. وأمّا ما تسمع من المتصوفة من ذمّ العقل والمعقول فذلك إطلاق خامس وهو معنى المجادلة والمناظرة بالمناقضة والإلزامات كما هو مدار صنعة الكلام، لا أنَّهم يذمون نور البصيرة التي هي أساس العلوم الشرعية، وإنْ ذُمَّت هي فما الذي يُحمد؟ إلَّا أنَّهم لم يقولوا إنَّكم أطلقتم العقل على معنى مذموم لشيوعه عند الناس في هذا المعنى. لا جرم ذموا العقل والمعقول، لكن بهذا المعنى المذموم لا بمعنى كلّ الإطلاقات، والله أعلم.

---

(١) البغوي، الحسين بن مسعود (ـ ٥١٦ هـ)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، دمشق المكتب الإسلامي، ١٤٠٠، ح ٤١١٢، ١٤/ ٣٠٤، لم نجده عند الحاكم.

علم الآثار(*)

وهو علم يبحث فيه عن أقوال العلماء الراسخين من الأصحاب والتابعين والسلف الصالحين، وأفعالهم وسِيَرِهم في أمر الدين والدنيا ومباديه أمور مسموعة من الثقات والغرض منه معرفة الأمور المذكورة ليقتدى بهم وينال ما نالوه. وهذا العلم أشدّ ما يحتاج إليه علم الموعظة. ومن الكتب المصنفة في هذا العلم كتاب سير الصحابة والتابعين والزهاد[1]، وكتاب: روض الرياحين في حكايات الصالحين[2] للإمام اليافعي[3] وغير ذلك من كتب الأحاديث والآثار.

علم الأحاجي والأغلوطات(**)

وهذا من فروع اللغة والصرف والنحو، وهو علم يبحث فيه عن الألفاظ المخالفة لقواعد العربية بحسب الظاهر وتطبيقها عليها، إذْ لا يتيسر إدراجها فيها بمجرد القواعد المشهورة. وموضوعه الألفاظ المذكورة من الحيثية المذكورة. ومباديه مأخوذة من العلوم السابقة. وغرضه تحصيل ملكة تطبيق الألفاظ التي تتراءى بحسب الظاهر مخالفة لقواعد العرب. وغايته حفظ القواعد العربية عن تطرق الاختلال. ولصاحب الكشاف[4] في هذا العلم كتابٌ سمَّاه المحاجات[5]، وغير ذلك من الكتب.

علم الاحتساب(***)

وهو النظر في أمور أهل المدينة بإجراء ما رُسِمَ في الرياسة الاصطلاحية ونَهْي ما يخالفها، أو بتنفيذ ما تقرَّر في الشرع من الأمر بالمعروف

(*) يدخل هذا العلم في المطلب الرابع في فروع علم الحديث. ضمن المطالب السبعة للشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) سير الصحابة والزهاد والعلماء والعباد لأبي محمد عبد السلام ابن محمد الخوارزمي الأندرسقاني (ـ مجهول هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٠١٣. هدية العارفين ٥/ ٥٦٩.

(٢) روض الرياحين في حكايات الصالحين لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني (ـ ٧٦٨ هـ).
كشف الظنون ١/ ٩١٨.

(٣) هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين، ولد في عدن باليمن عام ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٨ م. وتوفي بمكة عام ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٧ م. مؤرخ، باحث، متصوف من شافعية اليمن له عدة كُتب.
الأعلام ٤/ ٧٢، الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧، الفوائد البهية ٣٣، شذرات الذهب ٦/ ٢١٠.

(**) يدخل هذا العلم ضمن علوم الشعبة الثالثة من الدوحة الثانية في فروع العلوم العربية. بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل للإمام العلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ـ ٥٣٨ هـ)
كشف الظنون ٢/ ١٤٥٧.

(٥) المحاجات ومتمم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والأغلوطات للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ـ ٥٣٨ هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٦٠٧.

(***) يدخل هذا العلم ضمن علوم الدوحة الخامسة في الشعبة الرابعة في فروع الحكمة العملية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

والنهي عن المنكر. ويواظب على هذه الأمور ليلًا ونهارًا سرًا وجهارًا. إذْ السلطان بمنزلة الرأس من البدن الذي هو منبع الرأي والتدبير، والوزير بمنزلة اللسان الذي هو المعبر والسفير، والمحتسب بمنزلة الأيدي والأقدام أو المماليك والخدام. وكلّ من هؤلاء في مصلحة لا يتمّ النظام بدونها. وعلم السياسة المدنية مشتمل على بعض لوازم هذا المنصب الجليل، ولم نر كتابًا صنّف في هذا العلم خاصة.

علم أحكام النجوم(*)

أعلم أنّ أحكام النجوم غير علم النجوم، لأن الثاني يعرف بالحساب، فيكون من فروع الرياضي، والأول يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار، فيكون من فروع الطبيعي.

وأما علم أحكام النجوم فهو علم يتعرّف منه الاستدلال بالتشكّلات الفلكية من أوضاعها وهي أوضاع الأفلاك والكواكب من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد، من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان. ومن المختصرات: مجمل الأصول(١) لكوشيار(٢)، والجامع الصغير(٣) لمحي الدين المغربي(٤)، ومن المتوسطات: كتاب البارع(٥) والمغني(٦). ومن المبسوطة: مجموع ابن شرع(٧) والأدوار(٨) لأبي معشر(٩)، والإرشاد(١٠) لأبي ريحان البيروني(١١)، والمواليد(١٢) للخصيبي(١٣)،

(*) يدخل هذا العلم ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان من الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) مجمل الأصول في أحكام النجوم لأبي الحسن كوشيار بن لبان الجيلي، مات في حدود ٣٥٠ هـ.
كشف الظنون ٢/ ١٦٠٤، هدية العارفين ١/ ٨٣٨.

(٢) هو كوشيار بن لبان الجيلي، أبو الحسن. توفي عام ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ مْ مهندس فلكي من العلماء له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٢٣٦، تاريخ حكماء الإسلام ٤٣. كشف الظنون ١/ ٩٦٨، هدية العارفين ١/ ٨٣٨.

(٣) الجامع الصغير في أحكام النجوم لمحي الدين ابي الشكر المغربي (يحي بن محمد) (ـ ٢٧٢ هـ). كشف الظنون ١/ ٥٦٥.

(٤) هو محي الدين المغربي، يحي بن محمد، أبو الشكر. توفي عام ٢٧٢ هـ. عالم بالنجوم والسحر. انظر عنه:
كشف الظنون ١/ ٥٦٥.

(٥) البارع في أحكام النجوم للشيخ علي بن أبي الرحال الشيباني (ـ ؟هـ).
ويوجد البارع المدخل إلى أحكام النجوم والطوالع لأبي نصير الحسن بن علي المنجم، كان حياً سنة ٣٥٧ هـ.
كشف الظنون ١/ ٢١٧، معجم المؤلفين ٣/ ٢٦٣.

(٦) المغني في النجوم لابن شرع (ـ ؟ هـ). ويوجد المغني في إرشاد المقاصد لابن هبنتا (ـ ؟ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٥١.

(٧) مجموع ابن شرع من المبسوطات في أحكام النجوم (ـ ؟ هـ) كشف الظنون ٢/ ١٦٠٥.

(٨) علم الأدوار في أحكام النجوم للشيخ أبي معشر جعفر بن محمد البلخي المنجم (ـ ١٩٠ هـ). كشف الظنون ١/ ٥١.

(٩) هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر، توفي عام ٢٧٢ هـ/ ٨٨٦ م. عالم فلكي، منجم، له عدة تصانيف. وقد أرخ له صاحب كشف الظنون في عام ١٩٠ هـ وهو خطأ. انظر عنه الأعلام ٢/ ١٢٧، القفطي ١٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٥٨، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٤٠٤، ابن أبي اصيبعة ١/ ٢٠٧.

(١٠) الإرشاد في أحكام النجوم للشيخ أبي الريحان أحمد بن محمد (محمد بن أحمد) البيروني الخوارزمي المتوفى في حدود سنة خمسين (ثلثين) وأربعمائة. كشف الظنون ١/ ٧٠.

(١١) هو محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي. ولد عام ٣٦٢ هـ/ ٩٧٣ م. وتوفي عام ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م. فيلسوف، رياضي. فلكي ومؤرخ. صنف كتباً كثيرة. الأعلام ٥/ ٣١٤، حكماء الإسلام ٧٢، بغية الوعاة ٢٠، إرشاد الأريب ٦/ ٣٠٨، اللباب ١/ ١٦٠.

(١٢) المواليد وتحويلها في أحكام النجوم لأبي معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي (ـ ؟ هـ) وللخصيبي (ـ ؟ هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨٩٤، هدية العارفين ٥/ ٢٥١.

(١٣) الخصيبي من علماء الفلك وأحكام النجوم. مجهول المولد والوفاة. كشف الظنون ٢/ ١٨٩٤، هدية العارفين ١/ ٢٥١.

والتحاويل[١] للسجزي[٢]، والقرانات[٣] للبازيار[٤]، والمسائل[٥] للقصراني[٦]، والاختيارات العلائية[٧] ودرج الفلك[٨] لتنكلوشا[٩]، والتفهيم[١٠] للبيروني.

واعلم أنَّ كثيرًا من العلماء على تحريم علم النجوم مطلقًا، وبعضهم على تحريم اعتقاد أنَّ الكواكب مؤثرة بالذات. وقد ذكر عن الشافعي رحمه الله أنَّه قال: إنْ كان المنجّم يعتقد أنْ لا مؤثّر إلَّا الله لكن أجرى الله تعالى عادته بأنَّه يقع كذا عند كذا، والمؤثّر هو الله، فهذا عندي لا بأس به. وحيث جاء الذم ينبغي أن يحمل على من يعتقد تأثير النجوم. ذكره ابن السبكي في طبقاته الكبرى[١١]. وفي هذا الباب أطنب صاحب مفتاح دار السعادة[١٢] لا أنَّه أفرط في الطعن.

علم أحوال رواة الأحاديث(*)

من وفيّاتهم وقبائلهم وأوطانهم وجرْحهم وتعديلهم وغير ذلك من الأحوال. وهذا العلم من فروع التواريخ من وجه، ومن فروع الأحاديث من وجه آخر. وقد صنّف العلماء فيها تصانيف كثيرة سنذكر نبذًا منها فيما سيأتي، فتذكر تفقه.

علم أخبار الأنبياء(**)

وهذا من فروع التواريخ، وقد اعتنى بها

---

(١) أحكام تحاويل سنن العالم لأحمد بن محمد بن عبد الجليل السجزي أبو سعيد المنجم (ـ ٤٧٧ هـ).
كشف الظنون ١/١٨، هدية العارفين ١/ ٨٠.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد الجليل، أبو سعيد السجزي. توفي عام ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤ م. رياضي، عالم بالهندسة والفلك والنجوم، له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ١/٢١٣، هدية العارفين ١/ ٨٠.

(٣) القرانات في النجوم لمحمد بن عبد الله بن عمر المعروف بابن البازيار البغدادي (ـ ٢٤٥ هـ).
ويوجد القرانات في الأحكام لبازيار.
كشف الظنون ٢/ ١٣٢٤، هدية العارفين ٢/ ١٤، معجم المؤلفين ١٠/ ٢٢٨.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن عمر المعروف بابن البازيار البغدادي، توفي غام ٢٤٥ هـ، منجم، فلكي، له عدة كتب. انظر: كشف الظنون ٢/ ١٣٢٤، هدية العارفين ٢/ ١٤، معجم المؤلفين ١٠/ ٢٢٨.

(٥) مسائل القصراني في أحكام النجوم لأبي يوسف يعقوب بن علي القصراني (ـ مجهول هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٦٦٩.

(٦) هو ابو يوسف يعقوب بن علي القصراني مجهول المولد والوفاة عالم بالفلك وأحكام النجوم.
كشف الظنون ٢/ ١٦٦٩.

(٧) الاختيارات العلائية المسماة بالأحكام العلائية في الأعلام السماوية، فارسي مختصر في الاختيارات النجومية للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ـ ٦٠٦ هـ).
كشف الظنون ١/ ٣٥، ١٩.

(٨) درج الفلك في الأحكام لتنكلوشا (ـ؟ هـ).
كشف الظنون ١/ ٧٤٥.

(٩) تنكلوشا مجهول المولد والوفاة. من علماء الفلك وأحكام النجوم. كشف الظنون ١/ ٧٤٥.

(١٠) التفهيم لأوائل صناعة التنجيم على طريق المدخل لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ـ ٤٤٠ هـ).
كشف الظنون ١/ ٤٦٣، معجم المؤلفين ٨/ ٢٤١.

(١١) طبقات الشافعية الصغرى والوسطى والكبرى لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري الشافعي السبكي أبو نصر تاج الدين (ـ ٧٧١هـ) معجم المؤلفين ٦/ ٢٢٥، هدية العارفين ١/ ٦٣٩.

(١٢) مفتاح دار السعادة للشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية الدمشقي (ـ ٧٥١ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٦١.

(*) يدخل هذا العلم ضمن علوم المطلب الثاني في فروع العلم الحديث، ضمن علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يدخل هذا العلم ضمن علوم الشعبة الثالثة من الدوحة الثانية في فروع العلم العربية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

العلماء. وهو حقيق بالاعتناء، وأفردوها في التدوين، منها قصص الأنبياء[١] لابن الجوزي وغيره.

علم الاختلاج(*)

وهو علمٌ باحثٌ عن كيفية دلالة اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم على الأحوال التي ستقع عليه، وأحواله ونفعه والغرض منه ظاهرة. لكنه علم لا يعتمد عليه لضعف دلالته وغموض استدلاله. ورأيت في هذا العلم رسائل مختصرة لكنّها لا تشفي العليل ولا تسقي الغليل.

علم الاختيارات(**)

وهو علمٌ باحثٌ عن أحكام كلّ وقت وزمان من الخير والشر، وأوقات يجب الاحتراز فيها عن ابتداء الأمور، وأوقات يستحبّ فيها مباشرة الأمور، وأوقات يكون مباشرة الأمور فيها بين بين. ثم كلّ وقت له نسبة خاصة ببعض الأمور بالخيرية وببعضها بالشرية، وذلك بحسب كون الشمس في البروج والقمر في المنازل، والأوضاع الواقعة بينهما من المقابلة والتربيع والتسديس وغير ذلك، حتى يمكن بسبب ضبط هذه الأحوال اختيار وقت لكلّ أمر من الأمور التي تقصدها، كالسفر والبناء وقطع الثوب إلى غير ذلك من الأمور. ونفع هذا العلم بيِّن لا يخفى على أحد.

علم الإخفاء(***)

وهو علم يتعرّف منه كيفية إخفاء الشخص نفسه عن الحاضرين بحيث يراهم وهم لا يرونه، ولها دعوات وعزائم، إلّا أنّ الغالب على ظنّي أنّ ذلك لا يمكن إلّا بالولاية بطريق خرق العادة لا بمباشرة أسباب يترتّب عليها ذلك عادة. وكثيرًا ما نسمع هذا، لكن لم نرَ مَنْ فعله أو رأى مَنْ فعله، إلّا أنّ خوارق العادات لا ينكر سيّما من أولياء هذه الأمة قدّس الله تعالى أسرارهم.

علم الأخلاق(****)

وهو علم يعرف منه أنواع الفضائل، وهي اعتدال قوى هي القوة النظرية والغضبية والشهوية، كلّ منها أوساط بين رذيلتين: الحكمة وهي كمال القوة النظرية وهي التوسط بين رذيلتي البلادة والجربزة، الأولى تفريطها والثاني إفراطها. والشجاعة وهي كمال القوة الغضبية وهي التوسط بين رذيلتي الجبن والتهوّر، والأول تفريطها والثاني افراطها. والعفة وهي كمال القوة الشهوية وهي التوسط بين رذيلتي الخمود والفجور، والأول تفريطها والثاني إفراطها. وهذه الثلاثة أعني الحكمة والعفة والشجاعة لكلٍّ منها فروع، كلّ منها توسّط بين رذيلتين، «وخير الأمور أوساطها»[٢]، فيذكر في علم الأخلاق تعريفات هذه الأمور. ثم طريق العلاج بأنْ يفتر عن طرفي التوسط ويعتدل في الوسط. فموضوع هذا العلم الملكات النفسانية من حيث تعديلها بين

---

(١) قصص الأنبياء، لابن الجوزي، يرجح أنه المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، حيث عالج في الجزء الأول والثاني قصص الأنبياء. كتاب مطبوع، دار الكتب العلمية.

(*) يدخل هذا العلم ضمن علوم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، من علوم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يدخل هذا العلم ضمن علوم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، من علوم العنقود الثالث في فروع علم أحكام النجوم، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يدخل هذا العلم ضمن علوم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، من علوم العنقود الرابع في فروع السحر، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) ويتبع الشعبة الأولى من شعب الدوحة الخامسة في الحكمة العملية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، باب بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة، ٧/٣٣٦.

الإفراط والتفريط. قالت الحكماء للإسكندر: أيّها الملك، عليك بالاعتدال في كلّ الأمور فإنّ الزيادة عيب والنقصان عجز. ومنفعته أنْ يكون الإنسان كاملًا في أفعاله بحسب الإمكان ليكون في أولاه سعيدًا وأخراه حميدًا. ومن الكتب المختصرة فيه: كتاب البر والإثم[١] لأبي علي بن سيناء[٢]، وكتاب الفوز[٣] لأبي علي مسكويه[٤]. ومن المبسوطة: كتاب الإمام فخرالدين بن الخطيب الرازي[٥] رحمه الله.

علم أخلاق النبوّة(*)

ليكون أنموذجًا لمن طلب تزكية الأخلاق ونتيجة لما ذكر في هذه الأوراق. وكان ﷺ كثير الضراعة والابتهال، دائم السؤال من الله عز وجل أنْ يزيّنه بمكارم الأخلاق والآداب. وكان دائمًا يقول: «اللهمّ حسّنْ خَلْقي وخُلُقي»[٦]، حتى استجاب الله دعوته، وأنزل عليه القرآن، وعمل بما فيه حتى كان خلقه القرآن كما هو المأثور عن عائشة رضي الله عنها[٧]. ثم رغَّب الناس في حسن الخلق، قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٨]. وبيَّن للناس أنَّ الله تعالى يحبّ مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها.

وكان ﷺ حسن العشرة، وكريم الصنيعة، ليّن الجانب. وكان يحبّ بذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم برًّا كان أو فاجرًا، وتشييع جنازة المسلم، وحسن الجوار لمن جاوره مسلمًا كان أو كافرًا، وتوقير ذي الشيبة المسلم، وإجابة الدعوة للطعام والدعاء عليه، والعفو، والإصلاح بين الناس، والجود والكرم، والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ والعفو عن الناس. وأذهبَ بدين الإسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف كلّها، وكلّ ذي وَتَر، وكلّ دَخَل، والكذب والغيبة، والبخل والشح، والجفاء والمكر والخديعة والنميمة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق، والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة، والمدح، والفحش، والتفحش، والحقد والحسد، والطيرة والبغي والعدوان والظلم.

وكانت وصيته تقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار ورحم اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم

---

(١) البرء الآثم في الأخلاق، مجلدان للشيخ الرئيس أبي علي حسين بن عبد الله ابن سينا (ـ ٤٢٨ هـ). كشف الظنون ١/ ٢٣٨.
(٢) سبق التعريف به.
(٣) كتاب الفوز الأصغر للشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه (ـ ٤٢١ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٠٣. وقد ورد في معجم المؤلفين باسم الفوز الأكبر ٢/ ١٦٩.
(٤) هو أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي. توفي عام ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م. مؤرخ، باحث. اشتغل بالفلسفة والمنطق والكيمياء وعلوم التاريخ والأدب والإنشاء وله مواقف مع بعض الخلفاء. كما له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢١١، إرشاد الأريب ٢/ ٤٩، القفطي ٢١٧، طبقات الأطباء ١/ ٢٤٥، آداب اللغة ٢/ ٣١٧، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٧٧.
(٥) انظر ترجمته في: الأعلام ٦/ ٣١٣، طبقات الأطباء ٢/ ٢٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٧٤. آداب اللغة ٣/ ٩٤، البداية والنهاية ١٣/ ٥٥ وغيرها.
(*) علم أخلاق النبوة هو الأصل العاشر من الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، وذلك بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب المعيشة، باب بيان تأديب الله تعالى حبيبه ﷺ، ٧/ ٩١.
(٧) سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن. رواه أحمد بن حنبل، المسند، ٦/ ٩١، ١٨٨.
(٨) سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق ١٠/ ١٩٢.

الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح.

ونهى أنْ تسبّ حكيمًا أو تصدّق كاذبًا أو تكذّب صادقًا، أو تطيع آثمًا أو تعصي إمامًا عادلًا أو تفسد أرضًا، وأوصيك[١] باتقاء الله عند كلّ حجر وشجر ومدر، وأنْ تحدث لكل ذنب توبة، السرّ بالسرّ والعلانية بالعلانية.

ومن أخلاقه ﷺ أنّه كان أحلم وأشجع وأعدل وأعفّ، ولم تمس يده يد امرأة لا يملك رقّها أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات رحم محرم. وكان أسخى لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإنْ فضل ولم يجد من يعطيه لم يأوِ إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلّا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير وينفق غيره في سبيل الله، لا يسأل شيئًا إلّا أعطاه، وربما يؤثر من قوته.

وكان يخصف النعل ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، وكان أشدّ الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد، يجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية ولو أنّها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة الأمَة والمسكين. يغضب لربه لا لنفسه، وينفذ الحق وإن أضر على نفسه. وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ويأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد برًا أو شعيرًا أو حلوى أو عسلًا أو لبنًا. لا يأكل متكئًا ولا على خوان. منديله باطن قدمه. لم يشبع من خبز برٍّ ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله إيثارًا على نفسه لا فقرًا ولا بخلًا، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أحسن الناس بشرًا وتواضعًا وأبلغهم في غير تطويل، لا يهوله شيء من أمور الدنيا، ويلبس ما وجد شملة وبُرْد حبرة يمانيًا وجبّة صوف، وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر، يردف خلفه عبده أو غيره، ويركب ما أمكنه فرسًا وبغلة وحمارًا وبعيرًا، أو يمشي راجلًا حافيًا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة. يحبّ الطيّب ويكره الرائحة الكريهة، ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألّف أهل الشرف بالبر لهم. يصل ذوي رحمه من غير أنْ يؤثرهم على من هو أفضل منهم. لا يجفو على أحد، يقبل المعذرة ويمزح، ولا يقول إلّا حقًا. يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح ولا ينكره، ويسابق أهله وترفع الأصوات عليه فيصبر.

وكان له لُقاح وغنم يتقوّت هو وأهله من ألبانها، وكان له عبيد وإماء، لا يرتفع عليهم في مأكل وملبس. يمضي أوقاته في عمل الله تعالى أو فيما لا بدّ له. يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحقِّر مسكينًا ولا يهاب ملكًا. يدعو كليهما إلى الله دعاءً واحدًا.

قد جمع الله به السيرة الفاضلة والسياسة التامة، وهو أمّي لا يكتب ولا يقرأ. نشأ في بلاد الجهل والصحارى ورعاية الغنم، يتيما لا أبَ له ولا أمّ، فعلّمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا، ولزوم الواجب وترك الفضول. وفقنا الله لطاعته والتأسّي به في فعله آمين يا ربّ العالمين.

ومن آدابه ﷺ ما شتم أحدًا إلّا جعل له كفارة ورحمة، وما لعن أحدًا، وكان يقول: «إنّما بعثت رحمة ولم أبعث لعانًا[٢]». وما يدعو على أحد كافرًا أو مسلمًا، وما ضرب بيده أحدًا إلّا في

---

(١) في النسخة المصرية: أوصاك.

(٢) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، كتاب آداب المعيشة، باب بيان جملة أخرى من أخلاقه، ١٠٧/٧.

سبيل الله، وما انتقم لنفسه إلّا أنْ تنتهك حرمة الله. وما خيِّر بين أمرين إلّا اختار أيسرهما إلّا أنْ تكون ثمة إثم أو قطيعة رحم، وما كان يأتيه حرٌّ أو عبدٌ أو أمَةٌ إلّا قام معه في حاجته. وما قال لمن يخدمه لِمَ فعلته ولا لام أحدًا[١] إلّا قال دعوه، إنّما كان هذا بكتاب وقدر.

وربما يضطجع على الفراش وعلى الأرض، ولا يأخذ أحد يده ولا يكلّمه أحد إلّا يكون هو الذي يرسلها أو هو الذي ينصرف أولًا. وكان أكثر جلوسه الحبوة، وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويجلس مستقبل القبلة. وكان يؤثر الداخل بالوسادة التي تحته فإنْ أبى عزم عليه حتى يفعل. وكان يدعو أصحابه بل النساء والصبيان بكُناهم. وكان أبعد الناس غضبًا فأسرعهم رضًا. وكان لا ترفع في مجلسه الأصوات. وكان إذا قام من مجلسه قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، ثم يقول: علمنيهن جبرائيل عليه السلام»[٢].

وأمّا كلامه وضحكه، كان أفصح الناس نطقًا وأحلاهم كلامًا، وكان لا يسرد الكلام، وكان أوجز كلامًا ويتكلّم بجوامع الكلم، لا فضول ولا تقصير، وكان بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه. وكان جهير الصوت، أحسن الناس نغمة، وكان طويل السكوت لا يتكلّم في غير حاجة، ولا يقول في الرضا والغضب إلّا الحق. وكان أكثر الناس تبسمًا وضحكًا في وجوه أصحابه، وربما ضحك حتى تبدو نواجذه. وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداءً به وتوقيرًا له. وكان أكثر الناس تبسمًا وأطيبهم نفسًا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة. وكان إذا سُرّ ورضي فهو أحسن الناس، وإنْ وعظ وعظ بجدّ، وإنْ غضب ولم يكن يغضب إلّا لله لم يقم لغضبه شيء، وكان إذا نزل به الأمر فوّض الأمر وتبرّأ من الحول والقوة.

أمّا آدابه في الأكل فكان يأكل ما وجد، وكان يحبّ كثرة الأيدي على الطعام، وكان يجلس عند الأكل كما يجلس المصلّي إلّا أنّ الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم، وكان لا يأكل الحار، ويأكل مما يليه بأصابعه الثلاث، وربما استعان بالرابعة. وكان يأكل خبز الشعير غير منخول، ويأكل القثاء بالرطب، ويحبّ البطيخ والعنب، ويأكل البطيخ بالخبز وبالسكر وربما أكله بالرطب ويستعين باليدين جميعًا، وكان يحفظ نوى الرطب في يساره فعرض النوى بالشاة[٣] فجعلت تأكل في يده اليسرى وهو ﷺ يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة. وربما أكل العنب خرطًا يرى رؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر منه، وكان أكثر طعامه التمر والماء، وكان يجمع التمر باللبن ويسمّيهما الأطيبين، وكان أحبّ الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيِّد الطعام في الدنيا والآخرة، وكان يأكل الثريد باللحم والقرع، ويأكل الخبز والسمن، ويحبّ من الشاة الذراع والكتف، ومن القدر الدباء، ومن الصباغ الخل، ومن التمر العجوة، وقال: «العجوة من الجنة وشفاءٌ من السُّمِّ والسحر»[٤].

كان يحبّ من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء، ولا يأكل الثوم والبصل والكراث، وكان يكره أكل الكليتين لمكانهما من

---

(١) كذا، وهو تصرف في حديث أنس، وأصله في الإحياء: وما لامني أحد من أهله إلاّ قال... إلخ.
(٢) مستدرك الحاكم، كتاب الدعاء، باب كفارة المجالس، ١/ ٥٣٧.
(٣) وأصله في الإحياء... فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت... إلخ.
(٤) سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الكمأة والعجوة، ح ٢٠٦٨، ٤/ ٤٠١، بلفظ: «وهي شفاء من السم». دون لفظ «والسحر».

البول، وكان يعاف القلب والطحال. وإنْ عاف طعامًا تركه ولم يبغضه إلى غيره، وكان يلعق الصفحة ويقول آخر الطعام أكثر بركة، وكان يلعق أصابعه حتى تحمر ثم يمسح بالمنديل، ويغسل يديه من الخبز واللحم خاصة، ثم يمسح بالماء على وجهه، وكان يمص الماء مصًا ولا يعبّ عبًّا، ويشرب في ثلاث دفعات فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات، وربما يشرب بنفسٍ واحد. وإذا تنفَّس ينحرف عن الإناء ويدفع فضلَ سؤره إلى من على يمينه، فإنْ كان من على يساره أجلّ رتبة قال للذي عن يمينه: السُّنّة أنْ تعطي فإنْ أحببت آثرتهم. وأتي بإناء فيه عسل ولبن وقال: «شربتان في شربة، وإدامان في إناء واحد. ثم قال: لا أحرِّمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدًا، وأحبّ التواضع، فإنَّ من تواضع لله رفعه»[١].

وكان في بيته أشدّ حياء من العاتق لا يسألهم طعامًا ولا يتشهاه عليهم، وإن أطعموه أكل وما أعطوه قبل، وما سقوه شرب، وربما قام فأخذه بنفسه.

وأمّا لباسه فما وجده من إزار أو رداء أو قميص أو جبة، ويعجبه الخضر، ويكثر لباس البياض. وكان يلبس القباء المحشو للحرب، وكانت ثيابه فوق الكعبين وإزار فوق ذلك إلى نصف الساق. وكان قميصه مشدود الأزرار، وربما حلّ الأزرار في الصلاة وغيرها. وكان له ملحفة مصبوغة بالزعفران، وربما صلّى بالناس فيها وحدها، وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره. وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول: «أنا عبد ألبس كما يلبس العبد»[٢].

وكان له ثوبان لجمعته خاصة وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره. وكان يتختَّم، وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكَّر به الشيء، وكان يختم به على الكتب. وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة، وربما نزع قلنسوة من رأسه فجعلها سترة في صلاته، وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته، وكانت له عمامة تسمَّى السحاب وهبها من عليّ رضي الله عنه. وكان إذا لبس جديدًا أعطى خَلِقَ ثيابه مسكينًا. وكان له فراش من أدْم، حشوه ليف، طوله ذراعان أو نحوه، وعرضه ذراع وشبرًا ونحوه. وكانت له عباءة تفترش له حيث ينتقل تثنى طاقتين تحته، وكان ينام على حصير ليس تحته شيء غيره، وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه، فكان اسم رايته العقاب واسم سيفه ذو الفقار، وآخر المخذم، وآخر الرسوب، وآخر القضيب. وكانت قبيعة سيفه من الفضة. وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حِلَق من فضة، وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور، واسم فرسه المرتجز، وناقته القصوى، ويقال لها العضباء، وبغلته الدلال، وحماره يعفور، وشاته التي يشرب لبنها عنبة.

وكان له مطهرة من فخّار يتوضأ ويشرب منها، ويرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد ميّزوا فيدخلون ويشربون منه، ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة.

وكان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة، وكان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن، يعرف في وجهه غضبه ورضاه، وإذا اشتدّ وجده أكثر من مسٍّ لحيته. وكان أجود الناس وأسخاهم سيّما في رمضان، وما سُئل شيئًا قط على الإسلام إلَّا أعطاه. وكان أنجد الناس وأشجعهم وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، باب بيان أخلاقه وآدابه، ٧/ ١٢٥.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة، باب بيان أخلاقه وآدابه، ١٢٨/٧، بلفظ: «العبيد».

الحرب، وكان أشدّ الناس تواضعًا في علوّ منصبه. قال ابن عمر: رأيته ﷺ يرمي الجمرة على ناقته صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك. وكان يركب الحمار موكفًا عليه قطيفة، ومع ذلك كان يستردف.

وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك، وكان يسلِّم على الصبيان، وكان لا يأكل على خوان ولا على سكرجة حتى لحق بالله عز وجل. وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلّا قال: لبيك. وأتي برجل فأرعد من هيبته فقال له: «هوِّنْ عليك، فلست بملك. إنَّما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[١]. وربما تكلّم مع الناس في أمر الآخرة، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه ويذكرون من أمر الجاهلية، فيضحكون وهو يتبسم رفقًا بهم وتواضعًا، ولا يزجرهم إلّا عن حرام.

وكان ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردّد، وكان ينسب إلى الربعة. وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو إلى الربعة. وكان أزهر اللون لم يكن بالآدم ولا الشديد البياض. وكان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط، وكان شعره يضرب منكبيه. وأكثر الرواية أنَّه إلى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعًا يخرج كلّ أذن من بين غديرتين، وربما جعل شعره على أذنه فتبدو سوالفه تتلألأ. وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة فقط. وكان واسع الجبهة أزجّ الحاجبين وأبلج ما بينهما، وعيناه نجلاوان أدعجهما مع مزج حمرة فيهما. وكان أهدب الأشفار تلتبس من كثرتها. وأقنى العرنين مفلج الأسنان، إذا ضحك افترّ عن سنا البرق إذا تلألأ، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم. وكان سهل الخدين صلبهما، لا بالطويل الوجه ولا المكلثم، كثّ اللحية. وكان يعفي لحيته ويأخذ من شاربه. وكان من أحسن الناس عنقًا، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنَّه ابريق فضة مشرب ذهبًا يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب.

وكان عريض الصدر موصول ما بين لبته وسرّته منقادًا[٢] كالقضيب، لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره، كانت له عِكَنٌ ثلاث، يغطي الإزار واحدة منها وتظهر اثنتان. وكان عظيم المنكبين أشعرهما، ضخم الكراديس، أي رؤوس العظام من المرفقين والوركين. وكان واسع الظهر، بين كتفيه خاتم النبوّة وهو مما يلي منكبه الأيمن، فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة، حولها شعرات متواليات كأنَّها عرف فرس. وكان عبل العضدين والذراعين، طويل الزندين، رحب الراحتين، سائل الأطراف. وكانت أصابعه قضبان الفضة وكفّه ألين من الحرير، وكأنَّ كفّه كفّ عطّار طيبًا، مسَّها بطيب أو لم يمسها. يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه.

وكان عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق، وكان معتدل الخلق في سمن بدن في آخر زمانه، وكان لحمه متماسكًا يكاد يكون على الخلق الأول، لم يضرّه السّن، وكان يمشي كأنَّما ينقلع من صخر ويتحدّر من صبب، يخطو تكفيًا ويمشي الهوينا بغير تبختر؛ والهوينا: تقارب الخطى.

وأمَّا معجزاته وآياته فخارجة عن حدّ العدّ والإحصاء سيّما المعجزة الكبرى الباقية إلى آخر

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، باب أخلاقه ﷺ ٤٦٦/٢.
السيوطي، الدر المنثور، ١١/٦. بلفظ: هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت...
(٢) عبارة الأحياء: ... وسرته شعر منقاد.

الدهر، تحدَّى بها بلغاء عدنان وفصحاء قحطان، وجزيرة العرب مملوءة بالآلاف منها، ونادى بين أظهرهم بأنْ يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله، أنْ شكوا فعجزوا عن ذلك عن آخرهم حتى عرَّضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي، فما استطاعوا أنْ يعارضوا ولا أنْ يقدحوا في حسنه وجزالته، ثم انتشر ذلك بعده ﷺ في أقطار العالم شرقًا وغربًا، قرنًا بعد قرن، وعصرًا بعد عصر، فلم يقدر أحد على معارضته. فأعظم بحمق من رأى معجزاته وأخلاقه وآدابه، ثم في استمرار شرعه إلى قريب من خمسين وتسعمائة[١]، ثم في انتشاره في أقطار العالم وإذعان ملوك الأرض في عصره وبعد عصره، والمدة ما ذكر، ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وخلود شرعه إلى انقراض الدنيا.

فنسأل الله أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأقوال والأفعال والأحوال إنَّه الكريم ذو الجلال، وهو العليم بكل الحال بمنه وجوده.

علم آداب الأكل[*]: وفيه مطالب.

المطلب الأول:

في أحوال المنفرد وهي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في آدابه قبل الأكل وهي سبعة:

الأول أنْ يكون الطعام حلالًا في الشرع في نفسه ومن جهة كسبه، وطيبًا في الورع. وستعرف معنى الحلال الطيب، وهو من الفرائض وأصول الدين.

الثاني غسل اليد قبل الطعام وبعده. قال ﷺ: «الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم»[٢].

الثالث أنْ يوضع الطعام على السفرة دون الخوان والموائد لأنَّه أقرب إلى التواضع وأوفق للسُّنَّة، وإنْ جاز الأكل على غيرها أيضًا.

الرابع أنْ يحسن الجلسة بأنْ يجثو على ركبتيه ويجلس على ظهر قدميه أو ينصب رجله اليمنى على اليسرى، كذا فعل ﷺ، وكان يقول: «أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»[٣]. ويكره قائمًا ومتكئًا إلَّا ما يتنقل به من الحبوب. والشرب متكئًا مكروه ويضر المعدة.

الخامس أنْ ينوي بأكله أنْ يتقوّى على الطاعة ليكون أكله عبادة، ولا يقصد التلذذ والتنعم ويعزم على التقليل، إذْ الشبع يمنع العبادة، وبه يعرف كون نيته قصد العبادة بأنْ لا يمد يده إلَّا وهو جائع، ويرفعه قبل الشبع. ومن فعل كذلك استغنى عن الطبيب وأقوى على العبادة. وأدنى درجات الأكل وأوسطه ما ورد في الحديث: «ما ملأ آدمي وعاء شر من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإنْ لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»[٤].

السادس أنْ يرضى بالموجود ويقنع بالحاضر ولا ينتظر الزيادة، مثلًا إذا حضر الخبز لا ينتظر الإدام.

السابع أنْ يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله لأنَّ فيه البركة. وكان ﷺ لا

(١) التحديد الزمني هنا ـ خمسين وتسعماية ـ من التاريخ الهجري، هو العام الذي كان يكتب فيه المؤلف ـ طاش كبري زاده ـ كتابه مفتاح السعادة. وليس في تحديد العام حصر لمدة معينة، بل المراد أن شرع النبي ﷺ مستمر إلى انتهاء الدنيا.

(*) هذا هو الأصل الأول من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، وذلك بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، الباب الأول فيما لا بد للمنفرد منه، ٥/ ٢١٢.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، باب الفسم الأول في الآداب التي تتقدم على الأكل، ٥/ ٢١٤.

(٤) سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل. . ، ح ٣٣٤٩، ٢/ ١١١١، بلفظ: «الآدمي» بدلاً من «ابن آدم»، و«فإن غلبت الآدمي نفسه» بدلاً من «فإن لم يفعل».

يأكل وحده.

القسم الثاني: في آداب حالة الأكل، وهو أن يبتدىء ببسم الله ويختم بالحمد لله، بل يقول مع اللقمة: بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن الرحيم. ولو قال مع كل لقمة بسم الله لكان أحسن لئلّا يصدّه الشَّرَه عن ذكر الله، ويجهر ليذكر غيره. ويأكل باليمين، ويبدأ بالملح ويختم به، ويصغّر اللقمة، ويجود مضغها، وما لم يبتلعها لم يمد يده إلى الأخرى، فإنَّ ذلك عجلة مذمومة، وأنْ لا يذم مأكولًا، وأنْ يأكل مما يليه إلّا الفاكهة لأنَّه ليس نوعًا واحدًا، وأنْ لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام، بل يأكل من استدارة الرغيف، إلّا إذا قلّ الخبز فيكسر الخبز ولا يقطعه ولا اللحم بالسكين. ولا يضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلّا ما يؤكل به. ولا يمسح يده بالخبز إذْ ورد الأمر في الحديث بإكرام الخبز وأنَّه من بركات السماء، وإذا كان باللقمة أذى فليمط ذلك وليأكل ولا يدعها للشيطان، وألّا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنَّه لا يدري في أي طعامه البركة. وورد النهي عن النفخ في الطعام الحار بل يصبر إلى أنْ يسهل أكله، ويأكل من التمر وترًا سبعًا أو تسعًا أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين، أو ما اتفق، ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق، ولا في كفه بل يجمعه على ظهر كفه ثم يلقيها، وكذا ما له عجم أو ثفل. وأنْ لا يكثر الشرب أثناء الطعام إلّا إذا غصّ بلقمة أو صدق عطشه. ويقال إنَّ ذلك مستحب طبًا لأنَّه دباغ المعدة.

وأمَّا الشراب فأدبه أخذ الكوز بيمينه ويقول: بسم الله ويشربه مصًا لا عبًا ولا قائمًا ومضطجعًا، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه، وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده بالتسمية، ويشرب في ثلاثة أنفاس ويحمد كلّ مرَّة في أواخرها ويسمِّي في أوائلها، ويقول في آخر النفس الأول: الحمد لله، وفي الثاني يزيد ربّ العالمين، وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم. والكوز وكلّ ما يدار على القوم يدار يمنة، كذا أورده السُّنّة. وقال ﷺ بعد الشرب: «الحمد لله الذي جعله عذبًا فراتًا برحمته ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا»(١).

القسم الثالث: في الآداب بعد الطعام وهو أنْ يغسل يده بعد لعق أصابعه ويلتقط فتات الطعام. قال ﷺ: «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعةٍ وعُوفي في ولده»(٢). وقيل: إنَّه مهور الحور العين. ويخلل أسنانه ويرمي ما خرج إلّا ما يجتمع بين أصول أسنانه فخرج بلسانه، وليتمضمض بعد الخلال، وأنْ يلعق القصعة، وأنْ يشكر على الطعام بقلبه.

وإنْ أكل حلالًا قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات. اللهم أطعمنا طيبًا واستعملنا صالحًا. وإنْ أكل شبهة فيقول: الحمد لله على كلّ حال، اللهم لا تجعله قوّةً لنا على معصيتك، ويقرأ بعد الطعام: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾(٣) و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾(٤)، ولا يقوم قبل رفع المائدة. وإنْ أكل طعام غيره فليقل: اللهم بارك له فيما رزقته ويسّر له أنْ يفعل منه خيرًا، وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإيَّاه من الشاكرين. [وإنْ أفطر عند قوم فليقل: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم](٥) الأبرار

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، باب القسم الثاني في آداب حالة الأكل، ٥/ ٢٢٣.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب آداب الأكل، باب ما يستحب بعد الطعام، ٥/ ٢٢٤.

(٣) الإخلاص/ ١.

(٤) قريش/ ١.

(٥) ما بين المعقوفين ساقطة من النسخة المصرية.

وصلّت عليكم الملائكة. وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفىء بدموعه وحزنه حرّ النار التي تعرّض لها بقوله ﷺ: «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»[١]. وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو، وليقل إذا أكل لبنًا خاصًا به: «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»[٢]. وخصَّ رسول الله ﷺ هذا الدعاء باللبن لعموم نفعه.

وإنْ أكل غير اللبن قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرًا منه.

ويستحب عقيب الطعام أنْ يقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، سيدنا ومولانا، يا كافي من كلّ شيء ولا يكفي منه شيء، أطعمت من جوع وآمنت من خوف، فلك الحمد. آويت من يُتْم وهديت من ضلالة، وأغنيت من عيلة، فلك الحمد حمدًا كثيرًا دائمًا طيبًا نافعًا مباركًا فيه كما أنت أهله ومستحقه. اللهم كما أطعمتنا طيبًا فاستعملنا صالحًا. اللهم اجعله عونًا لنا على طاعتك، ونعوذ بك أنْ نستعين به على معصيتك.

وأمَّا كيفية غسل اليد بالأشنان: أن يجعله على كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولًا، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم بإصبعيه، ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان، ثم يغسل أصابعه ظهرًا وبطنًا ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله.

المطلب الثاني

في آداب الجماعة في الأكل، وهي سبعة:

الأول: أن لا يبتدىء قبل من يستحق التقديم بكبر سنّ أو زيادة فضل، إلَّا أنْ يكون المقتدي فيعجل لئلَّا ينتظر فيعجل.

الثاني: أنْ لا يسكتوا، بل يتكلَّمون بالمعروف وحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها. وإنَّما السكوت من فعل الأعاجم.

الثالث: أنْ لا يأكل زيادة على رفيقه، فإنَّ ذلك حرام إنْ لم يرض رفيقه به، والطعام مشترك، بل يقصد الإيثار، ولا يأكل تمرتين في دفعة إلَّا إذا استأذنهم، وفعل الكلّ، وينشط رفيقه ويرغبه في الأكل إنْ قلَّل ويقول ولا يزيد على ثلاث لئلَّا يكون إلحاحًا، ولا يحلف عليه بالأكل لما قال الحسن بن عليّ[٣]: الطعام أهون من أنْ يحلف عليه.

الرابع: أنْ لا يحوج رفيقه إلى أنْ يقول له كل، ويحمل عنه مؤنة القول، ولا يدع ما يشتهيه فإنَّه تصنّع ورئاء بل يجري على المعتاد، ولا ينقص عن عادته في الواحدة حتى لا يحتاج إلى التصنّع عند الاجتماع، إلَّا أنْ يقلّل إيثارًا لإخوانه ونظرًا لهم عند الحاجة لأنَّه حسن. وإنْ زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم فلا بأس به بل هو حسن.

الخامس: غسل يده في الطشت وإذا قدّمه إليه غيره إكرامًا له فليقبله، كما قدم أنس[٤] إلى

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، باب القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام، ٥/ ٢٢٦.

(٢) مسند أحمد، ١/ ٢٢٥.

(٣) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد، ولد في المدينة عام ٣ هـ/ ٦٢٤ م. وتوفي فيها عام ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م. ثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. ابن بنت الرسول ﷺ، عاقل حليم فصيح محب للخير. بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه لكنه خلعها عن نفسه.
الأعلام ٢/ ١٩٩، الإصابة ١/ ٣٢٨، اليعقوبي ٢/ ١٩١، حلية الأولياء ٢/ ٣٥، تاريخ الخميس ٢/ ٢٨٩.

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة. ولد بالمدينة عام ١٠ ق. هـ/ ٦١٢ م وتوفي البصرة عام ٩٣ هـ/ ٧١٢ م. صاحب الرسول ﷺ وخادمه روى عنه رجال الحديث عدة آلاف من الأحاديث.
الأعلام ٢/ ٢٤، طبقات ابن سعد ٧/ ١٠، تهذيب ابن عساكر ٣/ ١٣٩، صفة الصفوة ١/ ٢٩٨.

ثابت[١] فامتنع، فقال أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها إليه فإنَّما يكرم الله عز وجل. ويروى أنَّ الرشيد صبَّ على يد أبي معاوية الضرير[٢] ثم قال: يا أبا معاوية: تدري من صبَّ على يدك؟ قال: لا. قال: صبّه أمير المؤمنين. فقال: يا أمير المؤمنين: إنَّما أكرمت العلم وأجللته فأجلّك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله.

وينبغي أن يجمعوا الماء في الطشت لأنَّه أقرب إلى التواضع وأبعد عن التشبه بالعجم. وأمَّا الخادم فقد كره بعضهم أنْ يصبّ الماء قائمًا وكره بعضهم جلوسه. وأمّا وضع الخادم لذلك ليس بتكبر إذا كانت له نية صالحة، إذْ الحاجة قائمة والعادة جارية.

وفي الطشت سبعة آداب: أنْ لا يبزق فيه، وأنْ يقدم المتبوع، وأنْ يقبل الإكرام بالتقديم، وأنْ يدار يمنة، وأنْ يجتمع فيه جماعة، وأنْ يجمع الماء فيه، وأنْ يكون الخادم قائمًا، وأنْ يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه، ويصب صاحب المنزل الماء على يد ضيفه. هكذا فعل مالك على الشافعي في أول نزوله عليه وقال: لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض.

السادس: أنْ لا يراقب أكل صاحبه بل يغضّ بصره عنهم ويشتغل بنفسه لئلّا يستحيوا، ولا يمسك قبل أخوانه إلَّا إذا كانوا لا يحتشمون الأكل بعده، بل يتوقف أولًا ثم يأكل.

السابع: أنْ لا يفعل ما يستقذره غيره بأنْ ينفذ يده في القصعة أو يخرج شيئًا من فيه، وإنْ احتاج إليه يصرف وجهه عن الطعام وأخذه، ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخلّ ولا الخل في الدسومة، ولا يغمس ما قطعه بسنه في المرقة والخلّ، ولا يتكلّم بالمتقذرات.

المطلب الثالث

في آداب تقديم الطعام إلى إخوانه الزائرين وله فضل كثير. وفي الخبر: «لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه وكذا على السحور وما أفطر عليه»[٣]. وكانت الصحابة يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرَّقون إلَّا عن ذواق.

وأمَّا آدابه: أنْ لا يدخل وقت الأكل بلا إذن، وفي الخبر: «من مشى إلى الطعام لم يدع إليه مشى فاسقًا وأكل حرامًا»[٤]. وأمَّا إذا كان جائعًا فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به، إذْ فيه إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام، وكان ذلك عادة السلف. قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان[٥] وأبي أيوب الأنصاري[٦] لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعًا،

---

(١) هو ثابت بن قيس بن زيد بن النعمان الخزرجي الأنصاري أبو زيد. توفي بالمدينة المنورة أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣٨، الإصابة ١/ ١٩٥، أسد الغابة ١/ ٢٢٨، الثقات ٣/ ٤٥.

(٢) هو محمد بن خازم السعدي التميمي، أبو معاوية الضرير. ولد عام ١١٣ هـ، وتوفي عام ١٩٥ هـ. حافظ متقن. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٧١، الجمع ٢/ ٤٣٧، التهذيب ٩/ ١٣٧، التقريب ٢/ ١٥٧.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، الباب الثالث في آداب تقديم الطعام، ٥/ ٢٣٢.

(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، الباب الثالث في آداب تقديم الطعام ٥/ ٢٣٣.

(٥) هو سليمان بن عمرو بن عبد العَتْواري، أبو الهيثم، صاحب ابي سعيد الخدري. راوٍ للحديث، متقن له. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٩٥، الثقات ٤/ ٣١٦، التهذيب ٤/ ٢١٢، التاريخ الكبير ٢/ ٢٨.

(٦) هو أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد بن كليب، من بني الحارث الخزرجي توفي عام ٥٢ هـ. صحابي جليل. له فضل. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٤٩، ابن سعد ٣/ ٤٨٤، الاستيعاب ٢/ ٤٢٤، الإصابة ١/ ٤٠٥، أسد الغابة ٢/ ٩٤. شذرات الذهب ١/ ٧.

وكان لعون بن عبدالله المسعودي[١] ثلاثمائة وستون صديقًا يدور عليهم في السنة، ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر، ولآخر سبعة. فكان إخوانهم يعولونهم بدلًا من كسبهم، وهم كانوا يتبركون بإطعامهم.

فإنْ دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقًا بصداقته عالمًا بفرحه، فله أنْ يأكل بغير إذنه، إذْ المراد من الإذن الرضا لاسيّما في الأطعمة وأمرها على السعة. فربّ رجل يصرّح بالإذن ويحلف وهو غير راضٍ، فأكلُ طعامه مكروه. وربّ غائب لم يأذن وأكلُ طعامه محبوب. وقال تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[٢]، وقد فعله السلف.

وأمّا آداب التقديم: فترك التكلّف أولًا وتقديم ما حضر، ولا يستقرض لأجله، وإنْ لم تسمح نفسه فلا يقدم، وإنْ رأى المحتاج. والتكلف هو أنْ تزيد على ما تأكله في الجودة والقيمة، وإنّما يكره لأدائه إلى كراهة الزائر وملله وانقطاعه عن المجيء إليه. ومن التكلُّف أنْ يقدِّم جميع ما عنده فيؤذي عياله، وكان السلف يقولون: لا ندري أيّهما أعظم وزرًا الذي يحتقر ما يقدم عليه أو الذي يحتقر ما عنده أنْ يقدّمه.

ومن الآداب أنْ لا يقترح ولا يتحكَّم بشيء فربّما يشق على المزور إحضاره، فإنْ خيَّره أخوه بين طعامين فليختر أيسرهما عليه، كذلك السُّنَّة، إلّا إذا علم أنّه يتيسَّر له أوْ لا يكره له الاقتراح.

ومن الآداب أنْ يشهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيِّبة بفعل ما يقترح، فذلك حسن، وفيه أجر وفضل جزيل.

وكذا لا يقول له هل أقدِّم لك طعامًا بل يقدِّم إنْ كان. فإنْ أكل وإلّا فارفع.

المطلب الرابع

في آداب الضيافة، وكانت الضيافة سُنَّة إبراهيم الخليل، وكان يكنَّى أبا الضيفان. وكان إذا أراد أنْ يأكل خرج ميلًا أو ميلين يلتمس من يتغدَّى معه. ولصدق نيّته فيها دامت ضيافته في مشهده. ونقل عن قُوَّام الموضع أنَّه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف. وسئل رسول الله ﷺ: «ما الإيمان؟ فقال: إطعام الطعام، وبذل السلام»[٣]. وفيها ستة آداب:

أحدها الدعوة، فيدعو الأتقياء دون الفساق. وقد ورد في الحديث: «أكل طعامكم الأبرار»[٤] في الدعاء لمن دعاه، ويقصد الفقراء ولا يخص الأغنياء. وفي الحديث: «شرّ الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويذاد عنه الفقراء»[٥]. وينبغي أنْ لا يهمل أقاربه في ضيافته فإنَّ إهمالهم إيحاشٌ وقطع رحم. وكذا يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه لأنَّ تخصيص البعض إيحاش الباقين. وينبغي أنْ لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان، والتسنُّن بسُنَّة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين. ولا يدعو من يعلم أنَّه يشقّ الإجابة عليه، وإذا حضر تأذَّى بالحاضرين بسببٍ من الأسباب، ولا يدعو إلّا من يحبّ إجابته.

وثانيها الإجابة، فهي سُنَّة مؤكَّدة، وقيل بوجوبها في بعض المواضع. وفي الحديث: «لو

---

(١) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، توفي عام ١١٥ هـ/ ٧٣٣ م. خطيب نسابة، راوية، شاعر، وله أخبار. انظر عنه:
الأعلام ٥/ ٩٨، حلية الأولياء ٤/ ٢٤٠، البيان والتبيين ١/ ١٧٨.
(٢) النور/ ٦١.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، الباب الرابع في آداب الضيافة، ٥/ ٢٣٩.
(٤) سنن ابن ماجة، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، ح ١٧٤٧، ١/ ٥٥٦.
(٥) صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي. . .، ح ١٠٩، ٢/ ١٠٥٥، بلفظ «ويترك المساكين».

دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ ذراع لقبلت»[١].

ولها آداب خمسة:

الأول: أنْ لا يميِّز الغني بالإجابة عن الفقير لأنَّ ذلك تكبّر إلَّا إذا دعي فخرًا أو تكلّفًا فليعلل ولا يجيب. ولذلك قال بعض الصوفية: لا تجب إلَّا دعوة من يرى أنَّك أكلت رزقك وأنَّه سلَّمه إليك وديعة كانت لك عنده، ويرى لك الفضل عليه في قبول الوديعة منه.

الثاني: لا يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة ومقدار مسافة الإجابة معلوم من العرف والعادة. وقيل يجيب إذا كان قدر ثلاثة أميال.

الثالث: أنْ يحضر ولو صائمًا تطوعًا ولينو إدخال السرور على قلب أخيه فإنَّه أفضل منه، إلَّا إذا علم من الداعي تكلّفًا فيتعلَّل، وإذا لم يفطر فضيافته الطيب والحديث الطيب.

الرابع: أنْ يمتنع من الإجابة إنْ كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط المفروش، أو كان في مكان منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان أو سماع الملاهي أو الهزل أو اللعب فإنَّ الإجابة عند هذه محرّمة أو مكروهة، وكذا إذا كان الداعي ظالمًا أو مبتدعًا أو فاسقًا أو شريرًا أو متكلّفًا طلبًا للمباهاة والفخر.

الخامس: أنْ لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن بل الاقتداء بالسُّنّة. وفي الحديث: «لو دعيت إلى كراع لأجبت». وينوي التحرّز عن المعصية. وفي الحديث: «من لم يجب الداعي فقد عصى الله»[٢]. وينوي إكرام أخيه المؤمن لقوله ﷺ: «من أكرم أخاه المؤمن فإنّما يكرم الله»[٣]. وينوي إدخال السرور في قلبه لقوله ﷺ: «من سرَّ مؤمنًا فقد سرَّ الله»[٤]. وينوي أيضًا سُنَّة الزيارة.

ثالثها: آداب الحضور، فيدخل بلا تصدّر بل يتواضع ولا يطول عليهم الانتظار ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل استعدادهم، ولا يزاحم الحاضرين في المكان، بل يجلس حيث يأمر صاحب الدعوة، ولا يجلس مقابلة حجرة النساء ولا يكثر النظر إلى موضع خروج الطعام فإنَّه من الشره، ويخصّ من يقرب منه بالتحيّة إذا جلس، وإذا بات الضيف في منزله فليعرِّفه القبلة وموضع الطهارة والوضوء، ويغسل ربّ البيت يده أولًا قبل الطعام وبعده يتأخر، وإذا رأى في البيت منكرًا غيَّره إنْ قدر وإلَّا أنكر بلسانه وانصرف كفرش الديباج وأواني الفضة والذهب والتصوير والملاهي وحضور النساء المكشفات الوجوه، ومنها ستر الحيطان بالديباج. وعند البعض لا يحرم إذْ الحرمة للرجال والجدار ليس منهم. وأمَّا النظر فلا يحرم كما إذا لبس الحرير الجواري.

ورابعها إحضار الطعام، وله آداب خمسة:

الأول: تعجيل الطعام فإنَّ ذلك سُنَّة.

الثاني: ترتيب الأطعمة، فتقديم الفاكهة أولى شرعًا وطبعًا ثم اللحم والثريد لأنَّ له فضلًا على سائر الأطعمة. وفي الحديث: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٥]. فإنْ جمع إليه حلاوة فقد جمع الطيبات، وتمامها بشرب الماء البارد، والماء الفاتر في غسل اليد. قال المأمون[٦]: الماء المثلوج يخلص الشكر لله، وزينة المائدة بالبقول لخضرتها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من أجاب إلى كراع. ح ١٠٩، ٧/ ٤٤.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، الباب الرابع في آداب الضيافة، ٥/ ٢٤٤.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، الباب الرابع في آداب الضيافة، ٥/ ٢٤٤.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، الباب الرابع في آداب الضيافة، ٥/ ٢٤٥.
(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضل عائشة،ح ٢٥٨، ٥/ ١٠٦.
(٦) تقدمت ترجمته.

الثالث: ويستحب أيضًا أنْ يقدم من الألوان ألطفها حتى يستكفي منها من يريد، ويكثر الأكل بعده. وعادة المترفهين تقديم الغليظ ليكثر من اللطيف بعده وهو خلاف السُّنّة فإنّه حيلة في استكثار الأكل. ومن سُنّة المتقدمين أنْ يقدِّموا الألوان جملة دفعة ليأكل كلّ واحد مما يشتهي، وإنْ لم يكن عنده إلّا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه.

الرابع: أنْ لا يبادر إلى رفع الألوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي. وأيضًا لا يرفع يده قبل الضيفان بل يكون آخرهم رفعًا.

الخامس: أنْ يقدم قدر الكفاية إذْ النقص منه نقص في المروءة والزيادة عليه تصنّع، إلّا أنْ يطيب نفسهم بأكلهم الجميع. وفي الحديث: «إنّه لا يحاسب عليه». وعن إبراهيم بن أدهم[١]: ليس في الطعام سَرَف، وينبغي أنْ يعزل نصيب أهل بيته لئلّا تطمع أعينهم إلى رجوع شيء منه، فلعلّه لا يرجع، فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم. وأيضًا رفع الزلة حرام، إلّا إذا صرّح بالإذن صاحب الطعام أو علم أنّه لا يكره ذلك، ومع ذلك أيضًا فلا يخص نفسه بما لا يرضى به رفيقه.

خامسها: الانصراف، وله آداب ثلاثة:

الأول: من سُنّة الضيف أنْ يشيَّع إلى باب الدار، كذا ورد في الحديث، وذلك من إكرام الضيف، وقد أمرنا به. وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الكلام عند الدخول والخروج وعلى المائدة.

والثاني: أنّ من التواضع أنْ ينصرف الضيف طيِّب النفس وإنْ جرى في حقّه تقصير. يحكى أنّ أستاذ الجنيد[٢] دعاه صبي إلى دعوة أبيه فردّه الأب في أربع مرّات وهو يرجع في كلّ مرّة تطييبًا لقلب الصبي في الحضور ولقلب الأب في الانصراف، فهذه النفوس اطمأنّت بالتوحيد، وترى الكلّ من الله الواحد القهّار فيتذلّل له بالتواضع.

والثالث: أنْ لا يخرج إلّا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعي قلبه في قدر الإقامة، وإذا نزل ضيفًا فلا يقيم فوق ثلاثة أيام لئلّا يتبرّم به ويحتاج إلى إخراجه إلّا إذا ألحَّ ربُّ المنزل على خلوص قلب فله المقام إذْ ذاك.

فوائد متفرقة:

الأكل في السوق دناءة وجوّزه البعض، والحقّ أنّه يختلف باختلاف البلاد والعادات وتفاوت أحوال الأشخاص. قال عليّ كرّم الله وجهه: من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعًا من البلاء. ومن أكل كلّ يوم سبع تمرات عجوة قتلت كلّ دابة في بطنه. ومن أكل كلّ يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم يرَ في جسمه شيئًا يكرهه. واللحم ينبت اللحم، والثريد طعام العرب، والشفارجات تعظم البطن وترخي الأنثيين، ولحم البقر داء ولبنها وسمنها شفاء، والشحم يخرج مثله من الداء، ولن تستشفى النفساء بشيء أفضل من الرطب. والسمك يذيب الجسد، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم. ومن أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغذاء وليقلّل غشيان النساء وليخفّف الرداء وهو الدين. وعن بعض الحكماء: لا

---

(١) هو ابراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي. أبو إسحاق. توفي عام ١٦١ هـ/ ٧٧٨ م. زاهد مشهور عالم. له أخبار كثيرة. الأعلام ١/ ٣١، تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٦٧، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧.

(٢) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم. ولد ومات ببغداد عام ٢٩٧ هـ/ ٩١٠ م. صوفي، عالم بالدين، إمام في الزهد والوعظ. له عدة كتب ورسائل.
الأعلام ٢/ ١٤١، وفيات الأعيان ١/ ١١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، صفة الصفوة ٢/ ٢٣٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، طبقات السبكي ٢/ ٢٨، طبقات الحنابلة ٨٩، طبقات الشعراني ١/ ٧٢.

تنكح إلَّا فتاة، ولا تأكل إلَّا فتيًا، ولا تأكل ما لم ينضج طبخه، ولا تشرب دواءً إلَّا من علّة، ولا تأكل من الفاكهة إلَّا نضيجها، ولا تأكل طعامًا إلَّا أجدت مضغه، وكُلْ ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه، فإذا شربت فلا تأكل منه شيئًا، ولا تحبس الغائط والبول، فإذا أكلت بالنهار فنمْ، وإذا أكلت بالليل فامشِ قبل أنْ تنام ولو مائة خطوة، وفيه تقول العرب: تغدَّ تمدَّ، تعشَّ تمشَّ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾[1] أي يتمدَّد. وقيل: حبس البول يفسد الجسد إفساد النهر ما حوله إذا سدّ مجراه. وفي الخبر: «قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة»[2].

ومن الفوائد الجليلة: الحمية تضرّ بالصحيح كما يضرّ تركها بالمريض. وقيل: الحمية مستحسنة، والحقّ أنَّ الحمية من المضرات نافعة للبدن بلا شك. وإنَّما التي تمنع هي الحمية التي يعتادها البدن، فإذا تغيَّر عنها، ولو بشيء قليل، يتضرَّر بها البدن. ويستحبّ أنْ يحمل الطعام إلى أهل الميت وهو سُنَّة إلَّا ما يهيّأ للنوائح والمغنيات فلا يأكل معهن وكذا طعام الظَّلَمة. وقيل: إذا صحّ التوكّل لا يضرّ حمل الطعام معه، وإذا صحّت النيّة لا يضرّ التوسّع في الطعام. وقد أمر أبو علي الروذباري[3] فصنعوا له الحلاوى من أحمال السكر على هيئة أبنية ومحاريب وأعمدة، ثم أمر وانتهبها الصوفية.

قال الشافعي: الأكل على أربعة أنحاء: الأكل بإصبع من المقت، وبإصبعين من الكبر، وبثلاث من السُّنّة وبما زاد من الشره. وقال: أربع تقوِّي البدن: أكل اللحم والطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان. وأربع تقوّي البصر: الجلوس في حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر إلى الخضرة وتنظيف الملبس. وأربع توهن البصر: النظر إلى القذر والنظر إلى المصلوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود في استدبار القبلة. وأربع تزيد الجماع: أكل العصافير وأكل الاطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير. والنوم على أربعة أنحاء: نوم الأنبياء وهو النوم على القفا يتفكَّرون في خلق السموات والأرض، ونوم على اليمين: وهو نوم العلماء والعباد، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لهضم طعامهم، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين. وأربع تزيد في العقل: ترك فضول الكلام، والسّواك، ومجالسة الصالحين والعلماء. وأربع من العبادة: لا يخطو خطوة إلَّا على وضوء، وكثرة السجود ولزوم المساجد، وكثرة قراءة القرآن. وقال أيضًا: عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت. وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت. وقال: لم أرَ شيئًا أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب.

علم آداب الدرس(*)

وهو العلم المتعلق بآداب تتعلَّق بالتلميذ مع الأستاذ وعكسه. ومنفعته وغايته وغرضه ظاهرة جدًا. وقد ذكرنا في مقدمات هذه الرسالة ما فيه

---

(١) القيامة/ ٣٣.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأكل، باب فضل يجمع آداب. . .، ٥/ ٢٦٩.

(٣) هو محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري. توفي عام ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م. فاضل من كبار الصوفية. له عدة تصانيف. انظر عنه:
الأعلام ٥/ ٣٠٨، تاريخ بغداد ١/ ٣٢٩، اللباب ١/ ٤٨٠.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس، ضمن شعب الدوحة الثالثة، في علوم باحثة عما في الأذهان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

غنية عن الإكثار فيه. وقد استوفي هذا الباب في كتاب: تعليم المتعلِّم(١).

علم آداب السفر(*)

إعلم أنَّ السفر إمَّا ظاهر بالبدن أو باطن بالقلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات، وهذا أشرف من الأول. لكن لمّا كان فيه خطب خطير وغموض السبيل لم يستغنَ فيه عن مرشدٍ ودليل. ويتوقف أيضًا على القناعة بالعيش القليل عن الحظ الجليل، اندرست مسالكه وانقطعت فيه الرفاق، وخلت عن الطائفين متنزهات الأنفس والآفاق. فنحن نذكر شروطه وآدابه في: مطالب.

المطلب الأول:

في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع:

واعلم أنَّ للسفر فوائد وأقسامًا:

القسم الأول: طلب العلم، وهو إمَّا واجب أو نفل بحسب كون العلم واجبًا أو نفلًا، وذلك إمَّا بأمور دينيّة، وفي الخبر: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة»(٢)، وإمَّا علم بأخلاقه في نفسه وذلك أيضًا مهم في سلوك طريق الآخرة. ولا يمكن الاطلاع على أسرار باطنه وخبائث صفاته مثل ما يطلع عليه بالسفر، حتى إنَّه يسمَّى بالسفر بأنَّه يُسفر عن الأخلاق، وذلك لأنَّ النفس فيما بين مألوفاتها لا تظهر خبائث أخلاقها، فإذا فارقها انكشفت. وإمَّا علم بآيات الله في أرضه إذْ في مشاهدتها فوائد للمستبصر، وذلك لأنَّه ما من شيء إلَّا وهو شاهد لله تعالى إلى الوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلَّا من ألقى السمع وهو شهيد. أمَّا الجاحدون المغترون بظاهر زهرة الدنيا فهم عن السمع معزولون، وعن آيات ربِّهم محجوبون، يعلمون ظاهرًا من الحياة وهم عن الآخرة غافلون. وما أريد بالسمع السمع الظاهر بل السمع الذي يسمع كلام الجدار من الوتد إذْ قال الجدار: لِمَ تشقّني؟ قال الوتد: سَلْ مَنْ يدقّني فإنَّ الحجر الذي ورائي لم يتركني ورائي، وما من ذرة في الأرض والسموات إلَّا ولوحدانيتها شاهدات ولكن لا يفقهون تسبيحهم. ومثل هذا السمع واستقراء الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الكائنات لا يحتاج إلى السفر، بل يمكن وهو في بيته قعيد لمن ألقى السمع وهو به شهيد. فاعتبر هذا الملك بملك الدنيا فإنَّه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه. ومهما عظم المطلوب قلَّ المساعد، ثم الذي يهلك أكثر من الذي يملك. قال المتنبِّي:

لا يسلمُ الشرفُ الرفيع من الأذى
حتى يراقَ على جوانبه الدمُ

ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب. قال الشاعر:

وإذا كانت النفوسُ كبارًا
تعبت في مرادها الأجسامُ

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلَّا في متن الخطر. وقد يُسمَّى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر، قال الشاعر:

يرى الجبناء أنَّ الجبن حزمٌ
وتلك خديعة الطبعِ اللئيم

القسم الثاني: السفر لأجل العبادة إمَّا لجهاد

---

(١) تعليم المتعلم للإمام برهان الدين الزرنوجي (كان حياً قبل) ٥٩٣ هـ
كشف الظنون ١/ ٤٢٥، معجم المؤلفين ٣/ ٤٣.

(*) هذا هو الأصل السابع من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة، في علوم الباطن، وذلك بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب السفر، الباب الأول في الآداب من أول النهوض. . .، ٦/ ٣٨٤.

أو حج. وسنذكر آدابه، وقد يدخل فيه زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والأولياء، إذْ كلّ من يتبرَّك بمشاهدته في حياته يتبرَّك بزيارة قبره بعد وفاته. ولزيارة الأحياء فوائد بركة الدعاء والنظر إليهم، فإنَّ النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة، وفيه أيضًا تحريك الرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم مع ما يستفاد منهم من أنفاسهم وأفعالهم، وأمَّا البقاع فالمساجد الثلاثة لقوله ﷺ: «لا تشدّ الرحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى»(١). وأيضًا الثغور للرباط بها لا غير.

القسم الثالث: أنْ يكون السفر للهرب من سببٍ مشوش للدين إذْ الفرار ممَّا لا يطاق من سنن المرسلين، ومما يجب الهربُ منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب إذْ الدين لا يتمّ إلَّا بقلب فارغ من غير الله، ولا يتصوّر الفراغ من المهمات والحاجات الضرورية، ولكن يتصوّر تخفيفها. وقد نجا المخففون وهلك المثقلون. وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى لعباده، وله الحمد حيث لم يجعل النجاة في الفراغ المطلق من جميع الأوزار والأعباء، بل قبل المخفف بفضله ورحمته والمخفف الذي ليست للدنيا أكبر همته، وكان لا يتيسَّر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه، فلا بدّ له من العزلة والخمول وقطع العلائق التي له عنها بدّ حتى يروضَ نفسه مدّة إلى أنْ يمنّ الله تعالى عليه حتى يستوي عنده الحضر والسفر والعلائق وعدمها، لكن ذلك ممّا يعزّ وجوده جدًا، ومنهم من هرب حذرًا من الشهوة(٢) إذا أقام في بلد ومن المتوكلين من يختار السفر لأنَّه يرى في الإقامة اعتمادًا على الأسباب ويراه قادحًا في التوكل.

القسم الرابع: الهرب ممّا يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر وما يجري مجراه، ولا حرج في ذلك، إذْ الفرار قد يجب وقد يستحب بحسب ما يترتب عليه من الفوائد، ولكن يستثنى عنه الطاعون لورود النهي في الهرب منه. وستعرف حاله مفصلًا في قسم التوكل.

وإذا عرفت أقسام الأسفار فقد ظهر لك منه أنَّ السفر إمَّا مذموم وهو قد يكون حرامًا كالإباق وسفر العاقّ، وقد يكون مكروهًا كالخروج من بلد الطاعون، وإمَّا محمود وهو قد يكون واجبًا كالحج وطلب العلم، وقد يكون مندوبًا كزيارة العلماء والمشاهد المتبركة، وإمَّا مباح كطلب المال للتعفُّف عن السؤال وإقامة المروءة في العيال.

فاعلم: فضيلة السفر وفضيلة الإقامة مثل حال العزلة والخلطة فتعرف أحوالهما من حالهما، والأفضل منهما ما هو الأعْوَن في الدين، والسفر لأجل التعلم محمود والإقامة لأجل العمل محمود. وأمَّا السياحة على الأرض فمن المشوشات للقلب إلَّا في حقّ الأقوياء إذْ الشغل بالحط والترحال مشوش الأحوال. وأيضًا يشغل قلبه بالخوف على النفس والمال اللهم إلَّا أنْ يطلب العلم أو شيخًا يقتدى في سيرته، وإنْ أمكن هذا بدون السفر فالسكون أولى خصوصًا طلب شيخ التصوف، فإنَّه في زماننا هذا يعزّ وجوده على بسيطة الأرض إذْ أكثرهم تلبسوا بالمرقعات واتخذوا من الخانقاهات منزهات، ولبَّسوا على الناس ممَّا تلقفوا ألفاظًا مزخرفة من الطامات، فيظنون بأنفسهم خيرًا، ويتوهمون أنَّ المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في الحقائق. فهيهات ما أغزر حماقة من لا يميِّز بين الشحم والورم. وأمَّا السائحون من غير مهم في

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في أي المساجد أفضل، ح ٣٢٦، ٢/ ١٤٨.

(٢) كذا في الهندية، وأحسبه الشهرة. وفي المصرية: الشهرة.

الدين والدنيا بل لمحض التفرّج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحاري، فلا بأس بسياحتهم، ما كفّوا عن الناس شرهم إذْ لا بأس بأتعاب حيوان خميس[١] لحظ خسيس يليق به ويعود إليه. فالفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات.

المطلب الثاني:

في آداب السفر من أول النهوض إلى آخر الرجوع وهي أحد عشر أدبًا.

الأول: أنْ يبدأ برد المظالم والودائع وقضاء الديون وإعداد النفقة له ولعياله من الحلال، وليأخذ قدرًا يوسع به لرفقائه.

الثاني: أنْ يختار رفيقًا لما قيل: الرفيق ثم الطريق، وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين، فيذكّره إذا نسي، ويعينه إذا ذكر. والمسافرة وحده منهيّ عنه. قال رسول الله ﷺ: «الثلاثة نفر»[٢]. وقال: «خير الأصحاب أربعة»[٣]. وقال: «إذا كنتم ثلاثة فأمّروا أحدكم»[٤]. وليؤمّروا أحسنهم أخلاقًا وأرفقهم للأصحاب وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة. وإنّما يحتاج إلى الأمير لأنَّ الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر. ومهما كان المدبر واحدًا انتظم الأمور، وإنّما انتظم أمر العالم لأنَّ مدبِّر الكل واحد. و﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٥]. وخير الرفقاء الأربعة لأنَّ الرجل يحفظه آخر ويحتاج إلى آخر عند التردد في الحاجة، ولا بدّ للمتردّد أيضًا من رفيق، وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة، فلا ينعقد بينهم التوافق في الرفاقة الخاصة. وأمّا الرفاقة العامة فتحتاج إلى الجماعة الكثيرة للأمن من المخاوف.

الثالث: أنْ يودّع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء، وليدعُ لهم وليقل: إنِّي أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك، وأهله يقولون له زوَّدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجَّهك للخير حيث توجَّهت.

الرابع: أنْ يصلِّي قبل السفر صلاة الاستخارة وستعرفها. ثم يصلِّي في بيته أربع ركعات إذا شدَّ عليه ثياب سفره، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقلْ هو الله أحد، ثم يقول: اللهم إنِّي اقتربت إليك فاخلفني بهن في أهلي ومالي، فهي خليفة في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله.

الخامس: إذا حصل على باب الدار فليقل: بسم الله توكَّلت على الله، لا حول ولا قوة إلَّا بالله. أعوذ بك من أنْ أضل أو أزل، أو أَظلُم أو أُظلَم، أو أجهل أو يُجهل عليّ. فإذا مشى قال: اللهم بك انتشرت، وعليك توكَّلت، وبك اعتصمت، وإليك توجَّهت. اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به، وما أنت أعلم به منِّي عزّ جارك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك. اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني إلى الخير أينما توجهت. وليدع بهذا الدعاء في كلّ منزل يرحل عنه. فإذا ركب فليقل: بسم الله وبالله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليّ العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنَّا إلى ربّنا لمنقلبون. فإذا استوت الدابة تحته فليقل: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان في الأمور.

السادس: أنْ يرحل من المنزل بكرة ويستحب

---

(١) كذا في الأصل، ولعله خسيس. وفي المصرية: خسيس.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب السفر، باب الفصل الثاني في آداب السفر، ٦/ ٣٩٨.
(٣) مسند أحمد، ١/ ٢٩٩.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب السفر، باب في آداب المسافر، ٦/ ٣٩٨. بلفظ: «ثلاثة في سفر...».
(٥) الأنبياء/ ٢٢.

أنْ يبتدىء بالخروج يوم الخميس. روى جابر[١] أنَّ النبي ﷺ رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكَّر وقال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»[٢]. وروى ابن كعب بن مالك[٣] عن أبيه قال: قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى سفر إلَّا يوم الخميس. روى أنس أنَّه ﷺ قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت»[٤]. قال عبدالله بن العباس: إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارًا ولا تطلبها ليلًا، واطلبها بكرة فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بارك لأمتي في بكورها»[٥]. ولا ينبغي أن يسافر في بكرة يوم الجمعة فيكون عاصيًا بترك الجمعة واليوم المنسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها. والتشييع للوداع مستحبّ وهو سُنَّة.

السابع: أنْ لا ينزل حتى يحمى النهار وهو السُّنّة ويكون أكثر سيره بالليل. قال ﷺ: «عليكم بالدلجة فإنَّ الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار»[٦]. ومهما أشرف على المنزل فليقل: اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن، وربّ الأرضين السبع وما أقللن، وربّ الشياطين وما أضللن، وربّ الرياح وما ذرين، وربّ البحار وما جرين، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله، وأعوذ بك من شرّ هذا المنزل وشرّ ما فيه، إصرف عني شرَّ شرارهم. فإذا نزل المنزل فليصلّ فيه ركعتين ثم ليقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شرّ ما خلق. فإذا جنَّ عليه الليل فيقول: يا أرض ربِّي وربّك الله، أعوذ بالله من شرِّك وشرِّ ما فيك وشرّ ما دبّ عليك، أعوذ بالله من شرّ كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد، له ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم. ومهما علا شرفًا من الأرض في وقت السير يقول: اللهم إنَّ لك الشرف على كلّ شرف، ولك الحمد على كلّ حال. ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال: سبحان الملك القدوس ربّ الملائكة والروح، جللت السموات بالعزة والجبروت.

الثامن: أنْ يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردًا عن القافلة لأنَّه ربما يغتال وينقطع عن القافلة، وأنْ يتحفظ بالليل عند النوم بأنْ يتناوب الرفقاء في الحراسة وهو السُّنَّة، فإذا نام آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه في كفِّه لئلَّا يشتغل بالنوم فيفوته الصلاة. وإذا قصده عدو أو سبع فليقرأ: آية الكرسي[٧] وشهد الله[٨] الآية والإخلاص[٩]

---

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام الخزرجي الأنصاري السلمي. ولد عام ١٦ ق. هـ/ ٦٠٧ م. وتوفي عام ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م. صحابي جليل، من المكثرين في الرواية عن الرسول ﷺ. وغزا مع النبي غزوات عديدة. الأعلام ٢/ ١٠٤، الإصابة ١/ ٢١٣، ذيل المذيل ٢٢، تهذيب الأسماء ١/ ١٤٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التبكير بالتجارة، ح ١٢١٢، ٣/ ٥١٧.

(٣) هو ابن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سداد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، الخزرجي. شاعر رسول الله وصاحبه، شهد العقبة وروى بعض الأحاديث. توفي عام ٥٠ هـ. وقيل عام ٥١ هـ. وأخباره مشهورة. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٢٣، الأغاني ١٦/ ٣٢٦، الاستبصار ١٦٠، أسد الغابة ٤/ ٤٨٧، شذرات الذهب ١/ ٥٦، الاستيعاب ٣/ ١٣٢٣، الإصابة ٨/ ٣٠٤.

(٤) سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور، ح ٢٢٣٦، ٢/ ٧٥٢، بلفظ: «الخميس» بدلاً من «السبت».

(٥) كذا في الهندية.

(٦) الزبيدي، اتحاف السادة المتقين، كتاب أسرار الحج، باب في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر، ٤/ ٣٢٨.

(٧) البقرة/ ٢٥٥.

(٨) آل عمران/ ١٨.

(٩) سورة الإخلاص: قل هو الله أحد...

والمعوذتين[١]، وليقل بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلَّا بالله، حسبي الله، توكلت على الله، ما شاء الله، لا يأتي بالخير إلَّا الله. ما شاء الله، لا يصرف السوء إلَّا الله، حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا. ليس وراء الله منتهى، ولا دون الله ملجأ. كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنَّ الله قوي عزيز. تحصنت بالله العظيم، واستعنت بالحي الذي لا يموت. اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بركنك الذي لا يرام. اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا. اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنَّك أنت أرحم الراحمين.

التاسع: أنْ يرفق بالدابة راكبًا ولا يحمِّلها ما لا تطيق، ولا يضرب في وجهها فإنَّه منهيّ عنه، ولا ينام عليها فإنَّه تتأذى به الدابة إذْ يثقل بالنوم. ويستحب أنْ ينزل عن الدابة غدوة وعشية، وفيه فوائد ترويح الدابة وإدخال السرور على قلب المكاري ورياضة البدن والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب. وينبغي أنْ يعرض كلّ ما يحمله على المكاري لئلَّا يثور بينهما نزاع، فليتحرَّز عن اللجاج وكثرة الكلام مع المكاري.

العاشر: يستصحب ستة أشياء بذلك وردت السُّنَّة: المرآة والسوّاك والمكحلة والمشط والقارورة والمقراض. وزاد الصوفية الركوة لحمل الماء الطاهر والحبل لنزع الماء وتجفيف الثوب المغسول. وزاد بعضهم الإبرة بخيوطها. وبعضهم استغنوا عن الركوة بالتيمم وبالطهارة من الغدران ما لم يتيقنوا بنجاستها، وعن الحبل بالجبال والأرض فيفرشون الثياب المغسولة عليها.

الحادي عشر: في آداب الرجوع من السفر. كان ﷺ إذا قفل من غزو أو حجّ أو غيره يكبر على كلّ شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول: «لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»[٢]. وإذا أشرف على مدينته يقول: اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا حسنًا. ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره ولا ينبغي أنْ يطرقهم ليلًا، فقد ورد النهي عنه. وكان ﷺ إذا قدم دخل المسجد وصلَّى ركعتين ثم دخل البيت وقال: «توبا توبا لربنا أوبًا لا يغادر علينا حوبًا»[٣]. والسُّنَّة أنْ يحمل لأهل بيته ولأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه لأنَّ الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به وبذلك يتأكَّد فرحهم.

المطلب الثالث:

في الآداب الباطنة.

وقد ذكر نبذ منها وجملة ذلك أنْ لا يسافر إلَّا لزيادة أمر ديني، وينوي في دخول كلّ بلدة أنْ يرى شيوخها ويجتهد أنْ يستفيد منهم أدبًا أو كلمة ينتفع بها، لا ليحكي ذلك عنهم ويظهر أنَّه لقي المشايخ، ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلَّا أنْ يأمره الشيخ المقصود بذلك. ولا يجالس في مدة الإقامة إلَّا الفقراء والصادقين. وإنْ زار أخًا له فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حدّ الضيافة إلَّا إذا شقّ على أخيه مفارقته. وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة، ولا يشتغل بالعشرة فإنَّ ذلك يقطع بركة سفره. وإنْ كان الشيخ في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أنْ يخرج، فإذا خرج تقدم إليه بأدب، ولا يتكلم بين يديه إلَّا أنْ يسأله. فإنْ سأله أجاب بقدر السؤال، ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولًا. وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة

---

(١) المعوّذتان هما: سورة الفلق وسورة الناس.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدعية، باب الدعاء إذا هبط وادياً. . . ح ٧٦، ٨/١٤٨، بلفظ: «ساجدون عابدون».

(٣) مسند أحمد، ١/٢٥٦.

البلدان وأسخيائهم ولا أصدقاءه فيها، وليذكر مشايخها وفقراءها، ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين، ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره. وإذا كلَّمه إنسان فليسكت عند[١] الذكر وليجبه مادام يحدثه ثم ليرجع إلى ما كان عليه، فإنْ تبرَّمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس. فإذا تيسَّرت خدمة قوم صالحين فلا ينبغي أنْ يسافر تبرّمًا بالخدمة فذلك كفران نعمة. وإنْ لم يحصل له في السفر زيادة في الدين فليرجع إذْ لو كان بحق لظهر أثره.

المطلب الرابع:

في رخص المسافر وأدلّة القبلة والأوقات.

والرخص ستّ: رخصتين في الطهارة، المسح على الخف ثلاثة أيام ولياليها والتيمم. ورخصتين في النفل، أداؤه على الراحلة وأداؤه ماشيًا. ورخصة في الصلاة، وهو القصر. ورخصة في الصوم، وهو الفطر بنيّة القضاء في الفرض. وتفصيل ذلك في علم الفقه. وأمَّا أدلة القبلة فثلاثة: أرضية كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار، أو هوائية كالاستدلال بالرياح وهما يختلفان فيصعب الاستدلال بهما. وأمَّا السماوية فالشمس في النهار فلا بدّ أن يراعى قبل السفر أنَّ الشمس عند الزوال أين تقع منه إذا توجه إلى القبلة أهي على العين اليمنى أو اليسرى أو على الجبين، وكذا بموقع الغروب وبالمشرق. ويعرف اختلاف هذه صيفًا وشتاءً. فإذا بعدت البلاد تتفاوت هذه الأمور فينبغي أنْ يسأل من أهلها أو يجرب ذلك من مساجدها. فإنْ بان له أخطأ فإنْ وافق الجهة فيها وإلَّا يعيد الصلاة. وأمَّا مقابلة الجهة فبأنْ تقع الكعبة بين الخطين الخارجين من جهة المصلِّي على هيئة ساقي المثلث إلى الأفق، فإنْ كانت الكعبة ههنا تصح الصلاة وإلَّا فلا. وأمَّا أمر الأوقات ففي كتب الفقه مفصلًا، فارجع إليها لعلك ترشد بها.

علم آداب السماع والوجد

وفيه مطالب[*]:

المطلب الأول:

في حلّه وحرمته.

فقد نقل عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وجماعة من العلماء: وأمَّا الآثار فمختلفة في الحرمة والإباحة. ومهما تعارضت يبقى التقليد إلى أحد الجانبين قصورًا فينبغي أن يبحث عن مدارك الحظر والإباحة.

إعلم أنَّ أمر الحرمة لا يعرف بمجرَّد العقل بل بالسمع، إمَّا بالنص وهو ما أظهره ﷺ بقوله أو فعله، أو بالقياس. فإنْ لم يوجد فيه نص فلم[٢] يوجد فيه قياس بطل القول بتحريمه وبقي كسائر المباحات.

ثم نقول: وقد دلّ النص والقياس جميعًا على إباحته. أمَّا القياس فهو أنَّ السماع سماع صوت طيِّب موزون مفهوم المعنى محرّك القلب، فالوصف الأعم أنَّه صوت طيِّب. ثم هو إمَّا موزون أو غيره. ثم الموزون إمَّا مفهوم أو غيره فهذه درجات.

الدرجة الأولى: الصوت الطيِّب من حيث هو طيِّب فلا يحرم بل حلال بالنَّص والقياس. أمَّا القياس فهو أنَّه يرجع إلى تلذّذ جلسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به، وهي إمَّا مستلذة كصوت البلابل أو مستكرهة كنهيق الحمار. فكما لا حرمة في مستلذات سائر الحواس فكذا فيه،

(١) كذا في الهندية، ولعله «عن».

(*) هذا هو الأصل الثامن من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة، في علوم الباطن، وذلك بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) كذا في الأصل.

كالألوان الخضر في البصر والأطعمة الحلوة في الذائقة. وأمَّا النّص فقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[١]. قيل هو حسن الصوت وقد امتن بذلك. وفي الحديث: «ما بعث الله نبيًا إلَّا حسن الصوت»[٢].

الدرجة الثانية: النظر في الصوت الطيِّب الموزون والوزن وراء الحسن، فهي إمَّا أنْ تخرج من جماد كصوت القصب والأوتار أو من حيوان كصوت العنادل والقمارى أو من إنسان كصوت النغمات من حنجرة الإنسان. فسماع هذه يستحيل أنْ تحرم لكونها طيِّبة أو موزونة، وإلَّا لحرم صوت العنادل. ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أنْ يقاس عليه أصوات الحلوق من الإنسان وأصوات القصب والدف إلَّا الملاهي والأوتار. ولاشك أنَّ حرمتها ليس للذتها وإلَّا لحرم كلّ ما يستلذه الإنسان، بل لما حرمت الخمور اقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان، فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب من الأوتار والمزامير فقط، وكان تحريمها من قبيل الاتباع كتحريم الخلوة لكونها مقدمة للزناء، وكتحريم النظر إلى الفخذ لئلَّا يتساهل في ذلك ويؤدي إلى التساهل في السوأتين. وحرم قليل الخمر وإنْ لم يسكر لأنَّه يدعو إلى الكثير. وما من حرام إلَّا وله حريم يطيف به. وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام أو وقاية حظارًا بما حوله. فظهر أنَّ الأوتار والمزامير حرمت لأجل تحريم الخمر لثلاث علل: إحداها أنَّه يدعو إلى شرب الخمر فإنَّ اللذّة الحاصلة بها إنَّما تتم بالخمر، وبمثل هذه العلة حرم قليل الخمر. وثانيتها أنَّها في قريب العهد بشرب الخمور تذكر بمجالس الأنس بالشرب فهو سبب الذكر، والذكر سبب انبعاث الشوق، وهو إذا قوي سبب الإقدام، فمن تذكَّر بها شرب الخمر فهو في حقه حرام وفي حق غيره مكروه. وثالثتها الاجتماع لما أنْ صارت عادة أهل الفسق فيمنع التشبه بهم لأنَّ من تشبه بقوم فهو منهم. ولهذا حرمت الكوبة وهي طبل مستطيل رقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين، ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو. ولهذا حرم المزمار العراقي والأوتار كلّها كالعود والرباب والبربط وغيرها، وما عداها فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقصب وكلّ آلة يستخرج منه صوت طيِّب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب. بهذا تبيَّن أنَّه ليس العلَّة في تحريمه مجرَّد الأصوات الطيِّبة بل القياس تحليل الطيِّبات كلّها إلَّا ما في تحليله فساد.

الدرجة الثالثة: الموزون المفهوم وهو الشعر. وذلك خارج من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحته وزاد إلَّا[٣] لكونه موزونًا والكلام المفهوم غير حرام. وكذا الصوت الطيِّب الموزون. فإذا لم يحرم الآحاد فلم يحرم المجموع، إلَّا أنْ يفهم منه أمر محظور وذلك حرم نظمه ونثره وحرم التصويت به سواء كان بألحان أو لا. والحق فيه قول الشافعي: الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح. ومهما كان إنشاد الشعر بغير صوت حسن حسنًا فمع الألحان لا يحرم إذْ المباح لم يحرم فكيف ينكر إنشاد الشعر، وقد أنشد بين يدي رسول الله ﷺ وأنشد هو أيضًا، وكذا نقل عن الصحابة سيما عليّ بن أبي طالب وعن التابعين والمجتهدين سيما الإمام الشافعي.

الدرجة الرابعة: النظر فيه من حيث إنَّه محرّك

(١) فاطر/١.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب السماع والوجد، باب بيان الدليل على إباحة السماع، ٦/ ٤٧٠.
(٣) كذا في الأصل.

للقلب ومهيّج لما هو الغالب عليه. فأقول لله تعالى سرّ في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى إنّها لتؤثر فيها تأثير الفرح والحزن والضحك والطرب حتى النوم، حتى قيل: من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج لا يقبل العلاج. وكيف لا والصبي في مهده يسكته الصوت الطيّب والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء حتى تستخف معه الأحمال الثقيلة وتمدّ أعناقها إلى جانب الصوت، ويترك الماء والعلف بين يديه مع شدة جوعه وعطشه، وربما تتلف نفسها في شدّة السير. وقد نُقل أنَّ الطيور كانت تقف على رأس داود لاستماع صوته. ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أنْ يحكم مطلقًا بإباحته وحرمته، بل يختلف ذلك باختلاف أحوال القلب. قال أبو سليمان(١): السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه لكن يحرِّك ما هو فيه.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنَّ مواضع الغناء لا تخلو عن سبعة:

الأول: غناء الحجيج بالطبل والشاهين في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر، ووصف البادية، وهو يهيج الشوق إلى حجّ البيت الحرام واشتغاله إنْ كان ثمة شوق حاصل. والحجّ محمود والشوق وما يبعثه من الطريق المباح محمود لا محالة. ومن هذا القبيل الأشعار التي ينشدها الواعظ للترغيب والترهيب.

الثاني: ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضًا مباح، لكن يخالف ألحان الحاج لأنَّ ذلك للترغيب والتشويق وهذا للتشجيع واستحقار النفس والمال. والأشعار المشجعة مثل قول المتنبي(٢):

فإنْ لا تمت تحت السيوف مكرمًا
تمت وتقاسي الذُّلَّ غير مكرمِ

وقوله:

يرى الجبناءُ أنَّ الجبنَ حزمٌ
وتلك خديعةُ النفسِ اللئيم

وأمثال ذلك، فهذا أيضًا مباح في وقت يباح فيه الغزو، ومندوب إليه في وقت استحبابه.

الثالث: الرجزيات في اللقاء بالعدو والغرض منه تشجيع النفس والأنصار، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيِّب كان أوقع في النفس، وذلك إمّا مباح أو مندوب إليه بحسب إباحة القتال أو ندبه، ومحظور إذا كان في قتال المسلمين وأهل الذمة. وكلّ قتال محظور لأنَّ الداعي إلى المحظور محظور، وذلك منقول عن شجعان الصحابة كعليّ وخالد(٣) رضي الله عنهما وغيرهما، ولذلك يمنع من الشرب بالشاهين في معترك الغزاة لأنَّه يحلل عقدة الشجاعة لكون صوته مرققًا محزنًا. فمن فعله ليفتر القوى عن القتال المندوب فهو

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي، أبو سليمان. توفي عام ١٥٠ هـ/ ٨٣٠ م. زاهد، صوفي، مشهور له كلام ومواعظ. انظر عنه:
الأعلام ٣/ ٢٩٣، طبقات الصوفية ٧٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٦، حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي. ولد بالكوفة عام ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م. وقتل بالقرب من بغداد عام ٣٥٤ هـ/ ٩٦٥ م. الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال والأشعار والحكم، وطبع له الكثير من القصائد ضمن دواوين، كما ألف الكثير من العلماء عنه.
الأعلام ١/ ١١٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٦، لسان الميزان ١/ ١٥٩، تاريخ بغداد ٤/ ١٠٢، المنتظم ٧/ ٢٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٦٣، فضلاً عن الدراسات العديدة عنه.

(٣) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي، أبو سليمان، توفي بحمص عام ٢١ هـ. من الصحابة الفرسان لقبه النبي ﷺ بسيف الله. وهو بطل معركة اليرموك. وأخباره مشهورة.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٥٦، ابن هشام ٢/ ٢٧٦، الاستيعاب ٣/ ١٦٣، الإصابة ١/ ٤١٣، أسد الغابة ٢/ ١٠٩، العبر ١/ ٢٥، شذرات الذهب ١/ ٢٣٢.

عاصٍ، وعن القتال الحرام فهو مطيع.

الرابع: أصوات النياحة ونغماتها المهيجة للحزن والبكاء فذلك مذموم إنْ كان على الأموات للنهي على التأسف على ما فات. وأما الحزن على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياه، والتباكي والتحازن عليه كما فعله داود عليه السلام فمحمود، حتى كانت الجنائز تحمل من مجلس نياحته عليه السلام. ولهذا لم يحرم البكاء والتباكي على الذنوب من الوعاظ وأرباب التذكير.

الخامس: السماع في أوقات السّرور تأكيدًا له وتهييجًا له وهو مباح إنْ كان السرور مباحًا كالغناء في أيام العيد والعرس وقدوم الغائب وولادة الولد والوليمة والعقيقة وعند الختان وحفظ القرآن، إذْ كان ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه. ويدلّ على جوازه إنشادهم بالدف والألحان عند قدوم رسول الله ﷺ.

طلع البدرُ علينا، من ثنيات الوداع

وجَبَ الشكرُ علينا، ما دعا لله داعي

وقوله ﷺ عند منع أبي بكر جاريتين تدفّفان وتضربان عند النبي ﷺ: «دعهما أبا بكر فإنَّها أيام عيد»(١). وكذا نظر عائشة إلى الحبشة يلعبون في المسجد والنبي ﷺ عندها يسترها بردائه وغير ذلك. فهذه المقاييس والنصوص تدلّ على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدفّ واللعب في أوقات السرور كلّها قياسًا على يوم العيد مما يجوز الفرح به شرعًا. ومنه الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم على طعام أو كلام فهو أيضًا مظنّة السماع.

السادس: سماع العشاق تحريكًا للشوق وتهييجًا للعشق وتسلية للنفس، فإنْ كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة، وإنْ كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق. والشوق وإنْ كان ألمًا ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصول، وهذا حلال إنْ كان ممن يباح له الوصال كمن يعشق زوجته أو سريته فيصغي إلى غنائها لتتضاعف لذته في لقائهما، وما الحيوة الدنيا إلّا لعب ولهو وهذا منه. وأمّا من يتمثّل في صورة صبي أمرد أو امرأة لا يحلّ له النظر إليها فهذا حرام لأنَّه محرّك للفكر في الأفعال المحظورة ومهيِّج للداعية إلى ما لا يحلّ الوصول إليه، وهذا حال الفساق والسفهاء وكثير من الشبّان. فالسماع ممنوع في حقهم لما فيه من تحريك الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع.

السابع: سماع من أحبَّ الله سبحانه وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلّا رآه فيه، ولا يقرع سمعه قارع إلّا سمعه منه أو فيه. فالسماع في حقه مهيِّج لشوقه ومؤكِّد لعشقه ومور زناد قلبه، ومستخرج منه كمين حبّه، ويحصل منه أحوال من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها، يعرفها من ذاقها وينكرها مَنْ كلَّ حسّه عن ذواقها، وتسمَّى تلك الأحوال عندهم وجدًا أخذًا من الوجود، لأنَّه صادف من نفسه أمورًا لم يكن يصادفها قبل السماع. ثم تكون تلك الأمور والأحوال سببًا لروادف وتوابع تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما يبقى الإبريز من الخبث فيحصل للقلب الصفاء والنقاء، ثم يتبع الصفاء مكاشفات ومشاهدات هي غاية المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلّها. فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات. وحصول هذه الأحوال بسبب السماع يسر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح ويثمر لها شوقًا وفرحًا وانبساطًا وانقباضًا. ومعرفة السبب في ذلك من دقائق علوم المكاشفات. وأمّا البليد، الجامد الطبع، القاسي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب إذا فاته العيد، ح ٣٤، ٢/٦٩، بلفظ: «يا أبا بكر».

القلب، المحروم عن لذة السماع، ربما ينكر ذلك ويتعجب من الالتذاذ والوجد واضطراب الحال والشوق، وتعجب العنّين من لذة المباشرة، وتعجب الصبي من لذة الجاه والرياسة، وتعجب الجاهل من معرفة الله وجلاله وعظمته وعجائب صنعته، وسبب ذلك أنَّ اللذة نوع إدراك. فمن لم يكمل قوة إدراكه في حقّ المتلذذ به لا يدرك اللذة.

ثم اعلم أنَّ بعضًا من الجهال بل بعضًا ممن تظنه عالمًا وهو عالم في بعض الأمور وجاهل في باب معرفة الله ولم يقدر الله حق قدره ربما ينكر محبة الله تعالى وأنت تقلده في ذلك، فوجب علينا كشف اللثام عن وجه المحبة والعشق والشوق إلى الله عز وجل.

واعلم أنَّ المحبة ميل ينشأ من اعتقاد جمال المحبوب، فإذا قويت المحبّة يسمّى عشقًا. ثم إنَّ الجمال إمّا صوري وهو تناسب الخلقة وصفاء اللون المدرك بحاسة البصر وإمّا معنوي وهو كمال العظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات وإرادة الخيرات لكافة الخلق المدرك بحاسة القلب. وقد يحب الإنسان لهذه الصفات الباطنة وإنْ لم يرَ صاحبها، كما يحب الإنسان أبا حنيفة والشافعي لاعتقاد الكمال في العلم والدين وللأخلاق فيهما، ومع ذلك لم يدرك بجمالهما الصوري أصلًا، فظهر أنَّه يمكن معرفة الجمال المعنوي بدون رؤية الجمال الصوري.

ثم إنَّ الجمال الحقيقي فهو الله، ولا جمال ولا محبوب في العالم إلَّا وهو حسنة من حسناته، وآثار من آثار كرمه، وغرفة من بحر جوده، بل كلّ حسن وجمال في العالم من مبتدأ العالم إلى منقرضه، ومن ذروة العلى إلى منتهى الثرى، فهو ذرة من خزائن قدرته، ولمعة من أنوار حضرته. فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه. وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حدًا لا يمكن إطلاق اسم العشق أيضًا لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته. فسبحان من احتجب عن الظهور للأبصار لشدة ظهوره، واستتر عن العيون بإشراق نوره. ولولا احتجابه سبعين حجابًا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار اللاحظين لجمال حضرته. ولولا أنَّ ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول وذهبت القلوب وتجاذبت[1] القوى وتناثرت الأعضاء. ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادىء أنوار تجلّيه دكًا، فأنّى يطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش، بل محبة غير الله جهل وقصور لظنه أنَّ فيهم شيئًا من الجمال، بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله، إذْ ليس في الوجود تحقيقًا إلَّا الله وأفعاله. فكانت محبته مقصورة على الله غير مجاوزة إلى سواه. فكان اسم العشق على حب غيره مجازًا محضًا لا حقيقة له. نعم إنَّ الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك لفظة العشق إلَّا طلب الوصال الذي هو عبارة عندهم عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع، فمثل هذا الحمار ينبغي أنْ لا يستعمل معه لفظ العشق والوصال والأنس، إذْ الأفهام الفاسدة السقيمة لا تدرك من الألفاظ إلَّا ما يلائم طباعها، فاستعمل معه ما يوافق طبعه من لفظ الكمال والتلذذ بمعرفته وأمثال ذلك.

المطلب الثاني:

في مواضع حرمة السماع وأنَّها خمس عوارض:

الأولى: السماع من المرأة المحرمة النظر إليها والأمرد فيحرم السماع لا لنفسها بل لمجاورها.

الثانية: في الآلة بأنْ تكون من شعائر الشرب

(١) كذا في الأصل، ولعله: وتخاذلت.

أو المخنثين كالمزامير والأوتار وطبل الكوبة، وما عدا ذلك يبقى على الإباحة كالدف وإنْ كان معه الجلاجل وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات.

الثالثة: في نظم الصوت وهو الشعر فإنْ كان من الخنا والفحش والكذب والهجو فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان، والمستمع شريك القائل، وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها. وأمّا هجاء الكفار وأهل البدعة فذلك جائز، وقد فعله حسان[1] في مجلس رسول الله ﷺ. وأمّا التشبيب وهو النشيد بوصف الخدود والقدود والأصداغ وسائر أوصاف النساء ففيه نظر. والصحيح جوازه إنْ لم ينزله على معينة ونزله على من تحل له من زوجته وجاريته. ومن نزله على أجنبية فهو عاصٍ بهذا التنزيل. ومَنْ هذا حاله ينبغي أنْ لا يحضر مجلس السماع. وأمّا الذي يغلب على قلبه حبّ الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلًا ظلمة الكفر، وبنضارة الخد نور الإيمان، وبذكر الوصال لقاء الله، وبذكر الفراق الحجاب عن الله في زمرة المردودين، وبذكر الرقيب المشوش قروح[2] الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الأنس بالله، ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ، حتى أنَّ ما فهمه ربما لا يوافق مراد الشاعر.

الرابعة: المستمع بأنْ يكون شابًا تكون الشهوة غالبة عليه، فالسماع حرام عليه وإنْ لم يكن فيه حبّ شخص معيَّن.

الخامسة: أنْ يكون المستمع من العوام ولم يغلب عليه حبّ الله فيكون السماع له محبوبًا ولا غلبت عليه الشهوة فيكون محظورًا، ولكنّه أُبيح كسائر اللذات المباحة إلَّا أنَّه بالمداومة يصير لهوًا تُردُّ شهادته، وبالإصرار يصير كبيرة. ونظير ذلك اللعب بالشطرنج عند الشافعية لأنَّ مداومته مكروهة كراهة شديدة، وإنْ كان أصله مباحًا، إذْ كم من مباح يصير إكثاره حرامًا كالخبز المباح إكثاره حرام بأنْ يجاوز حدّ الشبع. فأمّا ما ورد من الأخبار والآثار الدالّة على حرمة الغناء فإمَّا لعوارض محرمة كما ذكرناه، أو يحمل على الهرب عن تمتع الدنيا، أو يحمل على حرمة الأوتار أو على سماعه عند اشتغاله بما هو أولى منه من ذكر الله تعالى وذكر صفاته وأفعاله وأمثال ذلك. وأكثر استعمال السلف الغناء في أصوات القيان من الجواري الحسان. ولذلك قال الجنيد: الغناء رقية الزناء ومن أتقن ما ذكرناه من القواعد سهل عليه تأويل أمثال ذلك.

المطلب الثالث:

في آداب السماع وثمراته وفيها مقامات ثلاثة:

المقام الأول: في الفهم وهو مختلف باختلاف أحوال المستمع وهي أربعة: أحدها أنْ يكون سماعه لمجرد الطبع لا حظَّ له إلَّا استلذاذه الألحان والنغمات. هذا مباح لكنه أخس مراتب السماع إذْ تشاركه فيه الإبل. ثانيها تنزيله على صورة مخلوق إمَّا معيَّن أو غير معيَّن، وهذه الحالة أخس من أنْ يتكلَّم فيها إلَّا ببيان خسيتها

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد الباجي. توفي في المدينة عام ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م. صحابي جليل. شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام. وكان شاعر النبي ﷺ. عاش طويلاً. ويقال إنه عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. وله مدائح كثيرة في حق النبي وصحابته. له ديوان شعر مطبوع. وكتب عنه الكثيرون. الأعلام ٢/ ١٧٥، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٤٧، الإصابة ١/ ٣٢٦، ابن عساكر ٤/ ١٢٥، معاهد التنصيص ١/ ٢٠٩، خزانة البغدادي ١/ ١١١، الشعر والشعراء ١٠٤.

(٢) كذا في الأصل.

والنهي عنها. وثالثها أنْ ينزل على معاملته مع الله وهذه سماع المريد. وربما يمكن حمل كلام واحد على معنيين متخالفين بحسب اختلاف حال المستمع. الرابعة سماع من جاوز الأحوال والمقامات وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود كاللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام ويعبرون عنه بالفناء عن نفسه. ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى، فكأنَّه فني عن كلّ شيء إلَّا عن الواحد المشهود وفني أيضًا عن الشهود ولا خبر له عن فنائه أيضًا، مثلًا قد يعلم الشيء وقد يعلم العلم به. ففي الثاني يكون معرضًا عن الشيء، ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وقد تطرأ في حق الخالق، إلَّا أنَّه يكون كالبرق الخاطف، إذْ لو دام لم تطقه القوة البشرية وربما تهلك فيه نفسه، فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات، إلَّا أنَّ فيه نوع قصور، وإنَّما الكمال أنْ يفنى بالكلية عن نفسه وعن أحواله فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله، وهذه رتبة من خاض لجّة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال، واتحد بصفاء التوحيد، وتحقق بمحض الإخلاص، فلم يبق فيه منه شيء أصلًا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته إلى صفات البشرية رأسًا. ولست أعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه لا اللحم الصنوبري بل سرّ لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها الروح الذي هو من أمر الله سبحانه، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها، ولذلك السّر وجود، وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه. فإذا حضر فيه غيره فكأنَّه لا وجود إلَّا للحاضر، ومثاله المرآة الجلية إذْ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها، وليس لها في نفسها صورة، بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان. وهذا من مقامات علوم المكاشفة، منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال أنا الحق، وحولها يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت، أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيه عباراتهم وهو خطأ محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلتها، وإذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة رجعنا إلى الغرض.

المقام الثاني: الوجد وهو عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد جديد عقيبه يجده المستمع من نفسه وتلك حالة لا تخلو من قسمين: فإنَّها إمَّا أنْ ترجع إلى مشاهدات ومكاشفات من قبيل العلوم والتنبيهات أو أحوال أو تغييرات ليست من العلوم بل كالخوف والشوق والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض، فإنْ ضعف ولم يظهر في الظاهر لم يسم وجدًا، وإنْ ظهر على الظاهر سمِّي وجدًا، إمَّا قويًا أو ضعيفًا وقد لا يتغير الظاهر لقوة صاحبه، وقد يكون السماع سببًا لكشف ما لم يكن مكشوفًا قبله، فإنَّ الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منبه، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها، فإنَّ إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود، ومنها صفاء القلب والسماع مؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف، ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته، بل القلب إذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة وبالرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة. وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة، وربما يشاهد بالبصيرة صورة الخضر عليه السلام فإنَّه يتمثل لأرباب القلوب بصورة مختلفة، وتتمثل أيضًا الملائكة للأنبياء إمَّا على حقيقة صورها وإمَّا على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة. وقد رأى رسول الله ﷺ جبرائيل مرتين في صورته وأخبر عنه بأنَّه سد الأفق. وفي

مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب ويسمّى التفرُّس. وفي الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»[(١)].

إعلم أنَّ في نفس الإنسان مناسبة للعالم الأعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس الأعلى، إلّا أنّه لم يتخيَّل من هذه الأمور إلّا الصفات والأسماء. فالسماع يحرك منه الشوق، والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه ومستقره الذي إليه حنينه، فيتقاضاه قلبه أمرًا ليس يدري ما هو، فيدهش ويتحيَّر ويضطرب ويصير كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص. ثم إنَّ الوجد قد يكون بلا كلفة ويسمَّى الهاجم، وقد يكون بالكلفة ويسمَّى تواجدًا، فمنه المذموم وهو الذي يقصد به الرياء، ومنه محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالجبلة. فإنَّ للكسب مدخلًا في اجتلاب الأحوال وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة. ولقد شوهد في العادات من تكلف حبّ شخص وعشقه بدوام النظر إليه وإكثار ذكره حتى خرج آخرًا عن حد اختياره ثم طلب الخلاص ولم يكن له ذلك.

فإنْ قلت: إذا كان الوجد أمرًا محمودًا فما بالهم يتواجدون بالأشعار مع أنَّ القرآن أحق بذلك؟

قلت: الوجد بالقرآن كان غالبًا في النبي ﷺ منها قوله: «شيبتني سورة هود»[(٢)]، لأنَّ الشيب من الخوف والحزن وهو وجد. ومنها أنَّ ابن مسعود لما قرأ عليه وانتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[(٣)] قال: «حسبك، وعيناه تذرفان بالدمع»[(٤)]، والبكاء وجد لو أنَّه كان يصلّي ولصدره أزيز كأزيز المرجل، وهو من الوجد، وأمثال ذلك كثيرة.

ولذلك وقع الوجد بالقرآن من الصحابة والتابعين يعرف ذلك من تتبع الأخبار، وكذا السلف كثيرًا تواجدوا بالقرآن حتى إنَّ منهم من خرَّ مغشيًا عليه ومات.

وأمّا أهل زماننا هذا إنّما اختاروا الغناء والأشعار لأحد أمور سبعة:

الأول أنَّ جميع آيات القرآن لا تصلح لحال المستمع فلا يمكن قراءة البعض وترك الباقي، ويمكن ذلك في الشعر. وأمّا الكاملون فيأخذون الوجد من كلّ آية بقوة الفهم، إلّا أنَّ أهل زماننا قاصرون في العلم والحال فناسب الأشعار حالهم.

الثاني أنَّ القرآن متكرّر على القلوب والأسماع فيضعف أثره، ولما رأى الصديق أعرابًا يسمعون القرآن ويبكون قال: كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا. ولا تظنَّن أنَّ قلبه كان أقسى من قلوب أجلاف الأعراب، ولكن التكرّر على قلبه أورث قلّة التأثّر به. ولذلك همَّ عمر أن يمنع الناس من كثرة الطواف.

الثالث أنَّ لوزن الكلام تأثيرًا في القلب وذلك في الشعر.

الرابع أنَّ الشعر الموزون يؤثر في النفس بالألحان وذلك بمدّ المقصور تارة وقصر الممدود أخرى، والقطع في أثناء الكلمات ومثل هذا التصرّف لا يحل في القرآن وإنّما المأمور فيه الترتيل.

الخامس أنَّ الألحان الموزونة تؤكّد بأصوات أخر كالدف والقضيب والقرآن يصان عن هذا الشأن.

السادس أنَّ الكلام إذا لم يوافق حال

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الحجر، ح ٣١٢٧، ٥/٢٩٨.
(٢) الطبراني، المعجم الكبير، باب ابن عباس (عن عقبة بن عامر). ح ٧٩٠، ١٧/٢٨٧، بلفظ: «شبيتني هود وأخواتها».
(٣) النساء/٤١.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب السماع والوجد، الباب الثاني في آثار السماع وآدابه ٦/٥٥١.

المستمع يطلب تبديله إلى كلام يوافق حاله ليحصل له الوجد ولا يمكن ذلك في القرآن.

السابع أنَّ القرآن كلام الله ولا تطيقه القلوب لو سمعت حق السماع فضلًا عن أنْ يحصل به الوجد للسامع، والأشعار توافق حال البشر وشأنه الأدنى لمشاكلة المخلوق المخلوق. وأمَّا القرآن فهو خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه، وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشرية لعدم مشاكلته لطبعه، والله أعلم.

المقام الثالث:

في آداب السماع ظاهرًا وباطنًا وهو خمسة:

الأول مراعاة أحد أمور ثلاثة: الزمان ومعناه خلو الوقت عما يشتغل به القلب من الصلاة والطعام ونحوهما. والمكان بأنْ لا يكون كريه الصورة يشوش القلب. والإخوان بأنْ لا يحضر متزهد منكر لأحوال القلوب أو متواجد مراء يمزق الثوب باختياره لأنَّ مثل هذا مشوش للقلب. فترك السماع عند فقد شروطه أولى.

الثاني وهو نظر للحاضرين أنْ يحضر مريد يضره السماع وذلك أحد ثلاثة أقلهم درجة في الضرر من رتبته الأعمال الظاهرة ولم يحصل له ذوق السماع فليس هو من أهل اللهو فيلهو ومن أهل الذوق فيتنعَّم، فهو تضييع لزمانه. وأوسطهم ضررًا من له ذوق السماع ولكن فيه بقية من الحظوظ البشرية، فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيصير ضرره أكثر من نفعه. وأعلاهم درجة في حق الضرر من انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته لكنه لم يحكم ظاهر العلم، فربما سمع لفظًا ونزل المسموع على ما لا يجوز في حقه تعالى فيكون ضرره ضرر الكفر. نعوذ بالله من ذلك. ولذلك قال سهل[1]: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسُّنَّة فهو باطل.

الثالث: أنْ يكون مصغيًا إلى القوال حاضر القلب قليل الالتفات إلى ما يظهر عليهم من أحوال الوجد، مشتغلًا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله له من رحمته في سرِّه، متحفِّظًا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم ويحترز عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقًا مكانه مفكرًا مستغرق القلب متماسكًا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات إلى أنْ غلبه الوجد ويحركه بلا اختيار. ومهما رجع إلى الاختيار فليعد إلى هدوّه وسكونه.

واعلم أنَّ الوجد تارة يؤثر في الظاهر وتارة لا يؤثر وعدم التأثير إمَّا لضعف الوارد من السماع فهو نقصان، وتارة لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال، وتارة يكون حال الوجد مصاحبًا له في غالب الأحوال فلا تغيره طوارق الأحوال. ولعل مراد الصديق بقوله قست قلوبنا أنْ يكون معناه قويت واشتدَّت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كلّ الأحوال. فربّ ساكن أتم وجدًا من المضطرب.

الرابع: أنْ لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه، ولكن إنْ رقص وتباكى لاستجلاب الحزن لا للرياء فهو مباح. وأمَّا تخريق الثوب فلا رخصة فيه عند الاختيار وقد يكون بالإرادة لكن يكون كالمكره كاضطرار المريض إلى الأنين باختياره، إذْ لو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنَّه اختياري، فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه كالتنفس والزعقة. وتمزيق الثوب إذا كان على هذه الطريقة لا يوصف بالتحريم، وأمَّا تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد الفراغ من السماع وسكون الوجد فإنَّهم يقطعونها قطعًا صغارًا ويفرّقونها على القوم

(١) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد. ولد عام ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م. وتوفي عام ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م. أحد أئمة الصوفية الكبار. له عدة مصنفات.
الأعلام ٣/ ١٤٣، طبقات الصوفية ٢٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٢١٨، حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، طبقات الشعرائي ١/ ٦٦.

ويسمُّونها الخرقة فذلك مباح إذا قطع خرقًا مربَّعة لترقيع الثياب والسجادات، إذْ لا حرمة في قطع الكرباس الجديد إذا كانت فيه مصلحة، فإنَّ الكرباس يقطع ثم يخاط منه القميص. وإنَّما الذي يكره التمزيق المفسد للثوب.

الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق أو قام اختيارًا بلا إظهار وجد فذلك من أدب الصحبة. وبالجملة يوافق أصحابه في كلّ بدعة لا تزاحم سنة مأمورة أو لم ينقل النهي عنه، مثلًا القيام للداخل بدعة لم يفعله الصحابة للنبي ﷺ، لكن لا بأس في بلاد جرت العادة فيها بإكرام الداخل، وكذلك سائر أنواع المساعدة إذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليها جماعة.

فإنْ قلت: فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنَّه لهو باطل فلا يراه وجد في الدين إلَّا وينكره؟ قلت: إنَّ الجدّ لا يزيد عن جدّ رسول الله ﷺ ولم ينكر رقص الحبشة لكونه في وقت لائق به وهو العيد، ومن شخص لا يبعد منهم اللهو وهم الحبشة فالمنكر إمَّا منكرًا لإصرار وهو كذلك، أو ينكر من صدوره عن شخص لا يليق به اللهو وهذا أيضًا حق. أمَّا إنكاره عن العوام أحيانًا فذلك تقشُّف إذْ جوَّزه رسول الله ﷺ في بعض الأوقات، فما باله ينكره مطلقًا. وأمَّا إنكاره صدوره عن شخص ذي علم ودين وأهل شيبة ووقار، لكن وقع منه بدون الاختيار فذلك من الجهل، إذْ سقوط الاختيار لا يدخل تحت الأحكام التكليفية، يدلّ على جوازه من العلماء أيضًا في بعض الأحوال أنَّ النبي ﷺ قال لعليّ: «أنت منِّي وأنا منك»[١]، فحجل عليّ رضي الله عنه. وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي فحجل جعفر»[٢]. وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا فحجل زيد»[٣]. والحجل بفتح المهملة ثم الجيم بمعنى الرقص. وقيل أنْ يثب على إحدى رجليه وهو أيضًا نوع من الرقص. فقد خرج من هذا التفصيل أنَّ السماع قد يكون حرامًا محضًا وقد يكون مباحًا وقد يكون مكروهًا. أمَّا الحرام فهو لأكثر الناس من الشبَّان ممَّن غلبت عليهم شهوة النساء والغلمان والمكروه هو الذي يجعله ديدنًا ويتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو. وأمَّا المباح فهو من التلذّذ له[٤] إلَّا بالصوت الحسن. وأمَّا المستحب فهو لمن غلب عليه حبّ الله ولا يحرك السماع منه إلَّا الصفات المحمودة.

علم آداب الصحبة والمعاشرة[*] مع أصناف الخلق وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في فضيلة الأخوّة وشروطها ودرجاتها وفوائدها.

فضيلة الأخوّة والألفة: اعلم أنَّ حسن الخلق يوجب التوافق والتحاب ويثمرهما، ومحمودية المثمر توجب محمودية الثمرة، كما أنَّ سوء الخلق يثمر التباغض والتدابر. أمَّا فضيلة حسن الخلق فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[٥]. وقال ﷺ : «أكثر ما يدخل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي، تعليقاً، ٥/ ٨٧.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب جعفر، تعليقاً، ٥/ ٩٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، مناقب زيد بن حارثة، تعليقاً، ٥/ ٨٧.
(٤) كذا في الأصل الهندي، ولعله: من لا تلذّذ له. وفي المصرية: من لا تلذّذ له.
(*) هذا هو الأصل الخامس من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٥) القلم/ ٤.

الناس الجنة تقوى وحسن الخلق»[١]. وقال: «أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن»[٢]. وقال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣]. ثم إنَّ الأخوة في الدنيا والأخوة في الآخرة. واعلم أنَّ الصحبة إمَّا اتفاقي كالصحبة بسبب الجوار أو الاجتماع في المكتب والمدرسة،أو السوق، أو باب السلطان، أو الأسفار. وإمَّا اختياري وهي فرع المحبة وهي أربعة أقسام:

القسم الأول: حبك الإنسان لذاته وذلك بأنْ تلتذّ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له، فإنَّ كلّ جميل لذيذ، وكل لذيذ محبوب. فاللذّة تتبع الاستحسان، ويتبع هو المناسبة والموافقة من الطباع. ثم ذلك المستحسن إمَّا أنْ يكون صورته الظاهرة أو الباطنة أعني كمال العقل المثمر غزارة العلم، وحسن الخلق المثمر حسن الأفعال، وقد تكون الألفة بمناسبة باطنة توجب الألفة، فإنَّ شبه الشيء منجذب إليه، وتلك المناسبة لها أسباب دقيقة ليست في قوة البشر الاطلاع عليها. وإليه يشير قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف»[٤].

وكان مالك بن دينار[٥] يقول: كلّ إنسان يأنس بشكله كما أنَّ كلّ طير مع جنسه، فرأى يومًا غرابًا مع حمامة فعجب من ذلك، فلما طارا فإذا هما أعرجان. فقال: من هاهنا اتفقا. فقد ظهر منه أنَّ الحبّ قد يكون لا لنفع صوري ويدخل فيه الحبّ للجمال بدون ملاحظة الشهوة، فإنَّ الصورة الجميلة مستلذّة في عينها وإنْ فرض عدم الشهوة كما يستلذ الماء والخضرة والأزهار فهو محمود في نفسه. وإنْ اتصل به غرض مذموم من الشهوة الحرام صار مذمومًا. وإنْ اتصل به غرض مباح لا يذم ولا يحمد. وفي هذا القسم لا يدخل حبّ الله لأنَّه طبيعي، وحبّ الله ليس كذلك.

القسم الثاني: لينال من ذاته غير ذاته فيكون المحبوب الغير وهو وسيلة إليه، والطريق إلى المحبوب محبوب، ومنه محبَّة الذهب والفضة. ثم القصد بالوسيلة إمَّا إلى المال والجاه كحبّ الملوك والسلاطين، أو العلم كحبّ التلميذ الاستاذ، وليس في شيء منها محبّة الله تعالى، إذْ يتصوّر كلّ ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى، إلَّا أنَّه قد يكون مذمومًا إذا قصد التوصل إلى قهر الأقران بالمال، وحيازة أموال اليتامى بالجاه، وظلم الرعايا بالعلم بولاية القضاء أو غيره، وقد يكون مباحًا إذا توسَّل إلى مباح إذْ الوسيلة يكتسب الحكم والصفة من المتوسل إليه.

القسم الثالث: أنْ يحبّه لا لذاته بل لغيره، وذلك الغير ليس راجعًا إلى حظوظه في الآخرة كمن يحبّ أستاذه وشيخه لأنَّه يتوسَّل به إلى تحصيل العلم وتحسين العلم[٦]، ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة. فهذا من جهة المحبين في الله تعالى. وكذلك من يحبّ تلميذه لأنَّه يتلقَّف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم، بل الذي يتصدَّق بأمواله تقرُّبًا إلى الله تعالى، بل من أحبّ من يواسيه في المطعم

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة والصحبة، باب فضيلة الأخوة، ٦/ ١٧١.
(٢) سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق، ١٠/ ١٩٣، بلفظ: «أثقل شيء في ميزان المؤمن خلق حسن».
(٣) سنن البيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاقْ، ١٠/ ١٩٢، بلفظ «إنما بعثت».
(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ح العنوان ٤/ ٢٦٨.
صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة، ح ١٥٩، ٤/ ٢٠٣١.
(٥) هو مالك بن دينار، مولى لبني ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب، القرشي، أبو يحي. توفي عام ١٢٣ هـ. تابعي، زاهد، عابد، ورع. يأكل من عمله بالوراقة.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٤٧، الثقات ٥/ ٣٨٣، الجمع ٢/ ٤٨١، التهذيب ١٠/ ١٤.
(٦) كذا في الأصل، ولعله: العمل.

والملبس ليتفرغ للعلم والعمل، بل من أحبّ امرأته الصالحة ليتحصّن بها من وسواس الشيطان ويصون بها دينه ويولد له ولد صالح يدعو له، فكلّ هذه المقاصد دينية فهو محبّ لله تعالى.

القسم الرابع: أنْ يحبّ لله وفي الله لا لينال منه علمًا أو عملًا وليتوصل به إلى أمر وراء ذاته، وهذا أعلى الدرجات، وهو أدقها وأعظمها. وهذا القسم أيضًا ممكن. ومن أثار هذا الحبّ أنْ يتعدّى من المحبوب إلى من يتعلقه ويناسبه ولو من بُعد من محبوب محبوبه ومن يثني عليه حتى منزله ومحلته وجيرانه، حتى قيل: إنَّ المؤمن إذا أحبّ المؤمن أحبّ كلبه؛ ويشهده التجربة في أحوال العشاق، ويدلّ عليه أشعار الشعراء. فكذلك حبّ الله تعالى إذا غلب واستولى يتعدّى إلى كلّ موجود سواه لأنَّه أثر من آثار قدرته، كمن أحبّ خطّ حبيبه وصنعته، وكذلك كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة مسح عينها[1] وأكرمها وقال: إنَّه قريب العهد بربه.

ولو كان الحبّ مقصورًا على حظ ينال من المحبوب في الحال أو المال لما تصوّر حبّ الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وحبّ جميعهم مكنون في قلب كلّ مسلم متديّن، وكلّ ذلك حبّ الله لأنَّهم خواص عباده.

وإذا عرفت درجات الحب فقد اتضح عندك درجات البغض بالمقايسة لأنَّ من أحبّ لسبب فبالضرورة يبغض لضده. فكلّ عاصٍ لله يبغضه كما يحبّ المطيع، وهذان متلازمان. وكلّ من الحبّ والبغض دفين في القلب، وإنَّما يترشح عند ظهور أفعال المحبين والمبغضين ولكن يشكل حال من اختلط فيه الطاعة والمعصية إذْ يلزم فيه الجمع بين الحبّ والبغض وهما متضادان، إلّا أنَّ الأمر ظاهر عند الله تعالى. وأمَّا أنت فتبغض من جهة عصيانه وتحبّ من جهة طاعته، وذلك ممكن، كما إذا كان لك ولد ذكي خدوم لكنّه فاسق فإنَّك تحبّه من الجهة الأولى وتبغضه من الجهة الثانية، وكذلك الحال في المسلم العاصي فلا تبالغ في إهانته كإهانتك الكافر، ولا تبالغ في إكرامه كإكرامك المسلم المطيع. ثم ينبغي أنْ يكون ميلك إلى طرف الإهانة عند غلبة المعصية وإلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الطاعة. وهكذا حال من يطلب رضا الله ويتجنَّب سخطه.

ثم طريق إظهار البغض إمَّا القول أو الفعل. أمَّا القول فبترك مكالمته ومحادثته مرّة أو الاستخفاف والتغليظ أخرى. وأمَّا الفعل فبعدم إعانته أو بالسعي في إساءته أخرى. وهذه مراتب بعضها أشدّ من بعض، ويترشح بحسب درجات الفسق والمعصية. أمَّا درجات المعصية فإمَّا أنْ يصدر بطريق الهفوة فالأولى فيه الإغماض والستر، أو بطريق الإصرار على الصغيرة أو الكبيرة، فإنْ كانت متعدية إلى الغير فلا يسامح فيه بل ينكر بقدر ما يرتدع عنه وبقدر ما أمكن لك، وإنْ لم تكن متعدية إلى الغير بل متعدية إليك فقط فطريقه العفو والصفح، وإنْ عظمت جريمته، كما قطع أبو بكر نفقته على مسطح[2] حين تكلَّم في الإفك ثم أمره الله تعالى بإعادة النفقة إليه وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾[3] الآية. وأية جريمة أعظم

(١) كذا في الأصل الهندي.

(٢) هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، أبو عبادة، توفي بالمدينة عام ٣٤ هـ. شهد بدراً. صحابي جليل.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣٢، الإصابة ٣/٤٠٨، ابن سعد ٣/٣٦، حلية الأولياء ٢/٢٠، الاستيعاب ٣/١٣٠، أسد الغابة ٥/١٥٦.

(٣) النور/ ٢٢.

من أنْ يتعرَّض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها.

وأمَّا إنْ كانت معصية لنفسه، فإنْ كانت بينك وبينه مودّة فله حكم مخصوص سنذكره، وإلّا فلا بدّ من إظهار أثر البغض بالقول أو الفعل وما يندرج تحتها من الأنواع بحسب مرتبة انزجاره. وأقل الدرجات قطع الرفق والنصرة عنه، وأقواها إفساد أغراضه عليه. وهذا لا بدّ منه فيما يفسد عليه طريق المعصية لا في كلّ أمر. هذا مذهب البعض. واختار بعضهم في المعصية الغير المتعدية النظر بعين الرحمة لأنَّهم مقهورون لما قدر لهم، والقدر لا ينفع منه الحذر، ولكن قد يلتبس المداهنة ومراعاة القلوب بالرحمة، ومحك ذلك أنْ ينظر عليه بعين الرحمة إنْ جنى على خاص حقّه ويقول: كيف لا يفعله وقد كتب عليه. وإنْ كان يغتاظ عند الجناية على حقّه ويترحّم عند الجناية على حقّ الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكائد الشيطان.

فإنْ قلت: هل يجب الإعراض وقطع النفقة والإعانة عن العاصي بحيث يأثم من يتركه؟ قلت: لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكلف والإيجاب لأنَّ الصحابة كانوا منقسمين في حقّ أهل المعاصي. فمنهم من يغلظ القول، ومنهم من يكتفي بالإعراض، ومنهم من ينظر بعين الرحمة. فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرائق السالكين.

المطلب الثاني:

في أقسام المعاصي وأحكام كل منها:

القسم الأول: الفساد في الاعتقاد وهو نوعان:

الأول: الكفر. فالكافر الحربي يجازى بالقتل والاسترقاق، وهذا أقصى الإهانة. والذمّي هو الذي ماله وعرضه معصوم، لكن يعرض عنه ويحقر بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام، ويقول في جواب سلامه وعليك، والأولى الكفّ عن معاملته ومخالطته ومؤاكلته. وأمّا الانبساط معه والاسترسال إليه فمكروه كراهة شديدة تكاد تنتهي ما يقوى منها إلى حدّ التحريم.

والثاني: المبتدع. وهو إمَّا أنْ يدعو إلى بدعته فإنْ كانت بدعته بحيث يكفر بها فأمره أشدّ من الذمّي، وإلّا فأمره أخفّ من الذمّي عند الله، ولكن أشدّ عند الناس لأنَّ شرّه يخاف أنْ يتعدّى إلى المسلم بخلاف شرّ الكافر. وأمَّا المبتدع الذي يدعو إلى بدعته ويزعم أنَّ ما يدعو إليه حقّ فشرّه متعدٍّ، فالاستحباب في إظهار بغضه والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشدّ. وأمَّا ردّ سلامه فإنْ كان عند الناس فلا يجوز تنفيرًا للناس عنه وتقبيحًا لبدعته في أعينهم، وإنْ كان في الخلوة فإنْ ظنَّ أنَّ ترك الجواب يردعه عن بدعته فالترك أولى وإلّا فلا بأس بجوابه.

وأمَّا المبتدع العامِّي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون، فالأولى أنْ يتلطف به في النصح، فإنَّ قلوب العوام سريعة التقلب، فإنْ لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكّد الاستحباب في الإعراض.

القسم الثاني: العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده وهذا على أقسام:

أحدها وهو أشدّها ما يتضرَّر به الناس كالظلم والغَصْب وشهادة الزور والغيبة والنميمة، فالإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم أشدّ. ثم إنَّ فساد هؤلاء إمَّا في الدماء أو في الأموال أو في الأعراض، وبعضها أشدّ من بعض. فالاستحباب في إهانتهم والإعراض عنهم يتأكّد بحسب شدّة الفساد وغلظته.

القسم الثاني: الماخور الذي يهيّىء أسباب الفساد ويسهل طريقه على الفُسَّاق، فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم، لكن ينقص بفعله من دينهم،

فهو قريب من الأول ولكنّه أخفّ منه. فإنَّ المعصية بين العبد والربّ إلى العفو والمغفرة أقرب، ولكنّه من حيث تعدّيه إلى غيره شديد يقتضي الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظنّ فيه أو في غيره نوعًا من الزجر.

القسم الثالث: الفاسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه، فالأمر فيه أخفّ ولكنّه في وقت مباشرته إنْ صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف، فإنَّ النهي عن المنكر واجب، وإذا فرغ منه وعلم أنَّه مصرٌّ عليه فإنْ علم النصح يمنعه من العود وجب النصح، وإنْ لم يتحقّق ولكنَّه كان يرجوه فالأفضل النصح والزجر لطفًا أو تغليظًا إنْ كان هو الأنفع. وإنْ علم إصراره وأنَّ النصح لا ينفعه فسير العلماء فيه مختلفة. فبعضهم يقول: ينبغي الإعراض عن جواب سلامه والكفّ عن مخالطته. وبعضهم يقول: الرفق والنظر بعين الرحمة أولى، كما نهى النبي ﷺ عن لعن من شرب خمرًا وقال: «لا تكن عونًا للشيطان على أخيك»[1]. أو كما قال. والحق أنَّ ذلك يختلف باختلاف نيّات الرجال والتفاوت في الأحوال والمفتى فيه القلب والبال، إذْ لكلّ من الطرفين خطر، إذْ العنف قد يكون عن كبر وعجب، والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح، والرفق قد يكون عن مداهنة واستمالة قلب.

المطلب الثالث:

في الصفات المشروطة فيمن تصاحبه:

إذْ ليس كلّ إنسان يصلح للصحبة. فالصحبة إمَّا للدنيا كالانتفاع بالمال والجاه، أو الاستئناس بالمشاهدة والمحاورة، ولا يتعلّق بذلك غرضنا. وإمَّا الدين وذلك لأغراض، منها استفادة العلم والعمل، ومنها استفادة الجاه تحصنًا به عن أذى من يشوش القلب ويصدّه عن العبادة، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب الأقوات، ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الأهوال، ومنها التبرُّك بمجرَّد الدعاء، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة. قال بعض السلف استكثر من الإخوان فإنَّ لكلّ مؤمن شفاعة.

وأيضًا ينبغي فيمن تريد صحبته خمس خصال: العقل وحسن الخلق وترك الفسق والابتداع والحرص على الدنيا.

أمَّا العقل فهو رأس المال إذْ الأحمق يضرّك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري.

وأمَّا حسن الخلق إذْ رُبَّ عاقل يغلبه هواه أو غضبه أو شهوته ويخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه.

وأمَّا الفاسق المصرّ على الفسق لا يخاف الله، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته، بل يتغيَّر بتغيّر الأغراض. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[2]. وأمَّا المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وهو مستحق للقطيعة فكيف الصحبة.

وقد جمع شرائط الصحبة علقمة العطاردي لابنه لما حضرته الوفاة فقال: يا بنيّ إنْ عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب مَنْ إذا صحبته صانك، وإنْ صحبته زانك، وإنْ قعدت بك مؤنة مانك. إصحب مَنْ إذا مددت يدك مدَّها، وإذا رأى منك حسنة عدّها، وإذا رأى منك سيِّئة سدَّها. إصحب مَنْ إذا قلت صدق قولك، وإنْ حاولت أمرًا أمرك، وإنْ تنازعتما في شيء آثرك. كأنَّه جمع في هذا جميع حقوق الصحبة، إلَّا أنَّ مثل هذا الرجل عزيز أو مفقود. ولذلك قيل: أوصاه بذلك لأنَّه أراد أنْ

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب بيان مراتب الذين يبغضون في الله، ١٩٨/٦.

(٢) الكهف/ ٢٨.

لا يصحب ابنه أحدًا.

قال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلَّا من يكتم سرّك ويستر عيبك، ويكون معك في النوائب، ويؤثرك في الرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيِّئتك، فإنْ لم تجده فلا تصحب إلَّا نفسك.

وأمَّا الحريص على الدنيا فصحبته سمّ قاتل لأنَّ الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، والطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه.

المطلب الرابع:

في حقوق الصحبة وهي ثمانية:

الأول: في المال إذْ الأخوة اتحاد معنوي يقتضي الاشتراك في المال والجاه والمساهمة في السرَّاء والضرَّاء. قال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1] أي كانوا خلطاء في المال. ومراتبها ثلاث: أولاها أدناها أنْ تنزله منزلة خادمك، فتقوم بحاجته من فضلة مالك. ثانيتها أنْ تنزله منزلة نفسك وتشاركه في مالك. وثالثتها وهي العليا أنْ تؤثره على نفسك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين. ومن تمام هذه الرتبة إيثار بالنفس أيضًا. رُوي أنَّه سُعي بجماعة من الصوفية إلى بعض الملوك فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسن الثوري[2] فبادر هو إلى السيَّاف ليكون هو أول مقتول. فقيل له في ذلك، فقال: أحببت أنْ أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة، فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة.

الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة، ولها أيضًا درجات: أدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة لكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة. وكان في السلف من يتفقَّد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجاتهم، ويتردَّد كلّ يوم إليهم ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلَّا عينه، بل كانوا يرون منه ما لا يرون من أبيهم في حياته. وكان الواحد يتردَّد إلى باب دار أخيه ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرف أخوه. وبالجملة ينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهمّ وتتقلَّد منه بسبب قبوله فضلًا عن أنْ ترى لنفسك حقًا عليه، ولا ينبغي أنْ يقتصر على قضاء الحاجة بل يجهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد.

الثالث: وهو السكوت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته بل يتجاهل عنه، ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلَّم، ولا يماريه، ولا يناقشه، ويسكت عن أسراره فلا يبثها إلى غيره ولو أخصّ أصدقائه، ولو بعد القطيعة والوحشة، فإنَّ ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن، ويسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وعن حكاية قدح غيره فيه، فإنَّ الذي سبَّك مَنْ بلَّغك، ولا يخفي ثناء أحد عنه فإنَّ ذلك سرور للمبلغ والقائل وإخفاؤه عنه من الحسد. وأيضًا لا يفاتح بسؤال غرضه ومورده ومصدره إذْ ربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أنْ يكذب فيه.

وبالجملة يسكت عن كلّ كلام يكرهه جملة

---

(١) الشورى/٣٨.

(٢) في الأصل: أبو الحسن الثوري، بالثاء المثلثة، وهو تصحيف. والصحيح أنه أبو الحسين النوري، بالنون. ووقع الخطأ نفسه في المصرية.

وهو أحمد بن محمد النوري البغدادي، أبو الحسين، توفي عام ٢٩٥ هـ، ويعرف بابن البغوي. من كبار الصوفية، كان له طريقة خاصة به تعرف بالنورية وتشبه طريقة الجنيد. صحب السري السقطي والقصاب. كان يؤثر أصحابه على نفسه، وله مواقف وأقوال مأثورة في الذكر والإحسان وغيره. انظر عنه: الموسوعة الصوفية ٣٩٧.

وتفصيلًا إلّا في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر ولم يجد رخصة في السكوت، فإنَّ ذلك إحسانًا إليه وإنْ كرهه.

أمَّا ذكر مساوئه وعيوبه ومساوىء أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حقّ كلّ مسلم، ويزجرك عنه أمران: أحدهما أنْ تطالع نفسك فإنْ وجدت فيه أمرًا مذمومًا أنت عاجز عن تركه فقس على نفسك حاله. وثانيهما أنَّك إنْ طلبت أحدًا لا عيب فيه لم تجد من تصاحبه فأي الرجال المهذب، وإنَّما الكريم من غلبت فيه المحاسن المساوىء، فالكريم يلاحظ محاسنه واللئيم مساوئه، ولا يوجد أحد ليس له مساوىء أو محاسن، وإنَّما الاعتبار للنظر، فالمحب يعمى حسه عن عيوب المحبوب والمبغض عينه تبرز كلّ عيب.

الرابع: على اللسان بالنطق فإنَّ الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضًا النطق بالمحاب إذْ الإخوان إنَّما يراد ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم، فعليه أنْ يتودَّد إليه بلسانه ويتفقَّده في أحواله التي يجب أنْ يتفقد فيها، كالسؤال عن عارض إنْ عرض له وإظهار لشغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه، وكذا جملة أحواله التي يكرهها أنْ يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها.

وينبغي أن يظهر السرور بلسانه مشاركة له في السرور، فمعنى الأخوّة المساهمة في السرّاء والضرّاء، وفي الحديث: «إذا أحبَّ أحدكم أخاه فليخبره»[(١)]، وإنَّما أمره بالإخبار ليزداد حبًا. ومن ذلك أنْ ندعوه بأحبِّ أسمائه إليه في غيبته وحضوره، ومن ذلك أنْ يثني عليه وعلى أولاده وفعله حتى عقله وخلقه وهمته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به، وذلك من غير كذب وإفراط. وآكد من ذلك أنْ يبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به.

ومن ذلك أنْ يشكره على صنيعه في حقّه بل على نيته وإنْ لم تتم. وأعظم من ذلك تأثيرًا في جلب المحبّة الذبّ عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض، فحقّ الأخوّة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه، فالسكوت عنه موغر للصدور ومنفر للقلب وتقصير في حقّ الأخوّة. فلك معنيان: أحدهما: أنْ تقدر أنَّ الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضرًا ما الذي تحبّ أنْ يقوله فيك، فينبغي أنْ تقابل المتعرض لعرضه به. وثانيهما: أنْ تقدر أنَّه حاضر أو وراء جدار يسمع قولك ويظنّ أنَّك ما تعرف حضوره، فما كان يتحرَّك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى، ينبغي أنْ تكون في غيبته كذلك. ومن لم يكن مخلصًا في إخائه فهو منافق. والإخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسرّ والعلانية والخلوة والجماعة، والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مما ذم في المودة، وهو دَخَل في الدين ووليجة في طريق المسلمين، ومن لم يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة، فإنَّ حقّ الصحبة ثقيل لا يطيقه إلَّا محقّق. ولا جرم أجره جزيل لا تناله إلَّا بتوفيق. ومن ذلك التعليم والنصيحة إذْ الحاجة إلى العلم فوق الحاجة إلى المال، فإذا وجب مواساته وجب مواساة العلم بالطريق الأولى وإنْ لم يعمل بعد تحصيل العلم يعلمه فعليك نصحه لكن في الخلوة لما ذكرناه. ولا تظنّن أنَّ في ذكر العيوب إيحاش القلب فلا يكون من حقوق الأخوّة، لأنَّ الإيحاش في عيب يعلمه صاحبه وإنْ لم يعلم فهو عين الشفقة. وأمَّا ما يعلمه ولا يقدر على دفعه فلا يكشف سرّه فيه إنْ كان يخفيه، وإنْ كان يظهره فلا بدّ فيه من

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب الحق الرابع في حقوق الأخوة والصحبة، ٦/٢٢١.

النصح بالتعريض تارة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدِّي إلى إيحاش. وإنْ علمت أنَّ النصح غير مؤثر وأنَّه مجبور عليه فالسكوت عنه أولى.

وأمَّا ما يتعلَّق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه، فالتعريض ليس من النصح في شيء. نعم إنْ كان بحيث يؤدِّي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السِّرّ خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والكناية خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكل.

الخامس: العفو عن الزلات والهفوات. والهفوة إمَّا في دينه أو في حقك. أمَّا الأول فعليك التلطف في نصحه بما تقيم أوده وتجمع شمله وتعيد إلى الورع والصلاح حاله، فإن لم تقدر وبقي مصرًا فقد اختلف فيه الصحابة والتابعون. فذهب أبو ذر[1] إلى الانقطاع، ورأى ذلك من البغض في الله. وأمَّا أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه، وقال أبو الدرداء: إذا تغيَّر أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإنَّ أخاك يعوجّ مرّة ويستقيم أخرى. وقال إبراهيم النخعي[2]: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فإنَّه يرتكبه اليوم ويتركه غدًا. وكم من أخٍ زلَّ ولم يتغيَّر عليه أخوه حتى صار باعثًا على هدايته. ولعله لو ترك لكان باقيًا على ذنبه. وأيضًا هذا وقت حاجته، وعقد الأخوّة مرصدة لوقت الحاجة، وأي حاجة أشدّ من فقر الدين، فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأفقه من طريق أبي ذر، وطريقته أحسن وأسلم. والأكثرون على خلاف أبي ذر حتى قال الشاعر:

وأغـفـرُ عـوراءَ الـكـريـم ادخـاره
وأعـرض عـن شـتـم الـلـئـيـمِ تـكـرّمًـا

وقال:

ولـسـت بـمـسـتـبـقٍ أخًـا لا تـلـمّـه
عـلـى شَـعَـثٍ أيّ الـرجـالِ الـمـهـذب

السادس: الدعاء للأخ في حياته ومماته، فتدعو له كما تدعو لنفسك، فإنَّه دعاء لك على التحقيق. وفي الخبر: «إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال له الملك: ولك مثل ذلك»[3]. وفي الحديث: «دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد»[4]. وروي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «مثل الميت في القبر مثل الغريق يعلّق بكلّ شيء، ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب»[5].

السابع: الوفاء والإخلاص. ومعنى الوفاء الثبات على الحبّ وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه. فإنَّ الحبّ أمر أخروي، فإنْ انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي. ومن ثمرات المودة أنْ لا تكون مع حسد في دين ودنيا، فكيف يحسده وكلّ ما لأخيه فإليه ترجع فائدته. ومن الوفاء أنْ لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإنْ ارتفع شأنه وعظم

---

(١) هو أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة بن سفيان. توفي عام ٣٢ هـ. صحابي جليل، من المهاجرين. شهد المشاهد مع النبي ﷺ، وروى عنه. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣٠، التجريد ١/ ٩٠، الثقات ٣/ ٥٥، الاستيعاب ٤/ ٦٢، الإصابة ١/ ٢٤٧.

(٢) هو ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود. أبو عمران النخعي ولد عام ٤٦ هـ/ ٦٦٦ م وتوفي عام ٩٦ هـ/ ٨١٥ م. من أكابر التابعين. صالح صدوق ثقة في رواية الحديث وحفظه، إمام مجتهد في الفقه.
الأعلام ١/ ٨٠، طبقات ابن سعد ٦/ ١٨٨، حلية الأولياء ٤/ ٢١٩، طبقات القراء ١/ ٢٩، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٣٥.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة. . .، باب الحق السادس في حقوق الأخوة، ٦/ ٢٣٣، بلفظ «فإن» بدلاً من «قال له».

(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة. . .، باب الحق الرابع في حقوق الأخوة. . .، ٦/ ٢٣٤.

(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة والصحبة، باب حقوق الأخوة والصحبة، ٦/ ٢٣٤.

جاهه. والارتفاع على الإخوان مما يتجدَّد من الأحوال لؤم.

قال الشاعر:

إنَّ الـكـرام إذا مـا أسـهـلـوا ذكـروا
مـن كـان يـألـفـهـم بـالـمـنـزل الـخـشـنِ

ومن آثار الإخلاص وتمام الوفاء أنْ يشتد جزعه من المفارقة نفور الطبع من أسبابها، وأنْ لا يسمع بلاغات الناس على صديقه سيما من يظهر أولًا أنَّه صديقه، وينقل عنه ما يوغر الصدر، فذلك من دقائق الجهل في التعريف، ومن الوفاء أنْ لا يصادق عدو صديقه.

الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف، بأنْ لا يكلف على أخيه ما يشقّ عليه، بل يروح سرّه عن مهماته وحاجاته، ويرفهه عن تحمله شيئًا من أعبائه، ولا يستمد منه من جاه ومال، ولا يكلفه التواضع له، والتفقد والقيام بحقوقك، بل لا يقصد بمحبته إلَّا الله تعالى تبركًا بدعائه واستئناسًا بلقائه واستعانة به على دينه وتقربًا به إلى الله، بالقيام بحقوقه وبحمل مؤنه. وتمام التخفيف على بساط التكليف أنْ لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه، ولا يعترض في نوافل العبادات، ويشاور في كلّ ما يقصده، ويقبل إشارته، ولا يخفي عنه شيئًا من أسراره، ويرى نفسه دون أخيه، ويحسن الظنّ به ويسيء بنفسه، فإذا رآه خيرًا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرًا منه، وتنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتخدمهم بجميع جوارحك. أمَّا البصر فتنظر إليهم نظر المودّة يعرفونها منك، وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم، ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم إليك وكلامهم معك. وأمَّا السمع فأنْ تسمع كلامهم متلذذًا بسماعه ومصدقًا به ومظهرًا للاستبشار فيه، ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة وإعراض. فإنْ راهقك عارض اعتذرت إليهم، وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهونه. وأمَّا اللسان أنْ لا ترفع صوتك عليهم ولا تخاطبهم إلَّا بما يفهمون. وقد مرّ باقي حقوقه. وأمَّا اليدان فأنْ لا تقبضهما عن معونتهم في كلّ ما يتعاطى باليد. وأمَّا الرجلان فأنْ تمشي وراءهم مشي الأتباع لا مشي المتبوعين، ولا يتقدّمهم إلَّا بقدر ما يقدمونه، ولا يقرب منهم إلَّا بقدر ما يقربونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا، ولا يقعد إلَّا بقعودهم، ويقعد حيث يقعد متواضعًا.

ومهما تمَّ الإخاء خفَّت جملة من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فإنَّها من حقوق الصحبة، وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلُّف. فإذا تمَّ الاتحاد انطوى بساط التكلُّف بالكلية، فلا يسلك فيه إلَّا مسلك نفسه، ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلّف إظهار ما فيها.

المطلب الخامس:

في جمل من آداب المجالسة مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء:

إنْ أردت حسن المعيشة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلّة له ولا هيبة منهم، وتوقر في غير كبر، وتواضع في غير مذلّة. وكن من جميع أمورك في أوسطها. (كلاطر في قصد الأمور ذميم). ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات. وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبيك أصابعك، والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك وتنخمك، وطرد الذباب عن وجهك، وكثرة التمطّي والتثاؤب في وجوه الناس، وفي الصلوات وغيرها. وليكن مجلسك هادئًا وحديثك منظومًا مترتبًا، وأصغِ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهارِ تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك من الحكايات. ولا تحدث عن إعجابك بولدك وجاريتك وشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك، ولا تفرط الزينة كالمرأة ولا تتبذل كالعبيد، وتوقَّ كثرة الكحل

والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحدًا على الظلم ولا تعلم ولدك وأهلك فضلًا عن غيرهم مقدار مالك، فإنَّهم إنْ رأوا قليلًا هنت إليهم، وإنْ كان كثيرًا لا تبلغ قط رضاهم، واجفهم من غير عنف، ولِنْ لهم من غير ضعف، ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك.

وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك، وتجنب عجلتك، وتفكر في حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك، ولا تجث ركبتك. وإذا هدأ غضبك فتكلّم.

وإنْ قربك سلطان فكنْ منه على حد السنان، وإنْ استرسل إليك فلا تأمَنْ من انقلابه عليك، وارفق به رفقك بالصبي، وكلمه بما يشتهيه، ولا يحملنك لطفه بك إلى أنْ تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه، فإنَّ سقطة من هذا دأبة لا ينعس وزلة[1] لا تقال، واترك الغيبة والكذب، واحفظ السّر، وأقلل الحوائج، وهذّب الألفاظ، والإعراب في الخطاب أحسن، وذاكر بأخلاق الملوك، وأقلل المداعبة وأكثر الحذر منهم، وإنْ ظهرت المودة، ولا تتجشأ بحضرته ولا تتخلل بعد الأكل عنده. وعلى الملك أنْ يتحمَّل كلّ شيء إلَّا إفشاء السّر والقدح للملك والتعرّض للحرم.

وإيَّاك وصديق العافية فإنَّه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسًا فابدأ بالتسليم، ولا تتخط لمن سبق والجلوس حيث اتسع، وحيث تكون أقرب إلى التواضع أولى.

والأدب أنْ تحيي بالسلام من قربت منه عند الجلوس، ولا تجلس على الطريق فإنْ وقع فغضّ البصر وانصر المظلوم، وأغث الملهوف، وأعن الضعيف، وأرشد الضال، وردّ السلام، وأعط السائل، وامر بالمعروف وانْهَ عن المنكر، ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك أو تحت قدمك اليسرى. ولا تجالس العامة فإنْ فعلت فأدبهم ترك الخوض في حديثهم وقلّة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم وقلّة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم.

وإيَّاك أنْ تمازح لبيبًا أو غير لبيب، فإنَّ اللبيب يحقد عليك، والسفيه يجترىء عليك، لأنَّ المزاح يخرق الهيبة، ويذهب ماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الودّ، ويشين فقه الفقيه، ويجرىء السفيه، ويسقط المنزلة عند الحكيم، ويمقته المتقون، ويميت القلب، ويباعد عن الربّ، ويكسب الغفلة، ويورث الزلة، وبه تظلم السرائر، وتموت الخواطر، وتتبيَّن العيوب. ويقال لا يكثر المزاح إلَّا من سخف أو بطر. ومن بلي في مجلس بمزاح فليقل قبل أنْ يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب. قال النبي ﷺ: «من قاله قبل أن يقوم من مجلسه غفر له ما كان في مجلسه ذلك»[2].

المطلب السادس:

في حق المسلم والرحم والجوار والملك:

وأخصّ المخالطة القرابة وذو الرحم المحرم آكد. ومنهم حقّ الوالدين آكد. وحقّ الصحبة لها درجات: الصحبة في الدرس والمكتب آكد، ثم صحبة السفر والصداقة إذا قويت صارت أخوّة، فإذا زادت صارت محبة، فإذا زادت صارت خلّة. والمحبّة ما يتمكّن من حبّه القلب والخلّة ما يتخلّل القلب.

حقوق المسلم: أنْ تسلّم عليه إذا لقيته،

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: فإن سقطه من هذا دأبه لا تنعش وزلته، وهو المذكور في المصرية.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الرابع في أدعية مأثورة، ٥/ ٨٠.

وتجيب إذا دعاك وتشمّه إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبرّ قسمه إذا أقسم عليه، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب، وتحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك، ورد في جميع ذلك أخبار وآثار.

ولا تؤذي أحدًا بفعل وقول، وتتواضع لكلّ مسلم ولا تتكبَّر عليهم، ولا تبلغ بعضهم ما تسمع من بعض، ولا تزيد في الهجر على ثلاثة أيام، ويحسن على كلّ من قدر على الإحسان عليه ما استطاع، لا يميز بين الأهل وغير الأهل، ولا يدخل على أحد منهم إلَّا بإذنه بل يستأذن ثلاثًا، فإنْ لم يؤذن له انصرف، ويخالق الجميع بخلق حسن، ويعاملهم بحسن طريقه، فإنَّه إذا أراد لقاء الجاهل بالعلم والعامي بالفقه والغني باليسار آذى وتأذّى، ويوقر المشايخ ويرحم الصبيان. ومن تمام توقير المشايخ أنْ لا يتكلَّم بين أيديهم إلَّا بإذن. وفي الخبر: «ما وقَّر شابٌ شيخًا إلَّا قيّض الله له في سنّه من يوقِّره»[١]. وفي هذا إشارة إلى دوام الحياة، فليتنبَّه له فلا يوفق لتوقير الشيوخ إلَّا من قضى له بطول العمر.

ويكون مع كافة الخلق مستبشرًا طلق الوجه رفيقًا، ولا يعدّ مسلمًا بوعد إلَّا ويفي به، وأنْ ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلَّا ما يحبّ أنْ يؤتى إليه، وأنْ يزيد توقير من تدلّ هيئته وثيابه على علوّ منزلته فينزل الناس منازلهم، وأنْ يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلًا، وأن يستر عورات المسلمين كلهم حتى الحدود، كما قال ﷺ لماعز[٢] لما أخبره: «لو سترته بثوبك كان خيرًا لك»[٣]. وقال أبو بكر الصديق: لو رأيت أحدًا على حدٍّ من حدود الله ما أخذته ولا دعوت له أحدًا حتى يكون معي غيري، وينبغي أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظنّ وألسنتهم عن الغيبة، فإنَّهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكًا. وأن يشفع لكلّ من له حاجته من المسلمين عند من له منزلة عنده فيسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه، وأنْ يبدأ كلّ مسلم بالسلام قبل الكلام، ويصافحه عند السلام، وأنْ يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر، ويرد عنه ويناضل دونه وينصره، وأنْ يشمّت العاطس ثلاثًا وإذا زاد فهو زكام، يقول العاطس: الحمد لله على كلّ حال، ويقول الذي يشمّته: يرحمكم الله، ويرد العاطس فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وأيضًا إذا بلي بذي شر ينبغي أن يجامله ويتقيه، وأنْ يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام، ويفعل النصيحة لكلّ مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه. قال معروف الكرخي[٤]: من قال كلّ يوم ثلاث مرَّات: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرِّج عن أمة محمد، كتبه الله من الأبدال.

وينبغي أنْ يعود مرضاهم، والمعرفة والإسلام كافٍ في إثبات هذا الحقّ، ونيل فضله. وآدابه: خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية، وغضّ البصر عن عورات الموضع. وأدبه عند الاستئذان أنْ لا يقابل الباب ويدق برفق، ولا يقول: أنا إذا قيل: مَنْ. ولا يقل يا

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة...، الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجواز...، ٦/ ٢٥٩.
(٢) هو ماعز التميمي، أبو عبد الله بن ماعز صحابي سكن البصرة، له رواية. انظر: أسد الغابة ٤/ ٢٣١.
(٣) سنن أبي داوود، كتاب الحدود، باب في الستر على أهل الحدود، ح ٤٣٧٧، ٤/ ٥٤١.
(٤) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، توفي عام ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م. زاهد متصوف مشهور. له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٦٩، طبقات الصوفية ٨٣، وفيات الأعيان ٢/ ١٠٤، صفة الصفوة ٢/ ١٧٩، تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٩.

غلام، لكن يحمد ويسبِّح. وفي الحديث: «تمام عيادة المريض أنْ يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو»(١). قال عثمان(٢) رضي الله عنه: مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، أعيذك بالله الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، من شرِّ ما تجد»(٣). قاله مرارًا. ودخل ﷺ على عليّ رضي الله عنه وهو مريض فقال له: «قل: اللهم إنِّي أسألك تعجيل عافيتك، أو صبرًا على بليتك، أو خروجًا من الدنيا، فإنَّك ستعطى إحداهن»(٤).

ويستحبّ للعليل أيضًا أنْ يقول: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا اشتكى أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئًا من صداقها فيشتري به عسلًا فيشربه بماء السماء فيجمع له الهنيء المريء والشفاء المبارك.

وآداب المريض حسن الصبر، وقلّة الشكوى والضجر، والفزع إلى الدعاء، والتوكّل بعد الدعاء على خالق الدواء. قال ﷺ: يا أبا هريرة: «ألا أخبرك بأمرٍ هو حقّ من تكلَّم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: تقول: لا إله إلَّا الله يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت سبحان ربّ العباد والبلاد، والحمد لله كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه على كلّ حال. الله أكبر، كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكلّ مكان. اللهم إنْ أنْت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى، وباعدني من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى»(٥).

ومن الآداب أنْ يشيِّع جنائزهم وأنْ يزور قبورهم. والمقصود الدعاء والاعتبار وترقيق القلب. وأدب المعزي خفض الجناح وإظهار الحزن وقلّة الحديث وترك التبسّم.

وأدب تشييع الجنازة دوام الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت، والتذكر في الموت والاستعداد له، وأنْ يمشي أمام الجنازة بقربها والإسراع بها.

وجملة الكلام أنْ لا تستصغر أحدًا منهم حيًا كان أو ميتًا فتهلك، لأنَّك لا تدري لعله خير منك، وإنْ كان فاسقًا فلعله يختم بالصلاح وتختم أنْت بمثل حاله. ولا تنظر إليهم بعين التعظيم في دنياهم، فإنَّ الدنيا صغيرة إلى الله. وإذا عظمت يستحق المقت، ولا تبذل دينك لدنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم، فإنْ لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير. ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الذلّ ولا تنال الغرض. ولا تطمع أنْ يكون لك في الغيب والسّر كما في العلانية، فذلك طمع كاذب، وأنَّى

(١) سنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، ح ٢٧٣١، ٥/ ٧٦.
(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، ذو النور بن، ولد بمكة عام ٤٧ ق. هـ/ ٥٧٧ م. وتوفي بالمدينة مقتولاً شهيداً عام ٣٥ هـ/ ٦٥٦ م. ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة، صاحب النبي ﷺ وروى عنه وشهد المواقع. كان تاجراً غنياً ويتصدق كثيراً. في عهده تم تدوين القرآن بشكل رسمي ونسب الرسم إليه فقيل، الرسم العثماني.
الأعلام ٤/ ٢١٠، تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ٣٥، غاية النهاية ١/ ٥٠٧، شرح نهج البلاغة ٢/ ٦١، البدء والتاريخ ٥/ ٧٩، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٣٩، حلية الأولياء ١/ ٥٥، تاريخ الطبري ٥/ ١٤٥، صفة الصفوة ١/ ١١٢، تاريخ الخميس ٢/ ٢٥٤ وغيرها.
(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي، باب ما جاء في الرقي للعين والمرض. . .، ٥/ ١١٠.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب حقوق المسلم، ٦/ ٢٩٦.
(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة. . .، باب حقوق المسلم، ٦/ ٢٩٨.

تظفر به. ولا تتكبَّر عليهم لاستغنائك عنهم فإنَّ الله يلجئك إليهم عقوبة على فعلك، وإذا قضى أحد حاجتك فهو أخٌ مستفاد، فإنْ لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوًا. ثم إنَّك لا تقدر مقاساته، ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك، ولا تعظ إلَّا إرسالًا من غير تنصيص على أحد، وإذا رأيت منهم خيرًا فاشكر الله الذي سخَّرهم لك واستعذ بالله أنْ يكلك إليهم، وإذا رأيت شرًا أو بلغك منهم غيبة أو أصابك منهم ما يسوءك فكِلْ أمرهم إلى الله واستعذْ بالله من شرِّهم، ولا تشتغل بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر، ولا تقل لهم: لِمَ لا تعرفون قدري وموضعي. وأعتقد أنَّك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعًا في قلوبهم، فالله المحبب والمبغض للقلوب. وكنْ سميعًا لحقهم، أصم من باطلهم، نطوقًا بحقهم، صموتًا عن باطلهم. واحذر صحبة أكثر الناس فإنَّهم إنْ صحبوك لا يقيلون العثرة، ولا يغفرون الزلّة، ولا يسترون العورة، ويحاسبون على النقير والقطمير، ويحسدون على القليل والكثير، ينتصفون ولا ينصفون، ويؤاخذون ولا يعفون. يعيِّرون الإخوان بالنميمة والبهتان، فصحبة أكثرهم خسران، وقطيعتهم رجحان. إنْ رضوا فظاهرهم الملق وإنْ سخطوا فباطنهم الحنق. ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب، يقطعون بالظنون، ويتغامزون وراءك بالعيون، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون. يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم، ولا تعول على مودة من لم تخبره في حقّ الخبرة بأنْ تصحبه مدّة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره، وتسافر معه أو يعاملك في الدينار والدرهم، أو تقع في شدّة فتحتاج إليه، فإنْ رضيته في هذه الأحوال فاتخذه أبًا لك إنْ كان كبيرًا أو ابنًا إنْ كان صغيرًا أو أخًا إنْ كان مثلك.

المطلب السابع:

حقوق الجوار:

إعلم أنَّ للجوار حقًا وراء ما يقتضيه أخوة الإسلام. وفي الحديث: «الجار المسلم ذو الرحم له ثلاثة حقوق: حقّ الجوار وحقّ الإسلام وحقّ الرحم. والجار المسلم له حقّان: الجوار والإسلام. والجار الكافر له حقّ واحد للجوار»[1]. وليس حقّ الجوار كفّ الأذى فقط بل احتمال الأذى بل لا بدّ من الرفق وإسداء الخير والمعروف. يقال: إنَّ الفقير يتعلَّق بجاره الغني يوم القيامة ويقول: يا ربّ: سلْ هذا لِمَ منعني معروفه وسدّ بابه دوني.

وجملة حقّ الجار أنْ يبدأ بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ويكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يطّلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء من ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طريقه إلى داره، ولا يتبعه بالنظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، ويعينه إذا أنابته نائبة، ولا يغفل عن تعهد داره عند غيبته، ولا يتسمع عليه كلامًا، ويغضّ بصره عن حرمه، ولا يديم النظر إلى خادمه، ويتلطف لولده في كلامه، ويرشده إلى ما جهله من أمر دينه ودنياه. هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها للمسلمين عامة. قال ﷺ: «أتدرون ما حق الجار؟ إنْ استعان بك أعنته، وإنْ استقرضك أقرضته، وإنْ افتقر جدت عليه، وإنْ مرض عدته، وإنْ مات اتبعت جنازته،

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب حقوق الجوار، ٦/ ٣٠٤، بلفظ: «وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله...».

وإنْ أصابه خير هنأته، وإنْ أصابه مصيبة عزّيته. ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلّا بإذنه. وإذا اشتريت فاكهة فاهْدِ له، فإنْ لم تفعل فأدخلها سرّا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلّا أنْ تغرف له منها، أتدرون ما حقّ الجار؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلّا من رحمه الله»[١]. هكذا رواه عمرو بن شعيب[٢] عن أبيه عن جدّه عنه ﷺ.

المطلب العاشر[٣]

حقوق الأقارب:

قال ﷺ: «يقول الله: أنا الرحمن، وهذه الرحم، شققت لها اسمًا من اسمي. فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته»[٤]. وقال ﷺ: «من سرَّه أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليتق وليصلْ رحمه»[٥]. رُوي أنَّ عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مُروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا. إنَّما قال ذلك لأنَّ التجاور ربّما يورث القطيعة.

حقوق الوالدين والولد: إعلم أنَّ آكد الحقوق القرابة وآكدها قرابة الولاد، قال ﷺ: «برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله»[٦]. وقال: «برّ الوالدة على الوالد ضعفان»[٧]. وقال: «الوالدة أسرع اجابة. قيل: يا رسول الله: ولِمَ ذلك؟ قال: هي أرحم من الأب ودعوة الرحيم لا تسقط»[٨]. وطاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإنْ لم تجب في الحرام المحض. وليس لك أنْ تسافر في مباح أو نافلة إلّا بإذنهما، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام كالنفل لأنَّه على التأخير، والخروج لطلب العلم نفل إلّا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلِّمك. قال أنس: قال رسول الله ﷺ: «الغلام يعقّ عنه اليوم السابع ويُسمَّى ويماط عنه الأذى. فإذا بلغ ست سنين أدّب. فإذا بلغ تسع سنين عُزل فراشه. فإذا بلغ ثلاث عشرة ضُرب على الصلاة. فإذا بلغ ستّ عشرة زوّجه ثم أخذ بيده وقال: أدَّبتك وعلَّمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة»[٩]. وقيل: ولدك ريحانتك سبعًا وخادمك تسعًا، ثم هو عدوك أو صديقك. قال ﷺ: «حقّ كبير الإخوة على صغيرهم كحقّ الوالد على ولده»[١٠]. وقال ﷺ: «إذا استصعبت على أحدكم دابته وساء سوء خلق زوجته لواحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه»[١١].

المطلب الحادي عشر:

حقوق الملك:

وهو إمَّا ملك النكاح وقد مرّ، وإمَّا ملك

---

(١) الزبيدي، إتحاف، كتاب آداب الأخوة. . .، باب حقوق الجوار، ٦/٣٠٨، بلفظ: «غدت» بدلاً من «جدت».
(٢) هو عمرو بن شعيب بن محمد السهمي القرشي، أبو ابراهيم، توفي بالطائف عام ١١٨ هـ/٧٣٦ م. من رجال الحديث. الأعلام ٥/٧٩، تهذيب التهذيب ٨/٤٨، ميزان الاعتدال ٢/٢٨٩.
(٣) كذا في الأصل، وكان قبل هذا المطلب السابع، وسيأتي عقبه المطلب الحادي عشر. وقد سقط المطلبان: الثامن والتاسع من النص، وكذا من النسخة المصرية. ولعله قد وقع تصحيف أو خطأ في تعداد المطالب.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة. . .، باب حقوق الأقارب والرحم، ٦/٣١١.
(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة. . .، باب حقوق الأقارب والرحم، ٦/٣١١.
(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب حقوق الوالدين والولد، ٦/٣١٤.
(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب حقوق الوالدين والولد، ٦/٣١٦، بلفظ: «على الولد».
(٨) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب حقوق الوالدين والولد، ٦/٣١٦.
(٩) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب حقوق الوالدين والولد، ٦/٣١٧.
(١٠) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة، باب حقوق الوالدين والولد، ٦/٣٢٢.
(١١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة. . .، باب حقوق الوالدين والولد، ٦/٣٢٢.

اليمين وهو آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ قال: «اتّقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبدلوا، ولا تعذّبوا خلق الله فإنَّ الله ملّككم إياهم، ولو شاء ملّكهم إيّاكم»(١). قال ﷺ: «إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلوى فإنَّه أطيب لنفسه»(٢)، رواه معاذ(٣). وقال ﷺ: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليمسكه فليأكله معه، وإنْ لم يفعل فليناوله»(٤)، رواه أبو هريرة.

فجملة حق المملوك أنْ يشركه في طعمته وكسوته، ولا يكلّفه فوق طاقته، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء، وأنْ يعفو عن زلّته، ويتفكّر عند غضبه عليه بهفواته أو جنايته في معاصيه، وجنايته على حقّ الله وتقصيره في طاعته، مع أنَّ قدرة الله عليه فوق قدرته عليه.

علم آداب العزلة(*)

المطلب الأول:

في فضلها وكراهتها:

واختار الأول سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي(٥) والفضيل بن عياض(٦) وسليمان الخواص(٧) ويوسف بن أسباط(٨) وحذيفة المرعشي(٩) و بشر الحافي(١٠). واختار الثاني سعيد بن المسيب والشعبي(١١) وابن أبي

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة والصحبة، باب حقوق المملوك ٦/ ٣٢٣. بلفظه.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الأخوة والصحبة، باب حقوق المملوك، ٦/ ٣٢٦.

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن. ولد عام ٢٠ ق. هـ/ ٦٠٣ م. وتوفي عام ١٨ هـ/ ٦٣٩ م صحابي جليل. أعلم الناس بالحلال والحرام. أسلم صغيراً وأرسله النبي ﷺ إلى اليمن ليعلم أهلها الدين. وشهد الفتوح مع الرسول روى الكثير من الأحاديث النبوية.
الأعلام ٧/ ٢٥٨، ابن سعد ٣/ ١٢٠، أسد الغابة ٤/ ٣٧٦، حلية الأولياء ١/ ٢٢٨، سير أعلام النبلاء، ١/ ٤٤٣، غاية النهاية ٢/ ٣٠١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم، ح ٨٥، ٧/ ١٤٩، بمعناه دون كامل لفظه.

(*) هذا هو الأصل السادس من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) هو داود بن نصير الطائي، أبو سليمان. توفي عام ١٦٠ هـ، عابد، زاهد، فقير، كان يحمل على نفسه بشدة. انظر عنه: شذرات الذهب ١/ ٢٥٦، ابن سعد ٦/ ٣٦٧، حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧، وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٩، مشاهير علماء الأمصار ٢٦٦.

(٦) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، ولد في سمرقند عام ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م. وتوفي بمكة عام ١٨٧ هـ/ ٨٠٣ م. شيخ الحرم المكي، فقيه، ثقة في الحديث، من الصالحين.
الأعلام ٥/ ١٥٣، طبقات الصوفية ٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٥، صفة الصفوة ٢/ ١٣٤، حلية الأولياء ٨/ ٨٤، وفيات الأعيان ١/ ٤١٥، الجواهر المضية ١/ ٤٠٩.

(٧) هو سليمان الخواص، من كبار العابدين الزاهدين في الشام. كان سكنه ببيروت، عاصر الأوزاعي، وله أخبار مشهورة. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٨، حلية الأولياء ٨/ ٢٧٦، طبقات الصوفية ٩٨، الكواكب الدرية ١١٨.

(٨) هو يوسف بن إسباط، زاهد من سادات المشاريخ الصوفية. له مواعظ وحكم. انظر عنه:
سير أعلام النبلاء ٩/ ١٦٩، الجرح والتعديل ٩/ ٢١٨، حلية الأولياء ٨/ ٢٣٧، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٢.

(٩) هو حذيفة بن قتادة المرعشي. من الأولياء الزهاد والصالحين. صاحب سفيان الثوري. له أقوال سائرة في التصوف.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٨٣، حلية الأولياء ٨/ ٢٦٧، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٨.

(١٠) هو بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر المعروف بالحافي. ولد عام ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م. وتوفي ببغداد عام ٢٢٧ هـ/ ٨٤١ م. زاهد، ورع، ثقة في الحديث. له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٥٤، روضات الجنات ١/ ١٢٣، وفيات الأعيان ١/ ٩٠، تاريخ بغداد ٧/ ٦٧، صفة الصفوة ٢/ ١٨٣.

(١١) هو عامر بن شراحيل بن عبدذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو. ولد بالكوفة عام ١٩ هـ/ ٦٤٠ م. وتوفي فيها عام=

ليلى[(١)] وهشام بن عروة[(٢)] وابن شبرمة[(٣)] وشريح[(٤)] وشريك بن عبدالله[(٥)] وابن عيينة[(٦)] وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة كثيرة.

المطلب الثاني:

في فوائد العزلة وهي ستة:

الأولى: الفراغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاستكشاف بأسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض، فإنَّ ذلك يستدعي فراغًا، ولا فراغ مع المخالطة. فالعزلة وسيلة إليه. ولذلك تبتل رسول الله ﷺ في ابتداء أمره في جبل حراء وانعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوة، فكان الخلق بحيث لا يحجبونه عن الله تعالى فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلًا على الله تعالى. ولن يتسع للجمع بين المخالطة ظاهرًا والإقبال على الله سرًا إلَّا قوة النبوة، فلا ينبغي أنْ يغترّ كلّ ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك، ولا يبعد أنْ تنتهي درجة بعض الأولياء إليه.

وقد نُقل عن الجنيد أنَّه قال: أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنِّي أكلمهم. وهذا إنَّما يتيسَّر للمستغرق بحبّ الله استغراقًا لا يبقى لغيره فيه متسع، وهذا غير منكر إذْ الإنسان ربما يلقى همه في أمر من أمور دنياه ويخالط ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم، وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء من ذلك.

وإذا عرفت ذلك فمن تيسر بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر تحقّق في معرفة الله، فالتجرد له أفضل، فإنَّ المطلب الأعلى أنْ يموت الإنسان محبًا لله عارفًا بالله، وأصل ذلك الخلوة والعزلة.

الثانية: التخلص بالعزلة عن المعاصي التي

=١٠٣ هـ/ ٧٢١ م راوية من التابعين، حافظ، فقيه، شاعر، كان ثقة في الحديث.
الأعلام ٣/ ٢٥١، تهذيب التهذيب ٥/ ٦٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٤، حلية الأولياء ٤/ ٣١٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧.

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار بن بلال الأنصاري الكوفي. ولد عام ٧٤ هـ/ ٦٩٣ م. وتوفي بالكوفة عام ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ م. قاضي، فقيه، له أخبار مع الإمام أبي حنيفة.
الأعلام ٦/ ١٨٩، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠١، ميزان الاعتدال ٣/ ٨٧، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٢.

(٢) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، أبو المنذر، وقيل أبو بكر. توفي عام ١٤٥ هـ. من حفاظ المدينة ومتقنيهم، ورع فاضل.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٣٠، الثقات ٥/ ٥٠٢، تاريخ بغداد ١٤/ ٤٧، وفيات الأعيان ٦/ ٥٨٠، تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠١.

(٣) هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي، أبو شبرمة. توفي عام ١٤٤ هـ. علامة محدث، قاضي الكوفة، عفيف، شاعر كريم، له رواية وفقه غزير. وأخباره مشهورة. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٤٧، مشاهير علماء الأمصار ١٦٨، تاريخ الإسلام ٥/ ٨٨، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٨، شذرات الذهب ١/ ٢١٥.

(٤) هو القاضي شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، أبو أمية، توفي عام ٧٨ هـ وكان من المعمرين. فقيه، قاضي الكوفة.
سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠، أسد الغابة ٢/ ٣٩٤، أخبار القضاة ٢/ ١٨٩، الجرح والتعديل ١/ ٣٣٢، حلية الأولياء ٤/ ١٣٢، النجوم الزاهرة ١/ ١٩٤.

(٥) هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، أبو عبد الله. ولد في بخارى عام ٩٥ هـ/ ٧١٣ م. وتوفي بالكوفة عام ١٧٧ هـ/ ٧٩٤ م. عالم بالحديث، فقيه، سريع البديهة والذكاء، تولى القضاء.
الأعلام ٣/ ١٦٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٤، تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٩.

(٦) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد. ولد بالكوفة عام ١٠٧ هـ/ ٧٢٥ م. وتوفي بمكة عام ١٩٨ هـ/ ٨١٤ م. محدث الحرم المكي. حافظ ثقة، واسع العلم. له عدة كتب في الحديث والتفسير.
الأعلام ٣/ ١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٢، صفة الصفوة ٢/ ١٣٠، وفيات الأعيان ١/ ٢١٠، ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٧، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠.

يتعرَّض الإنسان لها غالبًا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة:

أحدها الغيبة وهي التي يتفكه بها الإنسان ويتنقلون، فهي طعمتهم ولذتهم فإمَّا وافقتهم أثمتَ أو سكتَ فكنت شريكًا لهم، والمستمع أحد المغتابين، أو أنكرتهم فأبغضوك واغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة، وربما انتهوا إلى الاستخفاف والشتم.

وثانيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو أصل من أصول الدين، فإنْ سكتَّ عصيت الله تعالى، وإنْ أنكرت تعرَّضت لأنواع من الضرر، وربما يجره طلب الخلاص منها إلى معاصي هي أكثر مما نهى عنه ابتداء.

وثالثها الرياء فهو الداء العضال الذي يعسر التحفظ على الأوتاد والأبدال، وكلّ من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راياهم، ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا، وأقل ما يلزم فيه النفاق فإنَّك إنْ خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما بوجه توافقه صرت بغيضًا إليهما جميعًا، وإنْ جاملتهما كنت شرار الناس. وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه، ولا يخلو ذلك عن كذب، إمَّا في الأصل أو في الزيادة، وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أولادك وأنت فارغ القلب من همومهم وذلك نفاق محض.

ورابعها مسارقة الطبع لما يشاهد من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلَّما يتنبَّه له العقلاء فضلًا عن الغافلين. ومن جالس فاسقًا مدة يرى في نفسه أنَّه لا يستثقل الفساد مثل استثقاله قبل ذلك إذْ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينًا على الطبع، ويسقط استعظامه، فإذا طالت صحبته أوشك أنْ يتخلَّل القوة الرادعة ويذعن الطبع للميل إليه أو دونه. ومن طال مشاهدته للكبائر استحقر الصغائر من نفسه ثم وثم بالغًا ما بلغ.

الثالثة: الخلاص عن الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلَّما تخلو البلاد عنها.

الرابعة: الخلاص من شرّ الناس من الغيبة وسوء الظنّ بك والتهمة عليك، والاقتراحات والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها. وربما يسيؤون الظنّ بسبب توهمهم. قال المتنبي:

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونُه ... وصدق ما يعتاده من توهمِ
وعادى محبيه بقولِ عداتِه ... وأصبح في ليلٍ من الشكِّ مظلمِ

الخامسة: أنْ ينقطع طَمع الناس عنك وينقطعَ طمعك عنهم.

أمَّا انقطاع طمعهم عنك ففيه كل الجدوى لأنَّ رضا الناس غاية لا تدرك. فاشتغال المرء بصلاح نفسه أولى. ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم، ولو خصص استوحشوا.

وأمَّا انقطاع طمعك عنهم فإنَّ من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه، ولا يرى الخيبة في أكثر الأطماع فيتأذَّى به. ومهما اعتزل لم يشاهد ولم يشته ولم يطمع، ومن شاهد زينة الحياة الدنيا فإمَّا أنْ يقوى دينه ويقينه فيصبر، والصبر أمرّ من الصبر والصبرا، ويحتال في طلبها فيهلك في الدنيا بالطمع الذي يخيب في أكثر الأوقات وفي الآخرة بإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى.

السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقاء ومقاساة أخلاقهم فإنَّ رؤية الثقيل هي العمى الأصغر. وأيضًا في رؤية الثقيل خوف ارتكاب غيبته واستنكار ما هو صنع الله تعالى، وفي العزلة أمان من جميع هذه الآفات.

المطلب الثالث:

آداب العزلة وهي سبعة:

الأولى: التعليم والتعلم وهما أعظم

العبادات، ولا يتصور إلَّا بالمخالطة، والعزلة قبل تعلم المفروض من العلم عصيان، فمن يقدر على التبرّز في علوم الشرع والعقل غاية الخسران، ولذلك قال النخعي[١] وغيره: تفقه ثم اعتزل. إلَّا أنَّ المراد ينبغي أنْ لا تكون إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع، والتقدم على الأقران، والتقرب عند السلطان وتولي الأعمال واجتلاب الأموال، لأنَّ هذه الأمور هلاك الدين. وأيضًا أنْ يتعلم علمًا هو سبب لإثارة الخوف من الله لا ما يتوصل به إلى إفحام الأقران والمنافسة والمباهاة كطلب الكلام الجدلي والفقه الخلافي والمواعظ المزخرفة إذْ العزلة خير من تعلم هذه. فإنْ صودف طالب لله ومتقرب إلى الله فالاعتزال عنه وكتمان العلم عنه أكبر الكبائر، إلَّا أنَّ مثل ذلك في بلد كبير في زماننا هذا واحد أو اثنين. ولقد صدق أبو سليمان الخطابي[٢] حيث قال: دعْ الراغبين في صحبتك والتعلم منك، فليس لك منهم مآل ولا جمال. إخوان العلانية أعداء السّر، إذا لقوك تملقوك، وإذا غبت عنهم سلقوك، ومن أتاك منهم كان عليك رقيبًا، وإذا خرج كان عليك خطيبًا. أهل نفاق وغيبة[٣] وغلّ وخديعة، فلا تغتر باجتماعهم عليك، فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأنْ يتخذوك سلمًا إلى أوطارهم وحمارًا في حاجاتهم إنْ قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشدّ أعدائك ثم يعدون تردّدهم عليك دالة عليك. ويرونه حقًا واجبًا لديك، ويعرضون عليك أنْ تبذل عرضك وجاهك ودينك، فتعادي عدوهم، وتنصر قريبهم، وخادمهم ووليّهم، وتنتهض لهم سفيهًا وقد كنت فقيهًا، وتكون لهم تابعًا خسيسًا بعد أنْ كنت متبوعًا رئيسًا.

وهذا كلام حق وصدق، رحم الله من قاله، فإنَّك ترى المدرسين في رقٍّ دائم وتحت حقّ لازم ومنّة ثقيلة ممن يتردَّد إليهم، فكأنَّه يهدي تحفة إليه فيرى حقّه واجبًا عليه، وربما لا يختلف إليه ما لم يتكفل له على مساعدة أغراضه الفاسدة الذميمة. ثمّ المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك ويبذل دينه وعرضه في أبواب الظلمة لأجل أغراضهم الذميمة، ومع ذلك نسبوه إلى الحمق وقلّة التمييز والقصور عن درك مقادير الفضل، وسلقه السفهاء بألسنة حداد، وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد. ومع هذا كله تمنيه نفسه بالأباطيل وتدليه بحبل الغرور، ويقول: إنَّما أفعله مريدًا وجه الله وإذاعة شرع رسوله وناشرًا دين الله، ويصير المسكين ضحكة الشيطان، ويؤول سعيه وجده إلى الخسران. وكيف لا وليس فساد الزمان إلَّا بكثرة هؤلاء الفقهاء أولي الضلال والخذلان.

الثانية: النفع والانتفاع لأنَّ كلًّا منهما بالمخالطة، فالمحتاج إلى الكسب في جهاد المخالطة وما كان معه ما يقنع به فالعزلة أفضل وأولى إلَّا أنْ يريد التكسب ليتصدق فهو أفضل من العزلة لأجل النوافل لا لأجل التحقق في معرفة الله تعالى ومعرفة علوم الشرع، ولا من العزلة للإقبال بكنه الهمة على الله والتجرّد به

---

(١) هو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الأزدي الكوفي، أبو عمر، ولد بالكوفة عام ١١٧ هـ/ ٧٣٥ م. وتوفي فيها عام ١٩٤ هـ/ ٨١٠ م. تولى القضاء في بغداد أيام هارون الرشيد ثم قضاء الكوفة. فقيه، محدث، ثقة. وله كتاب في الحديث.
الأعلام ٢/ ٢٦٤، ميزان الاعتدال ١/ ٢٦٦، تاريخ بغداد ٨/ ١٨٨.

(٢) هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، ولد عام ٣١٩ هـ/ ٩٣١ م. وتوفي عام ٣٨٨ هـ/ ٩٩٨ م. فقيه، محدث، له مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٧٣، وفيات الأعيان ١/ ١٦٦، إنباه الرواة ١/ ١٢٥، خزانة الأدب ١/ ٢٨٢.

(٣) في الأصل الهندي: غيمة، وهو تصحيف، والصواب ما ذكرنا.

للذكر. وأمَّا النفع فإمَّا بماله أو ببدنه، فيقوم بحاجات المسلمين حِسبة لله على حدود الشرع فهو أفضل من العزلة بنوافل الصلوات والأعمال البدنية. وأمَّا الأعمال القلبية من المعارف فلا معادل لها أصلًا وقطعًا.

الثالثة: التأديب والتأدّب بكسر النفس وقهر الشهوات بتحمل أذى الناس، وهو أفضل من العزلة لمن لم تتهذب بعد أخلاقه، كخدام المتصوفة في الزمان الأول إذْ هم اليوم توسلوا بالخدمة إلى انتفاع المال والتكبر بالاستتباع. وأمَّا التأديب فهو حال شيخ المتصوفة معهم فلا بدّ له من المخالطة، وحاله معهم حال المعلم مع المتعلم وحكمه حكمه، ويتطرق إليه من دقائق الآفات ما يتطرق إلى نشر العلم كالرياء إلَّا أنَّه أقلّ فيهم من غيرهم ولذلك قلَّ أهله.

الرابعة: الاستئناس والإيناس وذلك قد يكون حرامًا كمجالس الغيبة واللهو، وقد يكون مباحًا في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى. ويستحب إذا كان الغرض ترويح القلب فإنَّ القلوب إذا أكرهت وعميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة ترويح القلب فهي أولى إذا كان في بعض أوقات النهار، وربما يكون أفضل في حقّ البعض دون البعض، فليتفقد فيه أحوال القلب وتأمَّل أحوال الجليس ثم اجلس معه.

الخامسة: في نيل الثواب وإنالته. أمَّا النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين والجمعة والجماعات، وهؤلاء سيما حضور الجمعة والجماعات واجب وليس في العزلة ما يعادله، اللهم إلَّا نادرًا. وأمَّا الإنالة فهو فتح بابه للتعزية والتهنئة أو العيادة وكذا الزيارة إنْ كان عالمًا، ففي هذه الصور ينبغي أنْ يوزن ثواب هذه بآفاتها ويرجح ما ترجح.

السادسة: التواضع فإنَّه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه من الوحدة. وقد يكون الكبر أيضًا سببًا في اختيار العزلة، ومانعة عن المخالطة أنْ لا يوقر في المحافل ولا يقدم، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس. وقد يعتزل خوفًا من أنْ تظهر مقابحه فيتخذ من البيت سترًا عليها، وعلامة ذلك أنْ يحبّ أنْ يزار دون أنْ يزور، ويفرح بتقرّب العوام والسلطان واجتماعهم على بابه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك، فلا تكون عزلته للاشتغال بنفسه، وفي ذلك جهل من وجهين: أحدهما أنَّ التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو كبير بعلمه أو دينه، وكان النبي ﷺ وأصحابه يتواضعون غاية التواضع. وثانيهما أنَّ الخلق لا يغنون من الله شيئًا، وأنَّ ضرره ونفعه بيد الله، وأنَّ من طلب رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، بل رضا الناس غاية لا تدرك.

السابعة: التجارب إذْ العقل الغريزي كاف[1] بها في مصالح الدين والدنيا، فينبغي أنْ يتعلم أولًا ويحصل ما يكفيه من التجارب ثم يعتزل. ومن جملة ذلك الأخلاق الذميمة في النفس من الحقد والحسد والغضب ونحو ذلك فإنَّها دفينة في النفس بما يسلم المعتزل عنها ويظن نفسه خالية عنها، وعند المخالطة تتحرك ويظهر خبثها، فلها في إظهار الخبائث فائدة جليلة.

إذا عرفت فوائد العزلة وآفاتها فينبغي أنْ ينظر إلى الشخص وحاله، ويقاس الفائت بالحاصل، فعند ذلك يتبيَّن الحق ويتضح الأفضل. وما وقع في مدح العزلة أو مدح المخالطة من كلام الصوفية والحكماء فليس ذلك على إطلاقه، بل ذلك حكاية غالب أحواله فلا تغتر بذلك، إذْ لكلّ شخص حال ولكلّ حال حكم.

وأمَّا آداب العزلة فهي: أنْ ينوي بعزلته كفَّ

(١) كذا في الأصل.

شرّه عن الناس أولًا، ثم طلب السلامة من الأشرار ثانيًا، ثم الخلاص من آفات الاختلاط ثالثًا، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعًا، ثم ليكن في خلوته مواظبًا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن أنْ يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش عليه وقته، وليكف عن السؤال عن أخبارهم والإصغاء إلى أراجيف البلد، فإنَّ كلّ ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب.

وبالجملة يقطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله وليقنع باليسير من المعيشة وإلَّا اضطره التوسع إلى الناس. وليكن له أهل صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه عن كدّ المواظبة في اليوم ساعة، ففيه عون على بقية الساعات. ولا يتم له الصبر في العزلة إلَّا بقطع الطمع عن الدنيا وما في أيدي أهلها، وطريق ذلك أنْ لا يقدر لنفسه عمرًا طويلًا، بل بصبح على أنَّه لا يمسي، ويمسي على أنَّه لا يصبح، فيسهل عليه صبر يوم واحد، وإلَّا فلا يسهل عليه الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل. وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة. وليتحقَّق أنَّ من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت. ومن أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه، إذْ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيًا بمعرفته وأنسه فرحًا بفضل الله تعالى عليه ورحمته، كما قال تعالى في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]. وكلّ متجرّد لله في جهاد نفسه فهو شديد مهما أدركه الموت، إذْ الجهاد الأكبر جهاد النفس.

علم آداب كتابة المصحف[*]

وهو علم يعرف فيه كيفية كتابة المصحف ليكون موافقًا للآداب المعتبرة في الشرع والمستحسنة عند السلف. وفائدته غير خافية على أرباب البصائر.

واعلم أنَّه يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة، وتعليقه فيكره، وكذا كتابته في الشيء الصغير. وعن عمر رضي الله عنه أنَّه رأى مصحفًا قد كتب بقلم دقيق فضرب كاتبه وقال: عظموا كتاب الله. وكان عمر إذا رأى مصحفًا عظيمًا سُرَّ به. وعن عليّ رضي الله عنه أنَّه كان يكره أنْ تتخذ المصاحف صغارًا. وعن عليّ رضي الله عنه موقوفًا قال: «تنوق[2] رجل في بسم الله الرحمن الرحيم فغفر له»[3]. وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوده غفر الله له»[4]. قال الغزالي: يحسن كتابة المصحف بالذهب. وعن ابن عباس وأبي ذر وأبي الدرداء أنَّهم كرهوا ذلك. وعن ابن مسعود أنَّه مرَّ عليه مصحف زُيِّن بالذهب فقال: إنَّ أحسن ما زُيِّن به المصحف تلاوته بالحق. قالت الشافعية: وتكره كتابته على الحيطان والجدران وعلى السقوف أشدّ كراهة لأنَّه يوطأ.

وهل يجوز كتابته بقلم غير العربي؟ قال

---

(١) آل عمران/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، حيث قسمها المؤلف إلى سبعة مطالب. وجعل المطلب الأول يدور حول فروع علم القراءة، والتي فيها علم آداب كتابة المصحف.

(٢) يقال: تنوق وتنيق في مطعمه وملبسه إذا تجوّد وبالغ.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ١/ ١٠.

(٤) السيوطي، الدر المنثور، ١/ ١٠، بلفظ: «مجودة غفر الله له».

الزركشي[١]: لم أرَ فيه كلامًا لأحد من العلماء. قال: ويحتمل الجواز لأنَّه قد يحسنه من لا يقرؤه بالعربية، والأقرب المنع، كما تحرم قراءته بغير لسان العرب.

قال البيهقي[٢]: من آداب القرآن أنْ يفخم فيكتب مفرجًا بأحسن خط، ولا يصغّر ولا تقرمط حروفه، ولا يخلط به ما ليس منه، كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراآت ومعاني الآيات. وعن الحسن وابن سيرين[٣] أنَّهما قالا: لا بأس بنقط المصاحف. وعن ربيعة بن أبي عبدالرحمن[٤] أنَّه قال: لا بأس بشكلها. قال النووي[٥]: نقط المصحف وشكله[٦] مستحب لأنَّه صيانة له من اللحن والتحريف. وقال ابن مجاهد[٧]: ينبغي أنْ لا يشكِّل إلَّا ما يشكُل.

وأمّا ما نقل عن النخعي أنه كره النقط، وعن ابن سيرين أنَّ كره النقط والفواتح والخواتم، وعن ابن مسعود أنَّهما كرها التعشير، فلعلهم قالوا ذلك عند عدم الاحتياج إلى النقط، وعند توهّم الاشتباه بالمصحف في البواقي لقوله عليه الصلوة والسلام: «جرِّدوا القرآن»[٨]، لا أنَّهم قالوا بكراهة ذلك مطلقًا، وإلّا فكيف يمنع عند الحاجة إذْ الغرض إزالة الالتباس على كلّ حال. فالالتباس تارة يكون في إثبات ما ذكروه وتارة في عدم إثباته. ولهذا قال مالك رضي الله عنه: لا بأس بالنقط في المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان، أما الأمهات فلا؛ لأنّ الإمام مالك رأى الحاجة فيما يتعلم منه الصبيان دون الكلّ. وأما اليوم فالحاجة في الكلّ محققة فيجوز في الكلّ ما يحتاج إليه من الأمور على قدر الحاجة سوى كتابة تفسير القرآن بين أسطره، إذْ لا عذر فيها بوجه من الوجوه، لأنّ في كتب التفاسير غنى عن ذلك. وقول ابن مسعود: جرّدوا القرآن، قيل جرّدوه في التلاوة، وقيل في الخط، وقيل عن سائر الكتب المنزّلة لتحريف اليهود والنصارى إياها.

---

(١) هو محمد بن بهادِر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين. ولد بمصر عام ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ م. وفيها مات عام ٧٩٤ هـ/ ١٣٩٢م. فقيه أصولي، عالم بالقرآن وعلومه. له تصانيف عديدة.
الأعلام ٦/ ٦٠، الدرر الكامنة ٣/ ٣٩٧، شذرات الذهب ٦/ ٣٣٥.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، ولد بنيسابور عام ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م. وتوفي فيها عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م من أئمة الحديث، فقيه شافعي، مؤرخ، واسع المعرفة. له الكثير من المصنفات الهامة.
الأعلام ١/ ١١٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤، طبقات الشافعية ٣/ ٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٠، اللباب ١/ ١٦٥.

(٣) هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري، أبو بكر. ولد في البصرة عام ٣٣ هـ/ ٦٥٣ م. وتوفي فيها عام ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م. تابعي كبير، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، فقيه، محدث ورع. اشتهر بتعبير الرؤيا. له عدة كتب. الأعلام ٦٠/ ١٥٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٢١٤. وفيات الأعيان ١/ ٤٥٣، حلية الأولياء ٢/ ٦٣، تاريخ بغداد ٥/ ٣٣١.

(٤) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن (فرّوخ)، أبو عثمان. توفي عام ١٣٦ هـ. يلقب بربيعة الرأي. من فقهاء المدينة، حافظ، عالم بأيام الناس. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٣١، صفة الصفوة ٢/ ٨٣، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٨، الجمع ١/ ١٣٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٤، تاريخ بغداد ٨/ ٤٢٠.

(٥) هو يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي، أبو زكريا، محي الدين. ولد عام ٦٣١ هـ/ ١٢٣٣ م وتوفي عام ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧ م. علامة بالفقه والحديث، شافعي كبير، له العديد من المصنفات الهامة. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٤٩، طبقات الشافعية ٥/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨، آداب اللغة ٣/ ٢٤٢.

(٦) شكَّل الكتاب أعجمه كأشكله، كأنه أزال عنه الإشكال.

(٧) هو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري، أبو عبد الله. صاحب أبي الحسن الأشعري. عالم بالكلام. له تصانيف كثيرة.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٥، تاريخ بغداد ١/ ٣٤٣، العبر ٢/ ٣٥٨ شذرات الذهب ٣/ ٧٤.

(٨) اتحاف، الزبيدي، كتاب آداب التلاوة، باب في ظاهر آداب التلاوة، ٤/ ٤٧٧.

واعلم أنَّ الشكل في الصدر الأول للفتحة نقطة على أول الحرف، وللضمة على آخره، وللكسرة تحت أوله، وعليه مشى الداني[١] والمشهور الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهو الذي أخرجه الخليل[٢]، وهو أكثر وأوضح وعليه العمل. فالفتح بشكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسر كذلك تحته، والضم واو صغرى، والتنوين زيادة مثلها، والسكون دائرة صغيرة جدًا.

فائدة:

اختلف السلف في بيع المصحف وشرائه. منهم من كرههما، نُقل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وابن سيرين. ومنهم من جوّزهما، وقالوا إنّما يأخذون أجور أيديهم، وقالوا إنّما يبيعون الورق، وقالوا إنّه بدل من أجرة النسخ نقل ذلك عن مجاهد وابن المسيب والحسن وعن سعيد بن جبير[٣] وابن الحنفية[٤] والشعبي. ومنهم من جوّز الشراء دون البيع، نقل ذلك عن عطاء عن ابن عباس وعن مجاهد.

فرع: قال عزالدين بن عبدالسلام[٥]: القيام للمصحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول. وقال النووي: يستحب القيام لما فيه من التنظيم وعدم التهاون فيه.

فرع آخر: يستحب تقبيل المصحف مثل تقبيل الحجر الأسود قياسًا، وكان عكرمة بن أبي جهل[٦] يفعله. وقاسه بعضهم على تقبيل الولد الصغير لأنّه هدية من الله. وعن أحمد ثلاث روايات: الجواز والاستحباب والتوقف. أمّا الأولان فظاهر مما تقدم. وأمّا التوقف فلأنّه لا مدخل في أمثاله للقياس، كما قال عمر رضي الله عنه في الحجر: «لولا أنّي رأيت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك»[٧].

فرع آخر: يستحب تطييب المصحف وجعله على كرسي، ويحرم توسّده لأنّ فيه إذلالًا وامتهانًا. قال الزركشي: وكذا مدّ الرجلين إليه. وعن سفيان رضي الله عنه أنّه كره أنْ يعلّق

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، أبو عبد الرحمن. ولد بالبصرة عام ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م. وتوفي فيها عام ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م. من أئمة اللغة والأدب. أستاذ سيبويه في النحو، وواضع علم العروض، عارف بالموسيقى. له عدة مؤلفات هامة.
الأعلام ٢/ ٣١٤، وفيات الأعيان ١/ ١٧٢، إنباه الرواة ١/ ٣٤١، نزهة الجليس ١/ ٨٠.

(٣) هو سعيد بن جبير الأسدي الكوفي، أبو عبد الله. ولد عام ٤٥ هـ/ ٦٦٥ م. وتوفي بواسط عام ٩٥ هـ/ ٧١٤ م تابعي من كبار العلماء، فقيه محدث خرج على الأمويين حتى قبض عليه وقتله الحجاج.
الأعلام ٣/ ٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٤، طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٨، تهذيب التهذيب ٤/ ١١، حلية الأولياء ٤/ ٢٧٢.

(٤) هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية. ولد بالمدينة عام ٢١ هـ/ ٦٤٢م، وتوفي فيها عام ٨١ هـ/ ٧٠٠ م. واسع العلم، ورع، تقي. الأعلام ٦/ ٢٧٠، طبقات ابن سعد ٥/ ٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٤٩، صفة الصفوة ٢/ ٤٢، حلية الأولياء ٣/ ١٧٤، نزهة الجليس ٢/ ٢٥٤.

(٥) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، ولد بدمشق عام ٥٧٧ هـ/ ١١٨١ م. وتوفي بالقاهرة عام ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٢ م. فقيه شافعي مجتهد. تولى الخطابة والتدريس ثم القضاء، له مؤلفات هامة.
الأعلام ٤/ ٢١، فوات الوفيات ١/ ٢٨٧، طبقات السبكي ٥/ ٨٠، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨، علماء بغداد ١٠٤.

(٦) هو عكرمة بن أبي جهل، المخزومي القرشي. توفي يوم أجنادين، صحابي جليل، شهد المشاهد.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٥٩، التجريد ١/ ٣٨٧، الإصابة ٢/ ٤٩٦، الاستيعاب ٦/ ٥٠٦، أسد الغابة ٤/ ٤.

(٧) سنن الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في تقبيل الحجر، ح ٨٦٠، ٣/ ٢١٤، بلفظ: لم أقبلك.

المصاحف. وعن الضحاك[١] قال: لا تتخذوا للحديث كراسي ككراسي المصحف.

فرع آخر: يجوز تحليته بالفضة إكرامًا له على الصحيح، عن الوليد بن مسلم[٢] قال مالك: حدثني أبي عن جدي أنّهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنّهم فضضوا المصاحف على هذا أو نحوه، فأخرج إلينا مصحفًا فأراه لنا. وأمّا بالذهب فالأصح جوازه للمرأة دون الرجل، وخصّ الجواز بنفس المصحف دون غلافه المنفصل عنه، والأظهر فيه التسوية.

فرع آخر: المصحف إذا بلى لا يوضع في شقّ لأنه قد تسقط وتوطأ ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وأيضًا فيه إزراء به. قال الحليمي[٣]: يغسل المصحف البالي بالماء. وقيل الإحراق أولى لأنّ الغسالة قد تقع على الأرض، وأحرق عثمان رضي الله عنه المصاحف. وقيل الإحراق حرام لمنافاته الاحترام، قال النووي يكره. وعن الحنفية لا يحرق بل يدفن في الأرض. وقيل لا يؤمن من الوطىء بالأقدام.

فرع آخر: عن ابن المسيب قال: لا يقولنّ أحدكم مصيحف ولا مسيجد، ما كان لله فهو عظيم، اللّهم إلّا أنْ يقصد التعظيم لكنه يكره لإيهامه التحقير.

فرع آخر: يحرم مسّ المصحف للمحدث سواء كان حدثًا أصغر أم أكبر، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[٤]، وحديث الترمذي[٥] وغيره: «لا يمسّ القرآن إلّا طاهر»[٦].

خاتمة:

عن أنس مرفوعًا: «سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره: من علّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ترك ولدًا يستغفر له من بعد موته، أو ورَّث مصحفًا»[٧]. وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين.

علم آداب الكسب والمعاش[*]، وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في فضل الكسب والحثّ عليه:

---

(١) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم. توفي بخراسان عام ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م. مفسر، كان يؤدب الأطفال. له كتاب في التفسير.
الأعلام ٣/ ٢١٥، ميزان الاعتدال ١/ ٤٧١، العبر للذهبي ١/ ١٢٤، تاريخ الخميس ٢/ ٣١٨، المحبَّر ٤٧٥.

(٢) هو الوليد بن مسلم الأموي الدمشقي، أبو العباس، ولد عام ١١٩ هـ/ ٧٣٧ م. وتوفي عام ١٩٥ هـ/ ٨١٠ م. حافظ، عالم الشام في عصره، له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٢٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٨، غاية النهاية ٢/ ٣٦٠، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٥.

(٣) الحليمي بفتح الحاء وكسر اللام وسكون الياء آخر الحروف، نسبة إلى حليمة ظئر رسول الله ﷺ. وهو ابراهيم بن ميمون الصائغ المروزي، يروي عن أبي حنيفة رضي الله عنه. ويكنى بأبي اسحاق. توفي عام ١٣٠ هـ، من أهل مرو، ورع، زاهد، عابد وفقيه. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣٠٩، التهذيب ١/ ١٧٢، التقريب ١/ ٤٤.

(٤) الواقعة/ ٧٩.

(٥) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي الترمذي، أبو عيسى. ولد بترمذ عام ٢٠٩ هـ/ ٨٢٤ م. وتوفي فيها عام ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م. من أئمة علماء الحديث وحفاظه. له مجموعة تصانيف هامة.
الأعلام ٦/ ٣٢٢، التهذيب ٩/ ٣٨٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٧، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٤، اللباب ١/ ١٧٤.

(٦) سنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب لا طلاق قبل نكاح، ٢/ ١٦١.

(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب فضيلة التعليم، ١/ ١١٤، بلفظ: «أجره للعبد» و«كرى» بدلاً من «أجرى».

(*) هذا هو الأصل الثالث من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

أمّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾[(١)] وقوله: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]. وقال ﷺ: «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء»[(٣)]. وقال: «من طلب الدنيا حلالًا تعففًا عن المسألة وسعيًا على عياله وتعطفًا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»[(٤)]. إلّا أنّ فضل التجارة إذا كان لقوت العيال وتعففًا عن السؤال، وأمّا إذا كانت للثروة والادخار فمذمومة لأنّه إقبال على الدنيا التي حبُّها رأس كل خطيئة. فإنْ كان مع ذلك خائنًا فهو ظلم وفسق.

وأيضًا التجارة أفضل وإنْ حصلت له النفقة بلا سؤال لأنّه يصير كَلًّا على الناس. فالتجارة تكون أفضل، إلّا أنّ الحق أنّ قبول صدقتهم والتخلي للعبادة أفضل إذْ فيه إعانة للناس على الخيرات والصدقات.

المطلب الثاني:

في بيان أحوال العقود الأربعة:

العقد الأول: البيع وقد أحلّه الله، وله ثلاثة أركان:

أحدها: العاقد فلا يعامل الصبي والمجنون لأنهما غير مكلفين، والعبد العاقل بلا إذن سيده، والأعمى لعدم رؤية المبيع فيوكل غيره. أمّا الكافر فتجوز معاملته غير بيع المصحف منه، والعبد المسلم والسلاح للحربي منهم فإنْ فعل فهو عاصٍ ربه. وأمّا الجندية من الأتراك والأكراد والخونة والظلمة وأكلة الربا وكلّ من أكثر ماله حرام فلا ينبغي أنْ يتملك منهم شيئًا إلّا ما يعرف أنّه حلال بعينه.

ثانيها: المعقود عليه ففيه ستة شروط:

الأول أنْ لا يكون نجسًا في عينه كالكلب والخنزير والفيل[(٥)] والزبل والخمر.

الثاني أنْ يكون منتفعًا فلا يجوز بيع الفأر والحية، ويجوز بيع الطيور المليحة الصورة كالطوطي والطاوس، أو مليحة الصوت كالبلابل والقمارى، ولا يجوز بيع الملاهي والمزامير لحرمتها.

الثالث أنْ يكون المتصرف فيه مملوكًا للعاقد أو مأذونًا فيه من جهة المالك فلا يصح بيع مال الوالد من الولد وعكسه اعتمادًا على أنْ يرضى إذا عرف، وكذا الزوج والزوجة بل ينبغي تقدم الرضا.

الرابع أنْ يكون المعقود عليه مقدور التسليم شرعًا وحسًا، فلا يصحّ بيع السمك في الماء والجنين وعسب الفجل واللبن في الضرع والآبق، ولا يجوز تفريق الولد من أمه.

الخامس أنْ يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف وتفصيله في كتب الفقه. السادس أن يكون المبيع مقبوضًا عقارًا أو منقولًا.

وثالثها: لفظ العقد فلا بد من جريان إيجاب في قبول متصل بلفظ دال على المقصود منهم إمّا صريح أو كناية، ويجوز بالتعاطي عند أبي حنيفة في النفيس والخسيس، وعند الشافعي لا يجوز. وينبغي أنْ يحكم فيه الحال بأنْ يعلم أنّه يرضى بالبيع وإنْ علم الكراهة يصرح. وأيضًا الاحتياط التصريح في النفيس كالعبد والفرس والدار، والتعاطي في الخسيس كالخبز واللحم والبقل، وإنْ صح التعاطي في كليهما. وأمّا تمييز النفيس عن الخسيس فبالعرف، وإنْ كان مشتبهًا فعليه الاحتياط بأنْ يصرح بالإيجاب والقبول، هذا من

(١) النبأ/١١.
(٢) الجمعة/١٠.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الكسب، الباب الأول في فضل الكسب، ٥/ ٤١٤.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الكسب، الباب الأول في فضل الكسب، ٥/ ٤١٤.
(٥) كذا في الأصل الهندي.

حيث الورع فيه أنْ تستفتي قلبك، إلَّا أنّ في الشرع يجوز في الكل التعاطي، هو الصحيح من مذهب أبي حنيفة.

العقد الثاني: عقد الربا وقد حرمه الله ويجب الاحتراز منه على الصيارفة وباعة الأطعمة إذْ لا ربا إلَّا فيهما. فالصيرفي يحترز من النسيئة بل يبيع يدًا بيد. وعن الفضل وهو التفاوت في الوزن والكيل عند اتحاد الجنس ولا يفيد الجودة والرداءة.

العقد الثالث: التسلّم وله شروط عشرة:

الأول أنْ يكون رأس المال معلومًا علم مثله.

الثاني أنْ يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق.

الثالث أنْ يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه.

الرابع أنْ يستقصي الأوصاف بأنْ لا يبقى وصف تغابن فيه.

الخامس معلومية الأجل بالأشهر والأيام.

السادس أنْ يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه.

السابع أنْ يذكر مكان التسليم.

الثامن أنْ لا يعقله بعين كثمرة هذا البستان ونحوه.

التاسع أنْ لا يكون المسلّم فيه شيئًا نفيسًا يعزّ وجوده كدرّة موصوفة بما يعزّ وجودها.

العاشر أنْ لا يسلّم في طعام إذا كان رأس المال طعامًا، أو في نقد إذا كان هو نقدًا لأنَّه عين الربا.

العقد الرابع: الإجارة ولها ركنان: الأجرة والمنفعة. أمّا العاقد واللفظ فكما في البيع بعينه. أمّا الأجرة فينبغي أنْ يكون معلومًا وموصوفًا كالثمن في البيع، ولا يجوز بكل ما يتوقف حصوله على عمل الأجير ككراء الدار بعمارتها وسلخ الشاة بجلدها. وأمّا المنفعة فهي العمل، وحدّه أنّ كلّ عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير، فيجوز الاستئجار عليه. وتندرج تحته أمور خمسة:

الأول أنْ يكون متقومًا فيه كلفة وتعب، فلا يصح أجرة الطعام وأجرة الكلام.

الثاني أنْ لا تتضمن استيفاء عين مقصودة كلبن المواشي، وأجيز في المرضعة استحسانًا.

الثالث أنْ يكون مقدور التسليم حسًا وشرعًا، فلا يجوز استئجار الأخرس على التعليم والمعلّم على تعليم السحر، أو الصائغ على صيغة أواني الذهب، وغير ذلك من المحرمات.

الرابع أنْ لا يجب العمل على الأجير فلا يجوز أجرة الجهاد وسائر العبادات التي لا نيابة فيها، ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ونحو ذلك. وفي أجرة الإمامة والأذان والتدريس وإقراء القرآن خلاف. وأمّا أجرة تعليم مسألة أو سورة بعينها لشخص معين فصحيح.

الخامس أنْ يكون المنفعة والعمل معلومًا، فالخياط يعرف عمله بالثوب والحمال يعرف قدر المحمول إلى غير ذلك.

العقد الخامس: القراض وفيه ثلاثة أركان:

الأول أنْ يكون رأس المال معلومًا مسلمًا إلى العامل.

الثاني الربح بأنْ يشرط له الثلث أو النصف أو ما شاء من مقدار شائع، فلا يجوز تقديره بمقدار معين كالمائة مثلًا.

الثالث العمل الذي على العامل وشرطه أنْ يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين أو بتأقيت.

العقد السادس: الشركة وهي أربعة وثلاثة منها باطلة.

الأولى شركة المفاوضة وهو أنْ يقول تفاوضنا في كل ما لنا وعلينا وما لا هما ممتازان.

الثانية شركة الأبدان وهي أنْ يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل وهي باطلة.

الثالثة شركة الوجوه وهي أنْ تكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة الآخر العمل وهذا أيضًا باطل.

الرابعة شركة العنان وهو أنْ يختلط مالاهما بحيث يتعذر التميز إلَّا بقسمة، ويأذن كلّ منهما لصاحبه في التصرف، وحكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين وهذا صحيح.

المطلب الثالث:

في العدل في المعاملة وهذا قسمان:

الأول: ما يعمّ ضرره وهو أنواع:

أحدها الاحتكار والذي يدّخر الطعام إلى غلاء الأسعار وهذا حرام في الشرع، إلّا أنّه في أجناس الأقوات. وأمّا في غيرها كالأدوية والعقاقير والزعفران فلا وإنْ مأكولًا. ثم هو زمان احتياج الناس إلى القوت. وأمّا زمان غنى الناس عنه فلا. ولهذا قيل: أوصى بعض التابعين رجلًا: لا تسلم ولدك في صنعتين ولا في بيعتين. أمّا البيعتان فبيع الطعام وبيع الأكفان فإنّه يتمنى الغلاء وموت الناس. والصنعتان أنْ يكون جزارًا فإنّها تقسى القلب أو صواغًا فإنّه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة.

وثانيها ترويج الزائف من الدراهم أثناء النقد فهو ظلم فيعم فيه الضرر فيكون وزرًا له ولغيره، لأنه فتح هذا الباب، والويل الطويل لمن مات وذنبه باق إلى مائة سنة أو مائتين يعذب بها في قبره. واعلم أنّ في الزائف أمورًا خمسة:

الأول إذا وجده ينبغي أنْ يطرحه في موضع لا تناله الأيدي.

الثاني أنْ يتعلم طريق النقد ليحفظ دينه لا ليحفظ دنياه.

الثالث أنّه لا يبرأ عن الإثم بإعلام المعامل فقط إذْ ربما يروجه على غيره.

الرابع أنْ أخذ الزّيف وطرحه في بئر فهو عامل بخير.

الخامس الزائف ما لا نقرة فيه أصلًا، وأمّا المغشوش فإنْ كان نقد البلد ففيه رخصة وإلا فإنّ علم مقدار النقرة فيجوز وإلا فلا يجوز أصلًا.

القسم الثاني: ما يخصّ ضرره المعامل والضابط فيه أنْ يحب لأخيه ما يحب لنفسه وذلك أربعة:

الأول أنْ لا يثني على سلعة، فإنْ كان بما ليس فيها فهو كذب، وإنْ قبل ذلك فهو ظلم وكذب، وإلا فهو كذب وإسقاط مروءة. وإنْ أثنى على السلعة بما هو فيها فإن عرفه المشتري فهو هذيان وكلام لا يعنيه فما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد. وإنْ لم يعرفه فلا بأس به، وإنْ كان نيته أنْ يعرف أخوه المسلم فيقضي به حاجته ولا يحلف عليه الْبتّة، فإنّه إنْ كان كاذبًا فقد جاء باليمين الغموس التي تدع الديار بلاقع مع كونها من الكبائر، وإنْ كان كاذبًا فقد جعل الله عرضة لأيمانه والدنيا أخسّ من أنْ يذكر اسم الله لتربحها. وفي الخبر: «ويل للتاجر من بلى، والله لا والله، وويل للصانع من غد أو بعد غد»[1].

الثاني أنْ يظهر جميع عيوب السلعة خفيها وجليها فذلك واجب، وإلّا كان غاشًا، والغشّ حرام. وفي حكمه عرض الثياب في المواضع المظلمة. وهذا وإنْ نقص من الثمن لكن لذلك جهتي التسلية[2] أحدهما أنّ الدنيا أمر حقير والربح ربح الآخرة. وثانيها أنّ صورة الزيادة لا اعتبار لها إذْ ربما تهلك جملة والحلال القليل ينتفع به أكثر من الحرام الكثير، ولقد جرب ذلك فوجد كذلك.

المطلب الرابع:

في الإحسان في المعاملة:

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان وذلك

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الكسب، الباب الثاني ما يخص ضرورة المعامل، ٥/٤٨٤، بلفظ: «وبعد غد».

(٢) كذا في الأصل الهندي.

بواحد من ستة أمور:

الأول أنْ لا يغابن صاحبه بما لا يغابن به في العادة. فأمّا أصل المغابنة فمأذون فيه فإنّ البيع للربح ولا يمكن ذلك إلّا بغبن ما، ولكن يراعى فيه التقريب، فإنْ بذل المشتري زيادة على الربح المعتاد إمّا لشدة رغبته أو لشدة حاجة في الحال فينبغي أنْ لا يأخذ فذلك من الإحسان، وإنْ جاز ذلك شرعًا إذْ ليس فيه ظلم مهما لم يكن فيه تلبيس. وقيل لعبدالرحمن بن عوف[1] ما سبب يسارك؟ قال ثلاث: ما رددت ربحًا قط، ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه، ولا بعت بنسيئة.

الثاني في احتمال المشتري العيب إنْ اشترى من ضعيف أو فقير فلا بأس أنْ يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنًا. وإنْ اشترى من الغني التاجر فالغبن ليس بمحمود بل هو تضييع للمال من غير أجر وحمد. وقيل في وصف عمر بن الخطاب: كان أكرم من أنْ يخدع وأعقل من أنْ يغبن.

الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحطّ البعض، ومرة في طلب جودة النقد، وكلّ ذلك مندوب إليه.

الرابع في توفية الدين ولا يكلفه أنْ يمشي إليه يتقاضاه. ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف لأنّ لصاحب الحق مقالًا. ومن يصلح بينهما ينبغي أنْ يكون ميله إلى من عليه الدين لأنّه المحتاج، وكذا يميل في المبايعة إلى جانب المشتري لأنّه محتاج إلى السلعة والبائع راغب عنها، اللهم إلّا أنْ يتجاوز من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه من تعديه.

الخامس أنْ يقيل من يستقيله ولا يضر أخاه. وفي الحديث: «من أقال نادمًا صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة أو كما قال»[2].

السادس: أنْ يقصد في معاملته جماعة من الفقهاء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أنْ لا يطالبهم إنْ لم يظهر لهم ميسرة، فهذه طريق تجارات السلف وقد اندرست، والقائم بها محيٍ لهذه السُّنة، والتجارة محكّ الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه.

المطلب الخامس:

في شفقة التاجر على دينه:

وذلك بمراعاة سبعة أمور:

الأول حسن النية بأنْ ينوي بها الاستعفاف عن السؤال وكفّ الطمع عن الناس، واستعانةً بكسبه على دينه، وقيامًا بكفاية عياله، ليكون من جملة المجاهدين. ولينوِ النصح للمسلمين واتباع طريق العدل والإحسان، ولينوِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السوق.

الثاني أنْ يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فإنّهما لعمارة الدنيا ونظام المعاش، إلّا ما لا حاجة فيه كصناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجصّ وغير ذلك مما تتزخرف به الدنيا. وأما اجتناب صنعة الملاهي فذلك من باب دفع الظلم، ومنها خياطة القباء من الإبريسم للرجال وصياغة مراكب الذهب وخواتيم الذهب للرجال، وكل ذلك من المعاصي والأجرة عليها حرام. وقد مرَّ بيع الطعام والأكفان وحكم الجزارة، ويكره الدباغة والكناسة لمخامرة النجاسة. وكره ابن سيرين

(١) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث، أبو محمد. الزهري القرشي. ولد عام ٤٤ ق. هـ/ ٥٨٠ م وتوفي عام ٣٢ هـ/ ٦٥٢ م. صحابي جليل، أحد العشرة المبشرين بالجنة، صاحب رأي وشورى، من السابقين إلى الإسلام. جواد كريم شجاع. روى عن النبي ﷺ الأحاديث، وكان من كبار التجار. الأعلام ٣/ ٣٢١، صفة الصفوة ١/ ١٣٥، حلية الأولياء ١/ ٩٨، تاريخ الخميس ٢/ ٢٥٧.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الكسب، الباب الرابع في الإحسان في المعاملة، ٥/ ٥٠٣.

الدلالة، وكره قتادة[١] أجرتها لتضمنها الكذب والمبالغة غالبًا وأجرتها بقدر عملها لا بقدر قيمة الثوب وهو العادة. ويكره بيع الحيوان لأنه يكره قضاء الله وهو الموت. والصيارفة أيضًا لا يسلمون من الحيلة وإلّا لم يكن الربح.

قد كان غالب أعمال السلف عشرة صنائع: الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة. وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي: الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون، وذلك لكثرة مخالطتهم مع النساء والصبيان، والمخالطة سبب السراية، وكل قرين بالمقارن يقتدي. وعن مجاهد أنّ مريم طلبت عيسى عليه السلام فمرت بحاكة فأرشدوها إلى غير الطريق، فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقّرهم في أعين الناس، فاستجيب دعاؤها. وكره السلف أجرة العبادات كغسل الأموات وتعليم القرآن وصلاة التراويح والأذان فإنّ ذلك استبدال بالدنيا عن الآخرة.

الثالث أنْ لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة وهي المساجد.

الرابع أنْ يلازم ذكر الله تعالى في السوق وذكر الله بين الغافلين. وفي الحديث: «من قال في سوق من الأسواق لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كُتب له ألفا ألفِ حسنة، ومُحي عنه ألفا ألفِ سيئة، وبنى له قصر في الجنة»[٢].

الخامس أنْ لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة بأنْ يكون أول داخل وآخر خارج، وبأنْ يركب البحر في التجارة فهما مكروهان. وكان عمرو بن العاص يقول: لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها، فإنّ بها باض الشيطان وفرَّخ. ويقال: من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق. وفي الخبر: «لا يركب البحر إلّا لحج أو لعمرة أو لغزو»[٣].

وبالجملة لا يحرص على السوق فيراقب وقت كفايته، فإذا حصلت ينصرف ويشتغل بتجارة الآخرة.

السادس أنْ لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع الشبهة ومظانّ الرّيب، ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفتي قلبه، فما وجد فيه حزازة اجتنبه، وأمر الفتوى على التيسير للعامة لا على الشدة.

السابع أنْ يراعى ويراقب جميع مجاري معامليه، فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقولة، ويحاسب على كلّ أحد محاسبة على عدد من عامله.

علم آداب الملوك[*]:

وهي أحوال عرفها الأمراء والملوك بالتجارب والحدس والرأي الصائب مما ينبغي أن يفعله ومما ينبغي أن يجتنبه. قال معاوية[٤] رضي الله عنه: لا ينبغي للملك أنْ يكون كذابًا لأنّه إنْ

---

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري. ولد بالبصرة عام ٦٨ هـ/ ٦٨٠ م. وتوفي بواسط عام ١١٨ هـ/٧٣٦ م مفسر، حافظ للحديث، عالم بالعربية.
الأعلام ٥/ ١٨٩، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٥، وفيات الأعيان ١/ ٤٢٧، إرشاد الأريب ٦/ ٢٠٢.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، فضيلة التهليل، ٥/ ١٢.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب الكسب، الباب الخامس، في شفقة التاجر على دينه، ٥/ ٥١٣.

(*) يتبع هذا العلم، الشعبة الرابعة في فروع الحكمة العملية من الدوحة الخامسة في الحكمة العملية، وذلك بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) هو معاوية بن أبي سفيان، صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. ولد عام ٢٠ ق. هـ/=

وعد لم يرج، وإنْ أوعد لم يخف، ولا غاشًا لأنّه لا ينصح ولا تصلح الولاية إلّا بالمناصحة، ولا حديدًا لأنّه إذا احتدّ هلكت رعيته، ولا حسودًا لأنّه لا يشرف أحد فيه حسد، ولا يصلح الناس إلّا باشرافهم، ولا جبانًا لأنّه يجترىء عليه عدوه وتضيع ثغوره. وقال بعضهم: أكره المكاره في السيّد الغباوة، وأحبّ أنْ يكون عاقلًا متغافلًا، كما قال أبو تمام:

ليس الغبي بسيّدٍ في قومه
لكن سيد قومه المتغابي

وقال ذو القرنين[1] لأرسطاطاليس لما أراد الخروج: عظني بما أستعين به في سفري. فقال: إجعل تأنّيك زمام عجلتك، وحيلتك رسول شدتك، وعفوك ملك قدرتك، فأنا ضامن لك قلوب الرعية إنْ لم تجرحهم بالشدة عليهم أو تبطرهم بفضل الإحسان إليهم.

قال قيس بن عاصم[2] لبنيه: إذا متّ فسوّدوا كباركم ولا تسوّدوا صغاركم فيحقر الناس كباركم فتهونوا.

قلت: تعيين الكبار إنّما يقبل إذا كان مع كبره عاقلًا وعالمًا بالمصالح ومجربًا للأمور، وإلّا فتقديم الكبار لمجرّد كبرهم في السّن غير مقبول. أما ولّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتاب بن أسيد[3] بمكة وكان سِنّه نيفًا وعشرين سنة، وأمّر سعد بن وقاص[4] وسِنّه دون العشرين. وولّى المأمون يحيى بن أكثم[5] قضاء البصرة واستصغره الناس، فسألوه تعييرًا بذلك، فقالوا: كم سِنُّ القاضي؟ قال: سِنُّ عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة، فجعل جوابه احتجاجه. وولى الحجاج[6] محمد بن القاسم[7] قتال الأكراد بفارس فأبادهم، ثم ولاه السّند والهند وسِنُّه

=٦٠٣م. وتوفي عام ٦٠ هـ/ ٦٨٠ م. مؤسس الدولة الأموية. صحابي جليل. من دهاة العرب الكبار. فصيح حليم وقور. وهو أول من حارب الروم بالبحر. روى عنه المحدثون.
الأعلام ٧/ ٢٦١، ابن الأثير ٤/ ٢، الطبري ٦/ ١٨٠، منهاج السنة ٢/ ٢١٠، اليعقوبي ٢/ ١٩٢، تاريخ الخميس ٢/ ٢٩١، المسعودي ٢/ ٤٢. ولقد كتب عنه كتب مستقلة كثيرة.

(١) سبق التعريف به.

(٢) هو قيس بن عاصم بن سنان، أبو علي المنقري. توفي بالبصرة، صحابي جليل من ساداتهم. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٦٨، التجريد ٢/ ٢٢، الإصابة ٣/ ٢٥٢، أسد الغابة ٤/ ٢١٩، التهذيب ٨/ ٣٩٩.

(٣) هو عتاب بن أسيد بن أبي العيص، أبو محمد. توفي يوم توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ولاه النبي ﷺ مكة وعمره ثماني عشرة سنة. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٥٦، التجريد ١/ ٣٧٠، الثقات ٣/ ٣٠٤، الإصابة ٢/ ٤٥١، أسد الغابة ٣/ ٣٥٨.

(٤) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق، ولد عام ٢٣ ق. هـ/ ٦٠٠ م. وتوفي عام ٥٥ هـ/ ٦٧٥ م. صحابي جليل. قائد شجاع. روى الحديث.
الأعلام ٣/ ٨٧، التقريب ٢٣٢، تاريخ الخميس ١/ ٤٩٩، صفة الصفوة ١/ ١٣٨، حلية الأولياء ١/ ٩٢، طبقات ابن سعد ٦/ ٦.

(٥) هو يحي بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي، أبو محمد. ولد عام ١٥٩ هـ/ ٧٧٥ م. وتوفي عام ٢٤٢ هـ/ ٨٥٧ م. قاض فقيه له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٣٨، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٧، الجواهر المضيئة ٢/ ٢١٠.

(٦) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد. ولد بالطائف عام ٤٠ هـ/ ٦٦٠ م. وتوفي بواسط عام ٩٥ هـ/ ٧١٤ م. قائد، داهية، خطيب ومن ولاة الأمويين الشداد. فتك بالثورات وأخمد الفتن. وهو الذي بنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة. وكتب عنه الكثيرون.
الأعلام ٢/ ١٦٨، معجم البلدان ٨/ ٣٨٢، وفيات الأعيان ١/ ١٢٣، تاريخ المسعودي ٢/ ١٠٣، تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٠، ابن الأثير ٤/ ٢٢٢، البدء والتاريخ ٦/ ٢٨.

(٧) هو محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي. توفي حوالي عام ٩٨ هـ/ ٧١٧ م. فاتح السند وواليها. من كبار القادة أيام الأمويين له أخبار مشهورة في الجهاد والفتوحات.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٣٣٣، فتوح البلدان ٤٤١، جمهرة الأنساب ٢٥٦.

سبعة عشر، حتى قال فيه الشاعر:

قـاد الـجـيـوش لـسـبـع عـشـرة حـجـة
ولـــداتـــه إذْ ذاك فـــي أشـــغـــال

قـعـدت بـهـم لـذاتـهـم وسـمـت بـه
هـمـمُ الـمـلـوك وسَـوْرةُ الأبـطـال

وقال شاعر آخر:

لا تـعـجـبـوا مـن عـلـوّ هـمـتـه
وسِـنّـه فـي أوان مـنـشـاهـا

إنّ الـنـجـوم الـتـي تـضـيء لـنـا
أصـغـرهـا فـي الـعـيـون أعـلاهـا

ولهذا قيل: ليس من المروءة سؤال الرجل عنه سِنّه لأنه إنْ كان شابًا استصغروه وإنْ كان كبيرًا استهرموه. وأظنّ أنّ قائله الإمام مالك رضي الله عنه، والله أعلم.

واعلم أنّ على السلطان وظائف كثيرة مستوفاة في كتب وضعت في هذا الشأن، إلّا أنّا نذكر هاهنا بعضًا من الوظائف التي لا مندوحة عنها أصلًا.

منها: تجنيد الجنود وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى، فإنّ الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيسًا آكلًا شاربًا مستريحًا بل لينصر الدين ويعلي الكلمة، فمن تقاعد عن هذا وأخذ في أخذ أموال المسلمين ظلمًا فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين، واستحق المقت والخذلان من الله الكريم المنان.

ومنها: أنْ ينظر في الإقطاعات ووضعها مواضعها، ويستخدم من ينفع المسلمين، ويحمي حوزة الدين، ويكف أيدي المعتدين، وإلّا فإنْ فرقها في مماليك اصطفاها، وزيّنها بأنواع الملابس المحرمة وترك الذين ينفعون الإسلام جياعًا في بيوتهم، ثم سلبه الله النعمة فلا يلومنّ إلّا نفسه.

ومنها: الفكرة في العلماء والفقراء والمستحقين، ويرتب كفايتهم من بيت المال الذي هو في يده أمانة ليس هو فيه إلّا كواحد منهم، وولّوه نسبة ولاء المسلمين، فإنْ تركهم فقراء عيالهم جياعًا، منهم من يطوي ليلته، بل أكثر، وهو يمنّ بسماطه وزينته ولباس حواشيه، فذلك أحمق سيجد ما عمله محضرًا.

ومنها: وظائف بيت مال المسلمين، وقد قدّر الشارع المصارف فيه(١)، وجعل لكل مال أقوامًا. وقد رأوهم يصرفونه إلى شهواتهم ولذاتهم ويهبون الألوف للشعراء ولمماليكهم وللمغنين وأرباب البدع، بل الكفرة، فالله تعالى ينصف منهم يوم الجزاء، فلا يلومنّ إلّا نفسه.

ومنها: أنْ يصلحوا أحوال نوابهم من تفقدهم حال الرعايا، صغيرهم وكبيرهم، جليلهم وحقيرهم، غنيهم وفقيرهم، والنظر في القرى والغلات، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، ولا يعتذروا بعدم الإمكان في هذا الزمان لأنهم مطالبون بذلك في الآخرة، فعليكم الجدّ والله يعين.

ومنها: إقامة فقيه في كلّ قرية لا فقيه فيها يعلم أهلها أمر دينها، وإلقاء مقاليد الأحكام إليهم، لأنّه لا حاكم إلّا الله تعالى، ولن يفعل بالعقول شيئًا. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون الكافرون الظالمون.

ومنها: رفع المبتدعة والملاحدة، وتقرير مذهب الأشعري(٢) الذي اتفق على صحته ولله

---

(١) لا يخفى أن العشر والخراج وسائر الصدقات من الزكاة، وأموال التجارة والجزية والغنائم ونحو ذلك، ليست ملكاً لأحد من الأمة، لا للسلطان ولا لغيره، ومن اعتقد أنها مِلك الملك والأمراء والسلاطين يكفر، بل هي حق المقاتلة والقضاة والعلماء والمفتين، وما بقي فلعامة المسلمين سواء سواء، ولا يجوز منها للسلطان إلاّ كسهم راكب. وأجاز المتأخرون له سهمي راكبين، وما زاد على ذلك فهو حرام على السلطان. وقد بيَّن هذا الأمر مفصلاً واضحاً في خزانة المفتين فلينظر هنالك.

(٢) هو علي بن اسماعيل بن إسحاق بن سالم، أبو الحسن. من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. ولد في البصرة عام=

الحمد على المذاهب الأربعة الجارية في زماننا هذا.

ومنها: استكثارهم أرزاق العلماء وإنْ قلّت، واستقلالهم أرزاق أنفسهم وإنْ كثرت. وإنّ بعضًا منهم ربما يعيب على بعض الفقهاء ركوب الخيل ولبس الثياب الفاخرة مع أنّه[١] نفسه يتبختر في أنعم الله تعالى مع الجهل والمعصية، ولو اعتبر وجد رزق أكبر فقيه دون رزق أقل مملوك عنده. أما يستحي هذا الأمير من الله تعالى، وإذا سلبه الله نعمته فلم يتعجب ويبكي.

ومنها: لباسهم الألبسة المحرمة ومع ذلك يطلبون النصر من الله ومنا أنْ ندعو لهم، ولو أنّهم اتقوا الله حقّ تقاته لما افتقروا إلى دعائنا. والكلام في هذا الباب طويل الذيول والأذناب، ولنقتصر بهذا القدر عذرًا عن الإطناب.

ومن الكتب المصنفة في آداب الملوك: سراج الملوك[٢] للإمام الطرطوشي وهو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد القرشي الأندلسي الطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة[٣]، بضم المهملتين، مدينة بالأندلس في آخر بلاد المسلمين، الفقيه المالكي الزاهد المعروف بابن أبي زندقة، وزندقة لفظة فرنجية معناها ردتعال. صحب أبا الوليد الباجي[٤] بسرقسطة[٥]، وأخذ عنه الخلاف، وسمع منه وأجازه، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم[٦] بأشبلية[٧]، ورحل إلى الشرق، وحجّ، ودخل البصرة وبغداد، وتفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي المعروف بالمستظهري[٨]، وعلى أبي أحمد الجرجاني[٩] ودرس بالشام مدة. وكان إمامًا عالمًا عاملًا

=٢٦٠ هـ/ ٨٧٤ م. وتوفي ببغداد عام ٣٢٤ هـ/ ٩٣٦ م. مؤسس المذهب الأشعري، إمام متكلم مجتهد. كان معتزلياً ثم تحول عنه. له الكثير من المؤلفات الهامة.
الأعلام ٤/ ٢٦٣، معجم المفسرين ١/ ٣٥٤، طبقات الشافعية ٢/ ٤٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٢٦، البداية والنهاية ١١/ ١٨٧، الجواهر المضيئة ١/ ٣٥٣، اللباب ١/ ٥٢، تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٩، العبر ٢/ ٢٠٢.

(١) في الأصل الهندي، وكذا المصرية: أنها، والصواب ما ذكرنا.

(٢) سراح الملوك مجلد لأبي بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي الطرطوشي (ـ ٥٢٠ هـ). كشف الظنون ٢/ ٩٨٤.

(٣) مدينة إسبانية من مدن الأندلس في قتالونيه على نهر أبرو. سكانها حوالي خمسين ألف نسمة. فيها بعض الآثار. انظر: المنجد في الأعلام ٣٥٦.

(٤) هو سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي. ولد عام ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م، وتوفي عام ٤٧٤ هـ/ ١٠٨١ م. فقيه مالكي، من رجال الحديث، كثير التنقل، له عدة تصانيف. انظر عنه، الأعلام ٣/ ١٢٥، الديباج المذهب ١٢٠، وفيات الأعيان ١/ ٢١٥، فوات الوفيات ١/ ١٧٥، نفح الطيب ١/ ٣٦١.

(٥) مدينة إسبانية على أبرو غربي برشلونة. سكانها أكثر من نصف مليون نسمة. فتحها المسلمون عام ٧١٢ م. وكانت من عواصم الأندلس أيام بني تجيب وبني هود من ملوك الطوائف، وصارت عاصمة مملكة الأراغون في القرن الثاني عشر. تعتبر من المراكز الثقافية والفنية. وفيها قصور وآثار ومتاحف. انظر: المنجد في الأعلام ٢٩٩.

(٦) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد. ولد عام ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م. وتوفي عام ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤ م. عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الفقه الإسلامي. وله مذهب اتبعه فيه خلق كثير. له تصانيف عديدة وهامة. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٥٤، نفح الطيب ١/ ٣٦٤، آداب اللغة ٣/ ٩٦، أخبار الحكماء ١٥٦، إرشاد الأريب ٥/ ٨٦، لسان الميزان ٤/ ١٩٨.

(٧) مدينة في جنوب غربي إسبانيا، تقع على الوادي الكبير. سكانها حوالي المليون نسمة. فتحها العرب عام ٧١٢ م، وكانت من أهم مدن الأندلس. كما كانت عاصمة بني عباد، ومركزاً تجارياً وثقافياً مزدهراً أيام المرابطين والموحدين، فيها آثار إسلامية غنية يؤمها السياح طيلة العام. انظر: المنجد في الأعلام ٥٠.

(٨) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي التركي الشافعي، المعروف بالمستظهري، أبو بكر. ولد عام ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م. وتوفي ببغداد عام ٥٠٧ هـ/ ١١١٤ م. فقيه، له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ٢٥٣، وفيات الأعيان ١/ ٥٨٨، تذكرة الحفاظ ٤/ ٣٧، البداية ١٢/ ١٧٧، شذرات الذهب ٤/ ١٦، مرآة الجنان ٣/ ١٩٤.

(٩) هو أحمد بن محمد بن أحمد، أبو العباس الجرجاني. توفي عام ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩ م. قاضي البصرة، وشيخ الشافعية في=

زاهدًا ورعًا دينًا متواضعًا متقشفًا، متقللًا من الدنيا، راضيًا منها باليسير. وكان يقول: إذا عرض لك أمران: أمر دنيا وأمر أخرى، فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى.

وكان كثيرًا ما ينشد:

إنّ لله عبادًا فطنا … طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلما علموا … أنّها ليست لحيّ وطنا

جعلوها لجة واتخذوا … صالح الأعمال فيها سفنا

ولما دخل على الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش[1] بسط مئزرًا كان معه وجلس عليه، وكان إلى جانب الأفضل رجل نصراني، فوعظ الأفضل حتى بكى وأنشد:

يا ذا الذي طاعته قربة … وحقّه مفترض واجب

إنّ الذي شرفت من أجله … يزعم هذا أنّه كاذب

وأشار إلى النصراني فأقامه الأفضل من مجلسه. وكان الأفضل قد أنزل الشيخ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد، وكان يكرهه، فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه: إلى متى نصبر؟ إجمع لي المباح. فجمع له، فأكله ثلاثة أيام. فلما كان عند صلوة المغرب قال لخادمه: رميته الساعة، فركب الأفضل من الغد فقتل، وولي بعده المأمون بن البطائحي[2] فأكرم الشيخ إكرامًا كثيرًا وصنّف له كتاب: سراج الملوك، وهو حسن نافع في بابه. وله غير ذلك تصانيف كثيرة، وله طريقه في الخلاف، وله أشعار كثيرة. ومن لطيف شعره:

إذا كنت في حاجة مرسلًا … وأنت بإنجازها مغرمُ

فارسل بأكمه خلابة … به صمم أغطش أبكم

ودعْ عنك كلّ رسول سوى … رسول يقال له الدرهمُ

ونظير هذه الأبيات ما قيل:

إذا كنت في حاجة مرسلا … وأنت بها كلف مغرمُ

فارسل حكيمًا ولا توصه … وذاك الحكيم هو الدرهمُ

وكانت ولادة الطرطوشي سنة إحدى وخمسين وأربع مائة تقريبًا، وتوفي في ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جمادي الأولى، سنة عشرين وخمس مائة بثغر الإسكندرية[3].

ومن الكتب المصنفة في آداب الملوك: سلوان المطاع في عدوان الطباع[4] لابن ظفر[5].

=عصره. له عدة تصانيف. وقد أخطأ المؤلف حين كناه بأبي أحمد، والصحيح أن اسمه أحمد فكنيته أبو العباس. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢١٤، طبقات الشافعية ٣/ ٣١.

(١) هو أحمد بن بدر الجمالي، أبو القاسم، شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل. ولد عام ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م. وتوفي بالقاهرة عام ٥١٥ هـ/ ١١٢١ م. وزير، داهية، جيد الرأي والسياسة. خلف أباه في إمارة الجيوش بمصر. انظر عنه: الأعلام ١/ ١٠٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٢١، مرآة الزمان ٨/ ١٠٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٢، مرآة الجنان ٣/ ٢١١، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٨.

(٢) هو المأمون بن البطائحي، أبو عبد الله. توفي عام ٥١٩ هـ. وزير الديار المصرية والدولة العبيدية، له أخبار. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٥٣، وفيات الأعيان ٥/ ٥٩٩، تاريخ الإسلام ٢/ ٢٣٨، العبر ٤/ ٤٤، عيون التواريخ ١٣/ ٤٥٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٩، شذرات الذهب ٤/ ٦٠.

(٣) انظر ترجمة الطرطوشي في: وفيات الأعيان ١/ ٦٠٦ ـ ٦٠٧، بغية الملتمس ١٢٥ ـ ١٢٩، الصلة ٥١٧، حسن المحاضرة ١/ ٢٥٧، نفح الطيب ٦/ ٢٢٢، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٥، شذرات الذهب ٤/ ٦٢، هدية العارفين ٢/ ٨٥.

(٤) سلوان المطاع في عدوان الطباع لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن علي القرشي المعروف بابن ظفر المكي حجة الدين النحوي (ـ ٥٦٨ هـ). كشف الظنون ٢/ ٩٩٨.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي، المنعوت بحجة الدين. وستأتي ترجمته مفصلة في الكتاب. =

وسيأتي في علم المحاضرات.

علم آداب النكاح(*) وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في الترغيب فيه وعنه:

واختلف فيه: قال بعضهم إنّه أفضل من التخلّي لعبادة الله تعالى، وبعضهم عكس، لكن لمن ليس له توقان يشوش حاله. وقيل: الأفضل الترك في هذا الزمان، وبيان الحق فيه يتوقف على تفصيل أمر التفضيل.

أمّا الترغيب فيه فبقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾(١) وهذا أمر، وبقوله ﷺ: «النكاح سنّتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»(٢). وقال: «من ترك التزويج مخافة العيلة فليس مني»(٣). وكان ابن مسعود يقول: لو لم يبق من عمري إلّا عشرة أيام لأحببت أنْ أتزوّج ولا ألقى الله عزبًا. قال سفيان بن عيينة: كثرة النساء ليس من الدنيا لأنّ عليًا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية؛ فالنكاح سُنَّة ماضية وخُلُق من أخلاق الأنبياء.

وقيل: فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد، وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب.

وأمّا الترغيب عنه فبقوله ﷺ: «خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد»(٤). وفي الخبر: «قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين»(٥). وقال الحسن: إذا أراد الله بعبد خيرًا لم يشغله بأهل ولا مال. وقد ظهر من مساق ما قدمناه أنّ ما نقل في الترغيب عنه مشروط بشرائط بخلاف الترغيب فيه.

المطلب الثاني:

في فوائد النكاح وهي خمسة:

الأول: الولد وهو الأصل الذي وضع لأجله النكاح لئلّا يخلو العالم من جنس الإنس، وإنّما الشهوة للتلطف في السياقة إلى اقتناص الولد. ولما اقتضت الحكمة الأزلية ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها، لعدم قصور القدرة الأزلية عن إيجاد الأشخاص ببعد الوقاع، قدّر الولد بالازدواج إتمامًا لعجائب الصنعة، وتحقيقًا لما سبقت به المشيئة، وحقّت به الكلمة، وجرى به القلم. ففي تحصيل الولد قربة من أربعة أوجه: أحدها فضل النكاح والأمن من غوائل الشهوة وموافقة محبة الله في السعي لبقاء جنس الإنسان. وثانيها طلب محبة الرسول ﷺ في من يباهى به. وثالثها طلب التبرك بدعاء الولد الصالح له بعده. ورابعها طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله.

أمّا الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدها عن أفهام الجماهير، وهو أقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله ومجاري

=انظر عنه: وفيات الأعيان ١/ ٦٦٠، معجم الأدباء ١٩/ ٤٨، لسان الميزان ٥/ ٣٧١، بغية الوعاة ٥٩، هدية العارفين ٢/ ٩٦.

(*) هذا هو الأصل الثاني من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) النور/ ٣٢.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٥/ ٢٨٦، بلفظ: «من رغب عن سنتي فليس مني، وإن من سنتي النكاح».

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٥/ ٢٨٦.

(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٥/ ٢٩٠.

(٥) السيوطي، الدر المنثور، ٤/ ١٧٩.
الزبيدي، اتحاف، كتاب ذم البخل، باب بيان علاج المرض...، ٨/ ١٦٥.

حكمته، وذلك لأنّ الله تعالى خلق أعضاء الحراثة وأعضاء مهيأة لها، وخلق البذر وسلط متقاضي الشهوة على كلّ واحد من الزوجين. فمن له بصيرة نافذة يفهم من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات أنّ الصانع الحكيم أراد من عباده الأولاد والنسل، ولذلك عظّم الشرع الوأد سيّما وقد صرّح بالأمر وباح بالسّر بأنْ قال تناكحوا تكثروا.

وإياك أنْ تتوهم التنافي بين محبة الله تعالى وإرادة فنائهم لأنّ إرادة الفناء يمكن جمعها مع كراهته، كما قال النبي ﷺ حكايةً عن ربّه عزّ وجلّ: «ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المسلم، هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد منه»(١) وفي قوله: ولا بد من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾(٢) وقوله عزّ وجلّ هو: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾(٣)، وتحقيق هذا المقام خارج عن طوق هذا المختصر لأنها داخلة في علوم المكاشفة، ووراءها سرّ القدر الذي منع الشرع عن إفشائه. فظهر من هذا أنّ من رغب عن النكاح فقد ضيّع نسلًا أدام الله وجوده من آدم عليه السلام عقب بعد عقب إلى أنْ انتهى إليه، حتى ختم الوجود المستدام من وجود آدم على نفسه، فمات أبتر لا عقب له.

الوجه الثاني من محبة الرسول ﷺ فلمباهاته بكثرة أمته حتى قال: «خير نسائكم الودود الولود»(٤). وقال: «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد»(٥). هذا يدل على أنّ الأصل من التزوج الولد دون الشهوة لأنّها أكمل في الحسناء وأنّها أملح للتحصين وغضّ البصر.

الوجه الثالث أنْ يبقى له ولد يدعو له كما ورد في الخبر: «أنّ جميع عمل ابن آدم ينقطع إلّا ثلاثًا: ولد صالح يدعو له»(٦)، الحديث.

الوجه الرابع أنْ يموت الولد قبله فيكون شفيعًا والأخبار في ذلك كثيرة.

الفائدة الثانية: التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغضّ البصر وحفظ الفرج، وإليه وقعت الإشارة في الحديث بقوله ﷺ: «من نكح فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر»(٧).

واعلم أنّ هذه الفائدة دون الفائدة الأولى لأن الغاية الأخيرة أشرف من الغاية المتقدمة، فالغاية الأخيرة هي الولد والمتقدمة هي اللذة، ومع ذلك ففي اللذة مصلحة أخرى باطنة سوى المصلحة الظاهرة التي هي الولد، وذلك أنْ تستدل المناكح بهذه اللذة العظيمة السريعة الانقطاع إلى اللذة الدائمة التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لتكون باعثة على عبادة الله تعالى.

فانظر إلى هذه الحكمة، ثم الرحمة، ثم النعمة الإلهية، كيف غيبت تحت شهوة واحدة حياتين حياة ظاهرة وهي بقاء النسل وحياة باطنة وهي التوسل إلى لذة الآخرة. سبحان من لم يجعل ذرة من ذرات ملكوت السموات والأرض

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب النكاح، باب آفات النكاح، ٥/٢٩٥، بلفظ: «عبدي المسلم».
(٢) الواقعة/ ٦٠.
(٣) الملك/ ٢.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب النكاح، باب آفات النكاح وفوائده، ٥/ ٢٩٧.
(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب النكاح، باب آفات النكاح وفوائده، ٥/ ٢٩٧.
(٦) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب في الوقف، ح ١٣٧٦، ٣/ ٦٦٠، بلفظ: «الإنسان» بدلاً من ابن آدم.
(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب النكاح. باب آفات النكاح وفوائده، ٥/ ٣٠٠، بلفظ «حصّن» بدلاً من «أحرز».

إلّا جعل تحتها من لطائف الحكم وعجائبها ما تحار فيها العقول. وإنّما ينكشف للقلوب الطاهرة الصافية الراغبة عن زهرة الدنيا وغرورها وأغوالها.

الفائدة الثالثة: النظر إلى وجهها والملاعبة معها لأنّ في ذلك إراحة للقلب وتقوية له على العبادة، فإنّ النفس ملول في الأمور وهي عن الخلق[١] نفور لأنّه على خلاف طبعها، فلو كلفت المداومة جمحت وتأبّت، وإذا روّحت باللذات المباحة في بعض الأوقات قويت ونشطت. وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب. وفي الخبر: «على العاقل أنْ يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه، فإنّ هذه الساعات عون على تلك الساعات»[٢].

الفائدة الرابعة: تفريغ القلب عن تدبير المنزل إذْ التكفّل بجميع أشغال المنزل يضيع أكثر الأوقات، ولم يفرغ للعلم والعمل، ولذلك قيل: المرأة الصالحة ليست من الدنيا. قال محمد بن كعب القرظي[٣] في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾[٤] قال: المرأة الصالحة.

الفائدة الخامسة: مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن، واحتمال الأذى منهن، والسعي في إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن، والقيام بتربية الأولاد، إذْ ليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط، ولا من صبر على الأذى كمن رفّه نفسه وأراحها، وقد قال ﷺ: «ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة، وإنّ الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته»[٥]. وفي حديث آخر: «إنّ الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال»[٦].

واعلم أنّ هذه الفائدة للعابدين، وأمّا أرباب القلوب فربما يشغلهم العيال عن الكمال.

المطلب الثالث:

في آفات النكاح وهي ثلاثة:

الأولى: أقواها العجز عن طلب الحلال، فإنّ المتأهل ربما يتبع هوى زوجته والحلال ربما يعزّ عليه، فيبيع آخرته بدنياه، ويقال إنّ أهله وعياله يكونون خصماء له في القيامة بأنّه أطعمنا الحرام ونحن لا نعلمه. ولذا قال ابن سالم[٧] ترك التزوج أفضل في زماننا هذا إلّا لمن له شبق كشبق الحمار ولا يملك نفسه أصلًا.

الآفة الثانية: القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن، وفي هذا أيضًا خطر لأنّ كل أحد راعٍ ومسؤول

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: الخلو.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب المراقبة والمحاسبة، باب بيان حقيقة المراقبة. . .، ١٠/ ١٠٢ ـ ١٠٨، بلفظ: «أربع».

(٣) هو محمد بن كعب بن سليم بن عمرو، أبو حمزة، ويقال أبو عبد الله، القرظي. توفي بالمدينة عام ١١٨ هـ/ ٧٣٦ م، على خلاف في تاريخ وفاته. تابعي من كبار العلماء. راوٍ للحديث ثقة، مفسر. له عدة مصنفات. معجم المفسرين ٢/ ٦٠٨، تاريخ التراث العربي ١/ ١٩٠، تهذيب التهذيب ١/ ٤٢٠، حلية الأولياء ٣/ ٢١٢، غاية النهاية ٢/ ٢٣٣، شذرات الذهب ١/ ١٣٦.

(٤) البقرة/ ٢٠١.

(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب النكاح، بيان آفات النكاح وفوائده ٥/ ٣١٤.

(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الزكاة، باب في ذكر حد الفقير والمسلمين. ٤/ ١٤٢.

(٧) هو محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن عبد اللطيف بن سالم المكي. ولد عام ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٥ م. وتوفي عام ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م. فاضل، جامع للأخبار. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٣١٥.

عن رعيته، إلّا أنّ هذه أيسر من الآفة الأولى، ومع ذلك فهي آفة عظيمة لا يسلم منها إلّا حكيم عاقل يتغافل عن زللهن ويُداري أخلاقهن، إذْ الأغلب عليهن السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الإنصاف مع طلب تمام الإنصاف.

الآفة الثالثة: وهي دون الأوليين أنْ يكون الولد والأهل شاغلين له عن الله تعالى، وجاذبًا إلى طلب الدنيا، وتدبير حسن المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر، ولست أعني المال الحرام، فإنّ ذلك مما اندرج تحت الأوليين بل التنعم بالمباح والإمعان في ملاعبة النساء والأولاد، ولا يتفرغ للفكر في الآخرة والاستعداد لها.

إذا عرفت مجامع الفوائد والآفات في النكاح فاعتبر هذه الفوائد والآفات واعرض نفسك عليها فإنْ اتفقت في حقه الآفات بأنْ يكون شابًا محبًا محتاجًا إلى التحصين ومنفردًا محتاجًا إلى تدبير المنزل، فانظر: إنْ اجتمعت في حقه الفوائد من المال والخلق الحسن وعدم صد النكاح إياه عن الشغل بالله فعليه النكاح. فإنْ اتفقت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له. وإنّ بعض الفوائد مع بعض الآفة فعليه أنْ يوزن بالميزان القسط فأيهما أرجح فالحكم له. مثلًا من ليس له حاجة إلى كسر الشهوة وكان حظه الولد فقط ولم يتيسر له الكسب الحلال فالعزوبة أفضل، لأنّ عدم الولد خير من الطعام الحرام. وأمّا إنْ خاف الزناء مع الكسب الحرام فالنكاح أولى. وأما إذا خاف النظر الحرام مع الكسب الحرام فالعزوبة أولى لأنّ النظر يقع أحيانًا فهو أهون الشرين، وإنْ أمن النظر أيضًا ولكن لم يقدر على دفع وسواس الجماع فالعزوبة أولى، لأنّ عمل القلب أقرب إلى العفو من القوت الحرام.

فإنْ قلت: فمن أمن الآفات كلها فالأفضل له التخلّي للعبادة والنكاح. قلت: يجمع بينهما إنْ كان من العباد لأنّ الكسب الحلال لأجل العيال عبادة، وإنْ كان من أهل القلوب يشوشه طلب المعاش، فالتخلّي أفضل له.

فإنْ قلت: فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله، ولم استكثر رسول الله ﷺ من الأزواج مع أنّ التخلّي للعبادة أفضل؟ قلت: الكلام في مثل هذه المواضيع لا يليق بأمثالنا، إلّا أنّ بعضًا من العلماء قال: الجمع أفضل لمن قويت منّته وعلت همته وتشمر لذلك كما فعله نبينا ﷺ، حتى كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته. أمّا عيسى عليه السلام وإنْ كان الظنّ به القدرة على الجمع بين النكاح والتخلّي للعبادة، لكن لعله عمل بالحزم ولم يتشمر لذلك، أو عزَّ في زمانه طلب الحلال، والله أعلم بأسرار أحوالهم.

المطلب الرابع:

في شروط العقد وهي أربعة:

الأول: إذن الولي فإنْ لم يكن فالسلطان.

الثاني رضا المرأة.

الثالث الشاهدان.

الرابع إيجاب وقبول. وتفاصيل هذه الشروط في كتب الفقه.

وأمّا آدابه فتقديم الخطبة مع الولي بعد العدة بلا خطبة من الغير، والخطبة قبل النكاح، ومزج التحميد والصلاة بالإيجاب والقبول أيضًا، وأنْ يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة، كما يستحب نظر الزوج إليها قبل النكاح ليكون أحرى أنْ يؤدم بينهما، وإحضار جمع أهل الصلاح سوى الشاهدين. ومنها أنْ ينوي بالنكاح إقامة السنّة وغض البصر وطلب الولد، وسائر الفوائد، لا مجرد الهوى لئلّا يصير من عمل الدنيا.

المطلب الخامس:

في أحكام المنكوحة وهي نوعان:

الأول: ما يعتبر فيها للحل وموانعه تسعة عشر:

الأول أنْ تكون منكوحة للغير.

الثاني أنْ تكون معتدة للغير.

الثالث أنْ تكون مرتدة.

الرابع أنْ تكون مجوسية.

الخامس أنْ تكون وثنية أو زندقية أو أهل إباحة.

السادس أنْ تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد بعث رسول الله ﷺ ، ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل، فإذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها، وإنْ عدمت النسب فقط ففيه خلاف.

السابع أنْ تكون رقيقة والناكح حُرٌّ قادر على طَوْل الحرة.

الثامن أنْ يكون كلها أو بعضها مملوكة للناكح ملك يمين.

التاسع أنْ تكون ذات رحم محرمة للزوج.

العاشر أنْ تكون محرمة بالرضاع.

الحادي عشر أنْ تكون محرمة بالمصاهرة.

الثاني عشر أنْ تكون خامسة في النكاح أو في العدة.

الثالث عشر أنْ تجتمع في النكاح مع امرأة لو كانت ذكرًا حرمت الأخرى عليه.

الرابع عشر أن تكون مطلقة ثلاثًا للزوج.

الخامس عشر أنْ لا تكون ملاعنة للزوج.

السادس عشر أنْ لا يكون أحد الزوجين محرمًا.

السابع عشر أنْ تكون ثيّبًا صغيرة وفيه خلاف أبي حنيفة.

الثامن عشر أنْ تكون دون البلوغ وفيه أيضًا خلاف أبي حنيفة.

التاسع عشر أنْ تكون من أزواج رسول الله ﷺ لأنهن من أمهات المؤمنين، وذلك مما لا يوجد في زماننا هذا.

النوع الثاني: الخصال المطيبة للعيش وهي ثمانية:

الأولى أنْ تكون صالحة ذات دين. لأنّها إنْ كانت ضعيفة الدين في نفسها وفرجها أزرت بزوجها، وسوّدت بين الناس وجهه، وتشوش بالغيرة قلبه، وتنغص بذلك عيشه، وكذا إنْ كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله.

الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين، فإنّها إذا كانت سليطة بذيئة اللسان سيئة الخلق كان ضررها أكثر من نفعها.

الثالثة حسن الوجه إذْ الطبع لا يكتفي بالدميمة فيفوت غض البصر، والنهي عن التزوج للجمال كون الغرض الأصلي الجمال دون الدين، لا أنّه لا يطلب أصلًا.

الرابعة أنْ تكون خفيفة المهر لأن ثقلها يفسد مقاصد النكاح، وأيضًا يخالف السُّنة.

الخامسة أنْ تكون ولودًا وقد مرّ.

السادسة أنْ تكون بكرًا ففيها ثلاث فوائد: إحداها أنّ الأبكار تحبّ أزواجهن، إذْ الحب للحبيب الأول. ثانيتها أنهن مرغوبات عند الأزواج، فإنّ بعض الطباع تنفر عن التي مسَّتها يدٌ غير يده. ثالثتها أنّ البكر لا تحنّ إلى الزوج الأول لما مرّ.

السابعة أنْ تكون نسيبة من أهل الدين والصلاح، إذْ للتربية مدخل عظيم في حسن الأخلاق.

الثامنة أنْ لا تكون من قرابته القريبة فإنّ ذلك يقلل الشهوة ومن ذلك يخلق الولد ضاويًا أي نحيفًا.

المطلب السادس:

في آداب المعاشرة، وهي صنفان:

الأول: ما على الزوج، وهي اثنا عشر أمرًا:

أحدها الوليمة وهي مستحبة، ويستحبّ التهنئة فيقول الداخل: بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما بخير. ويستحب إظهار النكاح. وفي الخبر: «فصل ما بين الحلال والحرام الدّفّ

والصوت»[١].

وثانيها حسن الخلق وليس هو كف الأذى عنهن بل احتمال الأذى منهن، كما كان يفعله النبي ﷺ ترحّمًا عليهن لقصور عقلهن، وكان آخر ما وصّى به رسول الله ﷺ الإحسان إليهن، كذا ورد في الحديث[٢].

وثالثها أنْ يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجة عقولهن في الأعمال والأخلاق، وذلك مشهور مذكور في كتب الأحاديث.

ورابعها أنْ لا ينبسط في الدعابة إلى درجة تسقط هيبته لأنّ ذلك يفسد خلقها، بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرًا، وفي الحديث: «تعس عبد الزوجة»[٣]. قال الشافعي: ثلاثة إنْ أكرمتهم أهانوك وإنْ أهنتهم أكرموك: المرأة والخادم والنبطي. أراد إنْ محضت الإكرام ولم تمزجه بالغلظة. وبالجملة قامت السموات والأرض بالعدل، وكلّ ما جاوز حدّه انعكس على ضده والغالب عليهن ركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلّا بنوع لطف ممزوج بسياسة.

خامسها الاعتدال في الغيرة بأنْ لا يتغافل عن مبادىء الأمور التي تخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن. وقد نهى رسول الله ﷺ أنْ يتتبع عورات النساء إلّا أنّه لا يدخل عليها الرجال، ولا هي تخرج إلى الأسواق، ولا يخرجن إلى المساجد الآن، وقد كنّ يخرجن في زمن رسول الله ﷺ إذْ الزمان قد تغيّر وقد أذن لهنّ أنْ يخرجن في الأعياد خاصة، ولكن لا يخرجن إلّا برضا أزواجهن، لكن يمنعن من الخروج إلى النظارات ومجامع الناس لغلبة الفساد في زماننا. وإذا خرجن ينبغي أن يغضضن أبصارهن من وجوه الرجال ووجوههم في حقهن كوجه الأمرد في حقّ الرجال حيث يحلّ النظر إذا لم يحتمل الفتنة وإلّا يكره.

سادسها الاعتدال في النفقة والاقتصاد فلا يقتر ولا يسرف، وينبغي أنْ لا يستأثر عن أهله بمأكول طيب لأنّ ذلك خارج عن المعاشرة بالمعروف. وإذا أكل يقعد كلّ العيال على مائدته ولا يصف عندهم طعامًا لا يطعمهم، ويجب عليه إطعام عياله الحلال، ويجوز للمرأة التصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك، وإنْ لم يأذن لها بذلك صريحًا إذْ الحال شاهد بالإذن.

وسابعها أنْ يعلّم زوجته أحكام الحيض وأحكام الصلاة ويلقنها اعتقاد أهل السّنة، وإنْ لم يعلم الزوج ذلك فعليه أنْ ينوب عنها في السؤال، فإنْ لم يفعل فعليها الخروج للسؤال، ويعصى الرجل بمنعها. وبعد تعلّم الفرائض ليس لها طلب الفضل وحضور مجلس الذكر إلّا برضا زوجها.

وثامنها أنْ يعدل بين نسوته ولا يميل إلى بعضهن، وإنْ أراد السفر يقرع بينهن، وإنْ لم يعدل بينهن جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل، كذا في الحديث، فيعدل في العطاء والمبيت. وأمّا الحب والوقاع فلا يدخل تحت الاختيار.

وتاسعها في النشوز وهذا إنْ كان من جانبهما معًا أو من الرجل فلا بد من حكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما، و﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾[٤]، وإنْ كان من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله أنْ يؤدّبها ويحملها على الطاعة قهرًا، ولكن ينبغي له التدريج في

(١) سنن الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، ح ١٠٨٨، ٣/ ٣٩٨.
(٢) إشارة إلى ما ورد في خطبة حجة الوداع حيث قال النبي ﷺ فيها: استوصوا بالنساء خيراً...
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب النكاح، الباب الثالث في آداب المعاشرة، ٥/ ٣٥٦.
(٤) النساء/ ٣٥.

التأديب، يقدم أولًا الوعظ والتحذير والتخويف، فإنْ لم ينجع ولّاها ظهره في المضجع أو انفرد عنها في الفراش وهجرها وهو في البيت من ليلة إلى ثلاث، وإنْ لم ينجع ضربها ضربًا غير مبرح، ولا يضرب وجهها. وله أنْ يهجرها في أمر الدين إلى شهر أو عشر.

عاشرها في آداب الجماع ويستحب أنْ يبدأ باسم الله ويقرأ: قل هو الله أحد، أولا يكبر ويهلل ويقول: بسم الله العظيم العلي، اللهم اجعله ذرية طيبة إنْ كنت قدرت أنْ يخرج من صلبي. وفي الحديث: «لو أنّ أحدكم إذا أتى أهله قال: اللهم جنّبنا الشيطان وجنّب الشيطان ما رزقتنا، فإنْ كان بينهما ولد لم يضره الشيطان[1]». وإذا قربت من الإنزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك: الحمد لله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾[2] الآية. وكان بعض أهل الحديث يكبّر حتى يسمع صوته أهل الدار، وينحرف عن القبلة إكرامًا للقبلة وليغط نفسه وأهله بثوب، ويغض صوته، ويأمر المرأة بالسكينة. وفي الخبر: «لا يتجردان تجرّد العيرين»[3]، وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل، ولا يجامع في ثلاث ليال من الشهر: الأول والنصف والآخر، يقال إنّ الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي، ولا يقوم عنها حتى تقضي وطرها من الرجل. والعدل في الجماع أنْ يأتيها في كلّ أربع ليال، ولا حقّ لها دون الأربع إذْ عدد النساء أربعة، ثم يزيد وينقص بحسب الحاجة والقدرة. ولا يأتيها في الحيض لأنّه حرام ويورث الجذام في الولد.

ويستمتع بجميع بدن الحائض سوى الموضع المكروه في القُبل والدّبر. وله أنْ يستمني ببدنها، وإنْ أراد العود بعد الجماع يغسل فرجه ثم يعود، وكذا إذا احتلم وأراد أن يجامع. وإنْ أراد النوم جنبًا فليتوضأ وضوءه للصلاة فإنّه سُنّة. ويكره العزل عنها، وإذا قدّر الله ولدًا لا يمنعه شيء. ويحل العزل في زوجته برضاها وفي أمته مطلقًا.

الحادي عشر، منها آداب الولادة وهي خمسة:

الأول أنْ لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى فإنّه لا يدري الخير في أيهما. وفي تربية البنات فضائل تذكر في الأحاديث.

الثاني أنْ يؤذّن في أذنه اليمنى ويقيم في أذنه اليسرى. وفي الحديث: «من فعل كذلك دفعت عنه أم الصبيان»[4]. ويستحب أنْ يلقنوا له أول انطلاق لسانه: لا إله إلّا الله، ليكون ذلك أول حديثه، والختان في اليوم السابع ورد به الخبر.

الثالث أنْ يسميه باسم حسن فذلك حقّ الولد. وفي الحديث: «أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبدالرحمن»[5]. وقال ﷺ: «سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»[6]. قال بعض العلماء: ذلك في عصره إذْ كان ينادى يا أبا القاسم، وكره من يكنى أبا عيسى فقال: إنّ عيسى لا أب له، وينبغي أنْ يسمّي السّقط، ويقال: إنّه يطالب أباه ويقول: أنت ضيعتني وما سميتني، وإنْ لم يدر أنّه غلام أو جارية يسمّى باسم يجمعهما كحمزة وطلحة وعمارة وعتبة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح ٩٠، ٤/٢٥٣.

(٢) الفرقان/ ٥٤. ونصّ الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب التستر عند الجماع، ١/٦١٩، بلفظ: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجرد تجرد العيرين».

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الصيد، باب الأذان في أذن المولود، ٤/٥٩، بلفظ: «من ولد له ولد فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان».

(٥) سنن ابي داوود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، ح ٤٩٤٩، ٥/٢٣٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾. ح ٢٢، ٤/١٨٧.

وعنبسة، ويستحب تبديل الأسماء القبيحة. بدّل رسول الله ﷺ اسم العاصي بعبدالله. وورد النهي في مثل أفلح وبركة إذْ يقال: ثم بركة؟ فيقال: لا.

الرابع العقيقة في اليوم السابع عن الذكر بشاتين وتجوز شاة واحدة وعن الأنثى شاة واحدة، ولا بأس أنْ تكون الشاة ذكرًا أو أنثى. ومن السُّنة أنْ يحلق رأسه اليوم السابع ويتصدق بزنة شعره فضة أو ذهبًا.

الخامس أنْ يحنكه بتمرة أو حلاوة.

الثاني عشر في آداب الطلاق: وأنّه مباح، لكنه أبغض المباحات، وليراعِ فيه أربعة أمور:

الأول: أنْ يطلقها في طُهر لم يجامعها فيه.

الثاني أنْ يقتصر على طلاق واحد ولا يجمع بين الثلاث.

والثالث أنْ يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف، ويطيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق.

الرابع أنْ لا يفشي سرّها لا عند النكاح ولا عند الطلاق، فقد ورد في ذلك وعيد عظيم.

الصنف الثاني في حقوق الزوج عليها: إذْ النكاح نوع رقّ فعليها طاعة الزوج في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه، وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة، فلا تعطي شيئًا من بيته إلّا بإذنه، ولا تصوم تطوعًا إلّا بإذنه، وإلّا لا يُقبل منها. ولا تخرج من بيته إلّا بإذنه، فإنْ فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيتها أو تتوب. وأهم الحقوق أمران: أحدهما الستر والصيانة، والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حرامًا. وكانت امرأة السلف أو ابنته تقول لزوجها: إياك وكسب الحرام فإنّا نصبر على الجوع والضرّ ولا نصبر على النار. ولا تفرط في بذل ماله إلّا الذي يفسد، فإنْ أطعمت عن رضا كان لها مثل أجره، وإنْ أطعمت بلا رضاه كان له الأجر وعليها الوزر. روي أنّ أسماء بن خارجة الفزاري[1] قال لابنته عند التزويج: إنّك خرجت من العشّ الذي منه درجت، وصرت إلى فراش لا تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا يكون لك سماءً، وكوني له مهادًا يكون لك عمادًا، وكوني له أمةً يكون لك عبدًا. لا تلحفي به فيقلاك، ولا تباعدي عنه فينساك. إنْ دنا فاقربي منه، وإنْ نأى فابعدي عنه. واحفظي أنفه وسمعه وعينه، ولا يشم منك إلّا طيبًا، ولا يسمع إلّا حسنًا، ولا ينظر إلّا جميلًا.

ومن آدابها أنْ لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه، وتلازم الصلاح والانقباض في غيبة زوجها، والرجوع إلى اللعب وأسباب اللذة في حضور زوجها، ولا تؤذي زوجها بحال، وتقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها، والقول الجامع في ذلك أنْ تكون قاعدة في بيتها لازمة لمغزلها، لا تكثر إطلاعها، قليلة الكلام لجيرانها، لا تدخل عليهم إلّا وقت يحبّ الدخول عليهم عادة، ولا تخرج بلا إذن زوجها، وإنْ أذن لها فتذهب في المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، همتها صلاح شأنها وتدبير بيتها، مقبلة على صلاتها وصيامها، وتكون قانعة من زوجها بما رزقه الله، ومقدمة حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها، متنظفة في جميع أحوالها ليستمتع بها إنْ شاء، مشفقة على أولادها، ولا تسبّهم. وإذا مات زوجها تحدّ عليه أربعة أشهر وعشرًا، وتلزم منزل النكاح، ولا تنتقل عن ذلك إلى أهلها إلى آخر العدة، ولا

---

(١) هو أسماء بن خارجة بن حصين الفزاري. مات عام ٦٥ هـ. من سادات أهل المدينة، وجلة التابعين.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٢٣، الكامل ٤/ ٢٦٠، فوات الوفيات ١/ ١٦٨، البداية والنهاية ٩/ ٤٣، النجوم الزاهرة ١/ ١٧٩.

تخرج إلّا لضرورة.

علم آداب الوزارة(*):

واعلم أنّ الوزارة من أركان السلطنة كما قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾﴾[١]. فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أحقّ الناس بذلك كليم الله تعالى موسى بن عمران. ثم ذكر حكمة الوزراء فقال: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾[٢]. دلت الآية على أنّ موضع الوزارة أنْ يشدّ قواعد المملكة وأنْ يفضي إليه السلطان لعجزه، ويجري إذا استكملت فيه الخلال المحمودة. ثم قال تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[٣]. دلت هذه الآية على أنّ بصحبة العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنتظم أمور الدنيا والآخرة. وكما أنّ أشجع الناس يحتاج إلى السلاح، وأنّ أفره الخيل يحتاج إلى السوط، وأنّ أحدّ الشفار يحتاج إلى المسن، كذلك يحتاج أجلّ الملوك وأعظمهم وأعلمهم إلى الوزير. وكتاب الإشارة في آداب الوزارة[٤] نافع في هذا الباب ويورد ما يحتاج إليه الوزارة في كتاب سراج الملوك للطرطوشي، ونصيحة الملوك[٥] للغزالي، وأمثال ذلك يعرفها من يطلبها.

علم الأدعية والأوراد(*):

وهو علم يبحث فيه عن الأدعية المأثورة. والأوراد المشهورة بتصحيحهما وضبطهما، وتصحيح روايتهما، وبيان خواصهما، وعدد تكرارهما، وأوقات قراءتهما وشرائطهما. ومبادئه مبينة في العلوم الشرعية. والغرض منه معرفة تلك الأدعية والأوراد على الوجه المذكور لينال باستعمالهما، إلى الفوائد الدينية والدنيوية. ولما كان استمداد هذا العلم من كتب علم الأحاديث جعلناه من فروعه. ومن الكتب النافعة فيه: كتاب الأذكار[٦] للإمام النووي رحمه الله، وكتاب الحصن الحصين[٧] لمحمد بن محمد الجزري[٨]

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع الحكمة العملية، ضمن علوم الدوحة الخامسة في الحكمة العملية، وذلك بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) طه/ ٢٩ ـ ٣١.

(٢) طه/ ٣١ ـ ٣٢.

(٣) طه/ ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) الإشارة إلى آداب الوزارة للشيخ الإمام لسان الدين محمد بن الخطيب الغرناطي (ـ ٧٧٦ هـ). كشف الظنون ١/ ٩٧.

(٥) نصيحة الملوك وهو التبر المسبوك، فارسي للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. كشف الظنون ٢/ ١٩٥٨.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الرابع في فروع علم الحديث، ضمن مطالب الشعبة الثامنة، من شعب علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٦) ورد ذكره سابقاً.

(٧) الحصن الحصين في كلام سيد المرسلين للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري الشافعي (ـ ٨٣٩ هـ). كشف الظنون ١/ ٦٦٩.

(٨) هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي الشيرازي، الشهير بابن الجزري. ولد عام ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م. وتوفي عام ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩ م. وقيل ٨٣٩ هـ. وفي كشف الظنون ٧٣٩ هـ وهو خطأ واضح. شيخ القراء في زمانه، حافظ، عالم بالحديث. له العديد من المصنفات الهامة.
الأعلام ٧/ ٤٥، غاية النهاية ٢/ ٢٤٧، الضوء اللامع ٩/ ٢٥٥، الأنس الجليل ٢/ ٤٥٤، معجم المؤلفين ١٢/ ٢٩١، كشف الظنون ١/ ٦٦٩.

وكتاب عبدالرحمن البسطامي[١]، وغير ذلك من الكتب اللطيفة في هذا الشأن.

علم أدوات الخط[*]:

من القلم وطريق استعلام جيّدها من رديّها، أحوال الفتح والنحت والشق والقط. ومن الدوات وكيفية إلاقتها، وكيفية إصلاح المداد. ومن المداد وكيفية صنعتها وأنواعها وكيفية إصلاحها. ومن الكاغذ من معرفة جيّدها من رديّها ومعرفة أنواعها وطريق إصلاحها وغير ذلك من أدوات الكتابة.

ومن بديع وصف القلم ما حكاه العتابي[٢] عن نفسه قال: سألني الأصمعي[٣]قال: أي الأنابيب أصلح للكتابة وعليها أصبر؟ قلت: ما نشف بالهجير ماؤه، وستر عن تلويحه غشاؤه، من التبرئة القشور، الذربة الظهور، الفضية الكسور. قال: فأيّ نوع من البري أكتب وأصوب؟ قلت: البرية المستوية القط، عن يمين منها برية تأمن عليها المجة عند المط، الهواء في مشقها فتيق، والريح في جوفها حريق، والمداد في خرطومها رقيق. قال: فبقي الأصمعي شاخصًا لي ضاحكًا لا يحير مسئلة ولا جوابًا.

ومن المصنفات فيه: تصنيف علي بن هلال بن البواب البغدادي[٤] حيث صنف: قصيدة رائية[٥] بليغة غاية البلاغة، واستقصى فيها أدوات الكتابة، رأيت هذه القصيدة وطالعتها وانتفعت بها سيما قوله:

وارغب لكفك أنْ تخط بنانها ... خبرًا تخلفه بدار غرور
فجميع فعل المرء يلقاه غدًا ... عند التقاء كتابه المنشور

ونظير هذا قول الشاعر الآخر:

وما من كاتب إلَّا سيفنى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

فائدة: اعلم أن أبا الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادي المعروف بابن البواب لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين مَنْ كتب مثله ولا قاربه، وإنْ كان أبو علي بن مقلة[٦] أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها في

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد البسطامي الحنفي زين الدين، توفي عام ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م. فاضل، متصوف، مؤرخ، كاتب مترسل، له عدة مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٣٣١، وفيات الأعيان ١/ ٥٠، آداب اللغة ٣/ ٢٤٩، هدية العارفين ١/ ٥٣١، كشف الظنون ٢/ ١٢٩٣.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد العتابي، أبو عمرو. توفي عام ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م. أديب شاعر، له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ١٤٥، معجم الأدباء ١٧/ ٢٦، فوات الوفيات ٢/ ١٣٩، إيضاح المكنون ٢/ ٢٠١، هدية العارفين ١/ ٨٣٨.

(٣) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. ولد بالبصرة عام ١٢٢ هـ/ ٧٤٠ م. وتوفي فيها عام ٢١٦ هـ/ ٨٣١ م. راوية العرب، وأحد أئمة اللغة والأدب والبلدان. مدحه العلماء لمعرفته الواسعة وله الكثير من المؤلفات.
الأعلام ٤/ ١٦٢، جمهرة الأنساب ٢٣٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٨، تاريخ بغداد ١٠/ ٤١٠، إنباه الرواة ٢/ ١٩٧.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) القصيدة الرائية في علم الخط لأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب (ـ ٤١٣ هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٣٣٩.

(٦) تقدمت ترجمته.

هذه الصورة، وله بذلك فضيلة السبق، وخطه أيضًا في نهاية الحسن. لكن ابن البواب هذَّب طريقته ونقحها، وكساها طلاوة وبهجة. وقيل إن صاحب الخط المنسوب [أخوه][١] أبو عبدالله الحسن، لكن الأصح والأشهر ما ذكرناه أولًا، والكل معترفون لأبي الحسن بالتفرد والسبق وعدم المشاركة ولا يدعون لحوق شأوه مع أنَّ في الخلق من يدَّعي ما ليس فيه. ويقال له ابن الستري أيضًا لأنَّ أباه كان بوابًا، والبواب يلازم ستر الباب، وكان شيخه في الكتابة ابن أسد الكاتب وهو أبو عبدالله محمد بن أسد بن علي بن سعيد القاري[٢] الكاتب البزاز البغدادي. توفى ابن البواب سنة ثلاث وعشرين أو عشرة وأربعمائة ببغداد ودفن جوار الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه. وقيل في مرثية ابن البواب:

استشعر الكتاب فقدك سالفًا
وقضت بصحة ذلك الأيام
ولذاك سودت الدواة كآهة
أسفًا عليك وشقت الأقلام

ومن المصنفات في العلم المذكور: تأليف ياقوت المستعصمي وهو رسالة لطيفة في هذا الفن نافع في الغاية.

فائدة: أبو الدر ياقوت بن عبدالله الرومي كان من مماليك الخليفة المستعصم، كتب الخط المنسوب البديع واشتغل بالعلوم العربية بأسرها وفاق في النظم والنثر، وأكبَّ على تعليم العلم وتعليم الكتابة، وجودة خطه غنية عن البيان، يعرفها أهل كلّ زمان. وتوفي سنة ثمان وتسعين وستمائة. وغير هذا، عدة يواقيت؛ بعضهم مشهور بحسن الخط أيضًا لكنه لم يبلغوا هذه الغاية، ويمتاز عنهم بالنسبة إلى الخليفة المستعصم وبالسّن.

ومن المصنفات فيه الباب الواحد من كتاب صبح الأعشى في كتابة الإنشا[٣] لأبي العباس أحمد القلقشندي[٤]، ثم المصري، وهذا الكتاب سبعة أجزاء في صناعة الإنشاء وكل مجلد منها مجلد ضخم لم يغادر صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بصناعة الإنشاء إلّا أورده، ولقد أكثر فيها من الاستطراد، وزعم أن المنشيء لا بدّ له من المعرفة بجميع ما يمكن معرفته من العلوم والأحوال والأخبار، فتعرض ما أمكن له التعرض له، وأورد في الباب المذكور ما يتعلق بعلم الخط وأجاد فيه كلّ الإجادة، ونقل أكثره عن ياقوت المستعصمي. قال بعضهم: قوام الأمور بشيئين بالقلم[٥] والسيف، والقلم فوق السيف وأنشد:

إنْ يخدم القلم السيف الذي خضعت
له الرقاب وكانت دونه الأمم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت
أنّ السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال أبو تمام الطائي:

(١) لفظة أخوه ساقطة من الهندية، وهي مثبتة في المصرية.
(٢) هو محمد بن أسد بن علي، أبو الحسين، البغدادي البزاز، الكاتب. توفي عام ٤١٠ هـ. إمام مقريء، شيخ الكتابة، مجوّد كبير. له رواية وأخبار. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣١٥، تاريخ بغداد ٢/ ٨٣، المنتظم ٧/ ٢٩٦، وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٢، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٠١، البداية والنهاية ١٢/ ١٤.
(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ثم المصري (ـ ٨٢١ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٧٠.
(٤) انظر ترجمته في: الضوء اللامع ٢/ ١٨، المنهل الصافي ١/ ٣٣٠، شذرات الذهب ٧/ ١٤٩.
(٥) ولا يخفى أن القلم إنما هو للتعليم وتعبير ما هو المراد في القلب والمكنون في الضمير. ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾. وأما السيف فهو أعظم درجات من القلم، فإن أهل القلم قاطبة من متبعي أهل السيف، وصاحب السيف يكون سلطاناً سيداً رأساً. وتسخير الملك واستتباع الخلق والرياسة العامة والاستيلاء والاستعلاء ورفعة الشأن لا يحصل إلاّ بالسيف، فورد: أنا النبي بالسيف، السيوف رمية المجاهدين، السيوف مفاتيح الجنة.

ولضربة من كاتب ببنانه
أمضى وأبلغ من دقيق حسام
قوم إذا عزموا عداوة حاسد
سفكوا الدماء بأسنة الأقلام

وأما قول أبي تمام: «السيف أصدق أنباء من الكتب» لا يناقض قوله هذا، لأنه أراد هناك كتب النجوم كما يعرف من سياق القصيدة ومن سبب إنشائها. وما أحسن في هذا الباب قول البحتري[(١)]:

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب
ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن كثروا
ما لا ينال بحد المشرفيات

علم الأدوار والأكوار(*):

اعلم أنّ الدور يطلق في اصطلاحهم على ثلاث مائة وستين سنة شمسية، والكور على مائة وعشرين سنة قمرية، ويبحث في العلم المذكور عن تبدل الأحوال الجارية في كل دور وكور، وهذا من فروع أحكام النجوم كما هو ظاهر عند أهله.

علم الأسارير(**):

وهو علم باحث عن الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر، وبحسب ما بينهما من الفُرَج المتسعة أو المتضائقة من حيث دلالتها على أحوال الإنسان من طول الأعمار وقصرها، والسعادة والشقاوة، والغنى والفقر. وأكثر من تمهر في هذا العلم الأعراب والهنود.

قال الأعشى[(٢)] رحمه الله:

فانظر إلى كفّي وأسرارها
هل أنت إنْ أوعدتني ضائري

ويوجد في هذا العلم مصنفات، وكثيرًا ما يوجد ذيلًا لكتب علم الفراسة.

علم أسباب ورود الأحاديث وأزمنته وأمكنته(***)

وموضوعه ظاهر من اسمه. ومنفعته عظيمة لا تخفى على أحد. وسمعت كتبًا مصنفة في هذا الفن لكن ما رأيتها.

---

(١) هو الوليد بن عبيد بن يحي الطائي، أبو عبادة البحتري. ولد بمنبج قرب حلب عام ٢٠٦ هـ/ ٨٢١ م. وتوفي فيها عام ٢٨٤ هـ/ ٨٩٨ م. شاعر كبير من شعراء العباسيين، كان يقال لشعره سلاسل الذهب. له ديوان شعر مطبوع. وكتاب الحماسة. وكتب عنه الكثيرون. الأعلام ٨/ ١٢١، وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥، معاهد التنصيص ١/ ٢٣٤، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٤٦، دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٣٦٥.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم، العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير المعروف بأعشى قيس. ولد بالقرب من الرياض في بلدة اسمها منفوحة وفيها توفي عام ٧ هـ/ ٦٢٩ م. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات. عمر طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره.
الأعلام ٧/ ٣٤١، معاهد التنصيص ١/ ١٩٦، خزانة البغدادي ١/ ٨٤، الأغاني ٩/ ١٠٨، تاريخ آداب اللغة ١/ ١٠٩، الشعر والشعراء ٧٩.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

علم الاستحضار(*):

وهو استنزال الأرواح في قوالب الأشباح. واعلم أنّ تسخير الجنّ أو الملك من غير تجسدها وحضورها عندك يسمى علم العزائم، بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتهما. وأما حضور الجنّ عندك وتجسدها في حسّك يسمى علم الاستحضار، ولا يشترط تحصيل مقاصدك بها. وأما استحضار الملك فإنْ كان سماويًا فتجسده لا يمكن إلّا في الأنبياء، وإنْ كان أرضيًا ففيه الخلاف.

علم الإستعانة(**):

بخواص الأدوية والمفردات كاجتذاب المغناطيس للحديد ونحو ذلك. وهذا وإنْ كان من فروع خواص الأدوية لكن لعدم معرفة العوام سببه ربما يعدّ من السحر. حكي أنّ كنيسة ببلاد الروم أو الهند[١] عمل في جدرانها وسقفها وأرضها ست حجارة مغناطيس متساوية في القدر، وجعل في هوائها صليب من حديد بمقدار ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة السّت، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائمًا من غير آلة تمسكه ظاهرًا، فافتتن به قوم من النصارى.

علم استعمالات الألفاظ(***):

وهو من فروع علم البيان، وهو علم يبحث فيه عن استعمالات الألفاظ في المعاني التشبيهية والكنائية وبطريق الاستعارة والمجاز. وهذا الفن في علم البيان بطريق الكلية، وفي هذا الفن بطريق الجزئية. ومبادئه استقرائية. وموضوعه وغرضه وغايته لا يخفى على الفطن المتأمّل. وللأصمعي وأبي عبيدة[٢] في هذا الفن أيضًا كتب كثيرة.

علم استنباط المعادن(****):

إذْ الذهب والفضة وغيرهما لا بدّ لها من علامات تعرف بها عروقها في الجبال، ومبادئه وآلاته قريبة من العلم السابق[٣].

علم أسرار الحج(*****) وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في فضيلتها وفضيلة البيت ومكة، وهذه

(*) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) حكى بعض من يوثق بقوله إنه رآه كما نقله المصنف في مملكة بغداد. وقد تكرر ذكر هذه القصة في علم الخواص، كما سيجيء.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) هو معمر بن المثنى التيمي البصري، أبو عبيدة النحوي، ولد في البصرة عام ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م. وتوفي فيها عام ٢٠٩ هـ/ ٨٢٤ م. من أئمة العلم باللغة والأدب، حافظ للحديث إلاّ أنه كان أباضياً شعوبياً. له الكثير من المؤلفات الهامة. الأعلام ٧/ ٢٧٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٨، بغية الوعاة ٣٩٥، ميزان الاعتدال ٣/ ١٨٩، طبقات النحويين واللغويين ١٩٢.

(****) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع الفراسة، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) يقصد بالعلم السابق علم الريافة أي استنباط المياه، لأنه سابق على علم استنباط المعادن بحسب تقسيم المؤلف لها.

(*****) هذا هو الأصل السابع من أصول الشعبة الأولى في العبادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الفضائل مذكورة في كتب الأحاديث والآثار والأخبار فلا نطول الكتاب بذكرها.

المطلب الثاني:

في فضل الإقامة بمكة وكراهيتها:

أما فضيلتها فأشهر من أنْ تذكر. وأما كراهيتها فلما كره المحتاطون المقام بها لمعانٍ:

أحدها خوف التبرم من جهة الغربة أو حرّها أو معاشها، أو الأنس بها حتى تسقط مهابة البيت من عينه. ولهذا كان عمر رضي الله عنه يصرف الحاج إذا حجوا ويقول: يا أهل اليمن يمنكم، ويا أهل الشام شامكم.

وثانيها تهييج الشوق إلى بلده حتى تنبعث داعية العود والمفارقة.

وثالثها الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها، فإنّ ذلك محظور وبالحرى أنْ يورث مقت الله لشرف الموضع. وعن ابن عباس: لأن أذنب سبعين ذنبًا بركبة أحبّ إليَّ من أنْ أذنب ذنبًا واحدًا بمكة. وركبة منزل بين مكة والطائف. ولا تظنن أنّ كراهية الإقامة تنافي شرف الموضع، بل ذلك لعجز الناس عن القيام بحقه. وكيف لا وأنها أحبّ بلاد الله إلى رسول الله ﷺ، وأن النظر إلى البيت عبادة، وأن الحسنات تضاعف فيها.

المطلب الثالث:

في فضيلة الإقامة بالمدينة،

وهذه أيضًا أشهر من أنْ تذكر، وما مرّ في الإقامة بمكة جارٍ هاهنا أيضًا. وبالجملة الغرض الأعظم للسالك إصلاح دينه وقلبه. وإذا صالح حاله في بلد فليلزم الإقامة بها ولا يسافر إلّا لعلم أو إصلاح حال، ولا يترك وطنه أيضًا إلّا لما ذكر، وليختر من البلاد ما هو أقرب للخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة والمعاش. وفي الخبر: «من رزق من شيء فليلزمه»[١]. وفيه أيضًا: «البلاد بلاد الله، والخلق عباد الله، فأي موضع رأيت فيه رفقًا فأقم واحمد الله تعالى»[٢]. وعن سفيان الثوري أنّه قال: لا أدري أي البلاد أسكن. قيل له: خراسان. قال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة. فقيل له: الشام. قال: يشار إليك بالأصابع، أراد الشهرة. فقيل: فالعراق. قال: بلد الجبابرة. قيل له: مكة. قال: يذيب الكيس والبدن.

المطلب الرابع:

في وجوب الحج وصحته وأركانه وواجباته ومحظوراته.

ولما كانت هذه المسائل مستوفاة في الكتب الفقهية اكتفينا بها.

المطلب الخامس:

في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشر جمل:

الجملة الأولى في السنن من أول الخروج إلى الإحرام وهي ثمانية:

الأولى في المال. ينبغي أنْ يبتدىء بالتوبة وردّ المظالم وقضاء الديون، وإعداد النفقة له ولمن تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع، فيرد ما عنده من الودائع، ويستصحب مالًا من حلال طيّب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل قدر ما يواسي به الضعفاء والفقراء، ويتصدق بشيء قبل خروجه. وليشتر لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها، فإنْ اكترى فليظهر للمكاري كلّ ما يريد أنْ يحمله من كثير وقليل ويحصل رضاه فيه.

الثانية: في الرفيق، فينبغي أنْ يلتمس رفيقًا صالحًا محبًا للخير معينًا عليه، إنْ نسي ذكّره،

---

(١) المتقي الهندي. كنز العمال، كتاب البيوع، الباب الأول آداب الكسب، ح ٩٢٨٦، ٤/١٩.

(٢) مسند أحمد، ١/١٦٦، بلفظ: «فحيثما أصبت خيراً فأقم» بدلاً من قوله «فأي موضع... وأحمد الله تعالى».

وإنْ ذكّر أعانه، وإنْ جبن شجعه، وإنْ عجز قوّاه، وإنْ ضاق صدره صبّره، وإذا فارق إخوانه يودّعهم ويلتمس أدعيتهم، فإنّ الله تعالى جاعل في أدعيتهم البركة. والسُّنّة في الوداع أنْ يقول: استودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم. وكان النبي ﷺ يقول لمن أراد السفر: «في حفظ الله وكنفه، وزوّدك الله التقوى وغفر ذنبك، ووجّهك إلى الخير أينما توجهت»[1].

الثالثة: في الخروج من المنزل. ينبغي إذا همَّ بالخروج أنْ يصلّي ركعتين، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: قل يا أيّها الكافرون، وفي الثانية: سورة الإخلاص. وإذا فرغ من رفع يديه دعا الله تعالى عن إخلاصٍ صافٍ ونية صادقة وقال: اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب، إحفظنا وإياهم من كلّ آفة وعاهة. اللهم إنّا نسألك في مسيرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهم إنّا نسألك أنْ تطوي لنا الأرض وتهوّن علينا السفر، وأنْ ترزقنا في سفرنا هذا سلامة اليدين والبدن والمال، وأنْ تبلغنا حجّ بيتك وزيارة قبر نبيك محمد ﷺ. اللهم إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب. اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك، ولا تسلبنا وإياهم نعمتك، ولا تغيّر ما بنا وبهم من عافيتك.

الرابعة: إذا حصل إلى باب الدار قال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم. ربّ أعوذ بك أنْ أضل أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ. اللهم إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياء ولا سمعة، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سُنة نبيك شوقًا إلى لقائك. فإذا مشيت فقل: اللهم بك انتشرت، وعليك توكلت، وبك اعتصمت، وإليك توجهت. اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني به وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني، عزَّ جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. اللهم زودني التقوى واغفر ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت، ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه.

الخامسة: في الركوب، وإذا ركب الراحلة يقول: بسم الله وبالله والله أكبر، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[2]. اللهم إنّي وجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وتوكلت في جميع أموري إليك، أنت حسبي ونعم الوكيل. فإنْ استوى على الراحلة واستوت تحته قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر سبع مرات. وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[3]. اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور.

السادسة: في النزول. والسُّنة أنْ لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر مسيره في الليل، ومهما أشرف على المنزل فليقل: اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن، وربّ الأرضين السبع وما أقللن، وربّ الشياطين وما أضللن، وربّ الرياح وما ذرين، وربّ البحار وما جرين، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله، وأعوذ بك من شرّ هذا المنزل وشرّ ما فيه. اللهم اصرف عني شر شرارهم. فإذا نزل المنزل صلى ركعتين ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرّ ولا فاجر من شرّ ما خلق، فإذا جنّ عليه الليل يقول: يا أرض ربي وربك الله أعوذ

(١) سنن الدارمي، كتاب الاستئذان، باب ما يقول إذا ودع رجلاً، ٢/ ٢٨٧.
(٢) الزخرف/١٣ ـ ١٤.
(٣) الأعراف/٤٣.

بالله من شرّك وشرّ ما فيك وشرّ ما دبّ عليك، أعوذ بالله من شرّ كل أسد وأسود، وحية وعقرب، ومن ساكن البلد، ووالد ما ولد، ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝١٣﴾(١).

السابعة: في الحراسة. ينبغي أنْ لا ينفرد عن القافلة لئلا يغتال أو ينقطع، ويحتاط بالليل ويفترش ذراعه إنْ نام في أول الليل، وينصبه وجعل رأسه في كفه إنْ نام في آخرها، كذا نام رسول الله ﷺ في أسفاره، وذلك لئلا ينام فيفوته الفجر. ويستحب في الليل أنْ يتناوب الرفيقان في الحراسة فهو السُّنة. فإنْ قصده سبع أو عدو فليقرأ آية الكرسي(٢)، وشهد الله(٣)، وسورة الإخلاص والمعوذتين(٤)، وليقل: بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلّا بالله، حسبي الله، توكلت على الله، ما شاء الله، لا يأتي بالخيرات إلّا الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلّا الله، حسبي الله وكفى، يسمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى، ولا دون الله ملجأ، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾(٥)، تحصنت بالله العليّ العظيم، واستعنت بالحيّ الذي لا يموت. اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بركنك الذي لا يرام. اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا. اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وأمانك برحمة ورأفة إنّك أنت أرحم الراحمين.

الثامنة: إذا علا شرفًا يكبّر ثلاثًا ثم يقول: اللهم لك الشرف ولك الحمد على كل حال. وإذا هبط سبح مهما خاف الوحشة في سفره، قال: سبحان الملك القدوس ربّ الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت.

الجملة الثانية: في آداب إحرام من الميقات إلى دخول مكة وهي خمسة:

الأول: أنْ يغتسل عند الإحرام وينوي غُسل الإحرام، وينظف بتسريح رأسه ولحيته وقَلْم أظفاره، وسائر ما مر في باب الطهارة من أنواع النظافة.

الثاني: يحرم ويرتدي ويتأزّر بثوبين أبيضين، والبياض أحبّ الثياب إلى الله عزّ وجلّ، ويتطيّب في بدنه وثيابه، وإنْ بقي جرمه بعد الإحرام.

الثالث: أنْ ينوي الإحرام بالحج والعمرة قرانًا أو إفرادًا كما أراد إذا انبعث به راحلته، أو إذا ابتدأ السير إنْ كان راجلًا، ويكفي مجرد النية لاعتقاد الإحرام. ولكن السُّنة أنْ يقترن بالنية التلبية بأنْ يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. وإنْ زاد قال: لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والرغباء إليك والعمل، لبيك بحجة حقًا تعبدًا ورقًا. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد.

الرابع: إذا انعقد إحرامه بالتلبية يستحب له أنْ يقول: اللهم إنّي أريد الحجَّ فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني. اللهم إنّي نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك، واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت وقبلت. اللهم فيسر لي أداء ما نويت من الحج. اللهم قد أحرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي، وحرمت عليَّ النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء

(١) الأنعام/ ١٣.
(٢) آية الكرسي هي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ البقرة/ ٢٥٥.
(٣) آل عمران/ ١٨.
(٤) المعوذتان هما: سورة الفلق وسورة الناس.
(٥) المجادلة/ ٢١.

وجهك والدار الآخرة. ومن وقت الإحرام حرم عليه المحظورات الستة المذكورة في كتب الفروع.

الخامس: يستحب له تجديد التلبية عند ازدحام الرفاق واجتماع الناس، وعند كل صعود وهبوط، وعند كلّ ركوب ونزول رافعًا صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر، فإنّه لا ينادي أصم ولا غائبًا. ولا بأس برفع الصوت والتلبية في مسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات، فإنّ هذه المساجد مظنة المناسك، وأمّا غيرها فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع الصوت.

الجملة الثالثة: في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة:

الأول: الاغتسال بذي طوى لدخول مكة، والاغتسال المسنون في الحج تسعة: في الإحرام من الميقات، لدخول مكة، لطواف القدوم، للوقوف بعرفة، للوقوف بمزدلفة، وثلاثة اغتسال للجمرات الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة، ثم لطواف الوداع.

الثاني: أنْ يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة: اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي وبشري ودمي على النار، وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك، واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك.

الثالث: أنْ يدخل مكة من الجانب الأبطح وهي ثنية كَدا بفتح الكاف ويخرج من ثنية كُدا بالضم وهي الثنية السفلى والأولى العليا.

الرابع: إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل: لا إله إلّا الله والله أكبر، اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. اللهم إنّ هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته. اللهم فزده تعظيمًا وزده تشريفًا وتكريمًا، وزده مهابة، وزده من حجه برًا وكرامة. اللهم افتح لي أبواب رحمتك وادخلني جنتك وأعذني من الشيطان الرجيم.

الخامس: فليدخل المسجد الحرام من باب بني شيبة وليقل: اللهم بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ

فإذا قرب من البيت قال: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك، وعلى إبراهيم خليلك، وعلى جميع أنبيائك ورسلك. وليرفع يديه وليقل: اللهم إنّي أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أنْ تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي، وتضع عني وزري. الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنًا، وجعله مباركًا وهدى للعالمين. اللهم إنّي عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك، جئت أطلب رحمتك، أسألك مسألة المضطر الخائف عقوبتك الراجي رحمتك الطالب مرضاتك.

السادس: أنْ يقصد الحجر الأسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول: اللهم أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته، إشهد لي بالوفاء، فإنْ لم يستطع التقبيل فليقف في مقابلته وليقل ذلك، ثم لا يعرج على شيء دون الطواف، وهو طواف القدوم إلّا الصلاة المكتوبة إذا حضرت الجماعة.

الجملة الرابعة: في الطواف إمّا لقدوم أو لغيره وآدابه ستة:

الأول: شروط الصلاة من الطهارة وستر العورة لأنه صلاة إلّا أنّه يباح فيه الكلام، وليضطبع أولًا وهو أنْ يضع وسط إزاره تحت إبطه الأيمن ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر، فيرخي طرفًا وراء ظهره وطرفًا على صدره، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف، ويشتغل بالأدعية التي سنذكرها.

والثاني: بعد الاضطباع يجعل البيت عن يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه ليكون الحجر قدامه، فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه، وليجعل بينه وبين البيت

قدر ثلاث خطوات ليكون قريبًا منه ثم يبتدىء الطواف.

الثالث: يقول في ابتداء الطواف قبل مجاوزة الحجر: بسم الله والله أكبر، اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعًا لسُنّة نبيك محمد ﷺ ، ويطوف. وأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول: اللهم إنّ البيت بيتك، والحرم حرمك، والأمن أمنك، وهذا مقام العائذ بك من النار. وعند ذكر المقام يشير بعينيه إلى مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ويقول: اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين، أعذني من الشيطان الرجيم، وحرّم لحمي ودمي من النار، وآمني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة، ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي، فعنده يقول: اللهم إنّي أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد. وإذا بلغ الميزاب فليقل: اللهم أظلّني تحت عرشك يوم لا ظلّ إلّا ظلّ عرشك. اللهم اسقني بكأس محمد ﷺ شربة لا ظمأ بعدها أبدًا. وإذا بلغ الركن الشامي فليقل: اللهم اجعله حجًا مبرورًا وسعيًا مشكورًا وذنبًا مغفورًا وتجارة لن تبور، يا عزيز يا غفور. ربّ اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنّك أنت الأعزّ الأكرم. فإذا بلغ الركن اليماني فليقل: اللهم إنّي أعوذ بك من الكفر، وأعوذ بك من الفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة. وليقل بين الركن اليماني والحجر الأسود: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وعذاب القبر. وإذا بلغ الحجر الأسود فليقل: اللهم اغفر لي برحمتك، أعوذ بربّ هذا الحجر من الدَّين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر. وعند ذلك قد تم له شوط واحد فيطوف به كذلك سبعة أشواط ويدعو بهذه الأدعية في كل شوط.

الرابع: أنْ يرمل في الثلاث الأول من الأشواط ويمشي في البواقي، وتفصيله في كتب الفقه.

الخامس: إذا تم الطواف فليأت الملتزم وهو ما بين الحجر والباب وموضع استجابة الدعاء، وليلتصق بالبيت، وليتعلق بالأستار، وليضع خده الأيمن وليقل: اللهم يا ربّ البيت العتيق أعتق رقبتي من النار، وأعذني من الشيطان الرجيم، وأعذني من كل سوء، وقنعني بما رزقتني، وبارك لي فيما آتيتني. اللهم إنّ هذا البيت بيتك والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار. اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك. وليحمد الله كثيرًا في هذا الموضع وليصلّ على محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء، وليدع بحوائجه الخاصة ويستغفر الله من كل ذنب. وكان بعض السلف يقول لمواليه: تنحوا عني حتى أقرّ لربي بذنوبي.

السادس: إذا فرغ مما ذكر فليصلّ خلف المقام ركعتين، يقرأ في الأولى: قُلْ يا أيّها الكافرون، وفي الثانية سورة الإخلاص، وليقل بعدهما: اللهم يسّر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى. اللهم اعصمني بألطافك حتى لا أعصيك، وأعنّي على طاعتك بتوفيقك، وجنبني معاصيك، واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين. اللهم حببني إلى ملائكتك ورسلك وعبادك الصالحين. اللهم وكما هديتني للإسلام فثبتني بألطافك ودلالتك عليه، واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك وأجرني من مضلات الفتن، ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف.

الجملة الخامسة: في السَّعي: وهو سبع مرات، يبتدىء بالصفا فليقبل أولًا على البيت ويقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله على ما هدانا، الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها، لا إله إلّا الله وحده لا شريك

له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. لا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده وهزم الأحزاب وحده. لا إله إلّا الله، ولا نعبد إلّا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. لا إله إلّا الله مخلصين له الدين، الحمد لله ربّ العالمين، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشيًا وحين تظهرون، يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون. اللهم إنّي أسألك إيمانًا دائمًا ويقينًا صادقًا وعلمًا نافعًا وقلبًا خاشعًا ولسانًا ذاكرًا، وأسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة. ويصلي على النبي ﷺ، ويدعو الله تعالى بما شاء من حاجته، ثم ينزل ويبتدىء السعي ويقول: ربّ اغفر وارحم واعف وتكرّم وتجاوز عما تعلم إنّك أنت الأعز الأكرم. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(١). فإذا سعى وانتهى إلى المروة صعدها وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء.

الجملة السادسة: في الوقوف: يخرج من مكة إلى مِنى ملبيًا، فإذا انتهى إلى مِنى قال: اللهم إنّ هذه مِنى فامنن عليَّ فيها بما مننت على أوليائك وأهل طاعتك، وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا نُسُكَ فيه، فإذا أصبح سار إلى عرفات. ويقول: اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك، اللهم إليك غدوت وإليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن تباهى به اليوم من هو خير مني وأفضل. ثم يأتي عرفات ويفعل هناك ما هو مسطور في الكتب، لكن أعظم أركان الوقوف الدعاء إذْ في مثل تلك البقعة في مثل ذلك اليوم في مثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعاء، والدعاء مأثور عن رسول الله ﷺ في يوم عرفة أولى ما يدعو به وهو هذا: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا. اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري. وليقل: اللهم ربّ لك الحمد كما نقول وخير ما نقول، لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي وإليك متابي. اللهم إنّي أعوذ بك من وساوس الصدور وشتات الأمر وعذاب القبر. اللهم إنّي أعوذ بك من شرّ ما يلج في الليل وشرّ ما يلج في النهار، ومن شرّ ما هبت به الرياح، وشرّ بوائق الدهر. اللهم إنّي أعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك. اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والأولى، يا خير مقصود وأشرف منزول عليه وأكرم مسؤول ما لديه أعطني العشية أفضل ما تعطي أحدًا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين. اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات وفاطر الأرضين والسموات ضجت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن تذكرني في دار البلى إذا نسيني أهل الدنيا. اللهم إنّك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وإعلاني ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذلّ لك خده ورغم لك أنفه. اللهم لا تجعلني بدعائك شقيًا وكن بي رؤوفًا رحيمًا يا خير المسؤولين وأكرم المعطين. إلهي من مدح إليك نفسه فإنّي لائم

---

(١) البقرة/ ٢٠١.

لنفسي، إلهي أخرست المعاصي لساني فما وسيلة من عمل ولا شفيع إلّا الأمل، إلهي إنّي أعلم أنّ ذنوبي لم تبق لي عندك جاهًا ولا للاعتذار وجهًا ولكنك أكرم الأكرمين، إلهي إنْ لم أكن أهلًا أنْ أبلغ رحمتك فإنّ رحمتك أهل أنْ تبلغني، رحمتك وسعت كلّ شيء وأنا شيء، إلهي إنّ ذنوبي وإنْ كانت عظامًا فهي صغار في جنب عفوك فاغفرها يا كريم، إلهي أنت أنت وأنا أنا، أنا العواد بالذنوب وأنت العواد إلى المغفرة. إلهي إنْ كنت لا ترحم إلّا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون، إلهي تجنبت طاعتك عمدًا وتوجهت إلى معصيتك قصدًا فسبحانك ما أعظم حجتك عليّ وأكرم عفوك عني، فبوجوب حجتك عليَّ وانقطاع حجتي وفقري إليك وغناك عني إلّا غفرت لي يا أرحم الراحمين، يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، بحرمة الإسلام وبذمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي، واصرفني من موقفي هذا مقضيَّ الحوائج، وهَبْ لي ما سألت، وحقّق رجائي فيما تمنيت، إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه، إلهي ما أنت صانع العشية بعبد مقرّ لك بذنبه، خاشع لك بذله، مستكين بجرمه، متضرع إليك من عمله، تائب إليك من اقترافه، مستغفر لك من ظلمه، مبتهل إليك في العفو عنه، طالب إليك في كل حوائجه، راجٍ لك في موقفه مع كثرة ذنوبه، فيا ملجأ كل حي ووليّ كل مؤمن، مَنْ أحسن فبرحمتك يفوز، ومَنْ أساء فبخطيئته يهلك. اللهم إليك خرجنا، وبفنائك أنخنا، وإياك أمّلنا، وعندك طلبنا، ولإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا، ومن عذابك أشفقنا، ولبيتك الحرام حججنا، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين، يا من ليس معه ربّ يدعى، ويا من ليس فيه[1] خالق يخشى، ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى، يا من لا يزداد على السؤال إلّا تكرمًا وجودًا، وعلى كثرة الحوائج إلّا تفضلًا وإحسانًا إنّك جعلت لكل ضيف قِرى ونحن أضيافك، فاجعل قِرانًا منك الجنة، اللهم لكل وفدٍ جائزة، ولكل زائر كرامة، ولكل سائل عطية، ولكل راجٍ ثواب، ولكل ملتمس لما عندك جزاء، ولكلٍّ مسترحم عندك رحمة، ولكل داع إليك زلفة، ولكل متوسل إليك عفو، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام، ووقفنا بهذه المشاعر العظام، وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك، فلا تخيب رجاءنا، إلهنا تتابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمتك، وأظهرت الصبر حتى نطقت الصوامت بحجتك، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزّتك، وعنت الوجوه لعظمتك، إذا أساء عبادك حلمت، وإذا أحسنوا تفضلت وقبلت، وإذا عصوا سترت، وإذا أذنبوا غفرت، وإذا دعونا أجبت، وإذا نادينا سمعت، وإذا أقبلنا إليك قربت، وإذا ولينا عنك دعوت. إلهي إنّك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[2] فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود، وإنّا نشهد لك بالوحدانية مخبتين، ولمحمد بالرسالة مخلصين، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام، ولا تجعل حظنا منك أنقص من حظ من دخل في الإسلام. إلهنا إنّك أحببت التقرب إليك بعتق ما ملكت أيماننا

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) الأنفال/٣٨.

ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضيل فأعتقنا، وإنّك أمرتنا أنْ نتصدق على فقرائنا وأنت أحق بالطَّوْل فتصدق علينا، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا. ربنا اغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وقنا برحمتك عذاب النار.

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أنْ يقول: يا من لا يشغله شأن عن شأن، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات. يا من لا تغلطه المسائل، ولا تختلف عليه اللغات. يا من لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا يضجره مسألة السائلين، أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك. وليدع بما بدا له، وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وليلح في الدعاء، وليعظم المسألة فإنّ الله سبحانه لا يتعاظمه شيء.

قال مطرف بن عبدالله[1] وهو بعرفة: اللهم لا ترد الجمع من أجلي. وقال بكر المزني[2]: قال رجل: لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنّهم قد غفر لهم لولا أنّي كنت فيهم.

السابعة: في بقية أعمال الحج: فإذا بلغ المزدلفة يغتسل بها لأنها من الحرم ثم يقول: اللهم هذه مزدلفة، جمعت ألسنة مختلفة، تسألك حوائج مؤتنفة، فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له، وتوكل عليه فكفيته. ثم يبيت بها تلك الليلة وإحياؤها سُنّة لمن قدر عليها.

وإذا انتصف الليل فليتأهب للرحيل وليتزوّد منها سبعين حصاة ولا بأس بالزيادة عليها إذْ ربما يسقط بعضه، وليكن الحصى خفافًا تحتوي عليها أطراف البراجم. ثم يسير بعد صلاة الفجر، وإذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة يقف ويدعو بها بهذا إلى الإسفار: اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام مع الركن والمقام بلّغ روح محمد ﷺ منا التحية والسلام، وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام. ثم يرمي الجمرات في المواضع الثلاثة ويقول مع كل حصاة منها: الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان. اللهم تصديقًا بكتابك واتباعًا لسنة نبيك. ولا يقف في هذا اليوم للدعاء ويقطع التكبير إلّا عقيب الصلوات من ظهر يوم النحر إلى صبح آخر أيام التشريق. وصفة التكبير: الله أكبر الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا، لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. لا إله إلّا الله وحده صدق وعده ونصر عبده، لا إله إلّا الله والله أكبر. ثم يقول عند ذبح الهَدْي: بسم الله والله أكبر، اللهم منك وبك ولك، تقبّل مني ما تقبلت من إبراهيم خليلك، ثم ليحلق وليقل: اللهم أثبت بكل شعرة حسنة وامح عني بكل شعرة سيئة وارفع لي عندك بها درجة، ثم يحل له كل شيء إلّا النساء والصيد، ثم يفيض إلى مكة ويطوف طواف الزيارة، ثم يحل له كل شيء. وهذا الطواف كما سبق والإمام يخطب في هذا اليوم بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ. ففي الحج أربع خطب: خطبة السابع، يوم عرفة، يوم النحر، يوم النفر الأول، وكلها بعد الزوال

(١) هو مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير العامري، أبو عبد الله توفي عام ٦٧ هـ، أو ٨٧ هـ. من أهل العبادة والزهد والورع. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٤٣، ابن سعد ٧/ ١٤١، الجمع ٢/ ٥٠٢، التهذيب ١٠/ ١٧٣، البداية والنهاية ٩/ ١٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٠.

(٢) بكر المزني: هو بكر بن عبد الله المزني، أبو عبد الله البصري. توفي عام ١٠٦ هـ. محدث، ثقة، حجة، فقيه. له رواية وأخباره مشهورة.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٢، ابن سعد ٧/ ٢٠٩، حلية الأولياء ٢/ ٢٢٤، البداية والنهاية ٩/ ٢٥٦، شذرات الذهب ١/ ١٣٥.

وأفراد، إلّا خطبة يوم عرفة فإنّها خطبتان بينهما جلسة.

ثم يبيت بمنى وهي ليلة القرّ لقرار الناس لأنهم لا ينفرون. وفي صبح الثاني من يوم العيد يغتسل للرمي فيرمي الجمرة الأولى سبع حصيات. ثم إذا تعداها انحرف عن الجادة قليلًا ووقف مستقبل القبلة، وحمد الله تعالى وهلّل وكبّر، ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح، ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلًا على الدعاء، ثم يرمي الجمرة الثانية ويقف كما في الأولى، ثم الثالثة ولا يقف عندها، ثم يبيت تلك الليلة بمنى وهي ليلة النفر الأول.

فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله، ثم هو مخيَّر بين المقام بمنى والعود إلى مكة. لكن إنْ لم يخرج إلى الليل يلزمه المبيت بمنى حتى يرمي يوم النفر الثاني إحدى وعشرين حصاة كما سبق. والتفصيل في كتب الفقه.

الجملة الثامنة: في صفة العمرة:

من أراد ذلك فلينوِ عند الإحرام ويلبي ويقصد مسجد عائشة، ويصلّي ركعتين، ويدعو بما شاء، ثم يعود إلى مكة وهو يلبي إلى أن يدخل المسجد الحرام، ثم يطوف ويسعى كما وصفناه في الحج، ثم يحلق رأسه فيتم عمرته. وإذا يدخل البيت فليدخله حافيًا موقرًا وليصلّ بين العمودين وهو الأفضل.

قال بعضهم وقد سئل عن دخول البيت: والله ما أرى هاتين القدمين أهلًا للطواف حول بيته فكيف أراهما أهلًا لأن أطأ بهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشتا وإلى أين مشتا. وليكثر شرب ماء زمزم وليستق الماء بيده إنْ أمكنه وليرتوِ منه حتى يتضلع وليقل: اللهم اجعله شفاءً من كل داء وسقم، وارزقنا الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة. قال ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»[1]، أي يشفي ما قصد به.

الجملة التاسعة: في طواف الوداع:

وهذا أيضًا كما سبق لكن من غير رمل واضطباع، فإذا فرغ صلّى ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم، ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول: اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك، وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك، فإنْ كنت رضيت عني فازدد عني رضا، وإلّا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك، هذا أوان انصرافي إنْ أردت غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك. اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني، واحسن منقلبي، وارزقني طاعتك ما أبقيتني، واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنّك على كل شيء قدير. اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام، وإنْ جعلته آخر عهدي فعوضني منه الجنة. والأحب أنْ لا تصرف بصرك عن البيت حتى تغيب عنه.

الجملة العاشرة: في زيارة المدينة وآدابها:

وأمّا فضلها فأكثر من أن يحصى، فمن قصدها فليكثر في طريقه الصلاة على رسول الله ﷺ. فإذا وقع بصره على جدارها فليقل: اللهم هذا حرم رسولك ﷺ فاجعله لي وقاية من النار وأمنًا من العذاب وسوء الحساب، وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة، وليتطيب وليلبس أفضل ثيابه وأنظفها، وليدخل متواضعًا معظمًا وليقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[2]. ثم ليقصد المسجد ويدخله ويصلّي

(١) سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، ح ٣٠٦٢، ٢/١٠١٨.

(٢) الإسراء/٨.

بجنب المنبر ركعتين، ويجعل عمود المنبر بحذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول الله ﷺ قبل أنْ يغيّر المسجد. ثم يأتي قبر النبي ﷺ فيقف عند وجهه، وذلك بأنْ يستدبر القبلة ويستقبل القبر على نحو أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر، وليجعل القنديل على رأسه. وليس من السُّنة مسّ الجدار وتقبيله بل الوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام، فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا أمين الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا ماحي، السلام عليك يا عاقب، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا طُهر، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا أكرم ولد آدم، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا قائد الخير، السلام عليك يا فاتح السّر، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا سيد الأمة، السلام عليك يا قائد الغُرّ المحجَّلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيًا عن قومه، ورسولًا عن أمته، وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون، وصلّى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجلّ وأطيب وأطهر ما صلّى على أحد من خلقه، كما استنقذنا بك من الضلالة وبصّرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة، أشهد أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه، وأشهد أنّك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت عدوك، وهديت أمتك، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وكرّم وشرّف وعظّم.

وإنْ كان أحد أوصى بتبليغ السلام فليقل السلام عليك من فلان وفلانة، ثم ليتأخر قدر ذراع وليسلم على أبي بكر الصديق لأنّ رأسه عند منكب رسول الله ﷺ ، ورأس عمر عند منكب أبي بكر رضي الله عنهما، ثم يتأخر قليلًا قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر، وليقل: السلام عليكما يا وزيري رسول الله ﷺ والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيًا، والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته، فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه.

ثم ليرجع ويقف عند رأس رسول الله ﷺ بين القبر والاسطوانة اليوم، وليستقبل القبلة وليحمد الله ويمجده، وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ، ثم يقول: اللهم إنّك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١). اللهم إنّا قد سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، وقصدنا نبيك، مستشفعين به إليك في ذنوبنا، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا، تائبين من زللنا، معترفين بخطايانا وتقصيرنا، فتب اللهم علينا، وشفِّع نبيك هذا فينا، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك. اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار، واغفر لإخواننا الذين سبقونا

(١) النساء/ ١٤.

بالإيمان. اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ولا من حرمك يا أرحم الراحمين.

ثم ليأت الروضة ويصلّي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع وليدع عند المنبر. ويستحب أنْ يضع يده على الرمانة التي كان رسول الله ﷺ يضع يده عليها عند الخطبة. ويستحب أنْ يزور يوم الخميس قبور الشهداء بأُحُد فيصلّي الغداة في مسجد رسول الله ﷺ، ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر، فلا يفوته جماعة في مسجد الرسول ﷺ.

ويستحب أنْ يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب. وفيه أيضًا قبر علي بن الحسن، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها وعنهم. ويزور قبر إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ ، وذلك كله بالبقيع.

ويستحب أنْ يأتي في كل سبت مسجد قباء ويصلي فيه ويأتي بئر أريس التي تفل فيها رسول الله ﷺ من ريقه فيتوضأ منها ويشرب من مائها. ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق، وكذا سائر المساجد والمشاهد وهي ثلاثون موضعًا يعرفها أهل المدينة. وكذا يقصد طلبًا للشفاء سبعة آبار التي توضأ واغتسل منها وشرب من مائها رسول الله ﷺ.

واعلم أنّ الإقامة بالمدينة إنْ أمكن فلها فضل عظيم. وفي الحديث: «لا يصبر على لأوائها وشدّتها أحد إلّا كنت له شفيعًا يوم القيامة»(١)، وغير ذلك من الأحاديث. وإنْ لم يمكن الإقامة وعزم على الخروج فالمستحب أنْ يأتي قبر النبي ﷺ ويعيد دعاء الزيارة كما سبق، ويودع القبر ويسأل الله أنْ يرزق إليه العودة ويسأل السلامة في سفره، ثم يصلّي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله ﷺ قبل أنْ زيدت المقصورة في المسجد. فإذا خرج يقدم رجله اليسرى ثم يقول: اللهم صلّ على محمد وآل محمد، وتجعله آخر العهد بنبيك، وحُطّ أوزاري بزيارته، واصحبني في سفري ويسّر رجوعي إلى أهلي، واجعلني من السالمين يا أرحم الراحمين، أو ليتصدق على جيران رسول الله ﷺ بما قدر عليه، وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة، ويصلي فيها وهي عشرون موضعًا، فإذا رجع إلى بلده، السُّنة أنْ يكبّر على كل شرف ثلاثًا ويقول: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». وفي رواية: كل شيء هالك إلّا وجهه له الحكم وإليه ترجعون. وإذا أشرف على مدينته فليحرك دابته وليقل: اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا حسنًا، ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة، فذلك هو السُّنة. ولا يطرق في أهله ليلًا، فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولًا فيصلي فيه ركعتين، ثم يدخل بيته، ويقول عند دخوله: توبًا توبًا لربنا أوبًا لا يغادر علينا حوبًا. ثم إذا استقر في منزله لا ينسى ما أنعم الله عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه ﷺ ، ولا ينبغي أن يكفر هذه النعمة، ويعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي لأنّ علامة الحج المبرور أن يعود زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة متأهبًا للقاء ربّ البيت بعد لقاء البيت.

المطلب السادس:

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة، وهي عشرة:

---

(١) مسند أحمد، ٢/ ١٣٣.

إحداها: أنْ تكون النفقة حلالًا بلا تجارة تشغل القلب وتفرق الهم، بل يكون همه مجرد رضائه تعالى وذكره وتعظيم شعائره. ومن جملة الحج لغيره وقد تورع عنه أرباب القلوب إلّا أنْ يكون قصده الإقامة بمكة ولم يكن له ما يبلغه فيتوصل بالدنيا إلى الدين لا عكسه، فيكون قصده زيارة البيت وإسقاط الفرض عن أخيه المسلم. ولست أقول: الأجرة حرام أو مكروه، بل أقول: الأولى أنْ لا يفعل لئلا يعطي الدين بالدنيا، ولو أخذه لأجل التوسل بالدنيا إلى الدين كما سبق فلا بأس به.

ثانيتها: أنْ لا يعاون أعداء الله بتسليم المكوس إلى العمال الظلمة المترصدين في الطرق بل يتلطف في حيلة الخلاص لأنّ في ذلك ذلًا وصغارًا على المسلمين ببذل جزية، ولا يحل العون عليه ولا الرضا به، وإنْ أوّله بأنّا مضطرون في ذلك فقل له: فأين اضطرار في الخروج عن البيت وترك زيّ الفقراء حتى تطالب بها.

ثالثتها: التوسع في الزاد وطيب النفس بالإنفاق من غير تقتير بأنْ يمنع ما وجب عن نفسه أو عن قوت ما عليه مؤونته شرعًا أو مروءة، ولا إسراف بأنْ يترفه بأطايب النعم وأنواع الأطعمة على عادة المترفهين. وأمّا كثرة الخير فقد قيل: لا سرف في الخير ولا خير في السرف، والدرهم الواحد في طريق الحج بسبعمائة.

ورابعتها: ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن، فيصون لسانه من اللغو والخنا والفحش، ويحفظ الأوامر ويترك النواهي، ويلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله تعالى، ويعاملهم بحسن الخلق وهو احتمال الأذى لا مجرد كفّ الأذى. وسمي السفر سفرًا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال.

وخامستها: المشي إنْ قدر وله بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، كذا ورد الأثر عن ابن عباس. وسئل: ما حسنات الحرام؟ قال: الحسنة بمائة ألف، وإنْ أضاف إليه الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إنّه من تمام الحج، كما قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1]. وقيل: الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤنة، وأبعد عن الضجر وأذى الغير وأقرب إلى سلامته وتمام حجه. والتحقيق أنّ الأول لمن قدر عليه والثاني لمن ضعف عنه وضجر، فلا مخالفة بين القولين.

وسادستها: أنْ يتجنب عن المحامل فإنّه من زي المترفهين. قيل وقد أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته يكرهونها.

وسابعتها: أنْ يكون أشعث أغبر غير مائل إلى التفاخر والتكاثر. وفي الحديث: «إنّما الحاج الشعث الغبر، يقول الله تعالى: أنظروا إلى زوّار بيتي قد جاؤوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق»[2]. ويروى أنّ أهل اليمن على هذه الهيئة، ولهذا قيل لهم: زين الحجيج. وينبغي أنْ يجتنب الحمرة في زيه والشهرة كيف ما كانت على العموم.

وثامنتها: أنْ يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق كالمحمل، ومنها النوم عليها والوقوف عليها وقوفًا طويلًا. ومن السُّنة نزوله عن الدابة بكرة وعشية، يروّحها ويوقع السرور في قلب المكاري. وقد ورد في الخبر: «أن في كلّ كبد حرى أجرًا»[3]. وكان السلف يشترطون مع المكاري عدم النزول ويوفون الأجر ثم ينزلون ليكون ذلك من حسنات أنفسهم.

وتاسعتها: أنْ يتقرب بإراقة دم وإنْ لم يكن واجبًا عليه ويختار سمين النعم ويأكل منه في

(١) البقرة/١٩٩.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الحج، باب بيان دقائق الآداب، ٤/٤٣٨، بلفظ «التفل» بدلاً من «الغبر».
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب السفر، الفصل الثاني في آداب المسافر، ٦/٤١٠، بلفظ «حراء».

التطوع دون الواجب، والقليل الجيد خير من كثير الدون.

وعاشرتها: طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهَدْي وما أصابه من الخسران والمصيبة في المال والبدن فإنّها من دلائل قبول حجه. ومن أمارة القبول تبديل إخوانه البطالين إخوانًا صالحين ومجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة.

المطلب السابع:

في الأعمال الباطنة وطريق الإخلاص فيها، وذلك في عدة أمور:

الأول: الفهم، فاعلم أنّه لا وصول إلى الله تعالى إلّا بالتنزه عن الشهوات واللذات، والتجرد إلى الله تعالى في جميع الحالات. ولهذا انفرد الرهبان من الملل السالفة عن الخلق في قلل الجبال، فتركوا اللذات الحاضرة واستوحشوا عن الخلق للأنس بالله تعالى، فأثنى الله عليهم في كتابه فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1]. فلما اندرس ذلك وأقبل الناس على الشهوات وفتروا عن العبادة بعث الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ لهداية طريق الآخرة، فمنع الناس الرهبانية في دينه فقال: «أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف»[2]، يعني الحج. وسئل عن السائحين فقال: «هم الصائمون»[3]. وهذا من عناية الله تعالى بهذه الأمة بحيث أعطى لهم في الناس ما حصلوه في الجبال وجعل لهم الحج رهبانية بتشريف بيته العتيق بأنْ أضافه إلى نفسه مع تنزّهه عن أنْ يحويه بيت أو يكتنفه بلد، ثم جعل ما حوله حرمًا، وحرم صيده وقطع شجره، وجعل عرفات كالميدان لفناء حرمه، فقصده عباده من كلّ أوب سحيق غبرًا متواضعين لربّ البيت، مستكينين له خضوعًا لجلاله واستكانة لعزته حتى تعبدهم بأمور لا يفهمون معناها، كترددات السعي ورمي الجمار، تحقيقًا لمقام العبودية وابتلاءً لعباده، ليمتاز المطيع عمن اتبع نفسه هواها وعمل بمقتضى الطباع واعتقدها أمورًا فارغة عن الحكمة، وليس كذلك، بل لها حِكَم وأسرار تغفل عنها العقول؛ ولهذا صار أبلغ أنواع التعبدات.

الثاني: أنّه ينبعث من الفهم المذكور الشوق بأنّ الأبصار الفانية قصرت عن النظر إلى وجه الله الكريم، وصار ذلك في دار القرار جعل النظر إلى بيته في الدنيا سببًا إلى استحقاق لقاء ربّ البيت في الآخرة بمقتضى وعده الكريم، فيشتاق المحبّ إلى أسباب اللقاء.

الثالث: العزم بأنْ يصحّح عزيمته بإخلاصه واجتناب كلّ ما فيه رياءً وسمعة. وليحذر عن أن يقصد قرب البيت ويبعد عن رضا ربه.

الرابع: أنْ تقطع[4] وليس معناه ترك الوطن والأهل والأولاد والأموال بل ردّ المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي، فإنّ كلّ عظيمة علاقة تنادي عليه أين تقصد وأنت مضيع أمره في منزلك.

الخامس: أنْ تقطع قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك كما قطعت وجهك عن النظر إلى ما وراءك، فتوجه إليه بقلبك كتوجهك بقالبك وإلّا فليس لك منه إلّا النَّصَب والعناء والتعب والشقاء. وليذكر عند قطعه العلائق الظاهرة والباطنة توجهه إلى سفر الآخرة، وليكتب وصية لأهله وأولاده إذْ المسافر لعلى خطر إلّا ما وقى الله تعالى.

السادس: يطلب الزاد والراحلة من موضعٍ

---

(١) المائدة/ ٨٢.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الحج، باب بيان الأعمال الباطنة في الحج، ٤/ ٤٤٣.

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، باب المسجد الذي أسس على التقوى. . .، ٢/ ٣٣٥.

(٤) كذا في الأصل.

حلال وليذكر أنّ المسافر يطلب من الزاد ما لا يتغير في أول منزل بل لا يتغير على طول السفر، فكذلك سفر الآخرة لا يصلح له زاد إلّا التقوى وما عداه يتخلف عند موته وكربه. وليذكر عند حضور الراحلة الشكر لله تعالى على أن سخّرها له تحمل عنه الأذى وترفع عنه المشقة، فليتذكر عنده مركب الآخرة، فينبغي أن يصلحه فوق ما يهتم لراحلة السفر.

السابع: شراء ثوبي الإحرام من مال حلال فليتذكر عنده الكفن ولفّه فيه إذْ ليس في ثوب الإحرام مخيط فكذا في الأكفان.

الثامن: الخروج من البلد وليتذكر عنده الخروج من القبر والتوجه إلى الحشر ولا يدري كيف حاله أيغتال في الطريق أم يصل إلى مقصده سالمًا، كذلك في الآخرة لا يعرف مآل أمره.

التاسع: فليتذكر عند دخول البادية الوقوف في المحشر وأنّ ما في البادية من الحيات والسباع نظير ما في الحشر من الأهوال والمخاوف. وأمّا الإحرام والتلبية التي هي إجابة نداء الله عز وجل في قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[1] نظير نداء الخلق بالنفخ في الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة.

العاشر: يتذكر عند دخوله مكة الانتهاء إلى حرمه وأمنه مع خوفه من أنْ لا يكون من أهل القُرَب، ولكن ينبغي أن يغلب رجاؤه إذْ الكرم عميم. وليتذكر عند وقوع البصر على البيت وحضور عظمته في قلبه مشاهدة ربّ البيت وعظمته. وليرج أنْ يرزقه النظر إلى وجهه الكريم في العقبى كما رزقه النظر إلى بيته العظيم في الدنيا. وليتذكر عند ذلك دخول الجنة آمنين وليسأل ذلك من الله تعالى.

الحادي عشر: فليتذكر عند الطواف التشبه بالملائكة الحافين حول العرش الطائفين حوله، ولتعرف أنّ المقصود الأعظم طواف قلبك بذكر ربّ البيت فلا تبتدىء إلّا منه ولا تختم إلّا به، كما أنّ الطواف يبتدىء بالبيت ويختم به.

واعلم أنّ أصل الطواف في عالم الملكوت وهو تطواف القلب بحضرة الربوبية وأنّ مثاله في عالم الملك هو البيت. فكما أنّ القلب يطوف بالبيت كذلك القلب يطوف بربه، إذْ الموازنة بين عالم الملك والملكوت معلومة لمن فتح الله له هذا الباب، وإلى هذه الموازنة بين عالَم الملك والملكوت معلومة لمن فتح الله له هذا الباب، وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأنّ البيت المعمور في السماء بإزاء الكعبة، وأنّ طواف الملائكة كطواف الإنس بهذا البيت. ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأنّ من تشبه بقوم فهو منهم، والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إنّ الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله عز وجل.

الثاني عشر: فاعتقد عند الاستلام أنّك مبايع لله تعالى على طاعته، فصمم عند ذلك على قيامك بالوفاء ببيعتك. فمن غدر في المبايعة استحق المقت. ألا ترى إلى ما ورد في الحديث: «أنّ الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه»[2]. وليذكر عند التعلّق بأستار الكعبة تعلّق المذنب بثياب من أذنب إليه المتضرّع إليه، المظهر أنّه لا ملجأ منه إلّا إليه، ولا مفزع إلّا عفوه وكرمه، وأنّه لا يفارق ذيله إلّا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل، ويرجو التحصن عن

(١) الحج/٢٧.
(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب المناسك، باب الحجر الأسود، ح ٣٤٧٢٩، ١٢/ ٢١٥، دون لفظ الأسود.

النار في كل جزء يلاقي البيت.

الثالث عشر: ليتذكر عند السعي تردّد العبد لفناء دار الملك جائيًا وذاهبًا مرة بعد أخرى، إظهارًا للخلاص في الخدمة ورجاءً للملاحظة بعين الرحمة. وليذكر أيضًا تردّده بين كفتي الميزان مرددًا بين العذاب والغفران.

الرابع عشر: وليتذكر بالوقوف بعرفات اجتماع الناس يوم الحشر في العرصات مع الأنبياء والأولياء، وطمع كلّ أمة في شفاعة هؤلاء، وترددهم في الرد والقبول بلوغ كل منهم ما هو المأمول، إلّا أنّ الموقف لما لم ينفك من الأوتاد والأبدال وطبقات الصالحين وأرباب القلوب، سيما عند اجتماع القلوب، بالضراعة والابتهال، وارتفعت أيديهم إلى جنابه، وامتدت أعناقهم نحو بابه، وشخصت أبصارهم نحو السماء، فلا تظنن أنّ مجيب الدعوات يخيب آمالهم[١] ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم. ولذلك قيل: إنّ من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظنّ أنْ لن يغفر الله له، إذْ لا طريق في استدرار رحمة الله عز وجل مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد.

الخامس عشر: ليقصد برمي الجمار إظهار العبودية والانتهاض لمجرد الامتثال من غير حظٍ للعقل والنفس، بل يقصد التشبه بإبراهيم النبي صلوات الله عليه حين عرض إبليس في ذلك الموضع ليدخل على حجته بشبهة أو يفتنه بمعصية، فأمر الله تعالى أن يرميه بالحجارة طردًا له وقطعًا لأمله. وإنْ خطر لك أنّ ذلك رمي لأجل الشيطان وأمّا أنا فلا فائدة لي في رميها فاعلم أنّ هذا الخاطر من الشيطان يصدك بهذا عن امتثال أمر الرحمن ويلقي في قلبك أنّ هذا أيضًا هي اللعب، فاطرد هذا عن نفسك بالجد في الرمي ترغم بذلك أنف الشيطان فهو في الصورة رمي الجمار وفي الحقيقة إرغام أنف الشيطان بامتثال أمر الله تعالى وترك حظ النفس.

السادس عشر: أنْ تعرف أنّ الهَدْي تقرّب إلى الله تعالى بامتثال أمره، وأرج عند ذبحه أنْ يعتق بكلّ جزء منه جزءًا من أجزاء بدنك بذلك من النار بمقتضى وعده الكريم. فكلما كان الهَدْي أعظم وأكبر كان الفداء من النار أعم وأعظم.

السابع عشر: إذا وقع بصرك على حيطان المدينة فاذكر فضيلة هذه البلدة وأنّها دار هجرة خير البشر ﷺ، وفيها تربته المطهرة وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده، وضع قدمك في تلك البلدة على السكينة والوقار إذْ طالما تشرف بقدم النبي ﷺ في العشي والأبكار، وارج من الله تعالى أنْ يمنحك رؤيته في دار القرار، كما يسر لك رؤية هذه الديار التي فيها قبره الشريف وقبر أصحابه الكبار. واذكر عند دخول مسجده أنّه أول عرصة أقيمت فيها فرائض الله تعالى وجمعت أفضل خلق الله حيًا وميتًا، وعظّم أمَلَك في أن يرحمك الله عز وجل بسبب دخولك إياها، فادخل خاشعًا ومعظمًا. وما أجدر هذا المكان تعظيمًا يقدر عليه إنسان.

الثامن عشر: إذا زار رسول الله ﷺ فليعلم أنّ زيارته ميتًا كزيارته حيًا، وإذا رأيته حيًا فكيف تعظمه فاقدر ذلك القدر وراعه في حقّ زيارة قبره، ولا تدن منه كلّ الدنو ولا تقبله بل قفْ من بعيد ماثلًا بين يديه كما كنت تفعل لو زرته في حياته.

واعلم أنّه ﷺ عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنّه يبلغه سلامك وصلاتك، فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعًا في اللحد بإزائك، واحضر عظم تربته في قلبك. وإذا أتيت

(١) في الأصل: أملهم، وفي المصرية: آمالهم.

منبره توهّم صعوده وطلعته البهية قائمًا على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار وهو يحثهم في خطبته على طاعة الله تعالى، واسأل الله أنْ لا يفرّق بينك وبينه في القيامة.

التاسع عشر: إذا فرغت من هذه الأعمال فأخطر بالبال أنّك بين خطر ردّ الأعمال وبشارة قبولها، وتحزن وتخاف على عدم معرفتك بأنّك من زمرة المحبوبين أوْ ردّ حجتك وألحقت بالمطرودين.

العشرون: أنْ تمتحن قلبك بعد قدومك وطنك أنّك إنْ ازددت تجافيًا من دار الغرور إلى دار أنس بالله تعالى، أو زدت الفرار من دار الذلّة والخسار، ووازن أعمالك، فإنْ كان من قبيل الشق الأول دلّ على القبول وإلّا فيوشك أن يكون حظك من هذه الأعمال التعب والعناء والنصب والشقاء. نعوذ بالله من الحرمان من أن ننسلك في حزب الشيطان، فعليك بمحاسبة نفسك في كل غدوة وعشية، وتتدارك أمرك من قبل أنْ تدخل في الذين حيل بينهم وبين ما يشتهون، إذْ عند ذلك تعظيم الحسرة والخسار. ولا يمكن التدارك بالتوبة والاستغفار. نبهنا الله تعالى وإياكم قبل حلول المنية، ولا يحرمنا بحرمة نبيه عن هذه الأمنية صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذرياته وأحبابه وسلم تسليمًا.

علم أسرار الزكاة(*) وفيه مطالب:

المطلب الأول: في مراعاة شروطه الظاهرة وهي خمسة:

الأول: النية وهي أنْ ينوي بقلبه زكاة الفرض، أو نوى التوكيل بأداء الفرض.

الثاني: البدار عقيب الحول ويجوز تعجيله قبل الحول.

الثالث: أنْ يخرج المنصوص عليه ولا يبدله بقيمته وهو الأحوط، وإنْ جاز ذلك في الأصح.

الرابع: أنْ لا ينقل إلى بلد آخر إلّا إلى قريبه وإلى أحوج من أهل بلده.

الخامس: أنْ لا يخص بصنف واحد من الأصناف الأربعة ولا يتكلف جميع الأصناف. وتفاصيل هذه الشروط خارج عن طوقنا مع استيفائها في الكتب الفقهية.

المطلب الثاني: في بيان الآداب الباطنة للزكاة وهي ثماني وظائف:

الأولى: أنْ يفهم أنّ الغرض من الزكاة الامتحان بأن لا يكون لها محبوب سوى الواحد الحق، ولها مراتب أحدها الذين نزلوا عن جميع أموالهم كما فعله الصديق رضي الله عنه. وثانيها الذين يدخرون على قدر الحاجة وصرف الحاجة في وجوه البر. وثالثها الذين يقتصرون على أداء الواجب وهذه أقل الرتب.

الثانية: التطهير من صفة البخل التي هي من المهلكات. الثالثة شكر النعمة المالية.

الوظيفة الثانية: التعجيل وقت الأداء إظهارًا للرغبة في الامتثال وإيصال المسرة إلى قلوب الفقراء، ومبادرة لعوائق الزمان أنْ يعوق من الخيرات لأنّ في التأخير آفات.

الوظيفة الثالثة: الإسرار فإنّ ذلك أبعد من السمعة والرثاء.

الوظيفة الرابعة: أنْ يقصد اقتداء الناس عند الإظهار لأنّ تأخير السائل خيفة من الرياء غير صحيح، بل ينبغي أنْ يتصدق ويتحفظ عن الرياء بقدر الإمكان، اللهم إلّا أنْ يتأذى الفقير بهتك سره فعند ذلك يستحسن الإخفاء.

الوظيفة الخامسة: أنْ لا يفسد صدقته بالمنّ والأذى كما قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ

(*) هذا هو الأصل الخامس من أصول الشعبة الأولى في العبادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

﴿وَٱلْأَذَىٰ﴾[١]. قيل: المن أنْ يذكرها والأذى أنْ يظهرها. وقيل: المن أنْ يستخدمه بالعطاء، والأذى أنْ يعيّره بالفقر. وقيل: المن أنْ يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أنْ يوبخه وينتهره بالمسكنة.

واعلم أنّ المن والأذى ينشآن من رؤية المعطي نفسه محسنًا وأنّه ظنّ باطل لما عرفت من أنّ الغرض منه إظهار حبّ الله وتطهير نفسه عن رذيلة البخل وشكر لنعمة المال طلبًا للمزيد، فظهر منه أنّه لا معاملة بينه وبين الفقير إلّا فضل الفقير عليه بقبول أوساخ ماله وتسببه لأداء فرضه وتحصيله الثواب الجزيل.

ومن علم فضل الفقر على الغنى وأنّ صلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام وأنّه مسخر له يكتسب المال لأجله وهو ينتفع به بلا حساب ولا عذاب في طريق كسبه. كيف يطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير في المجالس، وهذا معنى المنّ. وكيف يعيّره ويخشن الكلام ويقطب الوجه ويهتك السّر بالإظهار وفنون الاستخفاف وهذا معنى الأذى. وهذا المنّ والأذى وإنْ كانا أمرين باطنيين، إلّا أنّ لهما علامة ظاهرة، وهو أنّ الفقير لو جنى عليه بعد التصدّق ويفرض هذه الجناية قبله ثم ينظر: هل كان استنكاره على ما فعله بعد التصدق زائدًا على استنكاره على ما فعله قبل التصدق؟ فإنْ كان زائدًا ففي باطنه المنّ. ثم الأذى يلازمه عادة ولا أقل من الجواز فيمن جاز منه المنّ[٢]. وأمّا علاج هاتين الرذيلتين، أمّا باطنًا فملاحظة الأمور المذكورة وأمّا ظاهرًا فالتذلل للفقير والمنة له بأنْ يقبل صدقته، حتى كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائمًا ويسأله قبولها. وكان بعضهم يبسط يده ليأخذ الفقير منه لتكون يد الفقير هي العليا؛ وكانوا لا يتوقعون منه الدعاء لأنّه شبه المكافأة، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله. فالمذكور أولًا هو العلم وثانيًا هو العمل، والقلب ينصبغ بالأعمال الحسنة، ولا يعالج القلب إلّا بمعجون العلم والعمل.

الوظيفة السادسة: أنْ يستصغر العطية وإلّا داخل العجب وهو من المهلكات ويحبط الأعمال وهو غير المنّ والأذى، إذْ في بناء المساجد والرُّبُط العجب دونهما والدواء للاستعظام والعجب. أمّا العلم فإنّه يستحيي من حيث إنّه بذل من الكثير بالقليل وقنع بأخس درجات البذل. وأيضًا المال لله وله المنة إذا أعطاه إياه ووفقه لبذله. وأيضًا إنّه يرجو في الآخرة الثواب وهو عوضه أضعاف ما أعطاه، فكيف يستعظم بما ينتظر ثوابه. وأمّا العمل فهو أنْ يستحيي من أنْ لم يبذل كله لله وهو الأحب عنده والمال كلّه لله، وهو استعمل البخل وترك ما أحبه صاحب المال.

الوظيفة السابعة: أنْ ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأطيبه وأحله، ويستحي من أن يؤثر نفسه وأهله وعبيده على الله تعالى والمال له تعالى. وأيضًا إنّه يبقى أطيبه لمن يرثه من بعده ولا يقدم ذلك لنفسه وليس له من ماله إلّا ما أكل فأفناه وما لبس فأبلاه وما تصدق فأبقاه.

الوظيفة الثامنة: أنْ يطلب لصدقته من تزكوا به الصدقة من الأتقياء وهؤلاء ستة أصناف:

الأول الأتقياء المتجردون لتجارة الآخرة والمعرضون عن الدنيا فتكون شريكًا لهم في طاعتهم بإعانتك إياهم.

الثاني العلماء خاصة فإنّ في ذلك إعانة للعلم وهو أشرف العبادات مهما صحت فيه النية.

الثالث أنْ يكون صادقًا في تقواه وعلمه بالتوحيد من جملة توحيده أنْ يحمد الله تعالى عند

---

(١) البقرة/ ٢٦٤.

(٢) كذا في الأصل.

أخذه ويشكره، ورأى النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة، لأنّها مقهور مسخر بتسخير الله تعالى. ومن لم يصفُ باطنه عن رؤية الوسائط إلّا من حيث إنّهم وسائط فكأنّه لم ينفك عن الشرك الخفي بسره.

الرابع من يكون مستترًا ومخفيًا حاجته، لا يكثر البثّ والشكوى، أو يكون من أهل المروءة، أو ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل. قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1]. وينبغي أن يفحص هؤلاء في كل محلة عن أهل الدين، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال.

الخامس أن يكون معيلًا أو محبوسًا بمرض أو بسبب من الأسباب. قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] أي حبسوا في طريق الآخرة إمّا لعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضربًا في الأرض لأنّهم مقصوصو الجناح مقيد الأطراف بهذه الأسباب.

السادس أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فيكون صدقة وصلة رحم، وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى.

المطلب الثالث:

علم آداب قابض الصدقة:

ولا يستحق إلّا حرّ لا عبد وإلّا مسلم لا كافر، ولا يعطى إلى هاشمي ولا مطلبي لأنّ الله تعالى صانهما عن أوساخ الناس وأبدل منهما خمس الغنائم، فإنّ المصارف ثمانية، منهم الفقراء، وهم الذين ليس لهم مال ولا قدرة على الكسب، ومنهم المساكين وهم الذين لا يفي دخلهم بخرجهم، ومنهم العاملون وهم الساعون لحفظ أموال المسلمين كالعريف والكاتب والمستوفي والحافظ، ولا يدخل فيهم السلطان والقاضي، ومنهم المؤلّفة قلوبهم وهم سقطوا بعزة الإسلام اليوم، ومنهم المكاتبون، ومنهم الغارمون في طاعة أو مباح، ومنهم الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة، ومنهم ابن السبيل وهم الفقراء الذين لهم مال في بلادهم.

وأمّا وظائف القابض فخمسة:

الأول: أنْ يفهم أنّ المال لأجل المعاونة على عبادته تعالى، فالأغنياء يتعبون في كسبه وحفظه، وركبوا متن الخطر، وصار المال عليهم محنة وفتنة وبلية، والفقراء انتفعوا بالمال ولم يقاسوا شدائدهم، وهذا منتهى النعمة، فليأخذوه رزقًا من الله وعونًا على طاعته، ولينوِ تقديمه على الطاعة. ومن صرفه إلى المعصية كان كافرًا للنعمة مستحقًا للمقت والبعد من الله تعالى.

الثاني: أن يشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه لكونه واسطة لا يمنع رؤية النعمة من الله. قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكره الله تعالى»[3]، فوظيفة المعطى الاستصغار ووظيفة القابض الاستعظام وعلى كل منهما القيام بحقه.

الثالث: أنْ ينظر فيما يأخذه فإنْ لم يكن من حله تورع عنه كأموال الأتراك والجنود وعمال السلطان إلّا إذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلم إليه يعرف له مالكًا معينًا فله أنْ يأخذ بقدر الحاجة.

الرابع: أنْ يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فيما يقدر ما يأخذه فلا يأخذ إلّا القدر المباح، مثلًا يأخذ بقدر دينه إنْ كان مديونًا، وإنْ كان مسافرًا بقدر الزاد وكراء الدابة إلى مقصده، وإنْ كان في

(١) البقرة/ ٢٧٣.
(٢) البقرة/ ٢٧٣.
(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر...، ح ١٩٥٥، ٤/ ٣٣٩.

منزله أثاث يستغني عنه أو عن نفاسته وجودته فليحترز عن قبوله فإنّ الورع في ذلك، ومنهم من لم يجوّز أخذ ما زاد على قوت يومه وهذه مبالغة، ومنهم من لم يجوّز ما زاد على شهر وهو أقرب للتقوى، ومنهم من لم يجوّز ما زاد على قوت سنة وهذا أقصى ما يرخص فيه مستدلًا بأنّ رسول الله ﷺ ادّخر لعياله قوت سنة، وذلك لأنّ السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل، والأقرب إلى الاعتدال الكفاية إلى السنة وما زاد على ذلك ففيه خطر فيما دونه تضييق.

الخامس: أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فإنْ كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه لأنه لا يستحق مع شركائه إلَّا الثمن، وانتقص من الثمن بمقدار ما يصرف إلى إثنين من صنفه، وهذا السؤال واجب والناس فيه مستأهلون، لا إذا غلب على ظنه عدم النقص عن قدر الواجب.

المطلب الرابع:

في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها، ولا حاجة إلى ذكر فضائلها لشهرتها وكثرة الآيات والأخبار في ذلك - أما إخفاء الصدقة ففيها معان: الأول أنه أبقى للستر على الآخذ وأصون لستر مروءته، وصاروا ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

الثاني أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فإنَّهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه، ويظنون أنّه مستغنٍ عنه، وأنه آخذ على زيادة قدر الحاجة، ففي الإخفاء صيانتهم عن هذه الجرائم.

الثالث: إعانة المعطى على أسرار العمل لأنَّ في السرّ فضلًا على الجهر، والإعانة على إتمام المعروف معروف.

الرابع: أنّ في إظهار الأخذ ذلًا وامتهانًا، وليس للمؤمن أنْ يذلّ نفسه.

الخامس: الاحتراز عن شبهة الشركة. قال ﷺ: «من أهدي إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها»[(١)].

وأما الإظهار والتحدث ففيه أربعة معان.

الأول الإخلاص والصدق والسلامة من تلبيس الحال والمراياة.

الثاني: إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبرىء من الكبرياء ودعوى الاستغناء وإسقاط النفس عن أعين الخلق.

الثالث: أنّ العارف لا نظر له إلَّا إلى الله تعالى، فلا حاجة إلى الإخفاء، والسرّ والعلانية عنده سواء وإلَّا لنقص في توحيده.

الرابع: أنّ الإظهار لإقامة الشكر. وإذا عرفت هذا الاختلاف فاعلم أنَّ الحقّ لا يجزم بفضيلة الإخفاء أو الإظهار مطلقًا بل يختلف الحكم بحسب اختلاف الأحوال، وأيسرها الأخذ في الملاء والرد في السرّ، إلَّا أنْ يستوي عنده السرّ والعلانية وهذا هو الكبريت الأحمر.

المطلب الخامس:

كان ابراهيم الخواص[(٢)] والجنيد وجماعة يرون الأخذ من الصدقة أفضل، فإنَّ في أخذ الزكاة مزاحمة المساكين، وربما لا يوجد فيه سبب الاستحقاق كما في الكتاب. وأمّا الآخرون فقالوا يأخذ الزكاة لكونه إعانة على الواجب، ولو ترك المساكين أخذ الزكاة لأثموا، ولأنّه لا مِنّة فيها وإنما هي حقّ الله تعالى رزقًا لعباده الصالحين، ولأنه أخذ بالحاجة والحاجة معلومة، وأخذ الصدقة أخذ بالدين، فإنّ الغالب إعطاء الصدقة لأهل الديانة، ولأن موافقة

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الزكاة، باب بيان إخفاء الصدقة، ١٧٨/٤.

(٢) هو ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل، أبو إسحاق الخواص. توفي بالري عام ٢٩١ هـ/ ٩٠٤ م. صوفي، أوحد زمانه في المشيخة. له عدة كتب. انظر عنه:
الأعلام ٢٨/١، تاريخ بغداد ٧/٦، طبقات الشعراني ٨٣/١، الموسوعة الصوفية ١٥٠.

المساكين أدخل في التواضع؛ والصدقة قد تعطى في معرض الهدية ولا يتميز عنها. والقول الحقّ في هذا أنّه مختلف بأحوال الشخص والنية فإنْ كان شبهة في اتصافه بصفة الاستحقاق فليترك الزكاة، وإنْ كان مستحقًا وكان له ضرورة يجوز أخذها، فإذا خُيِّر بين الزكاة والصدقة فإنْ كان صاحب الصدقة يتركها لو لم يأخذ هو يأخذ الصدقة ففيه تكثير للخير وتوسيع على المساكين إذا الزكاة تحصل لهم خاصة، وإنْ كان المال معرضًا للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخيّر. وأخذ الزكاة على كل حال أشد في كسر النفس وإذلالها في أغلب أحوالها.

علم أسرار الصلاة(*): وفيها مطالب:

المطلب الأول: واعلم أن للصلاة مراتب وأطوارًا لا تنكشف تفاصيلها إلَّا بمثال، وهو أن الإنسان لا يكون إنسانًا موجودًا كاملًا إلَّا بمعنى باطن وهو الحياة والروح، وبأعضاء ظاهرة يتوقف عليها الحياة كالقلب والكبد والدماغ، وبأعضاء لا يتوقف عليها الحياة ولا يفوت بدونها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان، وبأعضاء لا يتوقف عليها الحياة ولا يفوت بدونها مقاصدها، ولكن يفوت بها الحسن كالجبين واللحية والأهداب وحسن اللون، وبأعضاء لا يتوقف عليها ما ذكر كلها، ولكن يفوت بها كمال الحسن، كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب. وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون، فهذه درجات خمس يمكن اعتبارها في العبادات. فروحها وحياتها الخشوع والنية وحضور القلب والإخلاص وسنبينها.

والدرجة الثانية كالركوع والسجود والقيام والقراءة والقعدة الأخيرة إذْ يفوت وجود الصلاة بفواتها.

والدرجة الثالثة كالسنن من التكبيرة ورفع اليدين والتشهد الأول وقراءة الفاتحة وغيرها مما لا تفوت الصلاة بفواتها لكن تكون خداجًا ناقصًا.

والدرجة الرابعة هي الآداب المعتبرة في الصلاة.

والدرجة الخامسة هي لطائف تلك الآداب.

واعلم أنّ الصلاة تحفة وقربة لك تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلطان إليه، فإذا أحسنت الوصيفة في خلقتها وجمالها وآدابها الظاهرة وأخلاقها الباطنة يتقبلها السلطان عند عرض حاجة صاحبها، فيعوضه بما يليق بشأن السلطان من الكرامات السنية والعزّ والجاه، وكذلك الصلاة إذا تقرب إلى الله تعالى تامة في معناها وصورتها وفرائضها وسننها يتقبلها الحق سبحانه وتعالى يوم العرض الأكبر، فيجازيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإلَّا ترد عليك وتصير هي خصمًا عليك وتقول: ضيعتني ضيعك الله. فمنتهى نظر الفقيه من الصلاة نظر الطبيب في الإنسان، فإن الطبيب في صدد حفظ صحته وإبقاء حياته وإنْ كان مشوّه الخلقة مذموم الخلق، كذلك الفقيه ينظر في أحوال الصلاة مقدار ما لا تكون الصلاة صلاة إذا لم يراع شرائط الفقه. وإنما الذي ينظر إليه أصحاب القلوب نظر من يهدي العبيد إلى السلطان حيث ينظر إلى درجات يكمل بها رتبة الإنسانية صورة ومعنى، كذلك العارف ينظر إلى الصلاة مقدار ما يكون مقبولًا عند الملك الديان وسببًا للفوز من الرضوان. ولما عرفت في الكتب الفقهية مرتبة نظر الفقيه فلنبين ها هنا الأحوال المعتبرة في الصلاة عند

(*) هذا هو الأصل الرابع من أصول الشعبة الأولى في العبادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

العارف بالله تعالى وصفاته.

المطلب الثاني:

الشروط الباطنة من أعمال القلب: منها علم الخشوع وحضور القلب، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[١]. والغفلة ضد الذكر، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[٢]. وسكر الغفلة يشاركه في هذا المعنى، وقوله ﷺ: «إنما الصلاة تمسكن وتواضع»[٣]. ويفهم منه الحصر، وقوله: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلّا بعدًا»[٤]. وصلاة الغافل لا تمنع منهما، وقوله: «كم من قائم حظه من الصلاة التعب والنصب»[٥]، وقوله: «ليس للعبد من صلاته إلّا ما عقل»[٦]. وأيضًا الشرع دلّ على أنّ المصلي مناجٍ ربه، ومن المعلوم أنّ الغفلة تنافي المناجاة.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ طريق دفع الغفلة هو أنّ الصلاة ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود.

أما الذكر والقراءة فالمقصود منهما الحمد والثناء والتضرع والدعاء، ولابدّ أن تخاطب به الحقّ تعالى وإلّا لم يكن ذكر وقراءة. وخطابه تعالى لا يمكن بالمشافهة فهو بالقلب. فالغفلة تنافي المقصود من الذكر والقراءة. وأيضًا الصلاة شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عزّ وجلّ ورسوخ عقد الإيمان فيه، ولا نفع لمجرد حركة اللسان فيما ذكر وذلك ظاهر، فلا بدّ من حضور القلب.

وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم، ولو جاز التعظيم بمجرد حركة البدن لم يبق فرق بين تعظيم الخلق والخالق، ولم تكن الصلاة من الأمور التي يمتحن بها المسلمون وتجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام. ومن عرف سرّ الصلاة علم أنّ الغفلة تضادها، وأنّ حضور القلب روح الصلاة، فإنّ أقل ما يبقى به رمق الصلاة الحضور عند التكبيرة، فالنقصان منه هلاك، وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في أجزاء الصلاة. وأما أمر الفتوى فلما كان لعامة الناس بحيث لا يخص البعض دون البعض كما قال ﷺ في حق الفتوى: «حكمي على الجماعة حكمي على الواحد»[٧]، ولما عجز الكل عن حضور القلب في جميع أجزاء الصلاة واشترطوا الحضور ولو في لحظة، ولما صار الأولى بذلك التكبيرة الافتتاح لأنّ إحكام الأساس إحكام للبناء من غير عكس اشترطوا الحضور عندها. وأما القيام والقعود فإنّ القيام تنبيه على إقامة القلب على نعت من الحضور، فالغفلة ردّ للقلب عن الإقامة. فكما أنّ الالتفات بالجسد يورث الكراهة كذلك الالتفات بالقلب بل ذلك أشدّ كراهة بل لا تكون صلاة عند التحقيق وإنْ لم يعده الفقهاء من المفسدات، وذلك لبحثهم عن أفعال البدن دون أفعال القلب، وإلّا فلو سئلوا عن ذلك لأجابوا بما ذكرناه، اللّهمّ إلّا من لا يعرف من الفقه إلّا ظاهره ورسمه، وكذا القعود. فكما ينبغي أن يكون البدن على وجه الأدب قعود الناس عند السلاطين كذلك يكون قلبك عنده

---

(١) طه/ ١٤.
(٢) النساء/ ٤٣.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب فضيلة الخشوع ٣/ ٢١.
(٤) الهيثمي، مجمع، كتاب الصلاة، باب فيمن لم تنهه صلاته...، ٢/ ٢٥٨.
(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب في الشروط الباطنة...، ٣/ ١١٢.
(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب بيان الشروط الباطنة...، ٣/ ١١٢.
(٧) العجلوني، كشف الخفاء، ح ١١٦١، ١/ ٤٣٦، بلفظ: «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة».

على أنْ تشكر الله تعالى على توفيقه لهذا العمل الصالح وإتمام هذه الطاعة، وأنْ يخاف منه تعالى أنّه فرغ من فعل هل وقع له محل في حضرته أم ردّ وضرب به وجه صاحبه، وأن يتذكر في قلبه أنَّه مودّع لصلاته وربما لا يعيش لمثلها.

إذا عرفت هذا فلنذكر سبب حضور القلب وثمراته. واعلم أنّ حضور القلب هو خلوّ القلب عن غير من يناجيه وسببه الهمة، فإنّ القلب تابع للهم شاء صاحبه أم أبى، ولا حيلة في صرفه عن الدنيا وحصر همه في الصلاة إلّا ملاحظة أنّ الغرض الأصلي من الحياة الإيمان بالمبدأ والمعاد، ومعرفة أنّ الدنيا أحقر من أن يتلهى بها وأنّ الآخرة خير وأبقى. وهذا الغرض لا يحصل إلّا بالصلاة. فالملاحظة المذكورة وسيلة إلى جعل الصلاة أكبر همّ المصلي، وهذا الهمّ يثمر حضور القلب.

وأما ثمرات حضور القلب فمنها التفهم وهو اشتمال القلب على ملاحظة المعنى من اللفظ. فكم من رجل يحضر قلبه مع اللفظ دون المعنى، فكم من معنى لطيف يفهمه المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن يفهمه قبل ذلك وهذه هي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، لا من يقرأ وهو غافل عن معنى ما قرأه. وسببه بعد حضور القلب الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة بالنزوع عن أسباب تجذب الخواطر إلى الشواغل الدنيوية، فمن أحبّ شيئًا أكثر ذكره. ولذلك من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر.

ومنها التعظيم، وهذا أمر وراء ما ذكرناه إذْ كم من رجل حاضر القلب إذا خاطب عبده لا يكون معظمًا له فهو حالة للقلب يتولّد من معرفتين: أحدهما معرفة جلال الله تعالى وعظمته.

وثانيهما: معرفة حقارة النفس وكونها مسخرًا لربها، فيتولّد منهما الاستكانة والانكسار والخشوع المعبر عنه بالتعظيم.

ومنها الهيبة وهي أمر زائد على التعظيم منشأها خوف يصدر عن الإجلال لا مطلق الخوف، فإنّ من خاف من السبع لا يجله ولا يهابه، وهذه تتولّد من معرفة كونه تعالى غنيًا عن العالمين بحيث لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرّة مع نفوذ قدرته وغلبة سطوته. ومن طالع ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب والبلاء مع قدرته على عافيتهم يعرف جلال الله تعالى وقهره فيحصل من هذه المعرفة الهيبة.

ومنها علم الرجاء وهذا زائد على الهيبة إذْ كم من واحد يهاب ملكًا ولا يرجوه، والعبد ينبغي له أن يرجو ثواب الله تعالى بصلاته، كما أنه يخاف بتقصيره عقاب الله. فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه في وعده الجنة للمصلي. فمن اليقين بلطفه وصدق وعده يتولد الرجاء ويحمي إيمانه بين الخوف والرجاء الذي لا مهرب عن التوسط بينهما.

ومنها علم الحياء فهو زائد على الكل إذْ يمكن قصور التعظيم والخوف والرجاء لمن لا يتوهم التقصير والذنب، وسببه استشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظم حقّ الله عزّ وجل سيما إذا عرف عيوب نفسه وآفاتها، وقلة إخلاصها وخبث دخيلتها، وميلها إلى الحظ العاجل مع العلم بعظيم جلال الله، وبأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وإنْ دقت وخفيت. وهذه المعارف إذا حصلت يقينًا انبعث منها بالضرورة حالة تسمّى الحياء، وإذا عرفت أنّ هذه الثمرات أصلها حضور القلب وأنّ سببه دفع الخواطر، وكان ذلك من صعاب الأمور للسالكين، فلا علينا أن نذكر ههنا بعضًا من علاج دفع الخواطر.

واعلم أنّ الخواطر إمّا حسي أو خيالي، فالأول ما يشغله من طرق الحواس الظاهرة وأكثرها منعًا السمع والبصر. أما السمع فكأن يشغل المصلي أصوات الطيور إذا صلى في حائط أو سمع من ينشد شعرًا أو يقص شيئًا. وأما البصر فكأن يشغله ما له وقع في قلبه وهو بمرأى في صلاته أو يشغله شيء له بريق ولمعان أو علم، كما ردّ رسول الله ﷺ الخميصة[١] التي أتاه بها أبو جهم[٢] وعليها علم وقال: «اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي وأتوني بانبجانية[٣] أبي جهم[٤]». ونظائر هذه الأسباب أنْ يغضّ بصره إلّا عن موضع سجدته، أو لا يترك في البيت ما يشغله، أو يصلي في بيت مظلم. وكان بعض العلماء يقرب من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره، ولهذا يحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة، والأولى للمبتدئ اختيار البيت المظلم لحفظ بصره أو الصغير لجمع همه. وأما الأقوياء فيحضرون المساجد ويقدرون على غض البصر حتى لا يعرفون من على يمينهم وشمالهم.

وأما الأسباب الخيالية فأصعبها علاجًا وأشدها على القلب فإنّ من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من أمر إلى آخر، وغضّ البصر لا يغنيه، فعلاجه صرف النفس إلى فهم ما يقرأه في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويستعين على ذلك بأن يذكر قبل التحريمة أمر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع، وأن يتذكر قول النبي ﷺ: «صلّوا صلاة مودّع»[٥]، بأن يفرض في نفسه أنّه آخر صلاة يصليها، وأنه آخر عمل يختم به على أعماله.

ودفع الخواطر من أصعب الأمور وشبهوها بالذباب لأنّه كلما ذبّ آب ولهذا سمي ذبابًا، كذلك الخواطر كلما أردت دفعها تهجم عليك من كل جانب يعرفها من يزاول علاجها، إلّا أنّ أصل ذلك كله حبّ الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد. ومن انطوى باطنه على حبّ الدنيا فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة، ومن فرح بالدنيا فلا يفرح بالله عز وجل وبمناجاته، وهمة الرجل مع قرة عينه، وهذا هو الدار[٦] المر. ولهذا استبشعه الطباع وبقيت العلة مزمنة والداء عضالًا حتى يئس بعض من القاصرين عن دفعها، حتى إنّ الأكابر اجتهدوا أنْ يصلي ركعتين لا يحدثون أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا، وإذا كان حالهم كذلك فلا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم من الصلاة شطرها أو ثلثها ليكون ممن خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا،

(١) الخميصة هي كساء أسود مربع له علمان، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة. أو هي بَرْنكان أسود معلم من الصوف وغيره. لسان العرب، مادة خمص.

(٢) هو عامر أو عمير أو عبيد بن حذيفة بن غانم، أبو جهم، من قريش من بني عدي بن كعب، توفي نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م. صحابي أسلم يوم الفتح، من المعمّرين في الإسلام، شارك في بناء الكعبة مرتين، له رواية وأخبار. الأعلام ٣/ ٢٥٠، نسب قريش ٣٦٩، سمط اللآلىء ٥٣٩.

(٣) انبجانية، هو كساء يتخذ من الصوف له خمل ولا علم له، وهو من أدون الثياب الغليظة. لسان العرب، مادة نبج.

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب النظر في الصلاة، ح ٩١٤، ١/ ٥٦٢، بلفظ: «شغلتني أعلام هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم وأتوني بانبجانية».

(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب فضائل الصلوات والسجود...، ٣/ ٢٢، بلفظ: «إذا صليت فصل صلاة مودع».

(٦) كذا في الأصل، ولعله: الدواء، وفي المصرية: الدواء.

ولكن علو الهمة من الإيمان. فعليك أنْ لا تترك المجاهدة وتدخل نفسك في زمرة الرجال، وللحروب رجال وللثريد رجال.

المطلب الثالث:

في بيان كيفية إحضار القلب عند كل ركن ركن، وكل شرط شرط:

أما الشرائط:

فمنها الأذان، فإذا سمعت النداء فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمّر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإنّ المسارعين إليه هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر. فإذا وجدت في قلبك عند النداء الفرح والاستبشار فلك البشرى بالنور يوم الفصل.

ومنها الطهارة، فإنك إذا أمرت بتطهير طرفك الأبعد وهو المكان وطرفك الأقرب وهو الثياب وقشرك وهو بدنك، فما ظنك بلبك وهو موضع نظر معبودك، فبادر بالتطهير بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فهذا تطهير باطنك.

ومنها ستر العورة، فإذا وجب ستر مقابح بدنك عن الخلق فكيف ستر مقابح قلبك عن الخالق، وهو موضع نظره، فإذا لم يستر ذلك عن الله تعالى ساتر فعليك بمحوها عن قلبك بالندم والحياء والخوف، فتذلّ به نفسك وتستكن تحت الخجلة، فتقوم بين يديه قيام العبد المسيء الآبق عند مولاه.

ومنها الاستقبال، فهو في الظاهر صرف وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله، فإذا كان هذا مطلوبًا منك فترى أنّ صرف القلب من سائر الأمور إلى أمر الله عزّ وجل ليس مأمورًا؟ هيهات هيهات فلا مطلوب منك إلا مطابقة وجه قلبك وجه قالبك، فكما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بصرفه عن سائر الجهات، كذلك لا ينصرف القلب إلى الله عز وجل، إلّا بالتفريغ عما سواه.

ومنها الاعتدال، وهو مثول بين يدي الله عزّ وجل بالقلب والبدن، فليكن رأسك مطرقًا مطأطئًا مستكينًا ذاكرًا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض والسؤال، بل إنك قائم بين يديه في الحال وإنْ كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، فقدّر أنّ رجلًا صالحًا من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فعند ذلك كيف تخشع جوارحك خيفة أن ينسبك ذلك العبد العاجز إلى قلة الخشوع. فإذا أنصفت نفسك بهذا واعترفت فقل لها: إنك تدعي معرفة الله وحبه فلا تستحي منه أنْ تخشى عبدًا من عباده، والله أحق أن تخشاه.

ومنها النية، فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره رجاء لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقرب منه متقلدًا للمنة بإذنه لك في المناجاة، مع أنك في أين من جنابه وعظم في نفسك، قدر مناجاته، وانظر من تناجي، وكيف تناجي، وبماذا تناجي، بحيث يليق أن يعرق جبينك من الخجل، وترتعد فرائصك من الوجل، ويصفو وجهك من خوف الزلل.

ومنها التكبير، فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك، كما إذا كنت أطوع لهواك منك لله عز وجل فيوشك أنْ يكون التكبير كلامًا مجردًا. وما أعظم هذا الخطر لولا التوبة والاستغفار وحسن الظنّ بكبرياء الله عز وجل وعفوه.

ومنها دعاء الاستفتاح، فإذا قلت ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[1]، فإن أردت وجهك الظاهر فقد أثبت لله جهة، وإنْ أردت وجه قلبك وأنت عن الله ساهٍ وغافل يكون كذبًا. فأي شيء تطمع في صلاة أولها

(١) الأنعام/ ٧٩.

كذب واختلاق؟ وإياك وإياك عن ذلك، فاجتهد في أن تصرف وجه القلب فيما سواه إليه وإنْ كان في حال ذلك كلام.

ومنها القراءة، فالناس فيها إما رجل يتحرك لسانه، وقلبه عن لسانه ذاهل، وإمّا رجل يتبع لسانه قلبه، ويكون لسانه ترجمان قلبه، فيفهم منه كأنه يسمعه من غيره، وهذه درجة أصحاب اليمين. وإمّا رجل سبق قلبه إلى المعاني، ويخدم لسانه قلبه، ويكون لسانه ترجمان قلبه، وفرق بين أن يكون لسانه ترجمان قلبه وبين أن يكون معلم قلبه، وهذه درجة المقرّبين.

ومنها الركوع والسجود، فينبغي أن تجتهد عند ذلك في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك، وتقصد تواضعًا بهما سيما عند السجود فإنّه على درجة الاستكانة، فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب، وإن أمكنك أن لا تجعل حائلًا بينه وبين الأرض فافعل فإنّه أدل على الذلّ، واجلب للخضوع، فعند ذلك يظهر لك: خلقت من التراب ورددت إلى أصله، فاكره بالتكرار فإنّ المرة الواحدة ضعيفة الأثر فعند ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك، فإنّها تتسارع إلى الضعف والذلّ لا إلى التكبر والبطر.

ومنها التشهد، فاجلس فيه متأدبًا وتأمّل معنى التشهد بتمامها، واجعل مفهوم ذلك حالًا لك كأنك تتحقق به. ثم ادع بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة، واقصد عند التسليم السلام على الملائكة الحاضرين وعلى من في يمينك أو يسارك من جماعة المؤمنين، فإذا أتممت الصلاة فاشكر الله تعالى على التوفيق بمثل هذه النعمة الجزيلة، واخطر ببالك أنّك مودع لصلواتك هذه، وربما لا تعيش لمثلها. قال النبي ﷺ: «صلِّ صلوٰة مودّع». ثم كن بين خصلتين: خصلة الوجل والحياء من التقصير في الصلاة، وأنْ تكون ممقوتًا بذنب ظاهر وباطن فتردد صلاتك في وجهك وخصلة الرجاء في أن يقبلها بفضله وكرمه.

وأما صلاةِ الغافلين فإنها على خطر إلّا أنْ يتغمد الله برحمته. فالرحمة واسعة والكرم فائض، فنسأل الله تعالى أنْ يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته، إذْ لا وسيلة لنا إلّا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته.

ثم إذا أمكن له الصلاة على ما وصفناه يكون سببًا لحصول أنوار في القلب ينفتح بها علوم المكاشفة، فالمكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية، إنّما يكاشفونها في الصلاة لا سيما في السجود، وإذْ لا قرب من الرب أكثر منه. قال عز وجل ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[(١)].

وتختلف تلك المكاشفة بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلاء والخفاء على قصد صفاء المصلّي عن الكدورات البشرية حتى ينكشف لبعضهم أعيان الأشياء ولبعضهم مثالها، كصورة الجيفة للدنيا وصورة الكلب الجائم عليها. وأيضًا تختلف باعتبار صرف الهمة. فمن واحد ينكشف له من صفات الله وجلاله، ومن آخر من أفعاله، ومن آخر من دقائق علوم المعاملة ويكون ليقين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى. فلما كانت المكاشفة بقدر صقالة القلب ولم يتحقق ذلك في الأكثر حرموا عنها، ومع ذلك لم يكتفوا بنقيصة الحرمان بل وقعوا في حبّ الإنكار لما أنَّ الطباع مجبولة على إنكار غير الحاضر. لكن إيّاك إيّاك أنْ تنكر أمثال ذلك فإنّ منح الله تعالى خارجة عن أطوار الطباع والعقول، والله تعالى هو المسؤول لنيل المأمول.

المطلب الرابع:

في علم وظائف الإمامة:

أولها: أنْ لا يتقدم على قوم يكرهونه وإنْ

---

(١) العلق/١٩.

اختلفوا فالأمر إلى الأكثر إلَّا أنْ يكون الأقل أهل الخير. وأيضًا التقدم على من هو أفقه وأقرأ منه إلَّا إذا امتنع هو، فإذا حصل له شرائط الإمامة يكره له المدافعة. وقد قيل: إنَّ قومًا تدافعوا الإمامة بعد الإقامة فخسف بهم. وما روي عن مدافعة الصحابة لإيثار مَنْ هو أولى منه أو خوفهم على أنفسهم الشهرة. وخطر أنَّ الأئمة ضمناء وربما يشتغل قلب من لم يتعوّد ذلك حياءً من المتقدمين، سيما في الجهر بالقراءة فيفوته الإخلاص والخضوع.

وثانيتها: اختيار الإمامة على الأذان إذا خُيِّر بينهما. وقيل بل يختار الأذان ولكن الجمع مكروه، والاختلاف بالنظر إلى تعارض الأخبار في فضائل كل منهما.

وثالثتها: أنْ يراعي الإمام الأوقات فيصلي في أوائلها، ففضل أوائلها على أواخرها كفضل الآخرة على الدنيا حتى رجحوها على الانتظار لكثرة الجماعة، حتى روي «أنَّ رسول الله ﷺ تأخّر عن صلاة الفجر في سفر لأجل الطهارة فقدّم الصحابة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حتى فاتته ركعة، فقام يقضيها حتى قال: أحسنتم، هكذا فافعلوا»[1]. وقد تأخر في صلاة الظهر فقدّموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله ﷺ وهم في الصلاة فقام إلى جانبه. ولا ينتظر الإمام المؤذن ولا غيره وإنما ينتظر المؤذن الإمام.

ورابعها: أنْ يؤمّ مخلصًا ومؤديًا أمانة الله تعالى في جميع شرائطه وأركانه. ومن الإخلاص أنْ لا يأخذ عليها أجرًا، وكذا المؤذن، لكن هذا إن أخذ الأجر من المقتدين وإنْ أخذ رزقًا من المسجد قد وقف على من يقوم في هذا الموضع، إما من السلطان أو من غيره، فلا يحكم بحرمته، ولكنه يكره، ولكن يكون الأجر في مقابلة مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة. والفتوى اليوم على الجواز والكراهة عند المتورعين والعاملين بالعزيمة.

وخامستها: الطهارة باطنًا عن الفسوق والكبائر والإصرار على الصغائر، والقوم كالوفد وهو شفيعهم فهو أولى بهذه. فإنْ تذكّر حدثًا في أثناء صلاته فلا ينبغي أن يستحيي بل يستخلف من يقرب منه، فقد تذكر رسول الله ﷺ الجنابة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة[2].

وسادستها: أنْ لا يكبّر حتى يسوّي الصفوف فليلتفت يمينًا وشمالًا، فإنْ رأى خللًا أمر بالتسوية. وكان السلف يتحاذون بالمناكب ويتضامّون بالكعاب، والمؤذن يؤخّر الإقامة عن الأذان ليتفرغ الناس ويستعدوا، وفي الخبر ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره، لأنه نهي عن مدافعة الأخبثين وأمر بتقديم العَشاء على العِشاء.

وسابعتها: أنْ يخفّف الركوع والسجود ولا يزيد في التسبيحات على ثلاث، هذا إذا كثر الجمع. وأما إذا لم يحضر إلَّا المتجردون للدين فلا بأس بالتسعة، ولا يزيد في دعاء التشهد على المأثور، ولا يخص في الدعاء نفسه بل يأتي بصيغة الجمع وينوي بالتسليمتين القوم والملائكة، وإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن، وإذا وثب يقبل بوجهه على الناس ولا يقوم المأموم قبل انفتال الإمام. وأما باقي الآداب والشرائط فمذكورة في كتب الفقه، فليطلب منها فإنّا لم نلتزم إلَّا ذكر ما أهمله الفقهاء.

المطلب الخامس:

في فضل الجمعة وآدابها وسننها:

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ح ٨٨٠، ٢٠/٣٧٦.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب الرابع في الإمام والقدوة، ٣/١٧٩، دون تمام لفظه.

والأحاديث والآثار في فضلها كثيرة مشهورة. ومال الكل إلى أنّ هذا اليوم عظم الله تعالى وسبحانه به الإسلام وخصّص به المسلمين حتى حرم الاشتغال بعد النداء بكل صارف عن السعي إلى الجمعة. وفي الحديث: «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر طبع الله على قلبه»(١). وفي لفظ آخر: «فقد نبذ الإسلام على ظهره»(٢).

ثم إنها تشارك سائر الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط:

أحدها: الوقت حتى لو وقعت التسليمة خارج وقت الظهر فاتت الجمعة، فعليه أن يتمها ظهرًا، وفي المسبوق خلاف.

وثانيها: المكان فلا يصحّ إلّا في المصر، وستعرفه في علم الفقه، ويشترط إذن السلطان.

وثالثها: يشترط الجماعة إلّا في سائر الصلوات وعند بعضهم أربعون ذكورًا مكلفين أحرارًا مقيمين، فإنْ نقص واحد ولو في الخطبة أو الصلاة تبطل.

ورابعها: اتحاد الجماعة فلو صلّى أربعون متفرقين ما تصح.

وخامسها: أن لا تصح جمعتان، فإن فعلوا فالصحيح هو الأقدم تحريمة إلّا أنْ تقع ضرورة.

وسادسها: الخطبتان، وقيل تصح بقوله الحمد لله، وقيل لا بد من خطبتين طويلتين يجلس بينهما، وقيل هما فريضتان والقيام فيهما فريضة وكذا الجلسة بينهما. وفي الخطبة الأولى أربع فرائض، التحميد وأوله الحمد لله، والصلاة على رسول الله ﷺ، والوصية بتقوى الله سبحانه، وقراءة آية من القرآن، وكذا فرائض الثانية إلّا أنه يجب الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب على الأربعين. وأما السنن فإن زالت الشمس وأذّن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية، والكلام لا ينقطع، إلّا بافتتاح الخطبة، ويسلّم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه يردون عليه السلام، فإذا فرغ المؤذّن قام الإمام مقبلًا بوجهه على الناس لا يلتفت ويشغل يديه بقائمة السيف أو العنزة كي لا يعبث بهما، ويضع إحداهما على الأخرى، ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة، ولا يستعمل غريب اللغة ولا يتمطّط ولا يتغنى، وتكون قصيرة بليغة جامعة. وتستحب قراءة الآية في الثانية أيضًا ولا يسلّم من دخل والخطيب يخطب، فإن سلّم لم يستحق جوابًا، والإشارة بالجواب أحسن، ولا يشمّت العاطس أيضًا. هذه شروط الصحة.

وأما شروط الوجوب فقد علم في الفقه.

وأما آدابها فهي عشرة:

الأول: أن يستعد لها يوم الخميس عزمًا عليها واستقبالًا لفضلها، فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة، ويغسل ثيابه ويختار البيض، ويعد الطيب، ويفرغ قلبه من الأشغال المانعة من البكور إلى الجمعة، وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة، فإنّ له فضلًا، لا مفردًا فإنّه مكروه، بل مع ضم الخميس والسبت، وليشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير، وينسحب عليها فضل يوم الجمعة. وقيل: ويجامع أهله في هذه الليلة، واستحبوا أخذًا من حديث: «من بكر وابتكر وغسل واغتسل»(٣)، وقالوا معناه حمل أهله على الغسل. ويروى بالتخفيف أي غسل ثيابه. وبهذه الآداب يدخل في زمرة الغانمين ويخرج من زمرة الغافلين، كما قال بعض

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب الخامس في فضل الجمعة وأدابها، ٣/ ٢١٤.

(٢) الهيثمي، مجمع، كتاب الصلاة، باب فيمن ترك الجمعة، ٢/ ١٩٣، بلفظ «ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره».

(٣) العقيلي، الضعفاء، ٢/ ٢١٠، بلفظ: «اغتسل وغسل. . .».

السلف: أو في الناس نصيبًا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس، وأخسّهم نصيبًا من أصبح فيقول أيش اليوم. وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في المسجد الجامع لأجلها.

والثاني: إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر، فإنْ كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب ليكون أقرب عهدًا بالنظافة، وهذا الغسل مستحب استحبابًا مؤكدًا. وعند البعض سُنّة، وعند آخرين واجب. ومن اغتسل ثم أحدث لم يبطل غسله والأحب أن يحترز.

الثالث: الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي بالكسوة والنظافة والطيب. أما الكسوة فأحبها البيض من الثياب ولا يلبس ما فيه شهرة ولا السواد، وليس في لبس السواد فضيلة، فضلًا عن كونها سُنَّة بل قيل إنها بدعة محدثة والعمامة مستحبة في هذا اليوم سيما من وقت السعي إلى الجمعة إلى تمام الصلاة. وأما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقصّ الشارب وما يشابه هذه، قال ابن مسعود: من قلّم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داءً وأدخل فيه شفاء. فإنْ كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود. وليتطيَّب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره. وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه، روي ذلك في الأثر. قال الشافعي: من نظف ثوبه قلّ همه، ومن طاب ريحه زاد عقله.

الرابع: البكور إلى الجامع وفضله عظيم ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة، ويكون سعيه إلى الجمعة خاشعًا متواضعًا ناويًا للاعتكاف فيه قاصدًا للمبادرة إلى جواب نداء الله والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه. والفضل لمن راح إلى الجمعة في الساعة الأولى ثم الثانية إلى أن خرج الإمام، وحينئذ طويت الصحف ورفعت الأقلام. والأخبار في هذا الباب كثيرة.

الخامس: في هيئة الدخول، ينبغي أن لا يتخطى الرقاب ولا يمر بين أيديهم، والبكور يسهل عليه ذلك، اللّهمّ إلّا أن يجلسوا عند باب الجامع وفي قدام الجامع موضع خال فإنّه لا حرمة لهم، كذا روي عن الحسن. وعنه أيضًا إذا لم يكن في المسجد إلّا من يصلّي فينبغي أن لا يسلم لأنَّه تكليف جواب في غير محله.

السادس: أن لا يمر بين يدي الناس وليجلس هو إلى قرب من أسطوانة أو حائط حتى لا يمر بين يديه، فإنّ ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه. وإن لم يجد حائطًا أو إسطوانة فلينصب بين يديه شيئًا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده.

السابع: أن يطلب الصف الأول فإنّ فضله كثير كما رويناه في الخبر: «من غسل واغتسل وبكّر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان له كفارة ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام»[١]. وفي لفظ آخر: «غفر الله له إلى الجمعة الأخرى»[٢]. إلّا أنّ في طلب الصف الأول شرائط ثلاثة: أحدها أن لا يرى هناك من الإمام وتوابعه منكرًا يعجز عن تغييره وإلّا فالتأخّر له أسلم وأجمع للهم. فعل ذلك جماعة من العلماء طلبًا للسلامة، منهم بشر بن الحارث. وقيل له في التأخر قال: إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد.

---

(١) العقيلي، الضعفاء الكبير، ٢/ ٢١٠، بلفظ: «من بكر وابتكر، واغتسل وغسل، ومشى ولم يركب ودنا ولم يله واستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عبادة سنة: صيامها وقيامها».

(٢) معجم الطبراني، ح ٥٨٥، ١/ ٢١٥، بلفظ:
«من غسل واغتسل يوم الجمعة، ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة يخطوها عمل سنة صيامها وقيامها».

وثانيها أن لا يكون عند المنبر مقصورة منقطع من المسجد للسلاطين. وأما المقصورة فقد كره بعضهم الصلاة فيها إلّا أنّ الأقرب أن الكراهة لأجل التخصيص والمنع وإلّا فلا كراهة. وثالثها أنّ المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر لأنّه متصل، ولأنّ الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع، ويكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة من المسجد. وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب.

الثامن: أن يقطع الصلاة والكلام عند خروج الإمام بأن يشتغل بجواب المؤذّن ثم باستماع الخطبة. وإنْ كان بعيدًا قيل: يجوز أن يتكلم في العلم وغيره، لكن الأولى السكوت إذْ الصلاة إذا حرمت في ذلك الوقت فحرمة الكلام فيه الأولى.

التاسع: أن يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيره فإذا فرغ من صلاة الجمعة قرأ: الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم، وقلْ هو الله أحد والمعوذتين سبعًا سبعًا. فقد روي عن بعض السلف أنّ من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزًا له من الشيطان. ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة: اللّهمَّ يا غني يا حميد، يا مبدىء يا معيد، يا رحيم يا ودود، إغنني بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك، يقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب، ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات، وفي رواية أربعًا، وفي رواية ركعتين، والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكمل الأفضل.

العاشر: أن يلازم المسجد حتى يصلي العصر فإن وقف إلى المغرب فهو أفضل. وكان للأول ثواب الحج وللثاني ثواب العمرة، فإنْ لم يأمن من التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو يخاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرًا لله عز وجل، مفكرًا في آلائه، شاكرًا على توفيقه، خائفًا من تقصيره، مراقبًا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة. ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا فإنّه منهي عنه.

بيان آداب نهار الجمعة وهي سبعة:

الأول: حضور مجالس العلم بكرة أو بعد الصلاة وبعد العصر، ولا يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير. وإن وجد عالمًا يذكر بأيام الله عز وجل ويفقه في دين الله يجلس إليه، واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من النافلة. فقد روى أبو ذرّ أنّ حضور مجلس العلم أفضل من ألف ركعة، وكذا يزجر القصاص ويخرجهم من المسجد لأنّه لا خير فيهم، وأنّه بدعة، وقد كثر نكير الصحابة في حقّ القصاص.

الثاني: أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة. وفي الخبر المشهور: «إنّ في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئًا إلّا أعطاه»(١). وفي خبر آخر: «لا يصادفها عبد يصلي»(٢). واختلف فيها، فقيل: إنها عند طلوع الشمس. وقيل: عند الزوال. وقيل: مع الأذان. وقيل: إذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في الخطبة. وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة. وقيل: آخر وقت العصر. وقيل: قبل غروب الشمس، ويروى هذا عن فاطمة رضي الله عنها، ترويها عن أبيها ﷺ. وقال بعض العلماء: هي مبهمة في جميع اليوم مثل

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب الخامس في فضل الجمعة، ٣/ ٢٧٩.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب الخامس في فضل الجمعة، ٣/ ٢٧٩.

ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها. وقيل: إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر. قال الغزالي: وهذا هو الأشبه وله سرّ لا يليق بعلم المعاملة ذكره. وإليه يشير قوله ﷺ: «إنّ لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»(١). فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضًا له بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات.

الثالث: يستحب أنْ يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم ويقول: اللّهمَّ صلّ على محمد عبدك ونبيّك ورسولك النبي الأمي. ولو أتى بالمشهور في التشهد لكان مصليًا أيضًا. وينبغي أن يضيف إليها الاستغفار فإنّ ذلك مستحب أيضًا في ذلك اليوم.

الرابع: أن يكثر من قراءة القرآن خاصة سورة الكهف، عن ابن عباس وأبي هريرة: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورًا من حيث يقرأها إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال»(٢). ويستحب أن يختم القرآن في يوم الجمعة إنْ قَدِر، وليكن ختمه القرآن في ركعتي الفجر، إذا قرأ بالليل، وفي ركعتي المغرب وبين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم. وكان العباد يستحبون أن يقرؤوا يوم الجمعة: قل هو الله أحد ألف مرة. يقال: إنّ من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة. وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة ويقولون: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ألف مرة، وإنْ قرأ المسبّحات السّت في يوم الجمعة أو ليلتها فحسن. وليس يروى أنه ﷺ كان يقرأ سورًا بأعيانها إلّا في يوم الجمعة ولياليها، وكان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة: قل ياأيها الكافرون، وقلْ هو الله أحد، وفي العشاء الآخرة سورة الجمعة وسورة المنافقين، وكان يقرأهما في ركعتي الجمعة، وكان يقرأ في صبح الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الإنسان.

الخامس الصلاة: يستحب أن يصلي إذا دخل المسجد قبل أن يجلس أربع ركعات يقرأ فيهن: قل هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة. روي عن رسول الله ﷺ «أنه من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له»(٣)، ولا يدع ركعتي التحية، وإنْ كان الإمام يخطب ولكن يخفف ويصليهما بعد تصلية(٤) الإمام إلى جانبيه إذْ حينئذٍ يشرع في مدح السلاطين ولا يجب استماعه، ويستحب في هذا اليوم أن يصلي أربع ركعات بأربع صور: صورة الأنعام والكهف وطّه ويّس، فإنْ لم يحسن قرأ يّس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك، ولا يدع قراءة هذه الأربع سور من ليلة الجمعة ففيه فضل كثير، ومن لا يحسن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة، ويكثر من سورة الإخلاص. ويستحب أنْ يصلّي في هذا اليوم صلاة التسبيح وستعرفها، وكان ابن عباس يصلّيها بعد الزوال، والأحسن في يوم الجمعة أن يشتغل بالصلاة إلى الزوال وبعد الجمعة باستماع العلم إلى العصر، ثم بالتسبيح والاستغفار إلى المغرب.

السادس: الصدقة وهي تضاعف في هذا

(١) الهيثمي، مجمع، كتاب الزهد، باب التعرض لنفحات رحمة الله، ١٠/ ٢٣١.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب الخامس في فضل الجمعة، ٣/ ٢٩١، بلفظ: «من حيث يقرأها».
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب ما يتكرر بتكرر الأسابيع، ٣/ ٣٧٦، بلفظ: «خمسين مرة».
(٤) كذا في الأصل.

اليوم إلَّا أن يتصدق على من سأل والإمام يخطب لأنه مكروه. وكره بعض العلماء التصدق على السائل إذا تخطى رقاب الناس إلّا أنْ يسأل قائمًا أو قاعدًا في مكان. قال كعب الأحبار: «من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول: اللَّهمّ إني أسألك باسمك، بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلَّا هو الحي القيوم، لا تأخذه سِنَة ولا نوم، لم يسأل الله شيئًا إلَّا أعطاه»[١]. قال بعض السلف: من أطعم مسكينًا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدًا ثم قال حين يسلم الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم، أسألك أن تغفر لي وترحمني وأن تعافيني من النار، ثم دعا بما بدا له استجيب له.

السابع: أن يجعل هذا اليوم للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يبتدىء فيه السفر. فقد روي أنّ من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه. والسفر فيه بعد طلوع الفجر حرام إلَّا إذا كانت الرفقة تفوت. وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء لشربه أو ليسبله حتى لا يكون مبتاعًا في المسجد، فإنْ لم يكن منه بدّ قالوا: يعطى الثمن خارج المسجد. وبالجملة يزيد في هذا اليوم في أوراده وأنواع خيراته، فإنّ الله سبحانه إذا أحبّ عبدًا استعمله في الأوقات الفاضلة[٢] بسيىء الأعمال ليكون أوجع في عقابه وأشدّ لمقته وحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت.

ويستحب في يوم الجمعة دعوات مخصوصة وردت بها الآثار، وستعرف في باب الدعوات إنْ شاء الله تعالى.

المطلب السادس:

في علم النوافل من الصلوات:

فاعلم أنّ ما عدا الفرائض من الصلوات إمّا سنن أو مستحبات أو تطوع. والأول ما نقل عن النبي ﷺ وواظب عليه، والثاني ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه، والثالث ما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد في مناجاة ربه مع ورود الشرع بفضل الصلاة مطلقًا، وتسمى هذه الثلاثة نافلة، مقابلة للفرض. وقد يعرض لبعض السنن فضيلة الآخر[٣]. فإنّ سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد، وأفضل سنن الجماعة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء. وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم الرواتب الأخر.

واعلم أنّ النوافل أربعة أقسام: ما يتعلق بأسباب وما يتعلق بأوقات. وهذا إمّا أن يتكرر في اليوم والليلة أو في الأسبوع أو في السنة وهذه أربعة أقسام.

القسم الأول: ثمانية، خمسة منها رواتب الصلوات الخمس، وثلاثة وراءها، وهو صلاة الضحى وما بين العشائين والتهجّد. أما رواتب الصلوات الخمس فقد عرفت في علم الفقه. وأما صلاة الضحى فأكثر ما نقل فيها ثماني ركعات، هذا رواية أم هانيء[٤] وفي رواية عائشة أربعًا، ويزيد ما شاء الله لم تحد الزيادة. وروي ست

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب، ٣/ ٣٠٢، بلفظ: «ثم يقول: «اللَّهمّ إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلاَّ هو الحي القيوم....».

(٢) ربما يوجد هنا سقط، كما توحي العبارة.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) هي السيدة الفاضلة أم هانيء بنت عم النبي ﷺ، أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمية المكية. أخت الإمام علي وجعفر واسمها فاختة وقيل هند، روت بعض الأحاديث. أسلمت يوم الفتح. وتوفيت بعد العام ٥٠ هـ. انظر عنها: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣١١، طبقات ابن سعد ٨/ ٤٧، الاستيعاب ٤/ ١٩٦٣، أسد الغابة ٧/ ٢١٣، الإصابة ١٣/ ٣٠٠، تاريخ الإسلام ٢/ ٣٣٢.

ركعات. وقيل أقلها ركعتان وأعلاها اثنتي عشرة ركعة. هكذا ذكر السهروردي[١] في العوارف[٢]. ووقتها إذا أشرقت الشمس وارتفعت وكانت في ربع السماء من جانب الشرق، وهذا نظير وقت العصر في الربع الغربي. وأما صلاة ما بين العشائين فهي سُنّة مؤكّدة ولها فضل عظيم، ويقال لها صلاة الأوابين، وعددها ست ركعات. وأما صلاة التهجّد ووقتها الثلث الأخير من الليل إلى طلوع الفجر، وينبغي أن لا ينام بينها وبين طلوع الفجر، وتقليل هذه الصلاة بلا نوم بعدها أفضل من تطويلها مع النوم عقيبها. واختلف في عدد ركعاتها وأقلها ركعتان إلى اثنتي عشرة ركعة، وأما فضائلها فخارجة عن حد الإحصاء.

القسم الثاني: هي صلاة أيام الأسبوع ولياليه[٣]: يوم الأحد يصلي فيه أربع ركعات وفي رواية خصّ وقتها بما بعد الظهر يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾[٤] مرة، وفي رواية يقرأ في الأولى تنزيل السجدة وفي الثانية تبارك ثم تشهد وسلم. ثم يصلي الأخريين ويقرأ في كل منهما سورة الجمعة. وكل هذه السور بعد الفاتحة. وأمّا فضائلها أعطاه الله ثواب نبي وحجة وعمرة، وبكل حرف مدينة في الجنة من مسك أذفر، وكتب له بكل ركعة ألف صلاة، وأعطى له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات، وكان حقًا على الله أن يقضي حاجته.

يوم الاثنين: يصلي ركعتين عند ارتفاع النهار يقرأ في كل منهما بعد الفاتحة آية الكرسي والإخلاص والمعوّذتين مرة مرة، وبعد السلام يستغفر الله عشر مرات، ويصلي على النبي ﷺ عشر مرات، غفر الله له كل ذنوبه، رواه جابر. وفي رواية أنس: اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل منها بعد الفاتحة آية الكرسي مرة، فإذا فرغ قرأ الإخلاص اثنتي عشرة مرة، واستغفر الله اثنتي عشرة مرة. وفضائلها دخول الجنة مع كرامات من الحلل والتيجان وتشييع الملائكة له مع كل منهم هدية له.

يوم الثلاثاء: يصلي فيه عند انتصاف النهار عشر ركعات، وفي رواية عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي مرة، وقلْ هو الله أحد ثلاث مرات، رواه أنس. وأما فضائلها لم يكتب عليه خطيئة إلى سبعين يومًا، وإن مات في هذه المدة مات شهيدًا وغفر له ذنوب سبعين سنة.

يوم الأربعاء: اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي مرة والإخلاص ثلاثًا والمعوذتين ثلاثًا، رواه معاذ. وفضائلها دفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته وشدائد القيامة، ورفع له من يومه عمل نبي، ونادى به ملك عند العرش، يا عبد الله: استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك.

يوم الخميس: ركعتين بين الظهر والعصر،

---

(١) هو عمر بن محمد بن عبد الله ابن عموية، أبو حفص، شهاب الدين القرشي التيمي البكري السهروردي. ولد عام ٥٣٩ هـ وتوفي عام ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م. فقيه، مفسر، واعظ، زاهد صوفي كبير له العديد من المصنفات. وهو غير السهروردي المقتول ٥٨٨هـ./ ١١٤٥ م، انظر عنه:
الأعلام ٥/ ٦٢، وفيات الأعيان ١/ ٣٨٠، شذرات الذهب ٥/ ١٥٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٨، طبقات الشافعية ٥/ ١٤٣، كشف الظنون ٢/ ١١٧٧.

(٢) عوارف المعارف في التصوف للشيخ شهاب الدين أبي حفص عمر بن (محمد بن) عبد الله السهروردي (ـ ٦٣٢ هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٧٧.

(٣) عامة الصلوات المذكورة في هذا القسم توجد في كتب الفضائل، كالإحياء وغيره. وقد حكم عليها أئمة الحديث بأن أحاديثها كذب أو واهية فلا يغتر بها. انظر: اللآليء المصنوعة ١/ ٢٥ وما بعدها.

(٤) البقرة/ ٢٨٥.

يقرأ في الأولى بعد الفاتحة آية الكرسي مائة مرة، وفي الثانية بعد الفاتحة قل هو الله أحد مائة مرة، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، رواه ابن عباس. وفضائلها أعطاه الله ثواب صوم رجب وشعبان ورمضان، وثواب الحج، وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة.

يوم الجمعة: إذا ارتفعت الشمس قدر رمح أو أكثر يصلي بعد إسباغ الوضوء سبحة الضحى ركعتين، «من صلاها إيمانًا واحتسابًا كتب الله تعالى له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة. ومن صلى أربع ركعات رفع الله عز وجل له في الجنة أربعمائة درجة، ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنة ثماني مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله سبحانه له ألفًا ومائتي حسنة ومحا عنه ألفًا ومائتي سيئة، ورفع له في الجنة ألفًا ومائتي درجة»[١]، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا. وفي رواية ابن عمر مرفوعًا: «من صلى يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد الله، قل هو الله أحد، خمسين مرة، لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له»[٢].

يوم السبت: يصلي أربع ركعات يقرأ في كل منها فاتحة الكتاب مرة، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات، وبعد الفراغ آية الكرسي، رواه أبو هريرة مرفوعًا. وفضائلها كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة، ورفع له بكل حرف أجر سنة، صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد، وكان تحت ظلّ عرش الله تعالى مع النبيين والشهداء.

أما الليالي، فليلة الأحد: يصلي عشرين ركعة، في كل ركعة الفاتحة مرة والإخلاص خمسين مرة، والمعوذتين مرة مرة، ثم استغفر الله مائة مرة، واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة، وصلى على النبي ﷺ مائة مرة، وتبرأ من حوله وقوته والتجأ إلى الله، ثم قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ آدم صفوة الله وفطرته، وابراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله، ومحمدًا حبيب الله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدًا، وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين، وكان حقًا على الله أن يدخله الجنة مع النبيين. رواه أنس.

ليلة الاثنين: يصلي أربع ركعات، يقرأ في الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات، وفي الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة، وفي الثالثة ثلاثين، وفي الرابعة أربعين، كلاهما بعد الحمد لله، ثم سلّم وقرأ: قل هو الله خمسًا وسبعين مرة، واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسًا وسبعين مرة، وصلى على محمد ﷺ خمسًا وسبعين مرة، ثم سأل الله حاجته كان حقًا على الله عزّ وجل أن يعطيه سؤاله فيما سأل، وتسمى هذه صلاة الحاجة، رواه أنس.

ليلة الثلاثاء: يصلي ركعتين، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة، ويقرأ بعد التسليم آية الكرسي خمس عشرة مرة، ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة.

ليلة الأربعاء: يصلي ركعتين، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل أعوذ برب الفلق عشر مرات، وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات، ومن صلاها نزل له من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلي يوم القيامة. وفي رواية فاطمة رضي الله تعالى عنها: ست ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب ما يتكرر بتكرر الأسابيع ٣/ ٣٧٦.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، باب ما يتكرر بتكرر الأسابيع، ٣/ ٣٧٦، بلفظ: «من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل الجمعة...».

﴿ٱلْمُلْكِ﴾[1] إلى آخر الآية، وبعد صلاته يقول سبعين مرة: جزى الله محمدًا عنا ما هو أهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة، وكتب له براءة من النار، وفي رواية عثمان بن مظعون[2] عشر ركعات وقرأ في كل منها الحمد لله وآمن الرسول إلى آخر السورة مرة والإخلاص ثلاث مرات، من صلاها فكأنما خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإنْ كانت مثل زبد البحر وورق الشجر وعدد النجوم والأمواج وزبد البحار والخلق والخلائق، وغفر الله له ذنوب السّر والعلانية وأدخله الجنة في أول زمرة من زمرة المتقين والفائزين والمقرّبين دون حساب وعذاب ولا عَرْض وسؤال، وباهى الله به الملائكة وسماه العتيق من النار. فقال عثمان بن مظعون: «يا رسول الله: إنّ هذا ثواب عظيم. فقال رسول الله ﷺ: يا عثمان: والذي بعثني بالحق إنّ الله ليعطي لمن صلّى هذه الصلاة أجر من صدق اثني عشر نبيًا، وأجر من جاهد في الله حقّ جهاده ألف سنة، وبنى الله له في الجنة دار السلام ألف قصر»[3]، مع ما له عند الله من المزيد.

ليلة الخميس: يصلي ركعتين ما بين المغرب والعشاء، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي خمس مرات، وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس مرات، فإذا خرج من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة، وجعل ثوابه لوالديه، فقد أدى حقهما وإن كان عاقًّا لهما، وأعطاه الله تعالى خير ما يعطى الصديقين والشهداء. رواه أبو هريرة.

ليلة الجمعة: يصلي بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة، يقرأ بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله اثنتي عشرة سنة، صيام نهارها وقيام ليلها. رواه جابر. وفي رواية أنس: يصلي صلاة العشاء الآخرة في جماعة ويصلي ركعتي السُّنة، ثم يصلي بعدهما عشر ركعات، قرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة، ثم أوتر بثلاث ركعات، ونام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة. فمن فعل هذه فكأنما أحيا ليلة القدر. وقال ﷺ: «أكثروا من الصلاة عليَّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر، ليلة الجمعة ويوم الجمعة»[4].

ليلة السبت: يصلي بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة، من صلاها بني له قصر في الجنة، وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود، وكان حقًا على الله تعالى يغفر له. رواه أنس.

القسم الثالث: ما تكرر بتكرر السنين وهي أربعة:

الأول: صلاة العيدين، وهي سُنَّة مؤكدة، وشعار من شعائر الدين، وينبغي أنّ يراعى فيها سبعة أمور:

الأول التكبير. والثاني يغتسل ويتزين ويتطيب يوم العيد. والثالث يخرج من طريق ويرجع من آخر. الرابع الخروج إلى الصحراء إلّا في المطر في الآفاق، وإلّا بمكة وببيت المقدس، ويجوز للضعفاء أن يتخلّفوا بالمساجد وإنْ كان يوم صحو. الخامس رعاية الوقت ويستحب تعجيل صلاة الأضحى للذبح وتأخير الفطر للصدقة.

---

(١) آل عمران/ ٢٦.

(٢) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب، توفي بالمدينة عام ٢ هـ/ ٦٢٤ م. صحابي، حكيم العرب، وهاجر مرتين، كان من الزاهدين. انظر عنه:
الأعلام ٤/ ٢١٤، ابن سعد ٣/ ٢٨٦، صفة الصفوة ١/ ١٧٨، حلية الأولياء ١/ ١٠٢.

(٣) لم نعثر على تخريجه.

(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب السابع في النوافل ٣/ ٣٨١.

السادس يقرأ في الركعة الأولى سورة قٓ بعد الفاتحة، وفي الثانية اقتربت بعد الفاتحة أيضًا. السابع أن يضحي بكبش ومن أراد أن يضحي فلا يقلم أظفاره في عشر ذي الحجة. قال سفيان الثوري: يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة وبعد عيد الأضحى ست ركعات، وقال: هو من السُّنة.

الثاني: التراويح عشرون ركعة، وكيفيتها مشهورة وهي سُنَّة مؤكّدة، وإن كانت دون العيدين. والسُّنة أن يصليها مع الجماعة، وتفصيل هذه في كتب الفقه.

الثالث: صلاة رجب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاث مرات والإخلاص اثنتي عشرة مرة، فإذا فرغ صلى على محمد سبعين مرة، يقول: اللّهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبّوح قدوس، ربّ الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: ربّ اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت العلي الأعظم، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل حاجته فإنها تقضى»[١]. قال رسول الله ﷺ: «لا يصلي أحد هذه الصلاة إلّا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وورق الجبال وورق الأشجار، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار»[٢]. هذه الصلاة مستحبة وطعن فيها بعض المتأخرين وادعوا أن الحديث الوارد فيها موضوع. وقيل خبر آحاد، إلّا أنه لمواظبة أهل القدس بل سائر المسلمين في الأمصار لا يسمحون بتركها. ولهذا أحببت إيرادها[٣].

الرابع: صلاة شعبان في الليلة الخامسة عشر منه يصلي مائة ركعة بخمسين تسليمة، يقرأ في كل ركعة بعد فاتحة الكتاب قل هو الله أحد عشر مرات، وإن شاء صلّى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد مائة مرة. كان السلف يصلونها ويسمونها صلاة الخير وربما صلاها جماعة. روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ أنّ من صلّى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة، أدناها المغفرة[٤].

القسم الرابع:

ما يتعلق بأسباب عارضة وهي تسعة:

الأولى: صلاة الخسوف وهذه مذكورة في كتب الفروع.

الثانية: صلاة الاستسقاء وهي مثل صلاة العيد بلا فرق إلّا أنه يخرج فيها بثياب بذلة واستكانة متواضعين، بعدما صاموا ثلاثة أيام، وتقديم صدقة وتوبة عن المعاصي، والخروج من المظالم، ثم يخرج اليوم الرابع بالصبيان والعجائز. وعند البعض يخرج الدواب لمشاركتهم في الحاجة. وفي الحديث: «لولا صبيان رضّع ومشايخ ركّع وبهائم رتّع لصب عليكم العذاب صبًّا»[٥]. وعند البعض: لا يمنع أهل الذمة إذا

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب السابع في النوافل، ٣/ ٤٢٣.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب السابع في النوافل، ٣/ ٤٢٣، بلفظ: «سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار».

(٣) انظر كتاب، الباعث على إنكار البدع والحوادث، لأبي شامة.

(٤) انظر: اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/ ٣٠ ـ ٣١.

(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصلاة، الباب السابع في النوافل، ٣/ ٤٣٩.

خرجوا متميزين، والمختار عندنا منعهم.

والثالثة: صلاة الجنازة وتفصيلها وتفصيل صلاة الاستسقاء مذكور في كتب الفقه.

الرابعة: تحية المسجد وهي ركعتان فصاعدًا سُنّة مؤكّدة حتى إنهم جوّزوها في الأوقات المكروهة وعند الخطبة، ولو اشتغل بفرض أو قضاء تأدّت به التحية وحصل الفضل، والمقصود عدم خلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قيامًا بحق المسجد، ولهذا يكره الدخول بلا وضوء، فإنْ دخل لعبور أو جلوس فليقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر، يقولها أربع مرات، يقال إنّها عدل ركعتين في الفضل.

الخامسة: ركعتان بعد الوضوء مستحبتان إذْ الوضوء معرض الآفات، فالمبادرة إلى استيفاء المقصود به أولى.

السادسة: ركعتان عند دخول المنزل والخروج منه يدفعان مدخل السوء ومخرج السوء. وكذلك عند ابتداء السفر في المنزل وعند الرجوع منه في المسجد، كل ذلك مأثور من فعل رسول الله ﷺ. وكان بعض الصالحين يصلي ركعتين إذا أكل أكلة أو شرب شربة، وفي كل أمر يحدثه كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة، وكانوا يقدمون في عقد النكاح والنصيحة والمشورة الحمد لله والصلاة على النبي ﷺ، وكذا عند شراء دار جديدة والخروج من منزل والدخول فإنّه نوع سفر خفيف، وكذا عند الإحرام.

السابعة: صلاة الاستخارة، فمن همَّ بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أنّ الخير في فعله أو تركه، فقد أمر رسول الله ﷺ أنْ يصلي ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يأيها الكافرون، وفي الثانية قل هو الله أحد بعد الفاتحة، فإذا فرغ دعا وقال: «اللّهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللّهمّ إنْ كنت تعلم أنّ هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فقدّره لي ثم يسّره لي. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدّر لي الخير أين ما كان، ثم رضّني به إنّك على كل شيء قدير»[1]، رواه جابر بن عبد الله. قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن. وقال ﷺ: «إذا همّ أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم يسم الأمر ويدعو بما ذكرناه»[2].

الثامنة: صلاة الحاجة فمن ضاق عليه أمره ومسّت حاجته في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه، فقد روي عن وهيب بن الورد[3] أنه قال: إنّ من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة بأم القرآن[4] وآية الكرسي وقل هو الله أحد، فإذا فرغ يخرّ ساجدًا ثم قال: سبحان الذي لبس العزّ وقال به، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلّا له، سبحان ذي المنّ والفضل، سبحان ذي العزّ والكرم، سبحان ذي الطول، أسألك بمعاقد العزّ من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى، وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر أن تصلّي على محمد، ثم يسأل

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التطوع مثنى مثنى، ح ١٨٨، ٢/ ١٢٧، بلفظ «بالأمر» بدلاً من «بأمر».
(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب التطوع مثنى مثنى، ح ١٨٨، ٢/ ١٢٧، بمعناه.
(٣) هو وهيب بن الورد المكي، أبو أمية. توفي عام ١٥٣ هـ. عابد ورع زاهد، متقشف وصابر على الفقر. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٣٣، ابن سعد ٥/ ٤٨٨، حلية الأولياء ٨/ ١٤٠، العبر ١/ ٢٢٢، شذرات الذهب ١/ ٢٣٦.
(٤) يعني: سورة الفاتحة.

حاجته التي لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله تعالى. قال وهيب: بلغنا أنه كان يقال: لا تعلموها سفاءكم فيتعاونوها على معصية الله.

التاسعة: صلاة التسبيح وهذه إنْ لم تختص بوقت ولا سبب إلَّا أنَّ المستحبّ أنْ لا يخلوا الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر، ولهذا أوردتها ها هنا. روى عكرمة[١] عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ لعباس بن عبد المطلب: «ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك بشيء إذا أنت فعلته غفر الله سبحانه ذنبك؟ أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه، وعمده، سرّه وعلانيته؟ تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها عشرًا، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرًا، ثم تسجد فتقولها عشرًا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرًا، ثم تسجد السجدة الثانية فتقولها عشرًا، ثم تقوم فتقولها عشرًا، فذلك خمس وسبعون ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات. وإن استطعت أن تصليها في كل يوم فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي السنة مرة»[٢]. وفي رواية أخرى: «إنّه يقول في أول الصلاة: سبحانك اللّهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، ثم تسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرًا بعدها، والباقي كما سبق عشرًا عشرًا»، ولا تسبيح بعد السجدة الأخيرة، قاعدًا وهو الأحسن، وهو اختيار ابن المبارك. والمجموع من الروايتين ثلاثمائة تسبيحة فإنْ صلاها نهارًا فتسليمة واحدة وإنْ صلاها ليلًا فتسليمتين أحسن، إذْ ورد أنّ صلاة الليل مثنى مثنى، وإن زاد بعد التسبيح قوله: ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم لكان أحسن. فقد ورد في ذلك بعض الروايات. ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الأوقات المكروهة إلَّا تحية المسجد دون غيرها. وأما في مذهبنا فلا يجوز إلَّا الفوائت وسجدة التلاوة وصلاة الجنازة وركعتي الطواف، والذي أفسده ثم أعاد، والله أعلم بالصواب.

علم أسرار الصوم[*] وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في الواجبات الظاهرة وهي خمسة:

الأول: مراقبة أول شهر رمضان برؤية الهلال أو بتكميل شعبان.

الثاني: النية والأفضل أن ينوي كل ليلة.

الثالث: الإمساك عن المفطرات الثلاث عهد[٣] ذكر الصومه.

الرابع: الإمساك عن الاستمناء.

الخامس: الإمساك عن إخراج القيء بالاستقاء.

المطلب الثاني:

في لوازم الإفطار وهي أربعة: القضاء

---

(١) هو عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس. ولد عام ٢٥ هـ/ ٦٤٥ م. وتوفي بالمدينة عام ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م. تابعي من كبار علماء التفسير والمغازي، راوي الحديث. طاف في البلاد وتلقى عنه الكثيرون. الأعلام ٤/ ٢٤٤، حلية الأولياء ٣/ ٣٢٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٨، وفيات الأعيان ١/ ٣١٩.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة التسابيح، ح ١٣٨٧، ١/ ٤٤٣. أبو داوود، سنن، كتاب الصلاة، باب صلاة التسابيح ح ١٣٨٧، ١/ ٤٤٣، دون لفظ «ألا أخبرك».

(*) هذا هو الأصل السادس من أصول الشعبة الأولى في العبادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) كذا في الأصل.

والكفارة والفدية والإمساك بقية النهار تشبهًا بالصائم وتفاصيل هذه في علم الفقه.

المطلب الثالث:

في السنن وهي ستة: تأخير السحور، وتعجيل الإفطار على التمر والماء قبل الصلاة، وترك السواك بعد الزول، والجود في شهر رمضان، ومدارسة القرآن، والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الأخير، فهي عادة رسول الله ﷺ، كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشدّ المئزر ودأب ودأب معه أهله، أي أداموا النصب في العبادة إذْ فيها ليلة القدر، والأغلب أنّه في أوتارها، وأشبه الأوتار إحدى وثلاث وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف أولى.

المطلب الرابع:

في أسرار الصوم وشروطه الباطنة:

اعلم أنّ الصوم إما صوم العموم وهو كفّ الفرج والبطن عن قضاء الشهوة، وصوم الخصوص وهو كفّ الجوارح عن الآثام، وصوم خصوص الخصوص وهو كفّ القلب عما سوى الله تعالى إلّا دنيا تراد للدين.

أما صوم العموم فقد عرفت شرائطه في علم الفقه.

وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين لا يتم إلّا بستة أمور:

الأول، غض البصر عن المحارم والمكاره وما يلهي عن ذكر الله.

الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء، وإلزامه السكوت أو شغله بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، فهذا صوم اللسان.

الثالث كفّ السمع عن الإصغاء إلى مكروه لأنّ كل ما حرم الله قوله حرم الإصغاء إليه.

الرابع كفّ بقية الجوارح عن المكاره وكفّ البطن عن الشبهات، ولا معنى للصوم الذي هو الإمساك عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحلال.

الخامس أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء، فما من وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن مليء من حلال، فكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند إفطاره ما فاته صحوة نهاره، وربما يزيد من أنواع الطعام حتى استمرت العادات بأنّ يدّخروا لرمضان جميع الأقوات ما لا يؤكل في سائر الأوقات.

واعلم أنّ مقصود الصوم كسر الشهوة بالخوى ليتقوى بذلك على التقوى، فإذا هاجت شهوة النفس بالجوع طول النهار ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها. فروح الصوم وسرّه تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان، وذلك لا يحصل إلّا بأن يأكل أكلة في كل ليلة في غير رمضان. بل من الأدب أن لا ينام في النهار كثيرًا حتى يحسّ بجوعه وعطشه فيصفو عند ذلك قلبه ويخفّ على أوراده وتهجده، فعسى الشيطان لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء، بل المراد بليلة القدر هي الليلة ينكشف فيها عن شيء من الملكوت، ومن جعل بين قلبه وصدره مخلاة من الطعام فهو من ملكوت السماء محجوب، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله، وذلك هو الأمر كله، ومبدأ الكل تقليل الطعام.

السادس أنْ يكون قلبه بعد الإفطار معلقًا مضطربًا بين الخوف والرجاء، إذْ ليس يدري هل يقبل صومه فهو من المقربين، أو يرد فهو من الممقوتين.

فإن قلت: الصوم هو ترك المفطرات الثلاث كما ذكره الفقهاء، فمن أين أخذت هذه الشروط؟

قلت: الفقهاء يبحثون عن الأفعال الظاهرة للمكلفين، وأما الأفعال الباطنة فخارجة عن

نظرهم. ولو سئل فقيه عن حرمة الغيبة مثلًا يحكم بحرمته بل هو أشد من الإفطار في نهار رمضان عمدًا، ومع ذلك يقول: إنّ الغيبة غير مفطرة، وذلك لخروجها عن نظره لا لأنها غير مفطرة حقيقة. ولو كان مجرد الإمساك عن المفطرات الظاهرة كافيًا فأي معنى لقوله ﷺ: «كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش»(١).

واعلم أنّ لكل عبادة ظاهرًا وباطنًا وقشرًا ولبًا، ولقشوره درجات، ولكل درجة طبقات، فأولئك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو يتحيز إلى غمار أرباب الألباب.

المطلب الخامس:

في التطوع بالصيام:

وذلك يتجدد إمّا في كل سنة أو في كل شهر أو في كل جمعة.

أما السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء وعشر ذي الحجة وعشر المحرم. ولا يجوز استقبال رمضان بيوم أو يومين إلّا أنْ يوافق وردًا، ويجوز وصل شعبان كله برمضان. والأشهر الفاضلة: ذو الحجة والمحرّم ورجب وشعبان، والأشهر الحرم: ذو القعدة وذو الحجة ومحرّم ورجب، ثلاثة سرد، وأحدها فرد، وأفضلها ذو الحجة لأنّ فيه الحج والأيام المعلومات والأيام المعدودات، وذو القعدة من الأشهر الحرم وأشهر الحج، وشوّال من أشهر الحج ليس من الأشهر الحرم، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج.

وأما ما يتكرر في الشهر فأوله وأوسطه وآخره، والأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

وأما في الأسبوع فالاثنين والخميس والجمعة.

وأما صوم الدهر فإنّه شامل للكلّ وزيادة، فمن كرهه نظر إلى الأخبار الواردة في كراهته وسبب كراهته. وأما صوم العيدين وأيام التشريق والصوم فيها حرام، أو لتركه العمل بالرخصة التي فعلها النبي ﷺ، إلّا أنّ الصحيح، أنّ من رأى صلاح نفسه فيه فليفعل سوى الأيام المنهية كما فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين. والأفضل صيام داود وهو أنْ يصوم يومًا فيصبر ويفطر يومًا فيشكر، وذلك أشدّ على النفس وأقوى في قهرها. وقد ورد في فضل ذلك أخبار، والأفضل، أنْ يراعي السالك أحوال قلبه ويفطر في وقت الحاجة إلى الإفطار ويصوم عند الحاجة إلى الصوم، إذا الغرض من الكل إصلاح القلب لا غير.

علم أسرار الطهارة(*):

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(٢).

وقال النبي ﷺ: «الطهور نصف الإيمان»(٣).

واعلم أنَّ الطهارة لها أربع مراتب: الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث والفضلات. والثانية تطهير الجوارح عن الآثام. والثالثة تطهير القلب عن ذمائم الأخلاق. والرابعة تطهير السرّ عما سوى الله تعالى وهي طهارة الأنبياء والصديقين.

والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها، إذْ المقصود في السرّ أن ينكشف له جلال الله وعظمته، ولن يحل ذلك فيه إلّا بأن يرتحل عنه ما سوى الله تعالى، وكذا المقصود في القلب

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الصوم، الفصل الثاني في أسرار الصوم، ٤/٢٤٨، بلفظ: «صومه».

(*) هذا هو الأصل الثالث من أصول الشعبة الأولى في العبادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) التوبة/١٠٨.

(٣) مسند أحمد، ٤/ ٢٦٠.

التحلّي بالأخلاق المحمودة، ولن يتيسر ذلك إلّا بالتخلي عن الأخلاق الذميمة، وكذا المقصود من الجوارح تزيينها بالطاعات ولا يتيسر ذلك إلّا بتطهيرها عن الآثام، وكذا الحال في الظاهر. فكل من هذه المراتب لا يمكن إلّا بتطهير ما قبلها، فأصل الكل طهارة السرّ، ولكن تتوقف على طهارة مقدماتها إلى أنْ ينتهي إلى طهارة الظاهر. ولا تظنن أنَّ هذا ينال بالمنى أو ينال بالهوينا. والذي يهمنا الآن معرفة أحوال طهارة الظاهر وهي أقسام:

طهارة عن الخبث وقد استقصى الكلام في ذلك في كتب الفروع.

وطهارة عن الحدث من الوضوء والغسل والتيمم. أما الوضوء فقد استوفى الفقهاء فرائضه وسننه وآدابه. ولنذكر ههنا بعضًا من آدابه وهو أنَّه إذا خرج من الغائط اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ خارجًا من الغائط إلّا توضّأ ويبتدىء بالسواك، وينوي تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلاة. وكان ﷺ يستاك في الليلة مرارًا وكان يقول: «عليكم بالسواك فإنّه مطهرة للفم ومرضاة للرب»(١). وعن علي رضي الله عنه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم. ثم يجلس للوضوء ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ويقول: أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّ أن يحضرون. ثم يقول: عند غسل يديه: اللّهمّ إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة. ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة، ويقول عند المضمضة: اللّهمّ أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك. ويقول عند الاستنشاق: اللّهمّ أوجدني رائحة الجنة وأنت عني راض. وعند الاستنثار: اللّهمّ إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار. ويقول عند غسل الوجه: اللّهم بيّض وجهي بنورك يوم تبيضّ وجوه أوليائك ولا تسوّد وجهي يوم تسودّ وجوه أعدائك. ويقول عند غسل اليد اليمنى: اللّهمّ أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابًا يسيرًا. ويقول عند غسل الشمال: اللّهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري. ويقول عند مسح الرأس: اللّهم غشني برحمتك وأنزل عليَّ من بركاتك، وأظلني تحت ظلّ عرشك، يوم لا ظلَّ إلّا ظلك. ويقول عند مسح الأذنين: اللّهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللّهم أسمعني منادي الجنة مع الأبرار. ويقول عند مسح الرقبة: اللّهم فكّ رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال. ويقول عند غسل الرجل اليمنى: اللّهم ثبّت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام في النار. ويقول عند غسل اليسرى: إني أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل أقدام المنافقين. فإذا فرغ عن الوضوء رفع رأسه إلى السماء وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله. سبحانك اللّهم وبحمدك لا إله إلّا أنت، عملت سوءًا وظلمت نفسي، أستغفرك وأتوب إليك فاغفر لي وتُبْ عليَّ إنّك أنت التواب الرحيم. اللّهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين، واجعلني صبورًا شكورًا، واجعلني أذكرك كثيرًا وأسبّحك بكرة وأصيلًا.

يقال: من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش، فلم يزل يسبّح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك يوم القيامة.

ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة

---

(١) الهيثمي، مجمع، كتاب الطهارة، باب في السواك، ١/ ٢٢٠، بلفظ «مطيبة» بدلاً من «مطهرة». وفي رواية أخرى دون لفظ «عليكم».

ينبغي أن يخطر بباله أنّه طهّر ظاهره، وهو مطمح نظر الخلق فينبغي أن يستحيي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرّب سبحانه، وليس تطهيره إلّا بالتوبة والخلو عن الأخلاق الذميمة. ألا ترى أنّ من قصد مناجاة ملك زيَّن ثيابه مهما أمكن، وطهَّره عن الألواث، ومع ذلك نجس وجهه الذي محلّ نظر الملك، هل يكون جديرًا للتعرض بالبوار عند السلطان، ومتصفًا بسخافة العقل عند الإخوان.

فأما كيفية الغسل والتيمم فمذكورة في كتب الفروع، ولنذكر هاهنا آداب التنظف عن الأوساخ والفضلات الظاهرة التي أهملها الفقهاء في كتب الفروع وهي نوعان: عارضي وطبيعي. أما الأول فثمانية.

الأول: يستحب غسل الرأس وترجيله وتدهينه إزالة للشعث.

والثاني يزيل ما في معاطف الأذن والصماخ من الدرن والأوساخ، لكن ينظفه برفق عند الخروج من الحمام فإنّ كثرة الدلك ربما يضر بالسمع.

والثالث والرابع وكذا ما في الأنف وما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان ويزيله بالسواك.

والخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل ويزيله بالغسل والتسريح بالمشط، ولكن ينبغي أن يكون قصده أنْ لا يزدريه العوام ولا تستصغره أعينهم لا التزين الذي هو المكروه للرجال. وإنّك ترى رجالًا من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أنّ قصدهم إرغام المبتدعة وإذلال المخالفين لا التزين. وهذا أمر باطن سوف ينكشف يوم تبلى السرائر، فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر.

والسادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل.

السابع تنظيف الرواجب وهي رؤوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ، كلّ هذه أمر رسول الله ﷺ بتنظيفها، فوقَّت للناس قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يومًا.

والثامن الدرن في جميع البدن ويزيله بالحمام. وقد دخلت الصحابة حمامات الشام حتى قال بعضهم: نعم البيت بيت الحمام، يطهر البدن ويذكر النار، روي ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري. وقال بعضهم: بئس البيت بيت الحمام، يبدي العورة ويذهب بالحياء، فهذا تعرض لآفته ولذلك لخصلته[1]، فلا بأس بطلب فائدته عند الأمن من آفته.

ولكن يجب عليه وظائف من الواجبات والسنن. أما الواجبات أن يصون فرجه عن نظر الغير، وعن مسّه لإزالة الوسخ وغيره خصوصًا ما بين السرّة والعانة. وما فوق الركبة، إذْ العوام لا يتحاشون عن كشفها بناءً على أنّها ليست بعورة غليظة بل التحريم لكونه من حماها فلا يتساهل في أمرها. ومنها أنْ يغضّ بصره عن عورة غيره ويمنعهم عن كشفها لأنّ النهي عن المنكرات واجب، ولمثل هذه الآفات صار الحزم ترك الحمام في هذه الأوقات. ولهذا يستحب تخلية الحمام لمن قدر عليها، وإنْ لم يقدر وأوجبت الضرورة الدخول فليستر عورته بإزار وليستر عينيه بإزار آخر ليحفظ عينيه عن عورة غيره. وأما النساء فالأفضل منعهن عن الحمام إذا وجد في البيت مستحم، وكذا إذا لم يوجد ولم تقع ضرورة. وإذا وقعت ضرورة ككونهن مريضة أو نساء فليتزرن بمئزر سابغ وليتحفظن مهما أمكن لهن.

فأما السنن فتحسين النية بأن لا يدخلها للتزين والهوى بل للتنظيف لأجل الصلاة. ويعطي

(١) كذا في الأصل.

الحمامي الأجرة قبل الدخول وهو الأفضل لرفع الجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه. وأما العوض الآخر فيستعمل من الماء قدر الحاجة، ومقدار الحاجة ما يعينها العرف، ويقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم، ويدخل وقت الخلوة. ويجوز أن يتكلف التخلية للضرورة، وإنْ لم يمكن فليدخل مع الاحتياط التام إذا وقعت ضرورة وإلّا فالاحتياط في الترك.

ومنها أن لا يسلم عند الدخول ولا يجيب السلام بل يقول: عافاك الله، وإنْ أجاب غيره يسكت. ولا بأس بأن يصافح في الداخل ويقول: عافاك الله لابتداء الكلام، ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن إلّا سرًّا. ولا بأس بالاستعاذة من الشيطان جهرًا. ويكره الدخول بين العشائين وقريبًا من الغروب فإنّ ذلك وقت انتشار الشياطين. ولا بأس بأن يدلكه غيره. وينبغي أن يتذكر في الحمام حرَّ جهنم وظلمته، ويتعظ بذلك. ومهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة، ومن منافعه الطيبة، وما قيل إنّ الحمام بعد النورة أمان من الجذام، وقيل النورة في كل شهر مرة تطفىء الحرارة وتنقّي اللون وتزيد في الجماع. وقيل بولة في الحمام قائمًا في الشتاء أنفع من شربة دواء. وقيل: نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء، وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس. ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذلك شربه.

وأمّا التنظف عن الفضلات الطبيعية فثمانية أيضًا:

الأول: حلق الرأس، ولا بأس به للتنظف ولا بأس بتركه لمن يدهن ويرجل، وأما القزعة في المفرق فممنوع لأنها من دأب أهل الشطارة، وكذلك يمنع إرسال الذوائب لغير الأشراف لأنّه من شعارهم فيكون تلبيسًا.

والثاني: قص الشوارب والأحاديث فيه كثيرة. وأما حلقها فلم يرد، وقيل: إنه مكروه وبدعة، ولا بأس بترك سباله لبعده عن الفم.

والثالث: نتف الإبط في كل أربعين يومًا وذلك سهل على من تعوّد ذلك ابتداءً. وأما من لم يتعود وتألّم بذلك فيكفيه الحلق إذ المقصود النظافة وذلك يحصل به.

الرابع: حلق العانة أو استعمال النورة ولا يتأخر عن أربعين يومًا.

الخامس: قلم الأظفار ويستحب ذلك لبشاعة صورتها، وإزالة ما يجتمع فيها من الأوساخ. وقد أمر بذلك رسول الله ﷺ وأنكر ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ.

السادس والسابع: قطع السرة في أول الولادة وقته[١] أن يثغر الولد مخالفة لليهود فإنّهم يختتون في اليوم السابع من الولادة، ولأنه أبعد عن الخطر. وقد ورد في الحديث: «ختان النساء مكرمة»[٢].

والثامن: ما طال من اللحية. قال الفقهاء: أخذ ما زاد على القبضة لا بأس به، قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين، واستحسنه الشعبي وابن سيرين والنخعي. قال بعضهم: تركها وإعفاؤها أحبّ، واختاره الحسن وقتادة، وذلك لقوله ﷺ: «اعفوا اللحى»[٣]، والمختار التوسط بأن لا ينتهي إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب وهذا إفراط في القص، وأن لا يطول طولًا مفرطًا يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبز إليه. ولذلك قيل: كلما طالت اللحية

(١) كذا في الأصل، وقد سقط ذكر الختان.
(٢) مسند أحمد، ٥/ ٧٥، بلفظ: «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء».
(٣) مسند أحمد، ٢/ ٣٨٧.

تشمر العقل. وقال الشاعر:

هـــلـــوفـــة يـــحـــمـــلـــهـــا مـــائـــق
مـــقـــلـــوب هـــرون بـــهـــا لائـــق

والهلوفة بكسر الهاء وتشديد اللام المفتوحة وواو ساكنة ثم فاء مفتوحة اللحية الطويلة. وما اشتهر بين الطلاب من القاف بدل الفاء فغلط. والمائق هو الأحمق ومقلوب هرون نوره.

واعلم أنَّ اللحية فيها عشر خصال مكروهة، بعضها أشد من بعض.

أحدها: خضابها بالسواد فهو منهي عنه. وأول من خضب بالسواد فرعون. وعن النبي ﷺ: «الخضاب بالسواد خضاب الكفار»(١). وفي رواية «خضاب أهل النار»(٢)، وغير ذلك من الأحاديث. تزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وأطلقوا على أنّه كان خضب لحيته، فرد عمر نكاحه وأوجعه ضربًا وقال: غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك. إلَّا أنْ يخضب لأجل الغزو فحينئذٍ يجوز إنْ صحت النية ولم يكن فيه هوى ولا شهوة، وقد فعله بعض العلماء للغزو.

ثانيها: تبييضها بالكبريت استعجالًا لإظهار علو السِّنّ توصلًا إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ، وإظهارًا لكثرة العلم وترفعًا عن الشباب، وكل هذا منهيّ عنه للكذب والزور مع إظهار الحمق في إظهار العلم، لأنّ كثرة العلم لا تحصل بطول السّن ولا تنقص بالشباب، بل العلم غريزة تقوى بالشباب. وكان عمر يقدّم ابن عباس على مشيخة الصحابة ويسأله دونهم، وكان ابن عباس يقول: ما آتى الله سبحانه عبدًا علمًا إلّا شابًا، والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾(٣)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(٥). وكان أنس يقول: قبض رسول الله ﷺ في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. فقيل له: يا أبا حمزة، وقد أسنّ، فقال: لم يشنه الله عز وجل بالشيب. وقيل: أو يشين هو فقال: كلكم يكرهه. ويقال إنّ يحيى بن أكثم ولّي القضاء وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه: كم سِنّ القاضي أيده الله؟ وأراد أن يرميه بصغر السِّن فقال: سن عتّاب بن أسيد حين ولي أمارة مكة وقضاءها فأفحمه. قال مالك: قرأت في بعض الكتب: لا يغرنكم اللحى فإنّ التيس له لحية. وقال عليّ بن الحسين: من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه وإن كان أصغر سنًا منك.

الثالث: الخضاب بالحمرة والصفرة جائز للغزو والجهاد. وأيضًا ورد في الحديث: «الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين»(٦). وكان السلف يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة، فمن لبس نفسه بالتشبه بالصالحين فهو مذموم كما أنّه مذموم للتزين وبغض الشيب.

الرابع: نتف بياضها استنكافًا من الشيب وهو نور المؤمن، وهذا منهيّ عنه كالخضاب بالسواد في العلة.

الخامس: نتفها في أول الشباب تشبيهًا بالمرد فهو من المنكرات الكبار، ونتف بعضها بحكم

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الطهارة، باب وفي اللحية عشر خصال مكروهة، ٢/ ٤٢٠.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الطهارة، باب وفي اللحية عشر خصال مكروهة، ٢/ ٤٢٠.
(٣) الأنبياء/ ٦٠.
(٤) الكهف/ ١٣.
(٥) مريم/ ١٢.
(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب أسرار الطهارة، باب وفي اللحية عشر خصال مكروهة، ٢/ ٤٢١.

العبث والهوس مكروه ومشوه للخلقة. وكان.. [١] ينتف فكّيه فرد عمر شهادته، وكذا رد ابن أبي ليلى قاضي المدينة، سيّما واللحية زينة الرجال. يقال: إنّ لله تعالى ملائكة يقسمون: والذي زيَّن بني آدم باللحى، وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس والاحتشام عن التعرض لعرضه. قال أصحاب الأحنف: وددنا أنْ نشتري للأحنف لحية بعشرين ألفًا. وقال شريح القاضي: وددت أنَّ لي لحية بعشرة آلاف درهم. وكان الأحنف وشريح من السادات الطّلس، وهو جمع الأطلس، وهو من لا شعر في وجهه وهم أربعة، والباقيان هما: عبد الله بن الزبير[٢] وقيس بن سعد بن عبادة[٣].

السادس: تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزيين للنساء والتصنع وهذا مكروه.

السابع: الزيادة في اللحية وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى، أو ينتهي إلى نصف الخط، وذلك يباين هيئة أهل الصلاح.

الثامن: تسريحها لأجل الناس. قال بشر: في اللحية شركان: تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لإظهار الزهد.

التاسع والعاشر: النظر إلى سوادها وبياضها بعين التعجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن، بل في جميع الأخلاق والأفعال. وسيأتي تفصيل ذلك بعون الله تعالى.

علم الاشتقاق[*]:

وهو العلم الباحث عن كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض بسبب مناسبة بين المخرَج والخارج بالأصالة والفرعية باعتبار جوهرها. وإنما ذكرنا هذا القيد إذْ يبحث في الصرف أيضًا عن الأصالة والفرعية بين الكلم لكن لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة، مثلًا يبحث في الاشتقاق عن مناسبة نعق ونهق، وهذا مختص بالجوهر فقط، ويبحث في الصرف عن المناسبة لا بحسب الجوهرية بل بحسب الهيئة، لأنّه باحث عن الهيئات بالاتفاق. وبهذا يظهر امتياز العلمين. ومن توهّم اندراج الاشتقاق في الصرف يلزم أن يؤخذ فيه ما ليس له مدخل في الهيئة، لكنه ليس كذلك اتفاقًا. وبهذا عرفت ما في بعض شروح المفتاح[٤] حيث توهّم درج الاشتقاق في الصرف. والتفصيل هناك في تعليقاتنا على شرح المفتاح[٥].

وموضوعه المفردات من الحيثية المذكورة.

---

(١) هنا سقط في الأصل، وكذا في النسخة المصرية.

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن الأشيم الأسدي، توفي عام ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م. شاعر أموي، متعصب لها. له شعر جيد، وخاصة في الهجاء.
الأعلام ٤/ ٨٧، خزانة الأدب ١/ ٣٤٥، الجمحي ١٤٦، مختار الأغاني ٧/ ٣٢٥.

(٣) هو قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، أبو القاسم. توفي عام ٨٥ هـ أيام عبد الملك بن مروان. خدم النبي ﷺ عشر سنين. وقاتل مع الإمام علي يوم صفين.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٠١، ابن سعد ٦/ ٥٢، الاستيعاب ٢/ ١٢٨٩، تاريخ بغداد ١/ ١٧٧، أسد الغابة ٤/ ٢١٥، الإصابة ٣/ ٢٤٩.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى فيما يتعلق بالمفردات، ضمن شعب الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ـ ٦٢٦ هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٧٦٢.

(٥) شرح للمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاشكبرى زادى (ـ ٩٦٢ هـ) على مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ـ ٦٢٦ هـ) كشف الظنون ٢/ ١٧٦٤.

ومن جملة مبادئه: قواعد مخارج الحروف، ومسائله القواعد التي يعرف منها أنّ الأصالة والفرعية بين المفردات بأي طريق يكون وبأي وجه يعلم. ودلائله مستنبطة من قواعد علم المخارج، وتتبع مفردات ألفاظ العرب واستعمالاتها.

وغرضه تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب على وجه الصواب.

وغايته الاحتراز عن الخلل في الانتساب الذي يوجب الخلل في ألفاظ العرب.

واعلم أنّ مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة وانتساب البعض إلى البعض على وجه كلّي، إنْ كان في الجوهر فالاشتقاق، وإن كان في الهيئة فالصرف، ويعلم من هذا الفرق بين هذه العلوم الثلاثة، وأنّ الاشتقاق كالبرزخ بين الباقيين. ولهذا استحسنوا تقديمه على الصرف وتأخيره عن اللغة. وهذا الفرق قد اشتبه على كثير من الفضلاء حتى شرّاح المفتاح، فتدبّر فيه فإنه من الفوائد المهمة.

واعلم أنَّ هذا العلم كثيرًا ما يذكر في كتب التصريف، وقلّما يدوّن مفردًا عنه، إمّا لقلّة قواعده أو لاتصالهما في القواعد واشتراكهما في المبادىء، حتى أنّ هذا من جملة البواعث على اتحادهما حيث لم يعرفوا أنّ الاتحاد في التدوين لا يستلزم الاتحاد في نفس الأمر، إذْ كثيرًا ما يدوّن عدة فنون في كتاب واحد. ولهذا لم نذكر مصنفات علم الاشتقاق، واكتفينا بذكر مصنفات علم الصرف.

علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام(*)

وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ورفع الشبه عنها. وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته عند المتقدّمين. وقيل موضوعه الموجود من حيث هو موجود، وإنما يمتاز عن العلم الإلهي الباحث عن أحوال الموجود المطلق باعتبار الغاية، لأنّ البحث في الكلام على قواعد الشرع وفي الإلهي على مقتضى العقول. وعند المتأخرين موضوع الكلام المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية تعلقًا قريبًا أو بعيدًا، أو أرادوا بالدينية المنسوبة إلى دين نبيّنا محمد صلوات الله عليه وسلامه، وذلك بأنْ يسلّم المدعى منه ثم يقام عليه البرهان العقلي. وهذا التسليم هو معنى التديّن اللائق بحال المكلفين، حتى لو لم يؤخذ منه لا يعدّ كلامًا ولا علمًا دينيًا وإن وافقه في الحقيقة لفوات أمر التديّن، بل يعدّ من العلوم الحكمية. وبالجملة يشترط في الكلام أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل، وأنّ تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسُّنة. ولو فات أحد هذين الشرطين لا يُسمّى كلامًا أصلًا.

ولما لم يلزم من قصد موافقة الشرع الموافقة في نفس الأمر عدّ بعضهم كلام أهل الاعتزال من الكلام وإن لم يوافق الكتاب والسُّنة، فظهر من هذا التفصيل أنَّ الكلام من العلوم الشرعية. لكن إذا كان[1] على طريقة الكتاب والسُّنة، وأنّ هناك كلامًا مموّهًا يشبه الكلام وليس بذاك ككلام أهل الاعتزال وأمثاله، فذلك علم شرعي باعتبار مسائله وغير شرعي باعتبار دلائله.

ومنفعة علم الكلام الفوز بالسعادة الأبدية والسيادة السرمدية.

ومبادئه العلوم الشرعية بأسرها، وكذا الصناعات المنطقية. وجعل بعضهم المنطق داخلًا فيه لئلّا يحتاج أعلى العلوم الشرعية إلى علم غير شرعي، ولا حجر فيه، لأنَّ أمر التدوين

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الخامسة من شعب العلوم الشرعية ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) في النسخة المصرية: إن كانت.

استحساني، ولكل أحد أن يعمل بما استحسنه طبعه. ومن قال: المنطق علم غير شرعي، إنْ أراد بذلك ما يخالف الشرع فهذا من عدم الوقوف على المسائل المنطقية، وإن أراد أنه غير مأخوذ من الشرع صورة فليس كذلك إذ كم من أقيسة برهانية واردة في الشرع. وإن أراد أنه مما وضعته الفلاسفة مادة فليس في ذلك نقص بعد إن لم يخالف الشرع. مثلًا علم الحساب الذي وضعته الفلاسفة له مدخل عظيم في كثير من الأمور الشرعية ولم يقدح فيه أحد من علماء الشريعة.

ثم إنّ المعتبر في علم الكلام إثبات ما ورد في الشرع بالعقل فقط إذا توقّف الشرع على تلك المسئلة، أو بالعقول والشرع معًا إذا لم يكن كذلك. وأما إثبات ما لم يرد في الشرع أصلًا، فإمّا أن يخالف الشرع فإيراده في كتب الكلام ليس إلّا لردّه، وإمّا أنْ لا يخالفه فإيراده في كتب الكلام إنْ وقع فاستطرادي، أو ردّ لتتميم الصناعة إن وقع من مبادئه وإلّا فلا يورد فيه أصلًا.

ثم اعلم أنّ رئيس أهل السُّنة والجماعة في علم الكلام رجلان: أحدهما حنفي والآخر شافعي.

أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي إمام الهدى. له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب تأويلات القرآن، وله كتب في الردّ على المعتزلة والقرامطة والروافض. وله كتاب مأخذ الشرائع في أصول الفقه وكتاب الجدل وأصول الفقه. مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة(١)، وتخرّج بأبي نصر العياضي(٢).

وأما الآخر الشافعي فهو شيخ السُّنة ورئيس الجماعة إمام المتكلمين وناصر سُنة سيد المرسلين، والذّابّ عن الدين والسّاعي في حفظ عقائد المسلمين، أبو الحسن الأشعري البصري، إمام حَبْرٌ تقي بَرّ، ينقي الصدور من الشُّبه كما ينقي الثوب الأبيض من الدَّنس، والمرتقى بأنوار اليقين من الوقوع في ورطات ما التبس، حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفترى الذي قام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصرًا مؤزرًا؛ ولد سنة ستين ومائتين، وتبع أولًا مذهب الجبائي واستمر على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إمامًا. فلما أراد الله نصر دينه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام ثلاث مرات، وكل ذلك يقول أنصر المذاهب المروية عني فإنّها الحقّ، واعتذر في الثالثة بأني كيف أدع مذهبًا تصوّرت مسائله وعرفت دلائله منذ ثلاثين سنة. فقال صلّى الله عليه وآله وسلم: لولا أني أعلم أنّ الله يمدّك بمدد من عنده لما أمرتك به، ثم استيقظ وقال: فماذا بعد الحق إلّا الضلال. وأخذ في نصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة وغير ذلك، فأمده الله تعالى بمدد من عنده. وكان يفتح عليه من المباحث والبراهين ما لم يسمعه من شيخ قط ولا اعترف به خصم ولا رآه في كتاب، فغاب عن الناس في بيته خمسة عشرة يومًا ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال: معاشر الناس، إنّما تغيَّبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به، ودفع الكتب التي ألَّفها على مذاهب أهل السُّنة إلى الناس. وكانت المعتزلة قبل ذلك كانوا قد

(١) للمزيد، انظر ترجمته في: تاج التراجم ٤٣، الجواهر المضية ٢/ ١٣٠، الفوائد البهية ١٩٥، وغيرها.
(٢) هو أحمد بن العباس بن الحسين بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، فقيه سمرقند، مات قتلاً. انظر عنه: الجواهر المضيئة ١/ ٢٧٠، ٢/ ٥٥.

رفعوا رؤوسهم فحجرهم الأشعري حتى دخلوا في أقماع السمسم. والصحيح أنّ وفاة الشيخ الأشعري بين العشرين والثلاثين، والأقرب أنّها سنة أربع وعشرين. ويقال سنة نيف وثلاثين وثلاث مائة[١].

واعلم أنّ السلف من الفقهاء والمجتهدين قد ينقل عنهم النكير في حق علم الكلام حتى أنّ كثيرًا من فقهاء عصرنا أنكروا على المشتغلين بعلم الكلام أشدّ الإنكار، متمسكًا بما ورد في ذلك عن العلماء الأخيار، حتى انزعج منه المحصلون وشوّشوا اعتقادهم في حقّ علم الكلام، فوجب علينا الكلام في الكلام، ليتميز كلام أهل السُّنة عن كلام العوام، وبيان ما وقع في الفتاوى من الأحكام، ودفع ما سبقت إليه الأفهام من الأوهام وبالله التوفيق والإعلام. فلننقل أولًا ما ورد عن المجتهدين من النقول، ثم نورد ما قيل أو نقول.

قال قاضي خان[٢] في فتاواه[٣] في كتاب الحظر والإباحة: تعلم الكلام والنظر فيه والمناظرة به وراء قدر الحاجة منهي عنه، لما رُوي عن حماد بن أبي حنيفة[٤] رحمه الله أنه كان يتكلم في الكلام فنهاه أبوه عن ذلك، فقال له حماد: رأيتك وأنت تتكلم، فما بالك تنهاني؟ فقال: يا بني، كُنّا نتكلم وكلّ واحد منا كان الطير على رأسه مخافة أن يزلّ صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون، كلّ واحد يريد أن يزلّ صاحبه. ومن أراد أن يزل صاحبه فكأنه أراد أنْ يكفر، ومن أراد أن يكفر صاحبه فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه.

روى يحيى بن شيبان عن أبي حنيفة رحمه الله أنّه قال: كنت رجلًا أعطيت جدلًا في الكلام، فمضى دهر فيه أتردّد وبه أخاصم وعنه أناضل. وكان أكثر أصحاب الخصومات بالبصرة، فدخلتها نيفًا وعشرين مرة، أقيم سنة وأقل وأكثر، وكنت قد نازعت طبقات الخوارج من الإباضية[٥] وغيرهم وطبقات المعتزلة وسائر طبقات أهل الأهواء، وكنت بحمد الله أغلبهم وأقهرهم، ولم يكن في طبقات أهل الأهواء أحد أجدل من المعتزلة، لأن ظاهر كلامهم مموّه تقلبه القلوب، وكنت أزيل تمويههم بمبدأ الكلام. وأما الروافض وأهل الإرجاء الذين يخالفون الحقّ فكانوا بالكوفة أكثر، وكنت قهرتهم بحمد الله أيضًا، وكنت أعدّ الكلام أفضل العلوم وأرفعها، فراجعت نفسي بعدما مضى فيه عمر، وتدبرت فقلت: إنّ المتقدمين من أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلم والتابعين وأتباعهم لم يكن يفوتهم شيء مما ندركه نحن وكانوا عليه أقدر وبه أعرف وأعلم بحقائق الأمور. ثم لم يتهيأوا فيه متنازعين ولا مجادلين، ولم يخوضوا فيه بل أمسكوا عن

---

(١) للمزيد، انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٦، وفيات الأعيان ١/ ٤١٢، طبقات الشافعية ٢/ ٣٤٥، البداية والنهاية ١١/ ١٨٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٠٣.

(٢) قاضي خان: هو حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز، فخر الدين المعروف بقاضي خان الأوزجندي الفرغاني. توفي عام ٥٩٢ هـ/ ١١٩٦ م. فقيه حنفي، له العديد من المؤلفات. الأعلام ٢/ ٢٢٤، الفوائد البهية ٦٤، الجواهر المضيئة ١/ ٢٠٥.

(٣) للإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني. (ـ ٥٩٢ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٢٢٧.

(٤) حماد بن أبي حنيفة: هو حماد بن أبي حنيفة الإمام. توفي عام ١٧٦ هـ. روى عن أبيه وغيره. عالم صالح، ورع. وله أخبار.
انظر عنه سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٣.

(٥) الإباضية: لمزيد من التفصيل عن هذه الفرقة ومعرفة مبادئها ومعتقداتها، انظر ما ذكره: الفرق بين الفرق ١٠٣، الملل والنحل ١٣٤، مقالات الإسلاميين ١/ ١٧٠، التبصير في الدين ٣٤، المعارف لابن قتيبة ٦٢٢، مروج الذهب ٣/ ٢٥٨.

ذلك، ونهوا أشدّ النهي. ورأيت خوضهم في الشرائع وأبواب الفقه وكلامهم فيها، وعليها تجالسوا وإليها دعوا، وكانوا يطلبون الكلام والمنازعة فيها، ويتناظرون عليها، وعلى ذلك مضى الصدر الأول من التابعين وتبعهم. فلما ظهر لنا من أمورهم ذلك تركنا المنازعة والخوض في الكلام ورجعنا إلى ما كان عليه السلف، وشرعنا فيما شرعوا، وجالسنا أهل المعرفة بذلك، مع أني رأيت ممن تنحّل الكلام وتجادل فيه قومًا ليس سيماؤهم سيماء المتقدّمين ولا منهاجهم منهاج الصالحين، رأيتهم قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسُّنة والسّلف الصالح فهجرتهم ولله الحمد. كذا ذكر الامام ظهير الدين المرغيناني(١) في مناقب الإمام الأعظم(٢) ذكره في كشف البزدوي(٣).

وأما إنكار الإمام أبي يوسف، فقد ذكر في فتاوى قاضي خان في فصل الاقتداء: وعن أبي يوسف رحمه الله لا ينبغي للقوم أن يؤمّهم صاحب خصومة في الدين، وإن صلى رجل خلفه جاز. قال الفقيه أبو جعفر(٤). يجوز أن يكون مراد أبي يوسف الذين يناظرون في دقائق علم الكلام. وعن أبي يوسف رحمه الله: من طلب الدين بالخصومات فقد تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء فقد أفلس، ومن طلب غريب الحديث فقد كذب. ذكر في الخلاصة(٥) ومجمع الفتاوى(٦) أنه أراد به كلام الفلاسفة وكلام الخصومة. فأما المناظرة على وجه الإظهار للحق على ما قال عزّ وجلّ ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(٧) فلا كراهة فيها بل هي المأمور بها. ويؤيده ما ورد في التترخانية(٨) في كراهية جماعة الاشتغال بعلم الكلام قال: وتأويله عندنا أنّه كره المناظرة والمجادلة لأنها تؤدي إلى إثارة الفتن والبدع وتشويش العقائد، أو يكون الناظر فيه قليل الفهم أو طالبًا للغلبة لا للحق.

وأمّا معرفة الله تعالى وتوحيده، ومعرفة النبوة، والذي ينظر فيه من العقائد، فلا يمنع عنها، وكان من فروض الكفاية. وقال في فتاوى قاضي خان عن أبي يوسف رحمه الله أيضًا أنّه دخل على هارون(٩) وعنده إثنان يتناظران في الكلام، فقال هارون لأبي يوسف رحمه الله:

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، للإمام ظهير الدين المرغيناني (ـ ٥٩٣ هـ) كشف الظنون ٢/١٨٣٧.

(٣) أصول الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزودي الحنفي (ـ ٤٨٢ هـ) من شروحه: شرح للشيخ الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي (ـ ٧٣٠ هـ) وسماه كشف الأسرار. كشف الظنون ١/١١٢.

(٤) الفقيه أبو جعفر: هو الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري. أبو جعفر. ولد بطبرستان عام ٢٢٤ هـ/٨٣٩ م. وتوفي ببغداد عام ٣١٠ هـ/٩٢٣ م. مفسر، مؤرخ، فقيه. له بعض المؤلفات الهامة. الأعلام ٦/٦٩. إرشاد الأريب ٦/٤٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/٣٥١، وفيات الأعيان ١/٤٥٦.

(٥) خلاصة الفتاوى للشيخ الإمام طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري (ـ ٥٤٢ هـ). كشف الظنون ١/٧١٨.

(٦) لأحمد بن محمد بن أبي بكر الحنفي (ـ ؟هـ). كشف الظنون ٢/١٦٠٣.

(٧) النحل/ ١٢٥.

(٨) تاتارخانية في الفتاوى للإمام الفقيه عالم بن علاء الحنفي. كشف الظنون ١/٢٦٨.

(٩) هارون: هو هارون الرشيد ابن محمد المهدي ابن المنصور العباسي، أبو جعفر، ولد عام ١٤٩ هـ/٧٦٦ م. وتوفي عام ١٩٣ هـ/٨٠٩ م. خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم، عالم بالأدب والأخبار والحديث والفقه، فصيح، له شعر حسن، وأخباره مشهورة. انظر عنه:
الأعلام ٨/٦٢، البداية والنهاية ١٠/٢١٣، اليعقوبي ٣/١٣٩، الطبري ١٠/٤٧، تاريخ الخميس ٢/٣٣١، تاريخ بغداد ١٤/٥.

أحكم بينهما. فقال أبو يوسف رحمه الله: إنّي لا أخوض فيما لا يعني. فقال الخليفة: أحسنت، وأمر له بمائة ألف درهم، وأمر أنْ يكتب في الديوان اسمه، أنّ أبا يوسف رحمه الله أخذ مائة ألف درهم بترك ما لا يعني، ذكره في خلاصة النوازل[١].

وقال في غياث المفتي[٢]: رأيت بخط شمس الأئمة الحلواني عن أبي يوسف رحمه الله أنّه لا تجوز الصلوٰة خلف المتكلّم، وإنْ تكلّم بحق فهو مبتدع، ولا تجوز الصلوٰة خلف المبتدع. فعرضت هذه الرواية على أستاذي، قال: تأويله أن لا يكون غرضه إظهار الحق. قال رحمه الله: ما قاله أستاذنا، ما رأيت في تلخيص الإمام الزاهد إبراهيم بن إسمعيل الصفار[٣]: كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يكره الجدال على سبيل البحث لا على سبيل الحق، حتى روي عن أبي يوسف رحمه الله قال: كنا جلوسًا عند أبي حنيفة رحمه الله إذْ دخل جماعة في أيديهم رجلان، فقالوا: إنّ أحد هذين يقول القرآن مخلوق، وهذا ينازعه، ويقول: إنّه غير مخلوق، فقال أبو حنيفة رحمه الله: لا تصلوا خلفهما. فقلت: أمّا الأول فنعم، فإنّه يقول بقدم القرآن. وأمّا الآخر فما باله لا نصلّي خلفه؟ قال أبو حنيفة رحمه الله: إنّهما تنازعا في الدين، والمنازعة في الدين بدعة.

وأمّا الإمام مالك فقد قال: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء. وقال بعض أصحابه: أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا.

وأمّا الإمام الشافعي رحمه الله فقد روي عنه أنّه قال: لو يعلم الناس ما في علم الكلام من الأهواء لفرّوا منه فرارهم من الأسد. قال ابن عبد الأعلى[٤]: سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا القرد[٥] وكان من متكلمي المعتزلة، يقول: لأن يلقى الله تعالى عبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أنْ يلقاه بشيء من الكلام. وقال أيضًا مغضبًا لما سئل عن شيء من الكلام: سَلْ عن هذا حفصًا القرد وأصحابه أخزاهم الله. قيل لما مرض الشافعي رحمه الله دخل عليه حفص القرد فقال له: من أنا؟ قال له: أنت حفص القرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه. وقال أيضًا: حكمي في أهل الكلام أنْ يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال هذا جزاء من ترك السُّنة وأخذ في الكلام. وقال أيضًا إذا سمعت الرجل يقول: الاسم هو المسمى أو غيره فاشهد

---

(١) النوازل: هو كتاب النوازل في الفروع للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي الحنفي (ـ ٣٧٦ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٨١.

(٢) غياث المفتي: هو الغياثية في الفتاوى. ذكره التاتارخانية. كشف الظنون ٢/ ١٢١٣.

(٣) ابراهيم بن اسمعيل الصفار: هو ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد، أبو إسحاق، ركن الإسلام البخاري الصفار. توفي ببخاري عام ٥٣٤ هـ/ ١١٣٩ م. فقيه حنفي، زاهد، عالم. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٢، الفوائد البهية ٧، المخطوطات المصورة ١/ ١٢١.

(٤) ابن عبد الأعلى: هو عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي، أبو محمد القرشي البصري. توفي عام ١٨٩ هـ إمام محدث حافظ ثقة. وله أخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٤٢، ابن سعد ٧/ ٢٩٠، العبر ١/ ٣٠٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٣١.

(٥) لعله حفص ابن القوام أو حفص القرم، من متكلمي المعتزلة، من الطبقة الخامسة، وكان من أصحاب عمرو بن عبيد، ويرى رأيه في مسائل العقيدة.
انظر: طبقات المعتزلة ٤٢، البيان ١/ ٢٥.

أنّه من أهل الكلام ولا دين له. وقال أيضًا: قد أطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط، ولأن يلقي العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام.

وأمّا الإمام أحمد رحمه الله فقد قال: لا يفلح صاحب الكلام أبدًا، ولا ترى أحدًا ينظر في الكلام إلّا وفي قلبه مرض. وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي[1] مع زهده وورعه لتصنيفه كتابًا في الرّد على المبتدعة، وقال له: ويحك! ألست تحكي بدعتهم أولًا وتردّ عليهم. ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالب كلام أهل البدعة والتفكر فيه، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث. وقال أحمد أيضًا: علماء الكلام زنادقة.

إذا عرفت هذه النقول المروية عن العلماء المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فاعلم أنّ الحقّ في هذا المقام يتوقف على تعيين مباحث علم الكلام ومعرفة ما يدور عليها من الأحكام. وقد عرفت أنّ علم الكلام باحث عن ذات الله تعالى وصفاته، والنبوّة، والمعاد على قانون الإسلام. ولا يخفى أنّ هذه المسائل أصل العلوم الشرعية ورأسها، ومبنى العلوم الدينية وأساسها، بل هي تفصيل الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على وجه الإيقان والإتقان، بل هي هذه المرادة بالإيمان في حديث جبرئيل عليه السلام حين سأل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان على ما بيناه في صدر الرسالة ورويناه عن صدر الرسالة.

ولا يخفى أنّ معرفة هذه المباحث على وجه الإجمال فرض عين على كلّ مسلم، وعلى وجه التفصيل من فروض الكفايات، أو فرض عين على الاختلاف في ذلك بين الحنفية والشافعية. فإنّه فرض كفاية عند الحنفية، وفرض عين عند الشافعية. فلا يجترىء أحد من المسلمين على منعه وتحريمه فضلًا عن العلماء المجتهدين والفضلاء المتورعين. وإنّما يتداخله الحرمة والكراهة لأحد أمور ثلاثة: إمّا من جهة إدخال مسائل لا توافق الكتاب والسُّنة كخلط مباحث الفلسفة المخالفة للكتاب والسُّنة، وإمّا من جهة إثبات مسائله لا على وجه يوافق الكتاب والسُّنة بل يجري على وفق العصبية والهوى، ككلام المعتزلة والمرجئة والروافض وأمثالهم، وإمّا من جهة أنّ علم الكلام له قوة قاهرة وقدرة باهرة في دفع الخصوم وقمع الأعداء، فلعله يداخل صاحبه العجب والهوى من حيث لا يشعر. ولهذا يشترط أنْ لا يعلم العالم علم الكلام إلّا بعد تزكية أخلاق المتعلم وإخلائه عن الهوى والبدعة، وإشراب قلبه عقائد واردة في الكتاب والسُّنة تقليدًا، ثم يثبتها ببراهين واردة في علم الكلام.

فهذه آفات ثلاث، الأوليان منها خاصة بعلم الكلام، والثالثة عامة له ولغيره. نجانا الله تعالى وإياكم عن الآفات القادحة في الاعتقاد والقول والعمل، وتجاوز عنا وعنكم الخطأ والخطل، إنّه الكريم المنان، والرحيم المستعان.

ولا يخفى أنّ الكلام المؤوف بالآفة الأولى لا يكون كلامًا أصلًا لما عرفت في تعريف علم الكلام أنّ العقائد لا بدّ وأنْ تؤخذ من الكتاب والسُّنة فتسميته كلامًا نزاع لفظي، فلا مغمز في كلامنا بتحريمه والمنع عنه.

وأمّا الكلام المؤوف بالآفة الثانية وإنْ كان داخلًا في الكلام لكنه كلام مموه مذموم كما

(١) الحارث المحاسبي: هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، توفي ببغداد عام ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧ م. من أكابر الصوفية، عالم بالأصول والمعاملات. له تصانيف كثيرة ومتنوعة. انظر عنه: الأعلام ٢/ ١٥٣، صفة الصفوة ٢/ ٢٠٧، ميزان الاعتدال ١/ ١٩٩، حلية الأولياء ١/ ١٢٦.

عرفت فيما سبق. فالطعن فيه والإنكار عليه لا يضر كلامنا قطعًا.

وأمّا الكلام المؤوف بالآفة الثالثة وإنْ كان مذمومًا لكن لا يختص بالكلام فذمّه بها من بين غيره من المعلوم لا يعرى عن العدول عن الإنصاف، وأيضًا هذا الذمّ إنْ كان فإنّما يكون في الباحث عنه لا في العلم نفسه، إذْ كم من عالم بالكلام عارٍ عن الهوى والعصبية، وكم من عالم بغيره من العلوم متصف بهما، فأخذ الكلام بذلك أخذ الجار بذنب الجار، وكأن لسان حال الكلام يقول في مقابله هذا الملام:

غيري جنى وأنا المعاقَب فيكم
فكأنني سبابة المتندم

هذا ولعل ما وقع من الإنكار من العلماء الأبرار كان على الآفتين الأوليين لا على علم الكلام نفسه. وكيف لا، وعلماء الكلام قد شرطوا في الكلام الخلو عنهما. وأمّا الآفة الثالثة فلا اختصاص لها بالكلام أصلًا، فقد اتضح لديك أنّ نهي أبي حنيفة رحمه الله ابنه عن الكلام كان لأجل الآفة الثانية، لأنّه جعل سبب الحرمة الجدال واتباع الهوى، وكذا ما حكاه عن نفسه من المنازعة فإنّما وقعت له مع أهل الاعتزال والإرجاء وأمثالهما. فالمذموم كلام أهل العصبية والهوى. وأمّا كفّه نفسه آخرًا عن الجدال معهم مع أنّ الجدال بالتي هي أحسن مأمور به في الشرع، فلإفضائه إلى الاشتغال به وراء قدر الحاجة، وذلك منهي عنه، لأنّ قدر الحاجة منه تأييد الكتاب والسُّنة بالأدلة العقلية وليس وراءه إلّا المباحث الفلسفية، لأنّ علم الكلام يتاخم علم الحكمة ويجاوره. فربما يتجاوز الطالب بالإفراط فيه إلى المباحث الحكمية وهذه منهي عنها. ولكن إنْ بحث عنها على وجه التسليم والقبول. وأمّا البحث عنها لكونها مبادىء علم الكلام أو لأجل ردّها فذلك غير منهي عنه كما عرفت فيما سبق. وأيضًا قول أبي حنيفة رحمه الله مع أنّي رأيت من تنحّل بالكلام وتجادل فيه ليس سيماؤهم سيماء المتقدمين، ولا منهاجهم منهاج الصالحين، رأيتهم قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم، لا يبالون مخالفة الكتاب والسُّنة، يدلّ دلالة صريحة على أنّه أراد بالكلام المذموم كلام أهل الاعتزال الشائع في زمانه. وأمّا الكلام الذي ظهر في العصر الأخير بالمساعي الجميلة من جهة أبي الحسن الأشعري فكلّ الغرض فيه موافقة الكتاب والسُّنة واقتداء أهل السُّنة والجماعة. فكيف يسوغ القول بحرمته أو كراهته والحالة هذه؟ على أنّ أبا حنيفة رحمه الله نفسه تكلم في علم الكلام مثل: كتاب الفقه الأكبر وكتاب العالم والمتعلم، إذْ صرَّح فيهما بأكثر مباحث علم الكلام، وما قيل إنّهما ليسا له بل لأبي حنيفة البخاري فمن اختراعات المعتزلة زعمًا منهم أنّ أبا حنيفة رحمه الله على مذهبهم. وقد ذكر العلامة حافظ الدين البزازي في كتابه في مناقب أبي حنيفة[1] رحمه الله: إنّي رأيت بخط العلامة مولانا شمس الدين الكردي البراتقيني العمادي[2] هذين الكتابين وكتب فيهما إنهما لأبي حنيفة. وقد تواطأ أيضًا على ذلك جماعة كثيرة من المشائخ مثل فخر الإسلام البزدوي[3]

---

(١) مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه. للإمام محمد بن محمد الكردري المعروف بالبزازي (ـ ٨٢٧ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٣٧.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) فخر الإسلام البزدوي: هو علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، فخر الإسلام البزدوي. ولد عام ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠ م. وتوفي عام ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩ م فقيه أصولي. من أكابر الحنفية في عصره. له تصانيف كثيرة وهامة. الأعلام ٤/ ٣٢٨، الفوائد البهية ١٢٤. الجواهر المضيئة ١/ ٣٧٢.

ذكرهما في أصوله[١]، ومثل الشيخ عبدالعزيز البخاري[٢] ذكرهما في شرح أصول فخر الإسلام[٣]. ثم قال حافظ الدين البزازي: والحاصل أنّ الإمام بين العلماء كإبراهيم بين الأنبياء عليهم السلام، لأنّ كل ملة يدّعي أنّ الخليل كان على ذلك الدين. قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾[٤]. كذلك ما كان الإمام معتزليًا ولا قدريًا إنّما كان سُنيًّا حنيفيًا ومتّبعوه كانوا حنفيين[٥]، هذا كلامه.

وأمّا ما روي عن أبي يوسف: من طلب الدين بالخصومات فقد تزندق، فقد أراد به الآفة الأولى كما فسّره بذلك في الخلاصة ومجمع الفتاوى، حيث قال: أراد به كلام الفلاسفة. وأيضًا ما صدر عنه في مجلس هارون إمّا كلام الفلاسفة أو كلام أهل الاعتزال لا كلام أهل السُّنة والجماعة، لما ستعرفه من أنّ أهل عصره كانوا على مذهب الاعتزال. وأمّا ما ذكر في غياث المفتي من أنّ المتكلم بحقّ فهو مبتدع فقد أوّلوه بأنْ لا يكون غرضه إظهار الحق.

وحاصله أنّ الكلام وإنْ سلم عن الآفتين الأوليين لكنه إذا لم يسلم عن الآفة الثالثة يكون مبتدعًا أيضًا، وكذا ما روى أبو يوسف عن أبي حنيفة رحمه الله أنّ المنازعة في الدين بدعة وإنْ تكلم بحق، فقد أراد الحكم بالبدعة لمن له الآفة الثالثة. وكذا حال ما روي عن الإمام مالك. وأمّا الإمام الشافعي فقد أراد أيضًا كلام أهل الأهواء كما أشار إليه في ضمن كلامه، ويؤيّده ذكر إنكاره حفصًا القرد وهو من أئمة المعتزلة. وأمّا قوله: لأن يلقى الله عبد بأكبر الكبائر خير له من أن يلقاه بعلم الكلام، فالظاهر أنّه أراد الآفة الأولى، لأنّ أكبر الكبائر إذا كان خيرًا منه يكون الكلام شركًا، وكلام أهل السُّنة ليس فيه شرك بل هو لدفع الشرك وقمعه، فلا يكون مراده إلّا كلامًا لا يوافق الكتاب والسُّنة، لا كلام أهل السُّنة والجماعة. وكذا الحال فيما روي عن الإمام أحمد.

وبالجملة، فالكلام موضوع لإثبات الواجب تعالى وصفاته والنبوة والمعاد على قانون الإسلام، وغير ذلك من المباحث العقلية والقوانين المنطقية التي هي مبادٍ لذلك.

ولا يخفى أنّ المباحث المذكورة لتقوية الكتاب والسُّنة لا لمخالفتهما، فلا حرمة أو كراهة فيهما، بل هي فرض لأنّ بعض المباحث المذكورة فرض عين كالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وبعض آخر منها فرض على الكفاية كالمباحث الأخر. وأيضًا فيه حراسة العقيدة على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة، وهذه من فروض الكفايات، كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما وليس في مجرد الطباع كفاية تحلّ شبه البدعة ما لم تتعلم. فينبغي أنْ يكون التدريس فيه من فروض الكفايات، لكن ليس من الصواب تدريسه على العوام كتدريس الفقه والتفسير، فإنّ الكلام مثل الدواء، والفقه والتفسير مثل الغذاء،

---

(١) أصول الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي الحنفي (ـ ٤٨٢ هـ).
كشف الظنون ١/ ١١٢.

(٢) البخاري: هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري. توفي عام ٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠ م. فقيه حنفي، عالم بالأصول. له عدة تصانيف. انظر عنه:
الأعلام ٤/ ١٣، الفوائد البهية ٩٤، الجواهر المضية ١/ ٣١٧.

(٣) شرح (أصول الإمام فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي) للشيخ الإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري الحنفي (ـ ٧٣٠ هـ) كشف الظنون ١/ ١١٢.

(٤) آل عمران/ ٦٧.

(٥) فكما أن أحسن الملل الملة الحنيفية، كذلك خير المذاهب المذهب الحنفي.

وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور.

وإذا عرفت حال علم الكلام فلا بدّ أنْ يكون المذموم عند الأئمة غيره، وذلك إمّا الفلسفة التي اشتبهت بالكلام، أو كلام أهل الاعتزال، أو كلام يداخل صاحبه العجب والهوى. والأول حرام إنْ خالف الكتاب والسُّنة، وبدعة إنْ لم يخالفهما ولم يوافقهما أيضًا، اللهم إلّا أنْ يجعل مبادىء لعلم الكلام. والثاني بدعة وحرام لمخالفته الكتاب والسُّنة. والثالث أعني الكلام المقارن بالجدال الباعث على العصبية والهوى حرام أيضًا إلّا الجدال بالتي هي أحسن كما عرفت.

ولا يخفى أنّ إنكار السلف لا ينبغي أن يكون على كلام الأشاعرة والماتريدية، بل على كلام الفلاسفة وأهل الاعتزال وعلى كلام أهل الجدال بالباطل، إذ الكلام الشائع في زمان الأئمة المجتهدين هو كلام أهل الاعتزال والإرجاء وأمثالهما. وأمّا كلام أهل السُّنة والجماعة فقد حدث بعد انقراضهم بزمان كثير.

وتفصيل ذلك أنّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على عقيدة واحدة لأنّهم أدركوا زمان الوحي وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك والأوهام، وهكذا إلى زمن انقراض الصحابة رضي الله عنهم.

ولما مضى العلماء الذين يرجع إليهم في المضائق ترأس الناس كلهم لائقًا وغير لائق، وأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا.

ولما صار حدود المائة من الهجرة وانقضى الصدر الأول من الصحابة، ظهر بين الناس الجدال والمراء والعصبية والهوى، وظهر تشويش عقائد المسلمين وخرم نظام الدين، وتشعب مسالك الإسلام، واشتبه الصحة بالسقام، حتى إنّ رجلًا قال لابن عمر رضي الله عنهما: ظهر في زماننا رجال يزنون، ويسرقون، ويشربون الخمر، ويقتلون النفس التي حرّم الله، ثم يحتجون علينا ويقولون: كان ذلك في علم الله. فغضب ابن عمر وقال: سبحان الله، كان ذلك في علم الله ولم يكن علمه يحملهم على المعاصي.

وأيضًا وأتى عطاء بن يسار(١) ومعبد الجهني(٢) الحسن البصري وقالا: يا أبا سعيد: هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين، ويأخذون أموالهم ويقولون: إنّما تجري أعمالنا على قدر الله تعالى. وقالت جماعة أخرى: وظهر أيضًا طائفة يكفّرون مرتكب الكبيرة، وطائفة أخرى يقولون: لا يضرّ مع الإيمان كبيرة. وسأل رجل منهم الحسن عن حال هاتين الطائفتين، فقبل أن تكلّم الحسن قال واصل بن عطاء(٣): إنّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وأثبت منزلة بين المنزلتين، وأصرَّ على ذلك حتى طرده الحسن عن مجلسه، فاعتزل عنه، وجلس إليه عمرو بن عبيد(٤) فسمُّوا

---

(١) عطاء بن يسار: هو عطاء بن يسار، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ. ولد عام ١٩ هـ وتوفي بالاسكندرية عام ١٠٣ هـ. له قصص، عابد. فاضل. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١١٤، ابن سعد ٥/ ١٧٣، التهذيب ٧/ ٢١٧، تاريخ ابن عساكر ١١/ ٣٣٥، العبر ١/ ٢٢٥، شذرات الذهب ١/ ١٢٥.

(٢) معبد الجهني: هو معبد بن خالد الجهني، أبو زرعة. توفي عام ٧٢ هـ/ ٦٩١ م. صحابي، من القادة. أسلم قديماً. شارك في فتح مكة. انظر عنه:
الأعلام ٧/ ٢٦٣، الإصابة رقم الترجمة ٨٠٩٤.

(٣) واصل بن عطاء: هو واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة، ولد عام ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م. وتوفي عام ١٣١ هـ/ ٧٤٨ م رأس المعتزلة، بليغ متكلم. أول من أسس فرق الاعتزال وإليه تنتسب الفرقة الواصلية. له تصانيف عدة.
الأعلام ٨/ ١٠٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٧٠، أمالي المرتضى ١/ ١١٣، شذرات الذهب ١/ ١٨٢، رغبة الأمل ٧/ ٧٨.

(٤) عمرو بن عبيد: هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي، أبو عثمان البصري. ولد عام ٨٠ هـ/ ٦٩٩ م. وتوفي عام ١٤٤ هـ/ =

المعتزلة. يقال إنّ الذي سماهم بذلك قتادة بن دعامة السدوسي، وهو أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه، كان تابعيًا وعالمًا كبيرًا، أو كان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه، فأمّهم وهو يظنّ أنّها حلقة الحسن البصري. فلما عرف أنّها ليست هي فقال: إنّما هؤلاء المعتزلة، ثم قام عنهم، فمذ يومئذ سُمُّوا المعتزلة. ولد سنة ستين، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة، وقيل سنة ثمان عشرة ومائة.

وهكذا كان الخلاف يتدرج ويقوى شيئًا فشيئًا إلى آخر أيام الصحابة حتى ظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي[١] وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ويونس الأسواري[٢] وخالفوا في القدر وإسناد جميع الأمور إلى تقدير الله تعالى، وهلم جرا، إلى أن ظهرت قواعد الاعتزال ونشأت مذاهب الضلال، حتى تفرّق أهل الإسلام على ثلاث وسبعين فرقة، وهكذا تشعبت المذاهب وظهرت الأهواء سيّما[٣] مذهب الاعتزال لأنّه مذهب مبني على الظواهر والأوهام، فتميل إليه طباع العوام. وما بقي من سلم من هذه المذاهب الباطلة إلّا شرذمة قليلة من خواص العلماء والسّلف الصالحين ممن عصمهم الله عن الزيغ والطغيان وأولئك من حزب طائفة لا يزالون ظاهرين على الحقّ إلى يوم القيامة.

وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع إنّما ظهر من واصل بن عطاء، أخذ الاعتزال عن الإمام أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب[٤]. قيل: كان أول من أحدث مذهب الاعتزال واخترعه كان الإمام أبو هاشم المذكور وأخوه الإمام الحسن بن محمد بن الحنفية[٥] قال برهان الدين الحلبي[٦] في شرح شفاء قاضي عياض[٧]: إنّ هذا الرجل وهو الحسن بن محمد بن الحنفية كان أول المرجئة، وله فيه تصنيف، لكن ظهر واشتهر من

=٧٦١ م شيخ المعتزلة في عصره، زاهد، عالم، وأخباره مستفيضة انظر عنه:
الأعلام ٥/٨١، وفيات الأعيان ١/٣٨٤، البداية والنهاية ١٠/٧٨، ميزان الاعتدال ٢/٢٩٤.

(١) غيلان الدمشقي: هو غيلان بن مسلم الدمشقي، أبو مروان. مات مصلوباً بدمشق عام ١٠٥ هـ/٧٢٣ م. زعيم الفرقة الغيلانية التي تقول بالقدر، وكان من المتكلمين. له عدة رسائل.
الأعلام ٥/١٢٤، الملل والنحل ١/٢٢٧، عيون الأخبار ٢/٣٤٥، لسان الميزان ٤/٤٢٤، اللباب ٢/١٨٦.

(٢) يونس الأسواري من علماء المعتزلة مجهول المولد والوفاة.

(٣) كذا في الأصل، والأنسب أن يقال: لا سيما.

(٤) هو عبد الله بن محمد (ابن الحنفية) بن علي بن أبي طالب، أبو هاشم. توفي عام ٩٩ هـ/٧١٧ م. من زعماء العلويين قال البعض بإمامته، عالم بالمذاهب والمقالات، ثقة في رواية الحديث. انظر عنه:
الأعلام ٤/١١٦، تهذيب التهذيب ٦/١٦، مقاتل الطالبيين ٩١، شذرات الذهب ١/١١٣.

(٥) الحسن بن محمد ابن الحنيفة: هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، توفي عام ١٠٠ هـ/٧١٨ م. تابعي من ظرفاء بني هاشم وأفاضلهم. له أخبار. انظر عنه:
الأعلام ٢/٢١٢، تهذيب التهذيب ٢/٣٢٠، الثقات ٤/١٢٢، الجمع ١/٨١، الكاشف ١/١٦٦.

(٦) برهان الدين الحلبي: هو ابراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي، أبو الوفاء، برهان الدين المعروف بسبط ابن العجمي. ولد عام ٧٥٣ هـ/١٣٥٢ م. وتوفي عام ٨٤١ هـ/١٤٣٨ م. عالم بالحديث ورجاله، فقيه شافعي، له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ١/٦٥، البدر الطالع ١/٢٨، كشف الظنون ٢/١٠٥٤.

(٧) شرح للحافظ برهان الدين ابراهيم بن محمد الحلبي سبط ابن العجمي (ـ ٨٤١ هـ) على الشفاء في تعريف (بتعريف) حقوق المصطفى للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى القاضي اليحصبي (ـ ٥٤٤ هـ). وقد سماه الحلبي المقتفى في ضبط ألفاظ الشفا. كشف الظنون ٢/١٠٥٤.

واصل بن عطاء أبي حذيفة المعتزلي، المعروف بالغزّال، مولى بني ضبة أو بني مخزوم، ولم يكن غزّالًا بل كان يلزم الغزّالين ليعرف المتعففات من النساء، فيجعل صدقته لهن. وكان ألثغ بالراء قبيح اللثغة، وكان يجعلها غينًا إلّا أنّه كان يسقط الراء عن كلامه مع طول خطبه وكثرتها حتى لم يشعر بها كثير من الناس، وذلك من غاية فصاحته وقدرته على الكلام، حتى قيل فيه:

نعم تجنب لا يوم العطاء كما
تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وأكثر من هذا المعنى الشعراء في أشعارهم.

ثم إنّ واصلًا جالس الحسن البصري بعد الإمام أبي هاشم المذكور يأخذ منه الفقه، ثم ترك مجلس الحسن البصري وجلس إليه عمرو بن عبيد وانتحلوا بنحلة أخرى فسمّوا المعتزلة كما مرّ. ولد واصل سنة ثمانين وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو ومعبد الجهني كانا مبدأ مذهب الاعتزال.

وأمّا الحسن البصري فهو من سادات التابعين وكبرائهم. وهو الحسن بن أبي الحسن يسار، وأبوه يسار كان مولى زيد بن ثابت الأنصاري، واسم أمه خيرة وهي مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قيل: ولد الحسن على الرّق وكانت أمه خيرة غابت فيبكي الحسن، فتعطيه أم سلمة ثديها تعلّله به إلى أن تجيء أمه فدرّ عليه ثديها فشربه، فيرون أنّ تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك اللبن، ومن دخول ثدي مبارك مسَّ بشرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمه، وكان يشبه برؤبة بن العجاج[(١)] في عربية وفصاحة ولهجة. قيل: وكان تكلم في شيء من القدر فرجع عنه، ثم أنكر عليه أشدّ الإنكار. جمع العلم إلى الزهد والورع والعبادة، وكان من أجمل أهل البصرة حين سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث. وقيل: ما رأيت أعرض زندًا من الحسن، كان عرضه شبرًا. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي بالبصرة مستهل رجب سنة عشر ومائة. ومات محمد بن سيرين بعده بمائة يوم، ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما. وكان واصل بن عطاء من تلامذته وقد تقدّم سبب اعتزاله عن مجلسه. ومن جملة تلامذته معبد الجهني وصار هو رئيس أهل الاعتزال بعد الحسن، وصار إمام المعتزلة بعد واصل.

ومنهم أبو عثمان عمرو بن عبيد المتكلم المعتزلي الزاهد المشهور، وكان آدم مربوعًا، بين عينيه أثر السجود. أخذ علم الأصول أولًا عن أبي هاشم محمد بن الحنفية ثم آخرًا عن واصل. وأخذ الفقه والحديث عن الحسن، وكان عمرو من أعلم الناس بأمر الدين، إلّا أنّ الناس لا يرضون باجتهاده لاعتزاله، وكان إمامًا مجتهدًا، صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين عامًا، وحجَّ أربعين سنة ماشيًا، وكان يحيي ليله في ركعة واحدة. ولد سنة ثمانين، وتوفي سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو ثمان وأربعين ومائة. وله: كتاب التفسير عن الحسن البصري، وكتاب الرّد على القدرية، وكتاب في العدل والتوحيد.

ومن أئمة المعتزلة أبو مروان غيلان بن مسلم الدمشقي من أصحاب الحسن البصري في الفقه، وله أتباع يقال لهم الغيلانية. كان قبطيًا قدريًا، لم يتكلم أحد في القدر قبله ودعا إليه إلا معبد الجهني. قال الأوزاعي[(٢)] أول من تكلّم في

---

(١) رؤبة بن العجاج: هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف أو أبو محمد. مات في البادية عام ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م. راجز من الفصحاء المشهورين ومن المخضرمين في الدولتين الأموية والعباسية. لغوي كبير. له ديوان مطبوع. الأعلام ٣/ ٣٤، وفيات الأعيان ١/ ١٨٧، البداية والنهاية ١٠/ ٩٦، خزانة الأدب ١/ ٤٣، الشعر والشعراء ٢٣٠.

(٢) الأوزاعي: هو الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي. أبو عمرو. ولد في بعلبك عام ٨٨ هـ/ ٧٠٧ م. وتوفي=

القدر معبد الجهني ثم غيلان بعده، وأخذ غيلان هشام بن عبدالملك[١] فصلبه بباب دمشق. يقال: إنّ ذلك بدعوة عمر بن عبدالعزيز[٢]. وهؤلاء من مشاهير أئمة المعتزلة.

وهكذا أخذ مذهب الاعتزال خلف عن سلف إلى أن حدث أبو علي الجبائي[٣] وهو محمد بن عبدالوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، وحمران مولى عثمان بن عفان. وأبو علي الجبائي أحد أئمة المعتزلة، أخذ علم الكلام عن أبي يوسف يعقوب بن عبدالله الشحام البصري[٤] رئيس المعتزلة في عصره بالبصرة. ولد الجبائي سنة خمس وثلاثين ومائتين، وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة. وأخذ علم الكلام عن الجبائي شيخ السُنة أبو الحسن الأشعري البصري مقتدي طريقة أهل السُنة والجماعة، إمام المتكلمين وناصر سُنّة سيّد المرسلين، والذّاب عن الدين المتين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين، وقد مرّ نبذ من مناقبه فيما سبق.

ودام هذا الإمام على مذهب الاعتزال مدة أربعين سنة. ولما أراد الله تعالى نصر دينه، ألهمه في طريق الحقّ في رؤياه ثلاث مرات، كما عرفت تفصيله، فقام بنصرة طريقة أهل السُنة والجماعة في حدود الثلاث مائة من الهجرة، حتى إنّه تناظر مع الجبائي يومًا، وسأله عن ثلاثة إخوة ماتوا: الأكبر منهم مؤمن برّ تقي، والأوسط كافر فاسق شقي، والأصغر مات على الصغر ولم يبلغ الحلم. فقال الجبائي: أمّا الزاهد ففي الدرجات. وأمّا الكافر ففي الدركات بناءً على أن ثواب المطيع وعقاب العاصي واجبان على الله تعالى عندهم. وأمّا الصغير فمن أهل السلامة لا يثاب ولا يعاقب.

فقال الأشعري: إنْ طلب الصغير درجات أخيه الأكبر في الجنة، قال الجبائي: يقول الله تعالى: الدرجات ثمرة الطاعات. قال الأشعري: فإنْ قال الصغير ليس مني النقص والتقصير فإنّك إنْ أبقيتني إلى أنْ أكبر لأطعتك ودخلت الجنة.

=بيروت عام ١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م. إمام أهل الشام في الفقه والزهد، محدث عالم بالأصول. له عدة مؤلفات. الأعلام ٣/ ٣٢٠، ابن النديم ١/ ٢٢٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥، تاريخ بيروت ١٥، حلية الأولياء ٦/ ١٣٥، شذرات الذهب ١/ ٢٤١.

(١) هشام بن عبد الملك: هو هشام بن عبد الملك بن مروان. ولد في دمشق عام ٧١ هـ/ ٦٩٠ م. وتوفي في الرصافة عام ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م. من خلفاء بني أمية. كانت له وقائع مشهورة مع الخارجين على الحكم، كما كان حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه.
الأعلام ٨/ ٨٦، ابن الأثير ٥/ ٩٦، الطبري ٨/ ٢٨٣، تاريخ الخميس ٢/ ٣١٨، اليعقوبي ٣/ ٥٧، المسعودي ٢/ ١٤٢، تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ١٧٠.

(٢) عمر بن عبد العزيز: هو الخليفة عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص. ولد عام ٦١ هـ/ ٦٨١ م. وتوفي عام ١٠١ هـ/ ٧٢٠ م. الخليفة الزاهد الصالح. عادل تقي. لقب بالخليفة الراشدي الخامس. وكان من خيرة خلفاء بني أمية.
الأعلام ٥/ ٥٠، فوات الوفيات ٢/ ١٠٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٥، صفة الصفوة ٢/ ٦٣، الطبري ٨/ ١٣٧، وغيرها كثير.

(٣) أبو علي الجبائي: هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي. ولد في جبى عام ٢٣٥ هـ/ ٨٤٩ م وتوفي فيها عام ٣٠٣ هـ/ ٩١٦ م. من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره. له أراء تفرد بها، وله بعض المؤلفات. الأعلام ٦/ ٢٥٦، خطط المقريزي ٢/ ٣٤٨، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٠، البداية والنهاية ١١/ ١٢٥، اللباب ١/ ٢٠٨، دائرة المعارف الإسلامية ٦/ ٢٧٠. معجم المفسرين ٢/ ٥٧٠.

(٤) هو أبو يعقوب، يوسف بن عبد الله الشحام البصري. من كبار علماء الاعتزال، من أصحاب أبي الهذيل العلاف. تولى ديوان الخراج للواثق بالله العباسي، وله عدة كتب.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٥٢، طبقات المعتزلة ٧١.

قال الجبائي: يقول الباري تعالى: قد كنت أعلم منك أنّك لو بقيت لعصيت ودخلت العذاب الأليم في دركات الجحيم، فكان الأصلح لك أنْ تموت صغيرًا.

فقال الأشعري: إنْ قال العاصي المقيم في العذاب الأليم مناديًا من بين دركات النار وأطباق الجحيم: يا إله العالمين ويا أرحم الراحمين، لم راعيت مصلحة أخي دوني وأنت تعلم أنّ الأصلح لي أنْ أموت صغيرًا ولا أصير في السعير أسيرًا فماذا يقول الربّ؟ فبهت الجبائي في الحال، وانقطع عن الجدال.

إذا عرفت هذا التفصيل، فاعلم أنّ مبدأ شيوع الكلام كان بأيدي المعتزلة والقدرية في حدود المائة من الهجرة وقد ثبت في التواريخ الصحاح أنّ إحياء طريقة السُّنة والجماعة كان في حدود الثلاث مائة من الهجرة، لأنّ ظهور الاعتزال كان من جهة واصل بن عطاء، وكان وفاته في إحدى وثلاثين ومائة، وولادته في سنة ثمانين، فيصير زمان طلبه العلم وقدرته على الاجتهاد في حدود المائة تقريبًا. وظهر أيضًا مذهب أهل السُّنة والجماعة بالسعي الجميل والإقدام المشكور من جهة أبي الحسن الأشعري في حدود الثلاث مائة، إذْ كانت ولادته سنة ستين ومائتين، ودام على الاعتزال أربعين سنة، فيكون علم الكلام بأيدي المعتزلة مائتي سنة، ما بين المائة والثلاث مائة.

وقد صحّ في كتب التواريخ المعتمد عليها أنّ ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين ووفاته سنة خمسين ومائة، فيكون مدة عمره في زمن شيوع الاعتزال. وكذا مدة عمر أبي يوسف ومحمد رحمهما الله، لأنّ أبا يوسف رحمه الله ولد سنة ثلاث عشر ومائة وتوفي سنة اثنتين وثمانين ومائة. ومحمد ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة، وتوفي وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وكذا مولد الإمام مالك سنة أربع أو ثلاث وتسعين أو سنة تسعين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة، وله أربع وثمانون أو تسعون سنة. وكذا مولد الإمام الشافعي سنة خمسين ومائة. وقيل: ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة رحمه الله، وتوفي آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين. وكذا الإمام أحمد بن حنبل ولد سنة أربع وستين ومائة، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين. فظهر من هذا التفصيل أنّ واحدًا منهم لم يبلغ زمن ظهور الكلام بأيدي أهل السُّنة والجماعة، بل مضت مدتهم زمن ظهور الاعتزال. ولعل الله سبحانه وتعالى قدّر وجودهم في زمن أرباب الأهواء لتندفع بنورهم ظلم البدع عن الدين، وتمتاز بحسن شعائرهم أركان الشرع وأساس اليقين، سيما وقد وقع بشر بن غياث المريسي[1] وهو الذي جدّد القول بخلق القرآن، وكان يقول بالإرجاء من تلامذة أبي يوسف. وكان مسلم بن خالد[2]، الذي هو من مشايخ الشافعي بمكة كان من تلامذة غيلان بن مسلم الذي هو رئيس أهل الاعتزال كما مرّ. وأيضًا كان حفص القرد الذي هو من ضُلّال أهل الاعتزال مناظرًا له كما ذكرناه، ولاسيما قد جرى على أحمد بن حنبل

---

(١) بشر بن غياث المريسي: هو بشر بن غياث الله بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي العدوي، أبو عبد الرحمن. توفي ببغداد عام ٢١٨ هـ/ ٨٣٣ م. رأس الفرقة المريسية، فقيه معتزلي، عارف بالفلسفة، ورمي بالزندقة. وكان أبوه يهودياً. له عدة مصنفات.
الأعلام ٢/ ٥٥، وفيات الأعيان ١/ ٩١، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٢٨، تاريخ بغداد ٧/ ٥٦، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٠، لسان الميزان ٢/ ٥٢٩، الجواهر المضيئة ١/ ١٦٤.

(٢) مسلم بن خالد: هو مسلم بن خالد الزنجي. أبو عبد الله. توفي عام ١٧٩ هـ. من فقهاء أهل مكة. لقي الشافعي. ومالكاً وجالس العلماء. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٣٤، الثقات ٧/ ٤٤٨، التهذيب ١٠/ ١٢٩، التقريب ٢/ ٢٤٥.

واقعة عظيمة في سنة الداهية الدهياء والمصيبة العمياء من جهة الأمة النكراء، وكان ذلك بسبب إلقاء أحمد بن أبي دؤاد[1] للمأمون القول بخلق القرآن وحسَّنه عنده، وأراه إياه حقًا حتى تبعه المأمون، وأقاموا فتنة عظيمة سنة ثماني عشرة ومائتين، فأجابه طائفة خوفًا من السيف، منهم يحيى بن معين[2]. وامتنع آخرون، منهم أحمد بن نصر الخزاعي[3] حتى قتلوه، والإمام أحمد بن حنبل حتى ضربوه بالسياط. وستعرف تفصيل هذه الواقعة إنْ شاء الله تعالى. ولو رأت هذه الأئمة أبا الحسن الأشعري أو سمعوا مقالته لأنزلوه منزلة أحبّ أبنائهم وجعلوا اتباع طريقته أساس إيمانهم، فضلًا عن الإنكار والعدول عن فضيلة الإقرار.

ومما يدلّ على حقية مذهبه ارتضاء من يخلف بعده من العلماء والفضلاء أساطين الحكمة ورؤساء الكلام، بل المشايخ العارفون من أهل التصفية والذوق، ولم ينقل عن واحد من هؤلاء من مبدأ ظهور الأشعري إلى زماننا هذا، وهو ثمان وأربعون وتسع مائة من الهجرة، إنكار شيء من مذهبه ولو في شيء قليل. ولا شك أنّ اتفاق الأمة والمدة هذه على الضلال من قبيل الممتنع والمحال.

وإنّما العجب من بعض الفقهاء حيث رأى الإنكار عن السلف الأبرار، وجعل الإنكار لازمًا لعلم الكلام، ولم يعرف تفاوت الأحكام بتفاوت الأحوال والأعوام، حتى أنّ بعضًا منهم حكموا بأنّ العلماء إذا أطلقوا لم يدخل فيهم علماء الكلام. وهذا القائل إنْ أراد أنّ المتبادر من الإطلاق في العرف هو الفقهاء لا غير فذاك، وإلّا فإنْ أراد أنّهم ليسوا بعلماء على التحقيق فقد عدل عن سواء الطريق. وكيف لا يعد الباحث عن الله وصفاته وأحوال النبوّة والمعاد على قانون الإسلام من العلماء، وهم يعدون الباحث عن أحوال المكلّفين منهم، مع أنّ التفاوت بينهما من أين إلى أين، سيما وقد نقل ابن السبكي[4] عن والده من أنّ الصواب دخول المتكلمين في العلماء إذا كانوا متكلمين على قوانين الشرع. وأيضًا حكم بدخول الصوفي في العلماء إذا كان كذلك وقال: هذا هو الرأي السديد عندنا. فإنْ قلت: السبكي شافعي، قلت: هذه المسئلة ليست مما يتعلق بالخلافيات.

وإذا انتهى الكلام إلى هذا المقام، فلا علينا أنْ نذكر مما جرى من المحنة بسبب مسئلة خلق القرآن، لأنّ ذلك مصيبة عظيمة في الدين يكون ذكرها عظة عظيمة للمعتبرين، وموجبًا لازدياد صبر المحن من العلماء، وباعثًا لشكرهم على ما هم عليه من الابتلاء.

كان القاضي أحمد بن أبي دؤاد ممن نشأ في العلم وتضلع بعلم الكلام، وصحب فيه هياج بن

---

(١) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي. أبو عبد الله. ولد عام ١٦٠ هـ/ ٧٧٧ م. وتوفي ببغداد عام ٢٤٠ هـ/ ٨٥٤ م. من أئمة الاعتزال المشهورين، وقاضي القضاة ببغداد. وهو ممن دعا إلى القول بخلق القرآن.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٢٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٢، تاريخ بغداد ٤/ ١٤١، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٩، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٠.

(٢) يحيى بن معين: هو يحي بن معين بن عون بن زياد المري البغدادي، أبو زكريا، ولد عام ١٥٨ هـ/ ٧٧٥ م. وتوفي عام ٢٣٣ هـ/ ٨٤٨ م. من أئمة الحديث، مؤرخ حافظ ثقة، له عدة تصانيف. انظر عنه:
الأعلام ٨/ ١٧٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٤، تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٧.

(٣) أحمد بن نصر الخزاعي: هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم، أبو عبد الله الخزاعي، مات قتلاً بسُر من رأى عام ٢٣١ هـ/ ٨٤٦ م. من أشراف بغداد، من القائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر عنه:
الأعلام ١/ ٢٦٤، تهذيب التهذيب ١/ ٨٧، صفة الصفوة ٢/ ٢٠٥، تاريخ بغداد ٥/ ١٧٣.

(٤) ابن السبكي: هو تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي، وقد تقدمت ترجمته.

العلاء السلمي[١] صاحب واصل بن عطاء أحد رؤساء المعتزلة. وكان ابن أبي دؤاد رجلًا فصيحًا. قال أبو العيناء[٢]: ما رأيت رئيسًا قط أفصح ولا أنطق منه. كان كريمًا ممدّحًا، وكان معظّمًا عند أمير المؤمنين المأمون، يقبل شفاعاته ويصغي إلى كلامه وأخباره، فدسّ ابن أبي دؤاد للمأمون القول بخلق القرآن، وحسّنه عنده، وصيّره يعتقد حقًا مبينًا إلى أن أجمع رأيه في سنة ثمان عشرة ومائتين على الدعاء إليه، وقد كان ابتدأ بالكلام فيها في سنة اثنتي عشرة، ولكن لم يصمم، فكتب إلى نائبه على بغداد إسحاق بن إبراهيم الخزاعي[٣] ابن عم طاهر بن الحسين[٤] في امتحان العلماء كتابًا يقول فيه: وقد عرف أمير المؤمنين أنّ الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر له ولا رؤية، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه، أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه، وقصدوا أن يقدروا الله حقّ قدره، ويعرفوه كنه معرفته، ويفرّقوا بينه وبين خلقه، وذلك أنّهم ساووا بين الله وبين خلقه، وبين ما أنزل من القرآن فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله ولم يخترعه، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[٥]. فكل ما جعله الله فقد خلقه، كما قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٦]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾[٧]، فأخبر أنه قصص لأمور أحدثها. وقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[٨]. والله محكم كتابه ومفصله فهو خالقه ومبتدعه. ثم انتسبوا إلى السُّنة وأنهم أهل الحقّ والجماعة، وأنّ من سواهم أهل الباطل والكفر، فاستطالوا بذلك وأغروا به الجهال، حتى مال قوم من أهل السّمت الكاذب والتخشع لغير الله تعالى موافقتهم، فنزعوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالهم، إلى أن قال: فرأى أمير المؤمنين أنّ أولئك شر الأمة المنقوصون حظًا، أوعية الجهالة وأعلام الكذب، ولسان إبليس الناطق في أوليائه على أعدائه من أهل دين الله، وأحق أن يتهم في صدقه وتطرح شهادته ولا يوثق به من عمي عن رشده وحظه من الإيمان والتوحيد، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلًا. ولعمر أمير المؤمنين إنّ أكذب الناس من كذب على الله ووحيه،

(١) لعله هَيّاج، ابن بسام العبسي الخراساني البصري. محدث مقبول، يعد من الطبقة الخامسة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٧٦.

(٢) أبو العيناء: هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي، أبو العيناء. ولد عام ١٩١ هـ/ ٨٠٧ م. وتوفي عام ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م. أديب، فصيح، من الظرفاء، له نوادر ولطائف، وأخباره مشهورة. انظر عنه:
الأعلام ٦/ ٣٣٤، وفيات الأعيان ١/ ٥٠٤، ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٣، لسان الميزان ٥/ ٣٤٤، تاريخ بغداد ٣/ ١٧٠.

(٣) إسحاق بن ابراهيم الخزاعي: هو اسحاق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب، المصعبي الخزاعي، أبو الحسن. توفي ببغداد عام ٢٣٥ هـ/ ٨٥٠ م صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. من المقرّبين للخلفاء العباسيين، ذو رأي وشجاعة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٩٢، الكامل لابن الأثير ٧/ ١٧.

(٤) طاهر بن الحسين: هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، أبو الطيب، أو أبو طلحة، ولد عام ١٥٩ هـ/ ٧٧٥ م وتوفي عام ٢٠٧ هـ/ ٨٢٢ م. من كبار الوزراء والقواد، أديب حكيم شجاع. كانت له مكانة كبيرة عند العباسيين. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٢١، وفيات الأعيان ١/ ٢٣٥، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٠، ابن الأثير ٦/ ١٢٩، شذرات الذهب ٢/ ١٦، تاريخ بغداد ٩/ ٣٥٣.

(٥) الزخرف/ ٣.

(٦) الأنعام/ ١.

(٧) طه/ ٩٩.

(٨) هود/ ١.

وتخرّص الباطل، ولم يعرف الله حقيقة معرفته، فأجمع مَنْ بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا وامتحنهم فيما يقولون، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله وأحداثه، وأعلمهم أني غير مستعين في عمل ولا واثق بمن لا يوثق بدينه. فإذا أقروا بذلك ووافقوا فاكتب إلينا ذلك. وكتب المأمون إليه أيضًا في أشخاص سبعة أنفس، وهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي[(١)]، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة[(٢)]، وأبو مسلم[(٣)] مستملي يزيد بن هارون[(٤)]، وإسمعيل بن داود[(٥)]، وإسمعيل بن أبي مسعود[(٦)]، وأحمد بن إبراهيم الدورقي[(٧)]، فأشخصوا إليه وامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه، فردّهم من الرّقة إلى بغداد وسبب طلبهم أنهم توقفوا أولًا ثم أجابوه تقية. وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم أن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ويخبرهم بما أجاب هؤلاء السبعة ففعل ذلك، فأجابه طائفة وامتنع آخرون. فكان يحيى بن معين وغيره يقولون: أجبنا خوفًا من السيف. ثم كتب المأمون أخرى وأمر بإحضار من امتنع، فأحضر جماعة، منهم: أحمد بن حنبل، وبشر بن الوليد الكندي[(٨)]، وأبو حسان الزيادي[(٩)]، وعلي بن أبي مقاتل[(١٠)]، والفضل بن غانم[(١١)]، وعبيدالله بن عمر القواريري[(١٢)]، وعلي بن

---

(١) محمد بن سعد كاتب الواقدي: هو محمد بن سعد بن منيع الزهري، أبو عبد الله. ولد عام ١٦٨ هـ/ ٧٨٤ م. وتوفي عام ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م. مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. له عدة كتب. انظر عنه:
الأعلام ٦/ ١٣٦، وفيات الأعيان ١/ ٥٠٧، تاريخ بغداد ٥/ ٣٢١، الوافي بالوفيات ٣/ ٨٨.

(٢) أبو خيثمة: هو زهير بن حرب بن شداد النسائي البغدادي، أبو خيثمة، ولد عام ١٦٠ هـ/ ٧٧٧ م. وتوفي عام ٢٣٤ هـ/ ٨٤٩ م. محدث بغداد في عصره. له عدة كتب انظر عنه:
الأعلام ٣/ ٥١، تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٢، شذرات الذهب ٢/ ٨٠.

(٣) أبو مسلم: هو أبو مسلم مستملي يزيد بن هارون. ممن شهد محنة خلق القرآن أيام المأمون.
الكامل في التاريخ لابن الأثير، ٦/ ٤٢٣.

(٤) يزيد بن هارون: هو يزيد بن هارون بن زاذان، أبو خالد. ولد عام ١١٨ هـ. وتوفي عام ٢٠٦ هـ. حافظ متقن، كفّ بصره آخر حياته.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٨١، المجمع ٢/ ٥٧٦، التقريب ٢/ ٣٧٢، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٣٧، ابن سعد ٧/ ٣١٤.

(٥) اسماعيل بن داود: هو اسماعيل بن داود، ممن شهد محنة خلق القرآن أيام المأمون.
الكامل في التاريخ لابن الأثير ٦/ ٤٢٣.

(٦) لعله اسماعيل بن مسعود الجحدري، أبو مسعود البصري. توفي عام ٢٤٨ هـ. محدث، ثقة، يعد من الطبقة العاشرة من المحدثين. انظر عنه: تقريب التهذيب ١١٠.

(٧) هو أحمد بن ابراهيم بن كثير العبدي، البغدادي، الدورقي. ولد عام ١٦٨ هـ/ ٧٨٤ م. وتوفي عام ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م. محدث، حافظ، له تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ١/ ١٤٢، شذرات الذهب ٢/ ١١٠، عيون التواريخ ٦/ ١٦٢.

(٨) بشر بن الوليد الكندي: هو بشر بن الوليد بن خالد الكندي البغدادي. توفي عام ٢٣٨ هـ/ ٨٥٣ م، من تلاميذ أبي يوسف صاحب أبي حنيفة. قاضٍ، حنفي، له عدة مؤلفات، هدية العارفين ٥/ ٢٣٢.

(٩) أبو حسان الزيادي: هو أبو حسان الزيادي، فقيه. شهد محنة خلق القرآن أيام المأمون.
انظر عنه: طبقات الشافعية للشيرازي ٧٢، الكامل في التاريخ ٦/ ٤٢٣.

(١٠) علي بن أبي مقاتل: هو علي بن أبي مقاتل. فقيه شهد فتنة خلق القرآن أيام المأمون.
الكامل في التاريخ ٦/ ٤٢٣.

(١١) الفضل بن غانم: هو الفضل بن غانم، أبو علي الخزاعي. مروزي سكن بغداد وحدث بها عن مالك وغيره، لكنه ضعيف.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٠٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥٧، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٥٧.

(١٢) عبيد الله بن عمر القواريري: هو عبيد الله بن عمر بن ميسرة، أبو سعيد الجشمي، البصري القواريري الزجاج. ولد عام ١٥٢ هـ. وتوفي عام ٢٣٥ هـ. إمام، حافظ، محدث، ثقة، له رواية وأخبار. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٤٢، ابن سعد ٧/ ٣٥٠، تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٨، العبر ١/ ٤٢٢.

الجعد[١]، وسجادة[٢]، وقتيبة بن سعيد[٣]، ومحمد بن نوح العجلي[٤]، ويحيى بن عبدالرحمن العمري[٥]، وأبو نصر التمار[٦]، ومحمد بن حاتم بن ميمون[٧] وغيرهم. فعرض عليهم كتاب المأمون ولم يجيبوا ولم ينكروا. ولما ألحوا عليهم قالوا: كلام الله ولا نزيد على هذا. وقال بعضهم: القرآن مجعول ومحدَث. قال إسحاق: والمجعول مخلوق. قال: نعم. قال: فالقرآن مخلوق. قال: لا أقول مخلوق.

ثم وجه بجواباتهم إلى المأمون، فورد عليه كتاب المأمون: بلغنا أجوبة متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل، فمن لم يجب أنّه مخلوق فامنعه من الفتوى والرواية والقول في الكتاب. وأمّا بشر وابن المهدي[٨] إنْ أجابا وتابا فاشهر أمرهما وإلّا فاضرب عنقهما. ومن لم يرجع عن شركه ممن عداهما فاحملهم موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم، فإنْ لم يرجعوا أحملهم على السيف. قال: فأجابوا كلهم عند ذلك إلّا أحمد بن حنبل وسجادة ومحمد بن نوح والقواريري، فقيّدوا ثم سألهم إسحاق من الغد، فأجاب سجادة، ثم عاودهم ثالثًا فأجاب القواريري. ووجه بأحمد بن حنبل ومحمد بن نوح إلى طرسوس[٩]، فبلغهم وفاة المأمون، ومات محمد بن نوح في الطريق، وسلم أحمد بن حنبل. إلّا أنّ المأمون قد كتب وصية ضمنها تحريض الخليفة بعده على حمل الخلق على القول بخلق القرآن، ثم توفي في رجب ودفن بطرسوس.

واستقل المعتصم[١٠] بالخلافة فكان من سعادة المأمون موته قبل أن يحضر أحمد بن

---

(١) علي بن الجعد: هو علي بن الجعد بن عبيد الهاشمي، الجوهري، أبو الحسن. ولد عام ١٣٣ هـ/ ٧٥٠ م. وتوفي عام ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م. شيخ بغداد في عصره، محدث. انظر عنه:
الأعلام ٤/ ٢٦٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٩، تاريخ بغداد ١١/ ٣٦٠.

(٢) هو الحسن بن حماد بن كسيب الحضرمي البغدادي، أبو علي، الملقّب بسجادة. توفي عام ٢٤١هـ. إمام قدوة محدث ثقة، له رواية وأخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٩٢، تاريخ بغداد ٧/ ٢٩٥، العبر ١/ ٤٣٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٦، شذرات الذهب ٢/ ٩٩.

(٣) قتيبة بن سعيد: هو قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي بالولاء، أبو رجاء البغلاني. ولد عام ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م. وتوفي عام ٢٤٠ هـ/ ٨٥٥ م. من أكابر رجال الحديث. روى عنه البخاري ومسلم.
الأعلام ٥/ ١٨٩، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٨، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٦٤.

(٤) محمد بن نوح العجلي: هو محمد بن نوح العجلي. فقيه شهد فتنة خلق القرآن أيام المأمون. الكامل في التاريخ ٦/ ٤٢٣.

(٥) لعله يحي بن عبد الرحمن القصري البصري. وليس العمري كما ذكر المؤلف. محدث مقبول، يعد من الطبقة السابعة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٩٣.

(٦) أبو نصر التمار: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الملك بن ذكوان بن يزيد بن الحارث، الحافي، القشيري الدقيقي التمار، أبو نصر. ولد عام ١٣٧ هـ. وتوفي عام ٢٢٨ هـ ببغداد، محدث، ثقة، زاهد له رواية وأخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧١، ابن سعد ٧/ ٣٤٠، الأنساب ٣/ ٧٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٨، اللباب ١/ ٢٢٢.

(٧) محمد بن حاتم بن ميمون: هو محمد بن حاتم بن ميمون المروزي البغدادي، أبو عبد الله، توفي عام ٢٣٥ هـ/ ٨٥٠ م. من حفاظ الحديث. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٧٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٨.

(٨) ابن المهدي: هو محمد بن يحي بن مهدي، أبو عبد الله الجرجاني. توفي عام ٣٩٧ هـ/ ١٠٠٧ م. فقيه، من أعلام الحنفية، له عدة كتب انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٣٦، الجواهر المضيئة ٢/ ١٤٣، هدية العارفين ٢/ ١٥٧.

(٩) مدينة تركية في فيليقية على نهر طرطوس. سكانها مائة وخمسة وعشرون ألف نسمة. فتحها المأمون العباسي عام ٧٨٨ م. وفيها دفن. تشتهر بمناجم النحاس والكروم والفحم. وتعتبر موطن القديس بولس. انظر:
المنجد في الأعلام ٣٥٦.

(١٠) المعتصم: هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو إسحاق، المعتصم بالله العباسي. ولد في بغداد عام=

حنبل إلى بين يديه فلم يكن ضربه على يديه. قال أحمد بن حنبل: تبينت الإجابة في دعوتين: دعوتي أن لا يجمع الله بيني وبين المأمون، وكان كذلك. ودعوتي أن لا أرى المتوكل[1] فكان كذلك. ولما أحضر أحمد دار الخلافة ليحدث ولد المتوكّل قعد المتوكل في خوخة حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد.

قيل: أول من امتحن بخلق القرآن عثمان بن مسلم الحافظ[2]، ولما امتنع قيل له: قد قطعنا عطاءك وكان ألف درهم في كل شهر. فقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾[3]. وكان عنده عائلة كبيرة فدقّ عليه الباب داق في ذلك اليوم لا يعرف وقال: خذ هذه الألف، ولك عندي ألف كل شهر يا أبا عثمان، ثبّتك الله كما ثبّت الدين.

قال أحمد: فلما كان رمضان سنة تسع عشرة حبسني إسحاق بن إبراهيم في داره ثم نقلني بعد ذلك إلى حبس العامة، فمكثت فيه نحوًا من ثلاثين شهرًا. ثم حملت إلى دار إسحاق، فقال: يا أحمد، والله لا يقتلك أمير المؤمنين بالسيف، ولكن آلى إنْ لم تجبه أنْ يضربك ضربًا بعد ضرب وأنْ يقتلك في موضع لا ترى فيه شمس ولا قمر. قال: فسكت، ثم صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان. حملت على دابة فكدت أخرّ على وجهي غير مرة لثقل القيود عليّ، فأدخلت حجرة وأدخلت إلى بيت، وأقفل الباب عليّ، وذلك في جوف الليل وليس في البيت سراج. فأردت أن أتمسح للصلوٰة، فمددت يدي فإذا بإناء فيه ماء وطست موضوع فتوضأت وصليت. فلما كان من الغد خرجت تكتي من سراويلي وشددت بها الأقياد أحملها، وعطفت سراويلي، فجاء رسول المعتصم فأخذ بيدي وأدخلني عليه والتكة في يدي. فإذا هو جالس وابن أبي دؤاد حاضر معه خلق كثير من أصحابه. قال لي: يعني المعتصم، أدنه أدنه، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه. ثم قال لي: إجلس، فجلست. ثم دعاني إلى البدعة وطال الكلام بيننا.

وبالجملة دعا المعتصم أحمد مرتين في مجلسين، وهو يدعوه إلى البدعة وأحمد رضي الله عنه يأبى عليه أشدّ الإباء، والكلام فيه يطول.

قال أحمد: ولما كانت الليلة الثالثة طلبت من بعض الموكلين بي خيطًا فشددت به الأقياد ورددت التكة إلى سراويلي. فقلت: خليق أن يحدث غدًا من أمري شيء، فأتوا فأدخلت في الغد دارًا غاصة بالناس ثم إلى أخرى ثم إلى أخرى، فإذا هناك قوم معهم السيوف وقوم معهم السياط وغير ذلك، فجعلوا يناظرونني، وجعل يتكلم هذا وأرد عليه، ثم وثم، وجعل صوتي يعلو أصواتهم. ثم أمر المعتصم فسحبت، ثم خلعت، فوجدوا في كمي شيئًا فيه شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأخبرتهم به، فأراد القوم حرق قميصي فمنع المعتصم، فنزعوه

=١٧٩ هـ/ ٧٩٥ م. وتوفي بسامراء عام ٢٢٧ هـ/ ٨٤١ م. من أعاظم خلفاء العباسيين. كان قوياً ضعيف القراءة. فاتح ومحارب، اتسع ملكه جداً، وهو باني مدينة سامراء.
الأعلام ٧/ ١٢٧، ابن الأثير ٦/ ١٤٨، اليعقوبي ٣/ ١٩٧، تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٢، مروج الذهب ٢/ ٢٦٩، وغيرها من كتب التاريخ والسير.

(١) المتوكل: هو جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو الفضل. ولد ببغداد عام ٢٠٦ هـ/ ٨٢١ م. وتوفي عام ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م. من الخلفاء العباسيين. وله مواقف مشهودة. انظر عنه:
الأعلام ٢/ ١٢٧، تاريخ بغداد ٧/ ١٦٥، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٧، ابن الأثير ٧/ ١١، مروج الذهب ٢/ ٢٨٨.

(٢) عثمان بن مسلم الحافظ: هو عثمان بن مسلم الحافظ فقيه محدث. شهد فتنة خلق القرآن. الكامل في التاريخ، ٦/ ٤٢٣.

(٣) الذاريات/ ٢٢.

لذلك الشعر، ثم جيء بالعقابين والسياط.

قيل: فلما رأى المعتصم ثبوته وصلابته في أمره لان في أمره حتى أغراه ابن أبي دؤاد وقال: إنْ تركته قيل: إنّك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله، فهاجه ذلك على ضربه، فضربه السياط سوطين، ثم يتنحى ويتقدم الآخر ويضربه سوطين، كلّ ذلك يقول أحمد: شد قطع الله يدك، وهكذا حتى ضربوا تسعة عشر سوطًا. فقام المعتصم فقال: يا أحمد علام تقتل نفسك. إني والله عليك لشفيق، وجعل بعض الناس يقول: أتريد أنْ تغلب هؤلاء كلهم. ويقول بعضهم: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع. وقال بعضهم: أقتله يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي. كل ذلك يقول أحمد: أعطوني شيئًا من كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فرجع المعتصم وجلس، وقال للجلاد: تقدم وأوجع، قطع الله يدك. ثم قام الثانية فجعل يقول: ويحك يا أحمد أجبني. قال: فقلت يا أمير المؤمنين: أعطوني شيئًا من كتاب الله، فرجع وقال للجلادين: تقدموا، فجعل الجلاد يتقدم ويضربه سوطين ويتنحى، وفي خلال ذلك يقول المعتصم: شد قطع الله يدك. قال ابنه صالح[١]: قال أبي: فذهب عقلي فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني وأتوني بسويق، فقيل لي: اشرب وتقيأ. فقلت: لا أفطر. ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة[٢] وصلّى. فلما انفتل من الصلوٰة قال: صلّيت والدم يسيل في ثوبك. فقلت: قد صلى عمر وجرحه يثعب دمًا. قال ابنه صالح: ثم خلّي عن أبي فصار إلى منزله. وكان مكثه في السجن وضربه إلى أن خلّي عنه ثمانية وعشرين شهرًا.

روي أنّه لما ضرب سوطًا قال: بسم الله. فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلّا بالله. فلما ضرب الثالثة قال: القرآن كلام الله غير مخلوق. فلما ضرب الرابعة قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[٣] فضربه تسعة وعشرين سوطًا. وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت فرمى بطرفه إلى السماء وحرَّك شفتيه، فما كان بأسرع من ثبوت السراويل على حالته لم يتزحزح.

قال الراوي: فدخلت عليه بعد سبعة أيام فسألته: ما الذي قلت حين حركت شفتيك؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش، إنْ كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي سترًا. وفي رواية قال: قلت: إلهي وسيدي، وقفتني هذا الموقف فلا تهتكني على رؤوس الخلائق.

وروي أنه كان كلما ضرب سوطًا أبرأ ذمة المعتصم. فسئل فقال: كرهت أن آتي يوم القيامة فيقال: هذا غريم ابن عم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو رجل من أهل بيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فهذا مختصر من حال الإمام أحمد في المحنة.

أمّا الأستاذ أحمد بن نصر الخزاعي، ذو

---

(١) صالح: هو صالح بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو الفضل. ولد ببغداد عام ٢٠٣ هـ/ ٨١٨ م. وفيها توفي عام ٢٦٥ هـ/ ٨٧٨ م. فقيه، محدث، قاضٍ. انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٨٨، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٦٢، شذرات الذهب ٢/ ١٤٩.

(٢) ابن سماعة: هو محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي، أبو عبد الله. ولد عام ١٣٠ هـ/ ٧٤٨ م. وتوفي عام ٢٣٣ هـ/ ٨٤٧ م. حافظ للحديث، ثقة، قاضٍ، على مذهب أبي حنيفة، وله عدة كتب، انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٥٣، الوافي بالوفيات ٣/ ١٣٩، الجواهر المضيئة ٢/ ٥٨، تاريخ بغداد ٥/ ٣٤١.

(٣) التوبة/ ٥١.

الجنان واللسان، والثبات عند اضطراب المهند والسِّنان، كان شيخًا جليلًا، قوالًا بالحق، أمارًا بالمعروف نهَّاءً عن المنكر، وكان من أولاد الأمراء، وكانت محنته على يد الواثق[١]، قال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، وأصرّ على ذلك غير متلعثم. فقال بعض الحاضرين: هو حلال الدم. فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين شيخٌ مختلٌّ لعلَّ به عاهة وتغيّر عقل يؤخّر أمره ويستتاب. فقال الواثق: ما أراه إلّا مؤذنًا لكفره قائمًا بما يعتقده منه، ثم دعا بالصمصامة وقال: إذا قمت إليه فلا يقومنّ أحد معي فإنّي أحتسب خطأي إلى هذا الكافر الذي يعبد ربًا لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ثم أمر بالنطع وأجلس عليه وهو مقيّد وأمر بشدّ رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدّوه، ومشى إليه فضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد[٢]، فنصب بالجانب الشرقي أيامًا وفي الجانب الغربي أيامًا، وتتبع رؤس أصحابه فسجنوا. قال الحسن بن محمد الحربي[٣]: سمعت جعفر بن محمد الصائغ[٤] يقول: رأيت رأس أحمد بن نصر بعد ضرب عنقه يقول: لا إله إلّا الله. روي عن أبي العباس بن سعيد[٥] يقول: لم يصبر في المحنة إلّا أربعة، كلّهم من أهل مرو: أحمد بن حنبل وأحمد بن نصر الخزاعي المضروب عنقه، ومحمد بن نوح بن ميمون المضروب، ونعيم بن حماد[٦] قد مات في السجن مقيدًا. وهذه نسخة الرقعة المعلقة في أذن أحمد بن نصر بن مالك: بسم الله الرحمن الرحيم هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك، دعاه عبدالله الإمام هارون وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه فأبى إلّا المعاندة فجعله الله إلى ناره. وكتب محمد بن عبدالملك[٧]: ومات محمد بن نوح في فتنة المأمون والمعتصم ضرب أحمد بن حنبل، والواثق قتل أحمد بن نصر بن مالك، وكذلك نعيم بن حماد. ولما جلس المتوكل دخل عليه عبدالعزيز بن يحيى المكي[٨] فقال: يا أمير المؤمنين: ما رؤي أعجب من أمر

---

(١) الواثق: هو هارون (الواثق بالله) بن محمد (المعصتم بالله) ابن هارون الرشيد العباسي أبو جعفر. ولد عام ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م، وتوفي عام ٢٧٢ هـ/ ٨٤٧ م. من خلفاء العباسيين، وأخباره مشهورة. انظر عنه:
الأعلام ٨/ ٦٢، ابن الأثير ٧/ ١٠، الطبري ١١/ ٢٤، اليعقوبي ٣/ ٢٠٤، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٧، تاريخ بغداد ١٤/ ١٥.

(٢) قال مطين: قتل أحمد بن نصر سنة ٢٣١ هـ، زاد أحمد بن كامل في شعبان. وقال السراج: قتل في غرة رمضان. وقال ابن معين: ختم الله له بالشهادة، رحمة الله عليه. كذا في هامش الأصل.

(٣) الحسن بن محمد الحربي: هو الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان، أبو محمد، الحربي. توفي عام ٣٥٨ هـ، ثقة، عالم بالنحو واللغة، له كتب. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٦، تاريخ بغداد ٧/ ٤٢٢، المنتظم ٧/ ٤٩، انباه الرواة ١/ ٣١٩، العبر ٢/ ٣١١، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٨.

(٤) جعفر بن محمد الصائغ: هو جعفر بن محمد بن شاكر، أبو محمد البغدادي الصائغ. ولد قبل العام ١٩٠ هـ، وتوفي عام ٢٧٩ هـ إمام محدث، شيخ الإسلام في عصره. له رواية وأخبار. انظر عنه:
سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٩٧، تاريخ بغداد ٧/ ١٨٥، المنتظم ٥/ ١٤٠، العبر ٢/ ٦٢، شذرات الذهب ٢/ ١٧٤.

(٥) لعلّه أحمد بن سعيد بن شاهين البصري، أبو العباس. معجم الأدباء ٣/ ٤٩.

(٦) نعيم بن حماد: هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، أبو عبد الله. توفي عام ٢٢٨ هـ/ ٨٤٣ م. محدث، عالم بالفرائض، له عدة كتب. انظر عنه:
الأعلام ٨/ ٤٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٠٦، هدية العارفين ٢/ ٤٩٧.

(٧) محمد بن عبد الملك: هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات. ولد عام ١٧٣ هـ/ ٧٨٩ م. وتوفي عام ٢٣٣ هـ/ ٨٤٧ م. وزير، عالم باللغة والأدب. له ديوان شعر، وأخباره مشهورة.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٤٨، وفيات الأعيان ٢/ ٥٤، تاريخ بغداد ٢/ ٣٤٢، خزانة الأدب ١/ ٢١٥.

(٨) عبد العزيز بن يحي المكي: هو عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز الكناني المكي. توفي عام ٢٠٤ هـ/ ٨٥٤ م. فقيه،=

الواثق، قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن. قال: فوجد المتوكل من ذلك، وساءه ما سمعه في أخيه إذْ دخل عليه محمد بن عبدالملك الزيات فقال له: يا ابن عبد الملك، في قلبي من قتل أحمد بن نصر، فقال: يا أمير المؤمنين: أحرقني الله بالنار إنْ قتله أمير المؤمنين الواثق، إلّا كافرًا. وقال هرثمة[١]: قطعني الله إربًا إربًا إنْ قتله أمير المؤمنين الواثق إلّا كافرًا. وقال أحمد بن أبي دؤاد: ضربني الله بالفالج إنْ قتله أمير المؤمنين الواثق إلّا كافرًا.

قال المتوكل: أمّا ابن الزيات فأنا أحرقته بالنار. وأمّا هرثمة فاجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل فقال: يا معشر خزاعة، هذا الذي قتل أحمد بن نصر فقطعوه إربًا إربًا. وأمّا أحمد بن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده.

وقد طال أمر هذه الفتنة وطار شررها واستمر من سنة ثماني عشر إلى سنة أربع وثلاثين ومائتين، فرفعها المتوكل ونهى عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الآفاق، وتوفّر دعاء الخلق له وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق يوم الرّدة، وعمر بن عبدالعزيز في ردّ المظالم، والمتوكل في إحياء السُّنة.

ومن جملة أسباب رفع الفتنة أنّ الواثق أتى بشيخ مقيّد فقال له ابن أبي دؤاد: يا شيخ: ما تقول في خلق القرآن؟ قال: هذا الذي تقول شيء علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أو جهلوه؟ فقال: بل علموه. فقال: فهل دعوا إليه الناس كما دعوتهم أنت أو سكتوا؟ قال: بل سكتوا. قال: فهل لا وسعك ما وسعهم من السكوت. فسكت ابن أبي دؤاد، وأعجب الواثق كلامه وأمر بإطلاق سبيله، وقام الواثق من مجلسه وهو يقول: فهل لا وسعك ما وسعهم يكرّر هذه الكلمة. ولكن كان رفع الفتنة بالكلية في يد المتوكل، كما أنّ ابتداءها في يد المأمون.

يقال إنّ المأمون وهو عبدالله بن هارون الرشيد كان معتنيًا بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها فجرّه ذلك إلى القول بخلق القرآن، وإلّا فهو بارع في الفقه والعربية وأيام الناس، وكان ذا حزم وعزم وعلم وحلم ودهاء وذكاء وهيبة وفطنة وسماحة وفصاحة ودين وشرع متين. قيل: ختم في رمضان ثلاثًا وثلاثين ختمة، وحدّث يومًا في المنبر نحو ثلاثين حديثًا بسنده. ثم قال ليحيى بن أكثم: يا يحيى، إنّما المجالس لأصحاب الخلقان والمحابر. وكان كثير العفو والصفح، وكان يقول: لو عرف الناس حبي للعفو لتقرّبوا إليّ بالجرائم، وأخاف أن لا أؤجر فيه. يعني أنّ العفو كان طبعًا له. ولسنا نستوعب ترجمة المأمون في هذه الأوراق، مع أنّ كتابنا غير موضوع له إلّا أنّه كان دخيلًا في علم الأوائل، فجرّه نقصه فيه إلى القول بخلق القرآن، وجرّه قلة معرفة الفقه إلى إباحة متعة النساء. إلّا أنّه لم يرجع عن الأول ورجع عن الثاني، بإرشاد يحيى بن أكثم رحمه الله إلى حديث يرويه عن الزهري[٢] عن ابني ابن الحنفية عن أبيهما محمد عن عليّ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

=مناظر، من تلاميذ الإمام الشافعي. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٩، ميزان الاعتدال ٢/ ١٤١، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٣.

(١) هرثمة: هو هرثمة بن أعين، توفي عام ٢٠٠ هـ/ ٨١٦ م. قائد شجاع، له عناية بالعمران، وأخباره مشهورة. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٨١، ابن الأثير ٦/ ٤٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٨٨، شذرات الذهب ١/ ٣٥٨.

(٢) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي، أبو بكر. ولد عام ٥٨ هـ/ ٦٧٨ م. وتوفي عام ١٢٤ هـ/ ٧٤٢ م. أول من دوّن الحديث. من أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي. الأعلام ٧/ ٩٧، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٢، وفيات الأعيان ١/ ٤٥١، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥، حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠، صفة الصفوة ٢/ ٧٧.

نهى عن متعة النساء يوم خيبر. فلما صحح له الحديث رجع إلى الحق، ومات المأمون غازيًا إلى أرض الروم في سنة ثمان عشرة ومائتين.

واستقل بالخلافة بعده أخوه المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، وكان ملكًا شجاعًا بطلًا مهيبًا وهو الذي فتح **عمورية**[١]، وقد كان المنجمون قضوا بأنّه لا يفتح، وانتصر نصرًا مؤزرًا، وأنشد فيه أبو تمام قصيدة أوّلها:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ

بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائف في ... متونهنّ جلاءُ الشّكِ والرِّيبِ

والنصرُ في شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا في السَّبعة الشُّهُبِ

أين الرواية أم أين النجومُ وما ... صاغوه من زخرفٍ فيها ومن كذبِ

تسعون ألفًا كآسادِ الشَّرى نضجت ... جلودُها قبل نُضجِ التينِ والعنبِ

وكان المعتصم شجاعًا مهيبًا ذا أموالٍ وخيول وكثرة العساكر حتى ضاق عنها بغداد، فبنى **سُرَّ من رأى**[٢]، وانتقل إليها بالعساكر. وكان عدد غلمانه الأتراك فقط يبلغ سبعة عشر ألفًا. مات في سنة سبع وعشرين ومائتين.

وولي بعده ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بن الرشيد. وكان مليح الشعر، وشدّد في القول بخلق القرآن. وكيف لا يشدّد المسكين. إذْ رأى قاضيًا كأحمد بن أبي دؤاد يصرّ على ذلك حتى بذل فيه دينه وإسلامه. فنعوذ بالله من علماء السوء. وإنّما يتلف السلاطين فسقة الفقهاء، فإنّ الفقهاء ما بين صالح وطالح. فالصالح غالبًا لا يتردّد إلى أبواب الملوك والطالح يتردّد إليهم ويجري معهم على أهوائهم ويهوّن عليهم العظائم، ولهو على الناس شرّ من ألف شيطان. كما أنّ صالح الفقهاء أشدّ على الشيطان من ألف عابد. ولكن هؤلاء المساكين باعوا الدين بالدنيا وبدّلوا الإسلام بالهوى. ومثل هؤلاء كثير في كل زمان، والله المستعان وعليه التكلان، فنعوذ بالله من أمثالهم، وإلى الله تعالى أتبرأ من أحوالهم وأفعالهم.

واعلم أنّك إذا عرفت تعريف علم الكلام والفرق بينه وبين علم الحكمة، وأنّه من فروض الكفايات، والقائلون بحرمته أو كراهته أرادوا غير هذا الفنّ الذي قد اشتهر بالكلام في زمانهم، وعرفت ما وقع في خلق القرآن وقدمه من الفتن والمحن، فلا علينا أنْ نذكر هاهنا نبذًا من الكتب المصنَّفة في هذا الفن. منها: قواعد العقائد[٣] والتجريد[٤] كلاهما لخواجه نصير الدين الطوسي

---

(١) من بلاد الروم من ناحية بلاد باطوس (المشرق). وهي مدينة كبيرة مشهورة لها سور عظيم، تقع على نهر كبير يصب في الفرات. وهي التي فتحها المعتصم بالله العباسي، وقال أبو تمام قصيدته المشهورة يصف ذلك الفتح.
الروض ٤١٣، نزهة المشتاق ٢٦٠.

(٢) مدينة في العراق على ضفة دجلة شمالي بغداد. وتعتبر مركز قضاء بمحافظة صلاح الدين. سكانها حوالي خمسين ألف نسمة. بناها المعصتم بالله العباسي عام ٨٣٦ م، واتخذها عاصمة له ومسكناً لجنوده الأتراك وأطلق عليها اسم «سُرَّ من رأى أو سامِراء». بلغت ازدهاراً كبيراً أيام المتوكل ثم تراجعت بعد أن عادت العاصمة إلى بغداد. فيها سد لتخزين المياه، وآثار كثيرة منها: قصر المتوكل، المنارة الملوية وضريح الإمام علي الهادي وابنه الحسن العسكري. انظر: المنجد في الأعلام ٢٨٧.

(٣) في هامش الأصل ما نصه: قواعد العقائد أيضاً في الكلام للإمام أبي حامد حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى المتوفى عام ٥٠٥ هـ، شرحها السيد ركن الدين حسن بن أحمد الاسترابادي المتوفى سنة ٧١٨ هـ. أما قواعد العقائد لنصير الدين الطوسي فهو كتاب تجريد العقائد المعروف بتجريد الكلام.

(٤) تجريد الكلام للعلامة المحقق نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي (ـ ٦٧٢ هـ).
كشف الظنون ١/٣٤٦.

وقد عرفته. وعلى التجريد شروح: شرح شمس الدين الأصفهاني[١] وستعرف ترجمته، وعليه حواشٍ لابن المطهر الحلي[٢]، ثم للفاضل الشريف الجرجاني. ومن شروحه: شرح أكمل الدين[٣] وقد مرّ ذكرهم. ومن شروحه: شرح مولانا علي بن محمد القوشيجي السمرقندي[٤]، وعليه حواش لمولانا جلال الدين الدواني[٥]، وللسيد صدرالدين الشيرازي[٦]، ثم دار الكلام بينهما مرارًا، ورتبوا حواشي أطوارًا يعرفها أهلها.

ومنها الطوالع[٧] للبيضاوي[٨] وقد مرّ ذكره، وعليه شروح أفضلها وأحسنها: شرح شمس الدين الأصفهاني[٩]، وهو محمود بن أبي القاسم بن محمد الأصبهاني الشيخ شهاب الدين أبو الثنا، ولد بأصبهان سنة أربع وسبعين وست مائة، وبرع في فنون العقليات وقدم دمشق، ودرس بالرواحية، ثم قدم مصر ودرس بالمعزية وأقام بها إلى حين وفاته. وله التصانيف الكثيرة: شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح الطوالع، وشرح المطالع، وناظرة العين، وغيرها. وشرع في تفسير كبير لم يتمه. قال ابن السبكي في طبقاته الكبرى[١٠]: أوقفني على بعضه. وله شرح البديع للساعاتي في أصول الفقه. توفي في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسبع مائة بطاعون مصر[١١].

ومنها: المحصل[١٢] والأربعين[١٣] كلاهما للإمام الرازي وقد مرّ ذكره.

ومنها: لباب الأربعين[١٤] للأرموي[١٥]

---

(١) شرح لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني (٧٤٩ هـ) على تجريد الكلام للطوسي، وسماه بتشييد القواعد في شرح تجريد العقائد. كشف الظنون ١/٣٤٦.

(٢) هو جمال الدين حسن بن يوسف بن مطهر الحلي، شيخ الشيعة، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ. وهو شرح بقال أقول. (الأصل). حاشية ابن المطهر الحلي على شرح التجريد، لجمال الدين حسن بن يوسف بن مطهر الحلي شيخ الشيعة (ـ ٧٢٦ هـ) على تجريد الكلام للطوسي. كشف الظنون ١/٣٤٦.

(٣) شرح أكمل الدين على التجريد، شرح العلامة أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي (ـ ٧٨٦ هـ) على تجريد الكلام للطوسي. كشف الظنون ١/٣٥١.

(٤) شرح المولى المحقق علاء الدين علي بن محمد الشهير بقوشجي (ـ ٨٧٩ هـ) على تجريد الكلام للطوسي. وقد اشتهر شرحه بالشرح الجديد. كشف الظنون ١/٣٤٨.

(٥) حاشية على الشرح الجديد (شرح على تجريد الطوسي) للعلامة المحقق جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني (ـ ٩٠٧ هـ). كشف الظنون ١/٣٤٩.

(٦) للمولى المحقق مير صدر الدين محمد الشيرازي (ـ ٩٣٠ هـ) على الشرح الجديد (شرح تجريد الكلام للطوسي). كشف الظنون ١/٣٤٩.

(٧) طوالع الأنوار، مختصر في الكلام للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي (ـ ٦٨٥ هـ). كشف الظنون ٢/١١١٦.

(٨) البيضاوي: هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشرازي، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي. توفي عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م. قاض، مفسر علامة، متكلم، له الكثير من المؤلفات الهامة.
الأعلام ٤/١١٠، البداية والنهاية ١٣/٣٠٩، دائرة المعارف الإسلامية ٤/٤١٨ بغية الوعاة ٢٨٩، نزهة الجليس ٢/٨٧.

(٩) شرح لأبي الثناء شمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني (ـ ٧٤٩ هـ) على طوالع الأنوار. كشف الظنون ٢/١١١٦.

(١٠) طبقات الشافعية للقاضي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، أبي نصر (ـ ٧٧١ هـ). كشف الظنون ٢/١٠٩٩.

(١١) انظر ترجمته في: الأعلام ٧/١٧٦، الدرر الكامنة ٤/٣٢٧، بغية الوعاة ٣٨٨، البدر الطالع ٢/٢٩٨، شذرات الذهب ٦/١٦٥.

(١٢) المحصل في أصول الفقه، مبسوط لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ـ ٦٠٦ هـ). كشف الظنون ٢/٦١٥.

(١٣) للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ـ ٦٠٦ هـ). رتبه على أربعين مسئلة من مسائل الكلام. كشف الظنون ١/٦١.

(١٤) كتاب لخص فيه القاضي سراج الدين أبو الثناء محمود بن ابي بكر الارموي (ـ٦٨٢هـ) الاربعين في اصول الدين للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ) وسماه اللباب كشف الظنون ١/٦١، ٢/١٥٤٠.

(١٥) هو محمود بن أبي بكر بن أحمد أبو الثناء سراج الدين الأرموي، ولد عام ٥٩٤هـ/١١٩٨م، وتوفي بقونية عام ٦٨٢هـ/ =

وسيأتي ذكره.

ومنها: نهاية العقول[١] للإمام الرازي أيضًا.

ومنها الصحائف[٢] للسمرقندي[٣]، ولم أقف على ترجمته.

ومنها: إبكار الأفكار[٤] للآمدي[٥]، وهو علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الإمام أبو الحسن السيف الآمدي، المشهور. صاحب أبكار الأفكار في علم الكلام، وصاحب إحكام الأحكام في أصول الفقه. ولد بآمِد[٦] بعد سنة خمسين وخمس مائة. قرأ على مشايخ بلده الفقه على مذهب الشافعي، وقرأ بها القراءات، وحفظ كتابًا في مذهب أحمد بن حنبل، ورحل إلى العراق، وأقام في الطلب ببغداد مدة، وصحب ابن بنت الجني المكفوف[٧]. وأخذ عنه علم الجدل والمناظرة، وأخذ علم الأوائل من جماعة من نصارى الكرخ ويهودها، وتظاهر بذلك فجفاه الفقهاء وتحاموه ووقعوا في عقيدته، وفرّ من العراق ودخل مصر سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة، وناظر بمصر وحاضر وأظهر بها تصانيفه في علوم الأوائل، فقرىء عليه تلك التصانيف، وتصنيفه في أصول الدين وأصول الفقه. ثم وقع التعصب عليه فخرج من القاهرة مستخفيًا وقدم إلى حماة، ثم استوطن دمشق، وتولى بها التدريس، ثم اتهم بأن راسل مع صاحب آمد على أنْ يتولى قضاء آمد فرفعت يده عن المدرسة وتعطل، وأقام بمنزله شهورًا قليلة. ومات في سنة إحدى وثلاثين وست مائة. يقال: إنّه حفظ الوسيط وحمل عنه الأذكياء العلم أصولًا وكلامًا وخلافًا.

وتصانيفه مرغوب فيها، فمن ذلك: كتاب الباهر في علم الأوائل والأواخر، خمس مجلدات كبار، وكتاب أبكار الأفكار في أصول الدين، أربع مجلدات. وكتاب الحقائق في علوم الأوائل، ثلاثة مجلدات. وكتاب المآخذ على الإمام الرازي في شرح الإشارات، مجلد. وله المنتهى، ومنائح القرائح، وشرح جدل الشريف. وله طريقة في الخلاف وتعليقة حسنة. وكان يعرف في الخلاف طريقة الشريف وطريقة أسعد الميهني[٨]. وكان تفنّن في علم النظر، وتصانيفه

=١٢٨٣م. عالم بالأصول والمنطق، من فقهاء الشافعية. له عدّة كتب وشروحات. الأعلام ٧/ ١٦٦، طبقات السبكي ٥/ ١٥٥، معجم المطبوعات ١/ ٤٢٧، هدية العارفين ٢/ ٤٠٦.

(١) نهاية العقول في الكلام في دراية الأصول، أي أصول الدين للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ـ ٦٠٦ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٨٨.

(٢) الصحائف في الكلام. من شروحه المعارف في شرح الصحائف لشمس الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي، (ـ ٦١٩ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٧٥.

(٣) هو نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر سمرقندي. كان معاصراً لفخر الدين الرازي، طبيب، فاضل، بارع. له كتب جليلة وتصانيف مشهورة. مات قتلاً بمدينة هراة على يد التتر عام ٦١٩ هـ/ ١٢٢٢ م. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣/ ٤٧، الأعلام ٦/ ٢٨٠، الذريعة ١/ ٤٠٤.

(٤) في الكلام للشيخ أبي الحسن علي ابن أبي علي بن محمد التغلبي الحنبلي ثم الشافعي المعروف بسيف الدين الآمدي (ـ ٦٣١ هـ). كشف الظنون ١/ ٤.

(٥) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٧/ ١٥٥، وفيات الأعيان ١/ ٤١٥، عيون الأنباء ٢/ ١٧٤، لسان الميزان ٣/ ١٣٤، البداية ١٣/ ١٤٠، حسن المحاضرة ٩/ ٣١٢.

(٦) آمد: بكسر الميم، وهي لفظة رومية، بلد قديم حصين ركين، مبني بالحجارة السود على نشز، ودجلة محيطة بأكثره، مستديره به كالهلال، وهي تنشأ من عيون بقربه. مراصد الاطلاع ٦.

(٧) ابن بنت الجني المكفوف، يرجح أنه من علماء الكلام ببغداد، مجهول المولد والوفاة.

(٨) أسعد الميهني: هو أسعد بن أبي نصر بن الفضل الميهني الشافعي، مجد الدين، أبو الفتح. ولد عام ٤٦١ هـ/ ١٠٦٩ م. وتوفي عام ٥٢٧ هـ/ ١١٣٣ م. فقيه له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ٢٥٠، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٤٥،=

فوق العشرين كلّها حسنة منقّحة.

ويحكى أنّ شيخ الإسلام عزالدين عبدالسلام[(١)] قال: ما سمعت أحدًا يلقي الدرس أحسن من الآمدي كأنه يخطب. وقال: ما علمنا قواعد البحث إلّا من سيف الدين الآمدي. وقال: لو ورد على الإسلام متزندق يشكك ما تعيّن لمناظرته غير الآمدي لاجتماع أهلية ذلك فيه.

ويحكى أنّ الآمدي رأى في منامه حجة الإسلام الغزالي في تابوت وكشف عن وجهه وقبّله، فلما انتبه أراد أن يحفظ شيئًا من كلامه، فحفظ المستصفى[(٢)] في أيام يسيرة.

ومنها: المواقف[(٣)]، وجواهر الكلام[(٤)]، والعقائد العضدية[(٥)] جميعها لمولانا عضد الملة والدين[(٦)] وسيأتي ذكره. وللمواقف شروح: شرح الأبهري[(٧)]، وشرح الكرماني[(٨)] وأحسن شروحه وأنفعها: شرح الشريف الجرجاني[(٩)] قدّس سرّه. وللجواهر أيضًا شرح، لم أدر من صنفه[(١٠)]، وكذا على العقائد العضدية شرح لمولانا جلال الدين الدواني قدس سرّه.

ومنها: المقاصد وشرحه[(١١)] كلاهما لمولانا سعدالدين التفتازاني[(١٢)] رحمه الله، وله كتاب تهذيب المنطق والكلام[(١٣)]، وهو مع وجازته مشتمل على مهمات هذا الفن.

ومنها: كتاب تهافت الفلاسفة[(١٤)] للإمام الهمام، وقدوة علماء الإسلام، النور اللامع بين الأنام، حجة الإسلام، محمد بن محمد الغزالي الطوسي وستعرف مناقبه الشريفة في المحل اللائق به رضي الله عنه وأرضاه. رد الإمام المذكور في كتاب التهافت مطالب الحكماء[(١٥)] وجهلهم وبدعهم في سبعة عشر مسئلة، وأكفرهم في ثلاث مسائل: إحداها: أنّ الله تعالى لا

=كشف الظنون ٢/ ١١١٣.

(١) سبق التعريف به.

(٢) في أصول الفقه للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ـ ٥٠٥ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٧٣.

(٣) في علم الكلام للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي القاضي (ـ ٧٥٦ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٩١.

(٤) للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي (ـ ٧٥٦ هـ). كشف الظنون ١/ ٦١٦.

(٥) العقائد العضدية للقاضي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي (ـ ٧٥٦ هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٤٤.

(٦) سبق التعريف به.

(٧) شرح لسيف الدين أحمد الأبهري (ـ ؟. . . هـ) على المواقف في علم الكلام للأيجي كشف الظنون ١/ ١٨٩١.

(٨) شرح لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ـ ٧٨٦ هـ) على المواقف في علم الكلام للأيجي. كشف الظنون ٢/ ١٨٩١.

(٩) شرح للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ـ ٨١٦ هـ) على المواقف للأيجي. كشف الظنون ٢/ ١٨٩١.

(١٠) وسماه صاحب كشف الظنون علي بن محمد البخاري المعروف بعلاء النبيهي، وفرغ منه في رجب سنة ٧٧٠ هـ. (الأصل).

(١١) المقاصد في علم الكلام للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ـ ٧٩٣ هـ) وله عليه شرح جامع. كشف الظنون ٢/ ١٧٨٠.

(١٢) سعد الدين التفتازاني: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين. ولد بتفتازان عام ٧١٢ هـ/ ١٣١٢ م. وتوفي بسمرقند عام ٧٩٣ هـ/ ١٣٩٠ م، من أئمة البيان واللغة والمنطق. له العديد من المصنفات. الأعلام ٧/ ٢١٩، بغية الوعاة ٣٩١، الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠.

(١٣) تهذيب المنطق والكلام للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ـ ٧٩٣ هـ). كشف الظنون ١/ ٥١٥.

(١٤) تهافت الفلاسفة للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ـ ٥٠٥ هـ). كشف الظنون ١/ ٥٠٩.

(١٥) والقاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي صنف تهافتاً من طرف الحكماء، ردّ على تهافت الغزالي (الأصل).

يعلم الجزئيات، وثانيتها: إنكار حشر الأجساد، وثالثتها: قِدَم العالم.

ثم إنّ السلطان الأعظم والخاقان الأكرم، شرف آل عثمان، من سلاطين الروم، السلطان محمد بن مرادخان[١] روّح الله روحه وروّح أسلافه، وأدام عمر أعقابه وأخلافه، ولازال كافة الأنام يأوي إلى ظلالهم إلى يوم القيام، أمر المولى علي الطوسي[٢] ومولانا مصلح الدين مصطفى الشهير بخواجه زاده[٣] أن يكتبا محاكمة الإمام الغزالي والحكماء، فكتبا كتابين. وكتب مولانا مصلح الدين في أربعة أشهر والطوسي في ستة أشهر[٤]، ومع ذلك رجّح علماء ذاك الزمان كتاب مولانا مصلح الدين على الآخر فأعطى السلطان المذكور لكل منهما عشرة آلاف درهم، وخصّ مولانا مصلح الدين ببغلة نفيسة عالية غالية. يقال: إنّ هذه البغلة كانت من جملة أسباب ترك علي الطوسي في بلاد الروم.

ويحكى أنّ مولانا جلال الدين الدواني عندما رأى كتاب مولانا مصلح الدين دعا له بالخير، وكان في خاطره أن يكتب في هذا الباب كتابًا، قال: ولو كتبت قبله لكنت ضحكة للناظرين.

ومنها: تعديل الكلام[٥]، للمولى العالم الرباني والحبر الصمداني المولى صدر الشريعة[٦]، أكرمه الله في الدرجات الرفيعة. وهو رحمه الله كتب كتابًا سماه: تعديل العلوم، بدأ فيه بالمنطق، ثم بالكلام، ثم أقسام الحكمة على التمام. ولعمري لقد أتى فيه مباحث عجز عن حلها الأوائل والأواخر تحقيقًا لما قيل: كم ترك الأول للآخر. وقد كان رحمه الله بحرًا زاخرًا لا يدرك له قرار، وطودًا شامخًا لا يرتقي إلى قنته ولا يصار. ولقد كان آية كبرى في الفضل والتدقيق، وعروة وثقى في الإتقان والتحقيق. روّح الله روحه، وزاد في غرف الجنان فتوحه. وستعرف ترجمته في علم الفقه إنْ شاء الله تعالى.

وأمّا الشروح والحواشي في هذا العلم سوى ما ذكر فخارجة عن العدّ والإحصاء، لكن فيما ذكر كفاية لذي لبّ، وبلاغ لكل طالب، والله الموفق والمرشد.

المطلب الخامس:
في فروع علم أصول الدين(*)

---

(١) محمد بن مرادخان: هو السلطان محمد خان بن السلطان مرادخان بن السلطان محمد بن بايزيد خان. بويع له بالسلطنة عام ٨٥٥ هـ. وتوفي عام ٨٨٦ هـ. الشقائق النعمانية/ ٧٠.

(٢) هو علي بن محمد الطوسي، البتاركاني، علاء الدين. توفي عام ٨٧٧ هـ/ ١٤٧٣ م. حكيم، من فقهاء الحنفية، له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٩، الفوائد البهية ١٤٥، كشف الظنون ١/ ٤٩٧، هدية العارفين ١/ ٧٣٧.

(٣) هو مصطفى بن يوسف بن صالح البروسوي، مصلح الدين، المعروف بالمولى خواجة زاده، توفي عام ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٨ م. قاض، من علماء الدولة العثمانية، له عدة كتب. انظر عنه:
الأعلام ٧/ ٢٤٧، شذرات الذهب ٧/ ٣٥٤، البدر الطالع ٢/ ٣٠٦، الفوائد البهية ٢١٤.

(٤) وسماه الذخيرة، وقد طبع في مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن (الهند) ـ الأصل.

(٥) تعديل العلوم للفاضل العلامة عبيد الله بن مسعود المعروف بصدر الشريعة البخاري الحنفي (ـ ٧٤٧ هـ) جعله على قسمين الأول في الميزان أي المنطق والثاني في الكلام. كشف الظنون ١/ ٤١٩.

(٦) هو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد المحبوبي البخاري الحنفي، صدر الشريعة الأصغر ابن صدر الشريعة الأكبر توفي عام ٧٤٧ هـ/ ١٣٤٦ م. من علماء الحكمة والطبيعيات وأصول الفقه والدين. له العديد من المصنفات.
انظر عنه:
الأعلام ٤/ ١٩٧، الفوائد البهية ١٠٩، كشف الظنون ١/ ٤١٩.

(*) يتبع هذا المطلب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة، بحسب تقسيم المؤلف لها. وقد أفرد المؤلف شعبة قائمة بذاتها لعلم أصول الدين، هي الشعبة الخامسة في فروع العلوم الشرعية، التي سبق الحديث عنها.

واعلم أنّ المتقدمين من علماء الكلام لما رأوا أنّ الغاية القصوى من العلوم معرفة الله تعالى وصفاته، وما يتفرّع عليها من أحوال النبوّة والمعاد، بحثوا عن هذه الأمور، وجعلوا البحث عما يتوقّف هي عليها من أحوال الموجودات بطريق المبدئية على قدر الحاجة. ولذلك ترى كتب الأقدمين عن السلف الصالحين مقصورة على المباحث المذكورة.

ثم إنّ من يليهم من العلماء لما رأوا أنّ تلك المبادىء من مسائل العلم الإلهي، وتحاشوا عن أن يحتاج علم العقائد إلى علوم الفلاسفة، عمّموا موضوعه، فبحثوا عن أحوال الموجودات الخارجية مطلقًا ليكون لهم علم شرعي بإزاء العلم الإلهي للفلاسفة. ويمتاز عنها بأن يبحث في الكلام على قواعد الشرع وفي الإلهي على مقتضى العقول، وافق الملل والشرائع أمْ لا.

ثم إنّ من يليهم من العلماء لما رأوا أنّ علمهم هذا لا يستغني عن القواعد المنطقية التي وضعتها الفلاسفة، ورأوا أنّ احتياج علم شرعي إلى علم غير شرعي غير مرضي عند المتشرّعين، عمّموا موضوع العلم المذكور مرة أخرى، وجعلوا موضوعه المعلوم المتناول للموجود الخارجي والموجود الذهني الذي هو موضوع المنطق، وذلك لأنّ موضوعه المعقولات الثانية الموجودة في الذهن فقط. فعلى هذا الذي استقر عليه رأيهم آخرًا صار موضوعه أعمّ المفهومات كلّها، بحيث اندرج فيها موضوعات جميع العلوم. وقد تقرّر في موضعه أنّ الأصالة والفرعية بين العلوم العقلية أنْ يكون موضوع الفرع من أنواع موضوع الأصل. فعلى هذا يكون جميع العلوم من فروع علم الكلام لأنّ موضوعه أعمّ الموضوعات كلّها. ولهذا لم نتعرض لفروع علم الكلام أصلًا لا لعدم فروعه.

علم أصول الفقه(*):

وهو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية اليقينية.

وموضوعه الأدلّة الشرعية الكلّية من حيث إنّها كيف يستنبط عنها الأحكام الشرعية.

ومباديه مأخوذة من العربية وبعض من العلوم الشرعية والعقلية.

والغرض منه تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها الأربعة التفصيلية، أعني: الكتاب والسُّنة والإجماع والقياس.

وفائدته استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة.

من الكتب القديمة المصنّفة في هذا العلم: كتاب للإمام الجصّاص وهو أحمد بن علي أبو بكر الرازي المعروف بالجصّاص. ولد سنة خمس وثلاث مائة، وسكن بغداد، وانتهت إليه رياسة الحنفية، وسئل بالقضا فامتنع. وتفقّه على أبي الحسن الكرخي(١)، وتخرّج به، وكان على طريقه من الزهد والورع، وخرج إلى نيسابور ثم عاود وتفقه عليه جماعة، وروى عن عبد الباقي بن قانع(٢) وله: كتاب إلهام القرآن، وشرح مختصر الكرخي، وشرح مختصر الطحاوي،

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السادسة من العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو عبيد الله بن الحسين الكرخي، أبو الحسن. ولد عام ٢٦٠ هـ/ ٨٧٤ م، وتوفي عام ٣٤٠ هـ/ ٩٥٢ م. فقيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره بالعراق. له عدة تصانيف.
الأعلام ٤/ ١٩٣، الفوائد البهية ١٠٧.

(٢) عبد الباقي بن قانع: هو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء، البغدادي، أبو الحسين. ولد عام ٢٦٦ هـ/ ٨٨٠ م. وتوفي عام ٣٥١ هـ/ ٩٦٢ م. قاضٍ، من حفاظ الحديث. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٧٢، لسان الميزان ٣/ ٣٨٣.

وشرح الجامع لمحمد بن الحسن، وشرح الأسماء الحسنى، وصنّف كتابًا في أصول الفقه، وكتاب جوابات المسائل. توفي يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مائة ببغداد[(١)]. وقد وهم من جعل الجصاص غير أبي بكر الرازي بل هما واحد.

ومنها: كتاب الأسرار وكتاب تقويم الأدلة وكتاب الأمد الأقصى[(٢)] كلّها لأبي زيد الدبوسي وهو عبيد الله بن عمر بن عيسى أبو زيد الدبوسي. ودبوسة بفتح المهملة وضم الموحدة قرية بين بخارى وسمرقند، وهو أول من وضع علم الخلاف، وصنّف الكتب المذكورة، وكان ممن يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج، وهو من كبار الفقهاء الحنفية. وناظره مرةً رجل فجعل الرجل يضحك ويبتسم، فأنشد أبو زيد لنفسه:

مـا لـي إذا ألـزمـتـه حـجـة
قـابـلـنـي بـالـضـحـك والـقـهـقـهـة
إن كـان ضـحـك الـمـرء مـن فـقـهـه
فـالـدبّ فـي الـصـحـراء مـا أفـقـهـه

ويروى بالضحك والتبسمة، فالدبّ في الصحراء ما أفهمه. توفي ببخارى سنة ثلاثين وأربع مائة[(٣)].

ومنها: أصول فخر الإسلام البزدوي[(٤)]، وهو علي بن محمد بن الحسن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد، أبو الحسن، فخر الإسلام البزدوي الفقيه بما وراء النهر، صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة رحمه الله. توفي يوم الخميس خامس رجب سنة اثنتين وثمانين وأربع مائة، ودفن بسمرقند[(٥)]. له: كتاب المبسوط أحد عشر مجلدًا، وشرح الجامع الكبير، والجامع الصغير، وكتابه في أصول الفقه مشهور. قال قاسم بن قطلوبغا[(٦)] في طبقات الحنفية[(٧)] قد خرجت أحاديثه ولم أسبق إليه. قال الذهبي[(٨)] وكان مولده في حدود الأربع مائة. روى عنه أبو المعالي محمد بن نصر الخطيب وعلى أصول فخر الإسلام شروح كثيرة أحسنها وأشهرها شرح عبد العزيز البخاري المسمّى بالكشف، وهو عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري، له شرح البزدوي، وشرح

(١) انظر ترجمته في: المنتظم ٧/ ١٠٥، الجواهر المضيئة ١/ ٨٤، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٥٩، النجوم الزاهرة ٤/ ١٣٨، تاج التراجم ٤، شذرات الذهب ٣/ ٧١.

(٢) وهو مشتمل على حكم ونصائح في أحد عشر كتاباً.

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣١٧، تاج التراجم ٢٦، البداية والنهاية ١٢/ ٤٦، اللباب ١/ ٤١٠، الجواهر المضيئة ١/ ٣٣٩.

(٤) وهو كتاب عظيم الشأن، جليل البرهان، محتوٍ على لطائف الاعتبارات بأوجز العبارات. وقام جمع من الفحول بأعباء توضيحه وكشف خباياه وتلميحه، منهم الإمام حسام الدين حسين بن علي الصغناني الحنفي المتوفى ١٧٠ هـ، وسمّاه: الكافي. وغيره من مشاهير الأعلام، ذكر أكثرهم صاحب كشف الظنون، فليرجع إليه.

(٥) انظر ترجمته في: تاج التراجم ٣٠، الجواهر المضيئة ١/ ٣٧٢، الفوائد البهية ١٢٤.

(٦) قاسم بن قطلوبغا: هو قاسم بن قطلوبغا زين الدين، أبو العدل السودوني الجمالي. ولد عام ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩ م. وتوفي عام ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤ م. فقيه، حنفي، مؤرخ، باحث له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٨٠، البدر الطالع ٢/ ٤٥، شذرات الذهب ٧/ ٣٢٦، الضوء اللامع ٦/ ١٨٤، الفوائد البهية ٩٩.

(٧) مختصر في طبقات الحنفية جمعه قاسم بن قطلوبغا وسماه تاج التراجم (ـ ٨٧٩ هـ)
كشف الظنون ١/ ٢٦٩، ٢/ ١٠٩٨.

(٨) الذهبي: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله. ولد في دمشق عام ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤ م. وتوفي فيها عام ٧٤٨ هـ/١٣٤٨ م. حافظ، مؤرخ، علامة، له العديد من المصنفات الهامة. انظر عنه:
الأعلام ٥/ ٣٢٦، فوات الوفيات ٢/ ١٨٣، نكت الهميان ٢٤١، طبقات السبكي ٥/ ٢١٦، شذرات الذهب ٦/ ١٥٣، غاية النهاية ٢/ ٧١.

الأخسيكثي المسمّى بالتحقيق، وشرح الهداية إلى النكاح. وعلى أصول فخر الإسلام شرح آخر المسمّى بالتقرير للشيخ أكمل الدين وستعرفه.

وللإمام فخر الإسلام البزدوي أخ مشهور بأبي اليسر، اليُسْرِ تصانيفه. كما أنّ فخر الإسلام مشهور بأبي العسر لعسر تصانيفه، وهو محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم أبو اليسر البزدوي. قال عمر بن محمد النسفي(١) في: كتاب القند في أحوال سمرقند (٢) كان أبو اليسر شيخ أصحابنا بما وراء النهر، وكان إمام الأئمة على الإطلاق، والوفود إليه من الآفاق. ملأ الشرق والغرب بتصانيفه في الأصول والفروع. توفي ببخارى في رجب سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة. قال السمعاني(٣) ولد سنة إحدى وعشرين وأربع مائة(٤).

ومنها: أصول شمس الأئمة السرخسي، وهو محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبو بكر السرخسي، شمس الأئمة، صاحب المبسوط. تخرج بعبد العزيز الحلوائي(٥) والحصيري(٦) وغيره. مات في حدود الخمس مائة(٧). كان عالمًا أصوليًا مناظرًا، وقد شاع أنه أملى المبسوط من غير مراجعة إلى شيء من الكتب. يدل عليه ما ذكره فيه، وهو قوله: انتهى ربع البيوع من المبتهل إلى الله تعالى بالخضوع وإسبال الدموع، المنقطع عن الأهل والكتاب المجموع، إلى غير ذلك من أماكن يترجع بنحو هذا من السجع، وعدته عشرة أجزاء ضخمة. وله كتاب في أصول الفقه جزأ ضخمًا، وشرح السير الكبير في جزئين ضخمين أملاهما وهو في الجُبّ محبوس بسبب كلمة نصح بها الأمراء. وكان تلامذته على أعلى الجُبّ يكتبون، فلما وصل إلى باب الشروط حصل الفرج فأطلق، فخرج إلى فرغانة(٨) فأكرمه الأمير حسن، فوصل إليه الطلبة، فأكمله، وشرح مختصر الطحاوي وكتب محمد بن الحسن. وقيل له يومًا: حفظ الشافعي ثلاث مائة كراس فقال: حفظ زكاة ما أحفظ، فحسب ما حفظه

---

(١) عمر بن محمد النسفي: هو عمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي. ولد بنسف عام ٤٦١ هـ/ ١٠٦٨ م. وتوفي بسمرقند عام ٥٣٧ هـ/ ١١٤٢ م. عالم بالكلام والتفسير والتاريخ والأدب، فقيه، حنفي. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٦٠، الفوائد البهية ١٤٩، الجواهر المضيئة ١/ ٣٩٤، لسان الميزان ٤/ ٣٢٧.

(٢) القند في تاريخ سمرقند لأبي حفص نجم الدين عمر بن محمد النسفي السمرقندي (ـ ٥٣٧ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٥٦.

(٣) السمعاني: هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد. ولد بمرو عام ٥٠٦ هـ/ ١١١٣ م. وتوفي فيها عام ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧ م. مؤرخ رحالة، من حفاظ الحديث. له عدة كتب. الأعلام ٤/ ٥٥، طبقات السبكي ٤/ ٢٥٩، وفيات الأعيان ١/ ٣٠١، النجوم الزاهرة ٥/ ٥٦٣.

(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩، الجواهر المضيئة ٢/ ١١٦، الفوائد البهية ١٨٨، هدية العارفين ٢/ ٧٧.

(٥) عبد العزيز الحلوائي: هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح الحلوائي البخاري، أبو محمد، الملقب بشمس الأئمة. توفي عام ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦ م. فقيه حنفي، إمام عالم. له عدة مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٣، الفوائد البهية ٩٥، الجواهر المضيئة ١/ ٣١٨.

(٦) الحصيري: هو محمد بن ابراهيم بن أنوش بن ابراهيم بن محمد الحصيري الحنبلي، أبو بكر. توفي عام ٥٠٠ هـ/ ١١٠٧ م. فقيه له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ١٩٣، الأعلام ٦/ ١٨٥، كشف الظنون ١/ ٦٢٤.

(٧) وصرّح في كشف الظنون أنه توفي سنة ٤٧٣ هـ. وانظر ترجمته في: الأعلام ٥/ ٣١٥، الفوائد البهية ١٥٨، الجواهر المضيئة ٢/ ٢٨.

(٨) فرغانة: بالفتح ثم السكون وغين معجّمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان، في زاوية من ناحية هيطل، من جهة مطلع الشمس، على يمين القاصد لبلاد الترك. كثيرة الخيرات واسعة الرستاق. يقال: كان بها أربعون منبراً، وبينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً. انظر: مراصد الاطلاع ١٠٢٩.

فكان اثني عشر ألف كراس.

ومنها: أحكام الأحكام[١] للآمدي، وقد مرّ ذكره. وهذا مجلد ضخم، أكثر فيه من القواعد الأصولية وما تبتني هي عليها من المباحث العقلية.

ومنها: منتهى السوال والأمل في علمي الأصول والجدل[٢]، ومختصر[٣] هذا، كلاهما لابن الحاجب وقد مرّ ذكره. وعلى هذا المختصر شروح فوق عشرة مثل: شرح العلامة الشيرازي، وشرح السيد ركن الدين الموصلي، وشرح الشيخ جمال الدين الحلي وشرح المولى زين الدين الخنجي، وشرح المولى العلامة شمس الدين الأصبهاني وشرح الفاضل بدر الدين التستري، وشرح المولى شمس الدين الخطيبي، وشرح مولانا عضد الملة والدين. وقد ذكرنا أسماء هؤلاء على ترتيب وجود شروحهم. وقد اعتنى العلماء من بينها بشرح مولانا عضد الملة والدين لحسن اختصاره مع اشتماله على تدقيقات وتحقيقات لا توجد في غيرها. ولهذا كتبوا على ذلك حواشي شريفة، مثل: حاشية سيف الدين الأبهري، وحاشية شمس الدين الكرماني، وهما من تلامذة هذا الشارح، كتبا على مصنفاته الشروح والحواشي.

ومثل: حاشية المولى سعد الدين التفتازاني وشرح الفاضل مولانا السيد الشريف الجرجاني، وقد مرّ ذكر هؤلاء.

ومنها: القواعد والبدائع كلاهما لابن الساعاتي، وهو أحمد بن علي بن ثعلب بن الضياء، مظفر الدين بن الساعاتي البغدادي الأصل البعلبكي. سكن ببغداد ونشأ بها. وأبوه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد. وكان مظفر الدين أحمد إمامًا فاضلًا، صاحب تصانيف مفيدة، وبرع في الفقه وكتب الخط المنسوب، وصنّف: كتاب مجمع البحرين في الفقه، جمع فيه بين مختصر القدوري ومنظومة النسفي مع زوائد لطيفة، وأحسن وأبدع في ترتيبه واختصاره، ثم شرحه في مجلدين. وله: كتاب البديع في أصول الفقه[٤] جمع فيه بين أصول فخر الإسلام على البزدوي وإحكام الأحكام للآمدي. أخذ من الأول الشواهد الجزئية ومن الثاني القواعد الكلية. وذكر في تاريخ البدري[٥] أنه توفي سنة ثلاث وثمانين وست مائة في أيام الملك المنصور. وقيل توفي بعد اثنتين وثمانين وست مائة رحمه الله تعالى[٦].

ومنها: المنار لحافظ الدين النسفي وهو عبد

---

(١) احكام الأحكام في أصول الأحكام للشيخ أبي الحسن علي بن أبي علي محمد المعروف بسيف الدين الآمدي الشافعي. (ـ ٦٣١ هـ). كشف الظنون ١/ ١٧.

(٢) للشيخ الإمام جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي (ـ ٦٤٦ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٥٣.

(٣) اختصر ابن الحاجب منتهى السوال واشتهر بمختصر ابن الحاجب في الأصول وعليه شروح منها:
للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (ـ ٧١٠ هـ) ولعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي (ـ ٧٥٦ هـ)، ولركن الدين الموصلي (ـ هـ)، وللشيخ جمال الدين الحلي (ـ ٧٢٦ هـ)، وزين الدين الخنجي (ـ هـ) ولشمس الدين الأصفهاني (ـ ٧٤٦ هـ)، وبدر الدين التستري (ـ ٨٠٣ هـ)، وللمولى شمس الدين الخطيبي (ـ هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨٥٤.

(٤) سماه صاحب الكشف: بديع النظام الجامع بين كتاب البزدوي والأحكام. وقال: وهو مختصر لطيف.

(٥) تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر للشيخ بدر الدين محمد بن أحمد السروجي العيني الحنفي (ـ ٨٥٥ هـ). كشف الظنون ١/ ٢٨٧.

(٦) انظر ترجمته في: تاج التراجم ٤، الجواهر المضيئة ١/ ٨٠، الفوائد البهية ٢٧، مرآة الجنان ٤/ ٢٢٧، روضات الجنات ٨٩.

الله بن أحمد بن محمد أبو البركات، حافظ الدين النسفي[١]. له كتاب المستصفى في شرح المنظومة، وكتاب المنافع في شرح النافع، وكتاب الكافي في شرح الوافي كلاهما، وكتاب كنز الدقائق، وهذه كلها في الفقه. وكتاب المنار في أصول الفقه، وكتاب العمدة في أصول الدين، وكتاب شرح الهداية. كان ببغداد سنة عشر وسبع مائة، تفقه على شمس الأئمة الكردري[٢] وروى الزيادات عن العتابي[٣] وسمع منه السغناقي[٤] وشرح المنار وسمّاه: الكشف، وشرح العمدة وسمّاه: الاعتماد قال بعضهم[٥]: ولا يعرف له شرح على الهداية. ومن شروح المنار: جامع الأسرار، وهو شرح نفيس في الغاية إلّا أنا لم نعرف مصنفه، غير أني رأيت في ذيل بعض نسخ هذا الشرح أنّ اسمه محمد بن محمد الجبلي[٦] وأنه من تلامذة عبد العزيز البخاري صاحب الكشف في شرح أصول فخر الإسلام، ومن تلامذة حافظ الدين النسفي وقد مرّ ذكرهما. ومن شروح المنار: إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار لسعد الدين محمود الدهلوي[٧]. ومن شروحه: شرح أكمل الدين، وشرح ابن الملك، وغير ذلك.

ومنها: المغني للخبازي وهو عمر بن محمد بن عمر الشيخ جلال الدين الخبازي[٨]. له حواشٍ على الهداية، وكتاب المغني في أصول الفقه. كان فقيهًا عالمًا. مات لخمس بقين من ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وست مائة في عشر السبعين. ومن شروح المغني شرح منصور القاآني وهو أبو محمد منصور بن أحمد بن يزيد الخوارزمي القاآني، شرح المغني للخبازي شرحًا مفيدًا في الغاية في بابه. قيل إنه نظم أرجوزة في مناسك الحج. قال الذهبي: هو من الأعلام. توفي يوم السبت سنة خمس وسبعين وأربع مائة[٩]. قلت هكذا وقع في النسخة التي عندي لكنه غلط ظاهر، لأن تاريخ وفاة الخبازي قبل تمام الستّ مائة[١٠]، فكيف يتقدم عليه شارح كتابه.

ومن شروحه: شرح سراج الهندي، وهو أبو حفص عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوي سراج الدين الهندي، قاضي الحنفية بالقاهرة. يقال اسم أبيه إسمٰعيل، والصحيح إسحاق. تفقه ببلاده على الوجيه الرازي والسراج الثقفي[١١]

(١) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/٢٤٧، تاريخ علماء بغداد ٦٥، الجواهر المضيئة ١/ ٢٧٠، تاج التراجم ٢٢، الفوائد البهية ١٠١.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) السغناقي: هو الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السغناقي. توفي عام ٧١١ هـ/ ١٣١١ م. فقيه حنفي. له عدة كتب.
الأعلام ٢/٢٤٧، الفوائد البهية ٦٢، الجواهر المضيئة ١/ ٢١٢.

(٥) المراد من البعض صاحب تاج التراجم قطلوبغا (هامش الأصل).

(٦) وفي كشف الظنون: وشرحه قوام الدين محمد بن أحمد الكافي وسماه جامع الأسرار. (هامش الأصل).

(٧) المتوفى سنة ٨٩١ هـ، كما ذكر في كشف الظنون. (هامش الأصل).

(٨) انظر ترجمته في: البداية ١٣/ ٣٣١، شذرات الذهب ٥/ ٤١٩، تاج التراجم ٣٥، الجواهر المضيئة ١/ ٣٩٨، الفوائد البهية ١٥١.

(٩) انظر ترجمته في: تاج التراجم ٥٧، الفوائد البهية ٢١٥، هدية العارفين ٢/ ٤٧٤.

(١٠) الصواب: قبل تمام السبع مائة.

(١١) لعلّه الفقيه اسماعيل بن علي الثقفي السندي. كان حياً عام ٦١٢ هـ/١٢١٦ م فقيه، قاض، خطيب، عالم بالعربية والأدب ماهر بالفنون، تقي ورع. حركة التأليف باللغة العربية في الشمال الهندي، ٤٤. نزهة الخواطر، ١/ ١٢٥.

ولزين البداوني(١) وغيرهم من علماء الهند، وحجّ فسمع من الشيخ خضر(٢) شيخ رباط السدرة، عوارف المعارف، وحدّث به عند القطب القسطلاني(٣) عن مؤلفه وقدم القاهرة قديمًا سنة أربعين، وسمع من أحمد بن منصور الجوهري(٤) وغيره، وظهرت فضائله، ثم ولي قضاء العسكر بعد أن ناب عن الجمال التركماني(٥)، ثم عزل. كان عالمًا فاضلًا له وجاهة في دولة. وله: شرح المغني وشرح الهداية على طريقة الجدل وسمّاه بالتوشيح، وشرح بديع ابن الساعاتي، وشرح تائية ابن الفارض. وصنّف: الشامل في الفقه، وشرح المغني للخبازي. وله كتاب العزّة المنيفة في شرح مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وكتاب فقه الخلاف، وشرح الزيادات، والجامعين، ولم يكملهما. وله: كتاب في التصوف، وغير ذلك. وكان واسع العلم كثير الإقدام والمهابة، وكان يتعصب للصوفية الموحّدة، وعزر ابن أبي حجلة(٦) لكلامه في ابن الفارض. مات في الليلة التي مات فيها البهاء السبكي وهي ليلة السابع من شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة. وكانت ولايته نحو أربع سنين. وكان يكتب بخطه: مولدي سنة أربع وسبع مائة(٧).

ومنها: كتاب المنتخب للأخسيكثي، وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر حسام الدين الأخسيكثي(٨) وأخسيكث صح بالسين المهملة بعد الخاء المعجمة، وآخرها الثاء المثلثة، قرية فيما وراء النهر. صاحب المختصر في أصول الفقه. مات سنة أربع وأربعين وست مائة، وعليه شروح، منها: شرح عبد العزيز البخاري المسمّى بالتحقيق، وهو صاحب الكشف في شرح أصول فخر الإسلام وقد مرّ ذكره. وللمنتخب شرح آخر للإتقاني(٩) المسمّى بالتبيين، وستعرفه عند ذكر شرّاح الهداية. ومنها

---

(١) نسبة إلى بداءون، بقعة من معمورات الهند، معدن العلماء والأولياء. منها سلطان المشايخ. الشيخ نظام الدين الجشتي قدس الله سره وضريحه في دهلي.

(٢) من الصوفيين المغمورين.

(٣) القطب القسطلاني: هو محمد بن أحمد بن علي القيسي الشاطبي، أبو بكر، قطب الدين التوزري القسطلاني. ولد عام ٦١٤ هـ/١٢١٨ م. وتوفي عام ٦٨٦ هـ/١٢٨٧ م. عالم بالحديث، له العديد من المصنفات الهامة. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٣٢٣، طبقات الشافعية ٥/١٨، فوات الوفيات ٢/ ١٨١، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٣.

(٤) من علماء الحديث المتأخرين في القرن الثامن الهجري.

(٥) الجمال التركماني: هو عبد الله بن علي بن عثمان بن ابراهيم بن مصطفى التركماني المارديني الحنفي، جمال الدين. ولد عام ٧١٩ هـ/١٣١٩ م، وتوفي عام ٧٦٩ هـ/ ١٣٦٨ م. فقيه، مدرس، قاض، له عدة كتب انظر عنه: معجم المؤلفين ٦/ ٩١، حسن المحاضرة ١/ ٢٦٨، الجواهر المضيئة ١/ ٢٧٩، الفوائد البهية ١٠٣.

(٦) ابن أبي حجلة: هو أحمد بن يحي بن أبي بكر التلمساني، أبو العباس، شهاب الدين، ابن أبي حجلة، ولد عام ٧٢٥ هـ/ ١٣٢٥ م. وتوفي عام ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٥ م. عالم بالأدب، شاعر، فقيه، عابد. له تصانيف عديدة. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٦٩، الدرر الكامنة ١/ ٣٢٩، آداب اللغة ٣/ ١٢٣.

(٧) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/ ١٥٤، تاج التراجم ٣٦، الفوائد البهية ١٤٨، حسن المحاضرة ١/ ٢٦٨.

(٨) انظر ترجمته في: الفوائد البهية ١٨٨، هدية العارفين ٢/ ١٢٣، الأعلام ٧/ ٢٨، معجم المطبوعات ٥٣٨، كشف الظنون ٢/ ١٨٤٨.

(٩) الاتقاني: هو أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غاري الفارابي الاتقاني الحنفي، قوام الدين. ولد عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م. وتوفي عام ٧٥٨ هـ/١٣٥٦ م. فقيه، محدث، لغوي، تجول في المدن، وله عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٣/ ٤، الدرر الكامنة ١/ ٤١٤، بغية الوعاة ٢٠١، شذرات الذهب ٦/ ١٨٥، النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٢٥، البدر الطالع ١/ ١٥٨.

التحصيل[١] للأرموي وقد مرَّ ذكره.

ومنها: المحصول[٢] للإمام فخر الدين الرازي وقد مرّ ذكره في المفسرين.

ومنها التنقيح وشرحه التوضيح للمولى الفاضل صدر الشريعة، وهو عبيد الله بن مسعود بن محمود بن عبيد الله بن محمود صدر الدين المحبوبي. عالم محقق وحبر مدقق، له تصانيف مفيدة، ومنها: التنقيح وشرحه التوضيح في أصول الفقه، وشرح الوقاية ومختصر الوقاية، في الفقه، والوشاح في المعاني وتعديل العلوم، في أقسام العلوم العقلية كلها. ثم شرح هذا الكتاب بجميع أقسامه. ولقد أبدع فيها بحيث أورد تحقيقات عجز عنها الأوائل سيما المنطق والكلام، ويشهد بما ذكرناه من طالع ذلك الكتاب. يحكى أنّ العلامة قطب الرازي[٣] أراد أنْ يجتمع مع صدر الشريعة ويتباحث معه، فأرسل إليه أولًا من تلامذته مولانا مبارك شاه[٤]، وكان مبارك شاه من غلمان الرازي، ورباه صغيرًا، وعلمه كبيرًا، وتبناه، فصار مشهورًا في الآفاق ليتعرف كيفية الحال. فحضر مبارك شاه درس صدر الشريعة وهو يومئذٍ بهراة[٥] والعلامة بالريّ[٦]، فوجده يدرّس كتاب الإشارات لابن سينا ولا يتابع فيه المصنف ولا واحدًا من شارحيه الإمام والطوسي، فكتب مبارك شاه إلى مولاه العلّامة أنّ الرجل نار وقّاد، والإقدام ربما يورث الملام. فعمل العلامة برأيه وقبل نصحه ولم يتجاسر على ما قصده.

ومنها: التلويح في شرح التنقيح[٧] لمولانا سعد الدين التفتازاني وقد مرّ ذكره.

ومنها: فصول البدائع في أصول الشرائع[٨] للمولى العالم العامل والفاضل الكامل مولانا شمس الدين الفناري[٩] قدس سره وقد مرّ ذكره.

---

(١) تحصيل مختصر المحصول في أصول الفقه (كشف الظنون ١/ ٣٦٠).
المحصول في أصول الفقه مبسوط لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ـ ٦٠٦ هـ). اختصره سراج الدين أبو الثناء محمود بن أبي بكر الأرموي (ـ ٦٨٢ هـ) وسماه التحصيل. كشف الظنون ٢/ ١٦١٥.

(٢) المحصول في أصول الفقه، مبسوط لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ـ ٦٠٦ هـ) كشف الظنون ٢/ ١٦١٥.

(٣) العلامة قطب الرازي: هو محمد (أو محمود) بن محمد الرازي، أبو عبد الله، قطب الدين. ولد عام ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥ م. وتوفي عام ٧٦٦ هـ/ ١٣٦٥ م. عالم بالحكمة والمنطق. له العديد من التصانيف. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٣٨، شذرات الذهب ٦/ ٢٠٧، طبقات الشافعية ٦/ ٣١، النجوم الزاهرة ١١/ ٨٧، الدرر الكامنة ٤/ ٣٣٩.

(٤) مبارك شاه: هو شمس الدين ميرك محمد علي بن مبارك شاه البخاري. ولد عام ١٣٤٠ م وتوفي عام ١٤٠٠ م. فيلسوف فلكي، له عدة تصانيف. انظر عنه: بروكلمان ١/ ٤٦٤، الزيادة ١/ ٨٩٣.

(٥) بلد في خراسان. وهي مدينة عامرة لها ربض يحيط بها. فيها مياه كثيرة، وعلى بابها نهر جارٍ عليه قنطرة. وفيها بساتين وحدائق ومسجد جامع. ودار الإمارة خارج الحصن. لها أربعة أبواب، وقد افتتحها الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان، وإليها ينسب الهروي.
الروض المعطار ٥٩٤، الكرخي ١٤٩، ابن حوقل ٣٦٦، اليعقوبي ٢٨٠، المقدسي ٣٠٦، نزهة المشتاق ١٤٢.

(٦) مدينة في شمال إيران بضاحية طهران اليوم. سكانها حوالي مائة ألف نسمة. وتعتبر مزاراً دينياً. فيها أطلال قديمة لمدينة تاريخية هامة، افتتحها المسلمون في صدر الإسلام، وازدهرت أيام العباسيين والبويهيين والسلاجقة. وكانت من عواصم الإسلام التجارية والثقافية، وإليها ينسب علماء كثيرون. انظر: المنجد في الأعلام ٢٧٢.

(٧) التلويح على التوضيح في الأصول وهو شرح للعلامة سعد الدين التفتازاني الشافعي (ـ٧٩٢ هـ) على تنقيح الأصول للفاضل العلامة صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي البخاري الحنفي (ـ ٧٤٧ هـ). كشف الظنون ١/ ٤٩٦.

(٨) فصول البدائع لأصول (في أصول) الشرائع لشمس الدين محمد بن حمزة الفناري (ـ ٨٣٤ هـ) كشف الظنون ٢/ ١٢٦٧.

(٩) شمس الدين الفناري: هو محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري الرومي. ولد عام ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م، وتوفي عام ٨٣٤ هـ/ ١٤٣١ م. عالم بالمنطق والأصول، قاضٍ، له عدة مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٦/ ١١٠، الفوائد البهية ١٦٦، شذرات الذهب ٧/ ٢٠٩، آداب اللغة ٣/ ٢٣٦.

ومنها: منهاج الوصول إلى علم الأصول[١] للقاضي البيضاوي، وهذا كتاب نفيس على مذهب الشافعي، لكن ينتفع به الحنفية أيضًا، وعليه شروح أحسنها: شرح السيد العبري.

ومنها: مرقاة الوصول إلى علم الأصول وشرحه المسمّى بالمرآة، كلاهما لمولانا محمد بن فرامرز بن خواجه علي الشهير بمولانا خسرو[٢]. وقد كان قاضيًا لعسكر السلطان محمد بن مرادخان، ثم تقلد منصب الفتوى سنين كثيرة ودام على ذلك إلى أن مات في سنة خمسة وثمانين وثمان مائة قبيل وفاة السلطان محمد خان بسنة. وفي تلك السنة توفي الشيخ قطب الدين الأزنيقي[٣] (و)مولانا مسعود خليفة[٤] المتوفى بأدرنه[٥]، وكان كلاهما من العلماء السادات ومشايخ الصوفية أرباب السعادات أولي الخوارق والكرامات. وكان مولانا خسرو رحمه الله عالمًا عاملًا محقًا محققًا. وكان له ثروة ومماليك كثيرة. ومع ذلك كان لا يخدم في بيت مطالعته إلّا نفسه الشريفة. وقد كان عهد كذلك مع الله تعالى. وكان له خط مليح في الغاية، وقد التزم أنْ يكتب كل يوم ورقتين من تصانيفه وغيرها. ورأيت بخطه الشريف كتبًا كثيرة. وله المرقاة وشرحه المرآة في الأصول[٦]، الدرر وشرحه، الغرر في الفقه، حواشي تفسير البيضاوي، وحواشي التلويح شرح التنقيح، وحواشي شرح مولانا عضد الدين لمختصر ابن الحاجب. وحواشي الشرح المطوّل لتلخيص المعاني لمولانا سعد الملة والدين التفتازاني، وغير ذلك من الحواشي والرسائل. ومن رسائله: رسالة الولاء ووقع له مع بعض من معاصريه المناظرات الكثيرة في مسئلة الولاء.

واعلم أنّ الكتب في علم الأصول كثيرة، لكن من ظفر بما ذكرناه فاز بالمرام، ولا نطول بذكرها الكلام، والله ولي التوفيق والإعلام.

علم الأطعمة والمزورات[*]

وهو علم باحث عن كيفية تركيب الأطعمة اللذيذة والنافعة بحسب الأمزجة المخالفة. وموضوعه وغرضه وفائدته لا تخفى على المتأمّل. ورأيت فيه تصنيفًا حسنًا لا يحضرني اسمه الآن.

علم أعداد الوفق[**]

والوفق جداول مربّعة لها بيوت مربّعة، يوضع في تلك البيوت أرقام عددية أو حروف بدل الأرقام بشرط أن يكون أضلاع تلك الجداول وأقطارها متساوية في العدد، وأن لا يوجد عدد مكرّر في تلك البيوت. وذكروا أنّ لاعتدال الأعداد خواصَّ فائضة من روحانية تلك الأعداد أو الحروف، ويترتب عليها آثار عجيبة وتصرفات

(١) مختصر للقاضي الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ـ ٦٨٥ هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٧٨.

(٢) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٧/ ٣٤٢، الفوائد البهية ١٨٤، الضوء اللامع ٨/ ٢٧٩.

(٣) الشيخ قطب الدين الأزنيقي: هو محمد بن (قطب الدين) محمد الأزنيقي الرومي الحنفي. توفي عام ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م. فاضل، له تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٥٠، شذرات الذهب ٧/ ٣٤٣، هدية العارفين ٢/ ٢١١.

(٤) من علماء الدولة العثمانية مجهول تاريخ الولادة والوفاة.

(٥) مدينة تركية على نهر ماريشا قرب الحدود اليونانية. كانت عاصمة العثمانيين بين ١٣٦٢ ـ ١٤٥٣، سكانها حوالي مائة ألف نسمة، وفيها آثار بيزنطية وإسلامية أهمها جامع السليمية. انظر: المنجد في الأعلام ٣٠.

(٦) الدرر: وهو شرح لطيف جامع للفوائد المنقولة عن المتقدمين، مع زوائد أبدعها خاطره الشريف.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة المتعلقة بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

غريبة، بشرط اختيار أوقات مناسبة وساعات شريفة. وفي هذا العلم كتب كثيرة نافعة في الغاية، معروفة عند أهل هذا الشأن.

وهذا العلم من فروع علم العدد من حيث حساب الأعداد، ومن فروع علم الخواص من حيث آثاره ومنافعه. وستسمع علم الوفق وكذا علم الحروف والتكسير إن شاء الله تعالى عند ذكر علم الخواص، عند ذكر مقطعات السور. وأحسن كتب هذا الفن. كتاب شمس الآفاق في علم الحروف والأوفاق[١]، وكيفية الاتفاق في تركيب الأوفاق[٢]، وبحر الوقوف في علم الآوفاق والحروف[٣]. والكتب في هذا الفن كثيرة تفوق مائة مصنف على ما رأيته وسمعته، بل هذا العلم بحر لا ساحل له إذْ ينتهي إلى علم المكاشفة الذي غرقت في بحاره عقول العلماء والحكماء.

علم آفات اللسان[*]، وفيه مطلب:

المطلب الفذ[٤]:

في آفات الكلام فيما لا يعنيك:

وهو أن تتكلم بكلّ ما لو سكت عنه لم تأثم، ولم تتضرر في حال أو مآل، كما إذا حكيت قومًا أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار ومشايخ البلاد وأحوالهم، فإنّك في ذلك مضيّع أوقاتك وأوقات المستمعين، ومحاسب على عمل لسانك، وإنْ مزجت بحكاياتك زيادة أو نقصان وتزكية نفس فأنت آثم، وكذا صاحبك. مثلًا، إذا سألت رجلًا: أنت صائم، فإنْ سكت تأذّيت وإنْ قال: لا، كذب، وإنْ قال: نعم، استبدل سرًّا عمله جهرًا، فدخل عليه الرياء.

ومن آفات فضول الكلام وهو أنْ يزيد على قدر الحاجة وهو أيضًا مذموم، وإنْ لم يكن فيه إثم ولا ضرر.

ومن الآفات الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي، كحكايات أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعّم الأغنياء وتجبّر الملوك وأحوالهم المذمومة، وكلّ ذلك حرام لا يحلّ الخوض فيه.

وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر فيما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه، إلّا أنه يُكره، إذْ لا يؤمن عليه الخوض في الباطل، مثل حكاية البدع والمذاهب الفاسدة، ومحاربات الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم.

ومن الآفات المِراء والمجادلة وذلك منهيّ عنه. وقد قال ﷺ: «لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تواعده موعدًا فتخلفه»[٥]. ونظائر ذلك كثيرة في الأخبار. والمراء اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، وتركه الإنكار والاعتراض، والخلل إمّا في اللفظ، أو في المعنى، أو قصد المتكلم، فكلّ كلام سمعته فإنْ كان حقًا فصدقه وإن كان باطلًا ولم يكن متعلقًا بأمور الدين فاسكت عنه. ثم الخلل في اللفظ تارة يكون قصور[٦] المعرفة، وتارة بطغيان اللسان. وكيف

---

(١) شمس الآفاق في علم الحروف والأوفاق للشيخ عبد الرحمن بن محمد البسطامي (ـ ٨٥٨ هـ) كشف الظنون ٢/ ١٦٠١.
(٢) ذكره في الموضوعات، وذكره البوني أيضاً.
كشف الظنون ٢/ ١٥٢٥.
(٣) للشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف البوني (٦٢٢ هـ).
كشف الظنون ١/ ٢٢٧.
(*) هذا هو الأصل الرابع من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٤) يقصد بالمطلب الفذ أنه المطلب الوحيد في هذا العلم، ولا يوجد غيره من مطالب متعددة.
(٥) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المراء، ح ١٩٩٥، ٤/ ٣٥٩، بلفظ: «موعدة».
(٦) كذا في الأصل، ولعله: لقصور. وفي النسخة المصرية: من قصور.

ما كان فلا وجه لإظهار خلله. وأما في المعنى بأن يقول: أخطأت فيه. وأما في قصده بأنْ يقول الكلام حقّ ولكن قصدك منه ليس بحقّ.

وهذا الجنس إن جرى في مسئلة علمية خصّ باسم الجدال، وهو أيضًا مذموم يجب السكوت، أو السؤال في معرض الاستفادة لا المجادلة والعناد والعنف. وآية ذلك أن يكون تنبهه للحقّ من جهة أخرى مكروهًا عنه، فالجواب أن يسكت عن كلّ ما لا يأثم بتركه، والباعث على ذلك إظهار الفضل وهي من دعوى العلوّ والكبرياء وتنقيص الغير، وهو مقتضى طبع السبعية. وأشد ذلك ما وقع في المذاهب والعقائد إذْ يظن عليه ثوابًا فيتأكد الطبع بالشرع، وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أنْ يكفّ لسانه عن أهل القبلة. بل اللائق أنْ يتلطف في نصحه على خلوة، بل ربما تستمر البدعة في قلبه بالجدل، اللهم إلّا أنْ يعرف أنّ النصح لا ينفعه اشتغل بنفسه وتركه.

ومن الآفات الخصومة، وهي أيضًا مذمومة وهو وراء المراء والجدال. فالمراء طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة. والجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. والخصومة لجاج في الكلام يستوفى به مالًا أو حقًّا مقصودًا، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضًا. والمراء لا يكون إلّا باعتراض على كلام سبق، اللهم إلّا أنْ يخاصم لإظهار الحقّ بالشرع من غير لَدَدٍ وإسراف وزيادة لجاجة على قدر الحاجة، ففعله ليس بحرام، لكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلًا، إذْ الخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب. وبقي الحقد بينهما، وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى في صلاته، وكذا الحال في المراء والجدال. ومن انتصر على الواجب في خصومته سلم عن الإثم إلّا أنّه عسير جدًا، فلهذا تكون تارة كاللآلىء[1].

ومن الآفات التقعّر في الكلام بالتشدّق وتكلّف السجع والفصاحة والتصنع فيه وهو التكلف الممقوت، ومنه التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة والأسجاع المتكلفة، وإنّما مقصود الكلام تفهيم الغرض، ووراء ذلك تصنع مذموم، إلّا أنْ يقصد الوعظ وتأثير القلوب فيأتي بالألفاظ الرشيقة.

ومن الآفات الفحش والسّب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه ومذموم ومصدره الخبث واللؤم[2] مثل الكناية فيما يقبح ذكره كالوقاع واللمس، وكذا قضاء الحاجة في الكناية عن التغوّط والبول، ونحو أن يذكر زوجته بأنْ يقول قالت أم الأولاد كذا، أو قال من بالحجرة أو من وراء الستر كذا، وكذا يقول: الداء الذي يشكوه في الجذام والبرص ونحوهما.

ومن الآفات اللعن. إمّا لإنسان أو لحيوان أو لجماد، وكلّ ذلك مذموم. واللعن طرد وإبعاد عن رحمة الله وذلك غير جائز، إلّا على من يتصِف بصفة تبعد من الله وهو الكفر والظلم، بأن يقول: ألا لعنة الله على الظالمين أو على الكافرين. وأمر اللعنة خطر، وله ثلاث مراتب:

الأولى: اللعن بالوصف الأعم، كاللعن على الكافرين والمبتدعة والفسقة.

والثانية: اللعن بأوصاف أخصّ منه كاللعن على اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والخوارج والروافض والزناة وآكلي الربا والظلمة ونحو ذلك، وكل ذلك جائز، إلّا أنّ في المبتدعة نظر لأنّ معرفة البدعة غامضة.

والثالثة: اللعن على الشخص وذلك لا يجوز إلّا من ثبتت لعنته شرعًا كفرعون وأبي جهل،

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كأن هنا سقطاً. وحاصل ما في الإحياء أنه ينبغي الكناية عما يستقبح، وذكر الأمثلة التالية، كذا في هامش الأصل.

وأما اللعن على يهودي معيّن بأنْ يقال: لعنه الله إنْ مات على الكفر فجائز، وأمّا اللعن مطلقًا فذلك مردّد بين التقييد المذكور وعدمه، ففيه خطر، لأنه ربما يُسلم فيموت مقرّبًا عند الله تعالى فلا يكون ملعونًا. ولا يقاس هذا بقولك رحمه الله لمسلم، لأنّ معناه ثبته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة، ولا يمكن أن يقال: ثبت الله الكافر على الكفر الذي هو سبب اللعنة. وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق وعمرو المبتدع أولى، إلّا أنْ يقع اللعن من رسول الله ﷺ كأبي جهل وأضرابه. وعلى الجملة ففي لعنة الأشخاص خطر فليجتنب، ولا خطر في السكوت عن لعنة إبليس فضلًا عن غيره. وأما لعن يزيد[1] فالأسلم عدمه إذْ لم يثبت أنّه قتله أو أمر به أو رضي به أو فرح به. وإنْ ثبت ذلك فلم يثبت أنه مات بلا توبة. نعم، إنّ قال: قاتل حسين رضي الله عنه إنْ مات بلا توبة لعنه الله.

ومن الآفات الشعر لأنه كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، إلّا أنّ التجرد له مذموم. نعم إنشاده ونظمه ليس بحرام ما لم يكن فيه كلام مكروه أو كذب. وأما المبالغة فمن صنعة الشعر. وقد أنشد بين يدي رسول الله ﷺ ما فيه مبالغة.

ومن الآفات المزاح وأصله مذموم منهي عنه إلّا قدرًا يسيرًا يُستثنى منه، وهو المداومة لأنّها اشتغال باللعب والهزل، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة. وأمّا الإفراط فيه فإنّه يوجب كثرة الضحك المميت للقلب ويورث الضغينة أحيانًا ويسقط المهابة والوقار، فما يخلو عن هذه الأمور لا يذم، وهو الذي يقع عن[2] رسول الله ﷺ، ولهذا قال: «إني لأمزح ولا أقول إلّا حقًا»[3] إلا أنّ غيره إنْ فتح عليه هذا الباب كان غرضه أنْ يضحك الناس كيف ما كان فيذم.

ومن الآفات السخرية والاستهزاء، وهذا محرّم مهما كان مؤذيًا. ومعناها الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجهٍ يُضحك منه. وقد يكون بالمحاكاة في الفعل وفي القول، وقد يكون بالإشارة والإيماء. وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يُسمَّ ذلك غيبة، وفيه معنى الغيبة، ومنها الضحك على خطه وعلى كلامه وصنعته وصورته وخلقته، أمّا إذا كان المستهزأ به ممن جعل نفسه مسخرةً لا يتأذّى به بل يفرح يكون من قبيل المزاح وفي حكمه.

ومن الآفات إفشاء السرِّ، وهو منهيّ عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحقّ المعارف والأصدقاء، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إذا لم يكن فيه إضرار.

ومن الآفات الوعد الكاذب، فإنّ اللسان سبّاق إلى الوعد، والنفس ربما لا تسمح بالوفاء، فيصير الوعد خلفًا، وذلك من أمارات النفاق.

ومن الآفات الكذب في القول واليمين، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب إلّا فيما لا يمكن التوصل إلى أمر محمود إلا به فإنّ الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود، أمكن التوصل إليه بالصدق والكذب معًا، فالكذب فيه حرام، وإن كان التوصل إليه بالكذب فقط فالكذب مباح إنْ كان المقصود مباحًا، وواجب

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي. ولد عام ٢٥ هـ/ ٦٤٥ م. وتوفي عام ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م. ثاني خلفاء الأمويين، أخباره مشهوره. انظر عنه:
الأعلام ٨/ ١٨٩، تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٠، منهاج السنة ٢/ ٢٣٧، ابن الأثير ٤/ ٤٩، اليعقوبي ٢/ ٢١٥، المسعودي ٢/ ٦٧.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب علامات النبوة، باب في حسن خلقه ﷺ، ٩/ ١٧.

إنْ كان واجبًا. مثلًا: إذا كان في الصدق سفك دم مسلم مظلوم فالكذب واجب، وإن لم يكن إصلاح ذات البين إلّا بالكذب فهو مباح، إلّا أنّه لا يفتح هذا الباب إلّا بقدر الضرورة لئلّا تتعود النفس بذلك، وأيضًا فيه غرور كثير إذْ قد يكون الباعث حظه وغرضه، فليعلم أنّ المقصود هل هو أهم في الشرع من الصدق أمْ لا، وذلك غامض جدًا. فالحزم في تركه إلّا أنْ لا يجد رخصة في تركه أصلًا، ومن ذلك القبيل خطأ من ظنّ جواز وضع الأحاديث في الترغيب والترهيب وهذا خطأ عظيم، إذْ هذا الغرض لا يقاوم محذور الكذب على رسول الله ﷺ لأنّ ذلك من أكبر الكبائر، لا يقاومها شيء.

ثم إنّ السلف قالوا إنّ في المعاريض مندوحة عن الكذب، روي ذلك عن ابن عباس وغيره، وكذا عن عمر رضي الله عنه، إذا دعاه حاجة، وإلّا فلا يجوز التصريح والتعريض معًا، ولكن التعريض أهون كقولك: الله يعلم، ما قلت من ذلك من شيء، فكلمة ما عندك للإبهام، ويتوهمه المستمع حرف النفي. وكان إبراهيم إذا طلبه في الدار من يكره قال للجارية: قولي له: اطلبه في المسجد. وكان لا يقول ليس هو ههنا كيلا يكون كاذبًا، وكان الشعبي يخط خطًّا ويقول للجارية: ضعي إصبعك فيها وقولي: ليس هو ههنا، وهذا كله في موضع الحاجة وإلّا فهو مكروه، لأنه تفهيم الكذب، إلّا أنّ الحاجة في المعاريض خفيفة كتطييب قلب الغير بالمزاح، كما قال ﷺ: «لا تدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض»[1]، و: «نحملك على ابن البعير»[2]، وما أشبهه.

وأما صريح الكذب مطايبةً فليس بفسق ولكنه يترك، كما يلاعب الناس الحمقاء بتغريرهم بأنّ امرأة رغبت في تزوّجك، فإنْ كان فيه ضرر وإيذاء قلب فهو حرام. ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق قولهم: طلبتك مائة مرة إذْ لا يريد تفهيم المرات بل الكثرة، فإنْ طلبه كثيرًا لم يأثم. ومن ذلك القبيل قولهم: لا أشتهيه إذا قيل له كلْ الطعام، وهو حرام إنْ لم يكن فيه غرض صحيح.

ومن الآفات الغيبة، وقد نصّ الله تعالى على ذمّها وشبَّه صاحبها بآكل لحم الميتة. وقد ذمّها رسول الله ﷺ، وهي أن تذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت نقصانًا في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو في فعله وقوله أو في دينه ودنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته. ثم إنها لا تقتصر على اللسان بل التعريض فيه كالتصريح، والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والرمز والغمز والحركة والكناية، وكل ما يفهم المقصود، وكل ذلك حرام. ومن ذلك ذكر المصنفين شخصًا معينًا وتهجين كلامه، اللهم إلّا لعذر محوج إلى ذلك.

ومن أخبث أنواعها قول القرّاء المرائين: الحمد لله الذي لم يبلنا بالدخول على السلطان، والتبذل في طلب الحطام عند ذكر شخص حاله كذلك. أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء، فإنّ في ذلك ذمّ الغير مع الرياء. وكذلك ربما يقول ما أحسن فلانًا لولا تقصيره في العبادات، ولكنه ابتلي بما ابتلينا فيذمّ غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيغتاب ويرائي ويزكّي نفسه. وكذلك يقول: ذلك المسكين قد ابتلي بكذا تاب الله عليه وعلينا، فيظهر الدعاء ويدعي الاغتمام.

وأسباب الغيبة أحد عشر:

أحدها تشفي الغيظ بذكر مساويه.

وثانيها موافقة الأقران ومساعدتهم، ويرى ذلك من حُسن المعاشرة.

---

(١) اتحاف، الزبيدي، كتاب آفات اللسان، باب آفة الغيبة ٧/ ٥٣٠.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب آفات اللسان، باب آفة الغيبة. ٧/ ٥٣٠؛ بلفظ: «ولد البعير».

وثالثها أن يستشعر من إنسان أنّه سيقصده ويطول لسانه فيه أو يقبح حاله عند محتشم، فيبادره ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته.

ورابعها أن ينسب إلى شيء فيذكر أنّ الذي فعله فلان وتبرّأ منه، مع أنّ التبرأ يحصل بأنْ لا يذكر الغير بشخصه.

وخامسها أن ينسب النقص إلى غيره ويقصد بذلك إثبات فضل نفسه.

وسادسها أنْ يقدح عند من يحبّ ذلك الشخص حسدًا لإكرامهم ومحبتهم.

وسابعها أنْ يقصد اللعب والهزل والمطايبة ويضحك الناس عليه.

وثامنها السخرية والاستهزاء استحقارًا له في الغيبة.

وتاسعها أن يتعجب من فعله المنكر، وهذا من الدين، لكن أدى إلى الغيبة بذكر اسمه فصار مغتابًا من حيث لا يدري.

وعاشرها أن يغتم لسبب ما يبتلي به فيقول: مسكين فلان قد غمّني أمره وما ابتلي به، وغمه ورحمته خير، لكن ساقه إلى شرّ وهو الغيبة من حيث لا يدري.

والحادي عشر منها الغضب لله على منكر قارنه إنسان فيظهر غضبه ويذكر اسمه، وكان الواجب أن يظهر غضبه على فاعله ولا يظهر على غيره بل يستر اسمه.

وهذه الأسباب الثلاثة الأخيرة مما يغمض على العلماء فضلًا عن العوام.

إذا عرفت أسباب الغيبة فاعلم أنّ علاجه على الجملة أنْ يتذكر مضرة الغيبة وأنّها تحط حسناته وتثقل حسنات غيره، وتنقل إليه من سيئاته فيدخل النار، وهذا بعد المطالبة والسؤال والحساب. وعلاجه على التفصيل أنْ ينظر في أسبابها ويعالجه بما مرَّ من معالجات الأخلاق الذميمة من الغضب والحسد والرياء وغير ذلك.

واعلم أنّ من أنواع الغيبة الغيبة بالقلب وهي سوء الظنّ، أي عقد القلب والحكم بالسوء، وذلك حرام. وأما الخواطر وحديث النفس بل الشكّ فمعفو عنه أيضًا. وأمارة سوء الظنّ وتمييزها عن حديث النفس أنّ يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفورًا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وإكرامه. ومن ثمرات سوء الظنّ التجسس فيطلب التحقيق وهو منهي عنه.

وأعلم أنّ للغيبة أعذارًا مرخَّصة وهي ستة:

الأول التظلم وذلك لا يمكن بدون ذكر مساوىء من ظلمه.

والثاني الاستغاثة لتغيير المنكر وردّ العاصي إلى منهج الحق.

الثالث الاستفتاء حيث يقول: ظلمني فلان وما حكمه، إلّا أنّ الأولى أنْ يقول: ما تقول فيمن ظلم أحدًا بكذا وكذا.

الرابع تحذير المسلمين من شرّ أحد فلا بدّ من ذكره باسمه.

الخامس أن يكون اسمه يعرب عن أبيه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول: نعم لو أمكنه التعريف بغير ذلك فهو أولى، وربما يقولون للأعمى البصير عدولًا به عن اسم النقص.

السادس أنْ يكون مجاهرًا بالفسق ولا يستنكف عن ذكره، ولا يكره ذلك فلا إثم في ذكره بذلك.

وأما كفارة الغيبة أنْ يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته. وينبغي أن يتحلله وهو حزين متأسّف نادم على فعله. وأما الذي يستحل بلا ندم فهو مراء وذلك معصية أخرى. وما قيل: العرض لا عوض له كالمال فلا يجب الاستحلاك كلام ضعيف إذْ وجب في العرض حدّ القذف. ثم المراد بتحليل الغيبة: العفو عن المظلمة لا أنْ ينقلب الحلال حرامًا كما ظنّ. وقيل إنّ التحليل غير ممكن.

ومن آفات اللسان النميمة، وهي أنْ ينمّ قول الغير إلى المقول فيه. وقيل كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث. وسواء كان الكشف بالقول أو بالكنية أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأفعال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيبًا ونقصانًا في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السِّر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما يراه الانسان من أحوال الناس، فينبغي أن يسكت عنه إلّا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية. فإن كان ما ينم نقصانًا وعيبًا في المحكي عنه، فهو غيبة ونميمة معًا. والباعث على النميمة إما إرادة السوء بالمحكي عنه، أو إظهار الحبّ للمحكي له أو التفرج بالحديث، أو الخوض في الفضول ونحو ذلك.

وأما الذي نمَّ إليه فعليه ستة أمور:

الأول أن لا يصدقه لأنّه فاسق وهو مردود الشهادة.

الثاني أن ينهاه عن ذلك وينصحه.

الثالث أن يبغضه في الله لأنه بغيض عند الله، فلا يحب من أبغضه الله.

الرابع أن لا تظنّ بأخيك الغائب سوءًا.

الخامس أن لا يحملك كلامه على التجسس والبحث.

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت عنه النمام، فلا تحكي نميمته.

ومن آفات الكلام كلام ذي اللسانين الذي يتكلم لكل من المتعاديين بكلام يوافقه وذلك عين النفاق، وإنْ نقل كلام واحد إلى الآخر فهو نمام، وإن نقل كلام كل منهما إلى الآخر فهو ذو اللسانين، وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره أو أثنى على كل واحد في معاداته، وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين. بل ينبغي أن يسكت أو يثني على المحمود ويثني في حضوره وغيبته وبين يدي عدوه.

ومن الآفات المدح، وله ست آفات، أربع في المادح، واثنتان في الممدوح.

الأولى قد يفرط فينتهي به إلى الكذب.

الثانية أنه قد يدخله الرياء إذْ لا يكون قلبه كذلك.

الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الإطلاع عليه.

الرابعة أنه قد يمدح الظالم والفاسق.

الخامسة أن يحدث في الممدوح كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان.

السادسة إنْ أثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه فيقل تشمّره للعمل، لأنه يظنّ أنه قد أدرك النهاية.

ومن آفات الكلام الغفلة عن دقائق الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته كقولك: ما شاء الله وشئت، والصواب ما شاء الله ثم شئت، لأن الواو يفيد التسوية بين الله تعالى وعبده، وكقولك من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، والصواب ومن يعص الله ورسوله ضمير التثنية تسوية وجمع ونحو ذلك.

ومن الآفات سؤال العوام عن الله تعالى وصفاته لأنه يؤدّي إلى الكفر وإنّما شأن العوام الاشتغال بالعبادة والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسول من غير بحث، وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب يستحقون به المقت ويتعرضون لخطر الكفر.

علم الاكتاف(*)

وهو علم باحث عن الخطوط والأشكال التي

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

ترى في أكتاف الضأن والمعز إذا قوبلت بشعاع الشمس من حيث دلالتها على أحوال العالم الأكبر، من الحروب الواقعة بين الملوك وأحوال الخصب والجدب، وهؤلاء الذين يعتنون بهذا العلم قلّما يستدلون على الأحوال الجزئية لإنسان معيَّن. وأهل هذا العلم يأخذون لوح الكتف قبل طبخ لحمه ويلقونه على الأرض أولًا ثم يأخذونه وينظرون فيه، ويستدلّون بأحواله من الصفاء والكدر والحمرة والخضرة إلى الأحوال الجارية في العالم من الغلاء والرخاء والحروب الواقعة بين الأمراء ولمن الغلبة فيها، وينسبون كلًا من أطرافه الأربعة إلى جهة من جهات العالم، ويحكمون بذلك على كل صقع(١) منها بأحوال متعلقة بها على ما يظهر في اللوح، وينسب علم الكتف إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ورأيت مقالة في هذا العلم مختصرة غاية الاختصار يجدها من يطلبها، لكن بين فيها الإنية دون اللِّمية(٢).

علم الأكر(*)

وهو علم باحث عن أحوال المقادير المتعلقة بالأكر خاصة دون المسطحات، ويتوقف براهين علم الهيئة على ذلك أشد توقف. ومنفعته بينة لا تخفى.

علم الأكر المتحركة(**)

وهو علم باحث عن أحوال المقادير المتعلقة بالأكر من حيث إنّها متحركة، وتوقف علم الهيئة عليها أشدّ. ولهذا جلّ نفع هذا العلم. ومن الكتب النافعة فيه: أكر مالاناوس(٣) وأكرساوذوسيوس(٤).

علم الآلات الحربية(***)

وهو علم يتعرف منه كيفية إيجاد الآلات الحربية كالمنجنيق وغيرها. ومنفعته ظاهرة لأنها شديدة الغناء في دفع الأعداء وحماية المدن. وهذا العلم أحد أركان الدين لتوقف أمر الجهاد عليه الذي هو من أركان الدين، ولبني موسى بن شاكر(٥) كتاب مفيد(٦) في هذا العلم.

---

(١) بدله «صنع» في كشف الظنون. و«ضلع» في أبجد العلوم. (كذا في الهامش).

(٢) برهان لِمَ، حرف لِمَ هو حرف السؤال، يطلب به سبب وجود الشيء أو سبب وجود الشيء لشيء، وكأنه قيل لماذا. وهذا السؤال يعلم وجوده أولاً إما بنفسه وإما بالقياس (كتاب الحروف للفارابي، ص ٢٠٤). وبرهان اللِمَ هو ما يكون الحد الأوسط فيه علة للحد الأكبر ويسمّى قياس علة. فالبرهان الذي يفيد لِمَ ذلك الشيء يكون بالعلة القريبة له (ابن رشد، تلخيص منطق ارسطو، البرهان، ص ٤٠٦)
برهان الإن هو ما لم يكن الحد الأوسط فيه علة للحد الأكبر، ويسمّى قياس الدلالة. (المرجع السابق نفسه).

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) مالاناوس من أهل الاسكندرية، كان قبل زمن بطليموس.

(٤) وفي كشف الظنون، ثاوزوسيوس اليوناني المهندس، وهو من أجل الكتب المتوسطات بين إقليدس والمجسطي، وهو ثلاث مقالات مشتملة على تسعة وخمسين شكلاً.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) موسى بن شاكر: هوْ ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) بن ابي شاكر، الصاحب القبطي المصري. توفي عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م وزير حسن السيرة. له أخبار. انظر عنه الاعلام ٥/ ٢٥١، الدرر الكامنة ٣/ ٢٧٤، النجوم الزاهرة ١١/ ١٣٢.

(٦) لبني موسى بن شاكر (-٧٧٦هـ)، كتاب مفيد في علم الآلات الحربية. كشف الظنون ١/ ١٤٥، الاعلام ٥/ ٢٥١.

علم الآلات الرصدية(*)

وهو علم يتعرف منه كيفية تحصيل الآلات الرصدية قبل الشروع في الرصد، فإنّ الرصد لا يتم إلّا بآلات كثيرة، رتّبوها. وتحصيل تلك الآلات يتوقف على معرفة أحوالها. كتاب الآلات العجيبة[1] للخازني[2] يشتمل على ذلك.

علم آلات الساعة من الصناديق والضوارب وأمثال ذلك(**)

وتفاصيلها لا يحتملها هذا المختصر. ورأيت فيها مجلدات عظيمة. والغرض ها هنا التنبيه على إجمالها ونفع هذا العلم بيِّن لكل أحد حتى العوام، والله ولي التوفيق والإعلام، ومنه الهداية والإلهام.

علم الآلات الظلية(***)

وهو علم يتعرف منه مقادير ظلال المقاييس وأحوالها الأخر، والخطوط التي ترسم في أطرافها، ومعرفة أحوال الظلال المستوية والمنكوسة. ومنفعته معرفة ساعات النهار بهذه الآلات كالبسائط والقائمات والمائلات من الرخامات ونحوها. ولإبراهيم بن سنان الحراني[3] فيه كتاب[4] مبرهن.

علم الآلات العجيبة(****)

كالعود والمزامير والقانون سيّما الأرغنون. ولقد أبدع واضعها فيها الصنائع العجيبة والأمور الغريبة. ولقد شاهدت أرغنون واستمتعت بها مرات عديدة، ولم يزد المشاهدة والنظرة إلّا دهشة وحيرة. ولا نطول الكلام بذكر أنواع الآلات لأنّها وإنْ كانت من فروع العلوم الرياضية، لكنها محرمة في شريعتنا. فالاشتغال بتعدادها يضيع الأوقات. وعمر طالب علم الآخرة أشرف من أن يضيعها في أمثال هذه. وإنما تعرضت لما تعرضت تتميمًا للكلام، والتوفيق من الملك العلّام.

علم الآلات المبنية على ضرورة عدم الخلاء(*****)

كقدح العدل وقدح الجور. أما قدح العدل

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) كتاب الآلات العجيبة الرصدية للخازني. عبدالرحمن ابو الفتح (ـ٥٥٠هـ). كشف الظنون ١/١٣٩٦.

(٢) الخازني: هو عبدالرحمن الخازن أو الخازني، أبو الفتح. توفي عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م. حكيم، فلكي، مهندس، له عدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٣/٣٠٥، تاريخ حكماء الاسلام ١٦١، معجم المطبوعات ٨١٠.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) إبراهيم بن سنان الحراني: هو ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت، أبو اسحاق الحراني. ولد ببغداد عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م. وفيها توفي عام ٣٣٥هـ/٩٤٦م. طبيب، مهندس، كان من الصابئة، له عدة مؤلفات. انظر عنه: الاعلام ١/٤٢، طبقات الأطباء ١/٢٢٦، هدية العارفين ١/٦.

(٤) كتاب في الآلات الظلية لابراهيم بن سنان الحراني (ـ٣٣٥هـ)، ذكره أبو الخير في فروع الهيئة. كشف الظنون ١/١٤٧، الاعلام ١/٤٢.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة العاشرة في فروع علم الموسيقى، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(*****) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

فهو إناء إذا امتلأ منها قدر معيّن يستقر فيها الشراب، وإنْ زيد عليها ولو شيء يسير ينصبّ الماء ويتفرغ الإناء عنه بحيث لا يبقى قطرة، لأنه إذا ابتدىء الماء بالانصباب يستتبع البواقي لعدم إمكان الخلاء. وأما قدح الجور فهو قدح له مقدار معيّن إنْ صبّ فيه بذلك القدر القليل يثبت، وإنْ ملىء يثبت أيضًا، وإنْ كان بين المقدارين يتفرغ الإناء، كل ذلك لعدم إمكان الخلاء، وأمثال هذه الظروف من فروع الهندسة من حيث تعيّن قدر الإناء، وإلّا فهو بالحقيقة من فروع علم الطبيعي. ومن هذا القبيل دوران الساعات كما مرّ فيما سبق. ويسمّى أيضًا علم الآلات الروحانية لارتياح النفس بغرائب هذه الآلات. وأشهر كتب هذا الفن: كتاب حيل بني موسى بن شاكر، وفيه كتاب مختصر لفيلن[١]. وكتاب مبسوط للبديع الجزري[٢].

علم الألغاز[*]

وهذا من فروع علم البيان، وتفصيله يتوقف على تقديم تعريفه. وذلك أنّ الألغاز دلالة الألفاظ على المراد دلالة خفية في الغاية، لكن لا بحيث تنبو عنها الأذهان السليمة، بل يكون بحيث تستحسنها وتنشرح إليها، بشرط أن يكون المراد من الذوات الموجودة في الخارج. وأما إنْ كان المراد إسم شيء سواء كان من الإنسان أو غيره يسمّى معمّى، وسيجيء هذا بعد، وكلاهما لكونهما خلاف البيان، إذْ المعتبر هناك وضوح الدلالة اعتبرا من فروعه. وإنما اعتبر في البيان وضوح الدلالة كما ينبئك عنه إسم البيان لكون الغرض هناك التفهيم. وأما المعمّى واللغز فالغرض فيهما الإخفاء فلا يترأأى ناراهما.

واعلم أنّ المعتبر في علم البيان[٣] هو الدلالة العقلية أعني التضمنية والالتزامية. ولما كانت تلك الدلالة خفية سيما إذا كان اللزوم بحسب العادات والطبائع وبحسب الإلف المتحالفة هذه، بحسب قوم قوم وطائفة طائفة، فوجب التعبير عنها بلفظ أوضح. مثلًا إذا كان المرئي دقيقًا في الغاية يحتاج الحاسة في إبصارها إلى شعاع قوي، بخلاف المرئي إذا كان جليًا، وكذا الحال في الرؤية القلبية، أعني الفهم والإدراك فيحتاج إلى ألفاظ واضحة الدلالة ليفهم تلك اللوازم الخفية. هذا حال علم البيان الذي اعتبر فيها إظهار المراد.

وإما إذا اعتبر ستر المراد كما في المعمى واللغز يكون الأمر بالعكس.

ولما كان إرادة الإخفاء على وجه الندرة عند امتحان الاذهان لم يلتفت إليهما البلغاء، ولم يعدّوهما أيضًا من الصنائع البديعية التي يبحث فيها عن الحسن العرضي، لكن يشترط كونه على وجه لا تنبو عنها الأذهان المستقيمة، ولا تمجّها الأذواق السليمة، كما أشرنا إليه سابقًا.

ثم هذا المدلول الخفي إنْ كان ألفاظًا وحروفًا بلا قصد دلالتها على معانٍ أخر، أو لم يكن ألفاظًا أصلًا بل ذوات موجودة يسمّى اللغز. وإن كان ألفاظًا وحروفًا دالة على معان مقصودة يسمّى معمى.

وبهذا يعلم أنّ الكلام الواحد يمكن أن يكون معمى ولغزًا باعتبارين لأن المدلول إذا كان ألفاظًا

---

(١) فيلن (فيلون) عاش بين ١٣ ق.م و٥٤م. فيلسوف يوناني يهودي الأصل. ولد في الاسكندرية. وحاول أن يشرح الدين بتعابير فلسفية يونانية افلاطونية. له أثر كبير على اباء الكنيسة الشرقية وبعض الفلاسفة. انظر: المنجد في الاعلام ٤٢٧.

(٢) كتاب الآلات الروحانية لبديع الزمان أبي العز بن اسماعيل بن الرذاذ الجزري. ألّفه لقرة ارسلان الأرتقي. كشف الظنون ١/ ١٤٨، ٢/ ١٣٩٥.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) إنما كرر البيان لرابط الفرع بالأصل بالظهور والخفاء. (هامش الأصل).

وحروفًا فإنْ قصد بها معان أخر يكون معمّى، وإن قصد ذوات الحرف على أنها من الأشياء والذوات يكون لغزًا. وأكثر مبادىء هذين العلمين مأخوذ من تتبع كلام الملغزين وأرباب المعمّى، وبعضها أمور تخييلية تعتبره الأذواق وتستحليها، وجميع مسائلها راجعة إلى المناسبات الذوقية والوجدانية بين الدوال ومدلولاتها الخفية على وجه يقبلها الذهن السليم والطبع المستقيم.

وأما موضوع هذين العلمين وتعريفهما وغرضهما وغايتهما فقد علم من هذا التقرير.

وأما منفعتهما فتقويم الأذهان ورياضتها واعتيادها فهم الدقائق. وكنت اشتغلت بعلم المعمّى في عنفوان الشباب، ونحن نقرأ وقتئذٍ حواشي شرح المطالع[١] للشريف الجرجاني، فوجدت في ذهني زيادة فاحشة وفي مطالعتي تفاوتًا بينًا، حتى شاهده مني الأصحاب، والله الموفق للصواب، وأنا أورد لك أمثلة من اللغز لتعتبر بها.

اللغز في القلم:

وما غلام راكع ساجد
أخو نحول دمعه جاري
ملازم للخمس في وقتها
معتكف في خدمة الباري

وقال ابن الزملاق[٢] في اليراع، وضمَّن فيه مصراعًا من الحماسة[٣]:

وناطقة خرساء بادٍ شحوبها
تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ إلى الأسماع رجع حديثها
إذا سدّ منها منخر جاش منخر

فأجابه بعضهم وضمّن مصراعًا آخر من تلك القصيدة:

نهاني النهى والشي عن وصلِ مثلها
وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

وقال الآخر في القلم:

وبيت بعلياء العناء بنيته
بأسمر مشقوق الخياشيم يرعفُ

وفي الميزان:

وقاضي قضاة يفصل الحكم ساكتًا
وبالحقّ يقضي لا يبوج فينطقُ
قضى بلسان لا يميل وإنْ يملْ
على أحد الخصمين فهو مصدقُ

وآخر في وصف الميزان:

وما حاكم أعمى وفصل قضاؤه
ولو كان ذا عين لما قام بالفصلِ

وفي وصف الشمعة لابن الخلال[٤]:

وصبيحة بيضاء تطلع في الدجى
صبحًا وتشفي الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها
واسودّ مفرقها أوانَ فنائها
كالعين في طبقاتها ودموعها
وسوادها وبياضها وضيائها

وقال ابن درين[٥] في الزند:

ومنتج أم أبيه أمه
لم يتخون جسمه مسّ الضوى
أفرشته بنت أخيه فانثنت
عن ولد يوري به ويستوي

(١) حاشية للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (-٨١٦هـ)، على شرح قطب الدين محمد بن محمد (محمود بن محمد) الرازي التحتاني (٧٦٦ هـ) على مطالع الأنوار في المنطق للقاضي سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي (-٦٨٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧١٥.
(٢) لم نعثر له على ترجمة.
(٣) قصيدة الحماسة لابي تمام حبيب بن أوس الطائي (-٢٣١هـ)، جمع فيه ما اختاره من اشعار العرب العرباء. كشف الظنون ١/ ٦٩١.
(٤) لم نعثر له على ترجمة.
(٥) لم نعثر له على ترجمة.

العلم الالهي(*)

وهو علم يبحث فيه عن الموجودات من حيث هي موجودات. وموضوعه الموجود من حيث هو. وغايته تحصيل الإعتقادات الحقة، والتصوّرات المطابقة لتحصيل السعادة الأبدية والسيادة السرمدية. وهذا العلم هو المقصد الأقصى والمطلب الأعلى، لكن لمن وقف على حقائقه واستقام في الاطلاع على دقائقه، لأنّ من حظي بها فقد فاز فوزًا عظيمًا، ونال ملكًا كريمًا. ومن زلّت فيه قدمه أو طغى به قلمه فقد ضلّ ضلالًا بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا. إذْ الباطل يشاكل الحق في مأخذه، والوهم يعارض العقل في دلائله، جلّ جناب الحق عن أن يكون شريعة لكل وارد، ويطلع على سرائر قدسه إلّا واحد بعد واحد. وقلما يوجد إنسان يصفو عقله عن كدر الأوهام، ويخلص فهمه عن مهاوي الإبهام. وقد سلف في مقدمة الكتاب ما يتعلق بهذا الباب.

وقد عرفت فيما سبق من المقدمات أنّ طريق الكسب إما طريق النظر أو طريق التصفية، وقد نبهناك على أنّا نذكر طريق التصفية في الطرف الثاني من الرسالة[1]، ولنذكر هاهنا طريق النظر فقط إلّا أنّ من النظر رتبة تتاخم طريق التصفية ويقرب حدّها من حدّها، وهو طريق الذوق ويسمونه الحكمة الذوقية. وممن وصل إلى هذه الرتبة في السلف السهروردي، وكتاب حكمة الإشراق[2] له صادر عن هذا المقام برمز أخفى من سرّ صدرٍ كاتم. وفي المتأخرين العالم العامل والفاضل الكامل مولانا شمس الدين الفناري في بلاد الروم، ومولانا جلال الدين الدواني[3] في بلاد العجم وهما فائزان لكلتا الرياستين، وحائزان لتينك الدولتين. ورئيس هؤلاء الشيخ صدر الدين القونوي[4] قدّس الله سرّه، والعلامة قطب الدين الشيرازي[5] رحمه الله. واعلم أنّ منبع العلوم الحكمية النظرية واستاذ الكل فيها إدريس النبي عليه السلام، آتاه الله النبوة والحكمة، وعلم النجوم، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، وأفهمه عدد السنين والحساب، وعلّمه الله تعالى الألسنة حتى تكلّم الناس في زمنه إثنين وسبعين لسانًا. ولد بمصر وسمّوه بهرمس الهرامسة، وباليونانية ارميس يعني عطارد وعرّب بهرمس. واسمه الأصل هنوخ وعرف أخنوخ. وسمّاه الله تعالى في كتابه العربي

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى في العلم الإلهي والحكمة الذوقية، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) يقصد المؤلف بالطرف الثاني من الرسالة العلوم المتعلقة بالتصفية التي هي ثمرة العمل بالعلم، ويتضمن هذا الطرف علوم الدوحة السابعة، في علوم الباطن، بشعبها الأربعة: العبادات، العادات، ربع المهلكات، ربع المنجيات. وقد مرَّ بعض علومها فيما سبق.

(٢) كتاب حكمة الاشراق للشيخ شهاب الدين ابي الفتح يحيى بن حبش السهروردي المقتول بحلب سنة ٥٨٧ أو ٥٨٨هـ. كشف الظنون ١/ ٦٨٤.

(٣) جلال الدين الدواني: هو محمد بن اسعد الصديقي الدواني، جلال الدين. ولد بدّوان بالقرب من شيراز عام ٨٣٠هـ/ ١٤٢٧م. ومات بفارس عام ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، قاضي، متكلم، مفسر، منطقي، يعد من الفلاسفة، له الكثير من الكتب. الاعلام ٦/ ٣٢، معجم المفسرين ٢/ ٤٩٢، البدر الطالع ٢/ ١٣٠، شذرات الذهب ٨/ ١٦٠، آداب اللغة ٣/ ٢٣٨، الضوء اللامع ٧/ ١٣٣، معجم المؤلفين ٩/ ٤٧، الذريعة ٢/ ٢٦٠.

(٤) صدرالدين القونوي: هو محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صدر الدين. توفي عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م. صوفي، من كبار تلاميذ ابن عربي، شافعي، له عدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٣٠، طبقات السبكي ٥/ ١٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٣٣، كشف الظنون ٢/ ١٩٥٦.

(٥) قطب الدين الشيرازي: هو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين الشيرازي. ولد عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م. وتوفي عام ٧١٠هـ/ ١٣١١م. قاض، عالم بالمعقول، مفسر، له عدة تصانيف هامة. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٨٧، بغية الوعاة ٣٨٩، الدرر الكامنة ٤/ ٣٣٩.

المبين إدريس لكثرة دراسة كتاب الله تعالى. وقيل إنّ معلمه غوثاذيمون أو أغثاذيمون المصري، وتفسيره السعيد الجد. قيل وهو شيث عليه السلام. ثم إن إدريس عليه السلام عرَّف الناس صفة نبينا محمد ﷺ بأنّه يكون بريئًا عن المذمات والآفات كلها، كاملًا في الفضائل الممدوحات، لا يقصر عما يسئل عنه مما في الأرض والسماء، ومما فيه دواء وشفاء، وأنه يكون مستجاب الدعوة في كل ما يطلبه(١)، ويكون مذهبه ودينه ما يصلح به العالم، وكانت قبلة إدريس عليه السلام جهة الجنوب على خط نصف النهار. وكان رجلًا تام الخلقة، حسن الوجه، أجلح(٢)، كثّ اللحية، مليح الشمائل والتخاطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، برّاق العين أكحلها، متأنيًا في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، كثير الفكر، به عبسة، أكثر نظره إلى الأرض، وإذا اغتاظ احتدّ، يحرك سبابته إذا تكلم. وكانت مدة مقامه في الأرض اثنتين وثمانين سنة، ثم رفعه الله مكانًا عليًا. وهو أول من خاط الثياب، وحكم بالنجوم، وأنذر بالطوفان(٣)، وأول من بني الهياكل ومجدّ الله فيها وأول من نظر في الطّب، وأول من ألّف القصائد والأشعار، وهو باني أهرام مصر وصوّر فيها جميع العلوم والصناعات وآلاتها خشية أن يذهب رسمها بالطوفان(٤).

واعلم أيضًا أنّ من أساتذة الحكمة أفلاطون(٥) أحد الأساطين الخمسة للحكمة من يونان، كبير القدر، مقبول، بليغ في مقاصده. أخذ عن فيثاغورس(٦) وشارك مع سقراط في الأخذ عنه. وكان أفلاطون شريف النسب بينهم. كان من بيت علم، وصنّف في الحكمة كتبًا كثيرة، لكن اختار فيها الرمز والإغلاق، وكان يعلم تلاميذه وهو ماشٍ، ولهذا سمّوا المشّائين، وفوّض الدرس في آخر عمره إلى أرشد أصحابه، وانقطع هو إلى العبادة، وعاش ثمانين سنة، وولد في مدينة أثينس، ولازم سقراط خمس سنين، وكان عمره إذْ ذاك عشرين سنة. ثم عاد إلى بلده أثينس ولازم مدرسته، وارتزق من بقل البساتين، وتزوّج امرأتين، وكانت نفسه في التعليم مباركة، تخرج به علماء اشتهروا من بعده. وله تصانيف كثيرة في أقسام الحكمة.

ومن جملة أساتذة الحكمة أرسطاطاليس تلميذ أفلاطون، ولازم خدمته مدة عشرين سنة. وكان أفلاطون يؤثره على غيره ويسمّيه العقل(٧)، وهو خاتمة حكمائهم وسيّد علمائهم، وأول من استخرج المنطق، وله كتب شريفة في الفلسفة.

---

(١) وقد ورد أن كل نبي مستجاب الدعوة. (هامش الأصل).

(٢) الجَلَح محركة، انحسار الشعر عن جانبي الرأس. (هامش الأصل).

(٣) يدلّ هذا اللفظ على تقدّم إدريس على نوح عليهما السلام. (هامش الأصل).

(٤) يلاحظ أن كثيراً من المعلومات التي ذكرها عن إدريس عليه السلام، يعوزها الدقة العلمية، وتفتقر إلى سند تاريخي، فليس ثمة ما يؤيدها من حقائق التاريخ، مثل قوله: إنه باني أهرام مصر، ومثل قوله: لكثرة قراءة كتاب الله، فأي كتاب هو؟ وهل نزلت الكتب السماوية المعروفة منذ عهد إدريس؟ فالظاهر أنه نقل هذه المعلومات نقلاً من كلام القصاصين دون تمحيص. (هامش المصرية).

(٥) ويجوز فيه: فلاطون، كلمة يونانية معناه عام واسع. (هامش الأصل). وقد تقدمت ترجمته.

(٦) هذا خلاف المشهور، إذ هو أنه أخذ عن سقراط، وبعد موته ذهب إلى مصر وأخذ عن تلامذة فيثاغورس، ثم رجع إلى وطنه، كما أنه يشعر آخر كلامه بالمشهور. (هامش الأصل). وفيثاغورس عاش في القرن السادس ق.م. فيلسوف ورياضي يوناني. قال إن الارقام هي مبدأ كل الأشياء. درس الحكمة والحساب، واليه ينسب جدول الحساب المعروف بجدول فيثاغورس في الغرب. وكان يعتقد ويقول بتناسخ الأرواح. انظر: المنجد في الاعلام ٤٢٣.

(٧) روي أنه إذا اجتمعت التلامذة عنده ما عدا أرسطو، كان يقول: اصبروا حتى يجيء العقل. (هامش الأصل).

وكان معلم الإسكندر بن فيلقس، وبآدابه وسياسته عمل هو، فظهر الخير وفاض العدل، وبه انقمع الشرك في بلاد اليونانيين. وأرسطاطاليس(١) معناه محب الحكمة أو الفاضل الكامل، عاش سبعًا وستين سنة. ومصنفاته تنيف على ثمانين. وكان أبيض أجلح، حسن القامة، عظيم العظام، صغير العينين والفم، عريض الصدر، كثّ اللحية، أشهل العينين، أقنى الأنف، يسرع في مشيته إذا خلا، ويبطىء إذا كان مع أصحابه، ناظرًا في الكتب دائمًا، ويقف عند كل كلام، ويطيل الإطراق عند السؤال. قليل الجواب، ينتقل في أوقات النهار في الفيافي ونحو الأنهار، محبًا لاستماع الألحان والاجتماع بأهل الرياضات وأصحاب الجدل، منصفًا من نفسه إذا خصم، ويعترف بموضع الإصابة والخطأ، معتدلًا في الملابس والمآكل والمشارب والمناكح، بيده آلة النجوم والساعات. ومات وله ثمان وستون سنة. ثم إنه تخلى عن خدمة الملوك وبنى موضع التعليم، وأقبل على العناية بمصالح الناس ورفد الفضلاء وتزويج الأيامى وإرشاد الملتمسين للعلم والأدب. وكان جليل القدر في الناس، وكانت له من الملوك كرامات عظيمة ومنزلة رفيعة. وكان كثير التلاميذ من الملوك وأبنائهم. وكان أهل مدينة اسطا(٢) إذا أشكل عليهم أمر يجتمعون إلى قبره حتى يفتح لهم، ويزعمون أنّ قبره يصحّح فكرهم ويزكّي عقولهم. واستيفاء أخباره لا يمكن إلّا في مجلد.

ومن جملة أساتذة الحكمة الفارابي وهو أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان الفارابي التركي، الحكيم المشهور، صاحب التصانيف في المنطق والحكمة وغيرهما من العلوم. وهو أكبر فلاسفة الإسلاميين، لم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه، وتخرج ابن سينا بكتبه وبعلومه انتفع في تصانيفه. وكان رجلًا تركيًا، تنقلت به الأسفار إلى أن وصل بغداد، وهو يعرف كثيرًا من اللغات غير العربي، ثم تعلمه وأتقنه ثم اشتغل بالحكمة، فقرأ على أبي بشر متى بن يونس(٣) الحكيم من: شرح كتاب أرسطو. في المنطق سبعين سفرًا. وكان هو شيخًا كبيرًا له صيت عظيم يجتمعون في حلقته كل يوم المئون من المنطقيين، ثم أخذ طرفًا من المنطق من أبي حنا ابن خيلان الحكيم النصراني(٤) بمدينة حران(٥)، ثم قفل إلى بغداد، وقرأ بها علوم الفلسفة، وتمهّر في كتب أرسطو جميعها. يقال: وجد كتاب النفس لأرسطو وعليه مكتوب بخط الفارابي. إني قرأت هذا الكتاب مأتي مرة. ويقال: قرأ السماع الطبيعي لأرسطو أربعين مرة، ومع ذلك يقول: إني محتاج إلى معاودته. وكان يقول: لو أدركت أرسطو لكنت أكبر

(١) اسمه نيقوماخس، معناه قاهر الخصم. (هامش الأصل). وقد تقدمت ترجمته.

(٢) الأرجح أنها مدينة اسطاغيرا التي ولد فيها ارسطو، وهي في مقدونيا التي حكمها آنذاك الملك فيليب المقدوني. وتعرف اليوم بـstavro كبلدة.

(٣) أبي بشر متى بن يونس: هو متى بن يونس النصراني، ابو بشر توفي عام ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. حكيم، منطقي، له العديد من الكتب. انظر عنه:
معجم المؤلفين ٨/ ١٧٦، عيون الانباء ١/ ٢٣٥، تاريخ الحكماء ٣٢٣، هدية العارفين ٢/ ٤، تاريخ حكماء الاسلام ٢٨.

(٤) ابن خيلان الحكيم النصراني: هو يوحنا بن خيلان. لاهوتي نصراني، درس المنطق في مَرْو ثم بغداد على أبي يحيى المروزي. ولد عام ٨٦٠م، وتوفي عام ٩٢٠م. له عدة كتب وشروح بالسريانية والعربية. انظر عنه: وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧.

(٥) مدينة قديمة في تركية ما بين النهرين. سكانها حوالى عشرة آلاف نسمة، كانت موطن نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام بعد هجرته من أور. كان فيها مدرسة ثقافية عنيت بالفلك والرياضيات، وخرج منها أبو جعفر الخازن. كما اشتهرت بعلماء الصابئة من فلاسفة واطباء ومترجمين وكتبة، كثابت بن قرة وابنه سنان والبتاني وغيرهم. انظر: المنجد في الاعلام ٢١٤.

تلامذته. ثم سافر إلى دمشق، ثم إلى مصر، ثم عاد إلى دمشق، فأحسن إليه سلطانها سيف الدولة بن حمدان[(١)]، وأجرى عليه كل يوم أربعة دراهم لأنه كان أزهد الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمر مكتسب ولا مسكن. ولذلك اقتصر على أربعة دراهم، وكان منفردًا بنفسه، لا يكون إلّا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض، ويؤلف كتبه هناك. وكان أكثر تصانيفه في الرقاع، ولم يصنف الكراريس إلّا قليلًا، فلذلك كانت أكثر تصانيفه فصولًا وتعليقات وبعضها مبتورًا ناقصًا.

يحكى أنه دخل مجلس سيف الدولة وهو بزيّ الأتراك وكان ذلك زيّه دائمًا، فتخطى رقاب الناس، وكان المجلس مجتمع الفضلاء حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزاحمه حتى أخرجه عنه، فقال سيف الدولة لمماليكه بلسان خاص يسارهم: هذا الشيخ قد أساء الأدب وإني مسائله عن أشياء إنْ لو يوفّ بها فاخرجوا به. فقال له أبو نصر بذلك اللسان: أيها الأمير، إصبر فإنّ الأمور بعواقبها. فقال سيف الدولة: أتحسن هذا اللسان؟ قال: نعم، بل أكثر من سبعين لسانًا، فعظم عنده، ثم أخذ يتكلم في كل فنّ حتى بذّ جميع الحاضرين، فخلا به سيف الدولة فقال له: هل تشرب؟ فقال: لا. فقال: تسمع. قال: نعم. فأحضر الآلات، فما حرك أحد منها شيئًا إلّا وعابه أبو نصر، ثم أخرج من وسطه خريطة وأخرج منها عيدانًا فركّبها، فلعب بها، فضحك كلّ من حضر، ثم فكّها وركّبها تركيبًا آخر وضرب بها فبكى كلّهم، ثم فكّها وغيّر تركيبها، وحرّكها فنام كلهم حتى البواب فتركهم نيامًا وخرج.

ويحكى أنّ الآلة المسماة بالقانون من تركيبه.

توفي سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة بدمشق، وقد ناهز ثمانين سنة. وعدد مصنفاته من الكتب والرسائل سبعون كلّها نافعة، سيّما كتابان في العلم الإلهي والمدني لا نظير لهما، أحدهما المعروف بالسياسة المدنية، والآخر بالسيرة الفاضلة. وصنّف كتابًا شريفًا في إحصاء العلوم، والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه أحد، ولا ذهب أحد مذهبه، ولا يستغني عنه أحد من طلاب العلم، وكذا كتابه في أغراض أفلاطون وأرسطو، اطلع فيه على أسرار العلوم وثمارها علمًا علمًا، وبيّن كيف التدرج من بعضها إلى بعض شيئًا فشيئًا. ثم بدأ بفلسفة أفلاطون يعرّف بغرضه منها، ثم اتبع ذلك بفلسفة أرسطو ووصف أغراضه في تواليفه المنطقية والطبيعية. فلا أعلم كتابًا أجدى على طلب الفلسفة منه. وفاراب إحدى مدن الترك فيما وراء النهر.

ومن جملة أساطين الحكمة أبو علي بن سيناء وقد عرفته. والإمام فخر الدين الرازي وستعرفه.

وممن نحا نحوهما نصير الدين الطوسي، وهو محمد بن محمد سلطان الحكماء المدققين وقدوتهم في زمانه، جامع علوم المتقدمين والمتأخرين. ولد يوم السبت حادي عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وخمس مائة، وتوفي آخر نهار الإثنين ثامن عشر ذي الحجة، وقت مغيب الشمس، سنة اثنتين وسبعين وست مائة. ودفن بالمشهد الكاظمي، على ساكنه أفضل السلام. وكان آية في التدقيق والتحقيق وحلّ المواضع المشكلة سيّما لطف التحرير الذي لم يلتفت إليه المتقدمون بل التفتوا جانب المعنى فقط. وهو اخترع في التحرير أسلوبًا يسهل أخذ المعنى منه مع التحرز عن ألفاظ

---

(١) سيف الدولة بن حمدان: هو علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي الربعي، أبو الحسن، المعروف بسيف الدولة. ولد عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م. وتوفي عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م. صاحب المتنبي وممدوحه. شجاع، مهذب، ملك، أديب واخباره مشهورة، انظر عنه:
الاعلام ٤/ ٣٠٣، يتيمة الدهر ١/ ٨، وفيات الأعيان ١/ ٣٦٤، زبدة الحلب ١/ ١١١.

زائدة وكلمات مغلقة. وإن لم تصدقني في ذلك فعليك بتتبع تصانيف القدماء إلى زمانه، بحيث تجد بينهما فرقًا أي فرق. ثم إنّ الفاضل الشريف قلّده في أمر التحرير والتقرير كما يظهر لك بالنظر في تصانيفهما، إلّا أنه تجاوز الله عنه كان غاليًا في التشيّع، كما يفصح عنه المقصد السادس في التجريد. وكان يحكى عنه مع ذلك أمور لا تناسب رتبته في العلم، حيث كان في معنى الوزير للكافر المسمّى بهلاكو[١] ملك الترك الطغاة، وهو الذي أغار على بلاد المسلمين وخرَّبها، وانقطعت بسببه سلسلة الخلافة العباسية في بغداد، وجرى ما جرى مما اشتهر امره ويطول شرحه.

وكـان مـا كـان مـمـا لـسـت أذكـره
فـظـنّ شـرًا ولا تـسـأل عـن الـخـبـر

إلا أنّ الشيخ أكمل الدين قال في آخر شرحه للتجريد: سمعت شيخي العلامة وهو مولانا قطب الدين الشيرازي رحمه الله أنه قال: كان الناس مختلفين في أنّ هذا الكتاب يعني التجريد لخواجه نصير الدين أوْ لا، فسألت عن ذلك ابنه خواجه أصيل الدين فقال: كان والدي وضعه إلى باب الإمامة، وتوفي، فكمله ابن المطهّر الحلي[٢]، وكان من الشيعة، وهو زائغ زيغًا عظيمًا. فعلى هذه الرواية يكون هو بريئًا عن نقصية التشيع. إلّا أنّ المشهور عند الجمهور خلافه، والله حسيبه، وهو أعلم بحقيقة الحال وكيفية المآل.

وممن يلي هؤلاء في معرفة الحكمة الشيخ شهاب الدين السهروردي بل فاق كثيرًا منهم في الحكمة الذوقية وقد عرفته.

وممن انخرط في سلكهم العلّامة مولانا قطب الدين الشيرازي[٣]، والعلامة مولانا قطب الدين الرازي[٤] وقد عرفتهما، ومولانا سعد الدين التفتازاني[٥] والسيد الشريف الجرجاني ثم مولانا جلال الدين الدواني. ومن فضلاء بلادنا مولانا مصلح الدين مصطفى الشهير بخواجه زاده، ومصلح الدين مصطفى الشهير بالقسطلاني، لكن هؤلاء السبعة قد فاقوا على اكثر المتقدمين في الحديث والتفسير والأصولين والفروع إلّا الإمام فخر الدين الرازي فإنّه تمهّر فيها مع مشاركته لهؤلاء في العلوم الحكمية بأقسامها، إلّا أنّ إتقانهم أقوى من إتقانه.

واعلم أن الكتب المصنفة في العلم الإلهي لمّا لم تخل عن الرياضي والطبيعي أيضًا احببنا أن نذكرها بعد الفراغ عن الكلّ، اللهم إلّا نادرًا، كالمباحث المشرقية[٦] للامام فخر الدين الرازي وأمثاله، ولا تظنن أن العلوم الحكمية مخالفة للعلوم الشرعية البتة، وليس كذلك بل الخلاف في مسائل يسيرة وبعضها مخالف ظاهرًا لكن إنْ حقق يصافح أحدهما الآخر ويعانقه.

---

(١) هكذا عاش بين ١٢١٧م و١٢٦٥م. فاتح مغولي، ومؤسس دولة المغول الايلخانية في ايران عام ١٢٥١م. حفيد جنكيزخان، أخضع امراء الفرس والاسماعيلية في الموت عام ١٢٥٦م. قضى على الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨ م. احتل سورية، وانتصر عليه المماليك في موقعة عين جالوت وهزموه عام ١٢٦٠م وأبادوا جيشه. انظر: المنجد في الاعلام ٦٠٢.

(٢) ابن المطهّر الحلي: هو الحسن ـ ويقال الحسين ـ بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، جمال الدين، ويعرف بالعلامة. ولد عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، وتوفي عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م. من أئمة الشيعة، ومن كبار العلماء. وله العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢٢٧، روضات الجنات ٢/ ٥، الدرر الكامنة ٢/ ٧١، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٧، ابن الوردي ٢/ ٢٧٩.

(٣) في علم المنطق.

(٤) في علم المنطق.

(٥) في علم البديع.

(٦) المباحث المشرقية في العلم الإلهي والطبيعي للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (-٦٠٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٥٧٧.

علم أمارات النبوة(*)

من الإرهاصات والمعجزات القولية والفعلية وأمثال ذلك. وكيفية دلالة هذه النبوّة والفرق بينها وبين السّحر، وتمييز الصادق من الكاذب. وموضوعه وغايته وغرضه ظاهر جدًا. ومنفعته أعظم المنافع.

وفي هذا العلم مصنفات كثيرة، لكنه لا أنفع ولا أحسن من كتاب: إعلام النبوة للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي[1] وهو كان من كبار الفقهاء الشافعية أخذ الفقه عن ابي حامد الاسفرايني[2] ببغداد وابي القاسم الصيمري. وكان حافظًا للمذهب، وله فيه كتاب الحاوي وله تفسير القرآن الكريم. والنكت والعيون وأدب الدين والدنيا والأحكام السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك والإقناع في المذهب، وغير ذلك. وفوّض إليه القضاء ببلدان كثيرة، واستوطن بغداد، وتوفي يوم الثلاثاء سلخ ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة، وعمره ست وثمانون سنة.

علم الأمثال(**)

وهذا من فروع علم اللغة، وهو معرفة الألفاظ الصادرة عن البليغ، المشتهرة بين الأقوام بخصوص ألفاظها وهيئاتها وموردها وسبب ورودها وقائلها وزمانها ومكانها، لئلّا يقع الغلط عند استعمالها في مضاربها، وهي المواضع والمقامات المشبهة بمواردها. ولا بدّ لمعاني تلك الألفاظ من غرابة، ولألفاظها من فصاحة وبلاغة. وموضوعه الألفاظ المذكورة من حيث ورودها في مواردها وتعيين مضاربها بالنوع. ومباديه مقدمات حاصلة بالتواتر من ألفاظ الثقات. وأما غرضه ومنفعته فغنيّان عن البيان، فإنّ الأمثال أشدّ ما يحتاج إليه المنشىء والشاعر لأنها تكسو الكلام حلة التزيين، وترقيه أعلى درجات التحسين. ومن الكتب النافعة فيه: كتاب لابن الأنباري[3]، ومنها: المستقصى في الأمثال[4] للعلامة الزمخشري[5]، ومنها مجمع

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في فروع العلم الإلهي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٢، وفيات الأعيان ١/ ٤١٠، الانساب ٥٠٤، معجم الأدباء ١٥/ ٥٢، طبقات الشافعية ٣/ ٣٠٣، المنتظم ٨/ ١٩٩، لسان الميزان ٤/ ٢٦٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٦٤، شذرات الذهب ٣/ ٢٨٥، البداية ١٢/ ٨٠، الكامل لابن الأثير ٩/ ٢٢٩.

(٢) أبو حامد الاسفرايني: هو احمد بن محمد بن احمد الاسفرايني، أبو حامد. ولد عام ٣٤٤ هـ/ ٩٥٥م. وتوفي ببغداد عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م. من اعلام الشافعية. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢١١، طبقات الشافعية ٣/ ٢٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢، وفيات الأعيان ١/ ١٩.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) ابن الأنباري: هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسان بن بيان، أبو بكر، ابن الانباري، ولد في الانبار (على الفرات) عام ٢٧١هـ/ ٨٨٤م. وتوفي عام ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. نحوي، لغوي، محدث، مفسر، حافظ، علامة له الكثير من المؤلفات. معجم المفسرين ٢/ ٦٠٤، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٢، وفيات الأعيان ٤/ ٣٤١، تاريخ بغداد ٣/ ١٨١، بغية الوعاة ١/ ٢١٢، شذرات الذهب ٢/ ٣١٥.

(٤) للعلامة جار الله ابن القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (-٥٣٨هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٧٥.

(٥) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله ابو القاسم، ولد في زمخشر بخوارزم عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م. وتوفي بالجرجانية بخوارزم عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م. إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير، وكان معتزلياً وله التصانيف الهامة. الاعلام ٧/ ١٧٨، معجم المفسرين ٢/ ٦٦٦، وفيات الأعيان ٢/ ٨١، إرشاد الأريب ٧/ ١٤٧، لسان الميزان ٦/ ٤، معجم الادباء ١٩/ ١٢٦، ميزان الاعتدال ٤/ ٧٨، الجواهر المضيئة ٢/ ١٦٠، انباه الرواة ٣/ ٢٦٥، العبر ٤/ ١٠٦، شذرات الذهب ٤/ ١١٨.

الأمثال[١] للإسفرايني وهو كتاب عظيم جامع جدًا، وقد عرفت الإسفرايني[٢].

علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[*]

المطلب الأول: في فضائله

ويدلّ على ذلك بعد إجماع الأمة عليه الآيات والأخبار، والآثار.

أما الآيات فمنها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٤]. ومن الأخبار قوله ﷺ: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلّا أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكرًا وذكرًا لله»[٥]. وفي الأخبار كثرة إلّا أنّ العبرة بقوة الدليل لا بكثرتها، ولهذا آثرنا الاختصار.

ومن الآثار ما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر أو ليسلطنّ عليكم سلطانًا ظالمًا لا يجلّ كبيركم ولا يرحم صغيركم، ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم، وينتصرون[٦] فلا ينصرون، ويستغفرون فلا يغفر لهم. وعن حذيفة[٧] رضي الله عنه: يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحبّ إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم.

المطلب الثاني:

في أركانه وشرائطه، والأركان أربعة، ولكل منها شروط:

الركن الأول: المُحْتَسِب، وله شروط:

أولها: أن يكون مكلّفًا، إذْ غير المكلف لا يلزمه أمر، هذا شرط الوجوب، وإلّا فالصبي إنْ أراق الخمر وكسر الملاهي فلا يمنع عنه وله ثواب.

ثانيها: وهو الإيمان وذلك لأنّه نوع نصرة للدين، ولا يكون من عدو له.

ثالثها: العدالة وقد اعتبرها قوم للنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله، والحق أنّ للفاسق أنْ يحتسب إذْ لا عصمة لجميع الآمرين بالمعروف في السلف، ولم يخصّوا منهم أحدًا دون أحد. وتحقيق ذلك أنّ الحسبة إمّا وعظية ويشترط فيها العدالة، وإمّا قهرية ولا يشترط فيها ذلك، إلّا الذمّي إذْ ليس للكافرين على المؤمنين سبيل.

ورابعها: الإذن من جهة الإمام والوالي، وقد شرطه قوم ولم يجوّز الحسبة لآحاد الرعية، إلّا أنه شرط فاسد، إذْ الآيات والأخبار تدلّ على وجوب ذلك على الكل. فالتخصيص تحكّم لا أصل له، ومنع الكافرين على التسلط على المسلم ليس لأجل ذلته حتى يلزم منع الرعايا عنه أيضًا، بل ذلك لكفره.

---

(١) لم نعثر على تعريف لهذا الكتاب. وإنما المشهور من كتب الامثال: مجمع الأمثال للميداني، ومجمع الأقوال في معاني الأمثال للبكري، ومجمع الأقوال في الحكم والأمثال للسيواسي. انظر: كشف الظنون ٢/١٥٩٧.

(٢) وهناك كتاب: الأمثال للميداني، وتمثال الأمثال للشيبي، وفرائد الخرائد لأبي يعقوب يوسف النحوي، كتاب صغير الحجم كثير النفع ممتع به. (هامش الأصل).

(*) هذا هو الأصل التاسع من أصول الشعبة الثانية في العادات، ضمن علوم الدوحة السابعة، في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) آل عمران/ ١٠٤.

(٤) آل عمران/ ١١٠.

(٥) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، ح ٢٤١٢، بلفظ: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرٌ...»

(٦) كذا في الأصل.

(٧) هو حذيفة بن أسيد بن خالد بن الأعور، أبو سريحة الغفاري. توفي بالكوفة. صحابي، جليل. ممن بايع تحت الشجرة، راوٍ للحديث. وروى عنه خلق كثير.
الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٣٣٥، أسد الغابة ١/ ٤٦٦، ٥/ ١٣٦.

وتفصيل ذلك أنّ الحسبة لها خمس مراتب، الأولى التعريف. والثانية الوعظ بالكلام اللطيف وهما لا يحتاجان إلى إذن الإمام. والثالثة السَّب والتعنيف لا السَّب بالفحش، بل بقوله: يا جاهل، يا أحمق، ألا تخاف من الله، وهذه وأمثال ذلك الكلام صدق قد يحتسب عند الإمام فكيف يتوقّف على إذنه. الرابعة المنع بالقهر بالمباشرة ككسر الملاهي وإراقة الخمر ولا حاجة فيها إلى الأذن، إذْ المسلمون كالبنيان يشدّ بعضهم بعضها. الخامس التهديد والتخويف بالضرب أو مباشرته وهو الذي يحتاج فيها إلى إذن الإمام، وألّا ينجرّ إلى القتال من الجانبين.

ثم إنّ في تفاصيل هذه الحسبة كلامًا، مثلًا للولد الحسبة لوالده بالمرتبتين الأوليين فقط، وليس الحسبة بالأخريين. وفي الثالثة ينظر إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط، فإنْ كان المنكر فاحشًا وسخطه قريبًا كإراقة خمر من لا يشتدّ غضبه فالأمر ظاهر، وإن كان المنكر قريبًا والسخط شديدًا ككسر آنية بلور عليها صورة حيوان وفي كسرها عظيم خسران فيكتفي فيه بالمرتبتين الأوليين. وأما الرعية مع السلطان فيتعين فيه الرتبتان الأوليان. وأما الرتبة الثالثة فإلى اجتهاد المحتسب، إذْ قد ورد النهي عنه، وورد النهي عن التعرّض للسلطان فينظر فيه إلى تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمة الإمام بسبب الهجوم عليه، وذلك مما لا يمكن ضبطه. وأما الأستاذ فأمره أظهر لأنّه إذا لم يعمل بعلمه لا يجب على التلميذ احترامه.

وخامسها: كونه قادرًا، إذْ العاجز حسبته بقلبه، والعجز إنما بحسب لحوق المكروه لا العجز الحسّي. وها هنا أربع أحوال: إحداها أن يعلم أنّه لا ينفع كلامه ويضرب إنْ تكلم فلا يجب عليه الحسبة، بل ربما تحرم في بعض المواضع. نعم يلزمه أنْ لا يحضر مواضع المنكر حتى لا يشاهده. ثانيتها أن ينتفي عدم النفع والضرب معًا فيجب عليه الإنكار. وثالثتها أن يعلم أنّه لا يفيد ولا يخاف مكروهًا فلا يجب بل يستحب إظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بأمر الدين. ورابعتها عكس هذا، فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب، وإنما الحرام تعريض النفس للهلاك من غير أثر. وإنّما يستحب إذا علم أنّ له أثرًا، لكن إن علم أنه يضرب معه أصحابه وأقاربه ورفقاؤه فلا يجوز له الحسبة بل تحرم، لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر آخر أقوى منه، وليس ذلك قدرة في الحقيقة.

ولما كان كون بعض المنكر أقوى من آخر أمرًا لا يهتدي له العوام اشترط بعضهم إذن الوالي لينصب من هو أهلٌ للحسبة.

ثم الظنّ كافٍ في إصابة المكروه، ثم التعويل في هذا الظنّ على اعتدال الطبع، لأنّ ذلك الظنّ يقوى بالجبن ويضعف بالتهوّر. ثم المكروه المتوقع لا بدّ له من حدّ. وتحقيقه أنّ المطالب منحصرة في أربعة: في النفس بالعلم، وفي البدن بالصحة، وفي المال بالثروة، وفي القلوب بالجاه. ففوت كلّ من هذه مكروه. فالفوت إمّا متوقع أو بالفعل، وترك المتوقع في هذه الأربع لا يمنع الحسبة، وإنما الضرب الحقيقي المانع مع الحسبة فوات الحاصل، مثل أنْ يكون جاهلًا بمهمات دينه بالحسبة ولم يجد إلّا معلمًا واحدًا ويقدر المحتسب عليه منع المعلم عن تعليمه، أو بفوت إزالة المرض[1] الحاصل عنه، أو بقطع رزقه ولا توكّل له ويحتاج إلى حرام، أو مات جوعًا، أو يزول جاهه ويبتدىء أهل الشرّ بأذاه، فهذه أمور مستثناة عن الحسبة إذا ظهرت وقويت. لكن لا بدّ أن يزن ظنّ زواله بميزان الدين لا بموجب الطبع والهوى، فإن سكت

(١) كذا في الأصل.

بموجب الدين تسمى مداراة وهي جائزة، وإن سكت بموجب الهوى تسمى مداهنة. فعليك بالنقد في سبب السكوت، فإنّ الناقد بصير، وستجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا عند الله، ولو في فلتة خاطر ولفتة ناظر، وما ربّك بظالم للعبيد.

الركن الثاني: ما فيه الحسبة وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر بلا تجسّس معلوم كونه منكرًا بلا اجتهاد، فله شروط أربعة:

الأول: كونه منكرًا محظور الوقوع في الشرع، سواء كان معصية أوْ لا، كإراقة خمر يشربها الصبيان.

الثاني: أن يكون موجودًا في الحال، وإلّا كمن يعزم على الشرب في ليلته فعليه الوعظ إن علم النفع وإلّا فلا وعظ أيضًا.

الثالث: أنْ يظهر بغير تجسّس لأنه منهي عنه، ولا يجب عليه الاطلاع على ما في البيوت إلّا إذا ظهر بأن سمع أصوات الملاهي من خارج فحينئذٍ يدخل ويغير. وقد أمرنا بأن نستر ما ستره الله وننكر على من أبدى لنا صفحته، والإبداء بإحدى طرق الحواس إذْ المقصود العلم، ولا يجب عليه استعلام ما تحت الذيل لأنّه تجسّس إلّا إذا كان خمرًا رائحته فائحة أو عودًا تحت شيء دقيق وعرف شكله ونحو ذلك.

الرابع: أنْ يعلم كونه منكرًا بلا اجتهاد فليس على الحنفي أن ينكر على الشافعي أكل متروك التسمية والضبّ والضبع، وبالعكس في شرب النبيذ الغير المسكر وتوريث ذوي الأرحام إلى غير ذلك. وأما إنكار المذاهب المبتدعة كقول المعتزلي إنّ الخير من الله دون الشّر، وقوله كلام الله مخلوق، فواجب، وذلك مهم بالنسبة إلى إنكار الاجتهاديات إلّا أنْ يكون في الإعراض تحريك فتنة بالمقاتلة، فإذن الحسبة في أمثال هذا إلى السلطان إذْ هو قادر على دفع الفتنة في أمثاله.

الركن الثالث: المحتسب عليه وشرطه أنْ يكون الفعل في حقه منكرًا بجهة كونه إنسانًا، ولا يشترط كونه مكلفًا لما عرفت أنّ الصبي يمنع عن الشرب والمجنون عن الزناء، ولا يجب ردّ الحيوان عن إفساد الزرع بحسب الحسبة، إذْ الحسبة للإنسان لا للحيوان. نعم يجب عليه منع الحيوان أيضًا مهما قدر عليه من غير تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه، إلّا أنّه ليس بطريق الحسبة بل لكونه من حقوق المسلمين وهي كثيرة وهذه أدناها.

الركن الرابع: نفس الاحتساب وله درجات وآداب.

الدرجة الأولى: التعرّف وهو منهي عنه لأنه تجسّس وقد ذكرناه، مثل أن يسترق السمع لصوت الملاهي، أو يستنشق لرائحة الخمر، أو يمسّ ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار، اللهم إلّا أن يخبر عدلان ابتداءً من غير استخبار، فحينئذٍ له أن يدخل داره.

الدرجة الثانية: التعريف مثل أن يرى أن[1] يصلي بلا تعديل لجهله فعليه التعريف باللطف، وإلّا فربما يترك أصل الصلاة، إذْ الجهل أقبح من كلّ عيب لكونه عيب النفس، فلا يرضى الانسان بظهور جهله، فيتلطف ويقول: إنّ الانسان لم يولد عالمًا، ولقد كنا جاهلين بأمور الصلاة فعلّمنا العلماء، ولعلّ قريتك كانت خالية من أهل العلم، أو عالما[2] مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها، إنما شرط الصلاة هكذا ويعلم له ما اراد.

الدرجة الثالثة: النهي بالوعظ والنصح

(١) كذا في الأصل، ولعله: من.
(٢) كذا في الأصل.

والتخويف بالله كمن هو عالم بكونه منكرًا وأصرّ على ذلك بعد أن عرف كونه منكرًا، فيوعظ له ويخوّف بأخبار الوعيد، ويحكي له سيرة السلف، كل ذلك بلطف وشفقة من غير غضب، ويرحم عليه، ويرى ذلك مصيبة على نفسه، إذْ المسلمون كنفس واحدة، لكن يتحرّز عند التعريف عزّ نفسه بالعلم وذلّ غيره بالجهل، فإنّ هذه مصيبة في الوعظ والتذكير وهذه غائلة هائلة، وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل إنسان، إلّا من عصمه الله وعرف عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته.

وأما غير هؤلاء يغتالهم لذتان: دالة العلم ودالة الأحكام والسلطنة وهي الشهوة الخفية المتداعية إلى الشرك الخفي، وله محكّ وعيار وهو إنْ كفى غيره مؤنة الوعظ والنصح كان أحبّ عنده، إذْ حصل الغرض ولم يتحمل نقل الوعظ على الغير، وإلّا فليتعظ نفسه أولًا ليعظ الناس.

الدرجة الرابعة: السَّبّ والتعنيف بالقول وذلك عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادىء الإصرار بالاستهزاء بالوعظ، ولا يطلق لسانه بالفحش بل يقول: يا فاسق يا أحمق أما تخاف الله. فإنْ علم أنّه لا يردعه السّب والتعنيف فليكتف بإظهار الغضب والاستحقار.

الدرجة الخامسة: التغيير باليد ككسر الملاهي وإراقة الخمر وأنْ يجرّ برجله من الدار المغصوبة. وينبغي أن لا يباشر باليد إذا أمكن بدونه، ولا يجر بلحيته إذا أمكن جره برجله، وأن لا يمزق ثوبه الحرير[1] إذا أمكن حلّ إزاره ونحو ذلك.

الدرجة السادسة: التهديد والتخويف كقوله دع هذا وإلّا لأضربّن رقبتك أوْ لأكسرنّ رأسك وما أشبه ذلك. وينبغي أن لا يقدم التهديد على تحقيقه إن أمكن، وأنْ يهدد بما يقدر على تحقيقه فلا يقول: لأنهبنّ دارك ولأسبينّ زوجتك، لأنّه إن قال ذلك عن عزم فهو حرام، وإنْ قاله على غير عزم فهو كذب، اللهم إلّا إذا عرف أنه يردعه بالمبالغة فإنّه حينئذٍ ليس من الكذب المحظور، وهذا بمنزلة إصلاح ذات البين وهو غير قبيح.

ومن هذا قال بعضهم: يجوز من الله تعالى أن يتوعّد بما لا يفعل لأنّ الخلف في الوعيد كرم، وإنما يقبح أنْ يعد بما لا يفعل. وهذا القول غير مرضي في حقّ الله عزّ وجلّ فإنّ الكلام لا يتطرق إليه الخلف وعدًا كان أو وعيدًا، وإنما ذكره يتصوّر في حق العباد إذْ الخلف في الوعيد ليس بحرام.

الدرجة السابعة: مباشرة الضرب باليد والرجل بدون شهر سلاح، وإنْ احتاج إلى شهر سلاح فيجوز ذلك على المحتسب كتخليص امرأة من فاسق إذا كان بينهما نهر حائل، فإن لم يخل فله الرمي، لكن يقصد الساق والفخذ دون المقتل. وبالجملة يرعى التدريج في الكل. وأما العامي فليس عليه شهر السلاح بحال أصلًا.

الدرجة الثامنة: ألّا يقدر بنفسه ويحتاج إلى الأعوان، وربما يكون للفاسق أيضًا أعوان فيؤدي إلى أنْ يتقاتل الصفان، ومثل هذا لا يجوز إلّا بإذن السلطان إذْ ربما يؤدّي إلى هيجان الفساد وخراب البلاد، وإلّا أنّ القياس جوازه للكل.

المطلب الثالث:

آداب المحتسب، وهي ثلاثة:

أحدها: أن يعلم موانع الحسبة ومواقعها.

وثانيها: الورع إذْ ليس كل من علم عمل بعلمه.

وثالثها: حسن الخلق إذْ العلم والورع لا يكفي في اللطف والرفق ما لم يكن لصاحبه حسن الخلق.

ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه ويقطع الطمع حتى تزول عنه المداهنة.

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: الجديد.

ولنذكر ههنا شيئًا من الآداب المخصوصة:

منها منكرات المساجد، يمنع من قصّر في أمر الصلاة على مذهبه، ينبه على لحن قراءته سيّما الفاتحة، وإن كان قادرًا فليتعلم، وإلّا فمقدار ما قدر.

ومنها تراسل المؤذنين وتغييرهم كلمات الآذان لرعاية الألحان، وكذا عدم رعايتهم الأوقات.

ومنها لبس الخطيب ثوبًا أسود فيه ابريسم أو ممسكًا لسيف مذهّب، والحرير حرام، وأحب الثياب البيض والاسود ليس بحرام.

ومنها الواعظ المبتدع أو الذي يكثر الرجاء إذ الخلق أحوج إلى الخوف منهم إلى الرجاء، وكذا حضور النساء مجلسه وهو شاب متزين كثير الأشعار والإشارات والحركات. ويمنع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر اذا خيف الفتنة.

ومنها دخول المجانين والسكارى إلّا أن يعلم سكونهما وسكوتهما، ولا بأس بدخول الصبي إذا لم يلعب.

ومنها منكرات الأسواق كالكذب وإخفاء العيب وبيع الملاهي والأواني المحرّمة.

ومنها منكرات الشوارع، نحو تضيق الطريق بالأبنية ووضع الأحمال، وتنجيس الطريق وترك مياه المطر والأوحال والثلوج.

ومنها منكرات الحمامات من صور الحيوانات وكشف العورات والانبطاح لتغميز الأفخاذ، وتنجيس الأواني والمياه، وترك الأحجار المزلقة أو جعلها مزلقة بغسل الثياب بالصابون ونحوه.

ومنها منكرات الضيافة كالفرش المحرمة والمبخرة المحرمة والأشربة المحرمة وستور عليها صور، وسماع الأوتار والقينات، ونظر النساء على الرجال الشبان، وحرمة الأطعمة، والاجتماع مع من يلبس الحرام ومع أهل البدع، وإنْ كان فيه مضحك بالفحش والكذب يجب منعه، وإن لم يقدر فلا يحضر. وأما المزح بلا فحش ولا كذب فهو مباح إلّا أنْ يتخذه صنعة وذلك مكروه، والكذب الذي لا يقصد به التلبيس ليس من المنكرات كقولك: كلمتك اليوم مائة مرة أو أتيتك ألف مرة، إذْ ليس يقصد به التحقيق بل المبالغة، وذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد به الشهادة، وكالسرف في الطعام والبناء.

ومنها صرف المال الى القينات والمغنيات وإسراف جميع[١] حرام بحيث يبقى عياله بلا شيء سيّما في المحرمات إلّا إذا أنفق في وجوه البِرّ وله قدم صدق في التوكل.

ومنها منكرات العامة مثل أن يقعد في بيته ولا يصرف ما فضل عن فرض العين إلى فروض الكفاية، كأن يخرج إلى القرى المجاورة لبلده ويعلم أهلها أركان الصلاة وشرائط الطهارة وسائر الفرائض، إلا أن يفعله البعض، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم وإنْ علم مسألة واحدة فهو من أعلم العلم بها يجب تبليغها، والإثم في ذلك على الفقهاء أشدّ لأنّ قدرتهم فيه أظهر، لأنّ العلم يجب العلم به أولًا لنفسه، ثم لأهل بيته، ثم لأقاربه وجيرانه، ثم وثم حتى ينتهي إلى أن يخرج إلى السوق ويغير منكراتهم، وإنْ قدر على تغيير البعض فلا يكون عدم تغيير الباقي عذرًا في عدم الخروج، ويتعدى منهم إلى أهل القرى، ثم أهل البادية، وهكذا إلى أقصى العالم. فإنْ قام به الأدنى سقط عن الأبعد، وإلّا يأْثم كلّ عالمٍ على وجه الأرض.

المطلب الرابع:

في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر:

(١) كذا في الأصل، ولعل نقصاً وقع في العبارة، وفي المصرية: جميع المال، وهو الأصوب.

والجائز معهم الرتبتان الأوليان من درجات الحسبة، وهما التعريف والوعظ. وأما تخشين القول والمنع بالقهر فيهيج الفتنة في حقهم فلا يجوز، إلّا إذا اختص الضرر بنفسه فقط فعند ذلك يندب. قال ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر»[١]. وقال: «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك»[٢].

ولذلك كانت الصحابة والتابعون اجتروا على الملوك والسلاطين ولم يبالوا ببلية وعذاب، وأخلصوا النية، فلهذا أثّر كلامهم في الظلمة وليَّن قلوبهم القاسية كما هو مسطور في كتب التواريخ والأخبار. وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا الله قصدوا حق العلم لأفلحوا. ففساد الرعية بفساد الملوك، وفسادهم بفساد العلماء، وفسادهم باستيلاء حبّ المال والجاه. ومن استولى عليه حبّ الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل والصعاليك، فكيف على الأكابر والملوك. اللهم اعصمنا من العلم بلا عمل، والميل إلى الدنيا، ولا تخلط أعمالنا بالسمعة والرياء، إنك أنت المستعان، يا كريم يا منّان، وتفضّل علينا بالإحسان والإنعام يا ذا الجلال والإكرام.

علم إملاء الخط العربي(*)

وهو علم يبحث فيه بحسب الإنية واللِّمية عن الأحوال العارضة لنقوش الحروف العربية لا من حيث حسنُها في السطور، بل من حيث دلالتُها على الألفاظ العربية بحسب الآلات الصناعية، أعني القلم وأمثاله، بعد رعاية حال بسائط الحروف من حيث الدلالة على الحروف التي هي أجزاء الألفاظ وهذا العلم من حيث حصول الحروف بالآلة من أنواع علم الخطّ، ومن حيث دلالتُها على الألفاظ من فروع علم العربية. وستعرف تفاصيلها إن شاء الله تعالى مع ذكر المصنفات الواقعة فيها.

علم إنباط المياه(**)

وهو علم يُتعرَّف منه كيفية استخراج المياه الكامنة في الأرض وإظهارها. ومنفعته إحياء الأرضين وإفلاحها. ونقل عن بعض العلماء أنه قال: لو علم عباد الله تعالى رضى الله تعالى في إحياء أرضه لم يبق في وجه الأرض موضعٌ خراب. وللكرخي[٣] فيه كتاب مختصر، وفي خلال كتاب الفلاحة النبطية[٤] مهمات هذا العلم.

علم الإنشاء(***)

علم يُبحث فيه عن المنثور من حيث إنّه بليغ وفصيح ومشتمل على الأدآب المعتبرة عندهم في العبارات المستحسنة واللائقة بالمقام. وموضوعه

---

(١) اتحاف الزبيدي، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين، ٧/ ٦٤.
(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الرابع في أمر الأمراء والسلاطين، ٧/ ٦٤.
(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بإملاء الحروف المفردة، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(**) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٣) ورد في كشف الظنون من غير تاريخ وفاة. كشف الظنون. ٢/ ١٤٤٧.
(٤) لم نعثر على هذا الكتاب بهذا الاسم، وهناك كتاب الفلاحة الرومية للحكيم قسطوس بن اسكوراسكينا الذي ترجمه ابن هليا الرومي. وكتاب الفلاحة لأرسطو ولغيره. كشف الظنون ٢/ ١٤٤٧.
(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

وغرضه وغايته ظاهرة مما ذكر. ومباديه مأخوذة من تتبّع الخُطَب والرسائل، بل له استمداد من جميع العلوم سيّما الحكمة العملية والعلوم الشرعية وسِيَر الكُمَّل وحكايات الأمم ووصايا العقلاء وغير ذلك من أمور لا تتناهى. ومن الكتب المصنفة في هذا الباب: كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ابن الأثير الجزري(١)، وهو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب ضياء الدين. كان مولده بجزيرة ابن عمر(٢)، ونشأ بها، وانتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل، وحصَّل العلوم، وحفظ كتاب الله الكريم وكثيرًا من الأحاديث، وطرفًا صالحًا من النحو واللغة وعلم البيان، وشيئًا كثيرًا من الأشعار. ثم قصد الملك الناصر صلاح الدين(٣) وأقام عنده مدة، ثم طلبه ولده الملك الأفضل نورالدين(٤) من والده فاستوزره وحسنت حاله عنده، وله أحوال أخر فيها طول. وله من التصانيف: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وهو في مجلدين، جمع فيه فأوعب ولم يترك شيئًا يتعلق بفن الكتابة إلّا أورده. ولد في يوم الخميس العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمس مائة بجزيرة ابن عمر وتوفي في إحدى الجمادين أو في التاسع والعشرين من ربيع الآخر وهو الأصح، سنة سبع وثلاثين وست مائة ببغداد، وكان له أخوان: أحدهما مجد الدين أبو السعادات(٥) المبارك صاحب كتاب نهاية الحديث والأثر، وسيأتي ذكره في علم اللغة. والآخر أبو الحسن علي الملقب عزالدين(٦) وسنذكره عند ذكر التواريخ لأنه صنّف كتاب الكامل، وهو أجل التواريخ وأحسنها وأنفعها. وكان الإخوة الثلاثة كلهم فضلاء نجباء رؤساء أرباب التصانيف المقبولة. وقلّما يتفق إخوة مثل هؤلاء. ومن كتب الإنشاء كتاب المعاني المخترعة(٧) في

---

(١) أبو الفتح ابن الأثير الجزري: هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، المعروف بابن الاثير الجزري، أبو الفتح ضياء الدين. ولد عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م، وتوفي عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م. أديب، كاتب من الوزراء. له تصانيف كثيرة. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٣/ ٩٨، وفيات الأعيان ٢/ ٢٠٨، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٠١، بغية الوعاة ٤٠٤، شذرات الذهب ٥/ ١٨٨.

(٢) بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق مخصب، يحيط بها دجلة إلاّ من ناحية واحدة شبه هلال، فيعمل له خندق أجري فيه الماء فأحاط بها.

(٣) الناصر صلاح الدين: هو يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، صلاح الدين الايوبي الملقب بالملك الناصر، ولد عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م وتوفي عام ٥٨٩هـ/ ١١٩٣، من أشهر ملوك الاسلام. أسس دولة قوية وحارب الصليبيين ووحد مصر وبلاد الشام، وله أخبار مشهورة. انظر عنه: الاعلام ٨/ ٢٢٠، وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٧، ابن الاثير ١٢/ ٣٧، طبقات السبكي ٤/ ٣٢٥، مرآة الزمان ٨/ ٤٢٥.

(٤) الملك الأفضل نورالدين: هو علي (الملك الأفضل نورالدين) بن يوسف (صلاح الدين بن ايوب، ولد عام ٥٦٦هـ/ ١١٧١م وتوفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، قائد شجاع، تولى مملكة دمشق بعد وفاة أبيه، ثم تولى شؤون مصر. كان خيّراً فاضلاً حليماً كريماً. وله أخبار. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٣٣، ابن الأثير ١٢/ ١٦٤، وفيات الاعيان ١/ ٣٧١، المقريزي ١/ ٢١٦.

(٥) مجدالدين أبو السعادات: هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات مجدالدين. ولد عام ٥٤٤هـ/ ١١٥٠م. وتوفي بنواحي الموصل عام ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م. محدث لغوي، أصولي. عالم مكثر من التآليف والتصانيف. الاعلام ٥/ ٢٧٢، بغية الوعاة ٣٨٥، وفيات الأعيان ١/ ٤٤١، ارشاد الأريب ٦/ ٢٣٨، طبقات الشافعية ٥/ ١٥٣.

(٦) أبو الحسن علي الملقب عزالدين: هو علي بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن، عزالدين ابن الأثير. ولد عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، وتوفي عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م. مؤرخ، عالم بالأدب والأنساب، له تصانيف عديدة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٣٣١، وفيات الأعيان ١/ ٣٤٧، طبقات السبكي ٥/ ١٢٧، آداب اللغة ٣/ ٨٠.

(٧) المعاني المخترعة في صناعة الانشا لموفق الدين المدائني. المولود عام ٥٩٠هـ. كشف الظنون ٢/ ١٧٣٠.

صناعة الإنشاء لموفق الدين[١]. ولد هو في آخر الجمادين أو أول الربيعين، سنة تسعين وخمس مائة بالمداين. وله كتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم[٢]، ومجموع[٣] اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي وديك الجن[٤]، مجلد كبير وله ديوان الترسل[٥] في عدة مجلدات.

ومن العجب العجاب في علم الإنشاء: المقامات للحريري، وقد عمل على أسلوبها كثير من الناس، رأيت منها ثلاثة، وتواريخ العتبي، وهذان يمكن عدّهما من المحاضرات أيضًا، وقهوة الإنشاء[٦] لأبي بكر ابن حجة[٧] أيضًا.

واعلم أنّ الحريري[٨] القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري، الإمام أبو محمد الحريري ولد في حدود سنة ست وأربعين وأربع مائة، وكان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة، وتصانيفه تشهد بفضله وتقرّ بنبله. وكفى بفضله شاهدًا المقامات التي فاق بها الأوائل وأعجز الأواخر. قال البندهي[٩]: كان سبب وضعها أنّ أبا زيد السروجي[١٠] ورد البصرة[١١] وكان شيخًا شحاذًا بليغًا فصيحًا، فوقف في مسجد بني حرام، فسلّم، ثم سأل الناس والمسجد غاصّ بالفضلاء، فأعجبهم فصاحته وحسن صياغة كلامه، وذكر أسر الروم ولده كما ذكر في المقامة الحرامية. قال الحريري: فاجتمع عندي عشية ذلك اليوم فضلاء، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل، فحكى كلّ واحد منهم أنه سمع من هذا السائل في مسجده في معنى آخر فصلًا

---

(١) موفق الدين: هو موفق الدين المدائني. ولد عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م. ولا تعرف سنة وفاته. أديب، كاتب وله عدة كتب. انظر عنه: كشف الظنون ٢/ ١٧٣٠، معجم المؤلفين ١٣/ ٥٢.

(٢) الوشي المرقوم في حل المنظوم لضياء الدين ابن الأثير (-٦٣٧هـ). كشف الظنون ٢/ ٢٠١٢، هدية العارفين ٢/ ٤٩٣، معجم المؤلفين ١٣/ ٩٨.

(٣) لعله كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير. معجم المؤلفين ١٣/ ٩٨.

(٤) ديك الجن: هو عبدالسلام بن رغبان بن عبدالسلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن. ولد عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م، وتوفي عام ٢٣٥ هـ/ ٨٥٠م. شاعر مجيد، ماجن، له ديوان شعر مطبوع. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٩٣.

(٥) ديوان الرسائل لأبي السعادات المبارك ابن الأثير (-٦٠٦هـ)، وديوان الرسائل في عدة مجلدات لأبي الفتح ضياء الدين ابن الأثير (-٦٣٧هـ)، معجم المؤلفين ١٣/ ٩٨، هدية العارفين ٢/ ٤٩٣.

(٦) لتقي الدين أبي بكر علي بن عبدالله الحموي، ابن حجة الحموي، (-٨٣٧هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٦٦.

(٧) أبو بكر ابن حجة: هو أبو بكر بن علي بن عبدالله الحموي الأزراري، تقي الدين ابن حجة، ولد في حماة بسورية عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م. وتوفي فيها عام ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، إمام عصره في اللغة والأدب شاعر له مصنفات كثيرة وهامة. الاعلام ٢/ ٦٧، الضوء اللامع ١١/ ٥٣، شذرات الذهب ٧/ ٢١٩، آداب اللغة ٣/ ١٢٥، كشف الظنون ٢/ ١٣٦٦، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ١٣٥.

(٨) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٥٣٠، معجم الأدباء ١٦/ ٢٦١، تذكرة الحفاظ ٤/ ٥١، البداية ١٢/ ١٩١، اللباب ١/ ٢٩٥، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٥، شذرات الذهب ٤/ ٥٠، وغيرها.

(٩) البندهي: هو محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن مسعود، تاج الدين الخراساني المروروذي البندهي، ولد عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م، وتوفي عام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م. فقيه، شافعي، أديب له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٦/ ١٩١، وفيات الأعيان ١/ ٥٢٠، لسان الميزان ٥/ ٢٥٦، ارشاد الأريب ٧/ ٢٠.

(١٠) أبو زيد السروجي: هو المطهر بن سلار السروجي، ابو زيد، توفي نحو عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. تلميذ الحريري وانشأ الحريري مقامات على لسانه. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٥٣، انباه الرواة ٣/ ٢٧٦، التاج ٣/ ٢٧٦.

(١١) روى ابن خلكان عن الثقات ان اسم أبي زيد السروجي المظهر بن سلار، وكان قصيراً نحوياً لغوياً، وصحب الحريري المذكور، واشتغل عليه بالبصرة، وتخرج به وروى عنه، ثم ذهب إلى واسط ثم إلى بغداد، وأقام بها مدة يسيرة، وتوفي بها في سنة ثمان وثلاثين وخمسماية. (هامش الأصل).

أحسن مما سمعت، وكان يغيّر في كل مسجد زيّه وشكله، ويظهر في فنون الحيلة فضله، فتعجبوا منه، فأنشأت المقامة الحرامية، ثم بنيت عليها سائر المقامات. وكانت أول شيء صنعته. وذكر ابن الجوزي. بعد هذا الكلام أنّه عرض الحرامية على الوزير أنوشروان[(١)] فاستحسنها، وأمره أن يضيف إليها ما شاكلها فأتمّها خمسين. وقال ياقوت: بلغني أنه لما صنع الحرامية أصعد إلى بغداد، فدخل إلى السلطان ومجلسه غاصّ بالفضلاء، فطلبوا منه شيئًا يدلّ على فضله في الكتابة، فأخذ بيده قلمًا وقال: كلّ ما يتعلق بهذا وأشار إلى القلم، فأجاب كل من سأله شيئًا بما استحسنه حتى بهرهم. فبلغ الخبر الوزير أنوشروان فطلبه، فانتهى حديثهما إلى المقامة الحرامية، فأراها إياه فاستحسنها جدًا وقال ينبغي لك أن تزيد على هذه. فقال: اصنع بالبصرة إذْ يجتمع خاطري، فعمل أربعين مقامة فعرضها على الوزير. وقال بعض حسّاده إنها لرجل استضاف به ومات عنده فامتحنوه بمقامة أخرى يصنعها عندهم، فجلس في منزله ببغداد أربعين ليلة فلم يتهيأ له ترتيب كلمتين مع أنه سوَّد كثيرًا من الكاغد، فعاد إلى البصرة وعمل عشر مقامات وأضافها إليها، وأصعد إلى بغداد، فحينئذٍ بان فضله وعلموا أنه من عمله. وكان مولده ببلد قريب من البصرة يقال لها المشان. وكان الحريري دميمًا مبتلى بنتف لحيته، فقيل فيه:[(٢)]

شيخ لنا من ربيعة الفرس ... ينتف عثنونه[(٣)] من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد ... ألجمه في العراق بالخرس

قيل: إنه كتب سبع مائة نسخة من المقامات بخطه، وقرئت عليه. وله أيضًا: درّة الغواص في أوهام الخواص، والملحة وشرحها، ورسائله وديوان شعره. مات بالبصرة في سادس رجب سنة ست عشرة وخمس مائة. وأما تواريخ العتبي فهو لأبي النصر، محمد بن عبدالجبار العتبي[(٤)]، ذكر فيه أحوال محمود بن سبكتكين[(٥)] وحروبه مع الأعداء. وهذا الكتاب علم في الفصاحة والبلاغة واللطافة. وأما ابن حجة فهو تقي الدين أبو بكر بن حجة، صاحب شرح البديعيات، وغير ذلك من التصانيف.

علم الاهتداء بالبراري والأقفار(*)

وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة، بل يستدل

---

(١) أنو شروان: هو شرف الدين أبو نصر، أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني، وزير الامام المسترشد بالله التاسع والعشرين من العباسية. قال ابن خلكان: رأيت على ظهر نسخة المقامات بخطه أنه عرضها (أولاً على الوزير جلال الدين عميد الدولة، وهو أيضاً وزير للمسترشد. والأصح هذه الرواية لأنها بخطه، انتهى فتدبر. (هامش الأصل).

(٢) قائله: الشاعر علي بن أفلح.

(٣) العثنون: اللحية.

(٤) أبو النصر محمد بن عبدالجبار العتبي: هو محمد بن عبدالجبار العتبي، أبو نصر، توفي عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م. مؤرخ، شاعر، كاتب، له عدة كتب، انظر عنه: الاعلام ٦/ ١٨٤، يتيمة الدهر ٤/ ٢٨١، الذريعة ٣/ ٢٥٦.

(٥) محمود بن سبكتكين: هو محمود بن سبكتكين الغزنوي، السلطان يمين الدولة، ابو القاسم ابن الأمير ناصر الدولة أبي منصور. ولد في غزنة (بين الهند وخراسان) عام ٣٦١هـ/ ٩٧١م. وفيها توفي عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م. فاتح الهند وأحد كبار القادة. كان حازماً صائب الرأي، يجالس العلماء، فقيه، فصيح، بليغ. له عدة كتب.
الاعلام ٧/ ١٧١، ابن الأثير ٩/ ١٣٩، ابن خلكان ٢/ ٨٤، ابن خلدون ٤/ ٣٦٣، الجواهر المضيئة ٢/ ١٥٨، البداية والنهاية ٢/ ٧٢.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

بالقوة الشامة فقط. وقيل: قد يستعين صاحب هذا العلم بالأمور السماوية تارة والأرضية أخرى. أما الأول فبمسامتات الكواكب الثابتة ومنازل القمر، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[١].

وأما الثاني فبمعرفة الخيال، مثل شمّ التراب، إذْ لكل بقعة رائحة مخصوصة فيهتدون بها.

ونفع هذا العلم عظيم وإلّا لهلكت القوافل وضلّت الجيوش وضاعت في البراري والأقفار. وقيل: قد يكون بعض ممن هو بليد في سائر العلوم ماهرًا في هذا العلم، كما يمكن عكسه. وقد يحصل هذا النوع من التمييز في الأبل والفرس.

حكى بعض من المصنفين أني كنت في قافلة في مفازة خوارزم، وضللنا الطريق، وعجز الكل عن الاهتداء. فقدّموا جملًا هرمًا وألقوا حبله على غاربه، فأخذ ينتقل من جانب إلى جانب ومن تلّ إلى تلّ، وتذبذب يمينًا وشمالًا وصعودًا ونزولًا، واستمر على هذا الحال مقدار فرسخين، وخفنا على أنفسنا حتى وصل إلى الجادة المستقيمة والنهج القويم، وتعجبنا منه كلّ العجب.

علم الأوزان والموازين(*)

وهذا العلم لضبط أثقال الأحجار في البناء وضبط أثقال الأحمال، ومعرفة مقاديرها، ومعرفة الآلات التي يوزن بها الأشياء من الميزان والقسطاس والصاع والكيل، وأمثال ذلك. وضبط هذه الأمور لا يتيسر إلّا لمن له حظ في علم الهندسة كما لا يخفى.

علم الباه(**)

وهو علم باحث عن كيفية المعالجة المتعلقة بقوة المباشرة من الأغذية المصلحة لتلك القوة، والأدوية المقوية والمزيدة للقوة، أو الملذذة للجماع، أو المعظمة للذَكَر، أو المضيقة للقُبُل اللذين لهما مدخل عظيم في اللذة وغير ذلك من الأعمال والأفعال المتعلقة بها. منها: ذكر أشكال الجماع وآدابه اللذين لهما مدخل في اللذة، وحصول أمر الإحبال، إلّا أنهم يذكرون لأجل إكثار الصناعة أشكالًا يعسر فعلها بل يمتنع. ومنها أنهم يذيّلون ذلك الأشكال بحكايات مشهّية تحصل بسماعها الشهوة، ويتحرك قوة المجامعة. وإنما وضعوها لمن ضعفت قوة مباشرتها أو بطلت تلك فيها.

روي أنّ ملكًا بطلت عنه قوة المباشرة بالكلية وعجز الأطباء عن معالجتها بالأدوية، فاخترعوا حكايات عن لسان أمرأة مسمّاة بالألفية، لما أنها جامعها ألفُ رجل. فحكت من كل منها أشكالًا مختلفة وأوضاعًا مشهيّة، فعادت باستماعها قوة الملك.

ويحكى أيضًا أنّ ملكًا آخر بطلت عنه القوة فزوّج عبدًا من مماليكه جاريةً حسناء، وهيّأ لهما مكانًا بحيث يراهما الملك ولا يريانه، فعادت قوة الملك بمشاهدة أفعالهما حتى خرج من إحليله شبه الجبن الرطب، فقدر بعد ذلك قدرة زائدة.

ومن الكتب الجامعة في هذا الباب، كتاب: رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه[٢]، وكتاب رشد اللبيب الى معاشرة الحبيب[٣]،

---

(١) الأنعام/ ٩٧.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) ترجمة المولى احمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا (-٩٤٠هـ). كشف الظنون ١/ ٨٣٥.

(٣) رشد اللبيب الى معاشرة الحبيب للشيخ الأديب ابن قليتبه أبي العنباس احمد بن محمد بن علي اليمني الكاتب (-٢٣١هـ). كشف الظنون ١/ ٩٠٤.

وكتاب الفخ المنصوب إلى صيد المحبوب[١]، وكتاب تحفة العروس وجلاء النفوس[٢]، وكتاب نصير الدين الطوسي نافع في الباب.

علم البديع[*]

وهو علم باحث عن التراكيب العربية من حيث وجوه تحسين الكلام بالحسن العرضي، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المرام. وموضوعه اللفظ العربي من حيث التحسين والتزيين العرضيين بعد تكميله دائرتي الفصاحة والبلاغة. وغرضه تحصيل ملكة تحلية الكلام بالمحسّنات العرضية. وغايته الاحتراز عن خلوّ الكلام عن التحلية المذكورة. ومنفعته التطرية لنشاط السامع وزيادة القبول في العقول. ومباديه تتبع الخطب والرسائل والأشعار المتحلية بالصنائع البديعية.

وإنما دوّنوا هذا العلم واعتبروا هذه الصنائع لأنّ الأصل وإنْ كان الحسن الذاتي، وكان ذلك مما يكفي في تحصيله المعاني والبيان، لكنهم اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضًا لأنّ الحسناء إذا عريت عن المزينات ربما يذهل بعض القاصرين عن تتبع محاسنها الشريفة فيفوته التمتع بها. وأما إذا طابقت الصورة والمعنى والذات والأوصاف، يستوفى منها الحظ كلّ الناظرين المطالعين جمالها الحقيقي والمجازي. ولهذا اشترطوا فيها الحسن الذاتي أولًا وبالذات لئلّا يكون كالثياب الحسنة المزخرفة على الشوهاء القبيحة الخرفة أو كغمد من ذهب على نصل من خشب. والحسن العرضي ثانيًا وبالتبع ليكون مقبولًا في البدأ والمختتم.

ومن الكتب المختصة بعلم البديع: زهر الربيع[٣] للمطرزي[٤] وقد عرفته وكتاب البديع[٥] للتيفاشي[٦] وتحرير التحبير[٧] لابن أبي الاصبع[٨] وشرح البديعيات[٩] لابن حجة.

---

(١) في علم الباه. كشف الظنون ٢/ ١٢٤١.

(٢) تحفة العروس ونزهة النفوس لأبي عبدالله محمد بن احمد البجائي الأديب. كشف الظنون ١/ ٣٧٠.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) زهر الربيع في علم البديع للمطرزي (-٦١٠هـ). معجم المؤلفين ١٣/ ٧١، كشف الظنون ١/ ٢٣٣.

(٤) المطرزي: هو ناصر بن عبدالسيد أبي المكارم ابن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي. ولد بخوارزم عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م. وتوفي فيها عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م. أديب، عالم باللغة، فقيه حنفي. من علماء الاعتزال. له العديد من المؤلفات. الاعلام ٧/ ٣٤٨، بغية الوعاة ٤٠٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، إرشاد الأريب ٧/ ٢٠٢، الفوائد البهية ٢١٨، الجواهر المضيئة ٢/ ١٩٠.

(٥) قصيدة بديعية ألفها شرف الدين احمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي (-٦٥١هـ). وبلغت سبعين بيتاً. كشف الظنون ١/ ٢٣٣.

(٦) التيفاشي: هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون، شرف الدين القيسي التيفاشي، ولد عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م. وتوفي عام ٦٥١هـ/ ١٤٥٣م. عالم بالحجارة الكريمة والأدب. تولى القضاء مدة. غزير الانتاج والمعرفة، وله العديد من المؤلفات. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٧٣، الديباج المذهب ٧٤، معجم المطبوعات ٦٥١، كشف الظنون ١/ ٣٣، ٥٤٩، معجم المؤلفين ٢/ ٢٠٨.

(٧) التحبير في علم البديع لركن الدين عبدالسلام بن عبدالواحد الشهير بابن أبي الاصبع. (-٦٥٤هـ) ثم لخصه وسماه التحرير. كشف الظنون ١/ ٣٥٥.

(٨) ابن ابي الاصبع: هو عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر بن ابي الأصبع العدواني البغدادي ثم المصري، أبو محمد. ولد بمصر عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م، وفيها توفي عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م. عالم بالأدب، له تصانيف حسنة. الاعلام ٤/ ٣١، فوات الوفيات ١/ ٢٩٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٧، معاهد التنصيص ٤/ ١٨٠.

(٩) بديعية لأبي بكر بن علي بن عبدالله الحموي الأزراري تقي الدين المعروف بابن حجة الحموي (-٨٣٧هـ)، سماها تقديم ابي بكر. كشف الظنون ١/ ٢٣٣، الاعلام ٢/ ٦٧.

ومن الكتب المشتملة على الفنون الثلاثة: روض الأذهان(١)، وكذا المصباح(٢) لابن ابن مالك(٣) وقد عرفته، وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي اشتمل هذه الثلاثة، وقدّم عليها الاشتقاق والصرف والنحو، وأورد عقيب الثلاثة المذكورة بطريق التكملة علم الاستدلال وعلم العروض والقوافي ودفع مطاعن القرآن.

قلت: السكاكي هو أبو يعقوب يوسف السكاكي العلامة، كان علامة بارعًا في علوم شتى، خصوصًا المعاني والبيان، وله كتاب: مفتاح العلوم في إثني عشر علمًا من علوم العربية. ونقل عنه أبو حيان(٤) في الارتشاف(٥) في مواضع، وقال فيه: إنّ السكاكي من أهل خوارزم. وذكر الشيخ سراج الدين البلقيني(٦) فقال: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، أبو يعقوب السكاكي، سراج الدين الخوارزمي، إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر، وله النصيب الوافر من علم الكلام وسائر العلوم. من رأى مصنّفه علم تبحره ونبله وفضله. مات بخوارزم في أوائل شهر الله الأصم، رجب، سنة ست وعشرين وست مائة، وكانت ولادته ليلة الثلاثاء من شهر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمس مائة.

شرح المفتاح المولى المؤذني(٧)، وشرح القسم الثالث من المفتاح وذكر فيه العلوم الثلاثة المختصة بعلم البلاغة جماعة كثيرة، منهم ناصر الدين الترمذي(٨)، والخلخالي(٩) وعماد الدين الكاشي(١٠). ولم أقف على ترجمتهم إلّا أن الخلخالي هو محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي شمس الدين، كان إمامًا في العلوم العقلية والنقلية. له من التصانيف المشهورة: كشرح المصابيح وشرح المختصر وشرح المفتاح وشرح التلخيص. مات سنة خمس وأربعين وسبع مائة.

---

(١) في البيان للشيخ بدرالدين محمد بن محمد المعروف بابن مالك الدمشقي الشافعي المتوفي سنة ٦٨٦هـ.

(٢) المصباح في اختصار المفتاح.

(٣) ابن ابن مالك: هو الشيخ بدرالدين محمد بن محمد المعروف بابن مالك الدمشقي الشافعي (-٦٨٦هـ). انظر ترجمته في: الأعلام ٧/ ٣١، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٣، مرآة الجنان ٤/ ٢٠٣، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٨، بغية الوعاة ٩٦.

(٤) أبو حيان: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي الأندلسي الجياني، أثير الدين أبو حيان. ولد بجبهة غرناطة عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م. وتوفي بالقاهرة عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م. من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. له الكثير من المصنفات. الاعلام ٧/ ١٥٢، الدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢، بغية الوعاة ١٢١، فوات الوفيات ٢/ ٢٨٢، نكت الهميان ٢٨٠، غاية النهاية ٢/ ٢٨٥، نفح الطيب ١/ ٥٩٨، شذرات الذهب ٦/ ١٤٥، النجوم الزاهرة ١٠/ ١١١، طبقات السبكي ٦/ ٣١، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٣٣٢.

(٥) ارتشاف الضرب في لسان العرب في النحو لأثير الدين أبي حيان (-٧٤٥هـ). كشف الظنون ١/ ٦١، الاعلام ٧/ ١٥٢.

(٦) الشيخ سراج الدين البلقيني: هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبدالخالق بن عبدالحق الكناني القاهري الشافعي، العسقلاني، البلقيني، سراج الدين أبو حفص. ولد عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م، وتوفي ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م. محدث، حافظ، فقيه أصولي، مجتهد لغوي، مفسر، متكلم وشاعر له العديد من المصنفات. انظر عنه:
معجم المؤلفين ٧/ ٢٨٤، الضوء اللامع ٦/ ٨٥، شذرات الذهب ٧/ ٥١، قضاة دمشق ١٠٩، البدر الطالع ١/ ٥٠٦، الاعلام ٥/ ٢٠٥.

(٧) لم يعثر على ترجمة محدّدة له.

(٨) ناصر الدين الترمذي: هو ناصر الدين الترمذي، مجهول الولادة والوفاة من علماء البلاغة واللغة. كشف الظنون ٢/ ١٧٦٣.

(٩) الخلخالي: هو محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي، شمس الدين، توفي عام ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م. عالم بالأدب، له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٠٥، بغية الوعاة ١٠٦، الدرر الكامنة ٤/ ٢٦٠.

(١٠) عماد الدين الكاشي: هو يحيى بن احمد الكاشي (أو الكاشاني). توفي بعد العام ٧٤٥هـ/ بعد ١٣٤٤م. فاضل. له علم بالحساب والأدب والحديث. وله عدة كتب. الاعلام ٨/ ١٣٥، كشف الظنون ٣٩، الذريعة ٦/ ١٠٩.

وأفضل الشروح وأعلاها ثلاثة: شرح العلامة قطب الدين الشيرازي، وشرح سعد الدين التفتازاني، وشرح السيد الشريف الجرجاني.

أما العلامة قطب الدين الشيرازي فهو محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين الشيرازي الشافعي العلامة. ولد بشيراز سنة أربع وثلاثين وست مائة. وكان أبوه طبيبًا، فقرأ عليه وعلى عمه، والزكي الركشاوي[١] والشمس الكبي[٢]. ثم سافر إلى النصير الطوسي فقرأ عليه وبرع، ثم دخل الروم فأكرمه صاحبها، وولي قضاء سيواس[٣] وملطية[٤]، وقدم الشام ثم سكن تبريز[٥] واقرأ بها العلوم العقلية، وحدث بجامع الأصول عن الصدر القونوي عن يعقوب الهذباني[٦] عن المصنف. وكان ينظر في شرح السُّنة[٧] للبغوي[٨]. وكان يخالط الملوك متحرزًا ظريفًا مزاحًا، لا يحمل همًا ولم يغيّر زي الصوفية. وكان يجيد لعب الشطرنج ويديمه، ويتقن الشعبذة، ويضرب بالرباب. وكان من بحور العلم ومن أذكياء العالم، يخضع للفقهاء ويلازم الصلوٰة في الجماعة. وإذا صنف كتابًا صام ولازم السهر، ومسوّدته مبيضته. وكان يصاحبه الملوك، ثم انقطع عن أبواب الأمراء إلى أن مات. وله: شرح المختصر لابن الحاجب، شرح المفتاح، شرح كليات القانون، لابن سيناء. وله: شرح حكمة الإشراق، وصنّف كتاب درّة التاج على لسان الفارسية أدرج فيه جميع أقسام الحكمة النظرية والعملية، وصنّف في الهيئة: التحفة، ونهاية الإدراك، وغير ذلك. ومصنفاته كثيرة كلها في غاية الحسن والاتقان. مات في رابع عشر من رمضان سنة ست عشر وسبع مائة.

وأما سعدالدين التفتازاني، فهو مسعود بن القاضي فخر الدين، عمر ابن المولى الأعظم، برهان الدين، عبدالله ابن الإمام الرباني، شمس الحق والدين، القاري الشيخ سعدالدين التفتازاني، الإمام العلّامة. عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيرها، شافعي. قال ابن حجر[٩]: ولد سنة

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) بالكسر: بلد بالروم. القاموس المحيط ٢/ ٢٣٠.

(٤) مدينة من بناء الاسكندر، فيه جامعها من بناء الصحابة، وهي من بلاد الروم الشهيرة، تتاخم الشام.

(٥) مدينة في شمال غربي إيران، قرب بحيرة أرمية، قاعدة اذربيجان الشرقية. سكانها أقل من مليون نسمة. كانت عاصمة المغول والصفويين، ومركزاً تاريخياً وثقافياً مشهوراً، فيها آثار إسلامية أهمها المسجد الازرق من القرن الخامس عشر وحصن من القرن الرابع عشر خرج منها الكثير من العلماء. وتشتهر اليوم بالصناعات الحرفية والسجاد والحرير والجلود. انظر عنها: المنجد في الاعلام ١٦٨.

(٦) يعقوب الهذباني: هو يعقوب بن محمد بن الحسن بن عيسى الكردي الموصلي، شرف الدين. توفي عام ٦٤٥هـ/. إمام كبير، عالم، محدث من اعيان مصر. له عدة كتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢٣/ ٢٣١، العبر ٥/ ١٨٧، حسن المحاضرة ١/ ٣٧٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٣.

(٧) شرح السنة للامام حسين بن مسعود البغوي (-٥١٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٤٠.

(٨) البغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء. ولد عام ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م. وتوفي عام ٥١٦هـ/ ١١١٧م. في مرو الروذ. لقب بمحي السنة، فقيه، محدث، ومفسر، وله العديد من المصنفات. الاعلام ٢/ ٢٥٩، وفيات الأعيان ١/ ١٤٥، تهذيب ابن عساكر ٤/ ٣٤٥، دائرة المعارف الاسلامية ٤/ ٢٧.

(٩) ابن حجر: هو احمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، ابو الفضل. شهاب الدين ابن حجر. ولد بالقاهرة عام ٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م. وفيها مات عام ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م. أصله من عسقلان بفلسطين. من أئمة العلم والتاريخ. أديب، عالم بالحديث حتى أصبح حافظ الاسلام في عصره. له الكثير من المصنفات الجليلة. الاعلام ١/ ١٧٨، التبر المسبوك ٢٣٠، الضوء اللامع ٢/ ٣٦، البدر الطالع ١/ ٨٧، خطط مبارك ٦/ ٣٧، بدائع الزهور ٢/ ٣٢.

ثنتي عشرة وسبع مائة، وأخذ عن القطب والعضد، وتقدّم في الفنون، واشتهر ذكره وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه. وله شرح العضد، وشرح التلخيص مطوّل، وآخر مختصر، وشرح القسم الثالث من المفتاح، والتلويح في شرح التوضيح في الأصول، وشرح العقائد النسفية، والمقاصد وشرحه في الكلام، وشرح الشمسية في المنطق، وشرح تصريف الزنجاني والإرشاد في النحو، وتهذيب المنطق والكلام، وحاشية الكشاف لم يتم وحاشية شرح العضد على مختصر ابن الحاجب وغير ذلك؛ وتصانيفه كثيرة. وكان في لسانه لكنة، وانتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق. مات بسمرقند سنة إحدى وتسعين وسبع مائة. قلت: ذكر مولانا فتح الله الشرواني[(١)] في أوائل شرحه للإرشاد للفاضل سعد الدين التفتازاني روّح الله روحه وقال لا بأس بذكر تاريخ تأليف الإرشاد بل سائر مؤلفات المصنف رحمه الله. لقد زرت مرقده المقدّس بسَرْخَس[(٢)] فوجدت مكتوبًا على صندوق مرقده من جانب القدم: ولد عليه الرحمة والرضوان في صفر سنة اثنين وعشرين وسبع مائة. وفرغ من تأليف شرح التصريف الزنجاني[(٣)] حين بلغ ستة عشر سنة، في الليلة الخامس عشر من شعبان سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة، ومن شرح تلخيص المفتاح في يوم الأربعاء الحادي عشر من صفر سنة ثمان وأربعين وسبع مائة بهراة. قلت: وكان الافتتاح في يوم الإثنين الثاني من رمضان الواقع في سنة إثنين وأربعين وسبع مائة بجرجانية خوارزم[(٤)]. ومن اختصاره في سنة ست وخمسين وسبع مائة بغُجْدُوان[(٥)]. ومن شرح الرسالة الشمسية في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة بمزار جام. ومن شرح التنقيح في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبع مائة بكلستان تركستان. ومن شرح العقائد في شعبان سنة ثمان وستين وسبع مائة. ومن شرح المختصر في الأصول في ذي الحجة سنة سبعين وسبع مائة. ومن الرسالة الكريمة الإرشاد سنة ثمان وسبعين وسبع مائة كلها بخوارزم. ومن مقاصد الكلام وشرحه في ذي القعدة سنة أربع وثمانين وسبع مائة بسمرقند. ومن تهذيب الكلام في رجب. ومن شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم في شوال كليهما في سنة تسع وثمانين وسبع مائة بظاهر سمرقند. وشرع في تأليف الفتوى الحنفية يوم الأحد التاسع من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وسبع مائة بهراة. وفي تأليف مفتاح الفقه سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة. وفي شرح تلخيص الجامع سنة خمس وثمانين وسبع مائة كليهما في السرخس. وفي شرح الكشاف في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وسبع مائة بظاهر سمرقند. وتوفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من المحرّم سنة إثنين وتسعين

(١) فتح الله الشرواني: هو فتح الله بن ابي يزيد بن عبدالعزيز بن ابراهيم الشرواني الشافعي. كان حياً عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م فاضل، مشارك في بعض العلوم. له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ٥٤، الضوء اللامع ٦/ ١٦٦.

(٢) بالفتح، ثم السكون، وفتح الخاء المعجمة، وآخره سين مهملة. ويقال: سرخس بالفتح مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة، بين نيسابور ومروة، في وسط الطريق. وهي مدينة معطشة، ليس بها ماء إلا نهر يجري في بعض السنة، وشربهم عند انقطاعه من الآبار العذبة، مراصد الاطلاع ٧٠٥.

(٣) الزنجاني: هو محمود بن أحمد بن محمود بن بختيار، ابو المناقب، شهاب الدين الزنجاني. ولد عام ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م. وتوفي ببغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. لغوي، فقيه شافعي، درّس بالمدرسة النظامية ثم بالمستنصرية ببغداد. له عدة مؤلفات. الأعلام ٧/ ١٦١، طبقات الشافعية ٥/ ١٥٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٨.

(٤) اسم لقصبة إقليم خوارزم: مدينة عظيمة على شاطىء نهر جيحون. مراصد الاطلاع ٣٢٣.

(٥) من قرى بخارى. مراصد الاطلاع ٩٨٤.

وسبع مائة بسمرقند. ونقل الى سرخس، ودفن بها يوم الأربعاء التاسع من جمادي الأولى بهذه السنة. روّح الله روحه وزاد في غرف الجنان فتوحه.

وأما السيد الشريف الجرجاني(١)، فهو علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني. قال العيني(٢) في تاريخه(٣): عالم بلاد الشرق، كان علّامة دهره، وكانت بينه وبين الشيخ سعدالدين مباحثات ومحاورات في مجلس تيمورلنك. وله تصانيف مفيدة، منها: شرح المواقف للعضد، وحواشي شرح الأصفهاني للتجريد للنصير الطوسي. ويقال إنّ مصنفاته زادت على خمسين مصنفًا. مات سنة أربع عشرة وثمان مائة. هذا ما ذكره العيني. قال السيوطي: ومن مصنفاته: شرح القسم الثالث من المفتاح، وحاشية المطول، وحاشية المختصر، وحاشية الكشاف لم يتم، وله: رسالة في تحقيق معنى الحرف. وأفادني سيدنا المؤرخ شمس الدين بن عزم(٤) أنّ مولد الشريف الجرجاني بجرجان من ولاية استرآباد(٥) سنة أربعين وسبع مائة، وأنه توفي بشيراز في سادس ربيع الثاني سنة ست عشرة وثمان مائة.

قلت: فمدة عمره تغمّده الله بغفرانه ستة وسبعون سنة. نقل السيوطي عن شيخه محمد الكافيجي(٦) أنه قال: السيد الشريف وقطب الدين الرازي التحتاني لم يذوقا علم العربية بل كانا حكيمين. قلت: هذا الكلام خروج عن الإنصاف، ولا يلزم من عدم انفرادهما بعلم العربية ومشاركتهما لسائر العلوم عدم معرفتهما. فانظر بالإنصاف تجد في تصانيفهما مباحث تتعلق بالعربية قد عجز عنها القدماء من أرباب العلوم العربية.

وعينُ البغضِ تُبرز كلَّ عيبٍ
وعينُ الحبِّ لا تجد العيوبا

ومن الكتب النافعة في العلوم المذكورة: تلخيص المفتاح والإيضاح وهو يجري مجرى الشرح للتلخيص، كلاهما للشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن دلف إبن أبي دلف العجلي، أبو المعالي، قاضي القضاة جلال الدين القزويني(٧) الشافعي العلّامة. قال ابن حجر:

---

(١) انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٣٥١، الضوء اللامع ٥/ ٣٢٨، البدر الطالع ١/ ٤٨٨، الفوائد البهية ١٢٥، روضات الجنات ٤٩٧، هدية العارفين ١/ ٧٢٨.

(٢) العيني: هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد بدرالدين العيني الحنفي. ولد عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م. وتوفي عام ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م. مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. له العديد من المصنفات الهامة. الاعلام ٧/ ١٦٣، الضوء اللامع ١٠/ ١٣١، شذرات الذهب ٧/ ٢٨٦، الجواهر المضيئة ٢/ ١٦٥.

(٣) تاريخ العيني: كبير وهو (عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان) لمحمود بن احمد، بدر الدين العيني الحنفي (٨٥٥هـ). وله كتاب صغير وهو (تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر)، وتاريخ مختصر في ثلاث مجلدات ذكره السخاوي، كشف الظنون ١/ ٢٩٨، الاعلام ٧/ ١٦٣.

(٤) من علماء الدولة العثمانية، معاصر لطاش كبرى زاده، لم نعثر له على ترجمة.

(٥) بلدة كبيرة مشهورة، أخرجت خلقاً من أهل العلم في كل فن، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان في الإقليم الخامس. معجم البلدان ١/ ١٧٤.

(٦) محمد الكافيجي: هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي، محي الدين، أبو عبدالله الكافيجي، ولد عام ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م. وتوفي عام ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م. من العلماء بالمعقول، لغوي، له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٦/ ١٥٠، الضوء اللامع ٧/ ٢٥٩، بغية الوعاة ٤٨، شذرات الذهب ٧/ ٣٢٦، حسن المحاضرة ١/ ٣١٧.

(٧) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ٢٣٨، الدرر الكامنة ٤/ ٣، البداية ١٤/ ١٨٠، البدر الطالع ٢/ ١٨٣، بغية الوعاة ٦٦، شذرات الذهب ٦/ ١٢٣، مرآة الجنان ٤/ ٣٠١.

ولد سنة ستين وست مائة واشتغل وتفقه حتى ولي قضاء ناحية بالروم، وله دون العشرين. ثم قدم دمشق واشتغل بالفنون، وأتقن الأصول والعربية والمعاني والبيان. وأخذ عن الأيكي(١) وغيره. سمع الحديث من العزّ الفاروقي(٢) وغيره، وخرّج له البرزالي(٣) جزءًا أحدّث به. وكان فهمًا ذكيًا فصيحًا مفوّهًا، حسن الإيراد، جميل الذات والهيئة والمكارم، جميل المحاضرة، حسن الملتقى، جوادًا، حلو العبارة، حادّ الذهن، منصفًا في البحث مع الذكاء والذوق في الأدب وحسن الخط. وناب عن ابن صصري(٤)، ثم عزله، ثم ولي خطابة جامع دمشق، ثم طلبه الناصر، وقضى دينًا كان عليه وولاه قاضيًا بالشام. تم طلبه إلى مصر وولاه قضاءها بعد صرف ابن جماعة(٥)، فصرف أموال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين وعظم أمره جدًا، وكان للفقراء ذخرًا وملجأً، ثم أعيد إلى قضاء دمشق بسبب أولاده، وخصوصًا ابنه عبدالله، فإنه أسرف في اللهو والرشوة ففرح به أهل الشام، فأقام قليلًا وتعلّل، وأصابه فالج فمات منه، وأسفوا عليه كثيرًا. وكان مليح الصورة، فصيح العبارة، كبير الذقن، موطّأ الأكناف، جمّ الفضيلة، محب الأدب، يحاضر به ويستحضر نكته، قوي الخط. ويقال: إنه لم توجد لأحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلته. وله في ذلك وقائع. قلت: ولا أعلمه نظم شيئًا مع قوة باعه في الأدب. وله من التصانيف: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان وهو من أجلّ المختصرات فيه وأنفعها للناس. قال السيوطي: وقد ملكته بخطه الحسن المليح ونظمته في أرجوزة. وله ايضاح التلخيص وذلك يجري مجرى الشرح له. والسوار المرجاني من شعر الأرجاني. مات في منتصف جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبع مائة.

ثم إنّ التلخيص عليه شروح مفيدة منها: شرح الخلخالي وقد عرفته. وشرح الزوزني، وشرح التفتازاني المطول والمختصر، وقد عرفت ترجمتهما، وأما الإيضاح فلم نعرف له شرحًا غير شرح مولانا جمال الدين محمد بن محمد الأقسرائي ولم نعرف ترجمته(٦)، وغير شرح

(١) الأيكي: هو محمد بن ابي بكر بن محمد الفارسي المعروف بالأيكي، شمس الدين، أبو عبدالله ولد عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م. وتوفي عام ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م. فقيه، أصولي، صوفي، منطقي، له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٩/ ١١٨، حسن المحاضرة ١/ ٣١٤، شذرات الذهب ٥/ ٤٣٩.

(٢) لعله عمر بن اسماعيل بن مسعود، ابو حفص، رشيد الدين الربعي الفارقي. ولد عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م. وتوفي عام ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م. اديب، عارف بالحديث والتفسير والأصول، له مصنفات عدة. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٤٢، فوات الوفيات ٢/ ١٠٣.

(٣) البرزالي: هو القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي، الاشبيلي، الدمشقي، الشافعي، علم الدين، ابو محمد. ولد عام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م، وتوفي عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م. محدث، حافظ، مؤرخ، فقيه. له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ١٢٤، الدرر الكامنة ٣/ ٢٣٧، طبقات الشافعية ٦/ ٢٤٦، النجوم الزاهرة ٩/ ٣١٩، البدر الطالع ٢/ ٥١، البداية ١٤/ ١٨٥، شذرات الذهب ٦/ ١٢٢.

(٤) ابن صصرى: هو أحمد بن محمد بن سالم، أبو المواهب، نجم الدين ابن صصرى. ولد عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م، وتوفي عام ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م. قاضٍ، من الكتاب، عالم بالحديث، شاعر له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٢٢، جذوة الاقتباس ٧٣، نيل الابتهاج ٤١، الدرر الكامنة ١/ ٢٧٨، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ١٠٢.

(٥) ابن جماعة: هو محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدرالدين، أبو عبدالله. ولد عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م. وتوفي عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. قاضٍ، عالم بالحديث وعلوم الدين. له تصانيف كثيرة. انظر عنه الأعلام ٥/ ٢٩٧، فوات الوفيات ٢/ ١٧٤، نكت الهميان ٢٣٥، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٣.

(٦) كيف لم يعرف مع أنه شرح أحواله في الشقائق النعمانية، اللهم إلاّ أن يراد زمان ولادته ووفاته معيناً، لأنه لم يذكر ذلك في الشقائق أيضاً. أو يقال: إنه ظفر بترجمته بعد تأليف هذا الكتاب أو الشقائق آخر تأليفات المصنف رحمه الله تعالى. (هامش الأصل).

مولانا حيدر الشيرازي ثم الرومي برهان الدين، كان علّامةً بالمعاني والبيان والعربية. أخذ عن التفتازاني. وشرح الإيضاح للقزويني شرحًا ممزوجًا، وقدم الروم وأقرأ وأفتى على مذهب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، ومات بعد العشرين وثمان مائة. قال السيوطي: أخذ عنه شيخنا محي الدين الكافيجي، وذكره لنا هو وغيره.

ومن جملة من اختصر المفتاح مولانا عضدالدين الايجي سمّاه: بالفوائد الغياثية، وهو عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار القاضي عضد الدين الإيجي، العلامة الشافعي المشهور بالعضد(١). قال في الدرر(٢) كان إمامًا في المعقول، قائمًا بالأصول والمعاني والعربية، مشاركًا في الفنون، كريم النفس كثير المال جدًا، كثير الإنعام على الطلبة. ولد بعد السبع مائة، وأخذ عن مشايخ عصره، ولازم الشيخ زين الدين الهبكي(٣) تلميذ البيضاوي وغيره، وولي قضاء المماليك؛ وكان أنجب تلامذة عظامًا اشتهروا في الآفاق، منهم: الشيخ شمس الدين الكرماني(٤)، وسيد الدين الأبهري(٥)، والتفتازاني، والضياء القرمي(٦). وصنّف: شرح مختصر ابن الحاجب، والمواقف والفوائد الغياثية في المعاني والبيان، ورسالة في الوضع، وجرت له محنة مع صاحب كرمان(٧)، فحبسه بالقلعة، ومات مسجونًا سنة ست وخمسين وسبع مائة.

وأورد ابن السبكي في طبقات الشافعية ما كتبه عضد الدين يستفتي به أهل عصره فيما وقع في الكشّاف في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾(٨) حيث قال: من مثله متعلّق بسورة صفة لها أي بسورة كائنة من مثله، والضمير لما نزلنا أو للعبد، ويجوز أن يتعلّق بقوله: فأتوا والضمير للعبد، حيث جوّز في (الوجه الأول) كون الضمير لما نزلنا تصريحًا، وحظّره في (الوجه الثاني) تلويحًا. فليت شعري ما الفرق بين فأتوا بسورة كائنة من مثل ما نزلنا، وفأتوا من مثل ما نزلنا بسورة. وكتب الجواب كثير من الفضلاء سيما فخر الدين الجاربردي(٩) إذْ تعرض عضد الدين جواب الجاربردي، ثم ردّ جواب عضدالدين إبراهيم ولد فخر الدين الجاربردي وأطالوا الكلام فيه، تركنا ذكرها

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ١٠٨/٦، الدرر الكامنة ٣٢٣/٢، شذرات الذهب ١٧٤/٦، البدر الطالع ٣٢٦/١، بغية الوعاة ٢٩٦، روضات الجنات ٤٣١، هدية العارفين ٥٢٧/١.

(٢) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لشهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (-٨٥٢هـ). كشف الظنون ٧٤٨/١.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

(٤) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٣١٠/٤، بغية الوعاة ١٢٠، البدر الطالع ٢٩٢/٢. الاعلام ١٥٣/٧.

(٥) سيف الدين الأبهري: هو سيف الدين الابهري، توفي في حدود ٧٠٠هـ. من شراح مفتاح العلوم. كشف الظنون ١٧٦٤/٢.

(٦) الضياء القرمي: هو ضياء الدين القرمي. كان حياً عام ٧٧٩ هـ. عالم بالفقه والحديث له عدة تصانيف. انظر عنه: الذيل على العبر ٤٦٤/٢.

(٧) بلاد معروفة. وقيل موضع في بلاد العرب، تغنى به بعض الشعراء. معجم البلدان ١٣٢/٣، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ١١٢٤/٤، وقيل أرض كرمان متصلة بأرض فارس وبأرض مكران. وهناك مدينة كرمان بنيت أيام الرشيد. اليعقوبي ٢٨٦، ابن حوقل ٢٦٦، الروض المعطار ٤٩١، ٥٤٣.

(٨) البقرة/ ٢٣.

(٩) فخر الدين الجاربردي: هو أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجاربردي. توفي حوالى العام ٧٤٦هـ/١٣٤٦م. فقيه، شافعي. له العديد من كتب الفقه والأصول. الاعلام ١١١/١، البدر الطالع ٤٧/١، الدرر الكامنة ١٢٣/١، طبقات الشافعية ١٦٩/٥، شذرات الذهب ١٤٨/٦.

لطولها ولعدم تعلّق غرضنا بها. وعلى الفوائد الغياثية شروح كثيرة، منها: شرح شمس الدين الكرماني من تلامذته وهو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ثم البغدادي شمس الدين صاحب شرح البخاري، الإمام العلامة في الفقه والحديث والتفسير والأصلين والمعاني والعربية. قال ابنه في ذيل المسالك(١). ولد يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرى سنة سبع عشرة وسبع مائة، وقرأ على والده بهاءالدين ثم انتقل إلى كرمان، وأخذ عن العضد وغيره، وبهر وفاق أقرانه، وفضل غالب أهل زمانه، ثم دخل دمشق ومصر وقرأ بهما البخاري على ناصر الدين الفارقي(٢)، وسمع من جماعة وحجّ ورجع إلى بغداد واستوطنها. وكان تام الخلق، فيه بشاشة وتواضع للفقراء والعلماء، غير مكترث بأهل الدنيا ولا ملتفت إليهم، يأتي إليه السلاطين في بيته ويسألونه الدعاء والنصيحة. وله من التصانيف: شرح البخاري أربع مجلدات، شرح المواقف، وشرح مختصر ابن الحاجب سمّاه السبعة السيارة، وشرح الفوائد الغياثية في المعاني والبيان، وشرح الجواهر، وأنموذج الكشاف، وحاشية على تفسير البيضاوي، وصل فيها إلى سورة يوسف، ورسالة في مسئلة الكحل في الكافية. مات بكرةً يوم الخميس سادس عشر المحرّم سنة ست وثمانين وسبع مائة بطريق الحج فنقل إلى بغداد ودفن بقبرٍ أعدّه لنفسه بقرب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رحمهما الله تعالى.

ومن شروح الفوائد الغياثية: شرح ابن السيّد الشريف الجرجاني، وهو محمد بن علي الجرجاني ابن السيد الشريف المشهور صاحب التصانيف. قرأ على والده وبرع وكمل حاشية أبيه على المتوسط، وشرح الإرشاد في النحو للتفتازاني؛ وشرح الفوائد الغياثية، وهو شرح ممزوج لطيف في الغاية، رأيناه واستفدنا منه، وشرح هداية الحكمة وهو ممزوج أيضًا. وله رسالة مختصرة في المنطق أورد ما يحتاج إليه، كتبها على أسلوب رسالة والده في المنطق مع زيادات شريفة لكن كتبها والده بالفارسية. ومن شروح الفوائد شرح سعدالدين الحلال بالمهملة ولم أقف على ترجمته، وشرح آخر ممزوج لطيف في الغاية لكن لم أعرف إسم مصنّفه، والله أعلم.

ومن الكتب المعتبرة في هذه الفنون: كتاب الوشاح(٣) للمولى صدر الشريعة وسنذكره في علم الفقه أو الأصول لأنه بهما اشهر. ومن أراد الوقوف في علم البلاغة على العجب العجاب، والتبحّر في هذا الباب، فعليه بكتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، كلاهما من مؤلفات الشيخ عبدالقاهر الجرجاني، لا زال من أن يتداركه اللطف السبحاني. وقيل: إنّ كتابيه في هذه الفنون بحران يتشعب منهما العيون. والله ولي التوفيق.

علم البنكامات(*)

علم يتبين فيه كيفية إيجاد الآلات المقدّرة

---

(١) ذيل مسالك الابصار في التاريخ لمحمد بن يوسف بن علي بن محمد بن سعيد الكرماني شمس الدين أبو عبدالله البغدادي الشافعي المعروف بالكرماني (-٧٨٦هـ)، هدية العارفين ٢/ ١٧٢، الدرر الكامنة ٤/ ٣١٠.

(٢) لعله عبدالرحمن بن الحسين بن عبدالله البكري الواسطي الفاروقي. ولد عام ٧١١هـ/ ١٣١١م. وتوفي عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. فقيه، متصوف، مشارك في الأدب والحديث، له نظم وعدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٣٠٤، الدرر الكامنة ٢/ ٣٢٧، معجم المطبوعات ٥٧٩.

(٣) الوشاح في المعاني والبيان للإمام صدر الشريعة عبيدالله بن مسعود الحنفي (-٧٤٧هـ). كشف الظنون ٢/ ٢٠١١.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

للزمان. ومنفعته معرفة أوقات العبادات واستخراج الطوالع من الكواكب وأجزاء فلك البروج. فهذا العلم عظيم النفع في الدين. وكتاب أرشميدس هو العمدة في هذا الفن، وللمتأخرين في هذا العلم تصانيف مفيدة حسنة جدًّا.

علم البيان(*)

وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة. وموضوعه اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد. وغرضه تحصيل ملكة الإفادة بالدلالة العقلية وفهم مدلولاتها ليختار الأوضح منها مع فصاحة المفردات. وغايته الاحتراز عن الخطأ في تعيين المعنى المراد بالدلالات الواضحة. ومباديه بعضها عقلية كأقسام الدلالات والتشبيهات والعلاقات المجازية ومراتب الكنايات، وبعضها وجدانية ذوقية كوجوه التشبيهات وأقسام الاستعارات وكيفية حسنها ولطفها.

وإنما اختاروا في علم البيان وضوح الدلالة لأنّ بحثهم لما اقتصر على الدلالة العقلية، أعني التضمنية والالتزامية، وكانت تلك الدلالات خفية سيّما إذا كان اللزوم بحسب العادات والطبائع وبحسب الإلف، فوجب التعبير عنها بلفظٍ أوضح. مثلًا إذا كان المرئي دقيقًا في الغاية تحتاج الحاسة في إبصارها إلى شعاع قوي، بخلاف المرئي الجلي، وكذا الحال في الرؤية العقلية أعني الفهم والإدراك.

والحاصل أنّ المعتبر في علم البيان دقة المعاني المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الألفاظ الدالة عليها.

ومن الكتب المفردة فيه: الجامع الكبير[١] لابن الأثير الجزري[٢] وقد عرفت ترجمة الجزري، ونهاية الاعجاز[٣] للإمام فخر الدين الرازي، وستعرف ترجمته في علم التفسير لأنّ أجل مصنفاته التفسير الكبير[٤].

علم البيزرة(**)

وهو علم يبحث فيه عن أحوال الجوارح من حيث حفظ صحته وإزالة مرضه، ومعرفة علاماته الدالة على قوته في الصيد وضعفه فيه. وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة لا تخفى على أحد. وكتاب القانون الواضح[٥] كافٍ في هذا العلم.

علم البيطرة(***)

وهذا علم يبحث عن أحوال الحيوان المخصوص وهو الخيل من جهة ما يصحّ ويمرض أو يحفظ صحته ويزال مرضه. وهذا في الخيل بمنزلة الطبّ في الانسان. وموضوعه وغايته

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الجامع الكبير في علم البيان لابن الاثير علي بن محمد الجزري، صاحب الكامل (-٦٣٠هـ). كشف الظنون ١/ ٥٧١.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) نهاية الاعجاز في علم البيان للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (-٦٠٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٨٦.

(٤) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (-٦٠٦هـ). كشف الظنون ١/ ٤٥٧.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) لعله كتاب القانون في الطب لابن سينا حيث يعرض فيه للطب النظري والعملي، إضافة للأدوية والأمراض، وطرق علاجها. كشف الظنون ٢/ ١٣١١.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

وغرضه ظاهرة للمتبصر. وأما منفعته فمن أعظم المنافع جدًا لأنّه عمود الاسلام، وبه يقوى أحد مباني الاسلام أعني الجهاد في سبيل الله، بل الحج أيضًا. وأيضًا قال النبي ﷺ في حقّه: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»(١). وقال النبي ﷺ: «من قدر على ثمن دابة فليشترها فإنها يأتيه رزقها وتعينه على رزقه»(٢). وقال ﷺ: «عليكم بإناث الخيول فإنّ ظهورها حرز وبطونها كنز»(٣). إلى غير ذلك من أوصاف الخيل. وأيضًا: الخيل ما زال ممدوحًا بكل الألسنة في كل زمان. وكتاب حنين ابن اسحاق كافٍ في هذا الباب.

علم تاريخ الخلفاء(*)

وهذا أيضًا من فروع التاريخ، وقد أفرد بعض العلماء من التواريخ: تاريخ الخلفاء(٤) الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهم أحقاء بالاعتناء. وبعضهم ضمّ معهم تاريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين لاشتمال أحوالهم على مزيد الاعتبار. وفي هذا الفن تصانيف كبار لا تخفى على ذوي الإحاطة، منها: تحفة الظرفاء في تواريخ الخلفاء(٥).

علم تأويل أقوال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم(**)

وهذا علم معلوم موضوعه، وبيِّن نفعه، وظاهر غايته وغرضه. ورأيت رسالة في هذا العلم لمولانا شمس الدين الفناري وهو من علماء بلادنا روَّح الله روحه، وقد استخرج للأحاديث تأويلات موافقة للشرع بحيث يقول: من رآها لله درّه وعلى الله أجره. وكانت الرسالة عندي ثم ضاعت عني. وأيضًا للشيخ صدر الدين شرح بعض الأحاديث على التأويلات، لكن بعضها مخالف لما عرف من ظاهر الشرع، مثل قوله: إنّ الفلك الأطلس المسمى بلسان الشرع العرش، وفلك الثوابت المسمّى عند أهل الشرع الكرسي قديمان. وأحال ذلك إلى الكشف الصحيح والعيان الصريح، وادّعى أنّ هذا غير مخالف للشرع لأنّ الوارد فيه حدوث السماوات السبع والأرضين وما عليهن، إلّا أنّ هذا الشيخ قدّس سرّه قد أبدع في سائر التأويلات بحيث ينشرح له الصدر والبال، والله أعلم بحقيقة الحال.

علم تحسين الحروف(***)

علم يُعرف منه تحسين تلك النقوش وما يتعلّق به من أدوات الكتابة وكيفية اتخاذها وتمييز جيّدها عن رديّها، وأسباب الحسن في الحروف آلةً

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير، ح ٩٦، ٣/ ١٤٩٢.

(٢) لم يعثر على تخريج له.

(٣) لم نجده بلفظه وورد في الدر المنثور للسيوطي، ٤/ ١١١، بلفظ: عن وهب بن منبه قال: بلغني أن الله لما أراد أن يخلق الفرس قال لريح الجنوب إني خالق منك خلقاً أجعله عزّا لأوليائي ومذلّة لأعدائي... والغنائم محازة على ظهرك والغني معك حيث أرعاك لسعة الرزق على غيرك من الدواب...

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة، في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) كتاب تاريخ الخلفاء الراشدين للحافظ الذهبي (-٧٤٦هـ). كشف الظنون ١/ ٢٩٣.

(٥) تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفاء ارجوزة لمحمد بن احمد الباعوني (-٨٧١هـ). كشف الظنون ١/ ٣٦٩.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

واستعمالًا وترتيبًا، ومشاهير الخطاطين قد ألّفوا في هذا العلم كتبًا كثيرة. ولياقوت المستعصمي رسالة لطيفة في هذا الفن، بيّن فيها طريقته الخاصة. ومبنى هذا الفن الاستحسانات الناشئة عن مقتضى الطباع السليمة، ويختلف بحسب الإلف والعادة والمزاج، بل بحسب كلّ شخص شخص وغيره، ذلك مما يؤثر في الصور واستقباحها. ولهذا يتنوع هذا العلم بحسب قوم قوم، بل شخص شخص. ولهذا لا يكاد يوجد خطان متماثلان من كلّ الوجوه.

علم تدبير المنزل(*)

وهو علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وأولاده وخدّامه، وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها. وموضوعه أحوال الأهل والأولاد والقرائب والخدم وأمثالها. ومنفعة هذا العلم عظيمة لا تخفى على أحد حتى العوام، لأنّ حاصله انتظام أحوال الانسان في منزله ليتمكن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبين الأشخاص المذكورة، ويتفرّغ باعتدالها وانتظامها على كسب السعادة العاجلة والآجلة. وأشهر كتب هذا العلم: كتاب بروش. وفي هذا العلم كتب كثيرة غير هذا، وستعرف الكتب الجامعة للثلاثة.

علم ترتيب حروف التهجّي(**)

وهو علم يبحث فيه عن كيفية ترتيب حروف التهجّي في الكتابة بهذا الترتيب المعمول فيما بيننا، واشتراك بعضها ببعض في صورة الخطّ، وإزالة التباسها بالنقط، واختلاف تلك النقط بكونها تحتانية في البعض وفوقانية في الآخر، أو مثناة أو مثلثة، إلى غير ذلك مما يتعلّق بهذا الشأن، كترجيح صورة معينة من تلك الصور المشاهدة المعلومة لحرف حرف. وموضوعه ومباديه وغرضه وغايته ومنفعته ظاهرة. ولابن الجني(١) والخبزي(٢) رسالة في هذا الباب، وكذا أورد القلقشندي(٣) ما فيه كفاية في كتاب صبح الأعشى(٤).

واعلم أنه قد تقدم أنّ أول من وضع النقط مرار، والإعجام عامر. ويفهم منه أنهما وضعا مع وضع الحرف. وقد روي أنّ أول من نقط المصاحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلي(٥)، من تلقين أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، إلّا

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في علم تدبير المنزل، ضمن علوم الدوحة الخامسة في الحكمة العملية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(**) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) ابن الجني: هو عثمان بن جني الموصلي، ابو الفتح. ولد بالموصل وتوفي ببغداد عام ٣٩٢هـ/١٠٠٢م. من كبار أئمة اللغة والنحو والأدب. وله شعر. له الكثير من المؤلفات الهامة. الاعلام ٤/ ٢٠٤، ارشاد الأريب ٥/ ١٥، وفيات الأعيان ١/ ٣١٣، تاريخ آداب اللغة ٢/ ٣٠٢، شذرات الذهب ٣/ ١٤٠.

(٢) الخبزي: هو عبدالله بن ابراهيم بن عبدالله الخبزي، أبو حكيم توفي عام ٤٧٦هـ/١٠٨٣م. عالم بالأدب والحساب والفرائض. فقيه، شافعي. له عدة مؤلفات. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٦٣، بغية الوعاة ٢٧٦، طبقات الشافعية ٣/ ٢٠٣، اللباب ١/ ٣٤٣، إنباه الرواة ٢/ ٩٨.

(٣) القلقشندي: هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري. ولد بمصر عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، وتوفي بالقاهرة عام ٨٢١هـ/١٤١٨م. مؤرخ، اديب، باحث. له العديد من المصنفات الهامة. انظر عنه: الاعلام ١/ ١٧٧، الضوء اللامع ٢/ ٨، آداب اللغة ٣/ ١٣٣.

(٤) صبح الأعشى في صناعة الانشا لأبي العباس احمد بن علي القلقشندي ثم المصري (-٨٢١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٧٠.

(٥) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني. ولد عام ١ق.هـ/ ٦٠٥م. وتوفي عام ٦٩هـ/ ٦٨٨م. واضع علم النحو. فقيه، امير شاعر. أول من نقط المصحف. وله شعر جيد مطبوع في ديوان صغير. الاعلام ٣/ ٢٣٦، صبح الأعشى ٣/ ١٦١، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٠، تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠٤، إنباه الرواة ١/ ١٣.

أنّ الظاهر أنّ ما وضعه أبو الأسود الإعجام، إذْ يبعد أنّ الحروف مع تشابه صورها كانت عريّة عن النقط إلى حين نقط المصحف. وقد روي أنّ الصحابة رضي الله عنهم جرّدوا المصحف من كلّ شيء حتى من النقط والشكل، فإنْ كان المراد من التجريد منهما عدم وجودهما في زمانه فلا يخالف ما روي سابقًا. وإنْ كان إخلاؤهم المصحف عنهما فيخالف. ذكر ابن خلكان(١) في ترجمة الحجاج انه حكى أبو أحمد العسكري(٢) في كتاب التصحيف(٣) أن الناس مكثوا يقرؤن في مصحف عثمان رضي الله عنه نيفا وأربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان(٤). ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات. فيقال: إنّ نصر بن عاصم(٥)، وقيل يحيى بن يعمر(٦)، قام بذلك، فوضع النقط أفرادًا وأزواجًا، وخالف بين أماكنها، فعبر الناس بذلك زمانًا لا يكتبون إلّا منقوطًا، فكان مع ذلك أيضًا يقع التصحيف؛ فأحدثوا الإعجام، فكانوا يتبعون النقط الإعجام. فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توفّ حقوقها اعترى التصحيف، فالتمسوا حيلةً فلم يقدروا فيها إلّا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين.

إذا تقرّر ذلك فاعلم أنّ النقط والإعجام في زماننا واجبان في المصحف، وأما في غير المصحف فعند خوف اللّبس واجب ألبتة لأنّهما ما وضعا إلّا لإزالته. وأما مع أمن اللّبس فإنْ لم يكن هناك مكتوب إليه أصلًا فالأولى تركه لئلا يظلم الكتاب الخط من غير فائدة.

وقد حكي أنّه عرض على عبدالله بن طاهر(٧) خط بعض الكتّاب فقال: ما أحسنه لولا أنه أكثر شونيزه. وإنْ كان هناك مكتوب إليه، فإنْ كان من أهل البراعة في الخط فعليه أنْ لا يرتكب إتيان النقط والإعجام ألْبتة، لأنهم يعرفون الرمزة، وإنْ خفي مكانها ويتفطنون

---

(١) ابن خلكان: هو أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي، أبو العباس ولد عام ٦٠٨ هـ/ ١٢١١م. وتوفي بدمشق عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م. مؤرخ حجة. أديب. تولى القضاء فترة. له مؤلفات هامة أشهرها وفيات الأعيان. الاعلام ١/ ٢٢٠، وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٠، فوات الوفيات ١/ ٥٥، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٣.

(٢) أبو أحمد العسكري: هو الحسن بن عبدالله بن سعيد بن اسماعيل العسكري، أبو احمد. ولد عام ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م. وتوفي عام ٣٨٢هـ/ ٩٩٣م. فقيه، اديب، محدث. له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٩٦، خزانة الأدب ١/ ٩٧، وفيات الأعيان ١/ ١٣٢، انباه الرواة ١/ ٣١٠.

(٣) كتاب التصحيف و«التحريف» لابي احمد حسن بن عبدالله العسكري (-٣٨٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٤٠٤.

(٤) عبدالملك بن مروان: هو عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد. ولد عام ٢٦هـ/ ٦٤٦م. وتوفي عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م. من دهاة الأمويين واعاظم خلفائهم. فقيه واسع العلم، متعبد ناسك. له اعمال جليلة مأثورة، واخباره مشهورة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٦٥، ابن الاثير ٤/ ١٩٨، الطبري ٨/ ٥٦، اليعقوبي ٣/ ١٤، ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٣، المحبر ٣٧٧، تاريخ بغداد ١٠/ ٣٨٨.

(٥) نصر بن عاصم: هو نصر بن عاصم الليثي. توفي عام ٨٩هـ/ ٧٠٨م. أول من وضع علم النحو واعمل فكره فيه. فقيه تابعي، ومن أول من نقط المصحف. انظر عنه: الاعلام ٨/ ٢٤، ارشاد الاريب ٧/ ٢١٠، بغية الوعاة ٤٠٣.

(٦) يحيى بن يعمر: هو يحيى بن يعمر، من بني عوف بن بكر، أبو سليمان، أو أبو سعيد. من أهل البصرة. سكن مرو وولي فيها القضاء. فصيح، بليغ، عالم بالعربية، له فضل وورع. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٠٣، الثقات ٥/ ٥٢٣، شذرات الذهب ١/ ١٧٥، بغية الوعاة ٢/ ٣٤٥، ابن سعد ٧/ ٣٦٨، وفيات الأعيان ٦/ ١٧٣.

(٧) عبدالله بن طاهر: هو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالولاء، أبو العباس. ولد عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م. وتوفي عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م. امير خراسان، من ولاة العباسيين، له أعمال جليلة، واخباره مشهورة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٩٣، المحبر ٣٧٦، ابن الاثير ٧/ ٥، تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٠.

النكت، وإنْ لطف شأنها، اللّهم إلّا في موضع يحتاط فيه جدًا. وقد حكى المدائني[١] عن بعض الأدباء أنه قال: كثرة النقط في الكتاب سوء ظنّ بالمكتوب إليه. وقد يقع بالنقط ضرر كما حكى محمد بن عمر المدائني أنّ جعفر المتوكل كتب إلى بعض عماله أنْ أحصِ من قِبَلِك من المذنبين وعرّفنا بمبلغ عددهم، فوقع على الحاء نقطة، فجمع العامل مَنْ كان في عمله منهم وخصاهم فماتوا غير رجلين أو واحد منهم. وإنْ لم يكن من أهل البراعة بل كان من المتوسطين فيجب في موضع الاحتياط، ويخيّر فيما عداه. وإنْ كان من المبتدئين فعليه النقط التبس أمْ لا، إلّا في حروف لا يحتمل غيرها فإنّه يخيّر في نقطها، كصورة الياء والنون المفردتين، وكذا القاف والفاء المفردتين. ومن هذا العلم أيضًا معرفة كيفية الشدّات والمدّات والهمزات والصلات وأمثالها، وبيان وجه الحاجة إليها، واختلاف الناس في وصفها.

علم الترسل(*)

وهو من فروع علم الإنشاء لأنّ هذا بطريق جزئي وذاك بطريق كلّي. وهو علم يذكر فيه أحوال الكاتب والمكتوب والمكتوب إليه من حيث الآداب والأحوال والاصطلاحات الخاصة الملائمة لكلّ طائفة طائفة، ومن حيث العبارات التي يجب الاحتراز عن الدعاء للمخدرات بقولهم: أدام الله حراستها لمكان لفظ الحر والأست، وعن ذكر لفظ القيام كقولهم، إلى قيام الساعة وأمثال ذلك. وموضوعه وغايته وغرضه ظاهرة للمتأمّل. ومباديه أكثرها بديهية وبعضها أمور استحسانية تأديبية، وله استمداد أيضًا من الحكمة العملية.

ومن الكتب المصنفة فيه: مصطلح الكتاب وبلغاء الدواوين والحساب[٢]. والكتب المؤلفة فيه أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى التعرض لها.

علم تركيب أشكال بسائط الحروف(**)

هو علم يبحث فيه عن التراكيب بين أشكال بسائط الحروف مطلقًا لا من حيث دلالتها على الألفاظ بل من حيث حسنها في السطور. فكما أنّ للحروف حسنًا حال بساطتها فكذلك لها حسن مخصوص حال تركيبها من تناسب الشكل والنقط والبياضات الواقعة من الحروف والكلمات والسطور. وموضوع هذا العلم وأغراضه وغاياته ظاهرة، ومباديها أمور استحسانية يرجع كلها أو جلّها إلى رعاية النسبة الطبيعية في الأشكال، وله استمداد من الهندسيات.

واعلم أنّ تشكيل الكتابة على ضربين:

الضرب الأول: حسن التشكيل في الحروف وهي خمسة: التوفية، وهي أن يوفي كلّ حرف من الحروف حظه من النقوش والانحناء والانبطاح. والاتمام، وهو أنْ يؤتى كلّ حرف قسمته من الأقدار التي يجب أن يكون عليها من طول أو قصر أو رقة أو غلظ. والإكمال، وهو أن يؤتى كلّ خط حظه من الهيئآت التي ينبغي أن يكون عليها من انتصاب وانكباب واستلقاء. والإشباع، وهو أنْ يؤتى كلّ خط حظه من صدر القلم حتى يتساوى به، فلا يكون بعض أجزائه

---

(١) سبق التعريف به.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) مصطلح الكتاب وبلغاء الدواوين والحساب في علم الترسل. كشف الظنون ٢/ ١٧١١.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة فيما يتعلق بإملاء الحروف المفردة، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

أدقّ وبعضها أغلظ إلّا فيما يكون وضع الخط عليه. والإرسال، وهو أن يرسل يده بالقلم بسرعة من غير احتباس يضرسه ولا توقف يرعشه.

الضرب الثاني: حسن الوضع في الكلمات وهي ستة: الترصيف، وهو وصل كلّ حرف متصل إلى حرف. والتأليف، وهو جمع كلّ حرف غير متصل إلى غيره على أفضل ما ينبغي ويحسن. والتسطير، وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتى يصير منتظمًا في السطر. والتنصيل، وهو مواقع المدات المستحسنة من الحروف المتصلة ومراعاة فواصل الكلام، بأن يفصل بين رسالتين في الترسل ببياض خفيف أو إشارة، وبين سجعين ببياض أخف منه أو بعلامة خاصة له. لكن ينبغي أن لا يجعل البياض أو العلامة في أول السطر أصلًا بل يجتهد حتى يجعله في آخر السطر. وحسن التدبير، في قطع كلمة واحدة إذْ ينبغي أن يحترز عن كتب بعض كلمة في آخر سطر وبعضها في أول سطر يليه، كجعل الباء من كتاب في أول سطر يلي السطر الأول بعد أن جعل الباقي في آخر السطر الأول. وفصل الكلمة التامة وصلتها، مثل أنْ يفصل أيّدك الله بأن يكتب أيّدك في آخر سطر واسم الله تعالى في أول الذي يليه، وكالفصل بين المضاف والمضاف إليه، والصفة والموصوف، وكالفصل بين إسم رجل ووصفه بابن فلان نحو زيد بن عمرو، اللهم إلّا أنْ يثبت له البنوة كقولك لزيد إنه ابن جارٍ لي، وكالفصل بين كل اسمين جُعلا إسمًا واحدًا نحو: بعلبك وحضرموت وتأبّط شرًا وذي يزن وأحد عشر. وباب الخط وحسن تدبيره متسع لا يسع استيفاؤه. وإن أردت التفصيل فعليك بكتاب ابن جني وكتاب صبح الأعشى سيّما أحوال مدّ الحرف في الكلمة في السطر فأنه يحسن في الثلاثيات، وقد يحسن فيما فوقه وقد يقبح ولا يحسن في الثنائيات البتة.

علم تركيب أنواع المداد(*)

من السواد والحمرة والصفرة، وألوان مثل الذهب واللّازورد والياقوت والزمرّد والسواد البرّاق ويسمّونها المداد الطاووسي، إلى غير ذلك من الألوان العجيبة اللطيفة.

علم تسطيح الكرة(**)

وهو علم يتعرّف منه كيفية نقل الكرة إلى السطح مع حفظ الخطوط والدوائر المرسومة على الكرة، وكيفية نقل تلك الدوائر عن الدائرة إلى الخط. وتصوّر هذا العلم عسير جدًا يكاد يقرب من خرق العادة، لكن عملها باليد كثيرًا ما يتولاه الناس ولا عسر فيه، مثل عسر التصوّر. ومن الكتب القديمة فيه: كتاب تسطيح الكرة[١] لبطليموس[٢]، والمحدث الكامل[٣] للفرغاني[٤]،

(*) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب، من الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) تسطيح الكرة لبطليموس. كشف الظنون ١/ ٤٠٣.

(٢) بطليموس: هو بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس (أي محب أخيه). ولد في قوسنه ٣٠٩ق.م. وحكم من سنة ٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق.م. ملك بعد الاسكندر، وكان حريصاً على العلم مولعاً به كثير البحث، وله العديد من الكتب الفلسفية والطبية وفي الحكمة. ومنها كتاب المجسطي في الفلك والهيئة والجغرافيا. عيون الانباء ١/ ٧٢، مختصر الدول ٩٨، اليعقوبي ١٠٧، خطط المقريزي ١/ ١٥٤، طبقات الأطباء والحكماء ٣٥، اخبار الحكماء ٩٩.

(٣) المحدث الكامل في علم تسطيح الكرة. كشف الظنون ٢/ ١٦١٢.

(٤) الفرغاني: هو أحمد بن عبدالله بن احمد بن عبدالله بن احمد بن خزيان بن حامس الفرغاني، ابو منصور، ولد عام ٣٢٧هـ= ـ٩٣٩م. وتوفي عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م. مؤرخ، اديب، له عدة مصنفات. =

والاستيعاب[١] للبيروني[٢]، وآلات التقويم[٣] للمراكشي[٤].

علم التشريح[*]

وهو علم باحث عن كيفية أجزاء البدن وتركيبها من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغير ذلك من أحوال كلّ عضو عضو منه. وموضوعه أعضاء بدن الإنسان. والغرض والفائدة والمنفعة ظاهرة. وكتب التشريح أكثر من أن تحصى ولا أنفع من تصنيف ابن سيناء والإمام الرازي، ورسالة لإبن همام مختصر نافع في الباب، والله أعلم بالصواب.

علم التصحيف[**]

وهذا من أنواع البديع حقيقة، لكن بعض الناس توغّلوا فيه وأفردوه في التصنيف وجعلوه من فروعه. وموضوعه الكلمات المصحّفة التي وردت عن البلغاء ويمكن جعله فرعًا للمحاضرات لوروده عن البلغاء. وفائدته وغرضه ومنفعته غير خفيّ على أهل البصائر.

وصنّف فيه أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري[٥] أحد الأئمة في الآداب والحفظ، وهو صاحب نوادر وأخبار، وله رواية متسعة، وله التصانيف المفيدة، منها: كتاب التصحيف الذي جمع فيه فأوعب، وغير ذلك. وكان الصاحب بن عبّاد[٦] يودّ الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلًا. وكانت ولادة أبي أحمد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال، سنة ثلاث وتسعين ومائتين. وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة. وأخذ عن أبي بكر بن دريد[٧]، وله من التصانيف: كتاب المختلف والمؤتلف، وكتاب علم المنطق، وكتاب الحكم والأمثال، وكتاب الزواجر، وغير ذلك. قال عبدالرحمن البسطامي[٨]: أول من تكلم في التصحيف الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. ومن كلامه: في ذلك خراب البصرة بالريح، بالراء والحاء المهملتين بينهما ياء آخر الحروف. قال الحافظ

=انظر عنه: معجم المؤلفين ١/ ٢٨٤، الوافي بالوفيات ٦/ ٤٩، معجم الادباء ٣/ ١٠٥.

(١) الاستيعاب في تسطيح الكرة للشيخ المحقق ابي الريحان محمد بن احمد البيروني (-٤٣٠هـ) كشف الظنون ١/ ٨١.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) آلات التقويم لأبي علي... المراكشي. كشف الظنون ١/ ١٤٥.

(٤) المراكشي: هو أبو علي المراكشي مجهول المولد والوفاة. كشف الظنون ١/ ١٤٥.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب، من الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري: هو الحسن بن عبدالله بن سعيد بن اسماعيل العسكري، أبو احمد. ولد عام ٢٩٣هـ/ ٩٠٦م. وتوفي عام ٣٨٢هـ/ ٩٩٣م. فقيه، اديب، محدث. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٩٦، خزانة الادب ١/ ٩٧، وفيات الاعيان ١/ ١٣٢، انباه الرواة ١/ ٣١٠، الكامل لابن الاثير ٥/ ٥١.

(٦) الصاحب بن عبّاد: هو اسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني. ولد عام ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م. وتوفي عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. لقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة في صباه وزير، أديب، عالم، جيد الرأي، له مصنفات عديدة. انظر عنه: الأعلام ١/ ٣١٦، معجم الأدباء ٣/ ٢٧٣، معاهد التنصيص ٤/ ١١١، وفيات الأعيان ١/ ٧٥، المنتظم ٧/ ١٧٩، إنباه الرواة ١/ ٢٠١، يتيمة الدهر ٣/ ٣١، لسان الميزان ١/ ٤١٣.

(٧) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر. ولد عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م. وتوفي عام ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. من أئمة اللغة، والأدب، شاعر، عالم، له مصنّفات هامّة وعديدة. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٨٠، إرشاد الأريب ٦/ ٤٨٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٩٧، طبقات الشافعية ٢/ ١٤٥، آداب اللغة ٢/ ١٨٨، لسان الميزان ٥/ ١٣٢.

(٨) تقدّمت ترجمته.

الذهبي: ما علم تصحيف هذه الكلم إلّا بعد المائتين من الهجرة، يعني خراب البصرة بالزنج بالزاء المعجمة والنون والجيم. ومن بديع التصحيف[١] ما نقشه نجم السائس على خاتم لابن استاذه واسمه يحيى، وكان يهواه، وهو هذا بحمّ عَسقّ يجني، يريد نجم عشق يحيى. ومن بديع كلام الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كلّ عنب الكرم يعطيه، يعني كلّ عيب الكرم يغطيه، وللإمام في هذا العلم صنائع بديعة. ومن أمثلة التصحيف قولهم في المستنصرية جنة، والمستنصرية إسم موضع وأراد به المسيء يضر به حية. وكقولهم: متى يعود إشارة إلى رجل إسمه مسعود. وقيل لفاضل استنصح ثقة: أيش تصحيفه؟ فقال: أتيت بتصحيفه. ويحكى أنّ ملكًا بنى قصرًا وتولّى عمله بَنّاءٌ إسمُه الذُّكْرُبَّه، بضم الذال المعجمة وسكون الكاف ثم الراء المهملة المضمومة ثم الباء الموحدة المشددة المفتوحة ثم الهاء، ولعلّ هذا من الأسماء الرومية. فقال الملك لبعض خواصه، وكان من الفضلاء: بنيت هذا بألف دينار. فقال ذلك الفاضل: الذُّكْرُبَّه شرف فأمر الملك بحبس البنّاء في الحال. فسألوا عن سببه فقال: أما سمعتم قول هذا وأراد الفاضل المذكور. قالوا: ما تكلم هو إلّا خيرًا. قال: أراد هو بهذا الكلام الذكربة سرق.

علم التصريف بالإسم الأعظم(*)

وهذا من العلوم التي قلّما وصل إليها أحد من الناس ما خلا الأنبياء والأولياء الكاملين من أرباب الكشف والعيان. ولهذا لم يصنّفوا في شأنه تصنيفًا يعين هذا الاسم، لأنّ كشفه على آحاد الناس لا يحل أصلًا. إذْ في كشفه فساد العالم، وارتفاع نظام بني آدم. نعم جمع الشيخ اليافعي[٢] وغيره الروايات الصادرة في هذا الشأن، لكن لا بحيث يطلع اليقين من أفق الحسبان، كما أشار إليه في كتابه: الدُّر النظيم في فضائل القرآن العظيم[٣].

علم التصرف بالحروف والأسماء(**)

وهذا علم شريف يتوصل بالمداومة عليه على شرائط معينة ورياضة خاصة إلى ما يناسب تلك الحروف أو الأسماء من الخواص وموضوعه وغايته ظاهران على العارف. قيل: وتحت هذا العلم مائة وثمانية وأربعون علمًا. وكتب الشيخ عبدالرحمن المذكور[٤] والشيخ أحمد البوني[٥] مشهورة في هذا العلم.

---

(١) ومن ظرائف التصحيف ما يحكي أن ظريفًا قال لمحبوب اسمه يحيى: لبيك يحيى، فتفطّن وقال في جوابه: ليته غيري، لأن القائل أراد مصحّفة ليتك تحتي، فأجيب بما أجيب. (هامش الأصل).

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في شرف علم التفسير، في فروع علم التفسير، ضمن علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(٢) تقدّمت ترجمته.

(٣) الدر النظيم في خواص القرآن العظيم للشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن سهيل الخزرجي المعروف بابن الخشاب اليمني (- ٥٦٧هـ). ولهذه النسخة مختصر منسوب إلى اليافعي وهو مقدار نصف الأصل. كشف الظنون ١/ ٧٣٦.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في شرف علم التفسير، في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(٤) تقدّمت ترجمته.

(٥) هو أحمد بن علي بن يوسف، أبو العباس البوني. توفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. متصوّف، مغربي الأصل، له العديد من المصنّفات. الاعلام ١/ ١٧٤، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٤، هدية العارفين ١/ ٩٠، الموسوعة الصوفية ٧١.

علم التعابي العددية في الحروب(*)

وهو علم يتعرف منه كيفيّة ترتيب العساكر في الحروب وكيفية تسوية صفوفها أزواجًا وأفرادًا، وتعيين أعداد الصفوف وأعداد الرجال في كلّ صف منها. وهيئة الصفوف إمّا على التدوير أو التثليث أو التربيع إلى غير ذلك، حسب ما تقتضيه الأحوال. وبيّنوا أنّ في رعاية الترتيب المذكور ظفرًا بالمرام ونصرةً على الأعداء، ولا يكون مغلوبًا أبدًا بإذن الله القادر العليم. إلّا أنّ العلماء أخفوا هذا العلم وضنّوا به عن الأغيار. وللشيخ عبدالرحمن من السادة الحرفية تصنيف مليح في هذا العلم، لكن ضنَّ بها بعض الضنّ، إلّا أنّ من وقف على أسرار الخواص الحرفية والعددية لا تخفى عليه خافية. لكن لا بد من خدمة السادة الصوفية وأنْ تستأهل للمكاشفات القرآنية والأسرار الفرقانية، وإلّا فأنت عن مثل هذا العلم بمعزل، وعن الوصول إلى المقصد بألف منزل:

ومن يخطب الحسناءَ من غير أهلها
بعيد عليه أن يفوزَ بوصلها

ولله درّ الإمام الشافعي رضي الله عنه حيث قال:

كيف الوصولُ إلى سعاد ودونها
قلل الجبال ودونهن حتوفُ
الرِّجلُ حافية ومالي مركبٌ
والكفُّ صِفْرٌ والطريقُ مخوفُ

رزقنا الله وإياكم الوصول إلى المقصد بحرمة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وذرياته وأحبابه وسلّم.

علم تعبير الرؤيا(**)

وهو علم يتعرّف منه المناسبة بين التخيّلات النفسانية والأمور الغيبية لينتقل من الأولى إلى الثانية، ليستدل بذلك على الأحوال النفسانية في الخارج، أو على الأحوال الجارية في الآفاق. ومنفعته البشرى أو الإنذار بما يرد.

واعلم أنّ الرؤيا هي فعلٌ للنفس الناطقة، ولو لم تكن لها حقيقة لم تكن لإيجاد هذه القوى في الانسان فائدة. والحكيم تعالى منزّه عن الباطل، وهي ضربان: ضرب وهو الأكثر أضغاث أحلام وأحاديث النفس من الخواطر الرديّة، لكون النفس في تلك الحال كالماء المتموّج الذي لا يقبل صورة. وضرب وهو الأقل صحيح، وذلك قسمان: قسم لا يحتاج إلى تأويل. وقسم يحتاج إليه. ولهذا يحتاج المعبّر إلى مهارة الفرق بين الأضغاث والأحلام، وبين غيرها، ليميّز بين الكلمات الروحانية والجسمانية، ويفرّق بين طبقات الناس، إذْ كان فيهم من لا يصحّ له رؤيا، وفيهم من تصحّ رؤياه. ثم من صحّ له ذلك، منهم من يرشح أنْ تلقى إليه في المنام الأشياء العظيمة الخطر، ومنهم من لا يرشح لذلك. ولهذا قال اليونانيون يجب للمعبّر أن يشتغل بعبارة رؤيا الحكماء والملوك دون الطغام(١)، وذلك لأنّ رؤياه جزء من النبوّة كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأً من النبوّة»(٢).

ومن الكتب المختصرة فيه: فوائد الفرائد(٣) لابن الدقاق(٤)، ومن المتوسطة شرح البدر

(*) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(١) الطغام: كسحاب أوغاد الناس ورذال الطير وغير ذلك، (هامش الأصل).

(٢) مجمع الهيثمي، كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة، ٧/ ١٧٢، بلفظ الصالحة بدلًا من الصادقة.

(٣) فوائد الفرائد في التعبير لابن الدقاق أبي بكر محمد بن محمد بن جعفر الشافعي صاحب الأصول (- ٣٩٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٠٠.

(٤) هو محمد بن محمد بن جعفر البغدادي الشافعي، المعروف بابن الدقاق، ويلقّب بالخياط، أبو بكر. ولد عام ٣٠٦هـ/ =

المنير[١] للحنبلي[٢]، ومن المبسوطة تأليف أبي سهل المسيحي[٣]، وتأليف مولانا محمد بن قطب الدين الأزنيقي[٤] وهو من مشاهير بلادنا علمًا وفضلًا وزهدًا وورعًا وكشفًا. وبالجملة هو جامع بين رياستي النظر والكشف. والذي تمهر في علم التعبير من السلف هو محمد ابن سيرين. ومن عجائب تعبيراته أنّه رأى رجلًا أنه يختم على أفواه الرجال والنساء وفروج هؤلاء، فعبّرها ابن سيرين بأنك مؤذن أذنت في رمضان قبل طلوع الفجر، وكان كذلك.

ويحكى أنّ رجلًا سأله أنه رأى أنه يُدخل الزيت في الزيتون، فقال ابن سيرين: إنْ صدقت فالتي تحتك أمك، فاضطرب الرجل وتفحّص عنها فكانت أمه لأنها سبيت بعد أبيه فاشتراها ابنها.

ويحكى أنّ أبا حنيفة رحمه الله تعالى رأى كأنه ينبش قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجمع عظامه إلى صدره، فهالته الرؤيا، فقال ابن سيرين: هذه رؤيا أبي حنيفة. فقال: أنا أبو حنيفة. فقال ابن سيرين: إكشف عن ظهرك، فكشف، فرأى خالًا بين كتفيه. فقال: أنت الذي قال عليه الصلوة والسلام: «يخرج في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة بين كتفيه خال يحيى الله تعالى ديني على يديه»[٥]. ثم قال ابن سيرين: لا تخف، إنّه صلى الله عليه وآله وسلم مدينة العلم وأنت تصل إليها، فكان كما قال. وله أمثال هذه حكايات كثيرة مسطورة في كتب السير والتواريخ فارجع إليها.

علم التعديل(*)

وهو علم يعرف به كيفية تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات في الليل والنهار عند تفاوتهما في الصيف والشتاء. ونفع هذا العلم عظيم.

علم تعلق القلب(**)

وهذا علم ربما يظهره بعض المتنبلين لمن في عقله خفة حتى يظنّوا أنّه يعرف الإسم الأعظم، أو أنّ الجنّ تطيعه، وربما أداه انفعاله إلى مرض ونحوه، أو مطاوعة ذلك المتنبل فيما قصده.

=٩١٨م. وتوفي عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م. فقيه، أصولي، له تصانيف جيّدة. انظر عنه: معجم المؤلّفين ١١/ ٢٠٣، طبقات الفقهاء ٩٧، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٦، كشف الظنون ٢/ ١٣٠٠.

(١) البدر المنير في علم التعبير للشيخ شهاب الدين المقدسي الحنبلي (- ٦٩٧هـ)، كشف الظنون ١/ ٢٣١، ٤١٦.

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة الله بن سلطان بن سرور المقدسي، شهاب الدين الحنبلي، توفي عام ٦٩٧هـ. معبّر أحلام. له عدّة كتب. انظر عنه: معجم المؤلّفين ١/ ٢٦٦، هدية العارفين ١/ ١٠٢، كشف الظنون ١/ ٢٣١.

(٣) هو عيسى بن يحيى الجرجاني، أبو سهل الطبيب المسيحي. توفي عام ٤٠١هـ/ ١٠١٠م. طبيب، حكيم، فلكي. له عدّة كتب.
انظر عنه: هدية العارفين ١/ ٨٠٦، كشف الظنون ١/ ٤٦٠، الأعلام ٥/ ١١٠، تاريخ حكماء الإسلام ٩٥، طبقات الأطباء ١/ ٣٢٧.

(٤) هو محمد بن (قطب الدين) محمد الازنيقي الرومي الحنفي. توفي عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م. فاضل له تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٥٠، شذرات الذهب ٧/ ٣٤٣، هدية العارفين ٢/ ٢١١.

(٥) الخوارزمي، جامع مسانيد الإمام الأعظم، الباب الأول في ذكر شيء من فضائله...، ١/ ١٨. بلفظ: «يقال له أبو حنيفة وبين كتفيه خال يحيي الله تعالى على يديه سنتي».

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

علم تفسير القرآن(*)

واعلم أنّ علم القرآن بحر لا ينقضي عجائبه، وطود شامخ لا يتناول غرائبه، وله فروع لا تحصى وفنون لا تستقصى. ولنذكر منها ما يفي به قوة التحرير، ويحيط به نطاق التقرير.

وأمّا علم التفسير فهو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية. ومباديه العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل وغير ذلك من العلوم الجمة. والغرض منه معرفة معاني النظم. وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة. وموضوعه ومنفعته ظاهران من تعريفه.

واعلم أنّك ستعرف فيما يلي طبقات القرآء، فلعلك تترصد إيراد طبقات المفسّرين في هذا المقام. لكن كثيرًا ممن سيذكر من طبقات القرّاء داخلون في طبقات المفسّرين من الصحابة والتابعين فلا وجه لإعادته هاهنا. وإنما الملائم، الإشارة الإجمالية إلى ما ذكر هناك ثم تفصيل البواقي.

أما الصحابة: فالذين اشتهروا بالتفسير منهم الخلفاء الأربعة المذكورون سابقًا، وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الاشعري، وهؤلاء مذكورون فيما سيأتي. والذي لم يذكر: هو عبدالله بن الزبير بن العوام، يكنى أبا بكر الأسدي القرشي، كنّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكنية جدّه لأمه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسمّاه باسمه. وهو أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة أول سنة، وأذّن أبو بكر في أذنه. ولدته أمه أسماء بقباء وأتت به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه في حجره، فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه وحنكه. وكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له وبرك عليه. وكان أطلس لا شعر له في وجهه ولا لحيته. كان كثير الصيام والصلوٰة، شهمًا ذا أنفة، شديد البأس، قائلًا بالحق، وصولًا للرحم. إجتمع له ما لم يجتمع لغيره. أبوه حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمه أسماء بنت الصديق، وجدّه الصديق، وجدّته صفية[1] عمة رسول الله ﷺ، وخالته عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبايع رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين. قتله الحجاج بن يوسف بمكة، وصلبه يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين، وكان بويع له بالخلافة سنة أربع وستين، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام، وحجَّ بالناس ثماني حجج. روى عنه خلق كثير.

ثم اعلم أنّ الخلفاء الأربعة أكثر من رُوي عنه علي بن أبي طالب، والرواية عن الثلاثة نزرة جدًا. وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر للحديث مع قِدَم صحبته وحرصه على تعلّم العلم والدين وأحكام الإسلام، وقوة حفظه وملازمته مجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أول البعث إلى زمان وفاته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وأما علي كرّم الله وجهه فرُوي عنه الكثير.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة من العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(١) هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم، توفيت عام ٢٠هـ/ ٦٤١م. عمّة النبي صلى الله عليه وسلّم وسيّدة قريش. شاعرة، باسلة. من المهاجرات وشهدت المعارك. انظر عنها:
الاعلام ٣/ ٢٠٦، الإصابة (كتاب النساء ترجمة ٦٥١)، طبقات ابن سعد ٨/ ٢٧، المحبر ١٧٢، رغبة الآمل ٧/ ٩٦، سمط اللآلي ١١٨.

رُوي عنه أنه قال وهو يخطب: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم به. وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم: أبليل نزلت أو بنهار أم في سهل أم في جبل. ورُوي عنه أيضًا أنه قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت. إنّ ربي وهب لي قلبًا عقولًا ولسانًا سؤلًا. وروي عن ابن مسعود أنه قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فرُوي عنه أكثر مما رُوي عن علي رضي الله عنه. روي عنه أنه قال: والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين أنزلت. ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته.

وأما ابن عباس رضي الله عنهما فهو تُرجمان القرآن وحَبْر الأمة ورئيس المفسّرين دعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل»[١]. وقال أيضًا: «اللهم آته الحكمة أو علمه الحكمة»[٢]. وعن ابن عباس: قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبريل، فقال له جبريل: «إنّه كائن حبر هذه الأمة واستوص به خيرًا»[٣] وعنه أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس»[٤]. والأحاديث والآثار في حقّ ابن عباس كثيرة خارجة من حدّ الإحصاء.

وقد ورد عنه في التفسير ما لا يحصى كثرةً، لكن عنه في ذلك روايات وطرق مختلفة؛ أحسنها وأولاها: طريقة علي بن أبي طلحة الهاشمي[٥]. قال أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا. واعتمد على هذه النسخة البخاري في صحيحه فيما نقله عن ابن عباس، وبينه وبين ابن عباس واسطة وهي مجاهد أو سعيد بن جبير. قال ابن حجر: بعد أن عرفت الواسطة وهي ثقة فلا ضير في ذلك.

ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس[٦] عن عطاء ابن السائب[٧] عن سعيد بن جبير عنه. وقيس هو قيس بن مسلم الجدلي الكوفي روى عن سعيد بن جبير وغيره. وعنه الثوري وشعبة[٨]. مات سنة عشرين ومائة.

ومن جيد الطرق طريق ابن إسحاق[٩]، عن

---

(١) مسند أحمد ١/٢٦٦. صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ح ٩، ١/١٨٠، دون لفظ: «وعلمه التأويل».

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنه، ح ٢٤٤، ٥/١٠٢، بلفظ «علمه».

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر عبدالله بن عباس، ٣/٥٣٥. بلفظ: «أن حبر هذه الأمة لعبدالله بن عباس». دون باقي لفظه.

(٤) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب نعم ترجمان القرآن. . . ٣/٥٣٧.

(٥) هو علي بن أبي طلحة (سالم) أبو الحسن. لم ير أحدًا من الصحابة. من موالي بني هاشم. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٨٩، الجمع ١/٣٥٩، التهذيب ٧/٣٣٩، التقريب ٢/ ٣٩.

(٦) هو قيس بن مسلم الجدلي. توفي عام ١٢٠هـ. من متقني الكوفيين وجلّة مشايخها. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٦٨، الجمع ٢/٤١٨، التهذيب ٨/٤٠٣، التقريب ٢/ ١٣٠

(٧) هو عطاء بن السائب بن مالك الكناني الليثي، أبو زيد، وقيل أبو محمد، من أهل المدينة. سكن مرو وولد له بها. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٠٣، الثقات ٥/٢٠١، ميزان الاعتدال ٣/٧٠، طبقات ابن سعد ٦/٣٣٨، شذرات الذهب ١/١٩٤

(٨) شعبة: هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولاهم، البصري، أبو بسطام. ولد عام ٨٢هـ/ ٧٠١م. وتوفي عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م. من ائمة الحديث ورجاله حفظاً ودراية له بعض الكتب انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٦٤، حلية الأولياء ٧/ ١٤٤، تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥، ذيل المذيل ١٠٤.

(٩) ابن إسحاق: هو محمد بن اسحاق بن يسار أبو بكر. توفي ببغداد عام ١٥٠هـ. عالم بالسنن والأخبار، حافظ ثبت.=

محمد بن أبي محمد[١] مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عنه، هكذا بالترديد، وهي طريق حسن وإسناده جيد. وابن اسحاق هو محمد بن إسحاق مولى قيس بن مخرمة، تابعي، رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيّب، وسمع جماعة من التابعين، وحدّث عنه الثوري والنخعي وابن عيينة ويحيى بن سعيد[٢] وغيرهم. كان عالمًا بالسِّير والمغازي وأيام الناس وقصص الأنبياء والحديث والقرآن والفقه. حدّث ببغداد، ومات بها سنة خمسين ومائة.

وأوهى طرقه طريق الكلبي[٣] عن أبي صالح[٤] عن ابن عباس.

والكلبي هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، نسبة إلى كلب بن وبرة قبيلة من قضاعة، الكوفي. صاحب التفسير والأنساب. كان إمامًا في هذين العلمين، وكان من أصحاب عبدالله بن سبأ[٥] الذي يقول: إنّ علي بن أبي طالب لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا. روى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق، وكانا يقولان: حدثنا أبو النضر حتى لا يُعرف. وشهد الكلبي دير الجماجم مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي[٦]، وشهد جدّه بشر وبنوه السائب وعبيد وعبدالرحمن وقعة الجمل وصفّين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان جميلًا شريفًا. توفي سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة. وقد عرفت أنّ طريق الكلبي أوهى طرق ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السّدّي الصغير[٧] فهي سلسلة الكذب. وكثيرًا ما يخرّج منها الواحدي والثعلبي. ومحمد بن مروان السدّي صاحب التفسير، كوفي يكنى أبا عبد الرحمن، وسمع التفسير من الكلبي.

والواحدي علي بن أحمد بن محمد بن علي، الإمام أبو الحسن الواحدي، إمام مصنّف مفسّر نحوي، أستاذ عصره وواحد دهره. أنفق شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمة، وسافر في طلب

=مشاهير علماء الأمصار ٢٢٢، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٨، العبر ١/ ٢١٦، تاريخ بغداد ١/ ٢١٤، طبقات ابن سعد ٧/ ٣٢١.

(١) محمد بن أبي محمد: هو محمد بن أبي محمد الأنصاري، مولى زيد بن الثابت. مدني، مجهول يعد من الطبقة السادسة، روى عنه ابن اسحاق. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٠٥.

(٢) يحيى بن سعيد: هو يحيى بن سعيد بن فروخ القطان، أبو سعيد. توفي عام ١٩٨هـ. عالم بالحديث وعلله. من سادات أهل البصرة وقرائهم. ورع. أخذ عنه كثيرون. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٥٥، شذرات الذهب ١/ ٣٤١، الجمع ٢/ ٥٦١، ابن سعد ٧/ ٣٣٩، العبر ١/ ٣١٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٥.

(٣) انظر ترجمته في: الفهرست ١٣٩، وفيات الأعيان ١/ ٦٢٤، الوافي بالوفيات ٣/ ٨٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٦١، اعيان الشيعة ٤٠، الاعلام ٧/ ٣.

(٤) أبو صالح: هو ذكوان أبو صالح السمات الزيان المدني. توفي عام ١٠١هـ. محدث، ثقة، إمام حجة، يعد من الطبقة الثالثة. تقريب التهذيب ٢٠٣.

(٥) عبدالله بن سبأ: هو عبدالله بن سبأ. توفي نحو ٤٠هـ/ نحو ٦٦٠م. رأس الطائفة السبأية التي قالت بألوهية الامام علي. أصله من اليمن. وكان يهودياً، ثم أظهر الاسلام. لكنه كان صاحب هرطقات، وبدع كثيرة، وقد كفر المسلمون السبأية وحكم على بعضهم حرقاً بالنار. الاعلام ٤/ ٨٨، البدء والتاريخ ٥/ ١٢٩، لسان الميزان ٣/ ٢٨٩، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٤٢٨.

(٦) عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي: هو عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، توفي عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م. امير، قائد شجاع، داهية. له أخبار مشهورة مع الحجاج. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٣٢٣، ابن الأثير ٤/ ١٩٢، الطبري ٨/ ٣٩.

(٧) محمد بن مروان السّدّي الصغير: هو محمد بن مروان الكوفي، المعروف بالسدي الصغير. احد المتروكين كان في زمن وكيع. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٥/ ٢٦٥.

الفوائد ولازم مجالس الثعلبي في تحصيل التفسير، وقعد للتدريس والإفادة سنين، وتخرّج به طائفة من الأئمة. وكان نظام الملك[١] يكرمه ويعظمه، وكان حقيقًا بالاحترام والإعظام لولا ما كان فيه من الإزراء بالائمة المتقدّمين وبسط اللسان فيهم بما لا يليق. صنف: البسيط، والوسيط، والوجيز في التفسير. وصنّف: أسباب النزول، وشرح ديوان المتنبي، والإعراب في علم الاعراب، وغير ذلك. وقيل فيه:

قد جمع العالم في واحد
عالمنا المعروف بالواحدي

مات سنة ثمان وستين وأربع مائة[٢].

وأما الثعلبي فهو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، صاحب التفسير والعرائس في قصص الأنبياء. كان إمامًا كبيرًا حافظًا للغة، بارعًا في العربية. روى عن أبي طاهر بن خزيمة[٣] وأبي محمد المخلدي[٤]، أخذ عنه الواحدي. ومات سنة سبع وعشرين وأربع مائة[٥].

وكذلك طريق مقاتل بن سليمان[٦]، عن ابن عباس إلّا أنّ الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الرديّة، وهو أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، الخراساني المروزي. أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة، ودخل بغداد وحدّث بها، وكان مشهورًا بالتفسير، وله التفسير المشهور. أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح وأبي إسحاق السبيعي[٧] والضحاك بن مزاحم ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم. وروى عنه جماعة، وكان من العلماء الأجلاء.

حكي عن الشافعي أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى[٨] في الشعر وعلى أبي حنيفة رحمه الله في الكلام.

---

(١) نظام الملك: هو الحسن بن علي بن اسحاق الطوسي، أبو علي، الملقب بقوام الدين، نظام الملك. ولد عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م. وتوفي عام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٥م. وزير، حازم، عالي الهمة. وأخباره مشهورة. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢٠٢، وفيات الأعيان ١/ ١٤٣، ابن الأثير ١٠/ ٧٠.

(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤١٩، طبقات الشافعية ٣/ ٢٨٩، الكامل ١٠/ ٣٥، البداية ١٢/ ١١٤، طبقات القراء ١/ ٥٢٣، شذرات الذهب ٣/ ٣٣٠م وغيرها.

(٣) أبو طاهر بن خزيمة: هو محمد بن محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر أو أبو طاهر. ولد عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م وتوفي عام ٣١١هـ/ ٩٢٤م. فقيه، مجتهد، عالم بالحديث، له عدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٢٩، طبقات السبكي ٢/ ١٣٠.

(٤) أبي محمد المخلدي: هو الحسن بن احمد بن محمد بن الحسن بن علي بن مخلد بن شيبان المخلدي النيسابوري، أبو محمد. العدل. توفي عام ٣٨٩هـ. محدث، صدوق، عدل كبير، له رواية واخبار وعدة كتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٩، اللباب ٣/ ١٨٠، العبر ٣/ ٤٣، شذرات الذهب ٣/ ١٣١.

(٥) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٦، انباه الرواة ١/ ١١٩، البداية ١٢/ ٤٠، اللباب ١/ ١٩٤، مرآة الجنان ٣/ ٤٦، شذرات الذهب ٣/ ٢٣٠.

(٦) مقاتل بن سليمان: هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن. توفي عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. من اعلام المفسرين، محدث، له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٨١، وفيات الأعيان ٢/ ١١٢، التهذيب ١٠/ ٢٧٩، ميزان الاعتدال ٣/ ١٩٦.

(٧) أبي إسحاق السبيعي: هو ابو اسحاق السبيعي عمرو بن عبدالله الهمداني. ولد عام ٢٩هـ. وتوفي عام ١٢٧هـ. حافظ. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٧٨، الثقات ٥/ ١٧٧، التهذيب ٨/ ٦٣، التاريخ الكبير ٣/ ٣٤٧.

(٨) زهير بن أبي سلمى: هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني المضري. توفي عام ١٣ ق. هـ/ ٦٠٩م. من حكماء العرب في الجاهلية وشعرائهم. عالم باللغة والأدب. له شعر جيد ومنه المعلقة المعروفة، ابنه كعب واخته الخنساء. وقد طبع له ديوان. الاعلام ٣/ ٥٢، الأغاني ١٠/ ٢٨٨، شرح شواهد المغني ٤٨، جمهرة الأنساب ٢٥، معاهد التنصيص ١/ ٣٢٧، آداب اللغة ١/ ١٠٥، الشعر والشعراء ٤٤.

واختلف العلماء في أمره، فمنهم من وثّقه في الرواية، ومنهم من نسبه إلى الكذب. قال أحمد بن سيار[١]: مقاتل متَّهم متروك الحديث، وكان يتكلم في الصفات بما لا يحلّ الرواية عنه. قال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني[٢]: مقاتل كان دجالًا جسورًا. قال أبو عبدالرحمن النسائي[٣]: الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة: ابن أبي يحيى[٤] بالمدينة، والواقدي[٥] ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن سعيد[٦] المعروف بمصلوب بالشام. وذكره وكيع[٧] يومًا وقال: كان كذابًا، وكذا عمرو بن علي الفلّاس[٨]. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال في موضع آخر: لا شيء البتة. قال أحمد بن حنبل: ما يعجبني أن أروى عنه شيئًا. وقال أبو حاتم البُستي[٩]: مقاتل كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، إلّا أنّ بقية بن الوليد[١٠] قال: كنت أسمع شعبة بن الحجاج لا يذكر مقاتلًا إلّا بخير. وسئل عنه عبدالله بن المبارك، فقال: لقد ذكر لنا عنه عبادة وروى عنه أيضًا أنه ترك حديثه. وقال

(١) أحمد بن سيار: هو احمد بن محمد بن سيار، ويقال له السياري. توفي عام ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م. كاتب، من أهل البصرة. له عدة تصانيف. انظر عنه:
الاعلام ١/ ٢٠٩، منهج المقال ٤٤.

(٢) ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني: هو ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق السعدي الجوزجاني، ابو اسحاق. توفي بدمشق عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م. محدث الشام، حافظ، ثقة. له عدة مصنفات. انظر عنه:
الاعلام ١/ ٨١، البداية والنهاية ١١/ ٣١، تهذيب ابن عساكر ٢/ ٣١، تذكرة الحفاظ ٢/ ١١٧.

(٣) أبو عبدالرحمن النسائي: هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبدالرحمن النسائي. ولد بنسا من ضواحي خراسان عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م. وتوفي بفلسطين وقيل بمكة حاجاً عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م. قاضٍ، حافظ، صاحب السنن، لقب بشيخ الاسلام. له عدة مصنفات هامة في الحديث ورجاله. الاعلام ١/ ١٧١، وفيات الأعيان ١/ ٢١، البداية والنهاية ١١/ ١٢٣، طبقات الشافعية ٢/ ٨٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٤١، شذرات الذهب ٢/ ٢٣٩.

(٤) ابن أبي يحيى: هو ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى، سمعان الأسلمي، ابو اسحاق. توفي عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م. عالم بالحديث، من شيوخ الإمام الشافعي. له عدة كتب. انظر عنه الاعلام ١/ ٥٩، ميزان الاعتدال ١/ ٢٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٧.

(٥) الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني، أبو عبدالله الواقدي، ولد عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م. وتوفي عام ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م. من أقدم مؤرخي المسلمين وأشهرهم، حافظ للحديث له الكثير من المصنفات الهامة. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٣١١، تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧، وفيات الأعيان ١/ ٥٠٦، تاريخ بغداد ٣/ ٣، ميزان الاعتدال ٣/ ١١٠.

(٦) محمد بن سعيد: هو محمد بن سعيد بن أبان القرشي، أبو عبدالله، توفي ببغداد عام ١٩٣ هـ. محدث حافظ. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٧٧، الثقات ٧/ ٤٢٦، التاريخ الكبير ١/ ٩٢.

(٧) وكيع: هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي. ابو سفيان. ولد عام ١٢٩هـ/ ٧٤٦م. وتوفي عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م. حافظ ثبت، محدث العراق في عصره. امتنع عن القضاء ورعاً. جمع وصنف وله فضل في الدين. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٧٢، طبقات الحفاظ ١٢٧، الجمع ٢/ ٥٤٦، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٦، ابن سعد ٦/ ٣٩٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٦، العبر ١/ ٣٢٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٣٥.

(٨) عمرو بن علي الفلّاس: هو عمرو بن علي بن بحر، أبو حفص السقا الفَلّاس. توفي عام ٢٤٩هـ/ ٨٦٤م. باحث، حافظ. ثقة، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٨٢، اللباب ٢/ ١٠٨، تهذيب التهذيب ٨/ ٨٠.

(٩) أبو حاتم البُستي: هو محمد بن حبان بن احمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، ابو حاتم البستي ويقال له: ابن حبان، توفي عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. مؤرخ، محدث، علامة، جغرافي، له العديد من المصنفات الهامة. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٧٨، معجم البلدان ٢/ ١٧١، شذرات الذهب ٣/ ١٦، اللباب ١/ ١٢٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٢٥، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩، لسان الميزان ٥/ ١١٢.

(١٠) بقية بن الوليد: هو بقية بن الوليد بن صائد الحميري الكلاعي. أبو يحمد. ولد عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م. وتوفي عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م. حافظ، محدث الشام في عصره. له ظرف. وله عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٦٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٦، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٤، تاريخ بغداد ٧/ ١٢٣.

إبراهيم الحربي[(١)]: مات مقاتل قبل الضحاك بن مزاحم بأربع سنين ولم يسمع منه ولم يلقه، وكذا لم يلق مجاهد أو لم يسمع منه. توفي مقاتل سنة خمسين ومائة بالبصرة.

وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فإنّ الضحاك لم يلقه. وإنْ انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة[(٢)] عن أبي روق[(٣)] عنه فضعيفة ضعف بشر. وقد أخرج عنه ابن جرير[(٤)] وابن ابي حاتم[(٥)]. وإن كان من رواية جويبر[(٦)] عن الضحاك فأشد ضعفًا، لأنّ جويبرًا شديد الضعف متروك. وإنما أخرج عنه ابن مردويه[(٧)] وأبو الشيخ بن حيان. دون إبن جرير ولا إبن أبي حاتم.

واعلم أنّ الضحاك وهو ابن مزاحم الكوفي، صاحب ابن عباس، كثير الرواية من الصالحين، فلما أخذ الحجاج العلماء هرب من الكوفة إلى خراسان، وكان يعلّم الصبيان بلا أجر. قال بزيع[(٨)]. كنا في كُتّاب الضحاك ثلاثة آلاف غلام وسبع مائة جارية، وحملته أمه سنتين، وولد وله أسنان تضحك، ولذلك سُمّي الضحاك.

حكى أنّه مات مقيدًا في السجن سنة إثنتين أو خمس ومائة بمَرْو أو ببلخ.

وطريق العوفي[(٩)] عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرًا، والعوفي ضعيف ليس بواهٍ، وربما حسَّن له الترمذي.

وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي[(١٠)] عن الربيع بن أنس[(١١)] عن أبي العالية[(١٢)] عنه، وهذا إسناد صحيح. وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيرًا، وكذا

---

(١) إبراهيم الحربي: هو إبراهيم بن اسحاق بن بشير بن عبدالله البغدادي الحربي. ابو اسحاق. ولد بمرو عام ١٩٨هـ/ ٨١٥م. وتوفي ببغداد عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م. من اعلام المحدثين. حافظ، عارف بالفقه والأحكام والأدب، زاهد. له الكثير من المؤلفات. الاعلام ١/ ٣٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤٧، صفة الصفوة ٢/ ٢٢٨، تاريخ بغداد ٦/ ١٢٧، اللباب ١/ ٢٩٠.

(٢) بشر بن عمارة: هو بشر بن عمارة الخثعمي المكتتب الكوفي. من الرواة الضعفاء. انظر عنه: تهذيب التهذيب ١/ ٣٩٨، ميزان الاعتدال ١/ ٣٢١، الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ١٠.

(٣) أبي روق: هو عطية بن الحارث الهمداني، أبو روق. من الضعفاء المتروكين. انظر عنه: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٩.

(٤) ابن جرير: هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، ولد عام ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م. وتوفي عام ٣١٠هـ/ ٩٢٣م. مؤرخ، مفسر، إمام فاضل. امتنع عن القضاء له الكثير من المؤلفات الهامة. الاعلام ٦/ ٦٩، إرشاد الأريب ٦/ ٤٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٣٥١، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٦، البداية والنهاية ١١/ ١٤٥، تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢.

(٥) ابن ابي حاتم: هو عبدالرحمن بن محمد بن ابي حاتم بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد، ولد عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، وتوفي عام ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م. من كبار حفاظ الحديث، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٣٢٤، تذكرة الحفاظ ٣/ ٤٦، فوات الوفيات ١/ ٢٦٠، طبقات الحنابلة ٢/ ٥٥.

(٦) جويبر: هو جويبر بن سعيد الأزدي الخراساني، أبو القاسم الكوفي. من الرواة الضعفاء المتروكين. انظر عنه: تهذيب التهذيب ٢/ ١٠٦، الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ١٢١.

(٧) ابن مردويه: هو احمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، أبو بكر. ولد عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م، وتوفي عام ٤١٠هـ/ ١٠١٩م. حافظ، مؤرخ، مفسر، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٦١، تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٣٨، شذرات الذهب ٣/ ١٩٠.

(٨) بزيع: هو بزيع ابو حازم الكوفي. من الرواة الضعفاء، يروي عن الضحاك. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ٥٨.

(٩) العوفي: هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي، ابو الحسن. توفي عام ١١١هـ/ ٧٢٩م. من رجال الحديث، له رواية واخبار. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٢٣٧، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٤، ذيل المذيل ٩٥، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٠٤.

(١٠) أبو جعفر الرازي: هو عيسى بن ماهان، أبو جعفر الرازي. توفي عام ١٦١هـ. راوٍ، فقيه. انظر عنه: شذرات الذهب ١/ ٢٥٢، طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٠.

(١١) الربيع بن انس: هو الربيع بن أنس بن زياد البكري. من سكان مرو. محدث، عالم، أخذ عن انس بن مالك وغيره. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٠٣، الثقات ٤/ ٢٢٨، التهذيب ٣/ ٢٣٩، التقريب ١/ ٢٤٣.

(١٢) أبو العالية: هو رفيع بن مهران الرياحي البصري. توفي عام ٩٣هـ. وقيل ٩٠هـ. إمام حافظ، مقرىء، مفسر، ثقة. سير اعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٦١، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤.

الحاكم(١) في مستدركه(٢)، وأحمد في مسنده.
وأبي بن كعب الأكبر أنصاري خزرجي، كان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي. كان ربعة من الرجال، أبيض الرأس واللحية، كناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا المنذر، وسأله صلى الله عليه وآله وسلم عن أعظم آية في القرآن فقال: آية الكرسي. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليهنك العلم يا أبا المنذر»(٣)، وكناه عمر رضي الله عنه أبا الطفيل، وسمّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيد الأنصار، وسماه عمر رضي الله عنه سيد المسلمين. وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم: أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصاري(٤)، وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم ستة: عمر وعلي وعبدالله وأبي وزيد وأبو موسى، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله عز وجل. مات بالمدينة سنة تسع عشرة، وقيل عشرين أو اثنتين وعشرين أو ثلاثين في عهد عثمان رضي الله عنه. روى عنه خلق كثير، وشهد بدرًا والعقبة.

واعلم أنّ من الصحابة من ورد عنه اليسير من التفسير غير هؤلاء المذكورين، منهم أنس، وهو أنس بن مالك بن النضر، كنيته أبو حمزة الخزرجي، خادم النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أمه أم سليم بنت ملحان، واسمها مليكة، ولقبها الرميصاء. قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين أو تسع أو ثمان، فخدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرًا أو ثمانيًا أو سبعًا. كان يُسمّى خادم رسول الله ﷺ ويتسمّى ويفتخر به. ولما ورد رسول الله ﷺ المدينة أهدي إليه هدايا، وكان أنس يتيمًا فجاءت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: هذا هديتي لك يا رسول الله فليخدمك، فقبله صلى الله عليه وآله وسلم. كان يخضب بالحناء أو بالورس والصفرة، وكان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة كانت به. وكانت له ذؤابة وكان يشدّ أسنانه بالذهب، وكان راميًا، وكان غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثماني غزوات، وانتقل إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه ليفقّه الناس بها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين، وقيل سنة تسعين أو إثنتين وتسعين، وله من العمر مائة وثلاث سنين، أو مائة وسنتان أو تسع وتسعون.

قال ابن عبد البر: وهو أصح. يقال إنّه وُلد له مائة ولد، وقيل ثمانون، منهم ثمانية وسبعون ذكرًا واثنتان أنثى إحداهما حفصة، والأخرى أم عمرو. وقيل ولد له بضع وعشرون ومائة. يقال

---

(١) الحاكم: هو محمد بن عبدالله بن حمدوية بن نعيم الضبي، الطهماني النيسابوري. المعروف بالحاكم ويعرف أيضاً بابن البيِّع، أبو عبدالله. ولد بنيسابور عام ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. وتوفي عام ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م. من أكابر حفاظ الحديث. تولى القضاء. له مصنفات هامة في الحديث ورجاله.
الاعلام ٦/ ٢٢٧، طبقات السبكي ٣/ ٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٤، غاية النهاية ٢/ ١٨٤، ميزان الاعتدال ٣/ ٨٥، لسان الميزان ٥/ ٢٣٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين في الحديث للشيخ الامام أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري الحافظ (ـ٤٠٥هـ) كشف الظنون ٢/ ١٦٧٢.

(٣) مسند ابي داوود، كتاب الصلاة، باب الوتر، ح ١٤٦٠، ٢/ ١٥١، بمعناه دون تمام لفظه.

(٤) أبو زيد الأنصاري: هو عمرو بن أخطب من بني الحارث بن الخزرج، أبو زيد الانصاري. صحابي جليل، من كتبة الوحي، وقد دعا له النبي ﷺ بالجمال. له رواية. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٧٠، ابن سعد ٧/ ٢٨، الاستيعاب ٢/ ٥٢٤، أسد الغابة ٤/ ١٩٠، البداية والنهاية ٨/ ٣٢٤.

ركب في حياته من صلبه مائة فارس، روى عنه خلق كثير.

ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه، واختلف في اسمه واسم أبيه في الجاهلية والاسلام على تسع عشرة أقوال: عبدالله بن عائذ، أو عبدالله بن غنم، أو عبد شمس، أو عبدنهم، أو عمرو بن عبد غنم، أو عامر بن عبدشمس، أو عبدياليل، أو عبدالعزى أو عامر بن عمير، أو عمير بن عامر، أو سعد بن الحارث، أو سكين بن رزمة، أو سكين ابن مل، أو سكن بن صخر، أو سكين بن هانىء، أو عبدالله بن عمرو، أو عبدالرحمن بن صخر، أو عبد الرحمن بن غنم، أو أبو الاسود. كنيته واسمه معًا في الجاهلية، إلّا أن أشهر ما قيل فيه، انه كان في الجاهلية عبدشمس أو عبدعمرو، وفي الاسلام عبدالله أو عبدالرحمن، وهو دوسي. قال الحاكم أبو أحمد أصحّ شيء عندنا في اسم أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر، وغلبت عليه كنيته، فهو كمن لا إسم له. وإنما سمّي أبا هريرة لأنه كانت له هرة صغيرة يحملها معه.

كان رجلًا أبيض لينًا كان يخضب بالحناء ويلبس الكتان الممشق، كان من أهل الصفة. أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم لزمه ثلاث سنين وواظب عليه راغبًا في العلم راضيًا، بشبع بطنه، وكان يدور معه حيث ما دار، ويحضر ما لا يحضره أحد منهم لملازمته النبي صلى الله عليه وآله وسلم. روى البخاري عنه أنّه قال: «قلت يا رسول الله: أسمع منك أشياء فلا أحفظها. قال: ابسط رداءك، فبسطه، فبسط حديثًا كثيرًا، فما نسيت شيئًا حدثني به»[١]. ذكر الإمام أبو بكر السمعاني[٢] عن إسحاق بن راهويه قال: الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأحكام ثلاثة آلاف، خمس مائة منها مدارها على أبي هريرة. قال البخاري: روى عنه أكثر من ثمان مائة رجل من بين صحابي وتابعي، فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس. توفي بالمدينة أو بالعقيق في أيام معاوية سنة تسع أو ثمان أو سبع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة. حدث بالشام والعراق والبحرين.

ومنهم ابن عمر، وهو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير، ولم يشهد بدرًا. واختلفوا في شهوده أحدًا، والصحيح أنّ أول مشاهده الخندق وشهد ما بعده من المشاهد. وأمه وأم أخته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت مظعون. هاجر مع أبيه وكان من أهل الصفة. كان آدم طوالًا، له جمة مفروقة تضرب قريبًا من منكبيه، يقصّ شاربه حتى يحفيه، ويشمر إزاره حتى يكون من نصف الساق ويصفر لحيته. وكان من أهل الورع والعلم والزهد، شديد التحرّي والاحتياط. وقال جابر بن عبدالله: ما منا أحد إلّا مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبدالله. وقال ميمون بن مهران[٣]: ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح ٦٠، ١/٦٨.
سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي هريرة، ح ٣٨٣٥، ٥/ ٦٨٤.

(٢) أبو بكر السمعاني: هو محمد بن منصور بن عبدالجبار التميمي السمعاني المروزي، أبو بكر. ولد عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م. وتوفي عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م. فقيه، محدث، واعظ، له عدة كتب. انظر عنه:
الاعلام ٧/ ١١٢، طبقات السبكي ٤/ ١٧٦.

(٣) ميمون بن مهران: هو ميمون بن مهران، مولى بني أسد. أبو أيوب. ولد عام ٤٠هـ. وتوفي عام ١١٨هـ. فقيه، فاضل، عابد. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٩٠، البداية ٩/ ٣١٤، ابن سعد ٧/ ٤٧٧، حلية الأولياء ٤/ ٨٢.

من ابن عباس، وكان أعطي القوة في العبادة والبضاع حتى روى محمد بن سيرين أن ابن عمر ربما أفطر على الجماع، وكان إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرّبه لربه. وقال نافع[١]: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان. وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزعة لحم[٢] إلّا مسافرًا أو رمضان. وكان نقش خاتمه عبدالله. ولد قبل الوحي بسنة، ومات سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد أن قُتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو ستة أشهر، وسِنّه يوم توفي أربع أو ست وثمانون سنة، وروى سبع مائة حديث، وغزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسع غزوات، وبعده أربعًا، وروى عنه خلق كثير.

ومنهم جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام، من بني سلمة الأنصاري، من مشاهير الصحابة والمكثرين من الرواية. شهد هو وأبوه وخالاه بيعة العقبة. شهد بدرًا وما بعدها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثماني عشرة غزوة يكنّى أبا عبدالله أو أبا عبدالرحمن. رحل إلى مصر والشام، وجاور بمكة أشهرًا في أخواله بني سهم، وكُفَّ بصره في آخر عمره، واستشهد أبوه بأحد، وترك عليه ديونًا وتسع بنات، فكان يعولهنّ، وهو الذي أضاف يوم الخندق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذبح داجنه[٣]. وله مناقب كثيرة شهيرة. توفي بالمدينة وهو إبن أربع وتسعين سنة، سِنّه أربع أو سبع وسبعين أو ثمان أو تسع وتسعين، وصلى عليه أبان ابن عثمان[٤] وهو والي المدينة، وجابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة من أهل العَقَبة رضي الله عنهم.

ومنهم أبو موسى الأشعري وستعرفه في القرآء.

ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص[٥]، ورد عنه أشياء تتعلّق بالتفسير مما يتعلّق بالقصص والأخبار. هو: عبدالله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي. أسلم قبل أبيه، وكان أبوه أكبر منه بثلاث عشرة سنة أو إثنتي عشرة سنة أو عشرين. وكان عابدًا عالمًا حافظًا. قرأ الكتب واستأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أن يكتب حديثه فأذن له. يكنى أبا محمد أو أبا بصير أو أبا عبدالرحمن، وأمه ريطة بنت منبه بن الحجاج. توفي ليالي الحرة سنة ثلاث أو خمس أو سبع أو ثمان وستين أو ثلاث وسبعين أو خمس وخمسين. قيل بمكة، وقيل بمصر، وقيل بالطائف. وكان حفظ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألف مثل، وكان قرأ الكتب، وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكان يطفىء السّراج ثم يبكي حتى رسعت عيناه. قلت: الرسع فساد

(١) نافع: هو نافع المدني، ابو عبدالله، توفي عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م. من أئمة التابعين في المدينة. عالم بالفقه، كثير الرواية للحديث، ثقة. الاعلام ٨/ ٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٥٠، تاريخ الاسلام الذهبي ٥/ ١٠، التهذيب ١٠/ ٤١٢.

(٢) المزعة بالضم والكسر: القطعة من اللحم.

(٣) قال ابن السكيت: شاة داجن إذا ألفت البيوت واستأنست. (هامش الأصل).

(٤) أبان بن عثمان: هو أبان بن عثمان بن عفان، أبو سعيد. توفي بعد اصابته بالفالج في زمن يزيد بن عبدالملك بن مروان. كان من اعلم الناس بالقضاء. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١١١، الجمع ١/ ٤٢، التهذيب ١/ ٩٧، التقريب ١/ ٣١، الكاشف ١/ ٣١.

(٥) عبدالله بن عمرو بن العاص: هو عبدالله بن عمرو بن العاص، من قريش. ولد بمكة عام ٧ق. هـ/ ٦١٦م. وتوفي عام ٦٥هـ/ ٦٨٤م. صحابي جليل، ناسك عابد. كان يكتب في الجاهلية، ثم استأذن النبي بكتابة ما يحفظ عنه فأذن له. شهد الفتوح والمواقع. روى احاديث كثيرة. الاعلام ٤/ ١١١، طبقات ابن سعد ٨/ ١٣، حلية الأولياء ١/ ٢٨٣، صفة الصفوة ١/ ٢٧٠، البدء والتاريخ ٥/ ١٠٧.

في الأجفان. قال يعلى بن عطاء[١] عن أمه: إنّها كانت تصنع الكحل لعبدالله بن عمرو، وهو من العبادلة الأربعة الذين استقر عليهم أمر العلم في آخر عهد الصحابة، هم: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وأما عبدالله بن مسعود فلم يعد منهم لتقدّم موته ولكونه من شيوخ الصحابة، وكان تحت عبدالله ابن عمرو عمرة بنت عبدالله بن عباس فولدت له محمدًا، فولد محمد شعيبًا، فولد شعيب عمرًا وهو الذي عليه مدار صحيفة عمرو بن شعيب، عن أبيه أي محمد، عن جدّه أي عبدالله.

واعلم أنّ العبادلة عند المحدّثين هم ما ذكرناه آنفًا. وأما عند الفقهاء هم: عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، ليس منهم عندهم. والحاصل أنّ عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر من العبادلة اتفاقًا بين الفريقين. وأما المحدّثون فيعدون عبدالله بن الزبير معهما والفقهاء يعدون معهما عبدالله بن مسعود دون عبدالله بن الزبير. فاحفظ هذه الفائدة فإنّ فيها نفعًا بيّنًا لك في مواضع شتى.

إذا عرفت طبقات المفسّرين من الصحابة، فلنذكر طبقات التابعين.

منهم أصحاب ابن عباس وهم علماء مكة، فمن المبرّزين منهم مجاهد وهو الذي قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم. وستعرف ترجمة مجاهد في القراء.

ومنهم سعيد بن جبير وستعرفه أيضًا. قال سفيان الثوري: خذوا التفسير عن أربعة: عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك. قال قتادة: أعلم التابعين أربعة: أعلمهم بالمناسك عطاء بن أبي رباح، وأعلمهم بالتفسير سعيد بن جبير، وأعلمهم بالسِّير عكرمة، وأعلمهم بالحلال والحرام الحسن البصري.

ومنهم عكرمة وستعرفه أيضًا، هو مولى ابن عباس. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وقال عكرمة: كلّ شيء أحدثكم في القرآن فهو عن ابن عباس. وقال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن.

ومنهم طاوس بن كيسان[٢] وعطاء بن أبي رباح من أصحاب ابن عباس. وغير هؤلاء من التابعين أصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة، وسيأتي تفصيلهم في القراء.

ومن التابعين: أصحاب زيد بن أسلم[٣] كعبد الرحمن بن زيد[٤] ومالك بن أنس. وقد ذكر زيد بن أسلم، وستعرف مالك بن أنس في

---

(١) يعلى بن عطاء: هو يعلى بن عطاء العامري، توفي عام ١٢٠هـ. سكن واسط، محدث ثقة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٥/ ٢٠١، الجرح والتعديل ٤/ ٤٩، تاريخ الاسلام ٥/ ٧٩.

(٢) طاوس بن كيسان: هو طاووس بن كيسان الهمداني الخولاني، أبو عبدالرحمن. توفي بمكة عام ١٠١هـ. من فقهاء أهل اليمن وعبادهم، ومن خيار التابعين، زاهد، مفسر، محدث. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٩٨، الجمع ١/ ٢٣٥، التقريب ١/ ٣٧٧، الكاشف ٢/ ٣٧.

(٣) زيد بن أسلم: هو زيد بن أسلم، ابو أسامة. مات عام ١٣٦هـ. مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. متقن حافظ. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٣٠، الجمع ١/ ١٤٤، التقريب ١/ ٢٧٢، تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٢، شذرات الذهب ١/ ١٩٤، حلية الأولياء ٣/ ٢٢١.

(٤) عبدالرحمن بن زيد: هو عبدالرحمن بن زيد بن اسلم العمري المدني. توفي عام ١٨٢هـ. مفسر، عالم بالرواية والحديث. له عدة كتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٨/ ٣٤٩، الجرح والتعديل ٥/ ٢٣٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٦٥، العبر ١/ ٢٨٢، شذرات الذهب ١/ ٢٩٧.

طبقات الفقهاء.

ومن التابعين الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وعطاء[١] بن أبي ميسرة سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي وأبو العالية والضحاك بن مزاحم وعطية العوفي وقتادة وزيد بن أسلم ومرة الهمداني[٢] وأبو مالك والربيع بن انس وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم والسُدي في آخرين. وقد عرفت بعضًا من هؤلاء المذكورين.

وأما الذين لم نذكرهم فهم عطاء بن ميسرة الخراساني أبو عثمان، أصله من بلخ، وكان يحيي الليل كله، وكان يقول: أوثق عملي في نفسي نشري العلم.

وأما محمد بن كعب القرظي أبو حمزة أو أبو عبدالله فهو تابعي، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل رآه. نزل سنة أربعين الكوفة ثم رجع إلى المدينة. روى عن فضالة بن عبيد[٣] وعائشة وأبي هريرة وغيرهم. روى عنه ابن المنكدر[٤] ويزيد بن الهاد[٥] والوليد بن كثير[٦] وخلق. قال عون بن عبدالله[٧] ما رأيت أحدًا أعلم بتأويل القرآن من القرظي، كان يقصّ في المسجد فسقط عليه وعلى أصحابه سقف فماتوا سنة ثمان ومائة، أو سنة سبع عشرة، أو عشرين ومائة رحمهم الله.

وأما أبو العالية فهو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي، مولاهم، البصري، من كبار التابعين. أسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، ودخل على أبي بكر وصلّى خلف عمر. روى عن عمر وأُبَيّ وابن عباس وزيد بن ثابت، وعنه عاصم الأحول[٨] وغيره. قالت حفصة بنت سيرين[٩]: سمعته يقول: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات. أدرك زمن النبي ﷺ. توفي سنة تسعين. قال أبو بكر ابن أبي داود[١٠]: ليس أحد بعد

---

(١) في التقريب: عطاء بن أبي مسلم أبو عثمان الخراساني، واسم أبيه ميسرة. وقيل: عبدالله صدوق، يهم كثيراً ويرسل ويدلس، من الخامسة. مات سنة خمس وثلاثين ومائة. وفي الخلاصة: توفي عن خمس وثمانين سنة، قاله أبو نعيم. (الأصل).

(٢) مرة الهمداني: هو مرة بن شراحيل الهمداني. ويقال له مرة الطيب لكثرة عبادته. توفي عام ٧٦هـ. حافظ للحديث. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٦٤، التهذيب ١٠/٨٨، حلية الأولياء ٤/١٦١، تذكرة الحفاظ ١/٦٣، ابن سعد ٦/١١٦.

(٣) فضالة بن عبيد: هو فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري. توفي بدمشق أيام خلافة معاوية ابن أبي سفيان. تولى القضاء في دمشق بعد أبي الدرداء. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٨٨، الاصابة ٣/٢٠٦، الاستيعاب ٢/٥١٧، اسد الغابة ٤/١٨٢.

(٤) ابن المنكدر: هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بن عبدالعزى القرشي التيمي المدني. ولد عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م. وتوفي عام ١٣٠هـ/٧٤٨م. زاهد، من رجال الحديث. انظر عنه: الاعلام ٧/١١٢، تاريخ الاسلام ٥/١٥٥، تهذيب التهذيب ٩/٤٧٣.

(٥) يزيد بن الهاد: هو يزيد بن عبدالله بن اسامة بن الهاد، أبو عبدالله الليثي المدني. توفي عام ١٣٩هـ. إمام حافظ، حجة، ثقة. له أخبار ورواية. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٦/١٨٨، الجرح والتعديل ٩/٢٧٥، التاريخ الكبير ٨/٣٤٤.

(٦) الوليد بن كثير: هو الوليد بن كثير المخزومي القرشي. من خيار أهل المدينة. حافظ متقن. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٢٠، الجمع ٢/٥٣٦، ميزان الاعتدال ٤/٢٤٥، العبر ١/٢١٧، شذرات الذهب ١/٢٣١.

(٧) عون بن عبدالله: هو عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، توفي عام ١١٥هـ/ ٧٣٣م. خطيب نسابة، راوية. شاعر. وله أخبار. انظر عنه: الاعلام ٥/٩٨، حلية الأولياء ٤/٢٤٠، البيان والتبيين ١/١٧٨.

(٨) عاصم الأحول: هو عاصم بن سليمان الأحول البصري، أبو عبدالرحمن. توفي عام ١٤٢هـ/ ٧٦٠م. من حفاظ الحديث، ثقة، تولى القضاء والحسبة. وعرف بالزهد وطول العبادة. الاعلام ٣/٢٤٨، تهذيب التهذيب ٥/٤٢، حلية الأولياء ٣/١٢٠، تاريخ بغداد ١٢/٢٤٣.

(٩) حفصة بنت سيرين: هي حفصة بنت سيرين، ام الهذيل الأنصارية. لها رواية، فقيهة، عالمة، اديبة، فاضلة. لها اخبار. توفيت بعد المائة من الهجرة. انظر عنها: سير اعلام النبلاء ٤/١٩٨، طبقات ابن سعد ٨/٤٨٤، تاريخ الاسلام ٤/١٠٧، العبر ١/١٢٣، شذرات الذهب ١/١٢٢، النجوم الزاهرة ١/٢٧٥.

(١٠) أبو بكر ابن أبي داود: هو عبدالله بن سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني، ابو بكر بن ابي داود. ولد عام ٢٣٠هـ/ =

الصحابة أعلم بالقرآن منه، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السُّدي، وبعده الثوري. وكان أبو العالية مزّاحًا. وسئل عن قتل الذرّ، فجمع منهن شيئًا كثيرًا وقال: مساكين، ما أكيسهن ثم قتلهن وضحك.

وأما عطية العوفي فهو عطية بن سعيد بن جنادة العوفي، أبو الحسن الجدلي الكوفي. روى عن أبي هريرة وابن عباس وغيرهما. قال مطين[(١)]: توفي سنة إحدى عشرة ومائة.

وأما قتادة، فهو ابن دعامة، يكنى أبا الخطاب السدوسي الأعمى الحافظ. قال بكر بن عبدالله المزني[(٢)]: من أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة، ما أدركنا الذي هو أحفظ منه. وقال قتادة: ما سمعت أذناي شيئًا قطّ إلّا وعاه قلبي. وقال: لا يقبل قول بلا عمل فمن أحسن العمل قبل الله قوله. روى عن عبدالله بن سرجس[(٣)] وأنس وخلق سواهما، وعنه أيوب[(٤)] وشعبة وأبو عوانة[(٥)] وغيرهم. مات سنة سبع عشرة ومائة.

وأما مرة الهمداني[(٦)].

وأما أبو مالك[(٧)].

وأما الربيع بن أنس كان من أهل البصرة من بني بكر بن وائل، لقي ابن عمر وجابرًا أو أنس بن مالك، وهرب من الحجّاج فأتى مَرْو فسكن قرية منها، ثم طلب بخراسان حين ظهرت دولة بني العباس فتغيَّب، فخلص إليه عبدالله بن المبارك وهو مستخفٍ، فسمع منه أربعين حديثًا. وكان عبدالله يقول: ما يسّرني بها كذا وكذا لشيء سماه. مات في خلافة أبي جعفر، واستخلف هو سنة ست وثلاثين ومائة، ومدة خلافته اثنتان وعشرون سنة.

وأما عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني فروى عن أبيه وابن المنكدر، وعنه قتيبة وهشام وغيرهما، والنقاد ضعّفوه. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة.

وأما السّدي[(٨)].

=٨٤٤م. وتوفي عام ٣١٦هـ/ ٩٢٩م. من كبار حفاظ الحديث، له تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٩١، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٩٨، وفيات الأعيان ١/ ٢١٤، غاية النهاية ١/ ٤٢٠، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣، لسان الميزان ٣/ ٢٩٣.

(١) مطين: هو محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي الكوفي، أبو جعفر. ولد عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م. وتوفي عام ٢٩٧هـ/ ٩١٠م. من حفاظ الحديث، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٢٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢١٠، ميزان الاعتدال ٣/ ٩٧، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٤٥.

(٢) بكر بن عبدالله المزني: هو بكر بن عبدالله بن عمرو بن هلال المزني. توفي عام ١٠٦هـ. من الزهاد المتعبدين، شديد التواضع. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٤٦، طبقات ابن سعد ٧/ ٢٠٩، التهذيب ١/ ٤٨٤، الثقات ٤/ ٧٤.

(٣) عبدالله بن سرجس: هو عبدالله بن سرجس المزني. توفي سنة نيف وثمانين للهجرة بالبصرة. صحابي جليل معمر. نزيل البصرة. روى الحديث عن النبي ﷺ. سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٢٦، طبقات ابن سعد ٧/ ٥٨، الاستيعاب ٩١٦، اسد الغابة ٣/ ٢٥٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٦٩.

(٤) أيوب: هو أيوب بن سيار أو يسار الزهري، أبو سيار. مديني، كان ينزل بغَيْد، يسمى الغايدي، روى عن محمد بن المنكدر، وروى عنه غيره. المؤتلف والمختلف ٣/ ١٢٢٠، الإكمال ٤/ ٤٢٥، الميزان ١/ ٢٨٩.

(٥) أبو عوانة: هو الوضاح بن خالد اليشكري الواسطي البزاز مولى يزيد بن عطاء الليثي، ابو عوانة. ولد عام ٩٢هـ، وتوفي عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م. فاضل، ناسك، محدث راوٍ حافظ ثقة. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٥٢، الجمع ٢/ ٥٤٥، التقريب ٢/ ٣٣١، التهذيب ١١/ ١١٦، الاعلام ٨/ ١١٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٩، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٠.

(٦) بياض في الأصل. لكن في التقريب: مرة بن شراحيل الهمداني أبو اسماعيل الكوفي، هو الذي يقال له: مرة الطيب. ثقة عابد. مات سنة ست وسبعين. وقيل بعد ذلك. (هامش الأصل).

(٧) بياض في الأصل، أما أبو مالك فهو أبو مالك الأشجعي، سعد بن طارق بن اشيم، من علماء الكوفة. ومتقنيهم. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٧٢، الجمع ١/ ١٦٢، التقريب ١/ ٢٨٧، التهذيب ٣/ ٤٧٢.

(٨) السّدي: هو محمد بن مروان السّدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي، صاحب التفسير. مرَّ ذكره في طرق التفسير عن ابن عباس، (هامش الأصل).

ثم بعد هذه الطبقة ألفت كتب التفاسير التي تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وعبدالرزاق[١] وآدم بن أبي اياس[٢] واسحاق بن راهويه وروح بن عبادة[٣] وعبد بن حميد[٤] وأبي بكر بن أبي شيبة[٥] وآخرين.

أما سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولاهم، أبو محمد الكوفي، ثم المكي الأعور، الإمام المشهور. ولد بالكوفة للنصف من شعبان سنة سبع ومائة. كان إمامًا عالمًا ثبتًا حجة زاهدًا ورعًا مجمعًا على صحة حديثه وروايته. سمع الزهري وخلقًا، وروى عنه الأعمش[٦] والثوري وشعبة والشافعي وأحمد وخلق كثير. قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. مات بمكة أول يوم رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، ودفن بالحجون، وكان حجّ سبعين حجة، وقيل ثمانين حجة.

وأما وكيع بن الجراح الكوفي فهو من قيس عيلان، وقيل أصله من قرية من قرى نيسابور. سمع هشام بن عروة والأوزاعي والثوري وغيرهم. وروى عنه عبدالله بن المبارك وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني[٧] وخلق كثير سواهم. قدم بغداد وحدّث بها، وهو من مشايخ الحديث الثقات المعمول بحديثهم المرجوع إلى قولهم. كان يفتي بقول أبي حنيفة، وكان قد سمع منه شيئًا كثيرًا، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، ومات سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء.

وأما شعبة بن الحجاج بن ورد يكنّى أبا بسطام، مولى الأشاقر عتاقة، وكان أسنّ من الثوري بعشر سنين. وتوفي بالبصرة سنة ستين ومائة، وهو ابن خمس وسبعين سنة. وكان يقول: والله لأنا في الشعر أسلم مني في الحديث، ولو أردت الله ما خرجت إليكم، ولو أردتم الله ما جئتموني، ولكنّا نحبّ المدح ونكره الذّم.

---

(١) عبدالرزاق: هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري، أبو بكر الصغاني. ولد عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م. وتوفي عام ٢١١هـ/ ٨٢٧م. من حفاظ الحديث. له عدة مؤلفات هامة في الحديث. الاعلام ٣/ ٣٥٣، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٠، وفيات الأعيان ١/ ٣٠٣، طبقات الحنابلة ١٥٢، ميزان الاعتدال ٢/ ١٢٦.

(٢) آدم بن ابي اياس: هو آدم بن أبي اياس، أبو الحسن الخراساني المروذي البغدادي العسقلاني، ولد عام ١٣٢هـ/ وتوفي عام ٢٢٠هـ. محدث، حافظ، قدوة، ثقة. وله رواية واخبار انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٠/ ٣٣٥، ابن سعد ٧/ ٤٩٠، تاريخ بغداد ٧/ ٢٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٩، العبر ١/ ٣٧٩، شذرات الذهب ٢/ ٤٧.

(٣) روح بن عبادة: هو روح بن عبادة بن العلاء القيسي، أبو محمد. توفي عام ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م. محدث ثقة، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٣٤، تاريخ بغداد ٨/ ٤٠١، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٩٣.

(٤) عبد بن حميد: هو عبد بن حميد بن نصر، أبو محمد. توفي عام ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م. من حفاظ الحديث. له عدة كتب. انظر عنه:
الاعلام ٣/ ٢٦٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٠٤، تذكرة النوادر ٣٧.

(٥) أبو بكر بن أبي شيبة: هو عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، أبو بكر. ولد عام ١٥٩هـ/ ٧٧٦م. وتوفي عام ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م. حافظ للحديث، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٤/ ١١٧ تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨، تاريخ بغداد ١٠/ ٦٦، الرسالة المستطرفة ١٣.

(٦) الأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، ابو محمد، لقب بالأعمش، ولد بالكوفة عام ٦١هـ/ ٦٨١م وفيها مات عام ١٤٨هـ/ ٧٦٥م. تابعي مشهور. عالم بالقرآن والحديث والفرائض، وهابه الناس والأمراء. الاعلام ٣/ ١٣٥، طبقات ابن سعد ٦/ ٢٣٨، وفيات الأعيان ١/ ٢١٣، تاريخ بغداد ٩/ ٣.

(٧) علي بن المديني: هو علي بن عبدالله بن جعفر السعدي المديني البصري، أبو الحسن. ولد بالبصرة عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م. وتوفي بسامراء عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م. محدث، مؤرخ، محدث من الحفاظ. له العديد من المؤلفات. الأعلام ٤/ ٣٠٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٤٩، طبقات الحنابلة ١٦٨، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٩.

وأما يزيد بن هارون السلمي مولاهم الواسطي روى عن جماعة، وعنه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما. قدم بغداد وحدّث بها ثم عاد إلى واسط ومات بها. ولد سنة ثماني عشرة ومائة. قال ابن المديني: لم أر أحدًا أحفظ من ابن هارون، وكان عالمًا بالحديث حافظًا ثقةً زاهدًا عابدًا. مات سنة سبع عشرة ومائتين.

وأما عبد الرزاق بن همام يكنى أبا بكر أحد الأعلام، روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما، وعنه أحمد واسحاق والزهري، وصنّف الكتب. مات سنة إحدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون سنة.

وأما آدم بن أبي إياس فهو آدم العسقلاني، من أهل مرو الروذ، طلب الحديث ببغداد وسمع شعبة سماعًا كثيرًا، ثم انتقل فنزل عسقلان، ومات بها سنة عشرين ومائتين. وكان ورّاقًا وكان قصيرًا.

وأما إسحاق بن راهويه فهو أبو يعقوب إسحاق بن ابراهيم النخعي المعروف بابن راهويه، أحد أركان المسلمين، وعلم من أعلام الدين، وممن جمع بين الحديث والفقه والاتقان والحفظ والصدق والورع. طاف خراسان والعراق والحجاز واليمن والشام في طلب العلم، ثم استوطن نيسابور إلى أن مات بها في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وفضائله أكثر من أن تحصى. سمع سفيان بن عيينة ووكيعًا وخلقًا كثيرًا من الأئمة. روى عنه البخاري ومسلم والترمذي وجماعة كثيرة من الائمة الأعلام.

وأما روح بن عبادة[1].

وأما عبد بن حميد[2].

وأما أبو بكر بن أبي شيبة[3].

ثم بعد هؤلاء الطبقة طبقة أخرى، منهم عبدالرزاق، والمفضّل[4]، وعلي بن أبي طلحة وغيرهم. ثم ابن جرير الطبري، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها. ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجة[5]، والحاكم، وابن مردويه، وأبو الشيخ ابن حبان، وابن المنذر في آخرين.

أما عبدالرزاق بن همام، يكنى أبا بكر أحد الأعلام، روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما، وعنه أحمد وإسحاق والزهري، وصنّف الكتب. مات سنة إحدى عشرة ومائتين، وله خمس وثمانون سنة[6].

وأما المفضّل فهو المفضل بن محمد الأصبهاني أبو القاسم الراغب، صاحب المصنّفات. كان في أوائل المائة الخامسة. له: مفردات القرآن، وأفانين البلاغة، والمحاضرات. قال السيوطي: وقفت على هذه الثلاثة. قلت: وقفت له أيضًا على كتاب: تفصيل النشأتين، وهو كتاب لطيف لا يمكن أحسن منه في بابه وجامع للفوائد الشريفة،

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) المفضّل: هو الراغب الأصفهاني، وترجمته في: الاعلام ٢/ ٢٥٥، تاريخ حكماء الإسلام ١١٢، آداب اللغة ٣/ ٤٤، روضات الجنان ٢٤٩، كشف الظنون ١/ ٣٦.

(٥) ابن ماجة: هو محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبدالله، ابن ماجة. ولد بقزوين عام ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م. وتوفي عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م. أحد الأئمة في علم الحديث. تنقل في البلاد. وله عدة مؤلفات. الاعلام ٧/ ١٤٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٥٣٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٩، المنتظم ٥/ ٩٠، سنن ابن ماجة ٢/ ١٥٢٠، كشف الظنون ١/ ٣٠٠، معجم المفسرين ٢/ ٦٣٩.

(٦) كذا في الأصل، وقد مرّ قبل آنفاً ترجمة عبدالرزاق بعينها.

وكتاب الذريعة في محاسن الشريعة، وكتاب الأخلاق، والكل بالغ نهاية الحسن بحيث لا يمكن لمادحها قضاء حقها. قال السيوطي: وقد كان في ظني أنّ الراغب معتزلي حتى رأيت بخط الشيخ بدرالدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبدالسلام ما نصّه: ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس[١] في الأصول أنّ أبا القاسم الراغب من أئمة السُّنة، وقرنه بالغزالي. قال: وهي فائدة حسنة، فإنّ كثيرًا من الناس يظنّون أنه معتزلي. قلت: سيّما والمزكي الإمام فخرالدين الرازي.

وأما علي بن أبي طلحة[٢].

وأما ابن جرير فهو محمد بن جرير بن يزيد، الإمام أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي، أحد الأعلام وصاحب التفسير والتاريخ والتصانيف. ولد بآمل طبرستان سنة أربع وعشرين ومائتين، ورحل لطلب العلم وله عشرون سنة. قرأ على كثيرين، وتفقّه عليه خلق كثير. قال الخطيب[٣]: كان أحد أئمة العلم، يُحكم بقوله، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره، فكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراآت، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسُّنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله كتاب: تهذيب الآثار لم أر مثله في معناه، لكن لم يتمه. وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة. واختار من أقاويل الفقهاء وتفرّد بمسائل حفظت عنه. وقال أبو محمد عبدالله بن أحمد الفرغاني[٤] صاحب ابن جرير: إنّ قومًا من تلامذة ابن جرير حسبوا له منذ بلغ الحلم إلى أن مات، ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة. وقال أبو حامد الإسفرايني إمام الشافعية: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصّل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرًا. توفي سنة عشر وثلاث مائة. والباقون معروفون.

ثم انتصبت طبقة بعدهم إلى تصنيف تفاسير مشحونة بالفوائد محذوفة الأسانيد، وبرزوا فيه وبرعوا مثل أبي اسحاق الزجّاج[٥] وأبي علي الفارسي[٦]. وأما أبو بكر النقاش[٧] وأبو جعفر النحاس[٨] فكثيرًا ما استدرك الناس عليهما،

---

(١) تأسيس التقديس في الكلام للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (٦٠٦هـ). كشف الظنون ١/ ٣٣٣.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) الخطيب: هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر المعروف بالخطيب. ولد قرب الكوفة عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م. وتوفي ببغداد عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م. أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. من كبار الرواة، شاعر، له الكثير من المصنفات الهامة، أهمها تاريخ بغداد. الاعلام ١/ ١٧٢، معجم الأدباء ١/ ٢٤٨، طبقات الشافعية ٣/ ١٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٨٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧.

(٤) سبق التعريف به.

(٥) أبو اسحاق الزجّاج: هو ابراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج. ولد ببغداد عام ٢٤١هـ/ ٨٥٥م. وتوفي فيها عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م. عالم بالنحو واللغة. له العديد من المؤلفات الهامة. الاعلام ١/ ٤٠، معجم الأدباء ١/ ٤٧، إنباه الرواة ١/ ١٥٩، تاريخ آداب اللغة ٦/ ٨٩، وفيات الأعيان ١/ ١١.

(٦) أبو علي الفارسي: هو الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي الأصل، أبو علي. ولد بفارس عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م. وتوفي ببغداد عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م. من أئمة اللغة والأدب وعلوم العربية. تجوّل في البلدان ووضع العديد من المؤلفات الهامة. الاعلام ٢/ ١٧٩، وفيات الأعيان ١/ ١٣١، تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، إنباه الرواة ١/ ٢٧٣.

(٧) أبو بكر النقاش: هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش. ولد عام ٢٦٦هـ/ ٨٨٠م، وتوفي عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م. عالم بالقرآن وتفسيره. له تصانيف جيدة. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٨١، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٩، إرشاد الأريب ٦/ ٤٩٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٥.

وعلى سننهما مكي بن أبي طالب(١) وأبو العباس المهدي(٢)، وكلٌّ متقنٌ مأجور. جزاهم الله تعالى عنا خير الجزاء.

أما إبراهيم بن السّري بن سهل، فهو أبو إسحاق الزجّاج. قال الخطيب: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب. كان يخرط الزجاج، ثم خدم العلم وصار من الفضلاء.

وأما أبو علي الفارسي فسوف تعرفه مستوفى.

وأما أبو بكر النقاش، فهو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر الموصلي النقاش، نزيل بغداد، الإمام المعلّم، مؤلف كتاب: شفاء الصدور في التفسير، مقرىء مفسر. ولد سنة ست أو خمس وستين ومائتين، طاف الأمصار وتجوّل في البلدان، وكتب الحديث وقيّد السنن، وصنّف المصنفات في القراآت والتفسير وغير ذلك. من ذلك: الإشارة في غريب القرآن، والموضح في القرآن ومعانيه، ودلائل النبوة، والمعجم في أسماء القراء، الأكبر والأوسط والأصغر، وكتاب السبعة بعللها، الأكبر والأوسط والأصغر، وطالت أيامه فانفرد بالإمامة في صناعته مع ظهور نسكه وورعه وصدق لهجته وبراعة فهمه وحسن اضطلاعه واتساع معرفته. قال الخطيب: كان عالمًا بالحروف، حافظًا للتفسير. سافر الكثير شرقًا وغربًا، وكتب بمصر والشام والجزيرة والجبال وخراسان وما وراء النهر. وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة. روى عمن سمع الشيخ البرقاني(٣) ذكر تفسير النقاش فقال: ليس فيه حديث صحيح. فسألوه: فقال: كل حديثه منكر. وقد ذكر الدارقطني(٤) ما يقتضي تضعيفه. وبالغ الذهبي فقال: وهو مع علمه وجلالته ليس بثقة. وخيار من أثنى عليه الداني فقبله وزكّاه. قال الجزري: وناهيك بالداني فإنّه قال: النقاش جائز القول مقبول الشهادة. سمعت عبدالعزيز بن جعفر(٥) يقول: كان النقاش يقصد في قراءة ابن كثير(٦) وابن عامر(٧) لعلو إسناده فيهما، وكان له ملأ بيت كتب. وكان أبو الحسن

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٥، الانساب ٥٥٥، معجم الأدباء ٤/ ٢٢٤، إنباه الرواة ١/ ١٠١، المنتظم ٦/ ٣٦٤، البداية ١١/ ٢٢٢، شذرات الذهب ٢/ ٣٤٦، بغية الوعاة ١٥٧.

(٢) مكي بن أبي طالب: هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد. ولد بالقيروان عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م. وتوفي بقرطبة عام ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م. مقرئ، عالم بالتفسير والعربية. له الكثير من المؤلفات الهامة. الاعلام ٧/ ٢٨٦، بغية الوعاة ٣٩٦، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٠، نزهة الألبا ٤٢١، انباه الرواة ٣/ ٣١٣.

(٣) انظر ترجمته في: بغية الوعاة ١٥٢، إنباه الرواة ١/ ٩١، طبقات القراء، ١/ ٩٢، طبقات المفسرين ٥.

(٤) الشيخ البرقاني: هو احمد بن محمد بن احمد بن غالب، أبو بكر المعروف بالبرقاني. ولد عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م. وتوفي ببغداد عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م. عالم بالحديث. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢١٢، اللباب ١/ ١١٣، تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٣.

(٥) الدارقطني: هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني الشافعي. ولد ببغداد عام ٣٠٦هـ/ ٩١٩م. وتوفي فيها عام ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراآت. له عدة مؤلفات هامة. الاعلام ٤/ ٣١٤، وفيات الأعيان ١/ ٣٣١، اللباب ١/ ٤٠٤، غاية النهاية ١/ ٥٥٨، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤.

(٦) عبدالعزيز بن جعفر: هو عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداذ بن معروف البغوي، أبو بكر، غلام الخلال. ولد عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م. وتوفي عام ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م. مفسر، ثقة في الحديث، فقيه من الحنابلة، له عدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٥، طبقات الحنابلة ٢/ ١١٩، البداية والنهاية ١١/ ٢٧٨، تاريخ بغداد ١٠/ ٤٥٩، النجوم الزاهرة ٤/ ١٠٦.

(٧) ابن كثير: هو عبدالله بن كثير الداري المكي، أبو معبد. ولد بمكة عام ٤٥هـ/ ٦٦٥م. وتوفي فيها عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م. أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة. الاعلام ٤/ ١١٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٠.

(٨) ابن عامر: هو عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة الأموي، أبو عبدالرحمن، ولد عام ٤هـ/ ٦٢٥م. وتوفي عام ٥٩هـ/ ٦٧٩م. امير، فاتح، وقائد شجاع. شهد المعارك. وكان رحيماً، سخياً، واخباره مستفيضة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٩٤، تاريخ الاسلام ٢/ ٢٦٦، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٠، البدء والتاريخ ٥/ ١٠٩، الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٠٦.

الدارقطني يستملى له وينتقي للناس من حديثه. وقد حدّث عنه مجاهد في حياته. وأما ما وقع في التجريد[١] من أنه قرأ على الحلواني[٢] عن الأخفش[٣] فوهم. وأما قول أبي أحمد السامري[٤]: سمعت ابن شنبوذ[٥] يقول: خرجت من دمشق وقد فرغت من الأخفش فإذا بقافلة مقبلة فيها أبو بكر النقاش، بيده رغيف. فقال لي: ما فعل الأخفش؟ قلت: توفي. قال: فانصرف النقاش ثم قال: قرأت على الأخفش، فإن السامري ضعيف. وقال أبو الحسن بن الفضل القطان[٦]: حضرت النقاش وهو يجود بنفسه في ثالث شوّال سنة إحدى وخمسين أو إثنتين وخمسين أو خمسين وثلاث مائة، فجعل يحرّك شفتيه، ثم نادى بعلوّ صوته ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[٧] يردّدها ثلاثًا ثم خرجت نفسه، رحمه الله تعالى.

وأما أبو جعفر النحاس فهو أحمد بن محمد بن اسمعيل بن يونس المرادي النحاس النحوي المصري. كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة، منها: تفسير القرآن الكريم، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب التفاحة، والكافي كلاهما في النحو، وتفسير أبيات سيبويه، ولم يسبق إلى مثله، وكتاب أدب الكتاب، وكتاب المعاني، وشرح المعلقات التسع بتأخير السين، وطبقات الشعراء وغير ذلك. روى عن ابي عبدالرحمن النسائي وأخذ النحو عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش وأبي إسحاق الزجاج وابن الأنباري[٨] ونفطويه[٩] وأعيان أدباء العراق. وقد كان رحل إليهم من مصر وكانت فيه خساسة، ويقتّر على نفسه. وإذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمائم بخلًا وشُحًا. وكان يلي شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته. ومع هذا فكان للناس رغبة كثيرة في الأخذ عنه، فنفع وأفاد وأخذ عنه خلق كثير. وتوفي بمصر يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة، سنة ثمانٍ أو سبع

---

(١) تجريد التفسير من صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني (-٨٥٢هـ). كشف الظنون ١/ ٣٤٥.

(٢) الحلواني: هو احمد بن محمد بن عاصم الحلواني، أبو سهل. كان حياً قبل ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م. اديب، عالم بالأنساب. له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ١١٤، معجم الأدباء ١٨٧، الفهرست ١/ ٨٠.

(٣) الأخفش: هو علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر. توفي عام ٣١٥هـ/ ٩٢٧م. من علماء النحو، له عدة تصانيف انظر عنه: الاعلام ٤/ ٢٩١، بغية الوعاة ٣٣٨، انباه الرواة ٢/ ٢٧٦.

(٤) أبو أحمد السامري: هو عبدالله بن الحسين بن حسنون السامري، أبو أحمد. ولد عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٨م وتوفي عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م. مقريء، لغوي، له عدة كتب انظر عنه: معجم المؤلفين ٦/ ٤٥، الاعلام ٤/ ٢٠٨.

(٥) ابن شنبوذ: هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت، أبو الحسن، ابن شنبوذ. توفي عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م من كبار القراء. انفرد بقراءات شاذة له، وله عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٣٠٩، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٨، وفيات الأعيان ١/ ٤٩٠، غاية النهاية ٢/ ٥٢، تاريخ بغداد ١/ ٢٨٠.

(٦) لقد أخطأ المؤلف في اسم القطان وكنيته حين قال: «أبو الحسن بن الفضل القطان» لأن أبا الحسن بن الفضل القطان ولد عام ٥٦٢هـ وتوفي عام ٦٢٢هـ. أي أنه ولد بعد وفاة أبي بكر النقاش بحوالي قرنين، فكيف يتفق له أنه حضر وفاة النقاش وهو يجود بنفسه عام ٣٥١هـ؟ فهذا خطأ واضح. (المحقق). والمرجح أن القطان الذي حضر وفاة النقاش إما أحمد بن محمد بن أحمد القطان المتوفى عام ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م. أو عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد القطان الجرجاني المتوفى عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م. راجع: الاعلام ١/ ٢٠٩، ٤/ ١٠٣.

(٧) الصافات/ ٦١.

(٨) تقدمت ترجمته.

(٩) نفطويه: هو ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي العتكي، أبو عبدالله. ولد عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م. وتوفي ببغداد عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م. من أئمة اللغة والنحو، فقيه ظاهري، ثقة في الحديث، له مناظرات وكتب عديدة. انظر عنه: الاعلام ١/ ٦١، وفيات الأعيان ١/ ١١، لسان الميزان ١/ ١٠٩، انباه الرواة ١/ ١٧٦، تاريخ بغداد ٦/ ١٥٩.

وثلاثين وثلاث مائة. وسبب وفاته أنَّه جلس على درج المقياس على شاطىء النيل وهو في أيام زيادته وهو يقطّع بالعروض شيئًا من الشعر، فقال بعض العوام، هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار، فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر. والنحاس نسبة إلى من يعمل الأواني الصُفرية.

وأما مكي بن أبي طالب جميوش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي النحوي المقرىء، صاحب الإعراب. ولد في شعبان سنة خمس وخمسين وثلاث مائة، وأصله من القيروان وسكن قرطبة. وسمع بمكة ومصر من أبي الطيّب عبدالمنعم بن غلبون[١] وقرأ عليه القرآن، وكان من أهل التبحّر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيّد الدين والعقل، كثير التأليف، مجوّدًا للقرآن. أقرأ بجامع قرطبة وخطب به وانتفع به جمع، وعظم اسمه واشتهر بالصلاح وإجابة الدعوة. وكان رجل يتسلّط عليه إذا خطب، يُحصي سقطاته، وكان مكّي يتوقّف كثيرًا في الخطبة، فقال: اللهم اكفنيه، اللهم اكفنيه. فأقعد الرجل وما دخل الجامع بعد.

صنّف: إعراب القرآن، والموجز في القراآت. مات في المحرّم سنة سبع وثلاثين وأربع مائة.

وأما أبو العباس المهدوي، فهو أحمد بن عمار بن أبي العباس، الإمام أبو العباس المهدوي، نسبة إلى المهدية[٢] بالمغرب، أستاذ مشهور، رحل وقرأ على محمد بن سليمان[٣] وعلى جده لأمه مهدي بن ابراهيم[٤] وأبي الحسن احمد بن محمد القنطري[٥] بمكة. وذكر الحافظ أبو عبدالله الذهبي أنه قرأ على أبي بكر أحمد بن محمد البراني[٦]. وألّف التواليف، منها: التفسير المشهور، والهداية في القراآت السبع، وهو الذي ذكره الشاطبي[٧] في باب الاستعاذة. وقرأ عليه جماعة. قال الذهبي: توفي بعد الثلاثين وأربع مائة[٨].

هذا الذي ذكرته طريقة السلف في إيراد التفسير على النقل كابرًا عن كابر مع الأسانيد الصحيحة والطرق المتقنة.

ثم ألّف في التفسير طائفة من المتأخرين فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فدخل من ها هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن خطر بباله

---

(١) أبو الطيّب عبدالمنعم ابن غلبون: هو عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك، أبو الطيب. ولد بحلب عام ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م. وتوفي بمصر عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م. أديب، عالم بالقرآن ومعانيه، شاعر. له عدة كتب.
الاعلام ٤/ ١٦٧، النشر ١/ ٧٨، طبقات القراء ١/ ٤٧٠، شذرات الذهب ٣/ ١٣١.

(٢) بلدة على المتوسط في تونس، مركز معتمدية بولاية سوسة بناها عبدالله المهدي الفاطمي وجعلها مقراً له. واليها لجأ الزيريون هرباً من الهلاليين. احتلها النورمان عام ١١٤٨م. وصارت مركزاً للقرصنة. ثم استولى عليها الاسبان عام ١٥٣٩م. ثم استعادها المسلمون. فيها آثار وصناعة وزراعة. انظر: المنجد في الاعلام ٥٥٢.

(٣) محمد بن سليمان: هو محمد بن سليمان بن يوسف، أبو بكر البندار الربعي. توفي عام ٣٧٤هـ/ ٩٨٥م. من العارفين بالحديث. له عدة كتب: انظر عنه: الاعلام ٦/ ١٤٩، العبر ٢/ ٣٦٨.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

(٥) لم يعثر له على ترجمة.

(٦) أبو بكر أحمد بن محمد البراني: هو احمد بن محمد بن خالد، أبو العباس، البغدادي البراتي. توفي عام ٣٠٠هـ. امام، مقرىء، محدث، له رواية واخبار. انظر عنه:
سير اعلام النبلاء ١٤/ ٩٢، تاريخ بغداد ٥/ ٣-٤، طبقات القراء ١/ ١٣١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٨١.

(٧) الشاطبي: هو محمد بن سليمان بن محمد المعافري، ابو عبدالله الشاطبي. ويقال له ابن ابي الربيع، ولد عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م. وتوفي عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م. عالم بالقرآءات، له عدة تصانيف انظر عنه: الاعلام ٦/ ١٥٠، نفح الطيب ١/ ٣٩٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٣، الوافي بالوفيات ٣/ ١٢٨.

(٨) انظر ترجمته في: الاعلام ١/ ١٨٤، هدية العارفين ١/ ٧٥، كشف الظنون ١/ ٤٦٢.

شيء يعتمده. ثم ينقل ذلك خلف عن سلف ظانًا أنّ له أصلًا، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن هم القدوة في هذا الباب.

قال السيوطي: رأيت في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾(١) نحو عشرة أقوال، مع أنّ الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم ليس غير اليهود والنصارى، حتى قال إبن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافًا من المفسرين.

ثم صنّف بعد ذلك قوم برعوا في شيء من العلوم، وملأ كتابه بما غلب على طبعه من الفن، واقتصر فيه على ما تمهر هو فيه، كأنّ القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير مع أنّ فيه تبيان كل شيء.

فالنحوي تراه ليس له هم إلّا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، وإن كانت بعيدة، وينقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط(٢)، وأبو حيان في البحر والنهر(٣)، وقد عرفت ترجمة هؤلاء.

والإخباري ليس له شغل إلّا القصص واستيفاؤها، والإخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة، ومنهم الثعلبي وقد مرّ.

والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه جميعًا، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع الفقهية التي لا تعلّق لها بالآية أصلًا، والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي(٤)، وهو محمد بن عمر بن يوسف، أبو عبدالله الأنصاري القرطبي المالكي، إمام عالم فقيه مفسّر نحوي مقرىء زاهد. ولد بعد الخمسين وخمس مائة. قرأ القصيدتين اللامية والرائية على الإمام الشاطبي، وقرأ على جماعة من الفضلاء، وجلس للإقراء بالفاضلية بعد موت الشاطبي. وقرأ عليه جماعة كثيرة، ثم حجّ وجاور مرات بالمدينة، وتزهّد. وكان له قبول تام بين الخاص والعام، وفيه مرؤة وافرة وقضاء لحقوق الإخوان. توفي بالمدينة في مستهلّ صفر سنة إحدى وثلاثين وست مائة. وصاحب العلوم العقلية خصوصًا الإمام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها، وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية. قال أبو حيان في البحر: جمع الامام فخر الدين الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة لها في علم التفسير. ولذلك قال بعض العلماء: فيه كلّ شيء إلّا التفسير.

والمبتدع ليس له قصد إلّا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث إنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعًا له فيه أدنى مجال سارع إليه، كما نقل عن البلقيني(٥) أنه قال: استخرجت من الكشاف اعتزالًا بالمناقيش، منها: أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(٦) وأي فوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عدم

---

(١) الفاتحة/ ٧.

(٢) البسيط في التفسير للإمام ابي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (-٤٦٨هـ). كشف الظنون ١/ ٢٤٥.

(٣) البحر المحيط في التفسير للشيخ أثير الدين ابي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (-٧٤٥هـ). كشف الظنون ١/ ٢٢٦.

(٤) القرطبي: هو محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الاندلسي، ابو عبدالله القرطبي. توفي بمصر عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م. من كبار المفسرين، فقيه، متعبد صالح. له عدة مؤلفات هامة. الاعلام ٥/ ٣٢٢، نفح الطيب ١/ ٤٢٨، الديباج ٣١٧.

(٥) البلقيني: هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني، ثم البلقيني المصري، ابو حفص، سراج الدين. ولد عام ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م. وتوفي عام ٨٠٥هـ/١٤٠٣م. مجتهد، حافظ للحديث، عالم كبير، له مصنفات هامة. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٤٦، الضوء اللامع ٦/ ٨٥، شذرات الذهب ٧/ ٥١، حسن المحاضرة ١/ ١٨٣.

(٦) آل عمران/ ١٨٥.

الرؤية.

والملحد فلا تسأل عن كفره وإلحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقله، كقول بعضهم في: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾[١] ما على العباد أضرّ من ربهم. وينسب هذا القول إلى أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي[٢] الواعظ صاحب كتاب قوت القلوب، إلّا أنّ شأن هذا الرجل أعظم من أن يتكلم بأمثال هذا الكلام. ولعل في النقل خللًا، أو صدر أثناء غلبة السُّكر، وأمثال هذا عند السّكر معفوّ عنه. وقول الغير في شجرة موسى ما قال. وقول الرافضة في ﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[٣] ما قالوا، وأمثال هؤلاء هم المراد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ في أمتي قومًا يقرؤن القرآن ينثرونه نثر الدقل، يتأولونه على غير تأويل»[٤]. ومن ذلك القبيل الذين يتكلمون في القرآن بلا سند يعتمد عليه، ولا نقل عن السلف، ولا رعاية الأصول الشرعية والقواعد الدينية، كالتفسير الذي ألّفه محمود بن حمزة الكرماني[٥] في مجلدين سمّاه: العجائب والغرائب، ضمنه أقوالًا هي عجائب عند العوام وغرائب عما عهد عن السلف، بل هي أقوال منكرة لا يحلّ الاعتماد عليها ولا ذكرها إلّا للتحذير منها. من ذلك قول من قال في: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾[٦]. إنّ الحاء حرب علي ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدرة مهدي، حكاه أبو مسلم. قال: أردت بذلك أن تعلم أنّ فيمن يدعي العلم حمقى. ومن ذلك قول الروافض في تأويل قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾[٧] إنهما علي وفاطمة، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾[٨] يعنى الحسن والحسين. ومن ذلك قول من قال في آلم، معنى ألف: ألِفَ الله محمدًا فبعثه نبيًا. ومعنى لام: لامه الجاحدون وأنكروه. ومعنى ميم: ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو البرسام. ومن ذلك قول من قال في: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[٩] إنه قصص القرآن، واستدل بقراءة أبي الجوزاء[١٠]: (ولكم في القَصَص) وهو بعيد مخالف للقراءة المشهورة. ومن ذلك ما ذكره

---

(١) الأعراف/ ١٥٥.

(٢) أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي: هو محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب. توفي عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م. واعظ، زاهد، فقيه. له عدة مصنفات. الاعلام ٦/ ٢٧٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٩١، ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٧، تاريخ بغداد ٣/ ٨٩، لسان الميزان ٥/ ٣٠٠.

(٣) البقرة/ ٦٧.

(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب الفتن، باب الخوارج، ح ٣١٢٢٨، بمعناه دون تمام لفظه؛ بلفظ: «سيكون من أمتي ناس يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ينثرونه كما ينثر الدقل....» دون لفظ «يتأولونه....»

(٥) محمود بن حمزة الكرماني: هو محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم، برهان الدين الكرماني. توفي عام م٥٠٥هـ/ ١١١٠م. تاج القراء، عالم، مفسر، له عدة مصنفات. انظر: الاعلام ٧/١٦٨، غاية النهاية ٢/ ٢٩١، ارشاد الاريب ٧/ ١٤٦، هدية العارفين ٢/ ٤٠٢.

(٦) الشورى/ ١.

(٧) الرحمن/ ١٩.

(٨) الرحمن/ ٢٢.

(٩) البقرة/ ١٧٩.

(١٠) أبو الجوزاء: هو أوس بن عبدالله الربعي أبو الجوزاء قتل في الجماجم. كان يواصل العبادة كثيراً. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٤٩، الجمع ١/ ٤٦، التقريب ١/ ٨٦، التهذيب ١/ ٣٨٣.

ابن فورك[١] في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[٢]. أنّ إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه، أي يسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عيانًا. قال الكرماني: وهذا بعيد جدًا. ومن ذلك قول من قال في: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[٣] إنه الحبّ والعشق، وقد حكاه الكواشي[٤] في تفسيره. ومن ذلك قول من قال في: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾[٥] إنّه الذكر إذا قام. ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي[٦] في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[٧] يعني إبراهيم، نارًا أي نورًا وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٨] أي تقتبسون الدين. ومن ذلك قول من قال في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾[٩] معناه من ذلّ، أي من الذّل، وذي إشارة إلى النفس، ويشف من الشفاء جواب من و(ع) أمر من الوعي. وسئل شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني عن رجل فسّر بهذا قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ﴾ فأفتى بأنه ملحد. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾[١٠]. قال ابن عباس: هو أن يوضع الكلام على غير موضعه.

وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير. قال ابن الصلاح[١١] في فتاواه[١٢]: وجدت عن الامام أبي الحسن الواحدي المفسّر أنه قال: صنف أبو عبدالرحمن السُّلمي[١٣] حقائق التفسير[١٤]، فإنْ كان قد اعتقد أنّ ذلك تفسير فقد كفر. قال ابن الصلاح: وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئًا من ذلك أنّه لم يذكره تفسيرًا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة، فإنّه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير ما ورد به القرآن، فإنّ النظير يدرك بالنظير، ومع ذلك

---

(١) ابن فورك: هو محمد بن الحسن بن فورك الانصاري الأصبهاني، أبو بكر. توفي بالقرب من نيسابور عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م. واعظ، عالم بالأصول والكلام، فقيه شافعي. له كتب كثيرة ومتنوعة. الاعلام ٦/ ٨٣، طبقات السبكي ٣/ ٥٢، تبيين كذب المفتري ٢٣٢، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٠، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٢، اللباب ٢/ ٢٢٦، معجم المفسرين ٢/ ٥١٤.

(٢) البقرة/ ٢٦٠.

(٣) البقرة/ ٢٨٦.

(٤) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ١٨، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٨، شذرات الذهب ٥/ ٣٦٥، بغية الوعاة ١٧٥، روضات الجنات ٨٣.

(٥) الفلق/ ٣.

(٦) أبو معاذ النحوي: هو أبو معاذ النحوي. من أهل مرو، روى عن ابن المبارك. انظر عنه: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٧٩.

(٧) يس/ ٨٠.

(٨) يس/ ٨٠.

(٩) البقرة/ ٢٥٥.

(١٠) فصلت/ ٤٠.

(١١) ابن الصلاح: هو عثمان بن عبدالرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرفاني، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، ولد قرب شهرزور عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. وتوفي بدمشق عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. عالم بالتفسير والحديث والفقه واسماء الرجال. له عدة مؤلفات هامة. الاعلام ٤/ ٢٠٧، وفيات الأعيان ١/ ٣١٢، طبقات الشافعية ٥/ ١٣٧، شذرات الذهب ٥/ ٢٢١.

(١٢) فتاوى ابن الصلاح ابي عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري الشافعي (-٦٤٣هـ). كشف الظنون ٢/ ١٢١٩.

(١٣) أبو عبدالرحمن السُّلمي: هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الازدي السلمي النيسابوري، أبو عبدالرحمن، ولد عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م. وتوفي عام ٤١٢هـ/ ١٠٢١م. من علماء الصوفية، مفسر، له الكثير من المصنفات، انظر عنه: الاعلام ٦/ ٩٩، الرسالة المستطرفة ٤١، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦، تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، اللباب ١/ ٥٥٤.

(١٤) الحقائق في التفسير للشيخ ابي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (-٤١٢هـ). كشف الظنون ١/ ٦٧٣.

فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والإلباس.

وقال النسفي[١] في عقائده[٢]: النصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معانٍ يدّعيها أهل الباطن إلحاد.

وقال التفتازاني في شرح العقائد النسفية[٣]: سُميّت الملاحدة باطنية لادعائهم أنّ النصوص ليست على ظواهرها بل لها معانٍ باطنة لا يعرفها إلّا المعلّم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية. وقال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أنّ النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان.

قال الإمام الغزالي في بعض رسائله: إن للقرآن ظهرًا وبطنًا، ولكلٍ حدّ ومطلّع. فمن اقتصر منه على ظواهره فهؤلاء حشوية[٤]، ومن اقتصر منه على الباطن فهؤلاء باطنية، وكلّ من الطائفتين نظر العالم بالعين العوراء ولم يعرفوا أنّ لكل ظاهر باطنًا ولكل عالم جسماني عالمًا مثاليًا، والانسان مركّب منهما، فإنه ببدنه الكثيف من العالم الجسماني وبروحه اللطيف من العالم الروحاني. ولما نزل القرآن لتكميل الإنسان في النشأتين لم يخل شيئًا منهما عن البيان، فالاقتصار على أحدهما نقصان، وإنما الكمال حمل الكلام عليهما معًا مهما أمكن، وإلّا فلا ينبغي أن يختل أحد الجانبين لتصحيح الطرف الآخر. هذا حاصل كلام الغزالي مع توضيح له من قبلنا، ثم ضرب لذلك مثالًا وهو قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[٥] فإنّ المراد بالنعلين في عالم الأجسام ما هو المعروف، وفي عالم الأرواح الدنيا والآخرة، وبين العالمين موازنة ومناسبة لا يطلع عليها إلّا الأنبياء وخواصّ الأولياء، فحينئذٍ كما أراد الله تعالى خلع النعلين من موسى عليه السلام بحسب الظاهر كذلك أراد منه ترك الدنيا والآخرة في الباطن من غير إخلال إرادة أحدهما بالآخر. قال ابن سبع[٦] في شفاء الصدور[٧]: ورد عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهًا. وقال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثوّر[٨] القرآن. قال: وهذا الذي قالاه لا يحصل بمجرّد تفسير الظاهر. وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم، فهذا يدلّ على

---

(١) النسفي: هو عمر بن محمد بن أحمد بن اسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي، ولد عام ٤٦١هـ/١٠٦٨م. وتوفي عام ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م. عالم بالتفسير والأدب والتاريخ والعقيدة. من فقهاء الحنفية له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٦٠، الفوائد البهية ١٤٩، الجواهر المضية ١/ ٣٩٤، لسان الميزان ٤/ ٣٢٧، ارشاد الأريب ٦/ ٥٣.

(٢) عقائد النسفي للشيخ نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد (-٥٣٧هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٤٥.

(٣) شرح للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، (-٧٩١هـ). على عقائد النسفي للشيخ نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد (-٥٣٧هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٤٥.

(٤) من فرق المسلمين، تمسكوا بظاهر النصوص لا سيما الأحاديث النبوية واجروها على ما تفيده من دلالة لغوية حرفية فوقعوا في التجسيم والتشبيه. وهناك آراء وأقوال اخرى في سبب تسمية هؤلاء بالحشوية. ولهم آراء استقلوا بها وخالفوا جمهور المسلمين. انظر عنها: معجم الفرق الاسلامية ٩٧، موسوعة الفرق والجماعات ١٨٧.

(٥) طه/ ١٢.

(٦) ابن سبع: هو الامام الخطيب سليمان السبتي ابن الربع المعروف بابن سبع مجهول المولد والوفاة. كشف الظنون ٢/ ١٠٥٠.

(٧) شفاء الصدور في. . . لابن السبع الامام الخطيب ابي الربع سليمان السبتي. وللإمام عفيف الدين سعيد بن محمد بن مسعود الكازروني (٧٥٨هـ). كشف الطنون ٢/ ١٠٥٠.

(٨) ثوّر القرآن: بحث عن علمه. (هامش الأصل).

أنّ في فهم معاني القرآن مجالًا رحبًا ومتسعًا بالغًا، لأنّ المنقول من التفسير الظاهر ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسماع، ولا بدّ من النقل والسماع فيه ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط. ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر، بل لا بدّ منه أولًا، إذْ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله(١) في كتاب لطائف المنن(٢): اعلم أنّ تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالةً للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلّت عليه في عرف اللسان. وثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث ممن فتح الله قلبه. وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر وبطن»(٣)، فلا يصدّنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جَدَل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالةً لو قالوا: لا معنى للآية إلّا هذا، وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرّون الظواهر على ظواهرها مرادًا بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمهم. قال القاضي البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾(٤) الآية، ولعله سبحانه وتعالى أراد من الآية الأخيرة، يعني الآية المذكورة مع ما دلّ عليه الظاهر وسيق الكلام لأجله الإشارة إلى تفصيل خلق الانسان، وما أفاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل. فمثّل البدن بالأرض والنفس بالسماء. وما أفاض عليه من الفضائل العلمية والنظرية المحصّلة بواسطة استعمال العقل والحواس، وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولّدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والأرضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار. فإنّ لكل آية ظهرًا وبطنًا، ولكل حدّ مطلع، إنتهى كلامه.

أقول وبالله التوفيق: الإيمان بالقرآن هو التصديق بأنه كلام الله تعالى قد أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرائيل عليه السلام، وأنّه دالٌّ على صفة أزلية له تعالى، وإنْ ما دلَّ هو عليه بطريق القواعد العربية مما هو مراد الله تعالى حقّ لا ريب فيه. ثم تلك الدلالة على مراده تعالى بواسطة القوانين الأدبية الموافقة للقواعد الشرعية والأحاديث النبوية مراد البتة. ومن جملة ما علم من الشرائع النبوية أنّ مراد الله تعالى من القرآن لا ينحصر في هذا القدر لما قد ثبت في الأحاديث أنّ لكل آية ظهرًا وبطنًا، وذلك المراد الآخر لمّا لم يطلع عليه كل أحد بل من أعطي فهمًا وعلمًا من لدنه تعالى يكون الضابط في صحته أنْ لا يرفع ظاهر المعاني المتفهمة عن الألفاظ بالقوانين العربية، وأنْ لا يخالف القواعد الشرعية، ولا يباين إعجاز القرآن، ولا يناقض النصوص الواقعة فيها، فإنْ وجد فيه هذه الشرائط فلا يطعن فيه وإلّا فهو بمعزل عن القبول.

---

(١) الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: هو أحمد بن محمد بن عبدالكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الإسكندري. توفي عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. متصوف، شاذلي، من العلماء. له تصانيف جيدة. الاعلام ١/ ٢٢١، الدرر الكامنة ١/ ٢٧٣، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٢٤٠.

(٢) لطائف المنى في مناقب الشيخ ابي العباس وشيخه ابي الحسن في مجلد للشيخ تاج الدين ابن عطاء الله احمد بن محمد الشاذلي الاسكندري (-٧٠٩هـ). كشف الظنون ٢/ ١٥٥٤.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره، ٤/ ٥٢٧، بلفظ: «ظهر وبطن لكل آية».

(٤) البقرة/ ٢٢.

قال الزمخشري: من حقّ مفسّر كتاب الله الباهر وكلامه المعز أنّ يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح. وأما الذين تأيّدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة في هذه المسالك، ولا يمنعون أصلًا عن التوغل في ذلك. جعلنا الله وإياكم من أهل المشاهدة والعرفان، وشرّفنا وإياكم بكرامة الإخلاص والإتقان، إنّه الكريم المنّان، وهو الموفق والمستعان.

قال العلماء: يجب على المفسّر أنْ يتحرّى في التفسير مطابقة المفسر، وأنْ يتحرّز في ذلك من نقص عما يحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسّر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه. وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام، وأن يوافي بين المفردات. ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، فيتكلم عليها أولًا من جهة المفردات فيحقّق اللغات أولًا، ثم التصريف ثم الاشتقاق، ثم يتكلّم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب ثم بما يتعلّق بالمعاني ثم البيان ثم البديع، ثم تبيين المعنى المراد، ثم إيراد القصص والأخبار قدر ما يعلم به سبب النزول؛ ويعتمد في ذلك على الأحاديث والآثار دون قصص القصّاص والأخبار. ثم يتكلم عليها من جهة المعنى فيبدأ أولًا باستنباط الأحكام الشرعية، ثم بيان الحقائق، ثم بيان الإشارات.

وينبغي أن يتحرّز المفسّر عن إطلاق لفظ الحكاية على الله تعالى بأنْ يقول: حكى الله وأمثاله، لأن الحكاية الإتيان بمثل الشيء وليس لكلامه تعالى مثل، اللّهم إلّا أنْ يريد معنى الإخبار، وينبغي أيضًا أنْ يتحرّز عن إطلاق الزائد على بعض الحروف بناءً على أنّ الزائد لا معنى له، وكتاب الله منزّه عن ذلك. ولذلك يبدلون لفظ الزائد بالتأكيد والصلة والمقحم، وجوّزه الأكثرون نظرًا إلى أنه نزل بلسان قوم ومتعارفهم إطلاق الزائد.

قلت: والحقّ أنّ إطلاق الزائد بمعنى ما لا معنى له غير جائز أصلًا. وأما بالمعنى الآخر وإنْ جاز لكن لإيهامه المعنى المذكور يكون إطلاقه سوء أدب يجب التحرّز عنه في تفسير كلامه تعالى. فالأحوط تركه إلى ما يصحّ إطلاقه.

وينبغي أن يتحرز أيضًا عن إطلاق لفظ التكرار في مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾(١) وقوله تعالى: ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾(٢) وأشباه ذلك، إذْ التكرار بحسب اللفظ وإنْ وقع لكن التكرار بحسب المعنى غير واقع، لأن في مجموع المترادفين معنى لا يحصل عند الانفراد. ففي إطلاق التكرار إيهام ادعاء التكرار المعنوي، فالأحوط تركه أيضًا. وعليه أن يتتبع مجاري الاستعمالات في الألفاظ التي يظنّ بها الترادف ما أمكن لثبوت المجاز ووجود معنى للتركيب غير معنى الإفراد.

ثم اعلم أنّ العلماء كما بيّنوا في التفسير شرائط بيّنوا في المفسّر أيضًا شرائط لا يحلّ التعاطي لمن عري عنها أو هو فيها راجل، وهي أن يعرف خمسة عشر علمًا على وجه الاتقان والكمال.

أحدها: اللغة إذْ بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها الوضعية. قال مجاهد: لا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يتكلم في كتاب الله تعالى إذا لم يكن عالمًا بلغات القرآن. ونقل أيضًا ذلك عن الإمام مالك، ولا

(١) المدثر/ ٢٨.
(٢) البقرة/ ١٥٧.

يكتفي بمعرفة اليسير منها إذْ لا يأمن أن يكون اللفظ مشتركًا وهو ذاهل عن أحد المعنيين أو المعاني والمراد المعنى الآخر.

الثاني: النحو إذْ يختلف المعاني ويتبدّل باختلاف الإعراب، كما روي عن الحسن أنه قال: تعلّم العربية فإنّ الرجل يقرأ الآية فيعتني بوجهها فيهلك فيها.

الثالث: التصريف إذْ به معرفة الأبنية والصيغ، كما نقل عن ابن فارس[1] أنه قال: كم من كلمة يجهل معناها فيتضح بمصادرها. وقال الزمخشري: من بدع التفاسير قول مَنْ قال إنّ الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[2] جمع أم، وأنّ الناس يدعون يوم القيامة بأمّهاتهم دون آبائهم، قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف. فإنّ أمّا لا يجمع على إمام.

الرابع: الاشتقاق لأنّ الكلمة يختلف معناها باشتقاقها من مادتين مختلفتين، كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح.

الخامس: والسادس والسابع المعاني والبيان والبديع، إذْ بالأول يعرف خواص التراكيب من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب الزيادة في الوضوح والنقصان فيه، وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة. الأوّلان ذاتيًا والثالث عرضيًا، وهي من أعظم أركان المفسّر لأنّه لا بدّ له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم، إلّا أنّ ملاك الأمر فيه إمّا السليقة كالأعراب الخُلّص ومن يحذو حذوهم، أو الذوق الذي هو آلة في اكتساب البلاغة ولا يمكن تحصيلها بدونه. قال السَّكاكي في حق المعاني والبيان: فالويل كلّ الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل.

الثامن: علم القراآت إذْ به يعرف كيفية النطق بالقرآن ويرجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين لأنّ في القرآن آيات لا يجوز ظاهرها في حق الله تعالى، فالأصولي يؤوّل ذلك ويحمله على ما يجوز في حقه تعالى، فمعرفة ما يستحيل في حقه تعالى وما يجب وما يجوز لا يمكن إلّا به.

العاشر: أصول الفقه إذْ به يعرف وجوه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص إذْ سبب النزول يعرف به معنى الآية بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة بحديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[3].

واعلم أنّ هذه العلوم هي العلوم التي لا مندوحة للمفسِّر عنها، وإلّا فعلم التفسير لا بدّ له من التبحّر في كل العلوم. وأما العلوم المستنبطة من القرآن فبحر لا ساحل له، وستعرف نبذًا منها إنْ شاء الله تعالى. وإنْ أخطرت بالبال أنّ العلوم

---

(١) ابن فارس: هو احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين. ولد بقزوين عام ٣٢٩هـ/ ٩٤١م. وتوفي بالري عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م. من أئمة اللغة والأدب. له عدة تصانيف هامة.

الاعلام ١/ ١٩٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٥، يتيمة الدهر ٣/ ٢١٤، آداب اللغة ٢/ ٣٠٩، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٤٧.

(٢) الإسراء/ ٧١.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ١/ ٣٧٢.

الوهبية ليست في قدرة البشر بل ذلك أمر حاصل بفضله سبحانه من غير كسب من العباد، فنقول: معنى العلوم الوهبية أنْ يحصل في الانسان حالة كشفية تنكشف معها العلوم والمعارف بلا تعمّل واكتساب، بل بمحض لطف الملك الوهاب. لكن تحصيل تلك الحالة داخلة تحت القدرة وحاصلة بالمباشرة. وستعرف الأسباب الموصلة إليها، وإجمالها: أنْ لا يكون في القلب بدعة وكبر وهوى وحبّ الدنيا والإصرار على الذنب، وأن لا يتحقق بالايمان أو يتحقق به على ضعف، وأن لا يعتمد في باب التفسير على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى عقله القاصر. وهذه الأمور كلّها حجب عن حصول الكشف وموانع عنه، بعضها آكد من بعض.

ثم اعلم أنّ التفسير الذي هو علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: علم لم يطلع الله عليه أحدًا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه: من معرفة كنه ذاته، ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته، وتفاصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلّا هو. وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجهٍ من الوجوه إجماعًا.

والثاني: ما اطلع الله عليه نبيّه من أسرار الكتاب واختصه به، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلّا له صلى الله عليه وآله وسلم، أو لمن أذن له من وارثي علمه وحاله. قيل: وأوائل السّور من هذا القسم، وقيل من القسم الأول.

الثالث: علوم علّمها الله نبيّه مما أودع كتابه من المعاني الجلية والخفية أمره بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين:

منه ما لا يجوز الكلام فيه إلّا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراآت واللغات، وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد.

ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، وهو قسمان:

قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات.

وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية لأنّ مبناها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات، لا يمتنع استنباطها منه، واستخراجها لمن له أهلية ذلك.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ ما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي الذي نُهي عنه وفيه خمسة أنواع:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلّا الله.

الثالث: التفسير المقرّر للمذهب الفاسد بأنّ يجعل المذهب أصلًا والتفسير تابعًا له، فيرد إليه بأي طريق أمكن وإنْ كان ضعيفًا.

الرابع: التفسير بأنّ مراد الله كذا، على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.

إذا عرفت هذه الفوائد التي يرتاح إليها كل رائد، فاعلم أنّ الكتب المصنّفة في التفسير ثلاثة أنواع: وجيز ووسيط وبسيط.

فمن الكتب الوجيزة فيه: زاد المسير لابن الجوزي وقد عرفت ترجمته عند ذكر التواريخ. والوجيز للواحدي وقد عرفته أيضًا عن قريب. وتفسير الواضح للإمام الرازي وستعرفه عن قريب. وتفسير الجلالين إذْ عمل نصفه الثاني جلال الدين المحلّي وكمله جلال الدين السيوطي. والنهر لأبي حيّان وقد عرفته.

ومن الكتب المتوسطة فيه: الوسيط للواحدي، وتفسير الماتريدي وهو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي إمام

الهدى، له: كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ أوائل الأدلة، للكعبي[(١)]، وكتاب بيان وهم المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن، مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة، وتخرّج بأبي نصر العياضي[(٢)]. وله كتاب ردّ تهذيب الجدل للكعبي، وردّ كتاب وعيد العشاق للكعبي، وردّ الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي[(٣)]، وكتاب ردّ الإمامة لبعض الروافض، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الردّ على فروع القرامطة، وكتاب مأخذ الشرائع في أصول الفقه، وكتاب الجدل في أصول الفقه وغير ذلك.

ومن التفاسير المتوسطة: تفسير التيسير لنجم الدين أبي حفص عمر النسفي وقد عرفته في علم اللغة.

وتفسير الكشاف للزمخشري، وهو أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري الخوارزمي، الإمام العلامة المشهور بفخر خوارزم، إمام الدنيا في علم الإعراب واللغة والمعاني والبيان والزهد، وحسن السيرة في السّر والإعلان. كان واسع العلم كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفننًا في كل علم، معتزليًا قويًا في مذهبه، مفتخرًا به. وكان يقول للخادم: إذا أتى باب أحد للزيارة قل: أبو القاسم المعتزلي بالباب. وكان حنفيًا. ولد في رجب سنة سبع وستين وأربع مائة بزمخشر، وهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، وورد بغداد غير مرة، وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري[(٤)] وأبي نصر الأصبهاني، وسمع من أبي سعد الشفتاني وشيخ الإسلام أبي منصور الجواليقي الحارثي[(٥)] وجماعة. وجاور بمكة، وتلقّب بجار الله وفخر خوارزم أيضًا. وكتب إليه الحافظ السّلفي ليستجيزه، وله من التصانيف: الكشاف عن حقائق التنزيل الناطق عن دقائق التأويل في التفسير، ولم يصنّف قبله مثله، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، وربيع الأبرار في المحاضرات، والمفصّل في النحو، والمقامات والمستقصى في الأمثال، وأطواق الذهب وصميم العربية وشرح أبيات الكتاب والأنموذج في النحو، والرايض في الفرائض، وشرح بعض مشكلات المفصل والكلم النوابغ، والقسطاس في العروض والأحاجي النحوية، ومقدمة الأدب، ومتشابه الأسماء في علم الحديث، وكتاب فصوص الأخبار والزيادات على الفصوص، والمختصر

---

(١) الكعبي: هو عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي، من بني كعب، البلخي الخراساني، أبو القاسم، ولد في بلخ عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م. وفيها مات عام ٣١٩هـ/ ٩٣١م. أحد أئمة الاعتزال، وشيخ الفرقة الكعبية. له عدة مؤلفات. الاعلام ٤/ ٦٥، معجم المفسرين ١/ ٣٠٣، تاريخ بغداد ٩/ ٣٨٤، خطط المقريزي ٢/ ٣٤٨، وفيات الاعيان ١/ ٢٥٢، اللباب ٣/ ٤٤، هدية العارفين ١/ ٤٤٤، طبقات المعتزلة ٨٨.

(٢) أبو نصر العياضي: هو احمد بن العباس بن الحسين بن سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي، فقيه سمرقند، مات قتلاً. انظر عنه: الجواهر المضية ١/ ٢٧٠، ٢/ ٥٥.

(٣) أبو محمد الباهلي: هو عبدالواحد بن محمد الغافقي الباهلي الأندلسي المالكي. أبو محمد. توفي عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م. مقرىء، له عدة مؤلفات. انظر عنه: معجم المؤلفين ٦/ ٢١٢، هدية العارفين ١/ ٦٣٥.

(٤) النيسابوري: هو الحسن بن المظفر أبو علي النيسابوري الضرير اللغوي. توفي عام ٤٤٢هـ/ لغوي، عالم، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: هدية العارفين ١/ ٢٧٥.

(٥) أبو منصور الجواليقي الحارثي: هو موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو المنصور ابن الجواليقي، ولد عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م. وتوفي عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. عالم بالأدب واللغة. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٣٣٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٤٢، بغية الوعاة ٤٠١، آداب اللغة ٣/ ٤٠.

من موافقة الصحابة، وكتاب أسماء الأودية الجبال، وكتاب المفرد والمؤلف في النحو. ورسائله كثيرة، منها: النصائح الصغار والنصائح الكبار وتسلية الضرير وغير ذلك. وكان أعرج، والتحقيق أن إحدى رجليه كانت مقطوعة، وفي سبب قطعها اختلافات. منها: أنه سقط من السطح حين كان صغيرًا فانكسرت رجله وانتنت فقطعوها. ومنها أنّه سافر ببلاد خوارزم وقد أصابه ثلج كثير وبرد شديد فسقطت منه رجله وكان يمشي في جاون خشب. ومنها أنه أصابه ضماج في رجله فقطعها وصنع عوضها رجلًا من خشب. ومنها أنّه سقط عن دابة فانكسر رجله وأفضى إلى أمر أوجب قطعها.

وحكي أنّه قال: أمسكت عصفورًا في صباي وربطته بخيط في رجله، وأفلت من يدي، فدخل في خرق جدار فجذبته فانقطعت رجله. فقالت والدتي: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فأدركني دعاء الوالدة، وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال فيظنّ من يراه أنّه أعرج. يقال: إنّه اتخذ محضرًا فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على ذلك خوفًا من أن يظنّ أنها قطعت لريبة فيه. قيل: كان أبوه إمامًا بقرية زمخشر، وقال: أعلّمه الخياطة لأنه صار زَمِنًا مبتلى. فقال لأبيه: إحملني إلى البلد واتركني بها، فحمله إلى البلد ورزقه الله حظًا حسنًا، فكفاه الله رزقه. ودخل على الشيخ أبي علي الضرير[1] الأديب فأخذ منه علمه، ثم جاء الشيخ أبو مضر الخوارزمي النحوي[2] فأخذ عنه علم الإعراب، وهو الذي قال له الزمخشري مرثية عند وفاته، منها هذان البيتان:

وقـائـلـةٍ مـا هـذه الـدّرر الـتـي
تـساقـطـها عـيناك سـمـطـين سـمـطـين

فـقـلـت: هـي الـدر الـتي قـد حـشـا بـهـا
أبـو مـضـر أذنـي تـسـاقـط مـن عـيـنـي

ثم ترّقت به همته العالية في العلوم العربية إلى أنْ بلغ درجة ما رأى مثل نفسه. ثم وفقه الله تعالى أن صار الإمام ركن الدين محمود الأصولي والإمام أبو منصور من تلامذته في علم التفسير، فكانا يقرأان عليه وهو يأخذ منهما علم الأصول، ويأخذ علم الفقه من الشيخ السديد الخياطي ختن عين الأئمة، فجمع الله له مناقب العلوم كلها. وكان في الحادي والأربعين من عمره ينادم الوزراء والملوك ويمدحهم ويتنعم في الدنيا إلى أن أراه الله تعالى رؤيا فكانت سبب انقطاعه منهم وإقباله على أمر دينه، وأورد هذه الرؤيا في أول كتابه الموسوم بالنصائح الكبار، وهي خمسون مقامة، أنشأها في معاتبة النفس لما رأى تلك الرؤيا في مرضة ناهكة مرضها في مستهّل شهر الله الأصم رجب من سنة ثنتي عشرة وخمس مائة، وهي الحادية والأربعون من عمره وكانت سبب إنابته وتوبته، وسمّاها: العام المنذرة. وكان من الورع وقيام الليل وتدريس العلم في الرتبة العليا، ووقف بعرفات سبع مرات، وحطّ رحله في البلد الحرام خمس سنين. وتصانيفه بين زمزم والمقام، وله نظم ونثر. وتوفي بقصبة جرجانية خوارزم، ليلة عرفة من سنة ثمانٍ وثلاثين وخمس مائة بعد رجوعه من مكة شرّفها الله تعالى. وله في مدح الكشاف:

---

(١) لم نعثر له على ترجمة.

(٢) الشيخ أبو مضر الخوارزمي النحوي: هو محمود بن جرير الضبي الأصبهاني، أبو مضر. توفي عام ٥٠٨هـ/ ١١١٥م. أول من أدخل مذهب المعتزلة الى خوارزم ونشره فيها. عالم باللغة والنحو والطب، من الفضلاء. من تلاميذه المشهورين الزمخشري، له عدة كتب. الاعلام ٧/ ١٦٧، تاريخ حكماء الاسلام ١٣٩، ارشاد الأريب ٧/ ١٤٥، بغية الوعاة ٣٨٦.

إنّ التفاسير في الدنيا بلا عددٍ
وليس فيها لعمري مثل كشافي
إنْ كنت تبغي الهدى فالزم قراءته
فالجهلُ كالداء والكشافُ كالشافي

ومن لطائف التفاسير، تفسير الطيبي، وحاشية الكشاف للطيبي، وهو أيضًا الحسن بن محمد بن عبدالله الطيبي[١] الأصل، بكسر الطاء، الإمام المشهور، العلامة في المعقول والعربية والمعاني والبيان. قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسّنن، مقبلًا على نشر العلم، متواضعًا، حسن المعتقد، شديد الردّ على الفلاسفة والمبتدعة، مظهرًا فضائحهم مع استيلائهم حينئذ، شديد الحب لله ورسوله، كثير الحياء، ملازمًا لأشغال الطلبة في العلوم الاسلامية بغير طمع بل يجدّ لهم ويعينهم، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم، من يعرف ومن لا يعرف، محبًا لمن عرف منه تعظيم الشريعة. وكان ذا ثروة من الإرث والتجارة فلم يزل ينفقه في وجوه الخيرات حتى صار في آخر عمره فقيرًا. صنّف: شرح الكشاف والتفسير والتبيان في المعاني والبيان وشرحه وشرح المشكوة، وكان يشتغل في التفسير من بكرة النهار إلى الظهر، ومن ثم إلى العصر في الحديث إلى يوم مات، فإنه فرغ من وظيفة التفسير، وتوجّه إلى مجلس الحديث فصلّى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة فقضى نحبه متوجهًا إلى القبلة، وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان، سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة. قال السيوطي: ذكر في شرحه على الكشاف أنه أخذ عن أبي حفص السهروردي[٢]، وأنه قبيل الشروع في هذا الشرح رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم وقد ناوله قدحًا من اللبن فشرب منه رضي الله عنه.

ومن التفاسير المتوسطة: تفسير البغوي، وهو أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي[٣]، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب المصابيح، وشرح السنة، وكتاب التهذيب في الفقه، ومعالم التنزيل في التفسير، وغير ذلك من التصانيف الحسان. كان إمامًا في الفقه والحديث، وكان متورعًا ثبتًا حجة صحيح العقيدة في الدين. مات بعد المائة الخامسة، في سنة ستّ عشرة وخمس مائة. ورأيت في بعض المجاميع أنّه لقّب بمحي السُّنة، وسبب ذلك أنه لما صنّف شرح السُّنة رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له: أحييت سنتي بشرح أحاديثي، فلقب من ذاك اليوم بمحي السُّنة. والبغوي بفتح الباء وفتح الغين المعجمة نسبة إلى مدينة بغشور من مدن خراسان، نسبوا إليها على غير قياس، وفي ذلك تغيير وإبدال على خلاف القياس. وقيل بغشور إسم الولاية واسم المدينة بغ.

ومن التفاسير: تفسير الكواشي وهو أحمد ابن يوسف بن حسن بن رافع، الإمام موفق

---

(١) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٦٨، شذرات الذهب ٦/ ١٣٧، البدر الطالع ١/ ٢٢٩، روضات الجنات ٢٢٤.

(٢) أبو حفص السهروردي: هو عمر بن محمد بن عبدالله بن عمويه، أبو حفص، شهاب الدين القرشي التيمي البكري السهروردي. ولد في سهرورد عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م. وتوفي ببغداد عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م. فقيه، شافعي، مفسر، واعظ من كبار الصوفية، لقب بشيخ الشيوخ ببغداد. له الكثير من التصانيف.
الاعلام ٥/ ٦٢، وفيات الاعيان ١/ ٣٨٠، شذرات الذهب ٥/ ١٥٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٨، طبقات الشافعية ٥/ ١٤٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٣، تذكرة الحفاظ ١٤٥٨، طبقات المفسرين ٢/ ١٠، معجم المؤلفين ٧/ ٣١٣، معجم المفسرين ١/ ٤٠٠.

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٢، طبقات الشافعية ٤/ ٢١٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٢٣، شذرات الذهب ٤/ ٤٨، تذكرة الحفاظ ٤/ ٥٢، مرآة الجنان ٣/ ٢١٣، طبقات المفسرين ١٢، البداية ١٢/ ١٩٣.

الدين الكواشي، الموصلي المفسّر الفقيه الشافعي. قال الذهبي: برع في العربية والقراآت والتفسير. وقرأ على والده والسّخاوي[١]، وكان عديم النظير زهدًا وصلاحًا وتبتلًا وصدقًا، يزوره السلطان فمن دونه فلا يعبأ بهم ولا يقوم لهم ولا يقبل لهم شيئًا، وله كشف وكرامات، وأضر قبل موته بعشر سنين. وكانت ولادته سنة تسعين وخمس مائة. وله: التفسير الكبير والصغير، جوّد فيه الإعراب وحرّر أنواع الوقوف، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس. قال السيوطي وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلّي في تفسيره، واعتمدت عليه أيضًا في تكملته مع الوجيز وتفسير البيضاوي وابن كثير. مات الكواشي بالموصل في جمادى الآخرة سنة ثمانين وست مائة.

ومن كتب التفاسير: تفسير القاضي البيضاوي، هو الإمام القاضي ناصر الدين، أبو الخير، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، من قرية يقال لها البيضاء من عمل شيراز. قال الأسنوي[٢] في طبقات الشافعية: كان عالمًا بعلوم كثيرة صالحًا خيّرًا. صنّف التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، منها: مختصر الكشاف ومختصر الوسيط في الفقه المسمّى بالغاية، والمنهاج في أصول الفقه، والطوالع في علم الكلام، وتولى قضاء القضاة بإقليمه. وتوفي سنة إحدى وأربعين وست مائة. وقال الصلاح الصفدي[٣]: مات بتبريز سنة خمس وثمانين. وقال القاضي تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى: كان إمامًا مبرزًا نظارًا صالحًا متعبدًا زاهدًا. صنّف الطوالع والمصباح في أصول الدين، وشرح المصابيح في الحديث، وولى قضاء القضاة بشيراز، ودخل تبريز وناظر بها، وصادف دخوله إليها مجلس درس قد عقد بها عند الوزير لبعض الفضلاء، فجلس في أخريات القوم بحيث لم يعلم به أحد، فذكر المدرس نكتة زعم أنّ أحدًا من الحاضرين لا يقدر على جوابها وطلب من القوم حلّها والجواب عنها، فإنْ لم يقدروا فالحلّ فقط، فإنْ لم يقدروا فإعادتها، فلما انتهى من ذكرها شرع البيضاوي في الجواب، فقال: لا أسمع حتى أعلم أنّك فهمتها، فخيَّره بين إعادتها بلفظها أو معناها فبهت المدرّس. فقال: أعدها بلفظها فأعادها ثم حلّها وبيَّن أنّ في ترتيبه إياها خللًا، ثم أجاب عنها وقابلها في الحال بمثلها، ودعا المدرّس إلى حلّها فتعذّر عليه ذلك، فأقامه الوزير من مجلسه وأدناه إلى جانبه، وسأله من أنت؟ فأخبره أنه البيضاوي وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز فأكرمه وخلع عليه في يومه وردّه وقضى حاجته. وقال الصلاح الصفدي في تاريخه: قال لي الحافظ نجم الدين سعيد الدهلي[٤]: توفي

(١) السّخاوي: هو علي بن محمد بن عبدالصمد الهمذاني المصري السخاوي الشافعي، ابو الحسين. علم الدين. ولد عام ٥٥٨هـ/١١٦٣م. وتوفي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير. له الكثير من التصانيف. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٣٣٢، بغية الوعاة ٣٤٩، غاية النهاية ١/٥٦٨، وفيات الأعيان ١/ ٣٤٥.

(٢) الأسنوي: هو محمد بن الحسن بن علي بن عمر الاسنوي، عماد الدين، ولد عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م. وتوفي عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م. فاضل، من الشافعية. له عدة كتب. الاعلام ٦/ ٨٧، الدرر الكامنة ٣/ ٤٢١، شذرات الذهب ٦/ ٢٠٢.

(٣) الصلاح الصفدي: هو خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي، صلاح الدين. ولد في صفد (فلسطين) عام ٦٩٦هـ/١٢٩٦م. وتوفي بدمشق عام ٧٦٤هـ/١٣٦٣م. أديب، مؤرخ، له تصانيف كثيرة وممتعة انظر عنه: الاعلام ٢/ ٣١٥، الدرر الكامنة ٢/ ٨٧، طبقات الشافعية ٦/ ٩٤، آداب اللغة ٣/ ١٦١، الوافي بالوفيات ١/ ٢٤٩.

(٤) نجم الدين سعيد الدهلي: هو سعيد بن عبدالله الدهلي البغدادي، أبو الخير، نجم الدين. ولد عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، وتوفي عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. محدث، مؤرخ، طوّف في البلاد لجمع الحديث، له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٤/ ٢٢٥، الدرر الكامنة ٢/ ١٣٤.

القاضي ناصر الدين البيضاوي سنة خمس وثمانين وست مائة بتبريز، ودفن بها، وهو صاحب التصانيف المشهورة البديعة، منها المنهاج في الأصول وشرحه أيضًا، وشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول، وشرح الكافية في النحو لابن الحاجب وشرح المنتخب في الأصول للامام فخر الدين، وشرح المطالع في المنطق.

ومن التفاسير تفسير أبي عبدالله، محمد بن أحمد بن عمر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبي. ومن التفاسير: تفسير سراج الدين الهندي(١) وستعرفه في أصول الفقه. ومن التفاسير: تفسير مدارك التنزيل لحافظ الدين أبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، صاحب كتاب الكنز في الفقه والمنار في الأصول وستعرفه في علم الأصول.

ومن التفاسير المبسوطة: البسيط للواحدي وقد مرّ، وتفسير الراغب الأصبهاني وقد عرفته، وتفسير أبي حيان المسمّى بالبحر وقد عرفته.

ومن التفاسير: إعراب القرآن للسفاقسي(٢)، وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ابن أبي القاسم القيسي المالكي، العلامة برهان الدين، أبو اسحاق السفاقسي، النحوي، صاحب: اعراب القرآن(٣). ولد في حدود سنة سبع وتسعين وستمائة، وسمع ببجايه(٤) من شيخها ناصر الدين، ثم حجّ وأخذ عن أبي حيان بالقاهرة، وقدم دمشق فسمع من المُزّي(٥) وزينب بنت الكمال(٦) وخلق، ومهر في الفضائل. مات في ثامن عشر ذي القعدة سنة ثنتين وأربعين وسبع مائة.

وتفسير ابن عطية(٧)، وهو عبدالله بن عطية بن عبدالله بن حبيب، أبو محمد الدمشقي، مقريء مفسّر إمام ثقة. قال الداني: وكان ثقة ضابطًا خيرًا فاضلًا. وقال عبدالعزيز الكتاني(٨): كان يحفظ فيما يقال خمسين ألف بيت للاستشهاد على معاني القرآن. قال الذهبي: كان إمام مسجد باب الجابية. قال الجزري: هو المسجد الذي داخل الباب، ويعرف اليوم بمسجد عطية. توفي في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة رحمه الله.

---

(١) سراج الدين الهندي: هو عمر بن اسحق بن احمد الهندي الغزنوي، سراج الدين أبو حفص ولد عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م وتوفي عام ٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م. فقيه، من كبار الاحناف. له العديد من المؤلفات الهامة. الاعلام ٥/ ٤٢، الفوائد البهية ١٤٨، الدرر الكامنة ٣/ ١٥٤.

(٢) انظر ترجمته في: بغية الوعاة ١٨٥، النجوم الزاهرة ١٠/ ٩٨.

(٣) في عدة مجلدات، وسماه: المجيد في اعراب القرآن المجيد.

(٤) مدينة في الجزائر بولاية سطيف على البحر المتوسط. سكانها مائة الف نسمة. وهي مرفأ نفطي هام، مركز زراعي. كانت عاصمة بني حماد عام ١٠٩٠م. وخرج منها بعض العلماء انظر: المنجد في الاعلام ١١٢.

(٥) المُزّي: هو يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي ابي محمد القضاعي الكلبي المزي. ولد عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م. وتوفي عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م. محدث الشام في عصره. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٨/ ٢٣٦، الدرر الكامنة ٤/ ٤٥٧، النجوم الزاهرة ١٠/ ٧٦.

(٦) زينب بنت الكمال: هي زينب بنت احمد بن عبدالرحيم المقدسية المعروفة ببنت الكمال. ولدت عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، وتوفيت عام ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م. شيخة، عالمة بالحديث، لها رواية كثيرة ولها أخبار. انظر عنها: الاعلام ٣/ ٦٥، الدرر الكامنة ٢/ ١١٧.

(٧) انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٣٣، هدية العارفين ١/ ٤٤٧.

(٨) عبدالعزيز الكتاني: هو عبدالعزيز بن احمد بن محمد بن علي التميمي، أبو محمد الكتاني. ولد عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م، وتوفي عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م، مؤرخ، محدث له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٣، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٥، العبر ٣/ ٣٦١.

ومن التفاسير: تفسير الخرقي[١]، وهو أبو القاسم عمر بن أبي علي، الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقي الفقيه الحنبلي. كان من أعيان الفقهاء الحنابلة، وصنّف في مذهبهم كتبًا كثيرة، منها المختصر المشهور في أيدي المبتدئين من أصحابهم، وتوفي بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة، وكان والده أيضًا من الأعيان. روى عن جماعة، وروى عنه جماعة. والخرقي نسبة إلى بائع الخرق والثياب. قلت: لم أر تفسيرًا للخرقي أصلًا ولا سمعته من أحد، ولكني وجدت في كتاب الإتقان[٢] للسيوطي تفسير الخرقي، ولهذا ذكرته، إلّا أنّ الغالب على ظني أنّه تصحيف من الحوفي ولهذا ذكرته عقيبه، وهذا التصحيف بعيد من المصنّف، والغالب أنه من الناسخ.

ومن التفاسير: تفسير الحوفي[٣]، وهو علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي. كان نحويًا قارئًا. صنّف البرهان في تفسير القرآن، وعلوم القرآن، والموضح في النحو. ومات مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربع مائة.

ومن التفاسير: تفسير القشيري[٤]، وهو أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد القشيري، الفقيه الشافعي. كان علامةً في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة. أصله من ناحية أُسْتُوَا[٥] من العرب الذين قدموا خراسان. توفي أبوه وهو صغير، وقرأ الأدب في صباه، وذهب إلى نيسابور ليتعلم طرفًا من الحساب ليحمي قرية كانت له من الخراج، وحضر بنيسابور مجلس الشيخ أبي علي الحسين ابن علي النيسابوري المعروف بالدّقاق[٦]، كان إمام وقته. فلما سمع كلامه أعجبه ووقع في قلبه، فرجع عن ذلك العزم وسلك طريق الإرادة، وتفرّس الدّقاق فيه النجابة فجذبه بهمته، وأشار إليه بالاشتغال بالعلم، فخرج إلى درس أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي وشرع في الفقه حتى فرغ من تعليقه، ثم اختلف إلى الاستاذ أبي بكر بن محمد فورك فقرأ عليه حتى أتقن علم الأصول، ثم تردّد إلى الاستاذ أبي إسحاق الاسفرايني، فقال الاستاذ: لا بدّ في هذا العلم من الكتابة، فأعاد عليه جميع ما سمعه منه في تلك الأيام، فعجب منه وعرف محله فأكرمه، ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، وهو مع ذلك يحضر مجلس أبي علي الدقاق وزوّجه ابنته. وبعد وفاة أبي علي سلك مسلك المجاهدة والتجريد وصنّف التفسير الكبير وسمّاه: التيسير في علم التفسير وهو من أجود التفاسير. وصنّف الرسالة في رجال الطريقة، وخرج إلى الحج في رفقة فيها الشيخ أبو محمد

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٧٩، المنتظم ٦/ ٣٤٦، طبقات الحنابلة ٣٣١، اللباب ١/ ٣٥٧، البداية ١١/ ٢١٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٦٢، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٦.

(٢) الاتقان في علوم القرآن للشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي (-٩١١هـ). كشف الظنون ١/ ٨.

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الاعيان ١/ ٤١٨، إنباه الرواة ٢/ ٢١٩، معجم الأدباء ١٢/ ٢٢١، البداية ١٢/ ٤٧، بغية الوعاة ٣٢٥، شذرات الذهب ٣/ ٢٤٧.

(٤) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٧٦، طبقات الشافعية ٣/ ٢٤٣، المنتظم ٨/ ٢٨٠، البداية ١٢/ ١٠٧، انباه الرواة ٢/ ١٩٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٩١، طبقات المفسرين ٢١، هدية العارفين ١/ ٥٠٧.

(٥) كورة من نواحي نيسابور، تشتمل على ثلاث وتسعين قرية، وقصبتها خبوشان. مراصد الاطلاع ٧١.

(٦) أبو علي الحسين بن علي النيسابوري المعروف بالدّقاق: هو الحسن بن علي الدقاق النيسابوري. توفي عام ٤٠٦هـ أو ٤١٢هـ. زاهد، عارف، شيخ الصوفية في عصره. فقيه، شافعي، له كرامات ومكاشفات. شذرات الذهب ٣/ ١٨٠.

الجويني[١] والد إمام الحرمين وأحمد بن الحسين البيهقي وجماعة من المشاهير، فسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز، وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء. وأما مجالس الوعظ فهو كما قيل: لو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب. وكان حسن الموعظة مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي. ولد في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاث مائة، وتوفي سادس عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربع مائة بمدينة نيسابور، وتوفي شيخه أبو علي الدقاق سنة اثنتي عشرة وأربع مائة، والقشيري نسبة إلى قبيلة من قشير بن كعب.

ومن التفاسير: تفسير ابن عقيل[٢]، وهو عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي الفتح بن محمد بن عقيل العقيلي الطالبي، الهاشمي الأصل، المصري المولد، الشافعي، الإمام العلامة، بهاء الدين، شيخ الشافعية بالديار المصرية، قرأ القرآت السبع على الصائغ[٣]، واتقن العلوم وانفرد بالرياسة، وبرع في العربية والفقه والأصولين والتفسير. وله من المصنفات: كتاب الجامع النفيس على مذهب الإمام محمد ابن إدريس، كتب منه ستّ مجلدات إلى آخر الاستطابة، ثم لخصه في إملاء سمّاه: تيسير الاستعداد إلى رتبة الاجتهاد، وكتاب الذخيرة في تفسير القرآن، كتب منه مجلّدين على نحو حزب ونصف، ثم لخّصه وسمّاه: الإملاء الوجيز على الكتاب العزيز. وله كتاب مطوَّل على مسئلة رفع اليدين، ثم لخصه في كرّاس واحد. وله: كتاب المساعد على تسهيل الفوائد، وله إملاء على شرح ألفية ابن مالك، وله رسالة على قول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. وولي القضاء مدة مديدة. قال الجزري: ولما حججنا سنة ثمان وستين وسبع مائة اجتمعنا بمكة ثم بالمدينة. وتوفي مرجعه من الحج سنة تسع وستين وسبع مائة.

ومن التفاسير: تفسير ابن رزين[٤]. ومن التفاسير: تفسير الماوردي[٥] وقد عرفته. ومن التفاسير: تفسير مسلم الرازي[٦].

ومن التفاسير: تفسير إمام الحرمين وهو أبو المعالي عبدالملك ابن الشيخ أبي محمد عبدالله

---

(١) أبو محمد الجويني: هو عبدالله بن يوسف بن محمد بن حَيُّويه الجويني، أبو محمد. توفي عام ٤٣٨هـ/١٠٤٧م. من علماء التفسير واللغة والفقه، وهو والد إمام الحرمين الجويني. له عدة تصانيف. الاعلام ٤/١٤٦، تبيين كذب المفتري ٢٥٧، وفيات الأعيان ١/٢٥٢، السبكي ٣/٢٠٨.

(٢) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/٢٦٦، طبقات القراء ١/٤٢٨، النجوم الزاهرة ١١/١٠٠، شذرات الذهب ٦/٢١٥، بغية الوعاة ٢٨٤، البدر الطالع ١/٣٨٦، حسن المحاضرة ١/٣١٠.

(٣) ابن الصائغ: هو محمد بن عبدالرحمن بن علي، شمس الدين الحنفي الزمردي، ابن الصائغ، ولد عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. وتوفي عام ٧٧٦هـ/١٣٧٥م. اديب، عالم بالقراءات. انظر عنه: الاعلام ٦/١٩٢، بغية الوعاة ٦٥، الدرر الكامنة ٣/٤٩٩. شذرات الذهب ٦/٢٤٨.

(٤) ابن رزين هو القاضي، تقي الدين محمد بن الحسين الحموي الشافعي (-٦٨٠هـ). انظر: كشف الظنون ١/٢٣٣. وتفسيره هو: تفسير القرآن. معجم المؤلفين ٩/٢٣٨.

(٥) الماوردي: هو علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، ولد في البصرة عام ٣٦٤هـ/٩٧٤م. وتوفي ببغداد عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م. أقضى قضاة عصره، عالم باحث، له تصانيف كثيرة ومفيدة. الاعلام ٤/٣٢٧، طبقات السبكي ٣/٣٠٣، وفيات الأعيان ١/٣٢٦، شذرات الذهب ٣/٢٥٨، آداب اللغة ٢/٣٣٣.

(٦) مسلم الرازي: هو محمد بن مسلم بن عثمان بن عبدالله، أبو عبدالله بن وارة الرازي. ولد حوالي عام ١٩٠هـ وتوفي عام ٢٧٠هـ، حافظ، قارىء، محدث، كثير الترحال، له رواية واخبار. وله تفسير انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٣/٢٨، تاريخ بغداد ٣/٢٥٦، المنتظم ٥/٥٥، تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٥، شذرات الذهب ٢/١٦٠، كشف الظنون ١/٤٥٨.

الجويني، الفقيه الشافعي، الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين[١]. أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي على الإطلاق، المجمع على إمامته وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك. ورزق من التوسع في العبادة ما لم يعهد من غيره. وكان يذكر دروسًا يقع كلّ واحد منها في عدة أوراق، ولا يتلعثم في كلمة منها. وتفقّه على والده، وكان يعجب لطبعه وتحصيله وجودة قريحته وما يظهر عليه من مخائل الإقبال، وزاد على مصنفات والده في التدقيق والتحقيق، وقعد مكان والده للتدريس، ثم سافر إلى بغداد ولقي بها جماعة من العلماء، ثم جاور بمكة أربع سنين وبالمدينة يدرّس ويفتي ويجمع طرق المذهب. ولهذا قيل له: إمام الحرمين، ثم بنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظّامية بنيسابور، وتولى الخطابة بها، وكان يجلس للوعظ والمناظرة، وسُلِّم له المحراب والمنبر والتدريس والتذكير يوم الجمعة، وظهرت تصانيفه وصارت كلها مفيدة ومقبولة، وحضر دروسه الأكابر من الائمة، وبقي على ذلك قريبًا من ثلاثين سنة. وكان إذا شرع في علوم الصوفية وشرح الأحوال أبكى الحاضرين، ولم يزل على طريقة حميدة وسيرة مرضية من أول عمره إلى آخره.

حكي أنّ والده رباه وأمه بكسب يده، ولم يزل يوصي أمه أنْ لا يرضع ولده غيرها[٢]، فاتفق أنْ أرضعته امرأة من جيرانهم وأمه غير واقفة، فلما رآه أبوه مسح بطنه وأدخل أصبعه في فيه حتى قآء جميع ما شربه وهو يقول: يسهل عليَّ أن يموت ولا يفسد طبعه.

ويحكى أنه إذا لحقه فترة عن المناظرة كان يقول: هذا من بقايا تلك الرضعة. ولد في ثامن عشر المحرّم سنة تسع عشرة وأربع مائة، وتوفي ليلة الأربعاء وقت العشاء الآخرة الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمانٍ وسبعين وأربع مائة. وكانت تلامذته يومئذ قريبًا من أربع مائة فكسروا محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عامًا كاملًا. قيل أغلقت الأسواق يوم موته وكسر منبره في الجامع وقعد الناس لعزائه.

ومن التفاسير: تفسير ابن برجان[٣]، وهو عبدالسلام بن عبدالرحمن بن عبدالسلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال، محمد بن عبدالرحمن اللخمي الإشبيلي المعروف بابن برجان، وهو مخفّف من إبن أبي الرجال[٤]، ذكره في البلغة[٥] فقال: في اللغة والنحو. وقال غيره: أخذ اللغة والعربية عن ابن ملكون[٦] ولازمه كثيرًا، وكان من أحفظ أهل زمانه للغة مُسلَّمًا له ذلك، صدوقًا ثقة. وله: ردّ على ابن سيدة. مات سنة سبع وعشرين وسبع مائة. قال الخلكاني في ترجمة أبي المعالي محمد بن الحسن بن علي بن محمد القرشي الملقب محي الدين، المعروف بابن زكي الدين الدمشقي، الفقيه الشافعي: أنّ أبا المعالي المذكور أنشد قصيدة بائية عند فتح السلطان صلاح الدين مدينة

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٦١، طبقات الشافعية ٣/ ٢٤٩، المنتظم ٩/ ١٨، الكامل ١٠/ ٤٩، شذرات الذهب ٣/ ٣٥٨، النجوم الزاهرة ٥/ ١٢١، البداية ١٢/ ١٢٨، مرآة الجنان ٣/ ١٢٣.

(٢) يعني أن في اللبن أثراً عظيماً. (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٢٧٤، شذرات الذهب ٤/ ١١٣، طبقات المفسرين ٢٥، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٧، هدية العارفين ١/ ٥٧٠، لسان الميزان ٤/ ١٣.

(٤) فمقتضاه أن يكون باللام لا بالنون، ولكن هكذا بالنون في الأصل، وفي كشف الظنون في موضعين. (هامش الأصل).

(٥) البلغة في تراجم ائمة النحو واللغة للشيخ مجد الدين الفيروز آبادي (-٧١٧هـ) أو (-٨١٧هـ). كشف الظنون ١/ ٢٥٢.

(٦) ابن ملكون: هو ابراهيم بن محمد بن منذر، ابو اسحاق ابن ملكون الحضرمي. توفي عام ٥٨١هـ/ ١١٨٦م. نحوي، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٦٢، بغية الوعاة ١٨٨، تذكرة النوادر ١٢٩.

حلب سنة تسع وسبعين وخمس مائة من جملتها هذا البيت:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر
مبشّر بفتوح القدس في رجبِ

فكان كما قال، فإنّ القدس فتحت لثلاثٍ بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمس مائة. قيل له: من أين لك هذا؟ قال: أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾[1]، وله حساب طويل. قال الخلكاني: ولم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته، فرأيت في هامش الكتاب حسابًا طويلًا، وله ولأمثاله طريق مخصوص لاستخراج الأحكام ليس هذا موضع ذكره.

ومن التفاسير: تفسير ابن بزيزه[2].

ومن التفاسير: تفسير ابن المنير[3]، هو أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر الحذامي الإسكندري المالكي، القاضي ناصر الدين، أبو العباس ابن المنير. كان إمامًا في النحو والأدب والأصول والتفسير، وله يد طولى في علم البيان والإنشاء. سمع من أبيه وابن رواج[4]، ومنه أبو حيان وغيره، وخطب بالإسكندرية، ودرّس بالجامع الجيوشي وغيره، وناب في الحكم بها. ثم اشتغل بالقضاء، ثم صرف وصودر، ثم أعيد إليه. وسئل عنه ابن دقيق العيد فقال: ما يقف في البحث على حدّ. وفيه يقول العلامة ابن الحاجب من أبيات:

لقد سئمت حياتي البحث لولا
مباحث ساكن الإسكندرية

صنّف التفسير، والانتصاف من صاحب الكشاف ومناسبات تراجم البخاري، وغير ذلك. وأراد أنْ يصنف في الردّ على الإحياء فخاصمته أمه وقالت له: فرغت من مضاربة الأحياء وشرعت في مضاربة الأموات فتركه. مولده ثالث ذي القعدة سنة عشرين وست مائة، ومات قيل مسمومًا يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وست مائة.

ومن التفاسير: مقدمة التفسير لابن النقيب[5]، وهو محمد بن أبي بكر بن إبراهيم ابن عبدالرحمن بن محمد بن نجدة حمدان، قاضي القضاة، شمس الدين ابن النقيب، الحاكم بحمص ثم طرابلس ثم حلب، ثم مدرّس الشامية البرّانية، وصاحب النووي، وأعظم بتلك الصحبة رتبة علية. وله الديانة والعفّة والورع الذي طرد به الشيطان وأرغم أنفه. وكان من أساطين المذهب وجمرة نارٍ ذكّاء، إلّا أنها لا تتلهب. قال ابن السبكي: سمعته يقول: قال لي النووي: يا قاضي شمس الدين، لا بدّ أنْ تلي تدريس الشامية. تولى القضاء ثم الشامية. سمع من أحمد بن أبي بكر

---

(١) الروم/ ١-٢

(٢) ابن بزيزه: هو عبدالعزيز بن ابراهيم بن احمد القرشي التميمي التونسي، المعروف بابن بزيزة، أبو محمد. ولد عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، وتوفي عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م. صوفي فقيه، مفسر، له عدة كتب، منها تفسير القرآن.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٥/ ٢٣٩، نيل الابتهاج ١٧٨.

(٣) انظر ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٧٢، مختصر دول الاسلام ٢/ ١٤٣، بغية الوعاة ١٦٨، شذرات الذهب ٥/ ٣٨١، مرآة الجنان ٤/ ١٩٨.

(٤) ابن رواج: هو عبدالوهاب بن رواج ظافر بن علي بن فتوح بن حسين الأزدي القرشي الاسكندراني، رشيد الدين، ابو محمد. ولد عام ٥٥٤هـ، وتوفي عام ٦٤٨هـ. إمام، محدث، فقيه، متواضع، له العديد من المصنفات. انظر عنه: سير اعلام النبلاء، ٢٣/ ٢٣٧، العبر ٥/ ٢٠٠، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤١١، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٢، شذرات الذهب ٥/ ٢٤٢.

(٥) انظر ترجمته في: هدية العارفين ٢/ ١٥٢، ايضاح المكنون ١/ ٤٧٨.

بن الحموي[١]، وأبي الحسن بن البخاري، وأبي حامد ابن الصابوني[٢]، وأحمد بن شيبان، وزينب بنت مكي[٣] وغيرهم. مولدة تقريبًا في سنة اثنتين وستين وستّ مائة، وكان يقول: إنه ما يموت إلّا ليلة الجمعة، فتوفي ليلة الجمعة، ووافق ثاني عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وسبع مائة بالمدرسة الشامية.

ومن التفاسير: أمالي الرافعي على الفاتحة وهو عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الفضل بن الحسن القزويني، الإمام الجليل، أبو القاسم الرافعي[٤]. صاحب الشرح الكبير المسمى بالعزيز، وله: الفتح العزيز في شرح الوجيز، والشرح الصغير والمحرّر وشرح مسند الشافعي والأمالي الشارحة على مفردات الفاتحة، وهو ثلاثون مجلسًا أملاها أحاديث بأسانيده عن أشياخه على سورة الفاتحة وتكلّم عليها. وله كتاب: الإيجاز في أخطار الحجاز، ذكر فيه مباحث وفوائد خطرت له في سفره إلى الحج، والصواب خطرات أو خواطر الحجاز، ولعلّ الخطأ من الناقل، وغير ذلك. وكفاه بالفتح العزيز شرفًا، فلقد علا به عنان السماء مقدارًا وما اكتفى. كان متضلعًا من علوم الشريعة تفسيرًا وحديثًا وأصولًا، مترفعًا على أبناء جنسه في زمانه نقلًا وبحثًا وإرشادًا وتحصيلًا. وأما الفقه فهو فيه عمدة المحققين وأستاذ المصنفين، وكان ورعًا زاهدًا تقيًا نقيًا طاهر الذيل مراقبًا لله، له السيرة المرضية والطريقة الزكية والكرامات الباهرة. وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه، وروى عنه الحافظ عبدالعظيم المنذري[٥] وغيره. قال ابن الصلاح: أظنّ أني لم أر في بلاد العجم مثله. قال النووي: الرافعي من الصالحين المتمكنين، كانت له كرامات كثيرة، قال أبو عبدالله محمد بن محمد الإسفراييني: هو شيخنا إمام الدين وناصر السُّنة. كان أوحد عصره في العلوم الدينية أصولًا وفروعًا، مجتهدَ زمانه في المذهب، فريدَ وقته في التفسير. كان له مجلس بقزوين للتفسير ولتسميع الحديث. توفي ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وست مائة. يروى أنّ جلال الدين خوارزم شاه[٦] غزا في هذه السنة حتى جمد الدم على يده. فلما مرَّ بقزوين خرج إليه الرافعي فأحبَّ الرافعي أنْ يقبِّل يد السلطان لما ذكر من صنيعه، فقبَّل السلطان يده، ثم سار الرافعي قليلًا فعثرت به الدابة فوقع فتأذَّت يده التي قبَّلها السلطان. فقال الشيخ: سبحان الله، حصل في نفسي شيء من العظمة بما فعل

(١) أحمد بن أبي بكر بن الحموي: هو محمد ـ أحمد ـ بن المؤيد بن ابي بكر بن أبي الحسين بن محمد بن حمود الحموي، سعدالدين الصوفي. توفي عام ٦٥٠هـ، صوفي، عالم بالحكمة والفقه، له عدة مصنفات. انظر عنه: هدية العارفين ٢/ ١٢٤.

(٢) أبو حامد بن الصابوني: هو محمد بن علي بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودي، ابن الصابوني. ولد عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، وتوفي عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢، من حفاظ الحديث، له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٦/ ٢٨٢، شذرات الذهب ٥/ ٣٦٩، الوافي بالوفيات ٤/ ١٨٨.

(٣) زينب بنت مكي: هي زينب بنت مكي بن علي الحراني. ولدت عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م. وتوفيت بدمشق عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م. فقيهة، صالحة من العالمات انظر عنها: الاعلام ٣/ ٦٧.

(٤) انظر ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٦٤، طبقات الشافعية ٥/ ١١٩، مرآة الجنان ٤/ ٥٦، فوات الوفيات ٢/ ٣ـ٤، شذرات الذهب ٥/ ١٠٨.

(٥) عبدالعظيم المنذري: هو عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله، أبو محمد، زكي الدين المنذري. ولد عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م وتوفي عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. عالم بالحديث والعربية، حافظ، مؤرخ. له تصانيف عديدة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٣٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢١٢، فوات الوفيات ١/ ٢٩٦، طبقات الشافعية ٥/ ١٠٨.

(٦) جلال الدين خوارزم شاه: هو السلطان علاء الدين أو جلال الدين محمد بن السلطان خوارزم شاه المتوفى عام ٦٢٣هـ. أخباره مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢٢/ ٣٢٦، مرآة الزمان ٨/ ٦٦٨، شذرات الذهب ٥/ ١٣٠.

السلطان فعوقبت بهذه العقوبة. يروى أنه طالع في بعض الليالي فأضاءت له شجرة في بيته.

ومن التفاسير: الغرائب والعجائب للكرماني وستعرفه في علم الحديث. ومن التفاسير: قواعد لابن تيمية، وهو أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله، المعروف بابن تيمية، الحراني، الملقّب فخر الدين، الخطيب الواعظ الفقيه الحنبلي(١). كان فاضلًا، تفقّه ببلده على جماعة، وسمع الحديث، وصنّف في مذهبه مختصرًا، وله خطب مشهورة في غاية الجودة، وله نظم حسن. وله تفسير القرآن الكريم، ولم يزل أمره جاريًا على صلاح وسداد. مولده في حرّان سنة إثنتين وأربعين وخمس مائة، وتوفي بها سنة إحدى وعشرين وست مائة.

ومن التفاسير: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي، وهو محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي البكري، الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري. إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم، والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم. بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر، وحبر سما على السمآء، وأين للسماء مثل ما له من الزواهر. وروضة علم تستقل الرياض نفسها أن تحاكي ما لديه من الأزاهر. انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الإسلامية، وابتسمت بدره النظيم ثغور الثغور المحمدية، وخاض من العلوم في بحار عميقة، وراض النفس في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة. وله شعار أوى الأشعري من سننه إلى ركن شديد، واعتزل المعتزلي علمًا أنه ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد. وأمّا الشرعيات تفسيرًا وفقهًا وأصولًا وغيرها فكان بحرًا لا يجارى، وبدرًا إلّا أنّ هداه يشرق نهارًا. ولد الإمام سنة ثلاث أو أربع وأربعين وخمسمائة، واشتغل على والده الشيخ ضياء الدين عمر، وكان من تلامذة محي السنة أبي محمد البغوي. وقرأ الحكمة على المجد الجيلي(٢) بمراغة(٣)، وتفقّه على الكمال السمناني(٤). ويقال إنّه حفظ الشامل(٥) في علم الكلام لإمام الحرمين. وذكر الإمام في رسالة تحصيل الحق في تفصيل الفرق أنّ أستاذه في أصول الدين والده الإمام السعيد ضياء الدين عمر بن الحسين الرازي، وهو تلميذ إمام الأئمة أبي القاسم سلمان ناصر الأنصاري(٦)، وهو تلميذ صدر الأمة أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله، وهو تلميذ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني، وهو تلميذ أبي الحسن الباهلي(٧)، وهو تلميذ شيخ السّنة أبي الحسن

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٦٥٧، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٧، شذرات الذهب ٥/ ١٠٢، البداية والنهاية ١٣/ ١٠٩، طبقات المفسرين ٣٢.

(٢) من الحكماء، لم نعثر له على ترجمة.

(٣) مدينة ايرانية شرقي بحيرة أرمية. عاصمة اذربيجان وعاصمة هولاكو قديماً. أسس فيها نصير الدين الطوسي مرصداً ومكتبة كبيرة في القرن الثالث عشر. سكانها حوالي ستين ألف نسمة. انظر: المنجد في الاعلام ٥٢٨.

(٤) الكمال السمناني: هو محمد بن احمد بن محمد السمناني، أبو جعفر. ولد عام ٣٦١هـ/ ٩٧٢م. وتوفي عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م. اشعري، قاضي حنفي، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٣١٤، الجواهر المضية ٢/ ٢١، نكت الهميان ٢٣٧.

(٥) الشامل في اصول الدين الملقب بالكلام لإمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني (-٤٧٨هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٢٤.

(٦) أبو القاسم سلمان ناصر الأنصاري: هو سلمان بن ناصر بن عمران الأنصاري النيسابوري الارغيناني، أبو القاسم. توفي بنيسابور عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م. من اعلام الكلام والتفسير له عدة كتب. انظر عنه. الاعلام ٣/ ١١٢، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٢١١.

(٧) أبو الحسن الباهلي: هو ابو الحسن الباهلي البصري، تلميذ ابي الحسن الأشعري، علامة، شيخ المتكلمين، صالح، عابد، برع في العقليات، له عدة مؤلفات. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٦/ ٣٠٤، الوافي بالوفيات ١٢/ ٣١٢، تبيين كذب المفتري ١٧٨، معجم المؤلفين ١١/ ٢٣١.

علي بن إسحاق بن سالم ابن عبدالله بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. وهو كان أولًا تلميذ أبي علي الجبائي المعتزلي ثم هداه الله تعالى فرجع عن مذهبه إلى مذهب أهل السُّنة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وكان أول أمره فقيرًا ثم فتحت عليه الأرزاق وانتشر اسمه وبَعُدَ صيته في الآفاق، وقصد من أقطار الأرض، وكانت له يد طولى في الوعظ باللسان العربي والفارسي، ويلحقه فيه حال. وكان من أهل الدين والتصوف، وله يد فيه. وتفسيره ينبيء عن ذلك. وعبر إلى خوارزم فجرى بينه وبين المعتزلة مناظرات أدّت إلى خروجه منها. ثم جرى بما وراء النهر نحو ما جرى بخوارزم فعاد إلى الرَّي، واتصل بالسلطان شهاب الدين الغوري[1] وحظي عنده، ثم بالسلطان الكبير علاء الدين خوارزم شاه محمد تكش[2] ونال عنده أسنى المراتب. وكان السلطان يأتي إليه؛ وكان إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاث مائة نفس من الفقهاء وغيرهم. وكان شديد الحرص في العلوم، وأصحابه أكثر الخلق تعظيمًا له وتأدّبًا معه. له عندهم المهابة الوافرة. وأقبل الناس على الاشتغال بها، واشتهرت تصانيفه في الآفاق ورفضوا كتب المتقدّمين، وكان يلقب بهراة بشيخ الاسلام، وكان كثير الإزراء بالكرَّامية[3]، فوضعوا عليه من سقاه سمًا فمات منه. ومن تصانيفه التفسير الكبير في إثني عشر مجلدًا وجعل تفسير سورة الفاتحة في مجلد، والمطالب العالية، ونهاية العقول، والأربعين، والمحصّل، والتبيان في المعاني، والبرهان في الردّ على أهل الزيغ والطغيان، والمباحث العمادية، والمحصول، وعيون المسايل، وإرشاد النظّار، وأجوبة المسائل البخارية، والمعالم، وتحصيل الحق، والزبدة، وشرح الإشارات، وشرح عيون الحكمة، وشرح الاسماء الحسنى، وشرح مفصّل الزمخشري، في النحو ولم يتمه، وشرح وجيز الغزالي في الفقه، وشرح سقط الزند للمعرِّي[4]، وله طريقة في الخلاف، ومصنّف في مناقب الشافعي وغير ذلك. وأما كتاب السِّرّ المكتوم في مخاطبة النجوم[5] فلم يصح أنّه له، وقيل إنّه مختلق عليه.

وكتب رحمه الله تعالى على القسم الأول من

(١) شهاب الدين الغوري: هو السلطان شهاب الدين محمد بن بسام الغوري. توفي عام ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م امير فاتح قائد شجاع حسن السيرة عادل.
ابن الأثير ١٢/ ٧٧ وما بعدها. تاريخ الاسلام السياسي ٤/ ١٦٩. حركة التأليف بالعربية ٩.

(٢) علاء الدين خوارزم شاه محمد تكش: هو السلطان علاء الدين محمد ابن السلطان خوارزم شاه تكش ابن خوارزم شاه أرسلان ابن الملك آنسز ابن محمد بن نوشتكين الخوارزمي. توفي عام ٦٢٨هـ. من السلاطين الشداد، له أعمال ومآثر، واخباره مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢٢/ ٣٢٦، مرآة الزمان ٨/ ٦٦٨، شذرات الذهب ٥/ ١٣٠.

(٣) من الفرق الكلامية، اتباع ابي عبدالله محمد بن كرام السجستاني. كانت لهم معتقدات وحجج لتأثرهم بالفلاسفة كما أنهم أوّلوا كثيراً من النصوص. وقد اختلف اتباعه وانقسموا الى اثنتي عشرة فرقة خالفت بعضها بعضاً. وقد فصل اراءها ومعتقداتها كل من: الملل ١٠٨، التبصير ٦٥، الفرق ٢١٥، العبر ١/ ١٠، مقالات الاسلاميين ١/ ٢٥٧.

(٤) سقط الزند، وهو ديوان شعر تزيد أبياته على ثلاثة آلاف بيت، لأبي العلاء أحمد بن عبدالله المعرّي (ت ٤٤٩هـ). (هامش الأصل).

(٥) ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون، أنه رأى: «. . . في كتاب أنه للحوالى أبي الحسن علي بن أحمد المغربي المتوفي سنة والله سبحانه وتعالى أعلم». قال الذهبي في الميزان: إن له كتاب أسرار النجوم سحر صريح. قال التاج السبكي في هامش هذا الكتاب المسمى (بالسر المكتوم في مخاطبة النجوم) فلم يصح أنه له، وقيل إنه مختلف عليه. وبتقدير نسبته إليه ليس بسحر، فليتأمله من يحسن السّر، انتهى. وعليه ردّ للشيخ زين الدين سريحا بن محمد الملطي المتوفي سنة ٧٨٨هـ، وسماه: انقضاض البازي في القصاص للرازي. (هامش النسخة المصرية).

كتاب المطالب العالية وتم ذلك في يوم الجمعة من ذي القعدة سنة ثلاث وست مائة هجرية.

وكتب على آخر الكتاب الثاني منها وقد تمّ هذا الكتاب بجرجانية خوارزم في النصف الآخر من شهر ربيع الأول سنة خمس وست مائة هجرية.

وكتب على آخر الثالث منها وقد تمّ هذا الباب من هذا الكتاب ليلة الاثنين السادس من ربيع الأول سنة خمس وستّ مائة هجريّة في جرجانية خوارزم في الدار المملوكة في سكة ماخومان. وأسأل الله الكريم الرحيم أنْ يختم عاقبتي بالرحمة والراحة والريحان، إنّه الملك المنان، الرحيم الديان.

وكتب على آخر الكتاب الرابع وقد تم ليلة الأربعاء من جمادى الأولى سنة خمس وستّ مائة هجرية.

وكتب على آخر الخامس منها: تمّ هذا الكتاب ليلة السبت السابع عشر من جمادي الأول سنة خمس وست مائة هجرية.

وكتب على آخر السادس منها: تم هذا الكتاب يوم الإثنين الثاني عشر من جمادى الأخرى سنة خمس وست مائة هجرية، والحمدلله كما هو له أهل ومستحق، والصلوٰة على خير خلقه من الأنبياء والمرسلين، وخصوصًا على محمد وآله وأصحابه أجمعين.

حكى الأديب شرف الدين محمد بن عيين[1] أنه حضر درسه مرة وهو شاب، وقد وقع ثلج كثير، فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح، فلما وقعت رجع عنها الجارح فلم تقدر الحمامة على الطيران من الخوف والبرد. فلما قام الإمام من الدرس وقف عليها ورقّ لها وأخذها. قلت: وجدت في بعض الرسائل تصنيف بعض من المشايخ الثقات والرسالة بخطه أيضًا أنّ الحمامة هربت ورمت بنفسها إلى مجلس الإمام ودخلت في كُمِّه. قال ابن عيين: فقلت في الحال:

جاءت سليمان الزمان بشكوها
والموتُ يلمعُ من جناحي خاطفِ
من نبأ الورقاء أنّ محلكم
حرم وأنك ملجأ للخائفِ

فطرب لها الشيخ فخر الدين وأمر له بالجلوس قريبًا منه، وأمر له بجائزة سنيّة، وبقي محسنًا إليه. قيل: إنّ ابن عيين قال: وصل إليّ من جهة الإمام فخر الدين نحو عشرة آلاف دنانير. قال ابن السبكي في طبقاته الكبرى: إعلم أنّ شيخنا الذهبي ذكر الإمام في كتاب الميزان في الضعفاء، وهذا أمر لا معنى له من وجوه: أعلاها أنه ثقة حبر من أحبار الأمة، وأدناها أنّه لا رواية له. وذكره في الرواة مجرد فضول وتعصب وتحامل تقشعر منه الجلود. وقال الذهبي في الميزان: له كتاب أسرار النجوم سحر صريح. قال ابن السبكي: وقد عرفناك أنّ هذا الكتاب مختلق عليه وعلى تقدير صحة نسبته إليه ليس هو بسحر فليتأمّل من يحسن السحر. ويكفيك شاهدًا على تعصب شيخنا عليه ذكره إياه بالفخر الرازي في حرف الفاء. ولا يخفى أنّ شهرته بابن الخطيب والإمام واسمه محمد، فإذا نظرت أيّها الطارح رداء العصبية عن كتفيه، الجانح إلى جعل الحق بمرأى عينيه، إلى رجلٍ عمدَ إلى إمام من أئمة

(١) شرف الدين محمد بن عيين: هو محمد بن نصر الله بن مكارم بن حسن بن عيين الانصاري الكوفي الحوراني الدمشقي، شرف الدين، أبو المحاسن ولد عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. وتوفي عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م. أديب، شاعر، لغوي، فقيه، مؤرخ، له عدة تصانيف.

انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/ ٧٩، وفيات الأعيان ٢/ ٣٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٤، مرآة الجنان ٤/ ٧٠.

المسلمين وأدخله في جماعة ليس هو منهم، أعني رواة الحديث، فإنّ الإمام لا رواية له، ودعاه باسم لا يعرف به. ولو تأملها المسكين حقّ التأمّل وأوتي رشده لأوجبت له حبًا عظيمًا في هذا الإمام، ولكنها الحامل له على هذه العظيمة، والمردية له في هذه المصيبة العميمة. نسأل الله الستر والسلامة.

ذكر أنّ الإمام وعظ يومًا بحضرة السلطان شهاب الدين الغوري، وحصلت له حال، فاستغاث: يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي يبقى وأنّ مردنا إلى الله. قال المولى الشهير بمصنفك[١]، في كتابه: التحفة المحمودية[٢]: إنّ المولى فخر الدين الرازي أرسل رقعة إلى السلطان محمد خوارزم شاه في حاجة عرضها عليه في شأن بعض الصلحاء، وكتب فيها: رفعت قصتي إلى الله فإنْ أعطيتها فالله هو المعطي، وأنت المشكور، وإنْ منعتها فهو المانع وأنت المعذور، والسلام. قال أبو عبدالله الحسن الواسطي[٣]: سمعت الإمام بهراة ينشد على المنبر عقيب عتابه أهل البلدة:

المرءُ ما دام حيًا يُستهان به
ويعظم الرزءُ فيه حين يفتقدُ

قال ابن السبكي: قال الإمام في تفسيره: وأظنه في سورة يوسف عليه السلام: والذي جربته من طول عمري أنّ الانسان كلّما عوّل في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سببًا للبلاء والمحنة والشدة والرزية، وإذا عوّل على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه. فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي على أنّه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله وإحسانه، انتهى.

قال ابن السبكي: وما ذكره الإمام حقّ، ومن حاسب نفسه وجد الأمر كذلك. وإن فرض أحد عوّل في أمره على غير الله وحصل له ذلك، فاعلم أنّه لا يخلو عن أحد رجلين: إمّا رجل ممكور به والعياذ بالله، وإمّا رجل يطلب شرًا وهو يحسب أنّه خير لنفسه، ويظهر له ذلك بعاقبة ذلك الأمر، فما أسرع انقلابه في الدنيا قبل الآخرة إلى أسوء الأحوال. ومن شاء اعتبار ذلك فليحاسب نفسه.

واعلم أنَّ هذه الجملة من كلام الإمام دالة على مراقبته طول وقته، ومحاسبته لنفسه. فرضي الله عنه، وقبَّح من يسبّه أو يذكره بسوء حسدًا وبغيًا من عند نفسه. إلى هنا كلام ابن السبكي.

واعلم أنّ الامام كان من زمرة الفقهاء ثم التحق بالصوفية فصار من أهل المشاهدة، وصنّف التفسير بعد ذلك. ومن تأمّل في مباحثه وتصفّح لطائفه يجد في أثنائه كلمات أهل التصوف من الأمور الذوقية.

قلت: وسمعت رجلًا ثقةً صالحًا عالمًا عابدًا زاهدًا عارفًا صادقًا أنّه حكى أنّ الامام لما دخل هراة أتاه مَنْ بها من العلماء والصلحاء والسلاطين والأمراء، وسأل يومًا: هل بقي أحد تخلّف عن

---

(١) المولى الشهير بمصنفك: هو علي بن محمد (مجد الدين) بن مسعود الشاهرودي البسطامي، علاء الدين والملة، المعروف بمصنفك، ولد عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، وتوفي عام ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م. باحث له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الاعلام ٥/ ٩، البدر الطالع ١/ ٤٩٧، الشقائق النعمانية ١/ ١٨١، الفوائد البهية ١٩٢، هدية العارفين ١/ ٧٣٥، شذرات الذهب ٧/ ٣١٩.

(٢) التحفة المحمودية، فارسي للشيخ علاء الدين علي بن محمد البسطامي الشهير بمصنفك (-٨٧١هـ) أو (-٨٧٥هـ). كشف الظنون ١/ ٣٧٣.

(٣) أبو عبدالله الحسن الواسطي: هو محمد بن ابي المعالي الواسطي، أبو عبدالله. ولد عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م. وتوفي عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م. مؤرخ، له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/ ٣٩.

زيارتنا؟ قال أصحابه: نعم. بقي رجل صالح منقطع في زاوية. قال الإمام: أنا رجل واجب التعظيم، وأنا إمام المسلمين. فلم لم يزرني؟ فقالوا لذلك الرجل كلام الامام. فما تكلّم بشيء أصلًا ووقع بينهما الخلاف، فصنع أهل البلدة طعامًا فدعوهما فأجابا الدعوة واجتمعا في حديقة. فسأله الإمام عن سبب تخلّفه عن إتيانه إليه فقال: أنا رجل فقير لا شرف في زيارتي ولا نقص في تخلفي عنها. قال الإمام: هذا جواب أهل الأدب يعني الصوفية. فقل لي حقيقة الحال. فقال ذلك الرجل: لأي شيء وجبت زيارتك؟ قال: أنا إمام المسلمين وواجب التعظيم. قال: إنّ افتخارك بالعلم ورأس العلوم معرفة الله تعالى فكيف عرفته تعالى؟ قال بمائة براهين. قال الرجل: البرهان لإزالة الشّك، والله تعالى جعل في قلبي نورًا لا يدخل معه الشّك فضلًا عن الحاجة إلى البرهان، فأثّر هذا الكلام في قلب الإمام فتاب في ذلك المجلس على يده، ودخل الخلوة، وفتح له ما فتح. وبعدما خرج عنها صنّف التفسير الكبير. وقال الناقل لهذه الحكاية: وكان ذلك الشيخ أبو الجناب الشيخ نجم الدين الكبرى[1] قدّس الله سرّه[2]. توفي الإمام رحمه الله ورضي عنه بهراة في يوم الإثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستماية.

ومن التفاسير الواقعة على لسان أهل الذوق من الصوفية تفسير بشير[3] لنجم داية[4]، والحقائق لأبي عبدالرحمن السلمي[5]، هو بضم السين وفتح اللام، واسمه محمد بن الحسين بن موسى، أبو عبدالرحمن السلمي النيسابوري، شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. مولده سنة ثلاثين وثلاث مائة. توفي في شعبان سنة إثنتي عشرة وأربع مائة. له ترجمة في الميزان، قال الذهبي فيها: قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطّان[6]: كان يضع الأحاديث للصوفية، انتهى؛ كذا في شرح شفاء قاضي عياض[7] للشيخ برهان الدين الحلبي المسمى: بالمعتفى في ضبط ألفاظ الشفا، وللقشيري[8].

ومن التفاسير على لسان أهل العرفان: تفسير الفاتحة لصدر الدين القونوي، وهو محمد بن إسحاق، الشيخ الزاهد صدرالدين القونوي،

---

(١) أبو الجناب الشيخ نجم الدين الكبري: هو احمد بن عمر بن محمد الخوارزمي الخيوفي الصوفي، أبو الجناب، المعروف بنجم الدين الكبرى. توفي شهيداً عام ٦١٨هـ. علامة، محدث، شيخ خراسان، له العديد من المصنفات. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢٢/ ١١١، العبر ٥/ ٧٣، شذرات الذهب ٥/ ٧٩.

(٢) ولهذا الشيخ أيضاً تفسير كبير في إثني عشر مجلداً، وتوفي سنة ٦١٨هـ. (هامش الأصل).

(٣) تفسير بشير، لنجم الدين بشير بن ابي بكر حامد بن سليمان بن يوسف الزينبي التبريزي الشافعي (-٦٤٦هـ). كشف الظنون ١/ ٤٦٠.

(٤) نجم دايه: هو بشير بن حامد بن سلمان، ابو النعمان، نجم الدين الزينبي الهاشمي الطالبي التبريزي، البغدادي. ولد عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. وتوفي عام ٦٤٦هـ/١٢٤٨م. مفسر، فقيه، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٥٦، طبقات المفسرين ٨، العقد الثمين ٣/ ٣٧١.

(٥) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، المنتظم ٨/ ٦، طبقات الشافعية ٣/ ٦٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٣٣، الكامل ٩/ ١١٢، البداية ١٢/ ١٢-١٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦، شذرات الذهب ٣/ ١٩٦.

(٦) محمد بن يوسف القطّان: هو محمد بن يوسف بن احمد، ابو عبدالرحمن، النيسابوري القطان الأعرج. توفي عام ٤٢٢هـ. حافظ، له عدة كتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٧/ ٤٢٣، العبر ٣/ ١٥٠، شذرات الذهب ٣/ ٢٢٥.

(٧) سبق ذكره.

(٨) القشيري: هو عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة النيسابوري القشيري، أبو القاسم زين الاسلام. ولد عام ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م. وتوفي عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م. شيخ خراسان في عصره. زاهد، عالم بالدين. له عدة مؤلفات. الاعلام ٤/ ٥٧، طبقات السبكي ٣/ ٢٤٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٩٩، تاريخ بغداد ١١/ ٨٣.

صاحب التصانيف في التصوف، وتزوج أمه الشيخ محيي الدين ابن العربي، وربّاه واهتم به، وجمع بين العلوم الشرعية وعلوم التصوف، فصار مجمعًا للبحرين وملتقى للبدرين، وقصده الأفاضل من الآفاق، حتى أنّ العلامة قطب الدين الشيرازي أتاه وهو بقونية[١] وقرأ عنده وصاحبه في العلوم الظاهرة والباطنة. ذكره العلامة في كتابه درة التاج[٢] في القسم العملي منه. ولصدر الدين القونوي مكاتبات ومراسلات مع خواجه نصير الدين الطوسي في بعض المسائل الحكمية ودار الكلام بينهما مرارًا حتى اعترف النصير الطوسي بالعجز والقصور. ولصدر الدين المذكور قدّس سرّه مصنفات كثيرة في علم التصوف. وله تفسير الفاتحة[٣]، وشرح الأحاديث الأربعينية لكن لم يتمه وغير ذلك. توفي سنة ثلاث وسبعين وست مائة.

ومن التفاسير: تفسير سورة الفاتحة لمولانا شمس الدين الفناري، مزج فيه بين العلوم الشرعية وعلوم التصوف، وهو من أحسن المصنّفات وأولاها بالاهتمام والإعتناء بشأنه. والفناري هو محمد بن حمزة بن محمد الرومي، العلامة شمس الدين ابن الفناري، بفتح الفاء والنون وبالراء المهملة. قال السيوطي: نسبة إلى صنعة الفنار. قال: سمعته من شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي لكنه غير صحيح، بل هو نسبة إلى قرية تسمى فنار. قال ابن حجر: كان عارفًا بالعربية والمعاني والقراآت، كثير المشاركة في الفنون، ولد في صفر سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، وأخذ عن العلامة علاء الدين الأسود[٤] شارح المغنى[٥] في الأصول وشارح الوقاية[٦] في الفقه. وأخذ ببلاده عن الجمال محمد بن محمد بن محمد الأقصرائي[٧]، ولازم الاشتغال ورحل إلى مصر وأخذ عن الشيخ أكمل الدين وغيره، ثم رجع إلى الروم فولى قضاء برصه[٨]، وارتفع قدره عند ابن عثمان جدًا وحلَّ عنده المحلّ الأعلى، وصار في معنى

---

(١) مدينة تركية في الأناضول. سكانها حوالي ثلاثماية ألف نسمة. كانت عاصمة السلاجقة الروم بين ١٠٨١-١٣٠٢م. وعندها انتصر ابراهيم باشا على العثمانيين. فيها زراعة وحرفيات. انظر: المنجد في الاعلام ٤٤٤.

(٢) درة التاج لغرة الديباج [الدباج] فارسي للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (-٧١٦هـ). كشف الظنون ١/ ٧٣٨.

(٣) هذا التفسير قد طبع ابتداءً في مطبعة دائرة المعارف النظامية، ببلدة حيدرآباد، جنوبي الهند، والحمد لله على ذلك. (هامش الأصل).

(٤) علاء الدين الأسود: هو علي بن عمر الأسود، علاء الدين القره حصاري، توفي عام ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م. فقيه حنفي. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ٣١٦، كشف الظنون ٢/ ١٧٤٩.

(٥) المغني في اصول الفقه للشيخ جلال الدين عمر بن محمد الخبازي (الخجندي الحنفي) (-٦٧١هـ). من شروحه شرح لعلاء الدين علي بن عمر الأسود (-٨٠٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٤٩.

(٦) وقاية الرواية في مسائل الهداية للامام برهان الشريعة محمود ابن صدر الشريعة الأول عبيد الله المحبوبي الحنفي شرحه المولى علاء الدين علي بن عمر الاسود (-٨٠٠هـ). وسماه العناية في شرح الوقاية. كشف الظنون ٢/ ٢٠٢١.

(٧) محمد بن محمد بن محمد الأقصرائي: هو محمد بن محمد بن محمد بن فخر الدين، جمال الدين المعروف بالاقسرائي. توفي بعد العام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. عالم بالطب والتفسير واللغة والأدب. حفيد الإمام فخر الدين الرازي. له الكثير من المؤلفات.
الاعلام ٧/ ٤٠، الفوائد البهية ١٩١، كشف الظنون ١٩٠٠، الشقائق النعمانية بهامش ابن خلكان ١/ ٢٠.

(٨) ويقال: بورصة أو بروسّا، مدينة تركية في الأناضول على بحر مرمرة. سكانها حوالي نصف مليون نسمة. كانت عاصمة العثمانيين بين ١٣٢٧-١٤٥٣ حتى فتح القسطنطينية. فيها مساجد أثرية وتشتهر بالحرير والمصنوعات الحرفية والمياه المعدنية. انظر: المنجد في الاعلام ١٤٦.

الوزير، واشتهر ذكره، وشاع فضله. وكان حسن السمت، كثير الفضل والإفضال، غير أنّه يعاب بنحلة ابن العربي وبإقراء الفصوص. ولما دخل القاهرة لم يتظاهر بشيء من ذلك، أو كان بعض من اعتنى به أوصاه أنْ لا يتكلم في شيء من ذلك، واجتمع به فضلاء العصر وذاكروه وباحثوه وشهدوا له بالفضيلة، ثم رجع. وكان قد أثرى إلى الغاية حتى يقال: إنّ عنده من النقد خاصة مائة وخمسين ألف دينار وحجَّ سنة إثنتين وعشرين. فلما رجع طلبه المؤيِّد(١) فدخل القاهرة واجتمع بفضلائها، ثم رجع إلى القدس فزاره، ثم رجع إلى بلاده، ثم حجَّ سنة ثلاث وثلاثين على طريق أنطاكية، ورجع فمات ببلاده في شهر رجب. وكان قد أصابه رمد وأشرف على العمى، بل يقال إنّه عمي ثم ردَّ الله عليه بصره فحجَّ في هذه الحجة الأخيرة شكرًا لله على ذلك. وله مصنف في أصول الفقه سماه: فصول البدائع في أصول الشرائع، وجمع فيه المنار والبزدوي ومحصول الإمام الرازي، ومختصر ابن الحاجب وغير ذلك. وأقام في عمله ثلاثين سنة، وله: تفسير الفاتحة، ورسالة أتى فيها مسائل من مائة فن وسمّاها: أنموذج العلوم. قيل: إنّ هذه الرسالة لابنه محمد شاه والله أعلم. ورسالة أخرى منظومة أتى فيها عشرين قطعة، كلّ منها في علم واحد، وبدّل أسماء العلوم وامتحن بها علماء عصره فعجزوا عن حلّها فضلًا عن الجواب عنها، وأجاب عنها ابنه محمد شاه. وشرح الرسالة أيضًا وصنَّف شرح الرسالة الأثيرية في الميزان، وصنَّفها في يوم واحد من أقصر الأيام، افتتحه بعد صلاة الفجر وختمه مع أذان مغربه. وله الرسائل والحواشي كثيرة لكن بقيت في المسودّة، ومنع الدرس والفتوى والقضاء عن تدوينها. يقال: إنه أقرأ شرح العضد نحو عشرين مرة. قال ابن حجر: كتب لي بخطه بالإجازة لما قدم القاهرة. مات في رجب سنة أربع وثلاثين وثمان مائة. قال السيوطي: لازمه شيخنا العلامة محي الدين الكافيجي وكان يبالغ في الثناء عليه جدًا. وكان للفناري ولدان: أحدهما اسمه يوسف بالي، ويحكى أنه كان من الفضلاء لكن لم نر تصنيفه. والآخر محمد شاه. قال ابن حجر: محمد شاه ابن الشيخ شمس الدين الفناري الحنفي الرومي كان ذكيًا وحجَّ في بضع وثلاثين وثمان مائة، ودخل القاهرة ثم رجع إلى بلاد ابن قرمان فمات بها.

وأما محيى الدين الكافيجي فهو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي البرغمي. قال السيوطي: شيخنا العلامة أستاذ الأستاذين محيى الدين أبو عبدالله الكافيجي الحنفي، ولد سنة ثمان وثمانين وسبع مائة، واشتغل بالعلم أول ما بلغ، ورحل إلى بلاد العجم والتَّتر، ولقي العلماء الأجلاء، فأخذ عن الشمس الفناري والبرهان حيدرة(٢) والشيخ واجد(٣) وابن فرشته(٤)، شارح المجمع وحافظ الدين البزازي

---

(١) المؤيِّد: هو شيخ بن عبدالله المحمودي الظاهري أبو النصر. ولد عام ٧٥٩هـ/١٣٥٨م وتوفي عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م. من ملوك الجراكسة بمصر والشام. شجاع، كريم، محب للموسيقى والشعر، وأخباره مشهورة. انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٨٢، ابن اياس ٢/٢، شذرات الذهب ٧/ ١٦٤، الضوء اللامع ٣/٣٠٨.

(٢) البرهان حيدرة: هو حيدر بن محمد بن ابراهيم بن الشيرازي الخوافي، برهان الدين الهروي، المعروف بالصدر الهروي الحنفي. ولد عام ٧٨٠هـ وتوفي عام ٨٥٤هـ. من علماء اللغة والأصول والمنطق. له تصانيف عديدة. انظر عنه: هدية العارفين ١/ ٣٤١.

(٣) لم نعثر له على ترجمة.

(٤) ابن فرشته: هو عبداللطيف بن عبدالعزيز بن امين الدين بن فرشتا الكرماني، المعروف بابن ملك. توفي عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. فقيه حنفي، مبرز له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٥٩، الفوائد البهية ١٠٧، الضوء اللامع ٤/ ٣٢٩،=

وغيرهم. ودخل القاهرة وأخذ عنه الفضلاء والأعيان، وولي مشيخة الشيخونية لما رغب عنها ابن الهمام. وكان إمامًا كبيرًا في المعقولات كلها: الكلام وأصول الفقه والنحو والتصريف والإعراب والمعاني والبيان والجدل والمنطق والفلسفة والهيئة، بحيث لا يشق أحد غباره في شيء من هذه العلوم، وله اليد الحسنة في الفقه والتفسير والنظر في علوم الحديث وألّف فيه. وأمّا تصانيفه في العلوم العقلية فلا تحصى بحيث إني سألته أنْ يسمّي لي جميعها لأكتبها في ترجمته فقال لا أقدر على ذلك. قال: ولي مؤلّفات كثيرة أنسيتها فلا أعرف الآن أسماءها، وأكثرها مختصرات، وأجلّها وأنفعها على الإطلاق: شرح قواعد الاعراب، وشرح كلمتي الشهادة. وله مختصر في علوم الحديث، ومختصر في علوم التفسير مسمّى بالتيسير، قدر ثلاث كراريس. وكان يقول: إنه اخترع هذا العلم ولم يسبق إليه. وذلك لأنَّ الشيخ لم يقف على البرهان[١] للزركشي ولا على مواقع العلوم[٢] للجلال البلقيني[٣] وكان صحيح العقيدة في الديانات، حسن الاعتقاد في الصوفية، محبًا لأهل الحديث، كارهًا لأهل البدع، كثير التعبّد على كبر سنه، كثير الصدقة والبذل، لا يبقي على شيء، سليم الفطرة، صافي القلب، كثير الاحتمال لأعدائه، صبورًا على الأذى، واسع العلم جدًا. لازمته أربع عشرة سنة فما جئت مرةً إلّا وسمعت منه من التحقيقات والعجائب ما لم أسمعه قبل ذلك. قال لي يومًا: ما إعراب: زيد قائم؟ فقلت: قد صرنا في مقام الصغار، نسأل عن هذا. فقال لي: في زيد قائم مائة وثلاثة عشر بحثًا. فقلت: لا أقوم من هذا المجلس حتى أستفيدها. فأخرج لي تذكرتها فكتبتها منه. توفي الشيخ شهيدًا بالإسهال ليلة الجمعة رابع جمادي الأولى سنة تسع وسبعين وثمان مائة رحمه الله تعالى.

علم التفكّر(*)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في فضيلة التفكّر[٤].

وذلك شائع في كتاب الله تعالى والأخبار بحيث لا حاجة إلى تفصيل ذلك. وأما حقيقته فهي اختصار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة. وهذا إمّا بالتقليد أو بالفكر من عند نفسه، إما بالتعلم والممارسة وهو الأكثر أو بنور إلهي في الفطرة كما كان للأنبياء عليهم السلام، وذلك عزيز جدًا. وقد يسمى تفكّرًا واعتبارًا وتذكّرًا ونظرًا وتأمّلًا وتدبرًا، وقد يخصّ اسم الاعتبار للعبور عن المعرفتين إلى معرفة ثالثة، واسم التذكّر بالعثور على معرفتين فقط، وكّل متفكّر متذكّر بدون عكس كلّي. ثم إنّ ثمرة الفكر العلم ويحصل منه في القلب تغيّر يسمّى حالًا، ويلزم هذا الحال تغيّر في الجوارح يسمّى عملًا.

=وفيات الأعيان ١/ ٤٩، هدية العارفين ١/ ٦١٧.

(١) البرهان في علوم القرآن للشيخ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي. (-٧٩٤هـ). كشف الظنون ١/ ٢٤٠.

(٢) مواقع العلوم من مواقع النجوم لجلال الدين القاضي عبدالرحمن بن عمر البلقيني (-٨٢٤هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٩٠.

(٣) جلال البلقيني: هو عبدالرحمن بن عمر بن رسلان الكناني، العسقلاني الأصل. ثم البلقيني المصري. أبو الفضل جلال الدين. ولد بمصر عام ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م. وتوفي بالقاهرة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م. من علماء الحديث. تولى القضاء والافتاء بمصر. له العديد من المؤلفات. الاعلام ٣/ ٣٢٠، شذرات الذهب ٧/ ١٦٦، كشف الظنون ١/ ٩٣٠، الضوء اللامع ٤/ ١٠٦.

(*) هذا هو الأصل التاسع من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) في النسخة المصرية: التفكير.

فالفكر هو مفتاح الخيرات كلّها. ولذلك قيل: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة، فههنا خمس درجات:

أولها: التذكّر، وهو إحضار المعرفتين في القلب مثل أنْ تعرف أنّ الأبقى أولى بالإيثار، وأنّ الآخرة أبقى.

وثانيها: التفكّر، وهو طلب المعرفة الثالثة منهما.

الثالث: حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها، وهي قولك: الآخرة أولى بالإيثار.

الرابعة: تغيّر حال القلب عما كان بسبب حصول المعرفة، مثل تغيّر القلب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا.

والخامسة: خدمة الجوارح للقلب ما تجدّد له من الحال، وذلك مثل تغيّر أعمال الجوارح في اطّراح الدنيا والإقبال على الآخرة.

المطلب الثاني: في مجاري الفكر.

إعلم أنّ الفكر إما في أمر الدين أو في غيره. وإنّما غرضنا هو الأول، والمراد منه المعاملة بين العبد والرّب. فجميع أفكار العبد إمّا أنْ يتعلّق بالعبد وصفاته وأحواله، أو بالمعبود وصفاته وأفعاله سبحانه. وما يتعلّق بالعبد إمّا أنْ يكون نظرًا فيما هو محبوب عند الرّب، أو فيما هو مكروه، ولا حاجة إلى الفكر في غيرهما. وما يتعلّق بالمعبود إما أن يكون نظرًا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى، وإمّا أنْ يكون نظرًا في أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما.

وإنّما انحصر الفكر فيما ذكر لأنّ المحبّ إذا استغرق في حبّه لم يتسع فكره إلّا ملاحظة محبوبه، وملاحظة أحوال من نفسه يرضى محبوبه أو يسخطه عليه، ولا متسع لغيرهما، فصار محل التفكّر أربعة أقسام:

القسم الأول: التفكّر في صفات نفسه وأفعاله ليميّز المحبوب منها عن المكروه. وطريق الفكر في أمور ثلاثة:

الأول: أنّه هل هو مكروه عند الله أمْ لا، إذْ ربما يشتبه جهة الكراهة.

الثاني: جهة الاحتراز عن المكروه.

الثالث: أنّ المكروه إمّا في الحال فيتركه أو في الاستقبال فيحترز عنه أو فارقه فيما مضى من الأحوال فيتداركه. وقسم المحبوب أيضًا ينقسم إلى هذه الأمور.

ثم هذه الأمور إما طاعات أو معاصٍ ظاهرة، إمّا في الأعضاء السبعة أو غيرها أو صفات منجيات ومهلكات باطنة.

النوع الأول: المعاصي، فيحاسبها صبيحة كلّ يوم أعضاءه السبعة بل جميع بدنه. فإنّ كان ملابسًا في الحال يتركها أوْ لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم، أو هو متعرض لها في نهاره فيستعد لها بالاحتراز والتباعد فيفتش كلّ عضو عضو على الانفراد.

النوع الثاني: الطاعات، فينظر أولًا في الفرائض كيف أكملها أو جبر نقصانها بالنوافل، ثم يفتش كل عضو فيتفكر في صرفه فيما يحبه الله.

النوع الثالث: في الصفات المهلكة التي محلها القلب، من الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب، فيتأمل في كلّ ما ذكرنا في المهلكات، فيمتحن قلبه ويستشهد بالعلامات ولا يلتفت إلى ادعاء النفس التنزّه عنها، ثم يباشر علاجه، وقد ذكرناه في موضعه.

النوع الرابع: في الصفات المنجيات، من التوبة والندم والصبر والشكر ونحو ذلك، وليتفكر كلّ يوم في قلبه وما الذي يعوزه من هذه الصفات المقربة إلى الله. فإذا افتقر الى شيء منها فليعلم أنّها أحوال لا يثمرها إلّا علام[1]، وأنّ العلوم

(١) في النسخة المصرية: علوم، ولعله الأصوب.

لا يثمرها إلّا الأفكار. وأنفع الأمور في هذا إقراء القرآن بالتدبر والتفكّر، ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكّر فيها من بعد أخرى ولو مائة مرة، ويتوقّف في التأمّل ولو ليلة واحدة فإنّ تحت كل كلمة من القرآن أسرارًا لا تحصى، وكذلك مطالعة الأحاديث لأنّه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، وكلّ كلمة من كلماته بحر من بحار الحكمة، ولو تأمّله العالم حقّ تأمّله لم ينقطع فيه نظره طول عمره. فهذا هو طريق التفكّر.

وينبغي أن يكون المبتدىء مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يصل إلى المقامات الشريفة، وهذا التفكّر مع أنّه أفضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب بل هو محجوب عن مطلب الصديقين، وهو التفكّر في جلال الله وجماله واستغراقه فيه بحيث يفنى عن نفسه، والفناء في الواحد الحقّ هو غاية مقصد الطالبين. والذي ذكرناه هو عمارة الباطن، وهو وسيلة الى الفناء. ويروى أنّ الحسين بن منصور[1] لقي الخوّاص[2] وهو يدور في البوادي فقال: فيما أنت؟ فقال: أصحّح حالي في التوكّل. فقال: أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد.

وبالجملة تعمير الظاهر بالعبادات لا يثمر إلّا الجنة دون المجالسة، وتعمير الباطن بالصفات المنجيات يثمر الاستعداد للقاء. وأصل السعادة هو الفناء لأنّه يثمر اللقاء.

واعلم أنّ كلّ مريد ينبغي أنْ يكتب الصفات المهلكات والمنجيات في جريدة، فمهما كفى واحدة من المهلكات خطّ عليها ويدع التفكّر فيها، ويشكر الله تعالى على كفايته إيّاها وتنزيه قلبه منها، وهكذا حتى يفعل على الجميع، وكذا يفعل بالمنجيات. والمهلكات والمنجيات وإنْ كانت لا تقبل الإحصاء إلّا أنّه يكفي من كل منهما عشرة، وهي الأصول[3]، وهي التي ذكرناها في هذا الكتاب فتدبّر فيها. وهكذا حال المعاصي والطاعات الظاهرة، إلّا أنّ كلّ صنف من الناس مبتلون بنوع من المعاصي فيكفي في حقّهم التفكر في ذلك النوع.

القسم الثاني: الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان:

الأول: الفكر في ذاته وصفاته، فإنّ أكثر العقول لا تحتمله بل القدر الممكن من معرفته أنّه تعالى مقدس عن الزمان والمكان، وأنّه ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، قد حيَّر عقول أقوام حتى أنكروه، وذلك لأنّ العقول تتحيّر فيه فلا يطيق مد البصر إليه إلّا الصِّدِّيقون، ثم إنّهم لا يطيقون نور الشمس أصلًا، وعقول الصِّدِّيقين كأبصار الانسان حتى يطيقون النظر ولا يطيقون دوامه. ولذلك قيل: «تفكّروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته».

المقام الثاني: وهو النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه، فإنّها تدلّ على

---

(١) الحسين بن منصور: هو الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث مات مقتولاً عام ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م. فيلسوف زاهد، صوفي ومتكلم. تكلم الناس في دينه ووشوا به حتى قتل وأحرقت جثته. له عدة تصانيف.
الاعلام ٢/ ٢٦٠، الفهرست ١/ ١٩٠، طبقات الصوفية ٣٠٧، روضات الجنات ٢٢٦، البداية والنهاية ١١/ ١٣٢، لسان الميزان ٢/ ٣١٤، ابن الأثير ٨/ ٣٩، وفيات الأعيان ١/ ١٤٦، ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٦، تاريخ بغداد ٨/ ١١٢، مرآة الجنان ٢/ ٢٥٣.

(٢) الخوَّاص: هو ابراهيم بن احمد بن اسماعيل، ابو اسحاق الخواص. توفي عام ٢٩١هـ/ ٩٠٤م. صوفي مشهور له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٨، تاريخ بغداد ٦/ ٧، طبقات الشعراني ١/ ٨٣.

(٣) يقصد المؤلف بالأصول، الأصول العشرة التي أوردها في الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، والشعبة الرابعة في ربع المنجيات، وقد حوّلناها إلى علوم، كل أصل علم مستقل ذكرناه في موضعه بحسب التسلسل الألفبائي المتبع في الموسوعة.

جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه، وعلى كمال علمه وحكمته، وعلى نفاذ مشيئته وقدرته، فننظر إلى صفاته من آثار صفاته. فالنظر إليها في مصنوعاته كالنظر إلى الشمس في الطست، فالأفعال واسطة في مشاهدة الفاعل، فهذا سرّ قوله ﷺ: «تفكّروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله»[1]. فالتفكر في خلق الله، أمّا فيما لا نعرف أصلها فلا يمكن أصلًا. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2] وأما فيما نعرف أصلها وجملتها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا أنْ نتفكّر في تفصيلها. ثم هو إمّا غير مدرك بالبصر كالملآئكة والجنّ والشياطين فمجال الفكر فيه مما يغمض، فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهي المدركات بالبصر كالسمٰوات السبع والأرضين وما بينهما، وكذا الموجودات في السمٰوات والموجودات على الأرض. ولكل هذه الأجناس أنواع، ولكل نوع منها أقسام، وللأقسام أصناف، ولكلّ منها صفات وهيآت ومعانٍ ظاهرة وباطنة، وجميع ذلك مجال للفكر، فلا تتحرك ذرّة في السموات والأرض إلّا وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة، كلّ ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودالّ على جلاله وكبريائه. وقد ورد القرآن بالحثّ على التفكّر في هذه الآيات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾[3]. وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كثير من المواضع في القرآن قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، كل ذلك مشتمل على العبر الكثيرة للمتفكرين.

ولنضرب لك مثالًا أمكنك أنْ تحذو البواقي حذوه، وهو أنّ أقرب الأشياء إليك نفسك، وهي مخلوقة من نطفة هي قطرة من الماء أخرجها ربّ الأرباب من بين الصُّلب والترائب، ولإخراجها من صلب الرجل إلى رحم المرأة ألقى الألفة والمحبة بينهما، وقادهما بسلسلة الشهوة إلى الاجتماع، ثم خلق من النطفة مولودًا بأنْ جعلها علقة وهي بيضاء مشرة، ثم جعلها مضغة، ثم مع تشابه أجزائها قسّمها إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم، ثم ركّب من هذه الأعضاء الظاهرة والباطنة فقدّر الرأس ومشق السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ، ثم مدّ اليد والرجل وقسم رؤوسها بالأصابع وقسمها بالأنامل، ووضع فيها الأظفار، ثم ركّب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء، كلّ واحد على شكل مخصوص بعمل مخصوص.

ثم لو ذهبنا نفصّل أحوال كلّ منها لفنيت القوى وتحيّرت النهى. مثلًا أبصار العين وطبقاتها وكذلك كيفية السمع والذوق لدهش من عجائبها العقول، فانظر إلى الحدقة وهي مقدار عدسة كيف تحيط بنصف السماء دفعة مع عظمها. وانظر إلى السمع كيف يدرك الأصوات ويميّز بين الحروف، ويفرّق بين جهات الصوت، مع أنّ المدخل واحد، إلى غير ذلك من العجائب.

مثلًا، مجموع عظام البدن مائتا عظم وثمانية وأربعون عظمًا سوى العظام الصغار. ولو تكلمنا في كل واحد منها لم نقض من حكمة واحدٍ منها عشر أعشارها فضلًا عن سائر حكمها. إلّا أنّ الذي ذكرناه من النظر في الحكم لسنا نريد به نظر الطبيب في حكم خواص هذه الأجزاء لينكشف وجه العلاج فيها إنْ زال عن مزاجها الطبيعي، بل نريد به نظر أهل البصائر الذي يستدلون بحكمها على جلالة خالقها ومصوّرها، فشتان بين النظرين. فسبحانه سبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه.

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب المراقبة والمحاسبة، باب بيان مجاري الفكر، ١٠/ ١٨٠.
(٢) يس/ ٣٦.
(٣) آل عمران/ ١٩٠.

فهذه نبذ من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها وأنت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك، لا تعرف من نفسك إلّا أنْ تجوع فتأكل، وتشبع فتنام، وتشتهي فتجامع، وتغضب فتقاتل، ويشاركك في ذلك البهائم والسباع كلهم. وإنما خاصية الإنسان معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وعجائب الآفاق والأنفس، إذْ بها يدخل العبد في زمرة الملآئكة المقرّبين، ويحشر في زمرة النبيّين والصِّدِّيقين، مقرّبًا من حضرة ربِّ العالمين. نسأل الله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال.

علم تقاسيم العلوم(*)

وهو علم باحث عن التدرّج من أعم الموضوعات إلى أخصّها ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم. ولما كان أعمُّ العلوم موضوعًا العلمَ الإلهي، جعل تقسيم العلوم من فروعه، ويمكن التدرّج فيه من الأخصّ إلى الأعمّ على عكس ما ذكر، لكن الأول أسهل وأيسر. وموضوع هذا العلم، والغاية والغرض منه، ومنفعته كلّها لا يخفى على أحد. وصنف ابن سيناء في هذا العلم رسالة لطيفة، وهذه الرسالة التي نحن بصدد تنقيحها وتهذيبها عظيمة النفع في هذا الباب، والله أعلم بالصواب.

علم تقسيم الأوراد وفضيلتها وأحكامها(**)

واعلم أنّ السالك لطريق الآخرة إما عابد أو عالم أو متعلم أو دالّ أو محترف أو موحّد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره، ففيه مطالب:

المطلب الأول:

في ترتيب أوراد العابد المتجرّد لعبادة الله عز وجل.

فلنذكر أولًا فضيلة الأوراد، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ، وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات.

واعلم أنّ في النهار سبعة أوراد: ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ورد، ومنه إلى الزوال وردان، ومنه إلى العصر وردان. ومنه إلى المغرب وردان. وفي الليل أربعة أوراد: من المغرب إلى نوم الناس وردان، وفي النصف الأخير إلى الفجر وردان، ثم ورد خامس وهو ورد النوم.

والأول ورد الصبح وفضله كثير في الآيات، منه قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾[4]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥﴾[5]، فإذا انتبه من النوم يدعو بدعاء الاستيقاظ، وقد مرّ، ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستعانة على عباده[6] من غير قصد رئاء ورعونة، ثم يباشر الطهارة على ما مرّ، ثم يستاك ويتوضأ على ما مرّ، ثم يصلي ركعتي

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في فروع العلم الإلهي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(**) هذا هو الأصل العاشر من أصول الشعبة الأولى في العبادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(١) الإنسان/ ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) ق/ ٣٩.
(٣) هود/ ١١٤.
(٤) ق/ ٣٩، طه/ ١٣٠.
(٥) الإنسان/ ٢٥.
(٦) كذا في الأصل، والظاهر: عبادته.

الفجر في منزله، ثم يدعو بدعاء ابن عباس: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، إلى آخر الدعاء، وقد مرّ ذكره، ثم يخرج ويدعو بدعاء الخروج، ويمشي بالسكينة والوقار، ويدخل المسجد ويذكر دعاء الدخول، ثم يطلب الصف الأول إنْ وجد فرجة، ولا يتخطى الرِّقاب ولا يزاحم، ثم يصلّي ركعتي الفجر إنْ لم يصلها في البيت ويدعو بما يدعى بعدهما وقد سبق. وإنْ كان صلاهما صلى ركعتي التحية وجلس منتظرًا للجماعة فإنّه بمنزلة غزوة في سبيل الله، كذا ورد في الآثار. والأحبّ التغليس عند الشافعية وعند الحنفية الإسفار. وينبغي أن لا يترك الجماعة لأنها فرض كفاية عند الشافعية وسُنَّة مؤكّدة عندنا، ثم يشتغل بعد ركعتي الفجر بالدعاء بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول: أستغفر الله الذي لا إله إلّا هو الحي القيوم وأتوب إليه، سبعين مرة. وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر مائة مرة. ثم يصلي الفريضة مع آدابها الظاهرة والباطنة، ثم يقعد في مصلّاه إلى طلوع الشمس ويشتغل عند ذلك بأربعة أنواع:

أحدها: الدعاء ويقول أولًا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم أنت السلام وإليك يعود السلام، حيّنا ربَّنا بالسلام، وأدخلنا دار السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام. ثم يقول: سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب، لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. لا إله إلّا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلّا الله لا نعبد إلّا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ثم يبتدىء ويدعو بالأدعية المذكورة كلًا أو بعضًا بقدر طاقته وما يراه أوفق لحاله وأرقّ لقلبه وأخفّ على لسانه.

ثانيها: الأذكار المكررة ثلاثًا أو سبعًا وأكثرها مائة أو سبعين، وأوسطها عشر، ويكرر بقدر فراغه وسعة وقته، وفضل الأكثر أكثر إلّا أنَّ القليل مع المداومة أفضل وأشدّ تأثيرًا في القلب من غير مداومة، وتلك الأذكار عشر:

الأولى: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

الثانية: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

الثالثة: سُبُّوح قدوس ربّ الملائكة والروح.

الرابعة: سبحان الله العظيم وبحمده.

الخامسة: أستغفر الله الذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم وأسأله التوبة.

السادسة: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ.

السابعة: لا إله إلّا الله الملك الحق المبين.

الثامنة: بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

التاسعة: اللهم صلِّ على محمد عبدك ونبيِّك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد.

العاشرة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون.

فهذه عشر كلمات إذا كرر كلّ واحدة منها عشر مرات حصل له مائة مرة، فهو أفضل من أنْ يكرّر ذكر واحدة مائة لأنَّ لكل واحدة منها فضلًا على حيالها، وللقلب لكل منها نوع تلذّذ واستراحة وأمن من الملال.

ثالثها: القراءة، فالأفضل أن يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾[1] و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ

---

(١) البقرة/ ٢٨٥.

ٱلْمُلْكِ﴾[١][٢] الآيتين، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٣]، إلى آخرها، ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[٤] إلى آخرها، و﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[٥] وخمس آيات من أول الحديد، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر. وإنْ أراد أن يستكمل الفضل فليقرأ المسبّعات العشر وهي: سورة الحمد، والمعوذّتين، وقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، وآية الكرسي، كلّ واحدة سبع مرات، ويقول سبعًا: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر، ويصلي على النبي ﷺ سبعًا، ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعًا، وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعًا وتقول: اللهم افعل بي وبهم عاجلًا وآجلًا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا مولانا ما نحن له أهل، إنّك غفور رحيم سبع مرات، رواها كرز بن وبرة[٦] عن إبراهيم التيمي[٧] أنه أهداها إليه الخضر عليه السلام، وقال: أعطانيها محمد ﷺ، وقال: إذا لقيته فسل عن ثوابه، فذكر إبراهيم التيمي أنه رأى ذات ليلة في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلته الجنة، فرأى في الجنة أمورًا عظيمة، فقال للملائكة: لمن هذا؟ فقالوا: للذي يعمل مثل عملك. وذكر أنه أكل من ثمارها وسقوه من شرابها. قال: وأتاني النبي ﷺ ومعه سبعون نبيًا وسبعون صفًا من الملآئكة، كلّ صف مثل ما بين المشرق والمغرب، فسلّم عليَّ وأخذ بيدي. فقلت: يا رسول الله: إنّ الخضر أخبرني أنّه سمع هذا الحديث منك فقال ﷺ: صدق الخضر، وكلّ ما يحكيه فهو حقّ، وهو عالم أهل الأرض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله تعالى في الأرض. فقلت: يا رسول الله من فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي؟ فقال: والذي بعثني بالحقّ إنّه ليعطى بهذا وأنْ لم يرني ولم ير الجنة إنّه ليغفر له جميع الكبائر، ويرفع الله سبحانه عنه غضبه ومقته، ويؤمر صاحب الشمال أنْ لا يكتب عليه شيئًا من السيئات إلى سنة. والذي بعثني بالحقّ ما يعمل بهذا إلّا من خلقه الله سعيدًا، ولا يتركه إلّا من خلقه الله شقيًا. وكان إبراهيم مكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب، ولعله كان بعد هذه الرؤيا.

واعلم أنّه إن إضاف إلى ذلك ما انتهى إليه ورده من القرآن كان أحسن وأفضل.

ورابعها: الأفكار وذلك إمّا في المعاملات بأن يحاسب نفسه بأن يتفكّر في تقصيره وفي دفع الصوارف والعوائق عن الخير وطريق الإخلاص في النيات، وإمّا في المكاشفات بأنّ يتفكّر في جلال الله تعالى ونقمته فيزداد خوفًا، أو في جماله ونعمته ويزداد شكرًا. والفكر أشرف العبادات لأنّ فيه الذكر ومادة المعرفة، إذْ الفكر

---

(١) آل عمران/ ١٨.
(٢) آل عمران/ ٢٦.
(٣) التوبة/ ١٢٨.
(٤) الفتح/ ٢٧.
(٥) الاسراء/ ١١١.
(٦) كرز بن وبرة: هو كرز بن وبرة الحارثي. من أهل الكوفة سكن جرجان، عابد زاهد. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣١٤، حلية الأولياء ٥/ ٧٩.
(٧) إبراهيم التيمي: هو ابراهيم بن يزيد بن شريك التيمي. توفي عام ٩٢هـ. إمام فقيه، عابد الكوفة، محدث، له رواية واخبار. انظر عنه:
سير اعلام النبلاء ٥/ ٦٠، ابن سعد ٦/ ٢٨٥، اللباب ١/ ١٩٠، تاريخ الاسلام ٣/ ٣٣٧، العبر ١/ ١٠٦، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٥.

مفتاح المعارف ويحصل من المعرفة التعظيم ومنه المحبة. وأيضًا الذكر وإن أورث الأنس الذي هو نوع من المحبة، فالمحبة الحاصلة من الفكر أقوى وأثبت وأعظم. أو لا يرى أنّ العشق لمن يشاهد جماله بالعين أقوى من العشق لمن كرّر على السمع وصفه، إذْ ليس الخبر كالعيان.

قال الشاعر:

ولكن للعيان لطيف معنى
به سأل المعاينة الكليمُ

ولهذا صار يقين العارفين الذين شاهدوا ذلك الجمال والجلال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر أجّل وأعظم من يقين العباد المواظبين على ذكر الله بالقلب واللسان، إذْ ليس معهم من محاسن الصفات إلّا أمور جميلة[١] لا تشفي العليل ولا تسقي الغليل، إلّا الأقل من القليل الذين قنعوا من اليقين بالدليل.

الورد الثاني: وهو الذي من طلوع الشمس الى ضحوة النهار، وهي منتصف ما بين الطلوع إلى الزوال، وذلك لمضي ثلاث ساعات من نهار يكون اثنتي عشرة ساعة، إذْ هي ربع النهار، وفي هذا الربع وظيفتان:

إحداهما: صلاة الضحى، وهي نوعان: أحدهما وقت إشراق الشمس وهو وقت ظهور نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات الأرضية المانعة عن إشراق نورها، وهذا ركعتان، وقد مرّ ذكرهما، ويسمّيان صلاة الإشراق. وثانيهما وقت اشتداد حرّ الشمس إذا رمضت الفصال وهو الضحى الأعلى، فيصلي عند ذلك أربعًا أو ستًا أو ثمانيًا، ويسمّى ذلك صلاة الأوّابين. خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يصلّون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته: «ألا إنّ صلاة الأوّابين إذا رمضت الفصال»[٢]. ولذلك يقال إذا اقتصر على واحد من النوعين فهذا الوقت أفضل.

وثانيهما: الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادة بكرةً من عيادة مريض أو تشييع جنازة، ومعاونة على برٍّ وتقوى، وحضور مجلس علم، وقضاء حاجة لمسلم ونحو ذلك. فإنْ لم يوجد شيء من أمثال هذه عاد إلى الوظائف الأربع التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلاة تطوعًا، إذْ حينئذٍ تحلّ الصلاة.

الورد الثالث: من ضحوة النهار إلى الزوال، فالصلاة في كل ساعة مستحبة أو مفروضة من الصبح إلى الضحوة ثلاثًا، ومنها إلى الزوال ثلاثًا، وكذا منه إلى العصر، ومن العصر إلى المغرب. فالضحى نظير العصر إلّا أنّه لم يفترض لأنّه وقت أشغال الناس ومعاشهم، فخفّف عنهم. فوظيفة الوقت المذكور الأقسام الأربعة، ويزيد أمرين: أحدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش، فإن كان تاجرًا يحضر السوق وسنذكر شرائطه، ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه. وثانيهما القيلولة وهي سُنَّة ليستعين بها على قيام الليل، كما أنّ التسحُّر سُنَّة ليستعين به على صيام النهار. فإنْ كان لا يقوم بالليل لكن كان بحيث لو لم ينم لاشتغل بالتحدّث مع الناس فالنوم أحبّ إليه، وكذا لو كان بحيث لا ينشط بدون النوم للأذكار والوظائف المذكورة فنومه على النيتين المذكورتين يصير قربة. ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة وحضور المسجد قبل وقت الصلاة، وإنْ لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنّه وقت غفلة الناس واشتغالهم بهموم الدنيا. فالخدمة عند إعراض العبيد عن باب مولاهم جدير بأنْ يزكّيه الله تعالى

(١) كذا في الأصل، ولعله جملية.
(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الأوابين، ح ١٤٤، ٥١٦/١.

ويصطفيه لقربه ومعرفته؛ ولهذا المعنى صار إحياء الليل قربة وفضلًا.

الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهو أقصر أوراد النهار وأفضلها، فإذا حضر المسجد قبل الزوال فليصبر إلى فراغ المؤذّن عن جواب أذانه، ثم ليقم إلى إحياء ما بين الأذان والإقامة، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[1]، وليصل أربع ركعات لا يفصل بينها بتسليم، وليطولها إذْ فيها تفتح أبواب السماء، وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورتين من المئين أو أربعًا من المثاني، فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء. وأحبّ رسول الله ﷺ أنْ يرفع له فيها عمل، ثم يصلي الظهر بجماعة، ثم يصلي بعده ركعتين، ثم أربعًا يقرأ فيها آية الكرسي وآخر البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول.

الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر فيعتكف ما بينهما في المسجد مشتغلًا بالذكر والصلاة وفنون الخير، وكان ذلك سُنَّة السَّلف لأنّه وقت غفلة الناس. لكن إنْ كان البيت أسلم لدينه وأجمع لهمّه فهو أفضل. وفي هذا الوقت يكره النوم إذْ يكره نومتان بالنهار، وهذا الوقت هو المراد بالآصال في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾[2].

واعلم أنَّ اعتدال النوم ثماني ساعات بالليل والنهار اللذين هما جميعًا أربع وعشرون ساعة، وإنْ نقص منه مقدارًا استوفاه بالنهار، ولا يزيد عليه. فحسب ابن آدم إنْ عاش ستين أنْ ينقص من عمره عشرين سنة وهو ثلث عمره، ولكن لا ينقص منه لئلّا يختل البدن فيضيع طاعته وكماله، إلّا أنْ يتعوّد السَّهر بالتدريج ويتمرن عليه من غير اضطراب. وقد شاهدنا ذلك في بعض العباد مع قوة أبدانهم في العبادات.

الورد السادس: بعد دخول وقت العصر وليس في ذلك صلاة غير أربع ركعات بين الأذان والإقامة، ثم يصلي العصر، ثم يشتغل بالوظائف الأربع المذكورة. وإن اشتغل بالتلاوة وبتدبر كان أفضل.

الورد السابع: وقت اصفرار الشمس وهو المراد بقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾[3]، فيستحب فيه الدعاء والتسبيح والاستغفار خاصة، وسائر ما ذكر في الورد الأول، مثل أن يقول: أستغفر الله الذي لا إله إلّا هو الحيّ القيوم وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده، ويستغفر ويقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[4] ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[5]. ربّ اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين الراحمين.

ويستحب أنْ يقرأ قبل الغروب ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾﴾[6] و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾[7] والمعوذتين، ولتغرب الشمس وهو في الاستغفار كما قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[8]. فإذا سمع الأذان قال:

(١) الروم/ ١٨.
(٢) الرعد/ ١٥.
(٣) الروم/ ١٧.
(٤) نوح/ ١٠.
(٥) النصر/ ٣.
(٦) الشمس/ ١.
(٧) الليل/ ١.
(٨) غافر/ ٥٥.

اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك، الدعاء كما سبق. ثم يجيب المؤذن، ثم يشتغل بصلاة المغرب، وبذلك انقضت مرحلة من عمره. فحينئذٍ يحاسب نفسه هل كان شرًا من أمسه فكان من الملعونين، فعند ذلك فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه، فإنّ الحسنات يذهبن السيئات، والليل خلفة النهار، فيداوي تفريطه بالليل، أو ساواه فكان من المغبونين، لأنّ من استوى يوماه فهو مغبون. قال النبي ﷺ: «لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرًا»[١]، فإنْ رأى زيادة في خيره فليحمد الله عزّ وجلّ وليشكره على توفيقه وتسديده إياه لطريقه، وليحضر في قلبه أنّ نهار العمر له غروب ولا طلوع بعده، فيغلق باب التدارك فيبادر إلى الخيرات قبل فواتها.

بيان أوراد الليل وهي خمسة:

الأول: الاشتغال بإحياء ما بين العشائين إلى غيبوبة الشفق وهي المراد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾[٢]، وليحذر عن النوم في ذلك الوقت ويصلّي بعد المغرب ركعتين يقرأ فيهما: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، من غير تخلّل كلام وشغل عقيب صلاة المغرب، ثم يصلّي أربعًا يطيلهن، ثم يصلي ما تيسّر له إلى غيبوبة الشفق. فإن كان منزله قريبًا من المسجد فلا بأس أنْ يصلي هاتين الصلاتين في بيته إذا لم يكن قصده العكوف في انتظار العتمة، وإنْ قصد ذلك فهو أفضل إنْ لم يدخله التصنع والرياء والسمعة.

الورد الثاني: من وقت العشاء إلى حدّ نوم الناس وهو بمراعاة أمور ثلاثة:

الأول أن يصلي بين الأذان والإقامة أربع ركعات ويصلي بعد الفرض ركعتين ثم أربعًا، ويقرأ فيهما آخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وغيرها.

الثاني أنْ يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر، والحزم تقديمه على النوم إذْ ربما لا يستيقظ ويثقل عليه القيام، إلّا أنْ يعتاد ذلك فالتأخير أفضل، وليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلاثمائة من السور التي كان رسول الله ﷺ يكثر قراءتها، مثل سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة، فإنْ لم يصل فلا يدع قراءة هذه السورة بعضها قبل النوم. روي أنّ ما كان يقرأ النبي ﷺ في كل ليلة السجدة وتبارك الملك، وفي رواية الزمر وبني اسرائيل، وفي رواية كان يقرأ المسبّحات كل ليلة ويقول: فيها آية أفضل من ألف آية. وبعض العلماء يزيدون سبّح اسم ربك الأعلى لأنه ﷺ كان يحبّ هذه السورة، وكان ﷺ يقرأ في الوتر سبّح اسم ربك الأعلى وقلّ يا أيها الكافرون وسورة الإخلاص، فإذا فرغ قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات.

الثالث: الوتر قبل النوم، والتأخير أفضل لمن وثق بالانتباه، ويقول بعد السلام من الوتر: سبحان الملك القدوس ربّ الملآئكة والروح، جللت السمٰوات والأرضين بالعظمة والجبروت، وتعززت بالقدرة، وقهرت العباد بالموت.

الورد الثالث: النوم، وأنه من العبادة إنْ روعيت آدابه. وورد في الحديث: «إذا نام العبد على طهارة وذكر الله عزّ وجلّ يكتب مصليًا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك، فإنْ تحرّك في نومه فذكر الله عزّ وجلّ دعا له الملك واستغفر له»[٣]. وفي الخبر: «إذا نام العبد على طهارة

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) المزمل/ ٦.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الاوراد في الأوقات، باب بيان أوراد الليل، ٥/١٥٧.

رفعت روحه إلى العرش»[١]. هذا في العوام فكيف في العلماء وأرباب القلوب المكاشفين بالأسرار في النوم. ولذلك قال ﷺ: «نوم العالِم عبادة ونفسه تسبيح»[٢].

وآدابه عشرة:

الأول: الطهارة والسواك إذْ بذلك عرج بروحه إلى السماء فتصدق رؤياه وإلّا فتصير أضغاث أحلام، كذا ورد في الخبر. إلّا أنّ المراد طهارة الظاهر والباطن جميعًا لأنّها هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيوب.

الثانية: أن يعدّ عند رأسه سواكه وطهوره، وينوي القيام للعبادة، وكلما انتبه استاك، كذا روي عن رسول الله ﷺ، وإنْ لم يتيسر له الطهارة يتيمم، فإنْ لم يجد فليقعد مستقبل القبلة ويشتغل بالذكر والدعاء والفكر فذلك يقوم مقام قيام الليل.

الثالث: أن لا يبيت إلّا ووصيته مكتوبة عنده فإنّه لا يأمن القبض في النوم. يقال: من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام في البرزخ إلى يوم القيامة، يتزاورون الأموات ويتحدثون فهو لا يتكلم. فيقول بعضهم لبعض: هذا المسكين مات من غير وصية، وذلك مستحب خوفًا من الفجاءة، وموت الفجاءة تخفيف إلّا لمن ليس مستعدًا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم.

الرابع: أنْ ينام تائبًا من كلّ ذنب، سليم القلب لجميع المسلمين، لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية إنْ استيقظ.

الخامس: أن لا يتنعم بالفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه. وكان بعضهم يكرهون الفراش المهيأ للنوم. وكان أهل الصُفّة لا يتركون بينهم وبين التراب حاجزًا ويقولون: منها خلقنا وإليها نرد، وكانوا يرون ذلك أرقّ لقلوبهم وأجدر لتواضع نفوسهم، إلّا أنّ ذلك في البلاد الباردة يضر بالمزاج، فالاقتصاد فيها أنْ لا يعين للنوم فراشًا بل ينام على ما يقعد عليه في النهار أي شيء كان.

السادس: أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه، وقد كان السلف نومهم غلبة، وأكلهم فاقة، وكلامهم ضرورة إلّا أنْ يقصد به الاستعانة على قيام الليل، وإنْ غلبه النوم عن الصلاة أو الذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يدري ما يقول. قال ﷺ: «لا تشادوا هذا الدين فإنّه متين، فمن يشاده يغلبه»[٣]، فلا تبغض إليك عبادة الله عز وجل.

السابع: أنْ ينام مستقبل القبلة إمّا كهيئة المحتضر بأن يستلقي على قفاه ورجلاه إلى القبلة، أو كهيئة المقبور بأنْ ينام على جنب، ووجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الأيمن.

الثامن: الدعاء عند النوم وقد مرّ ذلك، ويستحب أن يقرأ آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤]. يقال أن من قرأ هذا عند النوم حفظ عليه القرآن فلم ينسه. ويقرأ من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٥]، وآخر بني إسرائيل: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾[٦] الآيتين، فإنّه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له، ويقرأ المعوذّتين

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الاوراد في الاوقات، باب بيان أوراد الليل، ٥/ ١٥٧.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الاوراد، باب بيان أوراد الليل، ٥/ ١٥٧.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الاوراد في الأوقات، باب بيان اوراد الليل، ٥/ ١٦٠.
(٤) البقرة/ ١٦٢-١٦٣.
(٥) الأعراف/ ٥٤.
(٦) الاسراء/ ١٧.

وينفث بهما في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده، وذلك مروي من فعل رسول الله ﷺ، وليقرأ عشرًا من أول الكهف وعشرًا من آخرها، وهذه الآي لاستيقاظ قيام الليل. وكان عليّ كرم الله وجهه يقول: ما أرى رجلًا مستكملًا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسًا وعشرين: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر، ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة.

التاسع: أن يتذكر عند النوم أنّ النوم أخو الموت والتيقّظ نوع بعث، ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة. فلا بد للنائم وأن يفتش عن قلبه عند النوم أنّه على ماذا ينام، وما الغالب عليه حبّ الله تعالى وحبّ لقائه أو حبّ الدنيا، وليتحقق أنّه يتوفى على ما هو الغالب عليه، ويحشر على ما يتوفى عليه، فإنّ المرء مع من أحبّ ومع ما أحبّ.

العاشر: الدعاء عند التنبه بما سبق ويقول مهما تنبه من النوم: لا إله إلّا الله الواحد القهار ربّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار، وليجتهد أنْ يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم وأول ما يجري على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى، فإنّ علامة الحبّ ذلك وليجرب قلبه بذلك فإنّها علامة تكشف عن باطن القلب.

الورد الرابع: يقوم في السدس الأخير من الليل إلى التهجّد وهو اسم لما بعد الهجود والهجوع وهو النوم، إذْ حينئذٍ يهتز العرش وتنتشر رياح الجنة العدن، وينزل الجبار سبحانه إلى سماء الدنيا كما ورد في الخبر. فبعد ما فرغ من دعاء الانتباه يتوضأ ثم يستقبل القبلة ويقول: الله أكبر كبيرًا والحمدلله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا، ثم يسبح عشرًا ويحمد عشرًا ويهلل عشرًا ويقول: الله أكبر ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة، ثم يقول هذه الكلمات فإنّها مأثورة عن النبي ﷺ في قيامه للتهجد. اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن، أنت الحقّ ومنك الحقّ ولقاؤك حقّ، والجنة حقّ والنار حقّ، والنبيون حقّ، ومحمد ﷺ حقّ. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت. أنت المقدّم وأنت المؤخّر، لا إله إلّا أنت. اللهم آتِ نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها، أنت ولّيها ومولاها. اللهم اهدني لأحسن الأعمال، لا يهدي لأحسنها إلّا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف سيئها عني إلّا أنت. أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل، فلا تجعلني بدعائك ربّ شقيًا، وكنْ بي رؤفًا رحيمًا يا خير المسئولين وأكرم المعطين. قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته وقال: اللهم ربّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم[(١)]. ثم يفتتح الصلاة ويصلي خفيفتين[(٢)]، ثم يصلي مثنى ما يسّر له ويختم بالوتر إنْ لم يكن صلاه. ويستحب أنْ يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح، ويزيد في نشاطه للصلاة. وقد صحّ في صلاة النبي ﷺ بالليل أنّه صلى

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في الليل، ح ٢٠٠، ١/ ٥٣٤.

(٢) كذا في الأصل.

أولًا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللاتي قبلهما هكذا إلى ثلاث عشرة ركعة بالتدريج. وسئلت عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يُسرّ؟ فقالت: ربما أسرّ وربما جهر. وقال ﷺ: «صلاة المغرب أوترت صلاة النهار، فأوتر صلاة الليل»[١].

الورد الخامس: السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر فيصلي ركعتي الفجر ثم يقول: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾[٢] الآية، ثم يقول: وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت ملآئكته وأولو العلم من خلقه، واستودع الله هذه الشهادة وهي لي وديعة عنده، وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها. اللهم احطط عني بها وزرًا واجعل لي بها عندك ذخرًا واحفظها عليَّ وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلًا.

فهذا ترتيب الأوراد للعباد، ومع ذلك فقد كانوا يستحبون أنْ يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة، وإنْ قلت: حتى العنبة والبصلة وكسرة خبز وعيادة مريض وشهادة جنازة، إذْ قد ورد في فضل كل منها الأحاديث والأخبار والآثار. واعلم أنّ الأولى من بين الأوراد قراءة القرآن في الصلاة قائمًا مع التدبّر لأنه يجمع جميع أنواع الأذكار، لكن ربما تعسر المواظبة عليها فيجوز للعابد الانتقال من نوع إلى نوع لا يلحقه فيه الملل، إذْ الغرض تحصيل صفاء الباطن. والتحقيق أنّ أحوال الأشخاص متفاوتة، فمن واحد يرى الصفاء في نوع، ومَن آخر في غيره، فعليه أنْ يلازم ما وجد عنده في قلبه فتحًا وصفاءً. وتوزيع الأوراد إنما هو لأجل دفع الملل، وتجربة لما له فيه الصفاء. فإذا أصابه فليواظب عليه وذلك يختلف باختلاف الطبائع وبتفاوت الأحوال. وكان في الصحابة من ورده في اليوم والليلة إثنتي عشر ألف تسبيحة، وفيهم من ورده ثلاثون ألفًا. وفيهم من يصلي ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة ركعة، وإلى ألف ركعة، ولم يكن أقل من مائة ركعة. وكان فيهم من يختم في اليوم مرة ومرتين، ومنهم من ورده آية واحدة يردّدها بالتفكر إلى غير ذلك.

المطلب الثاني:

العالم الذي ينتفع بعلمه بفتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيب أوراده يخالف ترتيب أوراد العابد، لأنّ العلم أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات، وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة. ورُبَّ مسألة واحدة يصلح بها المتعلم عبادة عمره. وإنما المراد بالعلم العلم المذكّر للآخرة، لا العلم الذي يتوسل به إلى المال والجاه وقبول الخلق، فينبغي للعالم أنْ يوزع أوقاته وألّا يلحقه الكلال، فيخصص ما بين الفجر إلى طلوع الشمس ومنه إلى الضحوة في الإفادة والتعليم إنْ كان عنده من يستفيد علمًا لأجل الآخرة، وإنْ لم يكن فيصرفه إلى الفكر وحلّ مشكلات العلوم الدينية، فإنّ صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا أكثر وأوفر. ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركهما إلّا في وقت[٣] أو طهارة أو مكتوبة أو قيلولة خفيفة إنْ طال النهار، ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع، ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح، فيكون ورده الأول عمل اللسان، والثاني عمل القلب، والثالث عمل العين واليد، والرابع عمل السمع لتتروح به

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات، باب بيان أوراد الليل، ٥/ ١٦٦.
(٢) آل عمران/ ١٨٠.
(٣) كذا في الأصل.

العين واليد، إذْ المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضر إلى البصر وعند الاصفرار يعود إلى عمل اللسان. هذا تقسيم النهار.

وأما تقسيم الليل فالأولى فيه تقسيم الشافعي حيث جعل الثلث الأول للمطالعة وتربية العلم، والثاني للصلاة، والثالث للنوم. إلّا أنّ ذلك ربما لا يتيّسر في ليالي الصيف إلّا إذا كثر النوم بالنهار، وإلّا فليجعل المطالعة والصلاة أقلّ من الثلث، وليضم ما فضل منهما إلى النوم، إذْ البدن إذا ضعف يفوت الكمال الكثير، اللهم إلّا أنْ يعتاد ذلك بالتدريج. وقد شاهدنا من يفعل ذلك.

المطلب الثالث:

في المتعلم، والتعلّم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد، ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة، والتعليق أو النسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف.

المطلب الرابع:

في المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أنْ يستغرق الأوقات في العبادات لئلّا يضيع له العيال بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب، لكن ينبغي أن لا ينسى الله عزّ وجلّ في صناعته فيواظب على ما أمكن جمعه مع العمل، فإذا فرغ من كفايته يعود إلى أوراده.

المطلب الخامس:

في الوالي مثل الإمام والقاضي والمتولي لأمر من أمور المسلمين، فقيامه بحاجات المسلمين على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة، فحقّه أن يشتغل بأمور الناس نهارًا، ويقتصر على المكتوبة، ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه، إذْ قال: مالي وللنوم. لو نمت بالنهار لضيّعت أمر المسلمين، ولو نمت بالليل لضيّعت نفسي.

فظهر مما ذكر أنّ العلم والرفق بالمسلمين مقدّمان على كثير من العبادات لتعدّي نفعهما إلى العامة.

المطلب السادس:

الموحّد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمّه همّ واحد فلا يحبّ إلّا الله عزّ وجلّ، ولا يخاف ولا يرجو إلّا منه. فمن ترقت رتبته إلى هذا الحد لا يحتاج إلى ترتيب الأوراد وتوزيعها، لأنّ قلبه مع الله في كلّ وقت، فلا محرّك له ولا مسكن إلّا الله تعالى، ولا تتميز عنده عبادة عن عبادة، وهو الذي يستغني عن تعليم المعلمين فذلك خارج عن خطابنا في هذا الباب، إلّا أنه ينبغي للمريد أن لا يدّعي لنفسه تلك المرتبة ويتكاسل عن وظائف العبادات، وإنّ أحاط به حسن الظنّ بنفسه وألقاه في العجب فعليه أن يتدارك حاله بما سنذكره إن شاء الله تعالى.

خاتمة في قيام الليل:

وهو صنفان: إمّا قبل النوم أو بعده.

الصنف الأول: يسمّى صلاة الأوابين وهي ركعتان من واظب عليهما بنى الله له قصرين في الجنة. قيل: يقرأ في الأولى بعد الفاتحة عشر آيات، من أول البقرة، وآيتين من وسطها من قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة، ويقرأ في الثانية بعد الفاتحة آية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ﴾ إلى آخرها، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ خمس عشرة مرة. ووصف في الحديث: ثوابها يخرج عن الحصر. وفي رواية: «أربع ركعات من واظبها عدلت له عبادة سنة أو كأنها صليت ليلة القدر»[1]. وفي رواية: «عشر

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب الصلاة، باب الاكمال من سنة المغرب، ح ١٩٤٥٥، ٧/٣٩٣، بلفظ: «من صلى=

ركعات من واظبها بني له قصر في الجنة»[١].

ونقل عن كرز بن وبرة وهو من الأبدال، قلت للخضر عليه السلام: علمني شيئًا أعمله في ليلتي. قال: إذا صليت المغرب فقم إلى صلاة العشاء مصليًا من غير أن تكلّم أحدًا، وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلّم من كلّ ركعتين، واقرأ في كلّ ركعة بعد الفاتحة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثلاثًا. فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلّم أحدًا، وصلِّ ركعتين واقرأ في كلّ ركعة بعد الفاتحة الإخلاص سبعًا، ثم اسجد بعد تسليمك، واستغفر الله سبعًا، وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم سبعًا، ثم ارفع رأسك من السجود واستوِ جالسًا، وارفع يديك وقل: يا حيّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا إله الأولين والآخرين، يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، يا ربّ، يا ربّ، يا ربّ، يا الله، يا الله، يا الله، ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء، ثم نَمْ حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك، وصلِّ على النبي ﷺ، وأدمِ الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم. فقلت له: أحبّ أن تعلمني ممن سمعت هذا. فقال: إني حضرت محمدًا ﷺ حيث علم هذا الدعاء وأوحي به إليه وكنت عنده، وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علّمه إيّاه.

ويقال: إنّ هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى النبي ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا. وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنّه دخل الجنة ورأى فيها الأنبياء، ورأى محمدًا ﷺ وعلى سائر الأنبياء وكلّمه وعلّمه.

الصنف الثاني: القيام بعد النوم، والآيات والأخبار والآثار في فضله أكثر من أن تحصى. ومن الآيات قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾[٣] الآية. وقوله جلّ ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤﴾[٤]. ومن الأخبار قوله ﷺ: «إنّ من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرًا إلّا أعطاه إياه»[٥]. وقال: «عليكم بقيام الليل فإنّه دأب الصالحين قبلكم، فإنّ قيام الليل قربة إلى الله تعالى، وتكفير الذنوب، ومطردة للداء عن الجسد، ومنهاة عن الإثم»[٦]. وقال لأبي ذرّ: «لو أردت سفرًا أعددت عدة فكيف سفر طريق الآخرة. ألا أنبئك يا أبا ذرّ بما ينفعك ذلك اليوم؟ قال: بلى، فداك أبي وأمي. قال: صُمْ يومًا شديد الحرّ ليوم النشور، وصلِّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحُجّ حجة لعظائم الأمور، وتصدّق بصدقة على مسكين، أو كلمة حقّ تقولها، أو كلمة شرّ تسكت عنها»[٧].

ومن الآثار: قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: إنّهم خلوا بالرحمن تعالى فألبسهم نورًا من نوره. وقال:

=أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً رفعت له في عليين، وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى».

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب الصلاة، باب وقت صلاة المغرب ح ١٩٤٢٦، ٧/ ٣٨٧، بلفظ: «من ركع عشر ركعات فيما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة».

(٢) المزّمّل/ ٢٠.

(٣) الزمر/ ٥.

(٤) الفرقان/ ١٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء، ح ١٦٧، ١/ ٥٢١.

(٦) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، ح ٣٥٤٩، ٤/ ٥٥٣.

(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات، باب فضيلة قيام الليل، ٥/ ١٨٧.

إنّ الرجل ليذنب الذنب فيحرم قيام الليل. وقال الفضيل، إذ لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنّك محروم وقد كثرت خطيئتك.

واعلم أنّك إذا عرفت فضيلتها فعليك أن تعرف الأسباب المسهلة لقيام الليل، وهي: إما ظاهرة أو باطنة.

الأول: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام.

الثاني: أن لا يتعب بدنه بالنهار في الأعمال فإنّ ذلك أيضًا مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة.

الرابع: أن لا يحتقب الأوزار بالنهار فإنّه يحول بينه وبين أسباب السعادة.

الثاني أربعة أيضًا:

الأول: سلامة القلب من الحقد على أحد من المسلمين، ومن البدع، ومن فضول هموم الدنيا، لأنّ من كثر همّه فنائم ولو استيقظ.

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، لأنّ ذكر جهنم يطير نوم العابدين.

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل فيهيّجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في الجنان.

الرابع: وهو أشرف البواعث الحبّ لله عزّ وجلّ وقوة الإيمان، لأنّ من أحبّ مولاه أحبّ الخلوة به والتذّ المناجاة معه.

واعلم أنّ محبة الله تعالى لا ينكرها إلّا من ران قلبه بالبدع أو غلب عليه حبّ الدنيا، وإلّا فهي من أعظم اللذائذ، ولا لذة فوقها، بل لا لذة غيرها. وقد شهد العقل والنقل بوجودها.

أما العقل فإنّ من أحبّ شخصًا بسبب جماله أو عالمًا بسبب كماله كيف يريد رؤيته وسماع كلامه والخلوة به وبمناجاته وليس التلذذ بالنظر إلى المحبوب فقط بل يلتذّ من وراء ستر أو في بيت مظلم، ولا بسماع كلامه فقط، إذْ ربما يلتذّ مع عرض حاله إلى المحبوب وإنْ لم يَرَ ولم يتكلم.

وأما النقل فيشهد له أحوال المحبين في قيام الليل وتلذّذهم بالمناجاة، ومن لم ينتبه بهذا المقدار لا يعترف بالتطويل والإكثار.

فاعلم أنّ قيام الليل سبع مراتب:

الأولى: إحياؤه كُلًا وهذا شأن الأقوياء.

الثانية: قيام نصفه، والأحسن أن ينام الثلث الأول والسدس الأخير، ويصير قيامه في الوسط.

الثالثة: قيام ثلثه بأن ينام النصف الأول والسدس الأخير. وبالجملة نوم آخر الليل محمود لأنّه يذهب النعاس بالغداة ويقلّل صفرة الوجه التي هي سبب الشهرة. وأيضًا سبب لكشف حجب الغيوم كما يشاهده أرباب القلوب. وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ونوم السدس الأخير قيام داود عليه السلام.

الرابعة: أنْ يقوم سدس الليل أو خمسه، وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السدس الأخير.

الخامسة: أن لا يراعي التقدير فإنّ ذلك إنما يتيسّر لنبي يوحى إليه، أو لمن يعرف منازل القمر. فإذا كان غيم يقوم أول الليل ثم ينام، وهذا أشد الأعمال وأفضلها، فتكون له قومتان ونومتان[١]، وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ، وهو طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة والتابعين.

السادسة: وهي الأقل أنْ يقوم قدر أربع ركعات أو ركعتين أو يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة مشتغلًا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قيام الليل برحمة الله وفضله. وقد جاء في الأثر: «صلّي من الليل ولو قدر حلب الشاة»[٢].

(١) في هامش الأصل: تأمل.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات، باب بيان طرق القسمة لاجزاء الليل، ٥/٢٠٣.

السابعة: أن يقوم بين العشائين، ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر وهي أدنى المراتب، ويقوم طرفي الليل فقط.

ثم اعلم أنّ الليالي التي يحسن إحياؤها خمس عشرة ليلة في السنة، ستة منها في رمضان هي أوتار العشر الأخير، إذْ فيها تطلب ليلة القدر، وليلة سبعة عشر من رمضان وهي التي صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، فيه كانت وقعة بدر وقيل: هي ليلة القدر. وأمّا الثماني الأخر فأول ليلة من المحرّم، وليلة عاشوراء، وأول ليلة من رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبع وعشرين منه، وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة. قال ﷺ: «للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة، فمن صلّى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كلِّ منها بعد الفاتحة سورة من القرآن، ويتشهّد في كلّ ركعتين، ويسلّم في آخرهنّ، ثم يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر مائة مرة، ويستغفر الله مائة مرة، ويصلّي على النبي ﷺ مائة مرة، ويدعو لنفسه ما شاء من أمر دنياه وآخرته، ويصبح صائمًا فإنّ الله يستجيب دعاءه كلّه إلّا أن يدعو في معصية»[1].

فأما ليلة النصف من شعبان فيصلي فيها مائة ركعة ويقرأ بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها.

وليلة عرفة وليلة العيدين، قال النبي ﷺ: «من أحيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[2].

وأما الأيام الفاضلة فهي تسعة عشر، يستحب مواصلة الأوراد فيها: يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم. وفي الحديث: «من صام فيه كتب الله له صيام ستين شهرًا»[3]، وهو يوم هبط فيه جبرئيل بالرسالة على محمد ﷺ، ويوم سبعة عشر من رمضان وفيه كانت وقعة بدر، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة، ويوم العيدين، والأيام المعلومات وهي عشر ذي الحجة، والأيام المعدودات وهي أيام التشريق. ومن فواضل الأيام في الأسبوع الإثنان والخميس ترفع فيهما الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

علم تلفيق الأحاديث(*)

وهو علم يبحث فيه عن التوفيق بين الأحاديث المتنافية ظاهرًا إمّا بتخصيص العام تارةً، أو بتقييد المطلق أخرى، أو بالحمل على تعدّد الحادثة أخرى، إلى غير ذلك من وجوه التأويل. وكثيرًا ما يورده شراح الحديث أثناء شروحهم، إلّا أنّ بعضًا من العلماء قد اعتنى بذلك فدوّنوه على حدة. والتصانيف الواقعة فيه قلّما توجد عند الطلاب يجدها من يطلبها.

علم التواريخ(**)

وهو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الأوراد، باب بيان الليالي الفاضلة المرجو فيها الفضل، ٥/ ٢٠٥.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الصوم، باب فيمن قام ليلتي العيدين، ح ١٧٨٢، ١/ ٥٦٧. بلفظ: «من قام ليلتي العيدين محاسباً لله..»

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب ترتيب الاوراد، باب الليالي الفاضلة. ٥/ ٢٠٧، بلفظ «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب...».

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، من علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، من علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

ووفياتهم إلى غير ذلك. وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم. والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية. وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصّح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلّبات الزمن ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع. وهذا العلم كما قيل: عمر آخر للناظرين والانتفاع في مصره بمنافع تحصل للمسافرين.

ومن الكتب المصنفة فيه: تاريخ لابن كثير، وهو أبو الفداء إسمعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، الفقيه الشافعي، الحافظ عماد الدين، ابن الخطيب شهاب الدين. ولد سنة سبع مائة وقدم دمشق وله نحو سبع سنين، سنة ست وسبع مائة مع أخيه بعد موت أبيه، وحفظ التنبيه[١] وعرضه سنة ثماني عشرة، وحفظ مختصر ابن الحاجب، وتفقه بالبرهان الفزاري[٢] والكمال ابن قاضي شهبه[٣]، ثم صاهر المُزّي وصحب ابن تيمية[٤]، وقرأ في الأصول على الأصبهاني[٥]. وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيّد الفهم، وكان يشارك في العربية وينظم نظمًا وسطًا. قال ابن حجر: ما اجتمعت به قط إلّا استفدت منه، وقد لازمته ستّ سنين. وقد ذكره الذهبي في معجمه المختص فقال: الإمام المحدّث المفتي البارع، ووصفه بحفظ المتون وكثرة الاستحضار جماعة منهم: الحسين وشيخنا العراقي وغيرهما. وسمع من الحجّار[٦] والقاسم بن عساكر[٧] وغيرهما، ولازم الحافظ المزّي وتزوّج بابنته وسمع عليه أكثر تصانيفهما، وأخذ عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية فأكثر عنه، وصنّف التصانيف الكثيرة في

---

(١) التنبيه في فروع الشافعية للشيخ ابي اسحاق ابراهيم بن علي الفقيه الشيرازي الشافعي (-٤٧٦هـ). كشف الظنون ١/ ٤٨٩.

(٢) البرهان الفزاري: هو ابراهيم بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن سباع الفزاري، ابو اسحاق، برهان الدين ابن الفركاح. ولد في دمشق عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م وفيها توفي عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م. من كبار الشافعية. درّس، وامتنع عن القضاء، له عدة مصنفات. الاعلام ١/ ٤٥، البداية والنهاية ١٤/ ١٦، طبقات الشافعية ٦/ ٤٥، آداب اللغة ٣/ ٢١٩.

(٣) كمال ابن قاضي شهبة: هو احمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبدالوهاب الأسدي الشافعي، المعروف بابن قاضي شهبة، شهاب الدين، ابو العباس، توفي عام ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م، فرضي، عالم، له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ١٤٠، شذرات الذهب ٦/ ٣١٢.

(٤) ابن تيميه: هو احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية. ولد في حران عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م وتوفي بدمشق عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م. شيخ الاسلام في عصره وامام كبير، فقيه، مجتهد، مصلح. له الكثير من المصنفات الهامة. انظر عنه: الاعلام ١/ ١٤٤، فوات الوفيات ١/ ٣٥، الدرر الكامنة ١/ ١٤٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٥، آداب اللغة ٣/ ٣٤٣، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١.

(٥) الأصبهاني: هو محمود بن عبدالرحمن (ابي القاسم) بن احمد بن محمد، أبو الثناء، شمس الدين الأصبهاني أو الأصفهاني. ولد عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م. وتوفي عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م، مفسر، أصولي، عالم بالمعقول. له الكثير من التصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٧٦، الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٧، بغية الوعاة ٣٨٨، البدر الطالع ٢/ ٢٩٨، شذرات الذهب ٦/ ١٦٥.

(٦) الحجّار: هو أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي، الدير مقري، الدمشقي الصالحي الحجار، شهاب الدين، ابو العباس المعروف بابن الشحنة، بالحجار، ولد عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، وتوفي عام ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. محدث مسند، له عدة مصنفات. المنهل الصافي ٢/ ٢٤٩، الدليل الشافي ١/ ٩٤، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٨١، الدرر الكامنة ١/ ١٥٢، البداية والنهاية ١٤/ ١٥٠، شذرات الذهب ٦/ ٩٣.

(٧) القاسم بن عساكر: هو القاسم بن ابي غالب المظفر بن محمود، من بني هبة الله ابن عساكر الدمشقي بهاء الدين. ولد عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م. وتوفي عام ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م. طبيب، عالم بالحديث له تصانيف عدة. انظر عنه: الاعلام ٥/ ١٨٦، الدرر الكامنة ٣/ ٢٣٩، البداية والنهاية ١٤/ ١٠٨.

التفسير والتاريخ والأحكام. وقال ابن حبيب[١] فيه: إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل. سمع وجمع وصنف وأطرب الأسماع بأقواله، وشنّف وحدَّث، وأفاد، وطارت أوراق فتاواه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير. مات بدمشق في خامس عشر شعبان[٢] وقد أجاز لمن أدرك حياته. وهو القائل:

تـمـرّ بـنـا الأيـام تـتـرى وإنـمـا
تـسـاق إلـى الآجـال والـعـين تـنـظـرُ
فـلا عـائـدٌ ذاك الـشـبـابُ الـذي مـضـى
ولا زائـلٌ هـذا الـمـشـيـب الـمـكـدّرُ

قال ابن حجر: ولو قال فلا عائد صفو الشباب إلى آخره لكان أصنع.

ومن التواريخ: تاريخ الطبري[٣]. وهو أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري. وقيل: يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إمامًا في فنون كثيرة، منها: التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدلّ على سعة علمه وغزارة فضله. وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلّد أحدًا، وكان أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني[٤] على مذهبه، كان ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها. وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين بآمل[٥] طبرستان، وتوفي في السادس والعشرين من شوّال سنة عشر وثلاث مائة ببغداد.

ومن التواريخ: تاريخ ابن الأثير الجزري سمّاه الكامل، وهو كتاب لطيف، وصاحبه عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبدالكريم، المعروف بابن الأثير الجزري. وهو أحد الإخوة الثلاثة المشهورين بابن الأثير وقد تقدّم اثنان منهم، وهذا عزالدين. ولد بالجزيرة المشهورة بجزيرة ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ونشأ بها، ثم صار

---

(١) ابن حبيب: هو الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي. ولد عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م. وتوفي عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م. مؤرخ من الكتاب المترسلين، له تصانيف عديدة. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٢٠٨، النجوم الزاهرة ١١/ ١٨٩، شذرات الذهب ٦/ ٢٦٢، البدر الطالع ١/ ٢٠٥، الدرر الكامنة ٢/ ٢٩.

(٢) سنة ٧٧٤ هـ كما في كشف الظنون، كذا في هامش الأصل.

(٣) وهذه الأبيات منسوبة إلى الطبري.

إذا أعـسـرت لـم يـعـلـم شـقـيـقـي
واسـتـغـنـى فـيـسـتـغـنـي صـديـقـي
حـيـائـي حـافـظ لـي مـاء وجـهـي
ورفـقـي فـي مـطـالـبـتي رفـيـقـي
ولـو أنـي سـمـحـت بـبـذل وجـهـي
لـكـنـت إلـى الـغـنـى سـهـل الـطـريـق

قال مولانا حسن جلبي في حاشيته على التلويح: يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة من تأليفه. والطبري نسبة الى طبرستان. وأما الطبراني فنسبة إلى طبرية الشام. كذا في هامش الأصل.

(٤) أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني: هو المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني، أبو الفرج ابن طرار. ولد عام ٣٠٣هـ/ ٩١٦م، وتوفي عام ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م. قاض، فقيه، أديب، له شعر حسن. وله عدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٦٠، وفيات الأعيان ٢/ ١٠٠، البداية والنهاية ١١/ ٣٢٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٢٣٠.

(٥) اكبر مدينة بطبرستان في السهل، بينها وبين سارية ثمانية عشر فرسخاً، بينهما وبين الروبان اثنا عشر فرسخاً، وبينها وبين سالوس اثنا عشر فرسخاً. مراصد الاطلاع ٦.

إلى الموصل مع أخويه مجدالدين أبي السعادات المبارك وضياء الدين ابي الفتح نصرالله ووالده محمد، وسكن الموصل وسمع بها، وقدم بغداد وسمع من فضلائها، ثم رحل إلى الشام والقدس، وسمع هناك من جماعة، ثم عاد إلى الموصل ولزم بيته منقطعًا إلى التوفر على النظر في العلم. وكان بيته مجمع فضلاء الموصل والواردين عليها. وكان إمامًا في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، وحافظًا للتواريخ المتقدمة، وخبيرًا بأنساب العرب ووقائعهم وأخبارهم وأيامهم. صنف في التاريخ كتابًا كبيرًا سمّاه: الكامل، ابتدأ فيه من أول الزمان إلى أواخر سنة ثمان وعشرين وست مائة، وهو من خيار التواريخ. واختصر كتاب الأنساب لأبي سعد عبدالكريم ابن السمعاني وزاد عليه أشياء واستدرك عليه فيه في مواضع[١]. وله كتاب أخبار الصحابة في ستّ مجلدات. ولد في رابع جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمس مائة، وتوفي في شعبان سنة ثلاثين وست مائة.

ومن التواريخ: تاريخ ابن الجوزي[٢] مجلدات، وهو أبو الفرج، عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي الصدّيقي البغدادي، الفقيه الحنبلي الواعظ، الملقب جمال الدين الحافظ. كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنّف في فنون عديدة منها: زاد المسير في علم التفسير أربعة أجزاء أتى فيه بأشياء غريبة، وله في الحديث تصانيف كثيرة. وله المنتظم في تواريخ الأمم وهو كبير. وله الموضوعات أورد فيها كل حديث موضوع وكتبه أكثر من أن تُعدّ. يقال إنّه جمعت الكراريس التي كتبها وقسمت الكراريس على مدة عمره فخصّ كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله العقل. ويقال إنّه جمعت برادة أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل شيء كثير وأوصى أن يسخّن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل فكفت وفضل منها. وله أشعار كثيرة وأجوبة نادرة، منها أنه وقع النزاع ببغداد بين أهل السُّنة والشيعة، فرضى الكلّ بجواب الشيخ وهو على الكرسي في مجلس وعظه. فسأله أحد: مَنْ أفضل البشر بعد نبينا محمد ﷺ؟ فقال: من كانت ابنته تحته. ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك، فرضى الكل لأنّ ابنة أبي بكر رضي الله تعالى عنه تحت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند علي رضي الله عنه، والكلام يحتملهما. وهذا الجواب لو حصل بعد الفكر التام لكان في غاية الحسن فضلًا عن البديهة. ويحكى أنه سأله إنسان فقال: ما لنا نرى الكوز الجديد إذا صُبَّ فيه الماء ينش ويخرج منه صوت؟ فقال: يشكو ما لاقاه من حرّ النار. وسئل: إنّ الكوز إذا ملأناه لا يبرد فإذا نقص برد. فقال: حتى تعلموا أنّ الهوى لا يدخل إلّا على ناقص. وسئل: كيف نُسب قتل الحسين إلى يزيد وهو بدمشق؟ فأنشد:

سهم أصاب وراميه بذي سلم
من بالعراق لقد أبعدت مرماك

وله من هذا النوع أجوبة لطيفة. ولد سنة ثمان أو عشر وخمس مائة وتوفي ثاني عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مائة.

ومن التواريخ: مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي[٣]، وهو شمس الدين أبو المظفر،

---

(١) ونبه على أغاليط وزاد أشياء أهملها. وهو كتاب مفيد في ثمانية مجلدات. (هامش الأصل).
(٢) هذه نسبة إلى فرضة الجوز، وهو موضع مشهور. (هامش الأصل).
(٣) انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ٣٩/٧، ميزان الاعتدال ٣٢٣/٣، المختصر في أخبار البشر ٢٠٦/٣، السلوك ٤٠١/١، لسان الميزان ٣٢٨/٦، البداية ١٩٤/١٣، مرآة الجنان ١٣٦/٤، شذرات الذهب ٢٦٦/٥، الجواهر المضيئة ٢٣١/٢.

يوسف بن قزاوغلي الواعظ المشهور، حنفي المذهب، وله صيت وسمعة في مجالس وعظه، وقبول عند الملوك وغيرهم. روى عن جدّه ببغداد وسمع أبا الفرج ابن كليب[١] وابن طبرزد[٢] وسمع بالموصل ودمشق وحدّث بها وبمصر، وله: كتاب إيثار الإنصاف، ومنتهى السؤل في سيرة الرسول، واللوامع في أحاديث المختصر والجامع، وتفسير القرآن العزيز. وصنّف تاريخًا كبيرًا. قال ابن خلكان: رأيته بخطه في أربعين مجلدًا سمّاه مرآة الزمان. قلت: أنا رأيته في ثمان مجلدات، لكن في مجلدات ضخام وبخط دقيق. وتوفي في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وخمسين وست مائة بدمشق. ومولده في سنة إحدى وثمانين وخمس مائة ببغداد. وكان يقول: أخبرتني أمي أنّ مولدي سنة إثنتين وثمانين رحمه الله تعالى.

ومن التواريخ[٣] تاريخ شمس الدين أبو العباس، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي. كان ذا فضل في كلّ فنّ، وكان موصوفًا بكرم الأخلاق والديانة، وكان ثقة في نقله. وصنّف تاريخًا سمّاه: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل والسمع أو أثبته العيان، ورأيته في خمس مجلدات بخطه، وكان قاضيًا بالقاهرة مدةً، ذكره في تاريخه. ولد في يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستّ مائة بمدينة أربل[٤] بالمدرسة المظفّرية، ذكر تاريخ ولادته نفسه في ترجمة زينب بنت الشعري[٥] في آخر الأسامي المذكورة في حرف الزاي، وتوفي في يوم السبت السادس والعشرين من رجب سنة إحدى وثمانين وست مائة بدمشق المحروسة. تفقه على أبيه بمدينة أربل، ثم انتقل بعد أبيه إلى الموصل، وحضر دروس الإمام كمال الدين ابن يونس[٦]، ثم انتقل إلى حلب وقرأ النحو على أبي البقاء

---

(١) أبو الفرج ابن كليب: هو عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن سعد بن صدقة بن خضر بن كليب الحراني، البغدادي الحنبلي، ابو الفرج. ولد عام ٥٠٠هـ/ وتوفي عام ٥٩٦هـ. عالم، متقن له رواية، وعدة مصنفات.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢١/ ٢٥٨، الكامل ١٢/ ٦٧، وفيات الأعيان ٣/ ٢٢٧، العبر ٤/ ٢٩٣، البداية والنهاية ١٣/ ٢٣، النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٩، شذرات الذهب ٤/ ٣٢٧.

(٢) ابن طبرزد: هو عمر بن محمد بن معمر بن احمد بن يحيى بن حسان البغدادي الدارقزي، المعروف بابن طبرزد، ابو حفص. ولد عام ٥١٦هـ، وتوفي عام ٦٠٧هـ عارف بالسنة والحديث له عدة تصانيف.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٧، الكامل ١٢/ ١٢٢، العبر ٥/ ٢٤، البداية والنهاية ١٣/ ٦١، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠١، شذرات الذهب ٥/ ٢٦.

(٣) في المصرية: ومن الدواوين.

(٤) مدينة في شمال العراق. سكانها حوالي مائة وخمسين الف نسمة. وهي اربل السورية في الألف الثالث ق.م. قربها انتصر الاسكندر الكبير على داريوس الثالث عام ٣٣١ ق.م. وفيها أسوار قديمة وآثار أشورية والمئذنة المظفرية من القرن الثاني عشر، وتعتبر مركز محافظة يتبعها عدة أقضية وتشتهر بالحبوب والتمور. انظر: المنجد في الاعلام ٣٤.

(٥) زينب بنت الشعرى: هي زينب بنت عبدالرحمن بن الحسن الجرجاني الشعرى، أم المؤيد. ولدت عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م، وتوفيت بنيسابور عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، فقيهة، لها اشتغال بالحديث، واخبارها كثيرة. انظر عنها: الاعلام ٣/ ٦٦، وفيات الأعيان ١/ ١٩٧، شذرات الذهب ٥/ ٦٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٩٢.

(٦) كمال الدين ابن يونس: هو موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي، كمال الدين، ابو الفتح الموصلي ولد عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، وتوفي عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م. فيلسوف، رياضي، عالم بالحكمة والأصول والموسيقى والادب. له العديد من التصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٣٣٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٢، طبقات السبكي ٥/ ١٥٨، شذرات الذهب ٥/ ٢٠٦.

يعيش بن علي النحوي[١]، والفقه على أبي المحاسن الشيخ بهاء الدين يوسف بن شداد[٢]. ثم قدم دمشق واشتغل على ابن الصلاح، ثم انتقل إلى القاهرة وناب في الحكم عن قاضي القضاة بدر الدين السنجاري[٣] ثم ولي قضاء المحلة، ثم ولي قضاء القضاة بالشام، ثم عزل، ثم وليها ثانيًا، ثم عزل. ومن مصنفاته: التاريخ المشهور، وله في الأدب اليد الطولى، وشعره أرق وأحسن وأعذب.

ومن التواريخ: تاريخ ابن حجر مجلدتان وتاريخ آخر له: أنباء الغمر في أبناء العمر مجلدتان، وله أيضًا: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. وهو الإمام العلامة، حافظ العصر، قاضي القضاة، شيخ الاسلام، أبو الفضل، أحمد إبن الشيخ الإمام علاء الدين علي بن حجر العسقلاني. توفي بعد العشاء ليلة السبت المسفر صباحها عن ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثمان مائة، وكان عمره إذْ ذاك تسعة وسبعين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام، وصلى عليه خلق كثير، من جملتهم أبو العباس الخضر عليه السلام، رآه عصابة من الأولياء، وكان مولده سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة.

ومن التواريخ: تاريخ صلاح الدين الصفدي وهو بخطه أكثر من خمسين مجلدًا. وهو خليل بن أيبك، الشيخ صلاح الدين الصفدي الشافعي، الإمام الأديب الناظم الناثر، أديب العصر. ولد سنة تسع وستين وست مائة[٤] وقرأ يسيرًا من الفقه والأصلين، وبرع في الأدب نظمًا ونثرًا وكتابة وجمعًا، وعنى بالحديث وسمع بالآخرة من جماعة، وقرأ على الشيخ تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي[٥]، ولازم الحافظ فتح الدين ابن سيّد الناس[٦] وبه تمهّر في الأدب. وصنّف الكثير

---

(١) أبو البقاء يعيش بن علي النحوي: هو يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي، ابو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع. ولد بحلب عام ٥٥٣هـ/ ١١٦١م. وفيها توفي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. من كبار علماء العربية، له نوادر ظريفة، وبعض المؤلفات النحوية. الاعلام ٨/ ٢٠٦، وفيات الاعيان ٢/ ٣٤١، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٨، اعلام النبلاء ٤/ ٤١١، بغية الوعاة ٤١٩.

(٢) أبو المحاسن الشيخ بهاء الدين يوسف بن شداد: هو يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن بهاء الدين ابن شداد. ولد بالموصل عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م. وتوفي في حلب عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م. مؤرخ، من كبار القضاة له عدة تصانيف.
الاعلام ٨/ ٢٣٠، وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٤، طبقات الشافعية ٥/ ١١٥، غاية النهاية ٢/ ٣٩٥، الانس الجليل ٢/ ٤٤٧، ذيل الروضتين ١٦٣، مرآة الجنان ٤/ ٨٢.

(٣) بدرالدين السنجاري: هو اسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبدالعزيز بن وهب بن وهبان بن سوار السلمي السنجاري الشافعي، أبو السعادات. ولد عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م، وتوفي عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م. فقيه، شاعر. له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ٢٥٠، وفيات الاعيان ١/ ٨٦، شذرات الذهب ٥/ ١٠٤، البداية ١٣/ ١١٠، معجم البلدان ٣/ ١٥٩.

(٤) قال ابن حجر: ولد سنة سبع وتسعين وستمائة. (هامش الأصل).

(٥) تقي الدين أبي الحسن علي بن عبدالكافي السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الانصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين، ولد بمصر عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. وتوفي بالقاهرة عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م. شيخ الاسلام في عصره، حافظ، مفسر، من العلماء المناظرين. له الكثير من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٣٠٢، طبقات الشافعية ٦/ ١٤٦، حسن المحاضرة ١/ ١٧٧، غاية النهاية ١/ ٥٥١، الدرر الكامنة ٣/ ٦٣.

(٦) فتح الدين ابن سيّد الناس: هو محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى اليعمري الأندلسي الاشبيلي المصري الشافعي المعروف بابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح. ولد عام ٦٧١هـ/١٢٧٣م. وتوفي عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م. محدث، حافظ، مؤرخ، فقيه، له مصنفات عديدة. انظر عنه: معجم المؤلفين ١١/ ٢٦٩، الدرر الكامنة ٤/ ٢٠٨، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٨٥، طبقات الشافعية ٦/ ٢٩، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٩.

في التاريخ والأدب، وقال: كتبت أزيد من ست مائة مجلد تصنيفًا. مات بالطاعون ليلة عاشر شوّال سنة أربع وتسعين وسبع مائة.

ومن التواريخ: تاريخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، ثلاث مجلدات، وطبقات النحاة له أيضًا مجلدان إلى غير ذلك.

ومن جملة التواريخ: تاريخ الخطيب البغدادي عشر مجلدات، وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات. كان من الحفّاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه، فإنه يدلّ على اطلاع عظيم. وصنّف قريبًا من مائة مصنف، وكان فقيهًا فغلب عليه الحديث والتاريخ. ولد في جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين وثلاث مائة، وتوفي يوم الإثنين سابع ذي الحجة، وقيل في شوال سنة ثلاث وستين وأربع مائة، وحمل نعشه أبو إسحاق الشيرازي رحمهما الله تعالى.

ومن التواريخ ذيل تاريخ بغداد للحافظ محبّ الدين ابن النجار(١)، فجاء في ثلاثين مجلدًا. وهو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله، الحافظ الكبير الثقة، محب الدين، أبو عبدالله، ابن النجار البغدادي. وتاريخه دالّ على سعة حفظه وعلوّ شأنه. وله مصنف حافل في مناقب الشافعي رحمه الله، وله تصانيف أخر في السُّنن والأحكام. ولد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وخمس مائة، وله الرحلة الواسعة إلى الشام ومصر والحجاز ومَرْو وأصبهان وهراة ونيشابور، وكانت رحلته سبعًا وعشرين سنة، واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ. توفي ببغداد خامس شعبان سنة ثلاث وأربعين وست مائة.

ومن التواريخ تاريخ أبي سعد السمعاني، وهو تاج الإسلام، أبو سعد عبدالكريم بن أبي بكر محمد بن المظفر المنصور السمعاني(٢) المروزي، الفقيه الشافعي رحمه الله. رحل في طلب العلم والحديث إلى أقطار الأرض، وسافر إلى ما وراء النهر وخراسان وغير ذلك من البلاد. وكان شيوخه تزيد على أربعة ألف شيخ، وصنَّف التصانيف الحسنة، منها ذيل تاريخ بغداد لأبي بكر ابن الخطيب نحو خمسة عشر مجلدًا، وتاريخ مَرْو يزيد على عشرين مجلدًا، وكذلك الأنساب نحو ثمان مجلدات، واختصره عزالدين في ثلاث مجلدات واستدرك عليه. ولد أبو سعد يوم الاثنين الحادي والعشرين من شعبان سنة ستّ وخمس مائة، وتوفي بمَرْو في ليلة غرة(٣) سنة اثنتين وستين وخمس مائة، وكان أبوه وجده أيضًا من الفضلاء العلماء.

ومن التواريخ: ذيل تاريخ السمعاني للدبيثي(٤) بالدال المهملة والموحدة والمثناة من تحت والمثلثة من فوق قرية بنواحي واسط. وهو أبو عبدالله محمد إبن أبي المعالي، الفقيه الشافعي المؤرّخ الواسطي، سمع الحديث كثيرًا، وبرع في أسماء الرجال وتاريخ الحفاظ. وصنَّف ذيل الذيل المذكور في ثلاث مجلدات. وصنّف تاريخًا لواسط. ولد في السادس والعشرين من

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٩/٤٩، طبقات السبكي ٥/٤١، البداية ١٣/١٦٩، تذكرة الحفاظ ٤/٢١٢، شذرات الذهب ٥/٢٢٦، فوات الوفيات ٢/٢٦٤، مرآة الجنان ٤/١١١.

(٢) السمعاني بفتح السين وسكون الميم نسبة إلى سمعان، وهو بطن من تميم.

(٣) كلمة ساقطة في الأصل، وكذلك في النسخة المصرية.

(٤) الدبيثي: بضم الأول وفتح الثالثة وكسر الرابع نسبة إلى دبيث، وهي قرية. وهو مشهور بابن الدبيثي لا بالدبيثي. وله شعر منه هذا البيت:

خبرت بني الأيام طراً فلم أجد
صديقاً صدوقاً مسعداً للنوائب

رجب سنة ثمان وخمسين وخمس مائة بواسط، وتوفي لثمانٍ خَلَوْن من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مائة ببغداد.

ومن أجل التواريخ تاريخ الذهبي ثلاث كتب: صنّف التاريخ الكبير، ثم الأوسط المسمّى بالعبر، والصغير المسمّى دول الإسلام. والذهبي هو محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين، أبو عبدالله الذهبي، محدّث العصر، إمام الوجود حفظًا وذهبي العصر معنى ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل. ولد سنة ثلاث وسبعين وسبع مائة، وطلب الحديث وهو ابن ثماني عشرة سنة، وسمع بدمشق وبمصر وببعلبك وبالإسكندرية. وسمع منه الجمع الكثير. وما زال يخدم الحديث حتى رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه. إلّا أنه كان شديد الميل إلى آراء الحنابلة، كثير الإزراء بأهل السُّنة، فلذلك لا ينصفهم في التراجم. وكان كثير الوقيعة في الصوفية، وله التصانيف الجزيلة في الحديث وأسماء الرجال والتواريخ، وقرأ القرآن واقرأه بالروايات. توفي ليلة الإثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مائة.

ومن التواريخ: كتاب البارع لأبي عبدالله، هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور، المنجم البغدادي[1]، الأديب الفاضل. كان حافظًا راوية للأشعار، حسن المنادمة، لطيف المجالسة. صنَّف: كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين، وجمع مائة وإحدى وستين شاعرًا، وافتتحه بذكر بشار بن برد[2] وختمه بمحمد بن عبدالملك بن صالح[3]. وهو من الكتب النفيسة فإنّه يغني عن دواوين الجماعة الذين مرّ ذكرهم، فإنّه مخّض[4] أشعارهم، وأثبت منها زبدتها وترك زبدها. وهذا الكتاب أصل نسجوا على منواله. وسنذكر عدة ذيل له. وله: كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر وما قيل فيهن من الشعر. توفي سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين، وهو حدث السِّن، والله اعلم.

ومن التواريخ: يتيمة الدهر للثعالبي، وهو أبو منصور عبدالملك بن محمد ابن اسمعيل الثعالبي النيسابوري[5]. قال ابن بسّام[6] في الذخيرة[7]: كان رأس المؤلفين في زمانه وإمام المصنفين بحكم قرانه. وله من التواليف: يتيمة

---

(١) المنصور البغدادي: هو هارون بن علي بن يحيى، أبو عبدالله، ابن المنجم البغدادي، ولد عام ٢٥١هـ/ ٨٦٥م. وتوفي عام ٢٨٨هـ/ ٩٠١م. عالم بالأدب له تصانيف حسنة. انظر عنه: الاعلام ٨/ ٦١، وفيات الأعيان ٢/ ١٩٤، مرآة الجنان ٢/ ٤١.

(٢) بشار بن برد: هو بشار بن برد العقيلي، ابو معاذ. ولد بالبصرة عام ٩٥هـ/ ٧١٤م. وتوفي فيها عام ١٦٧هـ/ ٧٨٤م. اشهر الشعراء المولدين على الاطلاق. كان ضريراً شجاعاً راجزاً. اتهم بالزندقة. له ديوان شعر مطبوع. الاعلام ٢/ ٥٢، وفيات الاعيان ١/ ٨٨، تاريخ بغداد ٧/ ١١٢، الشعر والشعراء ٢٩١، الخزانة ١/ ٥٤١، الأغاني ٣/ ١٣٥، وغيرها.

(٣) لم نعثر له على ترجمة.

(٤) في النسخة المصرية: فحص.

(٥) اسمعيل الثعالبي النيسابوري: هو عبدالملك بن محمد بن اسماعيل، أبو منصور الثعالبي. ولد عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م. وتوفي عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م. من ائمة اللغة والأدب. عالم بالتاريخ. له الكثير من المصنفات الهامة.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٦٣، معاهد التنصيص ٣/ ٢٦٦، شذرات الذهب ٣/ ٢٤٦، آداب اللغة ٢/ ٢٨٤.

(٦) ابن بسّام: هو علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن. توفي عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م. أديب، من الكتاب الوزراء. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ٢٦٦، هدية العارفين ١/ ٧٠٢، المغرب في حلى المغرب ١/ ٤١٧.

(٧) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، يعني جزيرة الأندلس، لعلي بن بسام الشنتريني الاندلسي، ابو الحسن، (-٥٤٢هـ). الاعلام ٤/ ٢٦٦، هدية العارفين ١/ ٧٠٢.

الدهر في محاسن أهل العصر وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها. وهذا الكتاب ذيل للكتاب البارع المقدّم ذكره. وله أيضًا: كتاب فقه اللغة، وسحر البلاغة، ونشر البراعة[١]، ومن غاب عنه المطرب، ومؤنس الوحيد، وشيء كثير جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم، وفيها دلالة على اطلاعه، وله أشعار كثيرة. ولد سنة خمسين وثلاث مائة، وتوفي في سنة تسع وعشرين وأربع مائة.

ومن التواريخ: دمية القصر للباخرزي[٢] وهو أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيّب الباخرزي[٣]، الشاعر المشهور. تفقه أولًا على والد إمام الحرمين الشيخ أبي محمد الجويني على مذهب الشافعي رحمه الله، ثم شرع في فن الكتابة، وغلب أدبه على فقهه، واختلف إلى ديوان الرسائل، وارتفعت به الأحوال وانخفضت، ورأى من الدهر العجائب سفرًا وحضرًا وعمل الشعر وسمع الحديث، وصنّف كتاب: دمية القصر في عصرة أهل العصر، وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي، وجمع فيها خلقًا كثيرًا. وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد البيهقي[٤] كتابًا سمّاه: وشاح الدمية، وهو كالذيل له. قتل الباخرزي في مجلس الأنس بباخرز[٥]، وهي من نواحي نيسابور، في ذي القعدة سنة سبع وستين[٦] وأربع مائة، وذهب دمه هدرًا.

ومن التواريخ: زينة الدهر للحظيري[٧]، وهو أبو المعالي، سعد بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الورّاق الحظيري، المعروف بدلّال الكتب. كانت لديه معارف، وله نظم جيّد وألّف مجاميع ما قصر فيها. منها: كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر، وذكر ألطاف شعراء العصر الذي ذيله على دمية القصر للباخرزي، جمع فيه جماعة كثيرة من أهل عصره من تقدمهم. وأورد لكل واحد طرفًا من أحواله وشيئًا من شعره. وقد ذكره العماد الكاتب في الخريدة، وكان مطلعًا على أشعار الناس وأحوالهم، وله: كتاب لمح الملح يدل على كثرة إطلاعه. توفي يوم الإثنين[٨]، الخامس والعشرين أو الخامس عشر من صفر سنة ثمانٍ وستين وخمس مائة ببغداد.

ومن التواريخ: تاريخ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني[٩]، وهو أبو عبدالله

(١) في هامش الأصل: سرّ البلاغة.

(٢) الباخرزي بفتح الباء الموحدة والخاء المعجمة وبعدها زاي منقوطة، نسبة إلى باخرز، وهي ناحية من نواحي نيسابور. (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٥٤، معجم الأدباء ١٣/ ٢٣، طبقات الشافعية ٣/ ٢٩٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٩٩، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٧، البداية ١٢/ ١١٢، مرآة الجنان ٣/ ٩٥.

(٤) أبو الحسن علي بن زيد البيهقي: هو علي بن زيد بن محمد بن الحسين، أبو الحسن، ظهير الدين البيهقي. ولد عام ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م. وتوفي عام ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م. باحث، مؤرخ، له اشتغال بالأدب والحكمة والحساب والفلك وله مصنفات عديدة. انظر عنه. الاعلام ٤/ ٢٩٠، إرشاد الأريب ٥/ ٢٠٨، كشف الظنون ١/ ٢٩٨، الذريعة ٤/ ١٤٩.

(٥) كورة ذات قرى كثيرة، وأصلها باد هرزة لأنها مهب الريح، وهي باللغة البهلوية. تشتمل على مائة وثمان وستين قرية، قصبتها مالين، خرج منها جماعة كثيرة من أهل الأدب والفقه والشعر. وهي بين نيسابور وهراة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ١/ ٣١٦.

(٦) وقيل: واحد وستين وأربعماية كما ذكره صاحب كشف الظنون.

(٧) الحظيري بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وبعدها ياء ساكنة، نسبة إلى حظيرة، وهي موضع فوق بغداد. (هامش الأصل). وترجمته في: الاعلام ٣/ ٨٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٣، آداب اللغة ٣/ ٢٣، خزانة الأدب ٣/ ١١٨.

(٨) ودفن بمقبرة باب حرب. (هامش الأصل).

(٩) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٩/ ١١، مرآة الزمان ٨/ ٣٢٧، النجوم الزاهرة ٦/ ١٧٨، البداية ١٣/ ٣٠، مرآة الجنان٣/ =

محمد بن صفي الدين أبو الفرج، محمد ابن نفيس الدين أبو الرجاء، حامد الملقب عماد الدين الكاتب الأصبهاني. كان فقيهًا شافعي المذهب، تفقه بالمدرسة النظامية، واتقن الخلاف وفنون الأدب. وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه. وكان قد نشأ بأصبهان وقدم بغداد في حداثته، وتفقّه بها وسمع الحديث، وكان سيء الحال أولًا، ثم بلغ الرفعة عند السلطان صلاح الدين ونور الدين محمود بن أتابك زنكي وتقلبت به الأحوال إلى أنْ عظم أمره وصار رخي البال، وصنّف التصانيف النافعة. منها: كتاب خريدة القصر وجريدة العصر وجعله ذيلًا على زينة الدهر للحظيري، وجعله في عشر مجلدات. ولم يترك إلّا النادر الخامل. وصنف: كتاب البرق الشامي في سبع مجلدات، وهو تاريخ، وله كتاب الفيح القسي في الفتح القدسي[١] في مجلدين. وصنف: السيل على الذيل جعله ذيلًا على خريدة القصر. وله: ديوان رسائل وديوان شعر، وكانت بينه وبين القاضي الفاضل[٢] مكاتبات. منها: ما يحكى أنه لقيه يومًا وهو راكب على فرس فقال له: سِرْ فلا كبا بك الفرس. فقال له الفاضل: دام علاء العماد، وكلّ منهما يقرأ مقلوبًا مستويًا. ولم يزل العماد على مكانة ورفعة منزلة إلى أن توفي السلطان صلاح الدين فاختلت أحواله، وتقطعت أوصاله، ولم يجد في وجهه بابًا مفتوحًا، فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف. ولد يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة، أو في شعبان سنة عشرة وخمس مائة بأصبهان، وتوفي يوم الاثنين مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مائة بدمشق.

ومن التواريخ: تاريخ قاضي القضاة العيني[٣] وهو على ما حكى في ستين مجلدة. وهو محمود بن أحمد بن موسى العينتابي الحنفي، العلامة، قاضي القضاة، بدر الدين العيني. ولد في رمضان سنة ثنتين وستين وسبع مائة بعين تاب، ونشأ بها وتفقه، واشتغل بالفنون، وبرع ومهر، وولي قضاء الحنفية بالقاهرة. وكان إمامًا عالمًا علامة عارفًا بالعربية والتصريف وغيرهما، حافظًا للغة، كثير الاستعمال لحواشيها، سريع الكتابة. عمّر مدرسة بقرب الجامع الأزهر ووقف كتبه بها. وأما نظمه فمنحط إلى الغاية وربما يأتي به بلا وزن. وله: شرح البخاري، وشرح الشواهد الكبير والصغير وشرح معاني الآثار، وشرح الكنز وشرح المجمع وشرح عروض الساوي وطبقات الحنفية وطبقات الشعراء ومختصر تاريخ ابن عساكر وشرح الهداية في الفقه وشرح درر البحار وتاريخه الكبير المذكور. وكان بينه وبين شيخ الإسلام إبن حجر منافسة. ولما وقعت منارة المؤيدية وكان العيني شيخ الحديث بها، قال ابن حجر:

لجامع مولانا المؤيّد رونق
منارته بالحسن تزهو وبالزينِ
يقول وقد مالت عليهم تمهّلوا
فليس على هدمي أضرّ من العينِ

مات في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمان مائة.

ومن التواريخ: تاريخ الحافظ ابن عساكر[٤]،

=٤٩٣، شذرات الذهب ٤/ ٣٣٢.

(١) ذكره صاحب كشف الظنون في القدح القسي، فليراجع.

(٢) القاضي الفاضل: هو أبو الفضل كمال الدين، محمد بن الشهرزوري، المدير لدولة نور الدين محمود بن زنكي، طاب ثراها. (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في: الضوء اللامع ١٠/ ١٣١، نظم العقيان ١٧٤، بغية الوعاة ٣٨٦، البدر الطالع ٢/ ٢٩٤، شذرات الذهب ٧/ ٢٨٧، الجواهر المضية ٢/ ١٦٥.

(٤) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٤٢، طبقات الشافعية ٤/ ٢٧٣، المنتظم ١٠/ ٢٦١، معجم الأدباء ١٣/ ٧٣،=

سبعة وخمسون مجلدًا. وهو الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي، الملقّب ثقة الدين. كان محدّث الشام ومن أعيان الفقهاء الشافعية. غلب عليه الحديث فاشتهر به، وبالغ في طلبه إلى أنْ جمع منه ما لم يتفق لغيره، ورحل وطوّف وجاب البلاد، ولقي المشايخ. وكان رفيق الحافظ أبي سعد السمعاني[١] في الرحلة، وكان حافظًا دينًا، جمع بين معرفة المتون والأسانيد. سمع ببغداد ثم رحل إلى دمشق، ثم إلى خراسان ونيسابور وهراة وأصبهان. وصنّف التصانيف المفيدة. صنف: التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلدة بخطه أتى فيه بالعجائب حتى قيل: إنه لعله جمع هذا منذ عقل نفسه، وإلّا فالعمر لا يتسع لوضعه بعد الاشتغال والتنبّه. وله تواليف حسنة غير هذا، وله شعر لا بأس به. ولد في أول المحرّم سنة تسع وتسعين وأربع مائة، وتوفي في الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمس مائة بدمشق[٢].

ومن التواريخ: تاريخ مصر لأبي سعيد عبدالرحمن بن أبي الحسن أحمد[٣] المحدّث المؤرّخ المصري. كان خبيرًا بأحوال الناس ومطلعًا على تواريخهم، عارفًا بما يقوله. جمع لمصر تاريخين: أحدهما كبير لأهله، والآخر صغير للغرباء. وقد ذيّلهما أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي[٤]. وولد عبدالرحمن سنة إحدى وثمانين ومائتين، وتوفي سنة سبع وأربعين وثلاث مائة.

ومن أصحّ التواريخ وأحسنها وألطفها لوروده بعبارات عذبة وأنفعها للناس لاشتماله على المهمات، تاريخ اليافعي[٥]، مجلدتان كبيرتان. وهو عبدالله بن أسعد بن علي اليماني الشافعي، الرجل الصالح ومحبّ الصلحاء وخادم أولياء الله، المناضل عنهم والمنافح عن شأنهم، صاحب المصنفات الكثيرة الشهيرة، وكلّ تصانيفه نافع في بابه. وله: النظم الكبير سيّما مدح سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ومن لطيف مصنفاته: مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام وكتاب روض الرياحين في حكايات الصالحين، وكل تصانيفه حسن. وبالجملة هو رجل مبارك عزيز الوجود، فرد زمانه ونادرة أوانه. أشعري العقيدة، والسالك طريقة الصوفية السادة، والمعاشر مع أهل الخير والزهد والصلاح. قال ابن السبكي في طبقاته الكبرى، اجتمعت به في منى سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وتوفي بمكة في جمادى الأولى سنة

=النجوم الزاهرة ٦/ ٧٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١١٨، شذرات الذهب ٤/ ٢٣٩، مرآة الجنان ٣/ ٣٩٣، البداية ١٢/ ٢٩٤.

(١) الحافظ أبي سعد السمعاني: هو عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد. ولد عام ٥٠٦هـ/ ١١١٣م. وتوفي بمرو عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م. مؤرخ رحالة، حافظ للحديث له العديد من الكتب.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ٥٥، طبقات السبكي ٤/ ٢٥٩، وفيات الأعيان ١/ ٣٠١، النجوم الزاهرة ٥/ ٥٦٣.

(٢) وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين. (هامش الأصل).

(٣) أبو سعيد عبدالرحمن بن أبي الحسن أحمد: هو عبدالرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى، أبو سعيد، الصوفي المصري، ولد عام ٢٨١هـ. وتوفي عام ٣٤٧هـ. إمام، حافظ، عالم بالرجال والتاريخ. له عدة مصنفات. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٨، وفيات الأعيان ٣/ ١٣٧، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٩٨، العبر ٢/ ٢٧٦، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٣.

(٤) أبو القاسم يحيى بن علي الحضرمي: هو يحيى بن علي بن محمد بن ابراهيم الحضرمي، أبو القاسم، المعروف بابن الطحان. توفي عام ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م. فاضل له اشتغال بالتراجم وله عدة كتب: انظر عنه: الاعلام ٨/ ١٥٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٨.

(٥) الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧، طبقات الشافعية ٦/ ١٠٣، شذرات الذهب ٦/ ٢١٠، النجوم الزاهرة ١١/ ٩٣، البدر الطالع ١/ ٣٧٨.

سبع وستين وسبع مائة، روّح الله روحه وزاد في أعلى الجنة فتوحه.

وكتب التواريخ أكثر من أن تحصى، لكن إنْ فزت بما ذكر فزت المرام، وإن أردت التوغل فيه فعليك بكتاب مروج الذهب للمسعودي وأخبار الزمان له أيضًا، وبستان التواريخ، ونوادر الأخبار، ومعادن الذهب، وعيون التواريخ، ست مجلدات، وزبدة الفكرة، وتاريخ المعارف لابن قتيبة، ونصاب الأعيان، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، والطبقات الكبرى الشافعية لابن السبكي، وتاريخ النحاة للسيوطي، وتاريخ الحكماء لصاعد[(١)]، وتاريخ صنوان الحكمة وغير ذلك.

ومنها: تاريخ حلب للكمال ابن العديم[(٢)] عشر مجلدات سمّاه: بغية الطلب في تاريخ حلب، وتاريخ نيشابور للحافظ أبي عبدالله الحاكم ستّ مجلدات، والذيل عليه المسمّى بالسياق لعبد الغافر الفارسي[(٣)] مجلد، وتاريخ أصبهان للحافظ أبي نعيم[(٤)] مجلد وتاريخ بلخ مجلد، وتاريخ اربل لأبي البركات ابن المستوفي[(٥)] أربع مجلدات، وتاريخ قزوين للرافعي[(٦)]، وتاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد بن الفرضي[(٧)] مجلد، والصلة عليه لقاسم بن بشكوال[(٨)] مجلد، وصلة الصلة لأبي جعفر بن

(١) صاعد: هو صاعد بن احمد بن عبدالرحمن بن ساعد الأندلسي التغلبي، أبو القاسم. ولد عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م. وتوفي عام ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م. مؤرخ، بحاثة، تولى القضاء في طليطلة. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٣/١٨٦، بغية الملتمس ٣١١، الصلة ٢٣٤، كشف الظنون ١/ ٦١٠.

(٢) كمال بن العديم: هو عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم ولد عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م. وتوفي عام ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. مؤرخ، محدث، من الكتاب، له عدة مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٥/ ٤٠، فوات الوفيات ٢/ ١٠١، إرشاد الأريب ٦/ ١٨، الجواهر المضية ١/ ٣٨٦.

(٣) عبد الغافر الفارسي: هو عبد الغافر بن اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي ولد عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م. وتوفي عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م. من علماء العربية والتاريخ والحديث. له عدة تصانيف. انظر عنه:
الاعلام ٤/ ٣١، وفيات الأعيان ١/ ٣٠٦.

(٤) أبو نعيم: هو احمد بن عبدالله بن احمد الأصبهاني، أبو نعيم، ولد عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م. وتوفي عام ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م حافظ، مؤرخ، ثقة. له تصانيف عدة وهامة. انظر عنه: الاعلام ١/ ١٥٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٦، ميزان الاعتدال ١/ ٥٢، لسان الميزان ١/ ٢٠١، طبقات الشافعية ٣/ ٧.

(٥) ابن المستوفي: هو المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي الاربلي، المعروف بابن المستوفى، أبو البركات شرف الدين. ولد عام ٥٦٤هـ. وتوفي عام ٦٣٧هـ. علامة، محدث، كاتب، شاعر، عالم بفنون كثيرة، وله العديد من المصنفات.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢٣/ ٤٩، وفيات الأعيان ٤/ ١٤٧، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٩، النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٨، بغية الوعاة ٢/ ٢٧٢، شذرات الذهب ٥/ ١٨٦.

(٦) الرافعي: هو عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم، ابو القاسم الرافعي القزويني. ولد عام ٥٥٧هـ/١١٦٢م. وتوفي عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م. فقيه، مفسر، محدث، مؤرخ، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٥٥، فوات الوفيات ٢/ ٣، ابن الوردي ٢/ ١٤٨، هدية العارفين ١/ ٦٠٩، طبقات الشافعية ٥/ ١١٩.

(٧) أبو الوليد بن الفرضي: هو عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، ابو الوليد، المعروف بابن الفرضي. ولد عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، وتوفي عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م. مؤرخ، باحث. حافظ، أديب. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٢١، الصلة ٢٤٨، جذوة المقتبس ٥٣٧، نفح الطيب ١/ ٣٨٩، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٨.

(٨) قاسم بن بشكوال: هو خلف بن عبدالملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الانصاري الأندلسي، ابو القاسم. ولد عام ٤٩٤هـ/ ١١٠١م. وتوفي عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م. مؤرخ، بحاثة، له الكثير من المصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٢/ ٣١١، الديباج المذهب ١١٤، وفيات الاعيان ١/ ١٧٢، التكملة ١/ ٥٤.

الزبير[١] مجلدات، والذيل والتكملة على الموصل، والصلة لابن عبدالملك[٢] تسع مجلدات، وتاريخ الأندلس لأبي عبدالله محمد بن نصر الحميدي[٣] مجلد، وريحانة الأنفس في علماء الأندلس لابن عات[٤] مجلد، والمغرب في حلى المغرب لعلي بن سعيد الأندلسي[٥] ست مجلدات والاحاطة في تاريخ غرناطة للسان الدين ابن الخطيب[٦] ثلاث مجلدات، وتاريخ اليمن للجندي[٧] مجلد. وللخزرجي[٨] مجلدات، وتاريخ مكة للحافظ تقي الدين الفاسي[٩] ثلاث مجلدات، والطالع السعيد في تاريخ الصعيد للكمال الأدفوي[١٠] مجلد.

وأما التواريخ في لسان الفرس فأكثر من أن تحصى، لكنّا تركنا ذكرها للاستغناء بما ذكرناه عنها.

---

(١) أبو جعفر بن الزبير: هو احمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي. ابو جعفر. ولد عام٦٢٧هـ ١٢٣٠م. وتوفي عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م. محدث، مؤرخ، عالم بالعربية والتفسير والأصول. له العديد من الكتب. انظر عنه:
الاعلام ١/ ٨٦، الإحاطة ١/ ٧٢، الدرر الكامنة ١/ ٨٤، البدر الطالع ١/ ٣٣.

(٢) ابن عبدالملك: هو محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي، ابو عبدالله. ولد عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م. وتوفي عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م. مؤرخ، أديب، قاضي. له عدة كتب. انظر عنه:
الاعلام ٧/ ٣٢، قضاة الأندلس ١٣٠، الديباج ٣٣١.

(٣) أبو عبدالله محمد بن نصر الحميدي: هو محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد بن يصل الحميدي، ابو عبدالله الأزدي الأندلسي المالكي. ولد عام ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م. وتوفي عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. مؤرخ، محدث، عالم، له تصانيف عديدة انظر عنه:
الاعلام ٦/ ٣٢٧، نفح الطيب ١/ ٣٨١، الصلة ٥٠٢، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٥، هدية العارفين ٢/ ٧٦.

(٤) ابن عات: هو احمد بن هارون بن احمد بن جعفر بن عات النقري الشاطبي، ابو عمر. ولد عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م. وتوفي عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م. عالم بالحديث مؤرخ. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٦٥، التكملة ١٢٤، نفح الطيب ١/ ٦٣٦، شذرات الذهب ٥/ ٣٦.

(٥) علي بن سعيد الأندلسي: هو علي بن موسى بن سعيد الغرناطي الأندلسي، ابو الحسن نور الدين، ولد عام ٦١٠هـ/ ١٢١٤م. وتوفي عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م. مؤرخ شاعر عالم بالأدب، له مصنفات عدة. انظر عنه:
الاعلام ٥/ ٢٦، بغية الوعاة ٣٥٧، نفح الطيب ١/ ٤٥٣، دائرة المعارف ١/ ١٩٩.

(٦) لسان الدين ابن الخطيب: هو محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن احمد بن علي السلماني الغرناطي الأندلسي، أبو عبدالله، لسان الدين ابن الخطيب، ذو الوزارتين، ذو العمريين. ولد عام ٧١٣هـ/ ١٣١٣م. وتوفي عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. اديب، ناثر، شاعر، مؤرخ، مشارك في الطب وغيره. له تصانيف كثيرة.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١٠/ ٢١٦، الدرر الكامنة ٣/ ٤٦٩، نفح الطيب ٤/ ٢٤٠، شذرات الذهب ٦/ ٢٤٤، البدر الطالع ٢/ ١٩١.

(٧) الجندي: هو محمد بن يوسف بن يعقوب، ابو عبدالله، بهاء الدين الجندي، توفي عام ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م. مؤرخ يمني، ثقة، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٥١، كشف الظنون ١/ ٩٩٩.

(٨) الخزرجي: هو علي بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي، أبو الحسن، موفق الدين. توفي عام ٨١٢هـ/ ١٤١٠م. مؤرخ، بحاثة. له مصنفات عدة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٢٧٤، الضوء اللامع ٥/ ٢١٠، شذرات الذهب ٧/ ٩٧، آداب اللغة ٣/ ٢٠٥.

(٩) الحافظ تقي الدين الفاسي: هو محمد بن احمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسيني. ولد عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م. وتوفي عام ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م، مؤرخ، عالم بالأصول، حافظ. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٣٣١، الضوء اللامع ٧/ ١٨، معجم المطبوعات ١٤٢٩.

(١٠) كمال الأدفوي: هو جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوي، ابو الفضل، كمال الدين. ولد عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م وتوفي عام ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م. مؤرخ، له معرفة بالأدب والفقه والحساب والموسيقى. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٢٢، آداب اللغة ٣/ ١٦٠، شذرات الذهب ٦/ ١٥٣، الدرر الكامنة ١/ ٥٣٥، البدر الطالع ١/ ١٨٢.

علم التوبة(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول: في التوبة ووجوبها:

إعلم أنّ التوبة مجموع أمور ثلاثة: أحدها: معرفة عظم ضرر الذنوب، وكونها حجابًا بين العبد وبين كلّ محبوب. وثانيها: الحال، وذلك معرفة فوات المحبوب تورث ألمًا للقلب. والألم على الماضي يسمّى ندمًا، ثم ينبعث منه حالة أخرى تسمّى إرادة وقصدًا. وثالثها: الفعل، وذلك لأنّ النّدم المثمر للإرادة على الفعل إمّا في الحال فبترك الذنب، أو بالاستقبال فبالعزم على الترك، أو بالماضي فبتلافي ما فات.

ثم هذه الأمور الثلاثة، أعني المعرفة والندم والعزم تسمّى توبة. ثم ما ذكر في حدّ التوبة أكثرها قاصر عن الإشارة إلى هذه الأمور. فالحدّ الجامع ما يجمع هذه الأمور. ثم فضيلة التوبة لا تخفى على أحد، وما ذكر في فضلها من الأخبار والآثار فأكثر من أن يحصى، وأشهر من أن يخفى.

وأما كيفية وجوبها فهي أنه لا مبعد عن الله إلّا اتباع الشهوات، ولا مقرّب إليه تعالى إلّا انقطاع عن الذنوب. ولا يمكن الانقطاع عنه(١) إلّا بالمعرفة والندم والعزم المعبّر عن مجموعها بالتوبة.

فإن قلت: مرجع التوبة إلى الألم وهو لا يدخل تحت الاختيار، فكيف يوصف بالوجوب.

قلت: سبب الألم الحاصل من الندم وهو المعرفة التي لها أسباب إختيارية. فإنْ قلت: أليس للعبد اختيار في الفعل والترك؟ قلت: نعم، للعبد اختيار مع أنّ الكلّ مخلوق لله تعالى، وذلك لأنّ الله تعالى لا يخلق حركة اليد بكتابة ما لم يخلق فيها صفة القدرة والحياة والإرادة، والإرادة المجزومة متفرعة على الداعية، وهي على العلم. وله أيضًا أسباب أخر مترتبة. وكلّ هذا من اختراع الله تعالى. ولكن بعض هذه الشرط(٢) للبعض، والعبد يجري تحت هذه الحوادث المترتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبًا كليًا لا يتغير، إنّما ظهورها على التفصيل مقدّرة بقدر. فإذا ظهرت من باطن الملكوت الأمور المذكورة على جسم عبد مسخّر تحت قهر التدبير، سبق أهل عالم الملك والشهادة إلى أنّ العبد قد تحرّك، فحينئذٍ ينادي من وراء سرادقات الملكوت: أيها العبد: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(٣)، وعند هذا تحير عقولهم.

فمن واحد قال بالجبر، ومن آخر قال بالإختراع، ومن متوسّط بينهما مائل إلى الكسب، إلّا أنّهم لو نظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أنّ كل واحد من الطرائق المذكورة صادق في مذهبه، إلّا أنّه لم يحط علمه بجوانبه. إلّا أنّ القاصرين يفهمون من هذا الكلام صدق الأقوال المتضادة، ويقولون إنّه باطل جزمًا. إلّا أنّ تحقيق هذا المقام يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها، ولسنا نتكلم فيها ههنا.

المطلب الثاني: في وجوب التوبة على الفور.

واعلم أنّ الإيمان إمّا بعلوم المكاشفة كمعرفة الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله، أو بعلوم المعاملة كمعرفة الطاعات والمعاصي. فمن فقد هذا الإيمان ربما ينفى عنه إسم الإيمان، كقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(٤)،

(*) هذا هو الأصل الأول من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل. وفي النسخة المصرية. شرط

(٣) الانفال/ ١٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب النهبى...، ح ٤٨، ١/ ٢٧١.

أي ينفى عنه الإيمان بكون الزنا مبعدًا عن الله تعالى، وإلّا لما فعله العاقل، لا أنّ الإيمان بعلوم المكاشفة منفي عنه. فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان، بمعنى عدم التصديق بعلوم المعاملة وإلّا لما فعل ذلك الفعل، ومع ذلك فهو قريب من أنْ تنقلع شجرة إيمانه عند مقدمة قدوم ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة.

وإذا كانت المعاصي بمنزلة السموم المهلكة، وكان العاقل يتجنبها في الحال، كذلك يجب على العاقل أن يتجنب عن المعاصي على الفور بل ذلك أولى لأنّها هلاك الأبد. ولا يخفى أنّ وجود الأصل وإنْ لم يتوقف على وجود الفرع لكن ربما يتوقّف بقاؤه عليه فلا ينبغي الإهمال في شأن الأعمال أيضًا.

ثم إنّ عموم الناس محتاجون إلى التوبة إذْ الشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملآئكة وبينهما قتال دائمًا، إلا أنّ قوة جنود العقل بعد الأربعين وإلى زمان قوته تقوى جنود الشياطين. وإذا قوي جنود العقل يكون أول عملهم قمع الجنود الشيطانية وليس ذلك إلّا بالتوبة الواجبة لكلّ آدمي نبيًا كان أو غبيًا، بل هو حكم أزلي مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السُّنَّة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها. ولما لم يخل كلّ إنسان عن الخطأ والنسيان في كلّ وقت وإنْ وجبت عليه المواظبة على التوبة في كل زمان، إذْ لا يتم حاله بعدم الذنب في الاستقبال بل عليه أنْ يزيل آثار المعاصي في الزمان الماضي، فليس ذلك إلّا بالمواظبة على التوبة.

وأما وجوبها فليس بمعنى الوجوب الشرعي، أي الواجب في فتوى الشرع، بل الوصول إلى المقام المحمود في جوار ربّ العالمين واجب لكل عاقل بحكم التقوى والتوبة، فما لا يتم ذلك إلّا به فيكون واجبًا، نظير ذلك وجوب الطهارة لمن يريد صلاة التطوّع فإنّه لا يوصل إليها إلّا بها. وأما من رضي بالنقصان والحرمان فلا يجب عليه لأجلها. فمن يريد التوبة فعليه بأمرين: أحدهما أنْ يعجل حتى لا تصير المعاصي دينًا وطبعًا لا يقبل المحو. والثاني يعاجله قبل مبادرة الموت أو المرض.

المطلب الثالث: في أنّ التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لا محالة:

لا يشك فيه أرباب البصائر لأنّهم علموا بنور البصيرة أنّ كلّ قلب خلق سليمًا ثم أغبر بالذنوب. وعلموا أيضًا أنّ ماء الدموع وحرقة الندم يزيل وسخ القلب، وأنّ كل قلب طاهر زكي مقبول لا محالة. فمن توهّم أنّ التوبة تصحّ ولا تقبل كمن توهّم أنّ الشمس تطلع والظلام لا يزول. وهذا كلام مقبول عند ذوي البصائر مع ما يعضده من الآيات والأخبار والآثار ما بلغت كلّها حدّ الشهرة. ولكن ليس هذا الوجوب ما يقوله المعتزلة من الوجوب على الله، بل ما ذكرناه وجوب بموجب إرادته ومقتضى تقديره. وأمّا الشّك في قبول التوبة فلا ينافي وجوب القبول لأنّ ذلك شكّ في استجماعه الشرائط.

المطلب الرابع: في أقسام الذنوب:

وتنحصر أصولها في أربع صفات: ربوبية وشيطانية وبهيمية وسبعية. وقد مرّ تفصيلها. وأيضًا الذنوب إمّا بين العبد وبين الله أو بين العباد. والأول إمّا شرك أو غيره. والشرك لا يغفر، وكذا ما بين العباد. وأمّا غيره فيرجى أنْ يغفر.

وأيضًا الذنوب إمّا كبائر أو صغائر. واختلف في حدودهما وعدد الكبائر اختلافًا شديدًا. والحق أنّ ذلك مما لا يعلم إلّا من جهة الشرع ولم يرد فيه حدّ الكبيرة وعددها فلا مطمع في معرفتها، وربما قصد الشرع إبهامه لتكون العباد منه على وجل، كما أبهم ليلة القدر ليعظم جدّ الناس في طلبها سيما إذا لم يتعلق به حكم الدنيا بل يعلم حكمها في الأخرى، فيجوز أنْ يتطرق

إليه الإبهام إلّا حدودًا عيّنها بأساميها من الزنا والسرقة وشرب الخمر ونحو ذلك من الحدود.

المطلب الخامس: في كيفية توزع الدركات والدرجات في الآخرة إلى السيئات والحسنات في الدنيا.

واعلم أنّ الدنيا من عالم الملك والشهادة، والآخرة من عالم الملكوت والغيب. وعالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت. ولذلك لم يتكلم الأنبياء مع الخلق إلّا بضرب الأمثال إذْ النائم لا ينكشف له أمر إلّا بمثل. ومن التكلم بطريق المثل أصابع الرحمن وصورته وأمثال ذلك، فيوصلون المعاني إلى إفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفًا لعباده وتيسيرًا لإدراكه.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ تعريف توزيع الدرجات والدركات على الحسنات والسّيئات لا يمكن إلّا بضرب مثال، وذلك أنّ الملك إذا استولى على إقليم يقتل من يجحد في أصل ملكه، ويخلي من لا يجحده، ولا يخدم ويخلع من ينصره ويخدمه. والنعم أيضًا متفاوتة بتفاوت درجات خدمتهم، فكذلك الناس في الآخرة إمّا هالكون أو معذّبون، إمّا سنة أو ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة، وذلك آخر من يخرج من النار، أو ناجون منها أو فائزون إما إلى جنات عَدْنٍ أو جنات المأوى أو جنات الفردوس، وهذه أربع رتب.

أولها: الهالكون، وهم الآيسون من رحمة الله كالجاحدين والمكذّبين بالله ورسوله وكتبه، والمتجرّدين للدنيا. وأعظم العذاب عند أهل البصائر نار الحجاب من الله تعالى وهي أحرّ من نار الجحيم، ولا بعد في ذلك، إذ الصبي ربما يعد البعد عن السلطان أهون من البعد عن الكرة والصولجان.

وثانيتها: رتبة المعذبين، وهم الموحدون القاصرون فلهم ناران، نار الفراق عن الكمال الذي قصروا عنه، ونار جهنم. ويتفاوت لهم العذاب شدة وخفةً وطولًا وقصرًا بحسب قوة الإيمان وضعفه وكثرة اتباع الهوى وقلته. وأضعف درجات العذاب المناقشة في الحساب، وفوقه الورود على النار كبرقٍ خاطف، ثم اللحظة إلى أنْ يبلغ سبعة آلاف سنة. وههنا درجات لا تتناهى، ولا يخرج من النار إلّا موحد وهو من لا يرى الأمور كلّها إلّا من الله، وعلامته أنْ لا يغضب على أحدٍ من الخلق، إذْ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب. وهذا التوحيد له مراتب، أمثال: الجبال والمثقال والخردلة والذرة.

وثالثتها: رتبة الناجين من العذاب فقط، كالصبيان والمجانين والبُله ومَنْ ليس لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية، فهم ينزّلون في منزلة بين المنزلتين وهي الأعراف، إلّا أنّ كون الصبيان من أهلها شكّ ولا يعلم يقينًا إلّا من مشكاة النبوة، والأخبار فيهم متعارضة.

ورابعتها: الفائزون، وهم المقرّبون السابقون، ولا يمكن التعبير عن حالهم ومقامهم. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(١)، وقوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(٢). وهم لا يقنعون بالحور والقصور واللبن والعسل ونحو ذلك، ولا يطلبون إلّا لذة النظر الى وجهه الكريم، فهي غاية السعادة ونهاية اللذات.

المطلب السادس: فيما تعظّم من الصغائر:

منها الإصرار والمواظبة كالقطرة تؤثر في الحجر إنْ دام ولا يؤثر السيل، كما أنّ خير

---

(١) السجدة/ ١٧.

(٢) مسند احمد، ٢/٤٣٨.

الأعمال أدومها وإنْ قلّ. وأيضًا الكبائر قلما تقع من غير سوابق ومقدمات من الصغائر. مثلًا: الزاني يقدم على الزنا المراودة والقبلة والمسّ ونحوها، ولو وقعت الكبيرة بغتة لربما يرجى عفوه إذْ هو حينئذٍ بالخطأ أشبه.

ومنها أن يستصغر الذنب إذْ الذنب كلما استعظم صغر عند الله، وكلما استصغر عظم عند الله، لأنّ استعظامه لنفور القلب واستصغاره لإلف القلب به.

ومنها السرور بالصغيرة وذلك كثير، كقول بعضهم: أما رأيتني كيف مزقت عرضه وكيف فضحته ونحو ذلك.

ومنها أنْ يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله له، ولا يدري أنّه يمهل مقتًا ليزداد إثمًا، فيأمن مكر الله ويجهل مكامن الغرور بالله.

ومنها أن يظهره بأنْ يذكره بعد إتيانه أو يأتيه بمشهد غيره فإنّ ذلك جناية على ستر الله الذي أسبله عليه، وتحريك للشّر فيمن أسمعه أو أشهده، سيّما إذا رغب الغير فيه.

ومنها أنْ يكون المذنب عالمًا يقتدى به كلبس العالم الإبريسم، ودخوله على السلاطين، واشتغاله بعلوم يقصد بها الجاه كالجدل والمناظرة، فإذا ذنب العالم ضعف، كما أنّ عبادتهم ضعف بسبب اقتداء الغير بهم.

المطلب السابع: في تمام التوبة وشروطها وآدابها:

أما العلم فمن أسباب التوبة وستعرفه. وأما الندم فعلامته طول الحسرة والحزن والدمع الدائم، وأنْ تتمكن مرارة الذنب من قلبه بدلًا عن حلاوتها[1] كمن علم أنّ عسلًا فيه سُمّ كيف يكرهه بعد أن كان مشتهى عنده، بل يكره كلّ عسل بعد ذلك، فكذا التائب يدوم ندمه على كل ذنب. وأما القصد الذي ينبعث منه فيوجب ترك كل محظور هو ملابس له، وأداء كلّ فرض هو متوجه عليه في الحال، ويتدارك ما فرط بالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت.

وشرط صحته في الماضي أن يتأمل في كل طاعة تركها أو قصّر فيها فيقضيها في الحال وإنْ شكَّ في قدره فيأخذ بغالب ظنّه، وكذا يتأمل في كلّ معصية فعلها في ساعات عمره فيتوب عنها بالندم والتحسّر عليها، ويحسب عددها، ويعمل مكان كل سيئة حسنة لتمحوها، لكن حسنة من جنسها وتضادها. وكذا في مظالم العباد يفعل في مكان ظلم منها حسنة لصاحبها كالإعتاق مكان القتل والغيبة بالثناء له ونحو ذلك.

وأما القصاص وحدّ القذف فيعمل فيهما بحكومة عدل، وإنْ كان مظلمة مال يرده على صاحبه وإنْ لم يمكن وجد انه يستكثر من الحسنات حتى يقتص منه أو يتصدق مقدار ذلك المال، ويستحل من مظالم العرض صاحبه، وإنْ لم يجد فيكثر من الحسنات لتكون عوضًا. ومن وجده فليذكر خصوص جنايته ولا يبهم لأنّ الإبهام لا يكفي، وإن لم يقدر على بيانه كزناه بجاريته أو أهله فليستحله مبهمًا ثم يجبر بالحسنات.

وأما العزم بأن لا يعود أصلًا إلى الذنوب ولا إلى أمثالها ولا يتم ذلك إلّا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال.

وأما الندم والتوبة على بعض الذنوب وإن أفاد قلة الذنوب لكن لا يبلغه رتبة التائبين ما لم يتب عن جميع الذنوب.

أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن ذلك إذْ الصغائر أقرب إلى العفو، وكذا يمكن التوبة عن بعض الكبائر لغلظتها بالنسبة إلى آخر، وقد يندم على صغيرة أو صغائر دون الكبائر لغلبة

---

(١) كذا في الأصل.

شهوته هناك على خوف من الله تعالى.

فإنْ قلت: نسيان التائب ذنبه أفضل أم المجاهدة فيه أو سكون نفسه عن النزوع إليه أفضل أم المجاهدة فيه؟.

قلت: اختلف فيه: فمنهم من رجح الأوليين ومنهم من رجح الأخريين، إلّا أنّ الحقّ أن السكون والنسيان إنّ كانا من التأدّب بأدب الشرع فهما أفضل وإنْ كانا من الطبع فالمجاهدة أفضل.

المطلب الثامن: في طبقات التائبين، وهي أربع:

الأولى: الذين يستقيمون على التوبة إلى آخر العمر ولا تحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلّا الزلّات التي لا ينفك عنها البشر عادة سوى الأنبياء ومن يقرب من رتبتهم، وهذه هي التوبة النصوح، وهذه النفس هي النفس المطمئنة. ولهؤلاَء أيضًا رتب من حيث النزوع إلى الشهوات كثرةً وقلةً وطول زمان وقصره.

الثانية: الذين سلكوا طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها إلّا أنه لا ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وصمد وتجديد قصد بل كلما أقدم عليها لام نفسه وجدد عزمه على أسباب الاحتراز، وهذه النفس اللوامة. وهذه أيضًا رتبة عالية وإنْ كانت دون الأولى وهي أغلب أحوال التائبين.

الثالثة: أنْ يستمر على الإستقامة مدة ثم تختطفه الشهوة المعينة لعجزه عن قهرها، إلّا أنّه مواظب على الطاعات ومجتنب عن الشهوات الباقية، وهو مع ذلك يندم على فعلها ويجاهد في قهر نفسها، لكنه تسوف نفسه توبته مرة بعد أخرى ويومًا بعد يوم، وهذه تسمّى النفس المسوّلة وهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه مرجوّ، فعسى الله أن يتوب عليه، وعاقبته مخطرة لاحتمال أن يخطف بالتسويف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة. فإنْ تداركه الله بفضله وجبره بكسره التحق بالسابقين، وإنْ غلبت شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحقّ عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأزل، على أنّ كل نفس فهو خاتمة إذْ يمكن اتصال الموت، فليراقب ذلك وليداركه بالتوبة وإلّا دامت الحسرات.

الرابعة: أن يستقيم مدة ثم يعود الى مقارفة الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، وهذه هي النفس الأمّارة بالسوء الفرّارة من الخير، ويخاف عليها سوء الخاتمة، وأمره في مشيئة الله، فإنْ ختم له بالسوء يشقى شقاء الأبد، وإنْ ختم له بالحسنى وهو التوحيد يرجى له الخلاص ولو بعد حين، ولا يستحيل أنْ يشمله عموم العفو بسبب خفي لا نطلع عليه.

إلّا أنّ العجب كل العجب من يقول: الله كريم ويتقاعد عن كسب فضائل الأعمال. ثم إذا قيل الله كريم فاقعد عن كسب المال، يحمق من يقوله ويقول: سُنَّة الله تعالى أنْ يرزق بالكسب، ولا يدري هذا الأحمق الغافل أنّ ربّ الدنيا والآخرة واحد وسُنَّته فيهما واحدة. فما باله يغتر بكرمه في الآخرة دون الدنيا. فما هذا إلا انتكاس على أمّ الرأس وفي ظلمات الجهل انغماس! فنعوذ بالله من دواعي الجهل والارتياب إلى سوء المنقلب وعسر المآب.

المطلب التاسع: في تدارك التائب إذا جرى عليه ذنب إما عن قصد أو باتفاق:

واعلم أنَّ الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها، فإن لم تساعده نفسه على العزم على الترك فقد فاته أحد الواجبين، فلا ينبغي أن يفوته الواجب الآخر وهو محوها بالحسنة ليكون ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وتلك الحسنات إمّا بالقلب فالتضرع إلى الله تعالى وطلب العفو والمغفرة، ويتذلّل تذلّل العبد الآبق بحيث تظهر ذلته لسائر العباد، وإمّا باللسان وهو الاعتراف بالظلم والاستغفار لكن لا باللسان فقط، فإنّه توبة الكذابين بل

بالقلب، وقد مر في كتاب الدعوات كيفية الاستغفار. وإمّا بالجوارح فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات.

وذكر في الآثار ثمانية أعمال يرجى بها العفو. أربعة للقلب وهي: التوبة والعزم على الترك وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له. وأربعة من أعمال الجوارح وهي: أن يصلي عقب الذنب ركعتين يستغفر الله بعده سبعين مرة ويقول: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، ثم يتصدق بصدقة، ثم يصوم يومًا. وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين. وفي بعض الأخبار أربع ركعات.

المطلب العاشر: في طريق حلّ الإصرار على الذنوب من القلب، وله علاجان:

أحدهما: العلم بأنّ الذنوب مضر[1] يجب تركها، وذلك أربعة أنواع:

الأول: أن يذكر إنذارات القرآن والأخبار للعصاة.

الثاني: حكايات الأنبياء والسلف وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم.

الثالث: خوف تعجيل العقوبة في الدنيا، ونفوس العوام أكثر انزجارًا بعقوبة الدنيا، حتى إنّ العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وكذلك الفقر والمرض.

الرابع: أن ينهي كل صنف من الذنب بنوع من العقوبة. من العلماء أطباء الأرواح، فعليهم أن يخوّفوا كل ذنب بنوع عقوبة ويوصيهم بنوع وصية تكون سببًا لزوالها.

ثانيهما: الصبر وذلك لأنّ الذنب إمّا بسبب الغفلة وطريق علاجه العلم وقد ذكرناه، أو بسبب غلبة الشهوة وطريق علاجه الصبر، وقد ذكرناه في رياضة النفس. فترك الذنب بالصبر وهو بمعرفة الخوف، والخوف لا يحصل إلّا بالعلم بضرر الذنب، فأصل الكل العلم.

واعلم أنّ سبب وقوع الذنب أمور: أحدها أنّ العقاب الموعود غيب وليس بحاضر، والنفس تأثرها بالحاضر قوي وبالموعود ضعيف.

الثاني أنّ الشهوات لذاتها ناجزة والنزوع عن لذة العاجل لخوف الآجل شديد على النفس.

الثالث أنّه ما من مسلم مذنب إلّا وهو عازم على التوبة غالبًا، إلّا أنّ النفس تسوف بما يغلب على طبعه من طول الأمل.

الرابع أنّه ما من مؤمن إلّا وهو معتقد أنّ الذنب لا يوجب العقوبة إيجابًا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالًا على فضل الله تعالى.

وهناك قسم خامس لكنه كفر وهو الشّك في صدق الرسل.

إذا عرفت هذه الأسباب فاعلم أنّ علاج السبب الأول بأن يلاحظ أنّ كل ما هو آتٍ آت، وأنّ الموت أقرب من شراك نعله، وعلاج التسويف التذكر بأنّ أكثر صياح أهل النار من التسويف، ولعله لا يبقى إلى الغد، وإن بقي لعله لا يقدر، إذْ عجزه في الحال لغلبة الشهوة، والشهوة لا تفارقه غدًا بل تتأكد بالاعتياد، وأنّ الأيام متشابهة في مشقة ترك الشهوات.

وأما علاج الانتظار إلى رحمة الله تعالى إنْ كان بعد العمل فحسن، وإن كان بلا عمل فحمق، وهو كمن لا يلقى البذر وينتظر الزرع. وهذا وإنْ كان ممكنًا لكنه لكونه خرقًا للعادة يعد حمقًا وخرقًا، إذْ الاعتماد على أمر ممكن خارق للعادة في مثل هذا الأمر الخطير العظيم الذي لا يمكن تداركه ثانيًا مما لا يقبله العقلاء.

---

(١) كذا في الأصل والنسخة المصرية. والأصح: مضرة لأنها صفة تخبر عن الذنوب، ولا بد من اتباع الصفة للموصوف وتوحيدها تذكيراً أو تأنيثاً.

وأما علاج الخامس وهو الكفر فما عرفته من أسباب صدق الرسل ولكن هذا أمر إلزامي يكفي في دفعه، وهو أنّ رجلًا قد جربت كذبه مرارًا إذا أخبرك بأنّ هذا الطعام قد ولغ فيه الحية وألقى فيه سمها، فلعلك تقول: هذا الرجل وإنْ كان كاذبًا أكثريًا لكن الكذوب قد يصدق. وعلى الجملة فالشّك حاصل في خبره هذا، وإني إنْ تركت هذا الطعام ليس لي إلّا الصبر عن شهوة الطعام، وإنْ أكلت ذلك فالهلاك محتمل، فالفرار عن الشهوة الحقيرة لأجل الهلاك الموهوم أحسن. ثم إنّك كيف لا تذهب هذا التعليل في أخبار الأنبياء لم تجرب كذبهم بل جربت صدقهم مرارًا، لكن لا تدعك عصبيتك إلى الإذعان بالحق والله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء إنّه هو القادر على كل شيء. قال عليّ بن أبي طالب في بعض من كان شاكًا: إنْ صحّ ما قلت فقد تخلصنا جميعًا وإلّا فقد تخلصنا وهلكت.

وقال أبو العلاء المعري:

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تحشر الموتى فقلت إليكما
إن صحّ قولكما فلست بخاسر
أو صحّ قولي فالخسار عليكما

ثم إعلم أنّ ما ذكر من الأمور وإنْ كانت جلية لكن النفس لا تتفكر فيها لأمرين:

أحدهما أنّ فكرها يؤلم القلب وفكر الدنيا لها فتميل إليه.

وثانيهما أنّ هذا الفكر يمنعه عن لذائذ الدنيا إذْ الإنسان لا يخلو عن شهوات الدنيا ساعة أصلًا.

فعلاج الأمر الأول فأنت تتألم من ملاحظته، فكيف الألم إذا وقع وأنت عاجز عن تداركه. والأمر الثاني أن يتذكر عظم ثواب الآخرة وحقارة لذات الدنيا وسرعة زوالها وترك العظيم، والباقي لأجل الحقير والزائل لا يصدر عن عاقل.

علم التوكل(*)

وفيه مطالب: **المطلب الأول**:

ولا يخفى عليك فضيلة التوكل سيما من تتبع الآيات والأحاديث، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]. وأعظم بمقام موسوم بمحبته تعالى صاحبه ومضمون بكفايته. وجاء في الحديث: «لو توكلتم على الله حقّ التوكل لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[4]. وفي الأحاديث كثرة يعرفها أهلها، وكذا الآثار في حقّ التوكل.

وأما حقيقته فلا يذهب عليك أنّ التوكل حال ينبعث من علم ثم يثمر عملًا. أما العلم فهو التوحيد الذي هو أصل الإيمان الذي ترجمته قولك: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له. والإيمان بالقَدَر أعني قولك: له الملك. وبالجود والحكمة وهو قولك: وله الحمد.

ثم إنّ أصل التوحيد من علم المكاشفة. ولما كان بعضها يتعلق بالأعمال بواسطة الأحوال، ولا يتم علم المعاملة إلّا بها، وجب التعرض له قدر ما يتوقف عليه علم المعاملة، وإلّا فهو البحر الخضم الذي لا ساحل له.

(*) هذا هو الأصل الخامس من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) المائدة/ ٢٣.

(٢) الطلاق/ ٣.

(٣) آل عمران/ ٥٩.

(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب الرجاء والخوف، باب الفن الأول في جلب المنافع، ٩/ ٤٧٧.

فنقول: مراتب التوحيد أربع. لُبّ، ولُبّ اللّبّ، وقشر، وقشر القشر.

فالمرتبة الأولى قول الإنسان: لا إله إلّا الله بلسانه، وقلبه عنه غافل أو جاحد. وحكمه أنّه موحِّد بمجرد اللسان ويعصمه في الدنيا عن السيف والسِّنان.

والثانية أنْ يصدق بقلبه معنى اللفظ وهو الاعتقاد، وهذا حال عموم المسلمين ليس فيه انشراح وانفساخ. وحكمه أنّه يحفظه في الآخرة عن عقاب إنْ توفي عليه ولم يضعف بالمعاصي عقدتها. وتحليلها بالقصد يسمّى بدعة وصاحبه مبتدعًا. وقصد أحكامها وشدتها يسمّى كلامًا وصاحبه متكلمًا.

والثالثة موحد بمعنى لم يشاهد إلّا فاعلًا واحدًا إذا انكشف الحقّ على ما هو عليه، إذْ لا فاعل بالحقيقة إلّا واحد.

الرابعة موحد بمعنى أنّه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل إلّا من حيث إنّه واحد. وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد.

فالأول كالقشرة العليا من الجوز، والثاني كالسفلى منه، والثالث كاللب منه، والرابع كلب اللب منه وهو الدهن من الجوز.

فإنْ قلت: كيف يمكن مشاهدة هذه الكثرة واحدًا وهي كثيرة في نفسها؟

فاعلم أنّ هذا غاية علوم المكاشفة التي قال العارفون لعسرها وغموضها وبعدها عن مدارك الخلق: إفشاء سِرّ الربوبية كفر، فلا يجوز أن تسطر في كتاب إلّا قدر سورة استبعادك، بأنْ تلاحظ الانسان مع كثرتها من حيث بدنها وروحها وقواها[1] الظاهرة والباطنة له جهة واحدة هي الانسانية، فلا تنافي بين هاتين الجهتين. وهذا المثال لأجل التنبيه على مجرد عدم التنافي بين الجهتين لا أنّه يطابق الممثل من كل وجه.

فعليك أن تصدق بهذه الحالة وإنْ لم تكن تشاهدها. والمشاهدة أيضًا لا تدوم لأهلها بل تظهر كالبرق الخاطف، والدوام نادر عزيز الوجود.

ولما كان الرتبة الرابعة بعيدًا عن الأفهام، لا جرم بيّنا التوكل على الرتبة الثالثة. ولنذكر منها قدر ما يرتبط التوكل به، وهو أنه إذا انفتحت لك أبواب المشاهدة يتضح عندك أن لا فاعل إلّا الله، وأنّ كلّ فعل من التخليق والترزيق والمنع والإعطاء والإحياء والإماتة وغير ذلك كلها من ابداع فاعل واحد واختراعه وهو الله تعالى لا شريك له فيها، وما سواه مسخرون تحت قدرته لا استقلال لهم أصلًا في ملكوت السموات والأرض ولو بتحريك ذرة. فعند معرفة هذا الأمر لم تنظر غيره بل يصير إليه خوفك ورجاؤك وثقتك واتكالك. وإنّما يصدك الشيطان عن هذا في مقامين.

أحدهما الالتفات إلى الجمادات كاشتراط الغيم في المطر أي بأن يؤثر فيه، وهذا شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور، بل المؤثر واحد لا غير.

وثانيهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات بأنّ هذا الشخص يقدر أنْ يعطي رزقك ويمنعه أيضًا. وعند هذا زلّ أقدام الأكثرين إلّا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان. ومن لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قهارًا وراء الكل والذين يسمعون من كل ذرة في السموات والأرض تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على أنفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلا حرف ولا صوت، ولا بالسمع الظاهر الذي يشاركك فيها الحمار، بل سمعًا يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت، ولا هو عربي ولا

(١) كذا في الأصل.

عجمي، يشهدون ويشاهدون من كلّ شيء بالعجز، وأنْ لا قدرة إلّا من مبدع الكلّ وخالقها، وإن لم يسمعه ولم يشاهده الذين هم عن السمع معزولون.

وكيفية المناجاة مع الجمادات في السّر أمر لا يمكن كشفها إمّا لأنّ إفشاء السّر غير جائز، إذْ صدور الأحرار قبور الأسرار، أو لعدم تناهي تلك الكلمات عن حدّ الحصر والنهاية، و﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾[1].

ومثال ذلك أنّ سائلًا سأل عن الكاغد: ما بال وجهك أسود وقد كان أبيض؟ قال: ما فعلته عن نفسي، سَلْ عن ذلك الحبر ذلك، فإنّه سوَّد وجهي قهرًا وعدوانًا. قال: صدقت. فسأل الحبر عن ذلك، فقال: كنت ساكنًا في المحبرة وهو وطني، عازمًا أنْ لا أفارقها، فاعتدى عليَّ القلم وفرّق شملي وبدّدني على صفحات أوراق[2]، فالسؤال عليه لا عليَّ. قال: صدقت. ثم سأل القلم عن ذلك فقال: كنت نابتًا على شاطىء الأنهار، ذلك وطني منبتي ومسقط رأسي، فجاءني[3] اليد ونحاني[4] عن وطني ثم براني[5] وشقّ[6] رأسي، وغمسني[7] في بحر الحبر، وأمشاني[8] على قنة رأسي، فحصل منه هذا الأمر. فسل عمن قهرني. فقال: صدقت. ثم سأل اليد عن تعدّيها على القلم فقالت: أنا مركب مسخّر، ركبني فارس القدرة واستخدمني كيف شاء، فسلْ القدرة عن شأني، فإنّ بيدها عناني. فقال: صدقت. ثم سأل القدرة عن استخدامها اليد قال[9]: دع عنك لومي وقد كنت في نومي حتى جاءني موكّل الإرادة وأزعجني وأرهقني إلى ما تراه مني، فقال: صدقت. ثم سأل الإرادة فقالت: لا تعجل عليَّ، فلعل لي عذرًا وأنت تلوم، فإني ما انبعثت، ولا كنت عليه بعازم[10]، إلّا بحكم قاهر وأمر جازم. فإني مسخّر[11] تحت قهر العلم الوارد من حضرة القلب على لسان العقل، فانزعجت بقهر منه، فقال: صدقت.

وأقبل على العقل والعلم والقلب مطالبًا لهم ومعاتبًا إيّاهم، فقال العقل: أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني أشعلت. وقال القلب: أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكني بُسطت. وقال العلم: إنما أنا نقش في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل فسل قلمًا ينقشني.

فلما سمع السائل حديث اللوح والسراج والخط والقلم تحيّر، إذْ كان لم يعرف هذه الأمور إلّا في الأجسام، فعند ذلك رحمه العلم وقال: قد تعبت نفسك في السؤال فلا تنقلب خاسرًا، فألق سمعك إليَّ وأنت شهيد.

وأعلم أنّ العوالم إمّا عالم الملك والشهادة، وقد قطعتها بسهولة، وإمّا عالم الملكوت وفيها

---

(١) الكهف/ ١٠٩.
(٢) في النسخة المصرية: الأوراق.
(٣) في النسخة المصرية: فجاءتني.
(٤) في النسخة المصرية: ونحتني.
(٥) في النسخة المصرية: برتني.
(٦) في النسخة المصرية: شقت.
(٧) في النسخة المصرية غمستني.
(٨) في النسخة المصرية: أمشتني.
(٩) في النسخة المصرية: قالت.
(١٠) في النسخة المصرية بعازمة.
(١١) في النسخة المصرية: مسخرة.

البحار المغرقة، ولا يسلم منها إلّا الأقلون وهو ورائي.

وأما عالم الجبروت وهو واسطة بين هذين العالمين وذلك مثل سفينة هي بين المشي على الأرض والمشي على الماء. فعالم الملك من الحبر إلى القدرة، ومنها إلى القلم الذي يكتب به العلم عالم الجبروت، ومنه مبدأ عالم الملكوت. ومن جاوز عالم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم. ولذلك صار أول ما نزل على رسول الله ﷺ سورة القلم.

ثم إنك السائل جمعت ضوء عينيك وحدقته نحو عالم الملكوت يرجى لك أيضًا كشف ذلك. واعلم أنّ الله تعالى كما لا يشبه ذاته سائر الذوات، كذلك لا تشبه يده سائر الأيدي، ولا قلمه سائر الأقلام، ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط، وإنّما هذه أمور إلهية من عالم الملكوت. فعند ذلك اشتعل زيت السائل بنور العلم وفتح بصره، فانكشف له القلم الإلهي، فإذا هو لا من خشب ولا من قصب، ولا له رأس ولا ذنب، وله في كل قلب رأس يكتب، ولا رأس له، وإنّه العجب.

وقال السائل: نعم المعلّم أنت أيها العلم، جزاك الله عني خيرًا. فعند هذا ودّع العلم وشكره.

ثم سافر إلى حضرة القلم وسأله عن نقشه في القلوب فقال: إنّ عالم الملكوت موازن لعالم الملك، وإنّ في الثاني صورًا دون الأول، فكما أنّ قلم عالم الشهادة مسخرة[1] في يمين الكاتب فكذا أنا مسخر ومقهور تحت يمين الملك. قال: وما هي؟ قال أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ﴾[2]؟ فقال: هي التي يردوني[3].

فسافر إلى حضرة اليمين ورأى فيها العجب العجاب بحيث لا تحوي عُشر عُشر عجائبه مجلدات، ورأى أنها يمين لا كالأيمان، ويد لا كالأيدي، وأصبع لا كالأصابع، والقلم في قبضته، ثم سأل عن اليمين، فأحاله على القدرة.

فسافر إلى عالم القدرة فرأى فيها من العجائب استحقر فيها ما رأى قبلها، فسأل عنها ما أشكل عليه فقالت: أنا صفة فاسأل القادر الموصوف. وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالحيرة لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[4]، فغشيته هيبة الحضرة، فخرَّ صعقًا يضطرب في غشيته مدة. فلما أفاق قال: سبحانك ما أعظم شأنك، تبت إليك، وتوكلت عليك، وآمنت بأنّك الملك الجبار الواحد القهار، فلا أخاف غيرك، ولا أرجو سواك، ولا أعوذ إلّا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك. وما لي إلّا أنْ أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك، فأقول: إشرح لي صدري لأعرفك، واحلل عقدة من لساني لأثني عليك. فنودي من وراء حجاب العزة: إيّاك أنْ تطمع في الثناء وقد قال سيد الأنبياء: «سبحانك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[5]، فارجع، وما آتاك فخذه، وما نهاك عنه فانته عنه، وما قاله فقله. ثم قال السالك: إلهي: إنْ لم يكن للساني جرأة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك؟

(١) في النسخة المصرية: مسّخر.
(٢) الزمر/ ٦٧.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) الانبياء/ ٢٣.
(٥) مسند احمد، ٦/ ٥٨.

فنودي: إيّاك أن تتخطى رقاب الصّدّيقين، وقد قال الصديق الأكبر[١]: العجز عن درك الإدراك إدراك، فيكفيك نصيبًا من حضرتنا أن تعرف أنّك محروم عن حضرتنا، عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا.

فعند ذلك رجع السالك واعتذر عن أسولته ومعاتباته للقلم والقدرة والعلم بأني كنت غريبًا، ولكل غريب دهشة، وما كان إنكاري إلّا عن قصور وجهل. والآن وقد اتضح عندي عذركم، وأنّ المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، أي أول في الوجود وآخر في المشاهدة، وباطن للساكنين تحت حجب عالم الشهادة وظاهر لمن تنوّر بصيرته بأنوار عالم الملكوت.

إذا عرفت هذا فلعلك التوكل[٢] مخصوص، فمن[٣] يفهم حقيقة التوحيد ولا يوجد في غيره المتوكل.

واعلم أنّ من لا يفهم التوحيد إمّا جاحد فلا يقبل العلاج، وهؤلآء في إنكار عالم الملكوت بمنزلة الحشوية المنكرين لعالم الجبروت أيضًا، حيث حصروا العلم في الحواس الخمس، وأنكروا العلم والقدرة والإرادة كما أنكر السوفسطائية الحواس أيضًا. وإما جاهل غير جاحد فينظر إن كان عين بصيرته صحيحة يعالجون مرضها، وإلّا فيتكلمون معهم بقدر عقولهم لأنهم يعرفون أنّ المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد بأميرين، فيقال لهم على حدّ عقلهم إله العالم ومدبره واحد، لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا فيكون ذلك على وفق ما رآه في عالم الشهادة، فينغرس في قلبه اعتقاد التوحيد بهذا الطريق اللائق بقدر قلبه. ثم إنّ هذا الاعتقاد إذا قوي عمل عمل الكشف في إثارة التوكل وسائر الأحوال، إلّا أنه في الغالب يضعف ويسارع إليه الاضطراب والتزلزل، ولهذا احتيج إلى علم الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقفها من أبويه أو أستاذه أو أهل بلده.

فإنْ قلت: كون الأسباب مسخرات ظاهر إلّا في حركات الإنسان فإنّه يتحرك أو يترك إنْ شاء.

قلت: نعم، الحركة لازمة للقدرة، والقدرة للمشيئة. لكن المشيئة تحدث ضرورة في القلب: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٤]. فالمشيئة إن كانت ضرورية فما بعدها من القدرة والحركة مترتبة عليها ضرورة، فهو مضطر في الجميع، ويسمّى هذا جبرًا، لا جبرًا محضًا كالجمادات، بل جبرًا في غير اختيار[٥].

وتفصيل ذلك أنّ للانسان فعلًا طبيعيًا كخرق الماء إذا وقف عليه فإنّه ينزل بثقله إلى قعره فيخرقه، وفعلًا إراديًا كنفسه، وفعلًا اختياريًا ككتابته. ثم إنّ الاختياري ربما يكون اضطراريًا لبعض الأسباب. مثلًا طبق الأجفان إرادي ولو قصد عين الانسان بإبرة يكون اضطراريًا إذ لا يقدر على فتحه في تلك الحال فيلتحق بالطبيعي في تلك الحال. وإنما موضع الالتباس الفعل الاختياري كالكتابة والنطق، إذْ يظنّ أنّه إنْ شاء فعل وإن شاء ترك، وتارة يشاء وتارة لا يشاء، لكن هذا الظن من الجهل بمعنى الاختيار. وبيانه أنّ القدرة تبع للإرادة وهي تبع للعلم الذي يحكم بأنّ الشيء موافق لك.

ثم إنّ الخيرية قد تعلم بتردد وتوقف كمن

(١) الصديق الأكبر: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) الانسان/ ٣.
(٥) كذا في الأصل.

أراد سفرًا مثلًا، وقد تعلم بلا تردد كما في حركة الأجفان عند القصد بالإبرة وحركة اليد بدفع السيف؛ إذْ تظهر خيرية الحركتين دفعة وهو عين الاختيار المشتق من الخير، إلّا أنّه ظهر على البديهة لثبوت خيريته بتجارب كثيرة ومشاهدات دائمة. ولذلك قيل: العقل يحتاج إلى التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين. والأول كمن يتردد بين كتابة كتابين كلاهما خير له، والثاني كمن يرمي نفسه من السطح هربًا من السيف. وأما بين الخير والشر فلا يتردد أصلًا كمن غمض عينيه للإبرة، فالحركة في الإنسان مسخرة لقدرته، وقدرته لإرادته، وإرادته لداعيته وهي الأمر الحاصل من العلم بكون شيء خيرًا. فإذًا معنى كونه مجبورًا أن جميع هذه الأمور حاصلة فيه من غيره لا منه، إذ الخالق للكل هو الله عز وجل.

ومعنى كونه مختارًا أنّه محل لإرادة حدثت فيه جبرًا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرًا، وحدث الحكم جبرًا فإذا هو مجبور على الاختيار. ففعل النار في الإحراق مثلًا جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض بشرط أنْ لا يفهم منه إرادة بعد تحيّر وتردد. وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فإنّه جبر على الاختيار. فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة فسمّوه كسبًا وهو جامع بين الجبر والاختيار عند من فهمه.

ثم إنّ ترتّب الأمور المذكورة بعضها على بعض ليس بأنّ المتأخر حدث عن المتقدم بالتوليد لأنّ ذلك جهل محض بل حوالة جميع ذلك على القدرة الأزلية التي لم يقف على حقيقة معناها إلّا الراسخون، وإنما يقف من يقف على مجرد لفظها مع قياسها على قدرتنا القاصرة وهو بعيد عن الحق.

ولا يمكن تفهيم ذلك على وجه الصواب. والقدر الممكن من ذلك هو ترتب بعض المقدورات على البعض في الحدوث إنما هو ترتب المشروط على الشرط. ودرجات ترتيب الشروط كثيرة لا تظهر للعوام، وبعضها لا تظهر إلّا للخواص المكاشفين بنور الحق.

وبالجملة فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر عبثًا واتفاقًا بل ذلك بطريق الحق واللزوم، وكذلك جميع أفعاله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴿١٦﴾﴾ و﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[1]. فكل ما بين السماء والأرض حادث عن ترتيب واجب وحقّ لازم لا يتصوّر أن يكون إلّا كما حدث، وعلى الترتيب الذي وجد، فما تأخر متأخر إلّا لانتظار شرطه، والمشروط قبل الشرط محال، والمحال لا يوصف بكونه مقدورًا. فإذًا لا بد من بيان كونه موقوفًا على الشرط مع كونه مقدورًا، وأن القدرة موجودة.

ولا يمكن تفهيم ذلك لذوي الأفهام الضعيفة إلّا بمثال وهو أنْ نقدر إنسانًا محدثًا منغمسًا في الماء إلى رقبته فإنّ الحدث لا يرتفع عنه إلّا عند غسل الوجه. فقبل غسله نقول لم يرتفع الحدث عن يده ورجله مثلًا لتوقفه على غسل الوجه على ملاقاة الماء الذي هو السبب الحقيقي في رفع الحدث. فإذًا الماء بمنزلة القدرة الأزلية المتعلقة للأشياء، ولكن تأثيره في المقدور متوقف على شرط وهو غسل الوجه. فعند حصول الشرط يكون رفع الحدث عن اليد بالماء لا بغسل الوجه.

إلّا أنّ الجاهل لترتب رفع الحدث عن اليد على غسل الوجه ربما يتوهم أنّ المؤثر فيه غسل الوجه لا الماء، كذلك يتوهم القاصرون من ترتب الأفعال الإلهية بالشروط تأثير الشروط فيها دون القدرة، وليس كذلك كما لا يخفى على ذي خبرة تامة وأولي بصيرة ناقدة نافذة. فهكذا ينبغي أن يفهم صدور المقدورات عن القدرة الأزلية مع أنّ القدرة قديمة والمقدورات حادثة، وهذا قرع لباب عالم الملكوت. وهذا من علوم المكاشفات لا

---

(١) الأنبياء/ ١٦ـ١٧.

يمكن التعبير عنها فلنتركها، إذْ لا يفي باستيفاء قدر ما أمكن منها عمر نوح عليه السلام.

ولنقتصر على ما هو المقصود وهو التنبيه على طريق التوحيد في الفعل، وهو المقام الثالث من مقامات التوحيد، وأنّ الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوّف والمرجو، عليه التوكل والاعتماد. وهذه المعاني كلها منطوية تحت قولك: لا إله إلّا الله، وهو خفيف على اللسان سهل اعتقاد مفهومه في الجنان.

وأما حقيقته فأعزّ على العلماء الراسخين أولي الكشف والعيان.

فإنْ قلت إذا كانت الأفعال مخلوقة لله عز وجل فإمّا أن يقال: إنّها ليس فعلًا للعبد أصلًا فيبطل الشرع، أو يقال: إنّه فعل للعبد أيضًا فيلزم مفعول بين فاعلين وأنّه محال.

فأقول: المفعول بين فاعلين جائز إذا كان للفاعل معنيان، كما يقال: قتل فلانًا الأمير والجلاد إذْ الجلاد فاعل صورة والأمير معنى؛ وكذا الخالق تعالى فاعل لأفعال العباد بمعنى أنّه مخترع وموجد والعبد فاعل لها بمعنى أنّه محل لخلق الله تعالى فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم، فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتباط المعلول بالعلة، أو ارتباط المخترِع بالمخترَع، وكل ما له ارتباط بقدرة فإنّ محل القدرة يسمّى فاعلًا له كيف ما كان الارتباط. ولأجل تطابق ذلك وتوافقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن إلى الملآئكة مرة ومرة إلى العباد، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه كما قال تعالى في الموت: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾(١). وقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾(٢).

وأما واضع اللغة فقد وضع إسم الفاعل للمخترع. فمن أنّ المخترع هو العبد يجعله حقيقة في العبد ويلزمه أن يكون مجازًا في من له الإقدار والتمكين مثل نسبة القتل إلى الأمير، فإنّه حقيقة في الجلاد عندهم.

وأما الذين انكشف الحق لهم عرفوا أنّ الأمر بالعكس، وأنّ الصيغة حقيقة في حقه تعالى لأنّه المخترع حقيقة، فلا فاعل إلّا هو، فيكون مجازًا في العبد، بمعنى أنّه كاسب ومحلّ للفعل، كما أنّ من عرف أنّ حقيقة القتل من الأمير يجعل نسبته إلى الجلاد مجازًا لكونه مظهرًا له كما تقرر تحقيق هذا المقام في علم المعاني. ولهذا عرفوا المجاز الحكمي بغير ما هو له عند المتكلّم لا مطلقًا.

فإنْ قلت: فإذا ظهر أنّ الكلّ فعل نفسه فكيف يغضب عليه ويرضى له؟ فاعلم أنّ سِرّ ذلك قد مرَّ في كتاب الشكر فارجع إليه، فهذا الذي ذكرناه من بحر التوحيد هو الذي يورث حال التوكل لكنه لا يتم إلّا بالإيمان بالرحمة والحكمة، فإنّ التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب. ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلّا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل. وهذا الإيمان أيضًا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه طويل.

وحاصله أنّ الله تعالى لو خلق آحادًا مشتملين على جميع أنواع الكمال وأصناف القدرة التامة، ومع ذلك لو تظاهروا على زيادة ذرة واحدة أو نقصها في العالم لما قدروا على ذلك، ولما وجدوا في خلقه تعالى من قصور وإنْ أمعنوا في ذلك أنظارهم ورجعوا فيها أبصارهم. وأيضًا كل ما قسم الله بين عباده من كمال وفتور، وعجز

(١) السجدة/ ١١.
(٢) الزمر/ ٤٢.

وسرور، ورزق وأجل، وإقدام ووجل، وطاعة وعصيان، وكفر وإيمان، كلّه عدل محض لا جَوْر فيه، وحقّ صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب والأسلوب الحق والقدر اللائق. وليس في الإمكان أصلًا أحسن منه ولا أتمّ وأكمل؛ ولو كان وادخره مع القدرة لكان بخلًا يناقض الجود، وظلمًا يناقض العدل. ولو لم يكن قادرًا لكان عجزًا يضاد الألوهية، بل كل ضرر وفقر هو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة، وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى الشخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره، إذْ لولا الليل لما عرف قدر النهار، ولولا النار لم يعرف أهل الجنة قدر النعمة. وأيضًا فداء أرواح الأنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران فداء لأهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل. وما لم يخلق الناقص كالبهائم لم يعرف الكامل كالإنسان، وكذلك الأمر في التفاوت في القسمة بين الخلق في الدنيا والآخرة، وكلّ ذلك عدل لا جَوْر فيه وحقّ لا لعب فيه.

وهذا الآن بحر آخر عظيم غرق فيه الأكثرون، قريب في السّعة من بحر التوحيد، ولا يعقلها إلّا العالمون. ووراء هذا البحر سِرّ القدر الذي تحيّر فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سِرّه المكاشفون.

والحاصل أنّ الخير والشر مقضيّ به، وما قضى الله واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا رادّ لحكمه ولا معقّب لقضائه وأمره. وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإنّما أطنبنا في هذا المطلب لأنّ هذا الباب غاية كل العلوم، وإليه ينتهي أصل كل سعادة فلا تغفل.

المطلب الثاني: في بيان حال التوكل:

وما ذكرناه أصل التوكّل وهو العلم، وهذا حاله وحقيقته. ثم نذكر ثمرته وهو العمل.

فنقول التوكّل مشتق من الوكالة وهي تفويض الأمر إلى الغير والإعتماد عليه فيه، ويُسمّى الموكَل إليه وكيلًا والمفوِّض متكلًا ومتوكِّلًا. فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده. ثم إنّ التوكل لا يتم في الإنسان إلّا بأن يعتقد في وكيله أربعة أمور: منتهى الهداية إلى المصالح والمفاسد، ومنتهى القدرة بأن لا يخاف ولا يجبن ولا يستحي، ومنتهى الفصاحة بأنّ لا يكلّ من الكلام، ومنتهى الشفقة إذْ الأمور المذكورة لا تفيد إلّا إذا قارنت الشفقة. ثم الموكل إنّ كان شاكًا في هذه الأربعة، أو في واحد منها، أو جوّز أن يكون خصمه أكمل في هذه الأربعة منه لم تطمئن نفسه إلى وكيله. وعلى هذا القياس لا بد لمن يتوكل على الله أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أنّه لا فاعل غيره واعتقد معه تمام العلم والقدرة ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد، فإنْ لم يعتقد بأحد هذه الأمور لم يتم توكله، وذلك إمّا لضعف يقينه أو ضعف القلب واستيلاء الجبن عليه بسبب الأوهام المغالبة عليه، لأنّ للوهم تأثيرًا قويًا، كما يخاف الانسان من أنّ يبيت مع الميت في قبر أو فراش مع أنّه لا يشك أنّه جماد ولا يحشر الآن على ما جرت عادة الله عليه. وإنما يتم التوكل بقوة اليقين وقوة القلب معًا.

ثم إنّ للتوكل[1] بحسب القوة والضعف ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق أمه، إذْ لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلّا إياها، وإنْ نابه أمر في غيبتها لا يسبق إلى لسانه إلّا يا أماه، وإنْ غضبت

(١) في النسخة المصرية: المتوكل.

عليه أمه لا يفزع إلّا إليها.

الثانية: أنْ يكون حاله كصبي مميّز وثق بكفالة أمه وشفقتها ولا يطلب منها شيئًا، ولا يخطر في قلبه إلّا أمه دون ضمانها وكفالتها عليه.

الثالثة: وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل. مثاله صبي علم أنّ أمه يتكفلها[1] ولم يطالب منها، وهذا المقام يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته، وينفي التدبير رأسًا بل يبقى صاحبه كالمبهوت، كما أن المقام الثاني يثمر ترك السؤال دون الدعاء وينفي كل تدبير إلّا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء، والأول يثمر ترك السؤال من غيره فقط ولا ينفي أصل التدبير، بل بعض التدبيرات. والمقام الأول يمكن وجوده، والثاني والثالث نادر الوجود، وإنْ وجد فلا يدوم، فظهر من ذلك أنْ ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل، بل يظهر أنّ ملابسته كل تدبير وعمل ينافي التوكل من حيث إنّه حول المتوكل وقوته. وأمّا مباشرة التدبير بحول الوكيل وقوته وأمره بالتدبير فلا يخل بالتوكل أصلًا.

المطلب الثالث: في بيان أعمال المتوكلين:

وقد عرفت العلم المثمر لحال التوكل ثم عرفت حال التوكل، والآن نذكر عملًا يثمره حال التوكل، وهو أنّ عمل العبد إمّا جلب نافع مفقود، أو حفظ نافع موجود، أو دفع ضار لم ينزل. فلنذكر شرط التوكل ودرجاته في كل من هذه الأمور الأربعة:

الأول: جلب النافع وأسبابه ثلاث درجات.

الدرجة الأولى: المقطوع، كمد اليد إلى الطعام الموضوع بين يديك فإنّه من الأسباب المقطوع بها بتقدير الله ومشيئته، فترك مثل هذه الأسباب منتظر حصول المطلوب جهل وحمق، وليس من التوكل في شيء، لكن عند مباشرة الأسباب تعلم أنّ الحول والقوة من الله تعالى لا من يدك وأسنانك.

الدرجة الثانية: الأسباب المظنون بها كمن سافر في البراري فإنّ الغالب فيها عدم وجود الطعام وإنْ احتمل احتمالًا بعيدًا فليس ترك حمل الزاد فيها من التوكل المقبول عند المتوسطين وإنْ كان جائزًا عند الخواص، وحمل الزاد ينبغي أن يعتمد على فضل الله تعالى لا على الزاد.

فإنْ قلت: فكيف يجوّزه الخواص وهو إلقاء النفس في التهلكة؟ قلت: ذلك ليس بإلقاء النفس في التهلكة لأحد شخصين.

أحدهما: أنْ يعتاد ترك الطعام مقدار أسبوع من غير ضيق قلب وتشويش خاطر، وجاهد نفسه عليه، وأنْ تطيب نفسه بالموت إنْ لم يأته رزقه علمًا بأنّ رزقه الموت والجوع، وهو وإن كان نقصانًا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة.

وثانيهما أنْ يقدر على التقوّت بالحشائش والأشياء الخسيسة إذْ لا تخلو البوادي من أن يلقاه آدمي أو حشيش يتقوت به أو ينتهي إلى قرية في كل أسبوع، حتى إنهم قالوا: الحبل والركوة والإبرة والمقراض لا يمنع التوكل إذْ يندر وجود هذه في البراري ولا يقوم شيء مقامها مع أنها من الضروريات.

الدرجة الثالثة: الأسباب الموهومة كالتدبيرات الدقيقة في الاكتساب وإنْ كان بطريق مباح إذْ الطريق التي فيها شبهة فذلك داخل في حد الحرص. ولا يخفى أنّ مباشرة مثل هذه الأسباب يخل بالتوكل كالرقية والطيرة والكيّ وأمثال ذلك.

ثم المتوكلون إما خواصّ فهم يتركون أكثر الأسباب المقطوعة كما يدورون في البوادي مع أنّ عدم الزاد مقطوع فيها إلّا مثل مد الأيدي إلى

---

(١) كذا في الأصل.

طعام عنده ليس من التوكل كما عرفت. وأمّا المتوسطون وهم القاعدون في الأمصار المتقاعدون عن الكسب والأسباب الظاهرة ثقة بكفالة الله عز وجل. وإمّا عوام يكتسبون ولكن لا يعتمدون على الكسب بل على الله فيكون مكتسبًا ببدنه ومنقطعًا إلى الله بقلبه حتى قالوا: إنّ المعيل يترجح له هذا القسم من التوكل على القسم الذي فوقه، كما اكتسب الصِّدِّيق رضي الله عنه بعدما بويع الخلافة.

وأيضًا المتجرّد عن العيال إنْ استشرف نفسه على ما في أيدي الناس فالكسب أفضل.

ثم إنّ النفس له موضع غرور، إذْ يظن أنّه من المتوكلين ولا اتكال له على بضاعته[1]، وامتحان ذلك أنّه إذا سرق متاعه أو ضاع هل يتأسف أم لا؟ فإنْ تأسّف فليس له توكل أصلًا، إذْ الرازق كثيرًا ما يرزق لعباده بغير بضاعة، وإنْ ابتلى أحد باتكال على متاعه فعلاجه أنْ يعرف أنّ سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظنّ تلقين الرحمن.

واعلم أنّ توكل المعيل يخالف توكل المنفرد، إذْ دخول البوادي وترك العيال والقعود عن الاهتمام بأمرهم توكلًا في حقهم فحرام، وقد يفضي إلى هلاكهم فيؤاخذ بهم. إلّا أنّ التحقيق أنّ عياله إنْ ساعدوه على الصبر على الجوع وعلى الموت بالجوع فعليه التوكل، وكذا نفسه وعياله. فإذا نازعه نفسه ولم تساعده على الأمور المذكورة فهو حكم المعيل الذي لا يصبر عياله فيجب له الكسب، فلا فرق بين المنفرد والمعيل في وجوب التوكل.

المطلب الرابع: في مراتب الادخار:

فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو غير ذلك فله أحوال ثلاثة: إمّا أنْ يأخذ قدر الحاجة من المأكل والملبس والمسكن، ويفرّق الباقي في الحال ولا يدّخره إلّا لمحتاج. وإمّا أن يدّخر لسنة فما فوقها وهذا خارج عن حدّ التوكل. وإمّا أنْ يدخر لأربعين يومًا فما دونها، قيل إنّه خارج عن التوكل وقيل لا. والحق أنّ أصل الادخار منافٍ للتوكل. وأمّا التقدير بعد ذلك فلا مدرك له والتقدير بأربعين لميعاد موسى عليه السلام لم يكن لطول الأمل أو قصره بل لسِرٍّ جرت به وبأمثاله سُنَّة الله تعالى في تدريج الأمور.

فالتوكل ترك الادخار وذلك لا يتم إلّا بقصر الأمل، وأقل درجاته يوم وليلة فما دونه، وأكثره ما يتصوّر أن يكون عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها. وكل أمر له مراتب له بداية ونهاية، وأصحاب النهايات تسمّى السابقين وأصحاب البدايات تسمّى أصحاب اليمين. وأصحاب اليمين أيضًا على درجات، فلا يتصوّر التقدير فوق هذا في أمثال هذه المراتب، فالأفضل أن لا يدخر أصلًا.

ثم كل ما قلّ ادخاره كان فضله أكثر، ولكن هذا في حقّ من لا ينزع قلبه بترك الادخار بل لا يلتفت قلبه إلّا إلى الوكيل الحق، وإلّا فالادخار له أولى لأنّ المقصود تجرّد القلوب بذكر الله. ورُبَّ شخص شغله وجود الدنيا ورُبَّ شخص شغله عدمها، ولذلك لم يمنع النبي ﷺ التجار عن تجارتهم بل دعا الكلّ إلى الله، فقط هذا حكم المنفرد. وأما المعيل فله ادخار قوت سنة لعياله جبرًا لضعفهم وتسكينًا لقلوبهم، وما فوق ذلك مبطل للتوكل، لأنّ الأسباب تتكرر عند تكرر السنين. فادخار ما يزيد عليه سببه ضعف القلب، والمتوكل عبارة عن موحِّد قوي القلب مطمئن النفس إلى فضل الله واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة. وقد ادخر رسول الله ﷺ لعياله

---

(١) كذا في الأصل.

قوت سنة ليبين ذلك لضعفاء أمته. وكيف لا وقد نهى بلالًا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال: «أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالًا»[١]، وذلك لأنّه ﷺ أخبر «أنّ الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن يؤتى عزائمه»[٢]، تطييبًا لقلوب الضعفاء لئلّا يتركوا الميسور عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات.

ثم إنّ الناس يختلف حالهم، فمن واحد يليق بحاله الرخصة، ومن آخر يتضرر بالرخصة.

وبالجملة الغرض فراغ القلب عما سوى الله تعالى سواء أمكن ذلك بالعزيمة أو بالرخصة.

واعلم أنّ الأسباب الدافعة للضرر تجب المباشرة بها إنْ كانت مقطوعًا بها والاحتراز عنها إنْ كانت موهومة. والمظنونة ربما تكون في حكم المقطوع بها بالتجارب، وإنْ لم تكن كذلك فالاحتراز عنها أيضًا أفضل. مثلًا الصبر على أذى السباع والحيات ليس من التوكل إذْ لا فائدة فيه، فعليك الاحتراز عن أمثالها ولا تغتر بمن وضع يده على الأسد ولم يضربه لأنّ ذلك خرق العادة، ولكل مقام رجال. وإنْ ظنّ ذلك المقام أحد فليجرب بأنّ الكلب الذي في بدنه أعني القوة الغضبية هل تطاوعه أمْ لا، فإنّ سخر ذلك ترتقي منه إلى أن يسخر لك كلب دارك، ثم ترتقي إلى تسخير كلب البوادي. وأيضًا لا تظن أنّ أخذ السلاح وغلق الباب ينافي التوكل، إذا أخذ السلاح وعرف الدفع من الله تعالى، وأغلق الباب وعرف الحفظ من الله عزّ وجلّ. إذْ كم من صاحب سلاح يقتل، وكم من باب مغلق يفتح وينهب ما في داخله، ثم بعد ذلك يكون راضيًا بما يقضي الله في نفسه من القتل والجرح وفي بيته من السرقة والغَصْب، فلا يكون تحصنه وتحفظه إلّا للجري على سُنَّة الله تعالى في ترتيب الأسباب مع الثقة بمسبب الأسباب. ولا تتوهم أنْ ليس للمتوكل مال إذْ هو لا يستغني عن ضروريات الإنسان من القصعة والكوز والعصا، وقد يجد مالًا ويحفظه ليدفع إلى المحتاج. ولا تتوهم أنّ الضروريات يجب أنْ يتألم بفقدها، فكيف يمكن عدم التألم، لأنّ الأسباب لتيسير خدمة الحق تعالى، وإنما يمسكه طلبًا لرضاه، وإذا فقد ينبغي أن يقول: الخير لو لم يكن في فقده لما سلط الله عليه اللص فلي عوض ثواب من ذلك، فينبغي أن يفرح بفقدها فضلًا عن التألم إذْ الخير ما اختاره الله، ولا يدري الانسان الخير لنفسه في أي شيء حاصل، إذْ كم من غني يبتلى بماله بلاءً يكون سببًا لهلاكه حتى يقول: يا ليتني كنت فقيرًا وذلك يقع كثيرًا.

المطلب الخامس: في آداب المتوكّلين:

أما في متاع بيته فإنه يغلق الباب ولا يستقصي مثل أنْ يوصي جاره بالحفظ، وأنْ يجمع أغلاقًا كثيرة. وكان مالك بن دينار يشدّ بابه بشريط ويقول: لولا الكلاب ما شددته، وأن لا يترك في بيته متاعًا يحرص عليه السراق فيكون سبب معصيتهم، كذا قال مالك بن دينار. وقال أبو سليمان: هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها.

وأيضًا إنما يضطر إلى تركه في البيت، ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق ويقول: ما يأخذه سارق فهو في حلّ منه أو هو في سبيل الله، وإن كان فقيرًا فهو عليه صدقة، وإن لم يشترط الفقر فهو أولى، إذْ ربّما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بجعله في حلّ. وأيضًا يفدي بماله مال مسلم آخر، فنيّته دفع المعصية عن مسلم أو فداء مال مسلم بمال نفسه نصح للمسلمين.

---

(١) الهيثمي، مجمع، كتاب الصوم، باب في الادخار، ٣/ ١٢٦.

(٢) الهيثمي، مجمع، كتاب الصوم، باب الصيام في السفر، ٣/ ١٦٢.

ثم إنّه إذا وجد المال مسروقًا ينبغي أن لا يحزن بل يفرح إنّ أمكنه ويقول: لعلّ الخير في تلفه. ثم إنّه إذا وجد ماله الذي جعله في سبيل الله يترك طلبه فإنّه قدّمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة، وإنْ قبله جاز في ظاهر العلم لكنه غير مستحب عند المتوكلين. وأيضًا ينبغي أنْ لا يدعو على السارق وإلّا بطل توكّله وزهده. وأيضًا يبطل أجره بالدعاء عليه، وأيضًا ينبغي أنْ يغتم لعصيان السارق لا لماله، وأنْ يشكر الله عزّ وجلّ إذْ جعله مظلومًا لا ظالمًا، وجعل النقصان في دنياه لا في دينه.

المطلب السادس: في الأسباب المزيلة:

وهي إمّا مقطوع بها كالماء في دفع العطش والخبز في دفع الجوع، وترك هذه الأسباب حرام فضلًا عن كونه توكّلًا، أو مظنون بها كالفصد والحجامة وسائر أسباب الطب، وهذا لا يناقض التوكّل، أو موهومة كالكي والرّقية والطيرة؛ فشرط التوكل تركه لأنّ ذلك من غاية التعمق في ملاحظة الأسباب. وقد وصف ﷺ المتوكلين بها.

وأما التداوي بالأدوية الطبية فقد ورد عن النبي ﷺ وعن سائر الأنبياء عليهم السلام، إلّا أنّ بعضًا من الأدوية الطبية قد يلتحق بالمقطوع بها كالسكنجبين في دفع الصفراء، فحكمها حكمها في التجربة إلّا أنّه لا يحرم تركها، إمّا لأنّ معرفته تختص ببعض الناس وليس مما تدركه الكافة كالخبز في دفع الجوع والماء في إزالة العطش، أو لأنّ لذلك أسبابًا باطنة يمكن تخلفها ولا كذلك الخبز والماء.

فإنْ قلت: الكي أيضًا من الأسباب الظاهرة النفع. قلت: ليس كذلك وإلّا لعرفه في كل بلدة، وذلك لا يعهد إلّا في الأتراك والأعراب، مع أنّ الكي جرح مخرّب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه. إذْ ما من وجع يعالج بالكي إلّا وله دواء يغني عنه، بخلاف الفصد والحجامة. روي أنّ عمران بن الحصين[1] كان يرى نورًا ويسمع صوتًا يسلّم عليه الملآئكة ولما اكتوى زال عنه ما رآه وسمعه، ثم تاب منه وأناب إلى الله عزّ وجلّ، وقال بعد ذلك: فردّ تعالى عليّ ما كنت أجده من أمر الملائكة.

واعلم أنّ التداوي نقل عن رسول الله ﷺ وعن سائر الأنبياء أيضًا عليهم السلام وأمروا أيضًا بالتداوي، وكذا نقل ترك التداوي عن الصحابة والسلف. والتوفيق بين هذه الأمور هو أنّ لترك التداوي أسبابًا. ولعل من تركه إنما تركه لأجلها، ولا يلزم من ذلك أفضلية الترك بل الأفضل الفعل لما فعله النبي ﷺ. وتلك الأسباب ستة:

أحدها: أنّ المريض قد كوشف له دنوّ أجله وأنّ الدواء لا ينفعه. ولعلّ ما قال أبو بكر رضي الله عنه حين قيل له: لو دعونا لك طبيبًا: الطبيب قد نظر إليّ وقال: إني فعّال لما أريد من هذا القبيل. وكذا قول أبي الدرداء إذْ قيل في مرضه: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قيل: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قالوا: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني.

وثانيها: أن يشتغل المريض بحال عاقبته فلا يتفرّغ قلبه للتداوي، وعليه يدلّ كلام أبي ذرّ وقد رمدت عيناه، وقيل له: لو داويتهما. فقال: إني عنهما مشغول. فقيل: لو سألت الله أن يعافيك. فقال: أسأله فيما هو أهم عليّ منهما.

ثالثها: أنّ تكون العلة مزمنة والدواء موهوم النفع جاريًا مجرى الكي والرقية، فيتركه المتوكل.

---

(١) عمران بن الحصين: هو عمران بن حصين الخزاعي الأزدي، ابو نجيد، توفي عام ٥٢هـ. من عباد الصحابة وزهادهم. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٦٦، ابن سعد ٤/٢٨٧، الاستيعاب ٣/١٢٠٨، العبر ١/٥٧، الاصابة ٣/٢٦، شذرات الذهب ١/٦٢.

وإليه يشير قول الربيع بن خثيم[١] إذْ قال: ذكرت عادًا وثمود وفيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى، أي أنّ الدواء غير موثوق به.

ورابعها: أن يترك لبيان ثواب المرض بحسن الصبر، وقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره.

وخامسها: أنْ تكون له ذنوب فيرجو تكفيرها بالمرض. وفي الحديث: «حمّى يوم كفارة سنة»[٢]. قيل لأنها تهدم قوة سنة.

وسادسها: أن يستشعر من نفسه مبادىء البطر والطغيان بطول الصحة فيترك التداوي لئلّا يزول المرض قبل استئصال البطر والغفلة وطول الأمل من نفسه.

وإذا ظهر لك أنّ ترك التداوي لهذه الأسباب فلا يخفى عليه أنّه لا يلزم منه عدم فضيلة التداوي عند انتفاء هذه الأسباب، كما في تداوي رسول الله ﷺ.

وأيضًا لو كان ترك التداوي من شرط التوكل لما فعله ﷺ وهو سيّد المتوكلين.

وأيضًا إنّ فضل ترك التداوي إنْ كان فيمن كثرت ذنوبه ليكفرها، أو خاف على نفسه الطغيان من العافية واحتاج إلى نيل ثواب الصبر وأمثال ذلك. وهذه الأمور وإنْ كانت كمالًا بالإضافة إلى بعض الخلق فهي نقصان بالإضافة إلى رسول الله ﷺ، بل كان أعلى من هذه المقامات كلّها. فلهذا لم تضره مباشرة أسباب التداوي، ولهذا فعله.

وأيضًا رجوع عمر رضي الله عنه من الطاعون وعدم دخوله إلى الشام، واتفاق الصحابة عليه، وقوله: نفرّ من قدر الله الى قدر الله، في جواب من قال: أتفرّ من قدر الله، دليل قوي على أنّ التداوي لا يخلّ بالتوكل. وكيف لا والصحابة لا يسامحون في أمر التوكل أصلًا سيّما عمر وهو في باب التوكل آية. سيّما وقد روى عبدالرحمن بن عوف[٣] في هذا الأمر حديثًا وقال: «سمعت رسول الله ﷺ: إذا سمعتم الوباء في أرض فلا تقدموا عليه، وإن وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه»[٤].

ثم إنّ نهي الدخول في بلد الطاعون فسببه ظاهر وهو إلقاء النفس في التهلكة مع أسباب مظنون بها. وأمّا نهي الخروج للخلاص فلعله لكونه سببًا وهميًا إذْ ربما يستحكم ضرر استنشاق الهواء المتعفّن في بدنه قبل ذلك يكون الخروج إلى الهواء الصحيح علاجًا وهميًا يسبق تأثير الهواء العفن في البدن، سيّما وقد انضم إلى ذلك أمور يكره معها الخروج، وهي خروج الأصحاء وفقد المتعهدين للمرضى ممن يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام. ويظهر من ذلك أنّه لو دخل موضع الطاعون لتعهد المسلمين لا يأثم لأنّ الضرر في حقّ نفسه موهوم، ورجاء دفع الضرر عن بقية المسلمين أمر محقّق. وتسمية الفرار من الطاعون في بعض الأخبار بالفرار من الزحف لما فيه، كسرًا لقلوب بقية المسلمين وسعيًا في إهلاكهم. وغلط الزهاد والعباد في ظواهر الأخبار والآثار كثير.

وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك حيث يحملها على محامل لطيفة دقيقة ويستخرج في كلّ منها: سبب النهي وعلة الأمر ومراتب كلّ منهما في الحرمة والوجوب، فيرتفع التناقض المتوهم في ظواهر الأخبار والله أعلم بحقيقة الحال.

واعلم أنّ كتمان المرض والفقر وأنواع البلاء من كنوز البِرّ وهو من أعلى المقامات، ومع ذلك

---

(١) الربيع بن خيثم: هو الربيع بن خيثم الثوري التميمي، ابو يزيد. توفي عام ٦٣هـ من عباد أهل الكوفة وزهادهم. مشاهير علماء الامصار ١٦٠، حلية الأولياء، ٢/ ١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤، البداية والنهاية ٨/ ٢١٧، طبقات ابن سعد ٦/ ١٨٢.

(٢) العجلوني، كشف الخفاء، ح ١١٧٣، ١/ ٤٤٠.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ح ٤٤، ٧/ ٢٣٨.

فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والمقصد، وذلك في ثلاثة أحوال: أحدها أنْ يصف للطبيب حكاية لا شكاية. وثانيها: أن يذكره لمن يتعلم منه حسن الصبر، بل الشكر بأنْ يراه نعمة. وثالثها أنّ يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله تعالى، وذلك ممن يرجو منه القوة والشجاعة، ويستبعد منه العجز، فيذكره دفعًا لاحتمال التجلّد وإظهارًا لعجزه وافتقاره.

علم الجبر والمقابلة(*)

وهو علم يتعرّف منه كيفية استخراج المجهولات العددية بمعادلتها لمعلومات تخصّها. ومعنى الجبر زيادة قدر ما نقص في الجملة المعادلة بالإستثناء في الجملة الأخرى لتتعادلا. ومعنى المقابلة إسقاط الزائد من إحدى الجملتين للتعادل. ومنفعته استعلام المجهولات العددية إذا كانت معلومة العوارض ورياضة الذهن. ومن الكتب المختصرة فيه: نصاب الجبر[١] لابن فلوس المارديني[٢]، والمفيد[٣] لابن محلي الموصلي[٤]. ومن المتوسطة: كتاب الظفر[٥] للطوسي. ومن المبسوطة: جامع الأصول[٦] لابن المحلي، والكامل[٧] لأبي شجاع ابن أسلم[٨] وبرهن السمؤل[٩] على مسائله بالبراهين العددية وبرهن عليه الخيّام[١٠] بالبراهين الهندسية. وأرجوزة ابن الياسمين[١١] وشرحه مختصر نافع أورد فيهما ما لا بد منه. ومن الرسائل الوافية بالمقصود رسالة شرف الدين محمد بن مسعود بن محمد المسعودي[١٢].

(*) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) نصاب الجبر والمقابلة من المختصرات البديعة لابن فلوس المارديني الحنفي وهو شمس الدين اسماعيل بن ابراهيم (-٦٣٧هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٥٤.

(٢) ابن فلوس المارديني: هو اسماعيل بن ابراهيم بن غازي المارديني النميري، ويعرف بابن فلوس، شمس الدين، ابو الطاهر. ولد عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م. وتوفي عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٣م. عالم بالرياضيات والفرائض، له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ٢٥٥، كشف الظنون ٤/ ٦٦٤.

(٣) المفيد في الجبر والمقابلة لابن محلى الموصلي، ذكره في الموضوعات. كشف الظنون ٢/ ١٧٧٧.

(٤) ابن محلى الموصلي: هو ابن محلى الموصلي، مجهول الولادة والوفاة، من علماء الجبر، له عدة مصنفات. انظر عنه كشف الظنون ٢/ ١٧٧٧.

(٥) كتاب الظفر في الجبر والمقابلة لنصير الدين محمد الطوسي. كشف الظنون ٢/ ١٤٣٦.

(٦) جامع الأصول في الجبر والمقابلة لابن المحلى الموصلي. كشف الظنون ١/ ٥٣٧.

(٧) الكامل في الجبر والمقابلة لأبي شجاع بن اسلم، وهو من الكتب المبسوطة. كشف الظنون ٢/ ١٣٨١.

(٨) أبو شجاع ابن أسلم: هو شجاع بن أسلم بن محمد بن شجاع الحاسب، ابو كامل المصري. توفي حوالي عام ٣٤٠هـ. عالم بالجبر والرياضيات والحساب له تصانيف عدة. انظر عنه: هدية العارفين ١/ ٤١٥، كشف الظنون ٢/ ١٣٨١.

(٩) السمؤل: هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي. توفي عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م مهندس، رياضي، عالم بالطب والحكمة. له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٤٠، طبقات الأطباء ٢/ ٣٠، كشف الظنون ٢/ ١٣٧٧.

(١٠) الخيّام: هو عمر بن ابراهيم الخيامي النيسابوري، أبو الفتح، توفي عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م. شاعر، فيلسوف، عالم بالرياضيات والفلك واللغة والتاريخ. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٥/ ٣٨، اخبار الحكماء ١٦٢، تاريخ حكماء الاسلام ١١٩، سفينة البحار ١/ ٤٣٦.

(١١) ابن الياسمين: هو عبدالله بن محمد بن حجاج، أبو محمد المعروف بابن الياسمين، توفي عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م. عالم بالحساب، من الكتاب، له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٢٤، جذوة الاقتباس ٥، بروكلمان ١/ ٦٢١.

(١٢) شرف الدين محمد بن مسعود بن محمد المسعودي: هو محمد بن مسعود بن أحمد المسعودي، ابو عبدالله. توفي عام ٤٠١هـ/ ١٠١١م، فقيه شافعي، له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/ ١٧، الدرر الكامنة ٤/ ٢٥٦.

علم الجدل(*)

وهو علم باحث عن الطرق التي يقتدر به على إبرام أي وضع أريد، وعلى هدم أي وضع كان. وهذا من فروع علم النظر، ومبنى لعلم الخلاف وهذا مأخوذ من الجدل الذي هو أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنه خُصّ بالعلوم الدينية. ومباديه بعضها مبنية في علم النظر وبعضها خطابية وبعضها أمور عادية، وله استمداد من علم المناظرة. وموضوعه تلك الطرق. والغرض منه تحصيل ملكة الهدم والإبرام. وفائدته كثيرة في الأحكام العلمية والعملية من جهة الإلزام على المخالفين ودفع شكوكهم. وللناس فيه طرق أحسنها طريق ركن الدين العميدي[١]. ومن الكتب المختصرة فيه: المغني[٢] للأبهري[٣]، والفصول[٤] للنسفي، والخلاصة[٥] للمراغي[٦]، ومقدمة النسفي وعليها شروح أحسنها: شرح السمرقندي[٧]. ومن المتوسطة: النفائس[٨] للعميدي، والرسائل[٩] للأرموي، وتهذيب النكت[١٠] للأبهري. وفي هذا العلم مصنفات كثيرة لكنه لم يشتهر في بلادنا غير ما ذكرناه.

وإعلم أنّ أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء أبو بكر، محمد بن علي بن إسمعيل القفّال الشاشي الشافعي[١١]، إمام عصره بلا مدافعة. كان فقيهًا محدثًا أصوليًا لغويًا شاعرًا. لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته. رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور[١٢]، وسار ذكره في البلاد. وأخذ الفقه عن ابن سريج. وله مصنفات كثيرة في الجدل وأصول الفقه، وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده. روى عن محمد بن جرير الطبري وأقرانه. وروى عنه الحاكم وأبو عبدالله بن مندة[١٣] وأبو عبدالرحمن السّلمى وجماعة

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس، ضمن علوم الدوحة الثالثة في علوم باحثة عما في الأذهان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) ركن الدين العميدي: هو محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد ركن الدين العميدي السمرقندي. توفي عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م. فقيه، إمام في الجدل والخلاف. له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٧، الفوائد البهية ٢٠٠، الجواهر المضية ٢/ ١٢٨، وفيات الأعيان ١/ ٤٧٧.

(٢) المغني في علم الجدل للشيخ اثير الدين (مفضل) الابهري (-٧٠٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٥٠.

(٣) الأبهري: هو المفضل بن عمر بن المفضل الأبهري السمرقندي، اثير الدين. توفي عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م. منطقي، عالم بالحكمة والفلك والطبيعيات. له كتب عديدة. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٧٩، آداب اللغة ٣/ ١٠٥، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٣٠٦.

(٤) فصول النسفي في علم الجدل. للشيخ برهان الدين النسفي محمد بن محمد الحنفي النسفي (-٦٨٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٢٧٢.

(٥) الخلاصة في الجدل للمراغي (لعله هو البرهان محمود بن عبيدالله الشافعي الأصولي المراغي (-٦٨١هـ). كشف الظنون ١/ ٧٢٠.

(٦) لعلّه البرهان محمود بن عبيدالله الشافعي المراغي، توفي حوالي ٦٨١هـ. متكلم، فقيه، اصولي، له عدة مصنفات. انظر: كشف الظنون ١/ ٧٢٠.

(٧) شرح صاحب الصحائف شمس الدين محمد السمرقندي (-٦٠٠هـ). فصول النسفي في علم الجدل. كشف الظنون ٢/ ١٢٧٢.

(٨) النفائس في الجدل لأبي حامد محمد بن محمد العميدي السمرقندي (-٦١٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٦٦.

(٩) الرسائل في علم الجدل لسراج الدين محمود بن ابي بكر الأرموي (-٦٨٢هـ). كشف الظنون ١/ ٩٠٢.

(١٠) النكت في علم الجدل لأبي اسحاق الشيرازي (-٤٧٦هـ). وهذبه الابهري (-٧٠٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٧٧.

(١١) سبق التعريف به.

(١٢) حصن باليمن لحمير. انظر: مراصد الاطلاع ٢٩٧.

(١٣) أبو عبدالله بن منده: هو محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده، ابو عبدالله العبدي الأصبهاني. ولد عام ٣١٠هـ/ =

كثيرة. توفي سنة ست وثلاثين وثلاث مائة. وقيل توفي بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاث مائة. وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائتين، وقيل سنة ست وستين وثلاث مائة. وشاش مدينة ما وراء نهر سيحون(١) في أرض الترك.

قال بعض العلماء إياك أن تشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنّه يبعد عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة، وهو من أشراط الساعة وارتفاع العلم والفقه، كذا ورد في الحديث، حسبما ذكر في تعليم المتعلم. ولله درّ القائل:

أرى فقهاء هذا العصر طرًا ... أضاعوا العلم واشتغلوا بلم لم

إذا ناظرتهم لم تلق منهم ... سوى حرفين لم لم لا نسلم

قلت: والإنصاف أنّ الجدل لإظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾(٢) لا بأس به. وربما ينتفع به في تشحيذ الأذهان وتصقيل الخواطر. والذي منع عنه العلماء هو الجدل الذي يضيع الأوقات ولا يحصل منه طائل. وكثيرًا ما لا يخلو عن التحاسد والتنافس المذمومين في الشرع. فعليك الاحتياط لئلا تقع في المهالك من حيث لا تشعر.

علم الجدل(*)

وهو إثبات أي وضع كان وهدم أي وضع. وهو أيضًا من أنواع العلوم العقلية، لكنه من فروع علم الأصول أيضًا.

علم جر الأثقال(**)

وهو علم يتبين فيه كيفية اتخاذ الآلات النقلية بالقوة اليسيرة. ومنفعته ظاهرة حتى للعوام. وقد برهن إيرن في كتابه في هذا العلم على نقل مائة ألف رطل بقوة خمسمائة رطل، وهذا أمر تستبعده العقول القاصرة.

علم الجراحة(***)

وهو علم باحث عن أحوال الجراحات العارضة لبدن الإنسان، وكيفية برئها وعلاجها ومعرفة أنواعها، وكيفية القطع إنْ احتيج إليها، ومعرفة كيفية المراهم والضمادات وأنواعها، ومعرفة أحوال الأدوات اللازمة لها. وهذا العلم جزء من علم الطب وقد يفرد عنها بالتدوين. ومنفعته عظيمة جدًا. وهذا العلم بالعمل أشبه منه بالعلم. وفي كتاب منهاج البيان(٣) ما فيه كفاية في هذا الباب.

=٩٢٢م. وتوفي عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م. من كبار حفاظ الحديث المكثرين من التصنيف فيه. له العديد من التآليف الجيدة. الاعلام ٦/ ٢٩، طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٦، لسان الميزان ٥/ ٧٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ٣٣٨.

(١) نهر مشهور في بلاد ما وراء النهر قرب خجند، بعد سمرقند، يتجمد ماؤه في الشتاء ثلاثة أشهر، حتى تجوز على جمده القوافل، في حدود بلاد الترك.

(٢) النحل/ ١٢٥.

(*) يتبع هذا العلم المطلب السادس في فروع علم أصول الفقه، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب من علوم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) منهاج البيان فيما يستعمله الانسان من الأدوية المفردة والمركبة لابن جزلة علي (يحيى) ابن عيسى الكاتب من تلامذة نصير الطوسي الطبيب المتوفى سنة ٤٩٣هـ.

علم جغرافيا ومعناه صورة الأرض(*)

وهو علم يتعرف منه أحوال الأقاليم السبعة الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض وعروض البلدان الواقعة فيها وأطوالها، وكذا عدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها، إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمور. ولبطليموس[١] تأليفات كثيرة في هذا العلم نافعة جدًا.

علم الجفر والجامعة(**)

وهو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوي على كلّ ما كان وما يكون كليًا وجزئيًا. والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكلّ، والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكلّ وقد ادعى طائفة أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريقة البسط الأعظم في جلد الجفر، يستخرج منها بطرق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظ مخصوصة، يستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر؛ وهذا علم توارثه أهل البيت ومن ينتمي إليهم، ويأخذ منهم من المشايخ الكاملين، وكانوا يكتمونه عن غيرهم كلّ الكتمان. وقيل لا يقف على هذا الكتاب حقيقة إلّا المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان. وورد هذا في كتب الأنبياء السالفة كما نقل عن عيسى صلوات الله عليه: نحن معاشر الأنبياء نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فسيأتي به الفارقليط الذي سيأتيكم بعدي.

نقل أنّ الخليفة المأمون لما عهد الخلافة من بعده إلى عليّ بن موسى الرضا[٢] وكتب إليه كتاب عهده، كتب هو في آخر ذلك الكتاب: نعم إلّا أنّ الجفر والجامعة يدلان على أنّ هذا الأمر لا يتم، وكان كما قال، لأنّ المأمون استشعر لأجل ذلك فتنة من طرف بني هاشم، فسم علي بن موسى الرضا في عنب على ما هو المسطور في كتب التواريخ.

علم الجناس(***)

وهو وإنْ كان من أنواع البديع، لكن لمّا كان البحث هناك على وجهٍ كلّي في مطلق الكلام، وها هنا على وجه جزئي في كلام منقول عن الفضلاء والبلغاء، أفردوه في التدوين، وجعلوه فرعًا على البديع أو على المحاضرات. وهو علم باحث عن اللفظين اللذين بينهما تشابه في اللفظ فقط أو فيه وفي الخط مع تغايرهما في المعنى، وإلّا فلا تجنيس أصلًا. ووجوه التشابه وأقسامه

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) بطليموس: هو بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس (أي محب أخيه) ولد في قوستة ٣٠٩ق.م. وحكم من سنة ٢٨٥ ـ ٢٤٦ق.م. ملك بعد الاسكندر وكان حريصاً على العلم مولعاً به كثير البحث وله العديد من الكتب الفلسفية والطبية وفي الحكمة. ومنها كتاب المجسطي في الفلك والهيئة والجغرافيا.
عيون الانباء ١/ ٧٢، مختصر الدول ٩٨، خطط المقريزي ١/ ١٥٤، اليعقوبي ١٠٧، طبقات الأطباء والحكماء ٣٥، اخبار الحكماء ٩٩.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) عليّ بن موسى الرضا: هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن الملقب بالرضا. ولد بالمدينة عام ١٥٣هـ/ ٧٧٠م. وتوفي بطوس عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م. ثامن الأئمة الاثني عشرية. من سادات أهل البيت وفضلائهم.
الاعلام ٥/ ٢٦، ابن الأثير ٦/ ١١٩، الطبري ١٠/ ٢٥١، منهاج السنة ٢/ ١٢٥، اليعقوبي ٣/ ١٨٠، وفيات الأعيان ١/ ٣٢١، نزهة الجليس ٢/ ٦٥.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

مذكورة في موضعها، وليس هذا المقام موضع الاستقصاء فيه. والحرف المشدّد في هذا الباب في حكم المخفف.

قيل: التجنيس على نوعين: جناس شكلي وجناس شكلّي. قال أبو الفتح البستي[١] صاحب التجنيس الأنيس البديع التأسيس: من أصلح فاسده أرغم حاسده، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه. عادات السادات سادات العادات. وهو أبو الفتح، علي بن محمد البستي، الكاتب الشاعر المشهور، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس الأنيس البديع التأسيس. فمن ألفاظه البديعة: من سعادة جدك وقوفك عند حدك. الرشوة رشاء الحاجات. أجهل الناس من كان للإخوان مذلًا وعلى السلطان مدلًا. الفهم شعاع العقل. المنية تضحك من الأمنية. حدّ العفاف الرضاء بالكفاف. ما يخرق الرقيع ترقيع. وشعره كثير في التجنيس وغيره[٢]. توفي سنة أربع مائة أو إحدى وأربع مائة ببخارى.

ومن بديع ما قيل: إذا زلّ عالم زلّ عالم.

ومن ذلك قول رشيد الدين الوطواط: رَبِّ رُبَّ غنيّ غبيّ، سرته شرته، فجاءه فجاءةً بعد بعد عشرته عسرته.

تفسير هذا الكلام: رَبّ نداء للرب حذف حرف النداء. ورُبّ من حروف الجر والغني من الغنى ضدّ الفقر، والغبي من الغباوة ضد الذكاء. سرته فعل ماض من السرور، وشرته مصدر بمعنى الشرّ ضد الخير وهو فاعل سرته. فجاءه فعل ماض من المجيء، والفجاءة بضم الفاء مصدر بمعنى البغتة، وبعد بالفتح ظرف ضد قبل، وبعد بالضم نقيض القرب، وعشرته مصدر بمعنى المعاشرة، وعسرته مصدر بمعنى العسر ضد اليسر وهي فاعل جاءه.

والمعنى: يا ربّ، كم من غني متصف بالغباوة سرته أضراره بالناس حتى جاءه بغتة بعد طول معاشرته ونعته العسر والفقر.

ومن الجناس: إنْ لم يكن لنا حظ في دَرْكِ

---

(١) أبو الفتح البستي: هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبدالعزيز البستي، أبو الفتح. توفي عام ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م. شاعر عصره وكاتبه، له ديوان شعر.
الاعلام ٤/٣٢٦، وفيات الأعيان ١/٣٥٦، البداية والنهاية ١١/٢٧٨.

(٢) ومن نخب شعره قوله:

وقد يلبس المرء خزّ الثياب
ومن دونها حالة مضنية
وكم يكتسي خدّه حمرة
وعلتها ورم في الرية

وله أيضاً:

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم
بما تحدث من ماضٍ ومن آت
فلا يعد بحديث إن طبعهم
موكل لمعاداة المعادات

وله أيضاً

تحمّل أخاك على ما به
فما في استقامته مطمع
فأنى له من خلق واحد
وفيه طبائعه الأربع

(كذا في هامش الأصل).

دَرِّك، فخلصنا من شَرْك شَرِّك. الدرك بفتح الدال وسكون الراء مصدر بمعنى الإدراك، ودرك بفتح الدال وكسر الراء المشددة بمعنى الخير، كما يقولون: لله دَرّه أي خيره. والشرك بفتح الشين والراء حبالة الصائد، وشرك من الشرّ ضد الخير.

والمعنى: إنْ لم يكن لنا نصيب في الوصول إلى خيرك فخلصنا من حبالة شرك.

ومن الجناس: إنْ اخليتنا من مَبارِك مَبارِّك فأرحنا من مَعارِك مَعارِّك. والمبارك جمع مبرك الناقة، والمبارّ بتشديد الراء جمع البر، والمعارك جمع المعركة، والمعار بمعنى المعرة وهي العيب.

والمعنى: إنْ أخليتنا من مواضع برك فخلّصنا من مواضع العار.

ومن غرائب التجنيس قول عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، أرسله إلى معاوية رضي الله عنه: غرّك عزّك، فصار قصارى ذلك ذُلّك، فاخْشَ فاحِشَ فعلّك، فعلّك تهدى بهذا. فأجابه معاوية رضي الله عنه: على قدري غلى قدري.

قال الخلكاني: غرّك عزّك إلى آخره لأبي شجاع عضد الدولة كتبها جوابًا لأبي منصور الفتكين. ولعله لا منافاة بين الروايتين، إذْ من الجائز أنْ يكتب عضد الدولة كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حينما رآه موافقًا لحاله. على أنّ حسن الكلام شاهد بأنّ ذلك لا يكون إلّا لأمير المؤمنين إذْ لا يتيسر مثله لأفاضل البلغاء والكتاب قطعًا. والمعنى: غرّك أي جعلك مغرورًا، عزّك أي عزتك وشرفك، فصار قصارى ذلك العز والشرف ونهايتهما ذلك أي ذلّتك وسوء حالك، فاخش أنت أيّها المغرور فاحش فعلّك، أي قبيح أفعالك، فعلّك أي لعلّك تهدي أي تجد الهداية بهذا النصح والتنبيه.

واعلم أنّ علّ لغة في لعلّ، كما قال الشاعر:

لا تـهـيـنـن الـفـقـيـر عـلّـك
أنْ تـركـع يـومًـا والـدهـر قـد رفـعـه

أي لعلك تركع أي تسقط يومًا وتحتاج، والفقير قد يرفعه الدهر فيكون محتاجًا إليه.

علم الجواهر(*)

وهو علم باحث عن كيفية الجواهر المعدنية البرية كالألماس واللعل والياقوت والفيروزج، والبحرية كالدّرّ والمرجان وغير ذلك. ومعرفة جيّدها من رديّها بعلامات تختص بكل نوع منها. ومعرفة خواص كلّ منها، وغايته، وغرضه لا يخفى على إنسان. والتصانيف فيها كثيرة شهيرة.

علم الحجامة(**)

وهو علم يتعرف به أحوال الحجامة وكيفية شرطها ومصّها بالمحجمة، وأنها في أي موضع من البدن نافعة وفي أي موضع مضرة، إلى غير ذلك من الأحوال.

علم الحروف النورانية والظلمانية(***)

واعلم أنّهم جعلوا بعض الحروف نورانيًا وبعضها ظلمانيًا، وحكموا بأنّه ليس في سورة الفاتحة ولا في فواتح السور شيء من الحروف الظلمانية. وتفصيل هذا العلم في كتب الشيخ أحمد البوني[1] يجدّها من يطلبها. ومنفعته

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) سبق التعريف به.

العمل بالحروف النورانية في أعمال الخير وبالظلمانية في أعمال الشّر. وتلك الحروف النورانية يجمعها قولك: (نص حكيم له سر قاطع)، وقولك: (طرق سمعك النصيحة)، وقولك: (من قطعك سحيرًا صله)، وقولك: (حين سرا يقطعك حمله)، وقولك: (على صراط حق تمسكه)، وقولك: (سر حصين قطع كلامه). والأخير أليق بهذا المعنى، كذا في غاية المغنم في الإسم الأعظم[1].

علم الحساب[*]

وهو علم يتعرّف منه كيفية مزاولة الأعداد لاستخراج المجهولات الحسابية من الجمع والتفريق والتناسب والضرب والقسمة. ومنفعته ضبط المعاملات وحفظ الأموال وقضاء الديون وقسمة التركات بين الشركاء وغيرها، ويحتاج إليه في العلوم الفلكية وفي المساحة والطّب. وقيل يحتاج إليه في جميع العلوم. وبالجملة لا يستغني عنه ملك ولا عالِم ولا سوقة، وزاد شرفًا بقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾[4].

ولعلم الحساب فروع كثيرة نذكرها ها هنا.

علم حساب التحت والميل[**]

وهو علم يتعرّف منه كيفية مزاولة الأعمال الحسابية برقوم تدلّ على الآحاد وتغني عما عداها بالمراتب، وتنسب هذه الأرقام إلى الهند. ومنفعته تسهيل الأعمال الحسابية وسرعتها خصوصًا الفلكية. ومن الكتب الشاملة فيه كتاب خواجه نصير الدين الطوسي. ولأهل المغرب طرق ينفردون بها في الأعمال الجزئية. فمنها قريبة المأخذ كطرق ابن الياسمين[5]، ومنها بعيدة كطرق الحصّار[6]. ولابن الهيثم[7] كتاب يبرهن فيه على أصول أعماله ببراهين عددية. ومن الكتب النافعة في هذا العلم: كتاب المحمدية[8] لمولانا علي بن محمد القوشجي[9]، وكتاب المختصر[10]

(١) للشيخ تاج الدين علي بن محمد بن الدريهم الموصللي (-٧٦٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٩٤.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) الأنبياء/ ٤٧.

(٣) يونس/ ٥.

(٤) المؤمنون/ ١١٣.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) لم نعثر على ترجمة له.

(٧) ابن الهيثم: هو محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو علي، ولد عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، وتوفي نحو عام ٤٣٠هـ/ نحو ١٠٣٨م. مهندس، فلكي، عالم بالفيزياء. له مصنفات هامة. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٨٣، طبقات الأطباء ٢/ ٩٠، اخبار الحكماء ١١٤، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٢٩٨، كشف الظنون ١/ ١٣٨.

(٨) المحمدية رسالة في الحساب ألفها القوشجي علي بن محمد علاء الدين (-٨٧٩هـ). الاعلام ٥/ ٩.

(٩) علي بن محمد القوشجي: هو علي بن محمد القوشجي، علاء الدين. توفيَ بالآستانة عام ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م. من فقهاء الحنفية، أصله من سمرقند. فلكي رياضي ماهر. وضع العديد من المصنفات. الاعلام ٥/ ٩، البدر الطالع ١/ ٤٩٥، الفوائد البهية ٢١٤، كشف الظنون ١/ ٣٤، هدية العارفين ١/ ٧٣٦.

(١٠) مختصر الصلاحي في الحساب لنصوح الصلاحي المطراقي (-٩٤٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٢٧.

للصلاحي[١]، وشرحه[٢]، وغير ذلك مما لا يعدّ ولا يحصى.

علم حساب الخطائين[*]

وهو علم يتعرّف منه استخراج المجهولات العددية إذا أمكن صيرورتها في أربعة أعداد متناسبة. ومنفعته نحو منفعة الجبر والمقابلة إلّا أنه أقل عمومًا منه وأسهل عملًا.

وإنما سمي حساب الخطائين لأنه يفرض المطلوب فيه شيئًا ويختبر، فإن وافق فذاك، وإلّا حفظ ذلك الخطاء وفرض المطلوب شيئًا آخر ويختبر، فإن وافق فذاك وإلّا حفظ الخطاء الثاني ويستخرج المطلوب منهما ومن المقدارين المفروضين. وعلى هذا إذا اتفق وقوع المسئلة أولًا في أربعة أعداد متناسبة أمكن استخراجها بخطاء واحد. ومن الكتب الكافية فيه كتاب لزين الدين المغربي[٣]، وبرهن ابن الهيثم على طرقه[٤].

علم حساب الدرهم والدينار[**]

وهو علم يتعرّف منه استخراج المجهولات العددية التي تزيد عدتها على المعادلات الجبرية، ولهذه الزيادة لقبّوا تلك المجهولات بالدرهم والدينار والفلس وغير ذلك. ومنفعته كمنفعة الجبر والمقابلة فيما يتكثّر فيه أجناس المعادلة. ومن الكتب فيه: كتاب لابن فلوس المارديني[٥] والرسالة[٦] للمغربي والرسالة الشاملة[٧] للخرقي[٨] والكافي[٩] للسمؤل المغربي[١٠].

علم حساب الدور والوصايا[***]

---

(١) الصلاحي: هو نصوح السلاحي (الصلاحي) المطراقي، توفي عام ٩٤٠هـ. له عدة كتب: انظر عنه: كشف الظنون ٢/١١٦٦، ٢/١٦٢٧.

(٢) مختصر الصلاحي في الحساب وشرحه المشهور بالعمادية، عمدة الحساب في الفروض المقدرة بالكليات لنصوح الصلاحي المطراقي (-٩٤٠هـ). كشف الظنون ٢/١٦٢٧، ١١٦٦.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بسبب تقسيم المؤلف لها.

(٣) لم نعثر على ترجمة له.

(٤) لا يخفى عليك أن من الطرق المشهورة في استخراج المجهولات العددية طريق الأربعة المتناسبة وطريق التحليل والتعاكس، فلا وجه لعدم التعرض لها مع ذكر حساب الخطاءين وما قبله، فتدبر. (هامش الأصل).

(**) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) رسالة الى ابن خدود في مسائل حسابية، للسموأل بن يحيى بن عباس المغربي (٥٧٠هـ) الاعلام ٣/ ١٤٠.

(٧) الرسالة الشاملة في علم الحساب لمحمد بن احمد بن ابي بشر المروزي الحنفي المعروف بالخرقي، شمس الدين، أبو بكر (٥٣٣هـ). كشف الظنون ١/ ٦٦٤، معجم المؤلفين ٨/ ٢٣٨.

(٨) الخرقي: هو محمد بن احمد بن ابي بشر المروزي الحنفي المعروف بالخرقي، شمس الدين ابو بكر. ولد عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م. وتوفي عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م. فلكي، رياضي، له عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ٢٣٨، كشف الظنون ١/ ٦٦٤، هدية العارفين ٢/ ٨٨.

(٩) الكافي في حساب الدرهم والدينار للسموأل بن يحيى المغربي (-٥٧٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٧٧.

(١٠) السمؤل المغربي: هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي. وتوفي عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م. مهندس رياضي، عالم بالطب والحكمة. أصله مغربي، وكان يهودياً فأسلم. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٤٠، طبقات الأطباء ٢/ ٣٠.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن شعب الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان بحسب تقسيم المؤلف لها.

وهو علم يتعرّف منه مقدار ما يوصى به إذا تعلّق بدور في بادىء النظر. مثاله: رجل وهب لمعتقه في مرض موته مائة درهم لا مال له غيرها، فقبضها ومات قبل سيّده، وخلّف بنتًا والسّيد المذكور، ثم مات السّيد. فظاهر المسئلة أنّ الهبة تمضي من المائة في ثلثها، فإذا مات المعتق رجع إلى السيد نصف الجائز بالهبة فيزداد ماله، فيزداد مال المعتق، فيزداد مال السيد من إرثه، وهلّم جرّا. وبهذا العلم يتعيّن مقدار الجائز بالهبة. وظاهر أنّ منفعة هذا العلم جليلة، وإنْ كانت الحاجة إليه قليلة. ومن كتبه كتاب لأفضل الدين الخونجي[١].

علم حساب العقود[*]

والمراد بالعقود عقود الأصابع. وقد وضعوا كلًّا منها بإزاء أعداد مخصوصة، ثم رتّبوا لأوضاع الأصابع، آحادًا وعشرات ومئات وألوفًا، حتى وضعوا قواعد يتعرّف بها حساب، يمكن بها معرفة عشرة الآف بيد واحدة. وهذا عظيم النفع للتجار سيما عند استعجام كلّ من المتبايعين لسان الآخر، وعند عدم حضور آلات الكتابة. والعصمة عن الخطاء في هذا العلم أكثر من حساب الهواء. وكان هذا العلم يستعمله الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، كما وقع في الحديث، في كيفية وضع اليد على الفخذين في التشهّد أنه عقد خمسًا وخمسين، يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقد أصابع اليد غير السبابة والإبهام وحلق الإبهام معها[٢]. وهذا الشكل في علم العقود دالّ على العدد المذكور.

فراوي الحديث ذكر مدلول ذلك الوضع في الأصابع وأراد داله، أعني الهيئة الموضوعة للعدد المذكور. وهذا دليل على شيوع علم العقود عندهم. وكذا السلف، لما ذكروا أقسام الدلالات من أنّها طبيعية أو وضعية، وكلّ منهما إمّا لفظية أو غير لفظية. مثّلوا للطبيعية اللفظية كلمة - أُح - بضم الهمزة وسكون المهملة الدالة على السّعال، وهو وجع الصدر، وبضم الهمزة وسكون المعجمة دالة على اللذة، وبفتح الهمزة وسكون المعجمة أيضًا دالة على الوجع. ومثّلوا بالطبيعية الغير اللفظية بحركة النبض. ومثّلوا بالوضعية اللفظية بالألفاظ المستعملة. ومثّلوا للوضعية الغير اللفظية بالخطوط والعقود والإشارات والنصب. وأرادوا بالخطوط نقوش الكتابة فإنّها ليست بلفظ وموضوعة بإزاء الألفاظ. وأرادوا بالإشارات الإشارة باليد والشفة والحاجبين وأمثالها، وبالنصب الأحجار المنصوبة للدلالة على موضع العبور في الأنهار العظام. وعلى موضع تمييز الأراضي بعضها عن بعض. وأرادوا بالعقود عقود الأصابع الموضوع كل منها بإزاء عدد مخصوص. وفي هذا العلم أرجوزة[٣] لابن الحرب[٤] أورد فيها مقدار الحاجة. وفيها

---

(١) أفضل الدين الخونجي: هو محمد بن ناماوَر بن عبدالملك الخونجي، أبو عبدالله، أفضل الدين ولد عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م. وتوفي عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م. عالم بالحكمة والرياضيات والمنطق. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٢٢، شذرات الذهب ٥/ ٢٣٦، كشف الظنون ٢/ ١٤٨٦.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب صفة الجلوس في الصلاة...، ح ١١٥، ١/ ٤٠٨، بلفظ «ثلاثة» و«خميس».

(٣) أرجوزة في حساب العقود لابن حرب، محمد بن حرب النحوي الحلبي (-٥٨١هـ). كشف الظنون ١/ ٦٣.

(٤) ابن الحرب: هو محمد بن حرب بن عبدالله الحلبي، أبو المرجا، توفي عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م. له عدة آثار وكتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٩/ ١٧٨، بغية الوعاة ٣٠، كشف الظنون ١/ ٦٣.

رسالة[١] لشرف الدين اليزدي[٢] أورد فيها قدر الكفاية. وسمعت في هذا العلم كتابًا مطولًا لكن ما رأيته.

علم حساب الفرائض(*)

وهو علم يتعرّف منه قوانين تتعلق بحساب الفرائض المتعلّقة بقسمة التركة. وهذا وإن كان من فروع العلوم الشرعية لتعلّقه بالفرائض، لكنه من حيث كونه قواعد حسابية يكون من فروع علم العدد. وتفاصيل هذا العلم مستوفاة في كتب الفرائض. وسنذكرها في علم الفرائض إن شاء الله تعالى.

علم حساب النجوم(**)

وهو علم يبحث فيه عن كيفية حساب الأرقام الواقعة في الزيجات. وهذا وإنْ كان من فروع علم العدد إلّا أنّه من جهة توقف التقويم عليه صار من فروعه أيضًا، سيما وقد امتاز عن سائر أعمال الحساب بقواعد خاصة به يعرفها من اهتم بها.

علم حساب الهواء(***)

وهو علم يتعرّف منه كيفية حساب الأموال العظيمة من الخيال بلا كتابة. ولها طرق خاصة وقوانين عجيبة. وهذا عظيم النفع للتجار في الأسفار، وفي مواضع لا يتيسر فيها الكتابة. وأعظم منافعها لأهل السوق من العوام الذين لا يعرفون الكتابة أصلًا. وللخواص إذا عجزوا عن إحضار آلات الكتابة. وفي هذا العلم رسائل شريفة يعرفها أهلها. ومن الكتب المختصرة فيه: كتاب لابن محلى الموصلي[٣]، ومختصر[٤] لابن فلوس المارديني، ومختصر[٥] السموْل بن يحيى المغربي. ومن المبسوطة: الكافي[٦] والكامل[٧] لأبي القاسم بن السمح[٨]، وشرح شمسية

---

(١) كنه المراد في علم الوقف والاعداد لشرف الدين علي اليزدي (-٨٥٠هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٥٢١، هدية العارفين ١/ ٧٣٣.

(٢) شرف الدين اليزدي: هو علي اليزدي، شرف الدين. توفي عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، أديب، مؤرخ، له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٧/ ٢٦٢، كشف الظنون ٢/ ١٠٣٣، هدية العارفين ١/ ٧٣٣.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة، في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها،

(***) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) نصاب الجبر والمقابلة في المختصرات البديعة لابن فلوس المارديني الحنفي وهو شمس الدين اسماعيل بن ابراهيم (-٦٣٧هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٥٤.

(٥) لعله كتاب الكافي في حساب الدرهم والدينار الذي اختصره من كتاب كافي الحساب لابي بكر محمد بن الحسن الكرجي، كشف الظنون ٢/ ١٣٧٧.

(٦) الكافي في الحساب الهوائي لابي القاسم بن السمح أصبغ بن محمد (-٤٢٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٧٧.

(٧) الكامل في الحساب الهوائي لابي القاسم اصبغ بن محمد بن السمح (-٤٢٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٨١.

(٨) أبو القاسم بن السمح: هو اصبغ بن محمد بن السمح الغرناطي، أبو القاسم. ولد عام ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م. وتوفي عام ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م. مهندس، فلكي، له عناية بالطب، وله عدة تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ٣٠٢، طبقات الأطباء ٢/ ٣٩، أخبار غرناطة ١/ ٢٦٣، كشف الظنون ١/ ٥٢٣، ايضاح المكنون ١/ ٥٨٣.

الحساب[١] وشرح مختصر[٢] الصلاحي[٣]، وأساس القواعد في شرح أصول الفوائد البهائية[٤] لكمال الدين حسن الفارسي[٥]، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الضبط.

علم حكايات الصالحين[*]

وهو من فروع علم التواريخ والمحاضرة. وقد اعتنى بأحوال الصلحاء والأبرار طائفة وأفردوها بالتدوين. وموضوعه وغايته وغرضه ظاهرة جدًا. ومنفعته أجلّ المنافع وأعظمها كما لا يخفى. ولقد صنّف في ذلك ابن الجوزي كتاب صفوة الصفوة[٦]، واليافعي[٧] كتاب روض الرياحين في حكايات الأبرار والصالحين وغير ذلك من الكتب.

علم الحلال والحرام[**]

وفيه مطالب ثمانية:

المطلب الأول:

في فضيلة الحلال، وذلك في الآيات كثير. وكذلك مذمّة الحرام، وكذا الحلال في الأخبار والآثار.

وأما أصناف الحلال والحرام ففي كتب الفقه على التفصيل. ولنبين ههنا على سبيل الإجمال.

فاعلم أنّ الحرمة في المال إمّا في عينه أو في كسبه.

القسم الأول: أنّ الأعيان المأكولة إمّا معادن أو نبات أو حيوان، والحرمة فيها إمّا لأجل إزالة العقل أو إزالة الصحة أو الاستقذار.

القسم الثاني: ستة أقسام:

الأول: ما لا يؤخذ من مالك كالمعادن والاصطياد والاحتطاب والاستسقاء، فذلك حلال، إلّا أنْ يسبقها يد قبله.

الثاني: المأخوذ قهرًا ولا عصمة له كأموال الكفار، وذلك أيضا حلال بشروط ذكرت في الفقه.

الثالث: ما يؤخذ قهرًا لكن بالاستحقاق، وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق، وأسباب ذلك في كتب الفقه.

الرابع: ما يؤخذ تراضيًا بمعاوضة، وذلك حلال إذا تضمنت شرائطه المذكورة في موضعها.

الخامس: ما يؤخذ بالرضا بلا عوض كالهبة والوصية والصدقة، وذلك حلال بشرائطه.

السادس: ما يؤخذ بغير اختيار كالإرث، وذلك حلال إذا كان المال مكتسبًا من جهة الحلال وأخرجت منه سائر الحقوق المذكورة في علم الفرائض، وإن لم تعلم فاسأل أهله.

---

(١) هي الشمسية في الحساب لحسن بن محمد النيسابوري المعروف بنظام (-٨٢٨هـ) كشف الظنون ٢/ ١٠٦٢.

(٢) مختصر الصلاحي في الحساب وشرحه المشهور بالعمادية. كشف الظنون ٢/ ١٦٢٧.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) أي الفوائد البهائية في الحساب للحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل (٣٧٧هـ) الاعلام ٢/ ١٧٩.

(٥) كمال الدين حسن الفارسي: هو الحسن بن احمد بن عبدالغفار الفارسي الأصل أبو علي. ولد عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م. وتوفي عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م. إمام في العربية تجول في البلدان، وله مصنفات عديدة. انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٧٩، وفيات الأعيان ١/ ١٣١، نزهة الألبا ٣٨٧، تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، إنباه الرواة ١/ ٢٧٣.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٦) صفة الصفوة، مختصر حلية الأولياء لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (-٥٩٧هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٨٠.

(٧) تقدمت ترجمته.

(**) هذا العلم هو الأصل الرابع من أصول الشعبة الثانية في العادات ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن بحسب تقسيم المؤلف لها.

المطلب الثاني:

في درجات الحلال والحرام:

اعلم: الحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض. والحلال كله طيّب لكن بعضه أطيب من بعض. ومثال ذلك في المحسوسات أنّ الحرارة والبرودة نوعان، ومع ذلك لهما درجات أربع عند الأطباء، فلذلك لهما درجات أربع:

الأولى: ورع العدول وهو الذي يجب الفسق بتركه، ويدخل في العصيان والتعرض للنار، وهو الورع مما يحرمه فتاوى الفقهاء.

الثانية: ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم وإنْ رخّص المفتي بذلك بناءً على الظاهر.

الثالث: ورع المتقين وهو ما لا حرمة فيه بحسب الفتوى ولا شبهة في حله، لكن يخاف منه أداؤه إلى محرم، وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس.

الرابع: ورع الصديقين وهو ما لا بأس به أصلًا ولا يخاف منه أن يؤدّي ما به بأس، ولكنه يتناول لغير الله، ولا على نية التقوى به على عبادة الله تعالى، أو يتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية. وتعرف هذه الدرجات بتشديدات الشرع ووعيده وزجره البليغ وتأكيده.

المطلب الثالث:

في مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام:

قال رسول الله ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور متشابهات، لا يعلمها كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه»(١). فهذا الحديث مدار أمر الشرع وقطب أحكام الدين، وفيه نصّ في إثبات الأقسام الثلاثة، والمشكل منها هو القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس، فلا بد من كشف الغطاء عنها. فنقول:

الحلال المطلق وهو الذي لا يتطرق إليه أسباب التحريم أو الكراهية كماء المطر قبل أن ينزل على ملك أحد، ويقابله الحرام المحض، وهو إما حرام لعينه بصفة مجربة كالشدة في الخمر والنجاسة في البول، أو حصل بسبب منهيّ عنه كالمحصل بالظلم والربا ونظائره، فهذان طرفان ظاهران. ويلتحق بالطرفين ما تحقّق أمره ولكن احتمل بغيره، ولكن لم يكن لذلك الاحتمال سبب يدلّ عليه مثل صيد البّر والبحر حلال، فيحتمل أن تفلت الظبية من صياد، والسمك قد تزلق من خريطة صياد، فالورع في أمثاله وسواس، اللهم إلَّا أنْ يدلّ عليه دليل كالجرح في الظبي والحلقة في أذن السمكة. وبالجملة ما لم يترجح أحد طرفي الشّك لا يعتبر به أصلًا ولا يعدّ ذلك شبهة، وإنما الشبهة احتمال حرمة يستند إلى دليل ويعارض أصل الحِلّ. ومثارات الشبهة خمسة:

المثار الأول: الشّك في السبب المحلل والمحرم، فذلك أقسام أربعة:

الأول: أن يكون التحريم معلومًا من قبل ثم يقع الشّك في المحلل، فهذه شبهة يجب اجتنابها، ويحرم الإقدام عليها، فهذا حرام لأنّ الأصل التحريم.

الثاني: أن يحرم الحِلّ ويشك في المحرم، فالأصل الحِلّ وله الحكم، كما إذا طار طائر فقال: إنْ كان هذا غُرابًا فأمرأته طالق، وقال آخر: إن لم يكن غرابًا فامرأته طالق، والتبس أمر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما؛ إلّا أنّ الورع اجتنابها.

الثالث: أن يكون الأصل التحريم وطرأ عليه

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ح ١٠٨، ٣/١٢٢١. دون لفظ: «أمور».

سبب التحليل بظنٍّ غالب فهو مشكوك فيه والغالب حِلّه، فإنْ استند الظّن إلى سببٍ معتبر شرعًا فالمختار الحِلّ، إذْ الأصل عدم طريان غيره، فطريانه مشكوك فيه، ولا يرفع اليقين بالشّك، ولكن اجتنابه من الورع، كمن رمى إلى صيد فجرحه ثم غاب فوجده ميتًا وليس عليه أثر جراحة أخرى التحق بالقسم الأول، إذْ حصل غلبة الظّن بأنّه مات من جرحه. وأما احتمال موته من غير جراحته شكّ فيه لا يعتبر إذْ ذاك جارٍ في كلّ مجروح لاحتمال أنّه مات بغلبة مرض، وإن وجد جراحة أخرى فقد تعارض السبب فتعارض الظّن والاحتمال فيحرم.

الرابع: أنْ يكون الحِلّ معلومًا ولكن يغلب على الظّن طريان محرّم بسبب معتبر في غلبة الظّن شرعًا كما إذا غلب على ظنه نجاسة أحد الإنائين بعلامة معيّنة توجب غلبة الظّن فتوجب تحريم شربه، والذي هو المختار أنّ الأصل هو المعتبر وأنّ العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم يوجب رفع الأصل.

المثار الثاني: الشبهة بشك منشأه الاختلاط بين الحلال والحرام، ويشتبه الأمر فلا يتميز، ففيه أقسام ثلاثة:

الأول: أنّ نسبتهم[1] المعيّن بعدد محصور لمن تزوج أحد الأختين ولم تعلم بعينها يجب اجتنابها بالإجماع، إذْ لا مجال للاجتهاد. وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد وتقابل فيه جهة التحليل والتحريم فيجتنب. وإنْ اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فوجوب الاجتناب أولى.

الثاني: حرام محصور بحلال غير محصور كما إذا اختلطت رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير، فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد، بل له أنْ ينكح من شاء منهن، إلّا إذا علمها بعينها. إلّا أنّ علّة الحِلّ ليست كثرة الحلال إذْ يلزم منه جواز النكاح، إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال، بل العِلّة الغلبة والحاجة جميعًا. مثلًا من علم أنّ مال الدنيا خالطه حرام قطعًا لا يلزمه ترك الشراء والأكل فإنّ ذلك حرج، وما في الدين حرج. وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضًا في بلد إذا وقع بين جماعة محصورين، فاجتناب هذا من ورع الموسوسين، إذْ لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة، ولا يتصوّر الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الأعصار.

واعلم أنّ تمييز المحصور من غير المحصور مُشكِل، وبالتقريب: كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرّد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور، وما كالعشرة والعشرين فهو محصور، وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظّن. وربما يفتي المفتي، لكن ان وقع عند الشّك فعليك أن تستفتي قلبك، فإنّ جال[2] في صدرك شيء فهو الإثم بينك وبين الله، فإنّ الإثم حزّاز القلوب، ولا ينجيك في الآخرة فتوى المفتي، فإنه يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر. «قال رسول الله ﷺ لوابصة[3]: استفتِ قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك»[4]. وكذا الحال في الأوساط المتشابهة التي تقع في الأقسام الأربعة في المثار الأول.

الثالث: أنْ يختلط حرام غير محصور بحلال غير محصور كحكم الأموال في زماننا هذا. وقد

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل. ولفظ الحديث الذي رُوي في هذا المعنى: حاك.

(٣) وابصة: هو وابصة بن معبد بن الحارث الأسدي أسد خزيمة، صحابي جليل. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٩٠، الإصابة ٣/ ٦٢٦، الثقات ٣/ ٤٣١.

(٤) السيوطي، الدر المنثور، ٢/ ٢٥٥، بلفظ: «استفت قلبك... وإن افتاك الناس وأفتوك».

يظن أنّ هذا مثل اختلاط المحصور بالمحصور في الحرمة لكنه ليس كذلك، بل هذا غير حرام كمن يتناول شيئًا بعينه احتمل أنَّه حرام وأنّه حلال فتركه ورع وأخذه حلال، إلّا أنْ يقترن بتلك العين علامة الحرمة فحينئذٍ يحرم. ويدلّ على ما ذكرنا أنّ في زمن النبي ﷺ وقع الغلول واختلط بالأموال، وكذا اختلط أثمان الخمور في أيدي أهل الذِّمَّة بل الربا أيضًا، وكذا في زمن الصحابة والتابعين، وقد نهب يزيد المدينة شرَّفها الله ثلاثة أيام، ولم يمتنع أحد من الصحابة عن الشراء في السوق إلّا القليل يعدّون من أهل الورع. ومن زعم أنه تفطن من الشرع ما لم يتفطنه السلف الصالحون فهو مُوَسْوِس مختلّ العقل. وأيضًا لو فتح هذا الباب لانسدّ باب جميع التصرفات وخرب العالم، إذْ الفسق غالب على الناس ويتساهلون في شروط الشرع.

فإنْ قلت: ما ذكرته فيما إذا كان الحرام قليلًا وقد صار الحرام في زماننا أكثر. قلت: ليس هو أكثر بل هو كثير. وقولك: الحرام أكثر إمّا لكثرة الظَّلمة أو كثرة المعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي، الأول: باطل إذْ الظَّلمة وهم الجندية وذوو الغلبة والشوكة إذا أضيفوا إلى جملة العالم لم يبلغوا عشر عشرهم. وكذا الثاني: إذْ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع، وأهل الرياض[١] بينهم قليل، فضلًا عن كونهم كثيرًا أو أكثر. وأما الثالث: فلأنّ الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان، ولم يبق درهم واحد ولا دينار خرجت من معدن أو دار ضرب إلّا تناوله يد الظَّلمة، وكذا الحال في الحيوان فلم يبق إلّا الصيد والحشيش والحطب في الموات. فالجواب عنه: أنّ هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال، فالتحق بما عددناه من قبل، وهو تعارض الأصل والغالب؛ فالحكم فيه أنّ الغالب الذي لا يستند إلى علاقة تتعلق بعين ما فيه النظر مطرح. فلا يقال: أصول الحرام أكثر، بل أصول الحلال لم تزل أكثر في كل عصر وزمان وذلك ظاهر لمن تدبّر بإذعان وإمعان. وإنما الكلام فيما إذا قدّر غلبة الحرام واختلط غير محصور، ولم يكن في العين المتناولة علامة خاصة. والذي نراه أنّ تركه ورع وأخذه ليس بحرام، لأنّ الأصل الحِلّ، ولا يرفع ذلك إلّا بعلامة معيّنة كما في طين الشوارع ونظائرها. بل نقول: لو طبق الحرام الدنيا على الفرض والتقدير والعياذ بالله من ذلك لكنا نقول: يعفى عما سلف ويستأنف بتمهيد الشروط. بل نقول: ما جاوز حدّه انعكس على ضده. فمهما حرم الكلّ حل الكل، وذلك لأنّ الاحتمالات خمسة: لأنّ الناس إمّا أن يدعوا الأكل حتى يموتوا، أو يقتصروا على سدّ الرمق، أو يتناولوا[٢] كيف شاؤا سرقة أو غصبًا من غير تمييز بين مال ومال وجهة جهة، أو يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة، أو يقتصروا على قدر الحاجة مع شروط الشرع.

أما الأول: فلا يخفى بطلانه.

وأما الثاني: فباطل أيضًا لأنهم إذا اقتصروا على سدّ الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموت، وبطلت الأعمال والصناعات، وخربت الدنيا وفي خرابها خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة، بل أكثر أحكام الفقه لحفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين.

وأما الثالث: فهو دفع لسدّ الشرع بين المفسدين فتمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع

---

(١) كذا في الأصل. ولعله: الربا. وفي النسخة المصرية: الربا.

(٢) في الأصل: يتناولون، وهو خطأ نحوي لأنه فعل مضارع منصوب بالعطف على ما قبله. وفي النسخة المصرية: متناولون.

الظلم ولا يمكن زجرهم عنه، فيؤدي إلى بطلان سياسة الشرع، فلا يبقى إلّا الاحتمال.

الرابع: بأن يبقى لكل ذي يد على ما في يده فيصير الاحتمال.

الخامس: هو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي لائقًا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة.

المثال الثالث للشبهة: أنْ يتصل بالسبب المحلِّل معصية، وهذا أنوع أربعة:

النوع الأول: المعصية في القرائن كالبيع وقت النداء يوم الجمعة، وكالذبح بالسكين المغصوب وهذا مكروه وليس بحرام، والورع اجتنابه. وهذه الكراهة لها ثلاث درجات.

الأولى: منها ما يقرب من الحرام، والورع عنه مهم، كالصيد بكلب مغصوب.

والثانية: الاحتطاب بالقدوم المغصوب وهذه دون الأولى في الكراهة، وهي أيضًا من الورع.

والثالثة: البيع وقت النداء وهذه دون الثانية فإنّه ضعيف التعلق بمقصود البيع، ولا بأس بالحذر منه. ولكن لو أدى ما هو دون هذا من عدم صحة نكاح الظَّلمة لتعلق الحقوق الواجبة عليه لأدّى إلى التحرج عن نكاح بناتهم، وإنّه الوسواس، والورْع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حدّ معلوم.

النوع الثاني: المعصية في اللواحق ولها درجات: أعلاها بيع العنب من الخمار وبيع الغلام ممن يُعرف بالفجور بالغلمان، والقياس أن العقد صحيح والمأخوذ حلال وليس بحرام والرجل عاصٍ، إلّا أنّ المأخوذ مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع مهم. ويليها في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارًا، لأنّ الاحتمال قد تعارض والكراهة فيه أخفّ والورع فيه فوق الأول. ويليها في الرتبة ما هو مبالغة ويكاد يلحق بالوسواس، كمن لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحَرْث لأنّهم يستعينون بها على الحِراثة ويبيعون الطعام من الظَّلمة، وهذا ورع الوسوسة.

النوع الثالث: المعصية في المقدّمات، ولها أيضًا ثلاث درجات:

العليا: ما بقي أثره في المتناول كالأكل من شاةٍ رعت من مرعى حرام، وهذا الورع وإنْ لم يكن واجبًا.

الوسطى: ما نقل عن بِشْر[١] من امتناعه عما يساق في نهر الظَّلمة لأنّ النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره، وامتناع آخر عن كَرْم سقي بنهر مذكور وهو أبلغ في الورع منه. وأعلى من ذلك امتناع ذي النون[٢] من طعام حلال أوصل إليه بيد سَجّان، وقوله: إنّه جاءني على يد ظالم. ودرجات هذه الرتب لا تنحصر.

والأدنى منها وهي قريبة من الوسواس أنْ يمتنع من حلال وصل إليه على يد رجل زنى أو قذف، وليس هذا كما لو وصل على يدي من أكل الحرام، فإنّ الموصل قوته الحاصلة من الحرام، والزنا والقذف لا يزيدان في القوة، ولو امتنع الشرب من كوز لأنّ صانعه قد عصا الله يومًا بضرب إنسان أو شتمه لكان وسواسًا.

واعلم: أن كل هذا خارج عن فتوى العلماء من الفقهاء، لأنّ فتواهم تختص بالدرجة الأولى التي يمكن بها تكليف العامة، ولو اجتمعوا عليها لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) ذو النون: هو ثوبان بن ابراهيم الإخميمي المصري، أبو الفياض أو ابو الفيض. توفي عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م. زاهد، صوفي مشهور، فصيح، له حكمة وشعر. انظر عنه:
الاعلام ٢/١٠٢، وفيات الأعيان ١/١٠١، ميزان الاعتدال ١/٣٣١، لسان الميزان ٢/٤٣٧، حلية الأولياء ٩/٣٣١، طبقات الشعراني ١/٥٩.

والصالحين الذين لا يفتيهم إلّا قلوبهم، لكن يخرج عن هذا قلب المُوَسْوِس لأنّهم قوم شدّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم كما شدّد على أصحاب موسى عليه السلام.

النوع الرابع: المعصية في العِوَض، ولها درجات:

العليا أنْ يشتري شيئًا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب أو مال حرام، فإنْ سلّم البائع إليه الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع ولا هو من الورع الكامل، وإنما الإثم بقضاء الثمن من الحرام، لكن لا ينقلب الطعام حرامًا. فإنْ أبرأه البائع مع العلم بأنّ الثمن حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلّا مَظْلمة تصرفه في الحرام، فإن أبرأه على ظنّ أنّ الثمن حلال فلا يحصل له البراءة من الثمن لأنه أبرأه بشرط الاستيفاء، ولا يصلح الحرام للإيفاء. وإنْ لم يسلم إليه بطيبة قلب ولكن أخذه فأكله حرام، سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده، إذْ للمالك حقّ الحبس حتى يقبض الثمن. وإنّما يبطل حق حبسه بالإبراء والاستيفاء، ولم يجرِ شيء منهما، ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاصٍ به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير أذن المرتهن، وبينه وبين أكل طعام الغير فرق، ولكن أصل التحريم شامل. أما إذا أوفى الثمن الحرام أولًا ثم قبض، فإنْ كان عالمًا بحرمته ومع هذا قبض المبيع بطل حقّ حبسه وبقي له الثمن في ذمته، إذْ ما أخذه ليس بثمن، ولا يصير أكل المبيع حرامًا بسبب بقاء الثمن. فأمّا إذا لم يعلم أنّه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا أقبض المبيع، فحقّ حبسه لا يبطل بهذا التلبيس، فأكله حرام تحريم أكل المرهون إلى أنْ يبرئه أو يوفي بحلال أو يرضى هو بالحرام ويبرىء، فيصح إبراؤه، ولا يصحّ رضاه بالحرام، فهذا مقتضى الفقه.

وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحِلّ والحرمة فأمّا الامتناع عنه فمن الورع المهم لأنّ المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل تشتدّ الكراهة كما سبق. وأقوى الأسباب الموصلة الثمن، ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه إليه، فرضاه لا يخرجه عن كونه مكروهًا كراهة شديدة، ولكن العدالة لا تنخرم به، وإنما تزول به درجة التقوى والورع.

والدرجة الوسطى: أنْ لا يكون العِوض غصبًا ولا حرامًا، ولكن يتهيأ لمعصية كما لو سلم عن الثمن عنبًا والآخذ شارب خمر أو سيفًا وهو قاطع طريق، فهذا لا يوجب تحريمًا في المبيع ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهة التي في الغصب.

والدرجة السفلى وهي درجة الوسواس كما إذا حلف على أنْ لا يلبس من غزل أمته فباع غزلها واشترى به ثوبًا فهذا لا كراهة فيه، والورع عنه وسوسة.

واعلم أنّ الدرجات المذكورة لا تنحصر في عدد، ولكن المقصود من التعديد التفهيم.

وأعلم أنّ الانسان لا ينبغي أنْ يشتغل بدقائق الورع إلّا بحضرة عالِمٍ متقى فإنّه إذا جاوز ما رسم له وتصرّف بذهنه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

المثار الرابع: الاختلاف في الأدلة:

وهذا كالاختلاف في السبب لأنّ السبب سبب للحِلّ والحرمة، والدليل سبب لمعرفتها، وهي ثلاثة أقسام:

الأول: أنْ يتعارض أدلة الشرع كالعمومين من القرآن أو السُّنة، أو قياسين، أو قياس وعموم، وكل ذلك يورث الشَّك ويرجع في مثله إلى الترجيح. فإنْ ظهر الترجيح في جانب الحرمة وجب الأخذ به، وإنْ ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه.

ثم إنّ المقلّد ينبغي له أنْ يبحث عن أفضل

المذاهب بين علماء بلده فيتبعه، وليس له أن يتبع أوسعها. نعم إنْ إمامه أفتاه بشيء وله مخالف فعليه أنْ يترك الخلاف إلى مذهب أجمعوا عليه، وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجّح جانب الحِل بحدس وتخمين وظَنّ، فالورع له الاجتناب. وهذا على ثلاث مراتب:

أولاها: ما يقوى فيه الدليل المخالف ويدِقّ ترجيح المذهب الآخر عليه، فالمستحب التورّع عنه، وإنْ أفتى المفتي أنّه حلال لأنّ الترجيح فيه غامض.

وثانيتها: تزاحم درجة الوسواس كالتورّع عن أكل جنين ذكى أمه، وفي الصِّحاح ما يدلّ على حِله.

وثالثتها: أنْ لا يشتهر في المسألة خلاف أصلًا، ولكن يكون الحِل معلومًا بخبر الواحد، فيتورّع عنه لاختلاف الناس في الخبر الواحد، فهذا ورع لم ينقل عن الصحابة إلّا إذا تطرّق شبهة في حقّ الراوي خاصة. ومن هذا القبيل خلاف النَّظّام في أصل الإجماع بأنّهم غير معصومين، فإذًا لا طرف من أطراف الشبهات[1] إلّا وفيها غلو وإسراف. والأصل أن تستفتي قلبك وتدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وتترك حزازة القلوب وحكاكة الصدور، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والدواعي، ولكن تحفظ قلبك عن دواعي الوسواس حتى لا تحكم إلّا بالحق، ولا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس، ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة، وما أعزّ مثل هذا القلب.

القسم الثاني: أن يتعارض العلامات الدالة على الحِلّ والحرمة، مثلًا يخبر عدل بأنّ هذا المتاع حلال وعدل آخر بأنه حرام، فإنْ ظهر ترجيح حكم به فالورع الاجتناب، وإنْ لم يظهر وجب التوقّف.

القسم الثالث: تعارض الأشباه في الصفات التي بها تُناط الأحكام، كمن أوصى ماله للفقراء، فالفاضل في الفقه داخل بلا شبهة، والمتعلم منذ يوم أو شهر غير داخل بلا شبهة، وبينهما درجات لا تحصى يقع الشكّ فيها. فالمفتي يُفتي بحسب الظّن والورع الاجتناب. وهذه أغمض مثارات الشبهة، فإنّ فيها صوى يتحيّر فيها المفتي تحيّرًا لازمًا لا حيلة له فيه، إذْ يكون المتصف بصفة في درجة متوسطة لا يظهر له ميل إلى أحدهما، وكذلك الصدقات فإنّ المحتاج ما ليس له شيء، والغني من له مال كثير. وأمّا من له دار وأثاث وثياب وكتاب فإنّ قدر الحاجة منه والزائد عليه لا يمكن تحديدهما، وإنما يدرك بالتقريب وينظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد أو في طرفه، ووقوع الاكتفاء بدارٍ دونها. وكذا الأثاث إمّا من صفر أو من خزف، وكذا في عددها وقيمتها، وكذلك ما يحتاج إليه كل يوم أو سنة، وشيء من هذه الأمور لا حَدّ له، فإنْ توقّف المفتي فيها فلا وجه إلّا التوقّف، وإن أفتى المفتي بظَنٍّ وتخمين فالورع التوقّف، وهو أعم مواضع الورع. الوجه في مثل هذا ما قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[2].

فهذه مثارات الشبهات، وبعضها أشدّ من بعض. ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلظ، مثل أنْ يأخذ طعامًا مختلَفًا فيه عِوَضًا عن عنب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة، والبائع قد خالط ماله حرام ليس هو أكثر ماله، ولكنه صار مشتبهًا به، فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أنْ يشتد الأمر في اقتحامه وليس في قوة الأمر حصرها، فما اتضح

(١) كذا في الأصل. وفي النسخة المصرية: فإذا لا طرف لا طرف من أطراف الشبهات.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة. باب (٦٠)، ح ٢٥١٨، ٦٦٨/٤.

من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب، فإنّ الأثم حزاز القلوب، وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتي. أما حيث حرمه فيجب الامتناع. ثم إنّ في الاستفتاء لا يعوّل على كلّ قلب إذ رُبَّ موسوِس ينفر عن كلّ شيء، ورُبَّ شرهٍ متساهل يطمئن إلى كل شيء. وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الأحوال فهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور، وما أعز هذا القلب في القلوب، فمن لم يثق بقلبه فليلتمس النور ممن قلبه بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته.

المطلب الرابع:

في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانهما:

واعلم: أنْ لا وجه للتفتيش عن كلّ ما أهدي إليك أو وهب أو بيع منك، وليس لك أيضًا أن تترك البحث فتأخذ كلّ ما تجده، بل للتفتيش أحوال: فإنّه واجب مرة وحرام أخرى، ومندوب إليه مرة مكروه أخرى. فمثار الشبهة فيها في أمرين: إمّا في المال أو في صاحبه.

النوع الأول: أحوال المالك، وهي ثلاث:

الحالة الأولى: أن يكون مجهول الحال بأن لا يكون في زي الظَّلمة ولا في زي العلماء والصلحاء، فإنْ كنت غريبًا تريد أن تشتري خبزًا ولا تدري صاحبه فلا يلزمك السؤال، بل يده وإسلامه كافيتان في الهجوم على أخذه. وقولك الفساد غالب في الناس وسوسة وسوء ظنّ بالمسلم، ويدلّ عليه أنّ الصحابة كانوا ينزلون القرى، ولا يتركون القرى، ويدخلون البلاد ولا يتحرزون من العباد، وكان الحرام موجودًا في زمانهم أيضًا، فليس له السؤال: من أين اكتسبه ومن أين حصل له، بل إن حصل له فيه ريبة فليتلطف في الترك، وإن كان لا بدّ له من أكله فليأكل بغير سؤال إيذاءً وهتكَ سِرٍّ وإيحاش وهو حرام بلا شك. وليس الآثم في إيذاء مسلم بأقل من الإثم في أكل شُبهة. ولا يجوز أن يسأل من حيث لا يدري لأنّ في ذلك إساءة ظنّ وهتك سِرٍّ، وفيه تجسُّس، وفيه تشبيه بالغيبة وإن لم يكن صريحًا، وكلّ ذلك منهي عنه في آية واحدة. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[1]. فكم من زاهد جاهل تجسّس الجاهل عنده ذلك طلبًا للشهرة بأكل الحلال، ولو كان باعثه الدين لكان خوفه من إيذاء مسلم أشدّ من خوفه على أن يدخل بطنه ما لا يدري، وهو غير مؤاخذ بما لا يدري. فطريق الورع في أمثاله الترك دون التجّسس، وإن لم يكن بُدّ فالورع الأكل وإحسان الظّن.

الحالة الثانية: أن يكون مشكوكًا فيه بسبب دلالة أورثت ريبة: إمّا في خلقته بأن يكون على خلقة الأتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب، وإمّا في زيّه بأن يكون لباسه على زي أهل الفساد من الظَّلمة والأجناد، وإمّا من فعله وقوله بأن يشاهد منه الإقدام على أخذ الحرام، والحكم فيه جواز الإقدام نظرًا إلى ضعف الأدلة وقوة اليد والإسلام ورجحان الترك، لأن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه فأورثت ريبة.

وأما الورع هو الثاني، وهو الذي يختار ويفتى به لقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[2]. ثم إنّ بين هذه الدلالات تفاوتًا، فإنّ طول الشارب وهيئة الأجناد، وكذا القول والفعل المتعلقان بظلم المال، وكذا الأمر بالغُصب والظّلم أو العقد بالربا، أقوى في

---

(١) الحجرات/ ١٢.

(٢) سبق تخريجه.

الدلالة ممن شتم غيره في غضبه وأتبع نظره امرأة، إذْ كم من إنسان يتحرج في طلب المال ولا يكسب إلّا الحلال، ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة؛ فلا يمكن أن يضبط هذه الدلالات بحدّ، فالمرجع هو الاستفتاء بالقلب.

ثم إنّ ما ذكر في مجهول المال، وأمّا إنْ رأيته ممن عرفته بالورع في العبادات يصير في حكم المال كالمجهول لتعارض الأدلة في حقّ المال، إذْ لا يلزم من الورع في العبادات الورع في المال، فالمرجع هو حكم القلب. وأيضًا إنّ هذه الدلالة إنما تعتبر إذا دلّت على حرمة أكثر ماله، وإن دلّت على حرمة أقله لا يجب السؤال، بل يكون السؤال من الورع.

الحالة الثالثة: أن يكون الحال معلومًا بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب الظّنّ في الحِلّ والحرمة، مثل أن يعرف ديانته وعدالته في الظاهر واحتمل عنده أن يكون الباطن بخلافه، فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل أولى، والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول، فإنّ ذلك بعيد من الورع وإن لم يكن حرامًا.

النوع الثاني: أحوال المال، بأن يختلط الحرام بالحلال، كما إذا اشترى أهل السوق أحمالًا من طعام غصْب فلا يجب السؤال عما يشتريه في تلك السوق، وإنما التفتيش هو الورع إلّا أنْ يظهر أكثر ما في أيديهم حرام، فعند ذلك يجب السؤال. والدليل على عدم وجوب السؤال إذا لم يكن الحرام أغلب عدم امتناع الصحابة عن الشراء من الأسواق مع أنّ فيها دراهم الربا وغلول القيمة وغيرهما، وإنما السؤال ينقل عن آحادهم نادرًا في بعض الأحوال وفي محلّ الريبة في الشخص المعيَّن.

المطلب الخامس:

في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وعليه في ذلك وظيفتان:

الوظيفة الأولى: في كيفية تمييزالحرام وإخراجه. فالمال الحرام إن كان معلوم العين فالأمر سهل، فإن كان مختلطًا فإمّا أن يكون من ذوات الأمثال كالنقود والأدهان، أو من أعيان متمايزة كالعبيد والثياب. فإن كان الأول أو كان شائعًا في المال كله كمن خلط دهنًا مغصوبًا بدهن نفسه، فإن كان معلوم القدر كالنصف فعليه تمييز ذلك القدر، وإنْ أشكل فله طريقان: أحدهما الأخذ باليقين، والآخر الأخذ بغالب الظّن، فيجوز الأخذ بغالب الظّن اجتهادًا، ولكن الورع الأخذ باليقين.

طريق الأخذ بالورع أن لا يستبقي إلّا القدر الذي يتيّقن أنه حلال. وطريق الأخذ بالجواز مثلًا يتيقن أنّ النصف حلال والثلث حرام ويشكّ في السدس فيخرج الثلث ويحكم في السدس بغالب الظّن، والورع إخراجه أيضًا. وإنْ شكَّ فيه جاز الإمساك، والورع الاخراج أيضًا، وهذا الورع آكد.

فإنْ قلت: الذي يخرج لا يدري أنّه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي؟ قلت: إنّه غير مضرّ. ولنفرض في درهم اشتبه بدرهم آخر، أيّهما رُدّ إلى المالك ورضي به فقد برىء. أما المردود وإنْ كان عين درهمه فذاك، وإن كان غيره فقد حصل لكل منهما درهم في يد صاحبه. فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ، فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة، إذْ المغصوب منه وإنْ فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه، لكن ما أخذه يقع عن الضمان، وهذا في جانبه واضح، فإنّ المضمون له يملك الضمان بمجرّد القبض من غير لفظ، والإشكال في الجانب الآخر أنّه لم يدخل في ملكه، فنقول: لأنّه أيضًا قد سلم درهم نفسه فقد فات له أيضًا درهم هو في يد الآخر وليس يمكن الوصول إليه

فهو كالغالب[١]، فيقع بدلًا عنه في علم الله تعالى إنْ كان الأمر كذلك، ويقع هذا التبادل في علم الله سبحانه. هذا في ذوات الأمثال فإنّها تصحّ عوضًا بلا عقد.

وأما إذا اشتبه دار بدار أو عبد بعبد فلا سبيل إلّا المصالحة والتراضي، فإنْ أبى أنْ يأخذ إلّا عين حقه وأراد أن يعوق عليه جميع ملكه، فإنْ كانت متماثلة القيمة يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن بقدر النسبة، وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب الدفع قيمة أنفس الدور، وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل، وتوقف في قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنّه مُشْكِل، وإنْ لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكلّ أن يتولى ذلك نفسه.

الوظيفة الثانية: في الصرف، وله أحوال ثلاثة: إمّا أن يكون له مالك معيّن ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا، وربما لا يمكن الرّد لكثرة المُلّاك، كغلول الغنيمة فإنها بعد تفرّق الغزاة لا يقدر على جمعهم، وإنْ قدر فكيف يفرق دينارًا واحدًا على ألوف من المسلمين، فحكم هذا المال أن يتصدق به. وإن كان من مال الفيء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين يصرفها إلى المساجد والقناطر والرباطات ومصانع طريق مكة وأمثال ذلك. فإن وجد قاضيًا عدلًا يسلم إليه المال وهو يصرفه إلى ما ذكر، وإلّا يحكم عالمًا متدينًا من أهل البلد، فإنّ التحكيم أولى من الانفراد، وإن عجز عن ذلك يتولاه بنفسه إذْ المقصود الصرف.

فإنْ أخطرت بالبال أنّ التصدق بالحرام غير جائز ولا أقل من عدم ثوابه، قلت: ثبت ذلك بالخبر والأثر والقياس.

أما الخبر فأمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت إليه، فكلمته بأنها حرام أو قال أطعموها فتصدق بالثمن.

وأما الأثر فإنّ ابن مسعود اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن، فطلبه كثيرًا فلم يجده، فتصدق بالثمن وقال: اللهم هذا عنه إنْ رضي وإلّا فالأجر لي.

وسُئل الحسنُ عن توبة الغالّ بعد تفرّق الجيش، قال: يتصدق به.

وأمّا القياس فهو أنّ المال مردد بين أن يضيع وبين أنّ يصرف إلى خير، إذْ يقع اليأس عن مالكه. ولا يخفى أنّ صرفه إلى خير ينتفع به مالكه في الآخرة خير له من أن ينتفع به في الدنيا، فضلًا عن أنْ لا ينتفع أصلًا لا في الدنيا ولا في الأخرى، مع أنّ فيه انتفاع فقير وسدّ حاجته. وحصول الأجر للمالك بغير اختياره لا ينكر، إذْ قد ورد في الخبر الصحيح أنّ للزارع والغارس أجرًا في كلّ ما يصيبه الناس والطيور من ثماره، وما يقال: لا يتصدق إلّا الطيب[٢] فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا، ونحن نطلب الخلاص عن المظلمة لا الأجر، وترددنا بين التضييع والتصدق.

وقول القائل: لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لأنفسنا فهو كذلك، لكنه حرام علينا وحلال للفقير فرضينا له الحلال.

واعلم أنّ المال إذا كان مختلطًا من الحرام والحلال يخصّ الحلال بنفسه، إذْ لا يعذر نفسه في الحرام، ويعطي الحرام العيال لأنهم ربما يعذرون بعدم العلم. ثم إنه يخصّ بالحلال قوته ولباسه. وأما إذا أريد تخصيص واحد منهما فيخص الحلال بالقوت إذْ ينبت لحمه ودمه منه، واللباس إنما هو ساتر من الحرّ والبرد، فالاهتمام بالأول أولى. وقال الحارث المحاسبي: يقدم

(١) كذا في الأصل. وفي النسخة المصرية: كالغائب.
(٢) كذا في الأصل.

اللباس لبقائه مدة بخلاف الطعام، إلّا أنّ المختار تقدّم القوت. ولهذا تقيأ الصديق رضي الله عنه لبنًا شربه مع الجهل بحاله لئلّا ينبت منه لحم.

فإنْ قيل: بعدما صرف الكلّ إلى أغراضه لا يبقى الفرق بين نفسه وغيره؟

قلنا: عرف ذلك التفاوت مما روي أنّ رافع بن خديج[١] مات وخلف ناضحًا وعبدًا حجاما. «فسئل رسول الله ﷺ: فمنع من كسب الحجام. فروجع مرات فمنع. فقيل له: إنّ له أيتامًا، فقال: إعلفوه الناضح»[٢]. فهذا يدلّ على الفرق بين ما يأكله هو ودابته.

ثم إذا تصدق على الفقراء الحرام يوسعه عليهم، وإذا أنفق على نفسه فلينفق ما قدر[٣] وإن أنفق على عياله فليقتصد. وأمّا الضيف فإن كان فقيرًا يوسعه عليه منه، وإن كان غنيًا فلا يطعمه منه إلّا في برية أو قدم ليلًا لم يجد شيئًا، وإن كان الضيف الفقير تقيًا ورعًا فليعرض الطعام، وليخيّره جمعًا بين حقّ الضيافة وترك الخداع ولا يقول: إنه لا يدري فلا يضيره، لأن الحرام يؤثر في قساوة القلب.

وإن كان الحرام في والديه فليمتنع من أكل طعامهما وإنْ سخطا إذْ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإن كان شبهة فالامتناع للورع فليتلطف في الامتناع لأنّ رضاهما أيضًا ورع بل واجب. فإنْ لم يقدر فليوافق، وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع، فإنّ ذلك غرور. والأخ والأخت قريب منهما لأنّ حقهما أيضًا مؤكّد، وكذا إذا ألبسته أمه ثوبًا من شبهة وكانت تسخط بردّه فليقبله بين يديها ولينزعه في غيبتها، ولا يصلِّ فيه إلّا عند حضورها، فلا يصلّ فيه إلّا صلاة المضطر.

المطلب السادس:

في إدرارات السلاطين، فالنظر فيها في أمرين:

النظر الأول: في جهات الدخل وهي قسمان:

أحدهما مال الفيء والجزية ومال المصالحة، وهذا من الكفار.

وثانيهما من المسلمين وهو المواريث التي لا وارث لها والأموال الضائعة. وأما الصدقات فلا تؤخذ في هذا الزمان، وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلّها حرام.

[ثم][٤] مصارف ما ذكر ثمانية:

الأول: الجزية، وأربعة أخماسها للمصالح، وخمسها لجهات معيّنة، وذلك حلال إنْ اجتمع شرائطها المذكورة في الفقه.

الثاني: المواريث والأموال الضائعة فهي للمصالح، والنظر في حال المال بأنه حرام أو حلال كله أو بعضه فقد مرّ حاله.

الثالث: الأوقاف والنظر فيها كشرائط المواريث مع شرائط الوقف خاصة.

الرابع: ما أحياه السلاطين ولا يعتبر له فيه شرط إذْ له التصرف العام في الأراضي فيعتبر فيه ما مرّ من أحوال الأعواض.

الخامس: ما اشتراه السلطان من الذّمة من أرض أو ثياب ونحو ذلك، هو حلال لو كان ثمنه

---

(١) رافع بن خديج: هو رافع بن خديج بن رافع الأنصاري الحارثي، أبو عبدالله أو ابو خديج. توفي بالمدينة عام ٧٣هـ. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٣١، التاريخ الكبير ٣/٢٩٩، الثقات ٣/١٢١، اسد الغابة ١/١٥١، مرآة الجنان ١/١٥٥، البداية والنهاية ٩/٣، الإصابة ١/٤٩٥.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب الحلال والحرام، الباب الرابع في كيفية خروج التائب، ٦/١٠٦.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) [ثم] + من النسخة المصرية.

حلالًا وإلّا فحرام.

السادس: ما عيّنه للعمال بأن يجمعوا من أموال القسمة والمصادرات وهو الحرام السُّحت.

السابع: ما يكتب على بياع يعامل السلطان، فإنْ كان لا يعامل غيره فماله كلّه حرام، وإلّا فمختلط إمّا غالب أو مساوٍ أو قليل.

الثامن: ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام، فإنْ لم يعرف للسلطان دخل حلال فهو سُحت محض، وإنْ لم يعلم ففيه خلاف، منهم من قال: الحرام فيه غالب فلا يجوز، ومنهم من قال: كل ما لا أتيقن بحرمته فلي أن آخذه. والمختار أنّ الغالب إنْ كان حرامًا حرم، وإنْ كان الأغلب حلالًا وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا كما سبق.

واحتج المجوّزون بأخذ بعض من الصحابة من مروان[١] ويزيد[٢] ومن عبدالملك[٣]، وبعض من التابعين كالشعبي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى، وأخذ الشافعي من الرشيد[٤] ألف دينار دفعة واحدة، وأخذ مالك من الخلفاء أموالًا جمة. وكان الحسن والحسين يقبلان جوائز معاوية.

وأما امتناع آخرين فيدلّ على الورع دون الحرمة. وأجيب: بأن الآخذين أكثر من الممتنعين فإنّ وجه الرّد بالورع، فكذا الأخذ يوجه بأحد أمور ثلاثة: إذْ الاحتمالات أربعة:

الأول: أنْ لا يأخذ من مالهم شيئًا وهو أشد الورع.

الثاني: أن يأخذ مما يعلم أنّه من جهة حلال، وعلى هذا يحمل ما نقل عن الصحابة والتابعين.

الثالث: أن يأخذ ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين، فإنّه مال لا يتعيّن مالكه، والسلطان لا يصرفه في محله، فالأخذ منه وتفريقه في محله أولى من تركه في يده، وعلى هذا يحمل أخذ كثير من السلف.

الرابع: أن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال ويستنفق، وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين، ولم يكن أكثر مالهم حرامًا. ولهذا قال عليّ رضي الله عنه: خذ ما أعطاك السلطان فإنّ ما يأخذه من الحلال أكثر. وأما مال السلاطين في زماننا هذا إمّا حرام كلها أو أكثرها، إذْ الظلم تداخل جميع أموالهم أو أكثرهم. وأيضًا كان السلاطين في العصر الأول يتقلدون المِنّة بأخذ الصحابة والتابعين أموالهم، وهم يأخذون من غير إذلال وسؤال، ولا هم يسكتون عن الحق لأجل عطائهم. وفي زماننا هذا انعكس الأمر كله فيؤدي القبول إلى المعصية.

النظر الثاني: في قدر المأخوذ وصفة الأخذ. واعلم أنّ تصرف السلطان في أموال المصالح كأربعة أخماس الفيء والمواريث صحيحة، فله أنْ يعطي ما شاء لمن شاء. وأما مصارفها فالغنيّ ليس منهم إذْ لم يكن فيه مصلحة للناس، بل المصرف من فيه مصلحة عامة أو محتاج إلى الكسب. فكل من يتولى أمرًا بقوم يتعدى مصلحته إلى المسلمين فلو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه، فله في بيت المال حق الكفاية، ومنهم العلماء النافعون كالفقهاء والمحدّثين والمفسرين والقرّاء، بل المعلمون والمؤدّبون وكذا طلبة هذه العلوم، وكذا زواري[٥] العلماء المذكورين فإنّهم

---

(١) مروان: هو الخليفة الأموي مروان بن الحكم.

(٢) يزيد: هو الخليفة الأموي يزيد بن معاوية.

(٣) عبدالملك: هو الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان.

(٤) الرشيد: هو الخليفة العباسي هارون الرشيد.

(٥) كذا في الأصل. وفي النسخة المصرية: زراري.

إنّ لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب.

وأيضًا الدين والملك توأمان، فيدخل فيهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم، ومنهم عمال بيت المال والأجناد الحارسون للملكة، ويدخل فيهم الحُسَّاب والكُتَّاب والوكلاء لأعمال المال الحرام، بل عمال بيت المال على حسب الشرع، ويدخل فيهم الأطباء أيضًا لأنّ لهم مدخلًا في صحة الجسد الذي لا يتم أمر الدين إلّا به، لكن من يعالج المسلمين بغير أجرة، وهؤلاء المصارف يجوز أن يعطوا مع الغنى. وكذا للسلطان أن يخص واحدًا بقدر ما شاء، لكن ينبغي أن يراعي فيه المصلحة إذْ مهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث الناس وتحريضهم على الاشتغال والتشبه به، هذا في السلطان العامل على وجه الحق. وأما الظلمة ففيهم أمران:

أحدهما: أنّه بظلمه إمّا معزول أو واجب العزل، فكيف يجوز أن يؤخذ من يده.

ثانيهما: أنه يمنع بعض المستحقين فلا يجوز الأخذ للبواقي أصلًا، وان جاز فبقدر حصتهم.

والجواب عنه، أمّا عن الأول فلأنّ السلطان مهما عسر استبداله وكان في خلعه فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه والطاعة. وأيضًا إنّا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفًا إلى مزايا المصالح، ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأسًا، فكيف نفوت رأس المال في طلب الربح، بل الولاية الآن لا تسع إلّا الشوكة أو من بايعه صاحب الشوكة وهو الخليفة، فمن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم، والقضاة في أقطار الأرض ولاة نافذوا الأحكام. وأمّا عن الثاني ففيه أربع مراتب: فغلا بعضهم وقال: المسلمون كلهم فيه شركاء، ولا يدري أنّ حصته منه دانق أو حبّة فليترك الكل. وقال قوم: له أن يأخذ قوت يومه إذْ الضرورة تندفع بهذا. وقال قوم: له قوت سنة فإنْ أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فلا يتركه. وقال قوم: يأخذ ما يعطى، والمظلوم هم الباقون، وهذا هو القياس لأنّ اشتراك هذا المال بين المسلمين ليس بطريق التعيين، وإلّا للزم الإرث فيمن مات قبل القبض، وإنّما يتعين بالقبض فلا يسقط الباقي بظلم السلطان للبعض منهم.

المطلب السابع:

في حكم مخالطة السلاطين، وذلك لا يخلو عن أحوال ثلاثة:

الحالة الأولى: أن تدخل عليهم فهي مذمومة شرعًا، وفيه تشديدات وتغليظات تواردت بها الأخبار والآثار. ثم إنّ في الدخول ما يحرم وما يكره وما يباح بسبب أمور ثلاثة: إمّا بفعله وإما بسكوته وإمّا بقوله.

أما الأول: فلأن الأكثرين دارهم مغصوبة فيحرم الدخول فيها بغير إذن المالك، وإنْ لم تكن داره حرامًا فلا يعصى بالدخول والسلام، ولكن إنْ سجد أو ركع أو مثل قائمًا في سلامه وخدمته كان مكرمًا للظالم فيكون عاصيًا، والتواضع لغني غير ظالم معصية. وفي الخبر: نقص ثلثا دينه فكيف بالظالم. وأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية إلّا عند خوف، أو لإمام عادل أو لعالم، أو لمن يستحق ذلك بأمر ديني. قبّل أبو عبيدة بن الجراح[1] يد عمر رضي الله عنه فلم ينكر عليه. فإن ترك جميع ذلك واقتصر بالسلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم، وإذا كان أغلب أموالهم حرامًا فلا

(١) أبو عبيدة بن الجراح: هو ابو عبيدة بن الجراح، عامر بن عبدالله بن الجراح بن ربيعة. توفي عام ١٨هـ في طاعون عمواس بالشام زمن الخليفة عمر رضي الله عنه. صحابي جليل، لقبه النبي ﷺ بأمين الأمة.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٧، ابن سعد ٣/ ٢٩٧، حلية الأولياء ١/ ١٠٠، الاستيعاب ٥/ ٢٩٣، الإصابة ٢/ ٢٥٢.

يجوز الجلوس على بساطهم.

وأما الثاني: وهو السكوت فإنّه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرام والأواني الحرام والملبوسات المحرمة عليهم وعلى غلمانهم، بل يسمع منهم الفحش والكذب وأمثالهما، فالسكوت على جميع ذلك حرام. فإنْ ترخّص بأنّه يخاف فهلّا عمل بالعزيمة في عدم الدخول، اللهم إلّا إذا أكره على الدخول أيضًا.

وأما الثالث: وهو القول فهو أن يدعو له ويثني عليه أو يصدّقه فيما يقول من باطل بتصريح أو بتحريك رأس، أو باستبشار في وجهه، أو يظهر له الحب والاشتياق والحرص على طول عمره وبقائه، وكل ذلك حرام وقعت فيه الأخبار والآثار، فلا يجوز الدخول عليهم إلّا لعذرين: أحدهما: الإكراه، وعلم أنه لو امتنع أوذي، أو نزع العوام نفسهم عن طاعة الأمراء لاقتدائهم بامتناعه. وثانيهما: أن يدخل لدفع ظلم عن نفسه أو عن غيره بشرط أنْ لا يكذب ولا يثني ولا يدع النصيحة بتوقع قبولها.

الحالة الثانية: أن يدخل عليك السلطان الظالم زائرًا فيجب السلام. وأما القيام فإنْ كان بجمع كثير يقوم لرعاية حشمة الولاة بين الرعايا فإنّ ذلك مهم، وإن كان في خلوة فيجوز القيام مكافأة لما وقع من الإكرام، ولكن الأولى أنْ لا يقوم ليظهر به عز الدين وحقارة الظلم، ويظهر به غضبه للدين والإعراض عمن أعرض الله عنه، ثم يخوف فيما يرتكبه من المعاصي ويرشده إلى طريق المصلحة والإرشاد إلى ما هو غافل عنه بما يغنيه عن الظلم.

الحالة الثالثة: أنْ يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب، إذْ لا سلامة إلّا فيه، ولا يستخبر عن أحوالهم، ولا يتقرب إلى المتصلين بهم، فإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال أبو حاتم[1] الأصم[2]: إنما بيني وبين الملوك يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته، وأنا وإياهم من غدٍ على وجل، وإنما هو اليوم، فما عسى أن يكون في اليوم.

ولا بدّ أن تكون الجناية على الله فوق الجناية على نفسك، فيجب أن لا تحب. وما يقال: المحبة غير اختياري فليس كذلك، لأنّ المحبة فرع معرفة الكمال. فمن أحبّ الله تعالى أحب ما أحبه وكره ما أبغضه، وإن احتججت بدخول السلف عليهم فنقول لك ادخل كما دخلوا لكنه قريب من المحال في حقنا. أين نحن من أحوالهم! لأنهم كانوا يعاتبونهم ويعظونهم ولا يخافون في الحق لومة لائم، ونحن نتقرّب إلى قلوبهم فندلّهم على الرُّخص فيما يوافق أغراضهم، وإن لنا في ذلك غرورين يغترّ بهما الحمقاء.

أحدهما: أن يظهر أن قصدي إصلاحهم بالوعظ، وإنما الباعث لهم الشهرة، وربما تلبس أنفسهم بذلك عليهم، وليمتحن بأنّه لو تولاه غيره لفرح به ويشكره على كفايته هذا المهم.

وثانيهما: أنْ يزعم أنه يقصد الشفاعة لمسلم لدفع ظلامة، وهذا أيضًا مظنة الغرور ومعياره ما تقدّم.

المطلب الثامن:

اذا بعث إليك السلطان مالًا لتفرقه على

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) أبو حاتم الأصم: حاتم بن عنوان الأصم، أو حاتم بن يوسف، أبو حاتم بن عنوان بن يوسف، المعروف بالأصم. ولد بخراسان وتوفي عام ٢٣٧هـ/ ٨٥١م. زاهد، صوفي، اشتهر بالورع والتقشف، له حكم ومواعظ، وكان يلقب بلقمان هذه الأمة.

الاعلام ٢/ ١٥٢، اللباب ١/ ٥٧، وفيات الأعيان ٢/ ٢٦، حلية الأولياء ٨/ ٧٣، شذرات الذهب ٢/ ٨٧، صفة الصفوة ٤/ ١٣٤.

الفقراء: فإنْ كان له مالك معيّن فلا يحلّ أخذه، وإلّا فيجوز أن تتولى بها؛ لكن اشترط بعضهم الأمان عن ثلاث غوائل:

الأولى: أن يظنّ السلطان حِلّ ماله بأخذك.

الثانية: أن يقتدي بك غيرك ويستدلّ بذلك على جوازه، ثم لا يفرقون فهذا أعظم من الأول، كما يستدلون بأخذ الشافعي على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على هذه النية.

الثالثة أن يتحرك قلبك إلى نفسه لتخصيصه إياك وإيثاره لك، وهذا هو السُّمّ القاتل، فإنّك إنْ أحببته تحرص عليه وتداهن فيه. ومما ينبغي أن يعلم أنه يجب الاحتراز عن معاملتهم لأن أكثر مالهم حرام، وكذا عن معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمتهم إذْ أكثر أموالهم الغصب. فمن أين يقع في أيديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال حتى تضعف شبهة الحرام باختلاط الحلال بمالهم.

وأيضًا الأسواق التي بنى السلاطين بالمال الحرام تحرم سكناها، وإنْ لم يحرم كسبه. فإنْ وجدوا سوقًا آخر فلا يشترى منهم فإنّ ذلك إعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم. ومنهم من بالغ وجعل كسبهم حرامًا وليس كذلك.

وأما القناطر من مالهم فلا يجوز العبور عليها إلّا للحاجة، والورع الاحتراز ما أمكن.

وأما المساجد فإنْ كان بناؤها وآلاتها مغصوبة أو من مال لا يعرف مالكه فلا يجوز الصلاة فيها ولا الجمعة، وإنْ أمكن اقتداء الإمام من خارج فليفعل، فالورع العدول إلى مسجد آخر إنْ وجد وإلّا فلا يترك الجمعة والجماعة، ولينظر إلى احتمال أنْ يكون من مال بانيه أو أنْ لا يكون له مالك معيّن، وكذا السقاية من مال حرام، والورع الاحتراز عنها، إلّا إذا خاف فوت الصلاة فيتوضأ.

وأما الرباطات والمدارس فإنْ كانت في الأرض المغصوبة لا يرخص للدخول فيها، وإنْ التبس فقد أرصد لجهة من الخير فالورع اجتنابه، لكن لا يفسق مرتكبه. وهذه الأبنية إنْ صدرت عن خدم السلطان فالأمر فيها أشد، إذْ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح مع غلبة الحرام على أموالهم، إذْ ليس لهم أخذ مال المصالح. وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر. والكلام في هذا يطول، والله أعلم.

علم الحيل الساسانية(*)

وهو علم يعرف به طريق الاحتيال في جلب المنافع وتحصيل الأموال. والذي باشرها يتزيى في كلّ بلدة بزيّ يناسب تلك البلدة بأنْ يعتقد أهلها في أصحاب ذلك الزي، فتارةً يختارون زيّ الفقهاء، وتارةً يختارون زيّ الوُعاظ، وتارةً يختارون زيّ الصوفية، وتارةً يختارون زيّ الأشراف إلى غير ذلك. ثم هم يحتالون في خداع العوام بأمورٍ تعجز العقول عن ضبطها. منها ما حكي واحد أنه رأى في جامع البصرة قردًا على مركب مثل ما يركبه أبناء الملوك، وعليه ألبسة نفيسة نحو ملبوساتهم وهو يبكي وينوح، وحوله خدم يتبعونه ويبكون، ويقولون: يا أهل العافية: اعتبروا بسيّدنا هذا، فإنه كان من أبناء الملوك، عشق امرأةً ساحرة وبلغ حاله بسحرها إلى أنْ مُسخ إلى صورة القرد، وطلبت منه مالًا عظيمًا لتخليصه من هذه الحالة، والقرد في هذا الحال يبكي بأنين وحنين، والعامة يرقّون عليه ويبكون. وجمعوا لأجله شيئًا كثيرًا من الأموال، ثم فرشوا له في الجامع سجادةً فصلّى عليها ركعتين، ثم صلّى الجمعة مع الناس، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعة بتلك الأموال العظيمة. وأمثال هذه الحيل كثيرة منهم[1]. وكتاب المختار

(*) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) قلت: ذكر هذه الحكاية أيضاً في تاريخ مير خوند. (هامش الأصل).

في كشف الاستار[١] بالغ في كشف هذه الأسرار.

علم الحيوان(*)

وهو علم باحث عن خواص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها. وموضوعه جنس الحيوان البرّي والبحري والماشي والزاحف والطائر وغير ذلك. والغرض منه التداوي والانتفاع بالحيوانات والاحتماء عن مضارها، والوقوف على عجائب أحوالها وغرائب أفعالها. مثلًا في غرب الأندلس حيوان، إذا أكل الانسان أعلاه أعطي بالخاصية علم النجوم. وإذا أكل وسطه أعطي علم النبات. وإذا أكل عجزه وهو ما يلي ذنبه أعطي علم المياه المغيبة في الأرض، فيعرف اذا أتى أرضًا لا ماء فيها على كم ذراع يكون الماء فيها. وقد صنف فيه كمال الدين الدميري[٢] تصنيفًا حسنًا مطولًا ومختصرًا وقد عرفته. ورأيت مختصرًا مسمّى بخواص الحيوان[٣] وهو كافٍ في هذا الباب، إلّا أني لم أعرف مصنفه.

علم خط العروض(**)

وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر واعتمادهم في ذلك على ما يقع في السمع دون المعنى، إذْ المعتدّ به في صنعة العروض إنما هو اللفظ، لأنهم يريدون به عدد الحروف التي يقوم بها الوزن متحركًا وساكنًا، فيكتبون التنوين نونًا ساكنة ولا يراعون حذفها في الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، ويحذفون اللام مما يدغم فيه في الحرف الذي بعده، كالرحمن والذاهب والضارب، ويعتمدون في الحروف على أجزاء التفعيل، فقد ينقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء كما في قول الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلًا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فيكتبونه على هذه الصورة.

ستبدى لكالأ ييا مما كن تجاهلن
ويأتي كبلا خبار منلم تزوودى

قال في الكشاف: وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء، ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الخط. وكان اتباع خط المصحف سُنَّة لا تُخالف. وقال عبدالله بن درستويه[٤] في كتابه المترجم بكتاب: الكتاب المتمم: في الخط والهجاء خطان لا يقاسان: خط المصحف لأنه سُنَّة وخط العروض

(١) المختار في كشف الأسرار وهتك الاستار في علم الحيل. للشيخ الامام عبدالرحمن بن ابي بكر الحوبري الدمشقي. كشف الظنون ٢/ ١٦٣٣.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) كمال الدين الدميري: هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين. ولد عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م وتوفي عام ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م. باحث، أديب، من فقهاء الشافعية. له عدة مؤلفات.
الاعلام ٧/ ١١٨، الفوائد البهية ٢٠٣، الضوء اللامع ١٠/ ٥٩.

(٣) حول خواص الحيوان هناك كتب كثيرة منها: حياة الحيوان للجاحظ (ـ٢٥٥هـ) اختصره أبو القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد (ـ٦٠٨هـ). وكذلك حياة الحيوان للدميري (ـ٨٠٨هـ) وعليه مختصرات كثيرة. كشف الظنون ١/ ٦٩٥، ٦٩٦.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق باملاء الحروف المفردة، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) عبدالله بن درستويه: هو عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه بن المرزبان، أبو محمد. ولد عام ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. وتوفي ببغداد عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م من علماء العربية. له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٧٦، بغية الوعاة ٢٧٩، وفيات الاعيان ١/ ٢٥١، تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٨.

لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه.

واعلم أنّ خط العروض وإن كان من أنواع علم الخط، لكن لما كان من فروع علم العروض أيضًا أخرنا تفصيله وتفصيل ما فيه من المصنفات إلى هناك، والمسؤل من الله تعالى الوصول إلى هذا السؤل، إنّه أكرم مسؤل ومعطي كلّ مأمول.

علم خط المصحف(*)

على ما اصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عند كتابة المصحف، عند جمع القرآن الكريم، على ما اختاره زيد بن ثابت رضي الله عنه. ويسمّى الاصطلاح السلفي أيضًا. وهذا العلم وإنْ كان من فروع علم الخط من حيث كونه باحثًا عن نوع من الخط، لكنا نبحث عنه في علوم تتعلّق بالقرآن الكريم، ونفصله هناك إن شاء الله تعالى. وإنما تعرضنا له هاهنا تتميمًا للأقسام[1].

علم الخلاف(**)

وهو علم باحث عن وجوه الاستنباطات المختلفة من الأدلة الإجمالية والتفصيلية، الذاهب إلى كلٍّ منها طائفةٌ من العلماء، أفضلهم وأمثلهم أبو حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، ومن أصحابه أبو يوسف ومحمد وزفر، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم. ثم البحث عنها بحسب الإبرام والنقض لأي وضع أريد في تلك الوجوه.

ومباديه مستنبطة من علم الجدل. فالجدل بمنزلة المادة، والخلاف بمنزلة الصورة. وله استمداد من العلوم العربية والشرعية.

وغرضه تحصيل ملكة الإبرام والنقض.

وفائدته دفع الشكوك عن المذهب وإيقاعها في المذهب المخالف.

وقد أورد علم الخلاف والجدل الإمام فخر الدين الرازي في: كتاب المعالم. وقد جمع بعض العلماء في علم الخلاف المسائل العشرين، وبعضهم الأربعين وغير ذلك من الرسائل والتعليقات، لكن قد ضاعت كتبه وانطمست آثاره، وبطلت معالمه في زماننا هذا، حتى أنّ طلبة زماننا لا يتفطنون الفَرْق بين الخلاف والجدل والمناظرة، فضلًا عن معرفة شيء من كتبها، فضلًا عن اطلاع بعض مسائلها، وإلى الله المشتكى من زمان صار الكلام فيه كلامًا بلا أثر، والخلاف خلافًا بلا ثمر، والأصول فضولًا والمعقول مغفولًا.

اعلم أنّ أول من أخرج علم الخلاف في الدنيا أبو زيد الدبوسي[2]، بتخفيف الباء الموحدة، الحنفي، وهو عبيدالله بن عمر بن عيسى. له كتاب الأسرار وكتاب تقويم الأدلة، كلاهما من أصول الفقه. قال الذهبي: كان ممن يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج. وله: كتاب الأمد الأقصى أيضًا. ودبوسة قرية بين بخارى وسمرقند. توفي ببخارى سنة ثلاثين وأربع مائة. وقيل يوم الخميس منتصف جمادى الآخرة سنة اثنين وثلاثين، وهو ابن ثلاث

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق باملاء الحروف المفردة، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) يعني أنه حين قسّم علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية الى شعب، خصّ الشعبة الثانية بكل ما يتعلق باملاء الحروف المفردة، وجعل منها علم خط المصحف.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس، ضمن علوم الدوحة الثالثة في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢١٧/١، تاج التراجم ٢٦، وما بعدها، البداية ٤٦/١٢، اللباب ٤١٠/١، الجواهر المضية ٣٣٩/١.

وستين. ناظر مرة رجلًا فجعل الرجل يتبسم ويضحك، فأنشد أبو زيد لنفسه:

ما لي إذا ألزمته حجة
قابلني بالضحك والقهقهة
إنْ كان ضحك المرء من فقهه
فالضَّبّ في الصحراء ما أفقهه

قلت ويروى بالضحك والتبسمة. فالضب في الصحراء ما أفهمه.

اعلم أنه يمكن جعل علم الجدل والخلاف من فروع علم أصول الفقه، وستعرفه إن شاء الله تعالى الكريم، وهو حسبي ونعم الوكيل، والهادي إلى سواء السبيل.

علم الخلاف(*)

وهو الجدل الواقع بين أصحاب المذاهب الفرعية كأبي حنيفة والشافعي وأمثالهما. والفرق بينه وبين علم الجدل بالمادة والصورة. فإنّ الجدل بحث عن مواد الأدلة الخلافية، والخلاف بحث عن صورها. وقد خرَّج العلماء بعضها مسائل عشرة من الخلافيات وبعضها المسائل العشرين إلى الأربعين والخمسين، ليكون أنموذجًا ويعتبر بها البواقي. وأحوال هذه الفنون والتصانيف الواقعة فيها لتقدمها سابقًا تركنا فيها التطويل.

وكتاب المعالم للإمام فخر الدين الرازي جامع لهذه العلوم. وسمعت من بعض مشايخ المغاربة كتبًا كثيرة في علمي الجدل والخلاف بحيث ما سمعنا أسماءها في بلادنا فضلًا عن رؤيتها.

علم الخواص(**)

وهو علم باحث عن الخواص المترتبة على قراءة أسماء الله تعالى أو كتابه من الزبور والإنجيل والقرآن. ويترتب على كلّ من تلك الأسماء والدعوات خواص مناسبة لها.

واعلم أنّ النفس بسبب اشتغالها بأسماء الله تعالى والدعوات الواردة في كتبه المنزلة تتوجه إلى جناب القدس، وتتخلى عن الأمور الشاغلة لها عنه، فبواسطة ذلك التوجّه والتخلي تفيض عليها آثار وأنوار تناسب استعدادها الحاصل لها بسبب اشتغال الأمور المذكورة. ومن هذا القبيل الاستعانة بخواص الأدوية بحيث يعتقد الرائي أنّ ذلك لفعل السحر. كما يحكى أنّ كنيسة ببلاد الروم عمل في جدرانها الأربعة وسقوفها وأرضها ست حجارة من المقناطيس، متساوية في القدر، وجعل في هوائها صليب من حديد بمقدار ما يتساوى فيه جذب تلك الحجارة الستة، بحيث إنّه لا يغلب حجر منها بقيتها في الجذب[١]، فلزم من ذلك وقوف الصليب في الهواء دائمًا من غير آلة تمسكه ظاهرًا، فافتتن به قوم من النصارى.

علم خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة(***)

واعلم أنّ كنكة الملك من حكماء الهند استنبط الأعداد المتحابة، وذكر أنّها إذا وضعت في طعام أو شراب أو غير ذلك مما يستعمله شخصان تألّف بينهما محبة عجيبة. وإنْ رسمتها على ثوبك لم يفارقك. والعدد الأصغر منها (كر)، والعدد الأكبر منها (دفر)، وترسمها برسم

(*) يتبع هذا العلم المطلب السادس في فروع علم أصول الفقه، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) واعلم ان للمغناطيس قوة تجذب المسامير عن السفن. (هامش الأصل).

(***) يتبع هذا العلم الشعبة التاسعة في فروع علم العدد، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

قلم الغبار، وتعطي الأصغر من شئت وتأكل أنت الأكبر، فإنّ الأصغر يطيع الأكبر بخاصية ظريفة. ويستعمل في الزبيب والحب والرمان وأشباهها من الفاكهة عددًا لا رسمًا.

ثم إنّ أفلاطون الإلهي بيَّن خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة، وذكر أنّه لو كتب الأعداد المتحابة في كوز لم يمسّه الماء وشرب منه شخصان فإنّه يتولّد بينهما محبة أكيدة لم يعهد ذلك قبل. وأنّه لو روعي في الأعداد المتباغضة مثل ذلك فإنه يظهر بينهما عداوة راسخة بإذن الله تعالى.

وأما طريق استخراج الأعداد المتحابة فقد بيّن مستوفى ببراهين عددية في كتاب: تذكرة الأحباب في بيان التحاب[(١)]، وهذا كتاب نفيس يدلّ على فضل مؤلفه وعلوّ كعبه في العلوم الرياضية، ويشهد بذلك كتابه المذكور.

علم خواص الأقاليم[(*)]

وهو علم يتعرّف منه ما في كل إقليم أو بلد من المنافع والمضار والعجائب والغرائب. وهذا علم جليل ترتاح إليه النفوس. مثل ما روي أنّ ببلاد الهند وردًا مكتوبًا في الورقة منها: محمد رسول الله، رواه الذهبي في الميزان[(٢)]. ونظيره ما ذكره ابن العديم[(٣)] في تاريخه[(٤)] في ترجمة الحسن بن أحمد الوراق الخوّاص المصيصي[(٥)] أنه روى مسندًا إلى علي بن عبدالله الهاشمي[(٦)]، أنه رأى في بعض بلاد الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة، سوداء، عليها مكتوب بخط أبيض: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق عمر الفاروق. فظننت أنّه معمول، ففتحت وردة لم تفتح بعد فكان فيها مثل ذلك. وفي البلد منه شيء كثير، وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة ولا يعرفون الله عز وجل.

وحكى الشيخ اليافعي في كتابه المسمى بروض الرياحين[(٧)] عن بعض الشيوخ أنّه رأى ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرة تشبه اللوز، لها قشير، فإذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية، مكتوب عليها بالحمرة: لا إله إلّا الله محمد رسول الله، كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستسقون بها إذا منعوا من الغيث. فحدثت بها أبا يعقوب الصيّاد فقال لي: ما استعظم هذا. كنت اصطاد على نهر الأبلة، فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الأيمن أو أذنها اليمنى: لا إله إلّا الله، وعلى جنبها الأيسر أو أذنها اليسرى: محمد رسول الله، فقذفتها في الماء احترامًا لما عليها.

---

(١) لكمال الدين حسن الفارسي. وهي رسالة في الاعداد المتحابة والمتباغضة. كشف الظنون ١/ ٣٨٤.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالاعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال. في مجلدين، لشمس الدين ابي عبدالله محمد محمد بن أحمد الذهبي الحافظ (-٧٤٨هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩١٧.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) لحلب. تواريخ حلب. أول من صنف فيه على ما في الدرر الحبب، كمال الدين أبو حفص عمر بن أبي مزادة عبدالعزيز المعروف بابن العديم الحلبي (-٦٦٠هـ).
كشف الظنون ١/ ٢٩١.

(٥) لم يعثر له على ترجمة.

(٦) علي بن عبدالله الهاشمي: هو علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي، أبو محمد. ولد يوم قتل الامام علي رضي الله عنه. فسمي باسمه. وتوفي بالشام عام ١١٨هـ. من عباد اهل المدينة. وكان يصلي في اليوم ألف ركعة.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٠٧، الثقات ٥/ ١٦٠، الجمع ١/ ٣٥٩، التهذيب ٧/ ٣٥٧، التقريب ٢/ ٤٠.

(٧) روض الرياحين في حكايات الصالحين لعبدالله بن اسعد اليافعي اليمني (-٧٦٨هـ). كشف الظنون ١/ ٩١٨.

قلت: سمعت من أثق به، أنه يروي عمن يثق به، أنه رأى جرادة في إحدى جناحيها: لا إله إلّا الله، وفي الأخرى محمد رسول الله. وأمثال هذه الغرائب والعجائب في الآفاق، خارج عن إحاطة الأوراق. سبحان مبدعها ومخترعها جلّ جلاله وعمّ نواله. وكتاب عجائب المخلوقات[(١)] للقزويني[(٢)] أتى بالعجب العجاب. وكتاب آخر في هذا الباب أحسن من كتاب القزويني لكني لم أتذكر أسمه، ثم سألت عنه واحدًا من أصحابي فقال: إنه خريدة العجائب[(٣)] لابن الوردي[(٤)]. وفيها كتاب آخر. ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق[(٥)] للشريف الصقلي[(٦)]، وتقويم البلدان[(٧)] لياقوت الحموي[(٨)] وغير ذلك.

علم خواص الحروف[(*)]

واعلم أنّ للحروف المذكورة في فواتح السّور بل للحروف مطلقًا خواص جليلة، ومنافع جزيلة، يعرفها أهلها. وقد أورد هذا العلم الشيخ عبدالرحمن البسطامي في كتبه المؤلفة في هذا الشأن.

علم الخواص الروحانية من الأوفاق العددية والحرفية والتكسيرات العددية والحرفية[(**)]

وهو علم باحث عن كيفية تمزيج الأعداد أو الحروف على التناسب والتعادل، بحيث يتعلّق بواسطة هذا التعديل أرواح متصرفة، تؤثر في القوابل حسب ما يراد ويقصد من ترتيب الأعداد والحروف وكيفياتها. وموضوعه الأعداد أو الحروف. وغايته الوصول إلى المطالب الدينية أو الدنيوية أو الأخروية. وغرضه وغايته وفائدته لا تخفى. وكتب عبدالرحمن المغربي نافعة في هذا الباب، وكذا كتب الشيخ أحمد البوني، وغير

---

(١) لزكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني (-٦٨٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٢٧.

(٢) القزويني: هو زكريا بن محمد بن محمود. من سلالة أنس بن مالك الانصاري البخاري. ولد عام ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م. وتوفي عام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م. مؤرخ جغرافي، من القضاة. له عدة كتب
انظر عنه: الاعلام ٣/ ٤٦، كشف الظنون ١/ ٩، الخطط التوفيقية ١٠/ ٨٣، آداب اللغة ٣/ ٢٢٢، معجم المطبوعات ١٥٠٧.

(٣) خريدة العجائب وفريدة الغرائب لزين الدين عمر بن المظفر ابن الوردي (-٧٤٩هـ). كشف الظنون ١/ ٧٠١.

(٤) ابن الوردي: هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس، ابو حفص، زين الدين ابن الوردي المصري الكندي. ولد عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م. وتوفي عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. شاعر، أديب، مؤرخ، له عدة كتب:
انظر عنه: الاعلام ٥/ ٦٧، إرشاد الأريب ٦/ ٥٤.

(٥) نزهة المشتاق في اختراق «في اخبار» الآفاق، للشريف محمد بن محمد الادريسي الصقلي (-٥٦٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٤٧.

(٦) الشريف الصقلي: هو محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الادريسي الحسين الطالبي، ابو عبدالله ولد عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م وتوفي عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م. مؤرخ، جغرافي، عالم له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٤، الوافي بالوفيات ١/ ٦٣، آداب اللغة ٣/ ٨٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٥٤٧.

(٧) معجم البلدان للشيخ أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (-٦٢٦هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٧٣٣.

(٨) ياقوت الحموي: هو ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، أبو عبدالله، شهاب الدين. ولد عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م. وتوفي عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م. مؤرخ، ثقة، عالم جغرافي وأديب. له عدة تصانيف. انظر عنه:
الاعلام ٨/ ١٣١، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٠، آداب اللغة ٣/ ٨٨، مرآة الجنان ٤/ ٥٩.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

ذلك من المشايخ.

وهذا العلم يمكن جعله من فروع علم الحساب من حيث ترتيب الأعداد، ومن فروع علم الهندسة من جهة تعديل تلك الأعداد أو الحروف في الجداول الوفقية. لكن لما أمكن جعله من خواص الحروف باعتبار جعل الوفق حرفيًا، ذكرناه في علم الحروف التي هي من خواص القرآن.

علم دراية الحديث(*)

وهو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد منها، مبتنيًا على قواعد العربية وضوابط الشريعة، ومطابقًا لأحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وموضوعه أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من حيث دلالتها على المعنى المفهوم أو المراد.

وغايته التحلّي بالآداب النبوية والتخلّي عما يكرهه وينهى عنه.

ومنفعته أعظم المنافع كما لا يخفى على المتأمّل.

ومباديه العلوم العربية كلها، ومعرفة القصص والأخبار المتعلقة بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومعرفة الأصلين والفقه وغير ذلك.

واعلم أنّ قصارى نظر أبناء هذا الزمان في علم الحديث النظر في مشارق الأنوار[١] للصاغاني[٢]، فإنْ ترفعت إلى مصابيح[٣] البغوي خلت أنّها تصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلّا لجهلهم بالحديث. بل لو حفظهما عن ظهر قلب وضم إليهما من المتون مثليهما لم يكن محدّثًا حتى يلج الجملُ في سمّ الخياط. وإنما الذي يعده أهل هذا الزمان بالغًا إلى النهاية وينادونه محدّث المحدثين وبخاري العصر من اشتغل بجامع الأصول[٤] لابن الأثير، مع حفظ علوم الحديث، كمختصر[٥] ابن الصلاح أو التقريب والتيسير للنووي،[٦] ونحو ذلك. إلّا أنه ليس في شيء من رتبة المحدثين، وانما المحدث من عرف الأسانيد والعلل، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضمَّ إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته. فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطبقات، وزاد على الشيوخ وتكلّم في العلل والوفيات والأسانيد، كان في أول درجات المحدثين. ثم يزيد الله

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة من العلوم الشرعية من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) مشارق الأنوار النووية من صحاح الأخبار المصطفوية للامام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني (-٦٥٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٨٨.

(٢) الصاغاني: هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغاني الحنفي رضي الدين. ولد بلاهور (الهند) عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. وتوفي ببغداد عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. من علماء العربية، فقيه، محدث. له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢١٤، الفوائد البهية ٦٣، النجوم الزاهرة، ٧/ ٢٦، الجواهر المضية ١/ ٢٠١، آداب اللغة ٣/ ٤٩.

(٣) مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (-٥١٦هـ) كشف الظنون ٢/ ١٦٩٧.

(٤) جامع الأصول لأحاديث الرسول لأبي السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري الشافعي (-٦٠٦هـ). كشف الظنون ١/ ٣٥.

(٥) ادب المفتي والمستفتي، مختصر ابن الصلاح، للشيخ تقي الدين ابي عمرو عثمان بن عبدالرحمن المعروف بابن الصلاح الشهرزوري الشافعي (-٦٤٣هـ). كشف الظنون ١/ ٤٨.

(٦) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في اصول الحديث للشيخ الامام محي الدين يحيى بن شرف النووي (-٦٧٦هـ). كشف الظنون ١/ ٤٦٥.

سبحانه وتعالى من يشاء ما يشاء. هذا ما ذكره تاج الدين السبكي رحمه الله.

والكتب المصنفة في علم الحديث أكثر من أن تحصى، وأوفر من أن تستقصى. إلّا أنّ السلف والخلف قد أطبقوا قاطبة على أن أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى كتاب: صحيح البخاري ثم صحيح مسلم، ثم الموطأ، ثم بقية الكتب الستة وهي: سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وسنن الدارقطني. والمسندات المشهورة كمسند أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار، ونحوها. ولنذكر ها هنا أصحاب الكتب الستة ومن يحذو حذوهم على وجه الاختصار لنتشرّف بذكرهم، ويفيض علينا من بركاتهم، قدوة الدين وشيوخ الاسلام، وحُفّاظ السُّنة، وخزنة الأحاديث، يتبرك بأسمائهم، ويظنّ استجابة الدعاء عند ذكر أوصافهم، إذْ عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة.

ذكر الإمام العالم صدر الشريعة في كتابه تعديل العلوم[١] في قسم تعديل الكلام أن المشايخ أئمة الحديث مشهورون بطول الأعمار، وأنّ الفلاسفة المستهزئين بالشريعة مشهورون بقصر الأعمار. ولا شك أن طول العمر في الاسلام والعلم والعمل مظنة الخيرات والبركات، وأنّ الشيبة في الاسلام مئنة السعادات.

ذكر ابن السبكي في طبقاته الكبرى أنّ أبا سهل[٢] قال: سمعت ابن الصلاح يقول: سمعت شيوخنا رحمهم الله يقولون: دليل طول عمر الرجل اشتغاله بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويصدقه التجربة، فإنّ أهل الحديث إذا تتبعت أعمارهم تجدها في غاية الطول.

وأعلم أنّ رئيس هؤلآء الطائفة وقدوتهم بعد مالك رضي الله عنه الإمام أبو عبدالله، محمد بن اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة، الجعفي، البخاري. وإنما قيل له الجعفي لأن المغيرة أبا جده كان مجوسيًا فأسلم على يد يمان البخاري وهو الجعفي. وإلى بخارا فنسب إليه حيث أسلم على يده. وجعفي أبو قبيلة من اليمن هو جعفي بن سعد، والنسبة إليه كذلك. ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة. وتوفي ليلة الفطر، سنة ست وخمسين ومائتين. ودفن بخرتنك على فرسخين من سمرقند. وعمره إثنان وستون سنة إلّا ثلاثة عشر يومًا، ولم يعقب ولدًا ذكرًا. وكان شيخًا نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير. والبخاري الإمام في علم الحديث رحل في طلب العلم إلى جميع محدّثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر، وأخذ الحديث عن المشايخ الحفاظ، منهم مكي بن ابراهيم البلخي[٣]، وعبدالله بن موسى العبسي[٤]، وأبو

---

(١) للفاضل العلامة عبيدالله بن مسعود المعروف بصدر الشريعة البخاري الحنفي (٧٤٧هـ) جعله على قسمين الأول في الميزان والثاني في الكلام. كشف الظنون ١/ ٤١٩.

(٢) أبو سهل: هو أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الصعلوكي الحنفي. توفي عام ٣٦٩هـ. فقيه اديب، شاعر، متكلم، مفسر وصوفي، له مصنّفات. طبقات الشافعية للشيرازي ١١٥، طبقات السبكي ٢/ ١٦١، وفيات الأعيان ٣/ ٣٤٢.

(٣) مكي بن إبراهيم البلخي: هو مكي بن ابراهيم بن بشير بن فرقد، أبو السكن، التميمي الحنظلي البلخي ولد عام ١٢٦هـ وتوفي عام ٢١٤هـ. محدث، ثقة، عابد، صالح. له أخبار. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٩/ ٥٤٩، ابن سعد ٧/ ٣٧٣، الجرح والتعديل ٨/ ٤٤١، تاريخ بغداد ١٣/ ١١٥، العبر ١/ ٣٦٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٥.

(٤) عبدالله بن موسى العبسي: هو عبيد الله بن موسى بن ابي المختار، باذام، أبو محمد العبسي الكوفي. ولد عام ١٢٠هـ وتوفي عام ٢١٧هـ. عابد، محدث حافظ، ثقة، له أخبار وعدة كتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٩/ ٥٥٣، ابن سعد ٦/ ٤٠٠، العبر ١/ ٣٦٤، ميزان الاعتدال ٣/ ١٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٣، شذرات الذهب ٢/ ٢٩.

عاصم الشيباني[١]، وعلي بن المديني، وإحمد بن حنبل ويحيى بن معين[٢]، وعبدالله بن الزبير الحميدي[٣]، وغير هؤلاء من الأئمة. وأخذ عنه الحديث خلق كثير في كل بلدة حدّث بها. قال الفربري[٤]: قلت: هو بفتح الفاء وكسرها، وفتح الراء الأول وإسكان الموحدة بين الرائين، منسوبة إلى قرية من قرى بخارى: سمع كتاب البخاري عليه تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري. قال: وسمعته منه بفربر، وردّ البخاري على المشايخ وله أحد عشر سنة، وطلب العلم وله عشر سنين.

قال البخاري: خرجّت كتاب الصحيح من زهاء ست مائة ألف حديث، وما وضعت فيه حديثًا إلا بعدما استخرت الله تعالى واغتسلت وصليت ركعتين. وقال أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح. وصنفته في ستة عشر سنة، وما أدخلت فيه حديثًا إلّا بعدما تيقنت بصحته حجةً فيما بيني وبين الله تعالى. وجملة ما في كتابه الصحيح سبعة آلاف ومايتان وخمسة وسبعون حديثًا بالأحاديث المكررة، وقيل إنّها بإسقاط المكررة. أربعة آلاف حديث. وصحيح مسلم أيضًا أربعة آلاف حديث بعد حذف المكررة.

قال البخاري: أصح الأسانيد على الإطلاق مالك عن نافع[٥] عن ابن عمر. وأصح أسانيد أبي هريرة أبو الزناد[٦] عن الأعرج[٧] عن أبي هريرة رضي الله عنهم. وكان البخاري من عباد الله الصالحين، ملازمًا للورع والزهادة. رأى أبوه مالك بن أنس وعبدالله بن المبارك وحماد بن زيد[٨]. وقدم البخاري بغداد فسمع به أصحاب الحديث واجتمعوا، وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن أخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على البخاري. فحضر المجلس جماعة

---

(١) أبو عاصم الشيباني: هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن الضحاك، أبو عاصم الشيباني البصري. ولد عام ١٢٢هـ وتوفي عام ٢١٢هـ. وقيل ٢١١هـ. وقيل غير ذلك امام، حافظ، شيخ المحدثين في عصره، ثقة، له رواية واخبار. انظر عنه: سير اعلام النبلاء، ٩/ ٤٨٠، ابن سعد ٧/ ٢٩٥، الجرح والتعديل ٤/ ٤٦٣، العبر ١/ ٢٦٢، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٦.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) عبدالله بن الزبير الحميدي: هو عبدالله بن الزبير الحميدي الأسدي، أبو بكر. توفي عام ٢١٩هـ/ ٨٣٤م. امام في الحديث. له مسند. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٨٧، تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٥، الانتقاء ١٠٤.

(٤) الفربري: هو محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري، أبو عبدالله. ولد عام ٢٣١هـ. وتوفي عام ٣٢٠هـ. محدث، ثقة، عالم. له عدة مصنفات. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٥/ ١٠، الانساب ٩/ ٢٦٠، وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٠، العبر ٢/ ١٨٣، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٠. شذرات الذهب ٢/ ٢٨٦.

(٥) نافع: هو نافع بن عبدالرحمن بن ابي نعيم القارىء، ابو عبدالرحمن. توفي عام ١٦٩هـ من كبار قراء المدينة وعالم بالقراءات وعلوم القرآن. انظر عنه: مشاهير علماء الامصار ٢٢٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٢، العبر ١/ ٢٥٧، شذرات الذهب ١/ ٢٧٠.

(٦) أبو الزناد: هو ابو الزناد عبدالله بن ذكوان، ابو عبدالرحمن. توفي عام ١٣١هـ. من فقهاء المدينة وعبادهم. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢١٥، الجمع ١/ ٢٥٠، التقريب ١/ ٤١٣، التهذيب ٥/ ٢٠٣.

(٧) الأعرج: هو حماد بن زيد بن درهم الأزرق، ابو اسماعيل. ولد عام ٩٨هـ وتوفي عام ١٧٩هـ. من الحفاظ الورعين، محدث وقارئ. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ٢٤٨، طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٦، التقريب ١/ ١٩٧، حلية الأولياء ٦/ ٢٥٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٨، البداية والنهاية ١٠/ ١٧٤.

(٨) حماد بن زيد: هو حماد بن زيد بن درهم الازدي الجهضمي، ابو اسماعيل البصري. توفي عام ٢٧٩هـ. محدث، ثقة، فقيه، له كتب. انظر عنه: تقريب التهذيب ١٧٨.

من أصحاب الحديث، فلما اطمأن المجلس بأهله، انتدب إليه رجل من العشرة، فسأله من حديث من تلك الأحاديث فقال: لا أعرفه. فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه. ثم وثم إلى أن فرغ من العشرة. ثم انتدب رجل آخر فجرى معه مثل ما جرى مع الأول، إلى أن تمت العشرة الرجال، كل ذلك يقول لا أعرفه. فأما العلماء فعرفوا بإنكاره أنه عارف. وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك منه. ثم التفت البخاري إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، والثاني كذا، على النسق إلى آخر العشرة. فردّ كلّ متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه. ثم فعل بالباقين مثل ذلك. فأقرّ له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل. قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني[١]: محمد بن إسمعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل. فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحدّ. فقال مصعب: لو أدركت مالكًا ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن اسمعيل لقلت: كلاهما واحد في الفقه والحديث. وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت بخارا مثل محمد بن إسمعيل البخاري. وقال إنتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان، وذكر منهم البخاري. وقال رجاء بن مرجي[٢]: فضل محمد بن اسمعيل البخاري على العلماء كفضل الرجال على النساء. فقال له رجل: يا أبا محمد: كل ذلك. قال: هو آية من آيات الله تعالى يمشي على ظهر الأرض. وقال محمد بن إسحاق: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسمعيل البخاري.

وسبب مفارقته بخارى على ما رواه أبو سعيد بن منير[٣] قال بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي[٤] والي بخارى إلى البخاري أن احمل إليَّ كتاب الجامع والتاريخ لأسمع منك. فقال لرسوله: أنا لا أذلّ العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس. فإنْ كانت لك إلى شيء حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، وإنْ لم يعجبك هذا مني فأنت سلطان، فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، فإني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار»[٥]. وقال غيره: إنّ خالدًا سأله أن يحضر منزله فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده فامتنع عن ذلك. فراسله أنْ يعقد مجلسًا يخصّ أولاده فامتنع عن ذلك أيضًا، وقال: لا يسعني أنْ أخصّ بالسماع قومًا دون قوم. فاستعان خالد بعلماء بخارى عليه حتى تكلّموا في مذهبه، ونفاه عن البلد. فدعا عليهم البخاري فاستجيب، ووقعوا بعد زمان يسير في البلايا.

قال عبدالقدوس السمرقندي[٦]: جاء البخاري إلى أقربائه بخرتنك، فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ عن صلاة الليل يدعو ويقول:

---

(١) أبو مصعب احمد بن ابي بكر المديني: هو أحمد بن ابي بكر بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبدالرحمن بن عوف ابو مصعب الزهري المدني أو المديني. توفي عام ٢٤٢هـ. محدث، صدوق، فقيه، له فتوى. انظر عنه: تقريب التهذيب ٧٨.

(٢) رجاء بن مرجي: هو رجاء بن مُرَجّي الغفاري المروزي. توفي عام ٢٤٩هـ. نزيل سمرقند، محدث، حافظ ثقة، يُعدّ من الطبقة الحادية عشرة. تقريب التهذيب ٢٠٨.

(٣) لم يعثر على ترجمة له.

(٤) خالد بن احمد الذهلي: هو خالد بن احمد بن خالد السدوسي الذهلي، ابو الهيثم، توفي عام ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م. من امراء العباسيين، عالم بالحديث. وله أخبار. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢٩٤، تاريخ بغداد ٨/ ٣١٤، اللباب ١/ ٤٤٧.

(٥) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، ح ٢٦٤، ١/ ٩٧، بلفظ: «الجم يوم القيامة».

(٦) عبدالقدوس السمرقندي: هو عبدالقدوس بن محمد بن عبدالكبير بن شعيب بن الحباب، العطار البصري، محدث ثقة، صدوق، يعد من الطبقة الحادية عشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٦٠.

اللهم قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. فما تم الشهر حتى قبضه الله، وقبره بخرتنك ظاهر يُزار، رحمه الله. وكانت اسم تلك القرية غير هذا الإسم. وسمي خرتنك يوم مات البخاري، فإنّ أهل سمرقند أطبقوا على أنْ يشهدوا الصلوة عليه، وعزت الحمر في الكراء، فلهذا سميت به. لأنّ خر هو الحمار بلغة الفرس، وتنك معناه الغالي.

روي أنّ الإمام أبا محمد المزني(١) أمر بكتاب الله عزّ وجلّ وبصحيح البخاري، فكتبوا له بماء الذهب من الأول إلى الآخر. قيل: إنّ الأصل الذي سمعته بهمدان كان في تسع مجلدات، فلقد عظّم كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قال أبو حفص النسفي فلما قضى البخاري نحبه سال منه من العِرْق شيء لا يوصف إلى أنْ أدرجناه في ثيابه، وقد سطع من قبره ريح طيبة تعجب أهل البلد من ذلك، وظهرت عليه الأنوار. وكانوا يأخذون التراب حتى خفنا على القبر فنصبنا على القبر خشبًا مسندًا.

وقال محمد بن أحمد المروزي(٢) كنت نائمًا بين الركن والمقام، فرأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام. فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: وما كتابك يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؟ قال جامع محمد بن إسمعيل البخاري.

وقال النجم بن الفضل: رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام ومحمد بن إسمعيل خلفه، فكان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويتبع أثره.

وقال عبدالواحد بن آدم الطواويسي رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف في موضع ذكره، فسلمت عليه فردّ السلام. فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسمعيل البخاري. فلما كان بعد أيام بلغنا موته. فنظرنا فإذا هو مات في تلك الساعة التي رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيها. ومناقب البخاري لا تحصى.

وأما مناقب كتابه فهو أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى، وهذه منقبة عظيمة لهذا الكتاب. وإنّ من ختمه على أيّ نية كانت حصل ما نواه على أحسن وجه. وإنه إذا قرئ في بيت في أيام الطاعون حفظ الله تعالى أهاليها عن الطاعون. وأيضًا سمعت من مشايخ الحديث أنّ الدعاء يُستجاب عند ذكر أسامي أصحاب بدر رضي الله عنهم.

ويليه في الرتبة كتاب مُسلم، وهو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاد القشيري النيسابوري، أحد الأئمة الحُفاظ وأعلام المحدثين، صاحب الصحيح، إمام خراسان في الحديث بعد البخاري. وإذا ذكر الصحيحان مطلقًا فهو صحيح البخاري وصحيح

---

(١) الإمام أبا محمد المزني: هو خالد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن يزيد الواسطي الطحان، أبو محمد المزني. ولد عام ١١٠هـ وتوفي عام ١٧٩هـ، وقيل ١٨٢هـ. محدث، ثقة، حافظ له اخبار. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٨/ ٢٧٧، تاريخ بغداد ٨/ ٢٩٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٩، العبر ١/ ٢٧٣، الجرح والتعديل ٣/ ٣٤٠.

(٢) محمد بن أحمد المروزي: هو محمد بن احمد بن محبوب بن فضيل، أبو العباس، المحبوب المروزي. توفي عام ٣٤٠هـ. إمام، محدث، له رواية واخبار وبعض الكتب.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٥/ ٥٣٧، العبر ٢/ ٢٧٢، الوافي بالوفيات ٢/ ٤٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٠، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٣.

مسلم. كان تام القامة، أبيض الرأس واللحية. ولد سنة أربع ومائتين. وقيل سنة إثنتين ومائتين. والصحيح أنه ولد في ست ومائتين. وتوفي عشية يوم الأحد لستّ أو لخمس بقين من رجب، سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور. رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وأخذ الحديث عن يحيى بن يحيى النيسابوري(١) وقتيبة بن سعيد(٢) وإسحاق بن راهويه(٣) وأحمد بن حنبل وعبدالله بن مسلمة القعنبي(٤)، وغير هؤلاء من أئمة الحديث وعلمائه. وقدم بغداد غير مرة وحدَّث بها. روى عنه خلق كثير، منهم إبراهيم بن محمد بن سفيان الترمذي(٥) وابن خزيمة(٦)، وكان آخر قدومه بغداد سنة سبع وخمسين ومائتين. وقال مسلم صنفت المسند الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة. وقيل من مائة ألف حديث مسموعة. وقال محمد بن إسحاق بن مندة(٧): سمعت أبا علي بن علي النيسابوري(٨): يقول: ما تحت أديم السماء أصحّ من كتاب مسلم في علم الحديث. وقال الخطيب أبو بكر البغدادي(٩): إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه. ولما ورد البخاري نيسابور في آخر مرة لازمه مسلم وأدام الاختلاف إليه. وكان مسلم يختلف أيضًا إلى محمد بن يحيى(١٠) أحد الحفاظ المشهورين. ولما وقعت وحشة بين محمد بن يحيى وبين البخاري في مسئلة خلق اللفظ تغيَّر محمد على البخاري وعلى من صاحبه، فترك مسلم صحبة محمد ولم يتخلف عن زيارة البخاري.

ويليهما أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني. رحل وطوَّف وجمع، وسمع الخلق بخراسان والعراق والشام

---

(١) يحيى بن يحيى النيسابوري: هو يحيى بن يحيى بن بكير بن عبدالرحمن التميمي الحنظلي، ابو زكريا النيسابوري ولد عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩م. وتوفي عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م. من أئمة الحديث ثقة، ورع، وله اخبار.
انظر عنه: الاعلام ٨/ ١٧٦، مرآة الجنان ٢/ ٩١، التهذيب ١١/ ٢٩٦.

(٢) قتيبة بن سعيد: هو قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي، أبو رجاء البغلاني. ولد عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. وتوفي عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٥م. من كبار رجال الحديث ورواته. انظر عنه: الاعلام ٥/ ١٨٩، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٨.

(٣) إسحاق بن راهويه: هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، ابو يعقوب ابن راهويه. ولد عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م. وتوفي بنيسابور عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م. عالم خراسان في عصره. من كبار الحفاظ، أخذ عنه الأئمة والعلماء، ثقة، له عدة مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٩٢، ميزان الاعتدال ١/ ٨٥، وفيات الاعيان ١/ ٦٤، حلية الأولياء ٩/ ٢٣٤. تاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥.

(٤) عبدالله بن مسلمة القعنبي: هو عبدالله بن مسلمة بن قعنب الحارثي. توفي عام ٢٢١هـ/ ٨٣٥م. من رجال الحديث، ثقة في الرواية. انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٣٧، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١.

(٥) إبراهيم بن محمد بن سفيان الترمذي: هو ابراهيم بن محمد بن سفيان، ابو اسحاق النيسابوري الترمذي. توفي عام ٣٠٨هـ. إمام، قدوة، فقيه، محدث، ثقة. له رواية وأخبار. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٤/ ٣١١، العبر ٢/ ١٣٦، الوافي بالوفيات ٦/ ١٢٨، البداية والنهاية ١١/ ١٣١، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٢.

(٦) ابن خزيمة: هو محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمي، أبو بكر. ولد عام ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م. وتوفي عام ٣١١هـ/ ٩٢٤م. امام نيسابور في عصره. فقيه، مجتهد، عالم بالحديث له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٢٩، طبقات السبكي ٢/ ١٣٠.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) أبو علي بن علي النيسابوري: هو الحسين بن علي بن يزيد بن داود النيسابوري، أبو علي، ولد عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م. وتوفي عام ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م. من كبار حفاظ الحديث. له عدة تصانيف:
انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢٤٤، طبقات الشافعية ٢/ ٢١٥ تهذيب ابن عساكر ٤/ ٣٤٧.

(٩) سبق التعريف به.

(١٠) سبق التعريف به.

وغيرها. سكن البصرة وقدم بغداد غير مرة. وصنّف وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزيريين. ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي بالبصرة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين[١]. وقدم بغداد مرارًا، ثم خرج منها آخر مرة سنة إحدى وسبعين. وأخذ الحديث عن مسلم بن ابراهيم[٢] وسليمان بن حرب[٣] وعبدالله بن مسلمة القعنبي ويحيى بن معين وأحمد ابن حنبل، وغير هؤلاء من أئمة الحديث ممن لا يحصى كثرة. وأخذ الحديث عنه ابنه عبدالله وأبو عبدالرحمن النسائي وأحمد بن محمد الخلال[٤] وغيرهم، وسكن البصرة وقدم بغداد. وروى كتابه المصنف في السنن بها، ونقله أهلها عنه. وعرضه على أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه.

قال أبو داود: كتبت عن رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس مائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمان مائة حديث. ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه. ويكفي الإنسان لدينه منه أربعة أحاديث: أحدها: قوله: «إنما الأعمال بالنيات». والثاني: قوله: «مِنْ حُسنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه». والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه». والرابع: قوله: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات». قال أبو بكر الخلال: أبو داود الإمام المقدّم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم وبصيرة لمواضعه أحد في زمانه، رجل ورع مقدم.

وقال أحمد بن محمد بن الهروي[٥]: كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، علمه وعلله وسنده في أعلى درجة من النسك والعفاف والصلاح والورع، من فرسان الحديث. وكان لأبي داود كُمّ واسع وكُمّ ضيق. فقيل له: ما هذا، يرحمك الله؟ قال: الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه.

وقال الخطابي[٦]: كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله.

وقال أبو داود: ما ذكرت في كتابي حديثًا اجتمع الناس على تركه. وقال إبراهيم الحربي[٧]: لما صنف أبو داود هذا الكتاب ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود عليه السلام

---

(١) عن ثلاث وسبعين سنة (هامش الأصل).

(٢) مسلم بن إبراهيم: هو مسلم بن ابراهيم أبو عمرو الفراهيدي الازدي. توفي عام ٢٢٢هـ/ ٨٣٧م. محدث، عالم، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٢١، العبر ١/ ٣٨٥، التراث ١/ ٢٨٤.

(٣) سليمان بن حرب: هو سليمان بن حرب بن بجيل الازدي الواشحي، أبو أيوب، ولد عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م وتوفي عام ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م. قاضي، ثقة في الحديث. انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٢٢، تاريخ بغداد ٩/ ٣٣، تهذيب التهذيب ٤/ ١٧٨.

(٤) أحمد بن محمد الخلال: هو احمد بن محمد بن هارون، أبو بكر الخلال. توفي عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م. مفسر عالم بالحديث، واللغة، من كبار الحنابلة. له مصنفات عدة. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٠٦، طبقات الحنابلة ٢/ ١٢، البداية والنهاية ١١/ ١٤٨، تذكرة الحفاظ ٣/ ٧.

(٥) أحمد بن محمد بن الهروي: هو احمد بن محمد بن عبدالرحمن الباشاني، أبو عبيد الهروي. توفي عام ٤٠١هـ/ ١٠١١م. عارف بالحديث، باحث. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢١٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٨، بغية الوعاة ١٦١.

(٦) الخطابي: هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان، ولد عام ٣١٩هـ/ ٩٣١م. وتوفي عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م. فقيه، محدث له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢٧٣، وفيات الاعيان ١/ ١٦٦، إنباه الرواة ١/ ١٢٥، خزانة الأدب ١/ ٢٨٢، يتيمة الدهر ٤/ ٢٣١.

(٧) إبراهيم الحربي: هو إبراهيم بن اسحاق بن بشير، أبو اسحاق الحربي، توفي عام ٢٨٥هـ إمام في الحديث فقيه، له مصنفات كثيرة. طبقات الشافعية للشيرازي ١/ ١١، طبقات الحنابلة ١/ ٨٦، العبر ٢/ ٧٤.

الحديد. وقال ابن الاعرابي[1]: كتاب أبي داود لو أن رجلًا لم يكن عنده من العلم إلّا المصحف الذي فيه كتاب الله عزّ وجلّ ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتة. وكان ولده أبو بكر عبدالله من أكابر الحفاظ ببغداد، عالمًا متفقًا عليه، إمام إبن إمام، وشارك أباه في شيوخه بمصر والشام، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وشيراز وسجستان. وتوفي سنة عشرة وثلاث مائة رحمه الله تعالى.

ويليهم أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي. توفي بها ليلة الاثنين الثالث عشر من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. وهو أحد العلماء الحفاظ الأعلام، وله في الفقه يد صالحة. أخذ الحديث عن جماعة من أئمة الحديث، ولقي الصدر الأول من المشايخ مثل: قتيبة بن سعيد ومحمود بن غيلان[2] ومحمد بن بشار[3] وأحمد بن منيع[4] ومحمد بن المثنى[5] وسفيان بن وكيع[6] ومحمد بن اسمعيل البخاري، وغير هؤلاء. وأخذ الحديث عن خلق كثير لا يحصون كثرة. وأخذ عنه خلق كثير منهم محمد بن أحمد المحبوبي المروزي[7]. له تصانيف كثيرة في علم الحديث، وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيبًا وأقلها تكرارًا، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال، وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل، وفي آخره كتاب العِلل. وقد جمع فيه فؤائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها.

قال الترمذي: صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به. ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلّم. والترمذي نسبة إلى ترمذ بكسر التاء وبالذال المعجمة وهي مدينة مشهورة من قرى جيحون على شاطئه الشرقي.

ويليهم أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، مات بمكة سنة ثلاث وثلاث مائة، ودفن بها. وهو أحد الأئمة الحفاظ العلماء الفقهاء، لقي المشايخ الكبار، وأخذ الحديث عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن بشار ومحمود بن

---

(١) ابن الاعرابي: هو محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي الكوفي، ابو عبدالله، ولد عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. وتوفي عام ٢٣١هـ/ ٨٤٦م. لغوي، نحوي، راوية، نسابة. له مصنفات جيدة.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١٠/ ١١، تاريخ الطبري ١١/ ٢١، وفيات الأعيان ١/ ٦٢٣، تاريخ بغداد ٥/ ٢٨٢، معجم الأدباء ١٨/ ١٨٩.

(٢) محمود بن غيلان: هو محمود بن غيلان المروزي، ابو احمد العدوي. توفي عام ٢٤٩هـ. من ائمة الأثر، له حديث ورواية وبعض الكتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٢/ ٢٢٣، تاريخ بغداد ١٣/ ٨٩، طبقات الحنابلة ١/ ٣٤٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٧٥، العبر ١/ ٤٣١.

(٣) محمد بن بشار: هو محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان العبدي البصري، أبو بكر المعروف ببندار. ولد عام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م. وتوفي عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م. حافظ، ثقة، له رواية انظر عنه: الاعلام ٦/ ٥٢، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٠، تاريخ بغداد ٢/ ١٠١، تهذيب التهذيب ٩/ ٧٠.

(٤) أحمد بن منيع: هو أحمد بن منيع بن عبدالرحمن البغوي، أبو جعفر. ولد عام ١٦٠هـ/ ٧٧٧م. وتوفي عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٩م. حافظ، ثقة. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٦٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠، تهذيب التهذيب ١/ ٨٤.

(٥) محمد بن المثنى: هو محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار، أبو موسى العنزي. ولدعام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م. وتوفي عام ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م. حافظ، من علماء الحديث، ثقة، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٨، تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٣، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢٥.

(٦) سفيان بن وكيع: هو سفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح، أبو محمد الرؤاسي الكوفي. توفي عام ٢٤٧هـ. حافظ، محدث، له رواية وأخبار. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٢/ ١٥٢، ميزان الاعتدال ٢/ ١٧٣، الجرح والتعديل ٤/ ٢٣١.

(٧) سبق التعريف به.

غيلان وأبي داود سليمان بن الأشعث، وغير هؤلاء من المشايخ الحفاظ. وأخذ عنه الحديث خلق كثير منهم أبو القاسم الطبراني[١] وأبو جعفر الطحاوي[٢] وأبو بكر أحمد بن إسحاق السّني الحافظ[٣]. وله كتب كثيرة في الحديث والعلل وغير ذلك.

قال مأمون المصري[٤] الحافظ: خرجنا مع أبي عبدالرحمن إلى طرسوس، فاجتمع جماعة من مشايخ الاسلام واجتمع من الحفاظ عبدالله بن أحمد بن حنبل[٥] ومسلم بن إبراهيم وغيره، فتشاوروا من ينتقي لهم على الشيوخ، فأجمعوا على أبي عبدالرحمن النسائي وكتبه كلهم بانتخابه. وقال الحكيم النيسابوري: أما كلام أبي عبدالرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن يذكر، ومن نظر إلى كتابه السنن له تحيَّر في حسن كلامه. وقال: سمعت علي بن عمر الحافظ غير مرة يقول: أبو عبدالرحمن مقدّم على كلّ من يذكر بهذا العلم في زمانه. كان شافعي المذهب، وكان ورعًا متحريًا. النسائي بفتح النون وتخفيف السين المهملة وبالمد والميم منسوب إلى مدينة نساء من خراسان، رحمه الله تعالى.

واعلم أنّ الإمام النووي رحمه الله عدّ الكتب الأصول خمسة، وهي هذه الخمسة التي ذكرتها. إلّا أن الجمهور جعلها ستًا وقد عدّ منها: مُوطأ الامام مالك رضي الله عنه، وجعلوه بعد الترمذي وقبل النسائي. والحق أنه بعد مسلم في الرتبة. وسنذكر الإمام مالك رضي الله عنه في المجتهدين لأنّه بذلك أشهر.

وعدّ بعضهم بدل الموطأ كتاب ابن ماجة وهو محمد بن يزيد بن ماجة، أبو عبدالله القزويني، الحافظ، صاحب السنن. سمع أصحاب مالك والليث والحسن القطان وخلق سواه. وولد سنة تسع ومائتين، ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين وله من العمر أربع وستون سنة.

واعلم أنه قد يقع في ألْسِنة أهل الحديث الأئمة السبعة فيزاد على هؤلاء رزين وهو أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري[٦] الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح، مات بعد العشرين وخمس مائة. وإنما ألحقوا

---

(١) أبو القاسم الطبراني: هو سليمان بن احمد بن ايوب بن مغير اللخمي الشامي، أبو القاسم. ولد عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م. وتوفي عام ٣٦٠هـ/ ٩٧١م. من كبار المحدثين، كثير التنقل له عدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٢١، وفيات الأعيان ١/ ٢١٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٥٩، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٢٤٠.

(٢) أبو جعفر الطحاوي: هو احمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، ابو جعفر. ولد بمصر عام ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م. وتوفي بالقاهرة عام ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. فقيه حنفي مشهور. له العديد من المصنفات الهامة.
الاعلام ١/ ٢٠٦، وفيات الأعيان ١/ ١٩، البداية والنهاية ١١/ ١٧٤، الجواهر المضية ١/ ١٠٢، لسان الميزان ١/ ٢٧٤.

(٣) أبو بكر احمد بن إسحاق السّني الحافظ: هو احمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن اسباط الدينوري، ابو بكر ابن السني ولد عام ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م. وتوفي عام ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م. محدث، ثقة شافعي المذهب. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٠٩، طبقات السبكي ٢/ ٩٦، طبقات الحفاظ ٣/ ١٤٢، شذرات الذهب ٣/ ٤٧.

(٤) مأمون المصري: هو عبدالمجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله معدّ بن الظاهر علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز، العبيدي الاسماعيلي المصري ابو الميمون، الحافظ لدين الله. ولد عام ٤٦٧هـ، وتوفي عام ٥٤٤هـ. أمير، له أخبار. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٥/ ١٩٩، البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٦، خطط المقريزي ١/ ٣٥٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٧، شذرات الذهب ٤/ ١٣٨، وفيات الأعيان ٣/ ٢٣٥، الكامل ١٠/ ٦٦٥.

(٥) أحمد بن حنبل: هو عبدالله بن احمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، ابو عبدالرحمن ولد عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. وتوفي عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م. حافظ، محدث له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٦٥، التهذيب ٥/ ١٤١.

(٦) أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري: هو رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الاندلسي، أبو الحسن. توفي عام ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م. إمام الحرمين، جاور بمكة طويلاً، وله عدة مصنفات. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٢٠، روضات الجنات ٢٨٦، شذرات الذهب ٤/ ١٠٦.

جامعه بالكتب الستة لأنّ جامعه جامع للستة. وقد يقع في ألسنتهم الأئمة الثمانية فيزاد عليهم الحميدي وهو أبو عبدالله، محمد ابن أبي نصر، فتوح بن عبدالله الأندلسي الحميدي، صاحب كتاب الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم، وهو إمام عالم كبير مشهور. سمع ببلده، وسمع بمصر أصحاب المهندس[1]، وسمع بمكة أصحاب إبن خواص وغيرهم، وسمع بالشام أصحاب ابن جميع[2] وغيرهم. ورد بغداد فسمع أصحاب الدارقطني وغيرهم، وصنف تاريخًا لأهل الأندلس. قال الأمير ابن ماكولا[3]: لم أر مثله في نزاهته وعفته وورعه. مات ببغداد في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة. وكان مولده قبل العشرين وأربع مائة.

وربما يقال: الأئمة التسعة فيزداد عليهم أحد هذين الإمامين: أحدهما الامام أبو بكر أحمد بن محمد بن البرقاني[4]، والآخر الإمام أبو مسعود ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي[5]، فإن كلًا من هذين الإمامين قد جمع بين صحيحي البخاري ومسلم، فيقال لأحدهما: جامع البرقاني وللآخر جامع الدمشقي. وربما يقال الأئمة العشرة فيزاد عليهم كلاهما وتلك عشرة كاملة.

واعلم أنّ البرقاني هو أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي المعروف بالبرقاني. سمع ببلده من أبي العباس بن حمدان النيسابوري[6] وغيره، ثم خرج إلى جرجان فسمع أبا بكر الإسماعيلي[7]، ثم إلى بغداد فاستوطنها وحدّث بها. وكان ثقة ورعًا متقنًا فهمًا متثبتًا. قال الخطيب أبو بكر البغدادي: لم أر في شيوخنا أثبت منه، كان حافظًا للقرآن عارفًا بالفقه، له حفظ من علم العربية، وله تصانيف في علم الحديث. ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مائة، ومات في رجب سنة خمس وعشرين وأربع

---

(١) المهندس: هو احمد بن محمد بن اسماعيل، أبو بكر بن المهندس، توفي عام ٣٨٥هـ. محدث مصر في عصره. ثقة، له عدة كتب. انظر عنه. العبر ٣/ ٢٧.

(٢) ابن جميع: هو محمد بن احمد بن محمد بن عبدالرحمن بن يحيى بن جميع الصيداوي ابو الحسين ولد عام ٣٠٦هـ/ ٩١٨م. وتوفي عام ٤٠٢هـ/ ١٠١٢م. محدث، مسند، رحالة، له عدة تصانيف انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ٣١٥، شذرات الذهب ٣/ ١٦٤، الاعلام ٦/ ٢٠٥، هدية العارفين ٢/ ٥٩.

(٣) الأمير ابن ماكولا: هو علي بن هبة الله بن جعفر العجلي الجرباذقاني البغدادي، المعروف بابن ماكولا. سعد الملك، أبو نصر. ولد عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م. وتوفي عام ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م. وفي وفاته خلاف. محدث، حافظ، نسابة، اديب، نحوي، شاعر وأمير، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: معجم المؤلفين ٧/ ٢٥٧، وفيات الأعيان ١/ ٤٢٠، المنتظم ٩/ ٥، الكامل لابن الاثير ١٠/ ٤٣، البداية ١٢/ ١٢٣، النجوم الزاهرة ٥/ ١١٥.

(٤) أبو بكر احمد بن محمد بن البرقاني: هو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي المعروف بالبرقاني، ابو بكر ولد عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٨م. وتوفي عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م. عالم بالقرآن والحديث والفقه والنحو، له تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ٧٤، تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٣، تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٥٩، طبقات الشافعية ٣/ ١٩، البداية ١٢/ ٣٦، شذرات الذهب ٣/ ٢٢٨.

(٥) الإمام أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي: هو ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي، ابو مسعود. توفي عام ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م. محدث حافظ، تجول في البلاد، له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ١/ ١٠١، سير اعلام النبلاء ١١/ ٥١، تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٥٥، البداية ١١/ ٣٤٤، شذرات الذهب ٣/ ١٥٨.

(٦) أبو العباس بن حمدان النيسابوري: هو محمد بن احمد بن حمدان بن علي بن عبدالله بن سنان، أبو العباس، الحيري النيسابوري. ولد عام ٢٧٣هـ، وتوفي عام ٣٥٦هـ. حافظ للقرآن، عارف بالحديث والتاريخ والرجال والفقه، له عدة كتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٦/ ١٩٣، العبر ٢/ ٣٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٣٨.

(٧) أبو بكر الإسماعيلي: هو احمد بن ابراهيم بن اسماعيل، أبو بكر الاسماعيلي. ولد عام ٢٩٧هـ/ ٩١٠م. وتوفي عام ٣٧١هـ/ ٩٨٢م. حافظ، ذو مروءة وسخاء. فقيه له عدة كتب. انظر عنه الاعلام ١/ ٨٦.

مائة، وله من العمر تسع وثمانون سنة، ودفن في مقبرة جامع المنصور. البرقاني بكسر الباء الموحدة وفتحها وبالقاف والنون.

وأما الدمشقي فهو

إذا عرفت هذا، فاعلم أنّ أصحاب الحديث اختاروا سبعة أخرى من الحفاظ وجعلوهم في ساقة الستة المشهورة، وأطبقوا على أنهم أحسنوا التصنيف، وأن مصنفاتهم وقعت عظيمة النفع.

منهم: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ الإمام العلامة المشهور كان فريد عصره وقريع دهره وإمام وقته. إنتهى إليه علم الحديث والمعرفة بعلله وأسماء الرجال ومعرفة الرواة، مع الصدق والأمانة والعدالة، وصحة الاعتقاد وسلامة المذهب، والقيام بعلوم أخر سوى الحديث، منها علم القرآن ومعرفة مذاهب الفقهاء. درس فقه الشافعي على أبي سعيد الأصطخري[١]، وكتب عنه الحديث أيضًا. ومنها معرفة الأدب والشعر. قال أبو الطيب: كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث، سمع خلقًا كثيرًا، وروى عنه الحافظ أبو نعيم وأبو بكر البرقاني والجوهري والقاضي أبو الطيب الطبري وغيرهم. ولد سنة خمس أو ست وثلاث مائة، ومات ببغداد يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاث مائة. ودارقطن محلة كانت ببغداد قديمًا.

ومنهم الحاكم أبو عبدالله النيسابوري، مات بها في صفر سنة خمس وأربع مائة، وولد بها في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة.

ومنهم أبو محمد عبدالغني بن سعيد الأزدي حافظ مصر. ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة، ومات بمصر في صفر سنة تسع وأربع مائة.

ومنهم أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، صاحب الحلية، هو من مشايخ الحديث الثقات المعمول بحديثهم، المرجوع إلى قولهم، كبير القدر. ولد سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة، ومات في صفر سنة ثلاثين وأربع مائة بأصبهان، وله من العمر ست وتسعون سنة.

ومنهم أبو عمرو بن عبدالبر النحوي حافظ المغرب، كان ثقة في الحديث مرجوعًا إلى روايته كثير الحفظ الضبط. ولد في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاث مائة، وتوفي بشاطبة سنة ثلاث وستين وأربع مائة.

ومنهم أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، كان أوحد دهره في الحديث والتصانيف ومعرفة الفقه، وهو من كبار أصحاب الحاكم أبي عبدالله. ولد البيهقي سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، ومات بنيسابور في جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، وله من العمر أربع وسبعون سنة.

ومنهم أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ولد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة، ومات ببغداد في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربع مائة.

ثم اعلم أنّ الصحيح إذا أطلق يراد به الجامع الصحيح للبخاري. وإذا أطلق الصحيحان يراد بهما صحيح البخاري ومسلم. وإذا اطلق الصحاح يُراد بها الصحاح الستة ويقيّد ما دون هذا، كصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان وصحيح أبي عوانة وصحيح مستدرك الحاكم.

أما ابن خزيمة فهو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، الفقيه الحافظ، شيخ

---

(١) أبو سعيد الأصطخري: هو الحسن بن احمد بن يزيدالاصطخري، ابو سعيد. ولد عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م. وتوفي عام ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. فقيه شافعي. قاضٍ له عدة كتب:
انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٧٩، وفيات الأعيان ١/ ١٢٩، المنتظم ٦/ ٣٠٢، طبقات الشافعية ٢/ ١٩٣.

خراسان، إمام الأئمة. توفي في سنة إحدى عشرة وثلاث مائة عن نحو من تسعين سنة،

وأما إبن حبان فهو أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البُستي الحافظ، صاحب التصانيف. توفي سنة أربع وخمسين وثلاث مائة.

وأما أبو عوانة فهو الحافظ عثمان بن أبي شيبة العبسي، وكان أكبر من أخيه. صنّف المسند والتفسير. مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

وأما الحاكم فقد مر آنفًا.

وإذا اطلق السنن يراد بها سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة القزويني. وقد عرفت هؤلاء.

وأما السنن لغير هؤلآء يذكر مقيدًا، كالسنن للدارقطني، والسنن الكبير للبيهقي، وقد عرفتهما. وإذا أطلق المسانيد يراد بهما مسند الإمام أحمد بن حنبل وستعرفه في الفقهاء، ومسند أبي يعلى الموصلي، ومسند الدارمي ومسند البزار.

وإذا أطلق المعاجم يراد بها المعجم الكبير للطبراني والمعجم الأوسط له والمعجم الصغير له أيضًا.

أما أبو يعلى فهو محدّث الموصل أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الحافظ، صاحب السنن. توفي سنة سبع وثلاث مائة، وله سبع وتسعون سنة.

وأما الدارمي فهو الإمام أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي الحافظ، عالم سمرقند، صاحب المسند. توفي سنة خمس وخمسين ومائتين.

وأما البزار فهو أبو بكر أحمد بن عمرو البصري البزار، حافظ الوقت، صاحب المسند الكبير. مات بالرملة سنة إثنتين وتسعين ومائتين.

وأما الطبراني فهو أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ، مسند الدنيا بأصفهان. توفي سنة ستين وثلاث مائة، وله مائة سنة وشهران.

إذا عرفت هذه الشيوخ المحدثين المتقدمين فلنرجع إلى المحدّثين منهم وليس الري عن التشاف.

منهم أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي الإمام المشار إليه في عصره، والعلامة، فريد دهره في الفقه والحديث والأدب ومعرفة الغريب. له التصانيف المشهورة والتأليفات العجيبة، مثل: معالم السنن واعلام السنن وغريب الحديث وغير ذلك.

ومنهم أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي، الواعظ ببغداد، صاحب التصانيف المشهورة. ولد سنة عشر وخمس مائة، ومات سنة سبع وسبعين وخمس مائة. وقد مرّ نبذ من مناقبه في ذكر التواريخ.

ومنهم أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي، إمام أهل زمانه. كان عالمًا فاضلًا متورعًا فقيهًا محدثًا ثبتًا حجة. له مصنفات كثيرة مشهورة، وتأليفات عجيبة مفيدة في الفقه، مثل: الروضة، وفي الحديث، مثل: رياض الصالحين والأذكار في دعوات الليل والنهار، وفي شرحه، مثل: شرح مسلم، وغير ذلك من معرفة الحديث واللغة. سمع من المشايخ الكبار، ومنه خلق كثير وأجاز رواية شرح مسلم والأذكار لجميع المسلمين. وكان من أهل نوى، قرية من أعمال دمشق، ونشأ بها وحفظ الختمة، وقدم دمشق في خمسين وست مائة، وله تسع عشرة سنة، فتفقه وبرع. وكان خشن العيش، قانعًا بالقوت، تاركًا للشهوات، صاحب عبادة وخوف. وكان قوّالًا بالحق، صغير العمامة، كبير الشأن. وكان كثير السهر مُكِبًا على العلم والعمل. مات في رجب سنة سِتّ وسبعين وستّ مائة، وقبره يزار بنوى. عاش خمسًا وأربعين سنة.

ومنهم أبو السعادات المبارك بن محمد

الجزري، المشهور بابن الأثير، صاحب كتاب جامع الأصول، ومناقب الأخيار، والنهاية. كان عالمًا محدثًا لغويًا. روى عن خلق من الأئمة الكبار. كان بالجزيرة، وانتقل إلى الموصل سنة خمس وستين وخمس مائة. ولم يزل بها إلى أن قدم بغداد حاجًا، وعاد إلى الموصل ومات بها يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة سِتّ وسِتّ مائة. وقد مرّ نبذ من مناقبه ومناقب أخويه.

ومنهم أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب المصابيح، وشرح السنة، وكتاب التهذيب في الفقه، ومعالم التنزيل في التفسير. له من التصانيف الحسان. كان إمامًا في الفقه والحديث وكان متورعًا ثبتًا حجة صحيح العقيدة في الدين. مات بعد المائة الخامسة في سنة ست عشرة وخمس مائة. وقد مرّ نبذ من مناقبه.

ومنهم تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري، الشيخ العلامة، ابن الصلاح. ولد سنة سبع وسبعين وخمس مائة. وهو أحد أئمة المسلمين علمًا ودينًا. سمع الحديث ببلاد كثيرة من المحدّثين، وتفقّه عليه خلائق، وكان إمامًا كبيرًا فقيهًا محدثًا زاهدًا ورعًا مفيدًا. استوطن دمشق، وتولى عدة مدارس بها. كان ماهرًا في الحديث والتفسير والفقه، ومشاركًا في فنون عديدة. وذكر أنّ ابن الصلاح قال: ما فعلت صغيرة في عمري قط، وهذا فضل من الله عليه عظيم. توفي سنة ثلاث وأربعين وست مائة. وازدحم الخلق على صلاته، فصلي أولًا بالجامع وصلي أيضًا ثانيًا، فدفنوه بقرب مقابر الصوفية، وقبره على الطريق في طرفها الغربي ظاهر يزار ويتبرك به. قيل: والدعاء عنده مستجاب.

ومنهم الصاغاني صاحب المشارق وقد مرّ ذكره في علم اللغة.

ومنهم شمس الدين الكرماني شارح البخاري، وكذا العيني شارحه، وكذا ابن حجر شارحه، إلى غير ذلك. وقد مرّ هؤلاء. أما الكرماني فهو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ثم البغدادي، شمس الدين، صاحب شرح البخاري، الإمام العلامة في الفقه والحديث والتفسير والأصلين والمعاني والعربية. ولد يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبع مائة. وتوفي بكرة يوم الخميس سادس عشر المحرم سنة ست وثمانين وسبع مائة. وقد مرّ نبذ من مناقبه في علم المعاني.

ومنهم الشيخ أكمل الدين[(١)] شارح المشارق وستعرفه، والشيخ ابن الملك[(٢)] شارح المشارق إلى غير ذلك.

ومنهم التوربشتي[(٣)] شارح المصابيح، هو رجل محدّث فقيه من أهل شيراز، شرح مصابيح البغوي شرحًا حسنًا، وروى صحيح البخاري عن عبدالوهاب بن صالح بن محمد بن المعزم إمام الجامع العتيق، عن الحافظ أبي جعفر

(١) أكمل الدين: هو اكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومي البابرتي المصري الحنفي. ولد عام ٧١٢هـ وتوفي عام ٧٨٦هـ. علامة، فقيه، حافظ، متقن، عارف باللغة وآدابها، له الكثير من الكتب والمصنفات الهامة.
انظر عنه: شذرات الذهب ٦/ ٢٩٣، بغية الوعاة ١٠٣، الاعلام ٧/ ٢٧١، النجوم الزاهرة ١١/ ٣٢، كشف الظنون ١٢٤٧، هدية العارفين ١/ ١٧١.

(٢) الشيخ ابن الملك: هو عبداللطيف بن عبدالعزيز بن أمين الدين بن فرشتا الكرماني، المعروف بابن الملك. توفي عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. فقيه، حنفي، له عدة كتب. الاعلام ٤/ ٥٩، الفوائد البهية ١٠٧، الضوء اللامع ٤/ ٣٢٩، كشف الظنون ١/ ٢٣١.

(٣) ويقال أيضاً التربشتي، وهو فضل الله بن حسن، ابو عبدالله، شهاب الدين التربشي. توفي عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م. فقيه حنفي، له عدة كتب. انظر: الاعلام ٥/ ١٥٢، هدية العارفين ١/ ٨٢١، كشف الظنون ٢/ ١٧١٩.

محمد بن علي، أنا أبو الخير محمد بن موسى الصفار[١]، أنا أبو الهيثم الكشميهني[٢] أنا الفربري. قال ابن السبكي: وأظن هذا الشيخ مات في حدود الستين وست مائة، وواقعة التتار أوجبت عدم المعرفة بكماله.

ومنهم القاضي عياض، صنّف كتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه، بل هو أحد أركان الإسلام. وهو عالم المغرب، القاضي أبو الفضل، عياض بن موسى ابن عياض السبتي اليحصبي. كان ثقة ورعًا زاهدًا عابدًا متصلبًا في الدين، قوي العقيدة، بعيدًا عن البدع. مات سنة أربع وأربعين وخمس مائة، وله ثمان وستون سنة. وسمعت من المشايخ أنّ الاشتغال بكتابه الشفاء في أيام الوباء نافع مفيد رضي الله عنه.

واعلم أنّ هذا الذي ذكرناه تبصرة لك لتعرف لا أقل من هذا العلم أسامي الأئمة والكتب، فإنّ علماء عصرنا ومحدثي زماننا لا يعرفون من هذا العلم إلّا الإسم، ولا يعرفون من أصحابه إلّا الرسم. وكان عصر مشايخ الحديث خلاصة الأعصار، ودهرهم سلالة الدهور وزينة الأزمان والأدوار. ثم انتقص هذا العلم قليلًا قليلًا، وصار رجاله في المعرفة عليلًا. ولا تزال العلوم تنمو وتزيد إلى أن تصل إلى منتهاها، وتبلغ إلى مراتب هي أقصاها، ثم تعود كما بدأت. وستبصر صدق هذا المقال غدًا. وإليه أشار الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام: «بدأ الاسلام غريبًا وسيعود كما بدأ»[٣]. ألا ترى أنّ غاية علم الحديث انتهت إلى البخاري ومسلم ومن كان تلوهما، ثم تنزل وتقاصر إلى زماننا هذا، وسيزداد تقاصرًا والهمم فتورًا إنْ دام اشتغال الناس قصورًا، والله يقبض ويبسط ما يشاء، ويفعل ما قضاه، ويحكم ما يريد، وهو الحميد المجيد.

علم دعوة الكواكب[*]

واعلم أنك قد عرفت أن استحضار الجنّ وبعض الملك ممكن، فكذلك يمكن تسخير روحانية الكواكب سيّما السبعة السيارة، فيتوصل بذلك إلى المقاصد المهمة من قتل الأعداء وإحضار المال والغائب وأمثال ذلك من الأمور، فيستحضرها متى شاء بلا تكلّف ومشقة، ويُسمّى هذا دعوة الكواكب، وهذا سحر الصابئة[٤] الذين بعث الله تعالى إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلًا لمقالتهم وردًّا عليهم، كما يحكى أنّ ملكًا اشتغل بدعوة زحل[٥] وعرض له عدّو ملك عظيم لا يقدر هو على محاربته، وتحيّر خدامه

---

(١) أبو الخير محمد بن موسى الصفار: هو محمد بن ابي عمران موسى بن عبدالله المروزي الصفار، أبو الخير، وقيل ابو الحسين. توفي عام ٤٧١هـ. محدث، صالح، له رواية وعدة كتب. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٨/ ٣٨٢، ميزان الاعتدال ٤/ ٥٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٧٧، الوافي ٥/ ٨٧، لسان الميزان ٥/ ٤٠١.

(٢) أبو الهيثم الكشميهني: هو محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون المروزي الكشميهني، ابو الهيثم. توفي عام ٣٨٩هـ. محدث، ثقة، له عدة كتب.

انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٦/ ٤٩١، اللباب ٣/ ٩٩، العبر ٣/ ٤٤، شذرات الذهب ٣/ ١٣٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان أن الاسلام بدأ غريباً. . .، ح ٢٣٢، ١/ ١٣٠.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) الصابئة: هم قوم كانوا قبل الاسلام واستمروا بعد ظهوره. وكانوا يقولون بحدود واحكام عقلية بعيدة عن الشرع، وربما كانوا من عبدة الكواكب. فلم يقروا بالاسلام ولا بأية شريعة أخرى. وآمنوا بالمحسوس والمعقول، وربما كانوا يتصلون بعازيمون وهرمس، وكانت لهم مناظرات مع الحنفاء. انظر: الملل والنحل ٢٥٩، ٢٦٣، ٣١١، التبصير في الدين ١٥٠.

(٥) وكان اصحابه يلومونه في ذلك. (هامش الأصل).

في أمره، وهو اشتغل عن أسباب الحروب إلى الدعوة. فبينا هو جالس مع خواصّه وندمائه، إذْ نزل من السماء شيء، فخاف أهل المجلس منه، وتفرّقوا، والملك ثابت في مكانه. فلما نزل واستقر أمام الملك دعا أصحابه، فرأوا ظرفًا من نحاس مثلّث الشكل وفيه رأس الملك الذي خاصمه مقطوعًا، ففرحوا بذلك، وهرب العسكر، ونصر الملك بروحانية زحل، وقال: أنتم سفهتموني باشتغالي بالدعوة، وهذا نفعه الأدنى، فاعتقدوا الدعوة كلّهم وأمسكوا عن طعن الملك في اشتغاله بها. وأما كون الظرف من نحاس وكونه مثلثًا فلاقتضاء طبيعة زحل ذلك المعدن(١). وذلك الشكل، والله أعلم بحقيقة الحال.

علم دفع مطاعن الحديث(*)

وموضوعه ونفعه ظاهر لأولي الألباب من المسلمين الموحدين. وقد طعن طائفة من الملاحدة الملقبين بالقرامطة(٢) في أحاديث حضرة الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأوهام واهية وأكاذيب شاهية، يدلّ سياقها على كذبها، وتخبر صورتها عن الفرية في باطنها. إلّا أنّ العلماء جزاهم الله عنا وعن الاسلام والمسلمين خيرًا قد انتصبوا لدفع هذه الخرافات، صونًا لعقائد عوام المسلمين عن التورط في أوهامهم الفاضحة بتقريرات كاملة، وتحريرات واضحة. اللهم انصر الاسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والملحدين أعداء الدين بحرمة نبيك محمد الأمين صلى الله عليه وسلم وآله، وصحبه الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين.

علم دفع مطاعن القرآن(**)

هو علم باحث عن دفع شبهات أرباب الضلال الموردة على القرآن بحسب لفظه أو بحسب معناه، ومباديه مأخوذة من العلوم العربية وأصول الكلام. والغرض منه تحصيل الملكة لدفع أمثال تلك المطاعن. وفائدته دفع الوهن عن عقائد الضعفاء وتثبيتهم على عقائد حقية القرآن. وما ذكره السَّكاكي في تكملة مفتاح العلوم كافٍ في هذا العلم. وأيضًا في كتاب الأعلام للماوردي كفاية في هذا العلم، بل فيه دفع مطاعن النبوة مطلقًا. واقتضى حسن الترتيب أن تجعل خاتمة فروع علم التفسير دفع المطاعن عن القرآن لأنه نتيجة للعلوم المذكورة.

علم الدواوين(***)

واعلم أنّ الكلام إمّا منثور أو منظوم. ولما كانت المحاضرة تقع بالمنظوم كما تقع بالمنثور، دوّنوا الدواوين المشتملة بالقصائد والمقاطيع

---

(١) لا يخفى على من يعرف المناسبات أن ما تقتضيه طبيعة زحل من المعادن هو الأسرب لا النحاس، إذ النحاس من مقتضى طبيعة الزهرة. (هامش الأصل).

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) القرامطة: حركة دينية سياسية منقرضة. تنسب الى حمدان قرمط من الاسماعيلية الذي كان في الكوفة عام ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. كان لهذه الحركة اتباع وقاموا بأعمال عسكرية في البحرين واليمن واستولوا على مكة ودمشق. ثم قضى عليهم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م. واستمرت الحركة الى أن قضى عليها نهائياً الامراء العيونيّون في البحرين عام ١٠٢٧م، فانقرضوا وانتهى أمرهم. انظر: المنجد ٤٣٥.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن شعب الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

والأراجيز والمجاميع. وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة مما تقدّم. ولا يخفى أنّ أفضل الشعراء شرفًا وفضلًا وأولاهم بالتقديم هو حسّان بن ثابت لفضيلته بشرف صحبة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وشرفه بمدحته صلى الله عليه وآله وسلم. وهو حسان ابن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، المنافح عنه والمناضل المؤيّد بروح القدس. كُني أبا عبدالرحمن أو أبا الوليد وبأبي الحسام أيضًا، لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الغازي به أعراض المشركين. عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وكذا أبوه وجدّه وأبو جدّه. لا يعرف في العرب أربعة من صلب واحد واتفقت مدة عمرهم غيرهم. كان شجاع اللسان جبان الجنان، لم يكن ممن يشهد الوغاء، ولا يهتز إلى اللقاء، وكان يرفع إلى الآجام مع النساء والصبيان. قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يضع لحسّان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا، يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله تعالى يؤيّد حسّان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

ومن ديوان العرب: نهاية الأرب في أشعار العرب[٢]، يشتمل على ألف قصيدة مختارة. ومنها: الحماسة، إختيار أبي تمام الطائي، وهو حبيب بن أوس الشاعر المشهور. كان واحد عصره في ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحسن أسلوبه. وله: كتاب الحماسة التي دلّت على غزارة فضله وإتقان معرفته. وله مجموع آخر سمّاه: فحول الشعراء، جمع فيه بين طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين، وكتاب الإختيارات من شعر الشعراء، وكان له من المحفوظات ما لا يلحقه فيه غيره. قيل: إنه كان يحفظ أربع عشرة آلاف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع، ومدح الخلفاء، وأخذ جوائزهم، وجاب البلاد وقصد البصرة. قالت العلماء: خرجت من قبيلة طيّ ثلاثة، كلّ واحد منهم مجيد في بابه. حاتم في وجوده، وداود الطائي في زهده، وأبو تمام الطائي في شعره. ولد سنة تسعين أو إثنتين وتسعين أو إثنتين وسبعين أو ثمان وثمانين ومائة. وتوفي بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين[٣]. وقيل توفي في ذي القعدة أو جمادى الأولى سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائتين. وقيل في المحرّم سنة إثنتين وثلاثين ومائتين، ووضع بإزائها الحماسة البصرية.

ومن الدواوين: الذخيرة لابن بسّام وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن بسّام، المعروف بالبسّامي، الشاعر المشهور. كانت أمه أمامة إبنة حمدون النديم. كان من أعيان الشعراء، ومحاسن الظرفاء، لَسِنًا مطبوعًا في الهجاء. لم يسلم منه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير. وهجا أباه وإخوته وسائر أهل بيته. توفي في صفر سنة إثنتين أو ثلاث وثلاث مائة عن نيف وسبعين سنة[٤].

ومن الدواوين: ديوان أبي العلاء المعرّي، وهو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن داود التنوخي، أبو العلاء المعرّي، من معرّة النعمان

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في انشاد الشعر، ح ٢٨٤٦، ٥/ ١٣٨، بلفظ: «ما يفاخر أو ينافح».
(٢) يشتمل على ألف قصيدة مختارة، مجهول المؤلف. كشف الظنون ٢/ ١٩٨٥.
(٣) في دولة الواثق بالله. (كذا في هامش الأصل).
(٤) انظر ترجمته في: الاعلام ٤/ ٣٢٤، فوات الوفيات ٢/ ٨٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٥٢، البداية والنهاية ١١/ ١٢٥، معجم المؤلفين ٧/ ٣٠.

من الشام[١]. كان غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غاية في الفهم، عالمًا باللغة، حاذقًا بالنحو، جيّد الشعر، جزل الكلام. شهرته تغني عن صفته. ولد يوم الجمعة عند الغروب لثلاثٍ بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاث مائة. وجدر من السنة الثالثة من عمره فعمى منه. وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلّا الأحمر لأني ألبست في الجدري ثوبًا مصبوغًا بالعصفر. وقال الشعر وهو ابن إحدى أو ثنتي عشرة سنة، وأخذ النحو واللغة عن أبيه ومحمد بن عبدالله بن سعد النحوي[٢] بحلب، وحدَّث عن أبيه وجدّه. وهو من بيت علم ورياسة، وكان متهما في دينه. يرى رأي البراهمة[٣]، لا يرى أكل اللحم ولا يؤمن بالبعث والنشور وبعث الرسل. وشعره المتضمن للإلحاد كثير. قال ابن العديم في كتابه دفع التجري على أبي العلاء المعري: كان يرميه أهل الحسد بالتعطيل، ويعملون على لسانه الأشعار، ويضمنونها أقاويل الملاحدة قصدًا لهلاكه. وقد نقل عنه أشعارًا تتضمن صحة عقيدته وكذب ما ينسب إليه. وقال الذهبي: إنّه ملحد وحكم بزندقته. وقال السِّلفي[٤]: أظنه تاب وأناب. وله من التصانيف: شرح شعر المتنبي، شرح شعر البحتري، شرح شعر أبي تمام، سقط الزند من نظمه، لزوم ما لا يلزم، وغير ذلك. مات ليلة الجمعة ثالث أو ثاني أو ثالث عشر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربع مائة[٥].

ومن الدواوين ديوان أبي الطَّيِّب المتنبي، وهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكندي الكوفي، المعروف بالمتنبي، الشاعر المشهور. وقيل أحمد بن الحسين بن مُرَّة بن عبدالجبار. هو من أهل الكوفة، قدم الشام في صباه وجال في أقطاره، واشتغل بفنون الأدب ومَهَرَ فيها. وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها ووَحْشِيِّها. وكان شعره في الغاية والنهاية من الفصاحة والبلاغة والحكمة وسائر المحاسن، بحيث لا حاجة إلى مدحه. والناس في شعره على اختلاف. منهم من يرجِّحه على أبي تمام ومَنْ بعده، ومنهم من يرجِّح أبا تمام عليه. واعتنى العلماء بشرح ديوانه حتى قال بعضهم: وقفت له على أكثر من أربعين شرحًا، ما بين مطوّل ومختصر. وكان رجلًا مسعودًا، ورزق السعادة في شعره. وإنما قيل له: المتنبي لأنه ادّعى النُّبوة حتى حُبس ثم تاب وأطلق[٦]. وقيل: لقوله: أنا أوّل من تنبّى بالشعر. وقيل: لقوله:

---

(١) تنسب المعرّة إلى النعمان بن بشير الصحابي، وهي مدينة كبيرة بين حلب وحماة، بها زيتون واشجار تين وفستق وغيره، ولها عمل واسع. انظر: مراصد الاطلاع ١٢٨٨.

(٢) لم يعثر على ترجمة له.

(٣) البراهمة: هم فئات من الهند أنكروا النبوات أصلاً ورأساً، ينسبون الى براهم وليس الى النبي ابراهيم عليه السلام كما يزعم البعض خطأ. لكن البراهمة يقولون بحدوث العالم وتوحيد الصانع، وجعلوا للعقل المكان الأول الذي يعرف الله من خلاله ويعبد. وقد افترقوا أصنافاً شتى، منهم اصحاب البَدَدة، وأصحاب الفكرة وأصحاب التناسخ. انظر: الملل والنحل ٥٠٦، التبصير في الدين ١٤٩.

(٤) السِّلفي: هو احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم الأصبهاني الجرواني، ابو طاهر السلفي. ولد عام ٤٧٥هـ وتوفي عام ٥٧٦هـ. علامة، محقق حافظ، متقن، محدث، شيخ الاسلام، له رواية وكتب عديدة، واخباره مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢١/ ٥، العبر ٤/ ٢٢٧، تذكرة الحفاظ ٤/١٢٩٨، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٥، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٥١، طبقات السبكي ٦/ ٣٢، البداية والنهاية ١٢/ ٣٠٧، لسان الميزان ١/ ٢٩٩.

(٥) ابو العلاء، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٣، معجم الأدباء ١/ ١٨١، لسان الميزان ١/ ٢٠٣، انباه الرواة ١/ ٤٦، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٣٧٩، الاعلام ١/ ١٥٧.

(٦) هذان البيتان للمتنبي وإن لم يوجدا في ديوان، ولكنهما اتصلا به بالاسناد الصحيح:

أنـــا فـــي أمّـــةٍ تـــداركـــهـــا الله
غـــريـــبٌ كـــصـــالـــح فـــي ثـــمـــود

ولما رجع من بغداد إلى الكوفة عرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي[١] في جماعة من أصحابه، وكان مع المتنبي أيضًا جماعة من أصحابه، فقاتلوهم، فقتل المتنبي وابنه محسد وغلامه مفلح في موضع يقال له الصافية[٢]. وقيل: إنّه لما رأى الغلبة فرَّ. قال له غلامه: لا يتحدَّثُ الناس عنك بالفرار وأنت القائل:

الـخـيـل والـلـيـل والـبـيـداء تـعـرفـنـي
والحربُ والضربُ[٣] والقرطاس والقلم

فكرَّ راجعًا حتى قُتل. وكان سبب قتله هذا البيت، وذلك يوم الأربعاء لسِتٍّ أو لثلاث بقين أو لليلتين بقيتا من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاث مائة. وقيل: يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان أو يوم الاثنين لخمس بقين من رمضان أو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه. ومولده في سنة ثلاث وثلاث مائة بمحلة كندة في الكوفة، والله اعلم.

ومن الدواوين ديوان البحتري، وهو أبو عبادة وليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري[٤]، الشاعر المشهور. مدح كثيرًا من الخلفاء أوّلهم المتوكّل على الله وكثيرًا من الأكابر والرؤساء، وأقام ببغداد زمانًا، ثم عاد إلى الشام، وتشبَّب في أشعاره بعلوة بنت زريقة، وزريقة أمها. وكان يقول: كان الشعراء يعرضون أشعارهم على أبي تمام، فلما عرضت عليه شعري أقبل عليَّ وترك سائر الناس. فلما تفرّقوا قال لي: أنت أشعر منْ أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلة. فكتب إلى أهل معرَّة النعمان وشهد لي بالحذق فأكرموني بكتابه ووظَّفوا لي أربعة آلاف درهم. فكانت أول مال أصبته. وكان يقال لشعر البحتري: سلاسل الذهب، وهو في الطبقة العليا. وقيل له: أنت أشعر أم أبو تمام؟ قال: جيِّده خير من جيِّدي، ورديّ خير من رديّه. وقيل للمعرّي. أيّ الثلاثة أشعر: أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فقال: هما حكيمان والشاعر البحتري، وشعر البحتري سائر، وديوانه موجود فلا حاجة إلى الإكثار في مدح شعره. وجمع شعره على الحروف أبو بكر الصولي[٥]، وعلى الأنواع علي بن حمزة. وللبحتري: كتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام. وله كتاب معاني الشعر. ولد سنة ست أو سبع أو خمس أو إثنتين أو إحدى ومائتين أو مائتين. وتوفي سنة أربع أو خمس أو ثلاث وثمانين ومائتين، والأول أصحّ. وكان موته بمنبج[٦] أو بحلب والأول أصحّ.

ومن الدواوين: ديوان جرير، وهو أبو حرزة

= أبـعـيـن مـفـتـقـر إلـيـك نـظـرتـنـي
فـأهـنـتـنـي وقـذفـتـنـي مـن حـالـق
لـسـت الـمـلـوم أنـا الـمـلـوم لأنـنـي
أنـزلـت أمـالـي بـغـيـر الـخـالـق

كذا في هامش الأصل.

(١) فاتك بن ابي الجهل الأسدي: لعله فاتك بن فضالة بن شريك الاسدي الكوفي. من الاشراف. انظر عنه: لسان الميزان ٩/ ٤٠، التقريب ٢/ ١٠٧.
(٢) هي موضع بدجلة، انظر: مراصد الاطلاع ٨٣٠.
(٣) في بعض الروايات، والسيف والرمح والقرطاس والقلم.
(٤) البُحتري بضم الباء والتاء نسبة إلى البحتر أحد أجداده (كذا في هامش الأصل).
(٥) أبو بكر الصولي: هو ابو بكر الصولي، توفي عام ٩٤٦هـ. اديب وشاعر، اشتهر بلقب الشطرنج نادم الخلفاء والوزراء. له عدة كتب ودواوين. انظر: المنجد في الاعلام ٣٥٠.
(٦) بلد قديم كبير واسع، بينه وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وإلى حلب عشرة فراسخ. انظر: مراصد الاطلاع ١٣١٦.

بالحاء المهملة والراء المهملة ثم المنقوطة، جرير بن عطية الخطفي، واسمه حذيفة التميمي، الشاعر المشهور. كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن. وأجمعت العلماء على أنّه ليس في شعراء الإسلام مثل ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل. ويقال: إنّ بيوت الشعر أربعة: فخر ومديح ونسيب وهجاء، وفي الأربعة فاق جرير على غيره. حكى أبو عبيدة أنّ أمّ جرير رأت في نومها وهي حامل به كأنّها ولدت حبلًا من شعر أسود، فجعل ينزو، فيقع في عنق هذا وهذا حتى فعل ذلك برجال كثيرة. فأوّلوا الرؤيا بأنّها تلد غلامًا شاعرًا ذا شرٍّ وشدة شكيمة وبلاء على الناس. فلما ولدته سمته جريرًا باسم الحبل، والجرير الحبل. ويلقّب جرير بابن المراغة، وهذا لقب لأمه هجاه به الأخطل، ونسبها إلى أنّ الرجال يتمرّغون عليها. ولما مات الفرزدق وبلغ خبره جريرًا بكى وقال: أما والله إنّي لأعلم إني قليل البقاء بعده، ولقد كان نجمنا واحدًا، وقلّ ما مات ضد أو صديق إلّا تبعه صاحبه، وكذلك كان. توفي في سنة عشر ومائة، وفيها مات الفرزدق، وعمّر نيفًا وثمانين سنة[١].

ومن الدواوين ديوان الفرزدق، وهو أبو فراس همّام أو هميم بن غالب، وكنيته أبو الأخطل التميمي، الشاعر المشهور بالفرزدق صاحب جرير. كان أبوه من جُلّة قومه وسرواتهم، وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس[٢]. وللفرزدق في مفاخر أبيه أشياء كثيرة. وقد اختلف العلماء بالشعر في المفاضلة بين جرير والفرزدق، والأكثرون على أنّ جريرًا أشعر منه، وكان بينهما من المهاجاة والمعاداة ما هو المشهور، وفي كتب المحاضرات مذكور، فلا نضيّع بذكرها السطور. وشهد الفرزدق عند بعض القضاة شهادة فقال: قد أجزناك. فلما انفصل عن المجلس قال القاضي: زيدونا في الشهود. فأخبر الفرزدق بذلك فقال: وما يمنعه من ذلك وقد قذفت ألف محصنة. وأخبار الفرزدق كثيرة مذكورة في كتب المحاضرات والتواريخ فالاختصار أولى. توفي بالبصرة سنة عشر ومائة قبل جرير بأربعين أو بثمانين يومًا. وقيل: إنّهما توفيا سنة إحدى عشرة ومائة. قيل: لقي الفرزدق علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وتوفي سنة اثنتي أو أربع عشرة أو عشرة ومائة. مات وقد قارب المائة. ولقب الفرزدق قطع العجين، وإنّما لُقّب به لغلظه وقصره. وقيل: لقب به لأنه كان جهم الوجه وقد أصابه جدري في وجهه، وهذا القول أصح، وخبره مع زوجته النوار، وهي ابنة عمه، تزوجًا وطلاقًا، وندامته على الطلاق شهيرة في كتب المحاضرات[٣].

ومن الدواوين: ديوان أبي نواس، وهو أبو علي الحسن بن هانىء بن عبدالأول المعروف بأبي نواس، الشاعر المشهور. كان جدّه مولى الجراح بن عبدالله الحكمي[٤] والي خراسان.

---

(١) جرير، انظر ترجمته في: الاعلام ٢/ ١١٩، الشعر والشعراء ١٧٩، وفيات الأعيان ١/ ١٠٢، خزانة الأدب ١/ ٣٦.

(٢) الأقرع بن حابس: هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن تميم توفي في خلافة عثمان بن عفان. صحابي جليل، شهد الوقائع والفتوح، له رواية. انظر عنه: اسد الغابة ١/ ١٢٨.

(٣) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ١٣/ ١٥٢، طبقات الشعراء ٧٥، الأغاني ٩/ ٣٢٤، معجم الشعراء ١٦٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٩، معجم الأدباء ١٩/ ٢٩٧، لسان الميزان ٤/ ٤٣٣.

(٤) الجراح بن عبدالله الحكمي: هو الجراح بن عبدالله الحكمي، ابو عتبة. والي خراسان، قائد فارس شجاع، عابد، قارىء، له رواية وحديث وتوفي عام ١٢٢هـ. وأخباره مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٥/ ١٨٩، ابن الأثير ٥/ ٤٨، تاريخ الاسلام ٤/ ٢٣٧، العبر ١/ ١٣٧، شذرات الذهب ١/ ١٤٤.

وسأل الخصيب[١] صاحب ديوان الخراج بمصر أبا نواس عن نسبه فقال: أغناني أدبي عن نسبي، فأمسك عنه. وولد بالبصرة ونشأ بها. وقيل: ولد بالأهواز، ثم خرج إلى الكوفة، ثم صار إلى بغداد فأسلمته أمه وهو طفل إلى بعض العطّارين، فرآه أبو أسامة والبة بن الجناب[٢] فاستحلاه، فقال له: إني أرى فيك مخائل، وستقول الشعر. فصار معه، وقدم به بغداد حتى صار من الطبقة الأولى من المولّدين. وشعره عشرة أنواع، وهو مجيد في العشرة. وقد اعتنى بجمع شعره طائفة. ولهذا يوجد ديوانه مختلفًا، منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون[٣]، وأخبار كثيرة وأشعار شهيرة، وإصاباته في الأمور في الألسنة مذكورة، ولا حاجة إلى التطويل. وذكر الإمام اليافعي في تاريخه أمورًا غريبة يكاد يستحيلها العقل لولا صحة النقل. ولد في سنة خمس وأربعين أو ستة وثلاثين ومائة، وتوفي سنة خمسٍ أو ستٍ أو ثمانٍ وتسعين ومائة ببغداد. وإنما قيل له أبو نواس لذؤابتين كانتا له تنوسان على عاتقيه. قال الخلكاني: وما أحسن ظنّه بربه عز وجل حيث يقول:

تكثر ما استطعت من الخطايا
فإنك بالغ ربًّا غفورا
ستبصر إنْ وردت عليه عفوًا
وتلقى سيدًا ملكًا كبيرا
تعضّ ندامةً كفيك مما
تركت[٤] مخافة النار السرورا

قيل: وكان المأمون يقول: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس:

ألا كلّ حيّ هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت
له عن عدوٍّ في ثياب صديق

ومن الدواوين: ديوان مؤيّد الدين الطغرائي، وهو عميد الملك فخر الكتاب، أبو إسمٰعيل، الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد، الملقّب مؤيد الدين الأصبهاني، المنشئ المعروف بالطغرائي. كان غزير الفضل لطيف الطبع. فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر، وله ديوان شعر جيد. ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم. وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمس مائة يصف حاله ويشكو زمانه، وشرحها صلاح الدين الصفدي في مجلدين وسمّاه: الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم. وقد ملأ شرحه بالفوائد الأدبية والغرائب الجدية والهزلية. وبالجملة إنّه من أحسن المجاميع وأنفعها. وولّي الطغرائي

(١) الخصيب: هو احمد بن الخصيب بن عبدالحميد الجرجراني. توفي عام ٢٦٥هـ/ استوزره المنتصر ثم المستعين على مصر. له أخبار مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٢/ ٥٥٣، العبر ٢/ ٢٩، شذرات الذهب ٢/ ١٤٩، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٧٢.

(٢) وجدت في اللسان أن والبة بموحدة خفيفة بعد اللام الساكنة ابن الحباب الأسدي الكوفي. قال أبو الفرج: كان ظريفاً غزلاً، ووصافاً للشراب والغلمان. هاجى يساراً وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً. وقال ابن أبي أمين: كان والبة صديقاً لعلي بن ثابت، وكان قدم الأهواز يمدح أميرها، فوجد أبا نواس هناك وهو غلام، فاستصحبه وعلّمه النظم، وكان يتهم به. وعنه أخذ أبو نواس النظم والمجون والفسق. وقال الفضل بن اليزيدي عن ابن سهل: كان والبة ماجناً خبيث الدين، وأنشد له شعراً. (كذا في هامش الأصل).

(٣) ابراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون: هو ابراهيم بن احمد الطبري البغدادي المالكي، ابو اسحاق، توفي عام ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م. محدث، له بعض الكتب.
معجم المؤلفين ١/ ٥، معجم المصنفين ٣/ ٥٨، تنقيح المقال ١٢، اعيان الشيعة ٥/ ١٠٢، نزهة الألباء ٢٤٣، كشف النقاب عن الاسماء والألقاب ٤٤.

(٤) في النسخة المصرية: نزلت.

الوزارة مدة بمدينة أربل[١] للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي[٢]، وكان ينعت بالأستاذ. ولما جرى بين السلطان مسعود وأخيه محمود المصاف[٣] بالقرب من همدان، وكانت النصرة لمحمود، فنسبوا الاستاذ إلى الإلحاد، وكانوا خافوا منه لفضله، فقتل سنة ثلاث أو أربع أو ثماني عشرة وخمس مائة، وقد جاوز ستين سنة[٤]. والطغرائي نسبة إلى من يكتب الطغراء وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه، وهي لفظة أعجمية.

قال ابن الأثير في الكامل: كان الاستاذ يميل إلى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيّعت من الناس أموالًا لا تحصى. قيل: وتلك التصانيف معتبرة عند أهلها. منها: كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة، ومنها: جامع الأسرار وكتاب تراكيب الأنوار ورسالة ذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات، يبين فيه إثبات صناعة الكيمياء والرد على ابن سينا في إبطالها بمقدمات من كتاب الشفاء به. ويقال إنّ الاستاذ ألقى المثقال من الإكسير أولًا على ستين ألفًا ذهبًا وآخرًا على ثلاث مائة ألف. وإنما سميت قصيدته بلامية العجم تشبيهًا لها بلامية العرب، ومطلع لامية العرب هذه:

أقيموا بني أمي صدورَ مطيِّكم
فإني إلى قومٍ سواكم لأميل

ومطلع لامية العجم هذه:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل

روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: علّموا أولادكم لامية العرب فإنّها ترفع هممهم وتصلح كلمهم. ورأيت لها شرحًا حسنًا تام المقاصد كثير الفوائد، وهو مجلد جيّد. وحسبك تسمية هذه القصيدة بلامية العجم، وعدّها نظيرة للامية العرب، وإضافة الشيء إلى شيء مشهور أو عظيم يدلّ على شرف المضاف.

ومن الدواوين ديوان ابن نباتة بالضم، وهو أبو نصر[٥] عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة، كان شاعرًا مجيدًا، جمع بين حسن السَّبك وجودة المعنى. طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء. وله في سيف الدولة ابن حمدان غرّ القصائد ونخب المدائح، ومعظم شعره جيد. وله ديوان كبير. ولد في سنة سبع وعشرين وثلاث مائة، وتوفي يوم الأحد ثالث شوال سنة خمس وأربع مائة ببغداد[٦]. رُوِّي

---

(١) مدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع، لها قلعة حصينة ذات خندق عميق في طرف المدينة، فيقطع سور المدينة في نصفها، وهي على تلٍّ عالٍ من تراب، وفيها اسواق ومنازل للرعية، وهي شبيهة بقلعة حلب إلاّ أنها أكبر وأوسع. انظر: مراصد الاطلاع ٥١.

(٢) مسعود بن محمد السلجوقي: هو السلطان الكبير مسعود بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه السلجوقي، ابو الفتح. غياث الدين. توفي عام ٥٤٧هـ. بطل شجاع، ذو رأي ومهابة، له أخبار مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢٠/ ٣٨٤، المنتظم ١٠/ ١٥١، الكامل ١١/ ١٦٠، مرآة الزمان ٨/ ١٢٩، وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٠، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٣، شذرات الذهب ٤/ ١٤٥، البداية والنهاية ١٢/ ٢٣٠.

(٣) محمود المصاف: هو السلطان محمود بن السلطان محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي مغيث الدين. توفي عام ٥٢٥هـ. صاحب العراق. تملك بعد أبيه. اخباره مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٩/ ٥٢٤، المنتظم ١٠/ ٢٤، الكامل ١٠/ ٦٦٩، وفيات الأعيان ٥/ ١٨٢، العبر ٤/ ٦٦، مرآة الزمان ٨/ ٨٥، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٣.

(٤) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٤/ ٣٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٠١، شذرات الذهب ٤/ ٤١، مرآة الجنان ٣/ ٢١٠، البداية ١٢/ ١٩٠.

(٥) الشاعر الخطيب اسمه عبدالرحيم وكنيته أبو يحيى. (كذا في هامش الأصل).

(٦) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ١١/ ٢٧٣، الدرر الكامنة ٤/ ٢١٦، النجوم الزاهرة ١١/ ٩٥، حسن المحاضرة=

عنه أنه قال: كنت يومًا قائمًا في دهليزي فدقّ علي الباب، فقلت: مَن؟ فقال: رجل من أهل الشرق. فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل:

ومن لم يمت بالسيف مات بعلةٍ
تنوعت الأسبابُ والداء واحدُ

فقلت: نعم. فقال: أرويه عنك؟ فقلت: نعم. فلما كان آخر النهار دقّ عليّ الباب. فقلت: مَنْ؟ فقال: رجل من أهل تاهرت[1] من الغرب. فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أنت القائل.

ومن لم يمت بالسيف مات بعلة
تنوعت الأسباب والداء واحدُ

فقلت: نعم. فقال: أرويه عنك؟ فقلت: نعم. وعجبت كيف وصل شعري إلى الشرق والغرب.

قلت: ونظير هذه الحكاية في الاتفاق أنّ أبا الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني كان بمنى أيام التشريق، فسمع مناديًا ينادي: يا أبا الفرج. فقلت: لعله ينادي غيري فلم أجبه. ثم نادى: يا أبا الفرج المعافى. فقلت: يجوز أن يتفق آخر في الإسم والكنية فلم أجبه. فرجع فنادى يا أبا الفرج المعافى ابن زكرياء النهرواني، فقلت: لم يبق شك. فقلت: ها أنا ذا فما تريد؟ قال: لعلك من نهروان الشرق. فقلت: نعم. فقال: نحن نريد نهروان الغرب. فعجبت من اتفاق الإسم والكنية واسم الأب وما انتسب إليه، وعلمت أنّ نهروانًا آخر بالغرب غير ما بالعراق.

ومن الدواوين: ديوان ابن المعتز، وهو أبو العباس، عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، أخذ الأدب عن المبرّد وثعلب وغيرهما. كان أديبًا بليغًا شاعرًا مطبوعًا مقتدرًا على الشعر، قريب المأخذ سهل اللفظ، جيّد القريحة حسن الإبداع للمعاني، مخالطًا للعلماء والأدباء، معدودًا من جملتهم. وكان شديد السمرة مسنون الوجه، يخضب بالسواد. وكان رخي البال في عيش رغيد إلى أن خدع المقتدر وبويع عبدالله ابن المعتز، ولقبّوه المرتضى بالله أو المنصف بالله أو الغالب بالله أو الراضي بالله. أقام يومًا وليلة ثم أعيد المقتدر واختفى ابن المعتز، ثم أخذه المقتدر وقتله يوم الخميس ثاني شهر ربيع الآخر سنة ستٍ وتسعين وومائتين[2]. ولابن المعتز من التصانيف: كتاب الزهر والرياض، وكتاب البديع، وكتاب مكاتبات الإخوان بالشعر، وكتاب الجوارح والصيد، وكتاب السرقات، وكتاب أشعار الملوك، وكتاب الآداب، وكتاب طبقات الشعراء، وغير ذلك. وله أشعار رائقة وتَشبيهات بديعة. وله البيت المشهور وهو:

وكان ما كان مما لست أذكره
فظنَّ خيرًا ولا تسأل عن الخبر

وقيل الرواية عنه: فظّن شرًا، قاله في مليحٍ جاءه ليلًا، واصطبح معه في غرة الفجر. والأبيات طويلة أوردها ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان.

ومن الدواوين: ديوان ابن الفارض وهو أبو حفص وأبو القاسم، عمر بن أبي الحسن علي ابن المرشد بن علي الحموي الأصل، مصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض،

=١/ ٣٢٩، البدر الطالع ٢/ ٢٥٢.

(١) اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة، والأخرى تاهرت المحدثة، وبينها وبين المسيلة ست مراحل، بين تلمسان وقلعة بني حماد. انظر: مراصد الاطلاع ٢٥١.

(٢) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٦/ ١٥٤، الاغاني ١٠/ ٧٤، وفيات الاعيان ١/ ٣٢٣، تاريخ بغداد ١٠/ ٩٥، البداية ١١/ ١٠٨، مرآة الجنان ٢/ ٢٢٥، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٥.

المنعوت بالشرف. له ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق ظريف، ينحو منحى طريقة الفقراء. وله قصيدة مقدار ستّ مائة بيت مشتملة على اصطلاحهم ومنهجهم. وله دوبيت ومواليا وألغاز. قال الخلكاني: سمعت أنه كان رجلًا صالحًا كثير الخير، على قدم التجرد. جاور بمكة زادها الله شرفًا وتعظيمًا زمانًا. وكان حسن الصحبة محمود العشرة. أخبرني بعض أصحابه أنّه ترنّم يومًا وهو في خلوة ببيت الحريري صاحب المقامات وهو:

من ذا الذي ما ساء قط
ومن له الحسنى فقط

قال: فسمع قائلًا ولم يرَ شخصه وقد أنشد:

محمد الهادي الذي
عليه جبريل هبط

ولد في الرابع من ذي القعدة سنة ستٍ وسبعين وخمس مائة بالقاهرة، وتوفي بها يوم الثلاثاء من جمادى الأولى سنة إثنتين وثلاثين وست مائة[١]. الفارض الذي يكتب الفروض للنساء على الرجال.

ومن الدواوين: ديوان بهاء الدين زهير، وهو أبو الفضل، زهير بن محمد بن علي الكاتب، من فضلاء عصره وأحسنهم نظمًا ونثرًا وخطًا، وأكبرهم مروءة. واتصل بخدمة السلطان الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب، وتوجّه في خدمته إلى البلاد الشرقية ثم عاد معه إلى القاهرة. قال الخلكاني: وكنت يومئذٍ بالقاهرة ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة ودماثة السجايا، وكان كبير القدر عند صاحبه، ومطلعًا على سرائره. ونفع خلقًا كثيرًا بحسن وساطته وجميل سفارته. وكان مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمس مائة بمكة حرسها الله تعالى، وتوفي بمصر يوم الأحد رابع ذي القعدة سنة ست وخمسين وست مائة[٢].

ومن الدواوين: ديوان أبي علي دعبل بن علي الخزاعي، الشاعر المشهور. أصله من الكوفة، وأقام ببغداد، وقيل دعبل لقب واسمه الحسن أو عبدالرحمن أو محمد، وكنيته أبو جعفر. وكان أطروشًا، وفي قفاه سلعة. كان شاعرًا مجيدًا إلّا أنه كان بذيء اللسان مولعًا بالهجو والحطّ من أقدار الناس. وهجا الخلفاء منهم المأمون ومن دونهم. وطال عمره؛ وكان يقول: لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي، أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك. وكان بينه وبين مسلم بن الوليد الأنصاري[٣] اتحاد كثير، وعليه تخرج دعبل في الشعر. وكان يقول: من فضل الشعر أنه كلما زاد كذب الشاعر زاد المدح له، ثم لا يقنع له بذلك حتى يقال له أحسنت والله، فلا يشهد له شهادة زور إلّا ومعها يمين بالله تعالى ولد دعبل في سنة ثمان وأربعين ومائة، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين[٤]. ودِعْبِل بكسر الدال اسم الناقة الشارف. ومدح دعبل علي بن موسى الرضا بقصيدة أولها.

مدارس آيات خلت عن تلاوة
ومهبط وحي مقفر العرصات

---

(١) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٧/ ٣٠١، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٣، لسان الميزان ٤/ ٣١٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٨، شذرات الذهب ٥/ ١٤٩.

(٢) انظر ترجمته في: الاعلام ٣/ ٥٢، وفيات الأعيان ١/ ١٩٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٢، آداب اللغة ٣/ ١٨.

(٣) مسلم بن الوليد الأنصاري: هو مسلم بن الوليد الأنصاري البغدادي، الملقب بصريع الغواني. توفي في أواخر عهد الخليفة هارون الرشيد. شاعر مداح. له أخبار وديوان مطبوع. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٨/ ٣٦٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٩٦، الجرح والتعديل ٥/ ٣٩٥.

(٤) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٤/ ١٤٥، معجم الأدباء ١١/ ٩٩، لسان الميزان ٢/ ٤٣٠، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٢.

وأمر له علي بن موسى الرضا بجائزة سنيّة، فقال: ما قلنا إلّا لوجه الله تعالى. وسأل منه قميصًا باشر جسده ليجعله في كفنه لعلّ الله يبرد به مضجعه، فأعطاه ذلك. ولما سمعه فضل بن سهل[(١)] حمل إلى دعبل ثلاثين ألف درهم، وحمل إليه المأمون مالًا جزيلًا، فانصرف بأربح صفقة وأثرى حال لشاعر. ولهذا البيت حكاية طويلة تركناها للاختصار.

ومن الدواوين: ديوان القاضي التنوخي، وهو القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد التنوخي. وله كتاب الفرج بعد الشدة، وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه، وكتاب نشوان المحاضرة، وله كتاب المستجاد من فعلات الأجواد. ونزل بغداد وأقام بها وحدّث إلى حين وفاته. وكان سماعه صحيحًا. وكان أديبًا شاعرًا إخباريًا، تقلّد القضاء والأعمال من قبل الإمام المطيع لله. ولد ليلة الأحد لأربع بقين من ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاث مائة بالبصرة، وتوفي ليلة الاثنين لخمسٍ بقين من المحرّم سنة أربع وثمانين وثلاث مائة ببغداد[(٢)]. وأما ولده أبو القاسم علي بن المحسن كان أديبًا فاضلًا له شعر وكان يصحب أبا العلاء المعري، وأخذ عنه. وهم أهل بيت كلهم فضلاء أدباء ظرفاء. ولد في منتصف شعبان سنة خمس وستين وثلاث مائة بالبصرة، وتوفي يوم الأحد مستهل المحرّم سنة سبع وأربعين وأربع مائة[(٣)]. وإذا انتهيت الى هذا المقام فلعلك تسأم من هذا النوع من الكلام، مع أنّ إحصاء شعراء الاسلام أمر تنبو عنه الأوهام.

ومما لم نتعرض له ديوان شمس الدين ابن عفيف التلمساني[(٤)]، وديوان ابن سناء الملك[(٥)]، وديوان القاضي الفاضل[(٦)]، وديوان ابن الوكيل[(٧)]، وديوان التهامي[(٨)]، وديوان ابن النبيه

(١) فضل بن سهل: هو الفضل بن سهل الفارسي. توفي عام ٢٠٢هـ. من أسرة فارسية اسلمت زمن المهدي والمأمون. وكان له شأن فتسلم وزارة الحرب. له أخبار مشهورة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٠/ ٩٩، تاريخ الطبري ٨/ ٤٢٨، مروج الذهب ٤/ ٥، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٣٩، وفيات الأعيان ٤/ ٤١، البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٩.

(٢) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٨/ ١٨٥، تاريخ بغداد ١٣/ ١٥٦، وفيات الاعيان ١/ ٥٦٣، معجم الادباء ١٧/ ٩٢، النجوم الزاهرة ٤/ ١٦٨، شذرات الذهب ٣/ ١١٢.

(٣) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين ٧/ ١٧٥، المنتظم ٨/ ١٦٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٥٨، فوات الوفيات ٢/ ٦٨، لسان الميزان ٤/ ٢٥٢.

(٤) شمس الدين ابن عفيف التلمساني: هو محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله التلمساني، المعروف بالشاب الظريف. وبابن العفيف، شمس الدين أبو عبدالله. ولد عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م. وتوفي عام ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م. شاعر، له ديوان وعدة رسائل. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٠/ ٥٣، الوافي بالوفيات ٣/ ١٢٩، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٨١، الاعلام ٧/ ٢١.

(٥) ابن سناء الملك: هو هبة الله بن جعفر بن المعتمد سناء الملك السعدي المصري، أبو القاسم، ولد عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م. وتوفي عام ٦٠٨هـ/ ١٢١٢م. شاعر ناثر، له ديوان وعدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٣/ ١٣٥، وفيات الأعيان ٦/ ٢٤٩، معجم الأدباء ١٩/ ٢٦٥، حسن المحاضرة ١/ ٣٢٥، مرآة الجنان ٤/ ١٧.

(٦) القاضي الفاضل: هو عبدالرحيم بن علي بن محمد بن الحسن بن الحسين بن احمد بن المفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المصري، المعروف بابن القاضي الفاضل، محي الدين أبو علي. ولد عام ٥٢٩هـ/ ١١٣٢م. وتوفي عام ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠م. كاتب شاعر، مؤرخ، وزير. له عدة كتب ورسائل. انظر عنه: معجم المؤلفين ٥/ ٢٠٩، وفيات الأعيان ١/ ٣٥٧، النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٦، شذرات الذهب ٤/ ٣٢٤.

(٧) ابن الوكيل: هو يوسف بن محمد المعروف بابن الوكيل، ابو الحجاج، كان حياً عام ١١١٤هـ/ ١٧٠٢م. اديب، اخباري. له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٣/ ٣٣٣، الاعلام ٨/ ٣٣٣.

(٨) التهامي: هو الحسن بن محمد التهامي. توفي عام ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م. شاعر، له ديوان شعر. انظر عنه: معجم المؤلفين ٣/ ٢٧٨.

المصري[1]، هؤلاء كلهم شعراء الاسلام.

وأما الشعراء القدماء فأشعرهم عشرة نذكر أسماءهم ها هنا:

منهم امرؤ القيس بن حُجر الكندي[2] هو الذي فتح لهم أفانين الشعر وبكى في الدمن فاتبعوه واقتدوا به في الجزالة والفصاحة.

ومنهم النابغة الذبياني[3] واسمه زياد بن عمرو، وقد قدّمه بعض الرواة على امريء القيس لرقة شعره.

ومنهم زهير بن أبي سُلمى بضم السين المزني وهو أشدّهم أمرًا وأمدحهم وأجرأهم على الكلام. وابنه كعب[4] بلغ الاسلام فأسلم ومدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما هجاه، وتاب بعدما عصاه، وأنشد عنده قصيدته المشهورة: بانت سعاد، فعفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أهدر دمه، وأجازه ببردة له صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم فحسن إسلامه.

ومنهم الأعشى[5] واسمه ميمون بن قيس بن ثعلبة، كان لا يمدح أحد إلّا رفع منه، ولا يهجو أحدًا إلّا وضع منه.

ومنهم طرفة بن العبد بن سفيان[6] فضله بعض الشعراء على غيره، وزعم لبيد أنّه أشعر الناس.

ومنهم أوس بن حجير[7] من بني الأسد بن عمرو بن تميم، كان شاعر تميم، أدرك زهير والنابغة.

ومنهم لبيد بن ربيعة[8] من بني عامر بن

---

(١) النبيه المصري: هو علي بن محمد بن حسن بن يوسف بن يحيى المصري، كمال الدين ابو الحسن، المعروف بابن النبيه. شاعر بليغ، توفي عام ٦٢١هـ. له ديوان. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٢/ ١٧٨، فوات الوفيات ٣/ ٦٦، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٤٣، حسن المحاضرة ١/ ٥٦٦.

(٢) امرؤ القيس بن حُجر الكندي: هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار. ولد نحو ١٣٠ق.هـ. نحو ٤٩٧م. وتوفي نحو ٨٠ق.هـ/ نحو ٥٤٥م. من أشهر شعراء العرب في الجاهلية. وهو صاحب المعلقة المشهورة. كان سكيراً حتى بلغه نبأ مقتل ابيه، فأقلع عن الشرب وقضى بقية حياته يطلب المعونة ليثأر له. كتب الكثيرون عنه. وله ديوان شعر. الاعلام ٢/ ١١، الأغاني ٩/ ٧٧، تهذيب ابن عساكر ٣/ ١٠٤، الشعر والشعراء ٣١، الخزانة ١/ ١٦٠، وغيرها.

(٣) النابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني المضري، ابو امامة. توفي عام ١٨ق.هـ./ ٦٠٤م. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. ناقد للأدب، حكيم. له ديوان مطبوع. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٥٤، معاهد التنصيص ١/ ٣٣٣، الأغاني ١١/ ٣، نهاية ٣/ ٥٩، خزانة الأدب ١/ ٢٨٧.

(٤) كعب: هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرَّب. توفي عام ٢٦هـ/ ٦٤٥م. شاعر، مخضرم. أدرك الاسلام ومدح النبي ﷺ بقصيدته المشهورة: بانت سعاد. له ديوان مطبوع. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٢٢٦، خزانة الأدب ٤/ ١١، الشعر والشعراء ٦١، عيون الأثر ٢/ ٢٠٨، جمهرة اشعار العرب ١٤٨.

(٥) الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير المعروف بأعشى قيس. توفي عام ٧هـ/ ٦٢٩م. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وصاحب معلقة. جمع شعره في ديوان مطبوع. وأخباره كثيرة. انظر: الاعلام ٧/ ٣٤١، معاهد التنصيص ١/ ١٩٦، خزانة البغدادي ١/ ٨٤، آداب اللغة ١/ ١٠٩، رغبة الآمل ٤/ ٧٠.

(٦) طرفة بن العبد بن سفيان: هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، أبو عمر. توفي عام ٦٠ق.هـ/ ٥٦٤م. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. له معلقة مشهورة وديوان شعر مطبوع. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٢٢٥، الشعر والشعراء ٤٩، سمط اللآلي ٣١٩، جمهرة اشعار العرب ٣٢، خزانة الأدب ١/ ٤١٤، المحبر ٢٥٨.

(٧) أوس بن حجير: هو أوس بن حجر (حجير) بن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير، من شعراء الجاهلية وفحولها، يعد من الطبقة الثالثة. كان شاعر مضر ثم تميم في الجاهلية، واخباره مفصلة في كتب الادب.
الأغاني ١١/ ٦٤.

(٨) لبيد بن ربيعة: هو لبيد بن ربيعة بن مالك، ابو عقيل العامري. توفي عام ٤١هـ/ ٦٦١م. أحد فحول الشعر في العصر الجاهلي. ادرك الاسلام وصحب النبي ﷺ. له معلقة مشهورة، وديوان شعر مطبوع. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٢٤٠، خزانة الأدب ١/ ٣٣٧، آداب اللغة ١/ ١١١، الشعر والشعراء ٢٣١، جمهرة أشعار العرب ٣٠.

صعصعة، لم يدرك أحد منهم الاسلام غيره لطول عمره. كان أتقاهم كلمًا وأقلهم سقطًا.

ومنهم عُدي بن زيد[(١)] من بني امريء القيس بن مناة بن زيد بن تميم، كان الفضل بن محمد[(٢)] يقدّمه عليهم لحسن استعاراته وحلاوة عباراته.

ومنهم عبيد بن الأبرص[(٣)] هو أقدمهم سِنًا، وقد جعله الحطيئة[(٤)] بعد امريء القيس.

ومنهم بشر الأسدي[(٥)] وهو عاشرهم، وأهل الحجاز يقدمونه عليهم ويرون أنه أشعرهم وأسدّهم سياقًا للحديث.

علم ذكر الموت والبعث والنشور(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول: في ذكر الموت والترغيب فيه:

إعلمْ أنّ المنهمك في الدنيا والمحبّ لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت، وإنْ ذُكّرَ به كرهه ونفرَ منه.

ثم الناس إمّا منهمك فلا يذكر الموت، وإنْ ذكره فيذكره لتأسّف على دنياه، وإمّا تائب فإنّه يكثر ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف فيفي بتمام التوبة، وربما يكرهه خيفة من أنْ يختطفه قبل تمام توبته وقبل إصلاح الزاد. ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»[(٦)]، فإنّ هذا لا يكره لقاء الله بل يكره فوت لقائه. وإمّا عارف يذكر الموت دائمًا لأنّه موعد لقائه لحبيبه، وهذا في الأكثر يستبطيء الموت ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار ربّ العالمين.

وههنا درجة هي مقام التسليم والرضاء، وهي أعلى من الكلّ، وصاحبها يفوّض أمره إلى مولاه، فلا يختار لنفسه موتًا ولا حياة، بل يكون الأحبّ إليه ما هو الأحبّ لمولاه. وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب، حتى أنّ المنهمك ربما يستفيد به التجافي عن الدنيا لأنّه يكدر عليه اللذات والشهوات فيكون من أسباب النجاة. ولذلك قال ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات»[(٧)] أي نغّصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلون على الله. وما ورد في فضيلة الموت من الأخبار والآثار كثيرة جدًا فلا

---

(١) عُدي بن زيد: هو عدي بن زيد بن الحمار العبادي التميمي النصراني الجاهلي. من فحول الشعراء. توفي قبيل ظهور الاسلام. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٥/ ١١٠، الشعر والشعراء ١/ ٢٢٥، الاغاني ٢/ ٩٧، سمط اللآليء ٢٢١، ابن الأثير ١/ ٤٨٣، اللباب ١/ ١١١، بلوغ الارب ٢/ ٢٦٢، خزانة الأدب ١/ ١٨٣.

(٢) الفضل بن محمد: لم يعثر له على ترجمة.

(٣) عبيد بن الأبرص: هو عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم السعدي الاسدي، ابو زياد. توفي نحو ٢٥ ق.هـ/نحو ٦٠٠م. شاعر جاهلي، من دهاة العرب وحكمائهم له ديوان شعر مطبوع.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٦/ ٢٣٤، الاعلام ٤/ ٣٣٩، كشف الظنون ٢/ ١٠٤٨.

(٤) الحطيئة: هو جرول بن اوس بن مالك العبسي، المعروف باسم الحطيئة. توفي نحو ٤٥هـ/نحو ٦٦٥م. شاعر مخضرم، اشتهر بالهجاء العنيف. له ديوان شعر.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٣/ ١٢٩، الأغاني ٢/ ١٥٧، فوات الوفيات ١/ ٩٩، الاعلام ٢/ ١١٠، كشف الظنون ١/ ٧٨٥.

(٥) بشر الأسدي: هو بشر بن موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة، ابو علي الاسدي البغدادي. ولد عام ١٩٠هـ وتوفي عام ٢٨٨هـ. امام حافظ ثقة له رواية واخبار انظر عنه:
سير اعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٢، تاريخ بغداد ٧/ ٨٦، المنتظم ٦/ ٢٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦١١، العبر ٢/ ٨٠، البداية والنهاية ١١/ ٩٥.

(*) هذا هو الأصل العاشر من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات من شعب علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب من احب لقاء الله. . .، ح ١٤، ٤/ ٢٠٦٥.

(٧) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت ح ٢٣٠٧، ٤/ ٥٥٣: بلفظ: «اكثروا» و«هاذم».

نطول بذكرها الكلام.

إلّا أنّ ذكر الموت إنّما يؤثر في القلوب لذكرهم إياه بظاهر قلوبهم وعذبة ألسنتهم، وإلّا فلو ذكروه بقلب فارغ عن الشهوات، وإذعان لحال الأموات، وإلى ما صار حاله بعد طول فرحهم وسرورهم بالدنيا وغرورهم بالجاه والمال والأعوان والأنصار، حتى أيتموا أولادهم وأرملوا نساءهم، وتصرّف بأموالهم أعدى(١) الناس بل أيدي أعدائهم، وكيف خلت منهم مجالسهم وبيوتهم، وانقطعت آثارهم، ونسيت أسماؤهم، لأثّر ذكر الموت في قلوبهم وجعلوه نصب أعينهم.

ثم إنّ قصر الأمل ديدن العلماء وأرباب القلوب، وفضيلته مذكورة في الأخبار والآثار، وإنّه أصل كل سعادة. إلّا أنّ القلوب مبتلون بطول الأمل، وعمت هذه البلية الكافة. وله سببان:

أحدهما: الجهل حيث يستبعد الموت مع الصحة والشباب، ولا يدري أنّ مشايخ البلد أقلّ من شبانه، وليس ذلك إلّا لكثرة الموت في الشبان والصبيان أكثر، فإلى أنْ يموت شيخ يموت ألف صبي وخمسمائة شاب. وأيضًا لا يدري أنّ الموت وإنْ لم يكن فجاءة لكن المرض فجاءة غير بعيد، وذلك لأنّ الوهم يعرف ما لم يألفه، فالإنسان أَلِفَ موت غيره ولم يرَ موت نفسه أصلًا، فلذلك يستبعده. إلّا أنّ من له عقل يعرف أنّ الأجل قدر، والإنسان كلّ يوم وساعة في القرب إليه، وكل آتٍ قريب.

وثانيهما: حبّ الدنيا فإنّه أنس بشهواتها فيشق عليه مفارقتها، وكل من كره شيئًا دفعه عن نفسه، ويتمنى ما يوافق هواه، فلا يزال يتوهّم البقاء في الدنيا وأسبابه إلى أن يتقرّر عنده ذلك، ولا يخطر بباله الموت، وإذا خطر بباله الموت يسوفه إلى الكهولة ثم إلى الشيخوخة ثم إلى الرجوع من سفره أو إلى الفراغ من تدبير ولده أو جهاز ابنته أو قهر عدوه، إلى غير ذلك من الأماني الباطلة.

وهكذا يفضي به شغل إلى شغل آخر أو إلى أشغال إلى أن تخطفه المنية في وقت لا يحبه، فعند ذلك تعظم حسرته وندمه حين لا ينفعه الندم. والمسكين يقدر أنّه سيفرغ من أمور الدنيا، وهيهات ما فرغ منها إلّا من اطرحها، ولا يزيد التسويف إلّا قوة ورسوخًا. وأكثر حزن أهل النار وصياحهم من سوف، يقولون: واحزناه من سوف. ونعم ما قيل:

ولستُ بمدركٍ ما فات منّي
بلهف ولا بليتَ ولا لو أنّي

إذا عرفت أنّ طول الأمل التسويف وسببه الجهل المحض أو حبّ الدنيا، فاعلم أنّ علاجه إنْ كان من الجهل يندفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة، وإنْ كان من حبّ الدنيا فعلاجه شديد وهو الداء العضال الذي أعيى الأوّلين والآخرين علاجه، ولا علاج له إلّا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب. ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حبّ الدنيا، فإنّ حبّ الخطير يمحو عن القلب حبّ الحقير. فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أنْ يلتفت إلى الدنيا كلّها وإنْ أعطيَ مُلك الأرض من المشرق إلى المغرب. فمن كان مستعدًا إلى الآخرة فقد فاز فوزًا عظيمًا، ومن كان مغرورًا بطول الأمل فقد خسر خسرانًا مبينًا.

هذا ثم إنّ الناس متفاوتون في طول الأمل:

منهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبدًا، قال الله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٢).

---

(١) في النسخة المصرية: أيدي، وهو الأرجح لمناسبتها لما بعدها من كلمة أيدي أعدائهم.
(٢) البقرة/٩٦.

ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر، وهو الذي يحبّ الدنيا حبًا شديدًا.

ومنهم من يأمل إلى سنة، وإنما يستعد في الشتاء للصيف وفي الصيف للشتاء. وإذا جمع ما يكفي لسنة اشتغل بالعبادة.

ومنهم من يأمل الصيف فقط أو الشتاء فقط فلا يستعد في أحدهما للآخر.

ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد لغد. قال عيسى عليه السلام لا تهموا[١] برزق[٢] غدٍ، فإنْ يكن غدًا من آجالكم فيأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لأرزاق غيركم.

ومنهم من [لا][٣] يجاوز أمله ساعته، كما قال ﷺ: «يا عبدالله، إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح»[٤]. ومنهم من لا يقدر البقاء أيضًا ساعة. «كان ﷺ يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول: لَعلّي لا أبلغه»[٥]

ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به وهو ينتظره، ويصلي صلاته صلاة مودّع كما روي: «أنه ﷺ سأل معاذًا عن حقيقة إيمانه قال: ما خطوت خطوة إلّا ظننت أني لا أتبعها أخرى»[٦]. وهذه مراتب الناس في الأمل. وليس مَنْ أملُه مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم، ودرجاتهما عند الله تعالى أيضًا متفاوتة، فإنّ الله لا يظلم مثقال ذرة: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾[٧]. ثم إنّ علامة قصر الأمل المبادرة في العمل قبل حلول الأجل، ومن ادّعى قصر الأمل وهو يعتني بالدنيا فهو كاذب في دعواه، فالتوفيق علامة أنْ يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة، فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت. فإنْ عاش إلى المساء شكر الله على طاعته، وفرح بأنّه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظّه وادخره لنفسه، ثم يستأنف مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح، ولا يتيسّر هذا إلّا لمن قلبه فرغ عن الغد وما يكون فيه، فمثل هذا إذا مات سعد وغنم، وإنْ عاش سُرَّ بحسن الاستعداد ولذة المناجاة، فالموت له سعادة والحياة له مزيد.

المطلب الثاني: دواهي الموت، وهي أربع:

الأولى: شدة النزاع[٨]. واعلم أنّ الألم المصيب للبدن إنما يدرك بواسطة الروح، وإذا وصل الألم إلى نفس الروح فلا تسل عن كربه وألمه حتى قالوا: إنّه أشد من ضربٍ بالسيف ونشرٍ بالمناشير وقرضٍ بالمقاريض. وإنما لا يقدر على الصياح مع شدة ألمه لزيادة الكرب حيث قهر كل قوة وضعف كل جارحة، فلم يبق له قوة الاستغاثة. أمّا العقل فقد غشيه وشوّشه. وأمّا اللسان فقد أبكمه. وأمّا الأطراف فقد ضعفها حتى إنْ بقيت فيه قوة سمعت له خوارًا وغرغرة من صدره وحلقه حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها، وتغلق دونه أبواب التوبة، وتحيط به الحسرة والندامة. قال ﷺ: «تقبل توبة العبد ما

(١) كذا في الأصل، ولعله تهتموا لمناسبتها لما بعدها.
(٢) في النسخة المصرية: برفق، وهو تصحيف ظاهر.
(٣) [لا] ـ ناقصة في النسخة الهندية.
(٤) اتحاف الزبيدي، كتاب المراقبة والمحاسبة، باب بيان مراتب الناس في طول الأمل، ١٠/ ٢٥١.
(٥) اتحاف الزبيدي، كتاب المراقبة والمحاسبة، باب بيان مراتب الناس في طول الأمل ١٠/ ٢٥١.
(٦) اتحاف الزبيدي، كتاب ذكر الموت، وما بعده، باب بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره. ١٠/ ٢٥١.
(٧) الزلزلة/ ٨.
(٨) في النسخة المصرية. في شدة النزاع.

لم يغرغر»(١). فلا تسل عن عظم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم هوِّن على محمد سكرات الموت»(٢). والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به، حتى إنّ الأنبياء لمعرفتهم به يخافون من ذلك خوفًا شديدًا.

الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع منه على القلب. فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيتها، إلّا أنّ المطيع يراه في أحسن صورة وأجملها.

الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار. ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين: إمّا أبشرْ يا عدوّ الله بالنار، أو أبشر يا وليَّ الله بالجنة.

الرابعة: خوف سوء الخاتمة. وقد مرّ ذكره في الخوف والرجاء فلا نعيده.

ثم المستحبّ للمحتضر عند الموت هو صوت الهَدْوِ والسكون، ومن لسانه أنْ يكون ناطقًا بالشهادتين، ومن قلبه أنْ يكون حسن الظَّنِّ بالله. قال النبي ﷺ: «أرقبوا الميت عند ثلاث: إذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به، وإذا غطّ غطيط المجنون واحمرّ لونه وازبدّت شفتاه فهي من عذاب الله قد نطق به. وأمّا انطلاق لسانه بالشهادة فهي من علامة الخير»(٣). إلّا أنّ الملقن لا يلح عليه إذْ ربما يستثقله لشدة حاله ويخشى أنْ يفضي إلى سوء الخاتمة.

وأما معنى هذه الكلمة أنْ يموت الرجل وليس في قلبه غير الله. فإنْ لم يبق غير الله تعالى فهو في النعيم الدائم، وإنْ كان مشغوفًا بالدنيا ومتأسفًا على لذاتها كان أمره إلى خطر المشيئة، فإنّ مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلّا أنْ يتفضل الله بالقبول، وإنما الواجب على العبد حسن الظنّ في ذلك الوقت.

المطلب الثالث: في حقيقة الموت وأحوال الميت:

اعلم أنّ للناس في أحوال الموت ظنونًا فاسدة.

ظنَّ بعضهم أنّه هو العدم ولا حشر ولا نشر بل الموتى كالنبات وجفافها. هذا رأي الملاحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

وظن بعضهم أنّه ينعدم بالموت ولا يتنعم ولا يتألم إلى أنْ يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: الأرواح باقية، وهي المثاب والمعاقب دون الأجساد، وأنها لا تبعث ولا تحشر أصلًا. وكل هذه ظنون فائدة ومائلة عن الحق.

والحق الذي نطق به الآيات والأخبار أن الموت تغيّر حال لا عدم، وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمّا معذَّبة أو منعَّمة. ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها في الجسد. ولا يبعد أن تعاد إلى الجسد في القبر قدر ما يدرك اللذة والألم، ولا يبعد أن يؤخّر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على عباده.

وأمّا نفسه وروحه فهي باقية، نعم تغيّر حالها من وجهين:

أحدهما: أنّه بالموت سلب عن أمواله وأهله وسائر أحواله إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم، إمّا سعيد الحال أو شقي البال.

وثانيهما: أنّه ينكشف له ما يضرّه أو ما ينفعه، حسناته وسيئاته، «والناس نيام، فإذا ماتوا

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، ح ٣٥٣٧، بلفظ: «إن الله يقبل...»
(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب الصبر والشكر، باب بيان حقيقة الصبر ومعناه، ٩/ ١٣.
(٣) اتحاف الزبيدي، كتاب ذكر الموت وما بعده، باب بيان ما يستحب من احوال المحتضر. ١٠/ ٢٧٣.

انتبهوا»[١]. فإما يتنعم أو يتألم، وهذه أحوال تهجم عليه قبل الدفن. وأما بعد الدفن فقد تُرَدُّ روحه إمّا لنوع آخر من العذاب أو لنوع آخر من الثواب، ولو لم يكن له إلّا الخزي والافتضاح وهتك السِّرّ عند الموت لكفاه. ولكن وراءه أمور أخر لا يكاد يعبر عنه الألسنة.

وأمّا إنْ كان من أهل التنعيم ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالاضافة إليه كالسجن والمضيق، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف، لا يبلغ طرف أقصاه، فيه أنواع الأشجار والأزهار والطيور والثمار فلا يشتهي العودة إلى السجن المظلم.

وفي أحوال القبر ثلاث مقامات:

أحدها: وهو الأسلم أن يصدق بوجودها ولا يفتش عن كيفيتها.

وثانيها: أن يفتش عن أحواله ويقيس ذلك إلى نائم يرى في نومه ما يخافه أو يتنعم منه، ولا يقف عليه من يجاوره ولو في فراش واحد. ولا يخفى أن النوم أخو الموت.

وثالثها: أنّ الحية لا تعذّب بل السّم، وكذا السّم لا يعذب بل المؤلم أثره، وخلق الأمور بدون أسبابها العادية جائزة في قدرة الله تعالى، وكذا الحال في اللذة.

ثم أهل البصائر قد حكموا بإمكان هذه الطرق الثلاث فصدق بهم تقليد[٢]. وأمّا من يعرف ذلك تحقيقًا فيعزّ على بسيطة الأرض. وعليك أنْ لا تشتغل بمعرفة تفاصيل العذاب، بل اللائق بك الاشتغال بالتدبير في دفع العذاب.

وإنْ أردت معرفة كيفيات العذاب فعليك بمطالعة الأخبار والآثار، إذْ معرفة ذلك في هذا العالم لا يمكن إلّا بمشاهدة بعين أخرى غير عين تشاهد بها عالم الملك والشهادة، ولكن الإنسان جعل غشاوة على عينه التي يشاهد بها عالم الغيب من شهواته وأشغاله الدنيوية، فصار لا يبصر بها. ولما كانت أعين الأنبياء منقشعة عن الغشاوة شاهدوا تلك الأحوال وأخبروا بها، فتتبع ذلك من أخبارهم. ومن هذه المشاهدة حال الرؤيا التي نراها في المنام، إذْ كثير منها توجد صحيحة.

والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علم المكاشفة، وهي أمر عظيم، لكن الناس غافلون عنها. وإجمال القول فيها أنّ النفس كالمرآة، ولوح الله تعالى مكتوب فيها جميع ما كان وما سيكون، لا على لوح من خشب أو حديد، بل على شيء مجرّد لا بكتابة معهودة بل بنقش معنوي. ثم الحواس إذا تعطلت بالنوم ارتفع حجاب النفس إذْ لا حجاب لها غير الالتفات إلى المحسوسات، فحينئذٍ يتقابل اللوح ومرآة النفس، فتنتقش فيها صور اللوح. إلّا أنّ النوم لا يمنع الخيال عن عمله فيحاكي المعاني بمثال يقارب ذلك المعنى. فالمعبر أنّما يعبّر عن الصورة الخيالية إلى المعنى المأخوذ من اللوح فيحكم بجلية الحال.

ولنذكر مثالًا من التعبير، وهو أنّ رجلًا ذكر لابن سيرين: رأيت كأن بيدي خاتمًا أختم به أفواه الرجال وفروج النساء. فقال: أنت مؤّذن تؤذّن قبل الصبح في رمضان؟ فقال: صدقت.

فانظر أنّ روح الختم المنع، والنفس لما انتقش حاله من اللوح بأنّه يمنع الناس من الأكل والشرب والجماع، ولكن الخيال ألِفَ المنع عند الختم بالخاتم مثّله به في الصورة الخيالية، ثم لا يبقى في الحفظ إلّا هذه الصورة، فالمعبِّر إذا

---

(١) العجلوني، كشف الخفاء، ٢/ ٤١٤.

(٢) كذا في الأصل.

سمعها يعرف المناسبة بين هذه الصورة ومعناها، فيعبّر عن الصورة إلى المعنى. فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه.

ثم إنّ الانسان عند موته ينكشف له الحجاب فيرى نفسه إمّا محفوفة بالمخازي والأنكال والفضائح، نعوذ بالله من ذلك، أو مكنوفًا بنعيم مقيم، أو بملك كبير لا آخر له. فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر بباله قطّ ولا اختلج به ضمير، ولو لم يكن للعاقل همّ ولا غمّ إلّا التفكّر في خطر تلك الحالة لكان ذلك كافيًا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا. وهذه العظائم بين أيدينا. وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وأسبابنا ودوابنا بل بأعضائنا وأسماعنا وأبصارنا مع أنّا نعلم مفارقة جميع ذلك. ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد البشر ﷺ: «أحبب ما أحببت فإنّك مفارقه، وعشْ ما شئت فإنّك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ به»[(١)]. فلا جرم لما كان ذلك مكشوفًا له ﷺ بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل، لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، ولم يخلّف دينارًا ولا درهمًا، ولم يتخذ حبيبًا ولا خليلًا. نعم قال: «لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن»[(٢)]، فبيّن أنّ خلة الرحمن تخللت باطن قلبه، وأنّ حبه تمكن من حبة قلبه، فلم يترك فيه متسعًا لخليل ولا حبيب. وقد قال ﷺ لأمته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٣)] وإنمّا أمته مَنْ اتبعه، وما اتبعه إلّا مَنْ أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة، فإنه ما دعا إلّا إلى الله واليوم الآخر، وما صرف إلّا عن الدنيا والحظوظ العاجلة، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله، وبقدر ما سلكت سبيله اتبعته، وبقدر ما اتبعته صرت من أمته، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[(٤)]. ولو انصفت من نفسك وأنت من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلّا في الحظوظ العاجلة لم تطمع أنْ تكون غدًا من أمته وأتباعه. فإنْ ظننت هذا وأنت مصرّ على ما فعلت فما أبعد ظنّك وما أبرد طمعك. ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[(٥)]. فنرجو الله تعالى أنْ لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنّه وسعة جوده إنه جواد كريم رؤف رحيم.

علم ذمّ الجاه والرئاء[(*)]

وفيه مطالب:

المطلب الأول: في أنّ حبّ الجاه أشدّ من حبّ المال:

وذلك لأنّ كلًا منهما للتوصل إلى المطالب، إلّا أنّ المال لما أنْ لم يأمن عن الآفات من السرقة والغصب وطمع الظلمة وكان الجاه الذي هو تسخير القلوب وتعظيمها له وطاعتها له مأمونًا

(١) اتحاف الزبيدي، كتاب الفقر والزهد، باب بيان فضيلة الفقر على الغنى، ٩/ ٢٩٤.
(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين، حديث (١٥٤)، ٥/ ٦٥.
(٣) آل عمران/ ٣١.
(٤) النازعات/ ٣٧ _ ٣٩.
(٥) القلم/ ٣٥ _ ٣٦.
(*) هذا هو الأصل الثامن من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن شعب الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.
وفي النسخة المصرية، في الهامش: في الأصل السابع، وهو خطأ، والصواب كما ذكرنا أنه الأصل الثامن.

عن الآفات المذكورة، صار الجاه أحبّ عند الناس. وأيضًا لما كان التوصل بالمال أصعب من التوصل بالجاه إلى المال، صار الجاه أحبّ عنده. وأيضًا إنّ ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة، بخلاف المال.

فإنْ قلت: النفوس مجبولة على حبّ الجاه، إذْ لا يتوصل إلى المحبوب إلّا به كاتساع الجاه وانتشار الصيت.

قلت: هذا الحبّ له سببان:

أحدهما: وهو الجلي أنّ الانسان وإنْ كان مكفيًا في الحال فإنّه طويل الأمل، والمال في معرض الآفات. وفي الجاه أمن عن هذا الخوف.

وثانيهما: وهو الخفي الأقوى أنّ الروح أمر رباني، به وصفه الله تعالى وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1]. ولذلك كان محبًا بطبعه التفرّد بالكمال. ولما فيه من الأمر الرباني صار طبعه على حبّ صفات الربوبية من الكبر والعزّ والتجبّر والاستعلاء، إلّا أنّه لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبّة ومشتهية له. ثم إنّ الكمال الحقيقي للموجود أنْ يكون وجود غيره منه، وإنْ لم يكن كذلك فلا أقلّ من أنْ يكون مستوليًا عليه لأنه نوع كمال.

ولمّا كان الموجود منقسمًا إلى ما لا يدخل تحت اختيار الإنسان كالأفلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملآئكة والجنّ والشياطين، وكالجبال والبحار وما تحتهما، وإلى ما يدخل تحتها كالأرض وما عليها من المعادن والنبات والحيوان. وقلوب نوع الإنسان، وكان طبع الإنسان الاستيلاء على الكلّ، أحبّ أن يستولي على القسم الأول بالعلم والاطلاع على أسرارها فان ذلك نوع استيلاء إذْ المعلوم محاط والعالم محيط به، فكذلك أحبّ أنْ يعرف الله والملائكة والأفلاك والكواكب وجميع عجائب السموات وعجائب البحار والجبال وغيرها.

وأما القسم الثاني فأحبّ أنْ يستولي عليها بالقدرة على التصرّف فيها كيف يريد، وهي قسمان:

أجساد كالدراهم والدنانير وما في حكمهما، فيجب أنْ يتصرّف فيها كيف يشاء لأنّ محبوب النفس صفات الربوبية، وما ذكر من التصرّف منها فكذلك أحبّ الدراهم والدنانير. ولذلك أيضًا أحبّ استرقاق العبيد واستعباد الأحرار. والقسم الآخر: أرواح كنفوس الآدميين وقلوبهم، وهي أنفس ما على الأرض، فيحب الاستيلاء عليها تحقيقًا لما في طبعه من محبة صفات الربوبية لما فيه من الأمر الرباني.

ثم أعلم أنّ الكمال الحقيقي لله تعالى، وما عدا هذا الكمال وهمي لا حقيقة له، وذلك من وجوه ثلاثة.

أحدها: من حيث كثرة المعلومات إذْ لا نهاية لها.

وثانيها: من حيث كون معلوماته مكشوفة له تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هي عليه.

ثالثها: من حيث بقاء العلم أبد الآباد مصونًا عن التغيّر، والعبد متى كان علمه بمعلومات كثيرة أو منكشفة أو باقية كان أقرب إلى الله تعالى.

ثم المعلومات إمّا متغيرات. وهي التي يمكن انقلابها، وإمّا أزلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات، فإنّ هذه معلومات أبدية أزلية ثابتة. ومن هذا القبيل: معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله، وحكمته في ملكوت السماء والأرض وترتيب الدنيا والآخرة. وهذا القسم هو

(١) الإسراء/ ٨٥.

الكمال الحقيقي، يقرب من يتصف به من الله تعالى، ويبقى كمالًا للنفس بعد الموت، ويكون نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا. وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات لأنها من أفعاله تعالى، وهذه الكمالات وإنْ كانت كمالات في رتبة الإنسانية ليست كمالات حقيقية بالنسبة إلى علمه تعالى لما عرفت، وكذا القدرة، فليس فيها كمال حقيقي، وليس له قدرة حقيقية، وإنما القدرة الحقيقية لله تعالى. وما يحدث من الأشياء عقيب قدرته وإرادته وحركته فهي حادثة بإحداث الله تعالى. وكمال العلم يبقى للعبد بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى، فأما كمال القدرة فلا. نعم له كمال من جهة قدرته على أسباب العلم كسلامة أطرافه وحواسه لكن في الحال، وبالاضافة إلى الجهال، وإنما الكمال الحقيقي للعبد القرب من الله تعالى ومن ملآئكته، وهو إمّا بالعلم وقد ذكرناه أو بالحرية وهي الخلاص عن أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبهًا بالملآئكة. فإذًا الكمالات ثلاثة: العلم والقدرة والحرية، وإنّ كمال القدرة بالمال والجاه ظني لا أصل له إلّا قدر ما يصل إلى الكمال.

المطلب الثاني: ما يحمد من حبّ الجاه وما يذمّ منه:

إعلم أنّه كما يلزم للإنسان من أدنى مال يتوسل به إلى الآخرة كذلك لا بدّ له من أدنى جاه يتوصل به إليها كخادم يعينه، وأستاذ يرشده ويعلمه، وسلطان يدفع عنه الشّر، وحبّه قدرًا من الجاه الذي يتوسل به إلى هذه الأمور الثلاثة ضروري لا يذم عليه. وأمّا الذي يذمّ أنْ يجعل القصد الأصلي هذا الجاه، ويجعل ما يتوسّل بالجاه إليه وسيلة إليه، كحبّ نفس المال وجعل العلم والدين وسيلة إليه وهو حرام، وإليه يؤول حرمة الرئاء.

ثم الجاه في الأمور المذكورة إمّا باعتقادهم صفة هي موجودة فيه كقول يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(١)، أو بإخفاء عيب من عيوبه أو معصية من معاصيه، وذلك جائز لأنه ليس بتلبيس بل سدّ لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به، كمن يخفى أنّه يشرب الخمر ولكن لا يظهر أنه ورع لأنّ الإخفاء جائز، وإما إظهار الورع رئاء، أو بأنّ يدّعي صفة ليست هي فيه بأنْ يظهر أنّه عالم أو ورع أو علوي، وذلك حرام قطعًا لأنه رئاء محض.

المطلب الثالث: في أسباب حب المدح والثناء وبغض الذم والنفرة منه، وهي أربعة:

الأول: وهو الأقوى شعور النفس بكمالها، فإنْ كان ذلك الكمال جليًا ظاهرًا كانت اللذة أضعف، كطول القامة وبياض اللون، وإنْ كان خفيًا مشكوكًا فيه كانت اللذة أعظم، كالعلم والورع، سيّما إذا صدر الثناء بهذا الكمال ممن هو خبير بذلك لا يجازف في القول، كثناء الأستاذ على تلميذه. ويعرف من لذة المدح بغضّ الذمّ عند الانسان.

الثاني: أنّ المدح يدلّ على أنّ قلب المادح مملوك للمدوح ومسخّر تحت مشيئته، ولهذا يعظم في قلبه مدح الملوك والأكابر ويصغر عنده مدح الأداني، ولهذا يتألم القلب من ذمّ الأكابر.

الثالث: أنّ المدح سبب لاصطياد القلوب سيّما إذا كان ممن يعتّد بشأنه، ولهذا يعظم اللذة في مدح الأكابر في الجمع الكثير ويعظم التألّم من الذمّ في الملأ.

الرابع: أنّ المدح يدلّ على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه إمّا عن طوع أو عن قهر، وهذه اللذة تحصل وإن

(١) يوسف/ ٥٥.

كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به، ولكن يتلذذ به القلب لما فيه من الاستيلاء والقهر.

ثم إنّ هذه الأسباب كلّا أو بعضًا ربما تجتمع في مدح مادح واحد فلا لذة فوقه.

وأما علاج هذه الأسباب، أمّا الأول: فبأنْ يعلم أنّه غير صادق في مدحه فتزول لذته وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه، ثم إنْ علم أنّ المادح لا يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وتبقى لذة الاستيلاء بالحشمة على الاضطرار. فإنْ اعتقد أنّ ذلك عن خوفه وأنّه يلعب به بطلت اللذات كلّها.

المطلب الرابع: في علاج حُبّ الجاه:

إعلم أنّ من غلب على طبعه حبّ الجاه وكان مقصور الهم على مراعاة الخلق والمراياة لأجلهم، ولا يزال ملتفتًا إلى ما يعظم جاهه عنده، ويجر ذلك إلى التساهل في العبادات ومراعاة القلوب.

وعلاج الجاه من حيث العلم أنّ الجاه وإنْ صفا وسلم لك لكن آخره الموت، بل لو سجد لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة أو ستين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له، فلا ينبغي أنْ يترك له الدين الذي هو الحياة الأبدية.

وأمّا من حيث العمل فبمباشرة فعل يسقط جاهه به عند الناس حتى أنّ بعضًا من الملامتية اقتحموا صور الفواحش كذلك، لكنه لا يجوز لمن يقتدى به. والأسلم أنْ يسقط في صورة المباح كالأكل الكثير إن عرف بقلة الأكل، وكالدوران في الأسواق إنْ عرف بالعزلة، إلى غير ذلك. وهذا وأمثاله وإنْ كان ممنوعًا في الفقه، لكن أرباب القلوب يعالجون قلوبهم تارة بالمكروهات وتارة بالمحرمات ليسلموا مما هو أشدّ منه، لأنَّ بعض الشر أهون من بعض، ثم يتداركون ذلك بعلاج آخر.

ثم إنّ ههنا موضع غرور وهو أنّ الإنسان ربما يعتزل ويزعم أنّه يترك الجاه ولكن غرضه تحصيل الجاه بذلك وهو لا يعرفه، فعليه أنْ يمتحن نفسه بذلك أولًا، فإنْ جزع فليتدارك ذلك بالعلاج، ولا يمكن أنْ لا يطلب المنزلة عند الناس ما طمع في الناس، فعليه أنّ يدفع الطمع أولًا بما بيّناه في موضعه.

المطلب الخامس: في وجه العلاج في حبّ المدح وبغض الذّم:

إعلم أنْ أكثر الخلق هلكوا لرجائهم من الناس المدح وتوقيهم عن ذمّهم، فلا بدّ من معالجة ذلك المرض. ولنقدم أولًا أسبابه ثم لنبين علاجه.

السبب الأول: استشعار الكمال بسبب قول المادح، وعلاجه أنّ صفة المدح إنْ لم تكن في الممدوح فالفرح بها من غاية الجهل، وإنْ كانت فيه فإمّا أن يكون من قبيل الجاه والأغراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض، قال القائل:

أشدّ الغمّ عندي في سرور
تيقّن عنه صاحبه انتقالًا

وإنّ جاز الفرح بها، لا ينبغي الفرح بالمدح بها بل بوجودها، والمدح ليس هو سبب وجودها. وإنْ كانت مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أنْ لا يفرح بها أيضًا لأنّ الخاتمة غير معلومة.

السبب الثاني: دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببًا لتسخير قلب آخر، وذلك راجع إلى حبّ الجاه، وقد عرفت علاجه.

السبب الثالث: الحشمة التي اضطّرت المادح إلى المدح فهو أيضًا راجع الى قدرة عارضة لا ثَباتَ لها، سيّما وآفة المدح على الممدوح عظيمة.

وأمّا علاج كراهية الذمّ قد سبق أنّ العلة فيها ضد العلة في حبّ المدح، فعلاجه يفهم منه. وحاصله أنّ من ذمّ إمّا أنْ يكون صادقًا وقصد به

النصح، فينبغي أنْ تتقلّد منته، وإمّا أنّ يكون صادقًا وقصد الأذى والتعنّت فأنت قد انتفعت بقوله إذْ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلًا، أو ذكرك عيبك إنْ كنت غافلًا، وقصده التعنّت جناية على دينه ولا عليك من ذلك. وإما أنّ يفتري عليك بما أنت بريء منه عند الله، فعليك أن تتفكر في ثلاثة أمور.

أحدها: إنْ خلوت من ذلك فلا تخلو عن أمثاله، وما يستر الله من عيوبك أكثر.

وثانيها: أنّ ذلك كفارة لبقية مساويك وذنوبك، فكأنّه رماك بذنب وطهَّرك عن ذنوب.

وثالثها: أنّ المسكين جنى على نفسه ودينه وتعرّض لعقاب الله، فلا ينبغي أنْ تغضب عليه مع غضب الله عز وجل، فتشمّت الشيطان به وتقول: اللهم أهلكه، بل ينبغي أن تقول: اللهم أصلحه، اللهم تُبْ عليه، اللهم ارحمه. ومن جملة ما يهون عليه المذمة قطع الطمع فإنْ من استغنى عنه لا يعظم عنده الذم والمدح.

المطلب السادس: في أحوال الناس في المدح والذّم، وهي أربع:

الأولى: أنْ يفرح بالمدح ويشكر المادح، ويغضب من الذمّ ويحقد على الذام، وهي غاية درجات المعصية.

الثانية: أن يمتعض، ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته وهذا ناقص في نفسه كامل بالإضافة إلى ما قبله.

الثالثة: وهو أول درجات الكمال أنْ يستوي عنده ذامّه ومادحه، إلّا أنّ ههنا موضع غرور وهو أن بعضهم يظنه من نفسه فعليه أنْ يمتحن: هل يستثقل جلوس الذام عنده أكثر مما يجده في المادح؟ وهل يجد في نفسه زيادة هزّة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حوائج الذام؟ وهل يكون موت المادح المطري له أشد نكاية في قلبه من موت الذام؟ وهل يكون زلة المادح أخفّ على قلبه وفي عينه من زلة الذام؟ فمن استويا عنده في هذه الأمور فقد نال تلك الرتبة، وإلّا فقد أبعد عنها غاية البعد.

الرابعة: وهو الصدق في العبادة أنْ يكره المدح ويمقت المادح، إذْ يعلم أنّه فتنة عليه قاصمة للظهر والذامّ مُهْدٍ إليه عيبه ومرشد إلى مهمه.

ثم إنّ درجات المدح هو أنّ من الناس من يتمنى المدحة فيتوصل إلى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات، وهذا من الهالكين. ومنهم من يريد ذلك لكن يطلبه بالمباحات، وهذا على شفا جرف هارٍ إذْ يوشك أنْ يقع فيما لا يحلّ. ومنهم من لا يريد المدحة ولا يطلبها أصلًا، ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه، وإن جاهد إزالته فهو في خطر المجاهدة، فتارة يكون له وأخرى عليه. ومنهم من لا يسرّ به ولا يغتم وهذا على خير إنْ قارنه الإخلاص. ومنهم من يكره المدح إذا سمعه لكن لا ينتهي به إلى الغضب على المادح وينكر عليه لكن بشرط الصدق في غضبه، وإلّا صار نفاقًا، وهذه أفضل الدرجات.

المطلب السابع: في الرثاء:

إعلم أنّ الرثاء حرام والمرائي عند الله ممقوت، وقد شهد لذلك الآيات والآثار والأخبار. وأما حقيقته فهي أنّ الرثاء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع، وإنما الرثاء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس برؤيتهم خصال الخير، ويخصّ بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها. وحاصله إرادة العباد بطاعة الله، وذلك خمسة أقسام:

الأول: الرثاء في الدين من جهة البدن كإظهار النحول والصفار ليدلّ بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على السهر ودوام الحزن، وكشعث الرأس ليدلّ على استغراق الهمّ بالدّين، وكخفض الصوت وغؤور العينين وذبول الشفتين ليدلّ على الصوم.

الثاني: الرئاء بالزّي والهيئة كشعث الرأس وحلق الشارب وغلظ الثياب وقصر الأكمام ليظهر من نفسه اتباع السُّنة واقتداءً بعباد الله الصالحين. ثم منهم من يرى لبس الخشن والمرقعات ليظهر الزهد عند الصلحاء. ومنهم من يريد الجمع بين قبول الصلحاء وقبول الملوك، ولا يلبسون الثياب الفاخرة لئلّا يراهم الصلحاء، ولا المخرقة لئلّا يراهم الملوك، بل يلبسون الأكسية الرفيعة من الأصواف والمرقعات المصبوغة، وقيمة ثوبهم ثوب الأغنياء.

الثالث: الرئاء بالقول كالواعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لإظهار غزارة العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات، وترقيق الصوت بقراءة القرآن، وإظهار الحزن والخوف، وإظهار أنه محدث حتى ينكر على من يبدل لفظًا بمرادفه، وهذا باب لا تنحصر جزئياته.

الرابع: الرئاء بالعمل كطول وتطويل الركوع والسجود، وإطراق الرأس، وكذلك سائر العبادات، حتى أنّه يرائي في مشيه أيضًا من إطراق الرأس والخشوع في حركته.

والخامس: المراياة بالأصحاب والزائرين والمخالطين، كاستزارة العلماء والزهاد والملوك وعمال السلاطين ليقال إنّهم يعظمونه ويتبركون به لعظم رتبته في الدين. ثم إنّ من أرباب الرئاء من لا يطلب من الناس المال بل يقنع منهم بحسن الاعتقاد كالرهبان الساكنين في الجبال، فإنّ الجاه أمر لذيذ في نفسه كما عرفت. ومنهم من يريد مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد. ومنهم من يريد الصيت في العالم ليكثر الرحلة إليه. ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته ليقوم له به جاه عند العامة. ومنهم من يتوسل به إلى جمع حطام الدنيا ولو من الأوقاف، وهؤلآء أشر طبقات المرائين.

ثم اعلم أنّ الرئاء منها[1] ما هو مباح كطلب قليل من الجاه ليسلم به من الآفات بشرط أنْ لا يرتكب المحظور في تحصيله. وأمّا الجاه الكثير الواسع من غير حرص مذلّ على طلبه، ومن غير اغتمام بزواله إنْ زال فلا ضرر فيه، إذْ لا أوسع من جاه رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين. ومنها ما هو مكروه كطلب الجاه بالمباحات إذا احتمل أنْ يباشر به مباشرة ما لا يجوز. ومنها ما هو حرام كطلب الجاه بالعبادات وجعلها وسائل إلى الدنيا. وسيجيء تفصيله آنفًا.

ثم إنّ الرئاء بالعبادات إمّا بأن يقصد الرئاء المحض دون الأجر، وهذا يبطل عبادته، لأنّ الأعمال بالنيات، بل يعصي بذلك ويأثم، بل هذا من كبائر المهلكات، وقد سمّاه رسول الله ﷺ الشرك الأصغر، ووجه ذلك أنّ الغرض من الركوع والسجود تعظيم الله تعالى، حتى لو فعلهما لغيره تعالى صار مشركًا شركًا جليًا. وإذا فعلهما لله صورة وأراد بهما تعظيم الخلق لقصده التقرّب إليهم كان معظمًا لغير الله تعالى صورة، فيصير شركًا خفيًا، أي شركًا لم يطلع عليه أحد، ولم تجر عليه أحكام الكفر. وكيف والغرض من العبادة طاعة القلب، والبدن وسيلة إليه، وكون عبادة البدن لغير الله تعالى كفرًا إنّما هو لكونه عنوانًا ودليلًا على حال القلب، لا أنّ حاله بانفراده معتبر في نفسه، فهذا حال الرئاء، وهو أصعب المعاصي. ولا يخلو قلب عنها إلا الأقلين من عباد الله المخلصين، ومع كثرته فعلاجه أصعب من علاج سائر المعاصي.

ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك إنّك أنت التواب الرحيم. والآيات

---

(١) كذا في الأصل.

والأخبار في شأن الرئاء أشهر من أن تذكر.

المطلب الثامن: في درجات الرئاء، وهي أربع:

الأولى: وهي أغلظها أنْ لا يكون مراده الثواب أصلًا فهو الممقوت عند الله عز وجل.

الثانية: أنْ يقصد الثواب قصدًا ضعيفًا بحيث لو كان في الخلوة لا يفعله، فهذا قريب مما قبله، وشائبة قصد الثواب لا ينفي عنه الإثم والمقت.

الثالثة: أن يكون قصد الثواب والرئاء متساويين بحيث لو خلا كلّ منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل، ولمّا اجتمعا انبعثت الرغبة فيرجى أنْ يسلم رأسًا برأس، لا له ولا عليه، وظواهر الأخبار تدلّ على أنّه لا يسلم.

الرابعة: أنْ يكون اطلاع الناس مرجّحًا ومقوّيًا لنشاطه، ولو لم يكن لكان لم يترك العبادة، ولو كان قصد الرئاء وحده لما أقدم على العمل. فالذي يظنّ - والعلم عند الله - إنّه لا يحبط أصل الثواب ولكن ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرئاء ويثاب على مقدار قصد الثواب.

المطلب التاسع: في الرئاء بأصول العبادات وأوصافها، وفيه درجات:

الأولى: وهو أغلظ الرئاء بأصل الإيمان، نعوذ بالله من ذلك، وصاحبه مخلّد في النار. والمراد بالمنافقين المذكورين في القرآن هو هذا.

الثانية: بأصول العبادات بعد الإيمان، وهذا أيضًا عظيم عند الله ولكنه دون الأول، كمن يترك العبادة كسلًا وينشط عند اطلاع الخلق، وما أجدر صاحبه بالمقت، وإنْ كان غير منسلٍّ عن أصل الإيمان.

الثالثة: أنْ يرائي بالنوافل والسّنن بأنْ يكسل عنها في الخلوة ويبعثه الرئاء على فعلها خوفًا من المذمة أو طلبًا للمحمدة، وهذا أيضًا عظيم لكنه دون ما قبله، وهذا هو الرئاء بأصول العبادات.

وأما الرئاء بأوصافها فعلى ثلاث درجات أيضًا:

الأولى: أنْ يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة، كالذي غرضه أنْ يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة، فإذا رآه الناس أحسن هذا، فهذا أيضًا محظور لأنّ فيه أيضًا تقديم الخلق على الخالق.

الثانية: أنْ يراعي بما لا نقصان أنّ تركه بل فعله للتكملة والتتمة كمد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى.

الثالثة: أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضًا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول وتوجهه إلى يمين الإمام ونحو ذلك، وهذا دون ما قبله إلّا أنه مذموم أيضًا.

المطلب العاشر: في المرايا لأجله، وله أيضًا درجات ثلاث:

الأولى: وهي أشدها وأعظمها أنْ يكون مقصوده بالتقوى والورع والامتناع عن الشهوات التمكن من المعصية، كالقضاء وتولية الأوقاف. ومنهم من يظهر زيّ التصوّف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة وقصده التحبب إلى امرأة أو غلام، وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله عز وجل إذْ جعلوا طاعة ربهم سلمًا إلى فسقهم وشهواتهم.

الثانية: أن يكون غرضه نيل حظٍّ مباح من حظوظ الدنيا من مال مباح أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة أو بنت عالم أو عابد، فهذا محظور، لأنّه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول، فإنّ المطلوب بهذا مباح في نفسه.

الثالثة: أنْ يظهر عبادته خيفة أنْ لا يعدّ من الخاصة والزهاد كمن يظهر الصوم، وإذا غلب عليه العطش يقول أفطرت تطييبًا لقلب فلان، أو يقول إنّ أمي ضعيفة القلب مشفقة عليَّ، تظنّ أني لو صمت يومًا مرضت فلا تدعني أنْ أصوم. وأمّا المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق إليه.

المطلب الحادي عشر: في بيان الرئاء الذي هو أخفى من دبيب النمل:

واعلم أنّ الرئاء إمّا جلّي كما عرفت، وإمّا خفي وهو لا يؤثر في العمل ولا في التسهيل والتخفيف، ولكنه يسرّ باطلاع الناس عليه ويرتاح له ويروّح عن قلبه شدة العبادة. وهذا السرور يدلّ على رئاء خفيّ في القلب مستكن استكنان النار في الحجر، فإنْ لم يقابل ذلك السرور بكراهية يصير ذلك قوة وغذاء للعرق الخفي من الرئاء حتى يتحرك حركة خفية، حتى يتكلف أنْ يطلع عليه الناس بالتعريض دون التصريح. وقد يخفى فلا يدعو إلى التعريض بل إلى الإظهار بالشمائل كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد. وأخفى من ذلك أن لا يريد إطلاع أحد عليه ولا يسرّ بذلك، لكن يحب أنْ يبدأ بالسلام والبشاشة والتوقير، وأن يثنوا عليه وينشطوا لقضاء حوائجه، وأن يوسعوا له في المكان كأنه نفسه يتقاضى منه الاحترام على الطاعة التي أخفاها حتى لو لم تسبق منه طاعة لما استبعد نفسه تقصير الناس في حقه، فلم يزل المخلصون على خطر عظيم من الرئاء الخفي حتى كان بعضهم يحرص على إخفاء أعماله الصالحة إخفاء الناس فواحشهم خوفًا من الرئاء الخفي، إذْ لا يجازي الله تعالى بالأعمال إلّا إذا خلص له تعالى:

واعلم أنّ السرور الحاصل من ظهور العبادة ربما يكون محمودًا وهو أربعة:

الأول أنْ يعرف أنّ الله تعالى أظهر طاعاته وأخفى معاصيه وهذا لطف عظيم من الله عز وجل على عباده، فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس.

الثاني: أنْ يستدل بإظهار الله الجميل وبستره القبيح عليه في الدنيا أنّه يفعل كذلك في الآخرة.

الثالث: أنْ يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره أجر العلانية بما ظهر آخرًا، وأجر الستر بما قصده أولًا.

الرابع: أنْ يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم ومحبتهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة، فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله، وعلامة إخلاصه في هذا النوع أنْ يكون فرحه بمدحهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه.

المطلب الثاني عشر: بيان ما يحبط العمل من الرئاء الخفي أو الجلي وما لا يحبط:

واعلم أنّ العمل إمّا أنْ ينعقد على الإخلاص ثم ورد وارد الرئاء، أو ينعقد على الرئاء. والأول إمّا أنْ يرد الرئاء بعد الفراغ أو قبله، والأول سرور مجرد بالظهور دون الإظهار فهذا لا يحبط الأعمال، إذْ العمل قد تمّ على نعت الإخلاص، فما يطرأ بعده نرجو أن لا ينعطف عليه أثره لا سيّما إذا لم يتكلف إظهاره ولم يتمن ذلك.

نعم لو ظهرت له رغبة في الإظهار بعد تمام العمل على الإخلاص فهذا مخوف؛ وفي الاخبار والآثار ما يدلّ على أنّه محبط، لكن القياس أنْ يثاب على عمله ويعاقب على مراياته بعد ذلك.

وأما إذا ورد الرئاء قبل الفراغ فإمّا أنْ يكون مسرورًا لا يؤثر في العمل، أو يكون باعثًا على العمل. والأول لا يفسد العمل إذا لم ينعدم أصل نيته، [والثاني يحبط عمله إنْ ختم العبادة به. والقسم الثاني وهو ما ينعقد العمل على الرئاء][1]، فإنْ تم عليه فلا خلاف أنّه يعصى، وإنْ ندم عليه في أثناء صلاته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه:

أحدها أنّ صلاته لم تنعقد فليستأنف.

وثانيها أنّ التحريمة عقد والرئاء خاطر في القلب لا يفسد العقد فليستأنف الركوع والسجود وسائر الأفعال.

وثالثها لا يلزمه الإعادة أصلًا بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الإخلاص، والختم على

(١) ما بين المعقوفين [ ] ساقط من النسخة المصرية.

الإخلاص كالابتداء عليه.

واعلم أنّ مذهب الفريقين الأخيرين خارج عن قياس الفقه، وإنما القياس أنْ يقال إنْ كان الباعث في ابتداء العقد مجرد الرئاء لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده، إذْ النية إجابة باعث الدين، وههنا لا باعث ولا إجابة. وأمّا إذا كان باعث الدين ثم تجدّد له الرغبة لأجل الناس فها هنا باعثان، فهذا إمّا أنْ يكون في صدقة أو قراءة وما ليس فيه تحريم وتحليل يُثاب بباعث الدين ويعاقب بقصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر. وإن كان في صلاة أو حجّ يقبل الفساد بتطرق وخلل إلى النية فإنْ كان نفلًا فحكمه حكم الصدقة، وأمّا إنْ كان فرضًا وانبعث بمجموع الباعثين فهذا لا يسقط عنه الواجب لأنّ الإيجاب لم ينتهض بمجرّده باعثًا، ويحتمل أنّه صلّى لوجه الله تعالى وقد اقترن غيره به، فلما وجد الأول سقط عنه الفرض، واقتران غيره به لا يمنعه كالصلاة في الأرض المغصوبة. وأمّا إن كان الرئاء في المبادرة دون أصل الفرض بأنّه إنْ خلا كأنْ يصلي ولكن في آخر الوقت أو وسطه فهذا مما يقطع بصحة صلاته، لأنّ أصل الصلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت، هذا كله في رئاء يكون باعثًا على العمل، فأما مجرّد السرور بظهور العمل فبعيد بأنْ يفسد الصلاة، والمسألة غامضة، إذْ الفقهاء لم يتعرضوا لها أصلًا، والذين تعرَّضوا لها حكموا ببطلان الصلاة بأدنى خاطر، ولعل القصد ما ذكر.

المطلب الثالث عشر:

في بيان دواء الرئاء لأنه من كبائر المهلكات وأنّه قد انغرس في قلبه وهو في الصبا، لأنه يرى في الناس التصنع فيغلب عليه حبّ ذلك، وفي علاجه طريقان:

الأول: قلع عروقه واستئصال أصوله، وأصله حبّ المنزلة والجاه، وأصله ثلاثة: حبّ لذة المحمدة، والفرار من ألم المذمة، والطمع فيما في أيدي الناس. وإصلاح كل هذه قد مرَّ، ولكنّا نذكر الآن ما يخصّ الرئاء وهو أنّ رغبة العاقل في شيء لظنه انه خير له ونافع ولذيذ حالًا ومآلًا، فإنْ علم أنّه لذيذ حالًا وضار مآلًا سهل عليه قطع الرغبة عنه، كما إذا علم أنّ في العسل سمًا.

ولا يخفى أن في الرئاء آفة عظيمة مآلًا لأنه يحرم في الدنيا من التوفيق وفي الأخرى من المنزلة عند الله، بل يستحق البغض والمقت عند الله، ولو لم يكن فيه إلّا إحباط طاعة واحدة كان كافيًا في معرفة ضرره عند العاقل مع ما يتعرّض له في الدنيا من تشتّت الهمّ بسبب رضا الناس، مع أنّه غاية لا تدرك، إذْ كلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق، مع أنّ الله تعالى مسخّر لقلوبهم بالمنع والاعطاء، إذْ لا رازق إلّا الله، على أنّ في الطمع ذلّا لا يتناهى، لا يفي حاصله بذله على أنه أي خير لك في مدحهم وأنت عند الله مذموم، وأي شر لك في ذمّهم وأنت عند الله محمود، هذه هي الأدوية العلمية.

وأما الأدوية العملية فهو أنْ يعوّد نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله وإطلاعه على عبادته، ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به.

ثم إن الرئاء إذا عرض في أثناء العبادة فطريق دفعه مجموع ثلاثة أمور: المعرفة والكراهة والإباء. مثلًا يجب أنْ تعرف أنّ الله تعالى إذا كان عالمًا بحالك فأي فائدة في علم غيره، فتثمر هذه المعرفة إذا رسخت في قلبه كراهة الرئاء بسبب تفكره في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم، فتنازع هذه الكراهة الشهوة الكامنة في القلب من حبّ المدح وبغض الذم، ثم تثمر هذه الكراهة إذا رسخت في القلب الإباء عن الرئاء. وأصل ذلك كلّه حبّ الدنيا وهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب.

فان نازع طبعه بعد تحقّق الكراهة والإباء في قلبه إلى حبّ الرئاء، ومال طبعه إليه فذلك لا يكون من المرائين لأنّ الطبع لا يدخل تحت الاختيار، ولم يكلف الله عبدًا إلّا ما في وسعه، وهذا كله حال المتوسطين.

وأما المخلصون عن الرئاء فلهم في دفع خواطر الرئاء أربعة طرق:

أحدها: أنْ يطيل الجدال مع الشيطان، وذلك في الحقيقة نقصان لأنه اشتغال عن مناجاة الله تعالى، وعن الخير الذي هو فيه، وانصراف إلى قتال قطاع الطريق، وهذا نقصان في السلوك.

وثانيها: أنْ يقتصر على تكذيبه ودفعه وهذا وقفة في الطريق.

ثالثها: أنْ يقرر في قلبه كراهة الرئاء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه.

ورابعها: أنْ يعزم أنه مهما نزع الشيطان إلى أسباب الرئاء زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله تعالى وإخفائه الصدقة والعبادة، وذلك هو الذي يغيظ الشيطان.

ثم اعلم أنّ أرباب القلوب اختلفوا في طريق دفع مكايد الشيطان فلا حاجة بهم إلى الحذر. ومنهم من قال: وهم أهل الشام أنّ التصرف بالنفع والضر إنّما هو لله تعالى لا شريك له في تدبيره، وأنّ الشيطان ليس إليه أمر، فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر. ومنهم من قال: من أهل العلم: لا بد من الحذر من الشيطان وقد أمرنا الله تعالى به، ولا يسلم أحد من الشيطان. وما ذكره البصريون من استغنائهم عن الحذر فهو غرور إذ الأنبياء لم تسلم من نزعات الشيطان فكيف غيرهم. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[1].

ثم المشتغلون بالحذر فرقتان: فرقة يقولون لا أهمّ علينا منه فلا نشتغل إلّا به.

وفرقة يقولون اشتغال الهمّ كلّه بالحذر منه هو مراد الشيطان ليصدنا بذلك عن ذكر الله، بل لا بدّ من الجمع بين الأمرين.

وقال المحققون: كلا الفريقين غلطا. أما الأولى فلأنه نسي ذكر الله تعالى، وإنما أمرنا بالحذر لئلّا يصدنا عن ذكر الله، ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن النور. ومن خلا عن النور لا يمكنه الحذر عن الشيطان أصلًا. وأما الفرقة الثانية فقد جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان. وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى، وقد أمر الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه، إبليس أو غيره.

والتحقيق أن يقرر الانسان أولًا عداوة الشيطان ووجوب الحذر منه، ثم يشتغل بذكر الله عزَّ وجلَّ، ويكبّ عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان بعد ذلك، لأنّ هذا يسكن في قلبه، فيتنبه في أثناء الذكر فيشغل به عن ذكر الله، لأنّ الانسان إذا استكن في قلبه أنّ يتيقظ في وقت الصبح لأجلٍ مهم له ربما يتنبه أثناء نومه مرات وهو غافل عنه بالنوم. ولا يخفى أنّ ذكر الله يُحيي قلبه بنور العلم والعقل ويميت الهوى والشهوات، فكفاه ذلك أمر الحذر من الشيطان.

المطلب الرابع عشر: في الرخصة في إظهار الطاعات:

كما أنّ في الإسرار فائدة الإخلاص كذلك في الإظهار فائدة الاقتداء به، وآفة الرئاء والإظهار قسمان:

أحدهما: إظهار نفس العمل كالتصدّق في الملأ لترغيب الناس في الصدقة وكذا سائر الأعمال، كالصلاة والحج، ولكن بشرط أنْ لا يكون فيه شوائب الرئاء، وبشرط أنّ لا يؤذي إظهاره الخلق، كما هو الأكثر في التصدق.

---

(١) الحج/ ٥٢.

ثم الناس اختلفوا بعد اتفاقهم على جواز الإظهار للقدوة وعدم جواز الإظهار بدون قدوة أن السّر أفضل أم الاظهار للقدوة؟ والحق أن الإظهار ليقتدى به أفضل ما لم يشبه الرئاء، وإذا خاف من شوب الرئاء فالإسرار أفضل.

ثم من يظهر العمل له وظيفتان:

إحداهما: أنّ الإظهار بنية إنما يصحّ فيمن يقتدي به الناس كالعلماء دون غيرهم.

ثانيتها: أنْ يراقب قلبه حتى لا تظهر نية أنْ يقتدى به، إنما شهوته التجمّل بالعمل، وبكونه مقتدى به، وهذه حال كل من تظهر أعماله إلّا الأقوياء المخلصين وقليل ما هم. والتفطن لذلك غامض، ومحك ذلك أنْ تعرض على نفسك أنْ تخفي العمل حتى يقتدي الناس بعابدٍ آخر من أقرانك ويكون لك في ذلك مثل أجر الإعلان. فان مال قلبه إلى أنْ يكون المظهر نفسه فباعثه الرئاء.

وثانيهما: الإخبار عن العمل، والخطر فيه أشدّ، لأنّ النطق يخفّ على اللسان، وربما يزيد إظهارًا للدعوى لأنّ لذة النفس فيه عظيمة. وأما من جهة أنّ الرئاء الثاني لا يفسد العمل السابق فهو أهون، إلّا أنْ من قوي قلبه واستوى عنده مدح الناس وقدحهم وصفت النية وسلمت من جميع الآفات يجوز حكاية أعماله، لأنّه ترغيب في الخير، والترغيب في الخير خير. قال بعض العارفين: ينبغي أنّ لا يسدّ باب إظهار الأعمال لأنّ ذلك سبب لاتباع الناس واقتدائهم بمن يظهرها إذا لم يعرفوا رئاءه، ففي ذلك خير كثير للناس، وإنْ كان شرّا للمرائي؛ وإنّ الله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر.

المطلب الخامس عشر: في الرخصة في كتمان الذنوب:

اعلم أنّ كتم الذنوب ليس برئاء، بل إظهار الورع والتقوى حتى يجوز الاغتمام باطلاع الناس عليه من ثمانية وجوه.

الأول: أنْ يفرح بستر الله عليه، وإذا افتضح اغتم وخاف أنْ يهتك ستره في القيامة، وهذا غم ينشأ من قوة الإيمان.

الثاني: أنّه قد علم أنّ الله يكره ظهور المعاصي ويحبّ سترها، كما قال ﷺ: «من ارتكب شيئًا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»[1]، وهذا أيضًا من قوة الإيمان.

الثالث: أنْ يكره ذمّ الناس له لأنّه يشغل القلب عن الطاعة، كما أنّ الحمد يكره أيضًا لأنّه أيضًا يشغله عن الله، وهذا أيضًا من حبّ الطاعة لله تعالى.

الرابع: أنْ يكره ذمّ الناس لتألم قلبه، وتألّم القلب بالذم ليس بحرام، ولا الإنسان به عاص، وإنما يعصي إذا جزعت نفسه ودعته إلى ما لا يجوز حذرًا من ذمّهم. نعم، كمال الصدق في أنْ يستوي ذامّه ومادحه لعلمه أنّ العباد كلهم عاجزون، وذلك قليل جدًا؛ إلّا أنّ بعضًا من الذمّ يجب التألّم به، كما إذا صدر من أهل البصيرة فإنّهم شهداء الله، وذمّهم يدلّ على ذمّ الله، فكيف لا نغتم به. وإنّما المذموم: الغمّ بالذمّ بفوات الورع، كأنّه يحب أنْ يحمد بالورع فيرجع إلى الرئاء. وأمّا كراهة الذمّ بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم، فله الستر حذرًا من ذلك.

الخامس: أنْ يكره الذمّ من حيث أنّ الذام قد عصى الله به، وهذا من الإيمان.

السادس: أنْ يستر ذلك كي لا يقصد بشرٍّ إذا عرف ذنبه، وهذا وراء ألم الذمّ.

السابع: مجرد الحياء فإنّه نوع ألم وراء ألم الذمّ، وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحي من القبائح، وهو وصف محمود. وفي الحديث: «الحياء خير

(١) اتحاف الزبيدي، كتاب آفات اللسان، باب بيان ما يرخص فيه من الكذب، ٧/ ٥٢٥.

كله»[١]. وفيه: «الحياء شعبة من الايمان»[٢].

ثم إن الحياء قد يعقبه الرئاء، كمن لا يريد إقراض أخيه ولكن يستحيي من ردّه، فحينئذٍ إنْ أعطاه لينتشر اسمه بالسخاء أوْ لا ينسبوه إلى البخل، فقد أعقب الحياء الرئاء. وإنْ أعطاه للثواب في الإقراض أوْ لإدخال السرور على قلب أخيه، فقد أعقبه الإخلاص. وإن أعطاه لا لأجل المحمدة ولا خوف المذمة ولا رجاء للثواب، فقد أعطاه لمجرد الحياء، ويعلم بأنّه لو طلبه بالمراسلة لمنعه.

الثامن: أنْ يخاف من ظهور ذنبه أنْ يستجرىء عليه غيره ويقتدي به، وبهذه العلة ينبغي أنْ يخفي العاصي معصيته عن أهله وولده لئلا يتعلمونه[٣] منه.

واعلم: أنّ حبّك محبة الناس لك قد يحمد اذا أردت حبّهم على حجك وغزوك وصلاتك فإنّه طلب عوض على طاعة الله عاجلًا، وقد يباح إذا أردت أنْ يحبّوك بصفات محمودة سوى الطاعات.

المطلب السادس عشر: ترك الطاعات خوفًا من الآفات، وهذه أقسام:

الأول: الطاعات اللازمة للبدن الذي لا يتعلّق[٤] بالغير ولا لذة في عينها، كالصلاة والحج والغزو، فخطرات الرئاء فيها ثلاث:

أحدها: الرئاء الباعث على العمل، فينبغي أن يترك العمل عند ذلك أو يدفع الرئاء.

وثانيها: أنْ يعقد العبادة على الإخلاص ثم يعرض الرئاء، فينبغي أنْ يدوم على العمل ويجاهد في دفع الرئاء ولا يترك العمل.

ثالثها: أنْ يعقد على الإخلاص في أولها ويعرض الرئاء في أثنائها فيدوم على العمل ايضًا، ولكن يجاهد في أنْ يرجع إلى الإخلاص. وربما قال الشيطان: لا فائدة لك في هذا العمل واتركه، وهذا غرور منه، لأنّ ما لا يدرك كله لا يترك كله. وترك العمل لأجل ذلك يجرّ إلى البطالة. وما نقل عن السّلف، من ترك العمل للرئاء فذلك محمول على النوافل أو العلاج لأنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف.

القسم الثاني: ما يتعلق بالخلق، وتعظم فيه الآفات والأخطار، وأعظمها الخلافة، ثم القضاء، ثم التذكير والتدريس والفتوى، ثم إنفاق المال. أمّا الخلافة والأمارة فهي من أفضل العبادات إذا كانت مع العدل والإخلاص مع ما فيها من عظيم الخطر، إذْ يغلب فيه على النفس حبّ الجاه ونفاذ الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا. ولهذا ورد في الأخبار والآثار الترغيب فيها والتنفير عنها، فيجب أنْ لا يمنع منها الخواصّ والأقوياء، وهم الذين لا تميلهم الدنيا ولا يستفزهم الطمع ولا يأخذهم في الله لومة لائم، وسقط الخلق من أعينهم. ولكن لا يدور حولها الضعفاء فيهلكون، لأنّهم وإنْ صبروا عن[٥] الحقّ كافة أنفسهم عن الشهوات في غير الولاية لكن لا أمن لهم من أنْ يتغير إذا ذاقوا لذة الولاية، وأنْ يستحلوا لذة الولاية ونفاذ الأمر، وأن يكرهوا العزل فيداهنوا خيفة من العزل. ولهذا تمنع الضعفاء من تقلّد الولاية عند الأكثرين.

قال بعضهم يجوز التقلد إذا أمن في الحال عن اتباع الهوى، ولا يمنعه عنه الخوف عن أمر في المستقبل. والصحيح القول الأول وهو عدم التقلّد لأنّ النفس خداعة مدعية للحق واعدة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان عدد شعب الايمان، ح ٦١، ١/ ٦٤.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان عدد شعب الايمان، ح ٥٧، ١/ ٦٣.
(٣) كذا في الأصل، والأصح لغة أن يقال: يتعلموا.
(٤) كذا في الأصل.
(٥) كذا في الأصل.

بالخير فلا يعتمد عليها. ثم إنّ الامتناع عن قبول الولاية أهون عند النفس من العزل لأنّه كما قيل: طلاق الرجل والنفس لا تسمح به، فيميل إلى المداهنة وإهمال الحق، فهوى به في قعر جهنم إلّا أنْ يعزل قهرًا، ففيه عذاب عاجل.

وأمّا القضاء، ففيه ثواب عظيم مع اتباع الحقّ وعقاب أليم مع العدول عنه، فهو كالإمارة والولاية، وفي معناهما، وإنْ كان في الحكم دونهما، فينبغي أنْ يتركه من يخاف عن العزل ولا يفرح بدونه إذْ يلتزم خوفًا من العزل اتباع الهوى، فهوى مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار.

وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضًا عظيمة مثل آفة الولايات. فإن قلت: مهما حكم بذلك على أهل العلوم تعطلت العلوم واندرست، وعمّ الجهل كافة الخلق. قلت: أمّا النهي فقد ورد عن النبي ﷺ مع ما في عدم السلطنة والإمارة من الفتن والفساد ما لا يخفى، ومع ذلك النهي لم تتعطل تلك الولايات لكون النفوس مجبولة على حبّ الرياسة، وكذلك حبّ الرياسة لا يترك العلوم تندرس. فعلى هذا، تعدّد الواعظ في البلد فليس في النهي إلّا امتناع البعض، إذْ ترك الكل لذة الرياسة في حدّ الامتناع، ولو انحصر في واحد وكان وعظه نافعًا للناس فلا نمنعه. وإنْ قال: لا أملك نفسي لأنه لو ترك أهلك الناس، بل يقال له اشتغل وجاهد أيضًا لو كان غرضه الجاه، وفي الاشتغال يهلك هو وحده، وفي الترك يهلك الناس كلهم، فنجعله فداءً للقوم، فيدخل فيمن قاله النبي ﷺ: «إنّ الله يؤيّد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»(١).

ثم إنّ الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته. وأما ما أحدثه الوعاظ من الكلمات المزخرفة والمسجعة المقرونة بالأشعار فإنّهم نواب الدجّال وخلفاء الشيطان يجب إخلاء البلاد منهم.

وبالجملة فضل العلم عظيم، إلّا أنّ خطره كثير، وذلك ليس لنفس العلم بل لإظهاره والتوسل به إلى الرئاء، فالأحبّ أنْ لا يترك لآفته بل يحصله ويدفع الآفات بالمجاهدة.

ثم في الواعظ علامات يُعرف بها صدقه واخلاصه.

أحدها: أنّه لو ظهر عالم هو أغزر منه علمًا والناس أشد له قبولًا يفرح به ولم يحسده، وإنْ فعل فالغبطة.

وثانيها: أنْ لا يتغيّر كلامه إذا حضروا مجلسه.

وثالثها: أنْ لا يحب اتباع الناس له في الطريق.

ومما ينبغي أنْ يعلم أنّ العبد ربما يقع بين أظهر قوم يقومون للتهجد فيوافقهم، ففيه أمران: أحدهما: أنّه موافقته لهم إنْ كان بسبب رفع الثقلة بمشاهدة عبادتهم ودفع الأشغال الواقعة في بيته، أو لمفارقته النوم لاستنكاره الموضع، أو لسبب آخر، فيغتنم زوال النوم، فهذا وأمثاله من الأسباب ليس من الرئاء بل هو تجدّد النشاط. وأما إذا فعل ذلك لأجل رؤيتهم وخوفًا من مذمتهم لا سيما إذا اعتقد أنهم يظنونه يقوم بالليل فليتركه فإنّه من الرئاء، وربما يكون فعله لباعث الدين مقرونًا بحب الحمد فلا يترك أيضًا، ويمتحن نفسه بأنّه لو لم يروه هل يترك العمل أو يستثقله أم لا، فإنْ كان الأول فهو من الرئاء، وإلّا فلا.

وأصل العلاج في هذا الباب القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته، وإذا خطر جانب العباد يتذكر عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها أبد

---

(١) مجمع الهيثمي، كتاب الجهاد، باب فيمن يؤيد بهم الاسلام من الاشرار، ٥/٣٠٢.

الآباد، وعظم غضب الله ومقته. إلّا أنّه لا ينبغي أنْ ييأس بأنْ يقول: لا ينجو من الرئاء إلّا الأقوياء فيترك المجاهدة في الإخلاص، إذ اليأس عن صفاء الماء بعد كدره من الجهل بحقيقة الماء وخلو جوهره عن المكدرات وصفائها عن الملوثات، ومثال النفس مثال الماء.

واعلم: أنّ الله تعالى كريم رحيم لو شاء لأغنى عباده عن التعب والنصب، ولكن أراد أنْ يبلوهم أيّهم أحسن عملًا. ثم إنّه لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل المحبّ، وقد قال: «من تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، ومن تقرّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»(١). وقال لقد: «طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشدّ شوقًا»(٢). فليظهر العبد جدّه وصدقه وإخلاصه فلا يعوزه ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته.

علم ذمّ الدنيا(*)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

على أن مذمة الدنيا لا تخفى على أولي الألباب، وأكثر القرآن مشتمل على ذمّ الدنيا وصرف النفس عنها، وكذا ما في الأحاديث والآثار كثير لا يخفى على أولي الألباب، وحقيقة الدنيا وقسمتها إلى المذمة وغير المذمة.

واعلم أنّ لقلبك حالتين: فالقريب الداني منها وهي ما قبل الموت، وتسمى دنيا، والمتأخر المتراخي وهو ما بعد الموت ويسمى آخرة. ثم إنّ الدنيا ثلاثة أقسام:

الأول: يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت، كالعلم الذي هو لذة دنيوية عاجلة، وكذا العبادة لمن يلتذّ بها، وهما مع ذلك ليسا من الدنيا إذْ ينفعان في الآخرة.

الثاني: كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة، كالتلذذ بالمعاصي والمباحات.

الثالث: وهو متوسط بينهما، كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة، كالقوت من الطعام وما يستر العورة ويقي من الحرّ والبرد من اللباس ونحوهما، وهذا متردّد بين القسمين، لأنّه إنْ جعله وسيلة إلى الثاني صار من أعمال الدنيا ولا يبقى مع العبد بعد الموت إلّا صفاء القلب وطهارته، وذلك بالكف عن الشهوات والأنس بالله، وذلك لكثرة ذكر الله والمحبة لله، وذلك لا يحصل إلّا بالمعرفة وهي تتولّد من الفكر.

واعلم أنّ الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للانسان، فيها حظ وله في إصلاحها شغل، فهذه ثلاثة أمور:

أمّا الأعيان فهي الأرض وما عليها من المعادن والنبات والحيوان. أما المعادن فللآلات والأواني كالنحاس والرصاص، أو للنقد كالذهب والفضة وغير ذلك. وأمّا النبات فللباس وللتداوي والغذاء. وأما الحيوان فللأكل والركوب والزينة. وأمّا الإنسان فللخدمة كالغلمان وللاستمتاع كالجواري والنسوان. وأيضًا لطلب قلوب الآدميين للعزّ والجاه. ومجموع هذه هي الدنيا.

ثم إنّ للعبد معها علاقتين:

علاقته بالقلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها، حتى يصير قلبه كالعبد، ويتفرع عن هذه العلاقة الأخلاق الذميمة كالكبر والحسد والرئاء والسمعة وحبّ الثناء والتكاثر والتفاخر.

وعلاقته بالبدن وهو اشتغال باصلاح هذه

(١) مسند احمد، ٢/٤١٣.
(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب الفقر والزهد، باب بيان معنى الشوق الى الله تعالى، ٩/٦٠٤.
(*) هذا هو الأصل السادس من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن شعب الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الأعيان، وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها. وتفصيله أنّ الانسان مضطر إلى ثلاث: القوت والمسكن والملبس. فالقوت للغذاء ولبقاء النوع، والملبس لستر العورة ولدفع الحر والبرد، والمسكن لدفع الحرّ والبرد ودفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال، فحدثت الحاجة إلى خمس صناعات هي الأصول: الفلاحة لتحصيل النبات، والرعاية لحفظ الحيوانات واستنتاجها، والاقتناص لتحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب، والحياكة وما يحصلها من الغزل، والخياطة فللملبس. ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات، وهي إمّا أنْ تؤخذ من النبات وهي الأخشاب، أو من المعادن كالرصاص والحديد، أو من جلود الحيوانات، فاحتيج إلى ثلاثة أنواع من الصناعات، النجارة وهي العمل في الخشب، والحدادة وهي العمل في المعدن، والخرز وهي العمل في جلود الحيوانات، فهذه هي أمهات الصناعات.

ثم لما كان الانسان مدنيًا بالطبع احتاج إلى معاشرة الزوجية لبقاء النسل وإلى المعاونة في الصناعات، إذْ لا يتولاها واحد من الناس وإلّا لبطلت المصالح، إذْ الطعام يحتاج إلى حراث وطحان وخباز، واللباس إلى حراثة القطن والغزل والنسج، وهكذا.

وحدثت من هذا الاجتماع صناعات أخر، منها: صناعة الحكم وفصل الخصومة بالعدل، ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم، ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة حدود الله تعالى.

ثم إنّ أهل الحرب لو اشتغلوا بطلب القوت فاتهم حراسة الملك فمست الحاجة إلى إمدادهم بالأموال، كمال الجزية والخراج، فاحتيج إلى من يدبّر تلك الأموال إلى الجباة والخزّان والكتّاب والعمال والحسّاب. ثم هؤلاء أيضًا يحتاجون إلى معيشة، فاحتيج إلى صرفهم من مال الخراج شيئًا يكفيهم، فصاروا فرعًا لأهل الحرب، فانحصر الناس في صنائعهم في ثلاث: الأولى: الفلاحون والرعاة والمتحرفون. والثانية: الجندية الحماة لهم بالسيوف. والثالثة: المتردّدون بين الطائفتين في الأخذ والإعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم. فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والمسكن والملبس، وإلى ماذا انتهى، وهكذا أمور الدنيا لا ينفتح منها باب إلّا وينفتح بسببه أبواب إلى ما لا يتناهى، كأنها هاوية لا قعر لها، من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى، وهكذا على التوالي.

هذه هي الأصول، ولا يتم كل منها إلّا بفروع لا تحصى كثرة، كالبقرة آلة للحرث، والفرس آلة الحرب، إلى غير ذلك من الآلات. ولما كان بين الناس مظالم بحكم النفس الامّارة احتاجوا إلى حاكم عدل يصلح بينهما لئلّا يختلّ النظام بسبب المنازعات الواقعة بينهم.

المطلب الثاني: في الحرف الجارية بين الناس باحتيالهم:

منها اللصوص والطرار والسلال وأنواع ذلك كثيرة. ومنها المكدي وهم لحبهم البطالة يتكلفون العمى والعرج ونحوهما ويتكففون الناس. منها أرباب السخرية والمحاكاة وأصحاب الشعوذة والأفعال المضحكة، وصاحب الأشعار، وأصحاب القرعة والفال، ونحو ذلك، وكلهم استنبطوا الحيل بدقيق الفكر لأجل معاشهم ولكن ضيّعوا أنفسهم.

ثم إنّ فهم الناس في تصوّر الكمال على طبقات:

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فيأكلون ليكسبون ويكسبون ليأكلون[1]، كما هو حال الفلاحين

(١) كذا في الأصل، والأصح لغة أن يقال: ليأكلوا.

والمتحرفين، وليس لهم التنعم لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل يتعبون نهارًا ليأكلوا ليلًا، ويأكل ليلًا ليتعب[١] نهارًا، ومثاله سير السواني فهو سفر لا ينقطع إلّا بالموت.

وطائفة أخرى زعموا أنّ الكمال قضاء الوطر من الشهوات كشهوة البطن والفرج، فيصرفون همهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة، يأكلون كما يأكل الأنعام، وبذلك شغلوا عن الله واليوم الآخر.

وطائفة ظنّوا أنّ الكمال في جمع المال فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في جمعه، ويتعبون في الأسفار ويترددون في الأخطار طول الليل والنهار، ولا يأكلون إلّا قدر الضرورة شحًا وبخلًا عليها أن تنقص إلى أنْ يدركه الموت وهو كذلك، وكنوزه تحت الأرض أو في يد مَنْ يصرفه ويسرفه في الشهوات، وعليه تعبها ووبالها وللآكل لذتها.

وطائفة ظنّوا أنّ السعادة في حسن الإسم وكثرة الثناء عليه والمدح بالتجمّل والمروءة، فهؤلآء يتعبون في الكسب ويضيقون على أنفسهم في المطعم والملبس، ويصرفون مالهم إلى الثياب الفاخرة والدواب النفيسة، ويزخرفون أبواب دورهم وما يقع عليه أبصار الناس، حتى يقال: إنّه غني وذو ثروة، فهمتهم في تعهد موقع نظر الناس.

وطائفة ظنّوا أنّ السعادة في الجاه وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير لهم، فيطلبون الولايات وتقلّد الأعمال السلطانية، ويرون أنّهم بذلك سعدوا سعادة عظيمة، وأنّ ذلك غاية المطلب. وهذه الطوائف ووراءها طوائف لا يمكن حصرها تزيد على نيف وسبعين طائفة، كلهم ضلّوا وأضلوا لكثرة الأشغال، وتداعي البعض إلى البعض، فيهلك في أودية الدنيا. ولو اكتفى بالقدر الضروري اندفعت أشغاله وفرغ قلبه وغلب عليه ذكر الآخرة.

ثم إنّ طائفة تنبهت لهذه الآفات فظن بعضهم أنّ الدنيا دار البلاء وأنّ الآخرة دار السعادة، سواء تعبَّد فيهما أوْ لا، فرأوا أنّ الصواب في أنْ يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا، وإليه ذهب طائفة من أهل الهند، حتى أنّهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق، ويظنون أنّ ذلك خلاص لهم من محن الدنيا. وبعضهم ظنَّ أنّ القتل لا يخلص بل لا بدّ أولًا من إماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية، فأقبلوا على المجاهدة، وشدَّدوا على أنفسهم، حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة، وبعضهم فسد عقله، وبعضهم مرض وانسدت عليه طرق العبادة، وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية وأنّه محال، فظنّ أن ما كلفه الشرع محال وأنّ الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الإلحاد؛ وبعضهم ظن أنّ هذا التعب كله لله وأنّه مستغنٍ عن عبادتنا، لا ينقصه العصيان ولا يزيده العبادة، فسلكوا مسلك الإباحة وطوَوْا بساط الشرع. وبعضهم ظنَّ أنّ المقصود معرفة الله والعبادة وسيلة إليها، وبعد الوصول يستغني عنه، فتركوا السعي والعبادة، وإنما التكليف على العوام. ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى أن تبلغ نيفًا وسبعين فرقة، والناجي منها ما عليه الصحابة، وهم أهل السنة والجماعة، وهم على المنهج القصد والصراط المستقيم.

علم ذمّ الغرور(*)

وفيه مطالب:

---

(١) كذا في الأصل.

(*) هذا هو الأصل العاشر من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن شعب الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

المطلب الأول:

قد ذمَّ الله تعالى ورسوله الغرور بحيث لا حاجة إلى ذكرها. وأمّا حقيقته فهو من أنواع الجهل، وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إلى الطبع من شبهة وخدعة من الشيطان. ومن اعتقد أنّه على خير عاجلًا أو آجلًا من شبهة أو مخيلة فاسدة فهو مغرور. فأكثر الناس إذًا مغرورون وإنْ اختلفت أصنافهم ودرجاتهم، مثل أن يقال: الدنيا نقد والآخرة نسيئة، والنقد خير من النسيئة. وأنْ يقال لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شكّ، فلا يترك اليقين بالشك. وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس في قوله: أنا خير منه، ولا يخفى فساد هذه الأقيسة، إذْ النقد خير من نسيئة هي مثله، واليقين خير من شك هو مثله لا مطلقًا. وأيضًا الآخرة ليست شكًا بل هي يقين عند المؤمنين. هذا غرور الكفار.

وأما غرور العصاة من المؤمنين فقولهم: إنّ الله كريم نرجو عفوه، ويسمّون تمنيهم هذا رجاء، وأنّه محمود في الدين، وأنّ رحمة الله واسعة للمؤمنين. وإنّا مؤمنون موحدون، إلّا أنه قياس مموّه، إذْ: «الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[1]. وما ذكروه هو التمني، غير الشيطان إسمه إلى الرجاء وخدع به الجهال.

وأيضًا ربما يتمنون بصلاح الآباء كاغترار العلوية، إلّا أنَّ آباءهم مع غاية الورع والتقوى خائفين، فما بالهم يأمنون مع فجورهم وفسقهم، فكأنهم أكرم على الله من آبائهم، فيغرّهم الشيطان ويقولون: من أحب إنسانًا أحبّ أولاده، مع أنّ نبينا ﷺ أذن له في زيارة قبر أمه ولم يؤذن له في الاستغفار، فجلس يبكي على قبر أمه لرقّته لها. والتقوى فرض عين على كل أحد، فلا يجزى والد فيه عن ولده شيئًا، وكل ذلك غرور باطل.

وإنّما موضع الرجاء من تاب من المعاصي ورجا قبول التوبة، ويتذكّر أنَّ الله كريم يقبل التوبة عن عباده. ومن اقتصر بالفرائض من الأعمال ورجا نعيم الآخرة وما وعد الله به الصالحين، فالواجب ملاحظة أنّ الله غافر الذنب شديد العقاب وأنّه الغفور والمنتقم. وأيضًا هو المبتلي عباده في الدنيا بأنواع المحن والآلام مع أنّه قادر على إزالتها. فإذا كانت سُنّةُ الله تعالى على هذا المنوال فكيف يغترّ به عباده، فالرجاء والخوف قائدان يبعثان على العمل، وما لا يبعث على العمل فهو غرور وتمنٍ باطل.

المطلب الثاني: في أصناف المغترين:

منهم العلماء، وهم ستة أصناف:

الأول: من أحكم العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها، وأهملوا محافظة الجوارح عن المعاصي وإلزامها الأعمال الصالحة، وظنّوا أنّهم بعلمهم عند الله بمكان، وهم مغرورون، لأنَّ العلم إمّا علم مكاشفة ويسمّونه علم المعرفة وعلم التصفية، وهم بمعزل عنها، وإما علم المعاملة الذي سمّوه علم الشرائع فذلك لأجل العمل، فلو لم يعمل به لم يكن له قيمة لا عند الله ولا عند الخواص، إذْ العلم بالدواء لا يزيل المرض ما لم يستعمله.

الثاني: الذين أحكموا العلم والعمل وتركوا المعاصي إلّا أنهم لم يفتقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة من الكبر والحسد والرئاء وطلب الجاه ونحوها، وهؤلاء أيضًا مغرورون، إذْ لا ينجو في الآخرة إلّا من أتى الله بقلب سليم.

الثالث: الذين علموا مذمومية هذه الأخلاق إلّا أنّهم لعجبهم يظنون أنهم منفكّون عنها، وأنهم أرفع عند الله من أنْ يبتليهم بذلك، وإنّما يبتلي به العوام. وربما يعتذر من كبره ويقول: إنّ هذا

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب الايمان، باب الكيس من دان نفسه، ١/ ٥٧.

طلب عزّ الدين وإظهار شرف العلم، وهؤلآء أيضًا مغرورن، إذْ العجب من أشدّ الصفات المهلكات. وأيضًا يداخل السلاطين ويقول: غرضي نفع المسلمين، وإذا أخذ من أموالهم يقول: مال لا مالك له وأنا إمام المسلمين وعالمهم، ويحلّ لي الأخذ بقدر الحاجة، وفي ذلك غروران: أحدهما: أنّه لا مالك له، وكيف لا، إنّهم يأخذون أموال المسلمين وهم أو ورثتهم أحياء وخلطها بالحلال لا يجعله حلالًا. وثانيهما: قوله أنا إمام، وكيف لا، ومن انتهى جرأته في أخذ الحرام إلى هذه الرتبة فهو دجّال الدين وقوام مذهب الشياطين.

الرابع: الذين أظهروا العلوم وطهّروا الجوارح وزيّنوها بالطاعات وجاهدوا أنفسهم في التبري من ذمائم الأخلاق إلّا أنهم مغرورون، إذْ بقيت في زوايا القلب خفايا من مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس، فتراه يسهر ليله ويتعب نهاره في التصانيف حرصًا على اظهار دين الله ونشر شريعته، ولعل باعثه الخفي طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الأكناف، وهذا المسكين لو تغيرت عليه القلوب فعساه يتشوّش عليه قلبه ويختلط أوراده ووظائفه.

الخامس: الذين اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وخصّصوا علم الفقه بها، وضيعوا الأعمال الظاهرة والباطنة، ولم يمنعوا ألسنتهم عن الغيبة، وبطونهم عن الحرام، ورجليهم عن المشي إلى السلاطين، ولم يزكوا قلوبهم عن الكبر والرئاء والحسد، وأمثال ذلك، فهؤلآء مغرورون؛ أما من حيث العمل فإنّه اشتغل بفرض الكفاية إن صحت نيته قبل الفراغ من فرض العين لأنّه اشتغل بالفتاوى وهي فرض كفاية وترك فرض العين وهو إصلاح نفسه، وأمّا من حيث العلم فإنّه ظنّ علم الفتاوى علم الدين وترك علم كتاب الله وسُنَّة رسوله، وربما طعن على المحدّثين بأنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون.

السادس: الذين اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء، واعتقدوا أنّ العمل لا يصحّ إلّا بالإيمان والإيمان لا يصحّ إلا بمناظراتهم ومجادلاتهم. ثم إنّهم إمّا ضالة وهم الذين يدعون إلى غير السُنة، وإمّا محقة وهم أهل السُنة والجماعة، وكلهم مغرورون. أمّا الأولى فلضلالهم ورؤيتهم الشبهة دليلًا، وأمّا الثانية فلظنهم الجدال من أفضل القربات في الدين. وأما من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير فليس بمؤمنٍ ولا بكامل الإيمان ولا بمقرَّب عند الله، إلّا أنّهم لالتذاذهم بالغلبة والإفحام والانتماء إلى الذّبِّ عن الدين عميت بصيرتهم، فلم يلتفتوا إلى القرن الأول، حيث أرشدوا الضّال وهجروا المصرين على الضلال ورأوا من الدين ترك الجدال. ثم الأكياس قالوا إنّا نهينا عن الجدال ولم ننته عنه فلا ينفعنا يوم القيامة، مع أنّ المبتدع لا يترك بدعته بالجدال بل يزيده التعصب والخصومة، فالأولى بنا أنْ نتفقد أنفسنا ونتنزه عما يبغضه الله من الصفات ونتمسك بما يحبه.

ومنهم الوعاظ وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والإخلاص والصدق ونظائر ذلك، وهم مغرورون بأنّ من تكلم بهذه الصفات يصير موصوفًا بها، وأنهم ما تبحروا في علم المحبة إلّا وهم محبون لله، وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص إلّا وهم مخلصون.

والمسكين يرى أنّه خائف من الله وهو آمن، ويرى أنّه من الراجين وهو من المفترين، ويرى أنّه من المخلصين وهو من المرائين وهم يحسنون بأنفسهم الظنون. فإذا كشف عنهم الغطاء يفتضحون، بل تندلق أقتابهم في النار فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى، كما ورد به الخبر.

وإنما سبب غرورهم مصادفتهم في قلوبهم شيئًا ضعيفًا من أصول هذه المعاني من حبّ الله والخوف منه والرضا بفعله، فظنّوا أنّهم اتصفوا بها. فهيهات هيهات، ولا يخلو عن القدر أحد من المؤمنين الصالحين. وإنما الكمال أمر آخر يعرفه أهله.

وصنف منهم عدلوا عن المنهاج الواجب إلى الشطح والطامات وتلفيق كلمات مخالفة للشرع للاغراب، وصنف آخر منهم شغفوا بتسجيع الألفاظ وذكر الفراق والوصال، ليكثر في مجلسهم التواجد والزعقات، فهؤلاء شياطين الإنس ضلّوا وأضلّوا عن سواء السبيل، فيزيد كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا، لا سيّما إذا تزيّن بالثياب والخيول.

وصنف منهم حفظوا كلام الزهاد في ذمّ الدنيا ويؤدونها في المساجد والمنابر، ويظنون أنّهم قد أفلحوا بهذا وصاروا آمنين من عقاب الله، من غير أنْ يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام.

وصنف منهم استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث وطلب الأسانيد الغريبة العالية، ولهم غرور من وجوه: أحدها أنّهم حملة الأسفار يظنون أنّ ذلك يكفيهم. وثانيها إذا لم يفهموها لم يعملوا بها. وثالثها أنّهم يتركون ما هو فرض عين وهو معالجة القلب. ورابعها أنّهم لا يراعون شروط السماع أيضًا، وهي السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر والبيان، وهم يقتصرون على السماع، ويقصرون في السماع أيضًا إذْ ربّما يحضر الصبي والشيخ والصبي يلعب والشيخ ينام، والبالغ الحاضر ربّما يغفل ولا يصغي، ثم يكتب الشيخ اسم الكل في الإجازة ويتصدّى كلٌّ منهم لرواية كل ما قاله الشيخ ولم يسمع بعضه، إلّا أنّ للمحدِّثين في ذلك جاهًا فخاف المساكين إن اشترطوا ذلك أنْ يقلّ جمعهم.

ومنهم المشتغلون باللغة وغريبها والشعر والنحو، واغترّوا به وزعموا أنهم علماء الأمة إذْ قوام الكتاب والسُّنة بما ذكر، فأفنى هؤلآء أعمارهم في دقائق النحو وغرائب اللغة. وفي حكمهم من ضيَّع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه لأنَّهم اتخذوا القشر مقصودًا فاغترّوا به.

ومنهم المغرورون بوضع الحيل في الأحكام الشرعية في دفع الحقوق وتأويل الالفاظ المبهمة، واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها، وهذا غرور لا يجدي في الآخرة يوم الفصل والقضاء.

ومنهم من أهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل، وربّما تعمّقوا في الفضائل حتى غلبت عليهم الوسوسة في الطهارة وفي نية الصلاة، ويظنون أنّهم على خير عند ربهم. وربما يغلب عليه الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها، كالفرق بين الضاد والظاء، والاحتياط في التشديدات حتى لا يفكر في الصلاة إلّا فيما ذكر، وربما يوسوس أحدهم في ختم القرآن في اليوم والليلة مرة، فألسنتهم تجري وقلوبهم في أودية الأماني، وهو مغرور به، إذْ يظن أنّ المقصود من التلاوة الهمهمة بالقرآن، مع الغفلة عن الانزجار بزواجره والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك. وربما يكون له صوت طيِّب ويلتذ به، وهو يظن بغروره أنّه يلتذ بمناجاة الله تعالى وسماع كلامه.

ومنهم المغترون بصوم الدهر أو صوم الأيام الشريفة، وربما يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة أو ألف ركعة، ويفرح بصلاة الضحى وصلاة الليل ونحو ذلك، مع أنّ ألسنتهم في الغيبة وخواطرهم في الرئاء وإفطارهم من الحرام، وذلك غاية الغرور ومكيدة الشيطان.

ومنهم المغترون بالحجّ مع مال حرام، ومع الرَّفث والخصام، وترك الصلاة والصيام، ومع عدم دفع المظالم واسترضاء الوالدين وأمثال ذلك، وربما يغترون بمجاورة مكة مع تلوّث ظاهرهم وباطنهم بالقبائح، وقلبه معلّق ببلاده،

ولكنه يختاره ليقال إنّه قد جاور بمكة سنين كثيرة.

ومنهم المغترون بالحسبة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يأمر الناس بالبرّ وينسى نفسه، ويطلب الرياسة، ويغلظ في القول، وينكر من خالفه للرياسة والعِز. وربما يغتّر بعضهم بأنْ يقال له مؤذّن المسجد الفلاني أو إمام الجامع الفلاني.

ومنهم من زهد في المال، ويسكن في المساجد ليظن أنّه أدرك رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه، إمّا بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد وترك المال، وهو أهون، وأخذ أطم الأمرين أعني الجاه حتى أنّه ربما يتطاول على الأغنياء وينظر إليهم بعين الاستحقار، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، ويعجب بعمله. وربما لا يقبل المال خوفًا من أنْ يقال بطل زهده، وكل ذلك غرور وخدعة من الشيطان.

ومنهم متصوفة أهل الزمان اغترّوا بالزيّ والهيئة والمنطق من الألفاظ والاصطلاحات، وفي أحوالهم من الطهارة والصلاة والرقص والسماع وإدخال الرأس في الجيب وخفض الصوت وتنفس الصعداء إلى غير ذلك، ولم يتعبوا أنفسهم في المجاهدة ومراقبة القلب، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، بل تراهم يتكالبون على الحرام والشبهات، ويتحاسدون على النقير والقطمير، وغرور هؤلآء أظهر من أن يخفى.

وبعض منهم من يغيّر الزيّ لا إلى الخشن ولا الى الخزّ والإبريسم بل إلى المرقعات النفيسة والسجادات المصبوغة ولباس هو أرفع قيمة من الخز والابريسم، وهؤلآء أشدّ شرًا من الأولين، إذْ يظهرون أنّ التصوف يجتمع مع شهوات النفس، وربما يقتدي بهم العوام فيتعدى شرّهم إليهم.

ومنهم من يدّعي علم المعرفة ومشاهدة الحق والوصول إلى القرب والملازمة في عين الشهود، ولا يدري هذه الأمور إلّا بالأسامي، وهو ينظر إلى العباد بعين الإزراء، ويقول للعباد إنّهم أجراء متعوبون، وللعلماء إنّهم بالعلم لمحجوبون، حتى أنّ منهم من وقع في الإباحة وطوى بساط الشرع، ويقولون: أعمال الجوارح وسيلة إلى محبة الله تعالى، ونحن والهون في حبه، عاكفون في حضرة الربوبية، فلا حاجة بنا إليها. وهؤلآء مغرورون حُرموا الاغتنام بخدمة شيخ صالح عالم، فوقعوا في حزب الشيطان، وأمثال هؤلآء كثيرة.

ثم إنّ بعضًا من هؤلآء تجاوزوا حدَّهم، وأحسنوا الأعمال وطلبوا الحلال، واشتغلوا بتفقد القلب، وصارت تدعى المقامات، من الزهد والتوكل والرضا والحبّ، من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها. وإنّ منهم من يخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته.

ومنهم من يخوض في البراري من غير زادٍ لتصحيح التوكل وذلك بدعة، إذْ السلف كانوا يأخذون الزاد ويتوكلون. وبعض هؤلاء ضيّقوا على أنفسهم في أمر القوت وأهملوا تفقد القلب والجوارح.

وفرقة أخرى ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدّوا لخدمة الصوفية، فجمعوا قومًا وتكفّلوا بخدمتهم، واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال حتى من السلاطين.

وأخرى منهم اشتغلوا بتهذيب الأخلاق والفحص عن عيوب النفس وآفاتها، ويقولون هذه عيب، والغفلة عن كونه عيبًا عيب، والالتفات إلى كونه عيبًا عيب، ويشتغلون بكلمات مسلسلة تضيّع الأوقات في تلفيقها، ومثاله من فاته الحج لاشتغاله بعوائقه وآفاته.

وفرقة تجاوزوا عن حدّ هؤلآء انفتح لهم باب المعرفة فتعجبوا منها وفرحوا بها، فتقيدت قلوبهم

بالالتفات إليها والتفكر في كيفية انفتاح بابها عليهم، فيحرم بذلك عن المقصد.

وفرقة أخرى جاوزوا حدّ هؤلاء حتى قاربوا أو وصلوا إلى حدّ القربة فظنوا أنّهم وصلوا إلى الله عزّ وجل، فوقفوا وغلطوا، فإنّ لله سبعين حجابًا من نور، لا يصل السالك إلى واحد منها إلّا ويظن أنّه وصل إلى المقصد، وهذا غرور عظيم.

ومنهم المغترون من أرباب الأموال، كأنّ بعضًا منهم يبنون المساجد والرباطات ليتخلد ذكرهم، إلّا أنّ لهم غرورين: أحدهما بناؤهم من المال الحرام أو الشبهات، وثانيهما أنّهم يظنون الإخلاص وليس كذلك، إذْ لا يرضى بإنفاق دينار إذا لم يذكر اسمه، وربما ينفق الحلال لكن يطلب الثناء والرئاء، ولذلك يصرف إلى المساجد لأنّ بانيها مذكور عند الناس. وأيضًا يزخرفها ويزيّنها بالنقوش الشاغلة لقلوب المصلين وهو مع ذلك يغترّ به، ويرى أنّه من الخيرات، ويرى المنكر معروفًا. وإنّ بعضًا منهم ينفقون الأموال على الفقير لكن في المحافل ليذكر وليشكر به الناس(١). وبعض من الأغنياء يمسكون الأموال عن مصارفها ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة، كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن، ولو قلعوا صفة البخل عنهم وهم إليه أحوج لكان خيرًا لهم. ومن قبائحهم الحيل في الزكاة والتوسل بها إلى الأغراض الفاسدة.

ومنهم غرور العوام من الأغنياء والفقراء بحضورهم مجالس الذكر، وإنّه يغنيهم ويكفيهم من غير عمل واتعاظ، مريض يحضر مجالس الأطباء ولا يتداوى، وهذا أيضًا من الغرور.

المطلب الثالث:

إعلم أنّ مداخل الغرور إذا عرفتها فلعلك تستحيل الخلاص عنها، وتحكم باستحالته. لكن لا يخفى عليك أنّ الانسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه، واستعظم الأمر واستوعر الطريق. وأما إذا صحّ منه الجدّ وقوي العزم اهتدى بالحيل إلى مطلوبه، حتى إنّه يقتنص الوحوش المنطلقة في البراري، ويستخرج الحيتان من البحار والذهب والفضة من تحت الجبال، ويستسخر الفيلة، ويعبث بالأفاعي ويستخرج منها الترياق، ويعرف مقادير الكواكب وعرضها وطولها وهو على الأرض، إلى غير ذلك، فلا يصعب عليه إصلاح قلبه إنْ كان همه هذا الهم فقط.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ أسباب الخلاص من الغرور ثلاثة:

أحدها: العقل وهو الفطرة الغريزية وصفاؤه، وهذا نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة، فإنْ فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها. والعقل أصل كل خير ولا يرجى بدونه الخير أصلًا، شهدت بذلك الأخبار والآثار.

الثاني: المعرفة، أعني معرفة أربعة أمور: يعرف نفسه بالعبودية والذل، وأجنبيًا عن هذه الشهوات، وإنما يوافق طبعه معرفة الله والنظر إلى وجهه الكريم، ويعرف ربه، ولا يمكن ذلك إلّا بمعرفة نفسه. ولقد أسلفنا ما يبعثك إلى هذه. ويعرف الدنيا والآخرة بما مر في كتاب ذمّ الدنيا وفي كتاب ذكر الموت. ثم إنّ العبد بعدما وقع(٢) عن نفسه شوائب الغرور بأنْ يهذّب أخلاقه، وراقب القلب حتى صفا عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم، وضوت الدنيا في عينه، ولم يبق إلّا هم واحد وهو الله تعالى، ربما يخاف عليه أنْ يأتيه الشيطان من

(١) كذا في الأصل.
(٢) كذا في الأصل.

جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة إلى خلق الله، فيراهم في دينهم سكارى وفي أمورهم حيارى صمًا عميًا، قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون، فقدوا مع ذلك الطبيب وأشرفوا على العطب، انبعث من ذاته الاشتغال بنصحهم، ثم يدعوه إلى الرياسة دعاءً خفيًا أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد، فلم يزل ذلك دأبه حتى دعاه إلى التصنع والتزيّن بتحسين الألفاظ والنغمات، والتصنع في الزيّ والهيئة، حتى أقبل الناس يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه مثل الملوك بل أزيد، إذا رأوا شافيًا لدائهم من غير طمع فصار أحبّ إليهم من آبائهم وأمهاتهم، وهادوا[1] له خولًا كالخدم والعبيد، وحكموه على السلاطين وحكموه. فعند ذلك ارتاحت نفسه وذاقت لذة يا لها من لذة، حتى يغضب على من يرد عليه خطأه، ثم يخيل إليه الشيطان أن ذلك غضب لله تعالى. وربما يقع في الوقيعة فيمن ردّ عليه، وهكذا يسوقه الشيطان ويوقعه فيما هرب عنه قليلًا قليلًا وهو لا يشعر.

وأما علامة صدقه في النصح للناس أنّ يود أن يوجد أحد يهتدون به، ولا يطمع في ثنائهم وأموالهم، واستوى عنده مدحهم وذمهم، إذْ لا ينفعه مدحهم إذا لم يحمد الله، ولا يضره ذمهم إذا اقترن به حمد الله. وينظر إلى الناس كما ينظر إلى السادات من حيث يرى كلهم خيرًا من نفسه. وكما ينظر إلى البهائم من حيث قطع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم.

فإنْ قلت: من بلغ هذه الرتبة في الخلق أعزّ من الكبريت الأحمر، فإذا منع الناس عن الوعظ لانسدّ باب النصح. قلت إنّ رسول الله ﷺ ذمّ باب الدنيا ولم يمتنع الناس عنها لشدة الدنيا في قلوبهم محبة وميلًا، وكذا رياسة الوعظ ليست أمرًا يتركها الناس بهذا القدر من التقبيح، فإنّ الله عز وجل يصلح خلقًا كثيرًا بإفساد شخص واحد وأشخاص، وإنّ الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم.

فإنْ قلت: إذا فعل ما ذكرت من الأمور وترك النصح أو فعله، وراعى طريق الصدق والإخلاص، يبقى بين يديه أخطار الاغترار؟ قلت: نعم. قول الشيطان قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك، وكمال عقلك، وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء، وما أعظم عند الله محلك إذْ قواك على قهري، فعند ذلك يعجب بنفسه من فراره من الغرور كله، والعجب أعظم من كل ذنب.

فإن قلت: فإذا خلص من العجب المذكور فأي شيء يخاف عليه؟ قلت: يخاف عليه من الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره، حتى يظن أنّه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ويأمن مكر الله. والأمن من مكره تعالى خسران عظيم. بل اللائق أنْ يرى الكل من فضل الله، ولا يأمن من مكر الله، ولا يغفل عن خطر الخاتمة، وهذا خطر لا محيص عنه، وخوف لا نجاة منه إلّا بعد مجاوزة الصراط. فنسأل الله حسن الخاتمة فإنّ الأمور بخواتمها والسلام.

علم ذمّ الغضب والحقد والحسد(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في الغضب، وقد ذمّه الله تعالى ورسوله والصحابة والتابعون. وحقيقته أنّ الله تعالى لما خلق الحيوان معرضًا للفساد[2] والموتان، أنعم

---

(١) كذا في الأصل.

(*) هذا هو الأصل الخامس من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) من الاحياء.

عليه بما يحميه من الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل مسمى. ثم الفساد إمّا من الداخل وهو أنّ في داخله حرارة ورطوبة، والحرارة تفني الرطوبة، فأمّد الله تعالى الرطوبة بالأطعمة، فخلق لأجلها شهوة الطعام، وإمّا من خارج كالسيف والسّنان وسائر المهلكات، فخلق الله لدفعها الغضب من النار وعجنه بطينته. وإذا اشتعلت نار الغضب وثار ثورانًا يغلي بها دمُ القلب، وينتشر في العروق ويرفع إلى أعالي البدن، ثم ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم. هذا إذا غضب على من دونه وقدر عليه. أما إذا غضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولّد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى باطن القلب، وصار حزنًا، ولذلك يصفر اللون. وإنْ كان على نظير يشكّ فيه تولّد منه تردّد الدم بين انقباض وانبساط، فيحمر ويصفر ويضطرب، ويُسمّى فوت مقتضى هذه القوة الانتقام.

ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث: لأنّه إما مفرط وذلك مذموم، ويقال فيه إنّه لا حمية له. وقد وصف الله تعالى الصحابة بالشدة والرحمة، وقال سبحانه: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾(١). وقال الشافعي: من استغضب فلم يغضب فهو حمار. وإمّا مفرط وهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعتهما، وذلك قد يكون طبيعية وقد تكون مكتسبة، بأن يخالط قومًا يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية، وإنما الاعتدال وهو أحسن الدرجات أن ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحمية، وينطفيء حيث يحسن الحلم، وهو الوسط الذي كلّف الله عباده به وهو الصراط المستقيم، وهو أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف. فإنْ عجز فليطلب القرب منه، إذْ بعض الشر أهون من بعض، وبعض الخير أرفع من بعض.

وأثر هذا الغضب في البصيرة أنّه يُعمي صاحبه ويُصّم عن كل موعظة، بل زاد(٢) بالموعظة، ويتصاعد دخان مظلم إلى دماغه بل إلى معادن الحِسّ، فتظلم عينه، وتسودّ عليه الدنيا بأسرها. وربما تقوى نار الغضب فتنفي الرطوبة التي بها الحياة فيموت صاحبه غيظًا.

وأما أثره في الصورة تغيّر اللون وشدة الرعدة في الأطراف، واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق، وتنفتح المناخر. ولو رأى الغضبان قبح صورته لسكن غضبه حياءً منه.

وأما أثره في اللسان فالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول، بل قائله أيضًا عند فتور غضبه.

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجّم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة، وإنْ عجز عن التشفي ربما يمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه ويعتريه مثل الجنة، وربما يضرب الجمادات والحيوانات.

أما أثره في القلب فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءة وغير ذلك. هذه آثار الغضب.

وأما آثار عدم الحمية: قلة الأنفة من التعرض للحرم، واحتمال الذل من الاختباء، وصغر النفس، ونحو ذلك.

المطلب الثاني: في علاج الغضب:

[واعلم أنّ الغضب لأخذ محبوبه أو لقصد مكروه له](٣) ومحبوب الانسان ثلاثة:

---

(١) الفتح/٢٩.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) [ ] ما بين المعقوفين ساقط في النسخة المصرية.

الأول: ما هو ضروريّ للكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن، كما قال ﷺ: «من أصبح آمنًا في سربه، معافى في بدنه، وعنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[١]. والغضب على من يتعرض، هذا جائز لأنّها ضرورته.

الثاني: ما ليس ضروريًا لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب، فإنّ هذه صارت محبوبة بالعادة أو الجهل بمقاصد الأمور، فالغضب على هذا ليس بضروري لأنّ حبه ليس بضروري، إلّا أنّ الجهال يحبون هذه ويتألمون لفوتها، فإذًا استكثارهم من الغم والحزن[٢]، إذْ الدنيا معرض الآفات.

الثالث: ما يكون ضروريًا للبعض دون الآخرين كالكتاب للعالم إذْ هو مضطر إليه فيحبه ويغضب على من يخرقه ويغرقه، وكذلك أدوات الصناعات في حق المكتسب، فإنّ ما هو وسيلة إلى القوت الضروري فلا يمنع من الغيظ استغناء غيره عنه. وإنما الكلام في القسم الثاني إذْ يجب إخراج حبه عن قلبه بأنّ الدنيا معبر يعبر عليها ويتزوّد منها قدر الضرورة، وما وراء ذلك وبال عليه في وطنه ومستقره، فيزهد في الدنيا وينمحي حبها عن قلبه.

فإنْ قلت: لا يلزم من كون القسم الأول ضروريًا جواز الغضب عليه بل يكتفي بالتألم ولا يغضب، والتألم غيره[٣]، كالفَصْد يتألّم به ولا يغضب على الفصاد. وأيضًا من غلب عليه التوحيد ورأى الأشياء كلّها من الله لا يغضب على أحدٍ من خلقه. مثلًا إذا وقع الملك بضرب رقبة أحد وهو لا يغضب على القلم الذي وقع الملك به، وكذا يندفع بأنّ الله لا يقدر له إلّا ما فيه الخيرة. قلت ما ذكره من الاكتفاء بالتألّم حسن جدًا، لكن الكلام في أنّ الغضب هناك معفوّ عنه وصاحبه معذور. وأما غلبة التوحيد فذلك كالبرق الخاطف، ثم يرجع القلب إلى الوسائط، وكذا الكلام في أنّ الخير ما قدّر له.

المطلب الثالث: في معرفة أسباب الغضب ليعالج بإزالتها:

وأسبابه الزهو والعجب والفخر والمزح والهزل والتعيير والمماراة والمضارة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة يجب إزالة كل منها بما ذكرناه في مواضعها.

وأما معالجة الغضب بعد وقوعه بستة أمور:

الأول: ملاحظة الأخبار الواردة في فضيلة كظم الغيظ.

الثاني: أن يخوِّف نفسه بعقاب الله سبحانه، ويقول قدرة الله عليّ أعظم من قدرتي على هذا الانسان.

الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام، وتشمر العدو لمقاتلته، والسعي في هدم أغراضه، والسماح لمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب. وبالجملة يسلّط قوة الشهوة على قوة الغضب.

الرابع: أنْ يتفكر في قبح صورته عند غضبه ومشابهته للكلب الضاري والسبع العادي، ومشابهة الحليم الهادئ بالأنبياء والحكماء والعلماء.

السادس[٤]: أنْ يعلم أنّ غضبه من تعجبه من جريان الأمور على وفق مراد الله تعالى، فكيف يقول مرادي أولى من مراد الله.

ثم معالجة الغضب بطريق العمل أنْ تقول

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) سقط من النسختين: الهندية والمصرية ترقيم الخامس.

بلسانك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وتقول: «اللهم ربَّ النبي محمد، اغفر لي ذنبي وارحمني، وأذهِبْ غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن»[١]. هكذا علّم النبي ﷺ عائشة عند غضبها. وإنْ لم يزل بذلك فليجلس إنْ كان قائمًا، أو يضطجع إنْ كان جالسًا، ويقرب من الأرض التي منها خلق ليعرف بذلك ذلّ نفسه، واطلب بالاضطجاع والجلوس السكون، فإن سبب الغضب الحرارة، وسبب الحرارة الحركة، وإنْ لم يزل فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل، فإنّ النار لا يطفئها إلّا الماء، كذا ورد في الحديث.

ثم الناس في الغضب أربعة: بعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود، وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود، وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو أجودهم ما لم ينته إلى فتور الحمية والغيرة، وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهو شرّهم.

المطلب الرابع: في الحقد والعفو والرفق:

إعلم أنّ الغضب إذا عجز صاحبه عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا. ومعنى الحقد أنْ يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار منه، وأنْ يدوم ذلك ويبقى. والحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد وهو أنْ يحملك الحقد أنْ تتمنى زوال النعمة عنه، فتغتم بنعمة إنْ أصابها وتسرّ بمصيبة إنْ نزلت به، وهذا من فعل المنافقين وستعرف ذمّه.

الثاني: أنْ تزيد في إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث: أنْ تقطعه وتصارمه وإنْ أقبل عليك.

الرابع: وهو دونه أنْ تعرض عنه استصغارًا له.

الخامس: أنْ تتكلم فيه بما لا يحلّ من كذب وغيبة وإفشاء سِرّ أو هتك ستر وغيره.

السادس: أنْ تحاكيه استهزاءً به وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن: أنْ تمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو ردّ مظلمة، وكل ذلك حرام.

ثم للحقود ثلاثة أحوال عند القدرة:

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان، وهو العدل، وهو اختيار الصالحين.

ثانيها: أن يحسن إليه بالعفو والصلة، وذلك هو الفضل واختيار الصديقين.

وثالثها: أنْ يظلمه بما لا يستحقه وهو اختيار الأراذل.

ثم إنّ العفو هو أنْ تستحق حقًا فتسقطه وتتبرأ عنه من قصاص أو غرامة وهو غير الحلم. وكظم الغيظ فضيلته لا تخفى على أحد سيّما وقد ورد في مدحه الآثار والأخبار، حتى مدحه الشعراء والحكماء بل المتقيدون بحكم الطبيعة. وبالجملة، لم ينكر فضيلته أحد من الطوائف.

وأما الرفق فهو نتيجة حسن الخلق والسلاسة كما أنّ ضده هو العنف، والحدة نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق نتيجة اعتدال قوة الشهوة والغضب، ولذلك ورد في الحديث: «يا عائشة، من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة»[٢]. ثم إنّ الرفق هو التوسّط بين العنف واللين. ثم إنّ المشكل تمييز موضع العنف عن موضع الرفق، وإذا لم يقدر أحد على التمييز فليكن ميله إلى الرفق، فإنّ النجاح معه في الأكثر.

المطلب الخامس: في الحسد وحكمه وأقسامه

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٢/٨.
(٢) المتقي الهندي، كتاب الأخلاق، باب الاقتصاد والرفق في الأعمال، ح ٥٤٢٣، ٣/٤٧.

ومراتبه:

إعلم أنّ الحسد فرع الحقد وهو فرع الغضب. وليس الحسد إلّا على نعمة، فإمّا أن تريد زوالها عن المنعم عليه، وهو حرام، إلّا نعمة لفاسق أو ظالم جعلها آلة للشر لكن لا تريد زوالها من حيث إنّها نعمة، بل من حيث إنّها آلة الفساد، أوْ لا تريد زوالها ولكن تشتهي لنفسك مثلها، وهذا يسمى غبطة، وهذه ليست بحرام، بل ربما تكون واجبة كما في نعمة العلم، أو مندوبة كما في نعمة التصدق، أو مباحة كما في النعم المباحة. ومذمة الحسد في الآثار والأخبار بل في الطباع شهيرة لا تحتاج على تفصيلها.

وأما مراتبه فأربعة:

أحدها: أنْ يحب زوال النعمة عنه، وإنْ كانت لا تنتقل إليه، وهو غاية الخبث، وإنّه مذموم محض.

وثانيها: أنْ يحب زوال النعمة إليه فرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو ولاية نافذة، وهذا أيضًا مذموم.

وثالثها: أنْ لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإنْ عجز عن مثلها أحبّ زوالها، وهذا أيضًا مذموم إلّا أنه أخف من الثاني.

رابعها: أنْ يشتهي لنفسه مثلها فإنْ لم يحصل فلا يحب زوالها منه، وهذا هو المعفو عنه إنْ كان في الدنيا والمندوب إليه إنْ كان في الدين.

ثم إنّ للحسد أسبابًا:

الأول: العداوة والبغضاء وهذه أشد أسبابه.

الثاني: التعزز، وهو أن يثقل عليه أن يرتفع عليه غيره ولا يريد التكبر، بل غرضه أنْ يدفع كبره، وهذا إذا نال بعض أقرانه ولاية أو علمًا أو مالًا وهو لا تحتمل نفسه صلفه وتفاخره فيتعزز عليه.

الثالث: أنْ يكون في طبعه أنْ يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه، ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في أغراضه. فإذا نال نعمة خاف أنْ لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته، أو ربما يتشرف على مساواته، أو إلى أنْ يترفع عليه فيعود متكبرًا بعد أنْ كان متكبرًا عليه.

الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية إذْ: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[١]، فتعجبوا من أنْ يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم، فحسدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم جزعًا عن أنْ يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة، لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة وأسباب أخر.

الخامس: الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، وذلك مثل الضرات عند زوجهن، والتلامذة عند الأستاذ.

السادس: حبّ الرياسة وطلب الجاه نفسه من غير توصل به إلى مقصود، وذلك كتحاسد العلماء، فإنّ واحدًا منهم لو سمع نظيره[٢] في اقصى العالم لساءه ذلك وأحبّ موته وزوال نعمته من غير عداوة ولا تعزز ولا تكبر بينهما ولا خوف من فوات مقصود.

السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله. وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم فرح به، فهو أبدًا يحبّ الإدبار لغيره، ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذونها من ملكه وخزانته، ويختص مثله باسم الشحيح. وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك. والأكثر اجتماع الأسباب، وقلّما ينفرد واحد منها.

ولما كان الحسد اقتضى سابقة الارتباط بين

---

(١) يس/ ١٥.

(٢) كذا في الأصل، والظاهر: بنظيره.

الشخصين، كثر بين الأمثال والأقران والإخوة وبني العم والأقارب دون شخصين في بلدتين متباعدتين. ثم لما اشترط في الحسد التزاحم حسد العالم العالم دون التاجر، والشجاع الشجاع دون الإسكاف، ونحو ذلك. نعم من أحبَّ الصيت ربما يزاحمه من في أقصى العالم في هذا دون الغرض فيحسده؛ وأما أبناء الآخرة فلا يقع بينهم التحاسد إذْ لا مزاحمة بينهم ولا ضيق فيها، وكذا العلم إذْ المعلوم الواحد يعرفه ألف إنسان.

المطلب السادس: دواء الحسد:

وهو أَنْ تعرف أولًا أنّه ضرر عليك في الدين والدنيا، ولا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما جميعًا. أمّا ضرره في الدين لأنّه سخط لقضاء الله وكراهة لنعمه، وهذا قذى في عين الإيمان، وانضم إليه غش المسلم وترك نصحه ومشاركة إبليس، وهذه خبائث في القلب تأكل الحسنات وتمحوها. وأمّا في الدنيا فهو أنّه الألم الحاضر والعذاب الدائم، وأنت تريد الألم لعدوك فتنجزت في الحال. وأمّا أنّه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأنّ النعمة لا تزول بحسدك.

وأما منفعته في الدنيا فهو أنّ أهم مقاصد أبناء الدنيا إيصال الهم إلى أعدائهم، وهو حاصل بالحسد، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، فأنت عدو لنفسك وصديق لعدوك، ومع هذا كله قد أدخلت السرور في إبليس وهو أعدى عدوك.

وإذا عرفت فعليك أنْ تكلّف نفسك نقيض الحسد إذْ كل مرض يعالج بضده. مثلًا: يكلف لسانه بمدحه وثنائه، ويتكلف التواضع له والاعتذار إليه، ويلزم نفسه الإنعام عليه إنْ قدر. وهذه الأفعال تطيب قلب المحسود ويحب الحاسد، ومهما ظهر حبه أحبّه الحاسد، ويتولّد منه الموافقة، ويصير ما يتكلفه أولًا طبعًا آخر، ولا يصدّنّك عن ذلك قول الشيطان إنّ هذا عجز ونفاق وخوف، لأنّ ذلك من خدع الشيطان ومكايده، وهنا دواء الحسد إلّا أنّه مرّ. فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء.

ثم إنّ لك في أعدائك ثلاثة أحوال:

أحدها: أنْ تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك، وتمقت نفسك عليه، وتود لو كان لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك، وهذا معفو عنه لأنّه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه.

الثاني: أنْ تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إمّا بلسانك أو بجوارحك، فهذا هو الحسد المحظور.

الثالث: وهو بين الطرفين أنْ تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك، ومن غير إنكار منك على قلبك، ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد، وهذا محل الخلاف. والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه، والله المستعان.

علم ذم الكبر والعجب(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول: في ذم الكبر والاختيال وفضيلة التواضع:

واعلم أنّ الله تعالى ذمّ الكبر والاختيال، ومدح التواضع في مواضع كثيرة من كتابه، بحيث لا يخفى على أحد ذلك. وكذلك وقع في الأحاديث ما يوافق القرآن أخبار كثيرة لا يمكن حصرها مع شيوعها عند الناس.

واعلم أنّ الكبر صفة في النفس وما في

(*) هذا هو الأصل التاسع من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الظاهر من اماراتها، وهو أن يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال فيحصل في قلبه إعزاز[١] وهزة وفرح وركون إلى رؤية نفسه. ولذلك قال النبي ﷺ: «أعوذ بك من نفخة الكبر»[٢]. وأما العجب فلا يشترط فيه رؤية الغير، بل لو خلق وحده يحصل العجب. وأما الكبر فيشترط فيه ذلك. وأما الآثار الظاهرة منه ويُسمّى تكبرًا أن يحقر[٣] مَنْ دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته، وربما يشتد الكبر فيستنكف عن خدمته أيضًا بل عن خدمة عتبته، وأدنى مراتبه أنْ يأنف عن مساواته فيأنف أنْ يرد عليه إنْ ناظره. ثم إنّه ربما ينظر إلى العامة كأنهم الحمير ويستحقرهم، إلى غير ذلك من الأحوال القبيحة قلما أنْ ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلًا عن العوام.

المطلب الثاني: في أقسام الكبر باعتبار المتكبر عليه، وهي ثلاثة:

الأول: التكبر على الله كما فعله نمرود وفرعون وهو من أفحش أنواع الكبر وأقبحها، والعياذ بالله.

الثاني: التكبر على الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه من حيث ترفعه عن الانقياد لبشر، وذلك تارة مع الجهل بحقيته حيث يصرف الكبر عن الفكر فيه، وتارة يعرف حقيته ولكن لا تطاوعه نفسه بالانقياد.

الثالث: التكبر على العباد بأنّ يترفع عليهم ويستصغرهم ويزدريهم. وهذا وإنْ كان دون الأول لكنه عظيم أيضًا من وجهين: أحدهما: أنّ العز والكبر لا يليق إلّا بالملك القادر والعبد بمعزل عن ذلك. ثانيهما: أنّه يدعو إلى مخالفة الله عز وجل لأنه ربما يسمع الحق من عبد فيأنف عن قبوله ويتشمّر لجحده، كما تشاهده في المناظرين في مسائل الدين، كما فعله إبليس حيث جره كبره إلى مخالفة أمر الله تعالى.

المطلب الثالث: في أقسام ما به الكبر، وهي سبعة:

الأول: العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء لأنهم يرون أنفسهم كمال العلم وجماله، فيستعظمون أنفسهم ويستحقرون مَنْ عداهم، ويتوقعون منهم الخدمة، ويستسخرونهم في حوائجهم بمنزلة عبيدهم، هذا أمر الدنيا. وأما في الآخرة فيرون أنفسهم عند الله خيرًا منهم فيرجون لأنفسهم أكثر مما يرجون لهم، ويخافون عليهم أكثر مما يخافون على أنفسهم، مع أنّ العلم الحقيقي أنْ يعرف الانسان به نفسه وربّه وخطر الخاتمة، وأنّ حجة الله على العلماء أعظم من حجته على الجاهل، وذلك يقتضي أنْ يرى كل أحد خيرًا منه.

والكبر في العالم إمّا باشتغاله بما ليس هو يعلم كالطب والحساب واللغة والشعر والنحو وطريق فصل الخصومات والمجادلات، وهذه صناعات. وإنّما العلم الحقيقي ما يورث الخشية والتواضع، وإمّا بأنْ يشتغل بالعلم لكن هو خبيث الدخلة رديّ النفس سيء الأخلاق، لأنّه لم يشتغل أولًا بتهذيب نفسه. فإذا خاض في العلم أي علم كان صادف من قلبه منزلًا خبيثًا، فلم تطب ثمرته ولم يظهر في الخير أثره، وإنما العلم كالغيث تشوبه الأشجار فيزيد المرّ مرارة والحلو حلاوة، وكذا العلم يزيد المتكبر كبرًا والمتواضع تواضعًا. وما أعزّ على بسيط الأرض عالمًا لم يحركه عزّ العلم، ولو عرفنا ذلك بأقصى الصين لسعينا إليه رجاء أنْ تشملنا بركته وتسري إلينا سيرته وسجيته، ولكنه هيهات، أنّى يسمح آخر الزمان بمثلهم.

---

(١) كذا في الأصل، وفي الاحياء: اعتداد.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب العجب والكبر، باب بيان حقيقة الكبر، ٨/ ٣٦١، بلفظ: «الكبرياء».

(٣) كذا في الأصل.

الثاني: العمل والعبادة بأنْ يروا غيرهم بزيارتهم أولى من أنفسهم بزيارة غيرهم، ويتوقعون قيام الناس بحوائجهم وتوقيرهم، والتوسيع لهم في المحافل، وذكرهم بالورع والتقوى، وكأنهم يرون عبادتهم مِنَّة على الخلق، وكذا في الدين يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيًا إلّا أنّه هو الهالك تحقيقًا. وإنّ منهم من يظن أنّه أكرم على الله من الأنبياء حيث انتقم له من أعدائه إذا أصابهم مكروه، ويزعم أنّ ذلك من كراماته. وكثير من أعداء الأنبياء أمهلهم الله في الدنيا وربما أسلم فسلم في الآخرة أيضًا.

ثم الكبر في العلماء إمّا أنْ يستكن في قلبه ويتواضع ظاهرًا، ويظهر على أفعاله أيضًا، وأشد منهما من يظهر في أقواله بأنْ يدعي بالمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الأعمال والمقامات والتبشر بغلبة في العلم والعمل.

الثالث: التكبر بالحسب والنسب وذلك عرق دفين في النفس قلما ينفك عنه نسيب، وإنْ كان عاقلًا وصالحًا إلّا أنه يطفيء ذلك بنور بصيرته.

الرابع: التفاخر بالجمال، وأكثر ما يجري ذلك بين النساء، ويدعو ذلك الى الغيبة وذكر عيوب الناس.

الخامس: الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في الخزائن والتجار في بضائعهم، وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم، وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضل الفقر.

السادس: الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف.

السابع: التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والأقارب والبنين، ومن ذلك المكاثرة بالمستفيدين بين العلماء والجنود بين الملوك.

المطلب الرابع: في أسباب الكبر، وهي أربعة:

أحدها: العجب، وأنه يورث الكبر الباطن وهو يثمر التكبر.

ثانيها: الحقد لأنّه إذا رسخ في القلب تأنف النفس أنْ تطاوع ذلك وأنْ تتواضع له. فكم من رذل لا تطاوع نفسه أنْ يتواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه.

وثالثها: الحسد وهو أيضًا يبعثه على أن يعامله بأخلاق الكبر وإنْ لم ير نفسه فوقه في باطنه.

ورابعها: الرئاء فإنّ كثيرًا من الناس يتكبر على آخر ولا يستفيد منه العلم لئلّا يقول الناس إنّه أفضل منه.

وأمّا آثار المتكبر في الشمائل: صفر الوجه والنظر شزرًا، وإطراق الرأس والجلوس متربعًا ومتكئًا، وفي أقواله تغير في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد. وربما يظهر في مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته إلى غير ذلك. وربما يجتمع الكل في شخص، وربما يتكبر شخص في بعضها ويتواضع في غير ذلك.

المطلب الخامس: في طريق معالجة الكبر:

وهي إما باستئصاله أو دفع العارض منه. أما الأوّل فإما علمي وهو أنْ يعرف نفسه وربه إذْ عند ذلك يعرف أنّ له الذّلّ ولربه الكبرياء، ويعرف أنّ بدنه من أي شيء خُلق وإلى أي شيء سيؤول في القبر وعند الحشر وأهواله، ثم هو إمّا إلى الجنة وإما إلى النار. وإمّا عملي وهو التواضع لله ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين، ويتذكر قول رسول الله ﷺ: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد»[1].

وأما الثاني: فيدفع الأسباب السبعة المذكورة.

أما الكبر بالنسب فيدفعه بأنه الاعتزاز بكمال

---

(١) سبق تخريجه.

غيره، وأنّ النسب الحقيقي نطفة قذرة، وجده البعيد تراب ذليل، فمن أين جاءت الرفعة لولده وأصله توطأ بالأقدام وفضله يغسل عنه الأبدان.

فأمّا الكبر بالجمال فبأن ينظر إلى ما في باطنه من الأقذار والنجاسات وجريانه أولًا من الذَّكر، ثم قراره في الرحم، ثم خروجه من مجرى القذر.

وأما علاج الكبر بالقوة فبأن ينظر إلى ما سلط عليه من العلل والأمراض، وأنه لو توجع عرق من بدنه لصار أعجز من كل عاجز، وإنْ دخلت بقة في أنفه أو نملة في أذنه قتلته، وأنّ شوكة لو دخلت في رجله لأعرجته، وأنّ الحمار والثور والجمل يفوقك في هذا، فأيّ فضل لك فيها.

وأما علاج الكبر بالغنى والمال والاتباع والأنصار فعلاجه أنّ هذه الأمور في معرض الآفات، ولو زالت عنك لبقيت وحدك، فأيّ فخر لك في ذلك. وأمّا علاج الكبر بالعلم فمن أصعب الأمور وأشدها، لأنّ قدره عظيم عند الله وعند الناس، ففيه طريقان: أحدهما أنْ يعرف أنّ حجة الله تعالى على العالِم أوكد، لأنّ عصيانه أفحش من عصيان الجاهل. وثانيهما أنْ يعلم أنّ الكبر لا يليق إلّا بالله عز وجل، وأنه إذا تكبر صار ممقوتًا عند الله بغيضًا. قال تعالى للعالم: إنّ لك عندنا قدرًا ما لم تر لنفسك قدرًا، فإنْ رأيت لنفسك قدرًا فلا قدر لك عندنا. وأيضًا إنّ العالم إذا تكبر فهو جاهل، فكيف يتكبر بالعلم وهو جاهل فلا بد أنْ يصغر نفسه حتى يعظم عند الله. فإذًا إنه إذا نظر إلى جاهل يقول: إنه قد عصى الله بجهل وقد عصيته بعلم فهو خير مني. وإنْ نظر إلى عالم يقول: إنه يعلم ما لا أعلم. وإنْ نظر إلى كبير يقول: هو أكبر مني سنًا وأطاع الله قبلي. وإن نظر إلى صغير يقول: إنه عصى الله بعدي. وإن نظر إلى مبتدع أو كافر يقول: ما يدريني لعل الله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن.

ولكن ينبغي أنْ لا يؤدي هذا التواضع إلى مداهنة الفساق وإطفاء نور الغضب لله، إذْ عليك عند غضبك لله ملاحظة ما سبق من ذنوبك، وتميزك عنه بالعلم والعمل إنما هو نعمة من الله تعالى، وملاحظة إبهام عاقبتك. فبملاحظة هذه الأمور لا يؤدي الغضب لله إلى الكبر، فيجتمع عند ذلك مع التواضع، فيكون باعث الغضب رضا مولاك لا نفسك بأنْ ترى نفسك ناجيًا وذلك هالكًا.

وأما علاج التكبر بالورع والعبادة فطريقه طريق معالجة الكبر بالعلم، ولا ينافي ذلك فضل العابد على الفاسق عند الله، لأنه وإنْ كان كذلك عند الله لكن لا شعور له بالختم على العبادة والورع، فلا يتكبر على الفاسق فضلًا عن المستور.

ثم إنّ معرفة الكبر من النفس قد يصعب إذْ قد يستكن في القلب فلا يشعر به صاحبه فله امتحانات:

أولها: أنّ يذعن للحق إنْ ظهر في واحد من أقرانه، ويشكر له على تنبيهه للحق وإلّا ففيه الكبر، وعلاجه أنْ يذكر خسة نفسه، وأنّ الكبر لا يليق إلّا بالله عز وجل، وأنْ يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ويشكره على الاستعاذة منه، ويقول: جزاك الله خيرًا، قد كنت غافلًا عنه، وإنْ لم يثقل ذلك في الخلوة بل في الملأ ففيه رئاء فليعالجه، وإنْ ثقل فيهما معًا ففيه الكبر والرئاء جميعًا.

وثانيها: أنْ يقدم الأقران على نفسه في المحافل فليواظب عليه إنْ ثقل ذلك عليه حتى يسقط ثقله ويذهب كبره. إلّا أنّ ها هنا مكيدة الشيطان وهو أن يقدم أقرانه ويجلس هو في صف النعال أو يجعل بينه وبين أقرانه بعض الأرذال، وليس هذا تواضعًا بل هو عين الكبر، إذْ يوهم بذلك أنّه ترك مكانه تفضلًا فيكون تكبرًا في صورة

التواضع، بل التواضع حقيقة أنْ يجلس تحت أقرانه ولا ينحط عنهم إلى صف النعال أيضًا.

وثالثها: أن يجيب دعوة الفقير ويمر في حاجات الرفقاء والأقارب الى السوق، فإنْ ثقل ذلك عليه فهو كبر. وعلاجه ما مرّ من المواظبة على دفعه مع المعارف التي تزيل داء الكبر.

ورابعها: أنْ يحمل حاجة نفسه وأهله وأقاربه ورفقائه من السوق إلى البيت، فإنْ أبت نفسه فهو كبر إن خلا الطريق ورئاء عند مشاهدة الناس يجب علاج كل منهما بما مرّ. وقد أهمل الناس طبّ القلوب واشتغلوا بطب الأجساد، مع أنّ الأجساد تفنى البتة، والقلوب لا تدرك السعادة إلّا بالسلامة عن الآفات.

وخامسها: أنّ يلبس ثيابًا بذلة فإنْ نفر عنها في الملأ فرئاء وفي الخلاء فكبر، وقد يجتمعان، فاعرف الأمراض أولًا حتى تمكن مداواتها.

ثم اعلم: التواضع واسطة بين الكبر والمذلة وهما مذمومان، وخير الأمور أوساطها، فمن يتقدم على أقرانه فهو متكبر، ومن يتأخر عن إسكافٍ مثلًا وأجلسه مجلسه ثم سوّى نعله وعدا إلى باب الدار خلفه فهو تذلّل وتخسيس، بل يكفيه البشر في الكلام والتعظيم بالقيام والرفق في السؤال وإجابة دعوته وغير ذلك، وليحذر عن الطرفين وليطلب الوسط مهما أمكن.

المطلب السادس:

في العجب، وذمّه مثل ذمّ الكبر، وقد كثر ذمه في الآيات والأحاديث. وقد ذكرنا حقيقته والفرق بينه وبين الكبر، ولنذكر آفاته وهي كثيرة لأنّه يدعو إلى الكبر وآفاته قد مرت. ومن آفاتها[1] أنه ينسى ذنوبه ويظن أنه يستغني عن تفقدها ويستصغرها ولا يتداركها، وربما يظن أنّها تغفر له. وأيضًا يستعظم عباداته ويمن بها على الله تعالى وينسى نعمة الله تعالى بالتوفيق والتمكين منها، ويعمى عن آفاتها ويغتر بنفسه وربه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنّه عند الله بمكان. ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فيستبد برأيه وإن كان خطأ، ويستنكف عن سؤال من هو أعلم منه، ولا يستمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ، بل ينظر غيره بعين الاستجهال. وإنْ كان خطأه في أصول العقائد يهلك أبدًا.

واعلم أنّ الانسان إن كان خائفًا على زوال نعمه من علم ومال فهذا ليس بمعجب. وإن كان خائفًا من زواله لكن يكون فرحًا به من حيث إنه نعمة من الله سبحانه عليه لا من حيث إضافته لنفسه، وهذا أيضًا ليس بمعجب. وإن كان غير خائف عليه بل يكون فرحًا به مطمئنًا إليه، ويكون فرحه من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث أنه عطية من الله تعالى ونعمة. وبالجملة يكون فرحه من حيث نسبته إلى نفسه لا إلى الله تعالى فهو عجب لا محالة، وإنْ انضاف إلى ذلك أنّه مستحق لهذه الكرامة في الدنيا لأنّ له على الله تعالى حقًا حتى استبعد أن يجري عليه مكروه، وسمّي هذا إدلالًا بالعمل، فكأنّه يرى نفسه على الله دالة. وأيضًا إن أعطى غيره شيئًا فاستعظمه ومنَّ عليه يكون معجبًا. وإن استخدمه واقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلًا عليه. فالإدلال وراء العجب فلا يدل إلّا وهو معجب. وربّ معجب لا يدل، فإنْ توقع إجابة الله دعوته واستنكر ردّها بباطنه وتعجب منه كان مدلًا بعمله، وهو من مقدمات الكبر.

المطلب السابع:

في علاج العجب، والعجب جهل وعلاجه المعرفة، مثلًا: الورع إنما يعجب به من حيث إنّه محله ومجراه، أو من حيث إنه منه ولقدرته وقوته. والعجب بالأول جهل محض إذْ لا فخر

(١) كذا في الأصل.

بما ليس أمره إليه، وبالثاني أيضًا كذلك فيتأمل في قدرته وإرادته وسائر الأسباب التي بها يتم علمه أنّه من أين كان له ذلك. فإنْ كان جميع ذلك من نعمة من الله من غير حقّ سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أنْ يكون اعجابه بجود الله وكرمه وفضله، فكل كمال وعلم وجمال من فضل الله، وإنما هو محل لفيضان فضله وجوده، والمحل أيضًا من جوده وفضله. فإنْ ادعيت أنّ كل ذلك أعمالي حتى أرجو لها ثوابًا فاعلم أنّك وقدرتك وإرادتك وحركتك كل ذلك من خلق الله واختراعه، فما عملت إذْ عملت، كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١)، هذا هو الحق الصريح الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من ابصار العين. وأما كيفية الثواب فسيجيء في كتاب الشكر.

وأيضًا مفاتيح الأعمال القدرة والإرادة والعلم، وهذه بيد الله تعالى لا محالة. فتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب ليس شيء اليك، فمن العجائب أنْ تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله، ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في إيثاره إياك على الفساق من عباده. وسيأتي ما يستبين به أنّه لا فاعل إلّا هو، ولا خالق سواه. ومن غفل عن ذلك ربما يقول: يا رب: لم أفقرتني وأنا العاقل، لكنه كلام جاهل غافل، إذْ لو جمع بينهما لقال الفقير الجاهل: يا رب: لم جمعته(٢) بينهما وحرمتني عنهما. فإذا اقتضت الحكمة أنّ العلم متى ازداد نقص من المال، اللهم إلّا نادرًا، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

ثم إنّ أقسام العجب أقسام الكبر بعينها، وعلاجها علاجها، فاعتبر كل ذلك ها هنا، والأمر ظاهر لمن له بصيرة تامة، والله أعلم بالصواب.

علم ذمّ المال وكراهية حبه وذمّ البخل(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول:

اعلم أنّ الله تعالى ذمَّ المال في مواضع كثيرة ومدحه في بعض المواضع وسماه خيرًا. وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾(٣). وقال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»(٤)، فلا بد من التوفيق بينهما، ولا يمكن ذلك إلّا ببيان آفات المال وفوائده.

إعلم أن المال مثل حيّة فيها سمّ وترياق، فمن عرف فوائدها وغوائلها أمكنه أنْ يحترز من شرها ويستدر منها خيرها. أما الفوائد فإمّا دنيوية يعرفها كل أحد، ولهذا يتهالكون عليها، وأمّا الدينية فثلاثة أنواع: الأول: ما ينفقه على نفسه، إمّا في العبادة كالحج والجهاد وهما من أمهات القربات، أو في الاستعانة على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة. وأما حظوظ الدنيا ما يزيد عليها من التنعم والتلذذ.

الثاني: ما يصرفه الى الناس، وهي أربعة:

أحدها: الصدقة وقد عرفت ثوابها.

وثانيها: المروءة كالضيافة والهدية والإعانة، وهذا أيضًا من الفوائد الدينية، إذْ به يكتسب الإخوان والأصدقاء وصفة السخاء والجود

---

(١) الأنفال/ ٧.
(٢) كذا في الأصل.
(*) هذا هو الأصل السابع من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٣) البقرة/ ١٨٠.
(٤) سبق تخريجه.

والمروءة والفتوة ففيها مثوبات أيضًا.

وثالثها: وقاية العرض كدفع هجو الشاعر وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم، وفائدتها دينية وأخروية، لأنّ وقاية العرض صدقة لأنّ فيها منع المغتاب ودفع آفة الانتقام بينهما.

ورابعها: الاستخدام إذْ الانسان إذا تولّى جميع مصالحه لضاعت أوقاته، كشراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه فلا بُدَّ له من مال يدفع أمثال هذه الحوائج.

النوع الثالث: الخير للعامة، كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الجباب في الطرق وأمثال ذلك، وهي من الخيرات المؤبّدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين، وناهيك به خيرًا.

وهذه هي الفوائد الدينية، مع ما في المال من الحظوظ العاجلة من الخلاص من ذُلّ السؤال وحقارة الفقر، والوصول إلى العِزّ والمجد بين الخلق، وكثرة الإخوان والأعوان والكرامة والوقار ونحو ذلك.

وأما الآفات فإما دينية وهي ثلاثة:

الأول: أنّ الانسان إذا استشعر من نفسه القدرة على المعصية انبعثت داعية المعاصي، فإنْ اقتحم ذلك هلك، وإنْ صبر وقع في شدة.

الثاني: أنْ يجر إلى التنعم في المباحات ثم يألفه، ثم يجر البعض إلى البعض، حتى لا يفيه المال الحلال فيقتحم الشبهات، ويتبعه أنْ يصانع الناس بالرئاء والمداهنة والكذب والنفاق، لأنّ حاجة الناس تؤدي إلى هذه الأخلاق.

الثالث: وهو الذي لا ينفك عنه أحد وهو أنّه يلهيه عن ذكر الله تعالى، وأنه خسران عظيم وهو الداء العضال.

وأمّا آفاته الدنيوية فالخوف والحزن والهمّ والغمّ والتعب في دفع الحساد، وتجشم المصاعب في حفظ الأموال وكسبها. فإذًا ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي في الخيرات، وما عداه سموم وآفات.

المطلب الثاني: في الحرص والطمع ومدح القناعة:

واعلم أنّ الانسان إذا تشوَّف إلى ما فوق القوت فاته عِزّ القناعة وتدنَّس بذلّ الحرص، وجرّه ذلك إلى مساوىء الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت، فلا بد من علاج الحرص والطمع وملكة القناعة، وذلك مركّب من خمسة أمور:

الأول: وهو العمل، الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق، ويرد نفسه إلى ما لا بدَّ له منه ويطلب الاقتصاد في نفسه وفي عياله.

الثاني: أنْ لا يضطرب للاستقبال ويثق بوعد الله سبحانه، ويعرف أنّ شدة الحرص ليست سبب الرزق، ولا يبالي بما يعده الشيطان من الفقر بأنّك ربما تمرض وتعجز وتحتاج إلى ذلّ السؤال، وتقاسي ذلّ التعب في الحال لتوهم الذلّ في الاستقبال مع الغفلة عن الله تعالى.

الثالث: أنْ يعرف ما في القناعة من عزّ الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذلّ، وليس في القناعة إلّا ألم الصبر عن الفضول والشهوات، وهذا الألم لا يطلع عليه أحد وفيه ثواب الآخرة. وأمّا الطمع فألم لا نهاية له مع الوبال والمأتم، وربما تلزمه المداهنة ويهلك دينه.

الرابع: أنْ يتأمل في عيش أعداء الله من اليهود والنصارى وأرذال الناس، وإلى أحوال الأنبياء والأولياء وعامة الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين.

الخامس: أنْ يفهم ما في جمع المال من الآفات مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة خمسمائة عام.

المطلب الثالث: في السخاء:

اعلم أنّ المال إن كان مفقودًا فينبغي أنْ يقنع

ولا يحرص، وإنْ كان موجودًا فينبغي أن يختار الإيثار والسخاء والتباعد من الشحّ والبخل، فإنّ السخاء من أخلاق الأنبياء سيّما الإيثار فإنّه أرفع درجات السخاء، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه، كما أنّ أعلى البخل أنْ يبخل على نفسه مع احتياجه إليه، وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنى الله تعالى على الصحابة، قال ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١).

وأما البخل، فقيل: هو منع الواجب، فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كافٍ، فإنّ من ردَّ الخبز إلى الخباز لنقصان حبة أو نصفها فإنّه يعد بخيلًا بالاتفاق. وقيل: هو الذي يستصعب العطية، وهذا أيضًا قاصر، إذْ كم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها. وإنْ أراد بعض العطية فما من جواد إلّا ويستصعب بعضها.

وأما الجود، فقيل: عطاء بلا مَنٍّ وإسعاف بلا رؤية. وقيل: على رؤية أنّ المال لله والعبد لله فيعطي عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر. وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه الأقل فهو صاحب جود، ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شيئًا فهو صاحب بخل.

فاعلم أنّ هذه التفاسير لا تفي بالمقصود، بل نقول: المال خلق لحكمة ومقصود، فإمساكه في محل البذل بخل وبذله في محل الإمساك تبذير، والوسط المحمود فالسخاء والجود عبارة عنه، ولكن يشترط أنْ يكون ذلك بطيب القلب. ثم تمييز قدر الواجب عسير جدًا.

وجملة الكلام فيه أنّه قسمان: واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة، فمن منع واجبًا منها فهو بخيل، ومانع واجب الشرع أبخل، كمانع أداء الزكاة أو نفقة العيال، أو يؤديها بمشقة وكلفة. وواجب المروءة كتقتير نفقة أولاده وأهله، وله مراتب إذْ لا يقبح من الفقير ما يقبح من الغني، ويستقبح مع الأقارب ما لا يستقبح مع الأجانب، ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح مع الأباعد، ونحو ذلك. فمن أدى واجب الشرع والمروءة فقد تبرأ من البخل ولكن لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك، ولكن بشرط أنْ يكون عن طيبة نفس، ولا عن مطمع ورجاء مكافأة أو شكر أو ثناء أو خوف من الهجاء أو ملامة الخلق، لأنّ من أعطى لما ذكر من الأحوال معتاض لا جواد، وإنما الجود البذل من غير عوض. ولهذا لا يوجد الجود إلّا في حق الله تعالى، وفي الآدمي مجاز. نعم من فعله لغرض الثواب وتطهير النفس عن رذالة البخل يُسمّى جوادًا في بني آدم.

المطلب الرابع: في علاج البخل:

اعلمْ أنّ البخل سببه حبّ المال، وحبّ المال له سببان:

أحدهما: حبّ الشهوات التي لا يتوصل إليها إلّا بالمال مع طول الأمل، وإنْ كان قصير الأمل قام الأولاد مقام طول الأمل، فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة.

وثانيهما: أنْ يحبّ عين المال حتى لا يخرج زكاته، ولا يداوي نفسه عند المرض بل يحبّ المال ويلتذّ بوجوده، وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه سيما في كبر السِّن.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أنّ علاجه بمضادة سببه، فيعالج حبّ الشهوات بالقناعة والصبر، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران، ويعالج الالتفات إلى الولد بأنّ الذي خلقه خلق رزقه، وكم من ولد حسن حاله

---

(١) الحشر/ ٩.

ولم يرث شيئًا، وكم من ولد ورث مالًا عظيمًا وهو في شدة، ويعلم أنه يترك ولده بخير وهو ينقلب إلى ربه بشرّ، وأنّ ولده إنْ كان تقيًا فيكفيه الله وإنْ كان فاسقًا يعين بماله على فسقه ويرجع مظلمته إليه. ويعالج أيضًا بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذمّ البخل وفي قبائح البخلاء.

ومن علاجه أنْ يخدع نفسه بحسن الاسم والشهرة بالسخاء، فيبذل رئاء حتى يكون البذل طبعًا، وبعد ذلك يبدله إلى الإخلاص والاعتدال، والصفات الذميمة قد يسلط بعضها على بعض ويكسر سورة بعض ببعض.

المطلب الخامس: في وظائف العبد في ماله:

وهي خمس:

الأول: أن يعرف مقصود المال حتى لا يحفظ إلّا قدر الحاجة.

الثاني: أن يراعي جهة الدخل فيجتنب الحرام وما يقدح في المروءة.

الثالث: أنْ لا يستكثر على القدر الواجب، وقد عرفته، ويراعي القصد في الواجب أيضًا.

الرابع: أنْ يراعي جهة الخرج ويقتصد في الإنفاق ويضعه في محله.

الخامس: أنْ يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك، ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو أنّ رجلًا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد. قال بعضهم إنّ أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة، فإذا كان قصدك بهما التهيؤ للعبادة صار ذلك عبادة.

المطلب السادس: مدح الفقر وذمّ الغنى:

اختلفوا في ذلك، قال بعضهم: الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، وعكس البعض. إلّا أنّ المختار عند المحققين الفقير الصابر أفضل، سيّما وقد قال رسول الله ﷺ: «يدخل صعاليك المهاجرين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»[1].

واعلم أنّ الكلام في هذا المقام طويل لا يمكن حصره في هذا النزر الحقير، فليطلب في مواضع أخر. وإنما جعل غرضنا في هذا الكتاب التجافي عن دار الغرور، وذلك في جانب الفقر أولى. قال الشاعر:

لست بنظار إلى جانب الغنى
إذا كانت العلياء في جانب الفقر

وأيضًا من راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم، وما ورد من آثارهم وأخبارهم، لم يشك في أنّ فقد المال أفضل من وجوده وإنْ صرف إلى الخيرات، والله المستعان وعليه التكلان.

علم ربع الدائرة(*)

والكلام فيها كالكلام في الإسطرلاب، لكن طرق صنعتها وعملها غير طرق الاسطرلاب كما لا يخفى على أولي الألباب، وكذا الحال في سائر الآلات، مثل العصا والزرقاله والشكازية وأمثالها.

علم الرجاء والخوف(**)

وفيه مطالب:

المطلب الأول: في حقيقة الرجاء:

واعلم أنّ كل ما يلاقيك من مكروه أو محبوب إما موجود في الحال أو في الماضي أو في الاستقبال، فإذا خطر ببالك الأول سُمّي

---

(١) اتحاف الزبيدي، كتاب ذم البخل وحب المال، باب بيان ذم الغنى ومدح الفقر، ٨/ ٢٢٢.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة من فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) هذا هو الأصل الثالث من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

ذكرًا، وإذا خطر الثاني يُسمّى وجدًا أو ذوقًا أو إدراكًا، وإنّما سُمّي وجدًا لوجودها في نفسه. وإذا خطر الثالث وغلب على قلبك يُسمّى انتظارًا أو توقعًا. ثم إنْ كان المنتظَر مكروهًا حصل منه ألم يُسمّى خوفًا وإشفاقًا، وإنْ كان محبوبًا حصل منه شوق يُسمّى رجاءً إنْ كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه، وغرورًا إنْ كان مع انخرام أسبابه واضطرابها، وإنْ لم يعلم وجود أسبابها[1] وانتفائها يُسمّى تمنيًا. فاسم الرجاء والخوف لا يطلق إلّا على ما يتردد فيه، إذْ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها، بل أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه.

اذا عرفت هذا، فاعلم أنّ انتظار المغفرة إنمّا سُمِّي رجاء إذا تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، من بثّ بذر الإيمان وسقيه بماء الطاعات، وتطهير القلب من شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى الثبات عليه إلى الموت، وحسن الخاتمة عند الموت إنْ كان انتظاره رجاءً حقيقيًا محمودًا في نفسه، وإنْ خالف ما ذكر من الشرائط ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور.

المطلب الثاني: في فضيلة الرجاء.

قال الله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[2]. وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: أنا عند ظنّ عبدي بي فليظن ما شاء»[3]، وقال: «لا يموتن أحدكم إلّا وهو يحسن الظنّ بالله»[4]، وغير ذلك من الآيات والأخبار والآثار.

واعلم أنّ الرجل إمّا أنْ يغلب عليه اليأس فترك العبادة، أو غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر نفسه، فهما مائلان إلى طرفي الإفراط والتفريط، فيحتاجان إلى دواء. وأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة فأدوية الرجاء في حقه سموم مهلكة، بل لا يبرئه من مرضه إلّا أدوية الخوف. فمن كان واعظًا ينبغي أن يراعي الأمراض المذكورة، ويدبّر علاجها بحسب الأمراض، وألّا يؤدّي إلى الإهلاك. وعليه أنْ يقتدي كتاب الله وسُنّة رسوله حيث اشتملا على الرجاء والخوف جميعًا.

وبالجملة الجمع بينهما هو الوسط وهو الجادة، فمن مال عنها يرد إلى الجادة لا إلى الطرف الآخر.

ثم إنّ طريق العلاج إمّا استقراء الآيات والأخبار، وذلك معلوم عند المسلمين، كما قال ﷺ: «إنّ الله كتب على نفسه قبل أنْ يخلق الخلق، أنّ رحمتي تغلب غضبي»[5]. وفي الحديث: «لو لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقًا يذنبون فيغفر لهم». وفي الخبر: «ليغفرنّ الله يوم القيامة مغفرة ما خطر قطّ على قلب أحدٍ حتى أنّ إبليس ليتطاول لها رجاء أنْ تصيبه»[6]، ونحو ذلك من الأخبار والآثار.

وأما اعتبار العقل، وذلك أنّ من أعد للإنسان كل ما هو ضروري له في دوام وجوده كآلات الغذاء، وما هو محتاج إليه كالأظفار والأصابع، وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين ونحو ذلك مما لا ينثلم بفقده غرض مقصود، وإنما يفوت به مزيد جمال، فما ظنك بإعداد ما هو أهم الأمور عنده وغاية الغايات

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) الزمر/ ٥٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، ح ٣٤، ٩/ ٢١٦.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنة. . ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى، ح ٨٢، ٤/ ٢٢٠٦.
(٥) اتحاف الزبيدي، كتاب الرجاء والخوف، باب استقراء الآيات، ٩/ ١٨٠، بلفظ «على نفسه الرحمة»
(٦) السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ١٣٠، بلفظ: «. . . مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه».

وأصل كل السعادات، أعني سعادة الآخرة. فالعناية الإلهية إذا لم ترض لعباده بفوات أمثال هذه فكيف ترضى بسياقتهم إلى الهلاك المؤبّد.

وإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليها الخير والسلامة، فسُنَّة الله لا تجد لها تبديلًا، فالغالب أنّ أمر الآخرة هكذا، يكون لأنّ مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم.

وأيضًا من نظر في حكمة الشريعة ووجه الرحمة بها على العباد حتى أنزل آية طويلة لبيان المداينة ليهتدي بها إلى حفظ دينه، فمن هداهم طريق حفظ دينهم فكيف لا يحفظ لهم طريق دينهم الذي لا عوض لهم منه.

المطلب الثالث: في الخوف:

وقد عرفت حقيقته وهي تألم القلب بسبب توقع مكروه في الاستقبال، فالخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد، وتارة يكون بهما جميعًا. فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه. وكذلك قال ﷺ: «أنا أخوفكم لله»[١]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٢]. ثم إذا كملت المعرفة أورثت حال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثره على البدن والجوارح والصفات.

أما في البدن فالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء. وقد تنفتق به المرارة فيفضي إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل، أو يقوى فيورث القنوط واليأس.

وأما في الجوارح فيكفّها عن المعاصي ويقيّدها بالطاعات.

وأما في الصفات فيقمع الشهوات ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذلّ والخشوع، ويفارقه الكبر والحسد والحقد، بل يصير مستوعب الهمّ بخوفه والنظر في خطر عاقبته، ولا يكون له شغل إلّا المراقبة والمحاسبة والضنة بالأنفاس والخطوات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، وهذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين.

وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أنْ يمنع من المحظورات ويُسمَّى ورعًا، فإنْ زادت قوته حتى كفّ عما لا يتيقن حرمته يُسمّى تقوى؛ وهو أنْ يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يزاد عليه فيترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس فهو الصدق في التقوى. فإذا انضم إليه التجرد في الخدمة بأنْ لا يصرف إلى غير الله من المأكل والملبس نَفَسًا من أنفاسه، بأنْ لا يلتفت إلى غير الله أصلًا، فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يُسمّى صديقًا. والصديق يتضمن التقوى والورع والعفة.

ثم إنّ الخوف ليس كلما كان أقوى كان أحمد قدر ما يسوق العبد إلى العلم والعمل. وأما ما خرج إلى حد اليأس فيسمَّى القنوط لا الخوف، وقد يخرج إلى المرض والضعف والوَلَه والدهشة وزوال العقل بل الموت، وكل ذلك مذموم.

وأيضًا الخوف القاصر الذي يعقبه الغفلة قليل الجدوى ضعيف النفع، كمن يسمع آية ويخاف منها ويرقّ رقة النساء، ثم يعود الى الغفلة، ومثل ذلك يسمّى حديث النفس دون الخوف. فإنْ قلت: من مات من الخوف يكون شهيدًا، فكيف يذمّ؟ قلت: محمودية الشهادة بالإضافة إلى أنْ لو مات بلا شهادة، وأما بالإضافة إلى ما لو عمّر

---

(١) اتحاف الزبيدي، كتاب الرجاء والخوف، باب بيان حقيقة الخوف، ١٩٨/٩.
(٢) فاطر/ ٢٨.

ووصل بواسطة الخوف المحمود درجات الولاية فكلّا، بل له في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء.

ثم الخوف إمّا من المكروه لذاته كنفس النار، أو لغيره كالموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة وزوال الرقة من القلب، أو خوف أنْ يكله الله إلى حسناته، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم، أو خوف الخاتمة؛ وإنْ كان حال العارفين خوف السابقة لأنّ الخاتمة تبع لها. وهذه كلها مخاوف العارفين، ولكل واحد منها طريق الحذر.

وأيضًا الخوف إمّا من المعصية وهذا خوف الصالحين، أو من الله تعالى وهذا خوف الموحدين والصديقين، لأنّ هذا الخوف لا يزول عند الطاعة أيضًا، لأنّ من عرف أنّ الطاعة والمعصية كلاهما بقضاء الله وقدره، وأنّه تعالى خلق هؤلآء للجنة ولا يبالي وخلق هؤلآء للنار ولا يبالي، وهو الذي خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة للمطيع وللعاصي، ولم يعرف ما الذي أوجب تخصيص هذا بارادة الطاعات وتخصيص ذاك بتسليط دواعي المعصية عليه، ولم يعرف كيفية إحالة ذلك على العبد. فإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما شاء ويحكم ما يريد جزم على كل حال. ووراء هذا المعنى سرّ القدر الذي لا يجوز إفشاؤه. ثم إنّ الخوائف[1] من نفس المكروه من أحوال الموت والقبر وأهوال المطلع والحشر والوقوف بين يدي الله، والخوف من السؤال والصراط والميزان، والخوف من الحرمان عن الجنان ونحو ذلك، وهذا خوف العابدين والزاهدين.

وأعلى ما ذكر من المخاوف هو خوف الفِراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين.

المطلب الرابع:

إعلم أنّ فضيلة الخوف ثابتة بالنقل والعقل. أما النقل فمن حيث إنّه تعالى جمع للخائفين مجامع مقامات أهل الجنان الهدى والرحمة والعلم والرضوان. قال عز وجل: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3] فوصفهم بالعلم لخشيتهم. وقال عز وجل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[4]. ورُوي أيضًا عن النبي ﷺ برواية الفضيل، وقيل هو موقوف على الفضيل: «من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خاف من كل شيء»[5]. وأما العقل فلأنّ فضيلة الشيء بقدر إعانته في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله عز وجل، ولا شيء أنفع في الوصول إلى هذه السعادة إلّا بمحبته تعالى والأنس به في الدنيا. ولا تحصل المحبة إلّا بالمعرفة، ولا تحصل هي إلّا بدوام الفكر.

وأيضًا حصول الأنس بالمحبة ودوام الذكر، ولا يمكن المواظبة على الذكر والفكر إلّا بانقلاع حبّ الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلّا بترك لذات الدنيا وشهواتها، ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات، ولا تنقمع الشهوات بشيء كما تنقمع بنار الخوف. فإذًا هو أصل لأسباب السعادة. وأيضًا كل ما ورد في مذمة الأمن فهو فضيلة الخوف.

واعلم أنّ الناس اختلفوا في أنّ الأفضل غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو مساواتهما؟ والجواب الحق فيه أنّ الخوف والرجاء دواء، وفضل الدواء

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) الأعراف/ ١٥٤.

(٣) فاطر/ ٢٨.

(٤) البيّنة/ ٨.

(٥) اتحاف الزبيدي، كتاب الرجاء والخوف، باب بيان فضيلة الخوف...، ٩/ ٢١١.

بحسب الداء الموجود. فإنْ كان الغالب داء الأمن فالخوف أفضل في حقه، وإنْ كان الغالب هو اليأس فالرجاء أفضل. وكذلك إنْ كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل. وأما العبد التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه خفيه وجليه، فالأصلح له أن يعتدل خوفه ورجاؤه. ويمكن أن يقال: الخوف أفضل مطلقًا لكن بتأويل أنّ مرض المعصية والاغترار في...[1] غلب في الناس، وأما إنْ نظر إلى أنّ مطلع الخوف بحر الغضب، ومطلع الرجاء بحر الرحمة، يقال: الرجاء أفضل لأنّ من نظر إلى صفات الرحمة واللطف يعقبه المحبة التي هي منتهى المقامات، ولا كذلك النظر إلى صفات القهر والغضب. ولكن لا تتوهم من ذلك أنّ الأفضل غلبة الرجاء للعبد إذْ لا يلزم من فضل الرجاء في نفسه فضيلته للعباد المبتلين بالأمراض، بل اللائق بهم الخوف لئلا يقعوا في الغرور فيهلكوا، إذْ الرجاء للعصاة غرور. وأمّا الصالحون وإنْ كان ظاهر حالهم الرجاء. لكن دقائق الصفات الذميمة الدفينة في القلب وجهالة حال العاقبة يعارض ظاهر أحوالهم، فيتساوى لهم الخوف والرجاء. فالخوف غالب للعصاة، والخوف والرجاء متساويان للصالحين، ولا يمكن غلبة الرجاء بحال أصلًا إلّا عند الموت، إذْ لا حاجة له إلى سوط يبعثه على العمل لانقطاع احتمال العمل عنه. وأيضًا لا يطيق أسباب الخوف فإنّ ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته. فإذًا يضره دواء الخوف، بل الدواء له الرجاء، فإنّه يقوي قلبه ويحبب إليه ربَّه، ومن أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، لأنّ غاية السعادة أنْ يموت العبد وهو محبّ لله تعالى.

المطلب الخامس: في دواء يستجلب الخوف:

واعلم أنّ أول مقامات الدين اليقين، وهذا يهيج خوف النار ورجاء الجنة، وهما يقويان على الصبر. فإنّ الجنة حُفَّت بالمكاره، فلا يصبر على تحملها إلّا بقوة الرجاء، والنار حُفَّت بالشهوات، فلا يصبر على قمعها إلّا بقوة الخوف. ثم يؤدي الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرّد لذكر الله والفكر فيه على الدوام، ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس، ودوام الفكر إلى كمال المعرفة. ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة، ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات.

ثم إنّ الخوف يحصل بطريقين: أضعفهما الخوف من النار ورجاء الجنة بالإيمان التقليدي، ولا يدري وجه الخوف والرجاء. وأعلاهما أنْ يخاف البعد والحجاب عن الله عز وجل ويرجو القرب منه، وهذا الخوف هو خوف العلماء وأرباب القلوب.

وقد تقدّم كيفية الخوف من الله تعالى بأنّ الله سبحانه خلق للعذاب أسبابًا وللثواب أسبابًا، وخلق لكلٍ أهلًا يسوقهم القدر المتفرع عن القضاء الجزم الإلهي إلى ما خُلقوا له وسُخّروا لأسبابها، شاؤا أم أبوا، فهذه مخاوف العارفين بسرّ القدر. وكان خوف نبينا ﷺ أكثر من غيره وهو سيد الأولين والآخرين.

وأيضًا حكايات الصحابة في باب الخوف مذكورة في كتب المناقب، حتى أنّ بعضًا منهم صاح صيحة ومرض مدة، وبعضًا منهم شهق شهقة حتى مات.

ثم إنّ أكثر خوف العارفين من سوء الخاتمة، وأنّ سببه أمور مقدمة: منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق، ومتى يخلو العبد عن جملة ذلك وإن ظنّ أنه قد خلا عن ذلك فهو نفاق، إذْ قيل: من أمن النفاق فهو منافق.

أما سوء الخاتمة فلها رتبتان:

---

(١) بياض في الأصل، وكذا في النسخة المصرية.

أحدهما: وهي الأصل، وهو أعظمهما: أنْ يغلب على القلب عند سكرات الموت إمّا الشّك وإمّا الجحود، فتقبض الروح في تلك الحال، فيكون حجابًا بينه وبين الله أبدًا، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

وثانيهما: أن يغلب عند الموت حبّ أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها، ويستغرق قلبه ولا يبقى متسع لغيره، فيتفق قبض روحه في تلك الحالة، فيكون قلبه به منكسًا رأسه إلى الدنيا وصارفًا وجهه إليها، فيحصل له الحجاب، فينزل عليه العذاب، إذْ لا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه، إذْ لا تصرّف في القلوب إلّا بأعمال الجوارح، وقد بطلت الجوارح بالموت، فلا مطمع في عمل ولا في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة.

إلّا أنّ أصل الإيمان وحبّ الله إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنّه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت. فإنْ كان إيمانه قويًا يخرجه من النار في زمان أقرب، وإنْ كان أقل من ذلك طال مكثه، وإنْ كان مثقال حبة فلا بد أن يخرجه ولو بعد آلاف سنين.

ثم إنّ هذا العذاب لا يؤخّر إلى الحشر بل يعذب في القبر بما هو مذكور في الأخبار، ثم في الحشر وعند السؤال وعند الصراط إلى غير ذلك. وأما محل الايمان فهو الروح، لا يفنى فيعاد إليه الأجزاء الأصلية للبدن، ثم يحشر ويعذب إلى أن يغلب حكم الإيمان.

ثم إنّهم حصروا أسباب سوء الخاتمة في نوعين:

أحدهما: الختم على الشك والجحود وإنْ كانت أعماله صالحة، وذلك نوعان: أحدهما إمّا بأن يعتقد بدعة إمّا بعقله القاصر، وإما بتقليد مبتدع. فإذا وقع سكرات الموت بدا له بطلان اعتقاده؛ وربما ظنّ أنّ جميع عقائده باطلة أو مشكوك فيها. فإنْ ختم قبل أنّ يتثبت ويعود إلى أصل الإيمان ختم بالسوء والعياذ بالله. ولهذا منع السلف من البحث والنظر في علم الكلام. والبله بمعزل عن هذا الخطر، ولهذا قيل: إنّ أكثر أهل الجنة البله، لأنّ البحث عن الصفات عظيم وعقباتها كؤدة ومسالكها وعرة، والعقول عن درك جلال الله متحيرة. وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة سيّما في هذا الزمان، قد استرخى العنان وفشا الهذيان، واكتفى كل أحد بظنّ وحسبان، ويعتقد أنّ ذلك علم واستيقان، وأنّه صفو الإيمان، ويظنّ أنّ ما قنع به من حدس وتخمين هو علم اليقين ولتعلمنّ نبأه بعد حين. وينبغي أنْ ينشد في هؤلآء عند كشف الغطاء قول الشاعر:

أحسنت ظنك بالأيام إذْ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي واغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وثانيهما: ضعف الايمان في الأصل، ثم استيلاء حبّ الدنيا على القلب إذْ يورث ذلك الانهماك في الشهوات حتى يظلم القلب ويسودّ ويقسو، ولا يزال يطفيء نور الإيمان حتى يصير طبعًا ورينا. فإذا جاء الموت واستشعر فراق الدنيا وهي المحبوب الأغلب على القلب فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا، ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ما قدر عليه من الموت وكراهته من حيث إنّه من الله، فيخشى أنْ يثور من باطنه بغض الله بدل الحبّ، فإنْ اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة فقد ختم له بالسوء، وهلك هلاكًا مؤبدًا. فالسبب في ذلك حبّ الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، وهو الداء العضال الذي عمَّ أصناف الخلق من الجهال.

النوع الثاني: من أنواع سوء الخاتمة التي هي دون الأول وليست مقتضية للخلود في النار،

فلها أيضًا سببان: أحدهما: كثرة المعاصي وإنْ قوي الإيمان، والآخر: ضعف الإيمان وإنْ قلت المعاصي. وذلك لأنّ القلب إلى مألوفه أميل، فإنْ كان مألوفه المعاصي يتقيّد بذلك ويصير محجوبًا عن الله تعالى، وهذا الميل يتفاوت بقلة المعاصي وكثرتها وبتواتر المعاصي ساعة فساعة وبفصلها بزمان كثير.

وقد ظهر لك بهذا أنّ الأمن من سوء الخاتمة بأنّ يرى الأشياء كما هي عليه من غير جهل، ويزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية، ومع ذلك فأعمال العمر كلها ضائعة إنْ لم تسلم في النَّفَس الأخير الذي عليه خروج الروح، فإنّ سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جدًا، فاشتغل بالاستعداد لذلك، وواظب على ذكر الله، وأخرج من قلبك حب الدنيا، واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك، واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك. وإياك أنْ تسوِّف وتقول: سأستعد له إذا جاءت الخاتمة فإنّ كل نفس خاتمتك يمكن أن تختطف فيه روحك، فراقب قلبك في كل تطريفة، وإذا نمت فإياك أنْ تنام إلّا على طهارة الظاهر والباطن، وأنْ يغلبك النوم إلّا بعد غلبة ذكر الله على قلبك. لست أقول على لسانك، فإنّ حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر.

واعلم أنّه لا يغلب على قلبك عند النوم إلّا ما كان غالبًا قبله، ولا يغلب في النوم إلّا ما كان غالبًا عنده، فالموت والبعث شبه النوم واليقظة، ولا يموت المرء إلّا على ما عاش عليه، ولا يحشر إلّا على ما مات عليه. فإياك أنْ تغفل عن الله طرفة عين. وأنت إذا لم تغفل عنه ساعة ففي خطر عظيم، فكيف إذا غفلت عنه يومًا أو أيامًا! ولا يمكن ذلك إلّا بأنّ تكتفي من الدنيا بقدر الضرورة، وتترك الفضول من المآكل والملابس والمساكن. نسأل الله أنْ يتوب علينا، ويختم لنا بالخير، ويقينا سوء الخاتمة، إنّه كريم رحيم.

علم رسم كتابة القرآن في المصاحف(*)

وهذا وإن كان من فروع علم الخط، لكن البحث هناك لا بخصوصية القرآن، وها هنا يختص البحث بالقرآن، فلذلك جعلناه من فروعه. وموضوعه رسم خط المصحف من الحذف والزيادة والهمز والبدل والفصل والوصل وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما. وغايته حفظ المصاحف الكريمة من مخالفة المصحف الإمام. قال أشهب[1]: سُئل مالك: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، الّا على الكتْبة الأولى. قال الإمام أحمد: يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك. قال البيهقي في شعب الإيمان[2]: من كتب مصحفًا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه، ولا يغيِّر مما كتبوه شيئًا، فإنّهم كانوا أكثر علمًا وأصدق قلبًا ولسانًا وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم. وصنف في هذا الفن أبو عمرو الداني المقنع[3]، وأبو العباس المراكشي[4]

(*) يتبع هذا العلم المطلب الأول في فروع علم القراءة، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) أشهب: هو أشهب بن عبدالعزيز بن داود القيسي، أبو عمرو المصري. توفي عام ٢٠٤هـ، قيل اسمه مسكين.. فقيه، محدث ثقة، يعد من الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ١١٣.

(٢) للبيهقي الحافظ احمد بن الحسين الشافعي (-٤٥٨هـ). المسمى بجامع المصنف. كشف الظنون ٢/١٠٤٧.

(٣) المقنع في رسم المصحف لابي عمرو عثمان بن سعيد الداني (-٤٤٤هـ). كشف الظنون ٢/١٨٠٩.

(٤) أبو العباس المراكشي: هو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العددي، أبو العباس، ابن البناء المراكشي. ولد عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. وتوفي عام ٧٢١هـ/١٣٢١م. رياضي، باحث، فلكي. له تصانيف عديدة. انظر عنه: الاعلام ١/٢٢٢، جذوة=

عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل[(١)]، والقصيدة الرائية الموسومة بالعقلية[(٢)] للشيخ الشاطبي[(٣)].

فائدة:

روي عن كعب الأحبار[(٤)] أنه قال: أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاث مائة سنة، كتبها في الطين ثم طبخه. فلما أصاب الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه، فكان إسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام أصاب كتاب العرب. وعن ابن عباس: أول كتاب انزله الله تعالى من السماء أبو جاد. وقيل: إنّ هذه الحروف داخلة تحت قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾[(٥)]. قال ابن فارس[(٦)]: ولذلك نقول: إنّه توقيفي. قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «تعلموا أبا جاد. فقيل: ما أبا جاد؟ قال: (الألف) آلاء الله، و(الباء) بهاء الله، و(الجيم) جلال الله، و(الدال) دينه، و(الهاء) الهاوية، و(الواو) الويل لمن هوى، و(الزاي) زاوية فيها، و(الحاء) حط الخطايا عن المستغفرين بالأسحار، و(الطاء) طوبى لهم، و(الياء) يد الله على خلقه، و(الكاف) كلام الله لا تبديل له، و(اللام) تلازم أهل الجنة بالتحية، و(الميم) ملك الله، و(النون)، والقلم لوح من نور يكتب ما هو كائن»[(٧)] وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: حروف (أبجد) ما منها حرف إلّا وهو مكتوب في صفحات العرش بالنور، وما منها كلمة إلّا في آجال قوم وأعمال قوم ومدة قوم. وعنه: (أبو جاد) أبى آدم الطاعة، و(جد) في أكل الشجرة، (هواز) ذل فهوى من السماء إلى الأرض، (حطي) حطت عنه خطاياه، (كلمن) أكل من الشجرة ومُنَّ عليه بالتوبة، (سعفص) عصى فأخرج من النعيم إلى النكد، (قرشات) أقر بالذنب فأمن العقوبة، وهذا من علم الحروف.

قلت: لا يخفى عليك أنّ هذه الكلمات من قبيل الإشارات دون الدلالات، فلا ينافيه ما قيل: إنّ أول من وضع الكتابة العربية قوم من الأوائل نزلوا في عدنان بن أدد، واستعربوا ووضعوا هذه الكلمات على عددهم وهم، ملوك

=الاقتباس ٧٣، نيل الابتهاج ٤١، الدرر الكامنة ١/ ٢٧٨، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ١٠٢، هدية العارفين ١/ ١٠٤، كشف الظنون ٢/ ١١٧٤.

(١) لابي العباس المراكشي، احمد بن محمد بن عثمان الازدي، المعروف بابن البنا (-٧٢١هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٧٤.

(٢) القصيدة الرائية في رسم المصحف المسماة بعقلية اتراب القصائد في اسنى المقاصد. وهي نظم المقنع للداني منظومة رائية في رسم المصحف للشيخ ابي محمد قاسم بن فيره الشاطبي (-٥٩٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٣٩ و١١٥٩.

(٣) الشيخ الشاطبي: هو القاسم بن فيرة بن احمد الرعيني، ابو محمد الشاطبي. ولد عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م. وتوفي عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م. إمام القراء بالاندلس، ضرير، له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٥/ ١٨٠، وفيات الأعيان ١/ ٤٢٢، نكت الهميان ٢٢٨، نفح الطيب ١/ ٣٣٩، شذرات الذهب ٤/ ٣٠١، غاية النهاية ٢/ ٢٠، هدية العارفين ١/ ٨٢٨.

(٤) كعب الأحبار: هو كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر. كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي عليه السلام. توفي عام ٣٩هـ. عالم، نبيل، له رواية حسنة واخباره مستفيضة. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩، طبقات ابن سعد ٧/ ٤٥، المحبر ١٣١، جمهرة انساب العرب ٤٣٤، اسد الغابة ٤/ ٤٨٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩، العبر ١/ ٣٥، النجوم الزاهرة ١/ ٩٠، شذرات الذهب ١/ ٤٠.

(٥) البقرة/ ٣١.

(٦) ابن فارس: هو جعفر بن احمد بن فارس، ابو الفضل. توفي عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م. محدث له عدة مصنفات: انظر عنه: معجم المؤلفين ٣/ ١٣٣.

(٧) الكناني، تنزيه الشريعة، كتاب المبتدأ، الفصل الثالث، ١/ ٢٢٦، بمعناه دون تمام ألفاظه.

مَدْين[1]، و(كلمن) رئيسهم هلك يوم الظلة، فرثته أخته بقولها:

كــلــمــن تــيَّــم قــلــبــي
هــلــكــه وســط الــمــحــلــة
ســيِّــد الــقــوم أتــاه
الــحــتــف نــار وســط ظــلــة
جــعــلــت نــار عــلــيــهــم
دارهــم كــالــمــضــمــحــلــة

وأنشد:

ألا يـا شُـعـيـب قـد نـطـقـت مـقـالـة
سـبـقـت بـهـا عـمـرًا وحـي بـنـي عـمـرو
مـلـوك بـنـي حـطـى وهـواز عـنـهـم
وسـعـفـص أهـل لـلـمـكـارم والـفـخـر

وقال حفص بن عتاب: أسماء ملوك الجن الذين سكنوا الأرض قبل آدم فألقيت إلى العرب. وقال الشعبي: أسماء ملوك الجبابرة، فقال: قرشت ملك، فمسخه الله ازدهاقًا دابةً لها سبعة رؤوس. قال قطرب[2]: الأصل: أبو جاد - هواز - حطي - كلمن - سعفص - قرشات -. قيل الثلاثة الأول عربية والأخر أعجمية لا تنصرف.

علم الرقص[*]

وهو علم باحث عن كيفية صدور الحركات الموزونة عن الشخص بحيث يوجب الطرب والسرور لمن يشاهدها. وهذا من العلوم التي يرغب فيها أصحاب الترفه والأغنياء والأمراء، وما يجري مجرى هؤلآء من أصحاب الملاهي، ويعلمونها الغلمان الحسان والجواري الفائقات ليلتذ السمع والبصر معًا بمشاهدة حسنهم وحسنهن، واستماع نغماتهن وغنجهن، حتى تكمل اللذة والحبور والفرحة والسرور. وأهل الهند ماهرون في أنواع الرقص ولهم فيها يد طولى. إلّا أنّ هذا العلم محرَّم في شريعتنا. وقد قيل: التلذذ بالغناء وضرب الملاهي كفر.

علم الرقى[**]

وهو علم باحث عن مباشرة أفعال مخصوصة، تترتب عليها بالخاصية آثار مخصوصة، كعقود الخيط والشعر وأمثالهما. والرقية كثيرًا ما تقع في الأمراض كوجع العين ووجع السِّن، وكذا في إصابة العين وأمثالها. والرقية بالفارسية (افسون أي آب سون) لأنهم يقرؤنه في الأكثر على الماء فيشربه المصاب أو يصب عليه. وإنّما سميت رقية لأنها كلمات رقيت من صدر الراقي، بعضها فهلوية وبعضها قبطية وبعضها كالهذيانات. زعموا أنها كشفت من الجن أو سمعت في المنام، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾[3]. والشرع أذن للرقية حيث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى ابنة في وجهها صفرة: «استرقوا فإنّ بها النظرة»[4].

---

(١) تقدّم التعريف بها.

(٢) قطرب: هو محمد بن المستنير بن احمد البصري المعروف بقطرب، أبو علي. توفي عام ٢٠٦هـ/ ٨٢١م. لغوي، نحوي، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/ ١٥، تاريخ بغداد ٣/ ٢٩٨، وفيات الأعيان ١/ ٦٢٥، لسان الميزان ٥/ ٣٧٨، نزهة الالباء ١١٩، مرآة الجنان ٥/ ٣١.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة العاشرة في فروع علم الموسيقى، من شعب الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) الفلق/ ٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب رقية العين، ح ٥٤، ٧/ ٢٤٢، بلفظ «استرقوا لها».

علم الرمل(*)

وهو الاستدلال بأشكاله الإثني عشر على أحوال المسئلة حين السؤال. وأكثر مسائله أمور تخمينية مبنية على تجارب غير كافية، وذلك لأنهم يقولون إنّ البروج الإثني عشر يقتضي كل منها حرفًا معينًا وشكلًا معينًا من الأشكال المذكورة، فحين السؤال عن المطلوب يقتضي أوضاع البروج وقوع الشكل المعيّن من الرمال، فتلك الأشكال بسبب مدلولاتها من البروج تدل على أحكام مخصوصة تناسب أوضاع البروج ألّا أنها أمور تقريبية لا يقينية، وإلى هذا يشير قول نبينا عليه الصلوة والسلام: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك»[1]، والمراد بذلك النبي إدريس عليه السلام. وهذا العلم كان معجزة له، والمفهوم من ظاهر الحديث إمكان الإطلاع بالرمل على بعض الأمور لكنه ليس كذلك، إذ المعجزة لو أمكنت للبشر لم يبق فرق بين المعجزة والصنعة، ولم يتميز النبي عن غيره. نعم يمكن للولي ظهور خوارق العادات، لكن الكلام ها هنا في غير الولي بطريق الصنعة، بل المراد في الحديث بقوله: فمن وافق خطه هو التعليق بالمحال، يعني فمن وافق خطه فذاك هو خط ذلك النبي، لكنه لا يوافق لأنه معجزة لذلك النبي عليه السلام. ومن التصانيف فيه: كتاب تجارب العرب[2] ومثلثات ابن محفوف[3]، وكتاب الزناتي[4] أصح طرق هذا الفن. وكتب هذا الفن أكثر من أن تحصى، يعرفها أهلها.

علم رموز أقوال النبي وإشاراته صلى الله عليه وآله وسلم(**)

وهذا علم ظاهر الموضوع وباهر النفع، ولا يخفى غايته وغرضه. وفي هذا العلم تصنيف لطيف لكن لم أتذكّر اسمه الآن.

علم الرمي(***)

مثل رمي القوس والبنادق، وهو علم يتعرّف منه رمي الأمور المذكورة بالمزاولة ليكون عملها على وجه الإصابة. ومنفعتها عظيمة في كل الأمور.

علم رواية الحديث(****)

وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلوة والسلام من حيث أحوال رواته ضبطًا وعدالةً، ومن حيث كيفية السَّند اتصالًا وانقطاعًا، وغير ذلك من

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثالث في فروع أحكام النجوم، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ح ٣٣، ١/ ٣٨٢.

(٢) تجارب العرب في الرمل، مجهول المؤلف.
كشف الظنون ١/ ٣٤٤.

(٣) المثلث في علم الرمل لابن محفوف عبدالله ابن ابي المعالي المحفوف المنجم. كشف الظنون ٢/ ١٥٨٦. وله كتاب آخر هو: رمل المقوم. كشف الظنون ١/ ٩١٣.

(٤) كتاب الرمل للزناتي.
كشف الظنون ٢/ ١٤٢٠.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، في الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع الهندسة، ضمن شعب الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية من العلوم الشرعية، ضمن شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الأحوال التي يعرفها نقاد الأحاديث. وموضوعه ألفاظ الرسول عليه الصلوٰة والسلام من حيث صحة صدورها عنه صلى الله عليه وآله وسلم وضعفه، إلى غير ذلك. وفي هذا الفن منفعة بيِّنة، وغاية عظيمة، بل هو أحد أركان الدين. والكتب المصنفة في هذا الفن أكثر من أن تحصى.

منها: كتاب الشيخ الإمام، الحافظ، المتقن، المحقق، أبي عمرو، عثمان بن عبدالرحمن، المعروف بابن الصلاح، رضي الله عنه، الملقّب تقي الدين، الفقيه الشافعي. كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث وأسماء الرجال والفقه ونقل اللغة، وكانت له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاواه مسدّدة. قرأ الفقه أولًا على والده الصلاح، ثم نقله والده إلى الموصل، واشتغل بها مدة، ثم سافر إلى خراسان وحصل علم الحديث هناك، ثم رجع إلى الشام وتولّى التدريس بالمدرسة الناصرية بالقدس، واشتغل الناس عليه، وانتفعوا به، ثم تولى تدريس الملك الأشرف بدمشق، وتدريس المدرسة الرواحية، وتدريس مدرسة ستّ الشام، فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث من غير إخلال بشيء منها إلّا لعذر ضروري، وكان من العلم والدين على قدم حسن. وصنف في علوم الحديث كتابًا نافعًا، ولم يزل أمره جاريًا على صلاح وسداد إلى أن توفي في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وست مائة بدمشق، وكانت ولادته سنة سبع وسبعين وخمس مائة بشرخان، وهي قرية من أعمال إربل قريبة من شهرزور.

وصنف أيضًا في علوم الحديث الإمام النووي كتاب الإرشاد، ثم لخصه تلخيصًا حسنًا، وهو أبو زكريا، محي الدين يحيى بن شرف النواوي الشافعي، إمام أهل زمانه. كان عالمًا فاضلًا متورعًا فقيهًا محدثًا ثبتًا حجة. له مصنفات كثيرة مشهورة، وتأليفات عجيبة مفيدة، في الفقه. مثل: الروضة، وفي الحديث مثل: الرياض والأذكار، وفي شرحه مثل: شرح مسلم، وغير ذلك من معرفة الحديث واللغة. سمع من المشايخ الكبار، وسمع منه خلق كثير، وأجاز رواية شرح مسلم لجميع المسلمين. وكان من أهل نوى، قرية من أعمال دمشق، ونشأ بها وحفظ الختمة، وقدم دمشق في خمسين وست مائة، وله تسع وعشرون سنة، وتفقه وبرع، وكان خشن العيش قانعًا بالقوت، تاركًا للشهوات، صاحب عبادة وخوف. وكان قوالًا بالحق صغير العمامة كبير الشأن. وكان كثير السهر، مكبًا على العلم والعمل. مات في رجب سنة ست وسبعين وست مائة وقبره يزار بنوى. عاش خمسًا وأربعين سنة.

والتصانيف في علم الحديث أكثر من أن تحصى، لكن فيما ذكرناه كفاية، والله ولي الهداية. ومن التصانيف في هذا العلم كتاب لابن حجر وقد عرفته فيما سبق.

علم رياضة النفس وتهذيب الأخلاق(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول:

إعلم أنّ الخُلُق عبارة عن هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة ولا روية فإنْ صدر عنها الأفعال المحمودة عقلًا وشرعًا يُسمّى خُلقًا حسنًا، وإن صدر عنها الأفعال الذميمة عقلًا وشرعًا كذلك يُسمّى خُلقًا سيئًا.

وأمهات الأخلاق السيئة أربع: اختلال قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل.

(*) هذا هو الأصل الثاني من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

واعتدال هذه القوى هي الأخلاق الحسنة.

أمّا اختلال قوة العلم إمّا بإفراطها أو استعمالها في الأغراض الفاسدة ويسمّى خبا وجربزة، أو بتفريطها ويُسمّى بلها. واعتدالها هو الوسط الذي يُسمّى حكمة، وذلك بأن تصير النفس بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، وهي المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

واختلال القوة الغضبية إمّا إلى طرف الزيادة ويُسمّى تهوّرًا، أو إلى طرف الضعف ويُسمّى جبنًا وخورًا. واعتدالها بأن يقتصر انقباضها وانبساطها على حدّ ما يقتضيه الحكمة والعقل ويُسمّى شجاعة.

واختلال القوة الشهوية إمّا إلى طرف الزيادة ويُسمّى شرهًا، أو إلى طرف النقصان ويُسمّى خمودًا. واعتدالها أنْ تكون تحت إشارة الدين ويُسمّى عِفّة.

واختلال قوة العدل وهو الجور وليس له إلّا ضدّ واحد. واعتدالها ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع.

والطرفان من كل من القوى المذكورة رذيلتان، وخير الأمور أوساطها. ومن اعتدال هذه الأمور الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها. ولم يبلغ كمال الاعتدال فيها إلّا رسول الله ﷺ. وللناس بعده درجات متفارقة، فمن ازداد اعتدالًا يكون ملكًا مطاعًا بين الناس، ومن اتصف بأضدادها يكون شيطانًا ذا وسواس، نعوذ بالله منه.

المطلب الثاني: في قبول الأخلاق التغيير بطريق الرياضة.

وقد أنكر التغيير بعض من غلبت الشقوة والبطالة عليه، ولم تسمح نفسه بأنْ تجرب ذلك لقصوره ونقصه، واستدل عليه بوجهين: أحدهما: أنّ الخلق الباطن بمنزلة الخلق الظاهر، واذْ لا يتغيّر هذا فلا يتغيّر ذاك.

وثانيهما: أنّ الغضب مثلًا من مقتضى المزاج والطبع، وكذا الشهوة، فكيف يتبدلان.

فنقول: لو لم تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولم يكن لقوله ﷺ: «حسنوا أخلاقكم»[2] معنى، وإذا أمكن تغيير أخلاق البهائم فالإنسان بذلك أولى.

وكشف الغطاء فيه أنّ قمع الغضب والشهوة بالكلية غير ممكن أصلًا، وإنما الذي يمكن لنا بالرياضة تعديلهما وصرفهما الى ما خلقا لأجله. نعم الجبلات مختلفة بالسرعة والبطء في التغيير لأمرين: أحدهما قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود. وثانيهما تأكده بكثرة العمل بمقتضاه ورؤيته مرضيا. والناس فيه على أربع مراتب:

الأول: أنْ يخلو عن العلم بالقبيح والحسن وبقي على أصل فطرته، فهذا سريع القبول للعلاج، فإنْ صادف مرشدًا يحسن خلقه في أقرب زمان.

الثاني: أنْ يعرف القبيح وزُيّن له سوء عمله، ومع ذلك علم تقصيره، وهذا أصعب من الأول إذا تضاعفت فيه الوظيفة بقلع ما رسخ فيه أولًا وبغرس مواد الصلاح ثانيًا.

الثالث: أنْ يعتقد الأخلاق القبيحة حقًا وجميلًا، وتربّى على ذلك، فهذا اعتقاد تمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه إلّا على الندور، وذلك لتضاعف أسباب الضلال.

الرابع: أنْ يكون نشؤه على الرأي الفاسد

---

(١) البقرة/ ١٦٩.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب عجائب القلب، باب أمثال القلب. . .، ١/ ٣٣٢.

ومع ذلك يرى الفضل فيه ويتباهى به، وهذه أصعب المراتب، وهو المراد بما قيل من التعذيب تهذيب الذيب. فالأول جاهل، والثاني جاهل وضال، والثالث جاهل وضال وفاسق، والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ ما قيل إنّ الآدمي ما دام حيًا لا تنقطع منه الشهوة والغضب فلا مطمع في استئصالهما، فغلط طائفة ظنّوا أنّ المقصود من المجاهدة قمعهما بالكلية وليس كذلك، بل المقصود تعديلهما. وكيف يقمعان ولو انقطع عن الانسان شهوة الطعام لهلك جوعًا، أو شهوة الوقاع لانقطع النسل. ولو انعدم الغضب بالكلية لم يقدر على دفع المهلكات البدنية والدينية.

المطلب الثالث:

إنّ الاعتدالات المذكورة قد تكون فطرية بأنْ يخلق إنسان كامل الفطرة، وسلطان الشهوة والغضب فيه يصير منقادًا للعقل والشرع كالأنبياء عليهم السلام، وقد تكون بالرياضة بأنْ يؤمر بالبذل لمن في طبعه حبّ المال، وبالتواضع لمن فيه الكبر وحبّ الجاه وغير ذلك، وهذه الرياضة إلى أنْ يصير الخلق المحمود عنده سهلًا لا متكلفًا.

ولما كان بين القلب والجوارح علاقة عجيبة يظهر أثر كل منهما في الآخر، بأن يتصوّر القلب الخلق المحمود ويكلفها للبدن، ثم بمواظبة البدن على ذلك الخلق يتأدى أثره إلى القلب، إلى أن ينقلع عنه حبّ الدنيا ويترسخ فيه حبّ الله الذي هو أصل كل سعادة. لكن تأثر القلب من الأفعال إنما يكون إذا داوم البدن عليها، ولهذا قيل: أفضل الأعمال أدومها وإنْ قل.

ثم إنّ الشيخ الذي يطيب نفوس المريدين لا بدّ أنْ يكون مثل طبيب الأبدان فإنّه إن عالج الكل بعلاج واحد أهلكهم، فكذا الشيخ ينبغي أنْ ينظر في مرض المريد وحاله وسِنّه ومزاجه وما تحتمله نفسه من الرياضة، فإنْ كان المريد جاهلًا يعلّمه أولًا الطهارة والصلاة وظواهر العبادات، وإنْ كان له مال حرام يأمره بتركه، وإن رأى فيه الرعونة وعز النفس يأمره بأن يخرج إلى السوق للكدية والسؤال إذْ لا ذُلَّ فوقهما، إلى غير ذلك.

ومن لطائف الرياضة أنّ الخلق المذموم إذا قوي ينتقل إلى خلق آخر مذموم ثم يتركه تدريجًا، كمن يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم. مثلًا يرغب الصبي أولًا بالكرة والصولجان، ثم ينتقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب، ثم منها إلى الرياسة الدنيوية وطلب الجاه، ثم منها الى رياسة العلم، ثم منها إلى رياسة الآخرة، وكل هذه الوسائل مذمومة، لكن يختار للتدريج وسهولة تحصيل الكمال.

المطلب الرابع:

اعلم إنّ كل عضو له فائدة، وفائدة القلب الحلم[1] والمعرفة، وأصل المعارف معرفة الله سبحانه وتعالى لأنّه موجدها ومخترعها، وعلامة المعرفة المحبة، وعلامة المحبة أن لا يؤثر الدنيا عليها ولا غيرها من المحبوبات، وحبّ الدنيا رأس كل خطيئة. فمن كان في قلبه حبها فليعرف أنّ قلبه مريض فليشتغل بعلاجه. ثم معرفة كل مرض على الخصوص لا يمكن إلّا بأربع طرق.

الأول: أن يحكم شيخًا بصيرًا بعيوب النفس مطلعًا على خفايا الآفات، وهذا قد عزّ وجوده في هذا الزمان.

الثاني: أن يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا وينصبه رقيبًا على نفسه لينبّه على عيوبه الباطنة.

الثالث: أن يستفيد عيوب نفسه من لسان أعدائه، فإنّ عين السخط تبدي المساوي،

(١) كذا في الأصل. وفي الإحياء: العلم والحكمة والمعرفة. وفي النسخة المصرية: الحكم.

والانتفاع بعدو مشاحن ربما يكون أكثر من الانتفاع بصديق مداهن.

الرابع: أن يخالط الناس فكل ما يراه مذمومًا فيما بينهم ينسبه إلى نفسه، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن فيتركه.

قيل لعيسى عليه السلام: مَنْ أدّبك؟ قال: ما أدّبني أحد، رأيت جهل الجاهل فجانبته.

ومجمل القول في باب الرياضة أنْ يترك الانسان من أمور الدنيا ما لا يوجد في القدر(١) إلّا بقدر الضرورة لئلا تألفها النفس وتتمنى العود إلى الدنيا، ومن يتمنى ذلك لا حظّ له في الآخرة. فالقلوب في الآخرة أربعة أنواع:

الأول رجل استغرق قلبه ذكر الله فهو من الصديقين.

والثاني من استغرق حبّ الدنيا قلبه فهو من الهالكين.

الثالث اشتغل بالدنيا والدين والغالب عليه الدين فلا بدّ له من ورود النار، إلّا أنه ينجو منها سريعًا بقدر غلبة ذكر الله عليه.

والرابع اشتغل بهما جميعًا والغالب عليه الدنيا فهذا يطول مقامه في النار، لكن يخرج منها آخرًا، فإنْ أخطرت بالبال أنّ الدنيا مباح فليس فيها مباح(٢). قلت: الكلام في حبّها والفاضل على قدر الحاجة لما لم يكن خاليًا عن الحبّ، وإلّا لمّا اقتناها تمكنت فيه شهوة الحبّ أيضًا فمنعوه.

المطلب الخامس: في رياضة الصبيان:

واعلم أنّ نفوسهم ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، فإنْ عُوِّد الخير يصير سعيدًا ويثاب والداه، وإنْ عُوِّد الشر يصير شريرًا ويصير الوزر لوالديه. فعلى الأب أن يحفظه من القرناء السوء ولا يحبب إليه الزينة والرفاهية فيهلك هلاك الأبد إذا كبر، وترضعه امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، وإلّا انعجنت طينته من الخبث.

وإذا بلغ سِنَّ التمييز فإنْ رأيت فيه الحياء عن القبائح فذلك دليل قوة عقله، ويدل على حسن أخلاقه، ويقبح عنده شره الطعام، وأنْ لا يأخذ إلّا بيمينه، ويُسمّي الله عند أكله، ويأكل مما يليه، ولا يبادر على الطعام قبل غيره، ولا يحد النظر إلى الطعام وإلى من يأكل، ولا يسرع في الأكل، ويمضغ الطعام مضغًا جيدًا ولا يوالي بين اللقم، ويعود الخبز حتى يصير بحيث لا يرى الادام حتمًا، ويقبح عنده كثرة الأكل وأنّه فعل البهائم، ويذمّ عنده الصبي الكثير الأكل ويحبب عنده إيثار الطعام غيره وقلة المبالاة به، ويحبب من الثياب البيض ويذمّ من لبس الملوّن والإبريسم، ويقرر عنده أنّ ذلك شأن النساء والمخنثين، ويحفظه عن الصبيان المترفهين.

ثم يرسل إلى المكتب ويعلم القرآن والحديث وأخبار الصالحين لينغرس في قلبه حبهم، ويمنعه عن أشعار فيها عشق واهله الذين يزعمون أنّ العشق من الظُّرف ورقة القلب، فإنّ ذلك يغرس في قلوبهم بذر الفساد.

ثم إذا ظهر من الصبي خلق حسن ينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدحه بين أظهر الناس. فإذا غفل عنه في وقت لا يهتك ستره بل يتغافل، فإنْ عاد يعاتب عليه سرًا، وينفره عن العودة وإلّا يفتضح عند الناس، ولا يكثر عليه العتاب لئلّا يعتاد الملامة، ويمنع عن نوم النهار لأنه يؤديه إلى الكسل ولا يمنعه ليلًا ولا يعوّده الفرش الوطيئة حتى يتصلب أعضاؤه، ويعوّده المشي والحركة حتى لا يغلب عليه الكسل.

وينبغي أن يعوِّده أن لا يفتخر على أقرانه

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

بمال والده أو ملابسه أو لوحه ودواته، ويعوّده التواضع والإكرام والتلطف في الكلام، ويمنعه عن أنْ يأخذ شيئًا من أحد، وأنه ذُلّ ولؤم، وأنّ الكرم والرفعة في العطاء، ويقبح له حبّ الذهب والفضة فإنّ ذلك مهلك، ويعلمه أنْ لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يضع رجلًا على رجل، ولا يضرب كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده فإنّه علامة الكسل، ولا يستدبر غيره، ولا يكثر الكلام فإنّه وقاحة وأنه عادة أبناء اللئام، ويمنع اليمين ولو صدقًا حتى لا يتعوّده في الصغر، ولا يتكلم إلّا جوابًا أو بقدر السؤال، ويستمع لمن يتكلم ممن هو أكبر سنًا منه، وأنْ يقوم لمن فوقه ويوسّع له في المكان ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسّب، ويمنعه من القرناء السوء.

وينبغي أنْ لا يكثر الصراخ والاستشفاع اذا ضربه المعلم بل يصبر عليه، وأنّ الصبر من دأب الشجعان والرجال، وكثرة الصراخ من دأب المماليك والنسوان، ويترك بعد الفراغ من المكتب يلعب لعبًا جميلًا ليستريح من تعب المكتب، ولا يدعه يتعب في اللعب، ويعلمه طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه ومن هو أكبر منه سنًا، وينظر إليهم بعين التعظيم، ولا يلعب بين أيديهم، ومهما بلغ سنّ التمييز لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويأمر بالصوم في بعض الأيام في رمضان، ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويخوف من السرقة، وأكل الحرام، والكذب والخيانة والفحش.

فإذا قارب البلوغ يذكر أنّ الأطعمة أدوية في أن يتقوّى الإنسان بها إلى عبادة الله تعالى، والنعيم كله ينقطع بالموت، وأنّ الدنيا دار ممر لا دار مقرّ، وأنّ العاقل من عمل للآخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعمته.

قال سهل التستري: كنت أشاهد قيام خالي محمد بن سوار[1] في الليالي وأنا ابن ثلاث سنين، فقال لي خالي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قلت: كيف أذكره؟ فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك من غير أن تحرك به لسانك ثلاث مرات: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالٍ. فقال: قل: سبع مرات، فقلتها ليالٍ. قال: قلْ: إحدى عشر مرة، فقلتها، فوقع في قلبي حلاوة الذكر. وبعد سنة قال لي خالي: إحفظ ما علمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر فإنّه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنتين فوجدت حلاوته في سِرِّي، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل، من كان الله معه وشاهده وناظرًا إليه إيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي حتى شرطت المعلم أنْ أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع حتى حفظت القرآن وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة حتى أتيت البصرة وسألت علماءها، فلم يشق أحد عني شيئًا. فخرجت إلى أبي حبيب حمزة بن عبدالله العبداني بعبادان فأجابني عنها، فأقمت عنده مدة انتفعت بكلامه وأدبه، ثم رجعت إلى تستر فجعلت أشتري فرقًا من الشعير بدرهم واكتفيت به سنة، ثم عزمت على أنْ أطوي ثلاث ليالٍ ثم خمسًا ثم سبعًا ثم خمسًا وعشرين، ومرت على ذلك عشرون سنة، ثم خرجت أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر فكنت أقوم الليل كله.

المطلب السادس: في شرائط السلوك:

(١) محمد بن سوار: هو محمد بن سوار البصري، خال سهل بن عبدالله التستري، زاهد، صوفي، محدث مقبول. يعد من الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٨٢.

اعلم أنّ المانع من الوصول عدم السلوك، والمانع من السلوك عدم الإرادة، والمانع من الإرادة عدم الايمان، والمانع من الإيمان عدم الهداة المذكرين المنبهين على حقارة الدنيا وعظم الآخرة.

والسد بين الحق والمريد أربعة:

أولها: حجاب المال، ويرتفع ذلك بتفريقه إلّا قدر الضرورة، ومن له درهم واحد يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله تعالى.

وثانيها: حجاب الجاه، ورفعه بالبعد عن موضع الجاه وبإيثار الخمول وأعمال تنفر الخلق.

ثالثها: حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب ويدفع كل معبود سوى الله سيّما الهوى(١).

وبعد رفع هذه الحجب يتحصن بأمور أربعة:

أحدها: الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه، وفي بياضه نوره، ويذيب شحم الفؤاد وفيه رقته، ورقته مفتاح المكاشفة. ومتى نقص دم القلب ضاق مسلك العدو.

وثانيها: السهر فإنّه يجلي القلب ويصفيه وينوره، وإذا انضاف إليه صفاء الجوع يصير القلب كالكوكب الدُرِّي والمرآة المجلوة، فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات، والسهر نتيجة الجوع فإنّه مع الشبع غير ممكن. والنوم يقسي القلب ويميته إلّا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب.

وثالثها: الصمت ويسهله العزلة، ولا يتكلم إلّا بقدر الضرورة، فإنّ الكلام يشغل القلب، وشرّ الكلام للقلب عظيم، وأنّه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر.

ورابعها: الخلوة وفائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر إلّا قدر الضرورة، وإذا سد الحواس يتفجر ينابيع الغيب من حياض الملكوت وينصب إلى القلب، فلا بد في الجلوس في مكان مظلم، وإلّا فليلف رأسه في الجيب فعند ذلك يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية.

وبعد التحصن بهذه الأمور يشتغل بعده بسلوك الطريق وذلك بقطع عقبات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا. وإذا حصل قلبه مع الله وتجلى له الحق، وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز أن يوصف، بل لا يحيط الوصف به أصلًا، فعند ذلك أعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظًا ونصحًا، فليحذر منه فإنه من أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق، إلّا أنْ يكون محركه على ذلك هو الحق، فحينئذٍ ينبغي أنْ يعظم فرحه، إلّا أنّه عزيز الوجود جدًا، فينبغي أنْ يكون المريد على حذر منه.

هذا الذي ذكرناه في هذين الأصلين معالجة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق، وأما تفصيلها فيأتي في الأصول الباقية إنْ شاء الله تعالى.

علم الريافة(*)

أي استنباط المياه، وهو معرفة الماء من الأرض بواسطة الأمارات الدالة على وجود الماء، ويعرف بها أنه قريب أم بعيد إمّا بشم رائحة تراب منها أو روية نبات بها أو حيوان مخصوص بحركة مخصوصة، ولا بدّ لصاحبه من حِسّ كامل وتخيل قوي. ونفع هذا العلم بيِّن إذْ قلمّا يوجد في جميع الأراضي الأنهار الجارية المنصبة من شواهق الجبال والأماكن المرتفعة إلى بطون الأودية. وأصل هذه الصناعة معرفة خواص الأرضين وأحوال تربتها بألوانها وخواصها السهلي والجبلي والرملي والصخري. وهذا العلم من حيث معرفة وجود الماء من فروع علم

---

(١) كذا في الأصل، وترك الرابع وهو المعصية، كما في الاحياء.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الفراسة، ومن حيث حفرها وإخراجها إلى وجه الأرض من فروع الهندسة فلا تغفل.

علم الزهد والورع(*)

وهو علم كيفية الإعراض عن الدنيا والتدقيق في التحرّز عن الحرام، بحيث يترك كثيرًا من الحلال خوفًا من أنْ يقع في الشبهات. وقيل: الزهد ترك الشبهات خوفًا من الحرام، والورع ترك الحلال خوفًا من الوقوع في الشبهات.

واعلم أنّ صاحب الورع المحفوظ يرى الطعام الحرام خنزيرًا في اليقظة والشراب الحرام خمرًا فيها أيضًا لا يشك فيما يراه، ويراه جليسه قرصة خبز طيبة ويرى الشراب ماءً عذبًا. وكتب الشيخ الإمام الغزالي وافية في هذا العلم سيّما كتاب الإحياء.

ولما كان هذا العلم نتيجة علم الحديث وثمرته جعلناه من فروعه، وسنذكر هذا العلم في الطرف الثاني من الرسالة لأنّه من مقدمات العلوم الكشفية التي جعلنا الطرف الثاني لبيانها إنْ شاء الله تعالى.

علم الزيجات والتقاويم(**)

وهو علم يتعرّف منه مقادير حركات الكواكب سيّما السبعة السيّارة وتقويم حركاتها، وإخراج الطوالع وغير ذلك منتزعًا من الأصول الكلية. ومنفعته معرفة موضع كل واحد من الكواكب سيّما السبعة بالنسبة إلى فلكها وإلى فلك البروج، وانتقالاتها ورجوعها واستقامتها وتشريقها وتغريبها وظهورها وخفائها في كل زمان ومكان، ليتعرف بمعرفة هذه الأمور الاتصالات بين الكواكب من المقارنة والمقابلة والتربيع والتثليث والتسديس. ويعرف كسوف الشمس وخسوف القمر وما يجري هذه المجرى.

والغرض الأخير من معرفة هذه الأمور معرفة أمرين: إما معرفة الساعات والأوقات وفصول السنة وسمت القبلة وأوقات الصلوة، وإما معرفة الأحكام الجارية في عالم العناصر بسبب تلك الأوضاع. إلّا أنّ الغرض الأصلي لا بد أنْ يكون الأمر الأول إذْ هو المهم في الطبع والعادة والشرع.

وأما معرفة الأحكام فمع كونها مدخولة الصحة في الشرع لا يكاد يستقيم شيء منها، وإنْ وقع فإنّما يقع بطريق الاتفاق وعدم الصحة، إما لكون مبنى علم الأحكام على الدلائل الواهية والبراهين الضعيفة التي لا تفيد شبهة فضلًا عن ظنّ فضلًا عن يقين، وإمّا لعسر تعيين الأوضاع العارضة للكواكب لعسر الطرق وعدم الاطلاع على الخطأ لبعد مقادير الحركات عن الحِسّ حتى يصلحه المحاسب بعد ذلك. وأنفع الزيجات الزيج الأيلخاني التي تولاها خواجه نصير الدين الطوسي، والمشهور عند أهل مصر الزيج المصطلح، وبدمشق زيج ابن شاطر، وفي ديار العجم زيج الغ بيك ابن شاهرخ بن أمير تيمور، وهو والعلم عند الله أقرب الزيجات من الصحة، وأقصى ما يمكن للبشر معرفته في هذا الشأن، وعليه التعويل في زماننا في معظم الأقاويل. وتولى هذا الزيج أولًا غياث الدين جمشيد(١) بسمرقند، وتوفاه الله تعالى في مبادىء أحواله،

(*) يتبع هذا العلم المطلب الرابع في فروع علم الحديث، ضمن علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، في الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) غياث الدين جمشيد: هو جمشيد بن مسعود بن محمود بن محمد الكاشاني، غياث الدين. توفي عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م. حكيم، رياضي، فلكي، له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٢/١٣٦، الذريعة ١/٧٢، ٢/٢١.

ثم تولاه قاضي زاده الرومي[١] وتوفاه الله تعالى أيضًا قبل إتمامه. وإنّما أتّمه وأكمله مولانا علي بن محمد القوشجي رحمه الله.

علم السباحة(*)

وهذا أيضًا من فروع علم الملاحة إذْ لا يقدر أحد على الملاحة، أو لا تتم فيه الملاحة إلّا بتحسين أمر السباحة، لكنها تحصل بالمزاولة والإدمان.

علم السحر(**)

أعلم أن استحداث الحوادث إن كان بمجرد التأثير النفساني فهو السحر، وإن كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات فهو دعوة الكواكب، وإن كان على سبيل تخريج القوى السماوية بالأرضية فهو الطلسمات، وإن كان على سبيل الاستعانة بالخواص الطبيعية، فإما القراءة فهو علم الخواص، أو الكتابة فهو النير نجات أو الأفعال غيرهما فهو الرّقى. وإن كان على سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة فهو العزائم. وإن كان بإحضار تلك الأرواح في قوالب الأباح فهو علم الاستحضار، ويسمى علم تسخير الجن. وأما الإخبار عن الحوادث الغير الحاضرة، فأما عن الماضي أو الحال أو الاستقبال فهو علم الكهانة. ثم إن الانسان كما يقدر على استحضار المجرّدات، كذلك يقدر على تغييب الحاضر عن الحسّ ويسمى علم الاخفاء. وكذلك على إخفاء الأمور الحاضرة عن الحاضرين، ويسمّى بالحيل، وأمثال ذلك كثيرة فلنذكر هذا العلم على هذا النهج.

اعلم أنّ السحر ما خفي على أكثر العقول سببه وصعب استنباطه. وحقيقته كل ما سحر العقول وانقادت إليه النفوس بالتعجب والاستحسان والإصغاء من الأقوال والأفعال. فهو علم باحث عن معرفة الأحوال الفلكية وأوضاع الكواكب وارتباطها مع الأمور الأرضية من المواليد الثلاثة على الوجه الخاص، ليظهر من هذا الامتزاج أفعال غريبة وأسرار عجيبة خفية الأسباب والعلل. ومنفعته أنْ يعلم ليحذر منه لا ليعمل به لأنّ عمله محرَّم في الشرع، اللهم إلّا لدفع ساحر يدّعي النبوة. وأما علمه فأباحه الأكثرون، وجعله بعضهم فرض كفاية لجواز ظهور ساحر يدّعي النبوة ويظهر الخوارق بالسحر فيفترض وجود من يدفعه في الأمة.

واختلفت الطرق فيه، فطريق الهند تصفية النفس، وعليه كتاب مرآة المعاني في إدراك العالم الانساني[٢]. وطريق النبط عمل عزائم في أوقات مناسبة، وفيه كتاب سحر النبط[٣] لابن وحشية[٤]. وطريق اليونان تسخير روحانية الأفلاك والكواكب، وفيه كتاب الوقوفات

---

(١) قاضي زاده الرومي: هو موسى بن محمد، ابن القاضي محمود الرومي، صلاح الدين المعروف بقاضي زادة، موسى جلبي توفي نحو ٨٤٠هـ/١٤٣٦م. عالم بالرياضيات والفلك والحكمة. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٧/٣٢٨، كشف الظنون ١/١٠٥، الشقائق النعمانية بهامش وفيات الأعيان ١/١٧.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) في علم السحر على طريقة الهند. كشف الظنون ٢/١٦٤٩.

(٣) كتاب سحر النبط لابن الوحشية، احمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم بن جرشيا الكسراني الكلداني أبو بكر. (-٢٩٦هـ). كشف الظنون ٢/١٤٢٤.

(٤) ابن وحشية: هو احمد بن علي بن المختار بن عبدالكريم بن جرشيا الكسراني الكلداني، ابو بكر المعروف بابن وحشية. توفي عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م. عالم بالفلاحة والكيمياء والسحر والنجوم وغيرها له عدة كتب. انظر عنه: =

للكواكب[١]، وفيه كتاب طيماوس لأرسطاطاليس ورسائله إلى الاسكندر، وغاية الحكيم[٢] للمجريطي[٣]. وطريق العبرانيين والقبط والعرب ذكر أسماء مجهولة المعاني كأنها أقسام وعزائم، كأنهم يزعمون أنهم يسخرون بها ملائكة قاهرة للجن، وفيه كتاب الجمهرة[٤] للخوارزمي[٥]، والإيضاح[٦] للأندلسي[٧]، وكتاب العمى[٨] لخلف بن يوسف الدسماساني[٩]، وكتاب البساتين[١٠] لاستخدام الأنس لأرواح الجن والشياطين، وبغية الناشد[١١]، ومطلب القاصد.

علم السياسة(*)

وهو علم يعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية، وأحوالها مثل أحوال السلاطين والملوك والأمراء وأهل الاحتساب والقضاة والعلماء وزعماء الأموال ووكلاء بيت المال ومن يجري مجراهم.

وموضوعه المراتب المدنية وأحكامها. ومنفعته معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة، والمراد به وجه استبقاء كل واحد منها، ودفع علل زوالها، وجهات انتقالها. ومن أعظم أسباب انتقال الدولة الإخلال بركن من أركان الشريعة. وقال حكيم: لا يزال السلطان ممهلًا حتى يتخطى إلى أركان العمارة ومباني الشريعة فحينئذ يريح الله منه. ومن جملة مسائل علم السياسة معرفة ما ينبغي عليه الملك والسلطنة في نفسه، وحال أعوانه وأمر رعاياه وعمارة المدن. وهذا العلم يحتاج إليه الملوك والسلاطين أولًا، ثم سائر الناس لما أنّ الانسان مدني بالطبع، ويجب عليه اختيار المدينة الفاضلة مسكنًا، والهجرة عن الردية، وأنْ يعلم كيف ينفع أهل مدينته وينتفع بهم. وكتاب السياسة الذي أرسله أرسطاطاليس إلى الاسكندر يشتمل على مهمات هذا العلم. وكتاب آراء المدينة الفاضلة لأبي نصر الفارابي جامع لقوانينه. ومن

=معجم المؤلفين ٢/ ٢٣، الفهرست ١/ ٣١١، كشف الظنون ٢/ ١٢٨٩، معجم المطبوعات ٢٨١، ايضاح المكنون ٢/ ٥٩.

(١) في علم السحر على طريقة اليونان.
كشف الظنون ٢/ ١٤٧١.

(٢) غاية الحكيم «واحق النتيجتين بالتقديم» في السحر للمجريطي الحكيم ابي القاسم مسلمة بن احمد القرطبي (-٣٩٥هـ).
كشف الظنون ٢/ ١١٩١.

(٣) المجريطي: هو مسلمة بن احمد بن قاسم بن عبدالله المجريطي، ابو القاسم. ولد عام ٣٣٨هـ/ ٩٥٠م. وتوفي عام ٣٩٥هـ/ ١٠٠٧م. حكيم، رياضي، فلكي. له كتب ومصنفات عديدة. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/ ٢٣٤، عيون الانباء ٢/ ٣٩، تاريخ الحكماء ٣٢٦، الاعلام ٨/ ١٢١.

(٤) الجمهرة في علم السحر على طريقة العرب والقبط للخوارزمي.
كشف الظنون ١/ ٦٠٦.

(٥) الخوارزمي: هو المنصور بن علي بن عراق الخوارزمي، ابو نصر، توفي عام ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م. وقيل ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م. فلكي رياضي من اساتذة أبي الريحان البيروني. له عدة مصنفات. دائرة المعارف ٣/ ٣٦٥.

(٦) الايضاح في علم السحر للشيخ الاندلسي، وهو مسلمة بن احمد المجريطي (ـ٣٩٥هـ). كشف الظنون ١/ ٢١٤.

(٧) سبق التعريف به.

(٨) كتاب العماء في علم السحر على طريقة العبرانيين والعرب لخلف بن يوسف الرسماساني «الدستميساني». كشف الظنون ٢/ ١٤٤١.

(٩) خلف بن يوسف الدسماساني: هو خلف بن يوسف الدستميساني. من دستميسان بين واسط والبصرة لا يعرف له تاريخ. منجم، عالم بالسحر على طريقة العرب والعبرانيين له عدة كتب. انظر عنه: هدية العارفين ١/ ٣٤٨.

(١٠) البساتين لاستخدام ارواح الجن والشياطين في علم السحر على طريقة القبط والعرب. كشف الظنون ١/ ٢٤٣.

(١١) بغية الناشد ومطلب القاصد في علم السحر على طريقة القبط والعرب. كشف الظنون ١/ ٢٥١.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة من شعب الدوحة الخامسة في الحكمة العملية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الكتب الجامعة لهذه العلوم الثلاثة كتاب الأخلاق الناصرية[١] وهو لخواجه نصير الدين الطوسي وهو كتاب لطيف نافع في الغاية إلّا أنه وقع باللسان الفارسي. وكتاب الأخلاق الجلالية[٢] وهو لجلال الدين محمد الدواني، وقد لخّصه هذا الفاضل وأجاد فيه، وأورد فيه غرائب الحكايات، إلّا أنه وقع أيضًا باللسان الفارسي. ومن الكتب المختصرة الجامعة لأصول هذه الفنون الثلاثة: رسالة مولانا عضدالدين، وعليها شرح لتلميذه شمس الدين الكرماني، وشرحتها شرحًا جامعًا نافعًا في زمان الشباب، والله أعلم بالصواب.

علم سير الصحابة والتابعين(*)

من فروع المحاضرات، وفيها كتاب سير الصحابة والتابعين وهو كتاب عظيم لم يعهد بمثله.

علم السيمياء(**)

وقد يطلق على غير الحقيقي من السحر كما هو المشهور، وحاصله إحداث مثالات خيالية في الجوّ لا وجود لها في الحِسّ. وقد يطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحِسّ، ويكون صورًا في جوهر الهواء، ولهذا يسرع زوالها لسرعة تغيّر جوهر الهواء وعدم حفظه ما يقبله زمانًا طويلًا، لكنه سريع القبول وسريع الزوال لرطوبته.

وأما كيفية إحداث هذه الصور وعللها فأمر خفي لا يطلع عليها إلّا أهلها، وليس غرضنا ها هنا كشف الالتباس عن أمثال هذه. وإجمال الحال أن يركب الساحر شيئًا من خواص أو أدهان أو مائعات خاصة أو كلمات خاصة توجب مخيلات خاصة، وإدراك الحواس مأكولًا أو مشروبًا أو نحو ذلك ولا حقيقة له. ومن هذا القبيل ما وقع عن الشيخ شهاب الدين السهروردي كما ذكرناه فيما سبق[٣]. ومن جملته ما حكى الأوزاعي رحمه الله عن يهودي لحقه في السفر، وأنه أخذ ضفدعًا فسحرها بطريقة علم السيمياء حتى صارت خنزيرًا، فباعه من قوم من النصارى، فلما صاروا إلى بيوتهم عاد ضفدعًا، فلحقوا اليهودي وهو مع الأوزاعي، فلما قرب منه رأوا رأسه قد سقط ففزعوا وولّوا هاربين، وبقي الرأس يقول للأوزاعي: يا أبا عمر: وهل غابوا إلى أنْ بعدوا عنه، فصار الرأس في الجسد. وهذا ما حكاه ابن السبكي في رسالته: معيد النعم ومبيد النقم[٤]. ومنفعة هذا العلم وغرضه ظاهران جدًا. ولفظ سيمياء عبراني معرب أصله سيم يه، ومعناه اسم الله. وأما المقالات السبع عشرة للحلّاج[٥] فإنما هي على

---

(١) اخلاق الناصري، فارسي للعلامة المحقق نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (-٦٧٢هـ). الفه بقهستان لاميرها ناصر الدين عبدالرحيم المحتشم. كشف الظنون ١/ ٣٨.

(٢) اخلاق جلالي المسمى بلوامع الإشراق، «لوامع الاشراق في مكارم الاخلاق» في الحكمة العملية والمنزلية والمدنية لجلال الدين محمد بن اسعد الصديقي الدواني (-٩٠٨هـ). كشف الظنون ١/ ٣٦، ٢/ ١٥٦٧.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) أي ما ذكره في علم المنطق، وسيأتي فيما بعد.

(٤) للشيخ تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي (٧٧١هـ) كشف الظنون ٢/ ١٧٤٤.

(٥) الحلّاج: هو الحسين بن منصور الحلاج الفارسي البيضاوي، البغدادي، توفي عام ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م. صوفي، متكلم، له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ٤/ ٦٣، تاريخ بغداد ٨/ ١١٢، روضات الجنات ٢٢٦، وفيات الأعيان ١/ ١٨٣، البداية ١١/ ١٣٢، لسان الميزان ٢/ ٣١٤.

سبيل الرمز. وللشيخ أبي علي بن سيناء أمور غريبة تنقل عنه في هذا العلم، وكذا للشيخ شهاب الدين السهروردي المقتول. وقد ذكرنا نبذًا منها فيما سبق.

علم الشامات والخيلان(*)

وهو علم باحث عن أحوال العلامات المذكورة بحسب دلالتها على الأحوال الباطنة والأخلاق الموجودة في الإنسان بحسب الفطرة. وقد صنّف فيه بعض الحكماء رسائل لكنها قليلة الوجود جدًا.

علم شرح الحديث(**)

وهو علم باحث عن مراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أحاديثه الشريفة بحسب القواعد العربية، والأصول الشرعية، بقدر الطاقة. ونفعه وغايته بمكان لا يخفى على إنسان. والكتب المصنفة في هذا الفن لا تحيط به الدفاتر إلّا أنّ الأشهر شروح البخاري.

منها: شرح الكرماني[1]، وشرح البرماوي[2]، وشرح ابن الملقن[3]، وشرح العيني[4] وشرح ابن حجر[5] وشرح السيوطي[6]، وشرح الكوراني[7]، وغير ذلك. وشرح مسلم للنواوي[8] وللسيوطي[9] ومن شروح المصابيح شرح المفاتيح[10] للخلخالي وشرح التوربشتي[11]، وشرح المظهر[12]، وشرح زين العرب[13]، وغير ذلك. ومن شروح المشارق المبارق[14]، وشرح مجد الدين

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الكواكب الدراري بشرح صحيح البخاري للعلامة شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني (-٧٩٦هـ). كشف الظنون ١/٥٤٦.

(٢) اللامع الصبيح في شرح الصحيح للعلامة شمس الدين ابي عبدالله البرماوي (-٨٣١هـ). كشف الظنون ١/٥٤٧.

(٣) شواهد التوضيح بشرح الصحيح للعلامة سراج الدين ابن الملقن (-٨٠٤هـ) كشف الظنون ١/٥٤٧.

(٤) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للعلامة بدر الدين العيني (-٨٥٥هـ). كشف الظنون ١/٥٤٨.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للعلامة ابن حجر العسقلاني (-٨٥٢هـ). كشف الظنون ١/٥٤٧.

(٦) التوشيح على الجامع الصحيح لجلال الدين السيوطي (-٩١١هـ). كشف الظنون ١/٥٤٩.

(٧) الكوثر الجاري على رياض البخاري للعلامة احمد بن اسماعيل بن محمد الكوراني الحنفي (-٨٩٣هـ). كشف الظنون ١/٥٥٣.

(٨) المنهاج في شرح مسلم بن الحجاج للإمام الحافظ ابي زكريا يحيى بن شرف النوري الشافعي (-٦٧٦هـ). كشف الظنون ١/٥٥٧.

(٩) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي (-٩١١هـ). كشف الظنون ١/٥٥٨.

(١٠) مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (-٥١٦هـ). شرحه شمس الدين محمد بن مظفر الخلخالي وسماه التنوير (-٧٤٥هـ) كشف الظنون ٢/١٦٦٩.

(١١) مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (-٥١٦هـ) شرحه شهاب الدين فضل الله بن حسين التوربشتي الحنفي (-٦٠٠هـ) وسماه الميسر. كشف الظنون ٢/١٦٩٨.

(١٢) مصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (-٥١٦هـ) شرحه مظهر الدين الحسين بن محمود بن الحسن الزيداني (-٧٢٧هـ) سماه المفاتيح في شرح «في حل» المصابيح. كشف الظنون ٢/١٦٩٩.

(١٣) مصابيح السنة للامام حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (٥١٦هـ) شرحه علي بن عبدالله بن احمد المعروف بزين العرب. كشف الظنون ٢/١٦٩٩.

(١٤) مبارق الازهار في شرح مشارق الأنوار النبوية للشيخ عبداللطيف بن عبدالعزيز المعروف بابن ملك (-٨٠١هـ). كشف الظنون ٢/١٦٨٩.

الشيرازي صاحب القاموس[(١)]، وشرح الشيخ أكمل الدين[(٢)]، وشرح الفاضل ابن الملك[(٣)]، وغير ذلك. ومصنفو هذه الكتب قد سبق كلهم أو جلهم.

علم شرح عجائب القلب[(*)]

ولنذكر أولًا عدة ألفاظ نافعة في الباب:

أحدها: القلب، وله معنيان.

أحدهما اللحم الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وفي باطنه دم أسود، وهو منبع الروح الحيواني، وهو من عالَم الملك والشهادة.

وثانيها: لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلّق، وهي حقيقة الإنسان، وهي المدرك العالم العارف المخاطب والمعاتب والمعاقب والمطالب، وهذا من عالم الغيب. وقد نهينا عن شرح حالها.

الثاني: لفظ الروح، وله أيضًا معنيان:

أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف الجسم الصنوبري، وتنتشر بواسطة العروق الضوارب إلى البدن، ويفيض بسببه قوة الحياة والحِسّ والبصر والسمع والشم.

وثانيهما: ثاني معنى القلب.

الثالث: لفظ النفس، وله أيضًا معنيان:

أحدهما الأمر الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان، وعلى أكثر اصطلاح المتصوفة.

وثانيهما: ثاني معنى القلب والروح.

الرابع: العقل، وله أيضًا معنيان:

أحدهما العلم بحقائق الأمور.

وثانيهما: المدرك لحقائق الأمور، أعني اللطيفة المذكورة.

بيان جنود القلب، وهي ثلاثة أصناف: باعث إما إلى جلب الموافق النافع كالشهوة، أو إلى دفع الضار المنافي كالغضب ويُسمّى هذا الباعث إرادة، ومحرك للاعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد مسمّى بالقدرة، وهي أمور مبثوثة في سائر الأعضاء سيّما العضلات منها والأوتار، ومدرك متعرف للأشياء كالجواسيس وهي مبثوثة في مواضع معيّنة كالحواس الظاهرة المستخدمة للأعضاء الظاهرة المركّبة من اللحم والشحم والدم والعظم، وهذه من عالم الملك والشهادة، ولها حواس باطنة من الحسّ المشترك والتخيّل والتفكر والتذكر والحفظ، والذي يبحث عنه هي الحواس الباطنة، ويمثل القلب مع جنوده الباطنة كالملك والوالي، اعني الروح مع مملكته، ومدنيته أعني البدن، وقوته العقلية وزيره العاقل، وشهوته كعبده السوء الجالب للميرة. فمتى انقاد للوزير خلص من مضرّة العبد المكار وإلاّ هلك، وكذا الغضب صاحب شرطته. فإذا تبع رأي الوزير يأمن ضرره وإلا فات قانون العدل في المملكة.

ثم إنّ الإنسان[(٤)] في تركيبه أربع قوى: وهي السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من

---

(١) مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني (-٦٥٠هـ). شرحه الشيخ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي (-٨١٧ هـ) وسمّاه شوارق الأسرار العليّة في شرح مشارق الأنوار النبوية. كشف الظنون ٢/ ١٦٨٨-١٦٨٩.

(٢) مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني (-٦٥٠هـ). شرحه الشيخ اكمل الدين محمد بن محمود البابرتي الحنفي وسماه تحفة الأبرار في شرح مشارق الأنوار (-٧٨٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٨٨.

(٣) هو نفسه المبارق الذي عرّفنا به سابقًا.

(*) هذا هو الأصل الأول من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) كذا في الأصل ولعله للإنسان

حيث سلط عليها إحدى هذه الصفات تتولد أخلاق رديئة. أمّا الأول فكالعداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم. وأما الثاني فكالشره والحرص والشبق. وأما الرابع فكحب الاستيلاء والاستعلاء، والتفرّد بالرياسة، والانسلال عن ربقة العبودية، والتواضع، وادعاء الإحاطة بجميع الحقائق، والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية. ومن حيث يختص عن البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية.

وبالجملة إذا أتبعت قوة العلم على الشهوة والغضب صار شيطانًا في صورة إنسان، والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ببصيرته، ويكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه وهو الخنزير، ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه، ويجعل الكل مقهورًا تحت سياسته فيحصل صفة العدل، وإلاّ فيكون دائمًا في عبادة كلب وخنزير، ومع ذلك ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة ونفسه يعبد الكلب والخنزير، كما يراه المكاشفون تارة في النوم وتارة في اليقظة على عكوفه في عبادة هذين، فحصل له من طاعة خنزير الشهوة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرئاء والهتك والمجانة والعنت والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة ونحوها. ومن طاعة كلب الغضب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاط والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشّر وشهوة الظلم ونحوها. ومن طاعة شيطان الشهوة والغضب المكر والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغِشّ والخبث وأمثالها. ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت رياسة الصفة الربانية استقر في القلب صفات ربانية من العلم والحكمة والإحاطة بحقائق الأشياء كما هي، والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة، ويحصل له من ردّ خنزير الشهوة إلى الاعتدال صفات شريفة من العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها. ومن كسر قوة الغضب وقهرها وردّها إلى حدّ الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها.

المطلب الثاني:

واعلم أنّ كل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنّه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف، وتلك الخاصية قد عبَّر الله عزَّ وجلّ عنها بالأمانة التي حملها الإنسان وأبى عن حملها السموات والأرض والجبال. لكن، هناك أسباب مانعة من معرفة حقائق العلوم وهي خمسة:

أحدها: نقصان في ذاته كقلب الصبي، ومثال ذلك في الحِس الحديد قبل أن يدور ويتشكل ويصقل.

وثانيها: كدورة المعاصي وخبث الشهوات، مثاله صدأ الحديد وكدورته بعد تمام شكله.

وثالثها: كونه معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة، فإنّ القلب وإنْ كان صافيًا إلاّ أنّ همّ الطاعات البدنية أو تهيئة أسباب المعيشة ربما يصرف فكره عن التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الآلهية، فلا ينكشف له إلاّ ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وحقائق عيوب النفس أو مصالح المعيشة، مثاله كون المرآة المصقولة معدولًا بها عن جانب الصورة.

ورابعها: أنْ يكون المطيع القاهر لشهواته المتجرّد للتفكر في حقيقة من الحقائق لا ينكشف له ذلك، لكونه محجوبًا عنه باعتقاد يسبق إليه من الصبا على سبيل التقليد والقبول لحسن الظّن، وذلك يحول بينه وبين الحق. مثاله الحجاب المرسل بين الصورة وبين المرآة الصقيلة المحاذية نحوها.

وخامسها: الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب، إذْ لا بدّ لكل علم من علمين سابقين يأتلفان، فيحصل من ازدواجهما علم ثالث. ومثاله الجهل بالجهة التي فيها الصورة فلا يحاذي المرآة بها مثلًا إنْ أراد أن يبصر قفاه في المرآة، فلا بد أولًا أنْ يعرف طريقه، وإلاّ لا يحصل من جدّه طائل. فإنّه إنْ رفع المرآة حذاء وجهه لا يبصر قفاه، وإنْ رفعها وراء القفا لا يرى المرآة أصلًا، فينبغي أنْ يرفع مرآة وراء القفا وأخرى حذاء وجهه مقابلة للمرآة الأخرى، فينتقش صورة القفا في مرآة يقابلها، ثم ينتقش منها إلى المرآة المحاذية للمرآة الأولى ولوجه الرائي فيرتسم صورة القفا في المرآة الثانية فيرى قفاه، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرنا في المرآة، ويعزّ على بسيطة الأرض من يهتدي إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات.

المطلب الثالث:

العلوم إما عقلية، وهي التي تقضي بها غريزة العقل بلا أخذ من تقليد وسماع، وهي إمّا ضرورية لا يدري من أين حصل وكيف حصل، وإمّا مكتسبة، وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال، وكلاهما قد تسمّى عقلًا. والقلب جارٍ مجرى العين، وغريزة العقل جارية مجرى قوة الابصار[١]، يتوقف على النور، كذلك قلب الصبي إلى التمييز والبلوغ وفقد قوة العقل عمى. قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٢].

ثم العلوم إمّا دينية مأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء، إمّا بتعلّم كتاب الله عزّ وجلّ، أو بتعلّم سُنّة نبيه ﷺ. فالعلوم العقلية وإن كانت غير كافية في سلامة القلب لكنها محتاج إليها في فهم العلوم الدينية، فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل. والداعي إلى محض السمع مع عزل العقل بالكلّية جاهل. والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسُّنة مغرور. فإيّاك أن تكون من الفريقين وكنْ جامعًا بينهما. فالعلوم العقلية كالأغذية والشرعية كالدواء. من ظن أنّ علوم[٣] العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأنّ الجمع بينهما غير ممكن فهو ظنّ عن عمى عين بصيرته، نعوذ بالله من الجهل. وهذا القائل كيف يفعل فيما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض. فإمّا أنْ يعترف بنفع العلوم العقلية أو يعتقد نقصًا في الدين، وينسلّ من الدين انسلال الشعرة من العجين.

ثم العلوم العقلية إمّا دنيوية كالطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات، وإمّا أخروية كعلم أحوال القلوب وآفات الأعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله، وهما ككفتي الميزان. وربما يقال: كالمشرق والمغرب. وربما يقال: كالضرتين، إنْ رضيت إحداهما أسخطت[٤] الأخرى. ولذلك ترى علماء الدين جهالًا في علوم الدنيا وبالعكس، والجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدين والدنيا لا يتيسر إلاّ للمؤيدين بروح القدس وهم الأنبياء، بخلاف سائر الخلق فإنّها إذا شغلت بأحدهما انصرفت عن الآخر.

المطلب الرابع:

واعلم أنّ للقلب بابين: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك. وطريق اكتسابه من الباب

(١) كذا في الأصل، ولعلّه سقط: وكما أنّ الأبصار.
(٢) الحج / ٤٦.
(٣) كذا في الأصل، والظاهر: أنّ العلوم.
(٤) كذا في الأصل، ولعلّه: سخطت.

الثاني معلوم لكل أحد. وأما طريق اكتسابه من الملكوت فهو أنّ القلب مستعد لأنْ يتجلّى فيه جلية الحق في الأشياء كلها. وإنّما حيل بينه وبينها بالحجب الخمسة التي ذكرناها المسدَلة بين القلب وبين اللوح المحفوظ الذي يسطر فيه حقائق الأشياء وجميع ما قضى الله سبحانه إلى يوم القيامة، كما يسطّر المهندس صورة أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة.

ثم إنّ الحجاب بينهما تارة يزول باليد وأخرى بهبوب رياح الألطاف، ويكون ذلك تارة في المنام، فيظهر له ما سيكون في المستقبل، وتارة في اليقظة، فيلمع غرائب العلوم. وتارة كالبرق الخاطف وأخرى كالتوالي[١] إلى حدٍّ ما، ودوامه في غاية الندور. فالحجاب إذا انكشف باختيار العبد فهو الاكتساب وإلاّ فإلهام ونفث في الروح. وإنْ شاهد معه الملك فهو الوحي.

وهذا الانكشاف وإنْ لم يكن بالاختيار إلاّ أنّ أسبابه البعيدة داخلة تحته لأنّ ذلك بالزهد في الدنيا والتبرىء من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، حتى يستوي عنده وجود كل شيء وعدمه، والإقبال بكنه الهمة. فمن كان لله كان الله له؛ وينبغي أنْ لا يفرق فكره في مطالعة تفسير وحديث، بل يداوم أنْ يقول بلسانه: الله الله إلى أن ينتهي إلى درجة تكون الكلمة جارية على اللسان بلا قصد منه، ثم ينتهي إلى أن يحمى[٢] أثره عن اللسان، فيصادف قلبه مواظبًا على الذكر، ثم يواظبه إلى أنْ يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردًا في قلبه حاضرًا فيه، كأنه لازم له لا يفارقه، ثم يسلب عنه الاختيار في استجلاب رحمة الله، فيبقى منتظرًا لما يفتحه الله عليه من نفحاته، فتلمع لوامع الحق في قلبه كالبرق الخاطف، ثم يعود يدوم زمانًا.

المطلب الخامس:

اعلم أنّ أهل النظر لم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى المقصود لكن استوعروه واستبطؤوا ثمرته، واستبعدوا اجتماع شروطه، وزعمو أنّ محو العلائق إلى هذا الحد كالمتعذر، وإنْ حصل فثباته أبعد منه إذا دنا وسواس وخاطر يشوش القلب. وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن. فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض، إلاّ أنّ المفهوم من الآيات والأحاديث كون علم التصفية أفضل من العلم المكتسب.

سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٣] ما هذا الشرح؟ قال: «هو التوسعة»[٤]. إنّ النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح. وقال ﷺ: «ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم سوى النبيين والمرسلين لرجح»[٥]. وقال ﷺ: «إنّ من أمتي محدثين ومكلّمين وإنّ عمر منهم»[٦]. والمحدث هو الملهم، والملهم هو[٧] انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة. والقرآن مصرِّح بأنّ التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من

---

(١) في الإحياء: على التوالي. (هامش الأصل).
(٢) كذا في الأصل، والظاهر: ينمحي.
(٣) الزمر/٢٢.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب عجائب القلب، باب شواهد الشرع على صحة طريقة التصوُّف...، ٧/٢٥٨.
(٥) اتحاف الزبيدي، كتاب آفات اللسان، باب الآفة الثامنة عشر ٧/٥٧٢؛ بلفظ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح.
(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب عجائب القلب، باب شواهد الشرع...، ٧/٢٥٩
(٧) كذا في الأصل، والظاهر: من، ساقطة.

غير تعليم. وقال عليّ رضي الله عنه: ما عندنا شيء أسرّه النبي ﷺ إلينا إلاّ أنْ يؤتي الله سبحانه عبدًا فهمًا في كتابه وليس هذا بالتعلّم.

ثم إنّ الصواب لمن يريد طريق الآخرة أنْ يقدم تعلم العلوم الدينية ثم يبتدىء طريق التصفية، إذْ ربما تتشبث بالقلب خيالات فاسدة وربما يبقى الصوفي في خيال واحد وعشرين سنة، وينقضي عمره دون النجاح فيه. فلو كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه الصواب من ذلك الخيال في الحال. ومن زعم أنّ النبي ﷺ لم يتعلم الفقه وصار فقيهًا بالوحي والإلهام فربما ينتهي بالرياضة إليه فقد ظلم نفسه وضيَّع عمره. فإنّ ذلك وإنْ أمكن لغير النبي بعيد جدًا فلا يغتر به.

المطلب السادس:

إعلم أنّ القلب يرد عليه الصورتان من الحواس الظاهرة وتارة من الحواس الباطنة، لأنّه إذا أدرك بالحواس شيئًا حصل منها أثر في القلب، ثم ينتقل بسبب الآثار الواردة عليه من حال إلى حال دائمًا، أعني الأفكار والأذكار. وهذه تسمى الخواطر لخطورها عند غفلة القلب عنها. والخواطر محركة للرغبة، وهي تحرك العزم والنية، والنية تحرك الأعضاء. فالخواطر مبدأ للأفعال، وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أي يضر في العاقبة، وإلى ما يدعو إلى الخير أي ينفع في الدار الآخرة. فالخاطر المحمود يُسمّى إلهامًا، والخاطر المذموم يُسمّى وسوسة.

ومن سُنة الله تعالى ترتيب المسببات على أسبابها. فسبب الخاطر المحمود يُسمّى ملكًا، وسبب الخاطر المذموم يُسمّى شيطانًا. واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول إلهام الملك يسمّى توفيقًا، والذي يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يُسمّى إغواءً وخذلانًا. والقلب متجاذب بين الملك والشيطان، وإنما يترجّح أحد الجانبين بالمجاهدة أو باتباع الهوى والشهوات التي هي سلاح الشيطان، فلا بد من معرفة صلاحه وكيفية دفعه. وأما معرفة صفته وذاته وحقيقته، وكذا صفة الملك وحقيقته، فذلك من علوم المكاشفة.

ومما ينبغي أن يعلم أنّ بعض الأمور مكايد الشيطان وبعضها إلهام الملك وبعضها متردد بينهما، إذ الشيطان يعرض الشّر في معرض الخير، والتميز بينهما غامض، وبه يهلك أكثر العباد، إذْ لا يقدر على دعائهم إلى صريح الشر فيصوره بصورة الخير، فحق على العبد أن يمعن فيه النظر بعين البصيرة لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلاّ بنور التقوى وغزارة العلم، وإلاّ يتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر، ولا ينجي من ذلك إلاّ سدّ أبواب الخواطر والعزلة وقطع العلائق ودوام الذكر. ولا تنقطع هذه المجاهدة إلى الموت، فإنّه ما دام حيًا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق. وباب الملك باب واحد، ومع ذلك قد التبس هذا الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة، مثلًا للعالِم الواعظ: الناس موتى من الجهل هلكى من الغفلة، أمالك رحمة على عباد الله وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة، فكيف تفكر بنعمة الله، وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة خلق الله إلى الصراط المستقيم، إلى أنْ يستجره بلطائف الحيل إلى وعظ الناس، ثم يدعوه إلى أنْ يتزيّن لهم في اللفظ وإظهار الخير حتى يحصل له لذة الجاه وقبول الخلق والتعزز بكثرة العلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار، فيهلك المسكين وهو أنه عند الله بمكان، وأمثال هذا التلبيس انتشر الآن في البلاد والعباد، حتى لم يبق من الخيرات إلاّ رسمها.

ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص، إذْ القلب أعماه حرصه، وصمه إذْ يحسن له الشيطان، كلما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرًا وفاحشًا.

ومنها الغضب والشهوة إذ الإنسان إذا غضب لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة.

ومنها حبّ التزيّن بالثياب والأثاث والدار فإنّ الشيطان إذا رأى ذلك غالبًا على قلب إنسان باض فيه وفرخ، فلا يزال يصرفه من عمارة الباطن إلى عمارة الظاهر. ثم إنّ بعض ذلك يجره إلى بعض حتى يموت وهو في تصرّف الشيطان، فيخشى عليه من سوء الخاتمة، نعوذ بالله منه.

ومنها الشبع بالطعام وإنْ كان حلالًا صافيًا، فإنّ الشبع يقوي الشهوات، وهي أسلحة الشيطان.

ومنها الطمع في الناس، فإذا غلب هو على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزيّن لمن طمع فيه بأنواع الرئاء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبود، ويدخل كلّ مدخل للوصول إلى ذلك، وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه، والمداهنة معه بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومنها العجلة وترك التثبت في الأمور، إذْ الواقع بعد التأمل يصير على وجه الصواب، وبالعجلة يمنع الشيطان ذلك ويروج شرّه من حيث لا يدري.

ومنها الدنانير والدراهم وسائر الأموال، وذلك لأنّ من معه قوته فقط فهو فارغ القلب، فإذا وجد مائة دينار على الطريق انبعث من قلبه عشر تحتاج كل واحدة إلى مائة دينار مثلًا يشتري بها دارًا يعمرها وجارية وأثاثًا وثيابًا فاخرة، وكل ذلك يستدعي شيئًا آخر يليق به، وذلك لا آخر له، فيقع في هاوية آخرها الموت. وكان عندما حصل قوته فارغ القلب. ثم إذا وجد دينارًا يظنّ أنه صار غنيًا بعدما كان فقيرًا، وليس كذلك، بل هو على عكس ذلك.

ومنها البخل وخوف الفقر لأنّهما يمنعان من التصدق.

ومنها التعصب للمذاهب والأهواء، وهو به فرح مسرور يظنّ أنّه يسعى في الدين، وهو ساعٍ في اتباع الشيطان، حتى إنّ منهم من يطعن في مذهب الشافعي، ومنهم من يطعن في مذهب أبي حنيفة، وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان، أهلك الله به كثيرًا من العلماء.

ومنها تحريض العوام على التفكر في ذات الله وصفاته حتى يشككهم به في أصل الدين أو يخيل إليهم في الله خيالات فاسدة، يتعالى الله عز وجلّ منه، فيصير به كافرًا أو مبتدعًا، وهو به فرح ومسرور ومبتهج بما وقع في قلبه، ويظنّ أنّ ذلك هو المعرفة والبصيرة، وانكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله. وإنما حق العوام أنْ يشتغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم إلى العلماء.

ومنها سوء الظنّ بالمسلمين إذْ عند ذلك بعثه الشيطان على أنْ يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك، أو يقصرَ عن القيام بحقوقه، أو يتوانى في إكرامه، أو ينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرًا منه، وكلّ ذلك من المهلكات، فهذا بعض مداخل الشيطان إلى القلب. ولو أردنا استقصاء جميعه لم نقدر عليه، وفي هذا القدر ما ينبه على غيره.

ثم إنّ علاج ذلك سدّ هذه المداخل وذلك يطول ذكره، وسنذكره إنْ شاء الله تعالى.

ثم إنّ القلب إذا غلب عليه الشهوات يستقر الشيطان فيه ولا يتمكن الذكر من سويدائه، بل يرجع إلى حواشيه. وأمّا إذا صفا وخلا عن الشهوات ربّما يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوّها عن الذكر، فإذا ذكر خنس الشيطان.

المطلب السابع:

في أحوال الشيطان:

صحّ بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنّ الشياطين جنود مجنّدة، ولكل من المعاصي شيطان يخصّه ويدعو إليه، ولا يمكن تفصيل ذلك. والدليل الإجمالي أنّ اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب، وأما الملآئكة فكذا، ويختص كل واحد منهم بعمل، وسيجيء ذلك.

ثم إن الملك والشيطان لهما صورتان

حقيقيتان لا يدرك ذلك إلاّ بنور النبوة، كما أنّ رسول الله ﷺ رأى جبرئيل عليه السلام في صورته الحقيقية مرتين، وكان يراه في صورة دحية الكلبي غالبًا، وكان رجلًا حسن الوجه. وأما الأولياء فإنما يكاشف لهم في اليقظة مثل ما يراه النائم في نومه، وهم الذين انتهو إلى رتبة لا يمنعهم اشتغال الحواس بالدنيا عن مشاهدة قلبه[1] عالم الملكوت، وهذا مثاله لا حقيقته. وتحقيقه أنّ عالم الشهادة كلها خيال، إلاّ أنّ الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحسّ فحينئذٍ يرى الصورة دون المعنى، ولهذا قد تخالف الصورة المعنى، كما إذا رأيت شخصًا جميل الصورة قبيح الباطن ويحصل تارة من إشراق عالم الملكوت على باطن سِرّ القلب، فلا تكون إلاّ محاكية للصفة وموافقة لها، لأنّ الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة. فلا جرم يرى المعنى القبيح في صورة قبيحة كرؤية الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره، ويرى الملك في صورة جميلة، فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق، وبهذا الطريق يمكن تعبير الرؤيا.

المطلب الثامن:
في القدر المعفو عنه من الوسوسة:

واعلم أنّ لها مراتب أربع قبل العمل بالجوارح: أولاها الخاطر وهو حديث النفس. وثانيتها الميل وحركة الشهوة التي في الطبع. وثالثتها الاعتقاد والحكم بأنّ هذا ينبغي أن يفعل. ورابعتها الهمّ وهو العزم وجزم النية، فإمّا أنْ يندم فيترك أو يغفل لعارض فلا يعمل أو يعوقه عنه عائق. والأولان[2] من هذه الأربع لا يؤاخذ بهما العبد لعدم دخولهما تحت الاختيار، ويسميان حديث النفس، كما قال ﷺ: «عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها»[3]. وأما الثالث فهو[4] الاعتقاد إنْ كان اختياريًا يؤاخذ به، وإلاّ فلا. وأما الرابع وهو الهمّ بالفعل فإنه يؤاخذ به إلاّ أنّه إنْ لم يفعل خوفًا من الله تعالى وندمًا على همّه كتبت له حسنة، لأنّ ترك السيئة حسنة، لأنّ الهمّ على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله، فجده في الامتناع عنه يدلّ على طاعته لله تعالى، فكتبت له حسنة. وأما إنْ عاق عنه عائق أو تركه عذرًا لا خوفًا من الله عزّ وجلّ كتبت عليه سيئة، فإنّ همّه فعل اختياري إلاّ أنْ يكفّره بحسنة.

المطلب التاسع:
في بيان أنّ الوسواس
هل ينقطع عند الذكر بالكلية أم لا:

منهم من قال: بانقطاعه، ومنهم من قال: لا ينقطع، ولكن لا يؤثر. ومنهم من قال: لا ينقطع ويؤثّر، لكن على ضعف. ومنهم من قال: ينقطع بلحظة، والذكر والوسوسة يتعاقبان. ومنهم من قال: لا ينقطعان في لحظة أصلًا، بل القلب يكون مجرى لهما في كل حال.

والمذهب الصحيح أنّ كل واحد من هذه الأقوال بالنظر إلى صنف من أصناف الوسوسة وهي ثلاثة:

الصنف الأول: تلبيس الحق، مثلًا يقول: لا تترك اللذات فإنّ العمر طويل والصبر عن الشهوات ألمه عظيم، فعند ذلك إذا قال العبد: الصبر عن الشهوات شديد، والصبر على النار أشدّ منه، خنس الشيطان، إذ لا يستطيع أنْ يقول

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب عجائب القلب، باب ما يؤخذ به العبد من وساوس القلب، ٧/٢٩٢، بلفظ: «لأمتي» بدلًا من «عن أمتي».
(٤) كذا في الأصل.

ليس النار أشدّ منه، فإن ذلك أمر وجداني، ولا أنْ يقول: المعصية لا تفضي إلى النار، فإنّ إيمانه بكتاب الله يدفعه. ومثلًا يقول للعجب: أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده، فما أعظم مكانك عند الله، فإذا تذكر العبد أنّ معرفته وقدرته وقلبه كلها من خلق الله، فمن أين يعجب به، خنس الشيطان، إذْ لا يستطيع إنكاره.

والصنف الثاني: أنْ يوسوس بتحريك الشهوة وتهييجها، فإنْ علم العبد أنّ ذلك معصية يجب تركها خنس عن تهييج يؤثر في التحريك دون أصل التهييج، وإنْ ظنّ أنه معصية ربما يبقى مؤثرًا أو يحتاج في دفعه إلى مجاهدة.

الصنف الثالث: أنْ يوسوس بمجرد الخواطر، وتذكر الأحوال الغائبة، والتفكر في غير الصلاة، مثلاً، فإذا ذكر الله تصوّر أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود، فيتعاقبان، وبعيد أنْ يندفع هذا الصنف بالكلية، وليس محالًا في القلب الذي استولى عليه حبّ الله عزّ وجلّ، ولا يخطر بباله غير حديث محبوبه.

المطلب العاشر:

بيان سرعة تقلّب القلب:

اعلم أنّ القلب تكتنفه الصفات المهلكة، وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي ذكرناها. فإذا أثر فيه أحدهما أصابه من جانب آخر ما يضاده، فيغير وصفه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾[1]. ولهذا كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يقول: «يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك»[2]. قيل: «وتخاف يا رسول الله؟ قال: ما يؤمنني والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء»[3]. «وكان يحلف ويقول: لا ومقلب القلوب»[4].

والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينها ثلاثة:

أحدها: قلب عمّر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق، تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت، وتمده بجنود لا ترى، ويهدي به إلى خيرات أخر، حتى ينجر الخير إلى الخير، وكذلك على الدوام لا يتناهى إمداده بالترغيب في الخير وتيسير الأمر عليه. وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء.

وثانيها: قلب المخذول المشحون بالهوى المدنّس بالخبائث، الملوث بالأخلاق الذميمة، ويكون عقله قد ألف خدمة الهوى واستمر على استنباط الحيل له، فينشرح بالهوى ويوحي القلب زخرفًا من القول غرورًا، فلا ينكشف بعقله أيضًا وجه الصواب، فيبقى في ظلمات بعضها فوق بعض. وإليه يشير قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[5] إلى قوله تعالى: ﴿سَبِيلًا﴾[6]. وربما يكون قلبه إلى بعض الأمور على التقوى وإلى بعضها على الهوى، كالذي يتورع عن بعض الأشياء، ولكنه إذا رأى وجهًا حسنًا لم يملك عينه وقلبه، وأذهب عقله ولبّه، وانفتح له أبواب الجاه والرياسة والكبر، أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب.

وثالثها: قلب يبتدىء فيه خاطر الهوى فيدعوه

---

(١) الأنعام / ١١٠.
(٢) مسند أحمد، ٣/ ١١٢.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب عجائب القلب، باب بيان سرعة تقلب القلب، ٧/ ٣٠٢.
(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب، ح ٢٠، ٩/ ٢١٢.
(٥) الفرقان / ٤٣.
(٦) الفرقان / ٤٤.

إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير، وإذا نصحه العقل يرده الشيطان، فلا يزال القلب يتردد بين الجندين متجاذبًا بين الحزبين إلى أنْ يغلب أحدهما، إما حاكم العقل إنْ غلب على القلب جند الصفات الملائكة[١]، أو حاكم الشهوة إنْ غلب جند الصفات الشيطانية، وكل ذلك تابع لسابق القضاء. فمن خلق للجنة يسّرت له الطاعات وأسبابها، ومن خلق للنار يسّرت له أسباب المعصية. ومع ذلك يقول له الشيطان: إنّ الله غفور رحيم فلا تبالِ، وإنّ العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدًا. ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[٢]، فكل ذلك بقضاء الله وقدره. ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٣]، فتعالى الله الملك الحق، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

علم الشروط والسجلات(*)

وهذا باعتبار اللفظ من فروع علم الإنشاء، وباعتبار مدلوله من فروع علم الفقه. وهو علم يبحث فيه عن إنشاء الكلمات المتعلقة بالأحكام الشرعية. وموضوعه ومنفعته ظاهران، ومباديه علم الإنشاء وعلم الفقه. وله استمداد من العرف، والكتب في هذا العلم كثيرة يجدها من يطلبها.

علم الشروط والسجلات(**)

وهو علم يبحث فيه عن كيفية سوق الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات في الرقاع والدفاتر ليحتج بها عند الحاجة إليها، وهذا باعتبار لفظه من فروع علم الإنشاء، وباعتبار مضمونه وفحواه من فروع علم الفقه. وقد مرّ ذكره في فروع علم الإنشاء.

علم الشعبذة والتخيلات(***)

والأخذ بالعيون المخيلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ما هو عليه. والشعبذة وقد يقال الشعوذة بالواو مكان الباء معرب شعباذة، وهي إسم رجل ينسب إليه هذا العلم. وهو علم مبني على خفة اليد بأن يري الناس الأمر المكرر واحدًا لسرعة تحريكها، والواحد مكررًا، ويرى الجماد حيًا ويخفي المحسوس عن أعين الناس، بلا أخذ من عندهم باليد، إلى غير ذلك من الأحوال التي يتعارفها الناس بالإنية[٤] دون اللمية[٥]. وهذا ليس من السحر في شيء،

---

(١) كذا في الأصل، ولعلّه: الملكيّة.
(٢) النساء / ١٢٠.
(٣) الأنعام / ١٢٥.
(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، من شعب الدوحة الثانية في علوم تتعلّق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلّف لها.
(**) يتبع هذ العلم المطلب السابع في فروع علم الفقه، ضمن مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن شعب الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلّف لها.
(***) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٤) الإنية: الأرجح أنّ المقصود هنا برهان الإن، وهو ما لم يكن الحدّ الأوسط فيه علّة للحدّ الأكبر، ويسمّى قياس الدلالة. وقيل العلوم اليقينية ثلاثة: أحدها اليقين بوجود الشيء فقط، وهو علم الوجود، وقوم يسمّونه علم إنّ الشيء. والثاني اليقين بسبب وجود الشيء فقط، وقوم يسمّون هذا العلم لِمَ الشيء، والثالث اليقين بهما جميعاً. (الفارابي، المنطق عند الفارابي، البرهان، ص ٢٩)
(٥) اللميّة: الأرجح أنّ المقصود هنا برهان لِمَ، وحرف لِمَ هو حرف السؤال، يطلب به سبب وجود الشيء أو سبب وجود الشيء لشيء، كأنّه قال لماذا. وهذا السؤال يعلم وجوده أولّا إمّا بنفسه وإمّا بالقياس. (الفارابي، الحروف، ص ٢٠٤). وبرهان اللِمَ هو ما يكون الحد الأوسط فيه علة للحد الأكبر ويسمّى قياس علّه. فالبرهان الذي يفيد لِمَ ذلك الشيء يكون بالعلّة القريبة له (ابن رشد، تلخيص منطق أرسطو، البرهان ص ٤٠٦).

لكن لشبهه به في رأي العين جعلناه من فروعه. وأما الآلات الموضوعة على ضرورة عدم الخلاء كقدحي العدل والجور ودوران الساعات وجر الأثقال. وله أسباب يقينية، من اطلع عليها قدر على مثلها. وهذا العلم من فروع الهندسة حقيقة، فلذلك أخرناها إلى هناك، وإن كان لعدّه من السحر نوع سبيل.

علم الصبر والشكر(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في فضيلة الصبر وحقيقته:

أما فضيلته فقد وردت في الآيات والأخبار والآثار بحيث لا يحتاج إلى ذكرها.

وأما حقيقته ومعناه فهو مقام من مقامات الدين، ومنزل من منازل السالكين، وذلك معرفة تتبعها حالة ثم تثمر كلاهما المسمى بالصبر عملًا.

وتفصيل ذلك أنّ للبهائم شهوة بلا عقل، وللملائكة عقل بلا شهوة، وللإنسان كلاهما معًا. والصبر مقاومة العقل الشهوة فهو مخصوص بالإنسان دون البهائم لنقصانها، ودون الملائكة لكمالهم. فالصبر ثبات القوة المضادة للشهوة في مقاومتها. ثم إنّ الصبر نصف الإيمان، لأنّ التصديق بالمعارف والأعمال هو الإيمان، وحاصل التصديق بالمعارف اليقين وحاصل التصديق بالأعمال الصبر، إذْ لا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلاّ بالصبر، فهو نصف الإيمان بهذا الاعتبار.

أيضًا ربما يطلق الإيمان على الأحوال المثمرة للأعمال لا المعارف. والأعمال إمّا ضار في الدنيا والآخرة، أو نافع فيهما، وله الصبر في الأول والشكر في الثاني، ولهذا قال ابن مسعود: الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، وقد يرفع إلى رسول الله ﷺ.

وأيضًا، لما كان الصبر مقاومة بواعث الهوى وكان الهوى قسمين: الشهوة والغضب، وصار الصوم دافعًا للشهوة دون الغضب، قال رسول الله ﷺ: «الصوم نصف الصبر»(١)، فيكون الصوم ربع الإيمان، فهكذا ينبغي أنْ يفهم تقديرات الشرع لحدود الأعمال، والحدود ليس تلك التقديرات مما يرمى به جزافًا كما توهمه الجهلة أرباب الضلال.

ثم إنّ الصبر يُسمّى بأسام مختلفة، فيظنّ الجهال أشياء متغايرة. مثلًا: الصبر عن شهوة الفرج يُسمّى عفّة، وعن مصيبة يخص باسم الصبر ويضاده الجزع والهلع، وعن الغنى يسمّى ضبط النفس ويضاده البطر، وعن القتال والحرب يسمّى شجاعة ويضاده الجبن، وعن الغضب حلمًا ويضاده التكبر، وعن إفشاء الكلام يُسمّى كتمان السِّر، وعن فضول العيش يُسمّى زهدًا ويضاده الحرص، وعن العيش اليسير يُسمّى قناعة ويضاده الشَّرَه. فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر، ولذلك قال رسول الله ﷺ «لما سئل عن الإيمان: هو الصبر»(٢)، وذلك لأنه أكثر أعماله وأعزها، وقد جمع الله تعالى هذه الأقسام وسماها صبرًا فقال: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾ أي المصيبة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ أي الفقر ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ أي المحاربة ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٣).

(*) هذا هو الأصل الثاني من أصول: الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(١) مسند أحمد، ٤/ ٢٦٠.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب بيان الأسامي التي تتجدّد للصبر، ٩/ ١٧.

(٣) البقرة / ١٧٧.

المطلب الثاني:

في أقسام الصبر بحسب القوة والضعف، وهي ثلاثة:

أحدها: أن يقهر داعي الهوى ويسقط بالكلية منازعة باعث الدين فتسلم نفسه إلى جند الشيطان، وهؤلاء هم الغافلون، وهم الذين غلبت عليهم شقوتهم واسترقتهم شهواتهم. وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق.

وثالثها:[1] أن يكون الحرب سجالًا بين الجندين، فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه، وهذا من المجاهدين لا من الفائزين، وهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا.

وأقسامه باعتبار عدد ما يصبر عنه ثلاثة أيضًا: لأنه إما أنْ يغلب جميع الشهوات، أو بعضها دون بعض، أو لا يغلب شيئًا منها، وهذا كالأنعام بل هم أضل.

وأقسامه باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس ولا يمكن الدوام عليه إلاّ بجهد جهيد وتعب شديد، ويسمّى تصبرًا، وإلى خلاف ما ذكر يسمّى صبرًا. قال بعض العارفين: أهل الصبر ثلاث مقامات: أولها ترك الشكوى وهذه درجة التائبين. والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين. والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين.

وأيضًا الصبر إمّا فرض كالصبر عن المحرم، ونفل كالصبر عن المكاره، ومكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع، ومحرم كالصبر على الأذى المحظور.

المطلب الثالث:

في أنّ العبد لا يستغني عن الصبر في كل حال.

وذلك لأنّ الصبر إما على ما يوافق الهوى، وهو الصحة والمال والجاه واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور، إذْ لو أرسل نفسه إلى الملاذ المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، وإما على ما لا يوافق الهوى والطبع، وذلك إمّا مختار للعبد كالمعاصي والطاعات، أو ليس مختارًا له كالمصائب والنوائب، أو لا يكون أوله مختارًا ولكن يقدر على إزالته كالتشفي بالانتقام.

والضرب الأول إنْ كان طاعة يحتاج العبد إلى الصبر عليها لأنّ النفس تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية، حتى قيل: ما من نفس إلاّ وهي مضمرة ما أظهره فرعون إلاّ أنه لا يجد مجالًا وقبولًا.

ثم الصبر على الطاعة إمّا قبلها وذلك في تصحيح النية وتحصيل الإخلاص وذلك من أشد الصبر، وإما حالة العمل، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور وعن كونها لغير الله، وإمّا بعد الفراغ عن العمل بأنْ يصبر عن إفشائه والعجب. ثم الطاعات إمّا فرض أو نفل ويحتاج إلى الصبر عليهما.

والضرب الثاني المعاصي، وما أحوج العبد إلى الصبر عنها سيما التي صارت مألوفة بالعادة.

والضرب الثالث ما لا يكون هجومه باختياره ولكن له اختيار دفعه، كما لو أوذي فصبر عليه، وهذا الصبر يكون واجبًا تارة وفضيلة أخرى.

والضرب الرابع ما لا يدخل تحت الاختيار أوله وآخره، مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض والعمى، فالصبر على هذه الأمور من أعلى المقامات إلاّ أنّ الصبر على المصائب بترك الجزع وشقّ الجيوب وضرب الخدود وإظهار الكآبة والمبالغة في الشكوى، وهذه داخلة تحت اختياره، ولا يخرجه عن حدّ الصابرين توجّع القلب وفيضان العين بالدمع، فإنّ

---

(١) كذا في الأصل.

ذلك مقتضى البشرية، فظهر مما ذكر أنّ الإنسان لا يخلو عن الصبر في حال من أحواله.

المطلب الرابع:

في معالجات مؤدية إلى الصبر:

ولنورد مثالين، ثم قس بواقيها عليها. مثلًا: باعث الجماع يعالج بأمور ثلاثة: قطع مادتها كالأغذية المهيجة لشهوة الوقاع فيتركها سيّما اللحم. وثانيها قلع أسبابه المهيجة له في الحال كالنظر إلى الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية. وثالثها تسلية النفس بالمباح الذي تشتهيه كالنكاح وملك اليمين.

وأيضًا من أشد أنواع الشهوات حديث النفس ووسواس الشيطان، وإنما يشتد ذلك على من تفرغ لقطعه، ولا علاج له البتة إلاّ قطع العلائق كلها ظاهرًا وباطنًا بالاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت، وبعد القناعة، ثم لا يمكن له ذلك إلاّ بأنْ يجعل همومه همًا واحدًا وهو الله، ومع ذلك إذا غلب على القلب لا يكفي ما ذكر ملكه الفكر والسير الباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله وسائر أبواب معرفة الله. وإنْ لم يكن له سير في الباطن فلا ينجيه إلاّ الأوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات، ويحتاج إلى تكلّف القلب الحضور، وإذ انتظم كلّ ذلك لا يسلم له من الأوقات إلاّ بعضها.

المطلب الخامس:

في الشكر:

وفضيلته في الآيات والأخبار والآثار لا تخفى على أولى الأبصار.

وأما حقيقتها[1] فتعلم من علم يورث حالًا وحال يورث عملًا.

أمّا العلم فبمعرفة النعمة والمنعم والمنعم عليه، هذا في غير الله تعالى. وأما في حقه تعالى فلا يتم إلاّ بانْ يعرف أنّ النعم كلها من الله والوسائط مسخّرون من جهته، وهذه المعرفة تتبع التوحيد إذْ لا موجود إلاّ منه تعالى، فتنحصر النعمة فيه أيضًا، كما أنّ التوحيد يتبع التقديس إذْ لا مقدس إلاّ واحد ولا مقدّس غيره. وعن هذه الأمور عبّر رسول الله ﷺ حيث قال: «من قال سبحان الله فله عشر حسنات، ومن قال لا إله إلاّ الله فله عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة»[2]. إلاّ أنّ المراد تأثير هذه الكلمات بالقلب لا مجرد تحريك اللسان بها.

ثم إنّ المعرفة المذكورة تستثمر حالًا وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو شكر، كما أنّ المعرفة شكر، لكن كونه شكرًا مشروط بأنْ يكون الفرح بالمنعم لا بالنعمة والإحسان والإنعام. وبالجملة، الفرح بالنعمة من حيث إنّها مال ليس من الشكر أصلًا. والفرح بها من حيث يستدل به على عناية المنعم ونيل المحل والقبول عنده، وهذا شكر الصالحين الذين يعبدون الله تعالى ويشكرونه خوفًا من عقابه ورجاءً لثوابه.

وأما الفرح بالنعمة من حيث إنّ له محلًا عند الملك لكن لا يقنع بهذا القدر، بل يفرح من حيث يتدرج به إلى القرب منه، ولكون[3] محل نظر المنعم، ويتوسل بذلك إلى النظر إلى وجه المنعم والنزول في جواره، فهي الرتبة العليا للشكر. وأمارته أنْ يفرح من الدنيا لكونها مزرعة للآخرة، ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله.

ثم الفرح المذكور له عمل بموجبه، وذلك العمل إمّا بالقلب وهو قصد الخير وإضماره لكافة الخلق، وإمّا باللسان فإظهار الشكر لله

---

(١) كذا في الأصل، ولعلّه: حقيقته. وفي المصرية: حقيقته.

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب بيان حدّ الشكر وحقيقته، ٩/٤٩.

(٣) كذا في الأصل، وفي المصرية، يكون.

بالتحميدات الدالة عليه، وإمّا بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى إنّ شكر العينين أنْ يستر كل عيب يراه لمسلم، وشكر الأذنين أنْ يستر كل عيب يسمعه، والشكر باللسان إظهار الرضا عن الله وهو مأمور به، وهكذا في كل عضو. فهذه هي حقيقة الشكر.

وأما الحدود الواقعة فأكثرها قاصر عن أداء مجموعه. مثلًا: قول من قال: الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى فعل اللسان وبعض أحوال القلب. وقول حمدون القصار(١): شكر النعمة أنْ ترى نفسك فيها طفيليًا، إشارة إلى أنّ المعرفة معنى من معاني الشكر فقط. وقول الجنيد: أن لا ترى نفسك أهلًا للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص. والحد الأقرب إلى جمع أكثر المعاني قول القائل: الشكر الاعتكاف على بساط الشهوة بإدامة حفظ الحرمة، وإنما يشذ من ذلك عمل اللسان فقط.

المطلب السادس:

في الشكر في حقّ الله:

قال بعضهم: الشكر محال في حقه تعالى لوجهين:

أحدهما: أنّه منزّه عن الحظوظ والأغراض، مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والثناء وتكثير سواد الخدم من الراكعين والساجدين.

وثانيهما: إنّ جميع ما نتعاطاه باختيارنا من جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر أسباب حركاتنا من خلق الله ونعمته، فكيف نشكر نعمة بنعمة. وإذا كان طريق الشكر نعمة أخرى تحتاج إلى شكر آخر، وإذا احتاج الشكر إلى شكر في كل مرتبة تؤدي إلى أنْ يكون الشكر محالًا في حق الله من هذين الوجهين.

وقد خطر هذا الخاطر لداود وموسى عليهما السلام فقال كل منهما: يا ربّ، كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلاّ بنعمة ثانية من نعمك. وفي لفظ آخر: وشكري لك نعمة أخرى منك توجب عليّ الشكر لك. فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني. وفي خبر آخر: إذا عرفت أنّ النعم مني رضيت منك بذلك شكرًا.

إذا عرفت ذلك، لعلك تفهم استحالة الشكر لله عزّ وجلّ، وتعجز عن درك كون العلم باستحالة الشكر شكرًا، فنقول: إنّ من نظر بعين التوحيد المحض يعرف أنّه الشاكر والمشكور والمحبّ والمحبوب، ونظر من لم يبلغ هذه الرتبة، وهؤلاء قسمان: قسم لم يثبتوا إلاّ وجود أنفسهم فأنكروا أنْ يكون لهم ربّ يعبد، وهؤلاء العميان المنكوسون، وهؤلاء جاحدون. وقسم ليس بهم عمى ولكن بهم عور يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق، ولا يرى بأخراها فناء ما سواه. وبالحقيقة هذا مشرك إذْ أثبت موجودًا يماثل وجود الحق، لكن لما الأول(٢) بأنّه ربّ والآخر بأنه عبد دخل بهذا التفاوت في حد التوحيد، لكن لا تخلو عينه عن عمش، لكن إنْ كحّل بصره بأنوار الحق يظهر له نقصان ما عداه. وهكذا تتفاوت الدرجات إلى أنْ يرى ما سواه فانيًا، ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى.

ثم هذا قد يلوح لبعضهم كالبرق الخاطف، ومنهم من يثبت له ذلك، ولكن لا يدوم، والدوام فيه عزيز.

وكل إلى شأوِ العلى حركاته
ولكن عزيز في الرجال ثباته

ولما أمر ﷺ بطلب القرب، فقيل له:

(١) هو حمدون بن أحمد بن عمارة القصّار النيسابوري، أبو صالح، توفي عام ٢٧١ هـ/ ٨٨٤م. صوفي، عالم، فقيه، له طريقة خاصّة به. وله أقوال وأخبار انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢٧٤.

(٢) كذا في الأصل.

﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾[(١)]، قال في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك»[(٢)]، حيث لم ير إلاّ الله وأفعاله، واستعاذ بفعله من فعله. ثم اقترب وقال: «أعوذ برضاك من سخطك»، حيث ترقّى من مشاهدة الأفعال إلى مشاهدة الصفات. ثم اقترب وقال: «أعوذ بك منك»، حيث ترقّى من مشاهدة الصفات إلى الفرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة، لكنه رأى نفسه، ثم اقترب حتى فني عن مشاهدة نفسه إذْ رأى ذلك نقصانًا، واقترب فقال: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك». فقوله لا أحصي ثناءً عليك تعبير عن فناء نفسه. وقوله: أنت كما أثنيت على نفسك بيان أنّه المثني والمثنى عليه، وأنّ الكل منه بدأ وإليه يعود، وأنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجهه، فكان أول مقامه نهاية مقامات الموحّدين، ومع ذلك كان يرى كل مرتبة بعدًا بالقياس إلى ما بعده. ولذلك قال: إنّه ليغان على قلبه، وكان أول أمر الله آخر مقامات الموحّدين. هذا نظر التوحيد.

وأما نظر غيره ففيه الشاكر والمشكور والشكر. ثم إنّ نعم الله تعالى آلات إنْ استعملها في الطاعة شكر لموافقته محبة مولاه، وإنْ لم يستعملها في الطاعة واستعملها في المعصية كفر للنعمة للتضييع، وكل ما في الدنيا خلق آلة للعبد يتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله. فالمعصية والطاعة تشتملها المشيئة، ولكن لا تشتملها المحبة والكراهة، بل ربّ مراد محبوب وربّ مراد مكروه.

وإذا عرفت هذه المقامات فقد ظهر لك توجيه الإشكالين المذكورين وذلك لأنّ المراد بالشكر ليس إلاّ انصراف نعمة الله في جهة محبة الله، فإذا انصرفت في جهة المحبة بفعل العبد لفعل الله فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله.

ومن حيث إنه فعله فقد أثنى عليك، وثناؤه نعمة أخرى منه إليك، فهو الذي أعطى، وهو الذي أثنى، وصار أحد فعليه سببًا لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبة الله، فله الشكر على كل حال.

وأنت موصوف بأنّك عالم وعارف ولا بمعنى أنك خالق علم وموجد بل بمعنى أنّك محل له، وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك، فوصفك بأنك شاكر إثبات مشيئة، فقول رسول الله ﷺ: «إعملوا وكل ميسر لما خلق له»[(٣)]، يريد به: أنّ الخلق مجاري قدر الله ومحل أفعاله، وإنْ كانوا هم أيضًا من أفعاله، ولكن بعض أفعاله محل لبعض. وقوله: إعملوا، وإن كان جاريًا على لسان رسول الله ﷺ فهو فعل من أفعال الله عزّ وجلّ، وهو سبب لعلم الخلق بأنّ العمل نافع، وأنّ عليهم[(٤)] فعل من أفعال الله، والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة بالطاعة، وانبعاث الداعية أيضًا من فعل الله وهو سبب لحركة الأعضاء، وهي أيضًا من أفعال الله، ولكن بعض أفعاله كان سببًا لبعض أفعاله، أي الأول شرط للثاني، أي أنه لا يستعد لقبول العلم إلاّ ذو حياة، ولا لقبول الإرادة إلاّ ذو علم، فيكون بعض أفعاله سببًا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أنّ بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره، وهذا إذا حقق يرتقي إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه.

واعلم أنّ هذا التمهيد مما لا تجده في كتب أحد، فلا تغفل عن تحصيله وإذعانه. ثم إنك إذا عرفت ذلك لعلك تتبع شيطان الوهم، ونقول: وإذا لم يكن إلينا شيء بل رجع الكل إلى الله فلا

(١) العلق / ١٩.

(٢) [أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، أعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك. .] سنن النسائي، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة برضاء الله من سخط الله تعالى، ح ٥٥٣٤، ٨/ ٢٨٤.

(٣) سنن ابن ماجة، المقدّمة، باب في القدر، ح ٧٨، ١/ ٣١، بلفظ «فكل».

(٤) في الأصل: عليهم، وهو تصحيف ظاهر، والصواب: علمهم، وفي المصرية: علمهم.

نذم أصلًا، فلا حاجة إلى الطاعة.

فنقول: إعلم أنّ قول الله تعالى: ﴿اَعۡمَلُواْ﴾ سبب لحصول اعتقاد فينا بوجوب العمل، وذلك سبب لهيجان الخوف، وهو سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله، والله مسبب الأسباب ومرتبها. فمن سبق له في الأزل السعادة يسرت له هذه الأسباب حتى تعوده بسلسلتها إلى الجنة، ويعبر عن مثله بأنّ كلًا ميسّر لما خلق له، ومن لم يسبق من الله له الحسنى بعد سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء، فإذا لم يسمع لم يعلم، وإذا لم يعلم لم يخف، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقي في حزب الشيطان، وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين.

وإذا عرفت هذا، تعجبت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل، فما من أحد إلاّ وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب، وهو تسليط العلم والخوف عليه، وما من مخذول إلاّ وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه. فالمتقون يساقون إلى الجنة قهرًا، والمجرمون يقادون إلى النار قهرًا، ولا قاهر إلاّ الواحد القهار، ولا قادر إلاّ الملك الجبار، وعند معاينة هذا يسمع نداء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، وذلك كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص. ولكن الغافلين لا يسمعونه إلاّ ذلك اليوم على الخصوص. نعوذ بالله من الجهل والعمى فإنّه أصل أسباب الهلاك والعياذ بالله.

المطلب السابع:

واعلم أنه لا بد في تحصيل الشكر من معرفة ما خلق كلّ شيء له، وطريقه الآيات والأخبار، وذلك ظاهر. وأما النظر بعين الاعتبار وهذا عسير جدًا، ولهذا احتيج إلى إرسال الرسل.

مثلًا: كلّ شيء في العالم له حكمة إمّا جلية كالضياء من الشمس والمطر من الغيم، أوْ دقيقة كالحكمة من الكواكب السيارة وغيرها. ثم كل ذرة لا تخلو عن حكم كثيرة من واحد إلى عشر بل إلى ألف، فمن استعمل شيئًا فيما خلق له من الحكمة صار شكرًا، وإلاّ صار كفرًا. مثلاً اليد خلقت ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه، ويأخذ ما ينفعه، لا ليهلك بها غيره. فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد، وكذا لو استنجى باليمين فقد كفر ما خلقت له اليمين من استعمالها في أشرف الأمور، وكذا البصر مثلًا إنها خلقت العينان لينظر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما. فمن نظر إلى وجه غير المحرم فقد استعملهما في غير ما أريدتا له، فكفر نعمة الإبصار، وهكذا في سائر الأعضاء.

فإنْ قلت: إذا كان الكل راجعًا إلى فعل الله تعالى فكيف يكون العبد موصوفًا بالشكر والكفران؟ فاعلم أنّ تمام تحقيق هذا المقام لا يعرفه إلاّ من علم منطق الطير، ولا يجهله إلاّ من عجز عن الإيضاع في السير.

وإجمال هذا هو: أنّ صفات الله تعالى أجلّ وأعلى من أن يلحقها عين واضع اللغة حتى يعبّر عنها بعبارة تدلّ على كنه جلالها، فانخفضت عن ذروتها أبصارهم، فاستعاروا من حضيض البشرية أمورًا لها مناسبة معها تناسبًا ضعيفًا جدًا، فاستعاروا لها اسم القدرة مثلًا، وكذا المشيئة مع قصور اللفظين عن كنه جلال ذينك الوصفين.

ثم الأفعال الصادرة عن القدرة إمّا أن ينساق إلى غاية حكمتها أو يقف دونها. ثم إنّ هذين من حيث نسبة المشيئة إلى الأول يسمّى محبوبًا، وإلى الثاني مكروهًا. ثم تعلق صفة المشيئة في الأزل إلى بلوغ شخص نهاية حكمته بتسليط دواعيه عليه قهرًا يسمّى رضى، وتعلقها في الأزل إلى وقوفه دون نهايتها باستيقاف دواعيه عن ذلك قهرًا يسمّى غضبًا.

ثم إذا ظهر هذا التقدير الأزلي في الشخص أما في الأول فيسمّى الشكر، ويردفه بالثناء، وأما

في الثاني فيسمّى بالكفران ويتبعه نقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال، فحاصله إنْ أعطي الجمال فأثني عليه وأعطي النكال فقبحه، كملك أعطى لمملوكه الثياب النفيسة وكسى هواياه ثم وصفه الملك بالجمال، وكذا في ضده فهو المثني والمثنى عليه بكل حال، فكأنه أثنى على نفسه من حيث المعنى، وليس العبد إلاّ حرف الثناء من حيث الظاهر والصورة. هكذا تسلسلت الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب.

ولما لم يكن ذلك عن اتفاق وبحث، بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء، فهو كلمح البصر، ثم استعير لترتيب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر، فالقضاء إجمال وأمر واحد كلي، والقدر تفصيل ذلك.

وأما إذا خطر ببالك أنّ القسمة لماذا يكون على هذا فتلجم عنه ذلك لسانك بلجام المنع ويقال لكم: اسكتوا، لا يسأل عما يفعل وهم يُسئلون. ويقال: إذا ذكر القدر فأمسكوا وتأدّبوا بأدب الله عزّ وجلّ، فإنّ للحيطان آذانًا. وغاية خطاك أنّك تقول: فعلي، وأضفت ذلك إلى نفسك بل هو الذي صرف داعيتك ثم جعله على وجه العدل، حيث خصّ الفعلة المحبوبة بالشخص المحبوب والمكروه بالمكروه، إنما مثلك مثل صبي يرى المشعوذ فيرى حركة الصور في الليل المظلم من الصور لا من المشعوذ.

وظهر بما مرّ أنّ أشكر العباد أحبهم، وذلك كالملائكة في السماء والأنبياء في الأرض، وأعلى الملائكة إسرافيل، وأعلى الأنبياء محمد صلوات الله عليهم أجمعين، إذْ أعطى له الدين والملك والسلطنة ولم يعط هذه كلها إلاّ له ﷺ. وأيضًا أكمل الله الدين به وختم به النبيين. ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم صلحوا وصلح بهم الناس. ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنّ صلاح الدنيا بهم كما أنّ صلاح الآخرة بالعلماء. ثم يليهم الذين أصلحوا أنفسهم فقط من الصلحاء غير العلماء، ومن عدا هؤلاء الطوائف فهمج رعاع.

واعلم أنّ السلطان لكونه قوام الدين والدنيا لا ينبغي أنْ يستحقر وإنْ كان ظالمًا فاسقًا. وفي الحديث: «سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر، فإنْ أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر، وإن أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر»[1]. قال سهل: من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل.

المطلب الثامن:

في حقيقة النعمة وأقسامها:

إعلم أنّ كل لذة وخير وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر نعمة وسعادة وإنْ كانت نافعة في الدارين فهي النعمة حقيقة، كالعلم وحسن الخلق. وإنْ كان ضارًا فيهما فهو البلاء تحقيقًا، كالجهل وسوء الخلق. وإن كان نافعًا في الحال ضارًا في المآل فهو البلاء عند ذوي الأبصار، والنعمة عند ذوي الجهل كالشهوات، وإن كان بالعكس فبالعكس كمخالفة الشهوات. ثم إنّ الأمور الدنيوية إمّا نفعه أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال أو بالعكس كالمال الكثير والجاه الواسع، وإمّا ضرره يكافىء نفعه وهذا يختلف بالأشخاص، إذْ ربّ إنسان لا يتضرر بالأموال العظيمة، وبعض منهم يتضرر بأقل منها.

واعلم أنّ الخيرات إمّا أنْ تؤثر لذاتها أو لغيرها أو لهما معًا، والأول النظر إلى وجه الله تعالى، والثاني كالدراهم والدنانير فإنها وسائل فقط وإلاّ فهي والحصى سواء، الثالث كالصحة

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب الركن الثاني من أركان الشكر، ٧٨/٩.

والسلامة.

واعلم أيضًا أنّ الخيرات إمّا نافعة أو جميلة أو لذيذة. فاللذيذ هو الذي يستحسن في سائر الأحوال، وكذا الشرور إمّا ضار أو قبيح أو مؤلم. ثم إنّه قد يجتمع هذه الأوصاف، أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنّها نافعة ولذيذة وجميلة عند أهلها، وكذا ضده وهو الجهل في جميع الأوصاف الثلاثة للشر فإنّه ضار ومؤلم وقبيح، وقد يجتمع بعض هذه مع بعض كقطع الاصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن فإنّ هذا نافع مؤلم.

وقد يكون شيء نافعًا من وجه وضارًا من وجه آخر كإلقاء المال في البحر لنجاة صاحبه. وأيضًا النافع إما ضروري كالإيمان وحسن الخلق، أو غير ضروري كالسكنجبين في تسكين الصفراء، إذْ ربما يقوم غيره مقامه.

ثم إنّ اللذة إما عقلية كلذة العلم والحكمة وهي أشرف اللذات عند من يعرفها كما عرفت عند ذكرنا فضيلة العلم والحكمة، وأظهر شرفها أنّه الباقي في أبد الآباد، ولا يمتد إليها أيدي الغاصبين، ولا ينالها ألسن السلاطين بالعزل، وإمّا بدنية وهي إمّا مشتركة مع بعض الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء، وذلك موجود في الأسد والنمر وغيرهما، أو مع جمعها كلذة البطن والفرج، وهذا أكثرها وأخسها، ولذلك شارك الكل فيها.

ثم شره البطن والفرج مما يقوى عليه الصالحون، وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الصديقون، حتى قيل: آخر ما يخرج من قلوب الصديقين الرياسة. فقمع شهوة الرياسة بالكلية لا يقع، وإنْ وقع ففي بعض الأحوال عند غلبة لذة معرفة الله تعالى.

ثم اعلم: أنّ القلوب أربعة: قلب لا يحب إلاّ الله تعالى، وهذا في غاية الندرة. وقلب لا يلتذ إلاّ بالرياسة والشهوات ولا يدري غيرها، وهذا كثير. وقلب يغلب عليه التلذذ بالصفات البشرية. وقلب يغلب عليه التلذذ بمعرفة الله تعالى، وهذان في غاية الندور، ومع ندرتهما تتفاوت قلة وكثرة، لأنّ ذلك يقل إذا بعدت الأعصار عن عصر النبوة، ويزداد قلة إلى أنْ تقرب الساعة ويقضي الله أمرًا كان مفعولًا. وسبب قلة هذا القلب أنّ عالم الشهادة مرآة لعالم القلب وتابع له، كما أنّ الصورة في المرآة تابعة للشخص وثانية له في رتبة الوجود إلاّ أنّها متقدمة عليه في المعرفة، كذلك عالم الشهادة متقدم على عالم الغيب في المعرفة وإن كان تابعًا له في الوجود، فلذلك كان أكثر الناس مقصور النظر على ما هو مقدّم في المعرفة، وقريب منه أعني عالم الشهادة، وقليل منهم يعبر منه إلى عالم الغيب ويستدل بالصورة على الأصل، وهذا الذي يسمّى عبرة عند العلماء.

واعلم: أنّ النعمة تنقسم أيضًا إلى نعمة هي غاية الغايات، وذلك سعادة الآخرة، وهي أربعة: بقاء لا فناء له، وسرور بلا غم، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر معه، وهي النعمة الحقيقية، وإلى وسائل هي أربعة أنواع:

أحدها: الأقرب والأخص كالفضائل النفسانية، وهي الإيمان وحسن الخلق، والأول علوم المكاشفة، والثاني علوم المعاملة. وهي إمّا ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه الفقه، وإمّا مراعاة العدل في الكف عن الشهوات حتى لا يخسر الميزان ولا تطغى فيه واسمه العفة. فهذه أربعة: علم مكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة.

وثانيها: الفضائل البدنية وهي متممة للنوع الأول، وهي أيضًا أربعة: الصحة والقوة والجمال وطول العمر.

وثالثها: وهي النعم الخارجة عن البدن وهي أيضًا أربعة ومتممة للنوع الثاني: المال والأهل والجاه وكرم العشيرة.

ورابعها: الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة، وهي أربعة أيضًا: هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده.

ثم إنك قد عرفت فوائد المال والأهل فيما مرّ، وكذا العزّ والجاه يمكن أن تستعان[1] به النفس إلى طريق الآخرة، إذْ يدفع عن الإنسان الظلم والضيم الشاغلين عن المعرفة. ولذلك كان علماء الدين طلبوا الجاه قدر ما يستعان به في أمره ومطلبه.

وأما ذمّ المال والجاه في الأحاديث والأخبار فلا ينافي ما ذكر، إذْ الحية فيها ترياق وسمّ، فكذا المال والجاه. ولعلك قد نبهت على التمييز بين القدر النافع والقدر الضار فيما سبق. وكذا كرم العشيرة، ولذلك جعلت الأئمة من قريش. لكن المراد عشيرة الأنبياء والعلماء والصلحاء لا عشيرة الملوك والظَلَمة. وكذلك لا خفاء في الحاجة إلى الصحة والقوة وطول العمر.

وأما الجمال فإنّه أقرب إلى الإجابة وجاهه في الصدور أوسع، فصار بمنزلة الجاه والمال. وأيضًا الجمال في الأكثر دال على فضيلة النفس لأنّ نور النفس إذا تمّ إشراقه تأدى إلى البدن، فالمنظر والمخبر كثيرًا ما يتلازمان، وعلى هذا يبتنى علم الفراسة.

وأما التوفيق فلا يستغني عنه أحد لأنّه عبارة عن التأليف بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره من حيث وصوله إلى السعادة له.

إذا لـم يـكـن عـون مـن الله لـلـفـتـى
فـأكـثـر مـا يـجـنـى عـلـيـه اجـتـهـاده

وأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلاّ بها، إذ الإنسان لا يقدر على تمييز الصلاح من الفساد إلاّ بالهداية، وهي ثلاث مراتب:

الأولى: معرفة طريق الخير والشر. قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ۝١٠﴾[2] وقد أنعم الله تعالى بهذه الهداية على كافة عباده بالعقل تارة وبالسمع أخرى.

الثانية: التي يمد الله تعالى بها العبد حالًا بعد حال، وهي ثمرة المجاهدة. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[3].

الثالثة: التي وراء الثانية وهي النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة، فيهتدي به إلى ما يهتدي إليه بالعقل وهو الهدى المطلق.

وأما الرشد فنعني به العناية الإلهية التي تتعين للإنسان عند توجهه إلى مقاصده، فتقويه على ما فيه صلاحه، وتفتره عما فيه فساده، ويكون ذلك من الباطن. فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة لكن بشرط أن تحرك داعيته إليها. ولو اهتدى إلى تلك الجهة ولم يتحرك إليها يسمّى مهديًا لا رشيدًا. فالرشد أكمل من مجرد الهداية، وذلك نعمة عظيمة.

وأما التسديد فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليتسدّد في صوب الصواب في أسرع وقت، فإنّ الرشد أيضًا لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد. فالهداية محض التعريف، والرشد هو تنبيه الداعية ليتحرك، والتسديد عناية ونصرة تتحرك الأعضاء في صوب السداد.

وأما التأييد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالتبصرة من داخل، وبقوة البطش ومساعدة الأسباب من خارج، وهو المراد بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[4].

(١) كذا في الأصل.
(٢) البلد / ١٠.
(٣) العنكبوت / ٦٩.
(٤) المائدة / ١١٠

ويقرب منه العصمة، وهي عبارة عن جود إلهي يسنح في الباطن، يقوى به الإنسان على تحرّي الخير ويجتنب الشر، حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس، وهي المراد بالبرهان في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾(١).

فهذه هي مجامع النعم. ولن يستبد بها إلاّ من خوَّله الله من الفهم الصافي الثاقب، والسمع الواعي، والقلب البصير المتواضع المراعي، والمعلم الناصح، والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته، القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفلة السفهاء وظلم الأعداء، وتستدعي كل واحدة من هذه الأسباب إلى ستة عشر سببًا(٢)، وتستدعي تلك الأسباب أسبابًا إلى أنْ ينتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين، وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب. ولو أردت أن تستقصي أسباب نعمة واحدة من النعم كنعمة الأكل مثلًا، وكسرت(٣) عليها المجلدات لبقي ذهنك في حيز الحيرة حسيرًا لأنها تتوقف على معرفة قوة الشهوة والغضب المتوقفتين على الآلات البدنية، لا يفي بذكر شمة منها، ومقدار ما يمكن أن يحيط العقول بها كثير من المجلدات.

وكذا كيفية تولد البدن عن المني في رحم الأم وأطوار خلقه الجنين هناك لا تفي لذكرها المجلدات.

وكذا كيفية تكون الأغذية النباتية والحيوانية وترتيبها بالآباء العلوية والأمهات السفلية، لا تتم في عدة مجلدات.

وكذا كيفية طبعها وإصلاحها واحتياجها إلى آلات من الحديد والحطب والنار، واحتياج هذه الآلات إلى الصناع المحتاجين إلى آلات أخر لا تتناهى، لا يمكن ذكر شمة منها إلاّ في كثير من المجلدات.

وكذا مضغ الأطعمة وكيفية تولد الريق المعين لازلاق اللقمة المتولد من تحت اللسان وكيفية جذب المعدة ذلك، ثم طبخها في المعدة، ثم في الكبد، ثم وصولها إلى البدن، وانقسام فضلاتها إلى طريق آخر، لا يمكن تفصيلها في مجلدات.

ولو ارتقيت إلى معرفة الحواس المعينة، إلى معرفة مضار الأطعمة ومنافعها، وكيفية تحصيلها، ومن جملتها البصر، وأن جرمها الذي هو مقدار جوزة عشر طبقات مركبة، بعضها رطوبات وبعضها أغشية، وبعض تلك الأغشية كالمشيمة، وبعضها كأنها نسج العنكبوت، وبعض تلك الرطوبات كأنها بياض البيض وبعضها كأنه الجمد. وكذا أحوال سائر الحواس بحيث لا يمكن للعقل إحاطة جملها، ولا للسان بيان قدر ما أحاط منها كما هو حقها، ولا للبنان كتابة ما جرى منها على اللسان. وهكذا يتوقف على أسباب وأسباب، إلى حيث يعجز العقل عن ضبط أنواع أسباب فعل واحد، عن الأكل فضلًا عن ضبط أفرادها، وأسباب سائر الأفعال، وعند ذلك تفهم معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾(٤). إلاّ أنك أيها المسكين لا تعرف من النعم إلا نفس الأكل وهو أخسّها، ثم لا تعرف منها أنّك تجوع فتأكل، وتتعب وتنام، ثم تشتهي وتجامع وتستريح، وهذا أيضًا حال الحمار، وأنت في رتبتها. فلا تغفل أيها المسكين عن النظر في ملكوت الله سبحانه، وعجائب صنعه، وحكمة تصنيفه، لأنّ العالم كله من تصنيفه، بل تصنيف المصنفين من تصنيفه

(١) يوسف / ٢٤.
(٢) في الأصل: أسباباً، وهو تصحيف واضح، والصواب ما أثبتناه.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) ابراهيم / ٣٤.

الذي صنفه بواسطة قلوب عباده. إلاّ أنّك تغفل غفلة البهائم، مع أنّك من زمرة الملائكة، لكن ألقي إلى هذه الرتبة جهلك وحمقك وعجزك. فسبحان من ألحق ذوي الأبصار بالعميان، جلّ جلاله وعمّ نواله، ولنترك استقصاء هذا الباب فإنّه طمع في غير طمع[١].

المطلب التاسع:

في السبب الصارف عن الشكر وعلاجه:

واعلم أنّ سببه الجهل والغفلة عن معرفة النعم، وإنْ عرفها فيظنّ أنّ شكرها أنْ تقول بلسانك الحمد لله الشكر لله. وأيضًا سببه بعد معرفتها غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان. أمّا الغفلة عن النعم فلها أسباب:

أحدها: عموم النعمة للخلق كافة كأنهم لا يعدونها نعمة. ألا تراهم لا يشكرون الهواء مثلًا، وهو من أعظم النعم، أو لا يمكن التعيش بدونها ولو ساعة، وهذا جهل عظيم، حيث لا يعدون النعمة الدائمة نعمة، ويعدون ما ينقطع ساعة ثم يعود نعمة، مع أنّ الدائم أحق بالشكر من المنقطع أحيانًا. وطريق معرفة النعمة فرض انقطاعها، فحينئذ يظهر لأهل الغفلة حالها.

روي أنّ ابن السماك[٢] قال لبعض الخلفاء، وفي يده ماء يشربه، وقال: عظني، لو لم تعط هذه الشربة إلاّ بنصف ملكك فهل تبذله؟ قال: نعم. قال: وإنْ لم تخرج من بدنك بعد شربها هل تترك نصفه الآخر؟ قال: نعم. قال: فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء ولا دفعها عن بدنك. وبهذا تبين أنّ شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كله.

على أنْ كل أحد يظنّ أنّه يخص من بين الناس بعقل لا يشاركه فيه الناس، ويظنّ أنّه على خلق كريم لا يشوبه العيب، بخلاف سائر الناس. وأيضًا يعتقد فيه علمًا امتاز به عن الناس. ثم إنْ كان هذا الظن واقعًا في نفسه يلزمه الشكر لا محالة، وإنْ لم يكن واقعًا إلاّ أنّ الله تعالى ستر قبيحه عن الناس، وأظهر لهم الجميل من العقل والخلق والعلم، فكذلك يلزمه الشكر.

ثم نقول إنّ كل أحد رزقه الله تعالى أمورًا لو أعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به من صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته، أو أهله أو ولده، أو مسكنه، أو بلده، أو رفيقه أو اقاربه، أو عزه أو جاهه، أو سائر محابه. فإذًا، لله عليه نعمة ليست على أحد من عباده سواه، فينبغي أن يشكرها.

وأيضًا من النعم ما فيه عموم، ولكن لو تبدلت بأضدادها لم يرض بها، مثل: أنْ جعله مؤمنًا لا كافرًا، وحيًا لا جمادًا، وإنسانًا لا بهيمة، وذكرًا لا أنثى، وصحيحًا لا مريضًا، وسليمًا لا معيبًا.

وأيضًا عدد المغبوطين عنده أقل من غيره بكثير، فكيف لا ينظر من هو من دونه حتى لا يزدري نعم الله، كما أنه ينظر إلى من دونه في الدين ويتعذر بكثرة الفساق، مع أنّ دنياه لا تساوي دينه.

فعليك أنْ تتأمل كلام أفصح من نطق بالضاد حيث قال ﷺ: «من أصبح معافى في بدنه، آمنًا في سربه، وله قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[٣]. سيّما زمرة العلماء، فإنّ نعمة العلم أعظم النعم، حتى إنّ بعضًا منهم لو بدّل نصف علمه بل عشر أعشار علمه بملك الأرض من الشرق إلى الغرب لأنف من ذلك وأنكر على قائلها.

---

(١) كذا في الأصل، والمعروف: مطمع.

(٢) هو عبد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن غفير، أبو ذر الأنصاري الهروي، يُقال له ابن السماك. توفي عام ٤٣٤هـ/ ١٠٤٣م. محدث، حافظ، فقيه. له عدّة كتب. انظر عنه: الاعلام ٣/٢٦٩، التاج ٣/٤٥٣، كشف الظنون ١/٤٤١.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب بيان حقيقة النعمة وأقسامها، ٩/٨٧.

ولا تظنن أنّ المُعرض عن الدنيا في ألم الصبر عنها، فإنّ ذلك ليس بأكثر من ألم الصبر عليها، فإنّ آلام الأغنياء أضعاف أضعاف ألم الفقراء، ولكن لا يشعرون، بسبب خدر حاصل في طبيعتهم. فإذا زال ذلك بالموت يشعرون ذلك، لكن حين لا ينفعهم العلم.

ثم إنّ علاج القلوب الفاقدة للشكر، فإنْ كان بصيرًا فعلاجه التأمل فيما ذكرناه من أصناف النعم، وإنْ كان غير ذلك فبالنظر إلى من دونه. وكان بعضهم يحضر كل يوم دار المرضى ليعرف نعمة الصحة، ويحضر المقابر ليعرف قدر الحياة، ويحضر موضع العقوبات ليعرف قدر العصمة من الجنايات.

ومما ينبغي أنْ يعالج به القلوب الغير الشاكرة أنْ تعرف أنّ النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد. قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. وفي الخبر: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلاّ كثرت حوائج الناس إليه، فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال»[2]. قال الفضيل: عليكم بمداومة الشكر على النعم، فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم. وقال بعض السلف: النعم وحشية فقيّدوها بالشكر.

المطلب العاشر:

فيما يشترك فيه الصبر والشكر:

اعلم: أنّ لله تعالى في كل شيء نعمة يجب عليها الشكر، وكذا في كل شيء بلاء، إذْ البلاء فقد النعمة.

ثم إنّ النعمة إمّا مطلقة، وهي في الآخرة سعادة العبد بالنزول في جوار الله، وفي الدنيا الإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما. وإمّا مقيدة، وهي نعمة من وجه دون وجه، كالفقر والخوف والمرض، فإنّها نعمة دينًا وبلاءً في الدنيا.

وكذا البلاء إمّا مطلق كالكفر والمعاصي، وإمّا مقيد كالفقر والمرض كما ذكر. فالشكر للنعم واجب.

وأما الصبر فعلى البلاء المقيد، وأمّا البلاء المطلق فلا يجوز الصبر عليه بل يجب إزالته مهما أمكن. وإنما الصبر على ألم ليس للعبد إزالته. مثلًا: لو تألم بطول العطش حتى عظم ألمه لا يصبر عليها بل يزيلها إنْ قدر.

ثم إنّ النعمة يجوز أن تصير بلاء وبالعكس، ولهذا يمكن أن يجتمع الصبر والشكر في مادة واحدة. مثلًا: الفقر نعمة في حق من إذا استغنى وكثر ماله بطر وطغى، مع أنّه بلاء أيضًا في نفسه، فيشكر من حيث كونه نعمة ويصبر من حيث كونه بلاء.

ثم إنّ المعرفة التي هي نعمة مطلقة يمكن أنْ تكون بلاءً في حق بعض الناس، فتكون النعمة في ضدها مثلًا: معرفة الإنسان أجله بلاء ينغص عيشه ويطيل غمه، فيكون جهله به نعمة. وكذلك معرفة أحوال قلوب الناس بلاء، إذْ لو رفع الستر لطال أمله وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام بسبب اطلاعه على ما يضمره الخلق، فيكون الجهل بها نعمة، وكذلك جهله بالخصال المحمودة في غيره نعمة، إذْ ربما يضطر إلى إيذائه وإهانته، وفعل ذلك بعد المعرفة إثم عظيم. ومنها الجهل بالقيامة وليلة القدر وساعة الجمعة وبعض الكبائر، لأنّ هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد. وهذه وجوه نعم الله في الجهل، فكيف في العلم.

وإن أخطرت ببالك أن جمع الصبر والشكر جمع بين الضدين، إذْ الأول يستلزم الفرح والثاني الشكر[3] وهما ضدان، يجوز جمع الفرح والغم

(١) الرعد/ ١١.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر، ٩/ ١٣٥.
(٣) كذا في الأصل، وفي الاحياء: والصبر على البلاء يستدعي ألماً، والشكر يستدعي فرحاً.

من وجهين، إذْ في كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا أمور خمسة يجب الفرح بها عند العاقل: عدم كونها زائدًا على ما وقع، وعدم كونها في الدين، وتعجيل عقوبتك في الدنيا فلا تعاقب في الآخرة ثانيًا، كما قال النبي ﷺ: «إنّ العبد إذا أذنب ذنبًا فأصابته شدة أو بلاء فالله أكرم من أن يعذبه ثانيًا»[١]. وأيضًا هذه العقوبة كانت مكتوبة في أم الكتاب، فقد وقعت وانقضت، وهذه أيضًا نعمة. وأيضًا أنّ ثوابها في الآخرة أكثر من هذه العقوبة في الدنيا.

ثم إنك بعد ما سمعت فضل البلاء فإيّاك أنْ تجوز طلب البلاء، لأنّ النبي ﷺ نهى عن ذلك وقال: «سلوا الله العافية، فما أعطى عبد أفضل من العافية إلاّ اليقين»[٢]. وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك. فعافية القلب أعلى من عافية البدن. ونظير ذلك في الأحاديث والآثار أكثر من أن يحصى.

أما ما صدر من أهل المحبة من طلب البلاء فإنما نشأ من فرط المحبة، لأنّ من شرب من كأس المحبة سكر، ومن سكر توسع في الكلام، ولو زايله سكره علم أنّ ما غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها، وكلام العشاق يستلذ سماعه ولكن لا يعول عليه. ويحكى أنّ فاختة قالت لزوجها: ما الذي يمنعك عني، ولو أردت أنْ أقلب قصر سليمان ظهرًا لبطن لفعلته لأجلك. فسمعه سليمان وعاتبه فقال: يا نبي الله، كلام العشاق لا يحكى، وهو كما قال.

المطلب الحادي عشر:

قال بعضهم: الصبر أفضل من الشكر. وقال بعضهم بالعكس. وقال آخرون: هما سيان. وقال آخرون: يختلف باختلاف الأحوال.

واعلم أنّ المفهوم من الأحاديث والأخبار والآثار فضيلة الصبر على الشكر، لأنّ الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى، وفي ذلك مقنع للناس كافة. إلاّ أنّ أهل التحقيق منهم ربما يكشفون حقيقة الحال بتفصيل ذلك.

وهو أنّ العلوم الظاهرة تراد للأحوال، والأحوال للأعمال. وأما العلوم الباطنة فإنما تراد الأحوال لأجلها، والأعمال لأجل الأحوال. فأفضل الكل معرفة الله تعالى. وإنما يتوسل إليها بأحوال القلب في تصفيته عن المكدرات.

ثم الأعمال إمّا أنْ تجلب ظلمة القلب وهي المعاصي، أو صفاءها وهي الطاعات. ثم إنّ المعاصي والطاعات متفاوتة ومختلفة بحسب اختلاف الأحوال. مثلًا: من غلبه الشح فليس له صوم النافلة بل إخراج درهم واحد له أفضل من صوم النافلة، وكذا من غلبه شهوة البطن فله الصوم دون إخراج المال. وأما ما ورد في الشرع من فضل الصدقة على الإطلاق وفضل الصوم على الإطلاق فذلك لأنّه لو قيل: الصدقة لمن ابتلى بمرض الشح والصوم لمن ابتلى بمرض الشهوة البطنية أو الفرجية، لربما قالت النفس: ليس في هذا المرض، لأنّ شأن النفس إنكار أمراضها، فيترك معالجتها فتهلك. أنظر إلى رحمة الشارع على العباد وحذاقتها[٣] في معالجة أمراض قلوبهم.

ثم إنّ الصبر والشكر قد يجتمعان في محل واحد كما بيّناه، فهناك لا يتصور فضيلة أحدهما على الآخر. وأما إذا تغاير محلهما فإنْ كانت النعمة ضرورية كالعينين مثلًا، فمن فقدهما فصبره بأنْ لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله تعالى. والبصير إمّا أنْ يستعملهما في طاعة الله تعالى فقد شكر وصبر أيضًا على الطاعة، وكذا إنْ كفّهما عن الحرام فقد شكر وصبر أيضًا عن

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب بيان اجتماع الصبر والشكر. . .، ٩/١٣٨، بلفظ: «أو بلاء في الدنيا».
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب بيان فضل النعمة على البلاء، ٩/١٤٨.
(٣) كذا في الأصل.

الحرام. ولا يخفى أنّ الأعمى فيه فضيلة الصبر فقط، وفي البصير المتقى عن الحرام أو المستعمل في الطاعة فضيلة الصبر والشكر معًا. فالبصير المذكور أفضل من الأعمى المذكور، والأعمى المذكور أفضل من البصير الغير الغاض بصره عن الحرام.

وإنْ كانت النعمة غير ضرورية، ولم تكن فاضلة على الحاجة ففي الصبر عن الزيادة مجاهدة، وهذا الصبر أتم وأقوى من صبر الغني على الاقتصار على المباح، ويمسك ماله على الفقراء. وأما الغني الذي يصرف ماله إلى الخيرات ولا يستعملها في المعصية ففيه الشكر والصبر. ولا يخفى أنّ مجموع الأمرين أفضل من أحدهما، وإنْ كان صبر الفقر أفضل من جهة صبر هذا الغني أيضًا. وبالجملة: الفقير الصابر أفضل من الغني الصابر فقط ومن الغني الشاكر فقط، وإنْ كان الغني الصابر الشاكر أفضل من الفقير الصابر فقط. وما قيل: الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فذلك لعدم انفكاك الشكر عن الصبر.

وما ورد في الأخبار من فضيلة الصبر على الشكر، فإنما فضيلته على الشكر بحسب متفاهم عرف العامة، وهو أنّ النعمة عندهم المال فقط، والمتبادر من الشكر عندهم قولهم: الحمد لله، الشكر لله، إلاّ أنّ التفصيل الكاشف للشبهة هو ما ذكرناه، والله أعلم.

علم الصرف(*)

وهو علم يعرف منه أنواع المفردات الموضوعة بالوضعي النوعي ومدلولاتها، والهيئآت الأصلية العامة للمفردات، والهيئآت التغيرية، وكيفية تغيراتها عن هيئآتها الأصلية على الوجه الكلّي بالمقاييس الكلية. وموضوعه الصيغ المخصوصة من الحيثية المذكورة. وغرضه تحصيل ملكة يعرف بها ما ذكر من الأحوال. وغايته الإحتراز عن الخطأ من تلك الجهات. ومباديه مقدمات مستنبطة من تتبع استعمال كلام العرب.

فائدة: يسأل في كل من الماضي والمضارع والأمر عن أربعة أسئلة: حدّه وحكمه وأقسامه وعلاماته. حدّ الماضي ما وقع وانقطع. والمضارع ما لم يقع أو وقع وما انقطع. والأمر ما دلّ على الطلب وقبل نون التأكيد. وحكم الماضي أنْ يُبنى على الفتح، والمضارع أنْ يُعرب ما لم يتصل به نون توكيد أو إناث فيبنى. والأمر أنْ يُبنى على السكون.

وأقسام الماضي صحيح ومعتل، والمضارع حاضر ومستقبل، والأمر ما كان على وزن إفعلْ وعلى وزن لِيَفْعَل.

وعلامات الماضي دخول التاء عليه، مضمومة كانت أو مكسورة أو مفتوحة أو ساكنة، والمضارع دخول أحد حروف نأيت عليه، والأمر دخول نون التأكيد عليه.

واعلم أنّ أول من دوَّن علم الصرف أبو عثمان بكر بن حبيب المازني، وكان قبل ذلك مندرجًا في علم النحو. وهو بكر بن محمد بن بقية. وقيل ابن عدي بن حبيب، الإمام أبو عثمان المازني، مازن بني شيبان بن ذهل. وقيل هو مولى بني سدود، نزل في بني مازن فنسب إليهم وهو بصري. روى عن أبي عبيدة(١)

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى فيما يتعلّق بالمفردات، ضمن شعب الدوحة الثانية في علوم تتعلّق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(١) هو معمر بن المثنى التيمي البصري، أبو عبيدة النحوي، ولد في البصرة عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م وتوفي فيها عام ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م. من أئمة العلم باللغة والأدب، حافظ للحديث كان إباضياً شعوبياً. له الكثير من المؤلّفات الهامة.
الأعلام ٧/ ٢٧٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٨، بغية الوعاة ٣٩٥، ميزان الاعتدال ٣/ ١٨٩، طبقات النحويين واللغويين ١٩٢.

والأصمعي وأبي زيد[١]، وعنه المبرد[٢] والفضل ابن محمد اليزيدي[٣] وجماعة. وكان إمامًا في العربية، متسعًا في الرواية، يقول بالإرجاء، وكان لا يناظره أحد إلاّ قطعه لقدرته على الكلام. وقد ناظر الأخفش[٤] في أشياء كثيرة فقطعه. وقال المبرد: لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان. وأخذ عن الأخفش. وقيل بل عن الجرمي[٥] واختلف إليه إلى أن برع، وكان يناظره. وحكى المبرد أنّ يهوديًا بذل للمازني مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع من ذلك، فقيل له: لِمَ امتنعت مع حاجتك وعائلتك؟ فقال: إنّ في كتاب سيبويه كذا وكذا آية من القرآن، فكرهت أن أقرىء له. فلم يمض على ذلك إلاّ مدة قليلة حتى طلبه الواثق وأعطاه ثلاثين ألف درهم وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله. وسبب طلبه أنّ جارية غنت بحضرة الواثق:

أظلـــوم إنّ مـــصـــابـكـــم رجـلًا
أهـدى الـسـلام تـحـيـة ظـلـم

فردّ التوزري[٦] عليها نصب رجلًا ظانًا أنّه خبر إنّ فقالت: قد قرأته على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني، فأحضر إلى سُرَّ من رأى[٧]. قال: قلما دخلت على الخليفة قال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: مازن تميم أم شيبان؟ قلت: مازن شيبان. فقال: بسمك، يريد ما اسمك؟ وهي لغة قومنا، يبدلون الميم باء وعكسه. فكرهت أن أقول مكر مواجهة له بالمكر. فقلت: بكر بن محمد فأعجبه ذلك. فقال: إجلس فاطبئن، أي إطمئن. فجلست، ثم سألني عن البيت، فقلت: (مصابكم) مصدر مضاف إلى فاعله (ورجلًا) مفعوله وخبر إن ظلم. فأخذ التوزري في معارضتي. فقلت: هو كقولك إنّ ضربك زيدًا ظلمٌ، والدليل عليه أنّ الكلام معلّق إلى أن

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت الانصاري، أبو زيد. ولد بالبصرة عام ١١٩هـ/ ٧٣٧م وفيها مات عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م. أحد أئمة اللغة والأدب، وكان قدرياً. له عدّة مؤلّفات هامّة.
الأعلام ٣/ ٩٢، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٧، جمهرة الأنساب ٣٥٢، تاريخ بغداد ٩/ ٧٧، نزهة الألباء ١٧٣، انباه الرواة ٢/ ٣٠، تهذيب التهذيب ٤/ ٣، العبر ١/ ٣٦٧، معجم الأدباء ١١/ ٢١٢، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٩، معجم المفسّرين ١/ ٢٠٧، هدية العارفين ١/ ٣٨٧ وغيرها.

(٢) هو محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرّد، ولد بالبصرة عام ٢١٠هـ/ ٨٢٦م. وتوفي ببغداد عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م. إمام العربية في زمنه، عالم كبير بالأدب والأخبار. له مؤلّفات قيّمة وهامّة. الأعلام ٧/ ١٤٤، بغية الوعاة ١١٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٩٥، تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٠، لسان الميزان ٥/ ٤٣٠، طبقات النحويين ١٠٨.

(٣) هو الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك، أبو العباس اليزدي. توفي عام ٢٧٨هـ. نحوي، عالم باللغة، محدث، له عدّة كتب. انظر عنه: إنباه الرواة ٣/ ٧، بغية الوعاة ٣٧٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٧٠، معجم الأدباء ١٦/ ٢١٥.

(٤) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط. توفي حوالي العام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م. نحوي عالم باللغة والأدب، وكان معتزلياً. له عدّة مؤلّفات هامّة.
الأعلام ٣/ ١٠١، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٨، انباه الرواة ٢/ ٣٦، معجم الأدباء ١١/ ٢٢٤، بغية الوعاة ٢٥٨، مرآة الجنان ٢/ ٦١، معجم المفسرين ١/ ٢١٠، طبقات المفسّرين للداودي ١/ ١٨٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٦ وغيرها.

(٥) هو صالح بن اسحاق الجرمي، أبو عمر. توفي عام ٢٢٥ هـ/ ٨٤٠م. فقيه، عالم بالنحو واللغة. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٨٩، بغية الوعاة ٢٦٨، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٨، نزهة الألباء ٢٠٦.

(٦) لعلّه التَّوزي، وهو عبدالله بن محمد بن هارون التَّوزي، ويدعى بالقرشي، أبو محمد. توفي عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م. لغوي له عدة تصانيف. معجم المؤلفين ٦/ ١٤٣، إنباه الرواة ٢/ ١٢٦، الفهرست ١/ ٥٧، بغية الوعاة ٢٩٠، روضات الجنات ٤٤٦ هـ، هدية العارفين ١/ ٤٤٠.

(٧) وهي المدينة التي أنشأها المعتصم بين بغداد وتكريت. ويُقال على عدة وجوه: سامرا بالقصر، وسامراء بالمد، وسر من راء مهموز الآخر، وسر من را مقصور الآخر، وساء من رأى، وسامره بالهاء. وهو على دجلة من شرقيها، تحت تكريت. وحين انتقل المعتضد عنها وسكن بغداد خربت. انظر: مراصد الاطلاع ٦٨٤.

تقول ظلم فيتم. فقال التوزري: حسبي وفهم، واستحسنه الواثق.

وسئل المازني عن أهل العلم فقال: أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف، وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة، والشعراء فيهم هوج، والنحاة فيهم ثقل، وفي رواة الأخبار الظرف كله والعلم هو الفقه. وله من التصانيف: كتاب في القرآن، علل النحو، تفاسير كتاب سيبويه، ما يلحن فيه العامة، الألف واللام، التصريف، العروض، القوافي، الديباج في جامع كتاب سيبويه، وكلها لطاف. وكان يقول: من أراد أن يصنف كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي.

مات في سنة تسع أو ثمان وأربعين ومائتين. كذا قال الخطيب البغدادي. وقال غيره سنة ثلاثين ومائتين[١]. ومن شعره:

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وإمرة الصبيان
أما النساء فإنّهن عواهر ... وأخو الصبي يجري بغير عنان

وصنف في التصريف أبو الفتح ابن جني مختصرًا سمّاه: التصريف الملوكي. وهو عثمان ابن جني بسكون الياء معرب كني، أبو الفتح النحوي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو. وسببه أنه كان يقرأ النحو بجامع الموصل، فمرَّ به أبو علي الفارسي[٢] فسأله عن مسئلة في التصريف فقصّر فيها، فقال له أبو علي: زببت قبل أن تحصرم، فلزمه من يومئذٍ مدة أربعين سنة واعتنى بالتصريف. ولما مات أبو علي تصدّر ابن جني مكانه ببغداد، وأخذ عنه الثمانيني[٣] وعبد السلام البصري[٤] وأبو الحسن الشمسي[٥]. قال في دمية القصر[٦]: وليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله سيّما في علم الإعراب. وكان يحضر عند المتنبي ويناظره في النحو من غير أن يقرأ عليه شيئًا من شعره أنفةً وإكبارًا لنفسه. وكان المتنبي يقول فيه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس. صنف: الخصائص في النحو، سر الصناعة، شرح تصريف المازني، شرح مستغلق الحماسة، شرحان على ديوان المتنبي، اللمع في النحو، محاسن العربية، المحتسب في إعراب الشواذ، شرح الفصيح، وغير ذلك. مولده قبل الثلاثين وثلاث مائة. مات لليلتين بقيتا من صفر سنة ثنتين وتسعين وثلاثمائة[٧]. ولابن مالك مختصر في ضروري التصريف وشرحه ووسمه بالتعريف.

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٩٣، الفهرست ٨٤، وفيات الأعيان ١/ ١١٤، معجم الأدباء ٧/ ١٠٧، البداية والنهاية ١٠/ ٣٥٢، إنباه الرواة ١/ ٢٤٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٥، بغية الوعاة ٢٠٢، شذرات الذهب ٢/ ١١٣.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، أبو علي. ولد بفارس عام ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م وتوفي ببغداد عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م. من أئمة اللغة والأدب وعلوم العربية. تجول في البلدان ووضع العديد من المؤلّفات الهامّة. الأعلام ٢/ ١٧٩، وفيات الأعيان ١/ ١٣١، تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، إنباه الرواة ١/ ٢٧٣.

(٣) هو عمر بن ثابت الثمانيني، أبو القاسم. توفي عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥١م. ضرير، عالم بالعربية، له عدّة كتب. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٤٣، إرشاد الأريب ٦/ ٤٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٧٩، بغية الوعاة ٢٦٠.

(٤) هو عبد السلام بن الحسين بن محمد بن طيفور، أبو أحمد البصري البغدادي. توفي عام ٤٠٥هـ، عالم ثقة، مقرىء، له مصنّفات. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٣٨٥.

(٥) لم يعثر له على ترجمة.

(٦) دمية القصر وعصرة أهل العصر في ذيل اليتيمة للثعالبي لأبي الحسن علي بن حسن الباخرزي (-٤٦٧هـ). كشف الظنون ١/ ٧٦١

(٧) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٣١١، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٤، المنتظم ٧/ ٢٢٠، معجم الأدباء ١٢/ ٨١، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٥، البداية والنهاية ١١/ ٣٣١، انباه الرواة ٢/ ٣٣٥، اللباب ١/ ٢٤٣.

وهو محمد بن عبدالله بن مالك، العلامة جمال الدين، أبو عبدالله الطائي الجياني الشافعي النحوى، نزيل دمشق، إمام النحاة، وحافظ اللغة.

قال الذهبي: ولد سنة ست مائة أو إحدى وست مائة. وسمع بدمشق من السخاوي[(١)] والحسن بن الصباح[(٢)] وجماعة، وأخذ العربية عن غير واحد، وجالس بحلب ابن عمرون[(٣)] وغيره، وتصدّر بها لإقراء العربية، وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، وأربى على المتقدمين. وكان إمامًا في القراآت وعللها. وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها والاطلاع على وحشيها. وأما النحو والتصريف فكان فيه بحرًا لا يجارى، وحبرًا لا يبارى. وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو فكان الأئمة الأعلام يتحيّرون فيه ويتعجبون من أين يأتي بها، وكان نظم الشعر سهلًا عليه، رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك، هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمت، ورقة القلب، وكمال العقل والوقار والتؤدة. أقام بدمشق مدة يصنف ويشغل، وتصدّر بالتربة العادلية والجامع المعمور. وتخرج به جماعة كثيرة، وصنف تصانيف مشهورة. روى عنه إبنه الإمام بدر الدين والشمس ابن أبي الفتح[(٤)] والبدر بن جماعة[(٥)] والعلاء بن العطار وخلق، انتهى كلام الذهبي.

قال أبو حيان: لم يكن لابن مالك شيخ مشهور يعتمد عليه، إلاّ أنّ بعض تلامذته ذكر أنه قال: قرأت على ثابت بن حيان، وجلست في حلقة أبي علي الشلوبين[(٦)] نحوًا من ثلاثة عشر يومًا، ولم يكن ثابت بن حيان من أئمة النحو وإنما كان من الأئمة المعربين. قال السيوطي: وله شيخ جليل وهو ابن يعيش الحلبي[(٧)].

---

(١) هو علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري السخاوي أبو الحسن علم الدين. ولد عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م. وتوفي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير. له مصنّفات عديدة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٣٣٢، بغية الوعاة ٣٤٩، غاية النهاية ١/ ٥٦٨، وفيات الأعيان ١/ ٣٤٥.

(٢) هو الحسن بن يحيى بن صباح المخزومي المصري، أبو صادور. توفي عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م. محدث، عالم، له عدة تصانيف. انظر عنه: المنهل الصافي ١/ ٢٢٩، العبرة ٥/ ١٢٨.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

(٤) هو محمد بن محمود بن أبي الفتح بن محمود بن أبي القاسم، شمس الدين، ابن الكويك التكريتي. توفي عام ٧١٤هـ. من علماء اللغة، له كتب. انظر عنه: الدرر الكامنة ٤/ ٢٥٢.

(٥) هو محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبدالله. قاضي، عالم بالحديث، مشارك في كثير من العلوم، له العديد من المصنّفات. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٢٩٧، فوات الوفيات ٢/ ١٧٤، الأنس الجليل ٢/ ٤٨٠، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٣.

(٦) هو عمر بن محمد بن عمر بن عبدالله الأزدي، أبو علي، الشلوبيني أو الشلوبين. ولد بأشبيلية عام ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م. وفيها توفي عام ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م. من كبار علماء النحو واللغة. له العديد من المصنّفات الهامة. الأعلام ٥/ ٦٢، وفيات الأعيان ١/ ٣٨٢، إنباه الرواة ٢/ ٣٣٢، معجم البلدان ٥/ ٢٩٠، الديباج المذهب ١٨٥، كشف الظنون ٥٠٨، صفة جزيرة الأندلس ١١١.

(٧) هو يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع. ولد بحلب عام ٥٥٣هـ/ ١١٦١م. وفيها توفي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. من كبار علماء العربية له نوادر ظريفة، وبعض المؤلّفات النحوية. الأعلام ٨/ ٢٠٦، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤١، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٨، اعلام النبلاء ٤/ ٤١١، بغية الوعاة ٤١٩.

وأما تصانيفه فكثيرة جدًا، نظمها بعضهم في أبيات ذكر فيها: الألفية في النحو تسمى الخلاصة، والعمدة، واكمال العمدة، وشرحها، والتسهيل، وشرحه، ولم يتم، وقصيدة في الأفعال، وأرجوزة في المثلث، وقصيدة في المقصور والممدود، وشرحها، وإعراب بعض أحاديث صحيح البخاري، وقصيدة في الضاد والظاء، وأخرى في ما هو مهموز وغير مهموز، والتعريف في الصرف، وشرحه، وكتاب فيما جاء افعل وفعل، ومختصر في الابدال، والقصيدة المالكية في علم القراآت. هذا ما ضمته تلك الأبيات. وله تصانيف غير هذه: كتاب نظم الفوائد، وفتاوى له في العربية، ومجموع يسمى الفوائد في النحو، وشرح الجزولية، وسبك المنظوم وفك المختوم، والمقدمة الأسدية، وضعها باسم ولده تقي الدين الأسد. ويروى أنه كان إذا صلى في العادلية وكان إمامها يشيّعه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان إلى بيته تعظيمًا له، وكان آية في الإطلاع على الحديث. فإذا لم يجد شاهدًا في القرآن عدل إلى الحديث، ثم إلى أشعار العرب. وكان كثير العبادة والنوافل، حسن السمت، كامل العقل. وانفرد عن المغاربة بشيئين: الكرم ومذهب الشافعية. وكان الشيخ ذكي الدين ابن القريع يقول: إنّ ابن مالك ما خلى للنحو حرمة. توفي ابن مالك ثاني عشر شعبان سنة إثنتين وسبعين وست مائة[١].

ومن المتوسطات في علم التصريف كتاب ابن الحاجب المسمّى بالشافية. وهو عثمان بن عمر ابن أبي بكر بن يونس، العلامة، جمال الدين، أبو عمرو بن الحاجب الكردي، الدويني الأصل، الإسنائي المولد، المقري النحوي المالكى الأصولى الفقيه، صاحب التصانيف المنقحة. ولد سنة سبعين أو إحدى وسبعين وخمس مائة بإسنا[٢] من الصعيد. قال الذهبي: وكان أبوه جنديًا كرديًا حاجبًا للأمير عز الدين الصلاحي[٣]، اشتغل في صغره بالقاهرة، وحفظ القرآن وأخذ بعض القراآت عن الشاطبي، وسمع منه التيسير[٤]، وقرأ بالسبع على أبي الجود[٥]، وسمع من البوصيري[٦] وجماعة. وتفقه على

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ٢٨، نفح الطيب ٧/ ٢٥٧، البداية والنهاية ١٣/ ٦٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٤٤، فوات الوفيات ٢/ ٢٢٧، بغية الوعاة ٥٣، مرآة الجنان ٤/ ١٧٢، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٩.

(٢) مدينة بأقصى الصعيد في مصر، ليس وراءها إلّا أدفو وأسوان، ثم بلاد النوبة. وهي على شاطئ النيل من الجانب الغربي. وهي طيبة، كثيرة النخل والبساتين. انظر مراصد الاطلاع ٧٦.

(٣) هو الأمير عزالدين الصلاحي، من سلاطين دولة المماليك، له أخبار. انظر عنه: البداية والنهاية ١٣/ ١٧٦، وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٦، فوات الوفيات ١/ ٢٣٦-٢/ ٣٩٤.
انظر عنه: المنهل الصافي ٦/ ٤١٨، الدليل الشافي ١/ ٣٦٦، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٧٨، الدرر الكامنة ٢/ ٣٢٥.

(٤) التيسير في القراءات: حرز الأماني ووجه التهاني في القرآت السبع [للسبع] المثاني وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية للشيخ أبي محمد القاسم بن فيرُّه الشاطبي الضرير (-٥٩٠هـ).
كشف الظنون ١/ ٦٤٦.

(٥) هو غياث بن فارس بن مكي اللخمي المنذري المصري الفرضي النحوي، أبو الجود. ولد عام ٥١٨هـ، وتوفي عام ٦٠٥هـ. إمام محقق. شيخ المقرئين في عصره. له مصنفات.
انظر عنه: تاريخ الإسلام ١٨/ ٢٠٣، العبر ٥/ ١٣، غاية النهاية ٢/ ٤، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٣، النجوم الزاهرة ٦/ ١٩٦، بغية الوعاة ١/ ٢٣٧.

(٦) هو هبة الله (سيد الأهل) ابن علي بن ثابت بن مسعود الانصاري الخزرجي، أبو القاسم البوصيري. ولد عام ٥٠٦هـ/ ١١١٢م، وتوفي عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م. كاتب أديب، محدث له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٨/ ٧٥، شذرات الذهب ٤/ ٣٣٨، مرآة الجنان ٣/ ٤٠٩، النجوم الزاهرة ٦/ ١٨٢.

أبي منصور الابياري[1] وغيره. وتأدب على الشاطبي وابن البناء[2]، ولزم الاشتغال حتى برع في الأصول والعربية، وكان من أذكياء العالم. ثم قدم دمشق ودرّس بجامعها في زاوية المالكية. واكب الفضلاء على الأخذ عنه، وكان الأغلب عليه النحو. وصنف في الفقه مختصرًا، وفي الأصول مختصرًا، وآخر أكبر منه سمّاه المنتهى. وفي النحو الكافية، وشرحها، ونظمها الوافية وشرحها، وفي التصريف الشافية، وشرحها، وفي العروض قصيدة. وشرح المفصل سمّاه الإيضاح. وله الأمالي في النحو مجلد ضخم في غاية التحقيق، بعضها آيات وبعضها على مواضع من المفصل ومواضع من كافيته وأشياء نثرية.

ومصنفاته في غاية الحسن، ورزقت قبولًا تامًا لحسنها وجزالتها. وقد خالف النُحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات مفحمة يعسر الجواب عنها. وكان فقيهًا مناظرًا مفتيًا، مبرزًا في عدة علوم، متبحرًا، ثقة ديّنًا ورعًا متواضعًا، مطرحًا للتكلف. ثم دخل مصر هو والشيخ عزالدين بن عبد السلام وتصدر هو بالفاضلية[3] ولازمه الطلبة. قال ابن خلكان: وكان من أحسن خلق الله ذهنًا، وجاءني مرارًا بسبب أداء شهادات. وسألته عن مواضع في العربية مشكلة فأجاب أبلغ جواب بسكون كثير وتثبت تام. انتقل إلى الإسكندرية ليقيم بها فلم تطل مدته، ومات بها في ضاحي نهار الخميس سادس عشر من شوال سنة ست واربعين وست مائة[4].

وأمثل المبسوطات: الممتع لابن عصفور، وهو علي بن مؤمن بن محمد بن علي، أبو الحسن بن عصفور النحوي، الحضرمي الإشبيلي. كان حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس. قال ابن الزبير[5]: أخذ عن الدباج[6] والشلوبين، ولازمه مدة، ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة. وتصدّر للأشغال مدة، وأقبل عليه الطلبة، وكان أصبر الناس على المطالعة، لا يمل من ذلك، ولم يكن عنده ما يؤخذ عنه غير النحو، ولا تأهّل لغير ذلك. قال الصفدي[7]: ولم يكن عنده ورع، وجلس في مجلس شراب، فلم يزل يرجم بالنارنج إلى أنْ مات في رابع عشر من ذي القعدة سنة ثلاث أو تسع وستين وست مائة. ومولده سنة سبع وتسعين وخمس

---

(١) لعلّه أبو منصور الأبيوردي. فقيه شافعي، لا يعلم له تاريخ ميلاد ولا وفاة. له آراء وفتاوى.
انظر عنه: طبقات الأسنوي للشافعية ١/ ٥٧.

(٢) هو علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك العراقي، المكي الخلال، ابن البناء. توفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. عالم، لغوي، حافظ، له تصانيف.
انظر عنه: المنهل الصافي ١/ ٨٥، العبر ٥/ ٩٠.

(٣) مدرسة بالقاهرة.

(٤) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٩٥، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٦، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٠، شذرات الذهب ٥/ ٢٣٤، بغية الوعاة ٣٢٣، مرآة الجنان ٤/ ١١٤.

(٥) هو أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن ابراهيم بن الزبير بن عاصم الأندلسي. ولد عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م. وتوفي عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م. علامة، قارئ، عارف بعلوم كثيرة. وله تصانيف عديدة.
انظر عنه: المنهل الصافي ١/ ٢١٢، الدليل الشافي ١/ ٣٥، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٢٢، الدرر الكامنة ١/ ٨٩، طبقات القرّاء ١/ ٣٢.

(٦) لعلّه يوسف بن الدبّاغ، أبو يعقوب النحوي الصقلي، نحوي، حافظ، عالم.
انظر عنه: الوافي بالوفيات ٢٩/ ٣٧١، انباه الرواة ٤/ ٦٤.

(٧) هو خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، صلاح الدين. ولد عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م وتوفي عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م. أديب، مؤرّخ، له الكثير من التصانيف الهامّة والجيدة.
انظر عنه: الاعلام ٢/ ٣١٥، الدرر الكامنة ٢/ ٨٧، طبقات الشافعية ٦/ ٩٤، الوافي بالوفيات ١/ ٢٤٩.

مائة[١]. وصنف: الممتع في التصريف، كان أبو حيان لا يفارقه. المقرب شرحه، لم يتم. شرح الجزولية، مختصر المحتسب، ثلاثة شروح على الجمل، شرح الاشعار الستة، وغير ذلك.

ومن المبسوطات: شرح الشافية، للإمام الجاربردي، وهو أحمد بن الحسن الشيخ فخر الدين. قال السبكي في طبقات الشافعية: نزيل تبريز، كان إمامًا فاضلًا دينًا خيرًا وقورًا، مواظبًا على العلم وإفادة الطلبة. أخذ عن القاضي ناصر الدين البيضاوى. وصنف: شرح منهاجه، شرح الحاوي في الفقه، لم يكمل. شرح الشافية لابن الحاجب، شرح الكشاف. ومات في رمضان سنة ست وأربعين وسبع مائة بتبريز[٢].

وشرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي[٣]، وستعرف ترجمته في النحو. وشرح الشافية لحسن بن محمد النيسابوري المشهور بالنظام الأعرج[٤]، وشرحه ممزوج مشهور متداول. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمته.

ومما اشتهر في ديارنا مختصر مسمّى: بالمقصود، لم نقف على اسم مصنفه[٥]. إلاّ أنه كتاب مبارك مشهور بأيدي الناس اليوم، وعليه شروح مفيدة مشهورة عند أبناء الزمان. ومختصر لعز الدين الزنجاني، وهو عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن أبي المعالي الخزرجي الزنجاني[٦]، صاحب شرح الهادي المشهور الذي أكثر الجاربردى من النقل عنه في شرح الشافية. قال السيوطي: وقفت عليه بخطه، وذكر في آخره أنه فرغ عنه ببغداد في العشرين من ذي الحجة سنة أربع وخمسين وست مائة. ومتن الهادي له أيضًا. وله التصريف المشهور بتصريف العزي، وله مؤلفات في العروض والقوافي، وخطه في غاية الجودة. وعلى مختصره في التصريف شروح مفيدة مشهورة عند أبناء الزمان، أفضلها وأحسنها: شرحا الفاضل سعد الدين التفتازاني والفاضل السيد الشريف الجرجاني، وستقف على ترجمتهما إنْ شاء الله تعالى. ومن المختصرات: مختصر مراح الأرواح لأحمد بن علي بن مسعود[٧]. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة. وعليه شروح مفيدة يعرفها المتأدبون من الصبيان، وأكثر المصنفات في علم النحو مذيلة بعلم التصريف، وسنذكر نبذًا منها هناك إن شاء

---

(١) انظر ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٧٣، شذرات الذهب ٥/ ٣٣، بغية الوعاة ٣٥٧، روضات الجنات ٤٩٣، هدية العارفين ١/ ٧١٢.

(٢) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ١٢٣، شذرات الذهب ٦/ ١٤٨، مرآة الجنان ٤/ ٣٠٧، البدر الطالع ١/ ٤٧، بغية الوعاة ١٣١، طبقات الشافعية ٥/ ١٦٩.

(٣) انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٢٤٨، شذرات الذهب ١/ ٣٩٥، هدية العارفين ٢/ ١٣٤، كشف الظنون ١/ ١٣٧.

(٤) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمر النيسابوري، نظام الدين، ويُقال له الأعرج. توفي بعد عام ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م. مفسر له معرفة بالحكمة والرياضيات. وله عدّة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٢/ ٢١٦، أعيان الشيعة ٢٣/ ١١٢، الذريعة ٤/ ٢٠٦، هدية العارفين ١/ ٢٨٣.

(٥) قوله: وممّا اشتهر إلى آخره، قال صاحب الكتائب عن الامام الارزنجاني في شرح البزدوي إنّ الامام أبا حنيفة رضي الله عنه صنف كتاب: العالم والمتعلم وكتاب الفقة الأكبر وكتاب المقصود في الصرف. وما قيل ليس للإمام مصنف فهو كلام المعتزلة. وقال في كشف الظنون: وقد اختلف في مؤلفه، فقيل: للإمام الأعظم، وقيل لغيره. وجزم المولى محمد بن پير علي المعروف بيركلي في شرحه المسمى بامعان النظر بالأول، (هامش الأصل).

(٦) انظر ترجمته في: بغية الوعاة ٣١٨، روضات الجنان ٤٦٥، هدية العارفين ١/ ٦٣٨.

(٧) هو أحمد بن علي بن مسعود، أبو الفضائل، حسام الدين. توفي نحو عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م. مصنف، له عدّة كتب.
انظر عنه: الاعلام ١/ ١٧٥، بغية الوعاة ١٥١، كشف الظنون ٢/ ١٦٥١.

الله تعالى. ومختصر النجاح مفيد في الغاية لكنه غير مشهور، وهو لحسام الدين السغناقي[١]، شارح الهداية. وستعرف ترجمته هناك. ومختصر نزهة الطرف في علم الصرف للميداني وقد عرفت ترجمته.

علم صلاة الحاجات الواردة في الأحاديث(*)

وهي كثيرة جدًا، أشهرها صلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وغير ذلك من نوافل الصلوات، وقد دوّنها الشيخ فخر الدين الرومي[٢] في كتاب دعوات الليل والنهار[٣]، يجدها من يطلبها.

علم صور الكواكب(**)

واعلم أنّ المنجمين تصوّروا في فلك الثوابت ثمانيًا وأربعين صورة، منها ما على المنطقة يتوهم إثنتي عشرة[٤] صورة لتعيين البروج، وثمانٍ[٥] وعشرين صورة أخرى لتعيين منازل القمر. ويندرج بعض هذه الصور في بعض. وبهذه الصور ضبطوا من الكواكب الثوابت ألفًا وإثنين وعشرين كوكبًا، وعرفوا مواضعها في الطول والعرض، وجعلوا كل جملة منها متساوية المقدار تقريبًا، ورتبوها في ست مراتب: أولاها أعظمها وعلى هذا القياس. ولعبد الرحمن الصوفي[٦] رسالة صور الكواكب[٧] نافعة في هذا الباب. ولمحيي الدين المغربي أيضًا رسالة في هذا الباب.

علم الصيدلة(***)

وهو علم باحث عن التمييز بين النباتات المشتبهة في الشكل، ومعرفة منابتها بأنها صينية وهندية أو رومية، ومعرفة زمانها بأنها صيفية أو خريفية، ومعرفة جيدها من رديّها، ومعرفة خواصها، إلى غير ذلك. وغرضه وفائدته ظاهر لمن تأمّل. والفرق بين علم الصيدلة وعلم النبات أنّ الأول باحث عن تمييز أحوالها أصالةً، والثاني باحث عن خواصها أصالة. والأول بالعمل أشبه، والثاني بالعلم أشبه، وكل منهما مشترك في الآخر.

---

(٩) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد لابن رافع ٥٠.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الرابع في فروع علم الحديث، من مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(٢) هو فخر الدين الرومي. توفي عام ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م. صوفي، فقيه، عالم، له آثار وتصانيف عدّة.
انظر عنه: الشقائق النعمانية ١/ ١١٠، كشف الظنون ١/ ٧٥٥، معجم المؤلفين ٨/ ٥٥.

(٣) الدعوات المأثورة للشيخ العارف فخر الدين الرومي (-٨٦٤هـ).
كشف الظنون ١/ ٧٥٥.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(٤) في الأصل: إثني عشر، وهو خطأ، والصواب ما ذكرناه وفقاً للقاعدة النحوية في العدد والمعدود.

(٥) في الأصل: ثمانية، وهو خطأ، والصواب ما ذكرناه وفقاً للقاعدة النحوية في العدد والمعدود.

(٦) هو عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي، أبو الحسين. ولد عام ٢٩١ هـ/٩٠٣م. وتوفي عام ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م. عالم بالفلك، له عدّة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٣١٩، أخبار الحكماء ١٥٢.

(٧) صور الكواكب السماوية لعبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي، أبو الحسين. (- ٣٧٦هـ).
الأعلام ٣/ ٣١٩.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

علم الطب(*)

وهو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة ما يصح ويمرض لحفظ الصحة وإزالة المرض. قال جالينوس(١): الطب حفظ الصحة وإزالة العلة. وموضوعه بدن الإنسان من حيث الصحة والمرض. ومنفعته بينة لا تخفى، وكفى بهذا العلم شرفًا وفخرًا قول الإمام الشافعي رضي الله عنه: العلم علمان: علم الطب للأبدان وعلم الفقه للأديان. ويروى عن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: العلوم خمسة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والهندسة للبنيان، والنحو للسان، والنجوم للزمان.

واعلم أنّ أول من دوّن علم الطب بقراط الحكيم، وهو حكيم مشهور، معنّي ببعض علوم الفلسفة، سيد الطبيعيين في عصره. كان قبل الإسكندر بنحو مائة سنة وله في الطب تصانيف شريفة، وكان فاضلًا متألهًا ناسكًا، يعالج المرضى احتسابًا، طوافًا في البلاد جوالًا عليها. وكان في زمن أردشير من ملوك فارس، وكان يسكن حمص من مدن الشام، وكان يتوجه إلى دمشق ويقيم في غياضها(٢) للرياضة والتعلم والتعليم، وفي بساتينها موضع يعرف بصفة بقراط، وكان طبيبًا فيلسوفًا فاضلًا كاملًا معلمًا لسائر الأشياء، قوّى صناعة القياس والتجربة قوة عجيبة لا يتهيأ الطاعن أن يتكلم فيها. ولما خاف أن يفنى الطب من العالم علّم الغرباء الطب وجعلهم بمنزلة أولاده.

وظهر بقراط سنة ست وتسعين لتاريخ بخت نصر، وهي سنة أربع عشرة لملك بهمن، وعاش خمسًا وتسعين سنة أو تسعين سنة. وله كتب نافعة مفسرة بالعربية.

ثم ظهر من بعده جالينوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من مدينة فرغاموس، من أرض اليونانيين، إمام الأطباء في عصره، ورئيس الطبيعيين في وقته، مؤلف الكتب الجليلة في الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم البرهان. ومؤلفاته تنيف على ستين تأليفًا. وكان بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة، وبعد الإسكندر بنحو خمس مائة سنة ونيف. ولا أعلم بعد أرسطاطاليس أعلم بالطبيعي من هذين بقراط وجالينوس. قيل هو من بلاد ايشيا شرقي قسطنطينية في دولة بنزه قيصر، وهو السادس من قياصرة رومية. وجاب البلاد وبرع في الطب والفلسفة والرياضة وهو ابن سبع عشرة سنة، وأوفى وهو ابن أربع وعشرين سنة، وفاق أهل زمانه، وجدّد علم بقراط، وفاق في علم التشريح، وكان أبوه أعلم بالمساحة في زمانه. وكانت ديانة النصرانية قد ظهرت في زمانه، فقيل له: إنّ رجلًا ببيت المقدس يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فقصده ليلقى من بقي من أصحابه، ومات في الطريق في مدينة سلطانية، وقبره بها، وعاش ثمانيًا وثمانين سنة. وكان يأخذ نفسه في كل يوم بقراءة جزء من الحكمة، ولم يأخذ من الملوك شيئًا، ولا واكلهم، ولا داخلهم. ولولا هو ما بقي العلم، ولدرس ودثر من العالم جملة، ولكنه أقام أوده، وشرح غامضه، وبسط مستصعبه. وكان في زمانه فلاسفة مات ذكرهم عند ذكره. وظهر جالينوس بعد ست مائة وخمس وستين سنة من وفاة بقراط، إليه انتهت الرياسة في عصره، وبينه وبين المسيح عليه السلام سبع وخمسون سنة(٣)، المسيح عليه السلام أقدم منه.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(١) طبيب يوناني (١٣١-٢٠١م). له الكثير من الدراسات في التشريح والطب، كما ترك الكثير من المعالجات والمقالات.

(٢) الغياض جمع غيضة بالفتح، وهي الأجمة ومجتمع الشجر في مغيض الماء. (هامش الأصل)

(٣) مرّ آنفاً أنّه كان بعد المسيح بنحو مائتي سنة، فلا يفهم وجه الجمع بينهما. (هامش الأصل). وفي النسخة المصرية=

واعلم أنّ منذ وفاة جالينوس إلى هذا التاريخ وهو ثمان وأربعون وتسع مائة سنة من هجرة نبينا محمد ﷺ ألف وأربع مائة وستة وسبعون سنة تقريبًا.

ومن مشاهير العلماء في الطب: محمد بن زكرياء أبو بكر الرازي، طبيب المسلمين من غير مدافع، ومهر في المنطق والهندسة وغيرها من علوم الفلسفة. وكان يضرب بالعود أولًا، ثم أقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيرًا، وألّف كتبًا كثيرة أكثرها في الطب، وتوغل في الإلهي، ولم يفهم غرضه الأقصى، فتقلّد آراء سخيفة، وانتحل مذاهب ضعيفة، ودبر مارستان الرّي ومارستان بغداد، ثم عمي في آخر عمره. وتوفي قريبًا من سنة عشرين وثلاث مائة.

قيل له: لو قدحت عينك. قال: لا. قد أبصرت من الدنيا حتى مللت. وأحسن صناعة الكيمياء، وذكر أنّها أقرب إلى الممكن منها إلى الممتنع، وألّف فيها إثني عشر كتابًا. وكان كريمًا متفضلًا، بارًا بالناس، حسن الرأفة بالفقراء، ولم يكن يفارق النسخ إمّا يسوّد أو يبيّض. وتصانيفه تبلغ مائة وستة عشر من الكتب، والرسائل في الطب والفلسفة كلها نافع في بابه، والله أعلم.

ومن الكتب المختصرة النافعة غاية النفع المباركة للطلاب: كتاب الموجز لابن النفيس، وهو علي بن أبي الحزم، علاء الدين ابن النفيس، الطبيب المصري، صاحب التصانيف الفائقة في الطب. منها: الموجز، وشرح كليات القانون، وغيرهما، وكان فقيهًا على مذهب الشافعي. صنّف: شرحًا على التنبيه، وصنف في الطب غير ما ذكرناه كتابًا سمّاه: الشامل. قيل: لو تم لكان ثلاث مائة مجلدة، تم منه ثمانون مجلدة. وكان فيما يذكر يملي تصانيفه من ذهنه. وصنف في أصول الفقه والمنطق.

وبالجملة كان مشاركًا في فنون. وأمّا الطب فلم يكن على وجه الأرض مثله في زمانه. قيل: ولا جاء بعد ابن سينا مثله. قالوا: وكان في العلاج أعظم من ابن سينا؛ وكان شيخه في الطب الشيخ مهذب الدين الدخوار[١]. توفي في حادي عشر من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وست مائة، عن نحو ثمانين سنة[٢]. وخلّف أموالًا جزيلة، ووقف كتبه وأملاكه على المارستان المنصوري.

ومن الكتب النافعة غاية النفع: كتاب القانون لابن سينا، وقد عرفته. وعلى القانون شرح لابن نفيس المذكور[٣]. وللعلامة الشيرازي وقد ذكرتهما. وأما شروح الموجز فكثيرة، منها: شرح جمال الدين الاقسرائي[٤] وشرح السديدى[٥]، والنفيسي[٦] ومن الكتب

=بالهامش أيضاً: يلاحظ هنا التناقض بين التاريخين، فقد ذكر في أول حديثه عن جالينوس أن بينه وبين المسيح عليه السلام مائتي سنة، وها هو يذكر الآن أن الفرق سبع وخمسون سنة.

(١) هو عبد الرحيم بن علي بن حامد، المعروف بالداخور، ولد عام ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م. وتوفي عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م طبيب، ماهر، له عدّة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٣٤٧، طبقات الأطباء ٢/ ٢٣٩، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٧.

(٢) انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٧، طبقات الشافعية ٥/ ١٢٩، البداية والنهاية ١٣/ ٣١٣، شذرات الذهب ٥/ ٤٠١، حسن المحاضرة ١/ ٣١٣.

(٣) كتاب في المنطق. (هامش الأصل).

(٤) موجز القانون في الطب للشيخ الامام العلّامة علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس (-٦٨٧هـ) شرحه جمال الدين محمد بن الاقسرائي (-... هـ) وسمّاه حل الموجز.
كشف الظنون ٢/ ١٩٠٠.

(٥) شرح السديدي: هو شرح لسديد الدين الكازروني لموجز القانون في الطب لابن النفيس (-٦٨٧هـ). جمع فيه من القانون وشروحه. كشف الظنون ٢/ ١٩٠٠.

(٦) شرح للشيخ الامام النفيس بن عوض الكرماني لموجز القانون في الطب. حوالي (-٨٤١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٠٠.

المبسوطة: المختار[١] لابن هبل[٢]، والمائة[٣] للمسيحي[٤]، وكامل الصناعة[٥] للملكي[٦] والتذكرة السويدية[٧] والشفاء[٨] لحاجي باشا[٩]، وغير ذلك.

علم طبّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم[*]

وهو علم باحث عن الأحاديث النبوية الواردة في طبّ المرضى. وقد اعتنى جماعة، أشهرها ما جمعه ابن طرفان[١٠]، وأفضلها ما جمعه الإمام المستغفري[١١]، وهما ظاهران عند الطلاب. ولا يخفى نفع هذا العلم وغايته وغرضه على أولي الألباب.

علم طبخ الأشربة والمعاجين[**]

وهو علم يتعرّف منه كيفية تركيب المركبات الدوائية وزنًا ووقتًا، ومعرفة ما يسحق منه وما يذاب، وما يقدم منه في المزج، وما يؤخر،

(١) المختار في الطب الجمالي ألّفه لجمال الدين الوزير المعروف بالجواد الشيخ الامام مهذّب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن هبل التبريزي البغدادي ثم الموصلي (-٦١٠هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٦٢٢.

(٢) هو علي بن أحمد بن علي بن عبد المنعم، أبو الحسن، المهذب، المعروف بابن هبل. ولد ببغداد عام ٥١٥هـ/ ١١٢٢م. ومات بالموصل عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م. طبيب، عالم. له عدّة كتب.
الأعلام ٤/ ٢٥٦، طبقات الأطباء ١/ ٣٠٤. نكت الهميان ٢٠٥، دائرة المعارف الاسلامية ١/ ٢٩٢.

(٣) مائة في الطب لابن سهل عيسى بن يحيى المسيحي (-٤٠١هـ) وهو مائة كتاب الأول في المدخل إلى الطب والمقدمة.
كشف الظنون ٢/ ١٥٧٦.

(٤) هو عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني، أبو سهل. توفي بخراسان عام ٤٠١هـ/ ١٠١٠م. حكيم غلب عليه الطب علماً وعملًا. وضع مجموعة من المؤلفات الطبّية الهامّة.
الاعلام ٥/ ١١٠، تاريخ حكماء الإسلام ٩٥، طبقات الأطباء ١/ ٣٢٧، هدية العارفين ١/ ٧٠٦.

(٥) كامل الصناعة في الطب، المعروف بالملكي صنّفه علي بن عباس المجوسي لعضد الدولة، وهو من تلامذة أبي ماهر موسى بن سياه (أبي ماهر موسى بن يوسف بن سيار) (-٣٨٤هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٣٨٠.

(٦) هو علي بن عباس المجوسي (-٣٨٤هـ).
انظر كشف الظنون ٢/ ١٣٨٠.

(٧) تذكرة السويدي، وهو الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بابن طرحان المتطبب (- ٦٢٠هـ).
كشف الظنون ١/ ٣٨٦.

(٨) شفاء الاسقام ودواء الآلام في الطب لخضر بن علي بن الخطّاب المعروف بحاجي باشا (بعد سنة ٨٠٠هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٠٤٩.

(٩) هو خضر بن علي بن الخطّاب المعروف بحاجي باشا الآيديني، جلال الدين، طبيب له تصانيف.
انظر عنه: كشف الظنون ٢/ ١٠٤٩، معجم المؤلفين ٤/ ١٠١.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(١٠) لعلّه الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بابن طرمان المتطبب (-٦٢٠ هـ).
كشف الظنون ١/ ٣٨٦.

(١١) هو جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد ابن المستغفر النسفي، أبو العباس، ولد عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١هـ وتوفي عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م. فقيه، محدث، له معرفة بالتاريخ، ومصنّفاته كثيرة.
انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٢٨، الفوائد البهية ٥٧، الجواهر المضيئة ١/ ١٨٠، الرسالة المستطرفة ٣٩.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلّق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

وكيفية ضبطه في الظروف، ومعرفة مقدار نفعه وبطلان فائدته إلى غير ذلك من الأحوال التي يعرفها من يزاولها.

علم طبقات الأطباء(*)

وقد صنّف في ذلك العلماء. ورأيت في هذا العلم كتابًا موسومًا بعيون الأنباء في طبقات الأطباء[١]. اعلم أنّ طبقات هؤلاء المذكورين من فروع علم التاريخ، وموضوع كل منها، وغايتها وغرضها ومنافعها ظاهرة على من تتبع تلك العلوم، والله الموفق.

علم طبقات الحكماء(**)

وقد اعتنى بذلك كثيرون، منها الصاعد الذي هو من مشاهير الحكماء. وصنف فيها كتاب: صنوان الحكمة[٢]. ورأيته في عنفوان الشباب، وهو كتاب لطيف لكني نسيت اسم مصنفه[٣].

علم طبقات الحنابلة(***)

ويعرف أحواله أيضًا مما مرّ، ولكن لم نعرف أنّه صنف طبقات المالكية والحنابلة. ولعله لم يهمل ذلك فضلاء ذلك المذهب.

علم طبقات الحنفية(****)

وصنف فيها العلماء مثل: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية[٤] ومثل مختصر قاسم بن قطلوبغا[٥] سمّاه: تاج التراجم. وهذا كافٍ في الباب مع اشتمالها على المهمات.

علم طبقات الشافعية(*****)

وصنف فيها ابن السبكي الكبرى والصغرى وأطنب فيها، وجمع وأوعب كل من انتسب إلى مذهب الشافعي. وقد اشتمل على فوائد لا تكاد توجد في كتاب.

علم طبقات القراء(******)

وهو علم يذكر فيه القرّاء السبعة بل العشرة

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلّق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلّف لها.

(١) للشيخ موفق الدين أحمد، المتوفى عام ٦٦٨هـ. (هامش الأصل).

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) صوان الحكم (وليس صنوان الحكمة) في طبقات الحكماء للقاضي ابي القاسم صاعد بن أحمد القرطبي (- ٢٥٠هـ). كشف الظنون ٢/١٠٨٣.

(٣) وذكر الشيخ كاتب الجلبي في كشف الظنون تحت طبقات الحكماء أن صنوان الحكمة لأبن صاعد، وللأمير محمد الشهير السناني، مات سنة ٥٤٨هـ. (هامش الأصل).

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مجلد للشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي الوفاء محمد القرشي المصري الحنفي (- ٧٧٥هـ). كشف الظنون ١/٦١٦.

(٥) لقبه زين الدين تلميذ ابن الهمام. (هامش الأصل).

(*****) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(******) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

بل الثلاثة عشر بل الخمسة عشر، ورواة هؤلاء، وغير ذلك الشيوخ والمصنفين في هذا العلم، ويذكر فيه أيضًا قراء الصحابة والتابعين وتبع تابعيهم إلى هذا الآن. وطبقات الذهبي[(١)] تصنيف مفيد في هذا العلم، ولا أجمع ولا أنفع من طبقات الشيخ الجزري[(٢)].

علم طبقات المالكية[(*)]

وموضوعه ورسمه معلوم من العلوم السابقة.

علم طبقات المحدثين[(**)]

من فروع التواريخ وفيها المصنفات العظام.

علم طبقات المفسرين[(***)]

وهو من فروع التواريخ أيضًا، وصنّف فيها المجلدات الكبار.

علم طبقات النحاة[(****)]

وصنّف فيها كثيرون مثل ياقوت الحموي ومجد الدين الشيرازي[(٣)] وصلاح الدين الصفدي وجلال الدين السيوطي، وغير ذلك من الكتب.

العلم الطبيعي[(*****)]

وهو علم يبحث فيه عن أحوال الأجسام الطبيعية بأنواعها. وموضوعه الجسم من حيث كونه متغيرًا. ومنفعته معرفة أحوال الأجسام البسيطة من الأفلاك والعناصر، والمركبة كالمواليد الثلاثة، وكائنات الجو، وغير ذلك من الحوادث العجيبة وغرائب المزاجات من الأحجار والنباتات والحيوانات. ومن الكتب النافعة فيه: كتاب أرسطاطاليس، أورد فيه ثمانية أجزاء هي الأصول، وجرّدها الشيخ أبو علي ابن سينا، في مختصر ترجمه بالمقتضيات. وسنذكر كتبًا تشتمل على المنطق والطبيعي والإلهي.

وللعلم الطبيعي سبعة فروع، وعند البعض عشرة. وهي: (علم الطب) و(علم البيطرة والبيزرة) و(علم الفراسة) و(علم تعبير الرؤيا) و(علم أحكام النجوم) و(علم السحر) و(علم

---

(١) طبقات القراء لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (.٧٤٨هـ). كتاب أخذه من تاريخه الكبير وهو على سبع عشر طبقة.
كشف الظنون ٢/ ١١٠٥.

(٢) طبقات القراء للشيخ محمد بن محمد الجزري (– ٨٣٣هـ) كبرى وصغرى، كبراه النهاية وصغراه غاية النهاية. وهو أجمع الكتب في هذا النوع.
كشف الظنون ٢/ ١١٠٥.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) هو محمد بن يعقوب بن محمد، مجد الدين الشيرازي الفيروز أبادي، أبو طاهر. توفي عام ٨١٧هـ. قاضي، إمام عصره في اللغة والأدب والتاريخ والأصول. له مصنفات عديدة. انظر عنه: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤/ ٣٩١، الأعلام ٨/ ١٩، ابناء الغمر ٧/ ١٥٩، الضوء اللامع ١٠/ ٧٩، البدر الطالع ٢/ ٢٨٠، بغية الوعاة ١١٧.

(*****) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الطلسمات) و(علم السيمياء) و(علم الكيمياء) و(علم الفلاحة). وذلك لأنّ نظره إمّا يتفرع على الجسم البسيط أو المركب أو ما يعمهما. والأجسام البسيطة إمّا الفلكية فأحكام النجوم، وإمّا العنصرية فالطلسمات. والأجسام المركبة إمّا ما لا يلزمه مزاج وهو علم السيمياء، أو يلزمه مزاج؛ فإمّا بغير ذي نفس فالكيمياء، أو بذي نفس؛ فإمّا غير مدركة كالفلاحة، أو مدركة؛ فإمّا مع كمال أنْ يعقل أوْ لا. الثاني البيطرة والبيزرة وما يجري مجراهما. والذي لذي النفس العاقلة هو الإنسان، وذلك إمّا في حفظ صحته واسترجاعها وهو الطب، أو أحواله الظاهرة الدالة على الأحوال الباطنة فالفراسة، أو أحوال نفسه حال غيبته عن حسّه وهو تعبير الرؤيا. والعام للبسيط والمركب السحر. فلنذكر هذه العلوم على هذا النهج في شعبة ثم لنذكر فروع الفروع في شعبة أخرى(١).

علم الطلسمات(*)

ومعنى الطلسم عقد لا ينحل. وقيل هو مقلوب اسمه، أعني مسلط لأنّه من جواهر القهر والتسلط. وهو علم باحث عن كيفية تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة في أزمنة مناسبة لما أريد منها من الفعل والتأثير، مع بخورات مناسبة مقوية جالبة لروحانية ذلك الطلسم، ليحدث عن هذه الأمور أفعال غريبة في علم الكون والفساد. وعلمه أقرب مأخذًا من علم السحر لأنّ مباديه وأسبابه معلومة. وكتاب(٢) طبقانا، نقل ابن وحشية عن النبط(٣)، وكتاب غاية الحكيم(٤)، للمجريطي(٥) أودعه قواعد هذا العلم، لكن ضنّ بالتعليم كل الضنّ وللسكاكي كتاب جليل القدر. ومنفعة هذا العلم ظاهرة عظيمة الغناء، لكن طرقه شديدة العناء.

علم الطيرة والزجر(**)

وهذا عكس الفأل، إذْ المطلوب في الفأل طلب الإقدام على الأمر، وفي الزجر طلب الهرب عن الأمر، وهو تشاؤم الإنسان بشيء يرد المناظر والمسامع مما تنفر منه النفس مما ليس بطبيعي. فأمّا نفارها مما هو طبيعي في الإنسان كنفاره من صرير الحديد وصوت الحمار فلا يُعدّ من هذا. واشتقاق التطير من الطير. وأصله في زجر الطير، وما سواه ملحق به، ثم كثر في غيره. وهذا التطير في العرب كثير حتى إنّ بعضًا من الناس انفتحت له أبواب الوساوس من المناسبات البعيدة في اللفظ والمعنى حتى يفسد

(١) لقد توزعت هذه العلوم ضمن الكتاب بحسب التقسيم الذي اعتمدناه، ويعتمد على التسلسل الألفبائي. وقد أشرنا إلى وجود هذه العلوم في شعبها ودوحاتها بحسب تقسيم المؤلف لها.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) طبتانا. كشف وأبجد. (هامش الأصل).

(٣) وهو طلسم الأسرار وكنز الأسرار في الأسماء، ذكره البوني. (هامش الأصل).

(٤) غاية الحكيم واحق النتيجتين بالتقديم في السحر للمجريطي (الحكيم ابي القاسم مسلمة بن أحمد القرطبي) (- ٣٩٨هـ). وهو على طريقة اليونان.
كشف الظنون ٢/ ١١٩١.

(٥) هو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي، أبو القاسم. ولد عام ٣٣٨هـ/ ٩٥٠م. وتوفي عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م. فيلسوف رياضي، فلكي. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٢٤، طبقات الأطباء ٢/ ٣٩، خلاصة الأثر ٤/ ٨، أخبار الحكماء ٢١٤، جلاء العينين ٢١٤.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الثالث في فروع أحكام النجوم، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

دينه وينكد عيشه. مثلًا: يتشاءم بالسفرجل إذا سمعه أو أهدي إليه ويقول: سفر وجلا. وإذا رأى ياسمينًا أو سمع اسمه يقول: ياس ومين. وإذا رأى سوسنة أو سمعها يقول: سوء يبقى سنة. وكذا إذا خرج من داره فاستقبل صاحب آفة من أعور أو أشل أو أعمى تطيّر به وتشاءم بيومه. مثلا: إذا أراد العرب سفرًا يطيرون طيرًا، فإذا طار عن اليمين يتوجهون إلى المقصد، وإن طار عن اليسار يرجعون عن السفر. والأول يسمّى السانح والثاني البارح. وللعرب أمثال هذا كثيرة. لكن النبي ﷺ نهى عن الطيرة وهي الزجر وأمر بالفأل.

قال في كتاب مفتاح دار السعادة[١]: إعلم أنّ التطير إنّما يضرّ من أشفق منه وخاف. وأما من لم يبال به ولم يعانه فلا يضره ألبتة، لا سيما إنْ قال عند رؤية ما يتطيّر به أو مرّ بسماعه: اللهم لا طير إلاّ طيرك، ولا خير إلاّ خيرك، ولا إله غيرك. اللهم لا يأتي بالحسنات إلاّ أنت، ولا يذهب بالسيئات إلاّ أنت، ولا حول ولا قوة إلاّ بك. وأما من كان معتنيًا بها فهي إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وقد فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة ما يفسد عليه دينه وينكد عليه معيشته، انتهى.

قال ابن عبد الحكم: خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة والقمر في الدبران، فكرهت أن أصرّح به، فقلت: ما أحسن استواء القمر في هذه الليلة. فنظر فقال: كأنّك أردت أنْ تخبرني أنّ القمر في الدبران. إنّا لا نخرج بشمس ولا بقمر، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار.

ومن غريب ما وقع في هذا الباب أنّ جعفر البرمكي اختار وقتًا لشغل[٢] إلى داره التي بناها، فاختاروا الليلة. فخرج في ذلك الوقت والطرق خالية إذْ سمع منشدًا يقول:

يـدبـر بـالـنـجـوم ولـيـس يـدري
وربّ الـنـجـم يـفـعـل مـا يـريـد

فتطيّر ودعا بالرجل وقال له: ما أردت بهذا. قال: ما أردت به معنى من المعاني، لكنه شيء عرض لي وجاء على لساني، فأمر له بدينار ومضى لوجهه. وقد تنغّص سروره وتكدّر عيشه، فلم يمض إلاّ قليلًا حتى أوقع به الرشيد ما هو المشهور.

علم العدد(*)

ويسمى الأرثماطيقي، وهو علم تتعرف منه أنواع العدد وأحوالها وكيفية تولد بعضها من بعض. وموضوعه الأعداد من جهة خواصها ولوازمها.

ومن الكتب المختصرة فيه: سقط الزند[٣] في علم العدد. ومن المتوسطة: كتاب الأرثماطيقي[٤] من أبواب الشفاء. ومن المبسوطة: كتاب نيقوماخس[٥] والد أرسطو.

---

(١) مفتاح دار السعادة للشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي (- ٧٥١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٦١.

(٢) هكذا في الأصل، وفي المصرية: لينتقل.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السادسة في العلوم الرياضية، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) لم نعثر على اسم هذا الكتاب في جميع كتب التراجم التي اعتمدناها.

(٤) كتاب الارثماطيقي في الأعداد لأبي العباس أحمد بن محمد السرخسي (- ٢٨٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٨٨. وتجدر الاشارة إلى أن بعض أجزاء الشفاء لابن سينا (-٤٢٨ هـ) كتاب يعني بالحساب ويشتمل على الأرتماطيقي.

(٥) هذا ليس اسم والد أرسطو بل اسم كتاب لأرسطو بعنوان: «الأخلاق إلى نيقوماخوس». =

ومنفعة هذا العلم ارتياض النفس بالنظر في المجردات عن المادة ولواحقها. ولذلك كانت القدماء يقدمونه في التعليم على سائر العلوم حتى المنطق، ولأنه مثال العالم في صدوره عن واجب مجرّد خارج عنه، كما أنّ الأعداد تنشأ عن الواحد، وليس هو بعدد. وفروع هذا الفن كثيرة سنوردها إنْ شاء الله تعالى.

علم العرافة(*)

وهو الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية بمناسبة بينهما، أو مشابهة خفية، أو ارتباط بينهما، إمّا لكونهما معلولي أمر واحد، أو لكون ما في الحال علة لما في الاستقبال، بشرط أن يكون الارتباط بينهما خفيًا لا يطلع عليه إلاّ الأفراد، إمّا بتجارب شاهدوها في أمثالها أو بحالة مودعة في نفوسهم عند الفطرة، بحيث يغلب على طالعهم سهم الغيب الذي عبّر عنه النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بالمحدث وهو المصيب في ظنه وفراسته، كما ذكرناه في علم الفراسة.

حكي أنّ الإسكندر لما أراد المحاربة مع ملك فارس قال ذلك الملك: لا حاجة إلى مقاتلة العساكر. هلمّ نقاتلك. فإمّا أنْ تقتلني وإمّا أن أقتلك. ففرح إسكندر بهذا الكلام، حيث قدم ذلك الملك نفسه في ذكر القتل، فكان كما قال.

ويحكى عنه أيضًا أنّه لما دخل بلاد الغرب مرّ على امرأة في مدينة وهي تنسج ثوبًا، فقالت له: أيها الملك: أعطيت ملكًا ذا طول وعرض، ثم مرّ عليها الملك الأول فقالت له: سيقطع الإسكندر ملكك. فغضب الملك. فقالت: لا تغضب إنّ النفوس قد تشاهد أمورًا قبل وقوعها بعلامات يحكم النفس بصدقها. ولما مرّ عليّ الإسكندر كنت أدبر طول الثوب وعرضه. ولما مررت أنت فرغت عنه وأردت قطعه، وكان الأمر كما قالت.

ويحكى أنّه بعث جماعة من أصحاب ابن الرومي الشاعر إليه في بعض الأيام غلامًا مليحًا، حسن الوجه، حسن الاسم، طيب الرائحة. فلما طرق الباب، خرج إليه ابن الرومي، فسأله الحضور إلى عند أصحابه. فسمع كلامه وشمّ طيبه ورأى وجهه المليح، فقال: حسن في حسن مع طيب وأجابه إلى سؤاله. فلما خرج معه رأى دكان خيّاط على رأس الدرب وهو يفصل ثوبًا، فرجع بيته وأغلق الباب.

ويحكى عنه أيضًا أنّه توجه يومًا إلى مقصد فرأى دكانًا وقد صلب صاحبه درابتي الباب وهو يأكل تمرًا، فقال ابن الرومي: إنّ الدرابتين شكل لا، والتمر تمر. فالفأل يقول: لا تمر. وقال: والله لا مررت أبدًا. وله في هذا الباب حكايات عجاب.

ويحكى أنّه كان في زمن هارون الرشيد رجل أعمى من أهل العرافة، وكان يستدل على

=وملخص رأي أرسطو في الأخلاق، أن الفضيلة حالة اعتيادية وهي وسط بين رذيلتين. الإفراط والتفريط. فما معنى الوسط؟ هل هو وسط حسابي حتى التبس الأمر على طاش كبري زاده. يبدو الأمر كذلك. ففي الكتاب المذكور أعلاه (مج ٢، فصل ٥، ص١١٠٦، ٢٦ - ٢٧) يشبه أرسطو الفعل الأخلاقي بحركة، أي بكم متصل يقبل القسمة. وفي كل كم قابل للقسمة يوجد قسم أكبر وقسم أصغر أو مساوٍ. ففي حال المساواة أو المكافأة نستطيع تحديد الوسط. إن هدف أرسطو من ذلك تحديد معيار موضوعي للوسط الأخلاقي يمثله المعلم الأول على الوسط الحسابي. وبالتالي الوسط العادل الأخلاقي هو أن نفعل وفقاً لما تقتضيه القاعدة الأخلاقية. وهي القاعدة المستقيمة في الحساب. ويخلص إلى ضرورة انطباق الفعل على القاعدة الأخلاقية. Aristote, Ethique à Nicomaque, Liv II C.3 etc...

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

المسئول عنه بكلام صدر عن الحاضرين عقيب السؤال، فسرق يومًا من خزانة هارون بعض من الأشياء فطلب الرجل وأمر أن لا يتكلم أحد بعد السؤال أصلًا، ففعلوا كما أمر هارون، والأعمى ألقى سمعه، ولم يسمع شيئًا. فأمرّ يده على البساط فوجد فيه نوى تمر فقال: إنّ المسئول عنه درّ وياقوت وزمرّد في سفط. فقال الرشيد: في أين هو؟ قال: في بئر، فوجدوه كما ذكر الأعمى، فتحيّر الرشيد فيه. فسأل عن سبب معرفته فقال: وجدت نوى تمر وطلع النخلة أبيض وهو كالدرة، ثم يكون بسرًا وهو أخضر وهو لون الزمرد، ثم يكون رطبًا وهو أحمر وهو لون الياقوت. ثم لما سألتم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو فعرفت أنّه في بئر، فاستحسن الرشيد فراسته فأعطاه مالًا جزيلًا.

ومن هذا القبيل ما حُكي عن أبي معشر[1] أنّه وقف هو وصاحب له على واحد من هؤلاء، وكانا مارين في خلاص مسجون، فسألاه، فقال: أنتما في طلب خلاص مسجون. فعجبا من ذلك. فقال له أبو معشر: هل يخلص أم لا؟ فقال: تذهبان تلقيانه قد خلص، فوجدا الأمر كما قال. فاستدعاه أبو معشر وأكرمه، وتلطف له في السؤال عن كيفية علم ذلك، فقال: نحن قوم نأخذ الفأل بالعين والنظر، فينظر واحدنا إلى الأرض، ثم يرفع رأسه. فأول شيء يقع عليه نظره يكون الحكم به فلما سألتماني كان أول ما رأيت ماء في قربة، فقلت: هذا محبوس. ثم لما سألتماني الثانية نظرت، فإذا هو قد أفرغ من القربة، فقلت: يخلص.

وبعض من هذه الطائفة يستدلون بالمكان الذي يضع السائل يده عليه من جسده وقت السؤال، فإنْ وضع يده على رأسه فهو رئيسه وكبيره، والرجلين قوامه، والأنف بناء مرتفع أو تلّ أو نجوة، والفم بئر عذبة، واللحية أشجار وزروع.

حكي عن المهدي[2] أنه رأى رؤيا وأنسيها فأصبح مغتمًا بها، فدلّ على رجل كان يعرف الزجر، والفأل، وكان حاذقًا به اسمه خويلد. فلما دخل عليه أخبره بالذي أراده له. قال له: يا أمير المؤمنين: صاحب الزجر والفأل ينظر إلى الحركة وأخطار الناس، فغضب المهدي وقال: سبحان الله العظيم، أحدكم يذكر بعلم ولا يدري ما هو، ومسح بيده على رأسه ووجهه، وضرب بها على فخذه، فقال له: أخبرك برؤياك يا أمير المؤمنين. قال: هات. قال: رأيت كأنك صعدت جبلًا. فقال المهدي: لله أبوك يا سحار، صدقت. قال: ما أنا بسحار يا أمير المؤمنين، غير أنك مسحت بيدك على رأسك، فزجرت لك، وعلمت أنّ الرأس ليس فوقه شيء إلاّ السماء فأولته بالجبل. ثم نزلت بيدك إلى جبهتك فزجرت لك نزولك إلى أرض ملساء، فيها عينان مالحتان. ثم انحدرت إلى سفح الجبل، فلقيت رجلًا من فخذك قريش لأنّ أمير المؤمنين مسح بعد ذلك على فخذه، فعلمت أنّ الرجل الذي لقيته من قرابتك. قال: صدقت. وأمر له بمال، وأمر أنْ لا يحجب

---

(١) هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر. مات بواسط عام ٢٧٢هـ/ ٨٨٦م. عالم فلكي مشهور. له تصانيف كثيرة ومشهورة.
الأعلام ٢/ ١٢٧، الفهرست ١/ ٢٧٧، القفطي ١٠٦، وفيات الأعيان ١/ ١١٢، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٤٠٤.

(٢) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي العباسي، أبو عبد الله. ولد عام ١٢٧هـ/ ٧٤٤م وتوفي عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. من الخلفاء العباسيين في العراق. محمود السيرة، حسن الخلق، جواد، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٢١، فوات الوفيات ٢/ ٢٢٥، تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٢٥، ابن الأثير ٦/ ١١، تاريخ بغداد ٥/ ٣٩١.

عنه. وأمثال هذه الحكايات كثيرة تعرفها من تتبع المحاضرات.

علم العروض[*]

وهو علم يبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة للشعر العارضة للألفاظ والتراكيب العربية. وموضوعه الألفاظ العربية[١] من حيث إنها معروض للإيقاعات المعتبرة في البحور الستة عشر[٢] عند العرب على ما وضعه واضع هذا الفن الخليل بن أحمد. فعلى الأول يكون علم العروض من فروع الموسيقى[٣]، وعلى الثاني من فروع علم الشعر[٤] على مذهب المتأخرين. وإن اعتبرت في الأشعار العربية يكون من فروع العلوم الأدبية. والمختار عندنا هذا[٥] وغايته الاحتراز عن الخطأ في إيراد الكلام على الإيقاعات المعتبرة. ومباديه مقدمات حاصلة من تتبع أشعار العرب. وإنما جعلوا هذا العلم جزأ من علم البلاغة لأنّ الإيقاع بمنزلة الحسن العرضي لتنشيط السامعين وتطريبهم زيادة طرب، فيتمكن الكلام المعتبر هو فيه في النفس أشد تمكن، ويتأثر منه النفس فيقبلها أشد قبول، سيّما إذا تضمن تخييلًا، سيّما إذا كان ذلك التخييل والوزن مناسبًا لطبع السامع وحاله، كما يعرف تلك المناسبة المتدربون في ذلك العلم.

وقد يقال: لما توقف علم المعاني على تتبع التراكيب العربية، وكانت التراكيب قسمين: منظوم ومنثور، وتوقف معرفة المنظوم على علم العروض، جعلوه من العلوم العربية. لكن يكون حينئذٍ من مبادي علم المعاني كالمحاضرات والتواريخ لا قسمًا برأسه من علم المعاني كما ذكرناه أولًا. لكن الصحيح أنّه قسم برأسه منه لأنه من المحسنات العرضية للكلام كما ذكرناه[٦].

واعلم أنّ العروض يستغني عنه السليم الطبع المستكثر لأنواع الشعر[٧]، ولا ينتفع به البليد ويحتاج إليه من عداهما وهم الأكثرون. وإنْ اجتمع الطبع والكسب فذلك غاية الحذق والمهارة.

واعلم أنّ الشعر عند الحكماء كلام مخيل موزون أو غير موزون، وجعلوا مدار الشعر على المخيلات التي تتأثر منها النفس قبضًا وبسطًا، حتى قيل: النفس في باب الإقدام والإحجام أطوع على التخييل من التصديق. وعند المتأخرين كلام موزون مقفى، فاعتبروا القافية والوزن وتركوا التخييل. وعند بعضهم كلام موزون عمدًا، فهم تركوا التقفية والتخييل، إلاّ أنهم اعتبروا العمد ليخرج ما وقع في التنزيل من الآيات الموزونة عن حدّ الشعر، إذْ لا عمد فيها،

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) لو لم يقيد بالعربية لكان أشمل وأحسن. (هامش الأصل).

(٢) بعد ضم الأخفش بحراً يسمى الخبب. (هامش الأصل).

(٣) على كونه باحثاً عن الأوزان. (هامش الأصل).

(٤) على كون تلك الأوزان معتبرة للشعر. (هامش الأصل).

(٥) فيكون التقييد بالعربية بناءً على هذا، فليتأمل. (هامش الأصل).

(٦) فعلى هذا يكون قسماً من البديع لا من المعاني، إلاّ أن يجعل شاملاً للبديع، وفيه بحث، فتدبر. (هامش الأصل).

(٧) يؤيّده ما حكي عن الخليل أنه قال: كان يتردد إليّ شخص يتعلم العروض وهو بعيد عن الفهم. فأقام مدة ولم يتعلق على خاطره منه شيء. فقلت له: قطّع هذا البيت:

إذا لـم تـسـتـطـع أمـراً فـدعـه ... وجـاوزه إلـى مـا تـسـتـطـيـع

فشرع إلى تقطيعه على قدر معرفته، فنهض ولم يعد يجيء إلى عندي. فعجبت منه ومن فطنته لما قصد به في البيت، مع بعد فهمه. (هامش الأصل).

بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾[١]، لكن الحق وهو المختار عندي اعتبار القيود المذكورة جميعًا من التخييل وإلاّ يصير الكلام كتزيين الشوهاء، والوزن وإلاّ ينقص لذة الطبع، والتقفية وإلاّ ينقص لذة السمع، والعمد وإلاّ يلزم وجود الشعر في القرآن وما هو بقول شاعر. فالشعر كلام مخيل موزون مقفى بطريق العمد. والتخييل تأثير الكلام في النفس بالقبض أو البسط أو غيرهما بحسب المعنى المراد منه.

والوزن عبارة عن هيئة تتبع نظام ترتيب المتحركات والساكنات وتناسبها في العدد والمقدار، بحيث تجد النفس عند سماعها لذة مخصوصة ذوقية.

واعلم أنّ واضع هذا الفن خليل بن أحمد، تتبع أشعار العرب وحصرها في خمسة عشر وزنًا، وسمّى كلًا منها بحرًا، واعتبر في هذه البحور أربعًا وثلاثين عروضًا وثلاثًا وستين ضربًا. وذكر من علل الزحاف ثلاثًا وعشرين علة. قيل: إنّما وضعه خليل بن أحمد عند أستار الكعبة، وسأل الله تعالى أنْ يرزقه علمًا لم يسبق إليه أحد. فأجاب الله سبحانه وتعالى دعوته، فأعطاه هذا العلم، حتى إنّه سمّاه باسم العروض تبركًا وتيمنًا، لأنّ العروض من أسماء الكعبة.

روى أنّ ابن المعتز قال: كان سبب استخراج الخليل هذا العلم أنّه مرّ بالبصرة في سكة القصارين، فسمع دقّ الكُذينق بأصوات مختلفة. فسمع من دار دقّ، ومن أخرى دق دق، ومن أخرى دقق دقق، فأعجبه ذلك وقال: والله لأضعنّ على هذا المعنى علمًا غامضًا. فوضع العروض على حدود الشعر.

قلت: الكُذينق بضم الكاف وكسر المعجمة وسكون المثناة التحتانية وفتح النون شيء من جلود يدق به كالهاون. ومن الكتب المختصرة في علم العروض: كتاب لابن مالك، وقد عرفت ترجمته. وعروض الورقة[٢] للجوهري، ولامية ابن الحاجب وقد عرفتهما. وللأيكي[٣] مختصر بديع.

وعروض ابن القطان[٤]، هو أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز المعروف بابن القطان الشاعر البغدادي[٥]. سمع الحديث من جماعة. وسمع عليه، وكان غاية في الخلاعة والمجون، كثير المزاح والمداعبة والهجاء، ولم يسلم منه أحد، لا الخليفة ولا غيره. وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات ظريفة. وله: ديوان شعر أكثره جيد. ولد ضاحي نهار يوم الجمعة، سابع ذي الحجة سنة ثمان أو سبع وسبعين وأربع مائة، وتوفي يوم السبت الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمس مائة ببغداد. ولامية صدر الدين[٦] الساوي[٧]،

---

(١) يٓس/ ٦٩.

(٢) لإسماعيل بن حماد الجوهري الإمام أبو نصر الفارابي اللغوي (- ٣٩٣هـ): معجم المؤلفين ٢/ ٢٦٧، هدية العارفين ١/ ٢٠٩.

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي المعروف بالأيكي، شمس الدين أبو عبد الله. ولد عام ٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م. وتوفي عام ٦٩٧هـ/١٢٩٨م. فقيه، أصولي، صوفي، منطقي، له عدة تصانيف.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٩/ ١١٨، حسن المحاضرة ١/ ٣١٤، شذرات الذهب ٥/ ٤٣٩.

(٤) عروض ابن القطاع (هكذا ورد في كشف الظنون) لأبي القاسم هبة الله بن الفضل، الشاعر البغدادي المتوفى سنة ٥٥٨هـ. كشف الظنون ٢/ ١١٣٤.

(٥) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٥، عيون الأنباء ١/ ٢٨٣، فوات الوفيات ٢/ ٣١٤، مرآة الجنان ٣/ ٣١٥.

(٦) عروض الساوي قصيدة لامية ضاهى [تضاهى] الحاجبية لصدر الدين محمد بن ركن الدين محمد الساوي. كشف الظنون ٢/ ١١٣٦.

(٧) هو صدر الدين محمد بن ركن الدين محمد الساوي. مجهول الوفاة.

وشرحها[١] للإمام القزويني[٢]. وشرح لامية ابن الحاجب[٣] لجمال الدين بن واصل[٤]. وشفاء العليل في علم الخليل[٥] لأمين الدين المحلي وقد مدحه سراج الدين الورّاق[٦] في قطعة له يمدح بها المحلي وهي هذه:

جـزاك الله عـن عـلـم الـخـلـيـل
مـجـازاة الـجـلـيـل عـن الـخـلـيـل
وكـنـا قـد أيـسـنـا مـنـه حـتـى
شـفـيـت غـلـيـلـنـا بـشـفـا الـعـلـيـل

والمحلى هو محمد بن علي بن موسى بن عبد الرحمن، أبو بكر الأنصاري، الشيخ أمين الدين المحلى. قال الذهبي: أحد أئمة النحو بالقاهرة، تصدّر لإقرائه وانتفع به الناس. وله شعر حسن وتصانيف حسنة، منها: أرجوزة في العروض. مات في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وست مائة عن ثلاث وسبعين[٧].

ومن الكتب النافعة: عروض الخطيب التبريزي، وهو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني، أبو زكرياء ابن الخطيب التبريزي[٨]. قال ياقوت: وربما يقال له الخطيب وهو وهم. وكان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب، حجة صدوقًا ثبتًا. هاجر إلى أبي العلاء المعري، وأخذ عنه عبيد الله الرقي[٩]، والحسن بن رجاء بن الدهان[١٠]، وابن برهان[١١]، والمفضل القصباني[١٢]، وعبد القاهر الجرجاني، وغيرهم. وسمع الحديث وكتب الأدب على خلق، منهم: القاضي أبو الطيب

---

(١) شرح اللامية: عروض الساوي قصيدة لامية لصدر الدين محمد بن ركن الدين محمد الساوي. شرحها القزويني. مجهول كشف الظنون ٢/١١٣٧.

(٢) القزويني شارح لامية الساوي مجهول الوفاة.

(٣) عروض ابن الحاجب لأبي عمرو عثمان بن عمر المالكي (- ٦٤٦هـ)، من شراحها جمال الدين محمد بن سالم الحموي المعروف بأبن واصل (- ٦٨٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٣٤.

(٤) هو محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين. ولد عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م وتوفي عام ٦٨٧هـ/ ١٢٩٨م. مؤرخ، عالم بالمنطق والهندسة والأصول. له عدة مصنفات انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٣٣، نكت الهميان ٢٥٠، بغية الوعاة ٤٤، الوافي بالوفيات ٣/ ٨٥.

(٥) أي العروض (وهو أرجوزة) لأمين الدين محمد بن علي المحلي (- ٦٧٣هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٥١.

(٦) هو عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الوراق. ولد عام ٦١٥هـ/ ١٢١٩م وتوفي عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م. شاعر، كاتب، له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٦٣، فوات الوفيات ٢/ ١٠٧، النجوم الزاهرة ٨/ ٨٣، تاريخ آداب اللغة ٣/ ١٢٠.

(٧) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ١٨٧، بغية الوعاة ٨٢، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٧.

(٨) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٣٠٧، الكامل لابن الأثير ١٠/ ١٦٧، المنتظم ٩/ ١٦١، بغية الوعاة ٤١٣، معجم الأدباء ٢٠/ ٢٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٧١، مرآة الجنان ٣/ ١٧٢، شذرات الذهب ٤/ ٥.

(٩) لم يعثر له على ترجمة في المراجع المتوفرة.

(١٠) هو الحسن بن محمد بن علي بن رجاء المعروف بابن الدهان. أبو محمد، توفي عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. نحوي، لغوي، أديب، له عدة تصانيف.
انظر عنه: الوافي بالوفيات ١١/ ٢٤، كشف الظنون ١/ ٨٠٠، معجم المؤلفين ٣/ ٢٨٦.

(١١) هو عبد الواحد بن علي، ابن برهان الأسدي العكبري، أبو القاسم. توفي ببغداد عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م. عالم بالأدب والنسب. كان منجماً ثم صار نحوياً، وكان حنبلياً ثم تحول حنفياً. له عدة كتب. الأعلام ٤/ ١٧٦، فوات الوفيات ٢/ ١٩، تاريخ بغداد ١١/ ١٧، إنباه الرواة ٢/ ٢١٣، شذرات الذهب ٣/ ٢٩٧، بغية الوعاة ٣١٧، هدية العارفين ١/ ٦٣٤.

(١٢) هو الفضل (المفضل) بن محمد بن علي القصباني البصري، توفي عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م. عالم باللغة والأدب، ضرير، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٥١، بغية الوعاة ٣٧٣، نكت الهميان ٢٢٧، اللباب ٢/ ٣٦٦، إرشاد الأريب ٦/ ١٤٣.

الطبري[١]، وأبو القاسم التنوخي[٢]، والخطيب البغدادي. وأخذ عنه العلم موهوب الجواليقي[٣] وغيره. وروى عنه السلفي[٤] وأبو الفضل ابن ناصر[٥]. ووليّ تدريس الأدب بالنظّامية وخزانة الكتب بها. وانتهت إليه الرياسة في فنه، وشاع ذكره في الأقطار. وكان يدمن شرب الخمر ويلبس الحرير والعمائم المذهبة. وكان الناس يقرؤون عليه تصانيفه وهو سكران، وكان أكولاً نهمًا[٦]. صنّف: شرح القصائد العشر، وتفسير القرآن، والإعراب، وشرح اللمع، والكافي في العروض والقوافي، ثلاثة شروح على الحماسة، شرح شعر المتنبي، وشعر أبي تمام، وشرح الدريدية، وشرح سقط الزند، وشرح المفضليات، وتهذيب الإصلاح لابن السكيت، وغير ذلك. ولد سنة إحدى وعشرين وأربع مائة، مات فجاءة في جمادى الأولى سنة ثنتين وخمس مائة.

ومن الكتب النافعة المفيدة: عروض أبي الجيش[٧] الأنصاري الأندلسى، وهو أبو عبد الله محمد[٨]. وشرحه داود القيصري[٩] المدرّس بمدرسة أزنيق من بلاد الروم. وشرحه أيضًا إلياس بن إبراهيم الرومي[١٠]، سمّاه فتح النقوض في شرح العروض[١١]. ومن الكتب النافعة في الغاية: القصيدة الخزرجية[١٢]

---

(١) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، أبو الطيب الطبري. ولد عام ٣٤٨هـ. وتوفي عام ٤٥٠هـ. فقيه، علامة، قاضٍ، مجتهد أصولي. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٢١، تاريخ بغداد ٨/ ٣٥٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٩٥، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٧٦، طبقات الشافعية لابن أبي شهبة ١/ ٢٣١، البداية والنهاية ١٢/ ٧٩.

(٢) هو علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي، أبو القاسم. ولد عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م وتوفي عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. قاضٍ، شاعر، سمع الحديث وله عدة مصنفات. انظر عنه: معجم المؤلفين ٧/ ١٧٥، المنتظم ٨/ ١٦٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٥٨، فوات الوفيات ٢/ ٦٨، لسان الميزان ٤/ ٢٥٢.

(٣) هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي. ولد عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م وتوفي عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. عالم باللغة والأدب. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٣٣٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٤٢، بغية الوعاة ٤٠١، إنباه الرواة ٣/ ٣٣٥.

(٤) هو أحمد بن محمد بن سلفه، الأصبهاني، صدر الدين، أبو طاهر السلفي. ولد عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وتوفي عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م. حافظ مكثر. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢١٥، وفيات الأعيان ١/ ٣١، مرآة الزمان ٨/ ٣٦١.

(٥) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي، أبو الفضل السلامي. ويقال له ابن ناصر. ولد عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م وتوفي عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م. محدث العراق في عصره. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٢١، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٨، المنتظم ١٠/ ١٦٢، الرسالة المستطرفة ١٢٠.

(٦) النهم محركة إفراط الشهوة في الطعام. (هامش الأصل).

(٧) عروض أندلسي لأبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الأندلسي المعروف بأبي الجيش الأنصاري المغربي (- ٥٤٩هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٣٥.

(٨) هو عبد الله بن محمد أبو محمد الأنصاري الأندلسي. توفي عام ٥٤٩هـ. له عدة كتب. انظر عنه: كشف الظنون ٢/ ١١٣٥.

(٩) هو داود بن محمود بن محمد، شرف الدين القيصري. توفي عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م. أديب، عالم له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣٣٥، هدية العارفين ١/ ٣٦١، كشف الظنون ٢/ ١٩٨٧.

(١٠) هو الياس بن إبراهيم السينوبي الحنفي. توفي عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م. من علماء الكلام. له معرفة بالفقه والأدب، عالم بالعربية. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٨، هدية العارفين ١/ ٢٢٥، كشف الظنون ٢/ ١٢٨٧.

(١١) للمولى إلياس بن إبراهيم السينوبي (- ٨٩١هـ)، شرح عروض اندلسي لأبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الأندلسي المعروف بأبي الجيش الأنصاري المغربي (- ٥٤٩هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٣٥.

(١٢) عروض الخزرجية، قصيدة معروفة بالرامزة في العروض والقوافي، قصيدة منظومة في البحر الطويل للإمام ضياء الدين أبي محمد الخزرجي (عبدالله بن محمد المالكي الأندلسي). كشف الظنون ٢/ ١١٣٥.

وشرحها ابن داود المغربي. وفيما أورده السكاكي في تكملة مفتاح العلوم كفاية في هذا العلم والله اعلم.

علم العزائم(*)

وهو علم تتعرّف منه كيفية تسخير الأرواح واستخدامها في مقاصده كتسخير الملك والجنّ. ومن هذا القبيل ما يفعله أصحاب الأوهام والنفوس القوية التي إذا تجرّدت وتوجّهت نحو شيء أثّرت فيه. وأقرب شاهد له في الشريعة الإصابة بالعين، وقد أثبته النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وقال: إنّه حق وثبت عن جماعة أنّهم يقتلون النفس بالهمة، وجلّ هذا قد يُسمّى تجرّد النفس أيضًا إمّا لخير أو لشر.

حكي أنّ السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكَين لما غزا الهند انتهى إلى قلعة منيعة عصت عليه مدة، فخرج إليه بعض أهلها وقال: إذا كان وقت طلوع الشمس مرّ الجيش بضرب الطبول، ففعلوا، فانفتحت. فسألوا عنها فقال: إنّ أهل هذه القلعة أصحاب همم، وصرفوا همتهم إلى دفعك عنها، ولا يشوش عليهم شيء كالطبول المزعجة، وغلبت العساكر القلعة. وطريق هذا التسخير أمر صعب لم نباشره، لكن سمعت كثيرًا ممن أثق به أنّه باشرها وحصل مرامه وأنجح مقاصده.

علم عقود الأبنية(**)

وهو علم تتعرّف منه أحوال أوضاع الأبنية، وكيفية أحكامها، وطريق حسنها كبناء الحصون المحكمة وتنضيد المنازل البهية والقناطر المشيدة وأمثالها، وأحوال كيفية شقّ الأنهار، وتقنية القناء وإنباط المياه ونقلها من الأغوار إلى النجود وغير ذلك. ومنفعته عظيمة في عمارة المدن والمنازل والقلاع، وفيه كتاب لابن الهيثم(١) وكتاب آخر للكرجي(٢).

علم علل القراآت(***)

وهو علم باحث عن لمية القراآت، كما أنّ علم القرآءة باحث عن إنيّتها. فالأول دراية والثاني رواية. ولما كانت الرواية أصلًا في العلوم الشرعية جعل الأول فرعًا والثاني أصلًا، ولم يعكس الأمر، وإنْ أمكن ذلك باعتبار آخر. وموضوع هذا العلم وغايته ظاهرة للمتأمّل المتيقظ.

علم عمل الاسطرلاب(****)

(*) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو علي. ولد عام ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م وتوفي نحو عام ٤٣٠هـ/نحو ١٠٣٨م. مهندس، فلكي، عالم بالفيزياء. له مصنفات هامة. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٨٣، طبقات الأطباء ٢/ ٩٠، أخبار الحكماء ١١٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٩٨، كشف الظنون ١/ ١٣٨.

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر بن محمد، أبو الحسن الكرجي. ولد عام ٤٥٨هـ، وتوفي عام ٥٣٢هـ. فقيه، محدث، أديب، شاعر، ورع، إمام كبير. له مصنفات عديدة.
انظر عنه: طبقات الشافعية لابن أبي شهبة ١/ ٣١٧، طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٨١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٢، شذرات الذهب ٤/ ١٠٠، مرآة الزمان ٨/ ١٠١.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الأول في فروع علم القراءة من علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

وهو علم يتعرّف منه كيفية استخراج الأعمال الفلكية من الاسطرلاب بطرق خاصة مبينة في كتبها. وهذا أيضًا علم نافع يستخرج منه كثير من الأعمال من معرفة ارتفاع الشمس، ومعرفة المطالع والطوالع، ومعرفة أوقات الصلوة وسمت القبلة، ومعرفة طول الأشياء بالذراع وعرضها إلى غير ذلك.

علم غرائب لغات الحديث(*)

وهذا العلم شريف موضوعه، ولطيف نفعه وغايته، ولقد صنف فيه العلامة الزمخشري كتاب الفائق[1]. والإمام ابن الأثير الجزري كتاب النهاية[2]. وقد ذكرنا هذين الكتابين في علم اللغة، لأنّ هذا العلم قد يعدّ من فروع علم اللغة أيضًا.

علم الغنج(**)

وهو علم باحث عن كيفية صدور الأفعال التي تصدر عن العذارى والنسوان الفائقات الجمال، والمتصفات بالظرف والكمال. وإذا اقترن الحسن الذاتي بالغنج الطبيعي كان كاملًا في الغاية، وإنْ كان الغنج متكلفًا أو عرضيًا يكون دون الأول، لكن كل شيء من المليح مليح. ولقد قال الشاعر:

ما أنت مادحها يا من يشبهها
بالشمس والبدر لا بل أنت هاجيها
من أين للشمس خال فوق وجنتها
ومضحك في نظام الدرّفي فيها
من أين للبدر أجفان مكحلة
بالسّحر والغنج يجري في حواشيها

وهذا الغنج إن وقع في أثناء المباشرة والمخالطة والتقبيل وغير ذلك مما هو من هذا القبيل كان محركاً لقوة الوقاع، وينتفع به العاجزون عن القربان كل الانتفاع. والغنج في هذا الحال مرخّص في الشرع، وهو يحمد في النساء في تلك الحال، بل قد تؤجر هي عليها في الجماع الحلال. ونساء العرب مشهورات بين الرجال بحسن الغنج ولطف الدلال، عصمنا الله وإياكم عمّا لا يرضاه في القول والعقد والعمل إنّه كريم منان.

علم الفأل(***)

وهو علم يتعلم بذلك ما يحدث من الحوادث الآتية بطريق اتفاق حدوث أمر من جنس الكلام، إمّا تسمعه من غيرك أو تفتح مصحفًا أو كلام من تعتقد فيه من الأنبياء أو الأولياء، وموضوع هذا العلم ظاهر من تعريفه. ومنفعته وفائدته كعلم الرمل، لكن الأصح الذي شهد الشرع بجوازه والتجربة بصدقه التفاؤل بالقرآن العظيم. ونقل هذا التفاؤل عن الصحابة وعن السلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين. وطريق فتح الفأل من المصحف كثير مشهور عند الناس، لكن الأحسن

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الفائق في غريب الحديث للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (- ٥٣٨هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٢١٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث، مجلدات للشيخ الإمام أبي السعادات مبارك ابن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري (- ٦٠٦هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٩٨٩.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة العاشرة في فروع علم الموسيقى، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم العنقود الثالث في فروع أحكام النجوم، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الاعتبار بالمعاني دون الألفاظ والحروف. كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلم يتفاءل ويعجبه الفأل الحسن، ولا يتطيّر. ولما هاجر إلى المدينة وقاربها سمع مناديًا ينادي: يا سالم. فقال لأصحابه: سلمنا. فلما دخل المدينة سمع آخر يقول: يا غانم. فقال صلّى الله عليه وآله وسلم: غنمنا. فلما نزل أتى برطب فقال: حلالنا البلد. وأمثال ذلك كثيرة.

وأما التطير فقد نهى عنه صلّى الله عليه وآله وسلم وقال: «لا طيرة ولا هامة ولا صفر»(١). واعلم أن الإمام العلامة القاضي أبا بكر بن العربي صرّح في الأحكام(٢) في سورة المائدة بتحريم أخذ الفأل من المصحف. ونقله القرافي(٣) عن الإمام الطرطوسي(٤)، وأقرّه وأباحه ابن بطة(٥) من الحنابلة. قال الدميري ومقتضى مذهبنا كراهته.

وحكى الماوردي في كتاب أدب الدين والدنيا(٦) أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يومًا في المصحف فخرج له قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ⑮﴾(٧) فمزّق المصحف وأنشأ يقول:

أتــوعّــد كــلّ جــبــار عــنــيــد ... فــهــا أنــا ذاك جــبــار عــنــيــد

إذا مــا جــئــت ربــك يــوم حــشــر ... فــقــل يــا ربّ مــزقــنــي الــولــيــد

فلم يلبث إلاّ أيامًا يسيرة حتى قتل شرّ قتلة، وصلب رأسه على قصره، ثم على أعلى سور بلده.

علم الفتاوى(*)

وهو علم تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزئية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم. والكتب المؤلفة في هذا العلم أكثر من أن تحصى، بعضها على مذهب الشافعية، وبعضها على مذهب الحنفية، وكذا المالكية والحنابلة. وقد ذكرنا كثيرًا منها في علم الفقه من المتون والشروح والفتاوى، مع ترجمة مؤلفيها. لكن نذكرها هنا على الإجمال بعضًا من الكتب المعتبرة الواقعة على مذهبنا، وهي: الهداية، وشروح الجامع الصغير للحسامي وللبرهاني وللصدر الشهيد وللعتابي ولقاضي خان وللتمرتاشي ولأبي الليث، وهذه شروح سبعة

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ح١١٧٦٤، ١١/ ٢٣١.

(٢) أحكام القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الحافظ المالكي (- ٥٤٣هـ).
كشف الظنون ١/ ٢٠.

(٣) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي، ولد بمصر وتوفي بالقاهرة عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م. فقيه، مالكي. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول. الأعلام ١/ ٩٤، الديباج المذهب ٦٢، شجرة النور ١٨٨، التصوير عند العرب ٧٩.

(٤) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي. ولد عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م. وتوفي عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م. فقيه مالكي. حافظ، أديب. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٣٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٧٩، الديباج المذهب ٢٧٦، نفح الطيب ١/ ٣٦٨.

(٥) هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة. ولد عام ٣٠٤هـ/ ٩١٧م. وتوفي عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م. عالم بالحديث، فقيه كبير، له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٩٧، إيضاح المكنون ١/ ٨، طبقات الحنابلة ٢/ ١٤٤.

(٦) أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي (- ٤٥٠هـ).
كشف الظنون ١/ ٤٥.

(٧) إبراهيم/ ١٥.

(*) يتبع هذا العلم المطلب السابع في فروع علم الفقه، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

للجامع الصغير. ومنها: الأجناس للناطفي والتجنيس لصاحب الهداية، والمنتقى للحاكم الشهيد، والواقعات للصدر الشهيد، والأسرار للقاضي أبي زيد، والكافي للحاكم الشهيد، وتحفة الفقهاء وشرحها البدائع للكاشاني، وخلاصة الفتاوى، وقنية المفتي، ومنية المفتي، والمبسوط، والزيادات، والجامع الكبير، والأمالى، والمحيط، والملتقط في شرح الزيادات لقاضي خان، والنوادر، وشرح الطحاوي، وغنية الفقهاء، وعمدة المفتي، والتجريد، والذخيرة، وخزانة الفقه، والعيون، والنوازل، والروضة، وشرح الارشاد، وجمع العلوم، وجمع التفاريق، والقدوري، والمنظومة، والوقاية، والبداية، وكفاية المنتهى، وفتاوى أبي الليث، وفتاوى قاضي خان، والفتاوى الظهيرية، وفتاوى الرستغفني، وواقعات الصدر الشهيد، وواقعات الحلوائي، وبغية المنية لصاحب القنية، والفتاوى الصغرى، وفتاوى المرغيناني، والفتاوى الكبرى، وفتاوى حسام الدين الرازي، والفتاوى الجلالية، وفتاوى شرف الدين المكي، وشرح شيخ الإسلام المعروف بخواهر زاده، وتتمة الفتاوى، وفوائد الإمام أبي علي النسفي، وفتاوى الفقيه أبي جعفر البلخى، وفتاوى شمس الأئمة الحلوائي، وفتاوى بهاء الدين الاسبيجابي، وفتاوى التمرتاشي، وفتاوى أبي الفضل الكرماني، والايضاح، ومختار الفتاوى، وخيرة الفقهاء، وتحفة الملوك، والارشاد، وفتاوى حافظ الدين الرازي، والفتاوى التاتارخانية، وغير ذلك من الفتاوى المبسوطة والموجزة. ولا يذهب عليك أنّ كتب الفتاوى أكثر من أن تحصى، لكن إنْ ظفرت بما ذكرناه كلها أو جلّها فقد فزت بالمرام، والله ولي التوفيق والاعلام، ومنه الهداية والإلهام.

علم الفرائض(*)

وهو علم باحث عن أحوال قسمة التركة على فروض مقدرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع أمة رسوله. وشهرة هذا العلم أغنانا عن تفصيله. وهذا العلم باب من علم الفقه في الأصل، إلاّ أنّ لكثرة اعتناء العلماء بها لعسره ولزيادة شرفه أفردوه بالتدوين حتى عُدّ علمًا مستقلًا، وجعل من فروع علم الفقه. والمصنفات في هذا العلم كثيرة، لكن أشهرها في بلادنا: مختصر السجاوندي[١] وشروحه، سيّما شرح السيد الشريف قدّس سرّه اللطيف، وشرح المولى شمس الدين الفناري عليه رحمة الباري.

علم الفراسة(**)

وهو علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة[٢] من الألوان والأشكال والأعضاء. وبالجملة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن. وموضوعه ومنفعته ظاهران. ومن الكتب المؤلفة فيه: كتاب الإمام الرازي[٣].

(*) يتبع هذا العلم المطلب السابع في فروع علم الفقه، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) فرائض السجاوندي، للإمام سراج الدين محمد بن محمود بن عبد الرشيد السجاوندي الحنفي. ويقال لها الفرائض السراجية. كشف الظنون ٢/١٢٤٧.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) كتاب الفراسة لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (- ٦٠٦هـ).
كشف الظنون ٢/١٤٤٥.

في هذا العلم خلاصة كتاب أرسطاطاليس مع زيادات مهمة. ولأقليمون كتاب في الفراسة[(١)] يختص بالنسوان، وكتاب السياسة[(٢)] لمحمد الصوفي مختصر ومفيد في هذا العلم. وكفى بهذا العلم شرفًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾[(٣)] وقال تعالى ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾[(٤)] وقول النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[(٥)]. وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: «كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون، وإنه لو كان في أمتي لكان عمر»[(٦)]. قلت: المحدث المصيب في ظنّه وفراسته كأنّه حديث الأمر.

واعلم أنّ علم الفراسة قسمان:

أحدهما: ما يحصل بالتجربة إذْ التجربة دلّت على أنّ بعضًا من الأمور الظاهرة يدلّ على الأخلاق الباطنة، وهذا الذي وجده الحكماء وما يكون من فروع الحكمة الطبيعية.

وثانيهما: الفراسة الشرعية الحاصلة بنور اليقين بواسطة تزكية النفس عن الأخلاق الردية، وتصفية القلب عن الصفات الذميمة، حتى ينظر بنور الله، حتى يكون الله سبحانه وتعالى بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به؛ إنّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وهو الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في حقه: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». وأما قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: «كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون»، إشارة إلى الفراسة الطبيعية، وهي التي خلق الله سبحانه وتعالى النفوس مفطورة عليها. وبالجملة الفراسة الشرعية معاينة المغيبات بالأنوار الربانية، وذلك نور قلب المؤمن الذي قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في حقه: «المؤمن ينظر بنور الله». وعن ثوبان[(٧)] رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إحذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وتوفيق الله»[(٨)]. وكذلك قال صلّى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»، كما ذكرناه. وقيل في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[(٩)] أي ميت الدين فأحياه الله بنور الفراسة.

---

(١) كتاب في الفراسة لأقليمون يختص بالنسوان.
كشف الظنون ٢/ ١٢٤١.

(٢) السياسة في علم الفراسة لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي الصوفي المعروف بشيخ الربوة (- ٧٢٧هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠١١ و١٢٤١، معجم المطبوعات العربية ٨٨١.
هو محمد بن أبي طالب الأنصاري، شمس الدين، أبو عبد الله. ولد عام ٦٥٤هـ، وتوفي عام ٧٢٧هـ. شيخ الربوة، وشيخ حطين. عالم بالرمل والكيمياء، صوفي، له أخبار ومصنفات. انظر عنه: الدرر الكامنة ٣/ ٤٥٨.

(٣) الحجر/ ٧٥.

(٤) البقرة/ ٢٧٣.

(٥) الترمذي، سنن، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الحجر، ح٣١٢٧، ٥/ ٢٩٨.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر، ح١٨٥، ٥/ ٧٨، بلفظ: «لقد كان فيما . . . محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر».

(٧) هو ثوبان بن يجدد، أبو عبد الله، مولى رسول الله ﷺ. توفي بحمص عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م. اشتراه النبي ثم أعتقه. وأصله من السراة بين مكة واليمن. خدم الرسول إلى أن مات. فذهب إلى فلسطين ثم حمص. روى أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ.
الأعلام ٢/ ١٠٢، الاستيعاب ١/ ٢٠٩، حلية الأولياء ١/ ١٨٠، الإصابة ١/ ٢١٢.

(٨) اتحاف الزبيدي، كتاب السماع والوجد، الباب الثاني في آثار السماع وآدابه، ٦/ ٥٤٥.

(٩) الانعام/ ١٢٢.

إذا عرفت هذا، فاعلم أنّ من كان مراقبًا أحواله وأنفاسه، مجتنبًا عن المعاصي، صغائرها وكبائرها، متخلقًا بالأخلاق النبوية، متحليًا بالآداب المصطفوية، ولا يرى الخير والشر والنفع والضرّ إلاّ من الله تعالى، ولا يلتفت إلى مخلوق لعرض حاجته، ولا يعتمد عليه طرفة عين، تكون فراسته كالشمس، ساطعة أنوارها، لامعة أضواؤها، ينطق بالصدق ويقول بالحق، وعند جهينة الخبر اليقين.

قلت: جهينة اسم رجل وهذا مثل يضرب في صحة الخبر، ومورده مشهور، وهذا العلم نافع للملوك والصعاليك في اختيار الزوجة والصديق والمماليك، إلى غير ذلك. ولا بد للإنسان من ذلك العلم، لأنّه مدني بالطبع، محتاج إلى معرفة النافع من الضار.

علم فروع علم القراءة(*)

وهو علم معرفة الشواذ وتفرقتها من المتواتر.

واعلم أنّ المتواتر عند الأكثرين سبعة: نافع(١)، وابن كثير(٢)، وأبو عمرو(٣)، وابن عامر(٤)، وعاصم(٥)، وحمزة(٦)، والكسائي(٧)، ولكل منهم راويان: قالون(٨) وورش(٩) لنافع

(*) يتبع هذا العلم المطلب الأول في فروع علم القراءة، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم. كبير شيوخ القراء.
انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/ ٣٣٠.

(٢) هو عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد. ولد بمكة عام ٤٥هـ/ ٦٦٥م. وتوفي فيها عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م. أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة.
الأعلام ٤/ ١١٥، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٠.

(٣) هو زبّان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء. ولد بمكة عام ٧٠هـ/ ٦٩٠م. وتوفي بالكوفة عام ١٥٤هـ/ ٧٧١م. من أئمة اللغة والأدب. وأحد القراء السبعة. له أخبار وأقوال مأثورة.
الأعلام ٣/ ٤١، غاية النهاية ١/ ٢٨٨، فوات الوفيات ١/ ١٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٣٨٦.

(٤) هو عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبي الشامي. ولد في البلقاء عام ٨هـ/ ٦٣٠م. وتوفي بدمشق عام ١١٨هـ/ ٧٣٦م. أحد القراء السبعة. راوٍ للحديث ثقة فيه، تولى قضاء دمشق للأمويين.
الأعلام ٤/ ٩٥، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٤، غاية النهاية ١/ ٤٢٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٥١.

(٥) هو عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي، أبو بكر. توفي عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م. أحد القراء السبعة، تابعي، محدث ثقة. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٤٨، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٨، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٣، غاية النهاية ١/ ٣٤٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٥.

(٦) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الزيات. ولد عام ٨٠هـ/ ٧٠٠م، وتوفي بحلوان بالعراق عام ١٥٦هـ/ ٧٧٣م. أحد القراء السبعة. وانعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول.
الأعلام ٢/ ٢٧٧، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧، وفيات الأعيان ١/ ١٦٧، ميزان الاعتدال ١/ ٢٨٤.

(٧) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي، أبو الحسن الكسائي. توفي عام ١٨٩هـ/ ٨٠٥م. إمام في اللغة والنحو والقراءة. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٨٣، غاية النهاية ١/ ٥٣٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٣٠، تاريخ بغداد ١١/ ٤٠٣. إنباه الرواة ٢/ ٢٥٦.

(٨) هو عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى المدني، مولى الأنصار، أبو موسى. ولد بالمدينة عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م. وتوفي فيها عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م. أحد القراء المشهورين. عالم بالعربية والقراءة.
الأعلام ٥/ ١١٠، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، إرشاد الأريب ٦/ ١٠٣، غاية النهاية ١/ ٦١٥، التاج ٩/ ٣١٣.

(٩) هو عثمان بن سعيد بن عدي المصري. ولد بمصر عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م. وفيها توفي عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م. من كبار القراء. غلب عليه لقب ورش لشدة بياضه، وأصله من القيروان. الأعلام ٤/ ٢٠٥، إرشاد الأريب ٥/ ٣٣، غاية النهاية ١/ ٥٠٢، التاج ٤/ ٣٦٤.

والبزّي[١] وقنبل[٢] لابن كثير. والدوري[٣] والسوسي[٤] لأبي عمرو وهشام[٥] وابن ذكوان[٦] لابن عامر. وشعبة[٧] وحفص[٨] لعاصم. وخلف[٩] وخلاد[١٠] لحمزة. وأبو الحارث[١١] والدوري للكسائي. وإياك أنْ تظنّ حصر رواتهم في الإثنين، وإذا وجدت خارجًا عن ذلك تحكم بشذوذه، وهذا خبط، إذْ لكل شيخ رواة كثيرة. إلاّ أنّ المتأخرين اختاروا الاثنين من رواتهم، ولا يعرف تفصيله إلاّ من جهابذة النقل وكتب الثقات.

ثم إنّ في انحصار المتواتر في السبعة أيضًا خلافًا لما قد سمعت فيما سبق أنّ بعضًا من العلماء ألحق بهم يعقوب الحضرمي[١٢]، ثم فيما وراء الثمانية الأكثرون على الشذوذ. وتفصيل هذا في كتب القراآت فارجع إليها.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، أبو الحسن. ولد عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. وتوفي عام ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م. من كبار القراء، محقق ضابط متقن. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٠٤، غاية النهاية ١/ ١١٩، اللباب ١/ ١٢١، لسان الميزان ١/ ٢٨٣.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي، أبو عمر، الشهير بقنبل. ولد عام ١٩٥هـ/ ٨١٠م. وتوفي عام ٢٩١هـ/ ٩٠٤م. من أعلام القراء. عالم.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٩٠، النشر في القراءات العشر ١/ ١٢٠، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٦٦، غاية النهاية ٢/ ١٦٥.

(٣) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان، أبو عمر، شيخ المقرئين. وقد ترجم له المؤلف بما فيه الكفاية. وانظر عنه: سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤١، الجرح والتعديل ٣/ ١٨٣، الفهرست ٢٨٧، تاريخ بغداد ٨/ ٢٠٣، العبر ١/ ٤٤٦، شذرات الذهب ٢/ ١١١.

(٤) هو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح الرستبي السوسي الرقي، أبو شعيب. ولد سنة نيف وسبعين ومائة من الهجرة، وتوفي عام ٢٦١هـ. مقرىء محدث مشهور. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٠، الجرح والتعديل ٤/ ٤٠٤، طبقات الحنابلة ١/ ١٧٦، العبر ٢/ ٢٢، شذرات الذهب ٢/ ١٤٣.

(٥) هو هشام بن عمار بن نصير ابن ميسرة السلمي، أبو الوليد. ولد عام ١٥٣هـ/ ٧٧٠م. وتوفي عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م. قاضٍ من القراء المشهورين، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٨٧، غاية النهاية ٢/ ٣٥٤، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٥.

(٦) هو عبد الرحمن بن أحمد، أبو عمر بن ذكوان. ولد عام ١٧٣هـ/ ٧٨٩م. وتوفي عام ٢٠٢هـ/ ٨١٨م. عالم بالقرآآت. شيخ القراء في الشام. انظر عنه:
الأعلام ٣/ ٢٩٣، النشر في القراءات العشر ١/ ١٤٥.

(٧) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم، البصري، أبو بسطام. ولد عام ٨٢هـ/ ٧٠١م. وتوفي عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م. من أئمة الحديث ورجاله حفظاً ودراية، له بعض الكتب.
الأعلام ٣/ ١٦٤، حلية الأولياء ٧/ ١٤٤، تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥، ذيل المذيل ١٠٤.

(٨) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوري، أبو عمر. توفي عام ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م. إمام القراءة في عصره. ثقة ثبت ضابط. له عدة كتب. الأعلام ٢/ ٢٦٤، غاية النهاية ١/ ٢٥٥، النشر ١/ ١٣٤.

(٩) هو خلف بن هشام البزار الأسدي، أبو محمد. ولد عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. وتوفي عام ٢٢٩هـ/ ٨٤٤م. أحد القراء العشرة. عالم ثقة، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣١١، غاية النهاية ١/ ٢٧٣، تاريخ بغداد ٨/ ٣٢٢.

(١٠) هو خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي. توفي عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م. من كبار القراء، ثقة محقق. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣٠٩، النشر في القراءات العشر ١/ ١٦٥، غاية النهاية ١/ ٢٤٧.

(١١) هو أبو الحارث، شيخ لأبي عمارة حمزة بن القاسم. روى القراءة عن نافع، وروى عنه حمزة وغيره.
انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٢٦٦.

(١٢) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري، أبو محمد. ولد بالبصرة عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م. وفيها توفي عام ٢٠٥هـ/ ٨٢١م. أحد القراء العشرة. إمام البصرة ومقرئها، وله في القراءات روايات مشهورة. له عدة كتب.
الأعلام ٨/ ١٩٥، إرشاد الأريب ٧/ ٣٢٠ طبقات النحويين ٥١، غاية النهاية ٢/ ٣٨٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٩.

علم الفصد(*)

وهو علم باحث عن كيفية آلات الفصد، ومعرفة أنواع العروق، ومعرفة ما يخص كلّ مرض من فصد عرق مخصوص إلى غير ذلك من الأحوال التي يعرفها مزاولوها. وغايته وغرضه ومنفعته لا تخفى.

علم فضيلة الأذكار والتلاوة والأوراد(**)

وفيه مقدمة ومطالب:

المقدمة:

إعلم أنّ من المقدمات المقرّرة عند الخواص بل العوام أنّ السعادة في لقاء الله الملك العلام، ولا سبيل إليه إلاّ بالحبّ له والمعرفة، وهما لا يحصلان إلاّ بدوام الفكر في صفاته وأفعاله؛ وأنّ كل جمال وكمال شعبة من جناب جلاله وحضرة جماله.

ثم إنّ النفس لما ابتليت بمصاحبة هذا البدن ليعينها في بلوغ مطالبه، ولما احتاج البدن إلى حسن تدبير النفس إيّاه وتربيته، ولن يسخر اللطيف الكثيف بالاختيار حتى يقاسي رعايته وتربيته، أودع الله سبحانه وتعالى بينهما رابطة الحبّ لتكون تلك الرابطة واسطة تلك الرعاية.

ثم إنّ النفس الجاهلة بسبب شوقها إلى البدن ربما تميل إلى شهواته ومقتضياته فتنسى ما خلقت لأجله من معرفة مبدئه وتدبير معاده، فلا بد لإزالة هذا الميل عنها من اختيار التدريج، وذلك التدريج بالذكر ثم الفكر ثم الشوق ثم العزم ثم قطع العوائق ثم السلوك إلى المطلب.

ولما كان أصل الكل الذكر المنتج للفكر، وذلك لا يحصل بالقدر اليسير منه لما نازعته الشهوات البدنية، لاجرم كان الواجب على الإنسان الذكر المستغرق للأوقات حتى ينتهي إلى الفكر، وينزع النفس عن الشهوات. ولما كان استغراق الكل متعذرًا، واستغراق الأكثر متعسرًا لوجوب المصالح الضرورية للبدن وجواز الملاذ المباحة، لاجرم لا بد من قانون ينتهي الذكر بذلك القدر إلى الفكر. فمن غلب أوقات ذكره فهو ممن يترجح كفة حسناته. وأمّا من ساوى بينهما فأمره إلى الله، مع أن سعة الرحمة تعظم الرجاء في أمره. وأما المستغرق جميع أوقاته فهؤلاء هم المنتهون الفائزون بالجنان من غير حساب. وأما المبتدئ فلا يمكنه ذلك، إذْ تدخله السآمة والملال، والله تعالى لا يمل حتى تملوا، فلا بد في حقهم من التلطف والتدريج من فنّ، إلى فنّ، لأنّ التفنن يروح النفس ويرغبها في الزيادة عليه، فلا بد من بيان أوقات التلاوة والأذكار آناء الليل وأطراف النهار، كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾(١). وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾(٢). وقال: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ، وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾(٣). ثم قال في حق الفائزين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾(٤). وقال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) هذا هو الأصل الثامن من أصول الشعبة الأولى في العبادات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الإنسان/ ٢٥ - ٢٦.

(٢) ق/٣٩ - ٤٠.

(٣) الطور/٤٨ - ٤٩.

(٤) الذاريات/ ١٧ - ١٨.

جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات.

المطلب الأول:

في علم آداب التلاوة:

وفضيلتها لا تخفى على أحد، سيّما من سمع قول النبي ﷺ: «من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدًا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى»[2]. وقوله ﷺ: «لو كان القرآن في إهاب ما مسّته النار»[3]. وكذلك لا يخفى ذمّ تلاوة الغافلين كما قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه»[4]. فلا بد من ذكر آداب ينجو بها من نقيصة الغفلة ورذيلة التقصير. ثم إنّ الآداب لها ظاهر وباطن، والآداب الظاهرة عشرة:

الأول: في حال القارىء. وهو أن يكون على وضوء، ويقرأ على السكون والوقار، إما قائمًا أو جالسًا، مستقبل القبلة، مطرقًا رأسه، غير متربع ولا متكىء، ويجلس جلوسه عند الاستاذ. وأفضل أحوال القراءة في الصلاة قائمًا، ويكون في المسجد، ثم غير متوضىء، ثم المضطجع، وإنْ لم يخل عن الفضيلة. ولكن إنْ قرأ مضطجعًا ينبغي أن يضم رجليه.

الثاني: في المقدار. وله مراتب: منهم من يختم في اليوم والليلة مرة أو مرتين، وانتهى بعضهم إلى ثلاث. ومنهم من يختم في ثلاث، وهذا الوسط، وهو الأفضل. ومنهم من يختم في أسبوع، وقد فعله كثير من الصحابة كعثمان وزيد ابن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم. ومنهم من يختم في كل شهر. والختم في اليوم والليلة مرة أو مرتين أو مرات مكروة، وفي الشهر مرة مبالغة في الاقتصار، والأحب بينهما. إلاّ أنّ الحق أنّ القارىء إنْ كان من العباد يختم في الأسبوع مرة أو مرتين، وإن كان من أرباب القلوب أو ممن اشتغل بنشر العلم ففي الأسبوع مرة، وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن ففي الشهر مرة، لكثرة حاجته إلى ترديد الآيات وتكريرها.

الثالث: في القسمة. من قسم القرآن على سبعة يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وفي الليلة الثانية بالأنعام إلى هود، وفي الثالثة بيوسف إلى مريم، وفي الرابعة بطه إلى طَسم، وفي الخامسة بالعنكبوت إلى ص، وفي السادسة بتنزيل إلى الرحمن، وفي السابعة وهي ليلة الخميس يختم. وقيل في السبعة الأحزاب: الأول ثلاث سور، والثاني خمس، والثالث سبع، والرابع تسع، والخامس إحدى عشرة، والسادس ثلاث عشرة، والسابع المفصل من قَ، وهذه تجزئة الصحابة. وما سوى هذه من الأخماس والعواشر محدَث.

الرابع: الكتابة. يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها، فإنّ ذلك تزيين وصدّ من الخطأ واللحن. وأما ما نقل من الكراهة فيها وفي أمثالها لخوفهم عن أن يؤدّي فتح هذا الباب إلى إحداث زيادات يطرق بها التغيير إلى القرآن. أما الذي نحن عليها فلم يبلغ إلى تلك الدرجة، مع فائدة الإعراب والصون عن اللحن والخطأ، فهذه بدعة حسنة.

الخامس: البكاء. قال النبي ﷺ: «أتلو القرآن وابكوا، فإنْ لم تبكوا فتباكوا»[5]. وطريق التباكي أن يلقى في قلبه الحزن ومنه ينشأ البكاء.

---

(١) السجدة/١٦.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، باب فضيلة القرآن، ٤/٤٦٣.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، باب فضيلة القرآن، ٤/٤٦٣.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، باب ما قيل في ذكر تلاوة الغافلين، ٤/٤٦٨.
(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة، ٤/٤٧٩.

قال ﷺ: «إنّ القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فتحازنوا»[١]. وطريق التحازن أنْ يتأمّل ما فيه من التهديد والوعيد والوثائق والعهود، ثم يتأمل تقصيره فيحزن ويبكي لا محالة، فإنْ لم يحزن بهذه فليبك على فقد الحزن والبكاء فإنّ ذلك من أعظم المصائب.

السادس: الترتيل. وقد عرفت أنّ الغرض من الذكر الفكر والترتيل معين عليه، وبذلك نعتت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ، سيّما إذا كان القارىء أعجميًا لا يفهم المعنى، فإنه يستحب له الترتيل والتؤدة، لأنّ ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام.

السابع: رعاية حق الآيات مثل أنْ يسجد في مواضعها، ولو سمع من غيره، ويسجد على طهارة، ويشترط لها شرائط سجدة الصلاة من الطهارة واستقبال القبلة وستر العورة.

الثامن: أنْ يتعوَّذ قبل القراءة ويقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربِّ أنْ يحضرون، ويقرأ سورة: قل أعوذ برب الناس، وسورة الفاتحة، وليقل عند فراغه من كلّ سورة: صدق الله العظيم وبلغ رسوله، اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه، والحمد لله رب العالمين، واستغفر الله الحي القيوم. وإذا مرَّ بآية تسبيح سبّح وكبّر، وإنْ مرَّ بآية استغفار استغفر ودعا، وإنْ مرَّ بآية سؤال سأل، وإنْ مرّ بآية تخويف استعاذ، يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول: سبحان الله، أعوذ بالله، اللهم ارزقنا، اللهم ارحمنا.

وإذا فرغ يدعو بدعاء رسول الله ﷺ عند ختم القرآن وهو: «اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم، واجعله لي إمامًا ونورًا وهدى ورحمة. اللهم ذكرني منه ما نسيت، وعلمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، واجعله حجة لي يا أرحم الراحمين»[٢].

التاسع: وأدنى الجهر في حق الصلاة وترتب الثواب إسماع النفس، ومرتبة إسماع الغير مستحب. وقد تعارضت الأخبار في حقّ الجهر والإسرار، إلاّ أنّ الجمع بينهما أن الإسرار أفضل لمن يخاف فيه الرئاء والتصنع. وأما فيمن هو بخلافه فالجهر أفضل، إلا أنْ يشوّش وقت مصلٍّ آخر، لأنّ فيه فوائد كثيرة ليس في الإسرار لأنّه خير متعدد يوقظ القلب، ويجمع الهمّ إلى الفكر، ويجمع إليه سمعه، ويطرد النوم منه ومن غيره، ويزيد في نشاطه، ويقلل من كسله، وقد يبعث نوم الكسلان إلى القراءة. فمهما حضر شيء من هذه النيات فالجهر أفضل، وإن اجتمع إثنان أو أكثر يضاعف الأجر بقدره.

العاشر: تحسين القراءة من غير تمطيط يغير النظم كما قال رسول الله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[٣]. وقال: «ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت يتغنى بالقرآن»[٤]. وقال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[٥]، وغير ذلك.

المطلب الثاني:

في الآداب الباطنة: وهي أيضًا عشرة:

الأول: فهم عظمة الكلام وعلوّه، وفضل الله تعالى ولطفه، حيث أنزله عن عرش جلاله إلى

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة، ٤/ ٤٨٠.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة، ٤/ ٤٩٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر...، تعليقاً ٩/ ٢٨١.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة، ٤/ ٤٩٧، بلفظه.
ورواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر..، ح١٦٩، ٩/ ٢٨١، بلفظ: «إذنه لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به».
(٥) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿واسروا قولكم﴾، ح١٥٣، ٩/ ٢٧٤.

درجة أفهام خلقه مع كونه صفة قديمة قائمة بذاته. ولو استنار كنه جمال كلامه في كسوة الحروف والألفاظ لما ثبت لسماعه عرش ولا ثرى، كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حتى صار دكًا لولا تثبيت الله تعالى موسى لما أطاق سماع كلامه، ومثلوا لذلك بتأديب الحيوانات بأصواتٍ دالة على كلمات لا يفهم الحيوان إلا بكسوة أصوات تمكنها تمييزها من النفير والصفير. فالكلام عالي المنزلة، رفيع الدرجة، قاهر السلطان، نافذ الحكم في الحق والباطل. وهو القاضي العدل، والشاهد المرتضى، يأمر وينهى، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام الحكمة كالظل مع الشمس، فهو ملك محجوب، غائب وجهه، ظاهر أمره، وشمس ظاهرة الأضواء وعنصرها مكنون.

الثاني: تعظيم المتكلم بأنْ يتفكر أنّ ظاهر الجلد كما أنّه محروس عن البشر ما لم يتطهر عن الأحداث والأخباث، كذلك معناه محجوب بحكم عزّه وجلاله عن باطن القلب ما لم يتطهر عن الحوادث والأكوان، أو يتنوّر بنور التعظيم والتوقير، فيعظم الجلد بتعظيم الكلام عن يد غير متطهر، والكلام بتعظيم متكلمه عن لسان غير متطهر عن الكذب والغيبة والبهتان، والمتكلم بالتفكر في صفاته وأفعاله بتطهير القلب عن تلوث الحدثان وكدورات الملوان.

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس، وهذه الصفة تتولد عن التعظيم، فإنّ المعظم لأحد يستأنس بكلامه ويحضر إليه قلبه ويجمع إليه همه. وكان بعض السلف إذا لم يحضر قلبه عند قراءة سورة أعادها.

الرابع: التدبّر وهو وراء إحضار القلب، فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن، وقد يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبره، والمقصود من القرآن التدبّر. ولذلك سُنَّ فيه الترتيل، فإذا لم يتمكن من التدبر فليردد. وعن أبي ذرّ قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾[1]. وقام سعيد بن جبير بهذه الآية يرددها: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾[2]. وعن أبي سليمان الداراني: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها. وعن بعض السلف أنّه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها. وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة، وفي كل شهر ختمة، ولي في ختمة ثلاثون سنة ما فرغت منها.

الخامس: التفهم وهو أنْ يستوضح من كل آية ما يلي بها، إذْ القرآن مشتمل على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله، وأحوال أنبيائه، وأوامره وزواجره، والجنة والنار. فتحت هذه معان مدفونة لا يصل إليها إلاّ الموفقون. ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب. وقد قيل: لا يكون المريد مريدًا حتى يجد في القرآن ما يريد، ويعرف النقصان من المزيد، ويستغنى بالمولى عن العبيد. فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه، فأمّا الاستقصاء فلا مطمع فيه.

السادس: التخلي عن موانع الفهم لأسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم، فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن.

منها: تحقيق مخارج الحروف، وأعظم ضحكة الشيطان: القراء الذين أطاعوا تلبيس الشيطان الذي يخيل إليهم الشيطان أنّ الحروف

(١) المائدة/ ١١٨.
(٢) يس/ ٥٩.

لم تخرج من مخارجها، فيصرفهم عن تكشف المعاني، بل الحزم في ذلك قدر الاقتصار.

ومنها: التقليد لمذهب مسموع له ويتعصب له، فيحرم من غيره ولو كان حقًا، وإنْ لمع برق الحق على بعد، وبدا له، حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد أسلافك الذين كانوا على الحق. وقول الصوفية: العلم حجاب أرادوا به هذا النوع من العلم، لا العلم الحقيقي المؤيّد بالبرهان والعيان. مثلًا: من غلب عليه مذهب التجسيم ولاحظ معنى القدوس أنّه منزه عن كل ما يجوز لمخلوقاته، يكرّ عليه الشيطان ويصدّه عن ذلك بالتقليد قبل أن يستقر في قلبه.

ومنها: أنْ يتراكم على مرآة قلبه صدأ المعاصي والشهوات، فلا تنكشف له أسرار الكتاب. ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴿٨﴾﴾[2].

ومنها أنْ يقلّد تفسيرًا ظاهرًا يروى عن قتادة ومجاهد، ويعتقد أنَّ ما وراءه تفسير بالرأي. وهذا أيضًا من أعظم الحجب، إذْ القرآن لا تنقضي عجائبه. وستعرف التفسير بالرأي إن شاء الله تعالى.

السابع: التخصص. وذلك أنْ يقدر أنّ المقصود بكل خطاب في القرآن من الأمر والنهي والوعد والوعيد، وأنّ القصد من القصص والأخبار ليس إلاّ الاعتبار. وكيف لا والقرآن لم ينزل على رسول الله ﷺ إلاّ لأجله ولأجل أمته عامة.

الثامن: التأثر بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الخوف والحزن والرجاء وغير ذلك. ومن لم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان، وهذه قليل الجدوى. وتلاوة القرآن حق تلاوته أنّه يشترك فيه اللسان والعقل والقلب.

فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل. وحظ العقل تفسير المعاني. وحظ القلب الاتعاظ والتأثّر والانزجار والائتمار. فاللسان والعقل ترجمان، والقلب يتعظ. فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴿٨٢﴾﴾[3]. يتضاءل خضوعًا من خيفته حتى كأنه يموت. ومنهم من مات عند سماع آية الوعيد، ومنهم من خرَّ مغشيًا عليه. وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنّه يطير من الفرح، وعند ذكر صفات الله تعالى وأسمائه يتطأطأ خضوعًا لجلاله واستشعارًا لعظمته. وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله سبحانه ولدًا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياءً من قبح مقالتهم. وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقًا إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفًا.

التاسع: الترقي إلى أنْ يسمع الكلام من الله عزّ وجلّ. فدرجات القراءة ثلاثة: أدناها أنْ يقدر العبد نفسه كأنّه ماثل بين يدي مولاه وهو مستمع منه، فيقرأه بالتملق والتضرع والابتهال. وأوسطها أنْ يشهد بقلبه كأنّ ربّه يخاطبه بألطافه ويناجيه بأنعامه، فمقامه عند هذا الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم، وهذه درجة أصحاب اليمين. وأعلاها أنْ يرى في كلام[4] المتكلم، وفي الكلمات الصفات ويكون مقصور الهم على المتكلم كأنه مستغرق بمشاهدته عن غيره، وهذه

(١) الزمر/٩.
(٢) قَ/٨.
(٣) طَه/٨٢.
(٤) كذا في الأصل، ولعله: في الكلام. وفي المصرية: في الكلام.

درجة المقربين. وفي مثل هذه الحالة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة.

العاشر: التبرّي من حوله وقوته، وأنْ يشاهد نفسه بعين الرضا والالتفات إليها بالتزكية. فإذا تلا آيات الوعد يشهد بذلك للموقنين ولا يرى نفسه أهلًا لها، بل يتشوق أنْ يلحقه الله بهم. وإذا تلا آيات المقت وذمّ العصاة شهد نفسه هناك، وقدر نفسه المخاطب خوفًا وإشفاقًا. ثم رؤيته نفسه بصورة التقصير يكون سبب قربه إلى أن يجاوز حدّ الالتفات إلى نفسه، ولم يشاهد إلاّ الله تعالى في قراءته، فحينئذ انكشف له الملك والملكوت. وحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها عيانًا. وعلى هذا الحال آيات الخوف إذْ حينئذٍ كوشفت له النار عيانًا.

المطلب الثالث:

في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل:

لعلك بالبال أنّ ما ذكرت من المعاني يرجع إلى التفسير بالرأي، وأنه مما أنكر عليه الشرع، حتى شنع العلماء على أهل التصوف في تأويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين، وذهبوا إلى أنه كفر صريح.

فاعلم أنّه لا يجوز التهاون بالتفسير الظاهر أولًا، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، وهذا أمر اتفاقي. وإنما الخلاف في أنّ وراءه معان أخر يفهمها من أعطي فهمه أم لا؛ والحق جواز ذلك عقلًا ونقلًا.

أما نقلًا فقوله ﷺ: «إنّ للقرآن ظهرًا وبطنًا وحدًا ومطلعًا»[1]. وقال علي رضي الله عنه: «لوْ شئت لأوقرت سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب». وقوله أيضًا: «ألا أنْ يؤتي الله عبدًا فهمًا في القرآن». ومعلوم أنّ تلك البطون والحد لم تنقل عن رسول الله ﷺ، ومعلوم أيضًا أنّ وقر سبعين بعيرًا في الفاتحة لم يمكن بالنقل، وكذا ما يؤتي الله عبدًا فهمًا خارج عن النقل، فظهر أنّ في القرآن معان كثيرة وراء النقل. ومثال هذه الأخبار والآثار كثيرة.

وأما عقلًا فهو أنّ النهي عن التفسير بالرأي إمّا لحمله على معتقده الباطل وهواه، وإمّا بأن يعتقد على ذلك جهلًا، أو يعتقد على خلافه لكن يلبس على خصمه؛ وإمّا أنْ يفسره على ظاهر العربية من غير نقل وسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن خلص فهمه عن هذه الآفات لا يشغله الوعيد المذكور. ثم من يؤيّد فهمه بنور الكشف والشهود فذلك ما أشار إليه ابن عباس: من أراد علم الأولين والآخرين فليثوّر القرآن. ولعلك سمعت فيما سبق ما يفتح عليك الأشكال المذكورة، والله ولي التوفيق في كل الأمور. ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار القرآن، وما يرتبط بمقدماتها ولواحقها لانقطع العمر قبل استيفائها. وما من كلمة في القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك. وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم، وصفاء قلوبهم، وتوفير دواعيهم على التدبر، وتجرّدهم للطلب، ويكون لكل واحد حدّ في الترقي إلى درجة منه. وأما الاستيفاء فلا مطمع فيه. ولو كان البحر مدادًا، والأشجار أقلامًا لنفد البحر قبل أن تنفد أسرار القرآن.

المطلب الرابع:

في علم الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والاستغفار:

وفيه أنواع:

النوع الأول: فضيلة الأذكار. قال تعالى:

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي، ٤/٥٢٧.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[(١)]. وقال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[(٢)]. وقال: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[(٣)]. وقال النبي ﷺ: «قال الله تعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسى، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه، وإذا تقرَّب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، وإذا تقرب مني ذراعًا تقرّبت منه باعًا، وإذا مشي إليّ هرولت إليه»[(٤)] أي أسرعت إجابته. وقال: «سبعة يظلهم الله في ظلّه، يوم لا ظلَّ إلاّ ظله، وذكر من جملتهم: رجلًا ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[(٥)].

النوع الثاني: فضيلة التسبيح والتحميد. قال ﷺ: «من سبَّح دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد ثلاثًا وثلاثين، وكبّر ثلاثًا وثلاثين، وختم المائة بلا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٦)]. وقال ﷺ: «من قال في يوم مائة مرة: سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٧)].

روي أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: «تولت عني الدنيا، وقلَّت ذات يدي. فقال ﷺ: فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون. قال: فقلت: وماذا يا رسول الله؟ قال: قل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله، مائة مرة، ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح، تأتيك الدنيا راغمة صاغرة، ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكًا يسبّح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه»[(٨)]. وقال: «ما على الأرض رجل يقول لا إله إلاّ الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، إلاّ غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[(٩)]. وقال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[(١٠)]. وقال: «يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى: أَوَلا أدلّك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: بلى. قال: قلْ لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم»[(١١)]. وقال: «من قال حين يصبح: رضيت بالله ربًا وبالاسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا كان حقًا على الله تعالى أن يرضيه يوم القيامة»[(١٢)].

قال مجاهد: إذا خرج الرجل من بيته وقال: بسم الله، قال الملك: هُديت. فإذا قال: توكلت على الله، قال الملك: كُفيت. فإذا قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، قال الملك: وُقيت، فتتفرق الشياطين، فيقولون لا سبيل لكم عليه قد هدي وكفي ووقي.

النوع الثالث: فضيلة التهليل. قال ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلاّ الله

---

(١) البقرة/ ١٥٢.
(٢) الأحزاب/ ٤١.
(٣) العنكبوت/ ٤٥.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الأول في فضيلة الذكر، ٥/ ٦.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ح٢٧، ٢/ ٢٢٦.
(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار والدعوات، باب فضيلة التحميد والتسبيح، ٥/ ١٣.
(٧) السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ٢٠٥.
(٨) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة التحميد والتسبيح، ٥/ ١٣.
(٩) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار. . ، باب فضيلة التحميد والتسبيح، ٥/ ١٣.
(١٠) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، ح٩٧، ٨/ ١٥٥.
(١١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار والدعوات، باب فضيلة التسبيح، ٥/ ١٨.
(١٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار. . ، باب فضيلة التسبيح، ٥/ ١٩.

وحده لا شريك له»(١). وقال: «من قال لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكان له حرز من الشيطان يومه حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلاّ أحد عمل أكثر من ذلك»(٢). وقال: «ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء، ثم رفع طَرْفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، إلاّ فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيّها شاء»(٣). وقال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم؛ ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له وإنْ توضأ وصلى قبلت صلاته»(٤).

النوع الرابع: فضيلة الصلاة على النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾(٥). وروي أنه ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه، فقال ﷺ «جاءني جبريل فقال: أما ترضى يا محمد أنّه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلاّ صلّيت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلاّ صلّيت عليه عشرًا»(٦). وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلّت عليه الملائكة ما صلّى عليّ، فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر»(٧). وقال ﷺ: «إنّ أولى الناس بي أكثرهم عليّ صلاةً»(٨). وقال ﷺ: «من صلّى عليّ من أمتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات»(٩). وقال ﷺ: «من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملآئكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»(١٠). وقال: «من قال حين يسمع الأذان والإقامة: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، صلِّ على محمد عبدك ورسولك، وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة، حلّت له شفاعتي»(١١) وقال ﷺ: «ليس أحد يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه.»(١٢) وقيل: يا رسول الله: كيف نصلي عليك؟ فقال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنّك حميد مجيد»(١٣).

النوع الخامس: فضيلة الاستغفار. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾(١٤). وقال الله

---

(١) الزبيدي، اتحاف كتاب الأذكار. .، باب فضيلة التهليل، ٥/ ١٠.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار. .، باب فضيلة التهليل، ٥/ ١٠، دون لفظ «يحيي ويميت» وبلفظ «كانت له».
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة التهليل، ٥/ ١٠.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة التهليل، ٥/ ١٣.
(٥) الأحزاب/ ٥٦.
(٦) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٤٨.
(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٤٨، بلفظ: «من ذلك».
(٨) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٤٨.
(٩) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٤٩، بلفظ «كتبت».
(١٠) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٥٠.
(١١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، ح١١، ١/ ٢٥٢، بمعناه دون تمام لفظه.
الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٤٩، بلفظه.
(١٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٥٠.
(١٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ، ٥/ ٥٠.
(١٤) آل عمران/ ١٣٥.

تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾[(١)]. وقال ﷺ: «من أكثر الاستغفار جعل الله عزّ وجل له من كلّ هم فرجًا، ومن كلّ ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[(٢)].

وكان ﷺ يكثر الاستغفار يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم»[(٣)]. وقال ﷺ: «من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم، ثلاث مرات، غفر الله ذنوبه وإنْ كانت مثل زبد البحر، أو رمل عالج، أو عدد ورق الشجر، أو عدد أيام الدنيا»[(٤)]. وقال في حديث آخر: «من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فارًا من الزحف»[(٥)]. وكان رسول الله ﷺ يقول في الاستغفار: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطائي وعمدي وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير»[(٦)]. وقال: «من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءًا فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل»[(٧)].

وروي أنّ أفضل الاستغفار: اللهم أنت ربي وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء إليك بنعمتك عليّ، وأبوء على نفسي بذنبي، فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت، إنه لا يغفر الذنوب جميعًا إلاّ أنت.

المطلب الخامس:
في أدعية مأثورة معزية[(٨)] إلى أربابها
يدعى بها صباحًا ومساء:

ومنها دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر. قال ابن عباس: بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيًا وهو في بيت خالتي ميمونة. فقام يصلي من الليل. فلما صلى ركعتين قبل صلاة الفجر قال: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلمّ بها شعثي، وترد بها ألفتي، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتبيض بها وجهي، وتلهمني بها رشدي، وتعصمني بها من كل سوء. اللهم أعطني إيمانًا صادقًا، ويقينًا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء، ومرافقة الأنبياء. اللهم إني أنزل بك حاجتي وإنْ ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور وفتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدًا من عبادك، وخير أنت معطيه أحدًا من خلقك، فإني

(١) النصر/٣.
(٢) مستدرك الحاكم، كتاب التوبة والإنابة، باب ذكر فضيلة الاستغفار، ٢٦٢/٤.
(٣) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب التسبيح والدعاء في السجود، ح٢٠٤، ٨/٢.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار. . ، باب فضيلة الاستغفار، ٥٧/٥.
(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار. . ، باب فضيلة الاستغفار، ٥٧/٥.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء. . ، باب التعوذ من شر ما عمل. . ، ح٧٠، ٢٠٨٧/٤.
(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب فضيلة الاستغفار، ٦٠/٥.
(٨) كذا في الأصل، والصواب: معزوة.

أرغب إليك فيه وأسأله يا رب العالمين. اللهم اجعلنا هادين مهديين، غير ضالين ولا مضلين، حربًا لأعدائك، وسلمًا لأوليائك، نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة دار الخلود مع المقربين الشهود، والركع السجود، والموفين بالعهود، إنك رؤوف ودود، أنت تفعل ما تريد. سبحان الذي تعطّف بالعز، وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرّم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلاّ له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي العزة والكرم، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه. اللهم اجعل لي نورًا في قلبي، ونورًا في قبري، ونورًا في سمعي، ونورًا في بصري، ونورًا في لحمي، ونورًا في دمي، ونورًا في عظامي، ونورًا من بين يدي، ونورًا من خلفي ونورًا عن يميني ونورًا عن شمالي، ونورًا من فوقي، ونورًا من تحتي اللهم زدني نورًا وأعطني نورًا واجعل لي نورًا»[١].

ومنها دعاء عائشة. قال رسول الله ﷺ لعائشة: «عليك بالجوامع الكوامل، قولي: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا برحمتك يا أرحم الراحمين»[٢].

ومنها دعاء فاطمة. قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة: ما يمنعك أن تسمعي ما أوصي به، أن تقولي: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح شأني كله»[٣].

ومنها دعاء أبي بكر الصديق، علّمه رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك بمحمد نبيك، وإبراهيم خليلك، وموسى نجيك، وعيسى كلمتك وروحك، وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وقرآن محمد ﷺ، وبكل وحي أوحيته، وقضاء قضيته، أو سائل أعطيته، أو غني أقنيته، أو فقير أغنيته، أو ضال هديته، وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى، وأسألك باسمك الذي تثبت به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر، الذي وضعته على النهار فاستنار، وعلى الليل فأظلم، وبعظمتك وكبريائك، وبنور وجهك، أن ترزقني القرآن والعلم، وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري، وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك، فإنّه لا حول ولا قوة إلاّ بك يا أرحم الراحمين»[٤].

ومنها دعاء بريدة الأسلمي[٥]. روي أنه قال

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٣.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٦.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٦.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٦.
(٥) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي. توفي عام ٦٣هـ/ ٦٨٣م. من كبار الصحابة. شهد المواقع وله=

له رسول الله ﷺ: «يا بريدة: ألا أعلمك كلمات، من أراد به خيرًا علمه إياها ثم لا ينسيهن إياه أبدًا. قال: فقلت: بلى يا رسول الله. قال: قل: اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي، وخذ إلى الخير بناصيتي، واجعل الإسلام منتهى رضاي. اللهم إني ضعيف فقوّني، وإني ذليل فأعزني، وإني فقير فأغنني»(١).

ومنها دعاء قبيصة بن المخارق(٢). إذْ قال لرسول الله ﷺ: «علمني كلمات ينفعني الله عزّ وجل بها، فقد كبر سني، وعجزت عن أشياء كنت أعملها. فقال له رسول الله ﷺ: أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج. وأما لآخرتك فقل: اللهم اهدني من عندك، وأفضْ عليَّ من فضلك، وانشر عليّ من رحمتك وأنزل عليَّ من بركاتك»(٣). ثم قال ﷺ: «أما إنه إذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة»(٤).

ومنها دعاء أبي الدرداء. قيل له: قد احترقت دارك، وكانت النار في محلته. فقال: ما كان الله ليفعل ذلك. فقيل له ذلك ثلاثًا. فقال: ما كان الله ليفعل ذلك. ثم أتاه آت فقال: إنّ النار لما دنت من دارك طفئت. قال: قد علمت. فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال هؤلآء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن، وهي هذه: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت ربّ العرش العظيم، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أنّ الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا. اللهم إني أعوذ بك من شرّ نفسي ومن شرّ كلّ دابة أنت آخذ بناصيتها، إنّ ربي على صراط مستقيم»(٥). وروي عن أبي الدرداء أنّه قال: من قال كل يوم سبع مرات ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾(٦)، كفاه الله ما أهمه من أمر آخرته صادقًا كان بها أو كاذبًا.

ومنها دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام، كان يقول إذا أصبح: اللهم هذا خلق جديد فافتحه لي بطاعتك، واختمه لي بمغفرتك ورضوانك، وارزقني حسنة تقبلها، وزكّها وضاعفها لي، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي، إنّك غفور رحيم ودود كريم. قيل من دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه.

ومنها دعاء عيسى عليه السلام، كان يقول: اللهم إنّي أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجوه، وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهنًا بعملي، فلا فقير أفقر مني. اللهم لا تشمت بي عدوي، ولا تسؤ بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبر همّي، ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني.

ومنها دعاء الخضر عليه السلام، يقال: إنّ الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا في كل

=رواية. وأخباره مشهورة. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٥٠، تهذيب التهذيب ١/ ٤٣٣.

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٧.

(٢) هو قبيصة بن المخارق، ابن عبد الله الهلالي. صحابي جليل، سكن البصرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٥٣.

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٨.

(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٨.

(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٦٨.

(٦) التوبة/ ١٢٩.

موسم لم يفترقا إلاّ عن هذه الكلمات: بسم الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله، كل نعمة فمن الله، ما شاء الله، الخير كله بيد الله، ما شاء الله، لا يصرّف السوء إلاّ الله. من قالها ثلاثًا إذا أصبح أمن من الغرق والحرق والسرق.

ومنها دعاء معروف الكرخي(١). قال محمد ابن حسان(٢): قال لي معروف الكرخي: ألا أعلمك عشر كلمات: خمس للدنيا وخمس للآخرة، من دعا الله عزّ وجلّ بهنّ وجد الله تعالى عندهن. قلت: أكتبها لي. قال: لا. ولكن أردّدها عليك كما ردّدها عليَّ بكر بن خنيس(٣): حسبي الله الحليم القوي لمن بغى عليَّ، حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء، حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القوي عند الصراط، حسبي الله لا إله إلاّ هو، عليه توكلت وهو ربّ العرش العظيم.

ومنها دعاء عتبة الغلام(٤)، وقد رئي في المنام فقال: دخلت الجنة بهذه الكلمات: اللهم يا هادي المضلين، وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، إرحم عبدك ذا الخطر العظيم، والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأحياء المرزوقين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يا ربّ العالمين.

ومنها دعاء آدم عليه السلام. قالت عائشة: لما أراد الله عزّ وجلّ أن يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعًا وهو يؤمئذٍ ليس بمبنى ربوة حمراء، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إنّك تعلم سرّي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي. اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي، ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنّه لن يصيبني إلاّ ما كتبته عليّ، ورضّني بما قسمته لي. فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أني قد غفرت لك، ولن يأتيني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلاّ غفرت له ذنوبه، وكشفت غمومه وهمومه، ونزعت الفقر من بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها.

ومنها دعاء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، رواه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ يمجد نفسه كلّ يوم ويقول: إنى أنا الله ربّ العالمين، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا العلي العظيم، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا لم ألد ولم أولد، إنيّ أنا الله لا إله إلاّ أنا العفوّ الغفور، مبدىء كل شيء وإليّ يعود، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، خالق الخير والشر، خالق الجنة والنار، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، الفرد الوتر، عالم الغيب والشهادة، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر،

---

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ. توفي عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م. زاهد، متصوف، مشهور، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٦٩، طبقات الصوفية ٨٣، وفيات الأعيان ٢/ ١٠٤، صفة الصفوة ٢/ ١٧٩، تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٩.

(٢) هو محمد بن حسان الضبي. توفي نحو ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م. أديب، موالٍ، له شعر وأخبار.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٨٠، بغية الوعاة ٣٠، إرشاد الأريب ٦/ ٤٧٩.

(٣) راوٍ، محدث.
انظر عنه: البداية والنهاية ٤/ ٣٤٧.

(٤) هو عتبة بن أبان البصري، الملقب بعتبة الغلام، زاهد، ناسك، كان يشبّه بالحسن البصري. مات شهيداً.
انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٥٢، حلية الأولياء ٦/ ٢٢٦، سير أعلام النبلاء ٧/ ٦٢.

الخالق البارىء المصور، الكبير المتعال، المقتدر القهار، الحكيم الكريم، أهل الثناء والمجد، أعلم السرّ وأخفى، القادر الرزاق للخلق والخليقة»[١]. وذكر قبل كل كلمة إني الله لا إله إلاّ أنا كما أوردنا في الأول، فمن دعا بهذه الأسماء فليقل: إنّك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا. فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدًا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين في دار الجلال، وله ثواب العابدين في السموات والأرضين.

ومنها دعاء أبي المعتمر سليمان التيمي[٢] وتسبيحاته. روي أن يونس بن عبيد[٣] رأى رجلًا في المنام ممن قتل شهيدًا ببلاد الروم، فقال: ما أفضل ما رأيت من الأعمال؟ قال: رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله بمكان وهي هذه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، عدد ما خلق، وعدد ما هو خالق، وزنة ما خلق، وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق، وملء ما هو خالق، وملء سمواته وأرضه، ومثل ذلك، وأضعاف ذلك، وعدد خلقه، وزنة عرشه، ومنتهى رحمته، ومداد كلماته، ومبلغ رضاه، وحتى يرضى، وإذا رضي، وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى، وعدد ما هم ذاكروه في ما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات، ونسم ونفس من أبد إلى الأبد، أبد الدنيا وأبد الآخرة، وأكثر من ذلك لا ينقطع أولاه ولا ينفد أخراه.

ومنها دعاء إبراهيم بن أدهم[٤]. روى إبراهيم بن بشار[٥] خادمه أنّه كان يقول هذا الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى: مرحبًا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد، يومنا هذا يوم عيد، أكتبا لنا ما نقول: بسم الله الحميد المجيد، الرفيع الودود، الفعال في خلقه ما يريد، أصبحت بالله مؤمنًا، وبلقائه مصدقًا، وبحجته معترفًا، ومن ذنبي مستغفرًا، ولربوبية الله عزّ وجلّ خاضعًا، ولسوى الله عزّ وجلّ في الإلهية جاحدًا، وإلى الله سبحانه وتعالى فقيرًا، وعلى الله متوكلًا، وإلى الله عزّ وجلّ منيبًا، أشهد الله وأشهد ملائكته ورسله وحملة عرشه ومن خلقه وما هو خالقه، بأنه هو الله لا إله إلاّ هو، وحده لا شريك له، وأنّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليمًا، وأن الجنة حق، وأن النار حق، والحوض والشفاعة حق، ومنكرًا ونكيرًا حق، ووعدك حق، ولقاءك حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، على ذلك أحيا، وعليه أموت، وعليه أبعث إنْ شاء الله. اللهم أنت ربي لا ربّ لي إلاّ أنت، خلقتني وأنا عبدك، على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك اللهم من شرّ كل ذي شرّ، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي،

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثالث في أدعية مأثورة، ٥/ ٧١، بلفظ: «إنني أنا الله رب العالمين إنني أنا الله لا إلّه إلا أنا الحي القيوم. . .».

(٢) هو سليمان بن طرخان التيمي، أبو المعتمر البصري. توفي عام ١٤٣هـ. محدث، ثقة، عابد. من الطبقة الرابعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٥٢.

(٣) هو يونس بن عبيد بن دينار العبدي البصري، أبو عبد الله. توفي عام ١٣٩هـ/ ٧٥٦م. حافظ، ثقة، له أخبار ورواية.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢٦٢، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤٢.

(٤) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي. أبو إسحاق. توفي عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م. زاهد مشهور عالم. له أخبار كثيرة.
الأعلام ١/ ٣١، تهذيب ابن عساكر ٢/ ١٦٧، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧.

(٥) هو إبراهيم بن بشّار الخراساني، صاحب إبراهيم بن أدهم. محدث، ثقة، يعد من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٨٨.

إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت، واصرف عني سيئها فإنّه لا يصرف سيئها إلاّ أنت. لبيك وسعديك، الخير كله بيديك، أنا لك وإليك، أستغفرك وأتوب إليك، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين، آمين يا ربّ العالمين. اللهم أوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربًا رويًا سائغًا هنيئًا لا نظمأ بعده أبدًا، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين، ولا مرتابين ولا مفتونين، ولا مغضوب علينا ولا ضالين. اللهم اعصمني من فتن الدنيا، ووفقني لما تحب وترضى، واصلح لي شأني كله، وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تضلني وإنْ كنت ظالمًا. سبحانك سبحانك يا عليّ يا عظيم، يا رب، يا برّ، يا رحيم، يا عزيز يا حنان. سبحان من سبحت له السموات بأكنافها، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراقها، وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها ونضارتها، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع، ومن فيهن ومن عليهن، سبحانك سبحانك يا حيّ يا حليم، سبحانك لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك، تحيي وتميت، وأنت حي لا تموت، بيدك الخير، وأنت على كل شيء قدير.

المطلب السادس:

في أدعية مأثورة عن النبي ﷺ والآل والأصحاب، محذوفة الأسانيد مما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر[1] على ما روى الغزالي في الإحياء.

واعلم: أن من أراد حرث الآخرة لا بد له من الذكر كما بيّناه؛ ومن أفضل الأذكار والدعوات المأثورة عن الأخبار فقل في مفتتح دعواتك، أعقاب صلواتك: سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وقل: رضيت بالله ربًا، وبالاسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، ثلاث مرات.

وقل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربّ كل شيء، ومليكه، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أعوذ بك من شرّ نفسي ومن شرّ الشيطان وشركه.

وقل: اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي. اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، وأقل عثراتي، واحفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك أنْ أغتال من تحتي. اللهم لا تؤمني مكرك، ولا تولني غيرك، ولا تنزع عني سترك، ولا تنسني ذكرك، ولا تجعلني من الغافلين.

وقل: اللهم أنت ربي لا إله إلاّ أنت خلقتني، وأنا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شرّ ما صنعت، أبوء بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت.

وقل: اللهم عافني في بدني، وعافني في سمعي، وعافني في بصري، لا إله إلاّ أنت، ثلاث مرات.

---

(١) هو المنذر بن محمد بن المنذر الكوفي. من المتقدمين. راوٍ، ثقة قارىء. انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٣١١.

وقل: اللهم إني أسألك الرضا بالقضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقًا إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، وأعوذ بك أنْ أظلم أو أظلم، أو أعتدى أو يُعتدى عليّ، أو أكتسب خطيئة أو ذنبًا لا تغفره. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، وخلقًا مستقيمًا، ولسانا صادقًا، وعملًا متقبلًا، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، فإنّك تعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير، وعلى كل غيب شهيد. اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، وقرة عين الأبد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. اللهم إني أسألك الطيبات، وفعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبّ المساكين، أسألك حبك وحبّ من أحبك، وحبّ كلّ عمل يقربني إلى حبك، وأن تتوب عليّ وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت أن تقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي. أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغني والفقر، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهديين. اللهم أقسم لنا، من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا. اللهم املأ وجوهنا منك حياءً، وقلوبنا منك خوفاً، وأسكن في نفوسنا من عظمتك، وذلل جوارحنا لخدمتك، واجعلك أحبّ إلينا مما سواك، واجعلنا أخشى لك ممن سواك. اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً. وأوسطه فلاحاً، وآخره نجاحاً. اللهم اجعل أوله رحمة، وأوسطه نعمة، وآخره تكرمة. الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، وذلّ كل شيء لعزته، وخضع كل شيء لملكه، واستسلم كل شيء لقدرته. الحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته، وأظهر كل شيء بحكمته، وتصاغر كل شيء لكبريائه. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد. اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، رسول الأميين، وأعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين، وعبادك الصالحين، واستعملنا بما يرضيك عنا، ووفقنا لمحابك منا، وصرفنا بحسن اختيارك لنا. نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه، ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه. اللهم بقدرتك عليَّ تُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، وبحلمك عني أعفُ عني إنّك أنت الغفار، وبعلمك بي أغفر لي إنك أنت الرحمن، وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها عليّ إنك أنت الملك الجبار. سبحانك وبحمدك لا إلّه إلّا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي، إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت. اللهم ألهمني رشدي، وقني شرّ نفسي. اللهم ارزقني رزقاً حلالًا لا تعاقبني عليه، وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحاً تقبله مني، أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة، يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة، هبْ لي ما لا يضرّك، وأعطني ما لا ينفعك، أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين، وتوفني مسلماً وألحقني بالصالحين، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة، ربنا عليك

توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدًا. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة إنّك لا تخلف الميعاد. ربنا لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. ربّ اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً. واغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات. رب اغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم فأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين، وإنا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

اللهم إنّي أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر.

اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع، وطمع من غير طمع، ومن طمع حين لا مطمع.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، ومن الجوع فإنّه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنّها بئست البطانة، ومن الكسل والبخل والجبن، ومن الهرم، ومن أن أرد إلى أرذل العمر، ومن فتنة الدجال وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات.

اللهم إنّا نسألك قلوباً أوّاهة مخبتة منيبة في سبيلك.

اللهم إنّا نسألك عزائم مغفرتك، وموجبات رحمتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بِرّ، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

اللهم إني أعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الهمّ والغرق والهرم، وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك من أن أموت في طلب دنيا.

اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت وما لم أعلم.

اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء.

اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدَّيْن والفقر، وأعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من فتنة الدجال.

أللهمَّ إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري، ومن شر لساني وقلبي، وسوء ظني.

أللهمَّ إني أعوذ بك من جار السوء في دار البقاء، فإن جار البادية يتحول.

أللهمَّ إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرئاء، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيىء الاسقام.

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، ومن فجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك.

اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وفتنة النار، ومن عذاب القبر، وفتنة القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، وشر فتنة المسيح الدجال. وأعوذ بك من المغرم والمأثم.

اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع، وقلب لا يخشع، وصلاة لا تنفع، ودعوة لا تستجاب.

اللهم. إني أعوذ بك من شر العمر، ومن ضيق الصدر.

اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء.

المطلب السابع
في الأدعية المأثورة
عند كلّ حادث من الحوادث:

منها دعاء الخروج إلى المسجد: اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل خلفي نورًا، وأمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا. اللهم اعطني نورًا. وقل: اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك، لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رئاء ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وإن خرجت من المنزل لحاجة فقل: بسم الله، أعوذ بك أن أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ، بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، التكلان على الله.

فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وسلم، اللهم اغفر جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك. وقدّم رجلك اليمنى في الدخول، فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: لا أربح الله تجارتك. وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل: لا ردَّ عليك، أمر بذلك رسول الله ﷺ.

ومنها دعاء بعد ركعتي الصبح: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي. الدعاء إلى آخره قد مرّ فيما سبق.

ومنها دعاء الركوع: اللهم لك ركعت، ولك خشعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكلت، أنت ربي، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، وما استقلت به قدمي لله رب العالمين. وإن أحببت فقل: سبحان ربي العظيم ثلاثًا، أو سبوح قدوس ربّ الملائكة والروح.

فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد، كلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

فإذا سجدت فقل: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشقّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين. اللهم سجد لك سوادي وخيالي، وبك آمن فؤادي، أبوء بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي، إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت. أو تقول: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات.

فإذا فرغت من الصلاة فقل: أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها، هذا عند الشافعي. وأما عند أبي حنيفة فلا يزيد في الركوع على أن يقول: سبحان ربي العظيم ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا أو تسعًا، وفي السجود على أنْ يقول: سبحان ربي الأعلى كذلك.

ومنها دعاء كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءًا وظلمت نفسي، فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت.

ومنها دعاء دخول السوق: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إني أسألك خير هذه السوق، وخير ما فيها.

اللهم إني أعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها. اللهم إني أعوذ بك أنْ أصيب فيها يمينًا فاجرة أو صفقة خاسرة.

ومنها دعاء الدين: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك.

ومنها دعاء عند لبس الثوب الجديد: اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صنع له.

ومنها دعاء عند التطير: اللهم لا يأتي بالحسنات إلاّ أنت، ولا يذهب بالسيآت إلاّ أنت، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

ومنها دعاء عند رؤية الهلال: اللهم أهلّه علينا بالأمن والسلامة والإسلام، ربي وربك الله. ويقول: هلال رشد وخير، آمنت بخالقك. اللهم إني أسألك خير هذا الشهر، وخير القدر، وأعوذ بك من شرّ يوم الحشر. ويكبّر قبل الدعاء أولًا ثلاثًا.

ومنها دعاء هبوب الريح: اللهم إني أسألك خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها، وشرّ ما أرسلت به.

ومنها دعاء إذا بلغك وفاة أحد: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم اكتبه من المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلف على عقبه في الغابرين. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده.

ومنها دعاء إذا تصدقت بصدقة: ربنا تقبل منا إنّك أنت السميع العليم.

ومنها دعاء عند الخسران: عسى ربنا أن يبدلنا خيرًا منها، إنا إلى ربنا راغبون.

ومنها دعاء عند ابتداء الأمور: ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدًا، ربّ اشرح لي صدري ويسّر لي أمري.

ومنها دعاء عند النظر إلى السماء: ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار، تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا.

ومنها دعاء عند صوت الرعد: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

ومنها دعاء عند رؤية الصواعق: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك.

ومنها دعاء عند المطر: اللهم سيبًا هنيئًا وصيبًا نافعًا. اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب.

ومنها دعاء عند الغضب: اللهم اغفر ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وأجرني من الشيطان الرجيم.

ومنها دعاء عند الخوف من قوم: اللهم إنّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

ومنها دعاء عند الغزاة: اللهم أنت عضدي ونصيري، وبك أقاتل.

ومنها دعاء طنين الأذن: صلّ أولًا على محمد ﷺ وقل: ذكر الله من ذكرني.

ومنها دعاء إذا استجيبت دعوتك: الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، وإذا أبطأت استجابة دعوتك فقل: الحمد لله على كلّ حال.

ومنها دعاء عند أذان المغرب: اللهم هذا استقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي.

ومنها دعاء إذا أصابك همّ: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، نافذ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو أعطيته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أنْ تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمّي وذهاب حزني وهمي. قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدًا حزن فقال هذا إلاّ أذهب الله عزّ وجلّ همّه وأبدله مكانه فرحًا. فقيل يا رسول الله: أفلا نتعلمها؟ فقال ﷺ: بلى، ينبغي

لمن سمعها أن يتعلمها»[١].

ومنها دعاء إذا وجدت وجعًا في جسدك أو جسد غيرك فارقِ برقية رسول الله ﷺ. كان ﷺ إذا اشتكى إنسان قرحة أو جرحًا، وضع سبابته في فيه وجعلها على الأرض ثم رفعها وقال: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا، يشفى به سقيمنا بإذن ربنا. وإذا وقع في جسدك فضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شرّ ما أجد وأحاذر.

ومنها دعاء إذا أصابك كرب: لا إلّه إلاّ الله العلي الحكيم، لا إلّه إلاّ الله ربّ العرش العظيم، لا إلّه إلاّ الله ربّ السموات والأرض والعرش الكريم.

ومنها دعاء عند النوم، فتوضأ أولًا ثم توسّد يمينك مستقبل القبلة، ثم كبّر الله أربعًا وثلاثين، وسبّحه ثلاثًا وثلاثين واحمده ثلاثًا وثلاثين، ثم قل: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك. اللهم لا أستطيع أنْ أبلغ ثناءً عليك ولو حرصت، ولكن أنت كما أثنيت على نفسك. اللهم باسمك أحيا وأموت، اللهم ربّ السموات وربّ الأرض وربّ كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزّل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كلّ ذي شرّ، ومن شرّ كل دابة ربي آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، إقضِ عني الدين وأغنني من الفقر. اللهم إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها. اللهم إنْ أَمَتَّها فاغفر لها وإنْ أحييتها فاحفظها. اللهم إني أسألك العافية، باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي. اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك. اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا منجا ولا ملجأ، منك إلاّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت. ويكون هذا آخر دعائك. فقد أمر ﷺ بذلك. وليقل قبل ذلك: اللهم أيقظني في أحبّ الساعات إليك، واستعملني بأحب الأعمال لديك، وتقربني إليك زلفى، وتباعدني من سخطك بعدًا، أسألك فتعطيني، وأستغفرك فتغفر لي، وأدعوك فتستجيب لي.

ومنها دعاء يدعى به عند الصباح إذا استيقظت من نومك: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، أصبحنا وأصبح الملك لله، والعظمة والسلطان لله، والعزة والقدرة لله، أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور. اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير، ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءًا ونجره إلى مسلم فإنك قلت وقولك الحق: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[٢]. اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا، أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما فيه. بسم الله ما شاء الله، لا قوة إلاّ بالله، ما شاء الله، كل نعمة فمن الله، ما شاء الله، الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلاّ الله، رضيت بالله ربًا وبالاسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث. .، ٥/١٠٦.

(٢) الأنعام/ ٦٠.

ومنها دعاء يقوله إذا أمسى، يقول الدعاء المذكور إلاّ أنه يقول: أمسينا، ويقول مع ذلك: أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها، من شرّ ما ذرأ وبرأ، ومن شرّ كل ذي شرّ، ومن شرّ كل دابة، ربي آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراط مستقيم.

ومنها إذا نظرت في المرآة: الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله، وكرّم صورة وجهي وحسنها، وجعلني من المسلمين.

ومنها دعاء إذا اشترى خادمًا أو غلامًا أو دابة فخذ بناصيته وقل: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما جبل عليه.

ومنها دعاء إذا هنأت بالنكاح: بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير.

ومنها دعاء إذا قضيت الدين فقل للمقضى له: بارك الله لك في أهلك ومالك. إنما قال رسول الله ﷺ: «إنما جزاء السلف الحمد والأداء»[1]. فهذه أدعية لا يستغني سالك سبيل الآخرة عن حفظها، وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرنا ذلك كله في كتاب الطهارة والصلاة والحج.

المطلب الثامن:

في أدعية مأثورة

رواها الشيخ العلامة تاج الدين عبد الوهاب السبكي، نقلتها من نسخة منقولة من نسخة منقولة من نسخة منقولة ثلاثًا من خط السبكي المذكور ذكر ذلك في آخر طبقاته الكبرى، روّح الله روحه.

عن وهب بن منبه أنّ ابن عباس رضي الله عنهما قال له: تجد فيما تقرأ من الكتب دعاءً مستجابًا تدعو به عند الكرب. قال: نعم. قال: اللهم إني أسألك يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين، فإنّ لكل مسألة منك جوابًا حاضرًا عتيدًا، ولكل صامت منك علمًا محيطًا باطنًا، مواعيدك الصادقة، وأياديك الفاضلة، ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا. فقال ابن عباس: هذا دعاء علمته في المنام ما كنت أرى أن أحدًا يحسنه.

وعن أبي خالد[2] أنّ العذاب لما هبط على قوم يونس وجعل يحوم على رؤسهم مثل قطع الليل المظلم، مشى ذوو العقول منهم إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا: إنّا نزل بنا ما ترى، فعلمنا دعاءً ندعو به، عسى الله عزّ وجلّ أن يرفع عنا عقوبته. فقال: قولوا: يا حيّ حين لا حي تحيي الموتى، يا حي لا إلّه إلاّ أنت، فكشف الله عزّ وجلّ عنهم.

وعن ابن عباس أنّ عليًا رضي الله عنهم سأل النبي ﷺ يعني شيئًا من الدنيا. فقال له النبي ﷺ: والذي نفسي بيده، والذي بعثني بالحق نبيًا يا علي، ما عندي لا قليل ولا كثير، لكني أعلمك شيئًا أتاني به جبريل عليه السلام. فقال يا محمد: هذه هدية من الله عزّ وجلّ لم يعطها أحدًا من الأنبياء قبلك، وهي تسعة عشر حرفًا، لا يدعو بها ملهوف ولا مكروب ولا محزون ولا سرق ولا حرق ولا عبد خاف سلطانًا إلاّ فرّج الله عنه، أربعة منها مكتوبة على جبهة جبريل عليه السلام، وأربعة مكتوبة حول العرش، وأربعة حول الكرسي. قال: فكيف أدعو بها يا نبي الله؟ قال: قل: يا عماد من لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا ذخر من لا ذخر له، يا حرز من لا حرز له، يا غياث من لا غياث له، يا كريم العفو، يا حسن البلاء، يا عظيم الرجاء، يا عون الضعفاء، يا منقذ

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث، ٥/١١٣.

(٢) لعله أبو خالد الدالاني الأسدي الكوفي، يزيد بن عبد الرحمن. محدث صدوق، من الطبقة السابعة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٦٣٦.

الغرقى، يا منجي الهلكى، يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا متفضّل، أنت الذي سجد لك سواد الليل ونور النهار وضوء القمر وشعاع الشمس ودويّ الماء وحفيف الشجر، يا الله لا شريك لك، يا ربّ يا ربّ، ثم تدعو بحاجتك وبما بك، لا تقوم من مقامك حتى يستجاب لك.

عن عبد الله بن أيوب[١]، قال ليعقوب بن داود[٢] في الطواف: قلت له: أحب أن تخبرني كيف كان سبب خروجك من المضيق. قال: كنت في المضيق فأتاني آتٍ في منامي قال لي: يا يعقوب، كيف ترى مكانك؟ فقلت: وما سؤالك! أما ترى ما أنا فيه. قال: قم فأسبغ الوضوء وصلّ أربع ركعات وقل: يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا متفضّل، يا ذا النوافل والنعم، يا عظيم، إجعل لي مما أنا فيه فرجًا ومخرجًا.

فانتبهت فحفظت الدعاء، فقمت وتوضأت وصلّيت دعوت به، فلما أسفر الصبح جاؤا فأخرجوني.

وعن قدامة بن عتبة العتكي وكان من أصحاب عتبة الغلام، قال: رأيت عتبة الغلام في النوم، فقلت: يا عبد الله: ما صنع الله بك؟ قال: دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك، فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا بخط عتبة في الحائط: يا هادي المضلين، يا راحم المذنبين، يا مقيل عثرات العاثرين.

وعن بعضهم قال: أتى الحجاج رجلٌ عزم على قتله، فلما دخل تكلّم بشيء فخلى سبيله. فقيل: أي شيء قلت؟ قال: قلت: يا عزيز يا حميد، يا ذا العرش المجيد، إصرف عني كل جبار عنيد.

وعن حصين[٣] كان سعيد بن المسيب يدعو: أعوذ بوجه الله الكريم، واسمه العظيم، وكلماته التامة، من شرّ السامة والعامة، ومن شرّ ما خلقت يا ربّ، ومن شرّ ما أنت آخذ بناصيتها، ومن شر الدنيا وما فيها.

وعن عبد الله بن مسلم بن قتيبة[٤] قال: حدثني بعض أصحابنا بهذا الدعاء، قال: كان الصالحون من التابعين يدعون إذا دخلوا على السلطان فيقون[٥] به البطش من السلطان وظلمه، وهو: بسم الله، أعوذ بالرحمن منك إنْ كنت تقيًا، إخسئوا فيها ولا تكلمون، أخذت قوتك بقوة الله، بيني وبينك ستر الله الذي كانت الأنبياء يستترون به من سطوات الجبابرة الفراعنة، جبريل عن يمينك، وميكائيل عن شمالك، ومحمد ﷺ أمامك، والله عزّ وجلّ مطّلع عليك يجيرني ويمنعني منك بحوله وقوته.

---

(١) هو عبد الله بن أيوب، أبو محمد التيمي. توفي عام ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م. شاعر عباسي، اشتهر بمدح الخلفاء والأمراء.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٧٣، النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٩، تاريخ بغداد ٩/ ٤١١.

(٢) هو يعقوب بن داود بن عمر السلمي، أبو عبد الله. توفي عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. كاتب، من كبار الوزراء، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٩٧، وفيات الأعيان ٢/ ٣٣١، البداية والنهاية ١٠/ ١٤٧، مرآة الجنان ١/ ٤١٧، ابن الأثير ٦/ ٢٣.

(٣) هو حصين بن عبد الرحمن السلمي، أبو الهذيل الكوفي. توفي عام ١٣٦هـ. حافظ ثقه، من الطبقة الخامسة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٧٠، ميزان الاعتدال ٥٥٢.

(٤) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، ولد عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. وتوفي عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م. من أئمة الأدب واللغة. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٣٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٥١، لسان الميزان ٣/ ٣٥٧، تاريخ آداب اللغة ٢/ ١٧٠، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٦٠.

(٥) كذا في الأصل.

وعن محمد بن يحيى[(١)] قال: بينما عليّ كرّم الله وجهه يطوف بالكعبة، إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة ينادي: يا من لا يشغله سمع عن سمع، يا من لا يغلطه السائلون، يا من لا يتبرم بإلحاح الملحين، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك. قال له عليّ رضي الله عنه: دعاؤك هذا؟ قال: نعم. قال: وقد سمعته؟ قال: نعم. قال: فادع به في دبر كل صلاة[(٢)] الصبح في مصلاه مائة مرة، فليقل: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا قديم، يا دائم، يا حيّ، يا فرد، يا وتر، يا أحد، يا صمد. وكان مقاتل[(٣)] يقول: من دعا بهذا الدعاء فلم يستجب فليلعن مقاتلًا في قبره.

وعن جعفر بن محمد[(٤)]: ما من نبي إلاّ وخلف في أهل بيته دعوة مجابة، وقد خلف فينا رسول الله ﷺ دعوتين مجابتين، أما الواحدة فلشدائدنا، وأما الأخرى فلحوائجنا. أما التي لشدائدنا: يا كائن دائمًا لم يزل، يا إلَهي، يا إلَه آبائي، يا حيّ يا قيوم اجعلني لك مخلصًا. وأما التي لحوائجنا: يا من يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء، يا الله، يا ربّ محمد ﷺ، ثم تسأل حاجتك.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ قال: من أراد أنْ يوعيه الله حفظ القرآن فليكتب هذا الدعاء في إناء نظيف بعسل ماذي، ثم ليغسله بماء المطر قبل أن يمس الأرض، وليشربه على الريق ثلاثة أيام، فإنه يحفظه بإذن الله تعالى وهو: اللهم إني أسألك مسؤلًا لم يسأل مثلك، أسألك بحق محمد رسولك ونبيك، وإبراهيم خليلك وصفيّك، وموسى كليمك ونجيّك، وعيسى كلمتك وروحك، وأسألك بصحف إبراهيم وتوراة موسى وإنجيل عيسى وفرقان محمد، وأسألك بكل وحي أوحيته، وبكل حقّ قضيته، وبكل سائل أعطيته، وبكل ضالٍ هديته، وغني أقنيته، وفقير أغنيته، وأسألك بأسمائك التي دعاك بها أدعياؤك وأنبياؤك فاستجيب لهم، وأسألك بكل اسم أنزلته في كتابك، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار، وأسألك باسمك الذي وضعته على الليل فأظلم، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فأرست، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرضين فاستقلت، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الواحد الأحد، الفرد الصمد، العزيز الذي ملأ الأركان كلّها، الطاهر المطهر المبارك المقدس الحي القيوم، نور السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الكبير

---

(١) هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري. توفي عام ٢٥٨هـ. محدث ثقة حافظ جليل. من الطبقة الحادية عشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥١٢.

(٢) لعل هنا سقطاً. (كذا في الأصل).

(٣) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، أبو الحسن. توفي عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. من أعلام المفسرين، محدث، له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٨١، وفيات الأعيان ٢/ ١١٢، التهذيب ١٠/ ٢٧٩، ميزان الإعتدال ٣/ ١٩٦.

(٤) هو الإمام جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط الهاشمي القرشي، أبو عبد الله الملقب بالصادق. ولد بالمدينة المنورة عام ٨٠هـ/ ٦٩٩م. وتوفي فيها عام ١٤٨هـ/ ٧٦٥م. سادس الأئمة الإثني عشرية. تابعي، فقيه، تتلمذ عليه أبو حنيفة ومالك. له عدة رسائل.
الأعلام ٢/ ١٢٦، نزهة الجليس ٢/ ٣٥، وفيات الأعيان ١/ ١٠٥، تاريخ اليعقوبي ٣/ ١١٥، صفة الصفوة ٢/ ٩٤، حلية الأولياء ٣/ ١٩٢.

المتعال، وأسألك بكتابك المبارك أنْ ترزقني حفظ كتابك القرآن، وحفظ أصناف العلم، وثبتها في قلبي وسمعي وبصري، وتخلطها بلحمي ودمي، وتستعمل بها جسدي في ليلي ونهاري، فإنّه لا حول ولا قوة إلاّ بك.

عن أبي رجاء[(١)] أنّ رسول الله ﷺ إذا اشتد به حلقة البلاء وكانت ضيقة يقول: تضيقي تنفرجي، ثم يرفع يديه فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اكفنا بأس الذين كفروا إنّك أشد بأسًا وأشد تنكيلًا.

وعن نعيم بن أبي هند[(٢)] قال: كنت جالسًا عند يزيد بن أبي مسلم[(٣)] أمام الحجاج وهو يعذب الناس، فذكر رجلًا في السجن، فبعث إليه بغيظ وغضب، فأتي به، وما أشك أن استنفع[(٤)] به، فلما قام بين يديه، رأيت الرجل يحرّك شفتيه بشيء لم أسمع، فرفع رأسه فقال: خلّوا سبيله، أو ردّوه. فقمت إلى الرجل وذكرت له القصة، وقلت له: ما الذي قلت: قال: قلت هذا الدعاء: إني أسألك بقدرتك التي تمسك بها السموات السبع أن يقع بعضهن على بعض أن تكفينيه.

وعن البراء بن عازب[(٥)] قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب ذات يوم فقلت: يا أمير المؤمنين: سألتك بالله إلا ما خصصتني بأعظم ما خصّك به رسول الله ﷺ، مما خصّ به جبريل عليه السلام، بما أرسل به إليه الرحمن عزّ وجلّ، فقال: لولا سألت ما نشرت ذكر ما أريد أن أستره حتى أضمن لحدي، إذا أردت أن تدعو باسم الله الأعظم فاقرأ من أول الحديد ست آيات، وآخر الحشر، فإذا فرغت فتكلم فقل: يا من هو كذا وكذا إفعل بي كذا وكذا، فوالله لو دعوت به على شقيّ لسعد. قال البراء: فوالله لا أدعو بها للدنيا أبدًا. قال عليّ رضي الله عنه: أصبت، كذا أوصاني رسول الله ﷺ، غير أنه أذن لي في الأمر البارح.

روي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، سمع وهو يطوف بالكعبة ومعه ولداه الحسن والحسين رضي الله عنهما قائلًا في جوف الليل:

يا مَنْ يجيبُ دعاء المضطّرِ في الظلم
يا كاشفَ الضرّ والبلوى مع السقمِ
قد نام وفدُك حول البيتِ وانتبهوا
وعينُ جودِك يا مولاي لم تنمِ
هبْ لي بجودك فضلَ العفوِ عن زَلَلي
يا مَنْ إليه رجاءُ الخلق في الحرمِ
إنْ كان عفوك لا يرجوه ذو خطأٍ
فمَنْ يجودُ على العاصين بالنعمِ

فقال علي لولديه: أطلبا لي هذا القائل، فأتياه فقالا: أجبْ أمير المؤمنين. فأقبل يجرّ شقه حتى وقف بين يديه فقال: قد سمعت خطابَك، فما قصتك؟ قال: إني من أمري في ضيق، فإنْ تبت لم تقبل توبتي، وإنْ سألت لم يقلني عثرتي.

---

(١) لعله محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان بن أبي مريم، أبو رجاء الاشواني. توفي عام ٣٣٥هـ/٩٤٧م. فقيه له نظم وعدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٣٠٩، المنتظم ٦/ ٣٥٥، حسن المحاضرة ١/ ٢٢٦.

(٢) هو نعيم بن أبي هند، النعمان بن أشيم الأشجعي. توفي عام ١١٠هـ، محدث، ثقة، من الطبقة الرابعة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٦٥.

(٣) هو يزيد بن أسلم، ابن دينار الثقفي، أبو العلاء. توفي عام ١٠٢هـ/ ٧٢٠م. والٍ، داهية كاتب الحجاج، له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٨٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٦، المحبر ٤٩٢، رغبة الآمل ٥/ ١٦٧، ابن الأثير ٥/ ٣٧.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة. توفي عام ٧١هـ/ ٦٩٠م. صحابي جليل، قائد شجاع، شهد الفتوح والغزوات مع النبي ﷺ. وكان له بلاء حسن أيام الخلفاء الراشدين. له رواية وأخباره مشهورة. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٤٦، طبقات ابن سعد ٤/ ٨٠، نكت الهميان ١٢٤.

قال له: ولِمَ ذلك؟ قال له: لأني كنت رجلًا مشهورًا بالطرب والعصيان، وكان والدي يعظني ويحذرني مصارع الجهال ويقول لي: إنّ لله سطوات ونقمات، وما هي من الظالمين ببعيد. فلما ألحّ في الموعظة، فحلف ليدعونّ عليَّ ويأتي مكة مستغيثًا إلى الله عزّ وجلّ، ففعل ودعا، فلم يتم دعاءه حتى جفّ شقي الأيمن، فندمت على ما كان مني إليه، وداريته وراضيته إلى أن ضمن لي أن يدعو لي حيث دعا عليّ. فقدّمت إليه ناقة فأركبته، فنفرت الناقة ورمت به بين صخرتين فمات هناك. فقال لي أمير المؤمنين أحقًا إنّ أباك رضي عنك؟ فقلت: اللهم كذلك. فقام عليّ رضي الله عنه وصلى ركعات ودعا بدعوات أسرّها إلى الله عزّ وجلّ، ثم قال: يا مبارك قم، فقام ومشى، ثم عاد إلى الصحة كما كان، ثم قال: لولا أنّك حلفت أنّ أباك رضي عليك ما دعوت لك.

وعن جعفر بن محمد الصادق(١): عجبت لامرىء كيف لا يقول: ما شاء الله لا قوة إلاّ بالله والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(٢). وعجبت لمن خاف قومًا كيف لا يقول حسبي الله ونعم الوكيل، والله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾(٣) وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول: وأفوّض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد، والله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾(٤). وعجبت لمن أصابه غم كيف لا يقول: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾(٥). قال سفيان بن عيينة: إنه تعالى لما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان وعدًا لكل مؤمن من قال: لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين أن ينجيه من الغم، والله لا يخلف الميعاد.

بخط الشيخ القرطبي قل وأنت ساجد: اللهم يا لطيف يا لطيف بجميع عباده، الطف بي بلطفك الخفي الذي ما لطفته بأحد إلا كفى. ثم يرفع رأسه ويقول: فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.

ومن كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي(٦): إنْ أردت كرامتي فعليك بطاعتي والإعراض عن معصيتي، فإنْ زللت بغلبة الشهوة وعظيم القدرة، فاعلم قربي منك ونظري إليك، وإحاطتي بك وقدرتي عليك، واستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي، وقل: يا موجود قبل كل موجود، وهو الآن على ما هو عليه موجود، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، وضاقت عليَّ نفسي ولا منجى منك إلا إليك، فتبْ عليَّ يا تواب بأنك أنت التواب الرحيم.

ذكر الحافظ ضياء الدين(٧) في سيرة الشيخ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) الكهف/ ٣٩.

(٣) آل عمران/ ١٧٣ - ١٧٤.

(٤) غافر/ ٤٥.

(٥) الأنبياء/ ٨٧ - ٨٨.

(٦) هو علي بن محمد بن محمد بن خلف المصري الشاذلي، أبو الحسن. ولد عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م. وتوفي عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م. فقيه مالكي، له تصانيف عديدة. انظر عنه: الأعلام ٥/ ١١، نيل الإبتهاج ٢١٢.

(٧) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي، أبو عبد الله، ضياء الدين. ولد عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م. وتوفي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. عالم بالحديث، مؤرخ، له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٥٥، فوات الوفيات ٢/ ٢٣٨، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٤، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٦.

العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي[(١)] أنه قال: ما رأيت مثل هذا الدعاء أسرع إجابة: يا الله يا الله، أنت الله، بلى والله، أنت الله، لا إلّه إلاّ أنت، الله الله الله، والله لا إلّه إلاّ الله.

قال الشيخ تاج الدين عبد الوهاب السبكي: سمعت الشيخ الإمام الوالد وهو الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي رحمه الله إذا اهتم بأمر قرأ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[(٢)] تسع عشرة مرة، عشرين إلاّ مرة، وكان الوالد يذكر أنّ هذا مجرّب لداهم الأمر ومعضله.

وجدت في بعض المجامع مرويًا بإسناد مجهول إلى أبي الحسن محمد بن جعفر[(٣)] قال: وجدت ببلاد الهند حجرًا منقوشًا بالعبرانية ببلد سرنديب[(٤)]:

أنا الموجود فاطلبني تجدني
فإنْ تطلب سواي لم تجدني
تجدني أين تطلبني عبيدي
قريبًا منك فاطلبني تجدني
تجدني ماجدًا صمدًا كريمًا
كثير البرّ فاطلبني تجدني
تجدني مستغاثًا بي مغيثًا
أنا الجبار فاطلبني تجدني
إذا اللهفان ناداني كظيمًا
أقلْ: لبيك فاطلبني تجدني
إذا المضطر قال ألا تراني
نظرت إليه فاطلبني تجدني
أنا بالمرء أرحم من أخيه
ومن أبويه فاطلبني تجدني
فإنْ هو تاب تبت عليه إني
أنا التواب فاطلبني تجدني
أتذكر ليلة ناديت سرًا
ألم أسمعك فاطلبني تجدني
أنا الجبار لا شيء كمثلي
أنا الغفار فاطلبني تجدني
أنا الربّ الذي يخشون مني
جميع الخلق فاطلبني تجدني
وليس يبيحك الفردوس غيري
أنا الرزاق فاطلبني تجدني
أتعرف غافرًا للذنب غيري
أنا الغفار فاطلبني تجدني
سأغفر للعباد ولا أبالي
غدًا في الحشر فاطلبني تجدني
وأكرم من أريد بغير بخل
أنا الوهاب فاطلبني تجدني
وارحم من يتوب وكان عندي
له الإكرام فاطلبني تجدني
فمن مثلي ولم تر قط مثلي
ولست تراه فاطلبني تجدني

ولبعضهم وذكر أنه ما ردّدها من هو في شدة إلاّ وفرجها الله عنه:

---

(١) هو إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور، الشيخ عماد الدين المقدسي الحنبلي، أبو إسحاق، توفي عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م. عالم بالحديث والفقه، زاهد، له تصانيف.
انظر عنه: المنهل الصافي ١/ ٢٠٧، الوافي بالوفيات ٦/ ٤٩، شذرات الذهب ٥/ ٥٧.

(٢) آل عمران/ ١٧٣ - ١٧٤.

(٣) هو محمد بن جعفر بن محمد بن هارون التميمي، أبو الحسن، المعروف بابن النجار. ولد عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م. وتوفي عام ٤٠٢هـ/ ١٠١١م. عالم بالعربية له اشتغال بالتاريخ. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٧١، إرشاد الأريب ٦/ ٤٦٧، غاية النهاية ٢/ ١١١، شذرات الذهب ٣/ ١٦٤، بغية الوعاة ٢٨.

(٤) جزيرة بالهند، كبيرة مشهورة. فيها هيكل كبير، وبها نزل آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة. وبداخلها قرى ومدن عدة وجبال وسهول. وأخبارها مستفيضة. انظر عنها:
الروض المعطار ٣١٢، نخبة الدهر ١٦٠، ابن الوردي ٦٥، معجم البلدان مادة: سرنديب.

ولـرب نـازلـة يـضـيـق بـهـا الـفـتـى
ذرعًـا وعـنـد الله مـنـهـا الـمـخـرجُ
ضـاقـت فـلـمـا استكـمـلـت حـلـقـاتـهـا
فـرجـت وكـان يـظـنّـهـا لا تـفـرجُ

ولبعضهم

كـم أعـقـبـت نـوب الـزمـان جـمـيـلًا
وكـفـيـن خـطـبًـا قـد أهـمّ جـلـيـلًا
لا تـيـأسـنّ مـن الإلـه فـروحـه
إنْ لـم يـغـادرك بـكـرة فـأصـيـلًا
وأمـلْ لـطـائـف صـنـعـه فـلـطـالـمـا
كـشـف الـهـمـوم وبـلّـغ الـمـأمـولا
يـا ربّ مـكـروه تـعـذّر حـلّـه
لـيـلًا فـأصـبـح عـقـده مـحـلـولًا
ومُـلِـمّـةٍ أعـيـا نـهـارًا حـلّـهـا
أمـسـت يـسـهـل خـطـبـهـا تـسـهـيـلًا

وعن جعفر الخلدي[١] قال: ودعت المزين، فقلت: زودني شيئًا. فقال: إنْ ضاع منك شيء، أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع بيني وبين كذا، فما دعوت بها شيئًا إلاّ استجيب.

وروى ابن أبي الدنيا[٢]: أن طاوسًا قال: إنّي لفي الحجر ذات ليلة إذْ دخل عليّ بن الحسين، فقلت: رجل صالح من أهل بيت الخير. لأسمعن الليلة إلى دعائه. فصلّى ثم سجد، فأصغيت بسمعي إليه، فسمعته يقول في سجوده: عبيدك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك، قال طاوس: فحفظتهن، فما دعوت بهنّ في كرب إلاّ فرّج عني.

وروي أيضًا عن الحارث الكعبي[٣] أنّ رجلًا جاء إلى الحسين بن عليّ يستعين به على عليّ في حاجة. فقال له الحسين: إنّ أمير المؤمنين قد خلا في بيت، إذا حزبه أمر خلا فيه. قال: فأدنني إلى الباب حتى أسمع كلام أمير المؤمنين. قال: فسمعته يقول: يا كهيعص، يا نور، يا قدوس، يا حيّ، يا الله، يا رحمن، ردَّدها ثلاثًا، إغفر لي الذنوب التي تحل النقم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس السقم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، واغفر لي الذنوب التي تعجّل الفناء، واغفر لي الذنوب التي تديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تردّ الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تمسك غيث السماء، واغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء.

سمعت بعضهم يذكر أنه رأى بخط من يعتمد، إذا غلب المرء في مواقعه فليقل في دبر كل صلاة: ربِ إني مغلوب فأنتصر مائة مرة.

ومن شعر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه[٤]، ويقال: إنها أبيات مباركة:

لـبـسـت ثـوب الـرجـا والـنـاس قـد رقـدوا
وقـمـت أشـكـو إلـى مـولاي مـا أجـدُ

---

(١) هو جعفر بن محمد بن نصير بن قاسم، أبو محمد البغدادي الخلدي. توفي عام ٣٤٨هـ. إمام صوفي كبير، محدث قدوة. له رواية وأقوال مشهورة. انظر عنه: طبقات الصوفية ٤٣٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥٨، العبر ٢/ ٢٧٩، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٨.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي البغدادي، أبو بكر. ولد عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م. وتوفي عام ٢٨١هـ/ ٨٩٤م. حافظ، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١١٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٢٤، تهذيب التهذيب ٦/ ١٢، فوات الوفيات ١/ ٢٣٦.

(٣) لعله الحارث بن كعب الأزدي الكوفي. من رجال الإمام الحسين.
انظر عنه: أعيان الشيعة ٤/ ٣٧٣.

(٤) التنبيه في فروع الشافعية للشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفقيه الشيرازي الشافعي (- ٤٧٦هـ).
كشف الظنون ١/ ٤٨٩.

وقلت يا عدّتي في كل نائبة
ومَنْ عليه لكشف الضر أعتمدُ
وقد مددت يدي والضرّ مشتملٌ
إليك يا خيرَ مَنْ مُدَّت إليه يدُ
فلا تردَّنّها يا ربّ خائبة
فبحر جودك يروي كلّ من يردُ

ولأبي القاسم السهيلي[1]، وقيل: ما ردّدها ذو حاجة ثلاث مرات ويدعو إلاّ استجيب له:

يا مَنْ يرى ما في الضمير ويسمع
أنت المعدّ لكل ما يتوقعُ
يا مَنْ يرجّى للشدائد كلّها
يا مَنْ إليه المُشتكى والمفزعُ
يا مَنْ خزائن فضلهِ في قول كُنْ
أمننْ فإنّ الخير عندك أجمعُ
ما لي سوى فقري إليك وسيلة
فبالا فتقار إليك فقري أدفعُ
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة
فلئن رددت فأيّ بابٍ أقرعُ
ومَنْ الذي أدعو وأهتفُ باسمه
إنْ كان فضلك عن فقيرك يمنعُ
حاشا لفضلك أنْ تقنط عاصيًا
الفضلُ أجزلُ والمواهب أوسعُ

وله أبيات أخر:

قال تاج الدين السبكي: كنت أسمع الشيخ الإمام أراد والده تقي الدين السبكي رحمهما الله يردّدها ويدعو عقيبها ويقول: إنّ الإجابة عقيبها مجربة، وإنه كان يقول: ما سألت الله بها في شيء إلاّ أعطانيه، وهي:

صرفتُ إلى ربّ الأنام مطالبي
ووجهت وجهي نحوه ومآربي
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه
مليك يرجّى سيبه في المتاعب
إلى الصمد البرّ الذي فاض جودُه
وعمّ الورى طرًا بجزل المواهب
مجيري من الخطبِ المخوفِ وناصري
مغيثي إذا ضاقت عليَّ مذاهبي
مقيل إذا زلت بي النعلُ عاثرًا
وأسمحُ غفارٍ وأكرمُ واهب
فما زال يوليني الجميل تلطفًا
ويدفعُ عني في صدور النوائب
ويرزقني طفلًا وكهلًا وقبلها
جنينًا ويحميني وبي المكاسب
إذا سدّد الأملاك دوني غلقت
ونهنه عن غشيانهم زجرُ حاجب
فزعت إلى باب المهيمن طارقًا
مدلًا أنادي باسمه غيرَ هائب
فلم ألفَ حجابًا ولم أخشَ منعةً
ولو كان سؤلي فوق هام الكواكب
كريم يلبي عبدَه كلما دعا
نهارًا وليلًا في الدجى والغياهب
يقول له: لبيك عبدي داعيًا
وإنْ كنت خطّاءً كثيرَ المعايب
فما ضاق عفوي عن جريمة خاطىء
وما أحد يرجو نداي بخائب
فلا تخشَ إملالًا وإنْ كنت مكثرًا
فعفوي مبذولٌ إلى كلّ طالب
سأسألهُ ما شئت إنّ يمينه
تسحّ دفاقًا باللهي والرّغائب
فحسبي ربي في الهزاهزِ ملجأ
وحرزًا إذا خيفت سهامُ النوائب

ولأبي الفضل يوسف بن محمد التوزري قصيدة تسمى: الفرج بعد الشدة، تشتمل على الإسم الأعظم، لأنها جربت لاستجابة الدعاء، وهي:

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي. ولد بمالقة عام ٥٠٨هـ/ ١١١٤م. وتوفي بمراكش عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م. حافظ، عالم باللغة والسير. ضرير. له مؤلفات هامة.
الأعلام ٣/ ٣١٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٠، نكت الهميان ١٨٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧، إنباه الرواة ٢/ ١٦٢.

اشتدي أزمة تنفرجي
قد آذن ليلك بالبلج
وظلامُ الليلِ له سرجٌ
حتى يغشاه أبو السرج
وسحابُ الخيرِ له مطرٌ
فإذا جاء الإبانُ تجي
وفوائد مولانا جملٌ
لسروح الأنفس والمهج
ولها أرجٌ محيي أبدًا
فاقصد محيّي ذاك الأرج
فلربتما فاضَ المحيّى
ببحور الموج من اللجج
والخلقُ جميعًا في يده
فذوو سعة وذوو حرج
ونزولَهم وطلوعَهم
فإلى درك وعلى درج
ومعايشُهم وعواقبُهم
ليست في المشي على عوج
حكم نُسجت بيد حكمت
ثم انتسجت بالمنتسج
فإذا اقتصدت ثم انعرجت
فبمقتصد وبمنعرج
شهدت بعجائبها حجج
قامت بالأمر على حجج
ورضا بقضاء الله حجى
فعلى مركوزته فعج
وإذا انفتحت أبواب هدى
فاعجل لخزائنها ولج
فإذا حاولت نهايتها
فاحذر إذْ ذاك من العرج
لتكون من السباق إذا
ما جئت إلى تلك الفرج
فهناك العيش وبهجته
فلمبتهج ولمنتهج
فهج الأعمال إذا ركدت
فإذا ما هجت إذن تهج
ومعاصي الله سماجتها
تزدان لذي الخلق السمج
ولطاعته وصباحتها
أنوار صباح منبلج
من يخطبْ حورَ الخلد بها
يظفرُ بالحورِ وبالغنج
فكن المرضى لها بتقى
ترضاه غدًا وتكون نجي
واتل القرآن بقلبِ ذي
حزنٍ وبصوت فيه شج
وقيام الليل مسافتها
فاذهبْ فيها بالفهم وجي
وتأملها ومعانيها
تأتِ الفردوسَ وتفترج
واشرب تسنيم مفجرها
لا ممتزجا وبممتزج
مدح العقل الآتيه هدى
وهوى متولٍ عنه هجي
وكتاب الله رياضته
لعقول الخلق بمندرج
وخيار الخلق هداتهم
وسواهم من همج الهمج
فإذا كنت المقدام فلا
تجزعْ في الحرب من الرهج
وإذا أبصرت منار هدى
فاظهر فردًا فوق الثبج
وإذا اشتاقت نفس وجدت
ألمًا بالشوق المعتلج
وثنايا الحسنا ضاحكة
وتمام الضحك على الفلج
وعياب الأسرار اجتمعت
بأمانتها تحت الشرج
فالرفق يدوم لصاحبه
والخرق يصير إلى الهرج

صلوات الله على المهدي
الهادي الناس إلى النهج
وأبي بكر في سيرته
ولسان مقالته اللهج
وأبي حفص وكرامته
في قصة سارية الخلج
وأبي عمرو ذي النورين
المستهدي المستحي البهج
وأبي حسن في العلم إذا
وافى بسحائبه الخلج

قال تاج الدين السبكي: سمعت غير مرة الشيخ الإمام يعني والده ينشد لنفسه هذين البيتين:

إلهي فوَّضتُ الأمور جميعها
إليك فدبرني بما شئت وألطف
وسلّمني اللهم يا ربّ واحمني
وخذ بيدي وأمننْ وجُدْ وتلطف

هذا ما أورده السبكي من الدعوات فيما يوجد في آخر كتاب الدعوات[١]، حامدًا لله تعالى خالق الأرض والسموات، ومصليًا على نبيه محمد شفيع الأمة في العرصات، وعلى آله وصحبه المتدرجين إلى أعلى الدرجات، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يقول الفقير المعترف بالتقصير، كما كتبت هذه الأدعية المنظومة تذكرت حرزًا منظومًا وضعه الشيخ الزاهد أبو عمران موسى الفاسي[٢] رحمه الله، وقد رأيت أنْ أثبت ذلك ههنا لما رأيت أنّ جمع كل شيء إلى شكله ونظيره أحسن وأولى، وسمّاه صاحب النظم المبارك: حرز الأقسام لجميع العلل والأسقام[٣]، يكتب بالزعفران، ويبخر باللبان، ويلوي عليه بخيط حرير أبيض، وتشده على عضدك، وأنت طاهر نقي، وتعتصم، تقضى الحاجات إنْ شاء الله سبحانه وتعالى. تبدأ بالبسملة وفاتحة الكتاب والمعوذتين وما يختار من آي القرآن، ثم تكتب الحمد وهو هذا المنظوم المبارك الشافي:

بدأت باسم الله في أول السطر
فأسماؤه حصنٌ منيع من الضرّ
وصليت في الثاني على خير خلقه
محمد المبعوث بالفتح والنصر
تعوَّذتُ بالرحمن في السرّ والجهر
من الشرك والشيطان ما دمت في دهري
إذا استفتح القراء في محكم الذكر
فباسمك يا مولاي استفتح المقري
ونسألك اللهم من فضلك الرضا
تحلّ عقود العسر في أيسر اليسر
توسَّلت بالأقسام أسأل راغبًا
ونرغب للرحمن في السرّ والجهر
ونرغب فيما يرغب الخلق ساجدًا
إلى مالك الأملاك في النفع والضرّ
بأسمائك اللهم أنت الهنا
بديع السموات المدبر للأمر
بجملة ما أثنى عليك أولو النهى
من المجد والتعظيم والحمد والشكر
بمالك ربي في سمواتك العلى
من الملك والسلطان والعزّ والنصر
بما سبحتك الخلق بالألسن التي
تخيّرت للتسبيح والحمد والشكر
بذكرك عند العارفين بقدره
بما قلت في القرآن بالشفع والوتر

(١) كذا في الأصل، وقد مضى بلفظ - الطبقات -، وليست هذه الأدعية في طبقات السبكي المطبوع. (هامش الأصل).

(٢) هو موسى بن حسين بن موسى بن عمران القيسي، أبو عمران، الزاهد المعروف بالميرتلي. ولد عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م. وتوفي عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م. شاعر، له علم بالتفسير والفقه والحديث. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٧/٣٢٢، المغرب في حلى المغرب ١/٤٠٦.

(٣) حرز الأقسام «حرز الأقسام لجميع العلل والأجسام». كشف الظنون ١/٦٤٦.

بإحصائك الأشياء عدًا وخبرةً
بتكسير أمواج البحار وبالقطر
بما في السموات العلى من مقرب
بمن في تخوم الأرض من ملك نذر[١]
بأنك أنت الله خالق ما يرى
وما لا يرى حتى من الذرّ في القفر
سميع بصير عالم متفضل
يجازي بإحسان ويعفو عن الوزر
بجملة ما أنزلت في الكتب كلها
على الرسل تبيانًا لمن كان ذا حجر
بكتبك بالأقلام بالرسل بالبها
بتقديرك الأشياء بالنهي والأمر
بفضل صلاة الصبح ربّ وبالضحى
بذكر غروب الشمس بالظهر والعصر
برضوان خزّان النعيم بمالك
معذّب أصحاب الجحيم على الجمر
بجملة من لبَّاك من ظهر آدم
من المؤمنين الصالحين أولي الطهر
بما نال وفد الله من نصر ربّهم
بزوّار قبر الهاشمي إلى الحشر
بجاه النبيين الذي اصطفيتهم
أولو الأيدي والأبصار والعزّ والفخر
بآدم إذْ كرّمته واصطفيته
وعلّمته العلم الذي كان لا يدري
بشيث بإدريس بنوح بصالح
بهود بلوط بالخليل الذي يقري
بحرمة إسمعيل صادق وعده
بإسحاق لما جاء في كبر العمر
بيعقوب بالأسباط باليسع الرضا
بيوسف أعلى الناس في أرفع الذكر
بيونس الأصفى بصاحب مدين
شعيب بإلياس بذي الكفل بالخضر
بأيوب ذي البلوى بداود بابنه
سليمان مَنْ غلّ الشياطين للحشر
بمن قد قرأ التوراة عن ظهر قلبه
وهل كانت التوراة تقرأ عن الظهر
بأي نبي كان في أي أمة
إلى أيّ ماقوم في أيّ ماعصر
وإذْ نحن لم نسمع به وبذكره
وإذْ نحن لم نعلم سواه ولم ندر
كذا زكريا إنه كان مخلصًا
بيحيى الحصور السيّد الطيب النشر
بموسى بهارون بعيسى بن مريم
بكل نبي لست منه على خبر
بآخرهم بعثًا بأوّلهم مدى
محمد المبعوث بالفتح والنصر
بجاه خليل المصطفى وأنيسه
فنعم أنيس الغار كان أبو بكر
بجاه ابن خطاب أبي حفص الرضا
بجاه الشهيد المستجاب أبي عمرو
بجاه عليّ أرفع القوم في الهدى
ومَنْ كعليّ في الهداية والنصر
هما السيدان السابقان إلى الهدى
شهيدان صهراه فيا أشرف الصهر
بحمزة بالعباس عمَّيْ نبيّنا
بفخرهما المنسوب في أرفع الفخر
بفاطمة الزهراء سيدة النسا
بسبطي رسول الله فخرًا على فخر
بآل رسول الله كلهم معًا
بمجدهم فوق الفراقد والنسر
بأصحابه بالطاهرات نساؤه
بعائشة الموصوفة الذكر بالذكر
بطلحة منهم بالزبير بصحبه
سعيد وسعد ذي الفضائل والبّر
وتاسعهم ذاك ابن عوف رفيعهم
بجاه ابن جراح هو الطيّب النشر

---

(١) كذا في الأصل.

بما كان فيهم من خصال رضية
كزهد أبي الدردا وصدق أبي ذرّ
بأشياعهم بالتابعين باقتدائهم
كلهم الأخيار كالأنجم الزهر[1]
بما كان يدعو المصطفى في جهاده
بما كان في المحراب يتلوه من ذكر
بما كان يدعو أول الليل ربه
بما كان يدعو عند منصدع الفجر
بشعبان بالشهر الأصم بقدره
بحرمة شهر الصوم بالعيد بالفطر
بحق ظنون الواقفين على منى
بحق يقين الناس في ساعة النفر
بميقات موسى بالثلاثين ليلة
بإتمامها من بعد ذلك بالعشر
بقدر ليالي العشر وهي فضيلة
بأيام حج الناس بالعيد بالنحر
بما تهب الداعين في يوم حجهم
بما تهب الداعين في ليلة القدر
بعرشك بالكرسي ندعوك ربنا
بلوحك بالأقلام تجري بما تجري
بالإنجيل بالتوراة أنزلتها على
كليمك موسى بالصحائف بالزبر
بحق كتاب أنت بيَّنت فضله
على ما سواه من كتاب ومن سرّ
بأوله أم الكتاب وختمه
أعوذ بربّ الناس من نفثة السحر
بما في ألّم ذلك قلته
وبآل عمران المعظمة الذكر
بيا أيها الناس اتقوا ربكم[2]
بسورة أوفوا بالعقود وبالنذر
بالأنعام بالأعراف بالتوبة التي
تلي سورة الأنفال كالسطر بالسطر
بالأنفال والأنفال كانت لأحمد
ولله ربي عالم السرّ والجهر
بيونس إذْ تتلى بهود بيوسف
بسورة إبراهيم بالرعد بالحجر
بمقدار ما في النحل من ذكر نعمة
مننت بها حقًّا يقينًا لمن يدري
بسبحان من أسرى بليل بعبده
من المسجد الأقصى إلى البيت والحجر[3]
بسورة ذكر الكهف ثم بمريم
بطه بذكر الأنبياء على الأثر
وبالحج ثم المؤمنون بإثْرها
وبالنور والفرقان يا جابر الكسر
بحق طواسين الثلاث فلم يقف
سواد على ما في الفواتح من سرّ
وبالروم ثم العنكبوت وبعدها
بلقمان ذي الوعد الصدوق مع الذخر
سألتك بالأحزاب من بعد سجدة
بأسمائك الحسنى بآلائك الزهر
وفي سبأ والحمد لله فاطر
ضياء يضيء القلب كالقمر البدر
بسورة يٓس المعظّم قدره
فما هي إلاّ كالقلادة في النحر
وبالتاليات ثم صٓ وبعدها
بسورة تنزيل الكتاب من الذكر
بسبع الحواميم الكريم محلها
فما هي إلاّ كالعرائس في الخدر
وبالسورة المذكور فيها محمد
وإنّا فتحنا سورة الفتح والنصر
وبالحجرات ثم قٓ وطورها
وبالذاريات الذّرّ حاملة الوقر
وبالنجم والرحمن نسأل راغبًا
وباقتربت أدعوك يا كاشف الضر

(١) كذا في الأصل.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) كذا في الأصل. والظاهر: إلى المسجد الأقصى من البيت والحجر. (هامش الأصل).

إذا وقعت يشفى بها كل مؤمن
ويشفى بآيات الحديد وبالحشر
بسورة ذات الامتحان وفضلها
بقد سمع اللهم فاعظمْ بها أجري
بسورة ذكر الصف والحرب واللقا
ببنيانك المرصوص في السرّ والجهر
بسورة يوم الجمعة الأزهر التي
يحرم فيها الشغل بالبيع والتجر
بسورة أصحاب النفاق وفضلها
أعوذ نفسي من نفاق ومن غدر
بسورة يوم الجمع يوم تغابن
به يعلم الخير الخصيص من الشرّ
بفاتحة التحريم يا أيّها النبي
فيا ربّ أطلق بالطلاق أخا الأسر
سألتك يا ذا الملك بالملك سائلًا
بنون بما يتلوه من نفخة الحشر
بنوح بقل أوحي إلى سأل سائل
بمزمّل ثم القيامة والدهر
بيا أيّها المدّثر انهضْ مبلِّغًا
فإنّك مبعوث نذير من النذر
وفي نبأ والمرسلات قوارع
وسورة ذكر النازعات من الذكر
وفي عبس الوعظ البليغ لو أنه
يصادف قلب المرء أقسى من الحجر[1]
وبانفطرت أدعوك بالشمس كوِّرت
وبالسماء انشقت وأدعوك بالفجر
بسورة قوم بالمكايل طففوا
فكالوا عباد الله بالبخس والخسر
سألتك ربي بالبروج وطارق
يحط بها وزري ويشدُدْ بها أزري
قصدتك بالأعلى وبالبلد الذي
بها أقسم الرحمن في محكم الذكر
بغاشية بالشمس بالليل بالضحى
بما في ألم نشرح من الشرح للصدر
وبالتين والزيتون نسأل راغبًا
(إليك) وباقرأ باسم ربك والقدر
بلم يكنْ القصوى بسورة زلزلت
بألهاكُم والعاديات وبالعصر
بسورة أهل الفيل والهمز قبلها
بقارعة والناس سكرى من الذعر
بسورة إيلاف بسورة كوثر
وتبَّت وبالماعون بالفتح والنصر
بسورة ذكر الكافرين بفضل قلْ
هو الله ربي خالق الخلق والأمر
وبالفلق العظمى وبالناس بعدها
فحفظهما أمْنٌ من البأس والضرّ
له الحمد في الأولى له الحمد في الأخرى
له الحمد إعلانًا له الحمد في السرّ
له الملكوت الله جلّ جلاله
يقرّون بالتوحيد للواحد الوتر
بمن لم يزل فوق الخلائق واحدًا
بمن أتقن الأشياء في حكمة تجري
بمن يكشف الشكوى بمن يصرف البلوى
بمن يعلم النجوى ويعفو عن الوزر
بمن قال يا موسى أنا الله فاستمع
مطيعًا لما يوحى ولا تعصِ في أمري
وخذْ هذه الألواح أخذًا بقوة
ولا تسْهَ يا موسى بن عمران عن ذكري
برحمتك اللهم وهي محيطة
بمالك يا ربي من العفو والغفر
بأسمائك اللهم وهي كريمة
تنجي بها داعيك في البر والبحر
تفضّل على المرضى من أمة أحمد
بكشفك عنهم ما شكوه من الضرّ

(١) كذا في الأصل. ولعله: من الصخر.

إناثًا وذكرانًا كهولًا وشبانًا
فطيمًا رضيعًا في الذراع وفي الحجر
وفرِّج به من كل داءٍ وعلَّةٍ
ومن كل ما يشكوه يا كاشف الضرّ
من العلل التي خلقت لجسومهم[1]
كمثل اتجاع العين والسّنّ والظهر
ومن حمة أو حمرة أو شقيقة
ومن وجع في الرأس والجنب والصدر
ومن شرٍّ عين الحاسدين وبأسهم
ومن شرِّ إبليس اللعين أخي الشرّ
ومن شرّ ما يؤذي ومن شرّ حاسد
ومن شر وسواس يوسوس في الصدر
ومن نظرة المعيان في المال كله
من الكسب والأنعام من كل ما يجري
فيا نظرة المعيان بالله فاذهبي
بحق الذي نتلوه من طيّب الذكر
ولا تقربي من علق الحرز حوله
بأسماء ربي في الحديد وفي الحشر
وقد جاء أنّ العين حقّ عن النبي
وكم صار من إنسان بالعين في القبر
فيا ربّ نحِّ العين عمّن شكا بها
بحقّ الذي يُتلى من السور الغرّ
ومن يشتكي في جسمه بتوجع
فأنت الذي تبلي وأنت الذي تبري
وأنت الذي أجبت أيوبَ إذْ دعا
فقال إلهي مسّني ألمُ الضرّ
ففرجت عنه الضرّ منك تفضلًا
فأصبح أيوب النبي بلا ضرّ
فإن كان بالطفل الصغير قرينة
تخالطه في الثدي والمهد والحجر
فإنّي بما أقسمت من قسم الرضا
نعوذ بربي من قرين ومن غدر
وإنْ عسرت عن الولادة حامل
فيا ربّ يسِّرْ بعد عسر إلى يسر
وخفف بهذا الحرز عن كل مثقل
من الحاملات الوالدات على طهر
وإنْ كان مصروعًا من الجنّ يشتكي
عليه وقوع الصرع في منتهى الشهر
فأنقذه يا ذا الطول من شرِّ صرعهم
بحق النبي المصطفى خاتم النذر
وإنْ كان سلطان يخاف وعيده
له صولة في النهي منه وفي الأمر
فإني باسم الله حصنت حاملًا
كتابي هذا من عدوٍّ ومن قهر
وإنْ كان هذا الحرز عند مسافر
له سفر في البر أو لجّة البحر
فلا يخل من حرز الصيانة رحله
من السارق الغازي وفي ليله يسري
وإنْ كان هذا الحرز في رحل تاجر
فبارك له فيما يحاول من تجر
بفضل ورزق منك لا بمشقة
فإنّك ذو الفضل العظيم لمن يدري
بكرسيِّه بالعرش بالنور بالبها
وباللوح والأقلام تجري بما تجري
بآياته الحسنى بمكنون سرِّه
بطَه بيّس المعظمة الذكر
بما جاء في القرآن من كل آية
إلى المصطفى المبعوث بالفتح والنصر
تنجي بها داعيك من كل آفة
ومن كلّ ما يعدو على العبد والحر
ومن ألم الحمى والبرد بعدها
يغطى بما يغطى فيؤلم بالضرّ
فيا حامل الحرز المبارك والدعا
نجوت بحمد الله من جملة الشرّ

(١) كذا في الأصل.

فصنه بما صان النبي محمدًا
وأيده بالنصر في منتهى بدر
أجبنا بما ندعوك ما قد وعدتنا
بكشفك بلوائي لهيف ومضطر
وصلِّ على جبريل في كل مرة
وصلِّ على كلّ الملائكة الطهر
وصلِّ على المختار ما ذرّ شارق
وما لاح نجم في السماء لمن يدري

وها هنا انتهت قصيدة حرز الأقسام لجميع العلل والأسقام، وعدد أبياتها مائة وخمسة وأربعون بيتًا.

واعلم أنّ الدعوات المنقولة بين الناس أكثر من أن تحصى، لكن لم يعرف لنا صحة إسنادها وصدق روايتها. ولنذكر نبذًا مما غلب على ظني صدقه تتميمًا للفائدة وإتمامًا للمرام، وإنْ أدى ذلك إلى التطويل في الكلام والله الموفق.

ومن ذلك دعاء الخضر عليه السلام، ذكره العلاّمي[١] في تفسيره[٢]. قال: روي عن ابن المهاجر[٣] قال: قدم الخليفة المنصور مكة، فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل، يطوف ويصلّي، ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة، وجاء المؤذنون فسلّموا عليه، وأقيمت الصلاة فيصلي بالناس. فخرج ذات ليلة حتى أسحر، فبينا هو يطوف إذْ سمع رجلًا عند الملتزم وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد، فأرسل إليه فدعاه، فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين فصلّى ركعتين، واستلم الركن، وأقبل مع الرسول فسلّم عليه. فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني، فنصح للمنصور ووعظ، وذكر بما يطول شرحها، حتى بكى المنصور بكاءً شديدًا، ونحب وارتفع صوته. ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئًا. وجاء المؤذنون فسلّموا عليه وأقيمت الصلاة، فخرج وصلّى بهم، ثم قال للحرسي: عليك بالرجل إنْ لم تأتني به لأضربنَّ عنقك واغتاظ عليه غيظًا شديدًا إنْ لم يوجد. فخرج الحرسي فطلب الرجل، فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب، فقعد حتى صلّى، ثم قال: يا ذا الرجل: أما تتقي الله؟ قال: بلى. قال: أما تعرفه؟ قال: بلى. قال: فانطلق معي إلى أن يقتلني إنْ لم آته بك. قال: ليس إلى ذلك من سبيل. قال: يقتلني. قال: لا يقتلك. قال: فكيف؟ قال: تحسن تقرأ؟ قال: لا. فأخرج من مزوّد كان معه رقًا فيه مكتوب شيئًا. قال: خذه فاجعله في جيبك، فإنّ فيه دعاء الفرج. قال: فما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلاّ الشهداء. قلت: رحمك الله قد أحسنت إليّ، فإنْ رأيت أنْ تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله؟ قال: من دعا به صباحًا ومساءً عدمت ذنوبه، ودام سروره، ومحيت خطاياه، واستجيب دعاؤه، وبسط في رزقه، وأعطي أمله، وأعين على

(١) هو قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي. توفي عام ٧١٠هـ. مفسر، عالم كبير.
انظر: كشف الظنون ١/ ٤٥٣، ٢/ ١٢٣٥.

(٢) فتح المنان في تفسير القرآن للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود (- ٧١٠هـ) الشيرازي المعروف بتفسير العلامي.
كشف الظنون ١/ ٤٥٣ و٢/ ١٢٣٥.

(٣) هو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، أبو عبد الحميد الدمشقي. توفي عام ١٣٢هـ، إمام كبير، محدث ثقة، له رواية.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٣، طبقات خليفة ٣١٥، الجرح والتعديل ٢/ ١٨٢، تاريخ الإسلام ٥/ ٢٢٦.

عدوّه، وكتب عند الله صديقًا، ولا يموت إلاّ شهيدًا.

يقول: اللهم لطفت في عظمتك دون اللطفاء، وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك ما فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسرّ في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، واجعل لي من كلّ همّ أمسيت فيه فرجًا ومخرجًا. اللهم إنّ عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك عن قبيح عملي، أطمعنى أنْ أسألك ما لا أستحقه بما قصرت فيه، أدعوك آمنًا وأسألك مستأنسًا، وإنك لمحسن إليّ وإنّي لمسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك، تتودّدُ إليّ وأتبغّضُ إليك، ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك، فجُدْ بفضلك وإحسانك عليّ إنّك أنت التواب الرحيم.

قال: فأخذته فصيَّرته في جيبي، ثم لم يكن لي همّ غير أمير المؤمنين. فسلّمت عليه، فرفع رأسه وتبسّم ثم قال: ويلك تحسن السّحر. قلت: لا والله يا أمير المؤمنين. ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ، ثم أخذ الرّق وأمر بنسخه، وأعطاني عشرة آلاف درهم وقال: نجوت. ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال ذلك الخضر عليه السلام.

ومن الأدعية الصحيحة الإسناد إلى جعفر الصادق دعاء مُسمّى بدعاء الجيب. روى ابن فخر الدين الرومي[(١)] جمعه في عمل الليل والنهار عن العلائي[(٢)]، ذكره في كتاب العدة عند الكرب والشدة[(٣)] عن إبن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة[(٤)]، عن الفضل بن الربيع[(٥)]، قال: حجّ الخليفة المنصور سنة سبع وأربعين ومائة، فلما قدم المدينة قال لي: إبعث إلى جعفر بن محمد يعني الصادق رضي الله عنهما، وقال: قتلني الله إنْ لم أقتله. فأمسكت عنه رجاء أنْ ينساه، فأغلظ في الثانية. فقلت: هو بالباب. فقال: إئذن له، فخرجت إليه، فلما دنونا من الباب، قام فحرك شفتيه، فدخل فسلّم، فقال: لا سلّم الله عليك يا عدوّ الله. تلحد في سلطاني وتبغيني الغوائل في ملكي، قتلني الله إنْ لم أقتلك. فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ سليمان أعطي فشكر، وإنّ داود[(٦)] ابتلي فصبر، ويوسف ظلم فغفر، فنكس طويلًا، ثم رفع رأسه باللطف وقال: إلي وعندي يا أبا عبد الله، البريُ الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من رحم خيرًا، فتناول يده فأجلسه على مفرشه، فدعا بالغالية فطيّبه بيده بحيث يقطر، ثم قال له: في حفظ وكلاءة يا ربيع الحق أبا عبد الله، جائزته وكسوته، فانصرف فلحقته بالجوائز السنية فقلت له: إني رأيت قبلك ما لم تر ورأيت بعدك ما قد رأيت،

---

(١) هو فخر الدين الرومي. توفي عام ٨٦٤هـ/ ١٤٦٠م. صوفي، فقيه، عالم، له آثار وتصانيف عدة.
انظر عنه: الشقائق النعمانية ١/ ١١٠، كشف الظنون ١/ ٧٥٥، معجم المؤلفين ٨/ ٥٥.

(٢) هو خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي، أبو سعيد، صلاح الدين. ولد عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. وتوفي عام ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م. محدث، فاضل، بحاثة. له تصانيف كثيرة.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣٢١، الدرر الكامنة ٢/ ٩٠، الأنس الجليل ٢/ ٤٥١.

(٣) من أقسام كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، وهو كتاب خاص بالأدعية.

(٤) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا إبراهيم بن علي أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي (- ٢٨١هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٢٥٢.

(٥) هو الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس. ولد عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م. وتوفي عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٤م. وزير، أديب، حازم. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٤٨، وفيات الأعيان ١/ ٤١٢، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٣.

(٦) كذا في الأصل، ولعله: أيوب.

ورأيتك تحرّك شفتيك. فما الذي قلت. قال: إنّك رجل من أهل البيت، ولك محبة وودّ، وهو دعاء أحفظه من آبائي عليهم السلام، واسمه دعاء الجيب. وينبغي لمن يتوقع بلية أو خوفًا أنْ لا يخلو جيبه عنه وهو. اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك عليَّ، أنت ثقتي ورجائي. ربّ كم نعمة أنعمت بها عليَّ قلَّ لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري. فيا مَنْ قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قلَّ عند بلائه صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدًا، ويا ذا النعم التي لا تحصى عددًا، أسألك أنْ تصلي على محمد وآله كما صليت على إبراهيم إنّك حميد مجيد اللهم إنّه عبد من عبادك، ألقيت عليه سلطانًا من سلطانك، فخُذ سمعه وبصره وقلبه إلى ما فيه صلاح أمري، وبك أدرأ في نحره، وأعوذ بك من شرّه. اللهم أعني بديني على دنياي، وعلى آخرتي بالتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما حضرته، يا من لا يضرّه الذنوب ولا تنقصه المغفرة، إغفر لي ما لا يضرّك، وأعطني ما لا ينقصك إنك أنت الوهاب. يا إلهي: أسألك فرجًا قريبًا ورزقًا واسعًا، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك الشكر على العافية، ودوام العافية، وأسألك الغنى عن الناس، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال الربيع: فكتبته عنه، فها هو في جيبي. وقال موسى: فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال ابن يحيى: فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال محمد بن هارون[1]: فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال القطان[2]: فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال أبو الحسين العاقولي[3]: فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال الشاشي فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال جعفر الهمذاني[4]: فكتبته عنه فها هو في جيبي. قال أبو الحسين العراقي[5]: فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال شيخ والدي وأستاذه الشيخ محمد الفيروزاباذي[6]: فكتبته عنه فها هو في جيبي. وقال شيخي وأستاذي ووالدي أبو البركات

---

(١) هو محمد بن هارون بن إبراهيم الربعي، أبو جعفر البغدادي البزاز، أبو نشيط. توفي عام ٢٥٨هـ. محدث صدوق. من الطبقة الحادية عشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥١٠.

(٢) هو أحمد بن سنان بن أسد بن حبان القطان، أبو جعفر الواسطي. توفي عام ٢٥٩هـ. محدث ثقة، فقيه، إمام كبير، له عدة مصنفات.
انظر عنه: طبقات السبكي ٢/ ٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٣، شذرات الذهب ٢/ ١٣٧، العبر ٢/ ١٦٢.

(٣) لعله أحمد بن الحسن بن أبي البقاء، أبو العباس العاقولي البغدادي. توفي عام ٦٠٨هـ. مقرىء، ثقة، عالم، له عدة مصنفات. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٤٥.

(٤) هو جعفر بن علي بن هبة الله بن جعفر بن يحيى بن منير، أبو الفضل الهمداني الاسكندري المالكي. ولد عام ٥٤٦هـ، وتوفي عام ٦٣٦هـ. إمام مقرىء، محدث، ثقة، له مصنفات. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ١٩٣.

(٥) لعله أحمد بن الحسين، أبو العباس العراقي. توفي عام ٥٨٨هـ. فقيه حنبلي، محدث، مقرىء، له مصنفات.
انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٥٠.

(٦) هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر الفيروزآبادي الشيرازي الفارسي الشافعي، فخر الدين، أبو عبد الله. ولد عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م. وتوفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. فقيه، صوفي، متكلم، أصولي. له تصانيف عدة.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ١٩١، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٢، ميزان الاعتدال ٣/ ١٤، لسان الميزان ٥/ ٣٠، حسن المحاضرة ١/ ٣١٢، شذرات الذهب ٥/ ١٠١.

الشيخ فخر الدين الرومي فكتبته عنه فها هو في جيبي.

قلت: وأنا الفقير الحقير، تراب قدم الفقراء، فكتبته عنه رضوان الله عليهم أجمعين. وقد رأيت له أثرًا ظاهرًا، وانتفعت به عدة. فعليك أن تنخرط في هذا السلك بشرط الاعتقاد الصحيح الجازم، انتهى.

واعلم يا أخي: لولا خوف الإطناب لملأت الكتاب من هذا الباب، لكنه يكفيك هذا القدر الآن، والله المستعان في كل حين وأوان.

المطلب التاسع:

في فضيلة الدعاء وآدابه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾(١). وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٣). وقال ﷺ: «إن الدعاء هو العبادة»(٤)، ثم قرأ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وقال: «الدعاء مخ العبادة»(٥). وقال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»(٦). وقال: «إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث: إما ذنب يغفر له، وإما خير يعجل له، وإما خير يدخر له»(٧). وقال: «سلوا الله تعالى من فضله فإنّه يحبّ أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»(٨).

أما آداب الدعاء فهي عشرة:

الأول: أنْ يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

الثاني: أنْ يغتنم الأحوال الشريفة كزحف الصفوف في سبيل الله إذْ عنده تفتح أبواب السماء، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة المكتوبة، وأعقاب الصلوات المفروضة، وبين الأذان والإقامة، وحالة الصوم، وحالة السجود. وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات، إذْ وقت السحر وقت صفاء القلب، ويوم الجمعة ويوم عرفة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله تعالى.

الثالث: أنْ يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه ويمسح بهما وجهه في آخر الدعاء. وينبغي أن يضمّ كفيه ويجعل بطونهما مما يلي وجهه، وينبغي أنْ لا يرفع بصره إلى السماء. قال ﷺ: «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم»(٩).

الرابع: خفض الصوت بين المخافة والجهر كذا ورد الأثر عن عائشة رضي الله عنها، قالت في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾(١٠)، أيْ بدعائك.

الخامس: أنْ لا يتكلف السجع في الدعاء،

(١) البقرة/ ١٨٦.
(٢) الأعراف/ ٥٥.
(٣) غافر/ ٦٠.
(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ح٣٨٢٨، ٢/ ١٢٥٨.
(٥) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ح٣٣٧٠، ٥/ ٤٥٥.
(٦) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، ح٣٣٧٠، ٥/ ٤٥٥.
سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، ح٣٨٢٩، ٢/ ١٢٥٨.
(٧) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، الباب الثاني في آداب الدعاء، ٥/ ٢٩.
(٨) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج. . .، ح٣٥٧١، ٥/ ٥٦٥.
(٩) كذا في الأصل. والحديث في صحيح مسلم بلفظ: لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء. . إلخ (هامش الأصل).
(١٠) الإسراء/ ١١٠.

فإنّ السجع تكلف ولا يناسب ذلك في محل التضرع. وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[١] التكلف للأسجاع. والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة لأنّه إذا جاوزها ربما اعتدى في دعائه، فيسأل الله بما لا يقتضيه مصلحته، فما كل أحد يحسن الدعاء. ويقال: إنّ العلماء والأبدال لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها، ويشهد بذلك آخر سورة البقرة، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك. وقال ﷺ: «إياكم والسجع في الدعاء، بحسب أحدكم أنْ يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل»[٢]. واعلم أنّ المنهي عنه هو التكلف للسجع. وأما إذا كان غير متكلف وصدر عن طبع فلا نهي عن ذلك. ووقع عن النبي ﷺ: «أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود، والركع السجود، والموفين بالعهود، إنّك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد»[٣]. وبالجملة أصل الدعاء الضراعة والابتهال. فينبغي أنْ يتحفظ عما ينافيه من الكلفة من السجع وغيره وإنْ لم يخل بها فلا بأس.

السادس: التضرّع والخشوع والرغبة والرهبة كما هو شأن الدعاء.

السابع: أنْ يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة، ويصدق رجاءه فيه. قال ﷺ: «لا يقل أحدكم إذا دعا: اللهم إغفر لي إنْ شئت، اللهم ارحمني إنْ شئت، فإنّه لا مكره له»[٤]. وقال: «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإنّ الله لا يتعاظمه شيء»[٥]. وقال: «أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله عزّ وجلّ لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافل»[٦].

الثامن: أنْ يلحّ في الدعاء ويكرره ثلاثًا. وكان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا. وينبغي أن لا يستبطىء الإجابة فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي، بل يقول: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات إذا تعرف الإجابة، ومن أبطأ عنه الإجابة يقول: الحمد لله على كل حال.

التاسع: يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى، ولا يبدأ بالسؤال. وكان النبي ﷺ يستفتح بقوله: «سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب». وقال أبو سليمان الداراني: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يختم بالصلاة عليه، فإنّ الله عزّ وجلّ يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما. كذا ورد في الخبر أيضًا.

العاشر: وهو الأدب الباطن والأصل في الإجابة أن يتوب عن الذنوب ويرد المظالم ويقبل على الله عزّ وجلّ بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الإجابة.

المطلب العاشر:

في فائدة الدعاء مع أنّه لا مردّ للقضاء:

واعلم أنّ من القضاء ردّ البلاء بالدعاء. فالدعاء سبب لردّ البلاء واستجلاب الرحمة، كما أنّ الترس سبب لردّ السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض وكما أنّ الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله عزّ وجلّ أنْ لا

(١) الأعراف/ ٥٥.
(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب آداب الدعاء، ٥/ ٣٧.
(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب آداب الدعاء، ٥/ ٣٨.
(٤) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب آداب الدعاء، ٥/ ٣٩.
(٥) الزبيدي، اتحاف، كتاب الأذكار، باب آداب الدعاء، ٥/ ٣٩.
(٦) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٦٦)، ح٣٤٧٩، ٥/ ٥١٧.

يحمل السلاح، وأن لا تسقى الأرض بعد إلقاء البذر، فيقال: إنّ سبق القضاء بالنبات نبت، بل الله تعالى ربط الأسباب بالمسببات. ويقال له القضاء الأول الذي هو كلمح البصر، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج، والتقدير هو القدر، والذي قدّر الخير قدّره بسبب، والذي قدّر الشرّ قدره بسبب، وقدّر لدفعه سببًا أيضًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته. على أنّ في الدعاء في نفسه فائدة العبادة وثواب الذكر والخير العاجل، ولا يخلو أصلًا عن طائل، والله المجيب وأنا السائل. أسأل منه الاقتفاء بأعظم الوسائل محمد عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات، وعلى آله وأصحابه وذريته وأحبابه.

علم الفقر والزهد(*)

وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في حقيقة الفقر:

إعلم أنّ الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه، وأما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمّى فقرًا، وإن كان المحتاج إليه مقدورًا عليه موجودًا لم يكن المحتاج فقيرًا. وإذا فهمت هذا لم تشك في أنّ كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إليه في دوام الوجود في ثاني الحال ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[1]. إلاّ أنّ المبحوث عنه في هذا الباب هو الفقر في المال.

واعلم أنّ فاقة المال له خمسة أحوال:

أحدها: الزهد، وهو أن يتأذى بوجود المال ويهرب من أخذه، يبغضه ويتحرز من شغله.

وثانيها: الرضاء، لا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى به، ولكن يزيد فيه لو أتاه.

وثالثها: القناعة، وهي أنْ لا ينهض لطلبه، وإنْ أتاه عفوًا صفوًا أخذه وفرح به.

ورابعها: الحرص، وهو أنْ يرغب فيه رغبة لو وجد سبيلًا إلى طلبه لطلبه، ولو بالتعب.

خامسها: الاضطرار، وهو أنّ يكون مضطرًا إلى ما فقده من المال كالجائع الفاقد للخبز، وقلّما ينفك هذا عن الرغبة إمّا الضعيفة أو القوية.

وأعلى هذه الدرجات الزهد سيّما إذا انضم إليه الاضطرار فهو أقصى الدرجات، ووراء هذه الدرجات مرتبة أعلى من جميعها ويخص باسم المستغني وهو الغني عن دخول المال في يده، وعن بقائه في يده، وعن خروجه من يده، فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى إخراجه، وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه، وليس فاقدًا له ليحتاج إلى الدخول في يده، فهو إلى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب، ولا نسميه غنيًا بل مستغنيًا إذْ الغني المطلق هو الغني عن كل شيء وهو يختص بالله سبحانه وتعالى. وأما هذا العبد فإنما يستغني عن المال وجودًا وعدمًا، لا عن أشياء أخر سيّما توفيق الله الذي زين هذا في قلبه، وهكذا كانت حال عائشة رضي الله عنها إذْ أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرّقتها في يومها. فقالت لها خادمتها: لو اشتريت لنا لحمًا بدرهم. فقالت: لو ذكّرتني لفعلت. فمَنْ هذا حاله لو كانت الدنيا في يده وخزانته لم تضره، إذْ هو يرى الأموال في خزائن الله لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أنْ يكون في يد نفسه أو في يد غيره، إلاّ أنّه ينبغي أنْ لا ينظر إلى الدنيا أصلًا، لا بنظر المحبة وذلك ظاهر، إذْ لا يجتمع في القلب محبتان، ولا بنظر البغض لأنّ ذلك أيضًا إلتفات عن المحبوب إلى غيره. بل

(*) هذا هو الأصل الرابع من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، من علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) محمد/٣٨.

الكمال أنْ لا يلتفت إلى غيره بغضًا وحبًا فإنّه كما لا يجتمع حبان في قلب واحد كذلك لا يجتمع حبّ وبغض، إذ المشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها. وإنّما الفرق أنّ الغافل بحبها سالك طريق البعد، والغافل ببغضها سالك طريق القرب، إذْ يمكن أنْ يتوسل بذلك إلى أنْ تتبدل هذه الغفلة بالشهود. وإنّما الكمال في أمر المال أنْ يستوي عندك الماء والمال إذْ لا يؤذيك كثرة الماء في جوارك بأنْ تكون على شاطىء البحر ولا قلته إلاّ في قدر الضرورة، مع أنّ المال محتاج إليه كالماء، فلا يكن قلبك مشغولًا بالفرار عن جوار الماء وتبغض الماء الكثير، بل تقول: أشرب منه بقدر حاجتي وأسقي منه عباد الله بقدر حاجتهم ولا أبخل به على أحد.

وإذا عرفت الله عزّ وجلّ ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أنّ قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حيًا، كما يأتيك قدر حاجتك من الماء وأنت لا تضطرب للماء، فلأي شيء تضطرب للقوت، مع أنّ المدبر في كليهما واحد.

ثم إنك لعلك تقول إنّ مذمة الدنيا في الآيات والأخبار توجب البغض والفرار لمن يخاف عليه أنْ يخدعه المال ويدعوه إلى الشهوات، كما هو حال الضعفاء، وهم الأكثرون، وإلاّ فالأقوياء لا يلزمهم الفرار، ولا يجب عليهم البغض. فمن يكون أقوى من النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها، ولم يكن عندهم حبها ولا الاشتغال ببغضها، وإنما استوى عندهم الماء والمال والذهب والحجر، وما ينقل من الفرار عن الأقوياء فإنما ذلك لئلا يقتدي في الأخذ الضعفاء فيهلكوا. فظهر مما سبق أنّ المراتب ست، وأنّ أعلاها المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص. وأما المضطر فيتصور في حقه أيضًا الزهد والرضا والقناعة، ودرجته مختلفة باختلاف هذه الأحوال.

المطلب الثاني:

في فضيلة الفقر:

أما بالآيات والأخبار فأكثر من أن يحصى.

وأما فضيلته على الغني مطلقًا فقد لا يستريب في ذلك أحد ممن قرأ الأخبار والآثار. لكن لا بد فيه من تفصيل، وهو أنّ الشك ههنا في مقامين: أحدهما فقير صابر قانع، وغني منفق ماله في الخيرات ليس حريصًا على إمساك ماله. وأما الغني المتمتع بالمباحات فلا يتصور أنْ يفضل على الفقير القانع أصلًا.

ثم الناس اختلفوا. وقال بعضهم: إنّ الغني أفضل لأنّهما متساويان في ضعف الحرص ويفضل الغني بالخيرات. وقال آخرون الفقير أفضل لأنّهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها، واستشعار راحة في بذلها، والعبد بقدر استئناسه بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه، مهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها إلى محبة الله تعالى، إذْ لا يتصور قلب فارغ، وليس في الوجود إلاّ الله عزّ وجلّ وغيره، فيكون إقبال القلب إلى أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر، وقربه من أحدهما بحسب بعده عن الآخر. فإذا المانع عن محبة الله تعالى هو محبة الدنيا.

والمحبة قد تكون مع وجودها كما في محبة الغني الدنيا وقد تكون مع فقدها كما في محبة الفقير الدنيا. فإذًا الفقر قد يكون من الشواغل إذْ قد يطلبها ويشتغل بطلبها، كما أنّ الغنى من الشواغل لأجل طلبها.

فإذًا إنْ فرضت فارغين عن حبّ المال، أحدهما فاقد والآخر واجد فهما متساويان، إذْ كل واحد غير متمتع إلاّ بقدر الحاجة إلاّ أنّ هذا المفروض نادر في الوجود. وإنّما الأكثر افتتان

الفقر بالضراء والغنى بالسراء.

فقد ذكر المحققون أنّ الفقر أبعد عن الخطر، إذْ فتنة السراء أشدّ من فتنة الضراء. وقالوا: إنّ من العصمة أنْ لا يقدر. ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك الفاذ النادر زجر عن الغنى وذمه وفضل الفقر ومدحه.

فإذا عرفت أنّ الفضل بينهما بحسب تعلق القلب بالمال وعدمه، حتى إنْ تساويا فيه تساوت درجتهما، فاعلم: أنّ ههنا مزلة قدم وموضع غرور، وهو أنّ الغني ربما يظن أنّه منقطع القلب عن حبّ المال ويكون حبّه دفينًا في باطنه وهو لا يشعر به، فليجرب نفسه بتفريقه؛ أو إذا سرق منه فإنْ وجد لقلبه إليه التفاتًا فليعلم أنّه كان مغرورًا، وهذا حال كل الأغنياء سوى الأنبياء والأولياء. فظهر منه أنّ الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل، ولهذا ورد فضل الفقر في الأخبار والآثار وكلمات المشايخ.

المقام الثاني: في نسبة الفقير الحريص إلى الغني الحريص، فإنْ كان مطلوبهما قدر الحاجة في أنْ يستعين بذلك على طريق الدين فمال الواجد أفضل لأنّ الفقد يشغله بالطلب، وإنْ كان مطلوبهما فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على طريق الدين، فحالة الفقر أفضل وأصلح، لأنهما وإن استويا في الحرص وحبّ المال وفي عدم الاستعانة على الدين وفي عدم التعرض للمعاصي بسبب الفقر والغنى، ولكن افترقا في أنّ الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا. والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده مثل السجن الذي ينبغي الخلاص منه، وأنس الواجد أكثر من أنس الفاقد وإن كان حريصًا. فإذًا الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق، إلاّ بمثل عائشة رضي الله عنها حيث استوى عندها الغنى والعدم، وإلاّ للفقير عن مقدار الضرورة فإنّ ذلك يكاد أن يكون كفرًا.

المطلب الثالث:

في آداب الفقير في فقره:

أما باطنا فأنْ لا يكره الفقر من حيث إنّه فعل الله، وإنْ كان يكره الفقر كمن يكره الحجامة ويتقلد على الحجام منة على فعلة، وأرفع من هذا أنْ لا يكره الفقر أيضًا، وأرفع منه أنْ يطلبه ويفرح به لعلمه بغوائل الغنى، ويتوكل في باطنه على الله، واثقًا في قدر ضرورته، وأنه يأتيه لا محالة ويكره الزيادة على الكفاف.

وأما ظاهرًا فأنْ يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر، بل يستر فقره ويستر أنه يستره. قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[1]. وأن لا يتواضع لغني لغناه، بل يتكبر عليه، ولا يخالط الأغنياء، ولا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعًا في العطاء، وأنْ لا يفتر بسبب فقره عن عبادته، ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فإنّ ذلك جهد المقل، وهو أفضل من صدقة عن ظهر غنى، وأن لا يدخر مالًا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي.

وفي الادخار ثلاث درجات: درجة الصديقين، أنْ لا يدخر إلاّ ليومه وليلته. ودرجة المتقين وهي أن يدخر لأربعين يومًا، وما زاد عليه داخل في طول الأمل، وقد فهموا ذلك من ميعاد موسى عليه السلام حيث فهموا الرخصة في أمل أصل الحياة أربعين يومًا. ودرجة الصالحين وهو أنْ يدخر لسنة، ومن زاد في الإدخار على السنة فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية.

وأما آدابه في قبول المال بغير سؤال فأمّا في نفس المال فينبغي أن يكون حلالًا خاليًا عن

---

(١) البقرة/ ٢٧٣.

الشبهات. وأما في المعطى فإنْ كان غرضه تطييب قلبه وهي الهدية أو طلب الثواب وهي الصدقة أو الزكاة أو الذكر والرئاء والسمعة، إما مجردًا أو ممزوجًا ببقية الأغراض، أما الهدية فلا بأس بقبولها فإنّ ذلك سُنَّة إلاّ أنْ يكون فيها أو في بعضها منة فيترك ذلك أو قدر ما فيه منة. وأما الثواب فإنْ كان زكاة فلينظر أنّه مستحق لذلك أمْ لا، وفيه شبهة، وقد مرّ أحكامه في كتاب الزكاة. وإنْ كان صدقة ويعطيها المتصدق لدينه فلينظر أنّ فيه أمرًا خفى، لو علمه المتصدق لنفر عنه فهذا حرام أخذه. وأما الرئاء والسمعة فينبغي أنْ يرده عليه.

وأما آدابه في الأخذ فبأنْ ينظر أنّه محتاج إليه، فالأفضل له الأخذ إنْ سلم من الآفات المذكورة في المعطى أو زائد على قدر حاجته، فإنْ كان الآخذ مشتغلًا بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه إنْ كان طالبًا لطريق الآخرة فإنّ ذلك محض اتباع الهوى ثم هو إمّا أنْ يأخذ علانية ويرد سرًا وهذا مقام الصديقين، وهو شاق على النفس لا يطيق إلاّ من اطمأنت نفسه بالرياضة، وإمّا أنْ يترك ولا يأخذ لصرفه صاحبه إلى من هو أحق منه، ويأخذه ويوصله إلى من هو أحوج منه. ثم هو إمّا أنْ يفعل كلاهما(١) في السرّ أو في العلانية، وقد ذكرنا الأفضل من هذه الأقسام في كتاب أسرار الزكاة، فالامتناع عن القبول هو الزهد، وأخذه وصرفه إلى محتاج هو غاية الزهد، ولا يقدر عليه إلاّ الصديقون.

وأمّا إنْ تعهدت جماعة من الفقراء فخذ ما زاد على حاجتك فإنّه غير زائد على حاجة الفقراء، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تمسكه ولو ليلة واحدة، إذْ ربما تستحليه فتمسكه أزمانًا كثيرة إلى أنْ تؤدي إلى فتنة عظيمة. وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة وتوسلوا بها إلى التنعم في المطاعم والمشارب، وذلك هو الهلاك. ويجوز لهم الاستقراض للفقراء طلبًا للثواب، لكن لا على اعتماد أموال السلاطين الظلمة، بل على حسن الظنّ بالله تعالى. فإنْ مات قبل القضاء قضى عنه وأرضى غرماءه، ولكن بشرط أنْ يكشف حاله عند المقرض لئلا يغرّه ويخدعه بالمواعيد، ودين مثل هذا الرجل يجب أنْ يقضى من بيت المال أو من الزكوات.

المطلب الرابع:

في تحريم السؤال من غير ضرورة:

وقد وردت الأخبار في تحريمه وجوازه، والتوفيق بينهما أنّه حرام في الأصل مباح للضرورة أو لأمر قريب منها.

أما حرمته فلأمور: إظهار الشكوى من الله تعالى بالسؤال لأنه إظهار لقصور نعمة الله تعالى عنه. وأيضًا هو إذلال النفس لغير الله، وليس للمؤمن أنْ يذلّ نفسه وذلك في الذلة لغير مولاه. وأما هي فعزة حقيقة. وأيضًا فيه إيذاء المسؤل غالبًا وهو حرام، إذْ ربما لا تسمح نفسه بما يبذله عن طيبة قلب، وإنْ بذله رئاءً أو حياءً فأخذه حرام عليه.

وأما وجه إباحته إمّا اضطرار كسؤال الجائع الخائف عن الموت أو المرض، وسؤال العاري وليس معه ما يواري بدنه، وإمّا احتياجه حاجة مهمة لا تبلغ حدّ الاضطرار، كمن له جبة لكنه يتأذى بالبرد، وكمن يريد الكراء وهو قادر على المشي لكن بتعب، وهذا المحتاج يحلّ له السؤال أيضًا ولا يكره.

وأما الحاجة الخفيفة كمن يريد ثوبًا على ثيابه، يريد ستر خروقها عن أعين الناس، وكمن يسأل الرجل الأدم وله خبز، وكمن يكتري الفرس وهو واجد كراء حمار. وهذه إنْ أظهر حاجة غير هذه فهو حرام، وإلاّ فالسؤال مباح مع الكراهة

(١) كذا في الأصل.

بشرط أنْ لا يصحبه المحذورات الثلاث من الشكوى أو الذل أو الإيذاء، وإنْ صحبه هذه الأمور فيحرم، لأنّ المصلحة المذكورة لا يباح بها هذه المحذورات.

فإنْ قلت: هل يمكن الخلو عن هذه المحذورات؟ قلت: يمكن. أمّا عن الشكوى بأنْ يظهر الشكر لله ويقول أنا مستغنٍ حقيقة، لكن رعونة النفس تطالبني بثوب فوق ثيابي هذه وهو فضلة عن الحاجة. وأمّا الذل فبأن يسأل قريبه أو صديقه أو كريمًا يفرح بمثل هذا ويتقلد منة لقبوله. وأما الإيذاء فبأنْ يلقي الكلام عرضًا أو يسأل من لا يستحي فإنّ الحياء مما يؤذي حتى إنْ علم أنّه أعطاه لأجل الحياء فذلك المال حرام، بل بمنزلة الأخذ بالضرب لأنّ سوء الباطن الحياء وخوف الملام، وهذا أشد نكاية من ضرب الظاهر بالسياط ورضا الظاهر، وإنْ كان عذرًا في القضاء لعدم إمكان الاطلاع على البواطن. وأما الذي يكون القلوب عنده كالألسنة وهو أحكم الحاكمين فلا يفيد الظاهر عنده شيئًا، ويجب ردّه على صاحبه عنده. فلا تنظر في مثل هذا إلاّ إلى قلبك، وإنْ أفتوك وأفتوك. ولكن[1] حال القلب خفيًا تورع عن السؤال المتقون إلاّ إذا بلغ حدًا يحلّ فيه الخنزير والميتة.

ومنهم من يثق ببصيرته في الاطلاع على قرائن الأحوال، فيأخذون من بعض دون بعض. ومنهم من لا يأخذ إلاّ من أصدقائه أو عند بلوغ الحال حدّ الاضطرار.

وبالجملة: الأخذ بالرضا بأنْ يعلم أنّ المسؤل لو علم لابتدأ بالعطاء فلا يكون منك إلاّ إعلام حاجتك فهو حلال، والأخذ بالحياء حرام، وبينهما أمور مشتبهات، فاستفت فيها قلبك.

واعلم: أنّ مقدار الغنى المحرّم للسؤال يتوقف على تفصيل، وهو أنّه ﷺ قال: «لا حق لابن آدم إلاّ في ثلاث: طعام يقيم به صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب»[2]، هذه أجناسها.

وأما أقدارها فالثوب مثلًا يراعى فيه ما يليق بذوي الدين، وهو ثوب واحد، قميص ومنديل وسراويل ومداس، وكذا أثاث البيت لا يطلب كون الأواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف، فيقتصر العدد على واحد. ومن النوع على أخس أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة. وأما الطعام فقدره في اليوم مدّ وهو ما قدّره الشرع، ونوعه ما يقتات ولو الشعير. والأدم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية إضرار، وفي طلبه في بعض الأحوال رخصة. وأما المسكن فأقله ما يجزئ من حيث المقدار وذلك من غير زينة.

ثم هذه الأمور مما يحتاج إليه حقيقة، ثم الحاجة إليها إمّا في الحال من طعام يوم وليلة، أو ثوب يلبسه، أو مأوى يكنه، فلا شكّ في حلّ السؤال له. وأما في المستقبل فثلاث درجات. أما ما يحتاج إليه في غد أو بعد أربعين يومًا أو خمسين أو بعد سنة، فالسائل الذي له ولعياله قوت سنة فسؤاله حرام، لأنّ ذلك غاية الغنى. وأما ما دون السنة فلا يحلّ له السؤال إنْ كان غنيًا في الحال إلاّ أنْ يخاف فوت الفرصة في الاستقبال بأنْ لا يجد من يعطيه إذا أخرَّ لأنّ البقاء سنة ممكن عادة، وإنْ كان خوف العجز في المستقبل ضعيفًا، وكان ما لأجله السؤال خارجًا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة.

وبالحقيقة جانب ترك السؤال أعلى لأنّ السؤال من ضعف اليقين، والإصغاء إلى تخويف الشيطان، وحال من يسأل الحاجة وراء يومه،

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: ولما كان. (هامش الأصل).

(٢) الزبيدي، اتحاف، كتاب الصبر والشكر، باب بيان آداب الفقير في فقره، ٩/ ٣٠٠.

وحال من ملك مالًا موروثًا وادخره لحاجة وراء السنة سيّان في كونهما حبّ الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله، وإنْ كانا مباحين في الفتوى الظاهرة، والله أعلم.

المطلب الخامس:

في حقيقة الزهد وفضيلته:

وهو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمّى زهدًا، وبالإضافة إلى المعدول إليه يُسمّى رغبة وحبًا. فلا بدّ في الزهد من مرغوب عنه ومرغوب فيه، ويشترط أنْ يكون المرغوب عنه مرغوبًا فيه بوجه من الوجوه. فتارك التراب والحجر مثلًا لا يسمّى زاهدًا، وبشرط أنْ يكون المرغوب فيه خيرًا من المرغوب عنه عنده، فالمشترى خير من المبيع عنده، فكل من باع الدنيا بالآخرة وبالعكس فهو زاهد في وضع اللسان، إلاّ أنّ العرف جرى بتخصيصه بالأول. والذي يرغب عن كل ما سوى الله فهو زاهد مطلق والذي يرغب عن الدنيا بل طمع في الحور والقصور فهو زاهد أيضًا، ولكنه دون الأول. والذي يترك بعضًا من حظوظ الدنيا كمن يترك المال دون الجاه فلا يستحق اسم الزهد مطلقًا، وإنْ جاز إطلاقه عليه، كما أنّ إطلاق التوبة على من يتوب عن بعض المعاصي وإنْ كانت توبة لكن التائب مطلقًا من يترك كلها. ثم إنّ المقتصر على ترك المحظورات لا يسمّى زاهدًا بل العرف خصّه بترك المباحات، فظهر من هذا كله أنّ الزهد رغبة عن الدنيا إلى الآخرة وعن غير الله إلى الله عزّ وجلّ، وهي الدرجة العليا.

ثم إنّه يشترط في المرغوب عنه أنْ يكون مقدورًا عليه كما يشترط في المرغوب فيه أنْ يكون خيرًا عنده. ولذلك قيل لابن المبارك: يا زاهد، فقال: الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتاه الدنيا راغمة فتركها. وأما أنا ففيما ذا زهدت؟

هذا الذي ذكرناه هو الحال المسمّى بالزهد، وإنّ هناك علمًا مثمرًا لهذه الحال وعملًا يثمره الحال.

أما العلم فهو معرفة كون المتروك حقيرًا بالإضافة إلى المأخوذ. ولا شك أنّ ما عند الله باقٍ وأنّ الآخرة هي خير وأبقى. وهذه المعرفة وإنْ كانت كافية في نفسها في كونها مثمرة للزهد، لكن قد لا تثمره، إمّا لضعف عمله وبقيته[1]، أو لاستيلاء الدنيا والشهوة عليه في الحال بكونه مقهورًا في يد الشيطان، وإمّا لاغتراره بالتسويف يومًا فيومًا.

وأما العمل الصادر عن الزهد فهو ترك وأخذ واستبدال للذي خير بالذي هو أدنى. وأما إذا لم تقدر على الدنيا لم يتصوّر منك الزهد لأنّ الترك بعد القدرة، إلاّ أنّ الشيطان ربما يخيل إليك أنّك زاهد وتارك للدنيا إذا أتاك وهذا غرور باطل، فلا تثق بالقدرة قبل التجربة.

ثم إنّ الزهد تركها لحقارتها لا لأجل السخاء واستمالة القلوب وعلى سبيل الطمع، لأنّ هذه من محاسن العادات ولا مدخل لها في العبادات. بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة عفوًا صفوًا، وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه، وقبح اسم، وفوات حظ آخر للنفس، فتركها خوفًا من أنْ يأنس بها، فيكون مشركًا في حبّ الله، أو تركها طمعًا في ثواب الآخرة فترك التمتع بملاذ الدنيا طمعًا في طيبات الجنة، لئلاّ يقال له: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾[2] الآية.

وأما فضيلة الزهد فمذكورة في الآيات والأخبار والآثار، لا يحتاج إلى تفصيلها، بل كل

(١) كذا في الأصل، ولعله: ويقينه. (هامش الأصل).

(٢) الأحقاف/ ٢٠.

فطرة سليمة تحكم بفضيلتها إذا خليت ونفسها.

المطلب السادس:

في درجات الزهد وأقسامه:

أما درجاته فثلاث:

السفل منها للمتزهدين، وهو أن يزهد في الدنيا وقلبه مشتهٍ لها، ولكنه يجاهدها ويكفها، وهذا على خطر، إذْ ربما تغلبه نفسه فيستريح إليها في قليل أو كثير.

والعليا منها أن يزهد طوعًا ويزهد في زهده فلا يرى زهده، إذْ لا يرى أنّه ترك شيئًا. والدنيا بالإضافة إلى الآخرة أخس من الخنفساء بالإضافة إلى الجوهرة، ومثل ذلك بأنْ ألقى لقمة إلى كلب منعه عن الدخول إلى باب الملك وشغله بها، ودخل ونال القرب عنده، والدنيا أقل من لقمة عند الله، فكيف لا تلقيها إلى شيطان يمنعك عن القرب إلى الله تعالى.

وأما الدرجة الوسطى فهي أنْ يرى الدنيا شيئًا ولكن يحتقرها بالإضافة إلى الآخرة ويتركها لأجلها، كالذي يترك الدرهم لدرهمين وإنْ كان منتظرًا انتظارًا قليلًا، وهذا الزاهد يرى زهده ويلتفت إليه، ويظنّ نفسه أنّه ترك ماله قدر لما هو أعظم قدرًا منه، وهذا أيضًا نقصان.

ثم إنّ للزهد درجات ثلاث بالإضافة إلى المرغوب فيه أيضًا:

الأولى وهو السفلى أنْ يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر الأهوال وهذا زهد الخائفين.

والثانية أنْ يرغب في الثواب والنعيم وهذا زهد الراجين.

الثالثة وهي العليا أنْ يرغب في الله تعالى وفي لقائه ولا يلتفت إلى الآلام ليقصد الخلاص منها إلاّ إلى اللذات ليقصد نيلها، بل هو مستغرق الهمّ بالله تعالى، وهو الذي أصبح وهمه همّ واحد وهو الموحد الذي لا يطلب غير الله، وهذا زهد المحبين والعارفين.

وأما أقسامه باعتبار المرغوب عنه فأربعة: أحدها أن يزهد عن كل ما سوى الله حتى عن نفسه. وثانيها أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة من الشهوة والغضب والكبر والجاه ونحوها. وثالثها أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما، لأنهما مرجع جميع الحظوظ. ورابعها أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم لأنّ الدينار والدرهم يجمع جميع الأموال. وهذا إجمال وتفصيله مما يفوتها الحصر، وقد ذكر الله تعالى سبعة منها في آية واحدة فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١)، ثم ردّها إلى خمسة في آية أخرى فقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾(٢)، ثم ردها إلى اثنين في آية أخرى فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾(٣)، ثم ردّ ذلك كله إلى واحد في موضع آخر فقال: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾(٤) لأن الهوى يجمع الكل.

ولا يذهب عليك أنْ لا مخالفة بين هذه التفاصيل بل البعض داخل في البعض، ولذلك اختلفت فيه عبارات السلف، إذْ كل منهم ذكر ما عنده في الحال.

ولا أجمع مما ذكره أبو سليمان الداراني إذْ قال: الزهد ترك كل شغل يشغلك عن الله تعالى.

---

(١) آل عمران/ ١٤.

(٢) الحديد/ ٢٠.

(٣) الأنعام/ ٣٢.

(٤) النازعات/ ٤٠.

وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى أحكامه إمّا فرض وهو الزهد في الحرام، أو نفل وهو الزهد في الحلال، أو سلامة وهو الزهد في الشبهات.

وأما درجات الزهد ظاهرًا وباطنًا فلا حصر لها، وأعلاها زهد عيسى عليه السلام حيث ترك حجرًا تحت رأسه، وزهد يحيى عليه السلام حيث لبس مسوحًا تنقب منها جلده، وجلس أويس[1] رضي الله عنه في قوصّرة للعري.

وقال قوم: الزهد لا يكون إلاّ في الحلال ولم يبق حلال في أموال[2] فلا يتصور الزهد في الحال.

فإن قلت: كيف يتصور الزهد مع أنك تأكل وتشرب وتلبس وتخالط الناس؟

قلت: الغرض من الزهد الانصراف إلى الله بكل القلب، فالاستعانة بالأمور المذكورة للعبادة ليس اشتغالًا بغير الله.

فإن قلت تتلذذ بها؟

قلت: التلذذ لا يضر إنْ كان قصدك الاستعانة للعبادة دون التلذذ بالأمور المذكورة.

المطلب السابع:
في تمييز قدر الحاجة عن الفضول ليزهد فيها:

إعلم أنّ قدر الحاجة ستة أمور:

الأول: المطعم، وله طول وعرض فلا بد من قصرهما حتى يتم به الزهد. أما طوله فجملة العمر، وقصره دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض، ولا يدخر أصلًا وهي الدرجة العليا، أو أن يدخر لشهر أو لأربعين يومًا وهذه أوسطها، أو يدخر لسنة فقط وهذه أضعفها، وليس وراء السنة شيء من مراتب الزهد.

وأما عرضه فبالمقدار وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل، وأوسطها رطل، وأعلاها مد واحد وهو ما قدّره الله تعالى في إطعام المسكين وما وراء ذلك إشباع البطن.

وأما بالجنس فأقلّه كلّ ما يقوت ولو الخبز من النخالة، وأوسطها خبز الشعير والذرة، وأعلاها خبز البرّ غير منخول، والمنخول والحواري من التنعم.

وأما الأدم فأقله الملح والبقل والخل، وأوسطه الزيت ويسير من الأدهان أي دهن كان، وأعلاها اللحم أي لحم كان، وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين. فإذا صار دائمًا وأكثر من مرتين دخل في التنعم.

وأما بالإضافة إلى الوقت في اليوم والليلة مرة وهو أنْ يكون صائمًا، وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل، أو يأكل ليلة ولا يشرب، وأعلاه أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعًا وما زاد عليه.

الثاني: من الأمور الستة الملبس، وأقل درجاته ما يدفع الحرّ والبرد ويستر العورة، وهو كساء يتغطى به، وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان، وأعلاه يكون معه منديل وسراويل، وما زاد عليه فهو خارج عن الزهد. ويشترط أن لا يجد آخر إذا غسل واحدًا منها، فلا يكون صاحب قميصين ومنديلين.

أما الجنس فأقله المسوح الخشنة، وأوسطه الصوف الخشن، وأعلاه القطن الغليظ.

وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة، وأقله ما يبقى يومًا كرقع الثوب بورق الشجر، وأوسطه ما يتماسك عليه شهرًا أو ما يقاربه.

الثالث: منها المسكن، أعلاها أنْ لا يطلب

---

(١) هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني. توفي عام ٣٧هـ/٦٥٧م. من سادات التابعين. زاهد، عابد، له أخبار انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣٢، طبقات ابن سعد ٦/ ١١١، ميزان الاعتدال ١/ ١٢٩، حلية الأولياء ٢/ ٧٩، لسان الميزان ١/ ٤٧١.

(٢) كذا في الأصل.

لنفسه موضعًا خاصًا، ويقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصُفَّة[(١)]. وأوسطها أن يطلب موضعًا خاصًا مثل كوخ مبني من سعف أو خوص ونحو ذلك. وأدناها أنْ يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة. وأما التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد، واختلاف جنسه بالجص أو الطين أو القصب، واختلاف قدره بالسعة والضيق، واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأنْ يكون مملوكًا أو مستأجرًا أو مستعارًا.

الرابع: منها أثاث البيت، وأقل درجاته الخزف ولا يبالي أنْ يكون مكسور الطرف إذا حصل به المقصود، وكان عيسى عليه السلام يصحبه مشط وكوز فرأى إنسانًا يمشط لحيته بأصابعه فرمى المشط، ورأى آخر يشرب بكفيه فرمى الكوز. وأوسطها أنْ يكون له أثاث بقدر الحاجة بأنْ يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد مثل أنْ يشرب من قصعة، ويأكل الثريد منها، ويحفظ المتاع فيها. وأعلاها أن يكون له آلة بعدد كل حاجة من الجنس الخسيس النازل.

الخامس: المنكح وذلك يختلف باختلاف الأحوال، والأصل الاشتغال عن الله تعالى. فمنهم من تشغله المرأة عن الله تعالى فيتركها، ومنهم من يشغله العزوبة فيتزوج، ومنهم من لا يشغله أكثر من واحد فيجوز له كما فعله خير الزاهدين نبيّنا ﷺ. وكان عليّ كرّم الله وجهه أزهد الأصحاب، وكان له أربع نسوة بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها وبضع عشرة سرية.

السادس: ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو الكمال والجاه. وقيل لا بدّ من قدر جاه لينتفع به في عبادته كالجاه عند خادمه وأقاربه وغير ذلك، وليتمكن به من دفع مضاره، إلاّ أنّ الحق أنّ طلب الجاه هاوية لا قعر لها، ومن حام حول الحمى يوشك أنْ يقع فيه، بل الاشتغال بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين. وأما التوهمات والتقديرات المحوجة إلى زيادة في الجاه فهي أوهام كاذبة.

علم الفقه[(*)]

وهو علم باحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية ومباديه مسائل أصول الفقه. وله استمداد من سائر العلوم الشرعية والعربية. وفائدته حصول العمل به على الوجه المشروع والغرض منه تحصيل ملكة الاقتدار على الأعمال الشرعية. ولما كانت الغاية والغرض في العلوم العملية تحصيل الظنّ دون اليقين، بناءً على أنّ أقوى الأدلة الكتاب والسُّنة، وأنه وإنْ كان قطعي الثبوت، لكن أكثره ظنّي الدلالة، فصار محلًا للاجتهاد، جاز الأخذ فيها أولًا بمذهب أي مجتهد أراد.

والمذاهب المشهورة التي تلقتها العقول بالصحة هي المذاهب الأربعة للأئمة الأربعة: أبي

---

(١) قال أبو نعيم في وصفهم:
هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن العروض، وتجردوا للفقر. لا يهمهم مال ولا أهل، ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا مال.
وهم أضياف الإسلام. وهم الأفاوض والمساكين. وكان عددهم كبيراً، يختلف بحسب الأوقات والأحوال. قيل سبعون رجلاً، كانوا على عهد رسول الله عليه السلام. وكان النبي ﷺ يأمر صحابته بإطعامهم وإضافتهم. وسموا بذلك لأنهم صفوا من الأكدار، ونقوا من الأغيار، ولهم أخبار، وهم من الصحابة الكرام.
انظر عنهم: حلية الأولياء ١/٣٣٧ - ٣٩٦، ٢/٣ - ٣٣، الموسوعة الصوفية ٢٥٢، ٢٥٥.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة من العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية بحسب تقسيم المؤلف لها.

حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم. ثم الأحق والأولى من بينها مذهب أبي حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه. لأنه المتميز من بينهم بالاتقان والإحكام، وجودة القريحة وقوة الرأي في علم الأحكام، وكثرة المعرفة بالكتاب والسُّنة وصحة الرأي والروية وزيادة المنة إلى غير ذلك. لكن ينبغي لمن يقلد مذهبًا معينًا في الفروع أن يحكم بأنّ مذهبه صواب ويحتمل الخطأ، ومذهب المخالف خطأ يحتمل الصواب، وذلك من لوازم الظنية، بخلاف الاعتقاديات التي يطلب فيها اليقين لكون دلائلها عقلية يقينية، حيث يحكم فيها بأنّ مذهبه حق جزمًا ومذهب المخالف خطأ قطعًا، لأنه من لوازم القطعية.

واعلم أنا نذكر هاهنا أحوال أصحاب المذاهب الأربعة والأئمة المشهورين في كل من المذاهب، ثم نشير إلى جهة رجحان مذهب أبي حنيفة رحمه الله على المذاهب الأخر.

واعلم أنّ أول الأئمة وأولاهم وأفضلهم وأعلاهم إمام المسلمين وسيد التابعين وسراج الأمة وفخر الأئمة أبو حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه. والكلام في مناقبه مما لا يمكن الاستقصاء فيها سيما في هذه الوريقات، إذْ قد كسر عليها الأئمة عدة مجلدات، ومع ذلك لم يؤدوا عُشر أعشار مناقبه، وإنْ أطنبوا في فصوله وأبوابه. وها نحن نذكرها هنا عشرة مطالب متضمنة لمهمات تلك المطالب:

المطلب الأول: في تقدّمه على غيره:

قال بعض المصنفين: وإنما قدمنا ذكر الإمام مالك لأنه المقدّم زمانًا وقدرًا ومعرفة وعلمًا ونحن نقول: إنّ المقدم زمانًا هو الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وأرضاه على التحقيق. ويؤيده ما روي أنّ الإمام سئل عن علماء المدينة قال: إنْ أفلح منهم واحد فالأزرق الأشقر، عني به الإمام مالكًا رضي الله عنه. وأما في المعرفة فهو ذو الاتقان والتدقيق كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى، ولهذا قدمنا ذكره.

أما تقدمه سنًّا فلأنّ الإمام أبا حنيفة رحمه الله ولد سنة ثمانين، كذا ذكره الواقدي والسمعاني عن أبي يوسف رحمه الله. وذكر السمعاني أيضًا عن مزاحم بن زياد[1] أنه ولد عام إحدى وستين، والأول أكثر وأثبت، وأن الإمام مالكًا ولد سنة خمس وتسعين، ومات سنة تسع وسبعين ومائة. وأما الإمام الشافعي فالمشهور أنه ولد يوم مات أبو حنيفة رحمه الله.

وأما تقدمه في الشرف فلما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة، هو سراج أمتي، هو سراج أمتي يوم القيامة»[2]. وزيد في رواية: إسمه النعمان، وفي رواية أخرى: «سيكون رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى بأبي حنيفة يُحيي دين الله وسنتي»[3]. وروي عن أبي لهيعة[4] قال: قال رسول الله صلى الله تعالى

---

(١) لعله مزاحم بن زوّاد الحارثي الكوفي. من الطبقة العاشرة. محدث. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٢٦.

(٢) الخوارزمي، جامع مسانيد الإمام الأعظم، ١/ ١٤، بلفظ «يكون..» ودون تكرار قوله «سراج أمتي».

(٣) الخوارزمي، جامع مسانيد الإمام الأعظم، ١/ ١٦، بلفظ: «سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى أبا حنيفة ليحيينّ دين الله وسنتي على يديه».

(٤) لعله ابن لهيعة، تابعي كبير، محدث، مقرىء، عالم باللغة والنحو.
انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٣٥٤، ٢/ ٣٥٧.

عليه وآله وسلم: «في كل قرن من أمتي سابقون، وأبو حنيفة رحمه الله سابق زمانه»[١]. وفي الروايات اختلافات، إلاّ أنه اتفقت الروايات على أنّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وصف الإمام قبل وجوده بثلاثة أوصاف: بسراج الأمة ومحيي الشرع والسابق. وكلّ من هذه كافٍ في ترجيحه على غيره من الأئمة.

ومن جهات شرفه أنْ ليس بين الأئمة تابعي غيره. وقد ذكر ابن الصلاح أن الإمام مالكًا من تبع التابعين، وأما أبو حنيفة فقد اتفق المحدثون على أنّ أربعة من الصحابة كانوا على عهد الإمام في الحياة، وإنْ تنازعوا في الرواية عنهم.

منهم أنس بن مالك، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة. توفي سنة إحدى أو ثلاث وتسعين، وله ثلاث أو تسع وتسعون، فيكون الإمام يوم وفاته ابن ثلاث أو إحدى عشرة، وقد دخل البصرة أكثر من عشرين مرة، ومكث في كل دخلة سنة أو سنتين لمناظرة المعتزلة وأهل الأهواء. وذكر الإمام شهردار بن شيرويه[٢] وبرهان الإسلام الغزنوي[٣] بأسانيدهم الصحيحة أنّ الإمام روى عن أنس رضي الله عنه.

ومنهم أبو إبراهيم أو أبو محمد أو أبو معاوية عبد الله بن أبي أوفى بن علقمة بن قيس بن خالد[٤]، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. مات بها سنة ست أو سبع وثمانين، فيكون سنّ الإمام على الأكثر يوم مات هذا سبعًا أو ستًا على قول الأقل أربعًا[٥] وعشرين أو خمسًا وعشرين. فعلى كلا القولين يتحقق سنّ السماع. أما على قول الأقل فظاهر. وأما على قول الأكثر فلأنّ سن السماع إذا فرّق الصبي بين البغل والحمار.

وعند المحدّثين سِنّ محمود بن الربيع[٦] قال: عقلت منه صلّى الله عليه وآله وسلم مجة مجّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو. فإذن لا ينكر سماع الإمام من ابن أبي أوفى، سيّما وقد ذكر شهردار الديلمي أنه روى عنه.

ومن غرائب هذا الباب ما روي عن إبراهيم ابن سعيد الجوهري[٧] قال: رأيت صبيًا ابن أربع سنين حمل إلى المأمون وقد قرأ القرآن ونظر في الرأي غير أنه إذا جاع بكى. وعن القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد الاصبهاني[٨] قال: حفظت القرآن ولي خمس

---

(١) الخوارزمي، جامع مسانيد الإمام الأعظم، ١/ ١٨، دون قوله: «رحمه الله».

(٢) هو شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني، أبو منصور. ولد عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م. وتوفي عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م. من رجال الحديث. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٧٩، طبقات الشافعية ٤/ ٢٢٩، كشف الظنون ٢/ ١٦٨٤، شذرات الذهب ٤/ ١٨٢.

(٣) هو أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي الكاساني. توفي عام ٥٩٣هـ. فقيه، عالم، له العديد من المصنفات.
انظر عنه: تاج التراجم ١٠٤، الفوائد البهية ٤٠، إيضاح المكنون ٢/ ٥٧٠، الأعلام ١/ ٢٠٩، الطبقات السنية رقم ٣٦٠.

(٤) هو عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي. توفي عام ٨٧هـ. صحابي جليل، شهد الحديبية. آخر من مات من الصحابة بالكوفة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٩٦.

(٥) كذا في الأصل. والظاهر ستاً وعشرين لأن في رواية مزاحم بن زياد أن الإمام ولد عام إحدى وستين. (هامش الأصل).

(٦) هو محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو الخزرجي، أبو نعيم أو أبو محمد المدني. صحابي صغير. روى عنه الصحابة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٢٢.

(٧) هو إبراهيم بن سعيد الجوهري، أبو إسحاق. توفي عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م. من أعلام رجال الحديث. له رواية وعدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٤٠، ميزان الاعتدال ١/ ١٨، تاريخ بغداد ٦/ ٩٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٩.

(٨) هو عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، أبو محمد الأصبهاني، أبو الشيخ. . توفي عام ٤٦٩هـ، حافظ، مقرىء، له كتب. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٤٤٧.

سنين، وحملت إلى أبي بكر ابن المقري[١] ولي أربع سنين. فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرأ فإنه صغير. فقال لي ابن المقري: إقرأ سورة الكافرين، فقرأتها. فقال: إقرأ سورة التكوير فقرأتها. فقال لي غيره: إقرأ المرسلات فقرأتها. فقال ابن المقري: إسمعوا له والعهدة عليّ.

قال مولانا أحمد الكوراني[٢] في شرحه الموسوم بكتاب الكوثر الجاري إلى رياض البخاري[٣]، بعدما نقل حديث محمود بن الربيع، قال ابن الصلاح: استدل الجمهور بهذا الحديث على أنّ أقل زمان يجوز فيه تحمل الحديث خمس. ثم قال: والحق أنه ليس في الحديث ما ينفي الأقل منه، والمناط قدرة الصغير على الضبط، وهي تتفاوت بحسب الفطرة، ثم حكى الصبي الذي قرأ القرآن في مجلس المأمون.

ونظير هذه الحكاية ما روى مولانا حسين اليزدي[٤] في كتاب الفواتح[٥] في شرح أبيات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، عن جمع كثير مقبولي الرواية، أنهم رأوا بمدينة يزد[٦] من بلاد العجم طفلًا وهو في المهد يقرأ القرآن والأشعار وأنواع الكلمات، ويخبر عن الأمور الخفية، وكان رأسه أكبر مثل رؤس الكبار، ومات في السنة الثانية من ولادته. قال مولانا حسين: ومن جملة من رأوه والدي رحمه الله.

ومن غرائب الاتفاقيات أني عقيب ما طالعت ما في شرح البخاري لمولانا الكوراني، نظرت كتاب الفواتح المذكور، وصادفت ما فيه من الحكاية المذكورة، وتعجبت من اتفاق وقوفي على هاتين الحكايتين في يوم واحد. رجعنا إلى المقصود وهو ذكر من رآه أبو حنيفة من الصحابة أو روى عنه.

ومنهم سهل بن سعد الساعدي[٧] رضي الله عنه، كان اسمه حزنًا، فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم سهلًا. مات بالمدينة، وقدم المدينة وهو ابن خمس عشرة سنة، ومات بها سنة إحدى وتسعين أو ثمان وثمانين. وهو آخر من مات من الصحابة بها، والإمام أدرك زمانه وإن لم يره.

ومنهم أبو الطفيل عامر بن واثلة[٨] رضي الله

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي المقرىء. توفي عام ٣٨١هـ. حافظ، جوّال، له مصنفات عدة.
انظر عنه: تاج التراجم ١٠٢، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٩٨.

(٢) هو أحمد بن اسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعي ثم الحنفي. ولد عام ٨١٣هـ/ ١٤١٠م. وتوفي عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م. مفسر، قاضٍ، له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٩٧، الضوء اللامع ١/ ٢٤١، الشقائق النعمانية ١/ ٨٨، نظم العقيان ٣٨، هدية العارفين ١/ ١٣٥.

(٣) الكوثر الجاري إلى رياض البخاري، من شروح البخاري للمولى الفاضل أحمد بن إسماعيل بن محمد الكوراني الحنفي (-٨٩٣هـ). كشف الظنون ١/ ٥٥٣.

(٤) هو حسين بن معين الدين الميبذي. توفي عام ٨٧٠هـ/ ١٤٦٦م. حكيم، صوفي، نحوي. له عدة مؤلفات هامة.
معجم المؤلفين ٤/ ٦٣، أعيان الشيعة ٢٧/ ٢٨٢.

(٥) لم نعثر على اسم هذا الكتاب في المراجع التي بأيدينا.

(٦) هي مدينة من اصطخر فارس، بين أصفهان وكرمان. انظر الأنساب ١٣/ ٤٩٣.

(٧) هو سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة. توفي عام ٩١هـ/ ٧١٠م. صحابي جليل، له رواية.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٤٣، الإصابة. رقم الترجمة ٣٥٢٦.

(٨) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني القرشي، أبو الطفيل ولد عام ٣هـ/ ٦٢٥م. وتوفي عام ١٠٠هـ/ ٧١٨م. شاعر كنانة، فارس، له أخبار مشهورة. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٥٥، الأغاني ١٣/ ١٥٩، تهذيب التهذيب ٥/ ٨٢، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٨، خزانة الأدب ٢/ ٩١.

عنه، مات بمكة سنة اثنتين ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة في جميع الأرض، والإمام أدرك زمانه لا محالة. وقال بعض المحدثين: إنه لم يره، وأصحاب المناقب ذكروا بأسانيدهم أنه رآه. وقد ثبت أنّ الإمكان ثابت والناقل عدل والمثبت أولى من النافي. هذا الذي ذكرناه من غلب على الظنّ أن الإمام لقيه وتحقق أنه أدرك زمانه. وها هنا رجال أخر شك القوم في أنّ الإمام أدرك زمانهم.

منهم معقل بن يسار[١]، لأن معقلًا مات بالبصرة سنة سبع وستين أو سبعين، وولادة الإمام سنة ثمانين، اللهم إلاّ على قول من قال إن الإمام ولد سنة إحدى وستين، ومعقلًا مات سنة سبع وستين رضي الله عنه.

ومنهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه فإنه مات بالمدينة سنة سبع أو ثمان وسبعين وولد الإمام سنة ثمانين، اللهم إلاّ على قول من قال ولد الإمام سنة إحدى وستين والأكثر على خلافه.

ومنهم عبد الله بن أنيس[٢]، قيل لقيه وروى عنه إلاّ أن فيه إشكالًا. وقد أجمع أهل التاريخ على أنه مات بالمدينة سنة أربع وخمسين قبل ولادة الإمام بسبع سنين رضي الله عنه.

ومنهم عائشة بنت عجرد[٣] لقيها وروى عنها[٤].

والحاصل أنّ جماعة من المحدّثين أنكروا ملاقاته مع الصحابة، وأصحابه أثبتوا بالأسانيد الحسان، وهم بأحواله أعرف منهم، والمثبت العدل العالم أولى من النافي حتى جمع أصحابه مسنداته فبلغت خمسين. وهذا سبب صالح لتقديم مذهبه على سائر المذاهب.

وقد ثبت بما ذكرناه من التفصيل أنّ الإمام من التابعين، وقد ثبت في الأحاديث السالفة أنه سيّد زمانه، فينتج من ذلك أنه سيد التابعين. وإلى ذلك أشار الإمام بقوله: ما جاءنا عن الصحابة فعلى الرأس والعين، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال. ومن جهات شرفه ثناء الأئمة عليه، وستعرف تفصيله.

ومن فضائله ما روى الإمام أبو حفص[٥] الكبير أنه عدّ مشايخ الشافعي فبلغ ثمانين، وعد مشايخ الإمام فبلغ أربعة آلاف شيخ. قال في الانتصار[٦]: هذا من أدنى فضائله. ولا يختلج في صدرك أن مشايخ البخاري ربما تبلغ عشرة آلاف فيلزم أن يكون أفضل منه، لأنّ مشايخ الحديث ليس كمشايخ الفقه، فإنّ الأولين لا بد أن يكونوا عالمين دون الآخرين، ولهذا قلّ الفقهاء وكثر رواة الحديث.

وإذا عرفت أن مذهبه أشرف المذاهب،

---

(١) هو معقل بن يسار بن عبد الله المزني. توفي عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م. صحابي جليل، شهد البيعة وله رواية.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٧١، أسد الغابة ٤/ ٣٩٨.

(٢) هو عبد الله بن أنيس، أبو يحيى، الجهني. توفي عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م. صحابي جليل، قائد شجاع. شهد المواقع، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٧٣، امتاع الأسماع ١/ ٢٥٤، الإصابة. رقم ترجمته ٤٥٤١.

(٣) هي عائشة بنت عجرد، من التابعين، رُوي عنها بعض الأحاديث. وذكرها كثير من العلماء فيهم، وقد ذكرها بعضهم باسم بنت عجرة. أسد الغابة ٦/ ١٩٣، طبقات ابن سعد ٨/ ٣٥٦، الإصابة ٤/ ٣٦١.

(٤) في تجريد أسد الغابة: سمعت ابن عباس في الغسل، قال الدارقطني: ليس لها سواه. روى أبو حنيفة عن عثمان بن راشد عنها. وقيل: روى عنها. قال ابن معين: لها صحبة فشذ. (هامش الأصل).

(٥) هو أحمد بن حفص، أبو حفص الكبير. الإمام المشهور، فقيه، محدث. توفي عام ٢١٧هـ. انظر عنه: تاج التراجم ٩٤، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٥٨، الفوائد البهية ١٨، الطبقات السنية رقم ١٨٦.

(٦) الانتصار والترجيح للمذهب الصحيح لعمر بن محمد (بن سعيد) الموصلي (- ٦٢٢هـ). عنى به مذهب أبي حنيفة.
كشف الظنون ١/ ١٧٣.

فاعلم أنّ ما ذكره الشافعية من أنّ قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «الأئمة من قريش»[(١)]، وقوله: «قدموا قريشًا ولا تقدموا عليها»[(٢)]، دليل على تقدّم مذهب الشافعي على غيره، لأنا لم نجد من قريش إمامًا سواه، ولأنه ابن عمّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ولأنه كان أعلم بلغة العرب لأنه نشأ بمكة وتخرج بالمدينة على إمام دار الهجرة مالك فمدفوع أما أولًا فلأنه إنْ أراد بالإمامة إمامة الصلوٰة فذلك لا يختص بقريش، لأنّ غير قريش تقدم في الصلوٰة في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين أيضًا مع وجود علماء قريش. وكذلك أجمعوا على أنّ الأعلم مقدم في الصلوٰة وإنْ لم يكن قرشيًا. وأما أن يراد إمامة العلم فلا يشترط فيه النسب لما أنّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعث معاذًا إلى اليمن معلمًا، وقد كان أكثر مَنْ يؤخذ عنه العلم في الأمصار من الموالي كأبي موسى وحذيفة بالعراق وزيد بن ثابت والزهري بالحجاز ومعاذ وأبي إمامة[(٣)] بالشام ولا يخفي حال أسامة بن زيد[(٤)] وقرّبه منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وحال صهيب[(٥)] وسلمان[(٦)]، وكذلك من بعد الصحابة كشريح كيف استقضاه الخلفاء الثلاثة ولم ينعقد الإجماع بدون رأيه إلى غير ذلك. ولو أردت ذكر الموالي من الفقهاء في كل عصر مع وجود علماء قريش لما حصر.

روي عن عطاء أنه قال: سألني هشام بن عبد الملك عن علماء الأمصار، قلت: للمدينة نافع مولى ابن عمر. ولمكة عطاء بن أبي رباح المولى. ولليمن طاوس بن كيسان المولى. وللشام مكحول[(٧)] المولى. وللجزيرة ميمون ابن مهران[(٨)] المولى. وللبصرة الحسن وابن سيرين المولى. وللكوفة إبراهيم النخعي[(٩)] العربي. قال هشام: لولا قولك عربي لكادت نفسي تخرج. ولأجل هذا يقال للعلماء: الموالي ومولانا. وأيضًا لما احتج الصديق في أمر الخلافة بقوله

---

(١) مسند أحمد، ٣/ ١٨٣.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب فضائل قريش، ١٠/ ٢٥، بلفظ: «ولا تقدموها».

(٣) هو صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو إمامة. توفي عام ٨١هـ/ ٧٠٠م. صحابي جليل، له مواقف مشهورة ورواية. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٠٣، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٠، صفة الصفوة ١/ ٣٠٨.

(٤) هو أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد. ولد عام ٧ق.هـ/ ٦١٥م. وتوفي عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م. صحابي جليل، شهد الهجرة والمواقع مع النبي ﷺ. له رواية. وأخباره مشهورة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٩١، طبقات ابن سعد ٤/ ٤٢، الإصابة ١/ ٢٩، تهذيب ابن عساكر ٢/ ٣٩١.

(٥) هو صهيب بن سنان بن مالك، من بني النمر بن قاسط. ولد عام ٣٢ق.هـ/ ٥٩٢م. وتوفي عام ٣٨هـ/ ٦٥٩م. صحابي، جليل، فارس، شجاع، شهد المواقع وله رواية.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢١٠، طبقات ابن سعد ٣/ ١٦١، صفة الصفوة ١/ ١٦٩، حلية الأولياء ١/ ١٥١.

(٦) هو سلمان الفارسي. توفي عام ٣٦هـ/ ٦٥٦م. صحابي، من أوائل المسلمين. له رواية وأخباره مشهورة.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١١١، طبقات ابن سعد ٤/ ٥٣، حلية الأولياء ١/ ١٨٥، صفة الصفوة ١/ ٢١٠، الذريعة ١/ ٣٣٢.

(٧) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، أبو عبد الله الهذلي. توفي عام ١١٢هـ/ ٧٣٠م. تابعي، فقيه الشام في عصره. محدث، ثقة، له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٨٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠١، حسن المحاضرة ١/ ١١٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٩، حلية الأولياء ٥/ ١٧٧.

(٨) هو ميمون بن مهران الرقي، أبو أيوب. ولد عام ٣٧هـ/ ٦٥٧م. وتوفي عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م. فقيه، قاضٍ، محدث، ثقة. له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٣٤٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٣، حلية الأولياء ٤/ ٨٢.

(٩) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي. ولد عام ٤٦هـ/ ٦٦٦م. وتوفي عام ٩٦هـ/ ٨١٥م. من أكابر التابعين. صالح، صدوق، ثقة في رواية الحديث وحفظه. إمام مجتهد في الفقه. الأعلام ١/ ٨٠، طبقات ابن سعد ٦/ ١٨٨، حلية الأولياء ٤/ ٢١٩، طبقات القراء ١/ ٢٩، تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٥.

صلّى الله عليه وآله وسلم: «الأئمة من قريش»، تعيَّن أنّ المراد الخلافة الكبرى لا إمامة العلم والصلوٰة. وقولهم ابن عمّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فذلك شرف النسب، وذا لايستلزم شرف المذهب. وقولهم كان عالمًا باللسان، مسلّم، لكن الاختصاص به ممنوع فإنّ مالكًا نشأ بالمدينة والإمام جاور بالحرمين مدة كثيرة حين فرَّ من بني أمية.

وقد ذكر الرازي أنّ شعر الإمام كان ألطف وأفصح من شعر الشافعي، وجودة الشعر لا يكون إلاّ بكمال البلاغة. ثم إنّ الاعتبار للتقوى لا للنسب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]. فانظر إلى لقمان الحكيم، كان عبدًا غليظ المشافر وآتاه الله الحكمة أي الفقه أو جنس الحكمة. وفقراء الصحابة وزهادهم كانوا مقدّمين على أكثر الأشراف. وقولهم الباهلي ليس بكفؤ لغيره من العرب، والعربي ليس بكفؤ لقريش، وقريش بعضهم أكفاء بعض، فلا يضرنا لأنّ الكفاءة معتبرة لترتب المقاصد المتعلقة بالنكاح، ولا مدخل لها في شرف المذهب. وإنّما الكلام في ردّ استلزام شرف النسب شرف المذهب. وأيضًا ما اخترناه ليس مذهب الشعوبية لأنّهم قوم يعادون العرب ويصغرون شأنهم، ولا يرون لهم فضلًا على غيرهم. وأما نحن فلا نبغضهم ولا ننكر فضلهم على سائر الطوائف، بل نقول: إنّ شرف النسب لا يفضل شرف التقوى والمذهب كما عرفت.

المطلب الثاني:

في نسبه وحرفته:

قال الجزري في جامع الأصول[2]: إنّه نعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، من أهل كابل أو أهل بابل. وذكر صاحب الكافي[3]: إنه نعمان بن ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بني شيبان. وعلى هذا يحتمل أن يكون عربيًا، فإنّ بغداد يسمّى ببابل في القديم، وإليه أشار في عراقيات الأبيوردي[4]. وذكر أبو مطيع البلخي[5] أنّه من الأنصار، وهو نعمان بن ثابت ابن زوطيا بن يحيى بن راشد الأنصاري. وقيل من أبناء أفريدون من نسل ملوك العجم. وذكر الغزنوي عن صالح بن أحمد العجلي[6] بإسناده أنه كوفي تميمي من رهط حمزة الزيات المقري[7]، وكان بزازًا يبيع الخز. قيل: ثابت كان من قرية نساء خراسان. وقيل من مدينة الرجال ثرمد. وقيل من أنبار. وقيل من كابل. ولد ثابت على الإسلام وكان زوطًا مملوكًا، باعه مولاه من تيم الله بن ثعلبة[8]. وعن ابنه

---

(١) الحجرات/١٣.

(٢) جامع الأصول لأحاديث الرسول لأبي السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (- ٦٠٦هـ)، طبع في دمشق ١٩٦٩. معجم المطبوعات العربية ٣٤، أسماء الكتب ١١٨.

(٣) الكافي في شرح الوافي لحافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي (- ٧١٠هـ) شرح فيه كتابه الوافي. كشف الظنون ٢/ ١٩٩٧.

(٤) هو محمد بن محمد بن أبي بكر الكوفي، زين الدين الأبيوردي. ولد عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م. وتوفي عام ٦٦٧هـ/١٢٦٩م. أديب، محدث، حافظ فقيه. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٩، شذرات الذهب ٥/ ٣٢٥، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٦، اللباب ٣/ ٥٨.

(٥) هو الحكم بن عبد الله، أبو مطيع البلخي، بن مسلمة بن عبد الرحمن القاضي. توفي عام ١٩٧هـ. فقيه، محدث، عالم، قاضي. له عدة كتب. انظر عنه: تاج التراجم ٣٣١، تاريخ بغداد ٨/ ٢٢٣، الجواهر المضية ٢/ ١٤٢، الفوائد البهية ٦٨، ميزان الإعتدال ١/ ٥٧٤.

(٦) لم يعثر له على ترجمة.

(٧) تقدّمت ترجمته.

(٨) هو تيم الله بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب، من بني بكر بن وائل، جد جاهلي له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٩٥، نهاية الارب ١٦٢، سبائك الذهب ٥٢.

حماد أن جده ثابت بن نعمان بن مرزبان من أبناء فارس من الأحرار، ما وقع علينا رقّ قطّ. ذهب ثابت إلى عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه فدعا بالبركة له ولذريته من بعده. قال حماد: فنحن نرجو من تلك البركة. ونعمان بن المرزبان هو الذي أهدى إلى عليّ رضي الله عنه الفالوذج يوم النيروز أو المهرجان. فقال عليّ رضي الله عنه: نورزونا أو مهرجونا كل يوم. قيل: والتوفيق بين نسبة الإمام إلى بلاد متعددة يمكن أن يولد بواحدة، ويتوطن بأخرى، ويكون نشأته وتأهله بأخرى، وكل واحد من هذه يصدق عليه أنّه وطن. قيل من أقام ببلدة أربع سنين ينتسب إليها. وقيل من تأهل ببلدة فهو منهم. وسمعت من أثق به يروي عن بعض الكتب أنّ ثابتًا توفي وتزوّج أم الإمام أبي حنيفة رحمه الله الإمام جعفر الصادق، وكان أبو حنيفة رحمه الله صغيرًا وتربّى في حجر جعفر الصادق[1] وأخذ علومه منه. وهذه إن ثبت فمنقبة عظيمة لأبي حنيفة.

المطلب الثالث:

في ثناء الأئمة عليه وغير ذلك:

روى هارون بن سعيد[2] عن الشافعي رحمه الله تعالى: ما رأيت أحدًا أفقه منه. من أراد أن يتفقه فعليه به وبأصحابه، وإنّ الناس عيال على أبي حنيفة رحمه الله في الفقه. ومعنى قوله: ما رأيت ما علمت لأنّه ولد في السنة بل في اليوم الذي مات فيه الإمام. وفي رواية الصيمري[3]: عيال على أبي حنيفة في القياس والاستحسان. قال الواقدي: كان مالك كثيرًا ما يقول قوله وأنْ لا يظهره. وعن إسحاق بن محمد، كان مالك ربما اعتبر بقوله في المسائل. وعن اسمعيل بن أبي فديك[4] قال: رأيت مالكًا قابضًا على يد الإمام وهما يمشيان، فلما بلغا المسجد قدم الإمام فسمعته يقول لما دخل المسجد: قال: بسم الله، هذا موضع الأمان فآمني من عذابك ونجني من النار. وعن الشافعي رحمه الله: من أراد أن يتبحّر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق وفي الفقه عيال على أبي حنيفة رحمه الله، وفي النحو عيال الكسائي، وفي التفسير عيال محمد بن مقاتل، وفي الشعر عيال زهير. وعنه من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في الفقه. وعنه قوله: أعظم من أن يدفع بالهوينا. وعن مالك بن أنس وضع أبو حنيفة رحمه الله ستين ألف مسئلة في الإسلام. وعن الإمام أبي بكر بن عتيق[5] أنه وضع خمسمائة ألف مسئلة. وذكر الخطيب الخوارزمي[6] أنه وضع ثلاثمائة ألف مسئلة، ثمانية وثلاثين ألفًا في العبادة،

(١) كيف يتجه أن الإمام كان صغيراً، وتربى في حجر الإمام جعفر الصادق، لأن جعفر الصادق توفي سنة ١٤٨هـ، عن ثمان وستين سنة، والإمام أبا حنيفة توفي سنة ١٥٠هـ. وولد على قول الأكثر سنة ٨٠هـ. فتكون سنة ولادتهما واحدة، وبين وفاتيهما سنتان. نثبت أنها من الأقران، لا أن الإمام صغير والإمام جعفر الصادق كبير. (هامش الأصل).

(٢) هو هارون بن سعيد الأيلي السعدي، أبو جعفر. توفي عام ٢٥٣هـ. نزيل مصر، محدث ثقة، فاضل من الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٦٨.

(٣) هو الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصيمري. ولد عام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م. وتوفي عام ٤٣٦هـ/ ١٠٤٥م. قاضٍ، فقيه، شيخ الحنفية ببغداد. له عدة مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٤٥، الفوائد البهية ٦٧، الجواهر المضية ١/ ٢١٤، تاريخ بغداد ٨/ ٧٨.

(٤) هو محمد بن اسماعيل بن مسلم بن أبي فديك، أبو إسماعيل الديلي المدني. توفي عام ٢٠٠هـ. إمام ثقة حجة، محدث حافظ، له رواية وأخبار. انظر عنه: طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٧، الجرح والتعديل ٧/ ١٨٨، سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٨٦، شذرات الذهب ١/ ٣٥٩.

(٥) هو علي بن موسى العاملي، أبو بكر بن العتيق. فقيه، عابد. له مصنفات. عاش في القرن الثامن. انظر عنه: تاج التراجم ١٤١ هامش ٣.

(٦) لعله محمد بن محمود بن محمد بن الحسن الخوارزمي أبو المؤيد الخطيب. ولد عام ٦٠٣هـ/ وتوفي عام ٦٥٥هـ. فقيه،=

والباقي في المعاملة، لولا هذا لبقي الناس في الضلالة.

المطلب الرابع:

في مذهبه في أصول الدين:

قال عمر بن حماد بن أبي حنيفة[1] رحمهم الله: أقمت عند مالك مدة، فلما أردت الرجوع قلت: لعل بعض الحساد ذكروا جدّي عندك على خلاف ما كان عليه، فأذكر لك مذهبه، فإنْ رضيت فذاك، وإلاّ فعظني. قلت: كان لا يخرج أحدًا من الإيمان بذنب. قال: أصاب. قلت: وإنْ أصاب الفواحش. قال: أصاب. قلت: وكان لا يكفّر قاتل النفس. قال: أصاب، فمن قال غير هذا فقد أخطأ. قال: بلغني أنه كان يقول: إيماني مثل إيمان جبرئيل. قلت: بلغك الباطل، كان يقول: إنّ الله تعالى بعث جبرئيل إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم كما بعثه إلى من قبله فأمره أن يدعو الناس إلى الإيمان، إيمان واحد لا إيمانان أو ثلاثة، ولا إيمان هذا وإقرار هذا غير إيمان هذا وإقرار ذا فتبسم كالراضي به ولم يقل شيئًا. قلت: وكان ينكر الشك في الإيمان. قال: وما الشك فيه؟ قلت: عندنا أقوام لا يقولون أنا مؤمن حتى يستثنون إيمانه، ويقول أحدهم: لا أدري أنا مؤمن أم لا. فأنكره وقال: من يقول هذا!

وروي عن الإمام أبي مقاتل أنّ كتاب العالم والمتعلم كان لأبي حنيفة رحمه الله، وأنه كان على مذهب أهل السنة والجماعة، إذْ قد صرح الإمام في ذلك الكتاب بأكثر قواعد أهل السنة، ويلزم منه أنْ يكون بريًا عن مذهب الاعتزال. وصرّح صدر الأئمة أخطب الخطباء الخوارزمي المعتزلي في مناقبه أنّ ذلك الكتاب له، وزعم المعتزلة أنّه كان على رأيهم وليس هذا بأول مكابرتهم. ولما سئل الإمام عن أهل السنة والجماعة قال: أنْ تفضل الشيخين، وتحب الختنين، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه من الله تعالى، وتمسح على الخفين، وتحل نبيذ التمر للتقوى على الطاعة لا للسكر، وأن لا تكفر أحدًا بذنب، وأن لا تكلم في الله يعني في صفاته بشيء، وهذا أيضًا دليل على أنه على مذهب أهل السنة، فإنّ صفات الله تعالى عندهم توقيفية.

وكان لا يقول في الصحابة إلاّ خيرًا، حتى إنّ بعضهم أمسكوا عن تفضيل بعضهم على البعض إلاّ أنّ الجمهور على خلافه. فمذهب الأكثر الصديق أفضل، والخطابية[2]: الفاروق أفضل. والراوندية[3]: العباس أفضل. والرافضة: عليّ أفضل. وأهل السنة اتفقوا على تقدّم الشيخين ثم عثمان ثم علي عند الأكثر وهو الأصح من مذهب الإمام. وعند الأقل عليّ ثم عثمان، وهذا رواية عن الإمام.

=قاضٍ، له مصنفات. انظر عنه: الفوائد البهية ٢٠٠.

(١) هو عمر بن حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت. تفقه على أخيه وأبيه. وأخباره قليلة. انظر عنه: الجواهر المضية ١/ ٣٩٠.

(٢) هم فرقة، أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب المتوفى صلباً عام ١٤٣هـ، لأنه خرج على أبي جعفر المنصور. كانت لهم آراء شاذة ومناكير، ولذا عدّهم أصحاب المقالات من الفرق الخارجة عن الإسلام.
انظر عنها: موسوعة الفرق والجماعات ٢١٢، الفرق بين الفرق ٢٤٧، الملل والنحل ١/ ١٧٩، التبصير في الدين ٧٣، خطط المقريزي ١/ ٣٥٢.

(٣) جماعة من الروافض، قيل أتباع عبد الله الراوندي. وقيل أتباع أبي هريرة الراوندي، ويقال لهم الهريرية أو العباسية الخلّص. ألّهوا أبا جعفر المنصور. وكانوا قد قالوا قبل ذلك بإمامة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وافترقوا عدة فرق. وكلها قد خرجت عن الإسلام بسبب كفرها وتأليهها للبشر.
انظر عنها: موسوعة الفرق والجماعات ٢٣٠، الفرق بين الفرق ٢٥٥.

واتفق أهل السنة على أنّ بعد الخلفاء الأربعة تمام العشرة المبشرة بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذا السابقون الأولون وهم الذين صلّوا إلى القبلتين. ثم اختلفوا أنّ هذا التفضيل ظني أو قطعي. قال الأشعري بالأول والباقلاني بالثاني. وفي أنّه بحسب الظاهر فقط أو بحسب الظاهر والباطن معًا.

روي أن الإمام جالس عطاء بن أبي رباح إمام أهل مكة فقال: ممن؟ قال من أهل العراق من الذين لا يكذبون القدر ولا يكفرون بالذنب ولا يتناولون السلف، فعقد عطاء بيده ثلاثين وقال: هكذا أدركنا السلف. وقد مرّ مناظرة الإمام مع أهل الأهواء بالبصرة ووصيته لابنه حماد في ذلك.

المطلب الخامس:

في أجوبته اللطيفة:

عن محمد بن مقاتل قال: قال رجل للإمام: ما تقول فيمن لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ويأكل الميتة، ويصلي بلا ركوع ولا سجود، ويشهد بما لم يره، ويبغض الحق ويحب الفتنة؟ قال أصحابه: أمر هذا الرجل مشكل. قال الإمام: هذا رجل يرجو الله تعالى لا الجنة، ويخاف الله تعالى لا النار، ولا يخاف الظلم من الله تعالى في عدله، ويأكل السمك والجراد، ويصلي صلاة الجنازة، ويشهد بالتوحيد، ويبغض الموت وهو حق، ويحب المال والولد وهما فتنة. فقام السائل وقبّل رأسه، وقال: أشهد أنك للعلم وعاء.

وقال العلامة حسام الدين السغناقي: إنّ رجلًا جاء إليه وقال: بواوٍ أم بواوين؟ قال الإمام: بواوين. قال الرجل: بارك الله تعالى فيك كما بورك في لا ولا، فلم يعلم الحاضرون ما قالا. قال الإمام: سألني عن التشهد بواوين أم بواوٍ، فقلت بهما. فقال بارك الله تعالى فيك كما بورك في لا شرقية ولا غربية. قلت: ورأيت في بعض المواضع أنّ السائل هو الخضر عليه السلام.

ذكر المرغيناني أنّ الإمام اجتمع مع شيطان الطاق[1] في الحمام، فقال للإمام: أستاذكم مات فاسترحنا منه، وكان قريب العهد بموته. قال الإمام: أستاذنا يموت وأستاذكم من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فتحيّر الرافضي وكشف عورته، فغمض الإمام بصره، فقال الشيطان: منذ كم أعمى الله بصرك يا نعمان؟ قال: منذ هتك الله سترك. فبادر الإمام إلى الخروج من الحمام، وأنشأ الإمام:

أقول وفي قولي بلاغ وحكمة
وما قلت قولًا جئت فيه بمنكر
ألا يا عباد الله خافوا إلٰهكم
ولا تدخلوا الحمام إلاّ بميزر

عن عبد الواحد الخطيب صدر الأئمة الخوارزمي العسكري، قال الإمام: كنا لا ننصرف من عند حماد إلاّ بفائدة. فقال لنا يومًا: إذا وردت عليك مسئلة معضلة فاجعلها سؤالًا على صاحبها فوعيته. فقال لي يومًا ربيع الحاجب[2] في دار المنصور، وكان يعاديني، أنّ

---

(١) هو محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، أبو جعفر الأحول، الكوفي. الملقب بشيطان طاق. توفي نحو ١٦٠هـ/ ٧٧٧م. فقيه، مناظر، من غلاة الشيعة، زعيم فرقة الشيطانية. له تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٧١، لسان الميزان ٥/ ٣٠٠، اللباب ٢/ ٤٢، سفينة البحار ١/ ٣٣٣، فرق الشيعة ٧٨.

(٢) هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة كيسان، أبو الفضل. ولد عام ١١١هـ/ ٧٣٠م. وتوفي عام ١٦٩هـ/٧٨٦م. وزير حازم، اتخذه المنصور حاجباً ثم استوزره. وله أخبار مشهورة.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٥، وفيات الأعيان ١/ ١٨٥، تاريخ بغداد ٨/ ٤١٤.

أمير المؤمنين يأمرنا بقتل الرجل، فهل يحلّ لنا ذلك ولا ندري ما سببه؟ قلت: يا أبا العباس: إنّ أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل؟ قال بالحق. قلت: أنفذ الحق حيث كان، وكان أراد الربيع أن يوثقني فربطته. عن أبي[1] يوسف بن خالد أن الإمام كان مع إبن أبي ليلى في الطريق، فمرّا على نسوان يغنين، فلما سكتن قال الإمام: أحسنتن. قال إبن أبي ليلى: أسقطتك من بعد عن الشهادة. قال الإمام: لم؟ قال: قلت: لمن يغني أحسنت. قال: متى قلت: قال: حين سكتن. قال: أردت بذلك أحسنتن بالسكوت، وكان إبن أبي ليلى إذا وقع عويصة دسَّ إلى الإمام من يسأله وكان الإمام يعلم به وينشد:

وإذا تـكـون كـريـهـة أدعـى لـهـا
وإذا يـحـاس الـحـيـس يـدعـى جـنـدب

حكي أنَّ واحدًا من أشراف البصرة[2] خطب بنتي صديقه لابنيه: الكبرى للأكبر والصغرى للأصغر، ووقع الغلط ليلة الزفاف، فزفت إلى كل منهما منكوحة الآخر. فلما تبين الأمر تحير أبوهما واتخذ ضيافة، فجمع العلماء وفيهم الإمام والكسائي. فلما اجتمع الناس عرض الإبنان القصة، فاجترأ الكسائي، وفي رواية سفيان وقال: حكم عليّ كرم الله وجهه في مثله على كل واحد من الرجلين العقر والصبر إلى أنْ يظهر براءة رحم موطوءته، فاشمأزا من هذا الجواب لما فيه من الانتظار، وأن يطأ كل منهما موطوءة أخيه فقال أبو حنيفة: غير هذا أرفق بالفريقين، وهو أن يطلق كل منهما منكوحته ويتزوج بموطوءته، فرضيا به وفرحا عليه، ودعا الحاضرون لأبي حنيفة رحمه الله بالبركة في علمه، ثم اشتغلوا بالطعام. قال الإمام: هذه أطعمة الوليمة الأولى، فأين أطعمة الوليمة الثانية، فضحك الحاضرون واستحسنوا كلامه وعلمه.

روي أنّ الأعمش وامرأته تخاصما ليلة، فحلف الأعمش بالطلاق إنْ لم تكلميني الليلة، والمرأة سكتت ورضيت بالطلاق، وندم الأعمش. فذهب ليلًا إلى الإمام وكلمه بالحاجة. فقال الإمام: الفرج قريب، فأمر مؤذّن الأعمش أن يؤذن قبل طلوع الفجر. فلما سمعت المرأة الأذان قالت: الحمد لله الذي أراحني منك. فقال الأعمش: رحم الله أبا حنيفة حيث وقانا من الخيفة.

قيل: كان محمد بن إسحاق[3] صاحب المغازي يعادي للإمام. فقال ابن إسحاق عند الخليفة منصور: إنّ هذا يخالف جدّك ابن عباس، ولا يجوّز الاستثناء المنفصل. قال الخليفة: أهكذا. قال الإمام: نعم. لكن هؤلاء بايعوك تقية، ويريدون لأنفسهم الاستثناء متى شاؤا، فغضب الخليفة، وأمر بحبس محمد بن إسحاق.

روي أنّ دهريًا من الروم ناظر مع علماء الإسلام فأفحمهم إلاّ حمادًا، ولم يأت أحد بما فيه مقنع، والإمام إذْ ذاك كان صبيًا فخاف حماد لأجل أنه لو ألزمه أيضًا يهون أمر الإسلام، فرأى تلك الليلة في المنام أن خنزيرًا أكل شعب شجرة وفروعها وما بقي إلاّ أصلها، فخرج من الشجرة شبل أسد فقتل الخنزير، ولما ذهب الإمام إلى حماد وقت الصبح وجده مغتمًا في الغاية لأجل الدهري اللعين ولأمر هذه الرؤيا، فسأله الإمام عن سبب الاغتمام فبيّنه له وقال: الحمد لله. الخنزير هو الدهري الخبيث،

(١) [أبي] + في المصرية.
(٢) وفي نسخة: من أشراف الكوفة، كذا على هامش الأصل. ولفظ الكوفة وجد أيضاً في مناقب الإمام للكردري في هذه الرواية. (هامش الأصل).
(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (بالراء). (هامش الأصل).

والشجرة العلم، وفروعها غيرك من العلماء، وأصلها أنت، وأسد أنا، وأنا أقهرها بعون الله تعالى. فذهب الإمام مع أستاذه إلى الجامع وصعد الدهري المنبر وطلب الخصم، فحضر الإمام وهو صبي، فاستحقره الدهري. قال الإمام: دع هذا وهات كلامك، فتعجب الدهري من جرأته، ثم قال: كيف يمكن أن يوجد شيء لا أول له ولا آخر له؟ قال الإمام: هل تعرف العدد. قال: نعم. قال: ما قبل الواحد؟ قال: هو الأول ليس قبله شيء. فقال: إذا لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظي شيء فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي. قال الدهري: في أي جهة وجهه وكل شيء لا يخلو عن الجهات؟ قال الإمام: إذا أوقدت السراج فإلى أي وجه نوره؟ قال يستوي لنوره الجهات. قال: إذا كان حال النور المجازي المستعار هذا فكيف نور السماوات والأرض الباقي الدائم. قال الدهري: في أي مكان هو وكل موجود لا بدّ له مكان؟ فأتى الإمام اللبن وقال: هل فيه سمن. قال: نعم. قال: في أي مكان منه؟ قال: لا يختص بمكان منه. قال: إذا كان حال الموجود الزائل كذا فكيف حال الباقي الدائم خالق الأرض والسماء. قال الدهري: بماذا يشتغل هو؟ قال: سألت هذه الأسئلة وأنت على المنبر وأنا أجبت عنها، والآن إنزل على الأرض وأنا أصعد المنبر. فنزل وصعد الإمام وقال: إذا كان على المنبر مشبه مثلك أنزله، وإذا كان على الأرض موحِّد مثلي رفعه، كلّ يوم هو في شأن. فبهت الدهري وقتلوه. هذا حال الإمام في صغره فكيف في كبره.

وعن الحسن بن زياد: نسي رجل مكان ماله الذي دفنه، وجاء إلى الإمام فقال: صلِّ طول الليل تتذكر. فما صلى ربع الليل حتى تذكر. وقيل له: من أين لك هذا؟ قال: لأنّ الشيطان لا يمكنه أنْ يصلي طول الليل فيلقيه خاطره. وقال: لكن لِمَ لم تصل بقية الليل شكرًا له تعالى على ذلك؟ وعنه: دفن رجل ماله في المفازة وقد سرق، وكان الرجل بخيلًا وكاد يموت غمًا، فأتى الإمام ذلك الموضع فوجد فيه قومًا يستخرجون الكمأة. فقال: هل تخلف منكم أحد؟ فقالوا: فتى يُسمّى زرزر. فجاء إليه وقال: الذي رآك حين أخذت المال يشهد عليك، فهلمّ بالبقية، وما أنفقته يهبك صاحب المال. فأعطاه، وعنى بقوله الذي يشهد عليك الله تعالى فإنّه شهيد على ما تعملون.

وكان الإمام جالسًا فمرّ به رجل فقال: هذا الرجل غريب ومعلم، وفي كمه حلاوة. فسئل الرجل وكان كما قال. فقيل له: من أين علمت؟ قال: رأيته يلتفت يمينًا وشمالًا، فعلمت أنه غريب، ورأيته ينظر إلى الصبيان فعلمت أنه معلم، ورأيت الذباب يدخل كمه فعلمت أنّ فيه حلاوة.

مرض أبو يوسف وقيل إنّه قضى. قال الإمام: لا. قيل: من أين تقول؟ قال: إنه خدم العلم فما لم يجن ثماره لا يموت، وكان كما قال حتى روي أنه كان له يوم مات سبع مائة ركاب ذهبية.

المطلب السادس:
في كرم أخلاقه وشمائله وورعه:

سئل يزيد بن هارون: متى يحلّ للرجل أن يفتي؟ قال: إذا كان مثل الإمام. قيل له: أو تقول هذا؟ قال: ما رأيت أفقه منه ولا أورع. رأيته يومًا بفناء دار غريم له قائمًا في الشمس، فأنكرت. فقال لي: على مالكه مال، أخاف إنْ جلست في ظله أن يكون قرضًا جرَّ نفعًا.

رويَ أنّ الإمام إذا أشكل عليه المسئلة كان يستغفر ويقول: ما هذا إلاّ لذنب أحدثته. وربما قام وصلى فينكشف المسئلة ويقول: رجوت أنّه تيب عليّ، فبلغ ذلك فضيل بن عياض الزاهد فبكى بكاءً شديدًا ثم قال: ذلك لقلة ذنبه، وأما

غيره فلا ينبه لهذا.

وعن إبراهيم بن عمر بن حماد[١] ابن الإمام أنه قال: كان الإمام حسن الفراسة، وقال لكل واحد من تلامذته كلامًا، فكان كما قال لهم. قال لداؤد الطائي: إنك تتخلى للعبادة، وكان كما قال. وقال لأبي يوسف إنك تميل إلى الدنيا وكان كذلك. روي أنه قال: لا يكتني أحد بعدي بكنيتي إلا وفيه جنون. قالوا: فرأينا عدة اكتنوا بها وفي قلوبهم ضعف.

عن النضر بن محمد[٢] أنّ الإمام نهى عن الإقتاء وكان إبنه يسأل عنه فلا يجيبه. فقال حماد: أنت بمكان لا يراك أحد. قال: أخاف أن يسألني السلطان: هل أفتيت وأقول له لا.

روي أنه سئل عن شيء لا يعلمه فلم يفت عشر سنين حتى ظنّ أنه احتيج إليه وعلم ما جهله غيره.

قيل: أنكر من بعض شركائه شيئًا من وجوه التجارة فتصدّق من ربحها ثلاثين ألفًا، وقيل تسعين ألفًا. وقعت في الكوفة غارة فسئل عن عمر الغنم فقيل: سبع سنين فلم يأكل اللحم هذه المدة. روى يوسف بن خالد أنه كان له جار يغني إذا جنّ الليل وهو سكران:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذه الحرس يومًا وحبسته. فقال الإمام: فقدنا صوت جارنا. وقيل: حبس فذهب إلى أمير البلدة، فلما رآه وثب من مكانه فقال: ما جاء بك؟ فقصّ عليه الأمر. فقال: هلا أرسلتني برسول فأطلق كل من في الحبس. وقال: أطلقتكم لحرمة شيخي فاشكروا له، فأخذ الإمام بيد الفتى وقال: هل ضيعناك؟ قال: لا يا سيدي، فأعطاه كيسًا وقال: استعن بها على نقصان أيام الحبس، فتاب الفتى من عمله، ولازم مجلسه وصار من الفقهاء.

روي أنه صلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة. فلما توفي قال بنت جاره أو إبن له: أين الدعامة؟ قال: أبوه أو أبوها: كان ذلك دعامة الشرع أبو حنيفة رحمه الله.

كان له في كل شهر ستون ختمة، ختمة بالليل وختمة بالنهار، وكان يختم في رمضان مع يوم الفطر إثنتين وستين ختمة. وختم في الموضع الذي فارق فيه الدنيا سبعة آلاف ختمة. وكان يسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه.

وكان مسعر[٣] معاديًا له، ولما رأى عبادته وإحياءه الليالي تاب وقال: إجعلني في حلّ. فقال: أما المغتاب من أولي الجهل فهو في حلّ، وأما وقيعة العلماء فشين الأبد إلاّ أنْ يتوب، فكانا متواخيين بعد ذلك.

ولما هرب من بني أمية أقام بمكة والمدينة إلى ظهور الهاشمية، فحجّ خمسًا وخمسين حجة، والله أعلم بكمية عمرته.

وكان يبضع الأمتعة ويشتري بأرباحها حوائج المحدّثين ثم يدفع الباقي إليهم ويقول لهم: إحمدو الله تعالى فإنه أرباح بضائعكم يجريه الله تعالى لكم على يدي.

وكان إذا أنفق على عياله تصدّق بمثلها. وكذلك إذا اكتسى ثوبًا وأكل طعامًا. وقال: ما ملكت منذ أكثر من أربعين سنة إلاّ أربعة الآف

(١) هو إبراهيم بن عمر بن حماد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان، فقيه، محدث.

(٢) هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث. توفي عام ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م. إمام، علامة، فقيه الحنفية في عصره، زاهد، له تصانيف حسنة وكثيرة.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢٧، الفوائد البهية ٢٢٠، الجواهر المضية ٢/ ١٩٦.

(٣) هو مسعر بن كرام بن ظهير الهلالي العامري الروّاسي، أبو سلمة، توفي عام ١٥٢هـ/ ٧٦٩م. محدث، ثقة، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢١٦، حلية الأولياء ٧/ ٢٠٩، الكواكب الدرية ١٦٨، تهذيب التهذيب ١٠/ ١١٣.

درهم، وإذا زاد عليها أخرجتها، وإنما أبقيتها لقول عليّ رضي الله عنه: أربعة الآف وما دونها نفقة. ولولا أني أخاف أنْ التجىء إلى هؤلاء ما تركت منها درهمًا واحدًا. وكان يتصدّق عن والديه كل جمعة عشرين دينارًا سوى ما يتصدق به في عامة السّنة. وكان يذهب بأمه إلى مجلس عمر بن ذرّ(١) لتصلي التراويح وكان بينهما ثلاثة أميال. وقال: ما صليت صلاة منذ مات حماد إلاّ استغفرت له ولوالدي ولمن تعلم مني أو تعلمت منه. وقال: ما مددت رجلي نحو دار حماد تعظيمًا له وكان بينهما سبع سكك.

روي أن عبد الله الدباخي(٢) كان يقع في الإمام فاحترق داره ولم يجد الباب واحترق معه. قال حافظ الدين البزازي: سمعت من ثقة عالم أنّ علاء الدين السوخي(٣) بمدينة قيريم، مصنّف شرح المصابيح(٤) والتفسير اللطيف كان يدرس مسئلة ابتلاع الصائم ما في أسنانه من الطعام، فلما قرّر أنّ الفاصل مقدارِ الحمصة عند الإمام، قال: كان أسنان الإمام كذا كلامًا لا يرضي. فلم يمر إلاّ أيامًا قلائل حتى سقطت أسنانه المحكمة.

المطلب السابع:

في هربه من القضاء:

وذكر المرغيناني: أن المنصور دعا الإمام والثوري وشريكًا ومسعرًا. فقال الإمام: أما أنا فأحتال، والثوري يهرب، ومسعر يتجنن، وأما شريك فلا آمن عليه أن يقع فيه. وكان الجندي يذهب بهم فقال له سفيان: أريد البراز فتوارى بالحائط، فإذا سفينة مملوءة بالشوك فقال للملاح: خلف هذا الحائط رجل يريد أن يذبحني، أراد القضاء فستروه تحت الشوك. وأما مسعر فقال للخليفة: كيف دوابك وغلمانك فتركوه وقالوا إنه مجنون. وفي رواية: قال: مسناة الكوفة خربت. قال: يا شيخ، ما أنت وذكر المسناة. قال: بنو أمية خربوا السور. قال: أخرجوه فإنه مختل العقل.

وأما الإمام فقال إني رجل بزاز وأهل الكوفة لا يرضون بي. وفي رواية أهل الكوفة قريش والأنصار والعرب وأنا من الموالي، وأنت إنْ وليتني يرمونني بالآجر فتركه الخليفة.

وأما شريك فقال: غالب حالي النسيان. قال: نطعمك اللبان حتى يذهب عنك النسيان. قال: بي خفة. قال: أطعمك كل يوم فالوذج السكر بدهن اللوز. قال: لا أبالي في الحكم على قريب أو بعيد. قال: أحكم علي وعلى ولدي. فتقلّد وتقدّم إليه يومًا مولى الخليفة مع خصم له، فأراد التقدم على خصمه فزبره القاضي، فقال له المولى: إنك شيخ أحمق. قال شريك: قلت ذلك لمولاك فلم يقبل فعزلوه.

روي أنه قال شريك: إني لا أبصر نقش خاتمي. قال: يعينك على النظر إنسان. قال تغير دماغي. قال: كل العسل بدهن اللوز. قال: أميل إلى النساء. قال: نبسط الجوائز تشترى به الإماء.

عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول(٥) قال: أحضر المنصور الإمام إلى بغداد وطلب منه أن

---

(١) هو عمر بن ذرّ بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي. توفي عام ١٥٣هـ/ ٧٧٠م. من رجال الحديث. له رواية. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٤٦، تهذيب التهذيب ٧/ ٤٤٤.

(٢) وقيل الرياحي أو الداياجي، ولم يعثر على هذه الألقاب في المراجع المتوفرة.

(٣) هو علي بن صلاح الدين السخومي. توفي عام ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م. محدث، عالم، له عدة كتب. انظر عنه: إيضاح المكنون ٢/ ٤٩٠، معجم المؤلفين ٧/ ١١١.

(٤) شرح السخومي لمصابيح السنة للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (- ٥١٦هـ). ذكره شارح الشفاء. كشف الظنون ٢/ ١٧٠١.

(٥) لعله مالك بن مغول البجلي الكوفي. توفي عام ١٥٩هـ. راوٍ، محدث ثقة. انظر عنه: شذرات الذهب ١/ ٢٤٧.

يتولى القضاء ويخرج القضاة إلى الكور من تحت يده فأبى، فحلف المنصور بحبسه، وضرب كل يوم عشرة أسواط حتى ضرب مائة وعشرة أسواط. فلما تتابع عليه الضرب بكى وأكثر البكاء، فلم يلبث إلاّ يسيرًا حتى انتقل إلى جوار الله تعالى محبوسًا مبطونًا مجهودًا. فأخرجت جنازته وكثر البكاء عليه ودفن بمقابر الخيزران. قيل: فلما أبى دسّوا إليه السم فقتلوه. مات سنة خمسين ومائة، وكان ابن سبعين سنة. وقيل سنة إحدى وخمسين ومائة في رجب أو شعبان أو نصف شوال، ولم يعقب إلاّ حمادًا. وصلى عليه الحسن بن عمارة(١)، وأخرج من باب خراسان، ونودي في الناس فلم يقدر على دفنه إلاّ بعد العصر من الزحام، وحزر من صلى عليه مقدار خمسين ألفًا. وجاء المنصور فصلى على قبره، ومكث الناس يصلون على قبره إلى عشرين يومًا. والصحيح أنّ الإمام توفي في السجن. وإنما الخلاف في أنه مات بالضرب أو بالسمّ، والتوفيق بينهما أنه سُقي السمّ ثم ضرب مصلوبًا حتى يتفرق السمّ. واختلف في كيفية السمّ: قال بعضهم: دسوا إليه السم ولم يعرفه. وقيل أكره على شربه فامتنع وقال: أعلم ما فيه ولا أعين على نفسي فطرح وصُبّ في فمه.

روي أنه لما أحسّ بالموت سجد فمات وهو ساجد. قيل: لما أحسّ الإمام بالسمّ قام، قال المنصور: إلى أين؟ قال: إلى حيث وجهتني فمضى به إلى السجن، فمات فيه رحمة الله عليه.

واعلم أنه جرى للإمام مثل ما جرى له مع المنصور مع ابن هبيرة(٢) مرة أخرى في أيام المروانية، وأراد أنْ يوليه قضاء الكوفة فأبى وحبسه، وضرب سياطًا على رأسه حتى انتفخ رأسه ووجهه، فلم يقبل. فقال: ضربة في الدنيا أهون من مقامع الحديد في الآخرة. ثم قال: أشاور أصحابي فأخرجه من السجن، فهرب إلى مكة وأقام هناك إلى الدولة العباسية، فجاء زمن الخليفة المنصور فأكرمه وأعطاه جائزة فلم يقبل. قيل: رأى ابن هبيرة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام وهو يقول: أما تخاف الله تعالى، تضرب رجلًا من أمتي بلا جرم وتهدّده. يقال: قال الإمام لابن هبيره حين أمره بالضرب: أذكر مقامك بين يدي الله تعالى فإنه أذل من مقامي هذا بين يديك، ولا تهدّدني فإني أقول لا إلّه إلاّ الله، والله تعالى يسألك عني حيث لا يقبل منك الجواب إلاّ بالحق.

المطلب الثامن:

في اتصافه بعلم الباطن:

عن شقيق بن إبراهيم(٣) قال: قال الإمام لإبراهيم بن أدهم: يا إبراهيم، إنّك رزقت من العبادة شيئًا صالحًا، فليكن العلم من بابك فإنّه رأس العبادة وقوام الأمر.

عن حازم(٤) قال: كلمت الإمام في الزهد والعبادة واليقين والتوكل ففسّر لي كل باب على

---

(١) هو الحسن بن عمارة البجلي، أبو محمد الكوفي. توفي عام ١٥٣هـ. محدث، يعد من الطبقة السابعة. قاضي بغداد. انظر عنه: تقريب التهذيب ١٦٢.

(٢) هو يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري، أبو خالد. توفي عام ١٣٢هـ. أمير العراقين، بطل شجاع، فصيح، خطيب. له أخبار. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٠٧، تاريخ خليفة ٣٦٦، تاريخ الإسلام ٥/ ٣١٥.

(٣) هو شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، أبو علي. توفي عام ١٩٤هـ/ ٨١٠م. زاهد، صوفي مشهور. له أقوال وأخبار. انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٧١، فوات الوفيات ١/ ١٨٧، طبقات الصوفية ٦١، حلية الأولياء ٨/ ٥٨، طبقات الشعراني ١/ ٦٥.

(٤) لعله سلمة بن دينار المخزومي، أبو حازم، المعروف بالأعرج. توفي عام ١٤٠هـ/ ٧٥٧م. عالم المدينة وقاضيها. زاهد، عابد، له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٣/ ١١٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٥، صفة الصفوة ٢/ ٨٨، حلية الأولياء ٣/ ٢٢٩.

حدة وميِّز لي كل فنٍ منها. قال شريك النخعي: كان أبو حنيفة رحمه الله طويل الصمت، دائم الفكر، قليل المحادثة للناس، وهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين، فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله.

ذكر الإمام أبو الحسين الهمداني في آخر خزانة المفتين أنّ الإمام لما حجّ حجة الوداع أعطى لسدنة الكعبة مالًا عظيمًا حتى أخلوا له البيت، فدخل وشرع للصلوٰة وافتتح القراءة كما هو دأبه على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن، ثم ركع، وقام في الثانية على رجله اليسرى حتى ختم القرآن، ثم قال: إلهي عرفتك حقّ المعرفة لكن ما قمت بكمال الطاعة فهبْ نقصان الخدمة بكمال المعرفة، فنودي من زاوية البيت: عرفت فأحسنت المعرفة، وخدمت فأخلصت الخدمة، غفرنا لك ولمن اتبعك، ولمن كان على مذهبك إلى قيام الساعة.

روي أن مسعرًا كان يقول في سجوده: اللهم إني أتقرب إليك بدعائي لأبي حنيفة رحمه الله تعالى.

المطلب التاسع:

في المنامات في حقه:

عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يتبرك بقبر الإمام ويجيء إلى قبره زائرًا كل يوم، فإذا عرضت له حاجة صلى ركعتين عند قبره، وسأل الله حاجته فتقضى.

روي أن الإمام رأى في المنام كأنه ينبش قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويجمع عظامه إلى صدره، فهاله ذلك وارتحل إلى ابن سيرين، فقصّ الرؤيا، فقال: لست صاحب هذه الرؤيا وإنما صاحبها أبو حنيفة رحمه الله. فقال: أنا هو. قال: إكشف عن ظهرك فإذا بين كتفيه خال، فقال: أنت الذي قال ﷺ في حقه: «يخرج في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة رحمه الله بين كتفيه خال[1] يحيي الله تعالى دينه على يديه».

روى محمويه[2] وكان يُعدّ من الأبدال، قال: رأيت محمد بن الحسن في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: إني لم أجعل جوفك وعاء العلم وأنا أريد أن أعذبك. قلت: فما فعل بأبي يوسف؟ قال: فوقي. قلت: فما فعل بأبي حنيفة رحمه الله؟ قال: أعلى عليين، وفي رواية فوق أبي يوسف.

ذكر أبو النجيب الهمداني عن أبيه قال: رأيت في النوم كأنَّ ثلاثة نجوم سقطت على الأرض، فمات الإمام ثم مسعر ثم سفيان. فذكرت ذلك لمحمد بن مقاتل فقال: ما ننكر أنْ يكون العلماء نجوم الأرض.

المطلب العاشر:

في تلامذته الأعلام:

جمع الله لأبي حنيفة رحمه الله تعالى ما لم يجمع لإمام من الأصحاب الذين هم لبّ الألباب. منهم أبو يوسف ومحمد بن الحسن وزفر وحسن بن زياد ووكيع وعبد الله بن المبارك وبشر بن غياث المريسي وعافية بن يزيد

---

(١) كان الخاتم سمة خاتم النبيين وخير الخلائق، كذلك ذلك الخال علامة خير التابعين للإمام الفائق. (هامش الأصل).

(٢) لعله عبد الله بن حمويه، أبو محمد. توفي عام ٦٤٢هـ. شيخ شيوخ الصوفية، عالم، متواضع، محدث، له أخبار وكتب. انظر عنه: الذيل على الروضتين، ١٧٤٠.

وداود الطائي ويوسف بن خالد السمتي ومالك ابن مغول البجلي[(١)] ونوح بن أبي مريم رحمهم الله تعالى وفي مثله قال الفرزدق:

أولـئـك آبـائـي فـجـئـنـي بـمـثـلـهـم
إذا جـمـعـتـنـا يـا جـريـر الـمـجـامـع

وحق للإمام أن يقول:

أولـئـك أبـنـائـي فـجـئـنـي بـمـثـلـهـم
إذا جـمـعـتـنـا يـا عـتـيـد الـمـنـاقـب

ذكر الإمام أبو المعالي الإسفرايني[(٢)] عن نجيح بن إبراهيم[(٣)] عن ابن كرامة[(٤)]، قال رجل: أخطأ أبو حنيفة رحمه الله. قال ابن كرامة: كيف تقول هذا وعنده مثل أبي يوسف وزفر في قياسهما، ومثل يحيى بن أبي زائدة[(٥)] وحفص بن غياث وحبان[(٦)] ومنديل[(٧)] في حفظهم الحديث، والقاسم بن معن[(٨)] في معرفته بالفقه والعربية، وداود الطائي وفضيل بن عياض في زهدهم، لم يكن يخطىء، وإنْ أخطأ ردّوه إلى الحق.

قيل: اختلف إليه الطبقة العليا ثم أبو يوسف رحمه الله وأسد بن عمرو[(٩)] والقاسم بن معن وزفر بن الهذيل وأبو بكر الهذلي[(١٠)] والوليد بن أبان[(١١)] والحسن بن زياد اللؤلؤي ويوسف بن خالد وداود الطائي الزاهد[(١٢)] ونوح بن أبي مريم الجامع، ويحيى بن زكريا[(١٣)]، وابن

---

(١) هو مالك بن مِغْوَل الكوفي، أبو عبد الله البجلي. توفي عام ١٥٩هـ. محدث ثقة. ثبت. من الطبقة السابعة.
انظر عنه تقريب التهذيب ٥١٨.

(٢) لم يعثر لع على ترجمة.

(٣) هو نجيح بن إبراهيم بن قحطبة الفرغاني، أبو الحسن البغدادي، ابن اشنانة. توفي عام ٥٩٩هـ عالم، له مصنفات.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٩٣.

(٤) هو المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، أبو سعد، ويقال له الحاكم الجشمي. ولد عام ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م. وتوفي عام ٤٩٤هـ/ ١١٠١م. مفسر، عالم بالأصول والكلام. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٢٨٩، بروكلمان ١/ ٥٢٤.

(٥) هو يحيى بن زكريا بن أبي زائدة خالد بن ميمون بن فيروز الهمداني الوادعي الكوفي أبو سعيد. ولد عام ١١٩هـ/ ٧٣٧م. وتوفي عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م. فقيه، محدث، حافظ، له تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٤٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٦، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٠٨، الجواهر المضية ٢/ ٢١١، تاريخ بغداد ١٤/ ١١٤.

(٦) هو حبان بن علي العنزي. أبو علي الكوفي. محدث. يعد من الطبقة الثامنة. عارف بالفقه، توفي عام ١٧٢هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٤٩.

(٧) هو مندل، ويقال اسمه عمرو، ومندل لقبه، ابن علي العنزي، أبو عبد الله. ولد عام ١٠٣هـ/ ٧٢١م، وتوفي عام ١٦٧هـ/ ٧٨٣م. من رجال الحديث. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٩٢، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٨، الذريعة ٦/ ٣٦٨.

(٨) هو القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله. توفي عام ١٧٥هـ/ ٧٩١م. قاضٍ، حافظ، عالم بالأخبار والعربية والأنساب. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٥/ ١٨٦، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٣٨، إرشاد الأريب ٦/ ١٩٩، الفوائد البهية ١٥٤، بغية الوعاة ٣٨١.

(٩) هو أسد بن عمرو بن عامر القشيري البجلي، أبو المنذر. توفي عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م. قاضٍ، فقيه. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٩٨، الجواهر المضية ١/ ١٤٠.

(١٠) قيل اسمه سُلمى بن عبد الله، وقيل رَوْح. توفي ١٦٧هـ. إخباري متروك الحديث. من الطبقة السادسة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٦٢٥.

(١١) هو الوليد بن أبان بن توبة الأصبهاني، أبو العباس، توفي عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م. حافظ، محدث ثقة، مفسر. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١١٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٥٠.

(١٢) هو أبو سليمان العالم الرباني، أحد الأعلام، روى عنه ابن إدريس وأبو نعيم ووثّقه ابن معين. (هامش الأصل).

(١٣) هو يحيى بن أبي زائدة، وقد تقدمت ترجمته.

المبارك، والمغيرة بن حمزة[(١)]، ومحمد بن الحسن وغيرهم.

قيل: اختلف إلى الإمام كثير من الحكام، وهم أبو بكر وأبو برزة وأبو جابر وأبو حصين وزيد بن ثابت، وتكلم فيه إبن أبي ليلى وابن شبرمة والثوري وشريك. ولم يضر الإمام مخالفتهم، ولا لحق منهم الشين، وجعل أمره وشأنه يزداد قوة، ويكثر أصحابه ويزيدون شوكة، فمال إليهم وجوه الناس ووضح الحق بلا التباس.

ومن الأئمة المجتهدين الإمام مالك رضي الله عنه. هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، يكنّى أبا عبد الله. ولد سنة خمس أو أربع أو ثلاث وتسعين أو تسعين من الهجرة. ومات بالمدينة سنة تسع أو ثمان وسبعين ومائة، وله أربع وثمانون سنة. قال الواقدي: مات وله تسعون سنة. وهو إمام دار الهجرة وعالم المدينة[(٢)].

روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «ليأتين على الناس زمان يضربون فيه أكباد الإبل لا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة»[(٣)]. قال سفيان والزهري: المراد بعالم المدينة هو الإمام مالك. قيل هو من بني أصبح قبيلة باليمن، حمل في بطن أمه ثلاث سنين، وهرم بن حيان[(٤)] سنتين، و الضحاك أربع سنين، حتى إنّه ولد وأسنانه نابتة فسمّي الضحاك. ومات مالك بالمدينة في أيام الرشيد، وقبره بالمدينة على شطّ بقيع الغرقد.[(٥)]

وكان شديد البياض إلى الشقرة، طويلًا، عظيم الهامة، أصلع، يلبس الثياب العدنية الجياد، ويكره حلق الشارب، ويعدّه من المثلة. قيل: وكان قبيحًا. قالت له أمه: لا تقبلك حرفة إلاّ العلم، فاشتغل به فبلغ ما بلغ. قيل: كفاه فخرًا أنّ الشافعي رحمه الله من أصحابه. أخذ العلم عن الزهري ويحيى بن سعيد[(٦)] ونافع ومحمد بن المنكدر وهشام بن عروة وزيد بن أسلم وربيعة بن أبي عبد الرحمن[(٧)] وخلق كثير. وأخذ عنه العلم جماعة كثيرة، هم أئمة البلاد، منهم: الإمام الشافعي رحمه الله، ومحمد بن إبراهيم بن دينار[(٨)] وأبو هاشم[(٩)] وعبد العزيز

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب العلم، باب «يوشك الناس أن يضربوا... ١/ ٩١، بلفظ: «يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة».

(٤) هو هرم بن حيان العبدي الأزدي، توفي عام ٢٦هـ/ ٦٤٧م. قائد فاتح، من التابعين النساك. خطيب له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٨٢، طبقات ابن سعد ٧/ ٩٥، أسد الغابة ٥/ ٥٧، صفة الصفوة ٣/ ١٣٧.

(٥) أصل البقيع في اللغة: الموضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى. والغرقد كبار العوسج، وهو مقبرة أهل المدينة. انظر: مراصد الاطلاع ٢١٣.

(٦) هو يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري البخاري، أبو سعيد. توفي عام ١٤٣هـ/ ٧٦٠م. قاضٍ. من أكابر حفاظ الحديث. له رواية. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٤٧، تاريخ بغداد ١٤/ ١٠١، النجوم الزاهرة ١/ ٣٥١، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٢١.

(٧) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن (فرّوخ)، أبو عثمان. توفي عام ١٣٦هـ. يلقب بربيعة الرأي. من فقهاء المدينة، حافظ، عالم بأيام الناس. انظر عنه: مشاهير علماء الأمصار ١٣١، صفة الصفوة ٢/ ٨٣، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٨، الجمع ١/ ١٣٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٤، تاريخ بغداد ٨/ ٤٢٠.

(٨) هو محمد بن إبراهيم بن دينار المدني. توفي عام ١٨٢هـ. لقب بصندل. فقيه، محدث ثقة، من الطبقة الثامنة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٦٥.

(٩) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش المخزومي، أبو هاشم. ولد عام ١٢٤هـ/ ٧٤٢م. وتوفي عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م. فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس. كان يفتي ويجتهد. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٧٧، شذرات الذهب ١/ ٣١٠.

بن أبي حازم[(١)]، وهؤلاء نظراؤه من أصحابه. ومعن بن عيسى[(٢)]، ويحيى بن يحيى[(٣)]، وعبد الله بن مسلمة القعنبي[(٤)]، وعبد الله بن وهب[(٥)]، وغير هؤلاء ممن لا يحصى عدده، وهؤلاء مشائخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم من أئمة الحديث.

قال بكر بن عبد الله الصنعاني[(٦)]: أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وكنّا نستزيده من حديثه، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق؟ فأتينا ربيعة فنبهناه وقلنا له: أنت ربيعة؟ قال: نعم. قلنا: الذي يحدّث عنك مالك بن أنس. قال: نعم. قلنا: كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟ قال: أما علمتم أنّ مثقالًا من دولة خير من حمل علم.

قال عبد الرحمن بن مهدي[(٧)]: سفيان الثوري إمام في الحديث وليس بإمام في السُّنة، والأوزاعي إمام في السُّنة وليس بإمام في الحديث، ومالك بن أنس إمام فيهما جميعًا.

وكان مالك مبالغًا في تعظيم العلم والدين، حتى كان إذا أراد أن يحدّث يتوضأ ويلبس ثيابه وعمامته، ويسرّح لحيته، ويستعمل الطيب، ويجلس على صدر مجلسه، ويتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، وكان يطرق ولا يعبث بشيء من لحيته وثوبه، ولا يتنخم. فقيل له في ذلك، قال: تعظيمًا لحديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. وفي رواية معن بن عيسى: اغتسل وتبخّر وتطيّب، فإنْ رفع أحد صوته في مجلسه زبره وقال: قال الله تعالى ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[(٨)]، فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفع صوته عنده.

ومرَّ يومًا على أبي حازم وهو جالس فجازه وقال: لم أجد موضعًا أجلس فيه، فكرهت أن آخذ الحديث وأنا قائم. وكان نقش خاتمه: حسبنا الله ونعم الوكيل. فقيل له في ذلك، فقال: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ، فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾[(٩)] الآية.

---

(١) هو عبد الحميد بن عبد العزيز، أبو خازم القاضي. توفي عام ١٩٢هـ. قاضٍ، فقيه له عدة تصانيف. انظر عنه: تاج التراجم ١٨٢، طبقات الفقهاء ١٤١، المنتظم ٦/ ٥٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٤، شذرات الذهب ٢/ ٢١٠، الجواهر المضية ٢/ ٣٦٦، الفوائد البهية ٧٤، الأعلام ٤/ ٥٨.

(٢) هو معن بن عيسى بن يحيى الأشجعي، أبو يحيى المدني القزاز. توفي عام ١٩٨هـ. محدث، ثقة، من كبار الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٤٢.

(٣) هو يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن التميمي الحنظلي، أبو زكريا النيسابوري. ولد عام ١٤٢هـ/ ٧٥٩م. وتوفي عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م. إمام في الحديث، ثقة، ورع. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٧٦، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٦، مرآة الجنان ٢/ ٩١.

(٤) هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي. توفي عام ٢٢١هـ/ ٨٣٥م. من رجال الحديث الثقات. له رواية. انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٣٧، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١.

(٥) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري المصري، أبو محمد. ولد عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م. وتوفي عام ١٩٧هـ/ ٨١٣م. فقيه، عالم بالحديث. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٤٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٩، وفيات الأعيان ١/ ٢٤٩.

(٦) لعله أبو سعيد الصنعاني - الصاعاني أو الصنغاني. له أخبار، فقيه من معاصري أبي حنيفة النعمان. انظر عنه: تاج التراجم ٣٣٠، الجواهر المضية ٤/ ٤٩، الطبقات السنية رقم ٢٦٦٨.

(٧) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي، أبو سعيد. ولد عام ١٣٥هـ/ ٧٥٢م. وتوفي عام ١٩٨هـ/ ٨١٤م. حافظ كبير، متقن، له تصانيف جيدة. انظر عنه:
الأعلام ٣/ ٣٣٩، حلية الأولياء ٩/ ٣، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٠، اللباب ٣/ ٧٢.

(٨) الحجرات/ ٢.

(٩) آل عمران/ ١٧٣ - ١٧٤.

قال يحيى بن سعيد: ما في القوم أصحّ حديثًا من مالك. وقال الشافعي رحمه الله: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وما أحد أمن عليَّ من مالك. وقال: إذا جاء الحديث عن مالك فاشددْ يديك به. وقال: كان مالك بن أنس إذا جاء بعض أهل الأهواء قال: أراني على ثقة من ديني، أما أنت فشاكٌ إذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه. وقال مالك: إذا لم يكن للإنسان خير في نفسه لم يكن للناس فيه خير. وقال ليس العلم بكثرة الرواية وإنما هو نور يضعه الله في القلب.

قال أبو عبد الله: رأيت كأنَّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المسجد قاعد والناس حوله ومالك قائم بين يديه، وبين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مسك، فهو يأخذ منه قبضة قبضة ويدفعها إلى مالك، ومالك يذرها على الناس. قال مطرف[1]: فأوَّلت ذلك العلم واتباع السّنة. وقال الشافعي رحمه الله: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجبًا. فقلت لها: وما هو؟ قالت: رأيت كأنّ قائلًا يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض. قال الشافعي رحمه الله: فحسبنا ذلك، فإذا هو يوم مات مالك بن أنس.

قيل: بعث هارون إلى مالك يستحضره مجلسه ليسمع منه أبناه الأمين والمأمون، فقال له: يا أبا عبد الله، ينبغي أنْ تختلف إلينا حتى يسمع صبيانُنا منك الموطأ. قال: قلت: أعزّ الله أمير المؤمنين، إنّ هذا العلم منكم خرج، فإنْ أنتم أعززتموه يعزّ، وإنْ أذللتموه ذل، والعلم يُؤتى ولا يأتي. فقال: صدقت. أخرجا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس. قال مالك: بشريطة أنّ لا يتخطّيا رقاب الناس ويجلسا حيث ينتهي بهم المجلس، فحضراه بهذا الشرط.

قيل: لما حجّ هارون الرشيد وصار إلى المدينة، أرسل إلى مالك أنْ إحمل إلينا كتابك. فقال: العلم يؤتى ولا يأتي. فقال الرشيد والله لا نسمع إلاّ في بيتك. فقال مالك: حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «إنّ العالم إذا خصّ العلم دون العامة لا ينتفع به الخاص ولا العام»[2]. فنادى في الناس وأقبل أصحاب الحديث، ثم قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «من تواضع للعلم يرفعه الله»[3]، فنزل وجلس مع أصحاب الحديث، ثم قرأ الكتاب، ولذلك سُمّي الكتاب: الموطأ. فإنّ هارون قد تواطأ له، فحمل إليه هارون بغلًا ودابة وحمارًا وخمس مائة دينار، فقبل المال وردّ البهائم، ثم قال: ما كنت لأركب في مدينةِ نبيّ الله ملحودٌ في ترابها. ولم يُرَ مالك راكبًا بالمدينة قطّ.

روي عن الشافعي أنه رأى على باب مالك كراعًا من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه، فقلت له: ما أحسنه. فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله. قلت: دع لنفسك منها دابة تركبها. فقال: أنا أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بحافر دابة.

روي أنّ الرشيد سأل مالكًا: هل لك دار؟

---

(١) هو مطرّف بن عبد الله بن مطرف اليساري، أبو مصعب المدني. توفي عام ٢٢٠هـ وقيل ٢١٠هـ. محدث، ثقة. من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٣٤.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب العلم، باب آداب العالم والمتعلم، ح٢٩٢٨٨، ١٠/ ٢٤٢، بلفظ: «إذا خص العالم بالعلم طائفة دون طائفة لم ينتفع به العالم ولا المتعلم».

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، باب بيان آفات المناظرة...، ١/ ٢٩٥.

فقال: لا. فأعطاه ثلاثة الآف دينار وقال اشترِ بها دارًا فأخذها ولم ينفقها. فلما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق قال لمالك: ينبغي أن تخرج معي فإني عزمت أنْ أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على القرآن. فقال: أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل، لأنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم افترقوا بعده في الأمصار فحدّثوا، فعند كلّ أهل مصر علم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «اختلاف أمتي رحمة»(١). وأما الخروج معك فلا سبيل إليه، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «سيخرجون بعدي من المدينة لأجل الدنيا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»(٢)، وقال: «المدينة تنفي خبثها»(٣)، وهذه دنانيركم كما هي، إنْ شئتم فخذوها وإنْ شئتم فدعوها، يعني إنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إليّ فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. فرحل الرشيد إلى مكة، فأرسل إلى سفيان ابن عيينة: إحملْ إليَّ علمك، فحمل إليه، فلما قدم العراق، كان الرشيد يقول: رحم الله مالكًا، تواطأنا له فانتفعنا بعلمه، ورحم الله سفيان، تواطأ لنا فلم ننتفع بعلمه.

قيل: كان مالك كلما جلس مجلسًا لا ينطق بشيءٍ حتى يقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٤). ويروى أن سعيدًا كلما نسي شيئًا يقول هذه الكلمات فيذكره.

واعلم أنه لا يفي بتعداد فضائل هذا الطود الأشم والبحر الزخار. بطون الكتب ومضامين الأسفار، فضلًا عن هذه الأوراق والسطور، فاكتفينا بهذا القدر المسطور.

ومن الأئمة المجتهدين: الإمام أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي. لقي شافع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو مترعرع، وأسلم أبوه السائب يوم بدر، كان السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأسر وفدى نفسه ثم أسلم. ولد الشافعي بغزة أو بعسقلان أو باليمن، سنة خمسين ومائة، وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة رحمه الله. وقيل: بل ولد يوم وفاته وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين. قال محمد بن الحكم(٥): إنّ أم الشافعي لمّا حملت به رأت كأن المشترى خرج من بطنها وانقض ثم وقع في كل بلدة منه شظية. فقال المعبّر: إنه يخرج من بطنك عالم عظيم.

وقال الشافعي: رأيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال لي: يا غلام: ممن أنت؟ فقلت: من رهطك يا رسول الله. فقال: أدنُ مني، فدنوت منه، فأخذ من ريقه، ففتحت فمي فأمرَّ من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال: إمش بارك الله فيك.

وقال أيضًا: رأيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بمكة في زمان الصباء في المنام، ذا هيبة

---

(١) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، الباب الثاني في بيان العلم المحمود والمذموم...، ١/ ٢٠٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من رغب عن المدينة، ح٤٤٧، ٣/ ٥٢ بمعناه وتمام قوله: «... والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

(٣) الزبيدي، اتحاف، كتاب العلم، الباب الثاني في بيان العلم المحمود والمذموم...، ١/ ١٠٦.

(٤) البقرة/ ٣٢.

(٥) هو محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجذامي السرقسطي، أبو جعفر. توفي عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م. عالم بالعربية والأدب وأصول الفقه. له عدة كتب. انظر عنه:
الأعلام ٦/ ١٠٨، بغية الوعاة ٣٨، تكملة الصلة ١/ ١٧٤.

يؤمّ بالناس في المسجد الحرام. فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس يعلّمهم، فدنوت منه، فقلت: علّمني فأخرج ميزانًا من كمه فأعطاني وقال: هذا لك. قال الشافعي: فعرضت الرؤيا على المعبّر فقال: إنك تصير إمامًا في العلم وتكون على ألسنة، لأنَّ إمام المسجد الحرام أفضل الأئمة كلهم. وأما الميزان فإنك تعلم حقيقة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في نفسه.

وذكروا أنّ الشافعي كان في أول الأمر فقيرًا، ولما سلّموه إلى المعلم ما كانوا يجدون أجرة المعلم، فكان المعلم يقصر في التعليم، إلاّ أنّ المعلم كلما علّم صبيًا شيئًا كان الشافعي يتلقف ذلك الكلام. ثم إذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعي يعلّم الصبيان تلك الأشياء، فنظر المعلم فرأى الشافعي يكفيه أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي كان يطمع بها منه، فترك طلب الأجرة، واستمرت هذه الأحوال حتى تعلّم القرآن لتسع سنين.

قال الشافعي: ولما ختمت القرآن، دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسئلة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، وكنت فقيرًا بحيث ما كنت أملك ما أشتري به القراطيس، فكنت آخذ العظم وأكتب فيه. وكان في أول الأمر تفقّه على مسلم بن خالد[1]، وفي أثناء الأمر وصل إليه الخبر بأنّ مالك بن أنس إمام المسلمين وسيدهم.

قال الشافعي: فوقع في قلبي أنْ أذهب إليه، فاستعرت الموطأ من رجل بمكة وحفظته، ثم دخلت إلى والي مكة، فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس، وقدمت المدينة، وبلّغت الكتاب. فقال والي المدينة: يا فتى إنْ كلفتني المشي من جوف المدينة إلى جوف مكة راجلًا حافيًا كان أهون عليّ من المشي إلى باب مالك. فقلت: إنْ رأى الأمير أنْ يحضره. فقال: هيهات، وليتنا إذا ركبنا إليه، ووقفنا على بابه كثيرًا فتح لنا الباب. قال: ثم ركب وذهبنا معه إلى دار مالك، معه رجل، وقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء، فقال لها الأمير: قولي لمولاك: إني بالباب. فدخلت الجارية وأبطأت، ثم خرجت فقالت: إنّ مولاي يقول: إنْ كان لك مسئلة فادفعها في رقعة حتى يخرج إليك الجواب، وإنْ كان المجيىء لمهم آخر فقد عرضت يوم الخميس فانصرف. فقال: إنّ معي كتاب والي مكة في مهم، فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسي فوضعته، فإذا مالك شيخ طوال، وقد خرج وعليه المهابة، وهو متطلّس، فرفع الوالي الكتاب إليه. فلما بلغ إلى قوله: إنّ محمد بن إدريس رجل شريف من أمه وخاله كذا وكذا، فرمى الكتاب من يده، فقال: سبحان الله، صار علم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحيث يطلب بالرسائل. قال الشافعي: فقلت: أصلحك الله، إني رجل مطّلبي من حالتي، وقصتي كذا وكذا. فلما سمع كلامي نظر إليَّ ساعة، وكان لمالك فراسة. فقال لي: يا محمد، اتقِ الله واجتنب المعاصي، فإنّه سيكون لك شأن من الشأن. فقلت: نعم وكرامة. فقال: إنّ الله تعالى قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بالمعصية. ثم قال: إذا كان غدًا تجيء بمن يقرأ لك الموطأ. فقلت: إني أقرأه من الحفظ. ورجعت إليه من الغد، وابتدأت بالقراءة. فكلما أردت قطع القراءة خوفًا من ملاله أعجبه حسن قراءتي، فيقول: يا فتى زِدْ، حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أنْ توفي مالك. وكان

(١) هو مسلم بن خالد بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي المعروف بالزنجي. توفي عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م. تابعي، من كبار الفقهاء، محدث. انظر عنه:
الأعلام ٧/ ٢٢٢، اللباب ١/ ٥٠٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٥.

الشافعي إذا حكى قولًا لمالك قال: هذا قول أستاذنا مالك.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل[١]: قلت لأبي: أيّ رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر الدعاء له. فقال لي: يا بني، كان الشافعي كالشمس للنهار، وكالعافية للناس، فانظر: هل لهذين من خلف أو عنهما من عوض.

وقال أخوه صالح بن أحمد بن حنبل[٢]: جاء الشافعي رحمه الله يومًا إلى أبي يعوده، وكان عليلًا، قال: فوثب أبي إليه وقبّل بين عينيه، ثم أجلسه في مكانه، وجلس بين يديه، ثم أخذ يسأله ساعة. فلما قام الشافعي وركب، أخذ أبي بركابه ومشى معه، فبلغ يحيى بن معين ذلك، فقال: سبحان الله، لم فعلت ذلك. قال أبي. وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لانتفعت به. ومن أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة. وقال أحمد بن حنبل: ما أعلم أحدًا أعظم منّة على الإسلام في زمن الشافعي، وإني لأدعو له في آثار صلواتي: اللهم اغفر لي ولوالديّ ولمحمد بن إدريس الشافعي.

وقال الحسين بن محمد الزعفراني[٣]: ما قرأت على الشافعي من الكتب شيئًا إلّا وأحمد ابن حنبل شاهد.

قال الشافعي: ما طلب أحد العلم بالتعمّق وعزّ النفس فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلّة النفس وخدمة العالم أفلح.

وقال: ما ناظرت أحدًا قط إلّا أحببت أن يوفق ويسدّد ويُعان وتكون عليه رعاية من الله وحفظه، وما ناظرت أحدًا إلّا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه.

وقال يونس بن عبد الأعلى[٤]: سمعت الشافعي يقول: لأن يبتلي المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير من أن ينظر في الكلام، فإنّي والله اطّلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط. وقال ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح.

وقال أبو محمد ابن أخت الشافعي عن أمه قالت: ربما قدّمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح إلى بين يدي الشافعي، وكان يستلقي ويتذكّر، ثم ينادي: يا جارية هلمي المصباح فتقدّمه، ويكتب ما يكتب، ثم يقول: إرفعيه. فقيل لأبي محمد: ما أراد برد المصباح، قال: الظلمة أجلى للقلب.

وقال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر. وقال من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه.

وقال الحميدي[٥]: قدم الشافعي من صنعاء

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن. ولد عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. وتوفي عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م. حافظ، متقن. له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٦٥، تهذيب التهذيب ٥/ ١٤١، الرسالة المستطرفة ١٦.

(٢) هو صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو الفضل، ولد عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م. وتوفي عام ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م. قاضٍ، محدث، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٨٨، تهذيب ابن عساكر ٦/ ٣٦٢هـ شذرات الذهب ٢/ ١٤٩.

(٣) هو الحسين بن محمد بن علي الزعفراني، أبو سعيد. توفي عام ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م. عالم بالحديث والأصول. له مصنفات كثيرة. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٥٤، أخبار أصبهان ١/ ٢٨٣.

(٤) هو يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي. ولد عام ١٧٠هـ/ ٧٨٧م. وتوفي عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م. من كبار الفقهاء. عالم بالأخبار والحديث. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢٦١، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤٠، وفيات الأعيان ٢/ ٤١٧، غاية النهاية ٢/ ٤٠٦، طبقات الشافعية ١/ ٢٧٩.

(٥) هو عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي، أبو بكر. توفي عام ٢١٩هـ/ ٨٣٤م. أحد أئمة الحديث ورواته. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٨٧، تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٥، الانتقاء ١٠٤.

إلى مكة بعشرة الآف دينار في منديل، فضرب خباءه خارجاً من مكة، وكان الناس يأتونه، فما برحت حتى ذهبت كلها، ثم دخل مكة. وقال المزني: ما رأيت أكرم من الشافعي، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره في مسئلة، حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس، فقال له: مولاي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس، فأخذه منه. وأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله، ولدت إمرأتي الساعة وليس عندي شيء، فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شيء. وفضائله أكثر من أن تحصى.

وبالجملة، هو إمام الدنيا وعالم الأرض شرقًا وغربًا، جمع الله له من العلوم والمفاخر ما لم يجمع لإمام بعده، وانتشر له من الذكر ما لم ينتشر لأحد سواه. سمع مالك بن أنس وسفيان بن عيينة ومسلم بن خالد[1] وخلقًا كثيرًا. حدّث عنه أحمد بن حنبل وأبو ثور إبراهيم بن خالد وأبو إبراهيم المزني[2] والربيع بن سلمان المرادي[3] وخلق كثير غيرهم. قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة، وأقام بها سنتين، ثم خرج إلى مكة، ثم قدمها سنة ثمان وتسعين ومائة، فأقام بها أشهراً، ثم خرج إلى مصر، ومات بها عند العشاء الآخرة، ليلة الجمعة، ودفن في يوم الجمعة بعد العصر، وكان آخر يوم من رجب، سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة.

قال الربيع: رأيت في المنام قبل موت الشافعي رحمه الله بأيام أنّ آدم صلوات الله عليه مات، ويريدون أن يخرجوا بجنازته. فلما أصبحت، سألت بعض أهل العلم عنه فقال: هذا موت أعلم أهل الأرض، لأنّ الله تعالى علم آدم الأسماء كلّها، فما كان يسيرًا حتى مات الشافعي رحمه الله تعالى.

وقال المزني: دخلت على الشافعي رحمه الله في علّته التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحتُ؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولكأس المنية شاربًا، ولسوء أعمالي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنّيها أو إلى النار فأعزّيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت الرجا مني لعفوك سلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منّةً وتكرّما
فلولاك لم يسلم من إبليس عابدٌ
وكيف وقد أغوى صفّيك آدما

وقال أحمد بن حنبل: رأيت الشافعي رحمه الله في المنام، فقلت له: يا أخي، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوّجني وزوّجني، وقال لي: هذا بما لم تَزْهَ بما أرضيتك ولم تتكبّر فيما أعطيتك.

اتفق العلماء قاطبة من أهل الفقه والأصول والحديث واللغة والنحو وغير ذلك على أمانته وعدالته وزهده وورعه وتقواه وجوده وحسن سيرته

---

(١) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور. توفي عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤. فقيه، له مصنفات كثيرة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٧، ميزان الاعتدال ١/ ١٥، تاريخ بغداد ٦/ ٦٥.

(٢) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني. ولد عام ١٧٥هـ/ ٧٩١م. وتوفي عام ٢٦٤هـ/ ٧٧٨م. صاحب الإمام الشافعي. زاهد، عالم مجتهد، فقيه شافعي. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٢٩، وفيات الأعيان ١/ ٧١، الانتقاء ١١٠.

(٣) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي المصري، أبو محمد. ولد عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م. وتوفي عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م. صاحب الإمام الشافعي. وراوي كتبه. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٤، وفيات الأعيان ١/ ١٨٣، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٥.

وعلو قدره. فالمطنب في وصفه مقصّر والمسهب في مدحته مقتصر، سيّما وقد كثر عليها المجلّدات الكبار، ولم يبلغوا ساحل هذا البحر الزخار، فكيف يستقصى في هذه الوريقات الصغار.

واعلم أنّ الأئمة الشافعية استدلّوا على رجحان مذهب الشافعي على سائر المذاهب بأحاديث مطلقة ومقيّدة.

أمّا الأحاديث المطلقة فهي الأحاديث الواردة في فضل قريش، منها حديث جبير بن مطعم[(١)] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنّ للقرشي قوّة الرجلين من غير قريش[(٢)]». قيل للزهري: ما عنى بذلك؟ قال: نبل الرأي. ومنها: «هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلّا أكبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين»[(٣)]: ومنها: «إذا اجتمعت جماعات في بعضها قريش فالحق مع قريش وهي مع الحق»[(٤)]. ومنها: «أمان أهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش[(٥)]». ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الأئمة من قريش[(٦)]»: ومنها ما في الصحيحين: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس إثنان»[(٧)]. وقد أوردوا غير ذلك أحاديث تدلّ على فضيلة قريش مطلقًا لا في حق العلم بل أعمّ من ذلك. ولذلك لم أذكرها، والذي يمكن حمله على فضيلة العلم في الجملة في حقّ قريش مطلقًا هو الذي ذكرناه.

وأمّا الأحاديث الدالّة على فضيلة الشافعي بخصوصه فهي ما روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «لا تسبّوا قريشًا فإنّ عالمها يملأ الأرض علمًا»[(٨)]

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تؤمّوا قريشًا وائتموا بها، ولا تقدموا على قريش وقدّموها، ولا تعلّموا قريشًا وتعلّموا منها، فإنّ أمانة الأمين من قريش تعدل أمانة الأمينين من غيرهم، وإنّ علم عالم قريش يملأ سبع طباق الأرض»[(٩)]. وهذا الحديث قاله عليّ كرّم الله وجهه يوم حروراء[(١٠)] لعبدالله بن عباس لما أرسله إلى الخوارج وقال: قل لهم: علامَ تتهموني وأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول ذلك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «بعث الله

(١) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي، أبو محمد، وقيل أبو عدي. من الصحابة الكرام. توفي عام ٢هـ. وله عند رسول الله ﷺ يد. روى بعض الأحاديث.
أسد الغابة ١/ ٣٢٣، الاستيعاب ١/ ٢٣٢.

(٢) الألباني، إرواء الغليل، كتاب الصلاة، باب في الإمامه، ح ٥١٩، ٢/ ٢٩٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، ح١٠، ٥/ ١٣، بلفظ «كبه» بدلاً من «أكبه».

(٤) لم يعثر له على تخريج.

(٥) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر فضائل قريش، ٤/ ٧٥، بلفظ «الإختلاف».

(٦) مسند أحمد، ٣/ ١٨٣.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، ح٤، ٣/ ١٤٥٢.

(٨) الأصبهاني، حلية الأولياء، ٦/ ٢٩٥.

(٩) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب الفضائل، الباب الرابع في القبائل، ح٣٣٨٤٤، ١٢/ ٣١، بلفظ: «لا تؤموا قريشاً وائتموها، ولا تعلموا قريشاً وتعلموا منها، فإن أمانة الأمين...».

(١٠) حروراء، بفتحتين وسكون الواو، وراء أخرى، وألف ممدودة، قرية بظاهر الكوفة. وقيل: موضع على ميلين منها. اجتمع فيها الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فنسبوا إليها. وقيل: هو كورة.
انظر: مراصد الإطلاع ٣٩٤.

لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها»[١]. وفي لفظ آخر: «في رأس كل مائة سنة رجلًا من أهلي يبين لهم أمر دينهم»[٢]، ذكره الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وقال عقيبة: نظرت في سنة مائة فإذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن عبد العزيز. ونظرت في رأس المائة الثانية، فإذا هو رجل من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله. وهذا ثابت عن الإمام أحمد سقى الله عهده.

قال العلماء: فعلى هذا عالم المائة الثالثة ابن سريج. وقيل فيه: الأشعري، لكن رجّحوا كون عالم المائة الثالثة ابن سريج لوجهين: الأول: أن أبا الحسن الأشعري كان قيامه للذبّ عن أصول العقائد دون فروعها، وابن سريج كان قيامه للذبّ عن فروع المذهب الواقع عن عالم المائة الثانية، فالمناسبة بينه وبين عالم المائة الثانية اقتضت تعيين ابن سريج. الثاني: أنّ الأشعري تأخّرت وفاته عن رأس القرن إلى بعد العشرين، ووفاة ابن سريج في رأس القرن. وقد صحّ أنّ الحديث ذكر في مجلس أبي العباس ابن سريج، فقام شيخ من أهل العلم فقال: أبشر أيُّها القاضي، فإنّ الله تعالى بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى الثانية الشافعي رحمه الله وبعثك على رأس الثالثة، ثم أنشأ يقول:

إثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم حلف السودد

الشافعي الألمعي محمد ... إرث النبوة وابن عمّ محمد

أرجو أبا العباس أنك ثالث ... من بعدهم سقيًا لتربة أحمد

قال: فصاح ابن سريج وبكى وقال: لقد نعى إليَّ نفسي. وروي أنّه مات في تلك السنة.

وأمّا المائة الرابعة فقد قيل: إنّه الشيخ أبو حامد الإسفرايني، وقيل: بل الأستاذ سهل بن أبي سهل الصعلوكي[٣].

قال ابن السبكي: والخامس الغزالي، والسادس الإمام فخر الدين الرازي، ويحتمل أن يكون الإمام الرافعي إلّا أنّ وفاته تأخّرت إلى بعد العشرين والستمائة كما تأخّرت وفاة الأشعري. ومن العجيب وقوع الاختلاف في المائة الثالثة بين الأشعري وابن سريج، وفي المائة السادسة بين الإمام الرازي والإمام الرافعي، مع وقوع وفاة ابن سريج سنة ست وثلاث مائة: وتأخّر وفاة الأشعري إلى بعد العشرين، ووقوع وفاة الإمام الرازي سنة ست وست مائة، وتأخّر وفاة الرافعي إلى بعد العشرين.

وفي المائة السابعة الشيخ ابن دقيق العيد بلا مدافعة فيه أصلًا.

ثم قالوا: إنّ هؤلاء العلماء المذكورين كلّهم شافعية، ومن هاهنا تبيّن أنّه الإمام المبعوث الذي استقرّ أمر الناس على قوله، وبعث بعده في رأس كل مائة من يقرّر مذهبه. وإذا ثبت هذا ثبت أنّه

---

(١) سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ح٤٢٩١، ٤/ ٤٨٠، بلفظ. «إن الله يبعث لهذه الأمة».

(٢) سنن أبي داوود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ح٤٢٩١، ٤/ ٤٨٠، بلفظ. «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

(٣) هو سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري، أبو الطيب توفي عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧، مفتي نيسابور في عصره. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٤٣، وفيات الأعيان ١/ ٢١٩.

مصيب في اجتهاده، فإنّ الله تعالى يأبى إنْ شاء الله أنْ يبعث لتجديد دينه ناقصًا في علمه ومخطئًا في اجتهاده، والمذهب أنّ المصيب بين المجتهدين واحد فقط، هذا ما ذكروه.

ولكن لا يخفى عليك أنّ أمر التفضيل يدور على أنواع ثلاثة: أحدها: فضيلة الإفراد كقولك: زهاد العلماء أفضل من عوام المسلمين.

وثانيها: كثرة الأفراد الفاضلة، فيراد فضيلة الجنس، كقولك: الرجل خير من المرأة، إذْ ليس كل رجل حتى الفساق خيرًا من كل امرأة، حتى رابعة العدوية[1] قدّس سرّها.

وثالثها: قوّة جهة الفضيلة، كقولك: عوام البشر أفضل من عوام الملآئكة، فإنّ الأفراد الفاضلة وإنْ لم تكن أكثر في البشر لكن جهة الفضيلة أقوى فيهم، كما حقّق في موضعه فيراد فضيلة الجنس أيضاً.

إذا عرفت ذلك، فاعلم أنّ فضيلة القرشي على غيره ليس من قبيل النوع الأول وذلك ظاهر، إذْ ليس كل قرشي أفضل ممن عداه، بل إمّا من قبيل النوع الثاني أو الثالث. وعلى كل تقدير لا تدلّ على فضيلة الشافعي بخصوصه، ولو سلّم دلالة بعض الأحاديث السالفة على فضيلته بخصوصه على غيره وهو أحق بذلك، لكن من حيث إنّه قرشي لا مطلقًا. ولو سلم أنّه يدلّ على فضيلته في العلم وهو كذلك كما يفهم من بعض الأحاديث السالفة، لكن يدلّ على فضيلته على معاصريه وعلى من بعده، لا على السلف، ولا على من عداه مطلقًا بحيث يدخل السلف فيهم، لأنّ العرف شاهد على أنّ الفضيلة في أمثال هذا الكلام لا تتناول من تقدّمه؛ على أنّه يلزم حينئذٍ فضيلته على الصحابة أيضًا، وإنّه باطل جزمًا.

وأمّا حديث: «الأئمة من قريش»، فقد يراد به والله أعلم الإمامة الكبرى دون إمامة العلم، أو ما هو أعمّ منهما، وإلّا لنازعت الأنصار الصديق وقت احتجاجه بهذا الحديث عليهم. وأيضًا: لو كان المراد إمامة العلم لاختصّ الفتوى بقريش في زمن الأصحاب وليس كذلك، فحاشاهم عن المساهلة في أمر الدين.

واعلم أنّ من تدبّر قوله صلى الله عليه وآله وسلّم: «اختلاف أمتي رحمة»، وعرف أنّ مبنى مسائل الفروع على الظنّ لا يسوغ له التحكم بين المذاهب، ولا العصبية لواحد من المجتهدين على الآخر منهم، وإنّما قصارى أمر المقلّد أنْ يعتقد صحة مذهبه، وإلّا لما صحّ تقليده، وأنْ يعتقد خطأ مخالفه في موضوع خلافه، وإلّا لم يصح مذهبه، لا أنْ يعتقد خطأ من يخالفه مطلقًا، إذْ كم من مسائل اتفاقية بين الأئمة. وإذ كان مسائل الفروع ظنيات يلزم أنْ يكون صحة مذهبه محتمل الخطأ وخطأ مخالفه محتمل الصحة، فلا يكون الصحة والخطأ هناك أمرًا يقينًا بل راجعًا إلى ظنّ المجتهد والمقلّد، فحينئذ لا يبقى مزيد مجال للعصبية والجدال. إلّا أنّ بعضًا من فقهاء زماننا أخذتهم الحمية لبعض المذاهب، ويركب الصعب والذلول في العصبية، وهذا من سوء أخلاقهم. ولقد يوجد فيهم من يبالغ في العصبية حتى يمتنع من الصلوٰة خلف بعض إلى غير ذلك مما يستقبح ذكره. ويا ويح هؤلاء، أين هم من الله، ولو كان الشافعي وأبو حنيفة حيين لشدّدا النكير على هذه الطائفة وتبرآ منهم فيما يفعلون. فلعمر الله لا أحصي عدد من رأيته يشمر عن ساعد الاجتهاد في الانكار على شافعي يذبح ولا يسمّي، أو حنفي يلمس ذكره ولا يتوضأ، أو مالكي يصلي ولا يبسمل، أو حنبلي يقدّم

---

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير. مولاة آل عتيك، البصرية. ولدت بالبصرة وتوفيت بالقدس عام ١٣٥هـ/ ٧٥٢م. زاهدة صالحة مشهورة. لها أشعار كثيرة في الزهد والتصوف.
الأعلام ٣/ ١٠، وفيات الأعيان ١/ ١٨٢.

الجمعة على الزوال، وهو يرى من العوام ما لا يحصى عدده، إلّا الله تعالى يتركون الصلوٰة، بل يرى كثيرًا من أهل بيته يتركونها وهو ساكت عنهم، مع أنّ جزاء من تركها عند الشافعية مالك وأحمد ضرب العنق. فيا لله والمسلمين، أهذا فقيه على الحقيقة! قبّح الله مثل هذا الفقيه.

ثم ما بالكم تنكرون مثل هذه الفروع ولا تَنكرون المكوس والمحرّمات المجمع عليها، ولا تأخذكم الغيرة لله تعالى فيها، وإنّما تأخذكم الغيرة للشافعي وأبي حنيفة حتى يؤدي ذلك إلى افتراق كلمتكم، وتسلّط الجهال عليكم، وسقوط هيبتكم عند العامة، وقول السفهاء في أعراضكم ما لا ينبغي، فيهلكون لكلامهم فيكم، لأنّ لحومكم مسمومة على كل حال، لأنّكم علماء، وإنّما تهلكون أنفسكم بما تركبونه من العظائم، تاب الله عليكم، وأرشدكم طريق الصلاح والفلاح بحرمة العلم الذي منحه الله إياكم، وبحرمة العلماء الذين أخذتموه منهم. عصمنا الله وإياكم عن التعصب في الدين، وثبتنا وإياكم على التقوى واليقين، بحرمة نبيّه الأمين وآله وصحبه الأكرمين.

ومن الأئمة المجتهدين الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي. ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة، ومات بها سنة إحدى وأربعين ومايتين، وله سبع وسبعون سنة. كان إمامًا في الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة، وبه عرف الصحيح والسقيم والمجروح من المعدل. نشأ ببغداد وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، وكتب عن علماء ذلك العصر، فسمع من يزيد ابن هارون، ويحيى بن سعيد القطان، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن إدريس الشافعي، وعبد الرزاق بن همام، وخلق كثير سواهم. روي عنه إبناه صالح وعبدالله، وابن عمه حنبل بن اسحاق[١]، ومحمد بن اسمعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبو زرعة، وأبو داود السجستاني، وخلق كثير سواهم. إلّا أنّ البخاري لم يذكر في صحيحه عنه إلّا حديثًا واحدًا في آخر كتاب الصدقات تعليقًا. وروي عن أحمد بن الحسن الترمذي عنه حديثًا آخر، وفضائله كثيرة، ومناقبه جمّة، وآثاره في الاسلام مشهورة، ومقاماته في الدين مذكورة. انتشر ذكره في الآفاق، وسرى حمده في البلاد، وهو أحد المجتهدين المعمول بقوله ورأيه ومذهبه في كثير من البلاد.

قال إسحاق بن راهويه: أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبده في أرضه. وقال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدًا أتقى وأورع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل. وقال أحمد بن سعيد الدارمي[٢]: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم، ولا أعلم بفقهه ومعانيه، من أبي عبدالله أحمد بن حنبل. وقال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث. فقيل له: ما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب. وقال إبراهيم الخرقي:

---

(١) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو علي. توفي عام ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م. من حفاظ الحديث، ثقة. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٨٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٦٠.

(٢) هو أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي، أبو جعفر السرخسي. توفي عام ٢٥٣هـ. محدث، ثقة، حافظ، يعد من الطبقة الحادية عشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٧٩.

رأيت أحمد بن حنبل كأنّ الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما يشاء ويمسك ما يشاء.

وقال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، أو ما رأيته ذكر الدنيا قط.

وقال محمد بن موسى[١]: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز[٢] ميراثه من مصر ماية ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار فقال: يا أبا عبدالله، هذه ميراث حلال فخذها واستعن بها على عائلتك. قال: لا حاجة لي فيها، أنا في كفاية، فردّها ولم يقبل منها شيئًا.

وقال عبدالله بن أحمد: كنت أسمع أبي كثيرًا يقول في دبر صلوٰته: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنْ وجهي عن المسئلة لغيرك.

وقال ميمون بن الأصبغ[٣]: كنت ببغداد فسمعت صيحة، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد ابن حنبل يمتحن. فدخلت، فلما ضرب سوطًا قال: بسم الله. فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله. فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق. فلما ضرب الرابع قال: «قل لن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا»[٤]. فضرب تسعة وعشرين سوطًا، وكانت تكة أحمد حاشية ثوب فانقطعت، فنزل السراويل إلى عانته، فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرّك شفتيه فما كان بأسرع من أن ارتقى السراويل ولم ينزل، فدخلت إليه بعد سبعة أيام، فقلت: يا أبا عبدالله: رأيتك تحرّك شفتيك، فأي شيء قلت؟ قال: قلت: اللهم إني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش، إنْ كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي سترًا.

وقال أحمد بن محمد الكندي[٥]: رأيت أحمد بن حنبل في المنام فقلت، ما صنع الله بك؟ قال غفر لي، ثم قال: يا أحمد، ضربت فيّ. قال: قلت: نعم يا رب. فقال: يا أحمد: هذا وجهي فانظر إليه فقد أبحتك النظر إليه.

وقد تقدّم قصة محنة أحمد بن حنبل بخلق القرآن على وجه لا مزيد عليه.

روي أنّه لما مات أحمد بن حنبل صلى عليه من المسلمين ما لا يحصى، فأمر المتوكل أنْ يمسح موضوع الصلوٰة عليه من الأرض، فوجدوا موقف ألفي ألف وثلاث مائة ألف ونحوها. ولمّا انتشر خبر موته أقبل الناس من البلاد يصلّون على قبره، فصلّى عليه ما لا يحصى.

روي أنّه أسلم في ذلك اليوم من اليهود والنصارى نحو من ثلاثين ألفًا لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته، ولما رأوا من العجب ذلك اليوم[٦].

---

(١) هو محمد بن موسى بن أبي نعيم الواسطي الهذلي. توفي عام ٢٢٣هـ. محدث، صدوق من الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٠٩.

(٢) هو الحسن بن عبد العزيز الجروي، أبو علي المصري. توفي عام ٢٥٧هـ. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الحادية عشرة. نزيل بغداد، عابد، فاضل. انظر عنه: تقريب التهذيب ١٦١.

(٣) هو ميمون بن الأصبغ، من الفرات النصيبي، أبو جعفر. توفي عام ٢٥٦هـ، محدث، من كبار الطبقة الحادية عشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٥٦.

(٤) التوبة/ ٥١.

(٥) هو أحمد بن محمد بن أحمد الشريف، شهاب الدين بن كندة. عاصر السخاوي بالقاهرة وأخذ عنه. عاش في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر. الضوء اللامع ٢/ ٩٣.

(٦) وقال أبو الحسن ابن الزاغوني: كشف قبر أحمد حين دفن الشريف أبو جعفر بن أبي موسى إلى جانبه، فوجد كفنه صحيحاً لم يبل، وجنبه لم يتغير، وذلك بعد موته بمائتين وثلاثين سنة. (هامش الأصل).

ومن الأئمة المجتهدين: الإمام أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري البجلي، وجدّه سعد[١] أول أب لأبي يوسف في الإسلام، وله نصرة للنبي عليه الصلوٰة والسلام، وعرض عليه عليه الصلوٰة والسلام يوم أحد فردّه لصغره، وكان لا يأذن للخروج إلى الغزاة إلّا البالغ. نزل الكوفة فمات بها، وصلى عليه زيد بن أرقم[٢] وكبّر عليه خمسًا، وقد أصاب لسعد من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دعوة.

ذكر الإمام الصيمري أن سعد بن حبتة البجلي من الأوس، جاء يوم الخندق فاستصغره النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومسح رأسه، فتلك المسحة فيهم إلى قيام الساعة. وكان الإمام أبو يوسف رحمه الله تعالى إذا نظر إليه كان رأسه أدهن من تلك المسحة. ولد أبو يوسف سنة ثلاث عشرة ومائة بالكوفة، ثم سكن بغداد، وسمع من الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وأبي إسحاق الشيباني[٣]، وسليمان التيمي[٤]، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان الأعمش، وهشام بن عروة، وعبدالله بن عمر العمري، وحنظلة بن أبي سفيان[٥]، وعطاء بن السائب، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وحجاج بن أرطاة[٦]، والحسن بن دينار[٧]، وليث بن سعد، وأيوب بن عتبة[٨]، وجماعة. وروى عنه محمد بن الحسن، وبشر بن الوليد الكندي[٩]، وعلي بن الجعد[١٠]، وابن حنبل، ويحيى بن معين، وعمرو بن محمد الناقد[١١]، وأحمد بن منيع[١٢]، وعلي بن موسى الطوسي[١٣]،

---

(١) وهو سعيد - سعد - بن بجير بن معاوية، وحبته بنت مالك أمه. (هامش الأصل).

(٢) هو زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري. توفي عام ٦٨هـ/ ٦٨٧م. صحابي، جليل. شهد الغزوات مع النبي ﷺ، وروى عنه الأحاديث. له مواقف وأخبار. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٥٦، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٩٤، خزانة الأدب ١/ ٣٦٣.

(٣) هو سليمان بن أبي سليمان، فيروز أو خاقان أو عمرو، أبو إسحاق الشيباني. توفي عام ١٢٩هـ، وقيل ١٣٨هـ، وقيل ١٤٢هـ، فقيه، محدث، له رواية. انظر عنه: الجرح والتعديل ٤/ ١٢٢، مشاهير علماء الأمصار ١١١، اللباب ٢/ ٢١٩، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٩٣، شذرات الذهب ١/ ٢٠٧.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو حنظلة بن أبي سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي المكي. توفي عام ١٥١هـ. حافظ، ثقة كبير. انظر عنه: تاريخ البخاري ٣/ ٤٤، مشاهير علماء الأمصار ١٤٥، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٣٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٦.

(٦) هو حجاج بن أرطاة بن ثور النخعي. توفي عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. قاضٍ، راوٍ للحديث، حافظ. انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٦٨، ميزان الاعتدال ١/ ٢١٣، تاريخ بغداد ٨/ ٢٣٠.

(٧) راوٍ محدث. انظر عنه: البداية والنهاية ٨/ ١٦٩.

(٨) هو أيوب بن عتبة اليمامي، أبو يحيى القاضي، من بني قيس بن ثعلبة. محدث، يعد من الطبقة السادسة توفي عام ١٦٠هـ. انظر عنه: تقريب التهذيب ١١٨.

(٩) هو بشر بن الوليد بن خالد الكندي البغدادي. توفي عام ٢٣٨هـ/٨٥٣م. من تلاميذ أبي يوسف صاحب أبي حنيفة. قاضٍ حنفي. له عدة مؤلفات. هدية العارفين ٥/ ٢٣٢.

(١٠) هو علي بن الجعد بن عبيد الهاشمي الجوهري، أبو الحسن. ولد عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م. وتوفي عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م. محدث، حافظ، له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٦٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٩، تاريخ بغداد ١١/ ٣٦٠.

(١١) هو عمرو بن محمد بن بكير الناقد، أبو عثمان البغدادي. توفي عام ٢٣٢هـ. محدث، ثقة، حافظ. نزيل الرقة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٢٦.

(١٢) هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي، أبو جعفر. ولد عام ١٦٠هـ/ ٧٧٧م. وتوفي عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٩م. حافظ، محدث، ثقة، له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٦٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠، تهذيب التهذيب ١/ ٨٤.

(١٣) لعله علي بن مسلم بن سعيد الطوسي. توفي عام ٢٥٣هـ. محدث، ثقة نزيل بغداد، من الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٠٥.

وعبدوس بن بشر[١]، والحسن بن شبيب[٢] في آخرين. ولاه موسى أخو هارون الرشيد قضاء بغداد، ثم الرشيد، وهو أول من لقّب بقاضي القضاة في الاسلام. لم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في أنه ثقة، وكان استخلف ابنه يوسف على الجانب الغربي، وأقرّه الرشيد على عمله، وولاه قضاء الرصافة. بعد أبيه.

قال بشر بن غياث: صحبت أبا يوسف سبع عشرة سنة، ثم انصبّت عليه الدنيا سبع عشرة سنة. قال أبو يوسف: ما أظنّ أجلي إلّا قد اقترب فما لبث شهرًا حتى مات. قيل: إنّه مات لخمس خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة.

روي أنّ الشيخ معروف الكرخي[٣] تأسّف حيث فاتته صلوٰته، فقيل له في ذلك إنّه ولي القضاء وكان من عمال السلاطين، قال: لأني رأيت البارحة كأني دخلت الجنة فرأيت قصرًا فرشت مجالسه وأرخيت ستوره، وقام ولدانه، قلت: لمن هذا؟ قالوا: لأبي يوسف. قلت: سبحان الله، وبم استحق هذا؟ قالوا: بتعليم العلم وصبره على أذاهم.

ذكر الإمام عبد الحميد الخوارزمي[٤] والإمام الصيمري عن يحيى بن حرملة عن أبي يوسف رحمه الله أنّه قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقلّ الحال، فجاء إليّ أبي وأنا عند الإمام فقال يا بني، لا تمدّ رجلك معه، فإنّ خبزه مشوي وأنت محتاج إلى المعاش، فاخترت طاعة والدي وقعدت عن الطلب فسألني الإمام وتفقدني وقال: ما خلّفك عنا؟ قلت: طلب المعاش. فلما رجع الناس دفع إليّ صُرَّة مائة درهم، فقال: أنفق هذا، فإذا نفد فأعلمني والزم الحلقة، وجعل كلما نفد يعطيني مائة أخرى بلا إعلامي كأنّه يخبر بنفاذها، حتى بلغت حاجتي من العلم، أحسن الله تعالى مكافأته وغفر له.

وذكر الإمام الحلبي[٥] عن علي بن الجعد عن أبي يوسف رحمه الله قال: مات أبي وأنا صغير، وسلمتني أمي إلى القصّار، فكنت أدع القصار وألزم حلقة الإمام. ولما طال ذلك، جاءت أمي إلى الإمام وقالت: ما للصبي أستاذ غيرك، أطعمه غزلي وهو يتيم. قال الإمام: دعيه يتعلّم أكل الفالوذج، بدهن الفستق. فولّت قائلة: هذا شيخ ذهب عقله، فلزمته حتى نفعني الله بالعلم، وتقلّدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد، وآكل على مائدته. فلما كان في بعض الأيام قدّم إلى الرشيد فالوذجة بدهن الفستق فقال: كلْ منها، فليس في كلّ يوم يعمل لنا مثلها، فضحكت. فسألني عن الضحك، فأخبرته وقال: لعمري إنّ العلم ينفع ويرفع دينًا ودنيا، وترحّم على الإمام وقال: كان ينظر بعين قلبه

---

(١) لعله عبدوس بن عبيد الله بن محمد بن عبدوس، أبو الفتح. توفي عام ٤٩٠هـ. محدث، راوٍ.
انظر عنه: شذرات الذهب ٣/ ٣٩٥.

(٢) هو الحسين بن علي بن أحمد، ابن شبيب النصيبي، أبو عبد الله. ولد عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م. وتوفي عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م.
كاتب، نديم، شاعر، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٤٦، إرشاد الأريب ٤/ ٧٩، فوات الوفيات ١/ ١٤٠.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) هو عبد الحميد بن عبد الله، أبو الفضائل الوبري الخوارزمي، فقيه حنفي، من رؤساء أصحاب أبي حنيفة، عالم مناظر متكلم اصولي محدث.
انظر عنه: الجواهر المضية ١/ ٢٩٨.

(٥) هو محمد بن ياسين، أبو طاهر البغدادي البزار، المعروف بالحلبي. توفي عام ٤٢٦هـ. ببغداد. إمام محقق، قارىء، له مصنفات.
انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٢٧٦.

ويرى ما لا يراه غيره بعين رأسه.

وعن شجاع بن محمد[١] عن أبي يوسف قال: مات أبي فلم أحضر جنازته وتركته على الجيران والأقارب خشية أن يفوتني مجلس من الإمام ما لا تذهب حسرته.

عن بشر بن الوليد قال: كان عيالي يدخلون على عيال أبي يوسف رحمه الله، فحكت امرأته القديمة أنّ أبا يوسف كان لا يغيب عن مجلس الإمام ليلًا ولا نهارًا إلّا في بعض الليالي، فذهبت إلى الإمام وشكيت من الإقلال. قالت: فوعظني وقال: إنّما هي أيام قلائل، وستفتح الدنيا لكم أضعاف ما ترجونه. فلم تمر الأيام حتى فتحت. فسألت أبا يوسف رحمه الله عن مقدار ما يملك، قال: لا أعرف الجميع، إنّما أعرف أنّ لي سبع مائة بغل ركابهن من ذهب وثلاث مائة فرس.

عن طلحة بن محمد بن جعفر[٢] أنّه كان مشهورًا بالعلم، ظاهر الفضل من أصحاب الإمام، أفقه أهل عصره، وهو أول من وضع في أصول الفقه على مذهب الإمام، وأملى المسائل وبثَّ علم الإمام في أقطار الأرض.

عن القاسم بن رزيق قال: كان أبو يوسف صغير الجثة يكاد يغرق في فراشه، فأخذ في الكلام فتحيرت وقلت: لو شاء الله أن يجعل العلم في جوف طير لفعل.

عن بشر بن الوليد آوى أبو يوسف رحمه الله ليلة إلى فراشه، فإذا رجل يقرع الباب، فإذا هو هرثمة بن أعين[٣]. فقال: أجب الخليفة. قال: ما السببُ. قال: لا أدري. خرج مسرور الخادم، فأمرني أن أجيء بك، فاغتسل وتحنّط وراح. قال: فدخلت فإذا عيسى بن جعفر[٤] عنده، فسلّمت، فردّ السّلام وقال: روَّعناك. ثم قال: عند هذا جارية لا يبيعني. قلت: وما قدرها حتى تمنعها من الخليفة؟ قال: ليس من العدل سرعة العزل، لي حلف على أن لا أبيعها ولا أهبها، قال الرشيد: هل من مخرج؟ قلت: نعم. يبيع النصف ويهب النصف، فيكون لم يبع ولم يهب، فأتى بالجارية وفعل كذلك، ثم قال الرشيد: يا يعقوب: إنْ لم أبت معها الليلة كادت نفسي تخرج، ولا بدّ من الاستبراء. قال: أعتقها وتزوّجها، فإنَّ الحرّة لا تستبرأ فأعتقها وتزوّجها على عشرين ألف دينار، ثم أمر لأبي يوسف رحمه الله عشرين تختاً من ثياب ومائتي ألف درهم، ووهبت الجارية له نصف مهرها، واعتذرت بأنّ نصفه جعلته لاحتياجي. قال بشر: فأخذ المال وأعطاني ألف دينار وقال: هل رأيت بأسًا فيما فعلت؟ قال بشر: قلت: لا.

روى أنّ الرشيد حلف بالطلاق ثلاثًا إنْ باتت زوجته زبيدة[٥] في ملكه وندم وتحيّر، فقال: إنّ

---

(١) هو محمد بن شجاع . أو شجاع بن محمد الثلجي. توفي عام ٢٦٦هـ. فقيه حنفي، من أصحاب الحسن بن زياد. عالم بالحديث والقراءات. ورع، له مصنفات. انظر عنه: تاج التراجم ٢٤٢، الأنساب ٣/ ١٣٨، اللباب ١/ ٢٤١، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٧، العبر ٢/ ٣٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٤٢، الفوائد البهية ١٧١، الجواهر المضية ٣/ ١٧٣.

(٢) هو طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد، أبو القاسم. ولد عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م. وتوفي عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م. مؤرخ، له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٢٩، لسان الميزان ٣/ ٢١٢.

(٣) هو هرثمة بن أعين. توفي عام ٢٠٠هـ/ ٨١٦م. أمير، قائد شجاع، تولى للرشيد واهتم بالعمران، له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٨١، النجوم الزاهرة ٢/ ٨٨، البيان المغرب ١/ ٨٩، شذرات الذهب ١/ ٣٥٨.

(٤) هو عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي، توفي نحو ١٨٥هـ/ ٨٠٠م. قائد، أمير عباسي، له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٠٢، تحفة الأعيان ١/ ٨٩.

(٥) هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور الهاشمية العباسية، أم جعفر توفيت عام ٢١٦هـ/ ٨٣١م. زوجة هارون الرشيد. فاضلة لها أخبار مشهورة. انظر عنها: الأعلام ٣/ ٤٢، وفيات الأعيان ١/ ١٨٩، تاريخ بغداد ١٤/ ٤٣٣، النجوم الزاهرة ٢/ ٢١٣، أعلام النساء ١/ ٤٣٠.

ها هنا فتى من أصحاب الإمام منه يرجى المخرج، فدعاه وعرض عليه فقال: استعمل حقّ العلم قال: كيف أنت على السرير وأنا قائم، فوضع له كرسي وجلس عليه ثم قال: تبيت الليلة في المسجد ولا يد لأحد عليه. قال الله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾[1]، فولاه الرشيد قضاء القضاة وقال له: حاجتك؟ قال: أنْ تخرجني من اليمين كما أخرجتك، فإنّ أمي كانت تنهاني عن التعلم فحلفت أنْ أطعمها خبيص سكر تتخذ للخليفة في طبق الخليفة، وكان في جواري يهودي فبنى كنيفًا وضيَّق الطريق فمنعته وقال: إذا جئت بعمارة الخليفة وضاق الطريق لها تهدمه فحلفت أنْ أفعل ذلك. فأمر بعمارته وركب عليها وجعل في طبق خبيصة، فبعث إلى أمّه، فلمّا ركب العمارة ضاقت المحلة بسبب الكنيف فهدم، فقال اليهودي: كنت علمت بالهدم حين قلت إذا ضاقت بالعمارة فاهدمه، وخرج أبو يوسف عن الحلفين.

يروى أنه حجّ مع الرشيد وكان زميله، وكان إذا بزق رفع ذيل العمارة، فبصق. فقال له الرشيد: أتدري مع من أنت، فباهى أنّه من آل هاشم. فقال أبو يوسف رحمه الله: فخرك بنسبك وفي العالم ألوف مثلك، وأنا أوحد العصر في العلم. فانقطع الخليفة وقال: يا ليتني كنت حمالًا وتعلمت العلم.

وقال محمد بن سلمة[2] الفقيه: حجّ أبو يوسف رحمه الله مع الرشيد، وتقدّم يعقوب للإمامة في عرفات فلمّا صلّى ركعتين سلّم وقال: يا أهل مكة أتموا صلوٰتكم فإنّا قوم سفر. فقال رجل من أهل مكة: نحن أعلم به منك وممن علمك. فقال: لو كنت كذلك لما تكلّمت في صلاتك فسُرَّ هارون وقال: وددت أنّ هذا الجواب لي بشطر مملكتي. وقيل: قال ذلك الرجل: جبلنا جبل الرحمة، ومنزل الحكم والعلم والبركات من السماء، ونحن مهبط الوحي، فقال: نعم، ولكن ما استقرّت الرحمة بجبلكم بل سالت إلينا في الأودية والشعاب فاستقرّت عندنا.

ذكر الإمام الغزنوي[3] عن هلال[4] أن أبا يوسف رحمه الله كان يحفظ التفسير والحديث وأيام العرب وكان أقل علومه الفقه.

وعن الإمام أحمد بن حنبل أنّه قال: صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة. وعنه أنّه قال: رؤوس النعمة ثلاثة: الإسلام والعافية والغنى، ولا يتم العيش إلّا بها.

وعن علي بن الجعد قال: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطي أنت له كلّك، فإذا أعطيت كلّك كنت في إعطائه البعض لك على غرر.

وعن الفضل قال: لا يبلغ في الفقه إلّا من ليس له همّ الدنيا والآخرة.

وعن محمد بن سماعة[5] أنّه كان يصلي

(١) الجن/١٨.

(٢) هو محمد بن سلمة بن أرشبيل اليشكري، أبو جعفر. توفي عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م. عالم بالأنساب واللغة. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٤٧، منهج المقال ٢٩٧.

(٣) هو عمر بن إسحاق بن أحمد الهندي الغزنوي، سراج الدين أبو حفص. ولد عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. وتوفي عام ٧٧٣هـ/ ١٣٧٢م. فقيه، حنفي، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٤٢، الفوائد البهية ١٤٨، الدرر الكامنة ٣/ ١٥٤، نزهة الخواطر ٢/ ٩٥.

(٤) هو هلال بن يحيى بن مسلم البصري. توفي عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م. فقيه حنفي، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٩٢، الجواهر المضية ٢/ ٢٠٧، الفوائد البهية ٢٢٣، كشف الظنون ٢/ ١٠٤٦.

(٥) هو محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي، أبو عبد الله. ولد عام ١٣٠هـ/ ٧٤٨م. وتوفي عام ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م. حافظ، ثقة، له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٥٣، الجواهر المضية ٢/ ٥٨، الوافي بالوفيات ٣/ ١٣٩، تاريخ بغداد ٥/ ٣٤١.

بعدما ولّي القضاء كل يوم مائة ركعة.

وعن بشر بن القاسم[١] قال: قال أبو يوسف رحمه الله: أخذت الفرائض ومسائل الحيض عن الإمام في مجلس، والنحو عن رجل حاذق في مجلس.

وذكر عباس الدوري[٢] أنه كلّم الخليفة في أرزاق الأنصار فأجرى عليهم وكان هو منهم، وكان معظّمًا لأمور الدين، لم يكن يرفع يديه تحت الثياب إذا دعا ربه بل كان يبرز وكان يصوم رجب وشعبان.

وعن محمد بن فضل بن عطية[٣]: رأيت رجلين يتساومان جارية، فقال أحدهما: مثلي ومثلك قول الله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[٤]، فسمع أبو يوسف رحمه الله كلامهم فتغيّر لونه وكاد يغشى عليه، فأقبل يعاتب القائل وقال: أما يخشى أحدكم من الله تعالى، يجعل كلامه بذلة لكلامه. أمّا ينبغي لقارئ القرآن أن يقرأه بخشوع وورع وهيبة، ما أراك إلّا وقد زال عقلك. وفي رواية: سمع رجلًا يقول لآخر: ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾[٥] فعاتبه بهذا العتاب. قال محمد بن الفضل: كنت لا أحب أبا يوسف رحمه الله لمخالطة الولاة، فلما سمعت هذا الكلام أحببته.

وذكر أبو إسحاق الرازي[٦] أنّه سئل عن ركابه حيث كان من الذهب وقد نهى عنه، قال: أريد أن أري الناس عزّ العلم أنّ ابن الخياط[٧] بلغ به جلالة العلم إلى هذا القدر، حتى يزداد الناس حرصًا. قيل وكان هو أول من خوطب بقاضي القضاة. وأول من غيّر لباس العلماء بهذا الزي، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وأملى المسائل ونشرها في أقطار الأرض، حتى قيل: لولا أبو يوسف لما ذكر أبو حنيفة رحمه الله. وكان يقول: ما قلت قولًا خالفت فيه أبا حنيفة رحمه الله، وإنّما هو قول قاله ثم رغب عنه.

وعن إبراهيم بن مسلمة الطيالسي[٨] أنّه كان يدعو للإمام قبل أبويه، وقال: كان الإمام يدعو لحماد[٩] قبل أبويه. وكانت له عند الرشيد منزلة رفيعة بحيث يبلغ دار الخلافة راكبًا بغلته، فيرفع

---

(١) هو بشر بن القاسم بن حماد بن عبد ربه، أبو سهل السلمي الهروي النيسابوري المعروف ببشرويه. توفي عام ٢١٥هـ. فقيه حنفي. له عدة كتب. انظر عنه: الجواهر المضية ١/ ١٦٦.

(٢) هو عباس بن محمد الهاشمي الدوري البغدادي، أبو الفضل. ولد عام ١٨٥هـ/ ٨٠١م. وتوفي عام ٢٧١هـ/ ٨٨٤م. حافظ، ثقة. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٦٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤٢، تهذيب التهذيب ٥/ ١٢٩، تاريخ بغداد ١٢/ ١٤٥.

(٣) هو محمد بن الفضل بن عطية بن عمر العبدي الكوفي. توفي عام ١٨٠هـ. نزيل بخارى. من المجروحين في الرواية. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٠٢.

(٤) صٓ/ ٢٣.

(٥) طٰه/ ٤٠.

(٦) هو إبراهيم بن نصر، أبو إسحاق الرازي ابن عبد العزيز. توفي حوالي ٢٨٠هـ محدث، حافظ، إمام مجوّد. له تصانيف. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٥٥، طبقات القراء ١/ ٢٨.

(٧) هو محمد بن علي المروزي، أبو عبد الله. ولد سنة بضع وثلاثين ومائتين من الهجرة. توفي بعد العشرين وثلاثمائة هجرية. إمام محدث، حافظ قاضٍ ورع. ولي قضاء نيسابور. له أخبار. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٦٤.

(٨) لم نعثر عن من تسمى بإبراهيم بن مسلمة، وإنما هو محمد بن مسلمة. على الأرجح، ابن الوليد أبو جعفر الطيالسي. ولد عام ١٧٨هـ، وتوفي عام ٢٨٢هـ. محدث، له رواية وأخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٥، تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٥، ميزان الاعتدال ٤/ ٤١، الوافي بالوفيات ٥/ ٣٠.

(٩) هو حماد بن أبي سليمان، مسلم الأشعري. أبو إسماعيل الكوفي. فقيه، محدث، صدوق. اتهم بالإرجاء، يعد من الطبقة الخامسة. وتوفي عام ١٢٠هـ. انظر عنه: تقريب التهذيب ١٧٨، ميزان الاعتدال ١/ ٢٧٩.

له الستر فيدخل كما هو راكبًا، والرشيد يبدأه بالسلام حتى ردّ شهادة بعض قوّاده، فشكاه، فسأله الرشيد فقال: سمعته يقول: أنا عبد الخليفة، فإنْ كان صادقًا فلا شهادة له، وإنْ كان كاذبًا فشهادته مردودة. قيل: قال الخليفة له: إنْ أنا شهدت أمراً هل تقبلها مني؟ قال: لا. فسأل عن ذلك، قال: لأنك تتكبّر على الخلق، ولا تحضر الجماعة مع المسلمين، فبنى الرشيد مسجدًا في داره، وأذن للعامة في الصلوٰة في مسجده، فحضر بعد ذلك الصلوٰة معهم.

ويروى أنّ الرشيد قال له يومًا: إنّك تبطئ في زيارتي وأنا راغب مشتاق إلى صحبتك. قال: إنّما يحصل لك الشرف بزيارتي إذا زرتك في بعض الأوقات، وأمّا إذا أكثرت منها فلا يحصل لك الشرف أصلًا. قال فقبّله الرشيد واستحسن جوابه.

روي أنّ الرشيد لما جعل الأمين ولي عهده في صباه، قال أبو يوسف رحمه الله: الحمد لله الذي جعل ولي عهد المؤمنين من لم يسود صحيفته بالأوزار، فبلغ ذلك، أمه زبيدة فأنفذت إليه مائة ألف درهم.

عن علي بن عيسى القمي(١) قال: جئت إلى أبي يوسف رحمه الله في وقتٍ ظننت أنّه مشتغل بجواريه، فإذا على الطاقات قماطر حول البيت، قال: هذا قضايا قضيت بها على عباد الله تعالى وأنا محتاج إلى أن أعدّلها جوابًا يوم القيامة.

وعن القاسم بن حكيم(٢) قال: سمعته يقول: يا ليتني متّ على ما كنت عليه من الفقر ولم أدخل في القضاء، على أني بحمد الله تعالى ما تعمّدت جورًا ولا حابيت خصمًا من خصم من سلطان ولا سوقة.

وعن محمد بن جماعة(٣) سمعته يقول في اليوم الذي مات فيه اللهم إنك تعلم أني لم أظلم في حكم حكمت به بين عبادك متعمدًا، واجتهدت على أن يوافق كتابك وسنة نبيّك عليه الصلوٰة والسلام، وما لم أجده جعلت بيني وبينك الإمام أبا حنيفة رحمه الله لعلمي أنّه لم يكن أحد أعلم به منه.

وعن بشر بن الوليد قال: قال في مرضه الذي مات فيه: اللهم إنك تعلم أني لم أطأ فرجًا حرامًا قط، وأنا أعلم وإنك تعلم أني لم آكل درهمًا حرامًا.

وذكر الإمام أبو الفرج سعيد بن رجاء الأصفهاني(٤) عن أبي عبد الله السبذموني(٥) عن أبيه قال: سمعته يقول عند موته: اللهم إنْ كنت تعلم أنه ما تقدّم إليّ خصمان فأحببت أن يكون القضاء لأحدهما فاغفر لي. قال أبو حفص: ورأيتهم على مثله أن يقول في مثل هذه الحالة

---

(١) هو علي بن موسى – وليس عيسى – بن يزداد أو يزيد القمي. توفي عام ٣٠٥هـ. محدث، فقيه مجتهد، له مصنفات عديدة.
انظر عنه: تاج التراجم ٢٠٦، اللباب ٣/٥٦، سير اعلام النبلاء ١٤/٢٣٦، الأعلام ٥/١٧٨، الجواهر المضية ٢/٦١٨.

(٢) هو القاسم بن الحكم بن كثير العربي. توفي عام ٢٠٨هـ/٨٢٣م. قاضٍ، من رجال الحديث. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٧٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٣١١.

(٣) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله. قاضٍ، عالم بالحديث، مشارك في كثير من العلوم، له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٢٩٧، فوات الوفيات ٢/ ١٧٤، الأنس الجليل ٢/ ٤٨٠، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٣.

(٤) هو سعيد بن أبي الرجاء، محمد بن بكر، أبو الفرج الأصبهاني الخلال السمسار. توفي عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م. محدث، فقيه، عالم، له عدة تصانيف.
انظر عنه: المنهل الصافي ١/ ٣٠٣، العبر ٤/ ٣٠٦.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث الكلاباذي السبذموني، أبو محمد، ويعرف بالأستاذ، ولد عام ٢٥٨هـ/ ٨٧٢م. وتوفي عام ٣٤٠هـ/ ٩٥٢م. من أئمة الحنفية، له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٢٠، الفوائد البهية ١٠٥، الجواهر المضية ١/ ٢٨٩، اللباب ١/ ٥٢٨.

قولًا بخلاف ما كان هو فيه، والله أعلم.

ومن المجتهدين: الإمام أبو عبد الله، محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني من قرية تسمى حرستا[١]، من أعمال دمشق. قدم أبوه العراق فولد محمد بواسط، ونشأ بالكوفة. وقيل: إنه مولى لبني شيبان من قرية فلسطين، ثم انتقل إلى الكوفة. وذكر الإمام العلامة النسفي[٢] صاحب المصفى[٣] والكافي أنه محمد بن الحسن بن عبد الله بن طاوس بن هرمز، ملك بني شيبان؛ وأبو حنيفة رحمه الله نعمان بن ثابت بن طاوس بن هرمز، أسلم على يد عمر.

وقد نقل عن بعض الكتب أنّ هذه النسبة تبلغ إلى أفريدون. وذكر الخطيب البغدادي أنه من الجزيرة، كان أبوه في جند الشام ولد بواسط في سنة إثنتين وثلاثين ومائة، نشأ بالكوفة وغلب عليه الرأي أي الاجتهاد. قدم بغداد وسمع منه الناس الحديث والرأي. سمع العلم من الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ومسعر بن كدام، والثوري، وعمر بن ذر، ومالك بن مغول، ومالك، وأبي عمر والأوزاعي، وزمعة بن صالح، وبكير بن عامر[٤]، وأبي يوسف. سكن بغداد وحدّث بها. روى عنه الإمام الشافعي، وأبو سليمان الجوزجاني[٥]، وهشام بن عبد الله الرازي[٦]، وأبو عبيد القاسم بن سلام[٧]، واسمٰعيل بن توبة[٨]، وعلي بن مسلم الطوسي، وغيرهم. كان الرشيد ولاه القضاء، فخرج معه إلى خراسان ومات بالري ودفن به. وكان الإمام محمد من أحسن الناس وجهًا ولباسًا. قدم به أبوه إلى الإمام فقال لوالده: إحلق رأسه وألبسه الخلقان ففعل، فزاد جمالًا. وفيه يقول أبو

---

(١) حرستا، بفتح الحاء المهملة والراء، وبسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ألف مقصورة قرية على باب دمشق في وسط الغوطة. (هامش الأصل).

(٢) أبو البركات النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، حافظ الدين، متوفى عام ٦٧٠هـ/ ١٣١٠م. فقيه أصولي. مفسر، متكلم. له تصانيف عديدة.
معجم المؤلفين ٦/ ٣٢، الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧، الجواهر المضية ١/ ٢٧٠ الفوائد البهية ١٠١.

(٣) منظومة النسفي في الخلاف، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي (- ٥٣٧هـ). من شروحها: شرح لأبي البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي، شرح شرحاً بسيطاً سماه المستصفى ثم اختصره وسماه المصفى.
كشف الظنون ٢/ ١٨٦٧.

(٤) هو بكير بن عامر البجلي، أبو إسماعيل الكوفي. محدث، يعد من الطبقة السادسة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٢٨.

(٥) هو موسى بن سليمان، أبو سليمان الجوزجاني. توفي بعد المائتين. فقيه، راوٍ له عدة تصانيف.
انظر عنه: تاج التراجم ٢٩٨، الجرح والتعديل ٨/ ١٤٥، الأنساب ٣/ ٣٦٢، هدية العارفين ٢/ ٤٧٧، الجواهر المضية ٢/ ١٨٦، الفوائد البهية ٢١٦.

(٦) هو هشام بن عبيد الله الرازي توفي عام ٢٠١هـ/٨١٧م. فقيه حنفي، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٨٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٤، لسان الميزان ٦/ ١٩٥، الجواهر المضية ٢/ ٢٠٥.

(٧) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي الخراساني البغدادي، أبو عبيد. ولد بهراة عام ١٥٧هـ/ ٧٧٤م، وتوفي بمكة عام ٢٢٤هـ/٨٣٨م. من كبار علماء الحديث والأدب واللغة والفقه، تنقل في البلاد. وله الكثير من المؤلفات الهامة.
الأعلام ٥/ ١٧٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٣١٥، وفيات الأعيان ١/ ٤١٨، طبقات النحويين واللغويين ٢١٧، غاية النهاية ٢/ ١٧، طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٩، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣، طبقات السبكي ١/ ٢٧٠.

(٨) هو إسماعيل بن ثوبة بن سليمان بن زيد الثقفي، أبو سليمان أو أبو سهل الرازي. محدث، صدوق، من الطبقة العاشرة. توفي عام ٢٤٧هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٠٦.

نواس:

حلقوا رأسه ليكسوه قبحًا غيرة منهم عليه وشحا

كان في وجهه صباح وليل نزعوا ليله وأبقوه صبحا

وعن وكيع: كنا نتجانب أن نمشي معه في طلب الحديث لأنه كان غلامًا جميلًا. وعن عبدالله بن محمد بن سلام أنه رأى في المنام كأنّ قمرين وقعا من السماء إلى الأرض، فما مضى شهران حتى مات محمد والكسائي بعده بيومين. ذكر أنه مات بالري سنة تسع وثمانين ومائة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وقيل إنّ الإمام محمدًا والكسائي ماتا في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنت بالري الفقه واللغة.

روي أنّ الرشيد قال: إنها بلدة مشئومة دخلتها ومعي الفقه والأدب، وخرجت وليس معي شيء منهما. دفن الإمام محمد بجبل طبرك[1] بقرب دار هشام بن عبد الله الرازي، والكسائي بقرية أزنبويه، وبينهما أربعة فراسخ، وكان معسكره أربعة فراسخ، نزل الإمام محمد في جانب والكسائي في جانب.

عن هشام بن عبد الله الذي توفي الإمام في بيته أنه لما حضرته الوفاة بكى وقال: لو أوقفني الله تعالى وقال يا محمد: ما أقدمك على الرّي، أمجاهدًا في سبيلي أم ابتغاء مرضاتي ما أقول؟

عن الربيع عن الشافعي: ما رأت عيناي مثل محمد بن الحسن، ولم تلد النساء في زمانه مثله.

حكي أنه قيل لمحمد رحمه الله: ألا تصنف في الزهد كتابًا، قال: نعم. وقد كان فرغ من تصنيف الأحكام وخفّ دماغه، وأراد أن يصنف في الزهد مائة تصنيف، فلم يتفرغ إلاّ لهذا الكتاب، وأنه كان في الزهد والورع. وقيل: إنّه طلب من محمد أن يفهرس تصانيفه فبلغ ألف تصنيف، لو عاش لأتمّها وأتعب المقتبسين. وقيل: موته رحمة وحياته رحمة.

وعنه عن الشافعي رحمه الله: ليس لأحد عليَّ من المنة في العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد عليَّ. وكان يترحم عليه في عامة الأوقات، وقال: حبست بالعراق لدين فسعى محمد حتى خلصني فأنا له شاكر من بين الجميع. قيل: أفلس الشافعي فأمر محمد أصحابه فجمعوا له مائة ألف درهم، ثم أفلس الثانية فأمر له سبعين ألف درهم، ثم أفلس في الثالثة وقال: لو كان فيك خير لكفاك ما جمعت لك ولعقبك. وقيل: كان الشافعي مشتغلًا بكتب محمد، فلما قال ذلك أظهر الخلاف.

وعن الجارود بن معاوية قال: كان الشافعي بالعراق يصنف الكتب، وأصحاب محمد يكسرون عليه أقاويله بالحجج، وأصحاب الحديث أيضًا لا يلتفتون إلى أقواله، ويرمونه بالاعتزال. فلما لم يقم له بالعراق سوق خرج إلى مصر، ولم يكن بها فقيه معلوم فقام بها سوقه.

عن أبي عبيد قال: قدمت على محمد فرأيت الشافعي عنده، فسأله عن شيء فأجاب فرضي بالجواب فكتبه، فرآه محمد فوهب له مائة درهم وقال: إنْ كنت تشتهي العلم فالزم. فسمعت الشافعي يقول: لقد كتبت عنه حمل بعير ولولاه ما لصق بي من العلم شيء، والناس كلهم عيال على أهل العراق، وهم على أهل الكوفة، وهم على الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وقال: لو كان محمد يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا كلامه، لكن كان يكلمنا على قدر عقولنا.

---

(١) طبرك: بفتح أوله وثانية، وآخره كاف، قلعة على رأس جبل بمدينة الرّي، على يمين القاصد إلى خراسان، على يسار جبل الرّي الأعظم، وهو متصل بخراب الرّي، خربها السلطان طغرل. (هامش النسخة المصرية).

وقال: ما رأيت سمينًا عاقلًا قط غيره وما رأيت سمينًا قط أخفّ روحًا منه. وأنشدوا للشيخ سيف الدين الباخرزي البخاري[1]:

يقولون أجسام المحبين نضوة ... وأنت سمين لست غير مرائي

فقلت لأنّ الحبّ خالف طبعهم ... فوافق لي طبعي فصار غذائي

وعن ابن سماعة أنّه قال لأهله: لا تسألوني حاجة فإنّ فيها شغل قلبي، وخذوا ما بدا لكم من وكيل لي فإنه أفرغ لقلبي.

وحبس محمد في السجن وضيّق عليه لامتناعه عن القضاء، وكان من أورع الناس، وكان أهل بغداد أميل إليه وآخذ بقوله من قول أبي يوسف رحمه الله تعالى.

وعنه أنه قال: مذهبي ومذهب الإمام في تفضيل الصحابة: أبو بكر ثم عمر ثم علي ثم عثمان رضي الله عنهم.

وعن محمد بن سلمة أنّه كان جزء من الليلة ينام، وجزء يصلي، وجزء يدرس. وكان يتوسخ لباسه ولا يتفرغ لنزعه. وكان في داره ديك يصوت فقال: إذبحوه فإنّه يشغلني. وكان لا ينام بالليل ويضع حوله كراريس ربما يرفع منها واحدًا ثم يضعه، ويرفع آخر. وكان بين يديه طشت، وربما ينزع قميصه وبين يديه عشر جوارٍ روميات عالمات بالكتابة والعربية يقرأن عليه العلم. فقيل له: لِمَ لا تنام؟ قال: كيف أنام وقد نامت عيون المسلمين ثقة بي ويقولون: إذا وقع بنا أمر رفعناه إليه، فإذا نمت ففيه تخريب الدين. وكان يقول: النوم من الحرارة فادفعها بنزع الثوب وبصبّ الماء من الطشت على جسدي. وأما أنّ الكراريس فلأنّ العلم ثقيل، فإذا ثقل هذا أخذت هذا.

وعن محمد بن سماعة أنّ الرشيد كان قد أعطى ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2] كتاب الأمان ثم أراد إبطاله، فسأل محمدًا عن ذلك فقال: هذا أمان صحيح ودمه حرام، فدفع الكتاب إلى الحسن بن زياد فقال بصوت ضعيف: أمان، فغضب الرشيد. فدخل البختري[3] وهب بن وهب القاضي[4] وأخرج من خفه سكينًا فقطع الكتاب من غير أن يسأل عنه وقال: هذا أمان مفسوخ وكتاب فاسد، أقتله ودمه في عنقي، فضرب الرشيد بالدواة وجه محمد فشجَّه وخرج وهو يبكي. قال ابن سماعة: قلت له: أتبكي من شجة في الله تعالى، قال: إنما أبكي لتقصيري حيث لم أقل للبختري بأي حجة قلت ذلك. قال الرشيد: لما غضب على محمد أنّ الذي يقوّم عزم هؤلآء على الخروج علينا أنت وأمثالك، ومنع محمدًا عن الفتيا، ثم بعد مدة قربّه الرشيد وولّاه قضاء القضاة، وحمل معه

---

(١) هو علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن. توفي عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م. أديب من الشعراء الكتاب. له علم بالفقه والحديث. وله عدة كتب.
الأعلام ٤/ ٢٧٢، وفيات الأعيان ١/ ٣٦٠، شذرات الذهب ٣/ ٣٢٧.

(٢) هو يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. توفي نحو عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. من كبار الطالبيين أيام العباسيين، راوٍ للحديث، فقيه، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٥٤، مقاتل الطالبيين ٣٠٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٦٢، البداية والنهاية ١٠/ ١٦٧.

(٣) وهو أبو البختري بفتح التاء وسكون الحاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فوق. (هامش الأصل).

(٤) هو وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة، من بني المطلب بن أسد بن عبد العزى القرشي، أبو البختري. توفي عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م. قاضٍ، عالم الأخبار والأنساب. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٢٦، لسان الميزان ٦/ ٢٣١، إرشاد الأريب ٧/ ٢٣٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٨١، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٨.

إلى الري حين خرج إلى مقاتلة رافع بن ليث بن نصر بن سيار[١] بسمرقند، وتوفي هو بها كما ذكرناه.

وعن أبي نصر محمد بن سلام[٢] وصف عند هارون فصاحته وعلمه وفهمه، فأمر بإحضاره، فعلم أبو يوسف أنه لو أحضر ربما يميل إليه قلب الخليفة ويهجره. فقال: يا أمير المؤمنين: إنّه لا يصلح لمجلس الخليفة لما به من سلس البول، وليس فيه ذلك. فقال الخليفة: إذا أراد القيام فليقم. فجاء إلى محمد وقال أبو يوسف: إنّ الخليفة يحب أن يراك ويسمع كلامك ولكنك لا تعرف آداب الخلفاء، فإذا أشرت إليك القيام فقم. فحضر مجلس الخليفة فلما مال قلب الخليفة إليه بالكلية لفصاحته وحلو منطقه، وكان في أطيب الكلام أشار إليه أن يقوم فقام. فقال الرشيد: لولا به ما قال ما قام. فبلغ ذلك محمدًا فقال: اللهم لا تخرجه من الدنيا حتى يبتلي بما نسبني إليه، فحج أبو يوسف مع الرشيد في عمارة واحدة فأخذه البول فاستحيى من الرشيد أن يبول فصبر، فانشقت مثانته ومات من ذلك. فحكى ذلك للرشيد فقال: لو علمت أنّه كذلك لأذنت له أن يبول في ذيلي. ولما مات رحمه الله لم يخرج محمد لجنازته. قيل إنّ جواري أبي يوسف رحمه الله كن يبكينه ويقلن:

اليوم يرحمنا من كان يحسدنا
اليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

قيل: وعيّره محمد رحمه الله بمخالطة السلطان فدعا عليه أبو يوسف فاستجيب له فيه، فلم يخرج من الدنيا حتى ابتلي بالقضاء ستة أشهر. قيل: كان الإمام محمد يكتب في تصانيفه. روى محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة رحمه الله: وبعد ما وقع ما وقع، كتب روى محمد عن أبي حنيفة وهجر اسم أبي يوسف كما يشاهد في آخر تصانيفه، وبين بعض المتأخرين لفعل كل منهما محامل بعيدة[٣]، لكن الأمر ظاهر للمتأمل.

ومن الأئمة الحنفية عبد الله بن المبارك المروزي[٤]، مولى رجل من بني حنظلة أو بني عبد شمس أو بني سعد تميم ولد سنة ثمان عشرة ومائة، أو تسع وعشرين ومائة، وكانت أمه خوارزمية وأبوه تركيًا. وسئل عن بدء أمره قال: كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا، حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلت وشربت إلى الليل، وكنت مولعًا بضرب العود والطنبور. فقمت في بعض الليل فضربت وطائر على شجرة فوق رأسي يصيح، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد، وإذا العود الذي بيدي ينطق كما ينطق الإنسان ويقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ

---

(١) هو رافع بن الليث بن نصر بن سيار، توفي عام ١٩٥هـ/ ٨١١م. ثائر، من بيت إمارة ورياسة. له أخبار مشهورة.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٢، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٣، النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٢.

(٢) هو محمد بن محمد بن سلام، أبو نصر البلخي. توفي عام ٣٠٥هـ. محدث، فقيه، له عدة كتب.
انظر عنه: تاج التراجم ٥١، الجواهر المضية ٣/ ٣٢٦.

(٣) وقد أطنب شمس الأئمة السرخسي في أول شرح السير الكبير في هذه المقالة، ولفعل كل واحد منهما محامل، فيجوز أن يكون مراد الإمام الثاني من تنحيه عن باب الخلافة لقصد صحيح، وكل واحد من الناس له تقاطر لبوله، فجاز أن يطلق عليه سلس البول حتى لا يفعل به الخليفة كما فعل بمن هو أقدم منه، وبمن هو أعلم منه، لأنه كان عالماً بمزاجهما، وكان يعلم من مذهب محمد التأبّي في دخول القضاء، فإنا قد ذكرنا امتناعه عن قضاء الشام، وكان يعلم من مذهب هارون جبره على القضاء. فإن قلت: يرد ما ذكرت قبوله القضاء بعد شيخه بستة أشهر. قلت: ليس كذلك، فإن القبول بعد شيخه لتعينه لا يلزم القبول قبل موته لعدم التعين ولوجود القائم بالحق، والله يعلم المفسد من المصلح. ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾. ولسنا نقول في أئمة الهدى إلا ما يليق بهم. (هامش الأصل).

(٤) انظر ترجمته في: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٨٥، حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣، الجواهر المضية ١/ ٢٨١.

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[(١)]. قلت: بلى والله، فتركت العود وكسرته، وصرفت من كان عندي. قال: فكان هذا أول زهدي. وكذلك كانت هذه الآية سبب التوبة لفضيل بن عياض كما ذكر في موضعه. وذكر السمعاني والصيمري أنّ عبد الله بن المبارك مات بهيت[(٢)] سنة ثمانين ومائة. ذكر صاحب حلية الأولياء[(٣)] أنه ورد على الرشيد من عامل هيت أنّه مات هنا غريب يدعى بعبد الله بن المبارك، فاجتمع الناس على جنازته. قال الرشيد لوزيره: يا فضل بن الربيع إيذن للناس يعزوننا فيه، فتعجب الفضل، وقال الرشيد: كان ينشد:

الله يـدفـع بـالـسـلـطـان مـعـضـلـة
عـن ديـنـنـا رحـمـةً مـنـه ورضـوانـا
لـولا الأئـمـة لـم تـأمـن لـنـا سـبـلٌ
وكـان أضـعـفـنـا نـهـبـاً لأقـوانـا

عن أشعث بن شعبة[(٤)] قال: قدم علينا بالرقة[(٥)] ابن المبارك فانجفل الناس إليه حتى تقطعت النعال وارتفعت الغبرة، وكان الرشيد فيها، فأشرفت أم ولد للرشيد من برج وقالت: مَنْ هذا؟ قالوا: قدم من خراسان عالم. قالت: هذا هو الملك ولا يجتمع الناس على هارون إلاّ بشُرُط وأعوان.

عن ابن إسحاق: نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم فضلًا عليه إلاّ بصحبة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وكان كتبه التي حدَّث بها من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام عشرين ألفًا، أو أحدًا وعشرين ألفًا.

ومن لطيف ما يُحكى عنه أنّه عطس رجل فلم يحمد الله تعالى فقال له: ما يقول العاطس؟ قال: الحمد لله. قال: يرحمك الله. قال الراوي وهو محمد بن حنبل[(٦)]: فتعجبنا من حسن أدبه.

عن أبي وهب[(٧)]: قال له رجل أعمى: أدع الله تعالى أن يردّ عليَّ بصري. فدعا، فردّ الله تعالى عليه بصره وأنا أنظر.

وعن المسيّب بن واضح[(٨)]: كلّمه طائفة أنْ يقضي عن رجل سبع مائة درهم، فكتب إلى

---

(١) الحديد/١٦.
(٢) هيت، بالكسر وآخره تاء مثناة، سميت باسم بانيها، وهو هيث بن البندي. ويقال: البلندي. بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة، على جهة البرية، في غربي الفرات، وبها قبر عبد الله بن المبارك. (انظر مراصد الإطلاع ١٤٦٨).
(٣) حلية الأولياء في الحديث للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (- ٤٣٠هـ).
كشف الظنون ١/ ٦٨٩.
(٤) هو أشعث بن شعبة المصّيصي، أبو أحمد الخراساني. محدث، يعد من الطبقة الثامنة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١١٣.
(٥) وسط بلاد مضر، مدينة بالعراق مما يلي الجزيرة. وحولها سهول منبسطة يجري فيها الماء، وعليها سوران، وقد فتحها عياض بن عنم سنة ١٨هـ. زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفيها مساجد وأسواق عامرة. وهناك أكثر من قرية تسمت بهذا الإسم.
انظر عنها: الروض المعطار ٢٧٠، معجم ما استعجم ٢/ ٦٦٦، نزهة المشتاق ١٩٦، فتوح البلدان ٢٠٦، معجم البلدان: مادة الرقة.
(٦) لم يعثر له على ترجمة.
(٧) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي، أبو وهب. توفي عام ٤١هـ/ ٦٦١م. صحابي جليل، فصيح جواد. من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام. شهد المواقع وله رواية.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٠٥، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٤، المحبر ١٤٠.
(٨) هو المسيب بن رافع، أبو العلاء الأسدي، الكاهلي الكوفي. توفي عام ١٠٥هـ فقيه كبير، محدث، ثقه. له أخبار.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٦/ ٢٩٣، طبقات خليفة ١٥٥، شذرات الذهب ١/ ١٣١، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٢.

وكيله فأمر له سبعة آلاف درهم، وأعاد الوكيل إليه الكتاب بأنّ القلم قد غلط. فكتب إليه: أعطه أربعة عشر ألف درهم. فكتب إليه الوكيل: أنّ العمل إذا كان على هذا الوجه فإنّ الضيعة تباع. فكتب إليه إنْ كنت وكيلي فأنفذ ما أمرتك به، وإلاّ فاقعد وأنا أكون وكيلًا لك أنفذ أمرك، فإني سمعت سفيان قال: سمعت ليثًا قال: سمعت مجاهدًا قال: سمعت ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: «من فاجأ من أخيه فرحة غفر الله له»[١]، فأحببت أنْ أدخله فرحة بعد فرحة.

قال صاحب حلية الأولياء: أدرك ابن المبارك من التابعين يحيى بن سعيد الأنصاري وسليمان التيمي وحميد الطويل[٢] وأمثالهم، وكثيرًا من الأئمة مثل سفيان وابن جريج وشعبة. حدّث عنه من الأئمة مثل معتمر بن سليمان[٣] والوليد بن مسلم وأمثالهما.

وعن ابن المبارك: أن أول العلم النية ثم الفهم ثم العمل ثم الحفظ ثم النشر. وكان أكثر أوقاته في الجهاد، وكان يقاتل ويبلي بلاءً حسنًا، فإذا كان وقت القسمة غاب. فقيل له في ذلك، قال: يعرفني الذي أقاتل له، وفضائله كثيرة، وفيما ذكرناه مقنع.

ومن الأئمة الحنفية أبو الهذيل أو أبو خالد زفر بن هذيل بن صباح الكوفي. وكان من أصبهان، وكان أحد العشرة الذين دوّنوا الكتب. قال أصحابه: ما كنا نقدر أن نذكر الدنيا بين يديه، إذا ذكرها واحد منا قام عن المجلس وتركه. وكنا نحدّث فيما بيننا أنّ الخوف قتله.

عن محمد بن عبد الله الأنصاري[٤] قال: أكره زفر على أن يلي القضاء فأبى، وهدم منزله، واختفى مدة، ثم خرج وأصلح منزله. ولما أكره ثانيًا اختفى كذلك حتى عفى عنه.

وعن يحيى بن معين: زفر زاهد ثقة مأمون.

عن بشر بن القاسم: سمعته يقول: لا أخلف بعد موتي شيئًا أخاف عليه الحساب. فلما مات قوّم ما في بيته فلم يبلغ ثلاثة دراهم. ولما احتضر قال أبو يوسف رحمه الله وغيره: أوصِ. فقال: هذا المتاع لزوجتي، وهذه ثلاثة الآف درهم لولد أخي، وكان تزوّج امرأة أخيه بعد وفاته. وأما أنا فليس لي على أحد ولا لأحد عليّ شيء.

عن عبد الله بن أبي رزمة[٥]: كنا نختلف إليه وإلى أبي يوسف، وكان أبو يوسف يطول المسئلة ويبسط فتلتبس علينا المسئلة. وكنا إذا جالسنا زفر يختصر المسئلة ويجيىء بالدليل القاطع من غير حشو.

وعن يحيى بن أكثم قال: قال زفر رحمه

---

(١) الأصبهاني، ذكر أخبار أصبهان، ٢/ ٥، بلفظ: «من أخيه المسلم».

(٢) هو حميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة الخزاعي البصري. ولد عام ٦٨هـ/ ٦٨٧م. وتوفي عام ١٤٢هـ/ ٧٦٠م. تابعي، محدث. له صحيفة حميد الطويل.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٨٣، العبر ١/ ١٩٤، شذرات الذهب ١/ ٢١١.

(٣) هو معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي الدار. أبو محمد. ولد عام ١٠٦هـ/ ٧٢٤م. وتوفي عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. محدث، حافظ ثقة. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٦٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٥، الرسالة المستطرفة ٨٢.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري، أبو عبد الله. ولد عام ١١٨هـ/ ٧٣٦م. وتوفي عام ٢١٥هـ/ ٨٣٠م. قاضٍ، فقيه، عالم بالحديث.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٢١، ميزان الاعتدال ٣/ ٨٢، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٧٤، تاريخ بغداد ٥/ ٤٠٨، الفوائد البهية ١٧٩.

(٥) هو عبد العزيز بن أبي رزمة اليشكري، أبو محمد المروزي. توفي عام ٢٠٦هـ. محدث، ثقة، وليس عبد الله بن أبي رزمة كما ذكر المؤلف.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٥٧.

الله: لم أجتر أن أخالف الإمام بعد وفاته لأنه ألزمني وردّني إلى قوله في حياته، وأما بعد وفاته فكيف أخالفه وهو لو كان حيًا وحاجّ ردّني إلى قوله.

عن الحسن بن زياد: كان زفر وداود الطائي متواخيين، فترك داود الفقه وأقبل على العبادة، وأما زفر فجمع بينهما. مات زفر بالبصرة في أول خلافة المهدي سنة ثمان وخمسين ومائة[1]. وكان أبوه هذيل واليًا على البصرة، ومات وهو وال عليها. وكان أخوه صباح بن الهذيل واليًا على صدقات بني تميم، وكانت أمه أمة، وكان وجهه يشبه وجوه العجم ولسانه لسان العرب.

عن الوليد بن حماد[2] أخي حسن بن زياد: قلت لعمي حسن: كيف كان هو وأبو يوسف عند الإمام؟ قال: كأنهما عصفوران انقضّ عليهما البازي.

ومن الأئمة الحنفية: الإمام داود بن نصير الطائي الكوفي، أصله من خراسان. عن عبد الله بن داود[3]: سأله إسحاق عن أصحاب الإمام فقال: أبو يوسف، وزفر، وداود، وعافية الأودي[4]، وأسد بن عمرو، وعلي بن مسهر[5]، ويحيى بن أبي زائدة، والقاسم بن معن. ثم قال: لو أنّ داود وُزن بأهل الأرض لوزنهم فضلًا وصلاحًا. وكان من أجلة أصحاب الإمام فآثر إثر كل أثير الزهد والورع. قيل: قال لنفسه: إنْ طلبت الدنيا بالحديث أو بالقرآن فأنت عاص، أو بالشعر وأيام الناس فأنت غافل، أو ليس بعده الموت. وكان له خطة خطّها الفاروق رضي الله عنه لأجداده حين هزم هرمز، فباع ثلثيها بأربع مائة درهم، فعبد الله تعالى عشرين سنة يأكل منها. ولما مات كان كفنه منه.

عن أبي نعيم قال: جالس داود أهل العربية ثم علماء القرآن ثم المحدثين حتى صار رأسًا في كلّ منهم، ثم جالس الإمام وتفقّه حتى لم يتقدم عليه أحد، ثم ترك وتخلى للعبادة حتى صار جبلًا. وكان لا يأكل الخبز بل يشرب السويق ويقول: ما بين مضغ الخبز وشرب السويق قرآءة خمسين آية.

عن ابن السماك قلت له: أوصني. قال: أنظر أنْ لا يراك الله تعالى حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، واستحِ من الله تعالى في قربه منك وقدرته عليك. وقال: صُمْ الدهر، وليكن إفطارك الموت، وفِرّ من الناس فرارك من السبع غير تارك لجماعتهم ولا مفارق لسنتهم.

يروى أنه أراد أن يجرّب نفسه أنه هل تقدر على العزلة فجلس في مجلس الإمام سنة لا يتكلم

(١) وفي هذه السنة مات المنصور واسرائيل بن يونس. (هامش الأصل).

(٢) هو الوليد بن حماد، أبو العباس الرملي بن جابر الحافظ. توفي حوالي عام ٣٠٠هـ. محدث، له عدة كتب.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٨، تاريخ ابن عساكر ١٧/ ٤٠١.

(٣) هو عبد الله بن داود بن عامر بن ربيع، أبو عبد الرحمن الهمداني الشعبي الكوفي الطائي. المشهور بالخريبي. ولد عام ١٢٦هـ، وتوفي عام ٢١٣هـ. حافظ، ثقة، زاهد ناسك. له أخبار.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٩٥، العبر ١/ ٣٦٤، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٤٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٧، شذرات الذهب ٢/ ٢٩.

(٤) هو عافية بن يزيد بن قيس الأودي الكوفي الحنفي. توفي عام نيف وستين ومائة. قاضي بغداد، عالم عادل، له رواية وحديث، ثقة، له أخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٨، ابن سعد ٧/ ٣٣١، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٠٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٨، البداية والنهاية ١٠/ ١٧٦.

(٥) هو علي بن مسهر القرشي، أبو الحسن الكوفي. توفي عام ١٨٩هـ/ ٨٠٥م. قاضٍ، حافظ متقن. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٢٢، نكت الهميان ٢١٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨٣.

ثم تخلى. وسببه أنّ الإمام قال يومًا: أما الأداة فقد أحكمناها. قال: وهل بقي شيء؟ قال الإمام: العمل. وقيل: قال له الإمام: لقد طال يدك ولسانك، ويلك. ثم كان يختلف ولا يتكلم. فلما علم أنّه تصبّر قصد إلى كتبه فغرقها في الفرات وتعبّد وتخلى.

وأتاه فضيل بن عياض يومًا يعوده فقال له: أقلل من زيارتنا فإني أبغض غلبة الناس. فجاءه يومًا فلم يفتح له الباب فقعد يبكي في الخارج وداود في الداخل. وقيل له: دلني على رجل أجلس إليه. قال: تلك ضالة لا توجد. وقال له الحارث بن إدريس[(١)]: عظني. قال: عسكر الموتى ينتظرونك. وقال له رجل من أهله: عرفت الرحم بيننا فأوصِ، فدمعت عيناه ثم قال: إنّ الليل والنهار مراحل ينزلها الناس حتى يبلغوا إلى آخر أسفارهم. فإنْ استطعت أنْ تقدّم في كلّ مرحلة زادًا لما بين يديك فافعل، فإنّ انقطاع السفر عن قريب والأمر أعجل من ذلك، وإني أقول لك هذا ولا أعلم أحدًا أشد تضييعًا مني لذلك، ثم قام.

وعن عمرو بن صدقة[(٢)] قال: كان داود صديقًا لي وكنا نجلس معه في مجلس حلقة الإمام، فلما اعتزل زرته وقلت له: حوفتنا[(٣)]. فقال: مجلسكم ليس من أمر الآخرة، ثم قال مكررًا: أستغفر الله، وقام وتركني وقال: لا تجلس إلى أحد يحفظ عليك سقطتك.

وذكر الإمام الحلبي أنّ داود سمع عبد الملك بن عمير[(٤)] وحبيب بن أبي عمرو[(٥)] والأعمش ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى، وروى عنه إسمعيل بن علية[(٦)] والمصعب بن مقدام[(٧)] وأبو نعيم الفضل بن دكين[(٨)] وغيرهم.

وقيل له: لو طبخنا لك دسمًا، قال: وددت. فطبخوه ووضعوه بين يديه فقال: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالوا: على حالهم. قال: إذهبوا به إليهم فإنهم إذا أكلوا كان عند الله تعالى مدخرًا، ولو أكلت يكون في الكنيف.

قال الحسن بن الربيع[(٩)] لابن المبارك: ما بال داود ارتفع ذكره وفي البلد رجال كسفيان وأصحابه؟ قال: إنما عظم أمره عندهم لعظم أمر الله تعالى في قلبه، وما ترك داود الناس إلا لمعرفته.

قال محمد بن سويد الطائي[(١٠)]: رأيته يغدو

(١) لم يعثر له على ترجمة.
(٢) لم يعثر له على ترجمة.
(٣) يقال: حوفه، جعله على الحافة. (هامش الأصل).
(٤) هو عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الكوفي. توفي عام ١٣٦هـ. محدث، ثقة، فصيح عالم.
انظر عنه تقريب التهذيب ٣٦٤، وفيات الأعيان ٣/ ١٦٤.
(٥) هو حبيب بن أبي عمرة القصاب، أبو عبد الله الحماني الكوفي. محدث ثقة، من الطبقة السادسة. توفي عام ١٤٢هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٥١.
(٦) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي البصري، أبو بشر. ولد عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م. وتوفي عام ١٩٣هـ/ ٨٠٩م. حافظ كبير، ثقة حجة. وعلية هي أمه.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٠٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٦، ميزان الاعتدال ١/ ١٠٠، تاريخ بغداد ٦/ ٢٢٩.
(٧) هو مصعب بن المقدام الكوفي. توفي عام ٢٠٣هـ. محدث.
انظر عنه: شذرات الذهب ٢/ ٧.
(٨) هو الفضل بن دكين (واسمه عمرو) ابن حماد التيمي الملائي، أبو نعيم. ولد عام ١٣٠هـ/ ٧٤٨م. وتوفي عام ٢١٩هـ/ ٨٣٤م. محدث، حافظ، له أخبار ورواية.
انظر عنه: ٥/ ١٤٨، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٦.
(٩) هو الحسن بن الربيع البجلي، أبو علي الكوفي البوراني. محدث ثقة. يعد من الطبقة العاشرة توفي عام ٢٢٠هـ.
(١٠) هو محمد بن أبي سويد الثقفي الطائفي. مجهول، من الطبقة الرابعة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٨٢.

ويروح إلى الإمام، فلما تخلّى للعبادة رأيت الإمام جاءه زائرًا غير مرة. ودخل حماد ابن الإمام عليه وقد اتصلت به شدة، فأعطاه أربع مائة درهم وقال: هذا ميراث الإمام، فأخذها ثم ردّها وقال: أريد أنْ أعيش في عزّ القناعة ولو كنت قابلًا من أحد لقبلتها منك. وفي رواية: كانت أربعة الآف درهم ومعه أبو يوسف، فقال له سرًا: أنثرها بين يديه فنثرها فقال: لو نثرت الدنيا بحذافيرها ذهبًا وفضةً كان أهون عليَّ من التراب، فبكى حماد وخرج. وكان ورث من أخيه أربع مائة درهم فجعل ينفق منها في ثلاثين عامًا حتى نفد. فلما تمّ جعل ينقض سقوف الدار ويبيع حتى باع الخشب والبواري، وكان حائط داره قصيرًا، لو أنْ غلامًا وثب منه لسقط على الدار. فقال رجل: لو سويت لكان يكنك من الحر والبرد والمطر. فقال: اللهم عفوًا، كانوا يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله: أخرج من عندي، شغلت قلبي، إني أبادر طيّ الصحيفة.

وكان سبب علته أنه قرأ آية فيها ذكر النار، فكرّرها؛ فلما أصبحوا وجدوه قد مات ورأسه على لبنة فدخل عليه الناس ومعهم ابن سماك فقال: يا داود، فضحت القرّاء فلما أخرجوا جنازته خرج خلق كثير حتى ذوات الخدور، فقال: سجنت نفسك قبل أن تسجن، وحاسبت قبل أنْ تحاسب، اليوم ترى ما كنت ترجو.

عن الوليد بن عقبة[1] سمعته يقول: كم من مسرور بأمر فيه هلاكه، وكم من كارهٍ أمرًا فيه صلاحه دنيا ودينًا، وليس لنا إلاّ الرضا والتسليم والاستكانة والخشوع.

عن محارب بن دثار[2] عن أبيه: لو كان في الأمم الماضين لقصّ الله تعالى علينا أمره. وقال الصلت بن حكيم[3]: رأيت ليلة مات داود ملائكة ونورًا، قالوا: زخرفت الجنة لقدوم داود. وعن محمد بن عبد الله بن بجير[4] أنه مات سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي، قدّس الله سرّه العزيز.

ومن الأئمة الحنيفة: وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، أبو سفيان الرواسي الكوفي، من قيس عيلان. أصله من قرية من قرى نيسابور أو من السغد[5]. سمع هشام بن عروة والأعمش وعبد الله بن عون[6] وابن جريج والأوزاعي والثوري واسرائيل[7] وشعبة بن

---

(١) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، أبو وهب الأموي القرشي. توفي عام ٦١هـ/ ٦٨٠م. والٍ، شاعر، صحابي، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٢٢، الإصابة رقم الترجمة ٩١٤٩، المسعودي ٤/ ٢٥٧.

(٢) هو محارب بن دثار بن كردوس السدوسي الشيباني الكوفي، أبو المطرف. توفي عام ١١٦هـ/ ٧٣٤م. قاضٍ، فقيه، فاضل. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٢٨١، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٩، شذرات الذهب ١/ ١٥٢، النجوم الزاهرة ١/ ٢٨٧.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

(٥) السُّغد، بالضم ثم السكون وآخره دال: ناحية كثيرة الماء، نضرة الأشجار، متجاوبة الأطيار، ملتفة الأغصان. تمتد مسيرة خمسة أيام، لا تقع الشمس على كثير من أراضيها، ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة بين بخارى وسمرقند، وقصبتها سمرقند.
انظر: مراصد الاطلاع ٧١٧.

(٦) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني. توفي عام ١٥١هـ/٧٦٨م. حافظ، متقن. له رواية.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١١١، تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٧.

(٧) هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني، أبو يوسف الكوفي. محدث، ثقة، متكلم، يعد من الطبقة السابعة. توفي عام ١٦٠هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٠٤.

خالد[١]، وسمع الرأي قياسًا من الإمام وأبي يوسف وزفر، وروى عنه ابن المبارك ويحيى بن آدم[٢] وابن سعيد وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين و علي بن المديني[٣] وأبو خيثمة وغيرهم من هذه الطبقة. ولد سنة تسع أو ثمان وعشرين ومائة. أراد الرشيد أن يوليه وعبد الله بن إدريس[٤] وحفصًا القضاء فامتنع وكيع وابن إدريس وأجابه حفص.

عن يحيى بن أكثم صحبته في السفر والحضر، وكان يصوم الدهر ويختم القرآن في كل ليلة. وقيل: كان لا ينام حتى يقرأ كل ليلة ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصّل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع ثم يصلي ركعتين.

عن الجاحظ[٥] قال: قال كنا نستعين على طلب العلم بالصوم وعلى حفظه بالعمل.

عن محمد بن جرير قال: مكث وكيع بعبادان[٦] أربعين ليلة، وختم القرآن بها أربعين مرة، وتصدق أربعين ألف درهم، وروى أربعة الآف حديث.

عن أبي السائب قال: جالست وكيعًا سنين فما رأيته يحلف بالله تعالى. وشكا إليه صاحبه سوء الحفظ فقال: استعينوا على الحفظ بترك المعاصي، فأنشا صاحبه يقول[٧]:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأوصاني إلى ترك المعاصي
وحفظ العلم فضلٌ من إلَه ... وفضل الله لا يعطى لعاصي

وكان يقول: ما خطوت للدنيا منذ أربعين سنة، ولا سمعت حديثًا قط فنسيته. قيل: كيف ذلك؟ قال: لأني لم أسمع إلاّ قد عملت به مرة.

عن ابن معين: ما رأيت حيًا قط أحفظ منه،

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) هو يحيى بن آدم بن سليمان الأموي، أبو زكريا. توفي عام ٢٠٣هـ/ ٨١٨م. محدث، ثقة، فقيه، له تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٣٣، تهذيب التهذيب ١١/ ١٧٥، شذرات الذهب ٢/ ٨.

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر السعدي المديني البصري، أبو الحسن. ولد بالبصرة عام ١٦١هـ/ ٧٧٧م. وتوفي بسامراء عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م. محدث، مؤرخ، من الحفاظ. له العديد من المؤلفات.
الاعلام ٤/ ٣٠٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٤٩، طبقات الحنابلة ١٦٨، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٢٩.

(٤) هو عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي. ولد عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م. وتوفي عام ١٩٢هـ/ ٨٠٨م. حافظ، متقن، فاضل عابد. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٧١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٩، تهذيب التهذيب ٥/ ١٤٤، تاريخ بغداد ٩/ ٤١٥.

(٥) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي، أبو عثمان الملقب بالجاحظ. ولد في البصرة عام ١٦٣هـ/ ٧٨٠م. وتوفي فيها عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م. من كبار أئمة الأدب والبيان. عالم كلامي على مذهب الاعتزال، وزعيم الفرقة الجاحظية. أصيب بالفالج آخر حياته ومات تحت كتبه. له مؤلفات عديدة وهامة.
الأعلام ٥/ ٧٤، إرشاد الأريب ٦/ ٥٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٨٨، امراء البيان ٣١١، آداب اللغة ٢/ ١٦٧، لسان الميزان ٤/ ٣٥٥، تاريخ بغداد ١٢/ ٢١٢.

(٦) عبادان:
بالقرب من البصرة بالعراق، بينهما إثنا عشر فرسخاً. وهي حصن منيع على البحر، تصل إليه مياه دجلة، وأرضها متسعة.
انظر عنها: الروض المعطار ٤٠٧، نزهة المشتاق ١٢١، معجم البلدان مادة: عبادان.

(٧) المشهور المنقول أن البيتين للإمام الشافعي رحمه الله، وهما هكذا:
شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي
وما في الأصل ركيك التركيب ضعيف المعنى. (هامش الأصل).

أنه في زمانه في الحفظ كالأوزاعي في زمانه.

وعن أحمد بن حنبل: ما رأيت قط مثله في العلم والحفظ والإسناد والأبواب مع خشوع وورع.

وذكر الإمام الديلمي[١] عن مليح بن وكيع[٢] أنّ أباه لما نزل به الموت أخرج إليّ يديه وقال: يا بني، ترى يديّ ما ضربت بهما شيئًا قط.

وعن داود بن يحيى بن يمان[٣] قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في المنام فقلت: من الأبدال؟ قال: الذين لا يضربون بأيديهم شيئًا، وإنَّ وكيعًا منهم.

وذكر الإمام الحلبي عن إبراهيم الجوني قال: حجَّ وكيع فأخذه البطن، وكان ينزل في كل منزل مرارًا، فما زال به البطن حتى مات، ودفن في الجبل آخر القبور، سنة ثمان أو تسع وتسعين ومائة، رحمه الله تعالى.

ومن الأئمة الحنفية: أبو عمر وحفص بن غياث بن طلق النخعي الكوفي[٤]. سمع الإمام وأبا يوسف والثوري، روى عنه ابن حنبل وابن معين وعلي بن المديني وإسحاق بن راهويه، وعامة الكوفيين، وأخذ الفقه عن الإمام. ولاه الرشيد قضاء بغداد فعدل في حكمه وحبس المرزبان[٥] وكيل زبيدة لدين عليه، وألحّت زبيدة على الرشيد حتى عزله، وولّى أبا يوسف مكانه، ثم ولاه الكوفة، فمكث بها ثلاث عشرة سنة.

عن محمد بن حميد[٦] قال: لما أتي بعبدالله بن إدريس ووكيع وحفص إلى الرشيد ليوليهم القضاء، فلما دخل ابن إدريس قال: السلام عليك، وطرح نفسه كأنه مفلوج. قال الرشيد: لا فضل في هذا. وقال وكيع: ورفع إصبعه ووضعه على عينه وقال: ما أبصرت بهذا منذ سنة، وأراد إصبعه فأعفاه. وأما حفص فقال له: لولا دين وعيال ما وليت.

قيل مرض خمسة عشر يومًا وأعطى لعامل بيت المال المائة والخمسين درهمًا وقال: هذا رزق خمسة عشر يومًا، وهذا حقّ المسلمين لقعودي عن الحكم بمرضي، وقال: ما وليت القضاء حتى حلّت لي الميتة. توفي سنة أربع وتسعين ومائة، وجعل مكانه الحسن بن زياد اللؤلؤي.

ومن الأئمة الحنفية: يحيى بن زكرياء بن أبي زائدة بن ميمون بن فيروز[٧] وميمون إسلامي وفيروز جاهلي مولى عمرو بن عبد الله الوادعي

---

(١) لعله أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر الديلمي الكوفي. ويعرف بأبي عصيدة أبو جعفر. توفي عام ٢٧٨هـ/ ٨٩١م. نحوي، راوٍ، له عدة تصانيف.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١/ ٣٠٨، إنباه الرواة ١/ ٨٤، نزهة الألبا ٢٧٠، كشف الظنون ٢/ ١٤٥٧.

(٢) لعله وكيع بن الجراح بن مليح. ولد عام ١٢٩هـ، وتوفي عام ١٩٩هـ، محدث، فقيه، ثقة، عابد، عالم كبير.
انظر عنه: المنهج الأحمد ١/ ٥٩، تهذيب التهذيب ١١/ ١٢٣.

(٣) هو داود بن يحيى بن يمان العجلي. ثقة، محدث. توفي عام ٢٠٣هـ.
انظر عنه: شذرات الذهب ٢/ ٦.

(٤) انظر ترجمته في: الأعلام ٢/ ٢٦٤، ميزان الاعتدال ١/ ٢٦٦، تاريخ بغداد ٨/ ١٨٨.

(٥) لعله محمد بن خلف بن المرزبان، أبو العباس. عالم بالقرآن والشعر والأخبار. له عدة كتب.
انظر عنه: الفهرست ١١٤.

(٦) هو محمد بن حميد بن حيان التميمي الرازي، أبو عبد الله. توفي عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م. حافظ متقن، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ١١٠، تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٧، تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩، شذرات الذهب ٢/ ١١٨.

(٧) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٤/ ١١٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٦، الدرر الكامنة ١١/ ٢٠٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٨٧.

الكوفي[١] سمع أباه وهشامًا والأعمش واسمعيل بن خالد[٢] وعبيد الله بن عمر العمري[٣] والحجاج بن أرطاة[٤]، وسمع الفقه من الإمام، وروى عنه يحيى بن آدم وقتيبة بن سعيد وابن حنبل وابن معين وأبو بكر[٥] وعثمان[٦] ابنا أبي شيبة وسريج بن يونس[٧] ومحمد بن العلاء[٨] وزياد بن أيوب[٩] وهناد بن السري[١٠] وأبو داود الحربي[١١] ومحمد بن عيسى بن الطباع[١٢]. ولاّه الرشيد قضاء المدينة، وقدم بغداد وحدّث بها.

عن علي بن المديني: انتهى العلم إلى ابن عباس في زمانه، ثم إلى الثوري في زمانه، ثم إلى يحيى بن أبي زائدة في زمانه. كان يحيى أحفظ أهل زمانه للحديث وأفقههم مع دين وورع، وهو أول من صنّف الكتب بالكوفة، وكان على قضاء المدائن أربعة أشهر، ومات بها سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة، وهو قاضٍ للرشيد بها، وعمره ثلاث وستون سنة.

ومن الأئمة الحنفية: الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي من الأنصار. روى عن الإمام، وروى

---

(١) هو عمرو بن عبد الله، من بني ذي يحمد، ابن السبيع الهمداني الكوفي. أبو إسحاق. ولد عام ٣٣هـ/ ٦٥٣م. وتوفي عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م. من أعلام التابعين، ثقة. له رواية وأخبار.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٨١، تهذيب التهذيب ٨/ ٦٣.

(٢) هو إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي البجلي. محدث، ثقة، ثبت. يعد من الطبقة الرابعة. توفي عام ١٤٠هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٠٧.

(٣) هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي المدني، أبو عثمان توفي عام ١٤٧هـ/ ٧٦٤م. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، حافظ، متقن عالم. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٩٥، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥١، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، الكوفي، أبو بكر، ولد عام ١٥٩هـ/ ٧٧٦م. وتوفي عام ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م. حافظ، متقن، محدث، له تصانيف جيدة.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١١٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨، تاريخ بغداد ١٠/ ٦٦.

(٦) هو عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، أبو الحسن. ولد عام ١٥٦هـ/ ٧٧٣م. وتوفي عام ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م. حافظ، متقن، له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢١٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٨، تهذيب التهذيب ٧/ ١٤٩، ميزان الاعتدال ٢/ ١٨٠، تاريخ بغداد ١١/ ٢٨٣.

(٧) هو سريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي، أبو الحارث المروزي. توفي عام ٢٣٥هـ. محدث، ثقة عابد. من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٢٩.

(٨) هو محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، أبو كريب الكوفي. توفي عام ٢٤٧هـ. محدث، ثقة حافظ، من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٠٠.

(٩) هو زياد بن أيوب بن زياد البغدادي، أبو هاشم الطوسي. توفي عام ٢٥٢هـ. لقب بدلّويه وشعبة الصغير. محدث ثقة حافظ. من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢١٨.

(١٠) هو هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي. ولد عام ١٥٢هـ/ ٧٦٩م. وتوفي عام ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م. محدث، زاهد، حافظ، متقن. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٩٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٨٢، الرسالة المستطرفة ٣٩.

(١١) لم يعثر له على ترجمة.

(١٢) هو محمد بن عيسى بن نجيح البغدادي، أبو جعفر بن الطباع. توفي عام ٢٢٤هـ. فقيه، محدث ثقة. من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٠١.

عنه محمد بن سماعة ومحمد بن شجاع البلخي[١] وشعبة بن أيوب[٢]. قال الحسن: سمعت من ابن جريج إثني عشر ألف حديث يحتاج إليها الفقهاء.

عن نصير بن يحيى[٣] قال: كان قسّم النهار، كان يدرس بعد صلوٰة الصبح مسائل الفروع إلى الزوال، ثم يدخل منزله فيقضي حوائجه إلى وقت الظهيرة، ثم يخرج للظهر ويجلس للواقعات إلى العصر، ثم يصلّي العصر فيناظرون في الأصول إلى الغروب، ثم يصلي المغرب ويدخل المنزل، ثم يخرج فيذكرون المسائل المغلقة إلى العشاء. فإذا صلّى العشاء جلس لمسائل الدور والوصايا إلى ثلث الليل، وكان لا يفتر عن النظر في العلم وكانت له جارية، إذا اشتغل بالطعام أو بالوضوء أو بغير ذلك تقرأ عليه المسائل حتى يفرغ من حاجته.

عن محمد بن أحمد بن الحسن بن زياد عن أبيه أنّ جده الحسن أخطأ في مسئلة فأرسل مناديًا إلا أنّ الحسن أخطأ في يوم كذا في مسئلة كذا، فمن كان أفتاه الحسن فليرجع إليه. فمكث أيامًا لا يفتي حتى عاد إليه السائل فأعلمه بخطائه وردّه إلى الحق.

قيل: كان الحسن أحسن الناس سؤالًا، ولم يكن جوابه على قدر سؤاله. وكان محمد بن الحسن أحسن الناس جوابًا ولم يكن سؤاله على قدر جوابه. وكان أبو يوسف أحسن الناس سؤالًا وجوابًا. قال الحسن: وكنت لا أبيت أربعين سنة إلاّ والسراج بين يدي.

وذكر الطحاوي أنّ الحسن بن مالك والحسن بن زياد ماتا سنة أربع ومائتين، وفي هذه السنة مات الإمام الشافعي بمصر، رحمة الله عليهم أجمعين.

واعلم أنّ الأئمة الذين أخذوا العلم عن الإمام لا يحصون عددًا، وقد عرفوا منهم سبع مائة وثلاثين رجلًا من مشايخ البلدان وأئمة المسلمين الذين وصل إلينا العلم بسعيهم واجتهادهم، جزاهم الله عنا وعن الإسلام وعن كافة المسلمين خير الجزاء، وحشرنا معهم، وحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء. ولنذكر هاهنا علماء مشهورين من بينهم.

منهم: حماد إبن الإمام وهو أبو إسمعيل وكان الغالب على حماد الدين والورع والفقه وكتابة الحديث، وكان شديدًا على أهل الأهواء يكسر عليهم أقاويلهم، ويحتج عليهم بحجج لا يتيسر ذلك لحذّاق المتكلمين[٤].

ومنهم: إسمعيل بن حماد المذكور[٥]. تفقّه على أبيه والحسن بن زياد، وسمع أباه ومالك بن مغول وعمر بن ذر والقاسم بن معن،

---

(١) هو محمد بن شجاع ابن الثلجي البغدادي، أبو عبد الله ولد عام ١٨١هـ/ ٧٩٧م. وتوفي عام ٢٦٦هـ/ ٨٨٠م. فقيه عصره، حنفي، محدث. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٥٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٢٠، الجواهر المضية ٢/ ١٦٠.

(٢) هو زياد بن أيوب، ابن زياد، شعبة الصغير. أبو هاشم الطوسي البغدادي. ولد عام ١٦٦هـ/ وتوفي عام ٢٥٢هـ. محدث ثقة، عالم كبير له رواية وأخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٢٠، التاريخ الكبير ٣/ ٣٤٥، الجرح والتعديل ٣/ ٥٢٥، تاريخ بغداد ٨/ ٤٧٩، العبر ٢/ ٣، شذرات الذهب ٢/ ١٢٦.

(٣) هو نصير أو نصر بن يحيى، أبو بكر. توفي عام ٢٦٨هـ. فقيه، راوٍ.
انظر عنه: الجواهر المضية ٣/ ٥٤٦، تاج التراجم ٥١.

(٤) عن محمد بن مروان الخفاف، استقضى حماد على الكوفة بعد القاسم بن معن، ثم على بغداد كلها، ثم على البصرة. فلم يزل على ذلك حتى أصابه الفالج، فأستأذن فأذن له. (هامش الأصل).

(٥) انظر ترجمته في: الأعلام ١/ ٣١٣، الجواهر المضية ١/ ١٤٨، تاريخ بغداد ٦/ ٢٤٣.

وحدّث عنه عمر بن إبراهيم النسفي[١] وسهيل بن عثمان العسكري[٢] وآخرون. تولى قضاء البصرة، وكان إمامًا، عالمًا، عارفًا، بصيرًا بالقضاء، محمود السيرة فيه، عارفًا بالأحكام والوقائع، دينًا صالحًا عابدًا. صنّف الجامع[٣] في الفقه عن جده الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وكتاب الرد على القدرية[٤]، وكتاب الإرجاء[٥]. وتفقه عليه أبو سعيد البردعي[٦]. توفي سنة إثنتي عشرة ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم يوسف بن خالد[٧]، كان قديم الصحبة مع الإمام، ثم خرج إلى البصرة فلم يحسن سياسة الناس، فأقيم من الحلقة وهجر، فلم يزل كذلك حتى قدم الإمام أبو يوسف البصرة مع هارون قاضيًا وزيرًا، فركب إليه، فأقبل عليه الناس وعاد ذكره، ثم ترك الدنيا وتخلى للعبادة حتى مات رحمة الله عليه.

ومنهم: عافية بن يزيد الأودي الكوفي، وكان الإمام يجلّه إجلالًا شديدًا، وكان عافية رجلًا فقيهًا فطنًا، وكان معجبًا به. فإذا تكلّم في مسئلة وعافية حاضر حكم وألْحق بالكتاب، وإنْ كان غائبًا قال: لا تعجلوا حتى يحضر عافية، فإنْ وافق رأيه كتب وإلاّ ترك[٨].

ومنهم: حبان ومندل إبنا علي العنزي الكوفي. قيل اسم مندل عمرو ومندل لقبه غلب على اسمه، وكان الإمام يقرّبهما ويتلطف بهما، وكانا من ألزم الناس لمجلس الإمام، وكان مندل أشهر من حبان. توفي بالكوفة سنة سبع أو ثمان وستين ومائة في خلافة المهدي، وكان المهدي أشخصهما من الكوفة، فلما دخلا عليه قال: أيّكما مندل وكان أصغرهما وأشهرهما، قال: هذا حبان. ولما حضر مندلًا الوفاة قال لأخيه حبان: يا أخي، تتحمل عني دينًا، فقال أخوه ديونك أتحملها.

ومنهم: علي بن مسهر الكوفي، لزم الإمام وتفقّه عليه وسمع منه الكثير. قال الحسن بن حماد: كان الحفّاظ للفقه كحفاظ القرآن أربعة: زفر ويعقوب وأسد بن عمرو وعلي بن مسهر، ويزعمون أنّ سفيان استعار منه كتابه الذي يسمّى الجامع.

ومنهم: القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود الكوفي الفقيه. صحب الإمام وتفقّه عليه وروى عنه. ولّي قضاء الكوفة بعد

---

(١) لم يعثر له على ترجمة في الكتب المتوفرة لدينا.

(٢) هو سهل بن عثمان بن فارس الكندي. أبو مسعود العسكري. توفي عام ٢٣٥هـ. حافظ، من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٥٨.

(٣) الجامع في الفروع للإمام إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة الكوفي (- ٢١٢هـ).
كشف الظنون ١/ ٥٧٥.

(٤) الرد على القدرية لإسماعيل بن حماد الحنفي (حفيد الإمام الأعظم أبي حنيفة) (- ٢١٢هـ).
كشف الظنون ١/ ١٣٩.

(٥) كتاب الإرجاء لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة (- ٢١٢هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٣٨٨.

(٦) هو أحمد بن الحسين أبو سعيد البردعي، توفي عام ٣١٧هـ. من مشايخ الحنفية ببغداد. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الجواهر المضية ١/ ١٦٣.

(٧) هو يوسف بن خالد بن عمير السمني، أبو خالد. توفي عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م. فقيه، رمي بالزندقة لقوله برأي الجهمية. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢٢٨، تهذيب التهذيب ١١/ ٤١١، اللباب ٢/ ١٨.

(٨) عن عاصم بن يوسف: لم يرّ مجلس أنبل من مجلس الإمام، ومن أنبل أصحابه أربعة: زفر وأبو يوسف وعاقبة وأسد بن عمرو. وقالوا: لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا حتى يعلم من أين قلنا، ولا أن يروي عنا شيئاً لم يسمعه منا. (هامش الأصل).

شريك، كان إمامًا في الفقه، بحرًا في العربية مقدمًا فيه. قيل له: أنت من أولاد ابن مسعود، أفترضى أنْ يكون من غلمان أبي حنيفة؟ قال: كل من جلس معه انتفع بمجالسته.

ومنهم: أسد بن عمرو بن عامر بن أسلم بن مغيث بن يشكر بن رهم، أبو المنذر البجلي الكوفي، صاحب الإمام، يكنّى أبا عمرو. سمع إبراهيم بن جرير بن عبد الله[(١)] والإمام ومطرف بن طريف ويزيد بن أبي زياد[(٢)] وحجاج بن أبي أرطاة. روى عنه ابن حنبل ومحمد بن بكار[(٣)] وأحمد بن منيع والحسن بن محمد الزعفراني. ولّي القضاء ببغداد وواسط من الرشيد، وحجّ مع الرشيد معادلًا له، ولما أنكر من بصره شيئًا اعتزل عن القضاء. قال يحيى بن معين: إنّه صدوق ثقة. ولما مرض اختلف إليه الإمام غداة وعشيًا. وقال محمد بن شجاع: ألقى الإمام على أصحابه مسئلة فلم يخرجها إلاّ هو، فقال: أحسنت يا فتى بجيلة. توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائة رحمه الله تعالى.

ومنهم: أحمد بن حفص[(٤)]، أبو حفص الكبير، أخذ عن محمد بن الحسن، وله أصحاب ببخارى كثيرة في زمن محمد بن إسمعيل البخاري صاحب الصحيح رحمة الله عليهما.

ومنهم: أبو عصمة نوح بن أبي مريم يزيد بن جعونة المروزي. لقّب بالجامع لأنه أول من جمع فقه أبي حنيفة رحمه الله. وقيل: لأنه كان له أربع مجالس: مجلس للأثر، ومجلس لأقاويل أبي حنيفة رحمه الله، ومجلس للنحو، ومجلس للشعر. روى عن الزهري ومقاتل بن حيان. مات سنة ثلاث وسبعين ومائة، وكان على قضاء مرو لأبي جعفر المنصور رحمة الله عليهما.

ومنهم: خلف بن أيوب من أصحاب محمد بن الحسن وزفر، وخرَّج له الترمذي ومن مسائله: لا أقبل شهادة من تصدّق على السائل في المسجد. مات سنة خمس أو خمس عشرة أو عشرين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم: شداد بن حكم[(٥)] من أصحاب زفر، وكان يستفيد من محمد بن الحسن المسائل. وكان إذا اشترى أمةً تزوجها ويقول: لعلها حرة. مات آخر سنة عشر ومائتين.

ومنهم: موسى بن نصر أبو سهل الرازي[(٦)]، روى عن أصحاب محمد بن الحسن، تفقه على أبي علي الدقاق وأبي سعيد البردعي، وروى الحديث، وله كتاب المخارج[(٧)] وهو بديع في بابه.

ومنهم: أبو سليمان موسى بن سليمان

---

(١) هو إبراهيم بن جرير بن عبد الله البجلي. محدث، من الطبقة الثالثة، صدوق. انظر عنه: تقريب التهذيب ٨٨.

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام الكلابي، أبو زياد. توفي عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م. عالم بالأدب. له شعر وعدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٨٤، خزانة الأدب ٣/ ١١٨.

(٣) هو محمد بن بكار بن بلال العاملي، أبو عبد الله الدمشقي. توفي عام ٢١٦هـ. قاضٍ، فقيه، محدث صدوق. من الطبقة التاسعة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٦٩.

(٤) هو أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد السلمي النيسابوري، أبو علي ابن أبي عمرو. محدث، صدوق ثقة، يعد من الطبقة الحادية عشرة. توفي عام ٢٥٨هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٧٨.

(٥) هو شداد بن حكيم. توفي عام ٢١٠هـ. وقيل ٢٢٠هـ. فقيه، حنفي، من أصحاب زفر.
انظر عنه: تاج التراجم ١٧١، الفوائد البهية ٨٣، الطبقات السنية ٤/ ٦٧.

(٦) هو موسى بن نصير أو نصر، أبو سهل الرازي. من رجال القرن الثالث الهجري. فقيه، راوٍ، له مصنفات.
انظر عنه: تاج التراجم ٢٩٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٩، الفوائد البهية ٢١٦، الجواهر المضية ٣/ ٥٢١.

(٧) كتاب المخارج لموسى بن نصر. كشف الظنون ٢/ ١٤٥٦.

الجوزجاني صاحب الإمام محمد بن الحسن، أخذ الفقه عن محمد بن الحسن وروى كتبه. عرض عليه المأمون القضاء فقال يا أمير المؤمنين: إحفظ حقوق الله في القضاء ولا تولِ على زمانك مثلي، فإنّي والله غير مأمون الغضب، ولا أرضى لنفسي أن أحكم في عباده. قال: صدقت، وقد أعفيناك، فدعا له بخير. وله كتاب السير الصغير(١) وكتاب الصلوٰة(٢)، وكتاب آخر أطول من هذا يرويها عن محمد عن يعقوب عن أبي حنيفة رحمه الله، وأصل محمد بن الحسن الموجود بأيدينا رواية عنه رحمه الله تعالى.

ومنهم: هلال بن يحيى بن مسلم الرأي النصري. قيل له: هلال الرأي لسعة علمه، كما قيل ربيعة الرأي. أخذ عن أبي يوسف وزفر، وروى عن أبي عوانة وابن مهدي، وعنه أخذ بكار بن قتيبة(٣) وعبد الله بن قحطبة(٤) والحسن بن أحمد بن بسطام(٥)، وله مصنف في الشروط، وله أحكام الوقف(٦). مات سنة خمس وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم: أبو عبد الله محمد بن سماعة بن عبيد بن هلال بن وكيع. حدّث عن الليث بن سعد وأبي يوسف ومحمد بن الحسن. وكتب النوادر عن أبي يوسف ومحمد، وروى الكتب والأمالي. قال الصيمري: هو من الحفاظ الثقات. توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وله مائة وثلاث سنين. وكان مولده سنة ثلاثين ومائة، وروي أنّه بلغ ذلك السّن وهو يركب الخيل، ويفتض الأبكار، وكان يصلي في كل يوم مائتي ركعة. ولِّي القضاء للمأمون ببغداد سنة إثنتين وسبعين ومائة بعد موت يوسف بن أبي يوسف، فلم يزل على القضاء إلى أنْ ضعف بصره، فعزل وضمّ عمله إلى إسمعيل بن حماد ابن الإمام أبي حنيفة. له كتاب أدب القاضي(٧) وكتاب المحاضر والسجلات(٨). وقال الصيمري: سبب كتابة محمد بن سماعة للنوادر عن محمد بن الحسن أنه رآه في النوم كأنّه يثقب الابر، فعبره المعبر فقال: هذا رجل ينطق بالحكمة فاجتهد أنْ لا يفوتك من لفظه شيء، فكتب عنه النوادر.

قال محمد بن عمران(٩): سمعت ابن سماعة يقول: مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة

---

(١) لأبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني ثم البغدادي الفقيه الحنفي. توفي بعد سنة ٢٠٠هـ. هدية العارفين ٢/٤٧٧، معجم المؤلفين ١٣/٣٩.

(٢) لأبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني ثم البغدادي الفقيه الحنفي. توفي بعد سنة ٢٠٠هـ. هدية العارفين ٢/٤٧٧، معجم المؤلفين ١٣/٣٩.

(٣) هو بكار بن قتيبة بن أسد، أبو بكرة، من بني الحارث بن كلدة الثقفي. ولد عام ١٨٢هـ/٧٩٨م. وتوفي عام ٢٧٠هـ/ ٨٨٤م. قاضٍ، فقيه، محدث. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٦٠، وفيات الأعيان ١/ ٩١، الجواهر المضية ١/ ١٦٨.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

(٥) لم يعثر له على ترجمة.

(٦) أحكام الوقف للشيخ الإمام هلال بن يحيى البصري الحنفي (. ٢٤٥هـ). كشف الظنون ١/ ٢١.

(٧) أدب القاضي على مذهب أبي حنيفة للإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي المجتهد الحنفي (- ١٨٢هـ) روى عنه محمد بن سماعة (- ٢٣٣هـ). كشف الظنون ١/ ٤٦.

(٨) لمحمد بن سماعة بن عبيد الله بن هلال بن وكيع بن بشر البغدادي القاضي، أبي عبد الله التميمي الحنفي (- ٢٣٣هـ). هدية العارفين ٢/ ١٢، معجم المؤلفين ١٠/ ٥٧.

(٩) هو محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد الله المرزباني. ولد عام ٢٩٧هـ/ ٩١٠م. وتوفي عام ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م. اخباري، مؤرخ، أديب، له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٣١٩، وفيات الأعيان ١/ ٥٠٧، ميزان الاعتدال ٣/ ١١٤، لسان الميزان ٥/ ٣٢٦.

الأولى مع الإمام إلاّ يوم ماتت فيه أمي ففاتتني صلوٰة واحدة في الجماعة، فقمت صليت خمسًا وعشرين صلوٰةً، أريد بذلك التضعيف فغلبتني عيني، فأتاني آتٍ فقال: يا محمد، صليت خمسًا وعشرين صلوٰةً، ولكن كيف بتأمين الملائكة.

ومنهم: أبو مطيع الحكم بن عبد الله بن سلمة بن عبد الرحمن[١]، القاضي الفقيه، راوي كتاب الفقه الأكبر عن أبي حنيفة رحمه الله. روى عن ابن عون[٢] وهشام بن حسان[٣] ومالك بن أنس وإبراهيم بن طهمان[٤]، وعنه أحمد بن منيع وغيره. تفقّه عليه أهل بلاده، وكان ابن المبارك يجلّه لدينه وعلمه. مات سنة سبع وسبعين ومائة عن أربع وثمانين سنة بعدما ولّي قضاء بلخ رحمه الله تعالى.

إذا عرفت من الأئمة الحنفية ما سمح به الوقت فلنذكر الآن من الكتب المعتبرة ما هو المشهور في الزمان، وإلاّ فتوخى استقصاء كتب الفروع من قبيل المحال. ولا يدخل معرفة مصنفيها تحت الوسع والمجال. فمن الكتب المعتبرة فيه: الجامع الكبير والجامع الصغير والمبسوط والزيادات والسير الكبير والنوادر والأمالي والرقيات والكيانيات والهارونيات والجرجانيات، وهؤلاء كلها لمحمد بن الحسن. وقد عرفت مناقبه الشريفة عند ذكر المجتهدين.

ومما تطابقت عليه كلمة الفقهاء التعبير من المبسوط بالأصل، ومن المبسوط والزيادات والجامعين برواية الأصول، ومن المبسوط والجامع الصغير والسير الكبير بظاهر الرواية ومشهور الرواية، ومن النوادر والجرجانيات الكيانيات والهارونيات والرقيات بغير ظاهر الرواية وببعض الرواية. والجرجانيات مسائل جمعها الإمام محمد بن الحسن بجرجان. والكيانيات جمعها لرجل يُسمّى كيان، وقد يوجد في بعض الهوامش الكيسانيات. وقالوا جمعها بكيسان وهي بلدة، لكن هذا غير صحيح، والصحيح ما ذكرناه أولًا. والهارونيات مسائل جمعها لرجل مُسمّى بهارون. والرقيات مسائل جمعها حين كان قاضيًا بالرقة وهي واسطة ديار ربيعة.

ومن الكتب المعتبرة: الأمالي[٥] لأبي يوسف، والنوادر له أيضًا. وقد ذكرنا مناقب أبي يوسف في الأئمة المجتهدين. ومنها: المبسوط للإمام شمس الأئمة أبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي وقد مرّت مناقبه. ومنها الهداية والتجنيس والمزيد ومناسك الحج، جميعها للإمام أبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل، برهان الدين المرغيناني الرشداني، وصنف كتاب البداية في الفقه، جمع فيه بين مسائل القدوري والجامع الصغير لمحمد الحسن ثم شرحها شرحًا في نحو ثمانين مجلدة وسماه: كفاية المنتهى. ولما تبين فيه الإطناب وخشي أن يهجر لأجله الكتاب شرحه شرحًا مختصرًا لطيفًا نافعًا وافيًا، بالغًا في الحسن والتقرير والتحرير

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري. توفي عام ١٥٠هـ. محدث، فقيه، ثبت ثقة فاضل. من الطبقة السادسة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣١٧.

(٣) هو هشام بن حسان الأزدي، أبو عبد الله الفردوسي. توفي عام ١٤٧هـ/ ٧٦٤م. محدث، له رواية.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٨٥، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٤.

(٤) هو إبراهيم بن طهمان بن شعيب الهروي الخراساني، أبو سعيد. توفي عام ١٦٨هـ/ ٧٨٤م. حافظ، إمام كبير. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٤٤، العبر ١/ ٢٤١، تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٨.

(٥) زاد في كشف الظنون: وهي في الفقه، يقال أكثر من ثلاث ماية مجلد. (هامش الأصل).

والضبط والاتقان، وسماه: الهداية وبالجملة، هو كما قاله صاحب الوقاية: كتاب فاخر لم يكتحل عين الزمان بثانيه.

ومن لطائف أحواله أنّه مع اشتماله الدقايق وحسن الإيجاز في التحرير، وقع سهلًا بظاهره على كل طالب، فهو بالحقيقة سهل ممتنع والأولى أنْ لا يبالغ أحد في وصفه، فإنّ السكوت عن مدحه مدحه. ولصاحب الهداية كتاب: مختار مجموع النوازل[١]، وكتاب في الفرائض. وكان متعبدًا ناسكًا، لقي المشايخ وتبرك بأنفاسهم. مات سنة ثلاث وتسعين وخمس ماية.

وحكى أنّه بقي في تصنيف كتاب الهداية ثلاث عشرة سنة، وكان صائمًا في تلك المدة لا يفطر أصلًا. وكان يجتهد أنْ لا يطلع على صومه أحد، فإذا أتى خادم بطعام كان يقول له خلّه ورحْ، فإذا راح كان يطعمه أحد الطلبة أو غيرهم، فإذا أتى الخادم ووجد الإناء فارغًا يظن أنه أكله نفسه. فكان ببركة زهده وورعه كتابه مقبولًا بين العلماء أي قبول. ومن إنشاد الإمام عماد الدين ابن شيخ الإسلام صاحب الهداية رحمهما الله في حق الهداية:

كتاب الهداية يهدي الهدى
إلى حافظيه ويجلو العمى
فلازمه واحفظه يا ذا الحجى
فمن ناله نال أقصى المنى

ولغيره:

إنّ الهداية كالقرآن قد نسخت
ما صنفوا قبلها في الشرع من كتب
فاحفظ قراءتها والزم تلاوتها
يسلم مقالك من زيغ ومن كذب

ثم إنّه اصطلح في كتابه على أمور لا يخلو التنبيه عليها عن النفع للمبتدي.

منها أنه يذكر لفظ (قال) في أول كل مسئلة إذا كانت مسئلة القدوري أو الجامع الصغير، أو كانت مذكورة في البداية. وإنْ كانت مذكورة في غيرها لم يذكر (قال).

ومنها أنّه يذكر مسائل القدوري أولًا، ومسائل الجامع الصغير في آخر الأبواب. وإذا كان نوع مخالفة بينهما يصرّح بلفظ الجامع الصغير.

ومنها أنه إذا قال: (الحديث محمول على المعنى الفلاني) يريد به حمل أئمة الحديث. وإذا قال: (نحمله) يريد حمل نفسه عليه دون الأئمة.

ومنها أنه يقول في الدليل العقلي: (لما بيّنا)، وفي الثابت بالكتاب: (لما تلونا)، وفي الثابت بالسّنة: (لما روينا)، وفي الثابت بقول الصحابة: (للأثر)، ولا يفرق بين الأثر والخبر، ويقول: (لما روينا)، ويقول: (لما ذكر) فيما هو أعم.

ومنها أنّه لا يذكر الفاء في جواب إمّا إعتمادًا على ظهور المعنى.

ومنها أنه يشير إلى المسئلة التي أورد لها النظير بأسماء الإشارة التي للقرب، وإلى نظيرها بأسماء الإشارة التي للبعد.

ومنها أنّه يعبر عن الدليل العقلي بالفقه حيث يقول: (والفقه فيه كذا).

ومنها أنه إذا قال: (عن فلان) يريد به الرواية عنه وإذا قال: (عند فلان) يريد به أنه مذهبه.

ومنها أنه يرضى الجواب الآخر كائنًا لمن كان.

ومنها أنّه إذا ذكر خاصة تصرفه[٢] لا يقول: قلت احترازًا عما فيه من الافتيات والأنانية، بل يقول: (قال العبد الضعيف عفي عنه). وما وقع في بعض النسخ من: قال رحمه الله[٣] فمن

(١) هكذا في الأصل، وفي كشف الظنون: مختارات مجموع النوازل.
(٢) في النسخة المصرية: خاصته وتصرفه.
(٣) بل في زماننا هذا، يوجد في نسخ الهداية: (قال) رضي الله عنه. (هامش الأصل).

تصرّف تلامذته بعد وفاته.

ومنها أنّه يجيب السؤال المقدّر ولا يصرّح السؤال. وذكر: (فإنْ قيل: قلنا) صريحًا في ثلاثة مواضع في المجلد الأخير.

ولصاحب الهداية خصائص وأسلوب اختصّ هو بذلك، يعرفها من مارس كتابه وخدم به حق الخدم.

ثم إنّ العلماء اعتنوا بشرحه كثير اعتناء، إلاّ أنّ من اجترأ على شرحه إنمّا هو واحد من الأفراد. ولنذكر ههنا شروحه المشهورة في بلادنا ليتنبه عليها الطالب ويجتهد في تحصيلها وينتفع بمطالعتها.

منها: كتاب النهاية، وهو لمولانا حسام الدين، الحسين بن علي بن الحجاج بن علي[(١)] شارح الهداية، قدم حلب، وصنّف الكافي في شرح البزدوي. قدم دمشق سنة عشر وسبع مائة، وشرح المنتخب[(٢)] للأخسيكثي، وشرح التمهيد في أصول الدين تصنيف أبي المعين النسفي، تفقّه على الإمام حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر[(٣)]، والإمام فخر الدين محمد بن محمد المايمرغي[(٤)]. مات في رجب سنة إحدى أو أربع عشرة وسبع مائة بحلب، وله تصنيف في الصرف اسمه النجاح، وانتخب كتاب النهاية للسغناقي في شرح الهداية الشيخ أحمد بن الحسن شهاب الدين المعروف بابن الزركشي[(٥)]. درس بالحسامية وكانت له مشاركة في علوم. مات سنة ثمان وثلاثين وسبع ماية، وقيل سنة سبع.

ومنها: كتاب الكفاية[(٦)] للسيد جلال الدين الكرلاني[(٧)]، ولم أقف له على ترجمة.

ومنها: نهاية الكفاية لتاج الشريعة وهو محمود بن عبيد الله بن محمود المحبوبي، عالم فاضل حبر كامل، له شرح الهداية المسمى بنهاية الكفاية ومختصر الهداية المسمى بالوقاية.

ومنها: كتاب الغاية[(٨)] للشيخ شمس الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني

---

(١) هو الحسين بن علي بن الحجاج بن علي، حسام الدين الصغناقي. توفي عام ٧١١هـ أو ٧١٤هـ. بحلب. فقيه، أصولي، عالم. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: تاج التراجم ١٦٠، بغية الوعاة ١/ ٥٣٧، الدرر الكامنة ٢/ ١٤٧، الفوائد البهية ٦٢، كشف الظنون ١/ ١١٢، الأعلام ٢/ ٢٦٨.

(٢) المنتخب في أصول المذهب لحسام الدين محمد بن محمد بن عمر الأخسيكثي الحنفي (- ٦٤٤هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨٤٨.

(٣) هو محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، من بني الأحمر. ولد عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م. وتوفي عام ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م. أمير المسلمين، ثاني ملوك الدولة النصرية في الأندلس حازم، اشتغل بالفقه والأدب. له شعر وأخبار.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٣٢، الدرر الكامنة ٤/ ٢٤٣.

(٤) هو محمد بن محمد بن إلياس، فخر الدين المايمرغي. فقيه، له تصانيف.
انظر عنه: الجواهر المضية ٣/ ٣١٨.

(٥) هو أحمد بن الحسن، شهاب الدين الزركشي الحنفي، المعروف بابن الزين. توفي عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م. فقيه حنفي، عالم بارع، له تصانيف عدة.
انظر عنه: المنهل الصافي ١/ ٢٨٠، الدليل الشافي ١/ ٤٤، تاج التراجم ١٢، الطبقات السنية ١/ ٣٧٩.

(٦) الكفاية في . . . لجلال الدين السيد الكرلاني الكرماني.
كشف الظنون ٢/ ١٤٩٩.

(٧) ورد في كشف الظنون ٢/ ١٤٩٩ أنه صاحب الكفاية فقط. ولم نعثر له على ترجمة مفصّلة.

(٨) كتاب الغاية، شرح للشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم السروجي القاضي بمصر الحنفي (- ٧١٠هـ) على كتاب الهداية في الفروع للمرغيناني (- ٥٩٣هـ).
كشف الظنون ٢/ ٢٠٣٣. معجم المؤلفين ١/ ١٤٠.

السروجي[١]. تفقّه على الصدر سليمان بن أبي الغرر نجم الدين أبي طاهر إسحاق بن علي بن يحيى، ولّي القضاء بالديار المصرية، وصنّف وأفتى، ووضع شرحًا على كتاب الهداية وسماه الغاية، انتهى فيه إلى كتاب الإيمان في عدة مجلدات ضخمة. توفي بالمدرسة السيوفية بالقاهرة في يوم الخميس ثاني عشر رجب سنة عشر وسبع مائة، ودفن بتربة بجوار قبة الإمام الشافعي. ومولده سنة سبع وثلاثين وست مائة رحمه الله تعالى.

ومنها: غاية البيان[٢] للإتقاني وهو أمير كاتب ابن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي أبو حنيفة الفارابي الإتقاني، وقيل اسمه لطف الله. واتقان قصبة من قصبات فاراب. ولي تدريس مشهد الإمام الأعظم بظاهر بغداد. ولد باتقان ليلة السبت تاسع عشر شوال سنة خمس وثمانين وست مائة. اشتغل ببلاده ومهر، وتقدم إلى أن شرح الأخسيكثي، وقدم دمشق مرتين، اجتمع في الأولى بالأمير ملبغا[٣] نائب السلطنة، واختص به وتكلم عنده في مسئلة رفع اليدين، وأراد إبطاله فدفعه الشيخ تقي الدين السبكي. ثم قدم ثانيًا في رجب سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وولّي بها تدريس دار الحديث الظاهرية بعد وفاة الذهبي، ثم ذهب إلى مصر في صفر سنة إحدى وخمسين فعظمه الأمير صرغنمش الناصري[٤]، ودرس بالجامع المارداني. فلما عمّر الأمير صرغنمش المدرسة المجاورة لجامع ابن طولون أجلسه بها مدرسًا، وذلك في جمادي الأولى سنة سبع وخمسين، فاختار لحضور الدرس طالعًا، فحضر والقمر في السنبلة، والزهرة في الأوج، وأقبل عليه صرغنمش إقبالًا عظيمًا وقدّر أنه لم يعشْ بعد ذلك سوى سنة وشيء، وصار معاديًا للشافعية يتمنى تلافهم، واجتهد في ذلك بالشام، فما أفاد. وأمر صرغنمش أن يقصر مدرسته على الحنفية، وحدّث بالموطأ رواية محمد بن الحسن بإسناد نازل جدًا، وذاكره القاضي عز الدين بن جماعة[٥] أنّ بينه وبين الزمخشري إثنين فأنكر ذلك وقال: أنا أسنّ منك، وبيني وبينه أربعة أو خمسة، وكان أحد الدهاة، أخذ عنه الشيخ محب الدين ابن جماعة. قال ابن حبيب: كان رأسًا في مذهب الحنفية، بارعًا في الفقه واللغة

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي، أبو العباس، شمس الدين. ولد عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م. وتوفي عام ٧١٠هـ/ ١٣١٠م. فقيه، قاضٍ. له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٨٦، البداية والنهاية ١٤/ ٦٠، الجواهر المضية ١/ ٥٣، الدرر الكامنة ١/ ٩١.

(٢) غاية البيان ونادرة الأقران للشيخ الإمام قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر الأتقاني الحنفي (- ٧٥٨هـ)، وهو شرح على الهداية في الفروع لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي (- ٥٩٣هـ).
كشف الظنون ٢/ ٢٠٣٣.

(٣) هو أحمد بن يلبغا العمري الخاصكي الحسني شهاب الدين، الأمير. توفي عام ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م. أمير الظاهر برقوق المملوكي.

(٤) هو صرغتمش السيفي تغرى بردى، المدعو يابو. توفي عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م. تولى نيابة قلعة دمشق للأمير سيف الدين اركماس الظاهري الدوادار.
انظر عنه: النجوم الزاهرة ١٥/ ٣١٩.

(٥) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة، الكناني الحموي الدمشقي ثم المصري، عز الدين. ولد عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م. وتوفي عام ٧٦٧هـ/١٣٦٦م. حافظ، قاضي القضاة، له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٦، الدرر الكامنة ٢/ ٣٧٨، كشف الظنون ٢/ ١٩٤٠.

والعربية، كثير الإعجاب بنفسه، شديد التعصب على المخالف. صنّف شرح الهداية وسمّاه: غاية البيان ونادرة الأقران في آخر الزمان، وشرح الأخسيكثي وسماه التبيين. وله رسالة في مسئلة رفع اليدين، وأخرى في عدم صحة الجمعة في موضعين من البلد. قال ابن حجر: ودخل مصر، ثم رجع فدخل بغداد، وولّي قضاءها. ولد باتقان ليلة السبت التاسع والعشرين[1] من شوّال سنة خمس وثمانين وست مائة كما وجد في خطه. وتوفي يوم السبت حادي عشر شهر شوّال سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مائة، وفرغ عن تحصيل العلوم وسنّه ما بين العشرين والثلاثين كما صرّح به في خطبة التبيين وصنّف التبيين في سنة ست عشر وسبعمائة، فيكون عمره وقتئذٍ إحدى وثلاثين، ولعله فرغ من تصنيف شرح الهداية وسنّه ست وثلاثون، والله أعلم.

ومن شروح الهداية: معراج الدراية للشيخ الإمام محمد بن محمد البخاري المدعو بقوام الدين الكاكي[2]. قيل إنّه روّح الله روحه بعدما أخذ الفقه بترمذ من الشيخ الإمام عبد العزيز البخاري صاحب كشف أصول الإمام فخر الإسلام البزدوي، وصاحب التحقيق في شرح أصول الإمام حسام الدين الإخسيكثي، قدم إلى القاهرة، فأقام بالجامع المارداني فأمّ فيه ودرّس إلى أن مات سنة تسع وأربعين وسبع مائة. وكاك قيل: إنّه بلغتهم بايع الكعك[3]. ونقل عن السمعاني أنّه قال أظنّ أنها قرية من قرى بخارى.

ومن شروح الهداية: حواشي الخبازي وهو الشيخ الإمام عمر بن محمد بن عمر الشيخ جلال الدين الخبازي، وله كتاب المغني في أصول الفقه وقد مرّ ذكره في أصول الفقه.

ومن شروح الهداية: شرح الشيخ أكمل الدين المسمى بالعناية وهو محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الرومي البابرتي، أكمل الدين بن شمس الدين بن جمال الدين. ولد سنة بضع عشرة وسبع مائة، واشتغل بالعلم، ورحل إلى حلب فأنزله القاضي ناصر الدين ابن العديم بالمدرسة الساذجية، فأقام بها مدة، ثم قدم القاهرة بعد سنة أربعين فأخذ هو ومولانا قطب الدين الرازي التحتاني[4] عن الشيخ شمس الدين الأصبهاني. وأخذ أيضًا عن أبي حيان، وسمع من ابن عبد الهادي[5] والدلاصي[6] وغيرهما، وصحب شيخون[7] واختص به وقرّره شيخًا بالخانقاه التي أنشأها، وفوّض أمرها إليه، فباشرها أحسن مباشرة، وكان قوي النفس عظيم الهمة، مهابًا، عفيفًا في المباشرة، عمّر أوقافها

(١) هكذا في الأصل، وقد مرّ في أول الصفحة السابقة من هذا الكتاب تاسع عشر، والله أعلم بالصواب. (هامش الأصل).

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد الخجندي السنجاري، قوام الدين الكافي. توفي عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. فقيه حنفي، له كتب عديدة. انظر عنه: الأعلام ٧/٣٦، الفوائد البهية ١٨٦، كشف الظنون ٢/١١٨٧.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) هو محمد (أو محمود) بن محمد الرازي، أبو عبد الله، قطب الدين. ولد عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م. وتوفي عام ٧٦٦هـ/١٣٦٥م. عالم بالحكمة والمنطق. له العديد من التصانيف. انظر عنه: الأعلام ٧/٣٨، شذرات الذهب ٦/٢٠٧، طبقات الشافعية ٦/٣١، النجوم الزاهرة ١١/٨٧، الدرر الكامنة ٤/٣٧٩.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسي الصالحي. ولد عام ٦٥٦هـ، وتوفي عام ٧٤٩هـ. محدث، فقيه، عالم، له مصنفات. ابن رافع ترجمة رقم ٥٩٠.

(٦) هو محمد بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الأحد بن سليمان المخزومي المصري الدلاصي. توفي عام ٧٢١هـ/١٣٢١م. محدث، فقيه، له عدة مصنفات. انظر عنه: الدرر الكامنة ٤/١١١، المنهل الوافي ١/٢٩٥.

(٧) هو الأمير الكبير شيخون الناصري. صاحب الجامع والخانقاه خارج القاهرة. توفي عام ٧٥٨هـ. انظر عنه: النجوم الزاهرة ١٠/٣٢٤، شذرات الذهب ٦/١٨٣.

وزاد معاليمها، وعرض عليه القضاء مرارًا فامتنع. وكان حسن المعرفة بالفقه والعربية والأصول، وبرع وساد وأفتى، ودرّس وأفاد، وصنّف فأجاد، وصنّف شرح مشارق الأنوار وشرح البزدوي والهداية، وعمل تفسيرًا حسنًا، وشرح مختصر ابن الحاجب وشرح المنار والتلخيص، وشرح التجريد للنصير الطوسي في الكلام، وشرح ألفية ابن المعطي، وشرح المقدمة السراجية في الفرائض، وشرح تلخيص الخلاطي للجامع الكبير قطعتين ولم يكمل، وصنّف حاشية على الكشاف إلى تمام الزهراوين، وغير ذلك. وما علمته حدث بشيء من مسموعاته. وكانت رسائله لا ترد مع حسن البشر، والقيام مع من يقصده، والإنصاف والتواضع والتلطف في المعاشرة، والتنزه عن الدخول في المناصب الكبار، بل كان أصحاب المناصب على بابه قائمين بأوامره، مسرعين إلى قضاء مآربه. وكان الظاهر بالغ في تعظيمه حتى إنه إذا اجتاز به لا يزال راكبًا واقفًا على باب الخانقاه إلى أن يخرج فيركب معه، ويتحدث معه في الطريق. ولم يزل على ذلك إلى أنْ مات في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وسبعمائة، وحضر السلطان فمن دونه جنازته. وأراد السلطان حمل نعشه فمنعه الأمراء، وحمله ايتمش[(١)] وأحمد بن ملبغا[(٢)] وسودون النائب[(٣)] ونحوهم، وتقدّم في الصلاة عليه عز الدين الرازي[(٤)]، ودفن بالخانقاه المذكورة، رحمه الله تعالى.

ومن شروح الهداية: فتح القدير للعاجز الفقير للشيخ الإمام ابن الهمام وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي ثم السكندري العلامة كمال الدين ابن الهمام الحنفي. ولد سنة تسعين وسبع مائة تقريبًا، وتفقه بالسراج قارىء الهداية ولازمه في الأصول وغيرها، ولازم القاضي محب الدين ابن الشحنة[(٥)] لما قدم القاهرة سنة ثلاث عشرة، ورجع معه إلى حلب، وأقام عنده إلى أنْ مات. وأخذ العربية عن الجمال الحميدي[(٦)]،

---

(١) هو أَيْتَمُش بن عبد الله الأسندمري البجّاسي الجرجاوي، الأمير سيف الدين. توفي عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م. اتابك العساكر بالديار المصرية، وعظيم الدولة الظاهرية. من المماليك القادة، له أخبار مشهورة.
انظر عنه: المنهل الصافي ٣/١٤٣، الدليل الشافي ١/ ١٦٤، النجوم الزاهرة ١١/ ٣٣٧، الضوء اللامع ٢/ ٣٢٤، انباء الغمر ٢/ ١١٨.

(٢) هو أحمد بن يلبغا العمري الخاصكي الحسني، شهاب الدين الأمير. ولد عام ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م. وتوفي عام ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م. أمير الظاهر برقوق. ومن الأمراء الذين كان لهم شأن كبير في مصر. له أخبار مشهورة.
انظر عنه: المنهل الصافي ٢/ ٢٦٨، الدليل الشافي ١/ ٩٧، النجوم الزاهرة ١٣/ ١٤، الضوء اللامع ٢/ ٣٤٦، نزهة النفوس ٢/ ٦٥.

(٣) هو سودون بن عبد الله الشيخوني الفخري. توفي عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م. الأمير سيف الدين، نائب السلطنه بالديار المصرية. له سطوة وقوة وأخباره مشهورة.
انظر عنه: المنهل الصافي ٦/ ١٠٤، الدليل الشافي ١/ ٣٢٨، النجوم الزاهرة ١٢/ ١٥١، أنباء الغمر ١/ ٥١٧، نزهة النفوس ١/ ٤٣٤.

(٤) هو يوسف بن محمود بن محمد الرازي العجمي، عز الدين. توفي عام ٧٩٤هـ، محدث، فقيه، مدرس، له تصانيف.
انظر عنه: نزهة النفوس ١/ ٣٥٢، السلوك ٣/ ٧٧٧.

(٥) هو محمد بن محمد، أبو الوليد، محب الدين، ابن الشحنة الحلبي. ولد عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. وتوفي عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م. فقيه، حنفي، له معرفة بالتاريخ والأدب، قاضي، له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٤٤، الضوء اللامع ١٠/ ٣، أعلام النبلاء ٥/ ١٦١.

(٦) لعله ترق أمير الحميدي. توفي عام ٨٦٠هـ/ ١٤٥٦م. فقيه حنفي، له عدة مصنفات.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ١٣٠، الأعلام ٦/ ٣٤، كشف الظنون ٢/ ١٥١٥.

والأصول وغيره عن البساطي[١]، والحديث عن أبي زرعة ابن البساطي، والتصوف عن الخواتي[٢] والقرآن عن الزراتني[٣]، وسمع الحديث عن الجمال الحنبلي[٤] والشمس الشامي[٥]، وأجاز له المراغي وابن ظهيرة ورقية المدينة[٦]، وتقدّم على أقرانه، وبرع في العلوم، وتصدى لنشر العلم، وانتفع به خلق. وكان علّامة في الفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان والتصوّف والموسيقى وغيرها، محققًا جدليًا نظارًا. وكان يقول: أنا لا أقلد في المعقولات أحدًا. وقال البرهان الانباسي[٧] من أقرانه: لو طلبت حجج الدين ما كان في بلدنا من يقوم بها غيره. وكان للشيخ نصيب وافر مما لأرباب الأحوالْ من الكشف والكرامات. وكان تجرّد أولًا بالكلية، فقال له أهل الطريق: إرجع فإنّ للناس حاجة بعْلمك. وكان يأتيه الوارد كما يأتي الصوفية لكنه يقلع عنه بسرعة لأجل مخالطته للناس.

قال بعضهم: أتاه الوارد يومًا فأخذ بيدي يجر بي وهو يعدو في مشيه وأنا أجري معه إلى أن وقف على المراكب، فقال: ما لكم واقفين ههنا. قالوا: أوقفنا الريح وما هو باختيارنا. فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[٨]، وهو الذي يوقفكم. قالوا: نعم. قال الحاكي: ثم أقلع عنه الوارد فقال لي: لعلي شققت عليك. قال: قلت: أي والله، وانقطع قلبي من الجري. فقال: لا تأخذ فإني لم أشعر بشيء مما فعلته. وكان الشيخ يلازم الطيلسان كما هو السّنة، ويرخيه كثيرًا على وجهه وقت حضور الشيخونية. وكان يخفف الحضور جدًا، ويخفف الصلوٰة كما هو شأن الأبدال. فقد نقلوا أنّ صلوٰة الأبدال خفيفة، وكان الشيخ أفتى برهة من عمره ثم ترك الإفتاء جملة، ودرّس بالمنصورية وبالأشرفية ثم رغب عنها، واستقر بعد ذلك في مشيخة الشيخونية فباشرها مدةً أحسن مباشرة، غير ملتفت إلى أحد من الأكابر وأرباب الدولة، ثم رغب عنها لما جاور

---

(١) لعله يوسف بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن الطائي البساطي القاهري المالكي.
أبو المحاسن جمال الدين. ولد عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م. وتوفي عام ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م. فقيه، أديب نحوي، عالم، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١٣/ ٢٩٥، الضوء اللامع ١٠/ ٣١٢، نيل الابتهاج ٣٥٣.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) هو محمد بن علي بن أحمد الزراتني الحنبلي. توفي عام ٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م. عالم بالفقه والقراءات. له مصنفات.
انظر عنه: المنهل الصافي ٢/ ١٠١.

(٤) هو عبد العزيز بن علي بن أبي العز البكري التيمي القرشي البغدادي المقدسي الحنبلي. ولد عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م. وتوفي عام ٨٤٦هـ/ ١٤٤٣م. قاضٍ، فقيه، عالم كبير. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٣، شذرات الذهب ٧/ ٢٥٩، الضوء اللامع ٤/ ٢٢٢.

(٥) لم يعثر له على ترجمة.

(٦) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن ظهيرة، محب الدين أبو العباس. ولد عام ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م. وتوفي عام ٨٢٧هـ/ ١٨٢٤م. قاضي، فقيه شافعي، محدث. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: المنهل الصافي ٢/ ١٢٤، الدليل الشافي ١/ ٧٩ أنباء الغمر ٣/ ٣٣٢، الضوء اللامع ٢/ ١٣٤، شذرات الذهب ٧/ ١٧٧.

(٧) هو إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين، أبو إسحاق الأنباسي القاهري. ولد عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م. وتوفي عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م. فقيه شافعي، عالم بالحديث. له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٧٥، الضوء اللامع ١/ ١٧٢، شذرات الذهب ٧/ ١٣.

(٨) يونس/ ٢٢.

بالحرمين، واستقر بعده شيخنا العلامة محيى الدين الكافيجى، وكان حسن اللقاء والسمت والسير والبزة، طيب النغمة مع الوقار والهيبة والتواضع المفرط، والإنصاف والمحاسن الجمة، وكان أحد الأوصياء، كذا قال السيوطي، وله تصانيف، منها: شرح الهداية سماه فتح القدير للعاجز الفقير وصل فيه إلى أثناء الوكالة[١]، والتحرير في أصول الفقه، والمسايرة في أصول الدين، وكراسة في إعراب سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وله مختصر في الفقه سمّاه زاد الفقير، وله نظم نازل. مات في يوم الجمعة سابع رمضان سنة إحدى وستين وثمان مائة.

وشروح الهداية لا تنحصر فيما ذكر، لكن الأشهر ما ذكرناه. ومع جد الفضلاء وسعيهم على شرحها لم تبرز لطائفه من جلباب التمتع والاحتجاب، ولم تذلل صعاب دلائله للطلاب، بل بقي بعد خبايا في الزوايا، ولله درّ مصنف لا تنتهى لطائفه ودقايقه، ولا تنكشف معانيه وحقائقه. فسبحان من بيده الفضل والبهاء، ويؤتيهما بلطفه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وهو العليم الحكيم.

ومن الكتب المعتبرة: المحيط للشيخ رضي الدين، برهان الإسلام، محمد بن محمد بن محمد السرخسي، وصنّف المحيط أربع مصنفات: كبير في أربعين مجلدًا، ومتوسط في إثني عشر مجلدًا، وصغير في مجلدات، ومختصر في مجلدين، وقدم حلب ودرّس بعد محمود الغزنوي. قيل: إنّ المحيط ليس من مصنفاته بل كان من مصنفات شيخه فادّعاه لنفسه، ولهذا عزله نور الدين الشهيد[٢] عن التدريس، فقدم دمشق ودرّس بالخاتونية.

واعلم أنّ كتاب المحيط إثنان: أحدهما ما تقدم ويعرف هو بالمحيط السرخسي، والآخر محيط برهان الدين محمود وهو من بني ماره، وأبوه تاج الدين أخو الصدر الشهيد، والذخيرة من مصنفاته أيضًا. وصاحب الجواهر المضيئة في الطبقات الحنفية لم يفرق بينهما وقال: صاحب المحيط لقبه رضي الدين، وقال: ورأيت على بعض نسخ المحيط برهان الدين بخط بعض الفضلاء.

ومنها: كتاب المبسوط، وهو إثنان: أحدهما لشمس الأئمة السرخسي وقد مرّ ذكره في علم الأصول، والآخر لشمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد بن صالح الحلوائي نسبة لبيع الحلواء، إمام الحنفية في وقته ببخارى. توفي سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربع مائة بكش ودفن ببخارى. تفقّه على القاضي أبي الحسن النسفي[٣] وأبي الفضل الزرنجري[٤]، وتفقّه عليه الأزرقي[٥]، وسمع منه شمس الأئمة السرخسي.

---

(١) وعلى فتح القدير حاشية لمولانا علي القاري، نزيل مكة المكرمة، في مجلدين، ثم أكمله المولى شمس الدين المعروف بقاضي زادة، إلى آخر الكتاب، كذا في كشف الظنون. (هامش الأصل).

(٢) هو محمود بن زنكي (عماد الدين) أبن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل. توفي شهيداً فعرف بالشهيد. ولد عام ٥١١هـ/ ١١١٨م. وتوفي عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م. من ملوك المماليك المشهورين بالعدل والحكمة والفضل، وأخباره مشهورة مسطورة.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٧٠، ابن الأثير ١١/ ١٥١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٨٣، وفيات الأعيان ٢/ ٨٧، مرآة الجنان ٨/ ٣٠٥.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

(٤) هو بكر بن محمد بن علي بن الفضل، أبو الفضل أو أبو الفضائل الزرنجري، شمس الأئمة. ولد عام ٤٢٧هـ، وتوفي عام ٥١٢هـ. فقيه، حنفي كبير. عالم له مصنفات عديدة. انظر عنه: الجواهر المضية ١/ ٤٦٥، تاج التراجم ١٩٠.

(٥) لعله أحمد بن يوسف بن علي الأزرق. ولد عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م. وتوفي عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م. مؤرخ، عالم، له عدة=

وقيل: توفي سنة ست، وقيل اثنتين وخمسين وأربع مائة، والأصح سنة ست وخمسين وأربع مائة، نقله الذهبي عن خط شيخه رحمهم الله تعالى.

ومنها: كتاب البدائع للكاساني، وهو علاء الدين ملك العلماء، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، صاحب كتاب البدائع. تفقّه على علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي[١]، وتزوج ابنته فاطمة الفقيهة من أجل أنه شرح كتاب التحفة[٢] للسمرقندي هذا وسماه البدايع، وجعله مهر ابنته، فقال فقهاء عصره: شرح تحفته وزوّجه ابنته.

يحكى أن زوجته ووالدها والكاساني كلهم كانوا يفتون في عصره، وكان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يفتي في بيت واحد، وقد جاء رسولًا من صاحب الروم إلى نور الدين الشهيد فولّاه تدريس الحلاوية عوضًا عن الرضي السرخسي بعد وفاته، وكان له وجاهة وخدمة وشجاعة.

حكي أنّه قدم دمشق، فحضر إليه الفقهاء وطلبوا منه الكلام في مسئلة خلافية بين الشافعية والحنفية، فعينوا مسائل كثيرة، فجعل يقول: ذهب إليها من أصحابنا فلان وفلان، فلم يزل كذلك حتى إنهم لم يجدوا مسئلة إلاّ وقد ذهب إليها واحد من أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه، فانقضى المجلس ولم يتكلموا معه. قال محمد بن خميس الحنفي: حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة إبراهيم حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[٣]، فخرجت روحه عند فراغه من قوله في الآخرة، ودفن داخل مقام إبراهيم الخليل بظاهر حلب.

وأما الإمام علاء الدين السمرقندي الذي تفقّه عليه الكاساني وتزوج ابنته، فهو محمد بن أحمد بن أبي أحمد، الإمام علاء الدين أبو منصور السمرقندي، وله كتاب تحفة الفقهاء والأصول وغيره.

ومن الفقهاء في عصر الكاساني زوجته فاطمة بنت محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي مؤلف التحفة، تفقّهت على أبيها وحفظت التحفة، وكانت تنقل المذهب نقلًا جيدًا، وكانت ربما تردّ فتوى زوجها الكاساني إلى الصواب وتعرّفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها، وكان زوجها يحترمها ويكرمها، وكانت الفتوى أولًا تخرج عليها خطها وخط أبيها السمرقندي، ثم كانت تخرج بخطهما وخط زوجها الكاساني. قال داود بن علي[٤] أحد فقهاء الحلاوية بحلب: هي التي سنّت الفطر في رمضان للفقهاء بالحلاوية، كان في يديها سواران فأخرجتهما وباعتهما، وعملت بالثمن الفطور كل ليلة، واستمر على ذلك إلى اليوم.

=تصانيف. انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/ ٢١٢.

(١) هو محمد بن أحمد السمرقندي، أبو منصور. توفي نحو ٥٧٥هـ/ ١١٨٠م. فقيه حنفي، له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٥/ ٣١٨، الجواهر المضية ٢/ ٦، كشف الظنون ١/ ٣٧١، الفوائد البهية ١٥٨.

(٢) تحفة الفقهاء في الفروع للشيخ الإمام الزاهد علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي زاد فيها على مختصر القدوري. كشف الظنون ١/ ٣٧١، الأعلام ٥/ ٣١٨.

(٣) إبراهيم/ ٢٧.

(٤) هو داود بن علي الكردي الحلبي، بهاء الدين. توفي عام ٨٠٣هـ. فقيه، عالم، له مصنفات. الضوء اللامع ٣/ ٢١٤، ذيل الدرر الكامنة ١٠٠، الأنباء ٤/ ٢٧٧.

قال ابن العديم: أخبرني الفقيه أحمد بن يوسف بن محمد الأنصاري الحنفي[١] قال: كان الكاساني عزم العود من حلب إلى بلاده فإنّ زوجته حثّته على ذلك، فاستدعى الملك العادل نور الدين محمود[٢] الكاساني وسأله أنْ يقيم بحلب، فعرّفه سبب السفر وأنه لا يقدر أنْ يخالف زوجته ابنة شيخه. فأرسل الملك إلى زوجته خادمًا بحيث لا تحتجب منه ويخاطبها عن الملك في ذلك فلم تأذن الخادم، وأرسلت إلى زوجها تقول له: بعد عهدك بالفقه إلى هذا الحد، أما تعلم أنّه لا يحل أنْ ينظر إليّ هذا الخادم، وأيّ فرق بينه وبين الرجال في عدم جواز النظر، فعاد الخادم وذكر ذلك لزوجها بحضرة الملك، فأرسلوا إليها امرأة برسالة الملك فخاطبتها وأجابته إلى ذلك، وأقامت بحلب إلى أنْ ماتت، ثم مات زوجها الكاساني بعدها، ودفن عندها، كذا في الجواهر المضيئة[٣].

ومنها: الأحكام للإمام العلامة أبي بكر الرازي المشهور بين الأصوليين بالجصّاص، وقد مرّ ذكره.

ومنها: مختصر الإمام الطحاوي، وهو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن حباب الأزدي الحموي المصري الطحاوي، أبو جعفر. ولد سنة سبع وعشرين، أو تسع وثلاثين ومائتين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. صحب المزني وتفقّه به، ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب. تفقه على أبي جعفر أحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى، وخرج إلى الشام سنة ثمان وستين ومائتين، فلقي بها أبا حازم عبد الحميد بن جعفر[٤] فتفقه عليه وسمع منه. قال ابن يونس: كان فقيهًا عارفًا لم يخلف مثله. قال ابن عبد البر: كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته في جميع مذاهب الفقهاء. وله كتاب أحكام القرآن يزيد على عشرين جزءًا، وكتاب معاني الآثار، وبيان مشكل الآثار، والمختصر في الفقه، وشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وله كتاب الشروط صغير وكبير وأوسط، وله المحاضر والسجلات، والوصايا، والفرائض، وله التاريخ الكبير، ومناقب أبي حنيفة رحمه الله، وله في تفسير القرآن ألف ورقة، وله النوادر الفقهية عشرة أجزاء، والنوادر والحكايات تنيف على عشرين جزءًا، وله كتاب الفقهاء، والعقيدة المشهورة، وله مصنفات كثيرة من الكتب والرسائل.

ومنها: شرح مختصر الطحاوي للجصّاص وقد مرّ ذكره. وشرح هذا المختصر للأسبيجابي، وهو علي بن محمد بن إسمعيل بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق الأسبيجابي، شيخ الإسلام السمرقندي. ولد سنة أربع وخمسين وأربع مائة. تفقّه عليه صاحب الهداية، ولم يكن بما وراء النهر في زمانه من يحفظ المذهب مثله، وظهر له الأصحاب. توفي بسمرقند سنة خمس وثلاثين وخمس مائة.

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مجلد للشيخ محي الدين عبد القادر القرشي المصري المتوفى سنة ٧٧٥. رتب التراجم على الحروف، ثم ذكر الكنى والأنساب والالقاب، ثم ختم بكتاب الجامع، وفيه فوائد. ثم لخصه الشيخ إبراهيم الحلبي المتوفى عام ٩٥٦هـ، واقتصر على من له تأليف أو ذكر في الكتب. (هامش الأصل).

(٤) هو عبد الحميد بن عبد العزيز، أبو حازم أو خازم. توفي عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م. قاضٍ، فرضي. له شعر وعدة كتب. الأعلام ٣/ ٢٨٧، تاريخ بغداد ١١/ ٦٢، الجواهر المضية ١/ ٢٩٦.

ومنها: الذخيرة لشيخ الإسلام محمد بن الحسن[(١)] البخاري المعروف بأبي بكر خواهر زاده[(٢)]. قال السمعاني: كان إمامًا فاضلًا حنفيًا، وله طريقة حسنة مفيدة جمع فيها من كلّ فن. وله كتاب الذخيرة، والمبسوط والإيضاح. توفي سنة ثلاث وثمانين وأربع مائة.

ومنها: أدب القاضي، وكتاب الوقف وشرح الواقعات كلها للخصّاف، وهو أحمد بن عمرو أو عمر، أبو بكر الخصاف الشيباني[(٣)]. حدّث عن أبي عاصم النبيل[(٤)] وأبي داود الطيالسي[(٥)] وجماعة، وكان فاضلًا، فارضًا حاسبًا، عارفًا بالفقه، مقدمًا عند الخليفة المهتدي بالله. فلما قتل المهتدي بالله نهبت داره فذهبت كتبه. صنف: كتاب الحيل، وكتاب الوصايا، وكتاب الشروط، كبير وصغير، وكتاب الرضاع، وكتاب المحاضر والسجلات، وكتاب النفقات على الأقارب، وكتاب أدب القاضي، وكتاب إقرار الورثة بعضهم لبعض، وكتاب أحكام الوقف، وكتاب الخراج، وغير ذلك من الكتب النافعة المفيدة، وذكر أنه كان يأكل من كسب يده. مات ببغداد سنة إحدى وستين ومائتين، رحمه الله تعالى.

ومنها: شرح أدب القاضي للخصاف، تصنيف برهان الأئمة المشهور بالحسام الشهيد وهو عمر بن عبد العزيز أبو محمد المعروف بالحسام الشهيد[(٦)]، تفقّه على أبيه، وصنّف الفتاوى الصغرى، والفتاوى الكبرى، والجامع الصغير. وهو أستاذ صاحب المحيط. ولد في صفر سنة ثلاث وثمانين وأربع مائة، ومن مصنفاته المبسوط في الخلافيات.

ومنها: عيون المسائل والواقعات والنوازل وخزانة الأكمل، كلها للفقيه أبي الليث، وهو نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي إمام الهدى. له: تفسير القرآن وكتاب النوازل في الفقه، وخزانة الأكمل وتنبيه الغافلين وبستان العارفين وتأسيس النظائر ومقدمة الصلوٰة المشهورة. توفي ليلة الثلثاء لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة، ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وتفقّه على أبي جعفر الهندواني[(٧)].

ومنها: كتاب خلاصة الفتاوى للشيخ الإمام

---

(١) محمد بن حسين البخاري الكوفي. (هامش الأصل).

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد، أبو بكر البخاري، المعروف بخواهر زادة. توفي عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م. فقيه حنفي، له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٠٠، الجواهر المضيئة ٢/ ٤٩، اللباب ١/ ٣٩٢.

(٣) هو أحمد بن عمر بن مهير الشيباني، أبو بكر المعروف بالخصاف. توفي عام ٢٦١هـ/ ٨٧٥م. فرضي، حاسب، فقيه، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٨٥، الجواهر ١/ ٨٧، تذكرة النوادر ٥٢.

(٤) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني البصري المعروف بالنبيل. ولد عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م. وتوفي عام ٢١٢هـ/ ٨٢٨م. شيخ حفاظ الحديث في عصره. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢١٥، الجواهر المضية ١/ ٢٦٣، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٠.

(٥) هو سليمان بن داود بن الجارود، أبو داود الطيالسي. ولد عام ١٣٣هـ/ ٧٥٠م. وتوفي عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩م. من كبار حفاظ الحديث. له مسند وعدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١٢٥، تاريخ بغداد ٩/ ٣٨، الرسالة المستطرفة ٣١.

(٦) هو عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، أبو محمد، برهان الأئمة. حسام الدين المعروف بالصدر الشهيد. ولد عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م. وتوفي عام ٥٣٦هـ/ ١١٤١م. من كبار فقهاء الأحناف. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٥١، الفوائد البهية ١٤٩، الجواهر المضية ١/ ٣٩١.

(٧) نسبة إلى در هندوان، محلة ببلخ. (هامش الأصل).

طاهر بن محمد بن أحمد بن عبد الرشيد البخاري[١]، وله كتاب الواقعات أيضًا.

ومنها: كتاب تتمة الفتاوى وهو تصنيف محمود بن أحمد بن عبد العزيز أبي المعالي[٢]، له كتاب تتمة الفتاوى. قال قاسم بن قطلوبغا: هكذا في النسخ التي بأيدينا. وذكره عبد القادر في المحمدين: وله كتاب نصاب الفقهاء في الفتاوى.

ومنها: فتاوى قاضي خان، وهو فخر الدين أبو المفاخر أو أبو المحاسن، الحسن بن منصور بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي الفرغاني، المشهور بقاضي خان. وأوزجند مدينة بنواحي أصبهان بقرب فرغانة. تفقّه على أبي إسحاق، إبراهيم بن إسمعيل بن أبي نصر الصفار[٣]، وظهير الدين أبي الحسن علي بن عبد العزيز المرغيناني[٤] وغيرهما. وله الفتاوى في أربعة أسفار، وشرح الجامع الصغير، وشرح الزيادات وسمّاه الملتقط، وشرح أدب القاضي للخصاف. توفي ليلة النصف من رمضان سنة اثنتين وتسعين وخمس مائة[٥].

ومنها: الفتاوى الكبرى للخاصي، وهو يوسف بن أحمد أبي بكر الخوارزمي، نجم الدين جمال الأئمة الخاصي[٦]. تفقّه على أبي بكر بن عبد الله، وجمع الفتاوى الكبرى.

ومنها: فتاوى الإمام ظهير الدين، وهو محمد بن أحمد بن عمر، ظهير الدين البخاري[٧]. مات سنة تسع عشرة وست مائة. وله فوائد على الجامع الصغير الحسامي. وقيل هو الإمام ظهير الدين علي بن عبد العزيز المرغيناني، وهو أستاذ الإمام قاضيخان. توفي يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ست وخمس مائة.

ومنها: القنية لنجم الدين، مختار بن محمود الزاهدي أبي الرجاء الغزميني[٨]. وغزمين بمعجمتين قصبة من قصبات خوارزم. له: كتاب القنية، وشرح القدوري، ورسالة الناصرية، صنّفها لبركت خان[٩]. توفي سنة ثمان وخمسين

---

(١) هو طاهر بن أحمد بن عبد الرشيد، افتخار الدين البخاري. ولد عام ٤٨١هـ وتوفي عام ٥٤٢هـ. فقيه، له عدة كتب.
انظر عنه: تاج التراجم ١٧٢، الطبقات السنية ٤/ ١٠٥، الفوائد البهية ٨٤، كشف الظنون ١/ ٧٠٢، الأعلام ٣/ ٣١٨.

(٢) هو محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري المرغيناني، برهان الدين. ولد عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م. وتوفي عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م. من كبار الأحناف. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٦١، الفوائد البهية ٢٠٥، هدية العارفين ٢/ ٤٠٤.

(٣) هو إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد، أبو إسحاق، ركن الإسلام البخاري الصفار. توفي عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م. فقيه، زاهد. له تصانيف كثيرة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٢، الفوائد البهية ٧.

(٤) هو علي بن عبد العزيز بن عبد الرازق المرغيناني، ظهير الدين. توفي عام ٥٠٦هـ/ ١١١٢م. فقيه، له تصانيف.
انظر عنه: كشف الظنون ١/ ١٣٧، الفوائد البهية ١٢١، هدية العارفين ١/ ٦٩٤، معجم المؤلفين ٧/ ١٢٣.

(٥) في دولة الناصر لدين الله. (هامش الأصل).

(٦) هو يوسف بن أحمد بن أبي بكر الخوارزمي، جمال الأئمة، نجم الدين الخاصي. توفي عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م. فقيه حنفي، له عدة مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢١٤، الجواهر المضية ٢/ ٢٢٣، الفوائد البهية ٢٢٦.

(٧) هو محمد بن أحمد بن عمر البخاري، أبو بكر، ظهير الدين. توفي عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م. فقيه حنفي، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٣٢٠، الجواهر المضية ٢/ ٢٠.

(٨) هو مختار بن محمود بن محمد، أبو الرجا، نجم الدين، الزاهدي الغزميني. توفي عام ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م. فقيه حنفي، له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٩٣، الفوائد البهية ٢١٢، الجواهر المضية ٢/ ١٦٦.

(٩) كبير الخوارزمية، توفي عام ٦٤٤هـ، أمير قائد، على عهد الملك الصالح أيوب.
انظر عنه: البداية والنهاية ١٣/ ١٦٦، ١٧٢.

وست مائة. تفقّه على سديد الخياطي وبرهان الأئمة وغيرهما، وقرأ الكلام على يوسف السكاكي[١]، وقرأ الحروف والروايات على الشيخ رشيد الدين القندي[٢]، وأخذ الأدب عن شرف الأفاضل[٣]. وله من المصنّفات غير ما ذكر: كتاب زاد الأئمة، وكتاب المجتبي في الأصول والفرائض وغير ذلك، ولكن كان على مذهب الاعتزال، ولهذا لا يعتمد على فتواه.

ومنها: خزانة الأكمل لأبي الليث السمرقندي، وقد مرّ ذكره.

ومنها: منية المفتي للسجستاني، وهو يوسف بن أبي سعد بن أحمد السجستاني[٤]، له تلخيص الواقعات المسمى بمنية المفتي.

ومنها: الروضة للناطفي، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الناطفي[٥]، وهو نسبة إلى عمل الناطف وبيعه، كان أحد الفقهاء الكبار. له: كتاب الأجناس والفروق، والروضة، والواقعات في مجلدات. توفي بالري سنة ست وأربعين وأربع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنها: مختصر القدوري، وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، أبو الحسين بن أبي بكر القدوري البغدادي[٦]، صاحب المختصر. ولد سنة إثنتين وستين وثلاثمائة، وتفقّه على أبي عبد الله محمد بن يحيى الجرجاني[٧]، وروى الحديث، وكان صدوقًا، وانتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق، وعظم عندهم قدره، وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة في النظر جريئًا بلسانه، مديمًا لتلاوة القرآن. صنّف المختصر، وشرح مختصر الكرخي، وصنف التجريد في سبعة أسفار يشتمل على الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه. شرح في إملائه سنة خمس وأربع مائة، وكتاب التقريب في مسائل الخلاف بين أبي حنيفة وأصحابه مجردًا عن الدلائل، ثم صنف التقريب الثاني، فذكر المسائل بأدلتها. مات ببغداد في يوم الأحد منتصف رجب أو خامس رجب سنة ثمان وعشرين وأربع مائة. روى عنه الخطيب وقال: كان صدوقًا، وكان يناظر الشيخ أبا حامد الاسفرايني، ولم يعرف سبب نسبته إلى القدور. قيل القدوري نسبة إلى

---

(١) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، أبو يعقوب، سراج الدين. ولد عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. وتوفي عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م. عالم بالعربية والأدب. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢٢٢، إرشاد الأريب ٧/ ٣٠٦، الجواهر المضية ٢/ ٢٢٥، شذرات الذهب ٥/ ١٢٢، بغية الوعاة ٤٢٥.

(٢) هو يوسف بن محمد القندي، وقيل الفندي، الخوارزمي، العلامة رشيد الدين. فقيه، عالم بالروايات، له مصنفات.
انظر عنه: الجواهر المضية ٣/ ٦٤٠.

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم القاضي، شرف الدين الشيرازي. ولقب بشرف الأفاضل. وكنيته أبو الفضائل. ولد عام ٥٤٤هـ، وتوفي عام ٦٣٠هـ. فقيه، عالم بالفرائض، له مصنفات.
انظر عنه: تاج التراجم ١٣٣، الجواهر المضية ١/ ٣٨٨، مرآة الزمان ٨/ ٦٧٤.

(٤) هو يوسف بن أحمد - أو ابن أبي سعيد بن أحمد - السجستاني. توفي بعد ٦٣٨هـ/ بعد ١٢٤٠م. فقيه حنفي، له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢١٤، دار الكتب ١/ ٤٤٧، هدية العارفين ٢/ ٥٥٤.

(٥) هو أحمد بن محمد بن عمر، أبو العباس الناطفي. توفي عام ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م. فقيه، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٢١٣، الجواهر المضية ١/ ١١٣، كشف الظنون ١/ ٢٢.

(٦) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٤، اللباب ٢/ ٢٤٧، البداية ١٢/ ٤٠، شذرات الذهب ٣/ ٢٣٣، مرآة الجنان ٣/ ٤٧.

(٧) هو محمد بن يحيى بن مهدي، أبو عبد الله الجرجاني، توفي عام ٣٩٧هـ/ ١٠٠٧م. فقيه حنفي، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٣٦، الجواهر المضية ٢/ ١٤٣، هدية العارفين ٢/ ٥٧.

بيع القدور التي هي جمع قدر أو إلى عملها. وقيل القدور إسم قرية، وفيه نظر، كذا في شرح درر البحار[١] للرهاوي[٢].

واعلم أنّ هذا المختصر مما تبرك به العلماء[٣] حتى جرّبوا قراءته أوقات الشدائد وأيام الطاعون، واعتنى الفقهاء بشرحه، مثل: شرح الزاهدي صاحب القنية، وقد مرّ ذكره. ومثل شرح الأقطع وهو أبو نصر أحمد بن محمد بن محمد[٤]، درس الفقه على أبي الحسن القدوري حتى برع فيه، وقرأ الحساب حتى أتقنه، وشرح مختصر القدوري، ومال إلى حدث فظهر على الحدث سرقة فاتهم بأنه شاركه فيها فقطعت يده اليسرى. وحكى الصفدي في الوفيات أنّ يده قطعت في حرب كان بين المسلمين والتتار، وهذا الاحتمال أقرب وأبعد من التهمة للمسلم بمجرد خبر لا يفيد الظن، والله أعلم. مات سنة أربع وسبعين وأربع مائة.

ومنها: المختار، وهو لعبد الله بن محمود بن مودود بن محمود حجة الدين أبي الفضل الموصلي[٥]. ولد بالموصل سنة تسع وتسعين وخمس مائة، وحدث عن ابن طبرزد، وكان فقيهًا عارفًا بالمذهب. ولّي القضاء بالكوفة ثم عزل، ورجع إلى بغداد ودرّس في مشهد الإمام أبي حنيفة، وأفتى حتى مات سنة ثلاث وثمانين وست مائة. وله كتاب المختار للفتوى، وكتاب الاختيار لتعليل المختار وغير ذلك.

ومنها: كتاب كنز الدقائق لصاحب المنار، وكتاب الوافي، مع شرحه الكافي، وهما أيضًا له، وقد مرّ ذكره. وله شرح للإمام فخر الدين الزيلعي وهو عثمان بن علي بن محجر بن موسى، فخر الدين، أبو عمر الزيلعي الصوفي البارعي[٦]. قدم القاهرة سنة خمس وسبع مائة، فدرّس وأفتى، وكان مشهورًا بمعرفة الفقه والنحو والفرائض. شرح كتاب كنز الدقائق في عدة مجلدات فأجاد وأفاد، وحرّر وانتقد، وصحح ما اعتمد. وتوفي في رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة، رحمه الله.

ومنها: كتاب مجمع البحرين لابن الساعاتي[٧] وقد مرّ ذكره وعليه شروح مفيدة.

ومنها: درر البحار نظم مجمع البحرين وزاد عليه زيادات كثيرة في المسائل والرموز الدالة على الخلافيات. نظمه على بحر الشاطبية في

---

(١) درر البحار في الفروع للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن إلياس القونوي الدمشقي الحنفي (. ٧٨٨هـ)، وهو متن مشهور. ونظم المتن لأبي المحاسن حسام الدين الرهاوي سماه البحار الزاخرة. كشف الظنون ١/ ٧٤٦.

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن إلياس بن الخضر. القاضي جمال الدين الدمشقي المعروف بابن الرهاوي. توفي عام ٧٦٧هـ. قاض، فقيه، شافعي له عدة تصانيف. انظر عنه: طبقات الشافعية ٣/ ٢٣٣، شذرات الذهب ٦/ ٢٥٠.

(٣) وهو الذي يطلق عليه لفظ الكتاب في المذهب، وهو متن متين معتبر متداول بين الأئمة الأعيان، وشهرته تغني عن البيان. قال صاحب مصباح أنوار الأدعية: إن الحنفية يتبركون به في أيام الوباء، وهو كتاب مبارك، من حفظه يكون أميناً من الفقر، حتى قيل: إن من قرأه على أستاذ صالح ودعا له عند ختم الكتاب بالبركة فإنه يكون مالكاً لدراهم على عدد مسائله. وفي بعض شروح الجمع أنه مشتمل على اثنتي عشر ألف مسألة. (هامش الأصل).

(٤) هو أحمد بن محمد بن محمد، أبو نصر المعروف بالأقطع. توفي عام ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م. فقيه، عالم بالحساب. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢١٣، الجواهر المضية ١/ ١١٩، الفوائد البهية ٤٠.

(٥) هو عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود، مجد الدين، أبو الفضل الموصلي. ولد عام ٥٩٩هـ، وتوفي عام ٦٨٣هـ. فقيه، قاض، محدث، له مصنفات عديدة. انظر عنه: تاج التراجم ١٧٦، تاريخ علماء بغداد ٧٥، الفوائد البهية ١٠٦، الأعلام ٤/ ٢٧٩، كشف الظنون ١/ ٥٧٠، هدية العارفين ١/ ٤٦٢.

(٦) انظر ترجمته في تاج التراجم ٣٠، الجواهر المضية ١/ ٣٤٥، الفوائد البهية ١١٥.

(٧) هو أحمد بن علي بن تغلب (ثعلب)، مظفر الدين ابن الساعاتي. توفي عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. عالم بفقه الحنفية، فصيح، حسن الخط. له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٧٥، الجواهر المضية ١/ ٨٠، مرآة الجنان ٤/ ٢٢٧، الفوائد البهية ٢٦، هدية العارفين ١/ ١٠٠.

القراءات، وعلى رويها وقافيتها، وذلك للشيخ العالم العلامة أبي المحاسن حسام الدين الشهير بالرهاوي، وشرح هذا الكتاب من تلامذة مصنفه محمد بن محمد بن أحمد العنتبي ولم أقف من أحوال المصنف رحمه الله والشارح غير اسمهما رحمهما الله تعالى.

ومنها: الوقاية لتاج الشريعة وشرحه لسبطه صدر الشريعة، ومختصر الوقاية لصدر الشريعة، وقد مرّ ذكرهما.

ومن الكتب المعتبرة: الشروح السبعة للجامع الصغير لأبي الليث السمرقندي ولقاضي خان، للحسامي، للبرهاني، للصدر الشهيد، للعتابي، للتمرتاشي وقد ذكر أكثر هؤلآء.

ومنها: المنتقى للحاكم الشهيد[1] والمنتقى للحاكم الجليل[2].

ومنها: فتاوى الرستغفني، وهو أبو الحسن علي بن سعد[3] من رستغفن، إحدى قرى سمرقند، من أصحاب أبي منصور الماتريدي. له: كتاب إرشاد المبتدي وكتاب الزوائد والفرائد في أنواع العلوم، منها فتاوى أبي جعفر البلخي.

ومنها: فتاوى بهاء الدين الاسبيجابي، وهو علي بن محمد بن إسمعيل الإسبيجابي[4] شيخ الإسلام السمرقندي. ولد يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وأربع مائة، تفقّه عليه صاحب الهداية، ولم يكن بما وراء النهر في زمانه من يحفظ المذهب مثله فظهر له الأصحاب، وعمّر في نشر العلم وسماع الحديث. توفي بسمرقند يوم الإثنين الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وخمس مائة، وله شرح مختصر الطحاوي.

ومنها: فتاوى حسام الدين الرازي[5] وهو علي بن أحمد بن بكر، قدم دمشق وسكنها وكان يفتي على مذهب أبي حنيفة، ويناظر في مسائل الخلاف، وما أظنه حدّث، وكان فقيهًا فاضلًا. له تصانيف، منها: خلاصة الدلائل في شرح القدوري وسلوة الهموم. توفي سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة بدمشق. ومنها: فتاوى شمس الأئمة الحلوائي نسبة إلى بيع الحلواء، وهو عبد العزيز بن أحمد بن صالح إمام الحنفية في وقته ببخارى، وقد مرّ بقية أوصافه.

ومنها: فتاوى أبي الفضل الكرماني، وهو عبد الله بن محمد بن أميرويه بن محمد بن إبراهيم، أبو الفضل ركن الدين الكرماني[6]. ولد بكرمان في سنة سبع وخمسين وأربع مائة. وقدم مرو فتفقه وبرع حتى صار إمام الحنفية

---

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد، أبو الفضل المروزي السلمي البلخي، الشهير بالحاكم الشهيد. توفي عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م. فقيه حنفي، قاض، وزير، له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٩، الجواهر المضية ٢/ ١١٢، الفوائد البهية ١٨٥، كشف الظنون ٢/ ١٣٧٨.

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أبو أحمد النيسابوري الكرابيسي، المعروف بالحاكم الكبير. ولد عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م. وتوفي عام ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م. محدث خراسان في عصره، قاض، له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٠، نكت الهميان ٢٧٠، الوافي بالوفيات ١/ ١١٥، شذرات الذهب ٣/ ٩٣.

(٣) هو علي بن سعيد الرستغفني، أبو الحسن. توفي عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م. فقيه حنفي، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٩١، الجواهر المضية ١/ ٣٦٢، اللباب ١/ ٤٦٦.

(٤) انظر ترجمته في: تاج التراجم ٣٣، هدية العارفين ١/ ٦٩٧، طبقات الفقهاء ٩٤.

(٥) هو علي بن أحمد بن مكي الإمام حسام الدين الرازي. توفي عام ٥٩٣هـ، فقيه حنفي، فاضل، له العديد من المصنفات.
انظر عنه: تاج التراجم ٢٠٧، الأعلام ٤/ ٢٥٦ الفوائد البهية ١١٨، الجواهر المضية ٢/ ٥٤٣، هدية العارفين ١/ ٧٠٣.

(٦) هو عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه بن محمد بن إبراهيم، ركن الدين، أبو الفضل الكرماني. ولد عام ٤٥٧هـ، وتوفي عام ٥٤٣هـ. فقيه الحنفية بخراسان. له عدة تصانيف. انظر عنه: تاج التراجم ١٨٤، الأنساب ١٠/ ٤٠١، التحبير ١/ ٤٠٥، اللباب ٣/ ٩٣، الفوائد البهية ٩١، هدية العارفين ٥/ ٥١٩، الجواهر المضية ٢/ ٣٨٨.

بخراسان. وله كتاب شرح الجامع الكبير وكتاب التجريد وشرحه بكتاب سماه الإيضاح. ومات بمرو سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة.

ومنها: النافع لقاسم بن يوسف المديني[١]، له كتاب النافع في الفقه. قرأ عليه خلق كثير وشرحوه، وكتاب مصابيح السبل في الفقه، وكتاب في الوعظ، وكتاب في أصول الفقه، ومن شروحه المستصفى والمنافع.

ومنها: كتاب المنظومة في الخلافيات للشيخ الإمام أبي حفص عمر النسفي وقد مرّ ذكره في علم اللغة. ومن شروح المنظومة: المصفى وقد صنفه مصنف المستصفى في شرح النافع، وهو أبو البركات حافظ الدين النسفي، صاحب الوافي وشرحه الكافي في الفقه، وقد مرّ ذكره في علم الأصول. ومن شروحه النافعة الحقائق، وله شرح لخطاب بن أبي القاسم القره حصاري[٢]، جعله في مجلدين، فرغ منه في صفر سنة سبع عشرة وسبع مائة، وكان ورد دمشق ثم رجع إلى بلاده.

ومنها: كتاب المقدمة الغزنوية للشيخ الإمام أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي الحنفي[٣]، تفقّه على أحمد بن يوسف الحسيني[٤]، وتفقه به جماعة، وصنف: كتاب روضة اختلاف العلماء، ومقدمة في الفقه عرفت بالغزنوبة، وكتابًا في أصول الفقه، وكتاب روضة المتكلمين في أصول الدين، وكتاب المنتقى من روضة المتكلمين. مات بحلب سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة، وكان معيد درس الكاساني صاحب البدائع.

ومن المشايخ الذين تشرّف المذهب بهم جلال الدين القونوي[٥]، وهو محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن قاسم بن مسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة التيمي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، المعروف بمولانا جلال الدين القونوي، كان عالمًا بالمذهب، واسع الفقه، عالمًا بالخلاف وأنواع العلوم، قصده الشيخ قطب الدين الشيرازي الإمام المشهور، صاحب شرح مقدمة ابن الحاجب والمفتاح للسكاكي. فلما دخل عليه وجلس عنده سكت زمانًا والشيخ لا يكلمه، ثم بعد ذلك ذكر حكاية، قال مولانا جلال الدين: كان الصدرجهان[٦] عالم بخاري يخرج من مدرسته ويتوجه إلى بستان، فيمر بفقير على الطريق في مسجد فيسأله، فلم يتفق أنه

(١) هو أبو القاسم بن يوسف السمرقندي الحسيني المديني، ناصر الدين. توفي حوالي العام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م. فقيه حنفي، له عدة تصانيف.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ١٢٦، تاج التراجم ٦٦، كشف الظنون ٢/ ١٣١٣.

(٢) هو خطاب بن أبي القاسم القراحصاري. عاش في القرن الثامن الهجري. فقيه، عالم. له عدة مصنفات.
انظر عنه: تاج التراجم ١٦٥، الفوائد البهية ٧٠، الطبقات السنية رقم ٨٢٩، كشف الظنون ٢/ ١٥١٥.

(٣) انظر ترجمته في: تاج التراجم ٧، الجواهر المضية ١/ ١٢٠، الفوائد البهية ٤٠.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن علي بن محمد بن أحمد، الشيخ عماد الدين أبو نصر، أو أبو العباس الحسني. ولد عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م. وتوفي عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. فقيه حنفي. له عدة تصانيف.
انظر عنه: المنهل الصافي ٢/ ٢٨٢، الدليل الشافي ١/ ١٠٠.

(٥) هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرومي، جلال الدين. ولد عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م. وتوفي عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م. فقيه حنفي، عالم، متصوف. له العديد من الكتب.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٣٠، الجواهر المضية ٢/ ١٢٣، كشف الظنون ٢/ ١٥٨٧.

(٦) هو محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري، الملقب بصدر جهان توفي حوالي ٦٠٣هـ/ ١٢٠٧م. فقيه، له تصانيف.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١٠/ ١٧٦، هدية العارفين ٢/ ١٠٧.

يعطيه شيئًا. ثم بعد مدة احتال الفقير وألقى أصحابه عليه ثوبًا، وأظهروا أنه ميت فدفع له شيئًا من الدراهم، ثم نهض الفقير وألقى الثوب عنه، فقال له الصدرجهان: لو لم تمت ما أعطيتك شيئًا. فلما فرغ مولانا جلال الدين من الحكاية خرّ الشيخ قطب الدين على وجهه، وذلك أنّ الشيخ جلال الدين فهم عن الشيخ قطب الدين أنه جاءه ممتحنًا له. مات في خامس جمادى الآخرة سنة إثنتين وسبعين وست مائة.

ثم إنّ الشيخ جلال الدين انقطع وتجرّد وهام، وترك التصنيف والاشتغال. وسبب ذلك أنه كان يومًا جالسًا في بيته وحوله الكتب والطلبة، فدخل عليه الشيخ شمس الدين التبريزي[1] الإمام الصالح المشهور، فسلّم وجلس، وقال للشيخ: ما هذا؟ وأشار إلى الكتب والحالة التي هو عليها، فقال له مولانا جلال الدين: هذا لا تعرفه. فما فرغ الشيخ جلال الدين من هذا اللفظ إلاّ والنار عمالة في البيت والكتب. فقال مولانا جلال الدين للتبريزي: ما هذا؟ فقال له التبريزي: هذا لا تعرفه. ثم قام وخرج من عنده. فخرج الشيخ جلال الدين على قدم التجريد وترك أولاده وحشمه ومدرسته وساح في البلاد، وذكر أشعارًا كثيرة، ولم يتفق له اجتماع بالتبريزي وعدم التبريزي، ولم يعرف له موضع. فيقال إنّ حاشية مولانا جلال الدين قصدوه واغتالوه، والله أعلم، كذا في الجواهر المضيئة في الطبقات الحنفية.

وقال غيره في نسبه: جلال الدين محمد بن بهاء الدين، محمد بن حسين بن أحمد بن محمود بن مودود بن ثابت بن مسيب بن مطهر بن حماد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم.

يقال كان لقبه جلال الدين، وكان يقول له أبوه: خداوندكار، ولقب به أيضًا. و(خداوندكار) في لغة العجم معنى السلطان في لغة العرب، ولهذا اشتهر بمولانا خداوندكار، واسم أبيه محمد، ولقبه بهاء الدين، ويلقب أيضًا بسلطان العلماء، ولقبه بهذا اللقب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، هكذا سمعه كثير من الصلحاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام، واسم جدّه الحسين، واسم أبيه أحمد، وتمكن أبوه سلطان العلماء في مدينة بلخ أولًا، وولد مولانا جلال الدين هناك، ثم توطّن أبوه بقونية[2] وهو طفل صغير، ولهذا لقب بجلال الدين الرومي. وكانت ولادته في سادس ربيع الأول سنة أربع وست مائة. وتوفي في خامس جمادى الآخرة سنة إثنتين وسبعين وست مائة، وفي هذه السنة توفي نصير الدين الطوسي الحكيم صاحب التجريد في الكلام، وكانت مدة عمره ثمان وستين سنة.

روي أنّ سلطان بلخ سلطان محمد خوارزمشاه أعطى أخته لمولانا حسين جدّ مولانا جلال الدين محمد، وولدت هي سلطان العلماء محمد، وكان جدة بهاء الدين محمد أم أحمد الخطيبي أخت السلطان إبراهيم بن أدهم رحمهم الله تعالى.

ومن وصايا جلال الدين لأصحابه: أوصيكم بتقوى الله في السّر والعلانية، وبقلة الطعام وقلة

---

(١) هو محمد بن علي بن ملك دار التبريزي، شمس الدين. فقيه، صوفي، شاعر، له أحوال ومعارف، وعدة مصنفات كان من اصحاب جلال الدين الرومي.
انظر عنه: الموسوعة الصوفية ٧٥.

(٢) قونيه: بالضم ثم السكون ونون ساكنة وياء، من أعظم مدن المسلمين من بلاد الروم، وبها وبأقصرى سكنى ملوكها.
انظر: مراصد الاطلاع ١١٣٤.

الكلام، وهجران المعاصي والآثام، ومواظبة الصيام، ودوام القيام، وترك الشهوات على الدوام، واحتمال الجفاء من جميع الأنام، وترك مجالسة السفهاء والعوام، وملازمة مصاحبة الصالحين والكرام. وإنّ خير الناس من ينفع الناس، وخير الكلام ما قلّ ودلّ.

وأما ولده أحمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن قاسم بن مسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فهو مولانا بهاء الدين ابن مولانا جلال الدين، ويلقب بهاء الدين هذا بسلطان ولد. كان إمامًا فقيهًا، درّس بعد أبيه بمدرسة قونية، وتبع والده في التجرّد وعمّر، وتوفي سنة اثنتي عشرة وسبع مائة، وهو ابن إثنتين وتسعين سنة، ودفن بقونية بتربة والده، وصلّى عليه الشيخ مجد الدين الأقصرائي[١] بوصية منه.

حكى لي بعض أصحابنا عنه قال: كانت له سرية، فقال لها: اختاري واحدًا من أصحابي أزوّجك به، لعل الله أن يرزقك ولدًا يعبد الله، فامتنعت من ذلك. قال صاحبنا: فقال لي الشيخ: اكشف لي عن سبب المنع، فقلت لها عن ذلك فقالت: الكبار يزوروني ويعظموني ويكرموني لنسبتي إلى الشيخ، وإذا تزوّجت بغيره يزول عني هذا. قال: فأخبرت الشيخ بما قالت فتبسّم وقال: آثرت اللذة الوهمية على اللذة الحسية. وحكي لي عنه كرامات، كذا في الجواهر المضيئة في الطبقات الحنفية.

ومن المتأخرين من له يد طولى في الفقه: وهو الشيخ بدر الدين محمود بن إسرائيل بن عبد العزيز الشهير بابن قاضي سماونه[٢]. ولد في قلعة سماونه من بلاد الروم، حين كان أبوه قاضيًا بها، وكان أيضًا أميرًا على عسكر المسلمين بها، وكان فتح تلك القلعة على يده أيضًا. يقال إنّ أحد أجداده كان وزيرًا لآل سلجوق، وكان هو ابن أخي السلطان علاء الدين السلجوقي[٣]، وكان فتح القلعة المذكورة وولادة الشيخ بدر الدين في زمن السلطان غازي[٤] خداوندكار من سلاطين آل عثمان.

ثم إنّ الشيخ أخذ العلم في صباه عن والده المذكور، وحفظ القرآن العظيم، وقرأه على المولى المشتهر بالشاهدي[٥]، وتعلم الصرف والنحو من مولانا يوسف، ثم ارتحل إلى الديار المصرية مع ابن عم أبيه، وهو مؤيّد بن عبد المؤمن، وقرأ بقونية من بلاد الروم بعضًا من العلوم وعلم النجوم على مولانا فيض الله من تلامذة فضل الله، ومكث عنده أربعة أشهر. ولما توفي مولانا فيض الله ارتحل إلى الديار المصرية وقرأ هناك مع الشريف الجرجاني على مولانا مباركشاه المنطقي المدرّس بالقاهرة، ثم حجّ مع مبارك شاه، وقرأ بمكة على الشيخ

(١) هو محمد بن محمد بن عيسى الأقصرائي الدمشقي الحنفي، أبو عبد الله. ولد عام ٧٢٤هـ. وتوفي عام ٧٧٣هـ. فقيه، مدرس خطيب. محدث. له تصانيف.
انظر عنه: الذيل على العبر ٢/ ٣٣٩، العقد الثمين ٢/ ٣٢٨، أنباء الغمر ١/ ٣٠، الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٩، شذرات الذهب ٦/ ٢٢٩.

(٢) انظر ترجمته في: الأعلام ٨/ ٤٠، الشقائق النعمانية ١/ ١١١.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

(٥) لم يعثر له على ترجمة.

الزيلعي، ثم قدم القاهرة وقرأ مع الشريف الجرجاني على الشيخ أكمل الدين، وحصل عنده جميع العلوم، ثم قرأ على الشيخ بدر الدين المذكور السلطان فرج[(١)] بن السلطان برقوق[(٢)] ملك مصر ثم أدركته الجذبة الإلهية والتجأ إلى كنف الشيخ سيد حسين الاخلاطي[(٣)] الساكن بمصر وقتئذٍ وحصل عنده ما حصل، وأرسله الشيخ الأخلاطي إلى بلدة تبريز للإرشاد. ولما جاء الأمير تيمور[(٤)] إلى تبريز وقع عنده منازعة بين العلماء ولم ينفصل البحث عنده. فذكر الشيخ الجزري الشيخ بدر الدين المذكور للمحاكمة بين المخاصمين، فدعاه الأمير تيمور، فحكم الشيخ بينهما ورضي الكل بحكمه، واعترف العلماء بفضله، ونال من الأمير المذكور مالًا جزيلًا وإكرامًا بالغًا إلى نهايته، ثم ترك الشيخ الكل ولحق ببدليس[(٥)]، ثم سافر إلى مصر ووصل إلى الشيخ الأخلاطي المذكور، ثم مات الشيخ الأخلاطي وأجلس الشيخ مكانه، فجلس فيه ستة أشهر ثم جاء إلى حلب ثم إلى قونية ثم إلى ثبرة[(٦)] من بلاد الروم، ثم دعاه رئيس جزيرة صاقز فأسلم على يدي الشيخ، ثم جاء الشيخ إلى أدرنه وصار الرئيس من جملة مريديه، ووجد الشيخ والديه هناك حيين. ثم لما تسلطن موسى جلبي[(٧)] [من أولاد عثمان، نصب قاضيًا بعسكره. ثم إن أخا موسى جلبي][(٨)] قتل موسى جلبي، وحبس الشيخ في ازنيق[(٩)]، ثم هرب من الحبس إلى الأمير إسفنديار، وكان قصده الوصول إلى بلاد تاتار، ولم يأذن له إسفنديار خوفًا من ابن عثمان. ثم أرسله إلى زغرة[(١٠)] من ولاية روم

---

(١) هو فرج (الملك الناصر) ابن برقوق (الظاهر) ابن أنص العثماني، أبو السعادات، زين الدين. ولد عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م وتوفي عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م. من ملوك الجراكسة بمصر والشام، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٤٠، ابن إياس ١/ ٣١٧، الضوء اللامع ٦/ ١٦٨.

(٢) هو برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر. ولد عام ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م. وتوفي عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م. أول من ملك مصر من الشراكسة. له اعمال جليلة ومواقف جريئة. وأخباره مشهورة.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٤٨، ابن اياس ١/ ٢٥٨، الضوء اللامع ٣/ ١٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٥٥٨.

(٣) لم يعثر له على ترجمة.

(٤) هو تمر - أو - تيمور بن أيتمش قنلغ بن زنكي بن سنقوز بن كنجك بن ألتاخان، الطاغية تيموركوركان، صهر الملوك. ولد عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م. وتوفي عام ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م. أمير، طاغية، شديد البأس، اشتهر بالقوة والبطش، وله أخبار مشهورة. انظر عنه: المنهل الصافي ٤/ ١٠٣، الدليل الشافي ١/ ٢٢٤، النجوم الزاهرة ١٢/ ٢٥٤، أنباء الغمر ٢/ ٣٠١، الضوء اللامع ٣/ ٤٦، شذرات الذهب ٧/ ٦٢.

(٥) بدليس: بالفتح ثم السكون وكسر اللام وياء ساكنة وسين مهملة: بلدة من نواحي أرمينية، قرب خلاط.
انظر: مراصد الاطلاع ١٧١.

(٦) موضع تلقاء لعاف، من ديار بني مالك بن زيد مناة بن تميم، من ديار تغلب. وأصل الثبرة النقرة في الحجارة المتراصفة.
انظر عنها: معجم ما استعجم ٢/ ٣٣٤.

(٧) هو موسى بن محمد ابن القاضي محمود الرومي، صلاح الدين المعروف بقاضي زادة، موسى جلبي. توفي نحو ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م. عالم بالرياضيات والفلك والحكمة. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٣٢٨، الشقائق النعمانية ١/ ١٧، كشف الظنون ١/ ١٠٥.

(٨) [...] ما بين المعقوفين ساقطة من النسخة الهندية، ومثبتة في المصرية.

(٩) مدينة قديمة في آسيا الصغرى، هي اليوم أزنيق في تركيا، تقع على بحيرة أزنيق. عقد فيها مجامع كنسية، وكانت عاصمة الامبراطورية البيزنطية. فيها آثار رومانية واسلامية، وتشتهر بجامعها وخزفها. وقد خرج منها مجموعة من العلماء المسلمين. انظر عنها: منجد الأعلام ٥٨٤.

(١٠) قرية بمشارف الشام. ويقال لها أيضاً: زُغَر. انظر عنها: معجم البلدان ٤/ ٣٩٣، مادة زغر.

إيلي، واجتمع عنده أحباؤه وأضافوه مرارًا متعددة، ووشي به بعض المفسدين إلى السلطان أنه يريد السلطنة، فأخذ وقتل مظلومًا رحمه الله. وله تصانيف كثيرة، منها: لطائف الإشارات في الفقه وشرحه التسهيل، صنفهما محبوسًا في أزنيق. ومنها جامع الفصولين، ومنها عنقود الجواهر شرح المقصود في الصرف، ومنها مسرة القلوب في التصوف، والواردات في التصوف أيضًا. وكان وفاته في سنة ثمان عشر وثمان مائة تقريبًا. وروي أنّ السيد الشريف الجرجاني كان يمدحه بالفضل رحمهما الله تعالى.

واعلم أنّ استقصاء أئمة الشرع خيال محال، لأنّ من جملة إكرام الله تعالى هذا الشرع أنّه تعالى ملأ أقطار الأرض شرقًا وغربًا بأنوار اجتهاد العلماء الذين هم كأنبياء بني إسرائيل، كلما أردت تعداد طائفة منها انفتح لك طوائف، يكل الذهن عن تذكار أساميهم، فضلًا عن استيفاء مناقبهم وأحوالهم. فالأولى بنا أن لا نطمع في غير مطمع، فإنّه بحر لا ساحل له. لكن لا علينا أنْ نذكرها هنا نبذًا من مشاهير أئمة الشافعية تبركًا بهم أيضًا، فلنذكر أولًا من تشرّف بصحبته والنظر إلى وجهه الكريم.

منهم أحمد بن خالد الخلال أبو جعفر البغدادي[١]. روى عن الشافعي وسفيان ابن عيينة وغيرهما، حدّث عنه الترمذي والنسائي وغيرهما، وقالا لا بأس به. قال أبو حاتم الرازي: كان خيرًا فاضلًا عدلًا ثقة صدوقًا رضى. وقال الحاكم: كان من أجلّة الفقهاء والمحدّثين. مات سنة ست وسبع وأربعين ومائتين.

ومنهم أحمد بن سنان بن أسد بن حيان القطان[٢]، أبو جعفر الواسطي الحافظ. له مسند مخرج على الرجال. روى عن الشافعي وأبي معاوية[٣] ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي وخلق. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة ويحيى بن صاعد وابن خزيمة وابنه جعفر بن أحمد بن سنان وغيرهم. توفي سنة ست أو تسع وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن صالح المصري أبو جعفر الطبري[٤]، أحد أركان العلم وجهابذة الحفاظ، كان أبوه جنديًا من أجناد طبرستان، فولد له أحمد بمصر سنة سبعين ومائة وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائتين. سمع سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب وعنبسة بن سعيد[٥] وعبد الله بن نافع[٦] والشافعي. روى عنه البخاري وربما روى عن رجل عنه، وروى عنه أيضًا أبو داود والترمذي وجماعة، ودخل بغداد وناظر بها

(١) هو أحمد بن خالد الخلال، أبو جعفر البغدادي العسكري، توفي عام ٢٤٧هـ. قاضي الثغر، روى عن الشافعي وغيره. ثقة، عدل، فقيه محدث. انظر عنه: طبقات السبكي ٢/ ٥، تاريخ بغداد ٤/ ١٢٦، تهذيب التهذيب ١/ ٢٧.

(٢) انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٣، شذرات الذهب ٢/ ١٣٧، التهذيب ١/ ٣٤.

(٣) هو محمد بن خازم، أبو معاوية الضرير الكوفي. توفي عام ١٩٥هـ. ثقة، حافظ، عمي في صغره، من الطبقة التاسعة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٧٥.

(٤) هو أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر. ولد عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. وتوفي عام ٢٤٨هـ/ ٨٦٣م. مقرىء، عالم بالحديث، حافظ، ثقة. له أخبار. انظر عنه: الأعلام ١/ ١٣٧، تاريخ بغداد ٤/ ١٩٥، غاية النهاية ١/ ٦٢، طبقات القراء ١/ ١٥٢.

(٥) هو عنبسة بن سعيد الضرير الأسدي. أبو بكر الكوفي. محدث، ثقة، قاضي الري. من الطبقة الثامنة.

(٦) هو عبد الله بن نافع الصائغ المخزومي، أبو محمد المدني. توفي عام ٢٠٦هـ. محدث، ثقة، من الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٢٦.

أحمد بن حنبل. قال البخاري: هو ثقة. وقال يعقوب الفسوي[١]: كتبت عن ألف شيخ، وكسر حجتي فيما بيني وبين الله رجلان: أحمد بن حنبل وأحمد بن صالح. وقال النسائي: أحمد بن صالح ليس بثقة ولا مأمون. قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان آفة أحمد بن صالح الكبر وشراسة الخلق، ونال النسائي منه جفاءً في مجلسه، فذلك الذي أفسد بينهما. قيل: إنه طرد النسائي عن مجلسه فحمله على أنْ تكلّم فيه، وإلاّ فقد قال أبو يعلى الحافظ[٢] إنّ ابن صالح ثقة حافظ.

فائدة دينية: وهي أنك ربما ترى في كتب الأصول أنّ الجرح مقدّم على التعديل، ثم ترى جرحًا في حق الأئمة، فلعلك تميل إلى جرحه، فإياك وإياك الحذر كل الحذر من هذا الحساب، إذْ لو فتح هذا الباب لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذْ ما من إمام إلاّ وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون، إمّا لأمر دنيوي أو تعصب مذهبي، بل الصواب أنّ من ثبتت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكّوه وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من أمر دنيوي أو غيره، فلا عبرة به. وإنما يقدم الجرح فيمن تساوى عنده سبب الجرح على سبب التعديل، سيّما وقد روي عن ابن عباس أنه قال: إستمعوا علم العلماء ولا تصدّقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده إنهم أشدّ تغايرًا من التيوس في زروبها.

وعن مالك بن دينار: يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلاّ قول بعضهم في بعض.

وعن عبد الله بن وهب: أنه لا يجوز شهادة القارىء على القارىء، يعني العلماء لأنهم أشد الناس تحاسدًا وتباغيًا، وقاله سفيان الثوري ومالك بن دينار. ألا يرى إلى قول ابن معين في الشافعي، وقول بعض الفقهاء الشافعية في أبي حنيفة رحمه الله، وكلام ابن أبي ذئب[٣] وإبراهيم بن سعد[٤] في مالك، وهم هم، لا يحوم العلم والدين إلاّ حول حماهم، فينبغي لك أيها المسترشد أن تسلك سبيل الأدب مع الأئمة الماضين، وأن لا تنظر في كلام بعضهم في بعض إلاّ إذا أتى ببرهان واضح. ثم إنْ قدرت على التأويل وتحسين الظن فدونك، وإلاّ فاضرب صفحًا عما جرى بينهم فإنّك لم تخلق لهذا، واشتغل بما يعنيك ودع ما لا يعنيك.

قيل: لا يزال طالب العلم عندي نبيلًا حتى يخوض فيما جرى بين السلف الماضين، ويقضي لبعض على بعض، فإيّاك ثم إياك أن تصغي إلى ما اتفق بين أبي حنيفة وسفيان الثوري، أو بين مالك وابن أبي ذئب، أو بين أحمد بن صالح والنسائي، أو بين أحمد بن حنبل والحارث

---

(١) هو يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف. توفي عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م. من كبار حفاظ الحديث. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٩٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤٦، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٥، البداية والنهاية ١١/ ٥٩.

(٢) هو أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، أبو يعلى، توفي عام ٣٠٧هـ/ ٩١٩م. حافظ، محدث، ثقة. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٧١، الرسالة المستطرفة ٥٣، تذكرة النوادر ٣٩.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث، بن أبي ذئب، أبو الحارث. ولد عام ٨٠هـ/ ٧٠٠م. وتوفي عام ١٥٨هـ/ ٧٧٥م. تابعي، من رواة الحديث. له أخبار.
انظر عنه الأعلام ٦/ ١٨٩، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٣، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٥.

(٤) هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أبو إسحاق الزهري. ولد عام ١٠٩هـ/ ٧٢٧م. وتوفي عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م. موسيقار، من علماء الحديث الثقاة، له رواية وعدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٤٠، تاريخ بغداد ٦/ ٨١، العبر ١/ ٢٨٨، نهاية الارب ٤/ ٢٤٧.

المحاسبي، وهلمّ جرّا، إلى زمان الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقي الدين بن الصلاح، وهكذا في كل عصر وزمان، فإنّك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك. فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل ربما لم تفهم بعضها، فليس لنا إلاّ الترضّي عنهم والسكوت عما جرى بينهم، كما يفعل فيما جرى بين الصحابة رضي الله عنهم، وما مثل من تكلم فيهم إلاّ كما قال الأعشى:

كناطح صخرة يومًا ليقلعها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أو كما قال الحسن بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه
اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا
وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل في هذا الباب:

إنْ يحسدوني فإني غير لائمهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غيظًا بما يجد

وأنشد محمد بن الحسن في حقّ حساده:

تحسدوني وشرّ الناس منزلة
من عاش في الناس غير محسود

وقد قيل:

إنّ العرانين تلقاها محسدة
ولا ترى للئام الناس حُسّادا

وكان إذا ذكر عند أبي حنيفة رحمه الله أحد بسوء أنشد:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
والناس أعداء له وخصوم
كضراير الحسناء قلن لوجهها
حسدًا وبغضًا إنه لدميم

قيل لعبد الله بن طاهر: إنّ الناس يقدحون في أبي حنيفة رحمه الله، فقال:

ما يضر البحر أمسى زاخرًا
أنْ رمى فيه غلام بحجر

وفيه قال قائل:

إن يحسدوني فزاد الله في حسدي
لا عاش من عاش يومًا غير محسود
ما يحسد المرء إلاّ من فضائله
بالعلم والبأس أو بالمجد والجود

ولبعضهم في المعنى:

فازداد لي حسدًا من لست أحسده
إنّ الفضيلة لا تخلو عن الحسد

ولعمارة بن عقيل[(١)]:

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل
ذو الفضل يحسده ذوو النقصان
يا بؤس قوم ليس حزبي بينهم
إلاّ تظاهر نعمة الرحمان

ولحاتم الطائي:

يا كعبُ مالي أرى من بيت مكرمة
إلاّ له من بيوت الناس حسّادا

وقال الرضي الموسوي[(٢)]:

نظروا بعين عداوة لو أنّها
عين الهوى لاستحسنوا ما استقبحوا

---

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي. ولد عام ١٨٢هـ/٧٩٨م. وتوفي عام ٢٣٩هـ/٨٥٣م. شاعر فصيح، له أخبار وديوان شعر.
انظر عنه: الأعلام ٥/٣٧، رغبة الآمل ١/١٢٩، تاريخ بغداد ١٢/٢٨٢.

(٢) هو محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني، الموسوي. ولد عام ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م. وتوفي عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م. شاعر مجيد، له مصنفات عدة.
انظر عنه: الأعلام ٦/٩٩، وفيات الأعيان ٢/٢، تاريخ بغداد ٢/٢٤٦، يتيمة الدهر ٢/٢٩٧، نزهة الجليس ١/٣٥٩.

تولونني شزر العيون لأنني
أمسيت في طلب العلو وتصبحوا

والإكثار من هذا الباب، وإيثار الإطناب في الكتاب، ليس إلاّ من قبيل نفثة المصدور، والعذر عند كرام الناس معذور.

ومنهم أحمد بن أبي سريج الصباح النهشلي، أو أحمد بن عمر بن الصباح أبو جعفر الرازي البغدادي[(١)]. سمع شعيب بن حرب[(٢)] وأبا معاوية الضرير وابن علية ووكيعًا والشافعي وجماعة. روى عنه البخاري والنسائي وأبو داود وأبو حاتم وغيرهم. قال النسائي: ثقة. وقال أبو حاتم: صدوق[(٣)].

ومنهم أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي. أبو عبد الله المصري[(٤)]. روى عن عمه عبد الله بن وهب والشافعي رحمه الله وجماعة. وحدّث عنه مسلم في الصحيح وأبو حاتم الرازي وابن خزيمة وابن جرير. توفي سنة أربع وستين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح القرشي الأموي[(٥)]، مولاهم أبو الطاهر المصري، الفقيه. روى عن سفيان بن عيينة والشافعي وابن وهب وغيرهم. وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم. وكان من جلة العلماء: شرح موطأ مالك، توفي لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المشهور في الآفاق. وقد ذكرناه فيما مرّ من الأئمة المجتهدين رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن محمد بن الوليد. ويقال عون بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شمر الأزرقي القواس المكي[(٦)]، أبو الوليد، أو أبو محمد، أو أبو الحسن، وهو جد صاحب تاريخ مكة[(٧)]. روى عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي[(٨)] ومالك وعبد الجبار بن الورد[(٩)] وإبراهيم بن سعد وفضيل بن عياض ومسلم بن خالد الزنجي وجماعة. روى عنه البخاري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو

---

(١) هو أحمد بن الصباح النهشلي، أبو جعفر بن أبي سريج الرازي. توفي بعد عام ٢٤٠هـ. قارىء، محدث ثقة، حافظ. من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٨٠.

(٢) هو شعيب بن حرب المدائني. أبو صالح، توفي عام ١٩٧هـ. محدث، ثقة، عابد. من الطبقة التاسعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٦٧، وفيات الأعيان ٢/ ٤٧٠.

(٣) حافظ، له غرائب، من العاشرة. مات سنة أربعين ومائتين. (هامش الأصل).

(٤) هو أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء، أبو عبد الله المصري. توفي عام ٢٦٤هـ/٨٧٧م. لقب ببحشل، محدث كبير، له رواية كثيرة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٤٦، ميزان الاعتدال ١/ ٥٣، طبقات السبكي ١/ ١٩٩.

(٥) انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٩، شذرات الذهب ٢/ ١٢٠.

(٦) هو أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو الغساني، أبو محمد وأبو الوليد. محدث ثقة. من الطبقة العاشرة. توفي عام ٢١٧هـ. وقيل ٢٢٢هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٨٤.

(٧) تواريخ مكة، منها تاريخ الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الكريم الأزرقي (- ٢٢٣هـ).
كشف الظنون ١/ ٣٠٦.

(٨) هو عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد العاصي الأموي، أبو أمية السعدي المكي. محدث، ثقة من الطبقة السابعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٢٨.

(٩) هو عبد الجبار بن الورد المخزومي المكي، أبو هشام. من الطبقة السابعة. محدث، صدوق.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٣٢.

حاتم وحنبل بن إسحاق وأبو جعفر الترمذي. توفي سنة إثنتين وعشرين ومائتين على ما حرره شيخنا الذهبي.

ومنهم أحمد بن يحيى بن عبد العزيز البغدادي[١]، أبو عبد الرحمن الشافعي المتكلم. حدّث عن الشافعي والوليد بن مسلم الثقفي. روى عنه أبو جعفر الحضرمي[٢]. كان من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له، ثم صار من أصحاب ابن أبي داود[٣] واتبعه على رأيه، حتى إنّ الشافعي منعه من قراءة كتبه.

ومنهم أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان بن المهاجر التجيبي أبو عبد الله المصري[٤]، الحافظ النحوي، مولاهم، أحد الأئمة. روى عن عبد الله بن وهب وشعيب بن الليث[٥] وأصبغ بن الفرج[٦] وجماعة. روى عنه النسائي وقال ثقة. والحسين بن يعقوب المصري[٧] وأبو بكر بن أبي داود[٨] وآخرون. ولد سنة إحدى وسبعين ومائة، وكان من أعلم أهل زمانه بالأدب والشعر والغريب وأيام الناس، وصحب الشافعي، وتفقه له، وكان يعمل الفلاحة فانكسر عليه بعض الخراج، فمات في السجن سنة إحدى وخمسين أو خمسين[٩] ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن أبي سريج الرازي[١٠] تفقّه على الشافعي رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث[١١]، الإمام أبو عبد الله المصري، أخو عبد الرحمن وسعد. ولد سنة إثنتين وثمانين ومائة. روى عن عبد الله بن وهب وإبن أبي فديك وأبي ضميرة أنس بن عياض[١٢] وأشهب

---

(١) هو محمد وليس أحمد بن يحيى بن عبد العزيز اليشكري، أبو علي الصائغ المروزي البغدادي. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الحادية عشرة توفي عام ٢٥٢هـ. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥١٣.

(٢) لم يعثر على ترجمة له.

(٣) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي، أبو عبد الله. ولد عام ١٦٠هـ/ ٧٧٧م وتوفي ببغداد عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. من أئمة الاعتزال المشهورين، وقاضي القضاة ببغداد. وهو ممن دعا إلى القول بخلق القرآن. انظر عنه: الأعلام ١/ ١٢٤، وفيات الأعيان ١/ ٢٢، تاريخ بغداد ٤/ ١٤١، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٩، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٠.

(٤) هو أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان التجيبي، أبو عبد الله المصري. محدث ثقة، من الطبقة الحادية عشرة. توفي عام ٢٦٥هـ. انظر عنه: تقريب التهذيب ٨٦.

(٥) هو شعيب بن الليث بن سعد الفهمي، أبو عبد الملك المصري. توفي عام ١٩٩هـ. فقيه، محدث ثقة، نبيل، من كبار الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٦٧.

(٦) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد نافع. توفي عام ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م. فقيه مالكي. عالم كبير. له تصانيف. انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٣٣، وفيات الأعيان ١/ ٧٩.

(٧) لعله الحسن بن يعقوب، أبو الفضل البخاري العدل النيسابوري. محدث، توفي عام ٣٤٢هـ. انظر عنه: شذرات الذهب ٢/ ٣٦٢.

(٨) هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر بن أبي داود. ولد عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م. وتوفي عام ٣١٦هـ/ ٩٢٩م. حافظ كبير، محدث ثقة. له تصانيف عديدة. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٩١، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٩٨، وفيات الأعيان ١/ ٢١٤، غاية النهاية ١/ ٤٢٠، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣.

(٩) وفي التقريب سنة خمس وستين. (هامش الأصل).

(١٠) هو أحمد بن أبي سريج الصباح النهشلي، وقد تقدم. (هامش الأصل).

(١١) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، أبو عبد الله. ولد عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م وتوفي عام ٢٦٨هـ/ ٨٨٢م. فقيه عصره، جريء، له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٢٣، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٨٦، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٣٨.

(١٢) هو أنس بن عياض الليثي المدني، أبو ضمرة. ولد عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م. وتوفي عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م. محدث، ثقة، له رواية. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٧.

بن عبد العزيز[١] والشافعي، وبه تفقه. وروى عنه النسائي وأبو حاتم الرازي وعبد الرحمن بن أبي حاتم وابن خزيمة وأبو العباس الأصم[٢] وابن صاعد وأبو بكر بن زياد[٣] النيسابوري وجماعة. ولازم الشافعي مدة. قيل: إنّ الشافعي كان معجبًا به لفرط ذكائه وحرصه على الفقه، إلاّ أنه رجع عن مذهب الشافعي إلى مذهب مالك، ثم انتهت حاله إلى أنْ صنّف كتابًا سماه: الرّد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة، وهو اسم قبيح. قيل: ولقد نالته بعد هذا التصنيف محنة عظيمة يطول شرحها. توفي سنة ثمان وستين ومائتين. قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة: الحماقة والطاعون والهرم. وروي عن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: لم أر شيئًا أنفع للوباء من دهن البنفسج، يدهن به ويشرب. قال ابن السبكي: والوباء غير الطاعون فلا منافاة بين الأمرين.

ومنهم محمد ابن الإمام الشافعي الشيخ أبو عثمان القاضي، وهو أكبر أولاده. ولما توفي والده كان بالغًا مقيمًا بمكة. سمع أباه وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وأحمد بن حنبل. ولّي القضاء بالجزيرة وأعمالها، وبمدينة حلب، وبقي بها سنين كثيرة. توفي بالجزيرة بعد سنة أربعين ومائتين. وقيل: كان للشافعي ولد آخر اسمه محمد أيضًا، وكنيته أبو الحسن، وهو من جارية اسمها دنانير. قدم مصر مع أبيه، ثم توفي بها سنة إحدى وثلاثين ومائتين، رحمه الله تعالى.

ومنهم إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان، أبو ثور الحلبي البغدادي، الإمام الجليل أحد أصحابنا البغداديين. قيل: كنيته أبو عبد الله وأبو ثور لقبه. روى عن سفيان ابن عيينة وابن علية وعبد بن حميد وأبي معاوية ووكيع ومعاذ بن معاذ وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي ويزيد بن هارون وجماعة. روى عنه مسلم خارج الصحيح وأبو داود وابن ماجة وأبو القاسم البغوي والقاسم بن زكرياء المطرز[٤] ومحمد بن إسحاق السرّاج[٥] وجماعة. كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا وخيرًا، وهو ممن صنف الكتب، وفرّع على السنن وذبّ عنها، وقمع مخالفيها. قيل كان أولًا على مذهب أبي حنيفة رحمه الله حتى قدم

---

(١) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، أبو عمرو. ولد عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. وتوفي عام ٢٠٤هـ/ ٨١٩م. فقيه عصره. له تصانيف. انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٣٣، وفيات الأعيان ١/ ٧٨.

(٢) هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سفيان الأموي، أبو العباس الأصم. ولد عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م. وتوفي عام ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م. محدث، ثقة، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٤٥، اللباب ١/ ٥٦، المنتظم ٦/ ٣٨٦، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٣، تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٣.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون النيسابوري، أبو بكر. توفي عام ٣٢٤هـ. إمام حافظ علامة. فقيه، محدث، له تصانيف.
انظر عنه: تاريخ بغداد ١٠/ ١٢٠، المنتظم ٦/ ٢٨٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١٩، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٦٥، العبر ٢/ ٢٠١، البداية والنهاية ١١/ ١٨٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٩.

(٤) هو القاسم بن زكريا بن يحيى البغدادي، أبو بكر، المعروف بالمطرِّز. ولد عام ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م. وتوفي عام ٣٠٥هـ/ ٩١٧م. حافظ، ثقة، متقن، له مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٧٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٥٦، تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٤.

(٥) هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الثقفي النيسابوري، أبو العباس، ولد عام ٢١٦هـ/ ٨٣١م. وتوفي عام ٣١٣هـ/ ٩٢٥م. حافظ ثقة متقن. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٦٨، تاريخ بغداد ١/ ٢٤٨.

الشافعي بغداد، فاختلف إليه ورجع إلى مذهبه[(١)].

ومنهم إبراهيم بن العباس بن عثمان الشافعي[(٢)]، ابن عم الإمام الشافعي رحمه الله. روى عن عمه والفضيل بن عياض وجده لأمه محمد بن علي بن شافع والمنكدر بن محمد وحماد بن زيد[(٣)] وابن عيينة وطائفة. وروى عنه ابن ماجه وأحمد بن سيار المروزي[(٤)] وأبو بكر بن أبي عاصم[(٥)] وغيرهم. قال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي والدارقطني: ثقة. مات سنة سبع أو ثمان وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم إبراهيم بن محمد بن هرم[(٦)]، روى عن الشافعي رحمه الله وكان يلزمه.

ومنهم إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر الحزامي المدني[(٧)]، إمام ثقة جليل. حدّث عن سفيان بن عيينة وابن وهب ومعن بن عيسى وابن أبي فديك وأبي ضمرة والوليد بن مسلم وجماعة. روى عنه البخاري في صحيحه وابن ماجة وبقي بن مخلد[(٨)] وابن أبي الدنيا[(٩)] ومحمد بن إبراهيم البوشنجي[(١٠)] ومطين وخلق. قال الخطيب: إبراهيم ثقة. وقال أبو الفتح الأزدي[(١١)]: هو في عداد أهل الصدق. وعن الدارقطني أنه قال: هو ثقة. مات سنة ست أو خمس وثلاثين ومائتين[(١٢)].

ومنهم إسحاق بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب المروزي ابن راهويه[(١٣)]، أحد أئمة الدين

---

(١) ثقة من العاشرة، مات سنة أربعين ومائتين. (هامش الأصل).

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن العباس بن عثمان، أبو إسحاق المطلبي. توفي عام ٢٣٧هـ. ابن عم الإمام الشافعي، محدث، ثقة له رواية وأخبار انظر عنه: العبر ١/ ٤٢٥

(٣) هو حماد بن زيد بن درهم الازدي الجهضمي البصري، أبو اسماعيل. ولد عام ٩٨هـ/ ٧١٧م. وتوفي عام ١٧٩هـ سنة ٧٩٥م. حافظ متقن، له رواية. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٢٧١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢١١، حلية الأولياء ٦/ ٢٥٧، اللباب ١/ ٣٦

(٤) هو أحمد بن سيار بن أيوب: أبو الحسن المروزي، توفي عام ٢٦٨هـ. حافظ، فقيه، عالم كبير، زاهد، ورع. له عدة كتب. انظر عنه: طبقات الشافعية ١/ ٧٥، تاريخ بغداد ٤/ ١٨٧، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٩، شذرات الذهب ٢/ ١٥٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٤٤.

(٥) هو أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم. ولد عام ٢٠٦هـ/ ٨٢٢م. وتوفي عام ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م. عالم بالحديث، زاهد، رحالة، له العديد من المصنفات. انظر عنه: الأعلام ١/ ١٨٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٣، البداية والنهاية ١١/ ٨٤.

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن هرم. من اتباع الإمام الشافعي. روى عنه. له أخبار. انظر عنه: طبقات السبكي ٢/ ٨١.

(٧) هو إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي الحزامي. محدث صدوق من الطبقة العاشرة، توفي عام ٢٣٦هـ. انظر عنه: تقريب التهذيب ٩٤.

(٨) هو بقي بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي. ولد عام ٢٠١هـ/ ٨٢٧م. وتوفي عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م حافظ، مفسر، محقق. له عدة كتب.

انظر عنه: الأعلام ٢/ ٦٠، الصلة ١٢١، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٨٤، نفح الطيب ١/ ٥٨٩، بغية الملتمس ٢٢٩.

(٩) تقدمت ترجمته.

(١٠) هو محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي العبدي. ولد عام ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م، وتوفي عام ٢٩١هـ/ ٩٠٣م. من كبار المحدثين، عالم باللغة والأدب. له تصانيف.

انظر عنه: الأعلام ٥/ ٢٩٤، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٢، شذرات الذهب ٢/ ٢٠٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٠٧.

(١١) هو محمد بن الحسين بن أحمد، أبو الفتح الأزدي. توفي عام ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م. حافظ له عدة مصنفات.

انظر عنه: الأعلام ٦/ ٩٨، شذرات الذهب ٣/ ٨٤.

(١٢) تكلم فيه أحمد لأجل القرآن. (هامش الأصل).

(١٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، أبو يعقوب بن راهويه. ولد عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م، وتوفي عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م. عالم خراسان في عصره. حافظ كبير، محدث، له تصانيف. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٩٢، ميزان الاعتدال ١/ ٨٥، وفيات الأعيان ١/ ٦٤، حلية الأولياء ٩/ ٢٣٤، تاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥.

وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين، الجامع بين الفقه والحديث والورع والتقوى، نزيل نيسابور وعالمها. ولد سنة إحدى أو ست وستين ومائة، سمع قبل الرحلة من ابن المبارك ثم روى عن فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة وحفص بن غياث وخلق سواهم. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل وابنه محمد بن إسحاق بن راهويه وخلق. وقال ابنه علي بن إسحاق بن راهويه: ولد أبي مثقوب الأذنين. قال فضل بن موسى[(١)] لجدي: يكون ابنك رأسًا إمّا في الخير وإمّا في الشر. فسئل إسحاق: لم قيل لأبيك راهويه؟ قال: ولد أبي في طريق مكة، فقالت المراوزة: راهويه. وقال إسحاق: كان أبي يكره هذا، وأما أنا فلست أكرهه. وكان إسحاق فردًا وفي أمر الدنيا لا رأي له. توفي إسحاق ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين. قال البخاري: وله سبع وسبعون سنة، فعلى هذا يكون ولادته سنة إحدى وستين.

ومنهم إسمعيل بن يحيى بن إسمعيل بن عمرو بن إسحاق، الإمام الجليل، أبو إبراهيم المزني، ناصر المذهب وبدر سمائه. ولد سنة خمس وسبعين ومائة، وحدث عن الشافعي ونعيم بن حماد[(٢)] وغيرهما. روى عنه ابن خزيمة والطحاوي وغيرهما، وكان جبل علم مناظرًا محجاجًا. قال الشافعي رحمه الله في وصفه: لو ناظره الشيطان لغلبه. وقال: المزني ناصر مذهبي، وكان زاهدًا ورعًا متقللًا من الدنيا مجاب الدعوة. وكان إذا فاتته صلاة في جماعة صلاّها خمسًا وعشرين مرة. وكان يغسل الموتى تعبدًا واحتسابًا، وكان يقول: أفعله ليرقّ قلبي. وصنّف كتبًا كثيرة منها: المختصر المشهور في الآفاق، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والمنثور، والمسائل المعتبرة، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق، وكتاب العقارب، وكتاب نهاية الاختصار، وأخذ منه خلائق من علماء خراسان والعراق والشام. توفي سنة أربع وستين ومائتين. ذكروا أنه كان إذا فرغ من مسئلة في المختصر صلّى ركعتين. قال المزني: سألت يومًا عن الشافعي مسائل بلسان أهل الكلام، فجعل يسمع مني وينظر إليّ ثم يجيبني عنها بأحضر جواب وأحضر فعل تفضيل من حضر يحضر حضورًا بالضاد المعجمة، كذا نقله ابن السبكي عن والده. قال المزني: فلما اكتفيت قال لي: يا بني أدلّك على ما هو خير لك من هذا. قلت: نعم. فقال: يا بني، هذا علم إنْ أنت أصبت فيه لم تؤجر، وإن أخطأت فيه كفرت. فهل لك في علم إنْ أصبت فيه أجرت وإنْ أخطأت لم تأثم. قلت: وما هو؟ قال: الفقه. فلزمته، فتعلمته منه ودرست عليه. قال: وسأله يومًا حفص القرد عن سؤالات كثيرة في الكلام، فجرى بينهما كلام كثير حتى دقّ ولم أفهمه إذا التفت إليّ الشافعي مسرعًا فقال: يا مزني: تدري ما قال حفص؟ قلت: لا. قال خير لك أنْ لا تدري. قال المزني: سمعت الشافعي يقول: ما رفعت أحدًا فوق منزلته إلاّ حطّ مني بمقدار ما رفعت منه. وقال: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته،

---

(١) هو الفضل بن موسى السِّيناني، أبو عبد الله المروزي. توفي عام ١٩٢هـ، محدث ثقة، ثبت، من كبار الطبقة التاسعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٤٧.

(٢) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، أبو عبد الله. توفي عام ٢٢٨هـ/ ٨٤٣م. محدث، عالم بالفرائض. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٤٠، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٥٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٨، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٠٦.

ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رقّ طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. وقال: سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب: رأيت جدة بنت إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلًا فلسه القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخًا قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره أجمع حافيًا راجلًا على القينات يعلمهن الغناء، فإذا أتى الصلوٰة صلى قاعدًا. قال المزني: ونسيت الرابعة. قال: وسمعته يقول: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه. وروى المزني عن الشافعي أنه نظر في النجوم وهو حدث، وقد استشكل هذا كثيرون. وقد مرّ الحق فيه عند ذكر علم النجوم.

ومنهم بحر بن نصر بن سابق الخولاني أبو عبد الله المصري(1)، مولى بني سعد بن خولان. مولده سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ومائة. قال الطحاوي: ولد بحر بن نصر والربيع المرادي والمزني(2) ثلاثتهم في سنة أربع وسبعين ومائة. روى عن ابن وهب وأيوب بن سويد الرملي(3) والشافعي، وبه تفقه وضمرة بن ربيعة(4) وأشهب وبشر بن بكر وطائفة. روى عنه ابن جوصا(5) وأبو جعفر الطحاوي وجماعة كثيرة. توفي بمصر سنة تسع(6) وستين ومائتين.

ومنهم الحارث بن سريج النقال بالنون ابن عمر الخوارزمي ثم البغدادي. وإنما قيل له النقال لأنه نقل رسالة الشافعي رحمه الله إلى عبد الرحمن بن مهدي. روى عن الشافعي وسفيان بن عيينة وحماد بن سلمة وغيرهم. روى عنه ابن أبي الدنيا وإبراهيم بن هاشم البغوي(7) وأحمد بن الحسن الصوفي(8) وغيرهم. مات سنة ست وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم الحارث بن مسكين بن محمد بن

---

(١) هو بحر بن نصر بن سابق الخولاني المصري، أبو عبد الله. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الحادية عشرة. توفي ٢٦٧هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٢٠.

(٢) هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني. ولد عام ١٧٥هـ/ ٧٩١م، وتوفي عام ٢٦٤هـ/٨٧٨م. صاحب الإمام الشافعي، زاهد، عالم مجتهد فقيه. له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٣٢٩، وفيات الأعيان ١/ ٧١.

(٣) هو أيوب بن سويد الرملي، أبو مسعود الحميري الشيباني. توفي عام ١٩٣هـ وقيل عام ٢٠٢هـ. محدث، صدوق يعد من الطبقة التاسعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١١٨.

(٤) هو ضمرة بن ربيعة الفلسطيني، أبو عبد الله الدمشقي. توفي عام ٢٠٢هـ. محدث، صدوق. من الطبقة التاسعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٨٠.

(٥) هو أحمد بن عمير بن يوسف بن موسى بن جوصا، أبو الحسن. ولد عام ٢٣٠هـ، وتوفي عام ٣٢٠هـ. إمام، حافظ، محدث الشام في عصره، ثقة، له تصانيف.
انظر عنه: المنتظم ٦/ ٢٤٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٩٥، العبر ٢/ ١٨٠، سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٥، ميزان الاعتدال ١/ ١٢٥، البداية والنهاية ١١/ ١٧١، لسان الميزان ١/ ٢٣٩.

(٦) سبع وستين. (هامش الأصل).

(٧) محدث، عالم.
انظر عنه: تاريخ بغداد ٦/ ٢٠٣، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣.

(٨) هو أحمد بن الحسن أو الحسين بن إسحاق البغدادي، الصوفي الصغير. توفي عام ٣٠٢هـ. محدث، عالم، له رواية وأخبار.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٤/ ١٥٢، تاريخ بغداد ٤/ ٩٨، العبر ٢/ ١٢٥، ميزان الاعتدال ١/ ٩٢، لسان الميزان ١/ ١٥٥، شذرات الذهب ٢/ ٢٤١.

يوسف الأموي أبو عمرو المصري[١]، فقيه محدث صالح إمام. أخذ عن الشافعي وغيره. وروى عنه أبو داود والنسائي وأبو يعلى الموصلي وغيرهم. توفي سنة خمسين ومائتين، وكان مولده سنة أربع وخمسين ومائة رحمه الله تعالى.

ومنهم الحسن بن محمد بن الصباح البغدادي، الإمام أبو علي الزعفراني[٢]، كان إمامًا جليلًا فقيهًا محدثًا فصيحًا بليغًا ثقة ثبتًا، منسوب إلى قرية بالسواد يقال له[٣] الزعفرانية[٤]، ونسب إليه درب الزعفراني ببغداد لأنه سكن فيه. سمع عن سفيان بن عيينة والشافعي رحمه الله وعبد بن حميد وغيرهم. روى عنه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، فليس في الستة من لم يروِ له إلاّ مسلم، وغيرهم من الأئمة. قيل: ولم يكن في عصر الزعفراني أحسن منه صورة ولا أفصح منه لسانًا، ولم يتكلم أحد فيه بسوء. قرأ على الشافعي كتاب الرسالة توفي في رمضان سنة ستين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم الحسين بن علي بن يزيد أبو علي الكرابيسي[٥]، كان إمامًا جليلًا جامعًا بين الفقه والحديث. تفقه أولًا على مذهب أهل الرأي، ثم تفقه للشافعي وسمع منه الحديث، وعن يزيد بن هارون وإسحاق الأزرق[٦] ويعقوب بن إبراهيم[٧] وغيرهم. وروى عنه جماعة. وله مصنفات كثيرة، وقد أجازه الشافعي. كتب الزعفراني: وكان الكرابيسي من متكلمي أهل السنة، أستاذًا في علم الكلام كما هو أستاذ في الحديث والفقه. وله كتاب في علم المقالات. مات سنة خمس أو ثمان وأربعين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم الحسين القلاس[٨]، بالسين المهملة الفقيه البغدادي. كان من أجلة أصحاب الحديث وحفاظ مذهب الشافعي رحمه الله تعالى.

ومنهم حرملة بن عبد الله التجيبي[٩]. وتجيب

---

(١) هو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف، مولى بني أمية، أبو عمرو المصري. توفي عام ٢٥٠هـ. قاضٍ، فقيه، محدث ثقة، من الطبقة العاشرة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٤٨، الأعلام ٢/١٥٧.

(٢) هو الحسن بن محمد بن الصباح البزار الزعفراني البغدادي. توفي عام ٢٥٩هـ/٨٧٣م. فقيه، محدث، ثقة، بليغ. له أخبار ورواية.
انظر عنه: الأعلام ٢/٢١٢، تهذيب التهذيب ٢/٣١٨، الانتقاء ١٠٥.

(٣) الصواب: لها.

(٤) الزعفرانية: قرية قرب بغداد، خرج منها علماء كثيرون.
انظر عنها: معجم البلدان ٤/٣٩٠، مادة: الزعفرانية.

(٥) هو الحسين بن علي بن يزيد، أبو علي الكرابيسي. توفي عام ٢٤٨هـ/٨٦٢م. فقيه، له تصانيف كثيرة.
انظر عنه: الأعلام ٢/٢٤٤، وفيات الأعيان ١/١٤٥، الانتقاء ١٠٦، تاريخ بغداد ٨/٦٤.

(٦) هو إسحاق بن يوسف بن مرداس المخزومي الواسطي، المعروف بالأزرق. محدث، ثقة، يعد من الطبقة التاسعة. توفي عام ١٩٥هـ.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٠٤.

(٧) هو يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، أبو يوسف المدني. توفي عام ٢٠٨هـ. محدث، ثقة فاضل، من الطبقة التاسعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٦٠٧.

(٨) لم يعثر له على ترجمة.

(٩) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/١٥٩، طبقات الشافعية ١/٢٥٧، مرآة الجنان ٢/١٤٣.

قبيلة. كان إمامًا جليلًا رفيع الشأن. ولد سنة ست وستين ومائة. روى عن الشافعي وابن وهب وأيوب بن سويد وغيرهم. روى عنه مسلم وابن ماجة وغيرهما. وهو ثقة ثبت إن شاء الله. صنف: المبسوط والمختصر، ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين. قال سمعت الشافعي يقول: إذا رأيت كوسجًا فاحذره. وما رأيت من أزرق خيرًا. وقال: ما تقرّب إلى الله عزّ وجلّ بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم. قال: وسمعته يقول في حديث: إشترطي لهم الولاء، أي عليهم. وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾(١) أي عليهم. وفي قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: بيد أنهم، أي من أجل أنهم. وقال: كان الشافعي وهو حدث ينظر في النجوم، وكان له صديق وعنده جارية قد حبلت. قال: إنها تلد ولدًا في فخذه الأيسر خال أسود إلى سبعة وعشرين يومًا، ويعيش أربعة وعشرين يومًا ثم يموت، فجاء الأمر كما وصف. فحرق تلك الكتب وما عاد إلى النظر في شيء منها أصلًا. وقال: كان الشافعي يخرج لسانه فيبلغ أنفه.

ومنهم الربيع بن سليمان بن داود الجيزي، أبو محمد الأزدي(٢)، مولاهم المصري الأعرج. كان رجلًا صالحًا فقيهًا. روى عن الشافعي وعبد الله بن وهب وإسحاق بن وهب وغيرهم. وروى عنه أبو داود والنسائي والطحاوي وغيرهم. توفي سنة ست أو سبع وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي، مولاهم، الشيخ أبو محمد المؤذّن، صاحب الشافعي وراوية كتبه، والثقة الثبت فيما يرويه حتى رجّحوا روايته عند تعارض المزني مع علوّ قدر المزني علمًا ودينًا وجلالةً، وموافقة ما رواه للقواعد. وحدث عن الشافعي وعن عبد الله بن وهب وأيوب بن سويد ويحيى بن حسان(٣) وجماعة. روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجة وأبو زرعة الرازي والطحاوي والترمذي وجماعة غيرهم. ولد سنة أربع وسبعين ومائة، وكان الشافعي يحبه، وقال له يومًا: لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك. وكان بطيء الفهم، كرّر عليه الشافعي مسئلة واحدة أربعين مرة فلم يفهم، وقام من المجلس حياءً، فدعاه الشافعي في خلوة فكرّرها حتى فهمها. وقيل: كانت فيه سلامة صدر وغفلة إلاّ أنه باتفاقهم لم ينته به إلى التوقّف في قبول روايته بل هو ثقة ثبت. مات سنة سبعين ومائتين. قال سمعت الشافعي يقول: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو لئيم، وفي لفظ فهو شيطان؛ ومن ذكر فلم ينزجر فهو محروم، ومن تعرّض لما لا يعنيه فهو الملوم. وقال: سمعته يقول: ما حلفت بالله صادقًا ولا كاذبًا جادًا ولا هازلًا. قلت: وإني ما سمعت من المولى الوالد يمينًا قط، كما قاله الشافعي مع كثرة صحبتي معه في الليل والنهار، رحمه الله وحشره مع الأبرار. وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا ضاقت الأشياء اتسعت، وإذا اتسعت ضاقت. قال: وسمعته يقول: من صدق في أخوة أخيه قبل علله وسدّ خلله وعفا عن زلله. قال: وسمعته يقول: الكيّس العاقل هو الفطن المتغافل.

(١) الرعد / ٢٥.

(٢) هو الربيع بن سليمان بن داود الجيزي، أبو محمد الأزدي المصري الأعرج. توفي عام ٢٥٦هـ. محدث، ثقة، عالم.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٠٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢٩٢.

(٣) هو يحيى بن حسان، أبو زكريا الشامي، المصري التنيسي. ولد عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م، وتوفي عام ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م. عالم بالحديث، ثقة، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٤٠، ابن الأثير ١١/ ١٦١، النجوم الزاهرة ٦/ ٧٤، مرآة الزمان ٨/ ٣٣١.

ومنهم سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي[١]، أبو أيوب البغدادي. روى عن الشافعي وغيره. وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره. توفي سنة تسع عشرة أو عشرين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي[٢] المكي، محدّث مكة وفقيهها، أبو بكر الحميدي[٣]، منسوب إلى حميد بن زهير بن الحارث بن أسد. روى عن الشافعي وتفقه به، وذهب معه إلى مصر، وسفيان بن عيينة. قال الذهبي: وهو أجلّ أصحابه، والدراوردي[٤] ووكيع وفضيل بن عياض وغيرهم. روى عنه البخاري ويعقوب بن سفيان[٥] ومحمد بن يحيى الذهلي وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، وخلق. قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام[٦]. توفي بمكة سنة تسع عشرة ومائتين.

ومنهم عبد العزيز بن عمر بن أيوب بن مقلاص[٧]، الإمام أبو علي الخزاعي، مولاهم، المصري الفقيه. أخذ عن الشافعي وعن عبد الله بن وهب. روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما. وهو ابن بنت سعيد بن أيوب، كان فقيهًا زاهدًا. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي[٨]. روى عن سفيان بن عيينة ومروان بن معاوية الفزاري[٩] وعبد الله بن معاذ الصنعاني[١٠] ومحمد بن إدريس الشافعي وبه تخرج. روى عنه أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد[١١] والحسين بن الفضل البجلي وأبو بكر يعقوب بن إبراهيم التيمي وغيرهم. وهو قليل الحديث. وكان يلقب بالغول لدمامة منظره، وكان من أهل العلم

---

(١) هو سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو أيوب البغدادي الهاشمي. توفي عام ٢١٩هـ. فقيه، محدث ثقة، عابد جليل، من الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٥١.

(٢) هو عبد الله بن الزبير الحميدي الأسدي، أبو بكر. توفي عام ٢١٩هـ/ ٨٣٤م. إمام في الحديث، مفتي زمانه، صحب الشافعي، له عدة مصنفات. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٨٧، تهذيب التهذيب ٥/ ٢١٥، طبقات الشافعية ١/ ٢٦٣، شذرات الذهب ٢/ ٤٥، البداية والنهاية ١٠/ ٢٨٢.

(٣) في النسخة المصرية: ومنهم: أبو بكر الحميدي، حيث جعلوه شخصاً آخر غير عبد الله بن الزبير المتقدم، وهو خطأ إذ إن أبا بكر الحميدي هو كنية عبد الله بن الزبير المذكور، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) هو عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي الجهني المدني، أبو محمد. توفي عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م. محدث راوٍ كبير، له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٨، اللباب ١/ ٤١٤، معجم البلدان ٤/ ٤٧.

(٥) هو يعقوب بن سفيان بن جواد الفارسي الفسوي، أبو يوسف. توفي عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م. من كبار حفاظ الحديث، له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٩٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤٦، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٥، البداية والنهاية ١١/ ٥٩.

(٦) قال الحاكم: كان البخاري إذا وجد الحديث عند الحميدي لا يعدوه إلى غيره. (هامش الأصل).

(٧) هو عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص، أبو علي الخزاعي المصري، توفي عام ٢٣٤هـ. فقيه، محدث، عالم. انظر عنه: طبقات السبكي ٢/ ١٤٣.

(٨) هو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي. توفي عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. فقيه، مناظر، له تصانيف عديدة. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٩، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٣، ميزان الاعتدال ٢/ ١٤١.

(٩) هو مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري، أبو عبد الله الكوفي. توفي عام ١٩٣هـ. نزيل مكة ودمشق، محدث، ثقة حافظ من الطبقة الثامنة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٢٦.

(١٠) لم يعثر له على ترجمة.

(١١) هو محمد بن القاسم بن خلّاد بن ياسر الهاشمي، أبو العيناء. ولد عام ١٩١هـ/ ٨٠٧م. وتوفي عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م. أديب، فصيح، من الظرفاء، له نوادر ولطائف، وأخباره مشهورة. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٣٣٤، وفيات الأعيان ١/ ٥٠٤، ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٣، لسان الميزان ٥/ ٣٤٤، تاريخ بغداد ٣/ ١٧٠.

والفضل، وله مصنفات عدة، وكان ممن تفقه بالشافعي واشتهر بصحبته، وكان أحد أتباع الشافعي والمقتبسين عنه، وقد طالت صحبته له وخرج معه إلى اليمن رحمهم الله تعالى.

ومنهم علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي، أبو الحسن ابن المديني، الحافظ، أحد أئمة الحديث ومن انعقد الإحماع على جلالته وإمامته[١]. وله التصانيف الحسان. مولده سنة إحدى وستين ومائة. سمع أباه وحماد بن زيد وهشيمًا[٢] وابن عيينة والدراوردي وغيرهم. روى عنه البخاري وأبو داود وأحمد بن حنبل وغيرهم. وروى الترمذي والنسائي عن رجل عنه. مات سنة أربع وثلاثين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم الفضل بن ربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة. واسم أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكنية الفضل أبو العباس حاجب الرشيد ثم وزيره. كان من رجال الدهر رأيًا وحزمًا ودهاءً ورياسة ومكارم وعظمة في الدنيا. ولوالده الربيع الجاه الرفيع عند مخدومه أمير المؤمنين أبي حعفر المنصور. ولما آل الأمر إلى هارون الرشيد واستوزر البرامكة جعل الفضل حاجبه. وكان الفضل يروم التشبه بالبرامكة ومعارضتهم، ولم يكن له إذْ ذاك من القدرة ما يدرك اللحاق بهم، فمن ثم كانت بينهم إحن وشحناء إلى أنْ قدّر الله زوال نعمة البرامكة على يد الفضل، فإنه تمكن بمجالسة الرشيد، وأوغر قلبه فيما يذكر عليهم، حتى اتفق لهم ما تناقلته الرواة، واستمر الفضل متمكنًا عند هارون إلى أنْ قضى هارون نحبه، فقام بالخلافة ولده محمد الأمين، وساق إليه الخزائن بعد موت أبيه، وسلّم إليه القضيب والخاتم، وأتاه بذلك من طوس. وكان الفضل هو صاحب الحل والعقد لاشتغال الأمين باللهو. ولما تداعت دولة الأمين ولاح عليها الإدبار اختفى الفضل مدة طويلة. فلما بويع إبراهيم بن المهدي ظهر الفضل وساس نفسه، ولم يدخل معهم في شيء فلذلك عفا عنه المأمون بشفاعة طاهر بن الحسين، واستمر بطالًا في دولة المأمون، لا حظَّ له إلا السلام إلى أن مات. وفي استقصاء أخباره طول، وأبواب وفصول، ولكنا نذكر من عجائبها أمرًا فيه عظة عظيمة لمن اعتبر، وهو أنّ الفضل دخل يومًا على يحيى بن خالد البرمكي[٣] وقد جلس يحيى لقضاء الحوائج وولده جعفر بين يديه يوقع في القصص، فعرض الفضل عليه عشر رقاع للناس فتعلّل يحيى في كل منها بعلة ولم يوقع في شيء منها البتة، فجمع الفضل الرقاع وقال: إرجعْن خائبات خاسئات، فخرج وهو ينشد:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه ... بتصريف حال والزمان عثور

فتقضى لبانات وتشفى حسائف ... وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه يحيى فقال: عزمت عليك يا أبا العباس إلاّ رجعت، فرجع، فوقع له في الجميع، ثم لم يمض إلاّ القليل ونكبت البرامكة على

(١) حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عنده. وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلمه مني. عابوا عليه إجابته في المحنة، لكنه تاب واعتذر بأنه كان خاف على نفسه. (هامش الأصل).

(٢) هو هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية الواسطي. ولد عام ١٠٤هـ/ ٧٢٢م، وتوفي عام ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. مفسر، محدث، ثقة. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٨٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٩، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٧، تاريخ بغداد ١٤/ ٨٥.

(٣) هو يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل. ولد عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م. وتوفي عام ١٩٠هـ/ ٨٠٥م. وزير، جواد، سيد بني برمك، ومؤدب الرشيد ومربيه. له أخبار مشهورة.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٤٤، ارشاد الأريب ٧/ ٢٧٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٤.

يديه، وتولّى هو الوزارة بعد أنْ كان حاجبًا. والفضل بن الربيع هو الذي قال فيه أبو نواس:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

من أبيات. مات الفضل سنة ثمان ومائتين وهو في عشر السبعين. حدّث عن الفضل أبو نصر المخزومي الكوفي أنه قال: دخلت على هارون فإذا بين يديه أنواع من آلات العذاب والقتل، فقال لي: يا فضل: عليّ بهذا الحجازي يعني الشافعي. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. ذهب هذا الرجل فأتيته وقلت له: أجب أمير المؤمنين. فقال: أصلي ركعتين. فقلت: صلّ؛ فصلّى، ثم ركب بغلته فصرنا معًا إلى دار الرشيد. فلما دخلنا الدهليز الأول حرّك الشافعي شفتيه وكذا في الثاني. فلما دخلنا بحضرة الرشيد، قام إليه فأجلسه موضعه وقعد بين يديه يعتذر إليه، وخاصة أمير المؤمنين قيام ينظرون الحال، فتحدّثوا طويلًا، ثم أذن له بالانصراف. فقال لي: إحمل يا فضل بين يديه بدرة، فحملت وقلت له: سألتك بالذي صيّر غضبه عليك رضى إلاّ ما عرفتني ما قلت حتى رضي. فقال: يا فضل: فقلت: لبيك أيّها السيد الفقيه. قال: خذْ مني واحفظ عني. قلت: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾(1). اللهم إني أعوذ بنور قدسك، وببركة طهارتك، وبعظمة جلالك من كل عاهة وآفة، وطارق الجنّ والإنس، إلاّ طارقًا يطرق بخير يا رحمن، اللهم بك ملاذي قبل أنْ ألوذ، وبك غياثي قبل أن أغوث، يا من ذلّت له رقاب الفراعنة، وخضعت له مقاليد الجبابرة، اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري، أشهد أنْ لا إله إلاّ أنت، إضرب عليّ سرادقات حفظك، وقني رعبى بخير منك يا رحمن. قال الفضل: فكتبتها وجعلتها في بركة قبائي. وكان الرشيد كثير الغضب عليّ، وكان كلما هم أنْ يغضب أحركها في وجهه فيرضى. فهذا مما أدركت من بركة الشافعي رحمه الله تعالى.

واعلم أنّ هذه الواقعة وهذا الدعاء روي على وجه آخر، رواه المزني عن الشافعي رحمه الله، فلا علينا أنْ نذكرها هنا إتمامًا للمرام، وإنْ أدى إلى الإطناب في الكلام.

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: بعث إليّ هارون الرشيد ليلةً الربيع، فهجم عليَّ من غير إذن، فقال لي: أجبْ. فقلت له: في مثل هذا الوقت وبغير إذن. قال: بذلك أمرت. فخرجت معه، فلما صرت إلى باب دار الرشيد، قال لي: إجلس، فلعله قد نام أو سكن غضبه، فدخل فوجده منتصبًا. فقال: ما فعل محمد بن إدريس؟ قال الربيع: قد أحضرته. قال الشافعي رحمه الله: فلما دخلته تأملني ثم قال لي: يا محمد: أرعبناك فانصرف راشدًا. يا ربيع: إحمل معه بدرة. قال: فقلت: لا حاجة لي فيها. قال: أقسمت عليك إلاّ أخذتها، فحملت بين يدي. فلما خرجت، قال لي الربيع: بالذي سخّر لك هذا الرجل، ما الذي قلت؟ فقلت: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: سمعت نافعًا يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب بهذا الدعاء فكفى، وهو: «اللهم إني أعوذ بنور قدسك، وبركة طهارتك، وعظم جلالك من كل طارق إلاّ طارقًا يطرق بخير. اللهم أنت غياثي فبك أغوث، وأنت عياذي فبك أعوذ، وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلّت له رقاب الجبابرة، وخضعت له مقاليد الفراعنة، أجرني من خزيك وعقوبتك. فآسني في ليلي

---

(1) آل عمران/ ١٨.

ونهاري، ونومي وقراري، لا إله إلاّ أنت، تعظيمًا لوجهك وتكريمًا لسبحاتك، فاصرف عني شرّ عبادك، واجعلني في حفظ عنايتك، وسرادقات حفظك، وعُدْ عليَّ بخير منك يا أرحم الراحمين»(١).

ومنهم القاسم بن سلاّم (بتشديد اللام) الإمام الجليل، أبو عبيد، الأديب الفقيه المحدّث، صاحب التصانيف الكثيرة في القراآت والفقه واللغة والشعر. قرأ القرآن على الكسائي وإسمعيل بن جعفر وشجاع بن أبي نصر، وسمع الحديث عن إسمعيل بن عياش وإسمعيل بن جعفر وهشيم بن بشير وشريك بن عبد الله وهو أكبر شيوخه، وعبد الله بن المبارك وخلائق آخرين. روى عنه وكيع والدارمي وابن أبي الدنيا وآخرون. وتفقه على الشافعي. ولد بهراة، وكان أبوه فيما يذكر عبدًا لبعض أهلها، وتنقلت به البلاد، ووَلِّي قضاء طرسوس، ثم حجّ بالآخرة. فتوفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين. وكان ينام ثلث الليل ويصلي ثلثه ويطالع ثلثه. قال إسحاق بن راهويه: الحق لحبِ الله(٢)، أبو عبيد أفقه مني وأعلم مني، وهو أوسعنا علمًا وأكثرنا أدبًا، إنا نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا. قال الحاكم: هو الإمام المقبول عند الكل رحمه الله تعالى.

ومنهم قحذم بن عبد الله بن قحذم أبو حنيفة الأسواني(٣)، بفتح القاف وسكون الحاء المهملة ثم المعجمة المفتوحة، هو آخر من صحب الشافعي موتًا. روى عنه كثيرًا من كتبه، وكان مفتيًا، وأصله من القبط. توفي سنة إحدى وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم موسى بن أبي الجارود، أبو الوليد المكي(٤)، راوي كتاب الأمالي(٥) عن الشافعي رحمه الله، وأحد الثقات من أصحابه. كان فقيهًا جليلًا، أفتى بمكة على مذهب الشافعي رحمه الله، يرجع إليه عند اختلاف الرواية. روى عن يحيى بن معين والبويطي. وروى عنه الزعفراني والربيع وأبو حاتم الرازي رحمه الله تعالى.

ومنهم يوسف بن يحيى، الإمام الجليل، أبو يعقوب البويطي المصري(٦). وبويط من صعيد مصر هو أكبر أصحاب الشافعي المصريين، كان إمامًا جليلًا عابدًا زاهدًا فقيهًا عظيمًا مناظرًا جبلًا من جبال العلم والدين. غالب أوقاته الذكر والتشاغل بالعلم، غالب ليله التهجد والتلاوة، سريع الدمعة. تفقّه على الشافعي واختص بصحبته، وحدّث عنه وعن عبد الله بن وهب وغيرهما. روى عنه الربيع المرادي وهو رفيقه وإبراهيم الحربي ومحمد بن إسمعيل الترمذي وأبو حاتم وآخرون. وله: المختصر المشهور على نظم أبواب المبسوط، واختصره من كلام الشافعي، وهو في غاية الحسن. وكان الشافعي يعتمد عليه في الفتيا، واستخلفه على

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب الغزوات، باب غزوة الخندق، ح٣٠٠٩٦، ١٠/ ٤٥٣. بلفظ: «من كل آفة وعاهة. .» بدلاً من قوله: «من كل طارق إلا طارق. .».

(٢) في النسخة المصرية: يحبه الله.

(٣) هو قحزم بن عبد الله بن قحزم، أبو حنيفة الأسواني. توفي عام ٢٧١هـ. صحب الشافعي في آخر حياته. مفتٍ، راوٍ. له مصنفات. انظر عنه: طبقات السبكي ٢/ ١٦٠، الطالع السعيد ٢٥٩.

(٤) هو موسى بن أبي الجارود، أبو الوليد المكي. فقيه، صاحب الشافعي، محدث، صدوق، من صغار الطبقة العاشرة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٥٠.

(٥) أمالي الإمام الشافعي في الفقه. كشف الظنون ١/ ١٦٤.

(٦) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ١/ ٢٧٥، الأعلام ٨/ ٢٥٧، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٦، تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٩، التهذيب ١١/ ٤٢٧.

أصحابه بعد موته، فتخرجت على يديه أئمة فتفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق، وكان يختم في كل يوم وليلة، فسعى به من يحسده إلى إبن أبي دؤاد بالعراق، فكتب إلى والي مصر أن يمتحنه فامتحنه، فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قلْ فيما بيني وبينك. قال: إنه يقتدي بي مائة ألف ولا يدرون المعنى، وكان أمر أنْ يحمل إلى بغداد في أربعين رطل حديد. قيل: إنّ من سعاته ثلاثة: المزني وحرملة وابن الشافعي. قال البويطي: بريء من دمي إلاّ ثلاثة: المزني وحرملة وآخر. قيل: وإنما أبهم الثالث رعاية لحق والده، رضي الله عنهم. ثم حبسوه. وكان يغتسل كل جمعة، ويتطيّب، ويغسل ثيابه. ثم إذا سمع النداء كان يخرج إلى باب السجن فيردّه السجان ويقول: إرجع رحمك الله، فيقول البويطي: اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني. قال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي، والذي أسألك أنْ تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم، فإني في الحديد، وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلوٰة، فضجّ الناس بالبكاء والدعاء له. قال ابن السبكي: أنظر إلى هذا الحبر لم يكن أسفه إلاّ على أداء الفرائض، ولم يبال بالقيد ولا بالسجن، فرضي الله عنه وجزاه عن صبره خيرًا، لقد قام مقام الصديقين. مات البويطي سنة إحدى وثلاثين ومائتين في سجن بغداد في القيد والغل رحمه الله تعالى.

ومنهم يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة[١] بن حفص بن حبان، الإمام الكبير، أبو موسى الصدفي المصري، الفقيه المقرىء. ولد في ذي الحجة سنة سبعين ومائة. قرأ القرآن على ورش وغيره، وأقرأ الناس، وسمع الحديث من سفيان بن عيينة وابن وهب والوليد بن مسلم ومعن بن عيسى وأبي ضمرة أنس بن عياض والشافعي، وأخذ عنه الفقه، وطائفة أخرى. روى عنه مسلم والنسائي وابن ماجة وأبو عوانة وأبو بكر بن زياد النيسابوري وأبو الطاهر المديني وخلق، وانتهت إليه رياسة العلم بديار مصر. قال الشافعي: ما رأيت بمصر أحدًا أعقل من يونس. وقال يحيى بن حسان: يونسكم هذا ركن من أركان الإسلام. مات سنة أربع وستين ومائتين رحمه الله تعالى.

واعلم: أنا نختم بذكره رواة الشافعي رحمه الله الذين تفقهوا عليه. ثم نذكر بعد هذا مشاهير الأئمة من المتمذهبين بمذهبه إذْ إحاطة الكل ممتنع في هذا الكتاب، إذْ قد كثر عليها المجلدات الكبار.

منهم محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي[٢]، أحد الأئمة الأعلام. ولد سنة خمس وتسعين ومائة. خرج من البحرين إلى مصر ماشيًا، ثم إلى الرملة[٣] ماشيًا، ثم إلى دمشق، ثم إلى أنطاكية، ثم إلى طرسوس. قال أبو حاتم: ثم رجعت إلى حمص، ثم إلى الرقة، ثم ركبت إلى العراق. كل هذا وأنا ابن عشرين سنة.

---

(١) يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص الصدفي. (هامش الأصل).

(٢) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي، أبو حاتم. ولد عام ١٩٥هـ/ ٨١٠م. وتوفي عام ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م. حافظ ثقة، محدث كبير. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٧، تهذيب التهذيب ٩/ ٣١، تاريخ بغداد ٢/ ٧٧، طبقات السبكي ١/ ٢٩٩.

(٣) الرملة: بالشام، سميت بذلك لغلبة الرمل عليها. وهي من كور فلسطين. وهي واسطة تلك البلاد. مدينة مسورة لها أبواب عدة، وأسواق كثيرة. وفيها المسجد الجامع. وفيها نزل نبي الله صالح عليه السلام. وإليها ينسب بعض العلماء.
انظر عنها: الروض المعطار ٢٦٨، معجم البلدان، مادة الرملة، صبح الأعشى ٤/ ٩٩، معجم ما استعجم ٢/ ٦٧٥.

روى عنه أبو داود والنسائي، ولم تثبت رواية البخاري وابن ماجة عنه، وله حكاية طويلة، حاصلها أنه ركب البحر ونفد الزاد والراحلة، وخرج ثلاثة إلى البرّ فمشوا حتى سقط واحد، ثم مشيا حتى سقط أبو حاتم، ومشى الآخر حتى رأى سفينةً فأخبرهم الحال، فجاؤوا فسقوا وأطعموا فحيوا بعدما ماتوا[١].

ومنهم محمد بن إسمعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح، وقد مرّ ذكر مناقبه بما فيه كفاية للطالب.

ومنهم محمد بن علي بن الحسن بن بشر المحدث الزاهد أبو عبد الله الحكيم الترمذي[٢] الصوفي، صاحب التصانيف. سمع الكثير من الحديث بخراسان والعراق. وحدّث عن أبيه وعن قتيبة بن سعيد وآخرين. روى عنه يحيى بن منصور القاضي وغيره. لقي الحكيم الترمذي أبا تراب النخشبي[٣]، وصحب يحيى بن الجلاء. قال أبو عبد الرحمن السلمي: نفوه من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه: كتاب ختم الولاية وكتاب علل الشريعة. وقال: إنه يقول: إنّ للأولياء خاتمًا كما أنّ للأنبياء خاتمًا، وإنه يفضل الولاية على النبوة، واحتج بقوله عليه الصلوٰة والسلام: «يغبطهم النبيون والشهداء»[٤]. وقال: لو لم يكونوا أفضل منهم لم يغبطوهم، فجاء إلى بلخ فقبلوه بسبب موافقته إياهم على المذاهب. ثم اعتذر السلمي عنه بعذر يبعد عنه فهم الفاهمين. قال ابن السبكي: ولعل الأمر كما زعم السلمي وإلاّ فما يظن بمسلم أنْ يفضل بشرًا غير الأنبياء على الأنبياء عليهم الصلوٰة والسلام. ومن تصانيف الترمذي: كتاب الفروق، وليس في بابه مثله، يفرق فيه بين المداراة والمداهنة والمحاجة والمجادلة والمناظرة والمغالبة والانتصار والانتقام وهلم جرّا من أمور متقاربة المعنى. وله أيضًا: كتاب عرس الموحدين، وكتاب غور الأمور، وكتاب المناهي، وكتاب شرح الصلاة[٥].

ومنهم محمد بن نصر المروزي[٦]، الإمام الجليل، أبو عبد الله، أحد أعلام الأمة وعقلائها وعبادها. ولد سنة إثنتين ومائتين ببغداد، ونشأ بنيسابور، وسكن سمرقند، وكان أبوه مروزيًا. تفقّه على أصحاب الشافعي وسمع جماعة. وسمع عنه طائفة. قال الحاكم: هو الفقيه العابد العالم إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، استوطن نيسابور، ثم خرج إلى سمرقند فأقام بها، وأفتى بها. قال ابن الأخرم[٧]: ما رأيت أحسن صلاة منه، وكان

---

(١) مات أبو حاتم في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين، رحمه الله تعالى. (هامش الأصل).

(٢) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٢/ ٢٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٧، لسان الميزان ٥/ ٣٠٨.

(٣) هو عسكر بن الحصين (أو محمد بن الحسين) النخشبي، أبو تراب. توفي عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م. زاهد متصوف كبير. له أقوال وأخبار، إمام قدوة، شيخ الطائفة.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٣٣، الكواكب الدرية ١/ ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤٥، حلية الأولياء ١٠/ ٤٥، تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٥، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٦، طبقات الصوفية ١٤٦.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، ح٢٣٩٠، ٤/ ٥٩٧.

(٥) مصنف نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول، وهو الملقب بسلوة العارفين وبستان الموحدين، في ثمان وثمانين ومايتي أصل، المتوفى شهيداً سنة خمس وخمسين ومائتين. (هامش الأصل).

(٦) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/ ٣١٥، المنتظم ٦/ ٦٣، البداية ١١/ ١٠٢، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٨٩، شذرات الذهب ٢/ ٢١٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٠١، الكامل ٧/ ١٨٢.

(٧) هو محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري. أبو عبد الله المعروف بابن الأخرم ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م. وتوفي عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م. حافظ، متقن. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٤٥، تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٦٨.

الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يذبه عن نفسه. ولقد كنا نتعجب من خشوعه في الصلوٰة، كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كأنّه خشبة منصوبة. وكان من أحسن الناس وجهًا كأنما فقىء في وجهه حبّ الرمان وعلى خديه كالورد ولحيته بيضاء. توفي بسمرقند سنة أربع وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم الجنيد بن محمد بن الجنيد[١]، أبو القاسم النهاوندي الأصل، البغدادي القواريري الحرار، سيد الطائفة ومقدم الجماعة، وإمام أهل الخرقة، وشيخ طريقة التصوف، وعلم الأولياء في زمانه، وبهلوان العارفين. تفقّه على أبي ثور، وكان يفتي بحلقته وله من العمر عشرون سنة، واختص بصحبة السري السقطي[٢] والحارث ابن أسد المحاسبي وأبي حمزة البغدادي[٣]. قال جعفر الخلدي[٤]: لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجحته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه. قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج الله إلى الأرض علمًا[٥]، وكان ورده كل يوم ثلاث مائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة، وكان عشرين سنة لا يأكل إلاّ من الأسبوع إلى الأسبوع، ويصلّي كل ليلة أربع مائة ركعة. وقال: ما نزعت ثوبي للفراش منذ أربعين سنة. وكان يقول: الطريق إلى الله تعالى عزّ وجلّ مسدودة على خلقه إلاّ على المقتفين آثار رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وكان يقول: ما أخذنا التصوّف عن القال والقيل ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات. ومناقب الجنيد وأحواله بحر لا ساحل له، فلنقبض عنان القلم عن ذلك كما قيل:

إذا لم تستطع أمرًا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

توفي الجنيد قدّس الله سرّه العزيز يوم السبت في شوال سنة ثمان أو سبع وتسعين ومائتين. قال الخلدي: رأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم إلا ركيعات كنا نركعها في السحر. وفي بعض الرواية: في جوف الليل.

ومنهم الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله البغدادي[٦]، الزاهد علم العارفين في زمانه، وأستاذ السائرين، الجامع بين علمي الظاهر والباطن، شيخ الجنيد. وسمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه، صاحب التصانيف والرّد على المعتزلة والرافضة وغيرهم. وهو إمام المسلمين في الفقه والحديث والكلام والتصوف، وشهرة أمره بين الفقهاء والمتصوفة أغنتنا عن الإطناب في ذكره قدّس الله سرّه العزيز. توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين. قيل: إنّ الحارث كان يتكلم في شيء من مسائل الكلام فهجره أحمد بن حنبل لهذا السبب. ولا يخفى أنّ تكلم الحارث

---

(١) انظر ترجمته في: روضات الجنان ١٦٤. وقد سبق أيضاً.
(٢) هو سرّي بن المغلس السقطي، أبو الحسن. توفي عام ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م. من كبار المتصوفة. له أقوال وحكم.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٨٢، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٠، صفة الصفوة ٢/ ٢٠٩، حلية الأولياء ١٠/ ١١٦.
(٣) هو محمد بن إبراهيم البغدادي، أبو حمزة. توفي عام ٢٦٩هـ وقيل ٢٨٩هـ. شيخ شيوخ الصوفية في وقته. له أخبار وأقوال.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٥، طبقات الصوفية ٢٩٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٠، تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠، طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٨، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٤.
(٤) تقدمت ترجمته.
(٥) بياض في الأصل. (الهندية والمصرية).
(٦) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٨/ ٢١١، وفيات الأعيان ١/ ١٥٧، تهذيب التهذيب ٢/ ١٣٤، طبقات الشافعية ٢/ ٣٧، شذرات الذهب ٢/ ١٠٣.

كان عندما دعت الحاجة إليه، فحينئذٍ يجوز التكلم في الكلام. وأما النكير من قبل أحمد بن حنبل فإنما ذلك لئلا يجرّ ذلك إلى ما لا ينبغي، ولكل مقصد ونيّة، والله يرحمهما.

ومنهم داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي الأصبهاني، إمام أهل الظاهر. ولد سنة مائتين أو إثنتين ومائتين. وكان أحد أئمة المسلمين وهداتهم، وكان من المتعصبين للشافعي. كان إمامًا ورعًا زاهدًا ناسكًا، وكان في مجلسه أربع مائة صاحب طيلسان أخضر. انتهت إليه رياسة العلم ببغداد. أصله من أصبهان، ومولده بالكوفة، ومنشأه ببغداد وقبره بها. توفي في رمضان سنة سبعين ومائتين رحمه الله تعالى.

ومنهم سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن، وقد سلف ذكره.

ومنهم عثمان بن خالد بن سعيد السجستاني، الحافظ أبو سعيد الدارمي(١). محدث هراة وأحد الأعلام الثقات. وهو الذي قام على محمد بن كرام(٢) رئيس الكرامية وطردوه عن هراة. نشأ بسجستان، ثم رحل إلى خراسان، ثم جاور بمكة خمس سنين، ثم ورد نيسابور، وباح بالتجسيم. وكان من إظهار النسك والتأله والتعبد والتقشف على جانب عظيم. فالناس فيه ما بين معتقد ومنتقد، ثم حبسه الأمير محمد بن طاهر(٣)، حبسه بنيسابور ثمان سنين، ولم يكن قصد الساعين عليه إلاّ إراقة دمه. وإنما هاب الأمير قتله لما رأى عليه من مخايل العبادة والتقشف، ثم أخرج من السجن. وتوفي ببيت المقدس سنة خمس وخمسين ومائتين. قيل كان يغتسل في السجن كل جمعة ويتأهب للخروج إلى الجامع، ثم يقول للسجان: تأذن لي في الخروج، فيقول: لا. فيقول: اللهم إني بذلت مجهودي والمنع من غيري.

ومنهم عسكر بن الحصين. وقيل عسكر بن محمد بن الحسين، الشيخ أبو تراب النخشبي. ونخشب بلدة من بلاد ما وراء النهر، عرّبت فقيل لها نسف. كان شيخ عصره بلا مدافعة جمعًا بين العلم والدين، زاهدًا ورعًا متقشفًا متقلّلًا متوكلًا متبتلًا. صحب حاتمًا الأصم إلى أن مات. وخرج إلى الشام، وكتب الكثير من الحديث، ونظر في كتب الشافعي، وتفقّه على مذهبه. وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين بالبادية، وقيل نهشته السباع. ومناقبه ومحاسنه خارجة عن التعداد، وله كرامات معروفة عند أهله، ومذكورة في كتب التواريخ والتصوف، رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. وقد مرّ ذكر مناقبه رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن عمر بن سريج القاضي(٤)، أبو العباس البغدادي، الباز الأشهب والأسد الضاري على خصوم المذهب، شيخ المذهب وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه، والغيث المغدق بروائه. انتهت إليه الرحلة فضربت الإبل نحوه آباطها، وعلقت به العزايم بساطها، وأتته أفواج الطلبة لا تعرف إلاّ نمارق

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٢/ ٥٣، البداية النهاية ١١/ ١٦٩، مرآة الجنان ٢/ ١٩٣، شذرات الذهب ٢/ ١٧٦.

(٢) هو محمد بن كرام بن عراق بن حزاية، أبو عبد الله السجزي. توفي عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م. إمام فرقة الكرامية من المبتدعين. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٤، الملل والنحل ١/ ١٥٨، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٠٦، اللباب ٣/ ٣٢، ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٧.

(٣) هو محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي. توفي عام ٢٩٨هـ/ ٩١١م. أمير خراسان. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٧١، تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٧، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٨، الوافي بالوفيات ٣/ ١٦٥.

(٤) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧، وفيات الأعيان ١/ ٢١، طبقات الشافعية ٢/ ٨٧، البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٣٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٧.

البيض بساطها. ولّي القضاء بشيراز، وكان أبرع في الكلام كما أنه أبرع في الفقه. قيل: هو الصدر الكبير والشافعي الصغير، وكان له أربع مائة مصنف. توفي سنة ست وثلاث مائة. وهو عالم ذلك القرن، وله سبع وخمسون سنة وستة أشهر، ومناقبه لا تحصى رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شهريار، الشيخ أبو علي الروذباري[1]. والأصح في اسمه ما ذكرناه، وكان أحد أئمة الصوفية. كان بغدادي الأصل من أبناء الوزراء والرؤساء، يتصل نسبه بكسرى أنوشروان. صحب في التصوف الشيخ الجنيد، وفي الفقه ابن سريج، وفي النحو ثعلب[2]، وفي الحديث إبراهيم الحربي. وكان فقيهًا محدثًا. قال أبو علي الكاتب: ما رأيت أحدًا أجمع لعلم الشريعة والحقيقة من الروذباري. توفي سنة إثنتين أو ثلاث وعشرين وثلاث مائة رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الهروي أبو منصور الأزهري اللغوي[3]، صاحب تهذيب اللغة، عشر مجلدات، وكتاب التقريب في التفسير، وكتاب علل القرآآت وغير ذلك. ولد سنة إثنتين وثمانين ومائتين، كان إمامًا في اللغة بصيرًا بالفقه، عارفًا بالمذهب، عالي الإسناد، كثير العبادة والمراقبة، وأسرته القرامطة فبقي في البادية دهرًا طويلًا، واستفاد منهم ألفاظًا جمة. توفي سنة سبعين وثلاث مائة رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الفاشاني (بالفاء والشين)، أبو زيد المروزي[4]، أحد الأفراد علمًا وورعًا، وواحد الآحاد إفرادًا وجمعًا. ولد سنة إحدى وثلاث ومائة، وله فضائل كثيرة، وعند العلماء شهيرة. توفي بمرو سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر بن الحداد المصري[5]، صاحب الفروع، وصاحب ذيل الفضل الذي هو على الرءوس محمول وعلى العيون موضوع، ذو الفكرة المستقيمة والفطرة السليمة. فكره في محتجبات المعاني سارية، وفي سماء المعاني سامية، وقريحته عجيبة الحال، ما أدراك ماهيه، نار حاميه. إمام لا يدرك محله، وجواد لا يجاريه إلاّ ظله. سارت مولداته في المغارب والمشارق، وطرق فكره الأسماع وما أدراك ما الطارق، وناطق قال فكان له من القول بسيطه ووجيزه، ومصري صحّ على نقد الأذهان إبريزه، ووضح حليته، نعوذ بالله من شرّ الوسواس الخناس، واصطفت الأئمة معه فقال لسان الحق مروا أبا بكر فليصل بالناس. ولد يوم موت

---

(١) أحد مريدي الجنيد توفي ٣٢٢هـ. الهجويري كشف المحجوب، ص ٦١، ١٣٣، ٣٦٩، ٤٧٥، ٤٩٤، ٥٣٤.

(٢) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، المعروف بثعلب. ولد عام ٢٠٠هـ/٨١٦م. وتوفي عام ٢٩١هـ/٩٠٤م. إمام الكوفة في اللغة والنحو، راوية للشعر، محدث حافظ صدوق، ثقة، حجة. له العديد من الكتب.
الأعلام ١/٢٦٧، نزهة الألباء ٢٩٣، تذكرة الحفاظ ٢/٢١٤، وفيات الأعيان ١/٣٠، تاريخ بغداد ٥/٢٠٤.

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٦٣٥، معجم الأدباء ١٧/١٦٤، تذكرة الحفاظ ٣/١٦٠، طبقات الشافعية ٢/١٠٦، الوافي بالوفيات ٢/٤٥، بغية الوعاة ٨.

(٤) هو محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو زيد القاشاني المروزي. ولد عام ٣٠١هـ، وتوفي عام ٣٧١هـ. زاهد، فقيه شافعي، له مصنفات.
انظر عنه: طبقات الشافعية ١/١٤٧، تاريخ بغداد ١/٣١٤، وفيات الأعيان ٣/٣٤٥، البداية والنهاية ١١/٢٩٩، شذرات الذهب ٣/٧٦، المنتظم ٧/١١٢.

(٥) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٥٧٩، الوافي بالوفيات ٢/٦٩، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٨، شذرات الذهب ٢/٣٦٧.

المزني، وكان كثير التعبد، يختم كل يوم وليلة ويصوم يومًا ويفطر يومًا، ويختم يوم الجمعة ختمة أخرى في ركعتين في الجامع قبل الصلوٰة، سوى التي يختمها كلّ يوم، وكان عارفًا بالحديث والأسماء والكنى والنحو واللغة، واختلاف الفقهاء وأيام الناس وسير الجاهلية، حافظًا لشيء كثير من الشعر. وكان نسيج وحده في حفظ القرآن، إمام عصره في الفقه، بحرًا واسعًا في اللغة، وله كلمة نافذة عند الملوك وجاه رفيع. وله: كتاب الباهر في الفقه في مائة جزء، وأدب القضاء في أربعين جزءًا، والمختصر المشهور الذي شرحه عظماء الأصحاب، وغير ذلك. ووَلِي قضاء مصر نيابة ثم أصالة، وتوفي في طريق الحج سنة خمس وأربع وأربعين وثلاث مائة، وعاش ثمانين إلاّ أشهرًا، رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن جرير أبو جعفر الطبري[١]، أحد أئمة الدنيا علمًا ودينًا. مولده سنة أربع أو خمس وعشرين ومائتين، طوّف الأقاليم في طلب العلم، وتصانيفه كثيرة. منها: تفسيره المشهور، والتاريخ، وكتاب أحكام شرايع الإسلام وغير ذلك. كان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن. قيل: إنّ مصنفاته قسمت على مدة عمره بعد سنّ البلوغ، فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة. وحكى أنّه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، ولا منافاة بين الروايتين كما لا يخفى على المتأمل. وكان يقول: اضطررت لنفقة والدي ففتقت كمي قميصي فبعتهما. توفي سنة عشر وثلاث مائة ولم يغير شيبه. وكان أسمر إلى الأدمة، أعين نحيف الجسم، مديد القامة، فصيحًا، رحمه الله.

ومنهم محمد بن حفيف الشيرازي الشيخ أبو عبد الله بن الحفيف[٢]، شيخ المشايخ وذو القدم الراسخ في العلم والدين. كان سيدًا جليلًا وإمامًا حفيلًا، يستمطر الغيث بدعائه ويؤدّب المصر بكلامه. من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر، وممن اتفقوا على عظيم تمسكه بالكتاب والسنة. وكانت له أسفار وهدايات وأحوال عاليات ورياضات. لقي من النساك شيوخًا، ومن السلاك طوائف رسخ قدمهم في الطريق رسوخًا، وصحب من أرباب الأحوال أحبارًا، وشرب من منهل الطريق كاسات كبارًا، وسافر مشرقًا ومغربًا، وصابر النفس حتى انقادت له فأصبح مبنى الثناء عليه معربًا، صبر على الطاعة وله جنب لا يدري القرار، ونفس لا تعرف المأوى إلاّ البيداء ولا المسكن إلاّ القفار. وكان من أولاد الأمراء، فتزهد حتى قال: كنت أذهب وأجمع الخرق من المزابل وأغسلها، وأصلح منها ما ألبسه. بلغ ما لم يبلغه أحد من الخلق في العلم والجاه عند الخاص والعام، وصار أوحد زمانه، مقصودًا من الآفاق، مباركًا على من يقصده، رفيقًا بمريديه يبلغ كلامه مراده، وصنّف من الكتب ما لم يصنفه أحد، وعمّر حتى عمّ نفعه. بقى أربعين شهرًا يفطر كل ليلة بكف باقلاء، فربما كان يصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة، وكان ربما يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة. وإذا أراد أن يخرج إلى صلاة الجمعة يفرق كل ما عنده من ذهب أو فضة، ويخرج في كلّ سنة جميع ما عنده. وكان يفطر على عشر حبات زبيب، فأشفق بعض أصحابه وجعلها خمسة عشر، فنظر إليه وقال: من أمرك بهذا وأكل منها عشرًا وترك الباقي. قال: افتصدت فخرج من عرقي شبيه ماء

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، وفيات الأعيان ١/ ٥٧٧، المنتظم ٦/ ١٧٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٥، البداية والنهاية ١١/ ١٤٥، اللباب ٢/ ٨١، طبقات القراء ٢/ ١٠٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٥١، لسان الميزان ١٠٠، الكامل ٨/ ٤٢.

(٢) انظر ترجمته في: هدية العارفين ٢/ ٤٩.

اللحم، وغشي عليّ فتحيّر الفصاد وقال: ما رأيت جسدًا بلا دم إلاّ هذا. رضي الله عنه وقدّس سرّه، ولا نهاية لمناقبه. توفي ليلة ثالث رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة.

ومنهم محمد بن سليمان بن هارون أبو سهل الصعلوكي[1]. إمام وقته في الفقه والتفسير واللغة والنحو والشعر والعروض والكلام والتصوف، وغير ذلك من أصناف العلوم. ولد سنة ست وتسعين ومائتين، ولقي الأئمة والمشايخ. درس بالبصرة سنين ونيسابور إثنتين وثلاثين سنة. صحب من أئمة التصوف المرتعش[2] والشبلي[3] وأبا علي الثقفي[4] وغيرهم. توفي سنة تسع وستين وثلاث مائة، ومناقبه لا تنتهي، رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن عبد الله أبو بكر الصيرفي[5]، أعلم خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي، وله تصانيف، منها: شرح الرسالة وكتاب في الإجماع. توفي سنة ثلاثين وثلاث مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن علي القفال الكبير الشاشي[6]. كان إمامًا في التفسير والحديث والكلام والأصول والفروع واللغة والشعر. كان إمامًا في الورع والزهد. أخذ الكلام عن الأشعري، وإنّ الأشعري كان يقرأ عليه اللغة. مات سنة ست أو خمس وثلاثين وثلاث مائة، وولد سنة إحدى وتسعين ومائتين، رحمه الله تعالى.

ومنهم علي بن إسمعيل، الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة. إمام المتكلمين، وناصر سُنّة سيّد المرسلين. وقد مر نبذ[7] من مناقبه في ترجمته فيما سبق، ولا تنتهي مناقبه الشريفة. وإنْ أعدناها ألف مرة أو أطلنا فيها مقدار ألف ورقة، جزاه الله تعالى عنّا وعن نصرة الشرع المبين، رحمه الله تعالى.

ومنهم أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرايني

---

(١) هو محمد بن سليمان بن محمد بن هارون الحنفي، أبو سهل الصعلوكي. ولد عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م. وتوفي عام ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م. فقيه شافعي. عالم بالأدب والتفسير.
الأعلام ٦/ ١٤٩، طبقات الشافعية ٢/ ١٦١، ابن خلكان ١/ ٤٦٠.

(٢) هو عبد الله بن محمد النيسابوري الحيري، أبو محمد. توفي عام ٣٢٨هـ، زاهد، صوفي كبير، له نكت وعجائب وأقوال سائرة.
انظر عنه: طبقات الصوفية ٣٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥، تاريخ بغداد ١/ ٢٢١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٠، العبر ٢/ ٢١٥، البداية والنهاية ١١/ ١٩٢.

(٣) هو دلف بن جحدر الشبلي، أبو بكر. ولد بسامراء عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م. وتوفي ببغداد عام ٣٣٤هـ/٩٤٦م. ناسك زاهد. له شعر جيد. وسلك مسلك الصوفية.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣٤١، وفيات الأعيان ١/ ١٨٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، صفة الصفوة ٢/ ٢٥٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩.

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الثقفي النيسابوري، أبو علي. ولد عام ٢٤٤هـ، وتوفي عام ٣٢٨هـ إمام محدث فقيه، زاهد، شيخ خراسان في عصره. له أخبار وأقوال.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠، طبقات الصوفية ٣٦١، الرسالة القشيرية ٢٦، العبر ٢/ ٢١٤، الوافي بالوفيات ٤/ ٧٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٨.

(٥) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٩، وفيات الأعيان ١/ ٥٨٠، طبقات الشافعية ٢/ ١٦٩، اللباب ٢/ ٦٦، الوافي بالوفيات ٣/ ٤٣٦، الكامل ٨/ ١٢٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٢٥.

(٦) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٥٨٠، طبقات الشافعية ٢/ ١٧٦، اللباب ٢/ ٢٧٥، الوافي بالوفيات ٤/ ١١٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٩٦، شذرات الذهب ٣/ ٥١.

(٧) في بيان الكلام. (هامش الأصل).

الشيخ أبو حامد[1]، حافظ المذهب وإمامه. ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مائة، انتهت إليه رياسة الدين والدنيا ببغداد، وطبق الأرض بالأصحاب، وجمع مجلسه ثلاث مائة متفقهة، وقيل سبع مائة فقيه. وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به. كان عظيم الجاه عند الملوك، مع الدين الوافر والورع والزهد واستيعاب الأوقات بالتدريس والمناظرة ومؤاخذة النفس على دقيق الكلام ومحاسبتها على هفوات اللسان. وكان أبو الحسين القدوري[2] من الحنفية يعظمه ويفضله على كل أحد. توفي في شوال سنة ست وأربع مائة، ومناقبه لا تحصى، فلا فائدة في الإطناب فيها.

ومنهم إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، أبو إسحاق الشيرازي[3]، صاحب: التنبيه، والتهذيب في الفقه، والنكث في الخلاف، واللمع، وشرحه، والتبصرة في أصول الفقه، والملخص، والمعونة في الجدل، وطبقات الفقهاء، ونصح أهل العلم وغير ذلك.

هو الشيخ الإمام شيخ الإسلام، صاحب التصانيف التي سارت مسير الشمس، ودارت الدنيا فما جحد فضلها إلاّ الذي يتخبطه الشيطان من المسّ. وكانت الطلبة ترحل من المشرق والمغرب إليه، والفتاوى تحمل من البرّ والبحر إلى بين يديه، والفقه تتلاطم أمواجه ولا تستقر إلاّ لديه، ويتعاظم لابس شعاره إلاّ عليه، حتى ذكروا أنّه كان يجري مجرى ابن سريج في تأصيل الفقه وتفريعه، ويحاكيه في انتشار الطلبة في الربع العامر جميعه. وأما ورعه فذلك أشهر من أن يذكره الذاكر ولا يحاط له بأول وآخر، لن ينكر تقلب وجهه في الساجدين، ولا قيامه في جوف الدجى، وكيف والنجوم من جملة الشاهدين. وكان يقال: إنه مستجاب الدعوة، ويقال: كان يصلي ركعتين عند فراغ كل فصل من المهذب. يقال نسي في المسجد دينارًا ثم ذكر، فرجع ووجده، ففكرّ ثم قال: لعله وقع من غيره فتركه. هذا هو الزهد، هكذا هكذا وإلاّ فلا لا. ولد بفيروزآباد، ثم دخل بغداد، وقرأ على شيوخ كثيرة. كان اشتغاله أول طلبه أمرًا عجابًا، وكان يعيد كل درس ألف مرة. قال: وكنت أعيد كل قياس ألف مرة. فإذا فرغت منه أخذت قياسًا آخر وعلى هذا. واشتهى ثريدًا بماء الباقلاء قال: فما صحّ لي أكله لاشتغالي بالدرس، وهو أول من درس بمدرسة نظام الملك ببغداد فقبلها بعد تمنع شديد وإنّما بناها لأجله. وله حكاية عجيبة هي أنّ نظام الملك ذكر خيراته الواصلة إلى الخلائق واجتنابه عن المعاصي واستفتي العلماء في ذلك فكتبوا في الجواب: هو من أهل الجنة. فلما طالع ذلك قال: لا يطمئن قلبي بهذا إلاّ أن يكتب عليه الشيخ الإمام أبو إسحاق، فكتب عليه: الحسن خير الظلمة. وكان اسم نظام الملك الحسن. فلما طالعه قال: صدق الشيخ، هذا هو الجواب الصواب. فلما قتل السلطان نظام الملك ربطوا صورة فتوى الشيخ على حواشي كفنه بوصية منه، فرآه بعض الصالحين في المنام فسأل عن حاله فقال: قد وهبني الله تعالى ما فعلته من المعاصي. وقال تعالى: قد وهبناك لأجل سبق قلم الشيخ لك بالخير، وهذه منقبة عظيمة للشيخ رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٣، تهذيب الأسماء ٢/ ٢٠٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢، شذرات الذهب ٣/ ١٧٨.

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين القدوري. ولد في بغداد عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م. وفيها مات عام ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م. فقيه حنفي. له عدة مصنفات.
الأعلام ١/ ٢١٢، وفيات الأعيان ١/ ٢١، الجواهر المضية ١/ ٩٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٤.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٣/ ٨٨، تهذيب الأسماء ٢/ ١٧٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٤.

ومن مناقبه أنه رضي الله عنه كان عند خروجه إلى بلاد العجم يخرج أهلها بنسائهم وأولادهم فيمسحون أركانه، ويأخذون تراب نعليه يستشفون به. وكان أصحاب الصنائع ينشرون صنائعهم ما بين حلوى وفاكهة وثياب وفراء، وهو ينهاهم، حتى الأساكفة نثروا المتاعات وهي تقع على رءوس الناس والشيخ يتعجب. ولما انتهوا جعل الشيخ يداعب أصحابه ويقول: رأيتم النثار ما أحسنه وايش وصل إليكم يا أولادي منه. ولما وصل إلى بِسطام[١] قيل للشيخ: قد أتى فلان الصوفي، قيل: يعرف هو بالسهلكي، فنهض الشيخ من مكانه وعدا إليه، وإذا هو شيخ كبير راكب بهيمة وخلفه الصوفية بمرقعات جميلة. فقيل له: قد أتاك الشيخ أبو إسحاق فرمى نفسه عن البهيمة وقبل الشيخ أبو إسحاق رجله. وقال له الصوفي: قتلتني يا سيدي فما يمكنني أنْ أمشي معك ولكن تقدم إلى مخيمك. ولما وصل جلس الشيخ أبو إسحاق بين يديه وأظهر كل واحد منهم[٢] من تعظيم صاحبه ما جاوز الحد. ثم أخرج الصوفي خرقتين في إحداهما حنطة وقال: هذه نتوارثها عن أبي يزيد البسطامي، وفي الأخرى ملح، فأعجب الشيخ أبو إسحاق[٣] ذلك وودعه وانصرف. قلت: وإلى الله المشتكى من زمان صار علماؤه أعداءً للصوفية، ومن تزيى بزي الصوفية مهينًا لعلمائهم. ولعل هذا من غلبة الهوى في العلماء، وعدم الإخلاص في المتصوفة، تجاوز الله عنا وعنهم. توفي سنة ست وسبعين وأربع مائة، ومناقبه خارجة عن حد الإحصاء، وله مناظرات مع إمام الحرمين، مذكورة في طبقات الشافعية.

ومنهم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني[٤]، أحد أئمة الدين كلامًا وأصولًا وفروعًا، جمع أشتات العلوم. اتفقت الأئمة على تبجيله وتعظيمه واستجماع شرائط الإمامة فيه، وبنى له مدرسة نيسابور التي لم تبن قبلها بنيسابور مثلها، ودرّس فيها وحدّث، وأخذ شيوخ نيسابور الكلام والأصول عنه. وكان يقول بعدما رجع من إسفراين[٥]: أشتهي أن يكون موتي بنيسابور حتى يصلي عليَّ جميع أهل نيسابور. فتوفي بعد هذا الكلام بنحو من خمسة أشهر يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة وأربع مائة، ومناقبه مما عجزت عنه الأقلام.

ومنهم إسمعيل بن عبد الرحمن الصابوني[٦]، الفقيه المحدّث المفسر الخطيب الواعظ، المشهور الإسم، الملقب شيخ الإسلام، فلا يراد بهذا اللقب غيره في بلاد خراسان. ورزق العزّ والجاه في الدين والدنيا. وكان جمالًا للبلد، زينًا للمحافل والمجالس، مقبولًا عند الموافق والمخالف، مجمعًا على أنه عديم النظير، وسيف السُّنة ورافع البدعة. وكان مشتغلًا في جميع الأوقات بكثرة العبادات

(١) بِسطام: بالكسر ثم السكون، بلدة كبيرة بقومس، على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين.
انظر: مراصد الاطلاع ١٩٦.
(٢) كذا في الأصل، والصحيح: منهما.
(٣) كذا في الأصل، والصحيح: أبا إسحاق لأنها بدل منصوب.
(٤) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٥، طبقات الشافعية ٣/ ١١١، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤، شذرات الذهب ٣/ ٢٠٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٦٨.
(٥) أسفرايين: بالفتح ثم السكون وفتح الفاء وراء وألف وياء مكسورة وياء أخرى ساكنة: بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان.
انظر: مراصد الاطلاع ٧٣.
(٦) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٣/ ٢٨٢، طبقات الشافعية ٣/ ١١٧.

ووظائف الطاعات، بالغ في العفاف والسداد. وكان لا يدخل بيت كتبه إلاّ بالطهارة فضلًا عن رواية الحديث والتدريس. توفي سنة تسع وأربعين وأربع مائة، ومناقبه لا تفي بها الدفاتر، وإنّما الغرض ذكر إسمه لا استيفاء فضائله، رحمه الله تعالى.

ومنهم الحسن بن علي بن محمد، الأستاذ أبو علي الدقاق[(١)]. شيخ الأستاذ أبي القاسم القشيري. صحب في التصوف أبا القاسم النصر آبادي[(٢)]، وسمع الحديث وهو لسان وقته وإمام عصره. تفقه على الحضرمي وبرع في الفقه. توفي سنة خمس وأربع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم سهل بن محمد أبو الطيب الصعلوكي[(٣)]. وَلَدُ الأستاذ أبي سهل. هو الفقيه الأديب، مفتي نيسابور وابن مفتيها، جمع بين رياستي الدين والدنيا. واتفق علماء عصره على إمامته وسيادته. جمع بين العلم والعمل، وتفقه على أبيه وكان يلقب شمس الإسلام. قال بعض العلماء: من أراد أن يعلم النجيب ابن النجيب فلينظر إلى سهل بن أبي سهل. وتخرج به جماعة من فقهاء نيسابور وسائر مدن خراسان، وتصدّر للفتوى والقضاء والتدريس. يقال: إنه وضع في مجلسه أكثر من خمس مائة محبرة، وكان أبوه يقول: سهل والد وفضائله لا تنتهي. مات بنيسابور سنة أربع وأربع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم طاهر بن عبد الله القاضي، أبو الطيب الطبري[(٤)]، كان إمامًا جليلًا بحرًا غواصًا، متسع الدائرة، عظيم العلم، جليل القدر، كبير المحل. تفرد في زمانه، وتوحّد والزمان مشحون بأخدانه. واشتهر اسمه في الأقطار، وشاع ذكره فكان أكثر من حديث السمار، وطاب ثناؤه فكان أحسن من مسك الليل وكافور النهار. وهو فوق وصف الواصف ومدحه، وقدره ربا عن بسط القائل وشرحه، وعنه أخذ العراقيون. ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة، ولي قضاء ربع الكرخ. والعراقيون إذا أطلقوا لفظ القاضي يعنون إياه، والخراسانيون يعنون القاضي حسين، والأشعرية في الأصول يعنون القاضي أبا بكر الباقلاني، والمعتزلة يعنون عبد الجبار الاسترآبادي. توفي القاضي سنة خمسين وأربع مائة، وله مناظرات مع أبي الحسن القدوري من الحنفية مذكورة في كتب الطقبات، رحمه الله تعالى.

ومنهم عبد الله بن أحمد بن عبد الله[(٥)]، الإمام الزاهد الجليل البحر، أحد أئمة الدنيا، القفال الصغير المروزي. وهذا أكثر ذكرًا في كتب الفقه، والقفال الكبير في كتب الأصول والتفسير وغيرهما. وإذا أطلق القفال يراد الصغير، والأكبر يقيّد بالشاشي شيخ الخراسانيين. كان إمامًا كبيرًا، وبحرًا عميقًا، وغواصًا على المعاني الدقيقة، نقي القريحة، ثاقب الفهم، عظيم المحل، كبير الشأن، دقيق النظر، عديم النظير، فارسًا لا يشق غباره، ولا تلحق آثاره، بطلًا لا يصطلى له بنار، أسدًا ما بين يديه لواقف إلاّ الفرار. تفقه على أبي زيد

---

(١) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٣/ ١٨٠.

(٢) هو إبراهيم بن محمد النيسابوري النصر آباذي، أبو القاسم. توفي عام ٣٦٧هـ. عالم عصره، زاهد ورع صوفي كبير، له مصنفات.
انظر عنه: شذرات الذهب ٣/ ٥٨.

(٣) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٣/ ١٧٢، الأعلام ٣/ ٢١٠.

(٤) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٣/ ١٧٦، البداية والنهاية ١٢/ ٧٩، تهذيب الأسماء ٢/ ٢٤٧، مرآة الجنان ٣/ ٧٠.

(٥) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣١٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٣، روضات الجنات ٤٤٨، هدية العارفين ١/ ٤٥٠.

المروزي، كان وحيد زمانه فقهًا وحفظًا وورعًا وزهدًا، رحل إليه من الآفاق، فظهرت بركته على مختلفيه. قيل: إنّه كان قفالًا وابتدأ التعلم وهو ابن ثلاثين سنة. يقال: إنه صنع قفلًا وزنه أربع حبات من حديد، وكان مصابًا بإحدى عينيه، وكان يغلب عليه البكاء في أثناء الدرس لغلبة الحال. مات في سنة سبع عشرة وأربع مائة، وهو ابن تسعين سنة، رحمه الله تعالى.

ومنهم عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن، أبو سعد القشيري(١). أكبر أولاد الأستاذ أبي القاسم. كان إمامًا كبيرًا جيد القريحة، له النصيب الوافر والحظ الجليل الجزيل من التصوف، كان أصوليًا نحويًا. مولده سنة أربع عشرة وأربع مائة، وكان والده يعامله معاملة الأقران، ويحترمه لما يرى عليه من الطريقة الصالحة. كان ذا حظ وافر من العربية. كان يذكر دروسًا من الأصول والتفسير بعبارة مهذبة، وكانت المسائل على حفظه بأصولها ونكتها. وبرع في علم الأصول بطبع سيّال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، سبّاق إلى درك المعاني، وقاف على المدارك والمباني. وأما علوم الحقائق فهو فيها يشقّ الشعر، وصار مجلس وعظه روضة الحقائق والدقائق، وكلماته محرقة الأكباد والقلوب، ومواجيده مقطرة الدماء من الجفون مكان الدموع. وكانت أوقاته ظاهرًا مستغرقة في الطهارة والصلوٰة، وباطنًا في مراقبة الحق ومشاهدة أحكام الغيب. لا يخلو وقته عن تنفس الصعداء، وتذكر البرحاء، والترنم بكلام منظوم أو منثور. توفي سنة سبع وسبعين وأربع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه(٢)، الشيخ أبو محمد الجويني، والد إمام الحرمين. أوحد زمانه علمًا وزهدًا، وتقشفًا زائدًا، وتحريًا في العبادات. كان يلقب ركن الإسلام. له المعرفة التامة بالفقه والأصول والتفسير والنحو والأدب. وكان مهيبًا لا يجري بين يديه إلاّ الجدّ والكلام، إما في علم أو زهد أو تحريض على التحصيل. سمع الحديث من القفّال، وكان ماهرًا في إلقاء الدروس. درس وأفتى وناظر بنيسابور. وأما زهده وورعه فإليه المنتهى. روي أنه رأى إبراهيم الخليل في المنام فأومى لتقبيل رجليه فمنع عن ذلك تكريمًا له. قال: فقبلت عقبيه وأوّلت ذلك البركة والرفعة تكون في عقبي. قال ابن السبكي: وأي بركة ورفعة مثل إمام الحرمين ولده. توفي الشيخ أبو محمد سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة بنيسابور. ولما لفّ في الأكفان رأوا أنّ يده اليمنى إلى الإبط منيرة كلون القمر، وقالوا: هذه من بركات فتاويه. ومن تصانيفه: الفروق، والسلسلة، والتبصرة، والتذكرة، ومختصر المختصر، وشرح الرسالة وغير ذلك. وله تفسير كبير يشتمل على عشرة أنواع في كل آية.

ومنهم عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر أبو نصر بن الصباغ(٣)، صاحب: الشامل(٤) والكامل(٥). كان إمامًا

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٤/٢٦٩.
(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٣١٦، طبقات الشافعية ٣/٢٠٨، البداية والنهاية ١٢/٥٥، طبقات المفسرين ١٥، شذرات الذهب ٣/٢٦١، النجوم الزاهرة ٥/٤٢.
(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٨٢، طبقات الشافعية ٣/ ٢٣٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١١٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٥٥.
(٤) الشامل في فروع الشافعية، وهو من أجود كتب الشافعية، وله شرح المسمى بالشافي في عشرين مجلداً. (هامش الأصل).
(٥) الكامل في الخلاف بين الشافعية والحنفية. (هامش الأصل).

مقدمًا وفارسًا لا يدرك البرق وراءه، قدمًا وحبرًا يتعالى قدره على السماء. وبحرًا لا ينزف بكثرة الدلاء. تصبب فقهًا فكأنه لم يطعم سواه، ولم يكن له غيره بلغة. وتشخص فقهًا فإذا رآه المحقق قال: ابن الصباغ صبغ من الصغر كذا، ومن أحسن من الله صبغة. وكان ورعًا نزهًا تقيًا نقيًا صالحًا زاهدًا فقيهًا أصوليًا محققًا، عارفًا بالمتفق والمختلف، أي المسائل الاتفاقية والاختلافية، وكان يحاسب نفسه. قال: اعتبرت في نفسي أنها لا تجد مشقة في مجيئها من باب المراتب، (وهي مكان ببغداد) إلى المدرسة النظامية، وتجد كلفة في طواف الكعبة سبعًا، وذلك لأنّ في الأول حظّ نفسي، والثاني لسيدي على نفسي. والمدرسة النظامية بناها نظام الملك ببغداد لأجل الشيخ أبي إسحاق إلاّ أنه لم يلتزم التدريس وامتنع عنه، فأذن للشيخ ابن الصباغ فدرّس يويمات يسيرة، ثم رضي الشيخ أبو إسحاق ودرّس بها بقية حياته. فلما توفي وليها صاحب التتمة أبو سعد المتولي، ثم عزل وأعيد ابن الصباغ. توفي سنة سبع وسبعين وأربع مائة، وقد كفّ بصره قبل وفاته بسنين، رحمه الله تعالى.

ومنهم عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي(١)، الإمام الكبير، الأستاذ أبو منصور البغدادي الشافعي. إمام عظيم القدر، جليل المحل، كثير العلم، حبر لا يساجل في الفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الكلام. اشتهر إسمه وبعد صيته، وحمل عنه العلم أكثر أهل خراسان، وكان يدرّس في سبعة عشر فنًا. وله حشمة وافرة ومال جزيل أنفقه على أهل العلم والحديث حتى افتقر. فارق نيسابور بسبب فتنة وقعت بها من التركمان، وصار إلى أسفراين ومات بها. صنّف في العلوم، ولو لم يكن له إلاّ كتاب التكملة في الحساب لكفاه. مات سنة تسع وعشرين وأربع مائة، وقيل سنة سبع وعشرين، وهو تصحيف.

ومن شعره:

يا من عدا ثم اعتدى ثم اقترف
ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف
أبشر بقول الله في تنزيله
﴿إن يَنتَهُوا يُغفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(٢)

قال ابن السبكي: في استعمال أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره دليل على جواز الإقتباس، وردّ على من شدّد فيه وجنح إلى تحريمه، فالصواب الجواز سيما وقد فعله كثير من الفقهاء. وما نقل من التشديد عن المالكية يناقضه ما نقله القاضي عياض عن ابن العطار(٣) أنّه سئل عن سجود السهو فأفتى بالسجود. قال السائل: إنّ أصبغ لم يرَ عليَّ سجودًا. فقال: ﴿لَا نُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾(٤)، حتى عدّ القاضي عياض هذا من ملحه ونوادره، إلاّ أنّ الأحسن تركه تأدبًا مع الكتاب العزيز، فهو اللائق بالورع والتقوى.

ومنهم عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني وقد مرّت مناقبه(٥). - وستذكر فيما بعد -.

ومنهم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٧٥، طبقات الشافعية ٣/ ٢٣٨، بغية الوعاة ٣١٠، فوات الوفيات ١/ ٢٩٨، البداية والنهاية ٢/ ٤٤، انباه الرواة ٢/ ١٨٥.

(٢) الأنفال/ ٣٨.

(٣) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر العسقلاني، ابن العطار، شهاب الدين. توفي عام ٧٦٣هـ. محدث، فقيه، عالم، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: الذيل على العبر ١/ ٨٤، الدرر الكامنة ١/ ٢٧٣.

(٤) العلق/ ١٩.

(٥) في علم النحو. (هامش الأصل).

النيسابوري، الأستاذ أبو القاسم القشيري النيسابوري[١]، الملقب زين الإسلام. وهو صاحب الرسالة التي سارت مغربًا ومشرقًا، والبسالة التي احتجّ بها نجم سعادته مشرقًا، والأصالة التي تجاوز بها فرق الفرقدين ورقى. أحد أئمة المسلمين علمًا وعملًا، وأركان الملة فعلًا ومقولًا. إمام الأئمة، ومجلى ظلمات الضلالة المدلهمة. شيخ المشايخ وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة الجامع بين أشتات العلوم. ولد سنة ست وسبعين وثلاث مائة. كان فقيهًا بارعًا أصوليًا محققًا متكلمًا سنيًا محدثًا حافظًا مفسرًا متقنًا نحويًا لغويًا أديبًا كاتبًا شاعرًا، مليح الخط جدًا شجاعًا بطلًا. له في الفروسية واستعمال السلاح الآثار الجميلة. أجمع أهل عصره على أنه سيد زمانه وقدوة وقته، وبركة المسلمين في ذلك العصر. وكان حسن الموعظة مليح الإشارة. جمع بين علمي الشريعة والحقيقة، وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة. أصله من ناحية إستواء من العرب الذين وردوا خراسان وسكنوا النواحي، فهو قشيري الأب سلمي الأم. توفي أبوه وهو طفل، فوقع إلى أبي القاسم الأليماني. فقرأ الأدب والعربية عليه بسبب اتصاله بهم، وقرأ على غيره، وحضر البلد، واتفق حضوره مجلس الأستاذ الشهيد أبي على الحسن بن علي الدقاق، وكان لسان وقته، واستحسن كلامه وسلك طريق الإرادة، فقبله الأستاذ وأشار عليه بتعلم العلم. فخرج إلى درس الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن بكر الطوسي، وشرع في الفقه حتى فرغ من التعليق، ثم اختلف بإشارته إلى الأستاذ الإمام أبي بكر بن فورك، وكان المقدم في الأصول حتى حصلها وبرع فيها، وقرأ عليه أصول الفقه وفرغ منه. ثم بعد وفاة الأستاذ أبي بكر اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الاسفرايني، وقعد يسمع جميع دروسه. ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب، ثم زوجه الأستاذ أبو علي ابنته. وبعد وفاة الأستاذ عاشر أبا عبد الرحمن السلمي إلى أنْ صار أستاذ خراسان، وأخذ في التصنيف، فصنف: التفسير الكبير. وكان في الفروسية والوعظ في أعلى مرتبة. قال ابن السبكي: بلغنا أنّه مرض للأستاذ أبي القاسم ولد مرضًا شديدًا بحيث أيس منه فشقّ ذلك على الأستاذ، فرأى الحق سبحانه في المنام فشكا إليه، فقال له الحق تعالى: إجمع آيات الشفاء واقرأ عليه أو اكتبها في إناء واجعل فيه مشروبًا واسقه إياه، ففعل ذلك فعوفي الولد.

وآيات الشفاء في القرآن ست: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[٢]، و﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٣]، و﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٤]، و﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]، و﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[٦]، و﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[٧].

ورأيت كثيرًا من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الإناء طلبًا للعافية. قلت: وأنا جربت ذلك مرارًا كثيرة فعوفي المريض.

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٧٦، طبقات الشافعية ٣/ ٢٤٣، المنتظم ٨/ ٢٨٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٠٧، انباه الرواة ٢/ ١٩٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٩١.

(٢) التوبة/ ١٤.

(٣) يونس/ ٥٧.

(٤) النحل/ ٦٩.

(٥) الإسراء/ ٨٢.

(٦) الشعراء/ ٨٠.

(٧) فصلت/ ٤٤.

ومن تصانيفه: التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير وأوضحها، والرسالة المشهورة المباركة التي قيل: ما تكون في بيت وينكب، والتخبير في التذكير وآداب الصوفية ولطائف الإشارات[1]، وكتاب الجواهر، وعيون الأجوبة في فنون الأسئلة، وكتاب المناجاة، وكتاب نكب أولى النهى، وكتاب نحو القلوب الكبير، وكتاب نحو القلوب الصغير، وكتاب أحكام السماع، وكتاب الأربعين، وخلف ستة أبناء، كلهم عبادلة من السيدة الجليلة بنت الأستاذ أبي علي الدقاق. قيل: ولما مرض لم تفته صلاة ولا ركعة قائمًا إلى أن توفي سنة خمس وستين وأربع مائة، رحمه الله تعالى. قيل: امتنع فرسه من العلف ولم تمكن أحدًا من ركوبها إلى أنْ ماتت بعده بأيام قلائل.

ومنهم عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله[2]، إمام الحرمين، أبو المعالي[3]، ولد الشيخ أبي محمد. هو الإمام شيخ الإسلام، البحر الحبر المدقق، المحقق، النظار، الأصولي، المتكلم البليغ الفصيح الأديب، العلم الفرد. زينة المحققين، إمام الأئمة على الإطلاق عجمًا وعربًا، وصاحب الشهرة التي سارت السراة والحدأة بها شرقًا وغربًا، هو البحر وعلومه درره الفاخرة. هو السماء وفوائده التي أنارت الوجود نجومها الزاهرة. وجماع القول فيه:

وما أرى أحدًا في الناس يشبهه
وما أحاشى من الأقوام من أحد

ولد سنة تسع عشرة وأربع مائة، واعتنى به والده من صغره، لا بل من قبل مولده حيث أطعم والدته من مال اكتسبه ولا شبهة فيه، وكذا أطعمه منه، فلم يمازج باطنه إلاّ الحلال الخالص، واشتغلت والدته يومًا في طعام تطبخه لأبيه، فبكى الإمام وأرضعته جارية لجيرانهم مصة أو مصتين، فدخل والده فأنكر ذلك وقال: هذه الجارية ليست ملكًا لنا وليس لها أنْ تتصرف في لبنها وأصحابها لم يأذنوا في ذلك. قال الإمام: فقلبني وفرغني حتى لم يدع في باطني شيئًا.

يحكى أنه تلجلج مرة في مجلس مناظرة ولم يعهد ذلك منه، فسألوا عنه فقال: هذه من بقايا تلك الرضعة، فحكى ما ذكرناه. فانظر إلى هذا الأمر العجيب، وإلى هذا الرجل الغريب. كيف يحاسب نفسه على يسير جدًا في زمن الصبي الذي لا يكلّف فيه. ثم تفقه الإمام على والده، ثم قرأ الخلاف والأصولين وغيرهما حتى صار أعلم أهل الأرض بالعلوم المذكورة وأكثرهم تحقيقًا، وسلك طريق البحث والنظر وسعى في دين الله سعيًا يبقى أثره إلى يوم الدين. وإنّ الوجود ما أخرج بعده له نظيرًا. ثم توفي والده وسنّ الإمام نحو العشرين فأقعد مكانه في التدريس حتى طار ذكره في الأقطار، وشاع اسمه فملأ الديار، إلى أنْ ظهر التعصب بين الفريقين، واضطربت الأحوال، فخرج مع المشايخ إلى المعسكر، وخرج إلى بغداد ووجد فيه القبول العظيم. ثم زمزم له الحادي بذكر زمزم، وناداه على بعد الديار البيت الحرام فلبى وأحرم، فتوجه حاجًا، فجاور بمكة أربع سنين، فدرّس بها وأفتى، ونشر العلم، واجتهد في العبادة. ثم

---

(١) وهو تفسير كبير، صنفه قبل العشر وأربعماية. (هامش الأصل).

(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٦١، طبقات الشافعية ٣/ ٢٤٩، المنتظم ٩/ ١٨، الكامل ١٠/ ٤٩، شذرات الذهب ٣/ ٣٥٨، النجوم الزاهرة ٥/ ١٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٢٨.

(٣) وإمام الحرمين من الحنفية أيضاً، وهو أسعد بن محمد الحسين الكرابيسي النيسابوري، أبو المظفر، جمال الإسلام، مصنف الفروق، وله الموجز في الفقه وهو شرح تلخيص أبي حفص عمر مدرس المستنصرية ببغداد. (هامش الأصل).

عاد إلى نيسابور بعد ولاية السلطان إلب أرسلان[١]، وتزيّن وجه الملك بطلعة نظام الملك فاستقرت أمور الفريقين، وانقطع التعصب، فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور، فأقعد للتدريس بها فدرّس قريبًا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع، فسلم له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة والمناظرة، فظهرت تصانيفه، وحضر درسه الأكابر والجمع العظيم، وكان يقعد بين يديه كلّ يوم نحو من ثلاث مائة رجل من الأئمة والطلبة، وكان يستفيد من كل أحد وينكر الباطل ولا يحابي فيه أحدًا. وكان رقة قلبه بحيث يبكي إذا سمع بيتًا أو تفكر في نفسه ساعة، وإذا شرع في حكاية الأحوال وخاض في علوم الصوفية أبكى الحاضرين ببكائه وزعقاته ونعراته وإشاراته، لاحتراقه في نفسه وتحققه بما يجري من دقائق الأسرار، ثم أدركه قضاء الله فمرض، ومات في ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، فقام الصياح في البلد من كل جانب، ولم تفتح الأبواب في البلد، ووضعت المناديل عن الرؤوس عامًا بحيث ما اجترأ أحد على ستر رأسه من الرؤوس والكبار، وكسر منبره، وقعد الناس للعزاء عزاء عامًا، وأكثر الشعراء المراثي فيه، وكانت الطلبة قريبًا من أربع مائة نفر يطوفون في البلد نائحين مكسرين المحابر والأقلام، مبالغين في الصياح والجزع. وكان مولده ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربع مائة، وتوفي وهو ابن تسع وخمسين سنة، سقى الله روضته بوابل رحمته، ويزيد في ألطافه وكرامته بفضله ومنته، إنه ولي كل خير.

ومنهم علي بن محمد بن حبيب الإمام أبو الحسن الماوردي[٢]، صاحب الحاوي، والإقناع في الفقه، والتفسير، وأدب الدين والدنيا، ودلائل النبوة، والأحكام السلطانية، وقانون الوزارة، وسياسة الملك وغير ذلك. درس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة، واستقضى ببلدان كثيرة. قيل: إنه لم يظهر تصانيفه في حياته، فلما دنت وفاته قال لمن يثق به: إذا عاينت الموت إجعل يدك في يدي، فإنْ قبضت يدك وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها فألق الكتب في دجلة، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قد قبلت، وإني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية. قال ذلك الرجل: ففعلت كما أمره فلم يقبض يدي فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده. قال ابن السبكي: ولعل هذا غير الحاوي فإنّه قد قرئ عليه في حياته. ورأيت بعضًا من نسخ الحاوي عليه خطه. قال ابن الصلاح: هذا الماوردي عفا الله عنه اتهم بالاعتزال. مات سنة خمسين وأربع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، وقد مرّ ذكره في النحاة.

ومنهم منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر، ابن الإمام أبي منصور بن السمعاني[٣]، الرفيع القدر، الشهير الذكر، طبق الأرض ذكره،

---

(١) هو أبو شجاع محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب عضد الدولة، الب ارسلان. ولد عام ٤٢٤هـ. انظر عنه: الوافي بالوفيات ٢/ ٣٠٨، المنتظم ٨/ ٢٧٩، النجوم الزاهرة ٥/ ٩٢، الشذرات ٣/ ٣١٨، وفيات الأعيان ٥/ ٦٩.

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٢، وفيات الأعيان ١/ ٤١٠، معجم الأدباء ١٥/ ٥٢، طبقات الشافعية ٣/ ٣٠٣، المنتظم ٨/ ١٩٩.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٤/ ٢١، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٠، اللباب ١/ ٥٦٣، المنتظم ٩/ ١٠٢، شذرات الذهب ٣/ ٣٩٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٣.

وعبق الكون نشره. ولد في ذي الحجة سنة ست وعشرين وأربع مائة. كان حنفيًا ثم انتقل إلى مذهب الشافعي لأمور يطول ذكرها. وجميع تصانيفه على مذهب الشافعي. توفي سنة تسع وثمانين وأربع مائة بمرو، رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الإمام الجليل، حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، جامع أشتات العلوم، والمبرز في المنقول منها والمفهوم. كان ضرغامًا إلاّ أنّ الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى، وبدرًا تمامًا إلاّ أنّ هداه يشرق نهارًا، وبشرًا من الخلق ولكنه الطود العظيم، وبعض الخلق ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم. يناضل عن الدين الحنيفي بحاله ومقاله، ويحمي حوزة الدين، لا يلطخ بدم المعتدين حدّ نصاله، حتى أصبح الدين وثيق العرى، وانكشفت غياهب الشبهات، وما كانت إلاّ حديثًا يفترى. هذا مع ورع طوى عليه ضميره، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره. ترك الدنيا وراء ظهره، وأقبل على الله يعامله في سرّه وجهره. ولد بطوس سنة خمسين وأربع مائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكان بطوس، فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوّف من أهل الخير، وقال له: إنّ لي لتأسفًا عظيمًا على تعلم الخط واشتهى استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين فعلمهما، ولا عليك أنْ ينفد في ذلك جميع ما أخلفه لهما. فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أنْ فني ذلك النزر اليسير فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما، وأصلح ما أرى لكما أنْ تلجئا إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما. وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاّ لله.

يحكى أنّ أباه كان فقيرًا صالحًا لا يأكل إلاّ من كسب يده في عمل غزل الصوف، ويطوف على المتفقهة ويجالسهم ويخدمهم، ويحسن إليهم في النفقة عليهم ما أمكن، وإذا سمع كلامهم بكى وتضرّع، وسأل الله أنْ يرزقه ابنًا فقيهًا، ويحضر مجالس الوعظ، فإذا طاب وقته بكى وسأل الله أنْ يرزقه ابنًا واعظًا فاستجاب الله دعوته.

أما أبو حامد فكان أفقه أقرانه، وإمام أهل زمانه، وفارس ميدانه. كلمته شهد بها الموافق والمخالف، وأقر بحقيته المعادي والمحالف.

وأما أحمد فكان واعظًا تنفلق الصم الصخور عند استماع تحذيره، وترعد فرائص الحاضرين في مجالس تذكيره، فلو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلس تذكيره لتاب.

مبدأ طلب حجة الإسلام العلم أنْ قرأ في صباه طرفًا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الزادكاني[١]، ثم سافر إلى جرجان إلى الإمام أبي نصر الإسْمعيلي وعلّق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس. قال: قطعت علينا الطريق فأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا، فتبعتهم وقلت لمقدمهم: أسألك بالذي ترجو السلامة منه أنْ تردّ عليّ تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به. قال: فما هي؟ قلت: كتبًا في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفتها، فضحك وقال: كيف تدّعي معرفتها وقد أخذناها فتجرّدت عنها وبقيت بلا علم. ثم أمر فسلّم إليّ المخلاة فقلت: قد أنطقه الله ليرشدني. فلما

(١) هو أحمد بن محمد الطوسي، أبو حامد الراذكاني. من قرى طوس. فقيه، أستاذ الغزالي وأخباره قليلة. انظر عنه: طبقات السبكي ٤/٩١.

وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع عليّ الطريق ما تجرّدت من علمي. ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين، وجدّ واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وتصدى للردّ على مبطليهم وإبطال دعاويهم، وصنّف في كل فن من هذه العلوم كتبًا أحسن تأليفها، وأجاد وصفها وتراصيفها.

وكان شديد الذكاء شديد النظر عجيب الفطرة مفرط الإدراك قوي الحافظة بعيد الغور غواصًا على المعاني الدقيقة جبل علم مناظرًا محجاجًا وكان إمام الحرمين يقول: الغزالي بحر مغرق، والكيا أسد مخرق، والخوافي نار محرق. قيل: لم يكن قلب إمام الحرمين مثل ظاهره في حقّ الغزالي بل يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه ظاهرًا خلاف ما يضمره، وذلك ليقتدي الغزالي على التصنيف مع سرعة جوابه وقوة طبعه، وإنْ كان متخرجًا به متنسبًا إليه كما لا يخفى من طبع البشر أمثال هذا.

ثم ناظر الإمام العلماء في مجلس نظام الملك وقهر الخصوم فاعترفوا بفضله، فولاه النظام تدريس مدرسته ببغداد، فدرس ونشر العلم، وكان يرضي الطلبة ويلقي الدرس على نحو ثلاث مائة نفر من أكابرهم أو يزيدون، فأعجب به أهل العراق أجمعون. وأفتى وصنف، وصار عظيم الجاه، عالي الرتبة، مسموع الكلم، مشهور الاسم، يضرب به الأمثال، وتشدّ إليه الرحال، ثم ترك الدنيا ورفض الجاه وراء ظهره، وقصد بيت الله الحرام، فخرج إلى الحج سنة ثمان وثمانين وأربع مائة، واستناب أخاه في التدريس، فدخل دمشق في سنة تسع، ثم جاور بيت المقدس مدة، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع عشر سنين، ثم جال في البلاد يزور المشاهد ويطوف على الترب والمساجد، ويأوي القفار ويجاهد نفسه جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق العبادات، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات، إلى أنْ صار قطب الوجود، والبركة العامة بكل موجود، والطريق الموصلة إلى رضى الرحمن، والسبيل المنصوب إلى مركز الإيمان. ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلّم على لسان أهل الحقيقة، وحدّث بكتاب الإحياء ثم عاد إلى خراسان ودرس بالنظامية بنيسابور مدة يسيرة، ثم رجع إلى طوس واتخذ مدرسة للفقهاء وخانقاهًا للصوفية، ووزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة أرباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وأدائه الصلوٰة والصيام وسائر العبادات إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه طيب الثناء، أعلى منزلة من نجم السماء، لا يكرهه إلاّ حاسد أو زنديق، ولا يسومه بسوء إلاّ حانة[1] حائد عن سواء الطريق.

وكانت وفاته بطوس في يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مائة.

قال هو قدّس سرّه في بعض مؤلفاته: كنت في بدايتي منكرًا لأحوال الصالحين ومقامات العارفين حتى حظيت بالواردات، فرأيت الله تعالى في المنام، فقال لي: يا أبا حامد، قلت: أو الشيطان يكلمني؟ قال: لا، بل أنا الله المحيط بجهاتك الست. ثم قال: يا أبا حامد: ذر أساطيرك، وعليك بصحبة أقوام جعلتهم في أرضي محل نظري وهم أقوام باعوا الدارين بحبي. فقلت: بعزتك ألا أذقتني برد حسن الظنّ

(١) هكذا في الأصل. وفي النسخة المصرية حذفت كلمة حانة، ووجد في هامشها: في الأصل: حامه، والصحيح ما أثبتناه لأنه يتفق مع السياق.

بهم، فقال: قد فعلت ذلك، والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا، فأخرج منها مختارًا قبل أن تخرج منها صاغرًا، فقد أمضيت عليك نورًا من أنوار قدسي، فقم وقل. قال: فاستيقظت فرحًا مسرورًا وجئت إلى شيخي يوسف النساج، فقصصت عليه المنام فتبسم وقال: يا أبا حامد، هذه ألواحنا في البداية، فمحوناها. بلى إنْ صحبتني سأكحل بصر بصيرتك بأثمد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد ما لا تدركه الأبصار، فتصفو من كدر طبيعتك، وترتقي على طور عقلك، وتسمع الخطاب من الله تعالى كما كان لموسى عليه السلام أنا الله رب العالمين، انتهى.

ثم توجه إلى القدس الشريف فاجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة بتلك الأراضي المقدسة، منفردًا عن الناس، مخفيًا نفسه عنهم، ما كان يعرفه إلاّ خادم كان معه، فكان على ذلك مدة، ثم اشتهر أمره فعرفوه واعتقدوه، ثم إنه قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة، ثم عاد إلى الشام وأخذ في تصنيف: إحياء علوم الدين، والكتب المختصرة مثل الأصول الأربعين وجواهر القرآن، وغير ذلك من الرسائل، وهو مكبّ على مجاهدة النفس والعزلة عن الخلق، والتبتل إلى الله تعالى، وترك الاجتماع بالناس إلاّ في الجمعة والجماعة، ثم عاد إلى وطنه لازمًا بيته مشتغلًا بالتفكر والتأليف، ملازمًا للوقت، مثابرًا على الذكر والأوراد، إلى أن مضى على ذلك زمان ظهرت فيه تصانيفه وفشت كتبه، حتى انتهت المملكة والوزارة إلى فخر الملك[(١)] جمال الشهداء، فزينت خراسان بحشمته ودولته، ونفق سوق الفضل أيام ولايته، وقد كان سمع بفضل الإمام الغزالي ونقاء سيرته، فاستدعاه وجاء به إلى نيسابور وولاه تدريس المدرسة النظامية بها، فانتفع به ثم عاد إلى بغداد، ثم إلى نيسابور، وألزم بتدريس النظامية بعد معاودات بأسباب يأتي ذكرها في كلامه، ثم ترك ذلك كله وأقام بوطنه، واتخذ خانقاهًا للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلوم الشرعية في جواره، ووزع أوقاته على وظائف الحين من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب.

هذا وقد سئل هو قدّس سرّه عن السبب الذي صرفه عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة، وما الذي دعاه إلى معاودته بنيسابور بعد طول المدة، فقال مجيبًا عن ذلك بعد تمهيد مقدمات تقدمت له هناك: إنّه قد حصل معي من العلوم التي مارستها، والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية، إيمان يغني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر. فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسي، وكان قد ظهر عندي أنّه لا مطمع في سعادة الآخرة إلاّ بالتقوى، وكف النفس عن الهوى، وأنّ رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا، والتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله عزّ وجلّ؛ وإنّ ذلك لا يتم إلاّ بالإعراض عن الجاه والمال، وقطع الآمال، والهرب من الشواغل والعلائق، ومن مخالطة الخلائق.

قال: ثم لاحظت أحوالي فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من كل جانب، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم، وإذا أنا مقبل فيها على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة. ثم تفكرت في نيتي في

---

(١) هو علي بن الحسن بن علي بن إسحاق، أبو المظفر، فخر الملك ابن نظام الملك. ولد عام ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م. وتوفي عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م. وزير، له أخبار.

انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٧٣، ابن الأثير ١٠/ ٨٨، النجوم الزاهرة ٥/ ١٥٥.

التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل مشوبة بطلب الجاه وانتشار الصيت، فتيقنت أني على شفا جرف الهلاك، وإني قد أشفيت على النار إنْ لم أشتغل بتلافي الأحوال، فلم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار، أصمم عزمي على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يومًا، وأحل العزم يومًا، وأقدم فيه رجلًا وأؤخر عنه أخرى، ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة إلاّ وتحمل عليها جند الشهوة حملة فينفرها عشية، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام، ومنادي الإيمان ينادي الرحيل، فلم يبق من العمر إلاّ القليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العلم رياء وتخييل. فإنْ لم تستعد الآن إلى الآخرة فمتى تستعد. وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع. فعند ذلك تنبعث الرغبة وتنجزم العزم على الهرب والفرار، ثم يعود الشيطان الغرور الغدار، ويقول: هذه حالة عارضة، إيّاك أن تطاوعها فإنها سريعة الزوال. فإذا أذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص، والأمر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم، ربما التفت إليك نفسك فلا يتيسر لك المعاودة. فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبًا من ستة أشهر، آخرها رجب سنة ست وثمانين وأربع مائة. وفي هذا الشهر تجاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار، إذْ قفل الله تعالى على لساني حتى اعتقل عن التدريس، فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يومًا واحدًا تطييبًا لقلوب المختلفة إليّ، وكانوا نحو ثلاث مائة نفر، فكان لا ينطلق لساني بكلمة ولا يستطيعها ألْبتة، حتى أورثت هذه العقلة في اللسان حزنًا في القلب بطلت معه قوة الهضم ومريء الطعام والشراب، وكان لا ينساغ لي شربة ولا تنهضم لي لقمة، وتعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج، وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج إلاّ بأنْ يستروح السرّ عن الهم المهم.

ثم إني لما أحسست لعجزي وسقط بالكلية اختياري، التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وسهّل إلى قلبي الإعراض عن المال والجاه ومفارقة الأولاد والأحباء والأوطان والأصحاب، فأظهرت عزم الخروج إلى مكة، وأنا أدبر نفسي سفر الشام، حذارًا أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على غرضي في المقام بالشام، فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد، على عزم أني لا أعاودها أبدًا، فاستهدفوني واستهزؤا بي كأنه لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الإعراض عما كنت فيه بسبب ديني، إذْ ظنّوا أنّ ذلك هو المنصب الأعلى في الدين، وكان ذلك مبلغهم من العلم. ثم ارتبك الناس في الاستنباطات، فظنّ من بعد عن العراق أنّ ذلك لاستشعار من جهة الولاة، وأما من قرب منهم من الولاة بمكان فكان يشاهد إلحاحهم في التعلّق بي والإنكار عليَّ، وإعراضي عنهم وعن الالتفات إلى قولهم، فيقولون هذا أمر سماوي ليس له سبب إلاّ عين أصابت أهل الإسلام وزمرة العلم، ففارقت بغداد، وفرقت ما كان معي من مال ولم أدخر إلاّ قدر الكفاف وقوت الأطفال، ترخصًا بأنّ مال العراق للمصالح لكونه وقفًا على المسلمين، فلم أر في العالم ما يأخذ العالم لعياله أصلح منه. ثم دخلت الشام وأقمت فيه بمدينة دمشق قريبًا من سنتين، لا شغل لي إلاّ العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالًا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله، كما كنت حصلته من علوم الصوفية، فعلمت أنّ طريقهم إنّما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن

أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تجلية القلب عن غير الله وتحليته بذكر الله، وكان العلم أيسر عليَّ من العمل إذْ ذاك، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل: قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي، وغير ذلك من المشايخ قدّس سرّهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أنْ يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، ظهر لي أنْ أخصّ خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبديل الصفات، انتهى.

قال: فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسي، ثم تحركت بي داعية فريضة الحج إلى بيت الله تعالى والإستمداد من بركة مكة والمدينة وزيارة الرسول عليه الصلوٰة والسلام بعد الفراغ من زيارة الخليل، صلوات الله عليه وعلى سائر الأنبياء، فسرت إلى الحجاز. قلت: ولعلّ حجه قد تكرر لأنّه ذكر بعض المؤرخين أنّه حجّ من العراق قبل إقامته بالشام.

قال: ثم جذبتني الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودته بعد أنْ كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه، وآثرت العزلة به أيضًا حرصًا على الخلوة وتصفية القلب للذكر. وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغيّر فيَّ وجه المراد، وتشوش صفوة الخلوة، وكان لا تصفو لي الحال إلاّ في أوقات متفرقة، ولكني مع ذلك لا أقطع طمعي عنها، فتدفعني عنه العوايق وأعود إليها، ودمت على ذلك مقدار عشر سنين. وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها، والقدر الذي أذكره لينتفع به أني علمت يقينًا أنّ الصوفية هم السالكون بطريق الله تعالى، خاصة وأنّ سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلى الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئًا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلًا، فإنّ جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة: فماذا يقول القائل في طريقة، طهارتها تطهر القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، وتحريمتها إستغراق القلب بذكر الله تعالى، وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى، وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكشف من أوائلها، وهو على التحقيق أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه. ومن أول الطريقة تبتدىء المكاشفات والمشاهدات، حتى إنّهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد. ثم ترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق العبارة، فلا يحاول معبر أنْ يعبّر عنها إلاّ اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه. وعلى الجملة، ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيّل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول، وكل ذلك خطأ، وقد بيّنا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الأقصى بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أنْ يزيد على أن يقول:

فكان ما كان مما لست أذكره
فظنّ خيرًا ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة: فمن لم يرزق منه شيئًا بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلاّ الإسم. وكرامات الأولياء على التحقيق هي بدايات الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

ثم اعلم، أنّه قدّس سرّه بعدما حصل ما حصل أشار إليه أرباب القلوب والمشاهدات بترك

العزلة والخلوة والخروج من الزاوية، ناظرين إلى أنّ ذلك نفع خاص بالشيخ، والعود إلى نشر العلم نفعه أعم وأجره أتم، وتواطأت على ذلك منامات من الصالحين تشهد كلّها بأنّ هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدّره الله عزّ وجلّ على رأس هذه المائة الخامسة، وقد وعد الله سبحانه بإحياء دينه على رأس كل مائة سنة، فغلب حسن ظنّه بسبب هذه الشهادات.

قال قدّس سرّه: ويسّر الله لي الحركة إلى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربع مائة، وكان الخروج من بغداد سنة ثمان وثمانين، وبلغت مدة العزلة إحدى عشر سنة وهذه حركة قدّرها الله تعالى وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب مدة العزلة، كما لم يكن الخروج من بغداد والنزوع عن تلك الأحوال مما يخطر إمكانه أصلًا بالبال، والله تعالى مقلّب القلوب والأحوال، وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن. فأنا أعلم أني وإنْ رجعت إلى نشر العلم فما رجعت، فإنّ الرجوع عود على ما كان، وكنت في ذلك الزمان أنشر العلم الذي يكتسب به الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وأنا الآن أدعو إلى العلم الذي به يترك الجاه، ويعرف به سقوط رتبة الجاه. هذا هو الآن نيتي وقصدي وأمنيتي، يعلم الله تعالى ذلك مني. وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري، ولست أدري أصل إلى مرادي أم أحرم عن غرضي، لكن أؤمن إيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول لي ولا قوة إلاّ بالله، وإني لم أتحرك ولكنه حركني، وإني لم أعمل ولكنه استعملني، وأسأله أنْ يصلحني أولًا ثم يصلح بي، وأن يهديني ثم يهدي بي، وأن يريني الحق حقًا ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلًا ويرزقني اجتنابه، آمين، انتهى.

وأما مصنفاته: فمنها كتاب الإحياء هو من أجل الكتب وأحسنها وضعًا وأتمها إفادة وأعمها نفعًا. وأول ما دخل إلى الغرب أنكر فيه بعض المغاربة أشياء، وصنف عليه الإملاء في الردّ على الإحياء[1]، ثم رأى رؤيا ظهرت فيها كرامة الشيخ وصدق نيته فتاب عن ذلك ورجع إلى الاعتقاد في حقه. وأما الأحاديث التي لم تصح لا ينكر على إيرادها لجوازه في الترغيب والترهيب. وكان الإمام فخر الدين الرازي يقول: كان الله تعالى جمع العلوم في قبة وأطلع الغزالي عليها، أو كما قال. وقال الشيخ محي الدين النووي: لو عدمت كتب الإسلام والعياذ بالله تعالى وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب، أو كما قال.

ومن مصنفاته: البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة، وهذه الأربعة في الفقه. قيل:

هذب المذهب حبر
أحسن الله خلاصه
ببسيط ووسيط
ووجيز وخلاصه

ومع هذا الفضل العزيز لم يسلم من قال وقيل، حتى خوطب بأنّك ما عملت شيئًا، أخذت الفقه من كلام شيخك يعني إمام الحرمين، في نهاية المطلب[2]، والتسمية لكتبك من الواحدي. ومنها: المستصفى في أصول الفقه، والمنخول في اللباب، وهداية الهداية، وكيمياء السعادة،

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي. (- ٥٠٥هـ). وأول ما دخل إلى المغرب أنكر فيه بعض المغاربة أشياء، فصنف الإملاء في الرد على الإحياء.
كشف الظنون ١/ ٢٣.

(٢) نهاية المطلب في دراية المذهب لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي (- ٤٧٨هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٩٩٠.

وكتاب الفتاوى له مشتمل على مائة وتسعين مسئلة وهي غير مرتبة. وله فتاوى أخرى غير مشهورة أقل من تلك. وصنف في الخلاف: المأخذ ثم تحصين المأخذ، وإلجام العوام عن علم الكلام، والرد على الباطنية، ومقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، والأصول الأربعين، وجواهر القرآن، وهما في الحقيقة كتاب واحد ولكنه أذن في إفرادهما. ومنها: الغاية القصوى، والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. ومنها: مشكاة الأنوار، والمنقذ من الضلال، والمنتحل في علم الجدل، ومعيار العلوم، والقسطاس المستقيم، وغرر الدرر، وحقيقة القولين، والمعارف العقلية، والحكم الإلهية، والمضنون به على غير أهله، ومعراج السالكين، ومنهاج العارفين. فعليك بهذين الكتابين فإنهما يعجزان الواصف. يقال: إنّ كتاب المنهاج لب كتاب الإحياء. وآخر مصنفاته وهي أكثر من أن تحصى. وينسب إليه تصنيفان ليسا له بل وضعا عليه وهما: السر المكتوم، والمضنون به على غير أهله. قيل إنّ الإمام الغزالي له نحو خمس مائة مصنف. يروى أنّه اجتمع في خزائن كتب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي نحو أربع مائة مؤلف من مؤلفات الغزالي. وينسب إليه أيضًا شعر، من ذلك ما نسبه إليه ابن السمعاني[١] في الذيل[٢] والعماد الأصبهاني[٣] في الخريدة[٤]

حلت عقارب صدغه في خدّه ... قمرًا فجلّ به عن التشبيه
ولقد عهدناه يحلّ ببرجها ... فمن العجائب كيف حلت فيه

وأنشد العماد له أيضًا:

هبني صبوت كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خد أزهر
إني اعتزلت فلا تلوموا إنه ... أضحى يقابلني بوجه أشعر

وهذا الشعر كما ترى من مثل هذا الإمام في غاية اللطف والانسجام. وما أحسن ما أورد له ابن النجار[٥]:

فقهاؤنا كذبالة النبراس ... هي في الحريق وضوؤها للناس
حبر ذميم تحت رائق منظر ... كالفضة البيضاء فوق نحاس

ومما أورده هو من نظمه:

فإنْ كنت في هدي الأئمة راغبًا ... فوطّن على أنْ ترتكبك الوقائع
بنفس وقور عند كلّ كريهة ... وقلب صبور وهو في الصدر قانع

---

(١) هو عبد الكريم بن محمد السمعاني. توفي عام ٥٦٢هـ. وتقدمت ترجمته.

(٢) للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني صاحب الأنساب (- ٥٦٢هـ). وهو مصنف في تاريخ بغداد.
كشف الظنون ١/ ٢٨٨، الأعلام ٤/ ٥٥.

(٣) هو محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله، المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني أو الأصفهاني. ولد عام ٥١٩هـ، وتوفي عام ٥٩٧هـ. أديب كبير كاتب، له شعر ونثر ومصنفات.
انظر عنه: طبقات السبكي ٦/ ١٧٨، البداية والنهاية ١٣/ ٣٠، شذرات الذهب ٤/ ٣٣٢، مرآة الجنان ٣/ ٤٩٢، الأعلام ٧/ ٢٦.

(٤) خريدة القصر وجريدة أهل العصر لعماد الدين الوزير العلامة أبي عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصبهاني (- ٥٩٧هـ).
كشف الظنون ١/ ٧٠١.

(٥) هو إبراهيم بن سليمان بن حمزة بن خليفة، الشيخ جمال الدين الشهير بابن النجار القرشي الدمشقي. ولد عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م. وتوفي عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م. محدث، له نظم وأدب وعدة كتب.
انظر عنه: المنهل الصافي ١/ ٦٥، العبر ٥/ ٢٠٧، الوافي بالوفيات ٥/ ٣٥٦، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٣.

لسانك مخزون ورأسك ملجم
وسرك مكتوم لدى الرّب ذائع
وذكرك معمور وبابك مغلق
وثغرك بسّام وبطنك جائع
وقلبك مجروح وسوقك كاسد
وفضلك مدفون وطعنك شائع
وفي كل يوم أنت جارع غصة
من الدهر والإخوان والقلب طائع
نهارك شغل الناس من غير منة
وليلك شوق غاب عنه الطلائع
فدونك هذا الليل خذه ذريعة
ليوم عبوس عزَّ فيه الذرائع

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: قال الإمام الغزالي في بعض مصنفاته: وقد نسبني قوم إلى الغزال وإنما أنا الغزالي بتخفيف الزاي نسبة إلى قرية من قرى طوس يقال لها غزالة. قال الأسنوي في طبقاته: كان والده يغزل الصوف ويبيعه في حانوته، فلما احتضر أوصى بولديه إلى صديق له صوفي فعلمهما الخط وأدبّهما. ثم نفد منه ما خلفه أبوهما وتعذّر عليهما القوت، فقال لهما: أرى لكما أنْ تلجئا إلى المدرسة. قال الغزالي: فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت. هذا حاصل كلامه. وعادة أهل خوارزم وجرجان كما قاله الذهبي وابن خلكان: القصاري والخبازي ونحوهما، أي بالياء بمعنى القصار ونحوه، فنسبوا إلى الغزل، فقالوا الغزالي أي الغزال. وذكر النووي في دقائق الروضة المسمى بالإشارات أنّ التشديد هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير. روى أنّ بعض الصالحين رأى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في المنام وهو واضع يده على كتف الإمام أبي حامد الغزالي، وهو يقول لموسى وعيسى صلوات الله على نبيّنا وعليهما: هل ترون في أمتكم حبرًا مثل هذا! وقد ضمن هذه المنام الإمام اليافعي في أبيات، قال:

أبو حامد غزال غزل مدقق
من العلم لم يغزل كذاك بمغزل
به المصطفى باهى لعيسى بن مريم
له قال صدقًا خاليًا عن تقول
أحبر كهذا في حواريك قال لا
وناهيك من هذا الفخار المؤثل
له في منامي قلت آأنت حجة
لاسلامنا لي قال ما شئت لي قل
غزلت لهم غزلًا دقيقًا فلم أجد
لغزلي نساجًا فكسرت مغزلي

وقد ذكر له السبكي في الطبقات الكبرى ترجمة طويلة في أربع كراريس، وأنشد قول القائل:

ماذا يقول القائلون بوصفه
وصفاته جلّت عن الحصر

قال الأسنوي في طبقاته: ثم إنه لزم الانقطاع ووظف أوقاته على وظائف الخير بحيث لا يمضي لحظة منها إلاّ في طاعة من التلاوة والتدريس والنظر في الأحاديث، خصوصًا البخاري، وإدامة الصيام والتهجد، ومجالسة أهل القلوب إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، وهو قطب الوجود، والبركة الشاملة لكل موجود. وكانت وفاته بطوس صبيحة يوم الإثنين رابع عشر جمادي الآخرة سنة خمس وخمس مائة، وعمره خمس وخمسون سنة، ودفن بالطابران، مدينته التي ولد بها بطوس.

وذكر الشيخ الكبير أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد اليمني[١] كلامًا كثيرًا في ترجمته،

---

(١) هو أحمد بن أبي الخير اليمني الصيادي. توفي عام ٧٧٩هـ. صالح، صوفي له كرامات وأخبار. انظر عنه: شذرات الذهب ٦/ ٢٦١.

وذكر أنه رأى في بعض الأيام وهو قاعد باليمن أبواب السماء مفتحة، وإذا بعصبة من الملائكة قد نزلوا إلى الأرض ومعهم خلع خضر ودابة من الدواب، فوقفوا على رأس قبر من القبور، فأخرجوا شخصًا من قبره وألبسوه الخلع وأركبوه على الدابة وصعدوا به إلى السماء، ثم لم يزالوا يصعدون به من سماء إلى سماء حتى جاوزوا السماوات السبع كلها، وخرقوا بعدها سبعين حجابًا. قال: فتعجبت من ذلك وأردت معرفة ذلك الراكب، فقيل لي: هو الغزالي، ولا علم لي أين بلغ. وكأنه كان ذلك يوم توفي إلى رحمة الله تعالى.

نقل عن الإمام حجة الإسلام الغزالي أنه قال لبعض أصحابه: إيتني بثوب جديد فإني أريد أن أدخل على الملك، فأتي بثوب وطلع إلى بيته فأبطأ ولم ينزل إليه، فدخل هو وثلاثة إليه فوجدوه قد قبض، وعند رأسه كتاب فيه هذه الأبيات:

قال رحمه الله:

قل لإخوان رأوني ميتًا
فبكوني ورثوا لي حزنا
لا تظنوني بأني ميت
ليس ذاك الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي
كان بيتي وقميصي ها هنا
أنا كنز وحجابي طلسم
من يراني لي تجلى للفنا
أنا درّ وحجابي صدف
كان سجني فألفت السجنا
أنا عصفور وهذا قفصي
طرت عنه وهو يبقى رهنا
أحمد الله الذي خلصني
وبنى لي في المعالي وطنا
كنت قبل اليوم ميتًا بينكم
فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليوم أناجي ملأ
وأرى الله جهارًا علنا
عاكف في اللوح أقرأ وأرى
كل ما كان تناءى ودنا
وطعامي وشرابي واحد
وهو رمز فافهموا ذا الحسنا
ليس خمرًا سائغًا أو عسلًا
لا ولا ماءً ولكن لبنا
فافهموا سرِّي ففيه نبأ
أي معنى تحت لفظي كمنا
هدموا بيتي ورضوا قفصي
وذروا الطلسم يأبى وثنا
قد ترحلت وخلفتكم
لست أرضى داركم لي وطنا
لا تظنوا الموت موتًا إنه
لحياة هي غايات المنى
لا ترعكم هجمة الموت فما
هو إلاّ نقلة من ههنا
وخذوا في الزاد جهدًا لا تنوا
ليس بالعاقل منا من ونا
ما أرى نفسي إلاّ أنتم
واعتقادي أنكم أنتم أنا
عنصر الأنفس منا واحد
وكذا الجسم جميعًا عمّنا
فارحموني ترحموا أنفسكم
واعلموا أنكم في إثرنا
أسأل الله لنفسي رحمة
رحم الله صديقًا آمنا
وعليكم من سلامي طيب
سلم الله عليكم وثنى

انتهى الأبيات. ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي بأبيات فائقة منها:

مضى وأعظم مفقود فجعت به
من لا نظير له في الناس يخلفه

قيل وتمثل الإمام إسمعيل الحاكمي[١] بعد وفاته بقول أبي تمام:

عجبت لصبري بعده وهو ميت
وكنت امرأً أبكى دمًا وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب

قال القاضي أبو بكر ابن العربي الفقيه المالكي تلميذ أبي حامد الغزالي: لقيت الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز، فقلت له: أليس تدريس العلم ببغداد خيرًا من ذا؟ فنظر إليَّ شزرًا وقال: لما بزغ بدر السعادة في سماء الارادة، وجنحت شمس الأصول إلى معارف الوصول:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل
وعدت إلى تصحيح أول منزل
ونادت بي الأشواق مهلًا فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

قال الشيخ الإمام الزاهد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن محمد الجلالي النسائي الشافعي[٢]: رأيت في بعض تصانيف الشيخ الإمام مسعود الطرازي أنّ الإمام أبا حامد الغزالي رحمه الله، كان قد أوصى أن يلحده الشيخ أبو بكر النساج الطوسي تلميذ الشيخ الإمام أبي القاسم الكرساني. قال: فلما الحده وخرج من اللحد خرج متغيرًا منتقع اللون. فقيل له في ذلك فلم يخبر بشيء، فأقسموا عليه بالله إلاّ ما أخبرتهم. فقال: إني لما وضعته في اللحد شاهدت يدًا يمنى قد خرجت من تجاه القبلة، وسمعت هاتفًا يقول: ضع يد محمد الغزالي في يد سيد المرسلين محمد المصطفى العربي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فوضعتها. ثم خرجت كما ترون أو كما قال، قدّس الله روحه العزيز. ومن كلام حسّاده في حقّه ما يشاهدون في كلامه من الخلل من جهة النحو، لكنهم لا يعرفون أنّه لا يعير به إذْ لم يكن قصده إلاّ المعاني وتحقيقها دون الألفاظ وتلفيقها، على أنه أنصف من نفسه واعترف بأنّه لم يمارس ذلك الفن، واكتفى بما كان يحتاج إليه في كلامه. على أنه كان يؤلف الخطب بالعبارات التي يعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها. وفي كلام المترجمين في شأنه كثرة فلا نطيل به الكلام، ففيما ذكرناه مقنع وبلاغ.

ذكر مصنفاته: له في المذهب: الوسيط، والبسيط، والوجيز، والخلاصة. وفي سائر العلوم: كتاب إحياء علوم الدين، وكتاب الأربعين، وكتاب شرح الأسماء الحسنى، والمستصفى في أصول الفقه، والمنخول فيه أيضًا ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين، بداية الهداية، والمأخذ في الخلافيات، تحصين المأخذ، وكيمياء السعادة بالفارسية، المنقذ من الضلال، والمنتحل في الجدل، وشفاء العليل في مسالك التعليل، والاقتصاد في الاعتقاد، ومعيار النظر، ومحك النظر، وتهافت الفلاسفة، والمقاصد في اعتقاد الأوائل، وهو مقاصد الفلاسفة. إلجام العوام في علم الكلام، والغاية القصوى، وجواهر القرآن، وكشف علوم

(١) هو إسماعيل بن عبد الملك بن علي الطوسي، الحاكمي الشافعي، أبو القاسم توفي عام ٥٢٩هـ. علامة فقيه. له عدة تصانيف.
انظر عنه: المنتظم ١٠/ ٥٢، الوافي بالوفيات ٩/ ١٥٤، طبقات السبكي ٧/ ٤٧، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦، البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٩.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد النسائي، أبو محمد الجمالي الشافعي. ولد بعد عام ٧٠٠هـ، وتوفي عام ٧٨٤هـ. إمام، قارىء، حسن الحظ والخلق. صاحب طريقة في الزهد. له مصنفات.
انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٢٥٣.

الآخرة، والرسالة القدسية، والفتاوى، وميزان العمل، وحقيقة الروح، وأسرار معاملات الدين، وعقيدة المصباح، والنهج الأعلى، وأخلاق الأبرار، والمعراج، وحجة الحق، وتنبيه الغافلين، والمكنون في الأصول، ورسالة الأقطاب، وسلم الشياطين، والقانون الكلي، والقربة إلى الله، ومعيار العلم، ومفصل الخلاف في أصول القياس وأسرار اتباع السنة، وتلبيس إبليس، والمبادي والغايات، والأجوبة، وكتاب عجائب صنع الله. وكتبه ورسائله خارجة عن حدّ العدّ والاحصاء، ولم يتيسر لأحد معرفة أسماء مصنفاته كلها حتى يقال: إنه له ألف مصنف إلاّ واحدًا. وهذا وإنْ كان بعيدًا عادة لكن من عرف شأنه ربما يصدقه.

ومما حكي واشتهر عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي[1] قدّس سرّه، وكان سيد عصره وبركة زمانه، أنه رأى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم في النوم، وقد باهى عليه الصلوٰة والسلام موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي وقال: أفي أمتيكما حبر كهذا؟ قالا: لا. وسئل السيد الكبير الجليل العارف بالله أوحد الأولياء أبو العباس المرسي[2] تلميذ الشيخ أبي الحسن عن الإمام الغزالي فقال: أنا أشهد له بالصديقية العظمى.

حكاية: عن الإمام أبي الحسن المعروف بابن حرازهم أو حرزهم، وكان مطاعًا في بلاد المغرب أنه لما وقف على الإحياء أمر بإحراقه وقال: هذا بدعة مخالف للسّنة، فأمر بإحضار ما في تلك البلاد من نسخ الإحياء فجمعوا وأجمعوا على إحراقها يوم الجمعة وكان إجماعهم يوم الخميس. فلما كان ليلة الجمعة رأى أبو الحسن المذكور في المنام كأنه دخل من باب الجامع ورأى في ركن المسجد نورًا، وإذا بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر جلوس، والإمام الغزالي قائم وبيده الإحياء وقال: يا رسول الله، هذا خصمي، ثم جثا على ركبتيه وزحف عليهما إلى أن وصل إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فناوله كتاب الإحياء، وقال يا رسول الله: أنظر فيه، فإنْ كان فيه بدعة مخالفة لسنتك كما زعم تبت إلى الله تعالى، وإنْ كان شيئًا تستحسنه حصل لي من بركتك فأنصفني من خصمي. فنظر فيه رسول اللهصلّى الله عليه وآله وسلم ورقة ورقة إلى آخره ثم قال: والله إنّ هذا شيء حسن. ثم ناوله أبا بكر رضي الله عنه فنظر فيه كذلك ثم قال: نعم. والذي بعثك بالحق يا رسول الله إنّه لحسن. ثم ناوله عمر رضي الله عنه فنظر فيه كذلك ثم قال كما قال أبو بكر رضي الله عنه. فأمر رسول الله ﷺ بتجريد أبي الحسن وضربه حد المفترى، فجرّد وضرب ثم شفع فيه أبو بكر بعد خمسة أسواط، وقال: يا رسول الله، إنما فعل ذلك اجتهادًا في سنتك وتعظيمًا، فعفا عنه أبو حامد عند ذلك. فلما استيقظ من منامه وأصبح أعلم أصحابه بما جرى، ومكث قريبًا من الشهر متألمًا من الضرب، ثم سكن عنه الألم ومكث إلى أنْ مات، وأثر السياط على ظهره، وصار ينظر كتاب الإحياء ويعظمه وينتحله أصلًا أصيلًا. قال ابن السبكي في طبقاته: وهذه حكاية صحيحة، حكاها لنا جماعة من ثقات مشيختنا، عن الشيخ العارف ولي الله سيدي ياقوت الشاذلي، عن شيخنا السيد الكبير ولي الله أبي العباس المرسي، عن شيخه الشيخ الكبير ولي الله أبي الحسن الشاذلي قدّس الله تعالى أسرارهم. والمنامات في حقّ

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو أحمد بن عمر المرسي، أبو العباس. شهاب الدين. توفي عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م. فقيه، متصوف. له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ١/ ١٨٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧١.

الإحياء وفي حق الغزالي كثيرة شهيرة جدًا.

ومنهم محمد بن الموفق الخيوشاني[١]، الفقيه الصوفي، أحد الأئمة علمًا ودينًا وورعًا وزهدًا. ولد بخيوشان بلدة بناحية نيسابور سنة عشر وخمس مائة، وتفقه بها، وقدم مصر ودرس بتربة الشافعي مدة، وكان إمامًا جليلًا، كبير المحل في الورع، قلّ أن ترى العيون مثله زهدًا وعلمًا وأمرًا بالمعروف وتصميمًا على الحق. ومن تصانيفه: كتاب تحقيق المحيط في ستة عشر مجلدًا.

ومنهم الحسين بن مسعود الفراء البغوي محيى السنة وقد مر ذكره[٢].

ومنهم عبد الواحد بن إسمعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الرؤياني[٣]، صاحب البحر[٤]، أحد أئمة المذهب. ولد سنة خمس عشرة وأربع مائة، وتفقه ببلده على أبيه وجده، وكان يلقب فخر الاسلام. وله الجاه العريض والعلم الغزير والدين المتين والمصنفات السائرة في الآفاق. وكان يضرب المثل بحفظه حتى يحكى أنّه قال: لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي. قال ابن السبكي: ولا يعني بكتبه منصوصاته فقط بل يراد عند إطلاق كتب الشافعي منصوصاته ومنصوصات أصحابه. وكان نظام الملك كثير التعظيم له. ولي قضاء طبرستان ثم انتقل إلى آمل فقتلته الملاحدة سنة إثنتين وخمس مائة بعد فراغه من الإملاء. قيل وكتابه البحر أكثر من الحاوي فروعًا، وإنْ كان هو أحسن ترتيبًا وأوضح تهذيبًا. ومن تصانيفه: الفروق والحلية والتجربة ومناصيص الشافعي والكافي، وغير ذلك.

ومنهم علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم ابن عساكر[٥]، وليس في أجداده من يسمّى عساكر وإنما لقب هو به. هو الشيخ الإمام ناصر السّنة وحاويها، وهازم جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها. إمام أهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفاظ، ولا ينكر أحد منهم مكين مكانه. له: تاريخ الشام في ثمانين مجلدًا. ولد سنة تسع وتسعين وأربع مائة. تفقه في حداثته بدمشق ثم دخل بغداد، لزم بها التفقه وسماع الدرس بالنظامية، وقرأ الخلاف والنحو، ولازم طول عمره لقراءة القرآن وصلوٰة الجماعة، مكثرًا من النوافل والأذكار، والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار. وكان يحاسب نفسه على ساعة تذهب في غير طاعة، يصدع بالحق ولا يخالف في الله لومة. لائم، ويسطو على أعداء الله المبتدعة ولا يبالي وإنْ رغم أنف الراغم. لا تأخذه رأفة في دين الله، ولا يقوم لغضبه أحد إذا خاض الباغي في صفات الله. رأى والده في المنام وقد حملت به أمه أنه يولد لك ولد يحيى الله به السنة، ولعمر الله كان كذلك. وكان يسمّى شعلة نار من توقده وذكائه. أعرض عن المناصب الدينية كالخطابة والإمامة بعد أن عرضتا عليه. توفي الحافظ سنة إحدى وسبعين وخمس مائة بدمشق رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٤/ ١٩٠، مرآة الجنان ٣/ ٤٣٣، حسن المحاضرة ١/ ٢٢٩، شذرات الذهب ٤/ ٢٨٨، الأعلام ٧/ ٣٤٢.

(٢) في بيان علم التفسير. (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٧٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٠، طبقات الشافعية ٤/ ٢٦٨، المنتظم ٩/ ١٦٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٧، شذرات الذهب ٤/ ٤.

(٤) بحر المذهب في الفروع، وهو بحر كاسمه.

(٥) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٤٢، طبقات الشافعية ٤/ ٢٧٣، المنتظم ١/ ٢٦١، معجم الأدباء ١٣/ ٧٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٧٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١١٨، شذرات الذهب ٤/ ٢٣٩، البداية ١٢/ ٢٩٤.

ومنهم محمد بن إسحاق الشيخ الزاهد صدر الدين القونوي[١]، صاحب التصانيف في التصوف، وله شرح الحديث الأربعين، وكتاب مفتاح الغيب، وتفسير سورة الفاتحة، وله المراسلات في المسائل الغوامض المتعلقة بالإلهيات مع خواجه نصير الدين الطوسي الحكيم، وغير ذلك. توفي سنة ثلاث وسبعين وست مائة رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، الإمام فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري، وقد سبق شرائف مناقبه[٢].

ومنهم عبد العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء، الشيخ عز الدين[٣]، وشهرته تغني عن الإطناب في مدحه. وبالجملة هو إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها. لم ير مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله علمًا وورعًا وقيامًا في الحق، وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان. ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمس مائة، تفقه على الشيخ فخر الدين ابن عساكر، وقرأ الأصول على سيف الدين الآمدي وغيرهما. ومن تلامذته شيخ الإسلام ابن دقيق العيد، وهو الذي لقب الشيخ عز الدين بسلطان العلماء. أزال رحمه الله كثيرًا من البدع من دقّ الخطباء السيف على المنبر وغير ذلك، وأبطل صلاتي الرغائب ونصف شعبان ومنع منهما. قيل: إنه أفقه من الغزالي. قيل: إنه لبس خرقة التصوف من الشيخ شهاب الدين السهروردي وأخذ عنه، وذكر أنه كان يقرأ بين يديه رسالة القشيري، فحضره مرة الشيخ أبو العباس المرسي لما قدم من الإسكندرية إلى القاهرة، فقال له الشيخ عز الدين: تكلم على هذا الفصل. فأخذ الشيخ يتكلم والشيخ عز الدين يزحف في الحلقة ويقول: إسمعوا هذا الكلام الذي هو حديث عهد بربه، وكان للشيخ عز الدين اليد الطولى في التصوف، وتصانيفه قاضية بذلك. وكان رحمه الله يتكلم بالحق ويصدع به، ولا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان ينادي سلاطين مصر باسمه في مجالسهم العظام، عند تقبيل العلماء أيديهم بل الأراضي بين يديهم، جزاه الله تعالى عن العلم والإسلام خيرًا. وله واقعة مشهورة عند خروج التتار. توفي الشيخ سنة ستين وست مائة. أفتى سلطان العلماء بالمنع عن صلاة الرغائب، والشيخ ابن الصلاح كان أفتى بالمنع، ثم صمم على خلافه ودار الكلام بينهما. ولهما في هذا الباب رسائل مشهورة عند الفقهاء الشافعية.

ومنهم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسن القزويني، الإمام الجليل أبو القاسم الرافعي[٤]. صاحب الشرح الكبير المسمى بالعزيز في شرح الوجيز، والشرح الصغير، والمحرر، وشرح مسند الشافعي، والتذنيب، والأمالي الشارحة على مفردات الفاتحة، وهو ثلاثون مجلسًا أملاها أحاديث بأسانيده عن أشياخه على سورة الفاتحة وتكلم عليها، وكتاب الإيجاز في أخطار الحجاز، ذكر فيه فوائد خطرت له في سفره إلى الحج وهو أوراق يسيرة، وكتاب المحمود في الفقه وصل فيه إلى أثناء الصلوٰة في ثمان مجلدات. كان

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ١٩/٥، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٠، الأعلام ٦/ ٢٥٤.

(٢) في علم التفسير. (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٣/ ٢٣٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٨، شذرات الذهب ٥/ ٣٠١، فوات الوفيات ١/ ٢٨٧، مرآة الجنان ٤/ ١٥٣.

(٤) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ١١٩/٥، فوات الوفيات ٢/ ٣، شذرات الذهب ٥/ ١٠٨، مرآة الجنان ٤/ ٥٦.

متضلعًا من العلوم الشرعية تفسيرًا وحديثًا وأصولًا، مترفعًا على أبناء جنسه في زمانه نقلًا وبحثًا وإرشادًا وتحصيلًا. وأما الفقه فهو فيه عمدة المحققين وأستاذ المصنفين، كأنما الفقه كان ميتًا فأحياه وأنشره، وأقام عماده بعدما أماته الجهل فأقبره. وكان ورعًا زاهدًا تقيًا نقيًا، طاهر الذيل مراقبًا لله. قال ابن الصلاح: أظنّ أني لم أر في بلاد العجم مثله. قال ابن السبكي: لا شك في ذلك. وقال النووي: الرافعي من الصالحين المتمكنين. كانت له كرامات كثيرة، وكان في بعض الليالي قاعدًا فانطفأ سراجه وقت التصنيف، فأضاءت له شجرة في بيته. توفي سنة ثلاث وعشرين وست مائة.

ومنهم عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري(١)، الشيخ العلامة تقي الدين. أحد أئمة المسلمين علمًا ودينًا، أبو عمرو بن الصلاح. ولد سنة سبع وسبعين وخمس مائة. كان إمامًا كبيرًا فقيهًا محدثًا زاهدًا ورعًا مفيدًا معلمًا. وتوفي سنة ثلاث وأربعين وست مائة. وقد مرّ نبذ من مناقبه.

ومنهم عمر بن محمد بن عبد الله(٢)، من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو أبو عبد الله، أو أبو نصر، أو أبو القاسم الصوفي، ابن أخي الشيخ النجيب، هو الشيخ شهاب الدين السهروردي، صاحب عوارف المعارف. ولد سنة تسع وثلاثين وخمس مائة بسهرورد(٣). وقدم بغداد فصحب عمه أبا النجيب عبد القاهر وأخذ عنه التصوف والوعظ وصحب غيره. كان فقيهًا فاضلًا صوفيًا إمامًا ورعًا زاهدًا عارفًا، شيخ وقته في علم الحقيقة، وإليه المنتهى في تربية المريدين ودعاء الخلق إلى الخالق، وتسليك طريق العبادة والزهد، وقصد من الأقطار. وظهرت بركات أنفاسه على خلق من العصاة فتابوا، ووصل به خلق إلى الله تعالى، وصار له أصحاب كالنجوم. ورأى من الجاه والحرمة عند الملوك ما لم يره أحد. ثم أضرّ في آخر عمره وأقعد، ومع هذا فما أخلّ بشيء من الأوراد والأذكار وحضور الجمع في محفة، والمضي إلى الحج إلى أن دخل عشر المائة. توفي في مستهل المحرم يوم الأربعاء سنة إثنتين وثلاثين وست ماية رحمة الله عليه.

ومنهم موسى بن أبي الفضل يونس بن محمد بن منعة، الشيخ العلامة، كمال الدين بن يونس أبو الفتح الموصلي(٤). والد شارح التنبيه الشيخ شرف الدين أحمد بن موسى. ولد سنة إحدى وخمسين وخمس ماية بالموصل. تفقه على والده الشيخ رضي الدين يونس، ثم توجه إلى بغداد. وتفقه بالمدرسة النظامية على معيدها الشريف السليماني، ثم أقام بالموصل رحمه الله تعالى.

واعلم أنّ هذا الرجل مما أطنب المؤرخون في ترجمته، وأطرى المادحون في فضله. ولنقتصر على ما يقبله العقل منها. قال ابن خلكان: كان هو بحرًا في كل العلوم، وتفرّد بالرياضيات، وكان الفقهاء يقولون إنّه يدرس

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٣٩٣، شذرات الذهب ٥/٢٢١، تذكرة الحفاظ ٤/٢١٤.

(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٤٨، النجوم الزاهرة ٦/٢٨٣، البداية والنهاية ١٣/١٣٨، شذرات الذهب ٥/١٥٣، مرآة الجنان ٤/٧٩.

(٣) مدينة تقع في شمال غربي إيران. كانت من الحواضر الإسلامية المزدهرة في القرون الوسطى. وقضت عليها حملات المغول، ومنها خرج الفلاسفة والعلماء.
انظر عنها: منجد الأعلام ٣١٢.

(٤) انظر ترجمته في: الأعلام ٢/٢٨٨، عيون الأنباء ١/٣٠٦، المختصر في أخبار البشر ٣/١٧٧، مختصر دول الإسلام ٢/١١٠.

أربعة وعشرين فنًا دراية متقنة من ذلك المذهب، حتى إنّ الحنفية يقرؤن عليه مذهبهم، ويحلّ عليهم مسائل الجامع الكبير أحسن حلّ، وكان يتقن الأصولين والجدل والخلاف. ولما وصل كتب فخر الدين الرازي إلى الموصل لم يفهم أحد من الفضلاء اصطلاحه سواه، وكان بها إذْ ذاك جماعة من الفضلاء، وكذلك الإرشاد[١] للعميدي، ولقد حلّه في ليلة واحدة، وكان يدري فنّ المنطق والحكمة من الطبيعي والرياضي والإلهي والطب، وكان يعرف الرياضي من إقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي وأنواع الحساب المفتوح منه، والجبر والمقابلة والأرثماطيقي والخطائين والمساحة والموسيقى معرفة لا يشاركه فيها غيره إلاّ في ظواهرها دون دقائقها، وكان كما قال الشاعر:

وكـان مـن الـعـلـوم بـحـيـث يـقـضـى
لـه فـي كـل عـلـم بـالـجـمـيـع

واستخرج في علم الأوفاق طرقًا لم يهتد إليها أحد. وكان في العربية بحرًا حتى إنّه كان يقرىء كتاب سيبويه، والإيضاح[٢]، والتكملة[٣] لأبي علي الفارسي، والمفصل[٤] للزمخشري. وكان له في التفسير والحديث وأسماء الرجال وما يتعلق به يد جيدة. وكان يحفظ من التواريخ وأيام العرب ووقائعهم والأشعار والمحاضرات شيئًا كثيرًا. وكان أهل الذمة يقرءون عليه التوراة والإنجيل، وشرح لهما هذين الكتابين شرحًا يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم غيره. وكان في كلّ فنّ من هذه الفنون كأنه لا يعرف سواه لقوة معرفته. قال ابن الأثير: ما دخل بغداد مثله. وقالوا: كيف ذلك؟ قال: ما دخل بغداد مثل الغزالي وليس بينه وبين الشيخ نسبة. وكان ابن الأثير على جلالة قدره في العلوم يأخذ الكتاب ويجلس بين يديه ويقرأ عليه، والناس يوم ذلك يشتغلون في تصانيف ابن الأثير، وكان الشيخ سامحه الله يتهم في اعتقاده لغلبة العلوم العقلية عليه، وكان يعتريه غفلة لاستيلاء الفكرة عليه بسبب هذه العلوم.

ومنهم يحيى بن شرف الإمام النووي، وقد مرّ ذكره في المحدثين.

ومنهم أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم بن الرفعة[٥]، الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، نجم الدين أبو العباس. شافعي الزمان، ومن ألقت إليه الأئمة مقاليد السلم والأمان. قد باشر حسبة مصر ودرس بالمدرسة المعزية، ولم يل شيئًا من مناصب القاهرة. ومن تصانيفه: المطلب في شرح الوسيط، والكفاية في شرح التنبيه، وكتاب مختصر في هدم الكنائس. توفي بمصر سنة عشر وسبع مائة، ولا مطمع في استيعاب مناقبه وغرائبه لأنّ ذلك بحر زاخر ومهيع لا يعرف له أول من آخر.

ومنهم محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ

---

(١) الإرشاد في علم الخلاف والجدل للشيخ ركن الدين أبي حامد محمد بن محمد العميدي السمرقندي الحنفي (- ٦١٥هـ).
كشف الظنون ١/ ٦٩.

(٢) الإيضاح في النحو للشيخ أبي علي حسن بن أحمد الفارسي النحوي (- ٣٧٧هـ).
كشف الظنون ١/ ٢١١.

(٣) تكملة الإيضاح في النحو للشيخ أبي علي حسن بن أحمد الفارسي النحوي (- ٣٧٧هـ).
كشف الظنون ١/ ٢١٢ و٤٧٠.

(٤) المفصل في النحو للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (- ٥٣٨هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٧٧٤.

(٥) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ١/ ٢٨٤، شذرات الذهب ٦/ ٢٢، طبقات الشافعية ٥/ ١٧٨، النجوم الزاهرة ٩/ ٢١٣، مرآة الجنان ٤/ ٢٤٩، البدر الطالع ١/ ١١٥، البداية والنهاية ١٤/ ٦٠.

شمس الدين أبو عبد الله التركماني الذهبي[١]. كان إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنى ولفظًا. شيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل. كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها، منتهى رغبات من يركب المطي إلى جواره، ويضرب البزل المهاري أكبادها ليصل ساحة داره. ولد سنة ثلاث وسبعين وست مائة، وفي شيوخه كثرة لا تقبل التعداد، وسمع منه الجمع الكثير. ما زال يخدم هذا الفن إلى أن رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه، وضربت باسمه الأمثال، وسار اسمه مسير قبة الشمس إلاّ أنه لا يتقلص إذا نزل المطر، ولا يدبر إذا أقبلت الليال. أقام بدمشق، رحل إليه من سائر البلاد، وتناديه السؤالات من كل ناد، وهو بين أكنافها كنف لأهليها، وشرف تفتخر ويزدهي به الدنيا وما فيها. طورًا تراها ضاحكة عن تبسم أزهارها وقهقهة غدرانها، وتارة تلبس ثوب الوقار والفخار بما اشتملت عليه من أبياتها المعدود في سكانها، إلاّ أنه كان شافعي المذهب حنبلي المعتقد؛ ولهذا كان كثير الازراء للأشاعرة في تصانيفه، سيّما في تاريخه الكبير، وله تاريخ أوسط مسمى بالعبر، وصغير مسمى بدول الإسلام، وكتاب النبلاء، ومختصر تهذيب الكمال للمزّي، والكاشف مختصر ذلك والميزان في الضعفاء وهو من أجل الكتب، والمغني[٢] في ذلك، وكتاب ثالث في ذلك. ومختصر سنن البيهقي وهو حسن، ومختصر الأطراف للمزي، وطبقات الحفاظ، وطبقات القراء، وكتاب في الوفيات، ومختصر آخر فيها تسمى بالأعلام، والتجريد في أسماء الصحابة[٣]، والمجرد في أسماء رجال الكتب الستة، ومختصر المستدرك للحاكم، ومختصر تاريخ نيسابور للحاكم، ومختصر ذيل ابن الزينبي، والمعجم الكبير والصغير، والمختصر لمحدثي العصر، ومختصر المحلي لابن حزم، ومختصرات كثيرة. وقرأ القرآن بالروايات وأقرأه. توفي سنة ثمان وأربعين وسبع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة جلال الدين القزويني[٤]. قدم من دمشق هو وأخوه قاضي القضاة إمام الدين، وناب في القضاء بدمشق عن أخيه، وأعاد بالمدرسة البادرانية، ثم ولي خطابة دمشق، ثم قضاء القضاة بها، ثم انتقل إلى قضاء القضاة بالديار المصرية، ثم صرف عنها وأعيد إلى قضاء الشام. كان رجلًا فاضلًا متفننًا، له مكارم وسؤدد. صنّف كتاب: التلخيص في المعاني والبيان، وكتاب الإيضاح فيه. توفي بدمشق سنة سبع[٥] وثلاثين وسبع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن عبد الرحيم بن محمد الشيخ صفي الدين الهندي الأرموي[٦]، المتكلم على

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ٢١٦، الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٧، فوات الوفيات ٢/ ١٨٣، النجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٢، مرآة الجنان ٤/ ٣٣١، شذرات الذهب ٦/ ١٥٣، البدر الطالع ٢/ ١١٠.

(٢) المغني في الضعفاء وبعض الثقات، وهو مجلد. (هامش الأصل).

(٣) طبقات الحفاظ المعروف بتذكرة الحفاظ والتجريد في أسماء الصحابة، قد طبعا في مطبعتنا هذه، مطبعة دائرة المعارف النظامية ولله الحمد. (هامش الأصل).

(٤) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ٢٣٨، الدرر الكامنة ٤/ ٣، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٤٢، النجوم الزاهرة ٩/ ٣١٨، البداية والنهاية ١٤/ ١٨٥، شذرات الذهب ٦/ ١٢٣.

(٥) وذكر في كشف الظنون أن الخطيب توفي سنة تسع وثلاثين وسبع مایة. (هامش الأصل).

(٦) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ٢٤٠، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٣٩، شذرات الذهب ٦/ ٣٧، الدرر الكامنة ٤/ ١٤، البداية ١٤/ ٧٤، البدر الطالع ٢/ ١٨٧.

مذهب الأشعري. كان من أعلم الناس بمذهب الأشعري وأدراهم بأسراره، متضلعًا بالأصلين. اشتغل على سراج الدين صاحب التلخيص، صنف الزبدة[١] في علم الكلام، والنهاية[٢] في أصول الفقه، والفائق فيه أيضًا. وكل مصنفاته حسنة جامعة، لا سيما النهاية. ولد ببلاد الهند سنة أربع وأربعين وست مائة، ورحل إلى اليمن، ثم حج وقدم إلى مصر، ثم سار إلى الروم واجتمع بسراج الدين، ثم قدم دمشق وشغل الناس بالعلم. توفي بدمشق سنة خمس عشرة وسبع مائة، رحمه الله تعالى. وكان خطه في غاية الرداءة، وكان رجلًا ظريفًا ساذجًا.

يحكى أنه قال: وجدت كتابًا بخط ظننته أقبح من خطي، فغاليت في ثمنه واشتريته لأحتجّ به على مَنْ يدّعي أنّ خطي أقبح الخطوط، فلما عدت إلى البيت وجدته بخطي القديم. وحبس ابن تيمية لقوله بالجهة، ونودي عليه وعلى أصحابه في البلد وعزلوا من وظائفهم.

ومنهم محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم[٣]، قاضي القضاة، كمال الدين، ابن الزملكاني، الإمام العلامة المناظر. قرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي، وقرأ النحو على الشيخ بدر الدين بن مالك. ولد سنة سبع وستين وست مائة. درس بدمشق ثم ولّي قضاء حلب، وصنّف: الرد على ابن تيمية في عدة مسائل وشرح من منهاج النووي قطعًا متفرقة. ذكره الذهبي فقال: عالم العصر من بقايا المجتهدين ومن أذكياء أهل زمانه. درس وصنف وتخرّج به الأصحاب. وتوفي رحمه الله في سنة سبع وعشرين وسبع مائة.

ومنهم محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري[٤]، أبو الفتح تقي الدين، ولد الشيخ الإمام القدوة مجد الدين ابن دقيق العيد، شيخ الإسلام، الحافظ الزاهد، الورع الناسك، المجتهد المطلق، الجامع بين العلم والدين، والسالك سبيل السادة الأقدمين، بحر العلم الذي لا تكدره الدلاء، ومعدن الفضل الذي لقاصده منه ما يشاء، إمام كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها، مع وقار عليه سيماء الجلال، وهيبة لا يقوم الضرغام عندها للنزال. هذا مع ما أضيف إليه من أدب أزهى من الأزهار، وألعب من العقول، لا أدري بين يدي هذا الشيخ ما أقول، أستغفر الله من العثار، ومع أنه كان من العلوم بحيث يقضى له بالجميع فله بالتجريد تخلّق، وبكرامات الصالحين تحقّق. قال ابن السبكي: ولم ندرك أحدًا من مشايخنا يختلف في أنّ ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة المشار إليه في الحديث المصطفوي النبوي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. ولد في البحر المالح، وكان والده متوجهًا إلى الحج في شعبان سنة خمس وعشرين وست مائة، ثم أخذه والده على يده وطاف به بالكعبة وجعل يدعو الله أنْ يجعله عالمًا عاملًا، ونقل له كرامات كثيرة. منها أنّه أخبر عند دخول التتار البلاد أنهم هلكوا أمس وقت العصر فكان كما قال. وقال عن بعض الأمراء وقد خرج من القاهرة: إنه لا يرجع فلم يرجع. وقال لشخص آذى أخاه إنه

(١) اسمه زبدة الكلام في علم الكلام. (هامش الأصل).
(٢) اسمه الوصول إلى علم الأصول. (هامش الأصل).
(٣) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٧٤، طبقات الشافعية ٥/ ٢٥١، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧٠، الوافي بالوفيات ٤/ ٢١٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٣١.
(٤) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٩١، طبقات الشافعية ٦/ ٢ - ٢٣، النجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٦، فوات الوفيات ٢/ ٢٤٤، الوافي بالوفيات ٤/ ١٩٣، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٦٢، شذرات الذهب ٦/ ٥ - ٦

يهلك فكان كذلك، وكراماته كثيرة. وأما آدابه في الليل عملًا وعبادة فأمر عجاب، ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين، وربما تلا آية واحدة فكررها إلى مطلع الفجر. وكان يقول: ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلًا إلاّ وأعددت له جوابًا بين يدي الله عزّ وجلّ. وكان يخاطب عامة الناس، السلطان فمن دونه، بقوله: يا إنسان، وإنْ كان فقيهًا كبيرًا قال: يا فقيه، وتلك كلمة لا يسمح بها إلاّ لابن الرفعة ونحوه. وكان يقول للشيخ علاء الدين الباجي[١]: يا إمام ويخصّه بها. توفي سنة إثنتين وسبع مائة. صنّف كتاب الإمام وهو جليل حافل، وكتاب الإلمام وشرحه، ولم يكمل شرحه، وأملى شرحًا على عمدة[٢] عبد الغني المقدسي في الحديث، وعلى العنوان في أصول الفقه. وله تصنيف في أصول الدين، وشرح مختصر ابن الحاجب ولم يكمله، وعلّق شرحًا على مختصر التبريزي في فقه الشافعية. ولّي قضاء القضاة بعد إباء شديد وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد.

ومنهم محمد بن علي البارنباري الملقب طوير الليل تاج الدين[٣]، أحد أذكياء الزمان. برع فقهًا وعلمًا ومنطقًا وأصولًا. قرأ المعقولات على الشيخ شمس الدين الأصفهاني. ولد سنة أربع وخمسين وست مائة، وتوفي سنة سبع عشرة وسبع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس[٤]، الحافظ الأديب، فتح الدين أبو الفتح. كان أحد الأعيان معرفة وإتقانًا وحفظًا وضبطًا للحديث، وتفهمًا في علله وأسانيده، عالمًا بصحيحه وسقيمه، مستحضرًا للسيرة، له حظ من العربية، له الشعر الرائق والنثر الفائق. ولد سنة إحدى وسبعين وست مائة، وكان من بيت رياسة وعلم. وتوفي سنة أربع وثلاثين وسبع مائة، رحمه الله.

ومنهم عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري، الشيخ علم الدين العراقي الضرير[٥]. له في التفسير اليد الباسطة. صنّف الإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير، وهو مصري. وقيل له العراقي لأنّ أبا إسحاق العراقي[٦] شارح المهذب كان جدّه لأمه. ولد سنة ثلاث وعشرين وستماية، وتوفي سنة أربع وسبع مائة بالقاهرة، رحمه الله تعالى.

ومنهم علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي[٧]، الشيخ الإمام، الفقيه المحدث، الحافظ المفسر المقرى، الأصولي المتكلم، النحوي اللغوي الأديب، الحكيم المنطقي

(١) سيأتي ذكر له وترجمة.
(٢) عمدة الأحكام عن سيد الأنام لأبي محمد تقي الدين الشيخ الإمام عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الحنبلي (- ٦٠٠هـ).
كشف الظنون ٢/ ١١٦٤.
(٣) هو محمد بن علي، تاج الدين البارنباري. توفي عام ٧١٧هـ/١٣١٧م. عالم بالأصول، فقيه، له مصنفات.
انظر عنه: الدرر الكامنة ٤/٢١٨، المنهل الوافي ١/ ١٨٥.
(٤) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/٢٠٨، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٨٥، طبقات الشافعية ٦/ ٢٩، فوات الوفيات ٢/ ١٦٩، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٩.
(٥) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٣٩٩، طبقات الشافعية ٦/ ١٢٩، حسن المحاضرة ١/ ٢٣٨.
(٦) هو إبراهيم بن منصور بن المسلم المصري، أبو إسحاق، المعروف بالخطيب العراقي. ولد عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م. وتوفي عام ٥٩٦هـ/ ١٢٠٠هـ. شيخ الشافعية بمصر. له تصانيف كثيرة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٧٤، وفيات الأعيان ١/ ٥، مرآة الجنان ٣/ ٤٨٤، شذرات الذهب ٤/ ٣٢٣.
(٧) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ٦/ ١٤٦، الدرر الكامنة ٣/ ٦٣، النجوم الزاهرة ١٠/ ٣١٨.

الجدلي الخلافي النَّظَّار، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، تقي الدين، أبو الحسن، شيخ المسلمين في زمانه، والداعي إلى الله في سره وإعلانه والمناضل عن الدين الحنيفي بقلمه ولسانه، عباب لا تكدره الدلاء، وسحاب تتقاصر عنه الأنواء. وكان من العلم بحيث يقضى له في كل علم بالجميع، وكان من الورع والدين، وسلوك سبيل الأقدمين على سنن ويقين، إنّ الله مع المتقين، صادع بالحق لا يخاف لومة لائم، صادق في النية لا يخشى بطشة ظالم. صابر وإنْ ازدحمت الضراغم، شيخ الوقت حالًا وعلمًا، وإمام التحقيق حقيقة ورسمًا، وعلم الأعلام فعلًا وإسمًا:

إذا تـغـلـغـل فـكـر الـمـرء فـي طـرف
مـن مـجـده غـرقـت فـيـه خـواطـره

لا يرى الدنيا إلاّ هباءً منثورًا، ولا يدرى كيف يجلب الدرهم والدينار سرورًا. ولا ينفك يتلو القرآن قائمًا وقاعدًا وراكبًا وماشيًا، وإنْ كان مريضًا معذورًا. وكانت دعواته تخترق السبع الطباق، وتفترق بركاتها فتملأ الآفاق، ويسترق خبر السماء، وكيف لا وقد رفعت على يد ولي الله يفتح له أبوابها ذوات الأغلاق، وكانت يداه بالكرم مبسوطتين لا يقاس بحاتم، ولا ينشد إلاّ على قدر أهل العزم تأتي العزائم. وأما الأخلاق فقلّ أنْ رأيتها في غيره مجموعة، أو وجد في أكياس الناس دينار على سكة المطبوعة. فم بسّام، ووجه بين الجمال والجلال قسّام، وحلق كأنه نقش السحر على الزهر بسّام، وكف تختجل الغيوث من ساجمها، ويشهد البرامكة أنّ نقش حاتم في خاتمها. قال ابن السبكي بعد وصف والده بالأوصاف المذكورة وزيادة عليها: أقسم بالله إنّه لفوق ما وصفته، وإنى لناطق بهذا وغالب ظنّي أني ما أنصفته. ثم قال:

ومـا عـلـيّ إذا مـا قـلـت مـعـتـقـدي
دع الـحـسـود يـظـنّ الـسـوء عـدوانـا

هـذا الـذي تـعـرف الأمـلاك سـيـرتـه
إذا ادلـهـمّ دجـى لـم يـبـق مـهـرانـا

هـذا الـذي يـسـمـع الـرحـمـن صـالـحـة
إذا بـكـى وأفـاض الـدمـع ألـوانـا

هـذا الـذي يـسـمـع الـرحـمـن دعـوتـه
إذا تـقـارب وقـت الـعـجـز أو حـانـا

هـذا الـذي تـعـرف الـغـبـراء جـبـهـتـه
مـن الـسـجـود طـوال الـلـيـل عـرفـانـا

هـذا الـذي لـم يـغـادر سـيـل مـدمـعـه
أركـان شـيـبـتـه الـبـيـضـاء أحـيـانـا

والله والله الـعـظـيـم ومـن
أقـامـه حـجـة فـي الـعـصـر بـرهـانـا

وحـافـظًـا لـنـظـام الـشـرع تـبـصـرة
نـصـرًا يـلـقـيـه من ذي الـعـرش غـفـرانـا

كـل الـذي قـلـت بـعـض مـن مـنـاقـبـه
مـا زدت إلاّ لـعـلـي زدت نـقـصـانـا

ولد في صفر سنة ثلاث وثمانين وست مائة. تفقه في صغره على والده، وكان من الاشتغال بحيث يستغرق غالب ليله وجميع نهاره. وحكى لي أنه لم يأكل لحم الغنم إلاّ بعد العشرين من عمره لحدة ذهنه، وأنّه كان إذا شم رائحته حصل له شر. وإنما كان يخرج من البيت عند صلاة الصبح فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قرب الظهر، فيجد أهل البيت قد عملوا له فروجًا فيأكله، ويعود إلى الاشتغال إلى المغرب فيأكل شيئًا حلوًا لطيفًا، ثم يشتغل بالليل، وهكذا إلى أن قدم القاهرة وسمع عن علمائها حتى استقر أمره، وورد عليه الفتاوى من أقطار الأرض، وانتهت إليه رياسة المذهب بمصر، وألّف غالب مؤلفاته، ثم ألزمه السلطان قضاء الشام بعد وفاة جلال الدين القزويني فقبلها بعد ممانعات يطول شرحها، وتولى مع القضاء خطابة الجامع الأموي، ثم تولى تدريس المدارس مع ما ذكر من المناصب. والعجب أنه كان مع صحة ذهنه واتقاده عظيم الحافظة، لا يكاد يسمع شيئًا إلاّ

حفظه ولا يحفظ شيئًا فينساه، وإنْ طال بعده عن تذكره جمعت له الحافظة البالغة والفهم الغريب.

ولـيـس لله[١] بـمـسـتـنـكـر
أن يـجـمـع الـعـالـم فـي واحـد

كان بالآخرة قد أعرض عن كثرة البحث والمناظرة، وأقبل على التلاوة والتألّه والمراقبة. قال ولده تاج الدين السبكي في طبقاته: وكان ينهانا عن نوم النصف الثاني من الليل وقال: يا بني، تعوّدوا السهر ولو أنك تلعب، والويل كل الويل لمن تراه نائمًا وقد انتصف الليل. كان دائم التلاوة والذكر وقيام الليل، جميع نومه بالنهار، وأكثر ليله التلاوة. وكانت تلاوته أكثر من صلاته، ويتهجد بالليل ويقرأ جهرًا في النوافل، ولا تراه في النهار جالسًا إلاّ وهو يتلو، ولو كان راكبًا، ولا يتلو إلاّ جهرًا ولو كان في الحمام وفي المسلخ. وأمّا الصوم فكان يعسر عليه، وكان لا يصوم إلاّ رمضان وستًا من شوّال، وأما إذا أراد دفع نايبة عن نفسها كان يكشف رأسه، وربما يصعد السطح ويجعل المنديل في رقبته ويقوم على رجليه مطرقًا ساكتًا، ويصير عليه من المهابة ما يعجز الواصف عن وصفه. وربما يظنّ من رآه في تلك الحالة أنّه لو لسعه زنبور لما أحس به، وأيضًا إذا كانت له حاجة يكتب قصته بخطه إلى الله ويعلّقها على خشبة في السطح. وربما أنزلها بعد أيام وكان ذلك علامة قضاء الشغل. وأما مصنفاته، فالبحار الزواخر، وجملتها من الكتب والرسائل مائة ونيف وعشرون. توفي رحمه الله بالقاهرة سنة ست وخمسين وسبع مائة.

ومنهم علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، الشيخ الإمام، علاء الدين الباجي[٢]. إمام الأصوليين، وسيف المناظرين. وكان من الأوابين المتقين، ذوي التقوى والورع والدين المتين. وكان الشيخ الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد والشيخ الإمام تقي الدين السبكي كثيري التعظيم للباجي. وقد مرّ أن ابن دقيق العيد يخاطب كل أحد يا إنسان ولو كان هو السلطان، إلاّ إثنين الباجي وابن الرفعة فيقول للباجي يا إمام ولابن الرفعة يا فقيه. وكان الباجي أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعري في علم الكلام، وكان هو بالقاهرة والهندي بالشام قائمين بنصرة مذهب الأشعري. قيل ما من علم إلاّ وللباجي فيه مختصر. مولده سنة إحدى وثلاثين وست مائة، ولم يجرأ ابن تيمية بين يديه بلفظة، وكان يقول: وظيفة مثلي الاستفادة منك. توفي سنة أربع عشرة وسبع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم هبة الله بن عبد الرحيم الجهني، قاضي القضاة، شرف الدين البازري[٣]، قاضي حماة. ولد سنة خمس وأربعين وست مائة بحماة، وسمع من أبيه وجده. كان إمامًا عارفًا بالمذهب وفنون كثيرة. له التصانيف الكبيرة، منها: شرح الحاوي، والتمييز، وترتيب جامع الأصول، والمغني، ومختصر التنبيه، والوفا في سرائر المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. توفي سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة، رحمه الله تعالى.

ومنهم يوسف ابن الزكي، عبد الرحمن بن يوسف الكلبي القضاعي الدمشقي، الشيخ جمال الدين أبو الحجاج المزي[٤]: حافظ زمانه، حامل راية السُّنة والجماعة، القائم بأعباء هذه

---

(١) وفي النسخة المصرية: وليس من الله... وفي بعض الروايات: وليس على الله...
(٢) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٣/ ١٠١، فوات الوفيات ٢/ ٧٥، طبقات الشافعية ٦/ ٢٢٧.
(٣) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٤٠١، طبقات الشافعية ٦/ ٢٤٨، النجوم الزاهرة ٩/ ٣١٥، شذرات الذهب ٦/ ١١٩.
(٤) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/ ٤٥٧، النجوم الزاهرة ١٠/ ٧٦، تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٨٠.

الصناعة، والمتدرع جلباب الطاعة. إمام الحفاظ كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدّونها. قال ابن السبكي: بلغني عن الذهبي أنه قال: ما رأيت أحفظ من أربعة: ابن دقيق العيد والدمياطي وابن تيمية والمزي، وترتيبهم حسب ما قدمناه يعني أنّ الأول أعرفهم بالعلل وفقه الحديث، والثاني بالأنساب، والثالث بالمتون، والرابع بأسماء الرجال. وقال: وأنا لم أر من هؤلاء الأربعة غير المزي، ولكني أقول: ما رأيت أحفظ من ثلاثة: المزي والذهبي والوالد، وغالب ظنّي أنّ المزي يفوقهما في أسماء رجال الكتب السّتة، والذهبي يفوقهما في أسماء رجال من بعد الستة والتواريخ والوفيات، والوالد يفوقهما في العلل والمتون والجرح والتعديل مع مشاركة كلّ منهم لصاحبه فيما يتميّز به المشاركة البالغة. وقال أيضًا: وعاصرت أربعة لا خامس لهم، هؤلاء الثلاثة والبرزالي، وكان البرزالي يفوقهم في معرفة الأجزاء ورواتها الأحياء، وكان الثلاثة يعظم المزي ويذعن له ويقرءون عليه ويعترفون بتقدمه.

وبالجملة، فإنّ شيخنا المزي أعجوبة زمانه، يقرأ عليه القارى نهارًا كاملًا والطرق تضطرب، والأسانيد تختلف، وضبط الأسماء يشكل، وهو لا يسهو ولا يغفل، يبين وجه الاختلاف، ويوضح ضبط المشكل وتعيين المهم بنقط لئلاّ يغفل عند الاحتياج إليه. ولقد شاهدته الطلبة ينعس فإذا أخطأ القارىء ردّ عليه كأنّ شخصًا أيقظه. وقال له: قال هذا القارىء كيت وكيت هل هو صحيح، وهذا من عجائب الأمور. وكان قد انتهت إليه رياسة المحدّثين في الدنيا، ومن ذكرناه من الثلاثة قد عرفناك أنّهم مع علو رتبتهم يعترفون له، وحدّث نحو خمسين سنة. سمع منه ابن تيمية والبرزالي والذهبي وابن سيد الناس والشيخ الإمام السبكي وخلق لا يحصون. وصنّف تهذيب الكمال المجمع على أنه لم يصنف مثله، وكتاب الأطراف. ولد سنة أربع وخمسين وست مائة، وتوفي سنة إثنتين وأربعين وسبع مائة، رحمه الله.

ولعمري لقد طال هذا الباب من هذا الكتاب، فخرجنا من باب وولجنا في أبواب، ولقد جرّني إليه شغفي بتتبع أحوال العلماء، من ناصري الملة الحنيفية البيضاء، ومع هذا فقد فاتني ذكر كثير من الأسلاف، وليس الريّ عن التشاف، إلاّ أنّ القلم لما هاب الاسهاب لأولي الألباب من الأصحاب قبض عنانه، وكفّ لسانه، ودخل فيما خرج عنه من ذكر العلوم، متوكلًا على الله الحي القيوم، وهو المستعان، وعليه التكلان.

علم الفلاحة(*)

علم يتعرّف منه كيفية تدبير النبات من أول نشوئه إلى منتهى كماله بإصلاح الأرض إمّا بالماء أو بما يخلخلها ويحميها من المعفنات، كالسماد[1] ونحوه، أو يحمّها في أوقات البرد مع مراعاة الأهوية، فيختلف باختلاف الأماكن، ولذلك تختلف قوانين الفلاحة باختلاف الأقاليم. ومنفعته زكاة الحبوب والثمار ونحوهما، وهو ضروري للإنسان في معاشه، ولذلك اشتق اسمه من الفلاح وهو البقاء. ومن لطائفه إيجاد بعض نتائجه في غير أوانه، واستخراج بعض مباديه من غير أصله، وتركيب الأشجار بعضها ببعض إلى

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في العلم الطبيعي، من شعب الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هكذا في الأصل.

غير ذلك. ذكر أبو بكر بن وحشية[١] في كتابه المسمى بالفلاحة عن النبط[٢] أنّ من دار حول شجرة الخطمي، وتطلع بالنظر إلى وردها، وأدام ذلك، فإنها تحدث فرحًا في النفس، وتزيل عنه الهمّ والحزن والغمّ.

علم الفلقطيرات[*]

وهي خطوط طويلة عقدت عليها حروف وأشكال، أي حلق ودوائر، زعموا أنّ لها تأثيرات بالخاصية، وبعضها مقرو، وقد رأينا كثيرًا منها على الأوراق المتفرقة، لكن لم نر فيها تصنيفًا مفردًا، ولم نقف أيضًا على كيفية وضعها، وما جربنا أنّ لها تأثيرًا أمْ لا، فبقيت عندنا مجهولة الحال.

علم القراءة[**]

وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة. ومباديه مقدمات تواترية. وله أيضًا استمداد من العلوم العربية. والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة. وفائدته صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير. وقد يبحث فيه أيضًا عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير المتواترة الواصلة إلى حدّ الشهرة. ومباديه مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم.

ولنذكر ها هنا أئمة القرّاء من الصحابة، ثم من التابعين، ثم من الأئمة السبعة المشهورين، ثم الثلاثة الذين يكملون العشرة بهم، ثم أرباب التصانيف المشهورة.

أما الصحابة: فأولهم عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، الإمام أبو بكر الصديق، صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وخليفته وخير الخلق بعده. ذكره الداني وقال: وردت الرواية عنه في حروف القرآن.

قلت: هو أول من جمع القرآن في المصحف، وأشار بجمعه، وذلك مشهور؛ ذكره أبو الفداء إسمعيل بن كثير، ونصّ الإمام أبو الحسن الأشعري على حفظه القرآن، واستدلّ على ذلك بدليل لا يُرَدّ، وهو أنه صحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم بلا نظر أنه قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى وأكثرهم قرآنًا»[٣]. وتواتر عنه صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قدّمه للإمامة، ولم يكن صلّى الله عليه وآله وسلم ليأمر بأمرٍ ثم يخالفه بلا سبب. وإذا كان أقرؤهم يكون أعلمهم، اذْ كان عندهم الأقرأ هو الأعلم، كما قال الشافعي رحمه الله[٤]: إنّ الأفضلية في القراءة تستلزم الأفضلية في العلم،

---

(١) هو أحمد بن علي بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا الكسداني الكلداني، أبو بكر، المعروف بابن وحشية. توفي عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م. عالم بالفلاحة والكيمياء والسحر والسموم وغيرها. له عدة كتب.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٢/٢٣، الفهرست ١/٣١١، كشف الظنون ٢/١٢٨٩، معجم المطبوعات ٢٨١، إيضاح المكنون ٢/٥٩.

(٢) فلاحة الشيخ أبي بكر أحمد بن وحشية (- ٢٩٦هـ).
كشف الظنون ٢/١٢٨٩.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى من العلوم المتعلقة بالشريعة، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) سنن أبي داوود، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ح٥٨٢، ١/ ٣٩٠.

(٤) في النسخة المصرية: رضي الله عنه.

وكيف يسوغ لأحدٍ نفي حفظ القرآن عن أبي بكر رضي الله عنه كما زعمه بعضٌ بغير دليل ولا حجةٍ، بل بمجرّد الظّن. وما روي عن أنس: لم يحفظ القرآن إلاّ أربعة كلهم من الأنصار، فالمراد حفظًا وكتابة أو حفظًا لا كتابة، أو لم يحفظ من الأنصار غير الأربعة، بدليل قوله: كلهم من الأنصار، إذْ قد اتفقوا على أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، حفظوا القرآن ولم يذكر فيهم، والدلائل الواهية والأجوبة عنها مذكورة في: كتاب الانتصار[١] للقاضي أبي بكر، وكتاب المرشد[٢] للشيخ أبي شامه[٣]، وغيرهما. وكيف يرضى مسلم أن ينفي فضيلة حفظ القرآن الذي هو أشرف الفضائل من رجل قال فيه سيد البشر: «ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر»[٤]، رواه ابن جريج عن عطاء.

ثم إنّ أبا بكر أمه أم الخير، سلمى بنت صخر، من تيم[٥]، وسمّي عتيقًا: إما لجماله أو لقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: «أنت عتيق من النار»[٦]. وسمّي صديقًا لأنه لما أسري به صلّى الله عليه وآله وسلم كذبته قريش وصدّقه أبو بكر.

قيل: هو أول من أسلم، والاتفاق على أنّه أول من أسلم من الرجال، وعلي أول من أسلم من الصبيان، وفي الأولية بينهما خلاف. استخلفه النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أيامًا في الصلوٰة في مرض موته، ثم بايعه الصحابة يوم موته صلّى الله عليه وآله وسلم، وهو يوم الإثنين.

وولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وثلاثة أشهر وأيام قلائل، وتوفي يوم الإثنين، أو ليلة الثلاثاء، أو يوم الجمعة. والأول أصح، لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة. ومدة خلافته سنتان وأربعة أشهر إلاّ عشر ليال. ودفن في البيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وجعل رأسه بين كتفي النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس[٧]، ومناقبه كثيرة لا تفي بذكرها المجلدات.

وثانيهم عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح، (آخر الحروف) بن قرط بن رزاح، بتقديم الراء على الزاي، ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، القرشي العدوي، أمير المؤمنين، أبو حفص.

وردت الرواية عنه في حروف القرآن. وقال أبو العالية الرياحي[٨] بسند صحيح: قرأت القرآن

---

(١) الانتصار لنقل القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (- ٤٠٣هـ/١٠١٣م).
كشف الظنون ١/ ١٧٣، هدية العارفين ٢/ ٥٩، GAS. 1/609 نشرة سيزكين فرانكفورت ١٩٨٧ بصورته المخطوطة.

(٢) المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة (- ٦٦٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٥٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين أبو شامة. ولد في دمشق عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م. وتوفي فيها عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م. مؤرخ، محدث، باحث له الكثير من الكتب والمصنفات الهامة.
الأعلام ٣/ ٢٩٩، فوات الوفيات ١/ ٢٥٢، بغية الوعاة ٢٩٧، غاية النهاية ١/ ٣٦٥، طبقات الشافعية ٥/ ٦١.

(٤) كنز المتقي الهندي، كتاب الفضائل، باب فضائل الخلفاء الأربعة، ح٣٢٦٢، ١١/ ٥٥٧.

(٥) في النسخة المصرية: تميم.

(٦) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب (١٧) ح٣٦٧٩، ٥/ ٦١٦، بلفظ: «عتيق الله..».

(٧) هي اسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث الخثعمي. توفيت نحو ٤٠هـ/ ٦٦١م. صحابية لها شأن كبير. هاجرت إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة. ولها أخبار.
انظر عنها: طبقات ابن سعد ٨/ ٢٠٥، الدر المنثور ٣٥، حلية الأولياء ٢/ ٧٤، صفة الصفوة ٢/ ٣٣، الأعلام ١/ ٣٠٦.

(٨) هو رُفيع بن مِهران الرياحي البصري. توفي عام ٩٣هـ وقيل ٩٠هـ. إمام، حافظ، مقرىء، مفسر، ثقة.
سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٠٧، تذكرة الحفاظ ١/ ٦١، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤.

على عمر أربع مرات، وأكلت معه اللحم، وأمه حنتمة بنت هشام[١] بن المغيرة، أخت أبي جهل لعنه الله. وكان يلقب بالفاروق لفرقه بين الحق والباطل. وهو أول من سمّي أمير المؤمنين، لأنّ الناس قالوا له: خليفة خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فقال: هذا أمر يطول سيّما بعدي. فقال: أنتم المؤمنون وأنا أميركم. وكان يدور في الأسواق والدرة على عاتقه، ويأخذ للضعيف من القوي، وللعبد من الحرّ احتسابًا وطلبًا للثواب من الله الوهاب، لا يخاف في الله لومة لائم. وكان يسعى مع اليتيم والأرملة والمساكين، ويقف على الصبيان والمشيخة. وكان آدم شديد الأدمة، أصلع، في عارْضيه خفة، سبلته كثيرة الشعر، شديد حمرة العينين، أعسر، يسير مشرفًا على الناس كأنه على دابة والناس يمشون. بويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، واستشهد يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وعشرة أيام.

وثالثهم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، أبو عبد الله، وأبو عمرو القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين. أحد السابقين الأولين، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. وعرض عليه القرآن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي[٢]، وأبو عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وأبو الأسود الدؤلي، ويقال عبد الله بن عامر[٣] فيما ذكره الوليد بن مسلم عن يحيى بن الحارث[٤]. تزوج بابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم رقية فولدت له عبد الله وبه كان يكنى، ثم كني بابنه عمرو. فلما توفيت رقية ليالي بدر، زوّجه النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بأختها أم كلثوم. وكان معتدل الطول كثّ اللحية، حسن الوجه، أسمر، بعيد ما بين المنكبين، يخضب بالصفرة. قال السائب[٥]: رأيته فما رأيت شيئًا أجمل منه. وكان أصغر من النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بست سنين. قتل شهيدًا مظلومًا في داره يوم الأربعاء، وقيل يوم الجمعة بعد العصر، وكان صائمًا، ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وله اثنتان وثمانون سنة على الصحيح، ودفن ليلة السبت بالبقيع، وصلّى عليه جبير بن مطعم. أسلم رضي الله عنه قديمًا في السنة

---

(١) قال ابن عبد البرّ (- ٤٦٣هـ) في كتابه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، في (باب عمر): إن من قال في أم عمر رضي الله عنه حنتمة بنت هشام بن المغيرة فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام، والحارث بن هشام بن المغيرة وليس كذلك، وإنما هي إبنة عمهما، فإن هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان، فهاشم والد حنتمة أم عمر، وهشام والد الحارث وأبي جهل. (هامش الأصل).

(٢) هو المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم، أبو هاشم المخزومي الشامي. توفي عام ٩١هـ. قاريء، محدث، ثقة.
انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٣٠٥.

(٣) هو عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبي الشامي. ولد عام ٨هـ/ ٦٣٠م. وتوفي عام ١١٨هـ/ ٧٣٦م. أحد القراء السبعة، قاضٍ. له أخبار ورواية.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٩٥، غاية النهاية ١/ ٤٢٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٥١.

(٤) هو يحيى بن الحارث، أبو عمرو الزماري الغساني الدمشقي. توفي عام ١٤٥هـ. شيخ المقرئين في عصره. إمام جامع دمشق الكبير، محدث.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٧/ ١٦٨، الجرح والتعديل ٩/ ١٣٥، شذرات الذهب ١/ ٢١٧، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٨٩.

(٥) هو السائب بن يزيد بن سعيد الكندي. توفي عام ٩١هـ/ ٧١٠م. صحابي له أخبار ورواية.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٦٨، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٦٩، خلاصة تذهيب الكمال ١/ ١١٣.

الأولى من النبوة، وهاجر هجرتين. ولد في السنة السادسة من عام الفيل، وكانت أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب، وهي البيضاء توأمة أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

ورابعهم علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، الإمام أبو الحسن الهاشمي، أمير المؤمنين، وأحد السابقين الأولين، وابن عم رسول الله ﷺ. كان يسمّى الصديق الأكبر ويعسوب الموحدين وأبا الريحانتين وأبا تراب والكرار. بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان رضي الله عنه، وقتل بعده بخمس سنين، ومناقبه أكثر من أن تحصى، ولا يخفى فضله على أحد من المسلمين.

روينا عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: ما رأيت أقرأ من علي، عرض القرآن على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وهو من الذين حفظوا القرآن أجمع بلا شك عندنا، وقد أبعد الشعبي في قوله: إنه لم يحفظه. قال يحيى بن آدم: قلت لأبي بكر بن عياش: يقولون إنّ عليًا رضي الله عنه لم يقرأ القرآن، فقال: أبطل من قال هذا. عرض عليه أبو عبد الرحمن السلمي وأبو الأسود الدؤلي وعبد الرحمن بن أبي ليلى[١]. وأجمع المسلمون على أنه قتل شهيدًا يوم قتل وما على وجه الأرض أفضل منه. ضربه عبد الرحمن بن ملجم صبيحة سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة بالكوفة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة فيما قاله ابنه الحسين رضي الله تعالى عنه. فعلى هذا يكون أسلم وهو ابن ثمان سنين. وقال محمد بن الحنفية[٢]: قتل أبي وله ثلاث وستون سنة، وكذا قال الشعبي وابن عباس وجماعة. وقيل: ابن سبع وخمسين سنة رضي الله عنه.

وخامسهم أبيّ بن كعب[٣] بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار، أبو المنذر الأنصاري المدني، سيّد القراء بالاستحقاق، وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق. قرأ على النبي ﷺ القرآن العظيم، وقرأ عليه النبي صلّى الله عليه وآله وسلم بعض القرآن للإرشاد والتعليم. روى أبو قلابة[٤] أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: «أقرؤهم أبيّ بن كعب»[٥]. قرأ عليه القرآن من الصحابة ابن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن السائب[٦]. ومن التابعين عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة[٧]، وعبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية الرياحي. اختلف

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى، أبو عيسى الأنصاري الكوفي، توفي عام ٨٢هـ. تابعي، كبير، فقيه، محدث، له رواية وثقة.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٦/١٠٩، تاريخ بغداد ١٠/١٩٩، تذكرة الحفاظ ١/٥٥، سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٢، حلية الأولياء ٤/٣٥١، شذرات الذهب ١/٩٢.

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية. ولد بالمدينة عام ٢١هـ/٦٤٢م. وتوفي فيها عام ٨١هـ/٧٠٠م. واسع العلم، ورع، تقي. انظر عنه: الأعلام ٦/٢٧٠، طبقات ابن سعد ٥/٦٦، وفيات الأعيان ١/٤٤٩، صفة الصفوة ٢/٤٢، حلية الأولياء ٣/١٧٤، نزهة الجليس ٢/٢٥٤.

(٣) انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣١.

(٤) هو عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي. توفي عام ١٠٤هـ/٧٢٢م. عالم بالقضاء والأحكام، ناسك، محدث ثقة.
انظر عنه: الأعلام ٤/٨٨، حلية الأولياء ٢/٢٨٢، تهذيب التهذيب ٥/٢٢٤.

(٥) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضائل خباب، ح١٥٤، ١/٥٥.

(٦) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤١٩.

(٧) هو عبد الله بن عياش بن عباس، أبو حفص القتباني المصري. توفي عام ١٧٠هـ. إمام، عالم صدوق، له رواية.
انظر عنه: التاريخ الكبير ٥/١٥١، المعرفة والتاريخ ١/١٦١، مشاهير علماء الأمصار ١٨٩، سير أعلام النبلاء ٧/٣٣٣، ميزان الاعتدال ٢/٤٦٩.

في موته اختلافًا كثيرًا فقيل: سنة تسع عشرة، وقيل سنة عشرين، وقيل سنة ثلاث وثلاثين، وقيل قبل مقتل عثمان بجمعة أو بشهر.

وسادسهم زيد بن ثابت[(١)] بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار، أبو خارجة، وأبو سعيد الأنصاري الخزرجي المقري الفرضي، كاتب النبي ﷺ، وأمينه على الوحي، وأحد الذين جمعوا القرآن على عهده صلّى الله عليه وآله وسلم من الأنصار، وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر الصديق ثم لعثمان حين جهزها إلى الأمصار، وكان أسنّ من أنس رضي الله عنه لسنة. عرض القرآن على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وقرأ عليه من الصحابة أبو هريرة وابن عباس، ومن التابعين أبو عبد الرحمن السلمي وأبو العالية الرياحي، قيل وأبو جعفر. توفي سنة خمس وأربعين، وقيل سنة ثمان وأربعين، وأبعد من قال: سنة خمس وخمسين أو سنة ست وخمسين، بل مات عن ست وخمسين سنة، والله أعلم.

وسابعهم عبد الله بن مسعود[(٢)] بن الحارث بن غافل[(٣)] بن حبيب بن شمخ بن فار ابن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي. أحد السابقين والبدريين والعلماء الكبار من الصحابة. أسلم قبل عمر. عرض القرآن على النبي ﷺ، عرض عليه الأسود وتميم بن حذلم[(٤)] والحارث بن قيس[(٥)] وزر بن حبيش وعبيد ابن قيس[(٦)] وعبيد بن نضلة[(٧)] وعلقمة[(٨)] وعبيدة بن عمر[(٩)] السلماني[(١٠)] وعمرو بن شرحبيل[(١١)] وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو عمرو الشيباني[(١٢)] وزيد

---

(١) انظر عنه في: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٩٦.

(٢) انظر عنه في: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤٥٨.

(٣) ذكر في الاستيعاب والخلاصة والتقريب والتجريد (غافل) بالغين المنقوطة ثم فاء مكسورة بعد الألف. و(شمخ) بفتح المعجمة الأولى وسكون الميم. وفي القاموس: شمخ بن فزارة بطن. (هامش الأصل).

(٤) حذلم بمهملة مفتوحة ثم معجمة. (هامش الأصل).
هو تميم بن حذلم، أبو سلمة الكوفي. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الثانية.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٣٠.

(٥) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٢٠١.

(٦) هو عبيد بن قيس، أبو الورد الأنصاري. اختلف في اسمه. له رواية.
انظر عنه: أسد الغابة ٣/٤٤٢.

(٧) لعله عبيد بن فضلة الخزاعي، أبو معاوية الكوفي. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الثانية. ليس له صحبة. توفي في ولاية بشر على العراق.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٧٨، أسد الغابة ٣/٤٤٤.

(٨) هو علقمة بن قيس، وانظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٥١٦.

(٩) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٤٩٨.

(١٠) السَّلْماني بإسكان اللام قبيلة من مراد. (هامش الأصل).
هو عبيدة بن عمرو (أو قيس) السلماني المرادي. توفي عام ٧٢هـ/ ٦٩١م. تابعي فقيه له رواية.
انظر عنه: الأعلام ٤/١٩٩، تذكرة الحفاظ ١/٤٧، طبقات ابن سعد ٦/٦٣، اللباب ١/٥٥٢.

(١١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٦٠١.

(١٢) هو سعد بن إياس، أبو عمرو الشيباني الكوفي. توفي عام ٩٦هـ. معمّر، أدرك النبي ﷺ ولم يره، محدث، قارىء، تابعي، له رواية.
انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/٣٠٣.

بن وهب[١] ومسروق[٢]. وهو أول من أسند القرآن من في رسول الله ﷺ، وكان يقول: أحفظ من في رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بضعة وسبعين سورة. وكان آدم خفيف اللحم، لطيف القد، أحمش الساقين، حسن البزة، طيب الرائحة، موصوفًا بالذكاء والفطنة. وكان يخدم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ويلزمه، ويحمل نعله ويتولى فراشه ووساده وسواكه وطهوره. وكان صلّى الله عليه وآله وسلم يطلعه على أسراره ونجواه، وكانوا لا يفضلون عليه أحدًا في العلم، وفضائله أكثر من أن تحصى. وكان مع ذلك هو الإمام في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله مع حسن الصوت، حتى قال ﷺ: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأ قرأة ابن أمّ عبد»[٣]. وقال: والذي لا إله غيره لو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لرحلت إليه. قلت: وإليه تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش. وفد من الكوفة إلى المدينة فمات بها آخر سنة إثنتين وثلاثين، ودفن بالبقيع، وله بضع وستون سنة. ولما جاء نعيه إلى أبي الدرداء قال: ما ترك بعده مثله.

وثامنهم أبو الدرداء عويمر بن زيد[٤]، ويقال ابن عبد الله، ويقال ابن ثعلبة، ويقال ابن عامر بن غنم الأنصاري الخزرجي. حكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظًا على عهد النبي ﷺ بلا خلاف. ولّي قضاء دمشق، وهو أول قاضٍ ولّيها، وكان من العلماء الحكماء الذين يشفون من الداء. عرض عليه عبد الله بن عامر اليحصبي وزوّجه أم الدرداء الصغرى التي عرض عليها عطية بن قيس الكلابي[٥]، وعرض عليه أيضًا خليد بن سعد وراشد بن سعد[٦] وخالد بن سعدان[٧]. قال سويد بن عبد العزيز[٨]: كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس عليه للقراءة، فكان يجمعهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفًا، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره. فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم، وإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك، وكان ابن عامر عريفًا على عشرة. فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر. وعن مسلم بن مشكم[٩]: عددت من قرأ على أبي الدرداء بأمره ألفًا وست مائة ونيفًا،

---

(١) هو زيد بن وهب الجهني، أبو سليمان الكوفي. مات بعد الثمانين وقيل سنة ست وتسعين. مخضرم، ثقة جليل.

(٢) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي. أبو عائشة. توفي عام ٦٣هـ/٦٨٣م. تابعي، ثقة، عالم، له رواية وأخبار. انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢١٥، التهذيب ١٠/ ١٠٩.

(٣) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل عبد الله بن مسعود، ح١٣٨، ١/ ٤٩، بلفظ: «... غضاً كما أنزل..».

(٤) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٦٠٦.

(٥) هو عطية بن قيس الحمصي المعروف بالمذبوح. توفي عام ١٢١هـ/٧٣٩م. من كبار القراء، محدث، ثقة، له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٣٨.

(٦) هو راشد بن سعد الحبراني. فقيه، مقرىء، محدث حمص. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٩٠.

(٧) لعله خالد بن سعد الكوفي. محدث ثقة. من الطبقة الثانية. انظر عنه: تقريب التهذيب ١٨٨.

(٨) هو سويد بن عبد العزيز، أبو محمد السلمي الدمشقي. ولد عام ٢٠٨هـ، وتوفي ٢٩٤هـ. فقيه، مقرىء، ضعيف الرواية. انظر عنه: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٠، التاريخ الكبير ٤/ ١٤٨، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٨، غاية النهاية ١/ ٣٢١.

(٩) مِشْكم بالشين المعجمة على وزن منبر كما في مختصر تهذيب الكمال وفي القاموس. (هامش الأصل).
هو مسلم بن مشكم، أبو عبد الله الخزاعي الدمشقي. محدث، صدوق، يعد من الطبقة الثالثة. كاتب أبي الدرداء، ثقة مقرىء.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٥٣٠.

وكان لكل عشرة منهم مقرىء، وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائمًا. وإذا أحكم الرجل منهم تحوّل إلى أبي الدرداء. توفي رضي الله عنه سنة إثنتين وثلاثين، ولم يخلف بعده بالشام مثله.

وتاسعهم أبو موسى الأشعري[١]، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار[٢] الأشعري اليماني، هاجر إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم فقدم عليه عند فتح خيبر، وحفظ القرآن، وعرضه على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وعرض عليه القرآن حطان بن عبد الله الرقاشي[٣] وأبو رجاء العطاردي وأبو منيح الهنائي. قال أبو عبد الله الحافظ: وإن قصرت مدة صحبته فلقد كان من نجباء الصحابة، وكان من أطيب الناس صوتًا بالقرآن. سمع النبي ﷺ قراءته فقد قال: «لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود»[٤]. وقد استغفر له النبي ﷺ، واستعمله على زبيد[٥] وعدن[٦]، ثم ولي إمرة الكوفة والبصرة لعمر، وحكّمه عليّ رضي الله عنه على نفسه في شأن الخلافة لجلالته وفضله، وكان قصيرًا خفيف اللحم، أثطّ. وكان عمر إذا رأى أبا موسى قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده. وافتتح أصبهان زمن عمر، وفضائله كثيرة. توفي في ذي الحجة سنة أربع وأربعين على الصحيح، وقيل سنة ثلاث وخمسين.

هذا من أخذ عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم من الأصحاب، وأما الذين أخذوا من الصحابة مثلهم فكثير.

منهم عبد الله بن عباس[٧] بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي، بحر التفسير وحبر الأمة الذي لم يكن على وجه الأرض في زمانه أعلم منه. حفظ المحكم في زمن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، ثم عرض القرآن كله على أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وقيل على علي بن أبي طالب. عرض عليه القرآن مولاه درباس[٨] وسعيد ابن جبير وسليمان بن قتة[٩] وعكرمة بن خالد[١٠] وأبو جعفر يزيد بن قعقاع[١١]. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وناهز الاحتلام في حجة الوداع. دعا له رسول الله

---

(١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٤٢.
(٢) حَضَّار في الخلاصة بفتح المهملة وتشديد المعجمة. (هامش الأصل).
(٣) هو حطان بن عبد الله الرقاشي. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الثانية. توفي في ولاية بشر على العراق.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٧١.
(٤) سنن النسائي، كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت، ح١٠٢١، ٢/ ١٨١.
(٥) مدينة في تهامة باليمن على وادي زبيد، قرب البحر الأحمر. تعتبر مركز قضاء بمحافظة الحديدة اليوم. سكانها حوالي ٢٥٠٠٠ نسمة. كانت قاعدة الزبيديين والمهديين. فيها سوق زراعية وسط وادٍ خصيب. وفيها سور قديم ومساجد أثرية.
انظر عنها: المنجد في الأعلام ٢٧٨.
(٦) المدينة المعروفة باليمن.
(٧) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٢٥.
(٨) هو درباس المكي مولى ابن عباس. من التابعين. راوٍ، حافظ، مقرىء. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٢٨٠.
(٩) هو سليمان بن قته التيمي البصري. مقرىء من فحول الشعراء، له رواية. وقتة هي أمه.
انظر عنه: تاريخ الإسلام ٤/ ١٢٠، تاريخ البخاري ٤/ ٣٢، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٦.
(١٠) هو عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي. محدث، ثقة من الطبقة الثالثة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٩٦.
(١١) هو يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، المدني، أبو جعفر. توفي بالمدينة عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. أحد القراء العشرة، من التابعين، إمام أهل المدينة في القراءة. كان من المفتين المجتهدين.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٨٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٨، غاية النهاية ٢/ ٣٨٢، تاريخ الإسلام الذهبي ٥/ ١٨٨.

صلّى الله عليه وآله وسلم: «اللهم علّمه التأويل وفقّهه في الدين»[(١)]. ومناقبه أكثر من أن تحصى. وكان طويلًا، مشربًا صفرة، جسيمًا وسيمًا، مليح الوجه يخضب بالحناء، مديد القامة. قال عطاء: ما رأيت البدر إلا ذكرت وجه ابن عباس. وروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أنه كان يقرأ القراءآت على قراءة زيد بن ثابت إلاّ ثمانية عشر حرفًا أخذها من قراءة ابن مسعود. وقال عمرو بن دينار[(٢)]: ما رأيت مجلسًا قط أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام. وقال عكرمة: قال ابن عباس: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإنّ الشعر ديوان العرب. توفي بالطائف، وقد كفّ بصره سنة ثمان وستين، وصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات رباني الأمة، رضي الله عنه.

ومنهم أبو هريرة[(٣)]، عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الصحابي الكبير، رضي الله عنه. اختلف في اسمه، والأقوى والأشهر عبد الرحمن. وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس. أسلم هو وأمه سنة سبع وأخذ القرآن عرضًا عن أبيّ بن كعب. قال سبط الخياط[(٤)]: حكى جماعة من شيوخنا البغداديين أنّ الأعرج قرأ على أبي هريرة، وأن أبا هريرة قرأ على النبي صلّى الله عليه وآله وسلم. قلت: المشهور أنه قرأ على أبيّ بن كعب. عرض عليه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبو جعفر. قيل: وشيبة بن نصاح[(٥)]. قال الذهبي: إنه لم يدرك أبا هريرة. ومناقبه وفضائله وتواضعه وعلمه أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يذكر. كان يجزىء الليل ثلاثة أجزاء: جزء للقرآن وجزء للنوم وجزء يتذكر فيه حديث رسول الله ﷺ. قلت: تنتهى إليه قراءة أبي جعفر ونافع. توفي سنة سبع، وقيل سنة ثمان وخمسين، والقولان مشهوران، وقيل سنة تسع وخمسين، وله ثمان وسبعون سنة.

ومنهم عبد الله بن السائب[(٦)] بن أبي السائب بن صيفي بن عائذ بن عمر بن مخزوم، أبو السائب، وقيل أبو عبد الرحمن المخزومي، قارىء أهل مكة. له صحبة[(٧)]، روى القراءة عرضًا عن أبيّ بن كعب وعمر بن الخطاب. عرض عليه القرآن مجاهد بن جبر وعبد الله بن كثير فيما قطع به الداني وغيره روينا من طريق الشافعي قال مجاهد: كنّا نفخر على الناس بقارئنا عبد الله بن السائب وبفقيهنا ابن عباس

---

(١) مسند أحمد ١/ ٢٦٦، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ح٩، ١/ ١٨٠، دون لفظ: «وعلمه التأويل».

(٢) هو عمرو بن دينار، أبو يحيى الأعور البصري. توفي حوالي ١٣٠هـ. محدث، ضعيف.
انظر عنه: الجرح والتعديل ٦/ ٢٣٢، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٧، الأعلام ٥/ ٧٧.

(٣) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٧٠.

(٤) هو عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي، أبو محمد، المعروف بسبط الخياط. ولد عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م. وتوفي عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م. شيخ القراء ببغداد في عصره. عالم باللغة والنحو، له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٠٥، غاية النهاية ١/ ٤٣٤.

(٥) هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب. توفي عام ١٣٠هـ. وقيل ١٣٨هـ. إمام، مقرىء، محدث، ثقة، له كتب.
انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٣٢٩.

(٦) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤١٩.

(٧) ورواية يسيرة، كذا في طبقات الذهبي. (هامش الأصل).

وبمؤذننا أبي محذورة[١] وبقاضينا عبيد بن عمير[٢]. توفي في حدود سنة سبعين في إمرة ابن الزبير. قال ابن أبي مليكة: رأيت عبد الله بن عباس لما فرغ من دفن عبد الله بن السائب وقف على قبره فدعا له ثم انصرف.

هذا من اشتهر بالقراءة والإقراء من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وأما المشتهرون بالقراءة والإقراء من التابعين رضي الله عنهم فخمسة فرق:

الفرقة الأولى: من كانوا بالمدينة شرّفها الله تعالى:

منهم سعيد بن المسيب[٣] بن حزن بن أبي وهب المخزومي، أبو محمد، عالم التابعين. وردت الرواية عنه في حروف القرآن. قرأ على ابن عباس وأبي هريرة، وروى عن عمر وعثمان وسعيد بن زيد. قرأ عليه عرضًا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، توفي سنة أربع وتسعين عن تسع وسبعين سنة.

ومنهم عروة بن الزبير[٤] بن العوام، أبو عبد الله المدني. وردت الرواية عنه في حروف القرآن. روى عن أبويه وعائشة، وروى عنه أولاده والزهري وجماعة. قال ابن شوذب[٥]: كان يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظرًا، ويقوم به بالليل، فما تركه إلّا ليلة قطعت رجله للأكلة، ثم عاود لحزبه في الليلة المقبلة. مات سنة ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين وهو صائم، فإنه كان يصوم الدهر.

ومنهم سالم بن عتبة بن ربيعة[٦] مولى أبي حذيفة، أبو عبد الله، الصحابي الكبير. وردت عنه الرواية في حروف القرآن، وقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم: «خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة»[٧]. استشهد يوم اليمامة في ربيع الأول سنة إثنتي عشرة رضي الله عنه. وهذا وإن لم يكن من التابعين لكن لاختصاصه بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلوة والتسليم ذكرناه فيهم.

ومنهم عمر بن عبد العزيز[٨] بن مروان بن الحكم أبو حفص الأموي أمير المؤمنين. وردت الرواية عنه في حروف القرآن، ومناقبه كثيرة شهيرة. كان حسن الصوت بالقرآن، فخرج ليلة وقرأ وجهر بصوته، فاستمع له الناس، فقال سعيد بن المسيب: فتنت الناس فدخل. توفي بدير سمعان من أرض الشام في رجب سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر.

ومنهم سليمان بن يسار[٩]، أبو أيوب الهلالي المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين. وهو أخو عطاء وعبد الملك وعبد الله، تابعي جليل. وردت عنه

---

(١) هو أوس بن معير الجمحي، أبو محذورة. توفي عام ٥٩هـ/ ٦٧٩م. صحابي جليل، أول مؤذن في الإسلام، له رواية وأخبار.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣١، خلاصة تذهيب الكمال ٤٥٩.

(٢) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٩٦.

(٣) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٠٨.

(٤) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥١١.

(٥) هو عبد الله بن عمر بن أحمد بن علي بن شوذب الواسطي، أبو محمد. ولد عام ٢٤٩هـ، وتوفي عام ٣٤٢هـ. محدث، ثقة، مقرىء.
انظر عنه: العبر ٢/ ٢٥٩، غاية النهاية ١/ ٤٣٧، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٦٦، شذرات الذهب ٢/ ٣٦٢.

(٦) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٠١.

(٧) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بن كعب، ح٢٩٦، ٥/ ١١٨.

(٨) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥٩٣.

(٩) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣١٨.

الرواية في حروف القرآن. مات سنة سبع ومائة، وقيل سنة ست أو أربع أو ثلاث أو تسع.

ومنهم عطاء بن يسار[١] أبو محمد الهلالي المدني القاص، مولى ميمونة زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلم. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. أدرك زمن عثمان وهو صغير، وروى عن مولاته وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت. روى عنه زيد بن أسلم وشريك. ومات سنة ثلاث أو إثنتين ومائة.

ومنهم معاذ بن الحارث[٢] أبو الحارث، ويقال أبو حليمة الأنصاري المدني المعروف بالقاريء. روى عنه نافع وابن سيرين، وحدّث عنه نافع مولى ابن عمر. توفي بالحرّة سنة ثلاث وستين وهو ابن تسع وستين سنة.

ومنهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج[٣] أبو داود المدني تابعي جليل. أخذ القراءة عرضًا عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، ومعظم روايته عن أبي هريرة. روى القرآءة عنه عرضًا نافع بن أبي نعيم، وروى عنه الحروف أسيد بن أسيد[٤]، نزل إلى الإسكندرية فمات بها سنة سبع عشرة ومائة، وقيل سنة تسع عشرة.

ومنهم محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر الزهري[٥] المدني، أحد الأئمة الكبار، وعالم الحجاز والأمصار، تابعي. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. قرأ على أنس بن مالك. ولد سنة خمسين أو إحدى وخمسين، روى عن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وسهل بن سعد والسائب بن يزيد وأبي الطفيل[٦] ومحمود بن الربيع[٧] ومحمود بن لبيد[٨]. وروى عنه الحروف عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي[٩]، وعرض عليه نافع بن أبي نعيم، وروى عنه مالك بن أنس ومعمر والأوزاعي وعقيل بن خالد[١٠] وإبراهيم أبي

---

(١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥١٣.

(٢) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٠١.

(٣) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٨١.

(٤) هو أسيد بن أسيد البراد، أبو سعيد المدني. محدث صدوق، يعد من الطبقة الخامسة. توفي في أول خلافة المنصور. انظر عنه: تقريب التهذيب ١١١.

(٥) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٢٦٢.

(٦) هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني القرشي، أبو الطفيل. ولد عام ٣هـ/ ٦٢٥م. وتوفي بمكة عام ١٠٠هـ/ ٧١٨م. شاعر كنانه وفارسها. روى عن النبي ﷺ بعض الأحاديث: كان من أنصار علي بن أبي طالب.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٥٥، الأغاني ١٣/ ١٥٩، تهذيب التهذيب ٥/ ٨٢، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٨، خزانة البغدادي ٢/ ٩١، الجواهر المضية ٢/ ٢٤٦.

(٧) هو محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو، الإمام أبو محمد، أو أبو نعيم الخزرجي الأنصاري المدني. توفي عام ٩٩هـ. له صحبة، راوٍ للحديث، ثقة. انظر عنه: أسد الغابة ٥/ ١١٦، العبر ١/ ١١٧، مرآة الزمان ١/ ٢٠٦، سير أعلام النبلاء ٣/ ٥١٩.

(٨) هو محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع، أبو نعيم الأنصاري الأوسي الأشهلي المدني. توفي عام ٩٧هـ له صحبة، راوٍ للحديث.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٥/ ٧٧، أسد الغابة ٥/ ١١٧، العبر ١/ ١١٥، سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٥، البداية والنهاية ٩/ ١٨٩.

(٩) هو عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي الزهري. راوٍ، ضعيف.
انظر عنه: التاريخ الكبير ٦/ ٢٣٨، الجرح والتعديل ٦/ ١٥٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٣ سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٢٨.

(١٠) هو عقيل بن خالد بن عقيل الأيلي الأموي، أبو خالد. توفي عام ١٤١هـ/ ٧٥٨م. من حفاظ الحديث، ثقة، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٤٢، التاج ٨/ ٣٠، اللباب ١/ ٧٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥٥.

عبلة[١] وأمم، وكان يكره التفاح وسور الفار ويقول إنه ينسي، ويشرب العسل ويقول إنه يذكر. مات سنة أربع أو ثلاث أو خمس وعشرين بشعب آخر حدّ الحجاز وأول حدّ فلسطين.

ومنهم مسلم بن جندب[٢] أبو عبد الله الهذلي مولاهم المدني القاص، تابعي مشهور. عرض على عبد الله بن عياش. عرض عليه نافع، وروى عن أبي هريرة وحكيم بن حزام وابن عمر وابن الزبير، كما ذكره الداني. وقال الذهبي: ولا أحسب روايته عن أبي هريرة وحكيم إلاّ منقطعة، وهو الذي أدّب عمر بن عبد العزيز، وكان من فصحاء أهل زمانه، وكان يقصّ بالمدينة. وقال عمر بن عبد العزيز: من سرّه أن يقرأ القرآن غضًا فليقرأه على قراءة مسلم بن جندب. مات بعد سنة عشر ومائة تقريبًا. وقال الأهوازي: وأقام ابن جندب بالمدينة إلى أنْ مات سنة ثلاثين ومائة في أيام مروان بن محمد.

ومنهم زيد بن أسلم[٣] أبو أسامة المدني، مولى عمر بن الخطاب. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. أخذ عنه القراءة شيبة بن نصاح. مات سنة ست وثلاثين ومائة.

الفرقة الثانية: من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين، مَنْ كان منهم بمكة شرّفها الله تعالى:

منهم عبيد بن عمير بن قتادة[٤] أبو عاصم الليثي المكي القاص. ذكر ثابت البناني[٥] أنه قاص على عهد عمر رضي الله عنه. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. روى عن عمر بن الخطاب وأبيّ بن كعب. روى عنه مجاهد وعطاء وعمرو بن دينار. قال مسلم: ولد في زمن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم. قال مجاهد: كنا نفخر على الناس بأربعة: بفقيهنا ابن عباس وقارئنا عبد الله بن السائب وقاضينا عبيد بن عمير ومؤذننا أبي محذورة. مات سنة أربع وسبعين.

ومنهم عطاء بن أبي رباح بن أسلم أبو محمد القرشي، مولاهم المكي، أحد الأعلام. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. روى القراءة عن أبي هريرة. عرض عليه أبو عمر. وقال ابن معين[٦]: حجّ سبعين حجة وعاش مائة سنة. وقال غيره: مات سنة خمس أو أربع عشرة ومائة وله ثمان وثمانون سنة.

ومنهم طاوس بن كيسان[٧]، أبو عبد الرحمن اليماني، التابعي الكبير المشهور وردت عنه الرواية في حروف القرآن. أخذ القرآن عن ابن عباس وعظم روايته عنه مات بمكة قبل التروية بيوم سنة ست ومائة.

ومنهم مجاهد بن جبر[٨]، أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين والأئمة

(١) هو إبراهيم بن أبي عبلة، أبو إسحاق العقيلي الشامي المقدسي. ولد بعد عام ٦٠هـ، وتوفي عام ١٥٢هـ. إمام قدوة، راوٍ للحديث، له مسند.
انظر عنه: تاريخ البخاري ١/ ٣١٠ الكامل في التاريخ ٥/ ٦٠٨، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٣، شذرات الذهب ١/ ٢٣٢.
(٢) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٢٩٧.
(٣) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٩٦.
(٤) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٩٦.
(٥) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥١٣.
(٦) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد المري البغدادي، أبو زكريا. ولد عام ١٥٨هـ/ ٧٧٥م. وتوفي عام ٢٣٣هـ/ ٨٤٨م. من أئمة الحديث، مؤرخ، حافظ ثقة. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٧٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٤، تاريخ بغداد ١٤/ ١٧٧.
(٧) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٤١.
(٨) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٤١.

المفسرين. قرأ على عبد الله بن السائب وعلى عبد الله بن عباس بضعًا وعشرين ختمة، ويقال ثلاثين عرضة، ومن جملتها ثلاث سأله عن كل آية فيم كانت. أخذ عنه القراءة عرضًا عبد الله بن كثير وأبو عمرو بن العلاء وغيرهما. وقرأ عليه الأعمش مات سنة ثلاث ومائة أو أربع أو إثنتين، وقد نيف على الثمانين. يقال مات وهو ساجد رحمه الله تعالى.

ومنهم عكرمة[١] مولى ابن عباس أبو عبد الله المفسّر. وردت الرواية عنه في حروف القرآن. روى عن مولاه وأبي هريرة وعبد الله بن عمر، وقد تكلم فيه لرأيه لا لروايته، فإنه اتهم بأنه كان يرى رأي الخوارج. عرض عليه علباء بن أحمر[٢] وأبو عمرو بن العلاء. وروى عنه أيوب وخالد الحذاء وخلف، واعتمده البخاري وأخرج له مسلم مقرونًا، وكذّبه مجاهد وابن سيرين. مات سنة خمس أو ست أو سبع ومائة.

ومنهم عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة[٣]، أبو بكر وأبو محمد التميمي التابعي المشهور. ذكره الداني وقال: وردت الرواية عنه في حروف القرآن، وروي عن إسمعيل بن عبد الملك[٤]. قال: رأيت ابن أبي مليكة يعدّ الآي في الصلوٰة، فلما انصرف قلت له، قال: إنه أحفظ لي. توفي سنة سبع عشرة ومائة.

الفرقة الثالثة من التابعين من كانوا بالكوفة.

منهم علقمة بن قيس[٥] بن عبد الله بن مالك، أبو شبل النخعي، الفقيه الكبير، عمّ الأسود بن يزيد، خال إبراهيم النخعي. (ولد) في حياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وأخذ القرآن عرضًا عن ابن مسعود، وسمع من عليّ وعمر وأبي الدرداء وعائشة رضي الله عنهم. عرض عليه القرآن إبراهيم بن يزيد النخعي ويقال إبراهيم بن يزيد التيمي أيضًا وأبو إسحاق السبيعي وعبيد بن نضلة ويحيى بن وثاب. وكان أشبه الناس بابن مسعود سمتًا وهديًا وعلمًا، وكان أعرج، وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وكان إذا سمعه ابن مسعود يقول: لو رآك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لسُرَّ بك. مات سنة إثنتين وستين.

ومنهم الأسود بن يزيد بن قيس[٦] بن يزيد أبو عمرو النخعي الكوفي، الإمام الجليل قرأ على عبد الله بن مسعود، وروى عن الخلفاء الأربعة، وكان يختم القرآن في كل ستّ ليال، وفي رمضان كل ليلتين. قرأ عليه إبراهيم النخعي وأبو إسحاق السبيعي ويحيى بن وثاب. توفي سنة خمس وسبعين.

ومنهم عبيدة بن عمرو[٧] بالفتح ويقال ابن قيس السلماني أبو مسلم، وقيل أبو عمرو الكوفي التابعي الكبير. أسلم في حياة النبي عليه الصلوٰة والسلام ولم يره، فهو من المخضرمين. أخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن مسعود وروى عنه، وعن علي. أخذ القراءة عنه عرضًا إبراهيم النخغي وأبو إسحاق. وروى عنه ابن سيرين

(١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥١٥.
(٢) هو علباء بن أحمر اليشكري البصري. محدث، صدوق، من القراء. يعد من الطبقة الرابعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٩٧.
(٣) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٣٠.
(٤) لم يعثر على ترجمته.
(٥) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥١٦.
(٦) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ١٧١.
(٧) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٩٨.

وهمّا وغيرهم، توفي سنة إثنتين وسبعين.

ومنهم عمرو بن شرحبيل[١]، أبو ميسرة الهمداني الكوفي، تابعي جليل صالح عابد. عرض على عبد الله بن مسعود وروى عن عمر وعليّ. روى عنه أبو وائل وأبو إسحاق السبيعي. توفي في أيام عبيد الله بن زياد وصلى عليه القاضي شريح.

ومنهم الحارث بن قيس[٢] الجعفي الكوفي روى القراءة عن عبد الله بن مسعود ومنهم ربيع بن خيثم[٣]أبو يزيد الكوفي الثوري، تابعي جليل. راوي حروف القرآن. أخذ القراءة عن عبد الله بن مسعود. عرض عليه أبو زرعة بن عمرو[٤]. قال له ابن مسعود: لو رآك محمد ﷺ لأحبّك، وما رأيتك إلاّ ذكرت المخبتين. وقال ابن سعد: مات في ولاية عبد الله بن زياد يعني قبل سنة تسعين من الهجرة.

ومنهم عمرو بن ميمون بن حماد بن طلحة[٥]، أبو عثمان الكوفي القناد السكري. ووهم فيه الأهوازي فسماه عمر. أخذ القراءة عن حمزة. عرض عليه أحمد بن جبير[٦] ورويم بن يزيد[٧] ولم يعلم تاريخ وفاته.

ومنهم أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة[٨]، أبو عبد الرحمن السلمي الضرير. مقرىء الكوفة. ولد في حياة النبي ﷺ ولأبيه صحبة. إليه انتهت القراءة تجويدًا وضبطًا. أخذ القراءة عرضًا عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبيّ بن كعب. أخذ القراءة عنه عرضًا عاصم وعطاء والحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهم، وكان ثقة كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة. توفي سنة أربع أو ثلاث وسبعين.

ومنهم زر بن حبيش[٩] بن حباشة[١٠]، أبو مريم، ويقال أبو مطرف الأسدي الكوفي، أحد الأعلام. عرض على عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. وعرض عليه عاصم وسليمان الأعمش وأبو إسحاق السبيعي ويحيى بن وثاب مات في الجماجم سنة إثنتين وثمانين.

ومنهم عبيد بن نضلة[١١] أبو معاوية الخزاعي الكوفي، تابعي ثقة. أخذ القراءة عرضًا عن ابن مسعود وعلقمة. وروى عنه القراءة يحيى بن

---

(١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٦٠١.

(٢) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٠١.

(٣) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٨٣.

(٤) هو عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري، أبو زرعة الدمشقي. توفي عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م. إمام في الحديث، له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٣٢٠، طبقات الحنابلة ١/ ٢٠٥.

(٥) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٦٠٣.

(٦) لم يعثر على ترجمته.

(٧) هو رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم البغدادي، أبو محمد. توفي عام ٣٣٠هـ/ ٩٤١م. وقيل عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م. صوفي شهير، من جلة مشايخ بغداد، مقرىء، مفسر، فقيه، ظاهري. الأعلام ٣/ ٣٧، طبقات الصوفية ٢/ ٢٤٩، تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٠، البداية والنهاية ١١/ ١٢٥، معجم المفسرين ١/ ١٩٢، المنتظم ٦/ ١٣٦.

(٨) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤١٣.
وربيعة بضم المهملة وكسر التحتانية بينهما موحدة مفتوحة. (هامش الأصل).

(٩) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٩٤.

(١٠) وفي الخلاصة خباشة بمعجمتين بينهما موحدة بعدها ألف. وفي التقريب حُباشة بضم المهملة. (هامش الأصل).

(١١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٩٧.

وثاب وحمران بن أعين[١]، وكان مقرىء أهل الكوفة. توفي زمن بشر بن مروان[٢].

ومنهم سعيد بن جبير[٣] بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم، أبو محمد أو أبو عبد الله الكوفي، التابعي الجليل والإمام الكبير. عرض على ابن عباس، وعرض عليه أبو عمرو بن العلاء والمنهال بن عمر[٤]، وقتله الحجاج بواسط شهيدا سنة خمس أو أربع وتسعين عن تسع وخمسين سنة.

ومنهم النخعي[٥]، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي الكوفي، الإمام المشهور الصالح الزاهد العالم. قرأ على الأسود بن يزيد وعلقمة، قرأ عليه الأعمش وطلحة بن مصرف[٦]. توفي سنة ست أو خمس وتسعين.

ومنهم الشعبي[٧] عامر بن شراحيل بن عبد، أبو عمرو الشعبي الكوفي، الإمام الكبير المشهور. عرض على أبي عبد الرحمن السلمي وعلقمة، وروى القراءة عنه عرضًا محمد بن أبي ليلى. ومناقبه وعلمه وحفظه أشهر من أن يذكر. مات سنة خمس ومائة، وله سبع وسبعون سنة.

الفرقة الرابعة من التابعين من كانوا بالبصرة:

منهم أبو العالية[٨] رفيع بن مهران الرياحي[٩]، من كبار التابعين. أسلم بعد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصلّى خلف عمر رضي الله عنه. أخذ القرآن عرضًا عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس، وصحّ أنه عرض على عمر ثلاث مرات، وفي رواية أربع مرات. قرأ عليه الأعمش وأبو عمرو، مات سنة تسعين أو ست وتسعين.

ومنهم عمران بن تيم[١٠] أو ابن ملحان[١١] أبو رجاء العطاردي البصري، التابعي الكبير. ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وكان مخضرميًا. أسلم في حياة النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ولم يره، وعرض القرآن على ابن عباس وتلقنه من أبي موسى، ولقي أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وحدّث عن عمر وغيره من الصحابة. روى القراءة عنه عرضًا أبو شهاب العطاردي. مات سنة خمس ومائة وله مائة وسبع وعشرون سنة، وقيل مائة وثلاثون.

---

(١) هو حمران بن أعين الكوفي، مولى بني شيبان. يعد من الطبقة الخامسة، محدث ضعيف.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٧٩.

(٢) في ولايته على العراق. (هامش الأصل).
هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي القرشي الأموي. توفي عام ٧٥هـ/ ٦٩٤م. أمير، جواد، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٥٥، خزانة الأدب ٤/ ١١٧.

(٣) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٠٥.

(٤) هو المنهال بن عمرو، أبو عمرو الأسدي الكوفي. توفي سنة بضع عشرة ومائتين من التابعين، راوٍ للحديث، ثقة.
انظر عنه: الجرح والتعديل ٨/ ٣٥٦، ميزان الاعتدال ٤/ ١٩٢، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٨٤.

(٥) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٩.

(٦) هو طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو الهمداني الكوفي أبو محمد. توفي عام ١١٢هـ/ ٧٣٠م. سيد القراء في عصره محدث، ثقة. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٣٠، حلية الأولياء ٥/ ١٤.

(٧) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٥٠.

(٨) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٨٤.

(٩) الرياحي بكسر الراء والتحتانية. (هامش الأصل).

(١٠) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٦٠٤.

(١١) ملحان بكسر الميم وسكون اللام بعدها مهملة. (هامش الأصل).

ومنهم نصر بن عاصم الليثي[١]، ويقال الدؤلي البصري النحوي، تابعي. عرض القرآن على أبي الأسود، وروى عنه الحروف مالك بن دينار وعون العقيلي[٢]. يقال إنه أول من نقط المصاحف وخمسها وعشّرها، وقيل هو أول من وضع العربية. قال أبو داود: كان من الخوارج. وقال النسائي وغيره: ثقة. قال الذهبي: توفي قديمًا قبل سنة مائة. وممن روى عنه الزهري وعمرو بن دينار وحميد بن هلال[٣]. وقال خليفة[٤]: مات قبل سنة تسعين.

ومنهم يحيى بن يعمر[٥]، أبو سليمان العدواني البصري، تابعي جليل. عرض على ابن عمر وابن عباس وأبي الأسود الدؤلي. عرض عليه أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق. قال البخاري في تاريخه: أول من نقط المصاحف يحيى ابن يعمر، توفي قبل سنة تسعين.

ومنهم الحسن البصري[٦] ابن أبي الحسن يسار[٧]، السيد الإمام أبو سعيد البصري. إمام زمانه علمًا وعملًا. قرأ على حطان بن عبد الله الرقاشي عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية عن أبي زيد وعمرو. روى عنه أبو عمرو بن العلاء وسلام بن سليمان الطويل[٨] وغيرهما. قال الشافعي: لو أشاء أقول إنّ القرآن نزل بلغة الحسن لقلت لفصاحته. ومناقبه جليلة وأخباره طويلة. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وذلك سنة إحدى وعشرين، وتوفي سنة عشر ومائة.

ومنهم ابن سيرين[٩] محمد بن سيرين، أبو بكر بن أبي عمرة البصري. مولى أنس ابن مالك، إمام البصرة مع الحسن. وردت عنه الرواية في حروف القرآن. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. روى عن مولاه وعن زيد بن ثابت وعمران بن حصين[١٠] وعائشة وأبي هريرة وغيرهم. وروى عنه الشعبي مع جلالته وتقدمه وثابت وقتادة وأيوب ومالك بن دينار وخلائق. مات في تاسع شوال سنة عشر ومائة.

ومنهم قتادة بن دعامة[١١] أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى روى القراءة عن أبي العالية وأنس بن مالك وسمع من أنس بن مالك

---

(١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٣٦.

(٢) هو عون بن أبي شداد العقيلي، وقيل العبدي، أبو معمر البصري، محدث، مقبول من الطبقة الخامسة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٤٣٤.

(٣) هو حميد بن هلال بن سويد بن هبيرة. أبو نصر العدوي البصري. توفي حوالي ١٢٠هـ. إمام، حافظ فقيه، محدث.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٣١، الجرح والتعديل ٣/ ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٩، ميزان الاعتدال ١/ ٦١٦.

(٤) هو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، أبو عمرو. توفي عام ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. محدث، إخباري، نسابة. له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣١٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢١، وفيات الأعيان ١/ ١٧٢.

(٥) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٨١.

(٦) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٣٥.

(٧) يسار بالتحتانية والمهملة. (هامش الأصل).

(٨) هو سلام بن سليمان الطويل، أبو المنذر المزني البصري، الكوفي. توفي عام ١٧١هـ. محدث، ثقة، مقرىء كبير.
انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٣٠٩.

(٩) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٥١.

(١٠) هو عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي. توفي عام ٥٢هـ/ ٦٧٢م من علماء الصحابة. له رواية وأخبار.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ٧٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨، صفة الصفوة ١/ ٢٨٣، طبقات ابن سعد ٧/ ٤.

(١١) انظر عنه: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٢٥.

وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وغيرهم. وروى عنه أبو أيوب وشعبة وأبو عوانة وغيرهم. وروى عنه الحروف أبان بن يزيد العطار[١] وكان يضرب بحفظه المثل. توفي سنة سبع عشرة ومائة.

الفرقة الخامسة من التابعين مَنْ كانوا بالشام:

منهم المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن ربيعة بن عمرو بن مخزوم أبو هاشم المخزومي الشامي. أخذ القراءة عرضًا عن عثمان بن عفان. أخذ القراءة عنه عرضًا عبد الله بن عامر. قال الذهبي: وأحسبه كان يقرىء بدمشق في دولة معاوية ولا يكاد يعرف إلاّ من قراءة ابن عامر عليه. مات سنة إحدى وتسعين وله تسعون سنة.

ومنهم خليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّه تجرّد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتمّ عناية حتى صاروا أئمة يقتدي بهم ويُرحل إليهم. فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن أبي نعيم.

وبمكة عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج[٢]، ومحمد بن محيصن[٣].

وبالكوفة يحيى بن وثاب[٤]، وعاصم بن أبي النجود وسليمان الأعمش، ثم حمزة، ثم الكسائي.

وبالبصرة عبد الله بن إسحاق[٥]، وعيسى بن عمر[٦]، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم الجحدري[٧]، ثم يعقوب الحضرمي.

وبالشام عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابي، وإسمعيل بن عبد الله بن المهاجر[٨]، ثم يحيى بن الحارث الذماري، ثم سريج ابن يزيد الحضرمي[٩].

ثم اشتهر من هؤلاء في الآفاق البدور السبعة، فلنذكر كلًّا منهم على الترتيب:

فأولهم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم، أو أبو نعيم، أو أبو الحسن، أو أبو

---

(١) هو أبان بن يزيد العطار، أبو يزيد البصري. توفي حوالي ١٦٥هـ. عالم بالحديث، له أخبار.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨٤، التاريخ الكبير ١/ ٤٥٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٢، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٣١، ميزان الاعتدال ١/ ١٦.

(٢) هو حميد بن قيس المكي الأعرج، أبو صفوان القارىء. توفي عام ١٣٠هـ. يعد من الطبقة السادسة، لا بأس به.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٨٢.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن. توفي عام ١٢٣هـ. عالم بالنحو واللغة والقراءة.
انظر عنه: مراتب النحويين ٢٥، طبقات القراء ٢/ ١٦٧.

(٤) هو يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي. توفي عام ١٠٣هـ/ ٧٢١م. تابعي، ثقة، عالم بالقرآن. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٧٦، غاية النهاية ٢/ ٣٨٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٥٢.

(٥) هو عبد الله بن أبي إسحاق الزيادي الحضرمي. ولد عام ٢٩هـ/ ٩٥٠م. وتوفي عام ١١٧هـ/ ٧٣٥م. نحوي كبير، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٧١، خزانة الأدب ١/ ١١٥.

(٦) هو عيسى بن عمر الثقفي، أبو سليمان. توفي عام ١٤٩هـ/ ٧٦٦م. من أئمة اللغة، وأول من هذب النحو. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٥/ ١٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٣، إرشاد الأريب ٦/ ١٠٠ خزانة الأدب ١/ ٥٦.

(٧) هو عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري. توفي عام ١٢٨هـ. قارىء، محدث ثقة.
انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٣٤٩.

(٨) هو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي. أبو عبد الحميد. توفي عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. والٍ، فقيه، فاضل، من التابعين. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٣١٩، معالم الإيمان ١/ ١٥٤، الاستقصا ١/ ٤٦.

(٩) لم يعثر على ترجمته.

عبد الله، أو أبو عبد الرحمن الليثي، مولاهم، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي(١) حليف حمزة بن عبد المطلب المدني أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة صالح. أصله من أصبهان. كان إمام أهل المدينة، وهم صاروا إلى قراءته ورجعوا إلى اختياره، وقرأ عليه مالك. ولما اختار أهل المغرب مذهب مالك لأمرٍ مسطورٍ في التواريخ، اختار قراءة نافع لاختيار مالك قراءته. وسمعت من بعض فضلاء المغاربة أنّهم اختاروا ذلك ليكون فقههم فقه عالم المدينة وقراءتهم قراءة قارىء المدينة. وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وكان عالمًا بوجوه القراءات، متبعًا لآثار الأئمة الماضين. وقرأ القرآن على سبعين رجلًا من التابعين. منهم: أبو جعفر يزيد بن قعقاع والزهري وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأمثال هؤلاء. وروى القراءة عنه عرضًا وسماعًا عشرون رجلًا من أهل المدينة(٢).

منهم قالون وهو مختار هؤلاء، وخمسة عشر من أهل مصر(٣) ومختار هؤلاء وَرْش، وكثيرون من أهل دمشق(٤). وكان أسود اللون حالكًا، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة. وكان إذا تكلّم يشمّ من فيه رائحة المسك. قال رجل من أصحابه: يا أبا عبد الله أو يا أبا رويم: تتطيّب كلما قعدت تقرىء الناس. قال: ما أمسّ طيبًا ولا أقرب طيبًا، ولكني رأيت فيما يرى النائم النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ في فيَّ، فمن ذلك الْوقت يشمّ من فيَّ هذه الرائحة. وقال المسيبي(٥): قيل لنافع: ما أصبح وجهك وأحسن خلقك. قال: كيف لا أكون كذلك وقد صافحني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وعليه قرأت القرآن يعني في النوم. قال قالون: كان نافع من أطهر الناس خلقًا، ومن أحسن الناس قراءة. وكان زاهدًا جوادًا، صلّى في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم سبعين سنة. قال محمد بن إسحاق لما حضر نافعًا الوفاة قال له أبناؤه: أوصِنا. قال: اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إنْ كنتم مؤمنين. مات سنة تسع وستين ومائة، أو سبعين، أو سبع وستين، أو خمسين، أو سبع وخمسين ومائة.

أما راويه وَرْش(٦) فهو عثمان بن سعيد. قيل

---

(١) هو جعونة بن شعوب الليثي، حليف حمزة بن عبد المطلب. كان الإمام نافع مولى له.
انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٣٣٠.

(٢) ذكرهم الجزري في كتابه طبقات القراء، وهم: إسماعيل بن جعفر، عيسى بن وردان، سليمان بن مسلم بن حجاز، مالك بن أنس، وهم من أقرانه. وإسحاق بن محمد، وأبو بكر، وإسماعيل ابنا أبي إدريس، يعقوب بن جعفر أخو إسماعيل، عبد الرحمن بن أبي الزنادة، عيسى بن ميناقالون، سعد بن إبراهيم وأخوه يعقوب، محمد بن عمر الواقدي، الزبير بن عامر، خلف بن وضاح، أبو الذكر محمد بن يحيى، أبو العجلان، أبو غسان محمد بن يحيى بن علي، صفوان ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن وهب. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٣١.

(٣) ذكرهم الجزري وهم: موسى بن طارق أبو قرة اليماني، عبد الملك بن قريب الأصمعي، خالد بن مخلد القطواني، أبو عمرو بن العلاء، أبو الربيع الزهراني، خارجة بن مصعب الخراساني، خلف بن نزار الأسلمي، سقلاب بن شيبة، عثمان بن سعيد ورش، عبد الله بن وهب، محمد بن عبد الله بن وهب، معلى بن دحية، الليث بن سعد، أشهب بن عبد العزيز، حميد بن سلامة.

(٤) ذكرهم الجزري وهم: عتبة بن حماد الشامي، أبو مسهر الدمشقي، الوليد بن مسلم، عراك بن خالد، خويلد بن معدان، وهؤلاء من أهل الشام.

(٥) هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيبي بن أبي السائب. المخزومي، أبو محمد المسيبي المدني. توفي عام ٢٠٦هـ. قارىء، مجود، ثقة، ثبت. له أخبار. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ١٥٧.

(٦) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٥٠٢.

سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم. وقيل سعيد بن عدي بن غزوان بن أدد بن سابق، أبو سعيد أو أبو القاسم، أو أبو عمرو القرشي، مولاهم القبطي المصري، الملقب بورش، شيخ القراء المحققين. وإمام أهل الأداء المرتلين، انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. ولد سنة عشر ومائة بمصر، ورحل إلى نافع بن أبي نعيم، فعرض عليه القرآن عدة ختمات، وكان أشقر أزرق أبيض اللون، قصيرًا ذا كدنة، هو إلى السمن أقرب منه إلى النحافه، لقّبه نافع بالورشان لأنه كان على قصره يلبس ثيابًا قصارًا، وكان إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه. وقيل سُمّي به لقلة أكله وخفة لحمه، فكان نافع يقول: هات يا ورشان واقرأ يا ورشان واين الورشان، ثم خفف وقيل: ورش. والورشان طائر معروف. وقيل: إنّ الورش شيء يصنع من اللبن، قيل هو الجبن أو كالجبن، لقّب به لبياضه، ولزمه ذلك اللقب حتى صار لا يعرف إلاّ به، وكان هذا اللقب أحبّ إليه من اسمه، وكان يقول: استاذي سمّاني به، وكان في أول أمره رأسًا، ولذلك يقال له الروّاس، ثم اشتغل بالقرآن والعربية فمهر فيهما. توفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة عن سبع وثمانين سنة.

وأما راويه قالون[١] فهو أبو موسى، عيسى بن ميناء ابن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي، ويقال المرّي، مولى بني زهرة، الملقّب قالون، قارىء المدينة ونحويها. يقال: إنّه ربيب نافع، وقد اختص به كثيرًا، وهو الذي سمّاه قالون لجودة قراءته، فإنّ قالون بلغة الروم جيّد. قال الجزري: سألت الروم عن ذلك فقالوا نعم، غير أنّهم نطقوا لي بالقاف كافًا على عادتهم. ويحكى عنه أنّه قال: كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين، ويقول لي: قالون قالون يعني جيد جيد. قلت: وعقد الثلاثين هو ضم الأصابع الأربعة ونصب الإبهام قائمًا. ومن عادتهم أنّهم عند استحسان شخص يعقدون هكذا، ويشيرون بالإبهام إلى ذلك الشخص، وهذا عادتهم عند غاية الاستحسان. قال عبد الله بن عليّ: وإنما يكلمه نافع بالرومية لأنّ قالون أصله من الروم، كان جدّ جدّ جدّه عبد الله من سبي الروم في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقدم به مَنْ أسره إلى عمر إلى المدينة وباعه، فاشتراه بعض الأنصار، فهو مولى محمد بن محمد بن فيروز[٢]. قال أبو محمد البغدادي: كان قالون أصمّ لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارىء فإنه يسمعه. قال ابن أبي حاتم: كان يفهم خطأهم ولحنهم بالشفة. قال الأهوازي: ولد سنة عشرين وماية. وقرأ على نافع سنة خمسين. قال الداني: توفي قبل سنة عشرين ومائتين. وقال الأهوازي وغيره سنة خمس ومائتين. قال الذهبي: هذا غلط وأثبت وفاته سنة عشرين. قال الجزري وهو الأصح.

وثانيهم عبد الله بن كثير بن المطلب[٣]، كذا رفع الداني حسبه. لكن الأصح ما ذكره الأهوازي، وهو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان ابن هرمز، الإمام أبو معبد المالكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة. اختلف في كنيته والصحيح ما قدمناه. وقيل له: الداري لأنّه كان عطارًا، والعرب تسميه داريًا نسبة إلى دارين، موضع بالبحرين

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/٦١٥.

(٢) هو محمد بن محمد بن فيروز بن زاذان، أبو عبد الله الكرجي. توفي عام ٣٨٦هـ. إمام، قارىء جليل، له كتب. انظر عنه: غاية النهاية ٢/٢٤٧.

(٣) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/٤٤٣.

يجلب منه الطيب. وقيل لأنّه كان من بني الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة من لخم، وهم رهط تميم الداري. والداري الذي لا يبرح في داره ولا يطلب معاشًا، قاله الأصمعي. قال الجزري: والصحيح الأول لأنّه كان من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن إلى صنعاء فطردوا الحبش عنها. ولد بمكة سنة خمس وأربعين، ولقي بها عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك ومجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس وروى عنهم. وأخذ القراءة عرضًا عن عبد الله بن السائب على الأكثر، وإنْ أنكره البعض. مات ابن كثير سنة عشرين وماية. واختلف فيه بأنّ ابن إدريس الأودي(١) قرأ عليه، وولد هو في خمس عشرة، لكن الصحيح أنّ ابن إدريس لم يقرأ عليه وأنّ ابن كثير مات في عشرين. وكان ابن كثير فصيحًا بليغًا مفوهًا، أبيض اللحية، طويلًا جسيمًا، أسمر أشهل العينين، يخضب بالحناء، عليه السكينة والوقار. قال أبو عمر: وكان ابن كثير أعلم بالعربية من مجاهد وأنا قرأت عليهما. قال ابن مجاهد: لم يزل عبد الله بن كثير هو الإمام المجتمع عليه في القراءة بمكة حتى مات سنة عشرين وماية.

أما راويه قنبل(٢)، فهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجد، أبو عمر المخزومي، مولاهم، المكي، الملقب بقنبل، شيخ القراء بالحجاز. ولد سنة خمس وتسعين ومائة. وأخذ القراءة عرضًا عن أحمد بن محمد بن عون النبال(٣)، وهو الذي خلفه بالقيام بها بمكة وقرأ عن كثير من المشايخ. وقرأ عليه كثيرون، وروى القراءة عن ابن كثير بواسطة سند لأنه يروي عن القوّاس عن القسط عن ابن كثير. واختلف في سبب تلقيبه قنبلًا، فقيل: اسمه، وقيل لأنه من بيتٍ بمكة يقال لأهله القنابلة، وقيل لاستعماله دواء يقال له قنبيل معروف عند الصيادلة لداء كان به، فلما أكثر منه عُرف به وحذفت الياء تخفيفًا. وقد انتهت إليه رياسة الإقراء بالحجاز، ورحل الناس إليه من الأقطار. قال أبو عبد الله القصاع(٤): وكان على الشرطة بمكة لأنه كان لا يليها إلاّ رجل من أهل الفضل والخير والصلاح ليكون ما يأتيه من الحدود والأحكام على صواب، فولّوها قنبلًا لعلمه وفضله عندهم. قال الذهبي: إنّه كان في وسط عمره فحمدت سيرته، ثم إنّه طعن في السّنّ وشاخ وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين أو بعشر سنين. مات سنة إحدى وتسعين ومائتين عن ستّ وسبعين سنة.

أما راويه البزّي(٥)، فهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة. ويقال: إنّ نافعًا هو أبو بزة الإمام أبو الحسن البزي

---

(١) هو عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن، أبو محمد الأودي الكوفي. ولد عام ١٢٠هـ/ وتوفي عام ١٩٢هـ. إمام حافظ، مقرىء، محدث، ثقة. له أخبار.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٢، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨٩، تاريخ بغداد ٩/ ٤١٥، العبر ١/ ٣٠٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٣، شذرات الذهب ١/ ٣٣٠.

(٢) انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/ ١٦٥.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عون النبال. توفي عام ٢٤٥هـ. مقرىء مكة. محدث.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧.

(٤) هو محمد بن إسرائيل بن أبي بكر، أبو عبد الله، السلمي المعروف بالقصاع. ولد عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م. وتوفي عام ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م مقرىء، له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٣٠، غاية النهاية ٢/ ١٠٠.

(٥) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ١١٩.

المكي مقرىء مكة ومؤذن المسجد الحرام. ولد سنة سبعين ومائة، أستاذ محقق ضابط متقن. قرأ على أبيه وعبد الله بن زياد وعكرمة بن سليمان ووهب بن واضح. وقرأ عليه كثيرون. وروى القراءة عن ابن كثير بواسطة سند لأنه يروي عن عكرمة عن قسط عن ابن كثير. قال الأهوازي: أبو بزة الذي ينسب إليه البزي اسمه بشار، فارسي من أهل همدان. أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي. والبزّة الشِّدة. ومعنى أبو بزة أبو شدة. قال الجزري: المعروف لغة أنّ البزّة من قولهم بزّه بزة إذا سلبه منه. توفي البزي سنة خمس ومائتين عن ثمانين سنة. وقيل: البزي منسوب إلى بايع البزّ، لكن الأول أصح.

وثالثهم أبو عمرو بن العلاء[1]، واسمه زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان، الإمام السيد أبو عمرو التميمي المازني البصري، وأحد القراء السبعة. قال الحافظ أبو العلاء الهمداني: هذا الصحيح الذي عليه الحذاق من النُّسَّاب. والبصري بلدة معروفة من فارس. وقد قيل: إنه من بني العنبر أو من بني حنيفة. وحكى القاضي أسد اليزدي[2] أنه قيل: إنه من فارس من موضع يقال له كازرون. واختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولًا. قال السيوطي في طبقات النحاة: اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولًا: (١) اسمه كنيته (٢) زبان وهو الأصح (٣) جبر (٤) جنيد (٥) جز (٦) حماد (٧) حميد (٨) خير (٩) ربان براء مهملة (١٠) عتيبة (١١) عثمان (١٢) عريان (١٣) عقبة (١٤) عمار (١٥) عيار (١٦) عيينة (١٧) فايد (١٨) قبيصة (١٩) محبوب (٢٠) محمد (٢١) يحيى. وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلالته لا يسئل عنه. قال الجزري في طبقات القراء: وقد اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولًا، ولا ريب أنّ بعضها تصحيف من بعض، وأكثر الناس عن الحفاظ وغيرهم على أنه زبان كما ذكرنا. وقال الذهبي: والذي لا أشك فيه أنّ اسمه زبان بالزاي. وقد أغرب ابن البادش[3] في حكايته ربان بالراء والموحدة. وأغرب من ذلك ما حكاه أبو العلاء عن بعضهم ريان بالراء وآخر الحروف، قال: وهو تصحيف. ولد أبو عمرو سنة ثمان أو خمس وستين، وقيل سنة خمس وخمسين، وقيل سنة خمس وستين. قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة على شيوخ كثيرة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخًا منه. منهم أنس بن مالك والحسن بن أبي الحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وأمثالهم، وروى عنه القراءة عرضًا وسماعًا جماعة كثيرون، منهم عبد الله بن المبارك والأصمعي ومعاذ بن مسلم النحوي[4] وأمثالهم. وروى عنه الحروف سيبويه، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد. قال عبد الوارث: حججت مع أبي

---

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٨٨.

(٢) هو أسد بن عمرو بن عامر القشيري البجلي، أبو المنذر. توفي عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م. قاضٍ. من أصحاب الإمام أبي حنيفة. له كتب. انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٩٨.

(٣) هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي، أبو جعفر. المعروف بابن الباذش. ولد عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م. وتوفي عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. عالم بالقراءات، أديب، خطيب، له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٧٣، بغية الوعاة ١٤٧، غاية النهاية ١/ ٨٣.

(٤) هو معاذ بن مسلم الهراء، أبو مسلم. توفي عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. أديب، شاعر، له تصانيف وأخبار.
انظر عنه: الأعلام ٧/ ٢٥٨، وفيات الأعيان ٢/ ٩٩ إنباه الرواة ٣/ ٢٨٨.

عمرو فنزلنا في منزل قفر لا ماء فيه، فغاب عني واحتبس عليّ ساعة، فقمت أقفيه الأثر فإذا هو عند عين يتهيأ للصلوٰة، والمكان مكان لا ماء فيه أصلًا، فنظر إليّ وقال: يا عبد الوارث: أكتم عليّ هذا، فوالله ما حدثت به أحدًا حتى مات. روينا عن سفيان ابن عيينة قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله: قد اختلفت عليَّ القراءات، فبقراءة مَنْ تأمرني أنْ أقرأ؟ فقال: بقراءة أبي عمرو بن العلاء. ولد بمكة سنة ثمان أو خمس وستين أو ستة وسبعين ونشأ بالبصرة. ومات بالكوفة سنة أربع أو خمس أو سبع وخمسين ومائة، وقيل سنة ثمان وأربعين ومائة.

وأما راويه حفص(١)، فهو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان، ويقال صهيب، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الضرير، نزيل سامرا، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ثقة، ثبت كبير، ضابط، أول من جمع القراءات. ونسبته إلى الدور موضع ببغداد ومحلة بالجانب الشرقي. قال الأهوازي: رحل الدوري في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئًا كثيرًا. قرأ على جماعة كثيرة، قرأ على أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، وقرأ هو على أبي عمرو. قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري. وقال أحمد بن فرح(٢): سألت الدوري: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق. توفي في شوال سنة ست وأربعين ومائتين، وغلط مَنْ قال: سنة ثمان وأربعين.

وأما راويه السوسي(٣)، فهو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسمعيل بن إبراهيم أبي الجارود، ابن مسرح الرشتبي، أبو شعيب السوسي الرقي، مقرىء ضابط محرر ثقة. أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن أبي محمد اليزيدي وهو من أجلّ أصحابه، وقرأ هو على أبي عمرو. روى القراءة عنه جماعة. مات أول سنة إحدى وستين ومائتين وقد قارب السبعين.

ورابعهم عبد الله بن عامر(٤) بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصُبي، بضم الصاد وكسرها، نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن شيبان بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن غابر، وهو هود عليه السلام. وقيل يحصب بن مالك بن أصبح بن أبرهة بن الصباح. وفي يحصب الكسر والضم، فإذا ثبت الكسر فيه جاز الفتح في النسبة، فعلى هذا يجوز في اليحصبي الحركات الثلاث. وقد اختلف في كنيته كثيرًا، والأشهر أنها أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة، والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها. أخذ القراءة عرضًا عن أبي الدرداء وعن المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان بن عفان. وقيل عرض على عثمان نفسه. قال الجزري: ورد في إسناده أقوال: أصحّها أنه قرأ على المغيرة. الثاني أنه قرأ على أبي الدرداء وهو غير بعيد. الثالث أنه قرأ على فضالة بن عبيد وهو جيد. الرابع أنه سمع قراءة عثمان وهو محتمل. الخامس أنه قرأ عليه بعض القرآن ويمكن.

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٥٥.

(٢) هو أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد بن فرح اللخمي الاشبيلي، أبو العباس، شهاب الدين. ولد عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م. وتوفي عام ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م. فقيه شافعي، عالم بالحديث. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٩٤، شذرات الذهب ٥/ ٤٤٣، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٥١.

(٣) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٣٣٢.

(٤) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٤٢٣.

السادس أنه قرأ على واثلة بن الأسقع ولا يمتنع. السابع أنه قرأ على عثمان جميع القرآن وهو بعيد لا يثبت. الثامن أنه قرأ على معاوية ولا يصح. التاسع أنه قرأ على معاذ وهو واهٍ. وأما قول من قال لا يدري على من قرأ فساقط جدًا، وأقل من أنْ ينتدب للردّ عليه. وأما قراءته على أبي الدرداء فقد أثبته الحافظ أبو عمرو الداني واستبعده أبو عبد الله الحافظ. وناهيك بإثبات الداني. وأما طعن ابن جرير في ابن عامر فقد عُدّ من سقطات ابن جرير حتى نقل السخاوي عن الشاطبي أنه قال: وإياك وطعن الطبري على ابن عامر. وأيضًا لا يلتفت إلى طعن ابن مجاهد وأبي طاهر بن أبي هاشم في ذلك. وكيف يسوغ أنْ يجمع الناس من الصدر الأول إلى آخر وقت انتشار العلماء في الأقطار سيما علماء الشام على قراءة لا أصل لها مع شدّة مؤاخذتهم في اليسير وعلى عدم تسامحهم في النقير والقطمير، بحيث يتبعونها في صلاتهم التي هي أهم أركان الدين، وغير ذلك من التفاسير واستخراج الأحكام. قال أبو علي الأهوازي: كان ابن عامر إمامًا عالمًا ثقة فيما أتاه، حافظًا لما رواه، متقنًا لما وعاه، عارفًا فهمًا في كل بابه، قيّمًا فيما جاء به، صادقًا فيما نقله من أفاضل المسلمين وخيار التابعين وأجلة الراوين، لا يتهم في دينه، ولا يشك في يقينه، ولا يرتاب في أمانته، ولا يطعن عليه في رواية، صحيح نقله، فصيح قوله، عاليًا في قدره، مصيبًا في أمره، مشهورًا في علمه، مرجوعًا إلى فهمه، لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر، ولم يقل قولًا يخالف فيه الخبر. ولّي القضاء بدمشق بعد بلال بن أبي الدرداء، والأصح أنه ولي بعد إدريس الخولاني، وكان إمام الجامع بدمشق وهو الذي كان ناظرًا على عمارته حتى فرغ. قال يحيى بن الحارث: وكان رئيس الجامع، لا يرى فيه بدعة إلاّ غيّرها. ولد سنة إحدى وعشرين. قال خالد بن يزيد: سمعت ابن عامر يقول: ولدت سنة ثمان من الهجرة في البلقاء بضيعة يقال لها رحاب، وقبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ولّي سنتان، وكان له حينئذٍ تسع سنين. قال الجزري: وهذا أصح لثبوته عن نفسه. وقد ثبت سماعه من الصحابة منهم معاوية بن أبي سفيان والنعمان بن بشير وواثلة بن الأسقع وفضالة بن عبيد. توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة.

أما راويه هشام[١]، فهو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة بن أبي الوليد السلمي أو الظفري الدمشقي، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومحدثهم ومقرئهم ومفتيهم. ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة. أخذ القراءة عرضًا عن جماعة كثيرة، وكان فصيحًا علامة، واسع الرواية. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم التميمي[٢]، وهو عن يحيى بن الحارث الزهادي، وهو عن ابن عامر. قال أبو علي أحمد بن محمد بن الأصبهاني المقرىء: لما توفي أيوب بن تميم رجعت الإمامة في القراءة إلى رجلين: هشام وابن ذكوان. قال: وكان هشام مشهورًا بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والفهم والدراية، رزق كبر السّن وصحة العقل والرأي، وارتحل الناس إليه في القرآات والحديث. مات سنة خمس أو أربع وأربعين ومائتين.

وأما راويه ابن ذكوان[٣]، فهو عبد الله بن

---

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/ ٣٥٤.

(٢) لعله أيوب بن أبي تميمة، كيسان السختياني، أبو بكر البصري. توفي عام ١٣١هـ. محدث ثقة. حجة. من كبار الفقهاء العبّاد يعد من الطبقة الخامسة. انظر عنه: تقريب التهذيب ١١٧.

(٣) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٤٠٤.

أحمد بن بشر، ويقال بشير بن ذكوان بن عمرو بن حسان بن داود بن حسنون بن سعد بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، أبو عمرو وأبو محمد القرشي الفهري الدمشقي، الإمام الأستاذ الشهير، الراوي الثقة، شيخ القراءة بالشام، وإمام جامع دمشق. أخذ القراءة عرضًا عن أيوب بن تميم، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة في دمشق. وأخذ أيوب عن يحيى بن الحارث الزهادي، وهو عن ابن عامر، وقرأ على الكسائي حين قدم على الشام، وروى الحروف سماعًا عن إسحاق بن المسيبي عن نافع. روى القراءة عنه ابنه أحمد وكثيرون. قال أبو زرعة: لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان أقرأ من ابن ذكوان في ذلك الزمان. ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة. وتوفي في يوم الإثنين ليلتين بقيتا من شوال، وقيل لسبع خلون منه سنة إثنتين وأربعين ومائتين وهو الأصح.

وخامسهم عاصم بن بهدلة أبي النجود[(١)] بفتح النون وضم الجيم، وضم النون غلط، أبو بكر الأسدي، مولاهم، الكوفي الحنّاط، بالمهملة والنون، شيخ الإقراء بالكوفة وأحد القرآء السبعة. ويقال أبو النجود إسم أبيه لا يعرف له إسم غير ذلك، وبهدلة إسم أمه. وقيل إسم أبي النجود عبد الله وهو الإمام الذي انتهت إليه رياسة القراءة بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي في موضعه. جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتًا بالقرآن. قال أبو بكر بن عياش: لا أحصي ما سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: ما رأيت أحدًا قد كان أفصح من عاصم، إذا تكلم كاد يدخله خيلاء، وكان من التابعين. روى عن أبي رمية رفاعة بن يثربي التميمي[(٢)]، والحارث بن حسان البكري[(٣)]، وكانت لهما صحبة. أخذ القراءة عرضًا عن أبي عبد الرحمن السلمي وعن زر بن حبيش. قال حفص: قال لي عاصم: التي أقرأتك بها فهي التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ، والتي أقرأتها على أبي بكر بن عياش فهي التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عاصم فقال: رجل صالح خير ثقة، فسألته أي القراءة أحبّ إليك. قال: قراءة أهل المدينة، فإنْ لم يكن فقراءة عاصم. قال الجزري: وثَّقه أبو زرعة وجماعة. وقال أبو حاتم: محله الصدق وحديثه مخرَّج في الكتب الستة. وقال أبو بكر بن عياش: كان الأعمش وعاصم وأبو حصين سواء كلهم لا يبصرون. وجاء رجل يقود عاصمًا فوقع وقعة شديدة فما كرهه ولا قال له شيئًا. قال الجزري: توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل سنة ثمان وعشرين، فلعله في أولها بالكوفة. وقال الأهوازي: بالسماوة وهو يريد الشام ودفن بها. واختلف في موته: قيل سنة عشرين ومائة وهو قول أحمد بن حنبل، وقيل سنة تسع أو ثمان أو سبع وعشرين أو قريبًا من ثلاثين، والذي عليه أكثر الشيوخ أنه توفي سنة تسع وعشرين. قال الجزري: بل الصحيح ما قدمت، ولعله تصحيف سبع بتسع،

---

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/٣٤٦.
وهو معروف بابن أبي النجود. (هامش الأصل).

(٢) هو رفاعة بن يثربي، أبو رمثة البلوي التيمي أو التميمي. واختلف في اسمه. توفي في أفريقية.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢١٠، ٦٤٠.

(٣) هو الحارث بن حسان الذهلي البكري. توفي عام ٣٦هـ/٦٥٦م. صحابي شريف، شجاع، له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٢/١٥٤، الإصابة ١/٢٩٠، الكامل ٣/٩٩.

والله تعالى أعلم.

أما راويه حفص[(١)]، فهو حفص بن سليمان بن المغيرة، أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري[(٢)] البزاز بايع البزّ، ويعرف بحفيص. أخذ القراءة عرضًا وتلقينًا عن عاصم، وكان ربيبه ابن زوجته، ولد سنة تسعين. قال الداني: وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضًا. وقال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة من قراءة عاصم رواية حفص وكان أعلمهم بقراءة عاصم، وكان مرجحًا على شعبة بضبط القراءة. قال الذهبي: أمّا في القراءة فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى عليّ رضي الله عنه، والتي أخذها أبو بكر قراءة زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود. توفي سنة ثمانين ومائة على الصحيح، وقيل بين الثمانين والتسعين.

وأما راويه شعبة[(٣)]، فهو شعبة بن عياش[(٤)] بن سالم، أبو بكر الحناط، بالنون الأسدي النهشلي الكوفي، الإمام العلم راوي عاصم. اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولًا، أصحها شعبة، وقيل: أحمد وعبدالله وعنترة وسالم وقاسم ومحمد وغير ذلك. ولد سنة خمس وتسعين، وعرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري[(٥)] وغير ذلك، وعمّر دهرًا إلاّ أنه قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين أو أكثر، وكان إمامًا كبيرًا عالمًا عاملًا حجة، وكان يقول: أنا نصف الإسلام، وكان من أئمة السنة، ولم يفرش له فراش خمسين سنة. توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة.

وسادسهم حمزة[(٦)] بن حبيب بن عمارة بن إسمعيل، أزهد القراء، الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي، مولاهم. وقيل من صميمهم الزيات، أحد القرّاء السبعة. ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسّن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم. أخذ القراءة عرضًا عن الأعمش وجعفر بن محمد الصادق وأبي إسحاق بن أبي ليلى وغيرهم. روى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم. وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش، وكان إمامًا حجة ثقة ثبتًا، رضي قيمًا بكتاب الله، بصيرًا بالفرائض، عارفًا بالعربية، حافظًا للحديث عابدًا زاهدًا خاشعًا ورعًا قانتًا لله، عديم النظير. وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة. قال له أبو حنيفة رحمه الله: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، وكان شيخه إذا رآه قد أقبل يقول: هذا حبر القرآن. وأما ما ذكر عن عبد الله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة محمول على قراءة من سمعا منه ناقلًا عن حمزة. وما آفة الأخبار إلاّ رواتها. ويدلّ على ذلك أنّ رجلًا ممن قرأ

---

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٥٤.

(٢) الغاضري بمعجمتين ثم مهملة. (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٣٢٥.

(٤) عياش بتحتانية ومعجمة. (هامش الأصل).

(٥) هو أسلم المنقري، أبو سعيد. توفي عام ١٤٢هـ. محدث، ثقة يعد من الطبقة السادسة. انظر عنه: تقريب التهذيب ١٠٥.

(٦) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٦١.

على سليم حضر مجلس ابن إدريس فقرأ فأفرط في المد والهمزة وأمثالهما من التكلّف فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه، وذلك لأنّ حمزة أيضًا كان يكره ذلك وينهى عنه. قال الجزري: أما كراهة الإفراد من ذلك فقد روينا عنه من طرق أنّه كان يقول لمن يفرط في المد والهمزة لا تفعل، أما علمت أنّ ما فوق البياض فهو برص، وما فوق الجعودة فهو قطط، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءة. توفي حمزة سنة أربع أو ست أو ثمان وخمسين ومائة. قال الذهبي: الأخير وهم وقبره بحلوان مشهور.

وأما راويه خلاَّد[١]، فهو خلاد بن خالد، أبو عيسى أو أبو عبد الله الشيباني، مولاهم، الصيرفي الكوفي، إمام في القراءة، ثقة عارف محقق أستاذ. أخذ القراءة عرضًا عن سليم وهو من أضبط أصحابه وأجلّهم، وروى القراءة عن حسين بن علي الجعفي[٢] عن أبي بكر وعن أبي بكر نفسه عن عاصم. وروى القراءة عرضًا عنه جماعة. توفي سنة عشرين ومائتين.

وأما راويه خلف[٣]، فهو خلف بن هشام بن ثعلب[٤] بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داود بن مقسم بن غالب، أبو محمد الأسدي، ويقال خلف بن هشام بن طالب بن غراب، الإمام العالم، أبو محمد البزار بالراء البغدادي. أصله من فم الصلح بكسر الصاد، أحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة. ولد سنة خمس ومائة. وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشرة، وكان ثقة كبيرًا زاهدًا عابدًا عالمًا، وكان يكره أنْ يقال له البزار ويقول: أدعوني المقرىء. أخذ القرآن عرضًا عن سليم بن عيسى[٥] وعبد الرحمن بن أبي حماد[٦] وعن حمزة وغيرهم. مات في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد وهو مختفٍ عن الجهمية.

وسابعهم الكسائي[٧]، علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الأسدي، مولاهم، وهو من أولاد الفرس من سواد العراق، أبو الحسن الكسائي، الإمام الذي انتهت إليه رياسة الإقرآء بالكوفة بعد حمزة الزيات. أخذ القراءة عن حمزة عرضًا أربع مرات وعليه اعتماده. روى عنه من الأئمة كثيرون. منهم الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وقال: ما رأيت بعينيّ هاتين أصدق لهجة من الكسائي. وقال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي. وقال ابن مجاهد: اختار الكسائي من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة من آثار مَنْ تقدمه من

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٧٤.

(٢) هو الحسين بن علي بن الوليد، أبو عبد الله، أو أبو محمد الجعفي الكوفي. ولد عام ١١٩هـ، وتوفي عام ٢٠٣هـ. إمام قدوة. حافظ، مقرىء، زاهد، له أخبار.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٦، التاريخ الكبير ٢/ ٣٨١، العبر ١/ ٣٣٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧، شذرات الذهب ٢/ ٥.

(٣) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٧٢.

(٤) ثعلب بالمثلثة والمهملة، و(البزار) آخره مهملة. (هامش الأصل).

(٥) هو سليم بن عيسى الحنفي الكوفي، ولد عام ١٣٠هـ/ ٧٤٨م، وتوفي عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م. إمام في القراءة. له أخبار ورواية.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١١٩، النشر ١/ ١٦٧، غاية النهاية ١/ ٣١٨.

(٦) هو عبد الرحمن بن حماد بن شعيث الشعيثي، أبو سلمة العنبري البصري. محدث، صدوق. توفي عام ٢١٢هـ. من الطبقة التاسعة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٣٣٩.

(٧) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٥٣٥.

الأئمة، وكان إمام الناس في القراءة في عصره. وقال أبو بكر بن الأنباري: اجتمعت في الكسائي أمور، كان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب وأوحدهم في القرآن. قيل لأبي عمر الدوري: لم صحبتم الكسائي على الدعابة التي كانت فيه؟ قال: لصدق لسانه. واختلف في تسميته بالكسائي، فالذي رويناه عنه أنه سئل عن ذلك فقال: لأني أحرمت في كساء. وقيل لأنه كان يتشح بكساء ويجلس في حلقة حمزة، ويقول حمزة: اعرضوا على صاحب الكساء. وقيل إنّه من قرية باكسايا، والأول أصحّها والآخر أضعفها. وقد ألّف كتبًا كثيرة في النحو والقرآات. واختلف في تاريخ موته، والصحيح الذي أرّخه غير واحد من العلماء والحفاظ سنة تسع وثمانين ومائة، صحبه هارون الرشيد بقرية رنبوية من عمل الرّي، متوجهين إلى خراسان. ومات معه بالمكان المذكور محمد بن الحسن القاضي صاحب أبي حنيفة رحمه الله، فقال الرشيد: دفنّا الفقه والنحو بالرّي. وقيل سنة إحدى أو إثنتين أو ثلاث أو خمس وثمانين. وقيل سنة ثلاث وتسعين، وعاش الكسائي سبعين سنة.

أما راويه حفص[1] فهو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الدوري، وهو راوي أبي عمرو المذكور أيضًا. وقد تقدّم ذكره هناك فلا نعيده.

وأما راويه الليث[2]، فهو ليث بن خالد، أبو الحارث البغدادي. ثقة معروف حاذق ضابط. عرض على الكسائي وهو من جملة أصحابه، وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحول[3] وعن اليزيدي. روى القراءة عنه عرضًا وسماعًا سلمة بن عاصم[4] صاحب الفرّاء[5]، ومحمد بن يحيى الكسائي[6] الصغير، والفضل بن شاذان، ويعقوب بن أحمد الشرواني. مات سنة أربعين ومائتين، والله أعلم.

هذه ترجمة الأصول السبعة مع رواتهم.

ثم إنّ القوم اختاروا بعد هؤلاء شيوخًا ثلاثة وجوّزوا الصلوٰة مع قراءتهم كالسبعة دون مَنْ عدا هؤلاء العشرة من الشواذ، اللّهم إلاّ بشروط ثلاثة: التواتر والثبوت في المصحف العثماني واستقامة وجهها في العربية، وإنْ لم يوجد واحد من هذه الشروط فلا تجوز الصلوٰة به، وإنْ كان مشهورًا اتفاقًا، والخلاف في الإفساد حتى قال الأصفهاني: ما لم يتواتر من الشواذ حكمها حكم كلام البشر في حق الصلوٰة. قال الإمام قاضي خان: لو قرأ ما ليس في المصحف الإمام إنْ لم يكن ذكرًا ولا تهليلًا يفسد صلوٰته

(١) انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ٢٥٥.

(٢) انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/ ٣٤.

(٣) هو حمزة بن القاسم، أبو عمارة الأحول الأزدي الكوفي. مقرىء، حافظ. له رواية.
انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٢٦٤.

(٤) هو سلمة بن عاصم النحوي، أبو محمد. توفي عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م. عالم بالعربية. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ١١٣، انباه الرواة ٢/ ٥٦، بغية الوعاة ٢٦٠.

(٥) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفراء. ولد بالكوفة عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م. وتوفي عام ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. إمام الكوفة بالنحو واللغة والأدب، فقيه، متكلم، عارف بالطب والنجوم، له الكثير من المؤلفات.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٤٥، إرشاد الأريب ٧/ ٢٧٦، وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٨، غاية النهاية ٢/ ٣٧١، مراتب النحويين ٨٦، الذريعة ١/ ٣٩، تاريخ بغداد ١٤/ ١٤٩.

(٦) هو محمد بن يحيى الكسائي، أبو عبد الله الكسائي الصغير البغدادي. ولد عام ١٨٩هـ. وتوفي عام ٢٨٠هـ. مقرىء، محقق جليل، محدث ثقة.
انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٢٧٩.

لأنه من كلام الناس، فإنْ كان معناه ما في الإمام تجوز صلوٰته في قياس قول أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى، لأنّ الإمام يجوّز قراءة القرآن بأي لفظ كان، ومحمدًا يجوز باللفظ العربي فقط خلافًا لأبي يوسف رحمه الله.

إذا عرفت هذا التفصيل فلا بد لك من معرفة هؤلاء الثلاثة وأحوالهم سيّما يعقوب الحضرمي لأنّ عامة البصريين اختاروا قراءته بعد أبي عمرو، وكان إمام البصرة سنين.

أما أوّلهم وأولاهم أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، مولاهم، البصري، أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرئها. أخذ القراءة عرضًا عن جماعة وسمع الحروف من الكسائي ومحمد بن زريق الكوفي عن عاصم، وسمع من حمزة حروفًا. وروى ابن المنادي[١] أنه قرأ على أبي عمرو. قال الجزري: وقراءته على أبي الأشهب عن أبي رجاء عن أبي موسى في غاية العلوّ. وأما إسناده في القراءة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فإنّه قرأ على سلام المذكور، وقرأ هو على عاصم، وقرأ هو على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ هو على علي بن أبي طالب، وقرأ علي على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. وروى القراءة عنه عرضًا جماعة كثيرة. قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء. وقال الداني: وائتمّ بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو، فهم أو أكثرهم على مذهبه. قال: وقد سمعت طاهر بن غلبون[٢] يقول: إمام الجامع بالبصرة لا يقرؤ إلاّ بقراءة يعقوب. قال ابن أبي حاتم: سئل أحمد بن حنبل عنه فقال: صدوق. وسئل عنه أبي فقال: صدوق. قال الجزري: وكان يعقوب من أعلم أهل زمانه بالقرآن والنحو وغيره، وأبوه إسحاق وجده زيد. قال محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني: تفرّق أهل البصرة أيام الزنج، وأهل المسجد يجرّدون ليعقوب، وأهل القبائل لأيوب، وعلى قراءة يعقوب إلى هذا الوقت أئمة المسجد الجامع بها، وكذلك أدركناهم. قال الجزري: ومن أعجب العجب بل من أكبر الخطأ جعل قراءة يعقوب من الشواذ الذي لا تجوز القراءة بها، ولا الصلوٰة، وهذا شيء لا نعرفه قبل إلاّ في هذا الزمان ممن لا يعوّل على قوله ولا يلتفت إلى اختياره. وللأئمة المتقدمين في ذلك ما يبين الحقّ ويهدي السبيل، كما ذكرت ذلك في كتاب المنجد[٣]، فليعلم أنّه لا فرق بين قراءة يعقوب وقراءة غيره من السبعة عند أئمة الدين المحققين، وهو الحق الذي لا محيد عنه. قلت: وإلى هذا يشير قول القاضي البيضاوي في أول تفسيره، ويعرب عن وجوه القرآات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القرّاء

(١) هو أحمد بن جعفر بن محمد، أبو الحسين بن المنادي. ولد عام ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م. وتوفي عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م. عالم بالتفسير والحديث. له مصنفات.
انظر عنه: الأعلام ١/ ١٠٧، البداية والنهاية ١١/ ٢١٩، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٩٥، تاريخ بغداد ٤/ ٦٩.

(٢) هو طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي، أبو الحسن ابن أبي الطيب. توفي عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م. عالم بالقراءات، ثقة. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٢٢٢، النشر ١/ ٧٢، غاية النهاية ١/ ٣٣٩.

(٣) منجد المقربين [المقرئين] ومرشد الطالبين. للشيخ محي الدين محمد بن محمد الجزري.
كشف الظنون ٢/ ١٨٥٩.

المعتبرين، حيث ذكر يعقوب مع السبعة وأخرجه من الشواذ. قال أبو القاسم الهذلي[1]: لم ير في زمن يعقوب مثله، كان عالمًا بالعربية ووجوهها والقرآن واختلافه، فاضلًا تقيًا ورعًا زاهدًا، بلغ من زهده أنّه سرق رداءه عن كتفه وهو في الصلوٰة ولم يشعر، وردّ إليه ولم يشعر لشغله بالصلوٰة. وبلغ من جاهه بالبصرة أنّه كان يحبس ويطلق. قال أبو حاتم: يعقوب بن إسحاق من أهل بيت العلم بالقرآن والعربية وكلام العرب والرواية الكثيرة والحروف والفقه، وكان أقرأ القرّاء، وكان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن وتعليله ومذاهب أهل النحو في القرآن، وأروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء. ذكر ابن خلكان أنّ أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، أخذها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ عن أبي الأسود عنبسة الفيل بن معدان المهرمي[2]، وأخذ عنه ميمون الأقرن[3]، وأخذ عنه عبد الله الحضرمي[4] جدّ يعقوب الحضرمي، وأخذ عنه عيسى بن عمر الثقفي[5]، وأخذ عنه خليل بن أحمد، وأخذ عنه سيبويه، وأخذ عنه الأخفش. قال البخاري وغيره: مات يعقوب في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة، وكذلك أبوه وجده وجد أبيه كلهم ماتوا عن ثمان وثمانين سنة. ولبعضهم فيه:

أبوه من القرّاء كان وجدّه ... ويعقوب في القرّاء كالكوكب الدري
تفرّده محض الصواب ووجهه ... فمن مثله في وقته وإلى الحشر.

وثانيهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع، الإمام أبو جعفر القارىء المخزومي ولاءً، المدني، وهو مولى عبد الله بن عياش المخزومي أحد القرّاء العشرة. تابعي مشهور، كبير القدر، ويقال: اسمه جندب ابن فيروز، وقيل فيروز. عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وروى عنهم. ويقال: قرأ على زيد بن ثابت. قال الذهبي: ولم يصح. وسمع عبد الله بن عمر بن الخطاب ومروان بن الحكم رضي الله عنهم. قال الجزري: روينا عنه أتي به إلى أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة، وصلّى بابن عمر، وأقرأ الناس بالمدينة قبل وقعة الحرّة وهي سنة ثلاث وستين. قال ابن خلكان: قال محمد بن القاسم المالكي: أبو جعفر يزيد بن القعقاع مولى أم سلمة رضي الله عنها زوج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. روى القراءة عنه نافع بن أبي نعيم وسليمان بن مسلم وعيسى بن وردان[6] وأبو عمرو وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسمعيل ويعقوب إبناه وميمونة. قال مالك بن أنس: كان

---

(١) هو يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم الهذلي البكري. ولد عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م. وتوفي عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م. متكلم، عالم بالعربية والقراءات. له تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٢٤٢، غاية النهاية ٢/ ٣٩٧، إرشاد الأريب ٧/ ٣٠٨، مرآة الجنان ٣/ ٩٣.

(٢) هو عنبسة بن معدان المهري الملقب بعنبسة الفيل. كان من أهل ميسان وقدم البصرة وأقام فيها. وله أخبار مشهورة وأخذ عنه أبي الأسود. انظر عنه: مراتب النحويين ١١ - ١٢، نزهة الألباء ١٥، البلغة ١٦٥، أخبار النحويين ٢٣٠.

(٣) هو ميمون الأقرن، وكنيته أبو عبد الله. من علماء النحو. أخذ عن أبي الأسود الدؤلي، وقيل عن عنبسة الفيل تلميذ أبي الأسود. انظر عنه: مراتب النحويين ١٢، البلغة ٢٣٠، معجم الأدباء ١٩/ ٢٠٩، إنباه الرواة ٣/ ٣٣٧، بغية الوعاة ٣٠٩.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) هو عيسى بن أحمد بن وردان، أبو يحيى البغدادي البلخي العسقلاني. ولد عام نيف وتسعين ومائة للهجرة، وتوفي عام ٢٦٨هـ. إمام، محدث ثقة، له تصانيف.
انظر عنه: الجرح والتعديل ٦/ ٢٧٢، اللباب ٢/ ٣٣٩، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٠٥، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨١

أبو جعفر القارىء رجلًا صالحًا يقرىء الناس بالمدينة. قال يعقوب بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري: كان إمام الناس بالمدينة أبو جعفر. وقال ابن مجاهد: حدّثوني عن الأصمعي عن أبي الزناد قال: لم يكن أحد أقرأ للسُّنة من أبي جعفر، وكان يقدم في زمانه على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج. قال الذهبي: قرأ أبو جعفر على أحمد بن يزيد الحلواني[(١)] عن قالون عن عيسى بن وردان عن ابن جعفر، وأقرأها الزبير الزبير بن محمد الحميري[(٢)] عن قراءته على قالون بإسناده، وأقرأها سليمان بن داود الهاشمي[(٣)] عن سليمان بن مسلم بن جماز[(٤)] عن أبي جعفر، وأقرأ بها الدوري عن إسمعيل بن جعفر عن أبي جعفر أو عن رجل عن أبي جعفر. قال الجزري وقد أسند الإسناد أبو عبدالله القصاع قراءة أبي جعفر من رواية نافع عنه، وكذلك أقرأ بها أبو عبد الرحمن قتيبة بن مهران[(٥)]، وقرأ بها على إسمعيل بن جعفر، وصحّت عندنا من طريقه. ثم قال الجزري: والعجب ممن يطعن في هذه القراءة أو يجعلها من الشواذ وهي لم يكن بينها وبين غيرها السبع فرق كما بيّناه في كتابنا المنجد. روي أنه كان يصوم صوم داود، وكان يقول: أروّض به نفسي لعبادة الله تعالى، وأنّه كان يصلّي في جوف الليل أربع تسليمات في كل ركعة بالفاتحة وسورة من طوال المفصل، ويدعو عقيبها لنفسه وللمسلمين، ولكلّ من قرأ عليه وقرأ بقراءته بعده وقبله.

روي عن نافع أنه قال: لما غسل أبو جعفر بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، قال: فما شكّ أحد ممن حضر أنه نور القرآن.

روي عن سليمان بن أبي سليمان العمري أنه قال: رأيت أبا جعفر على الكعبة يعني في المنام، فقلت: أبا جعفر. فقال: نعم إقرأ إخواني السلام وأخبرهم أنّ الله تعالى جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وإقرأ أبا حازم السلام وقلْ له: يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس، فإنّ الله وملائكته يتراؤون مجلسك بالعشيات.

وجد بخط أبي عبد الله محمد بن إسرائيل القصّاع أنّه يعني أبا جعفر رؤي في المنام بعد وفاته على صورة حسنة، فقال للذي رآه: بشّرْ أصحابي وكلّ من قرأ قراءتي أنّ الله تعالى قد غفر لهم وأجاب فيهم دعوتي، ومُرْهم أنْ يصلّوا هذه الركعات في جوف الليل كيف استطاعوا. مات أبو جعفر بالمدينة سنة ثلاثين ومائة، وقيل

---

(١) هو أحمد بن يزيد بن إبراهيم بن الوَرْتَنّس، أبو الحسن الحراني، وليس الحلواني كما ذكر المؤلف. يعد من الطبقة العاشرة. محدث.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٨٦.

(٢) هو الزبير بن محمد بن عبد اله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبدالله وأبو عبد الرحمن العمري. توفي بعد ٢٧٠ هـ، لقّب بسمنة، راوٍ للقراءة عن قالون. غاية النهاية ١/ ٢٩٣.
انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٢٤١.

(٣) هو سليمان بن داود بن الأمير داود بن علي بن البحر عبد الله بن العباس، أبو أيوب الهاشمي العباسي. توفي عام ٢١٩هـ حافظ، إمام كبير، له أخبار.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٣، التاريخ الكبير ٤/ ١٠، الجرح والتعديل ٤/ ١١٣، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٢٥، تاريخ بغداد ٩/ ٣١.

(٤) هو سليمان بن عبد الله، أبي مسلم المكي الأحول. محدث ثقة. يعد من الطبقة الخامسة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٥٤.

(٥) هو قتيبة بن مهران الأزاذاني، أبو عبد الرحمن الأصبهاني. من علماء النحو بالكوفة. له أخبار.
انظر عنه: بغية الوعاة ٢/ ٢٦٤، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١٧٥، غاية النهاية ٢/ ٢٦.

سنة إثنتين وثلاثين، وقيل سنة تسع أو ثمان أو سبع وعشرين. وأبعد الهذلي في كامله حيث قال سنة عشر.

وثالثهم أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب، الإمام العلم، أبو محمد البزار البغدادي، أحد القرّاء العشرة وأحد الرواة، عن سليم عن حمزة. وقد ذكرنا تفصيله هناك فلا وجه للإعادة.

وإذا انتهيت إلى هذا الإمام فلعلك باخع نفسك على معرفة سائر الشيوخ من أرباب التصانيف، وقد عيل صبرك عنه، سيّما صاحب التيسير والشاطبي والسخاوي والإمام الجعبري والجزري، فنقول:

أما صاحب التيسير، فهو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر أبو عمرو الداني[(١)]، الأموي، مولاهم، القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، الإمام العلامة، الحافظ، أستاذ الأستاذين وشيخ مشايخ المقريين. ولد سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة. قال: وابتدأت بطلب العلم في سنة ست وثمانين، ورحلت إلى المشرق سنة سبع وتسعين، ودخلت مصر في شوّال منها فمكثت بها سنة، وحججت، ودخلت الأندلس في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلاث مائة، وخرجت إلى الثغر سنة ثلاث وأربع مائة فسكنت سرقسطة[(٢)] سبعة أعوام، ثم رجعت إلى قرطبة. قال: وقدمت دانية[(٣)] سنة سبع عشرة، واستوطنها حتى مات. أخذ القرآات عرضًا عن جماعة، وروى عنه جماعة. وكان أحد الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، وله معرفة بالحديث وطرقه وأسماء رجاله ونقلته، وكان حسن الخط جيّد الضبط من أهل الحفظ والذكاء والتفنن، دينًا فاضلًا ورعًا سنيًا، وكان مجاب الدعوة، مالكي المذهب، لم يكن في عصره، ولا بعد عصره بمدد، أحد يضاهيه في حفظه وتحقيقه، وكان يقول: ما رأيت شيئًا إلاّ كتبته، ولا كتبته إلاّ حفظته، ولا حفظته فنسيته. وكان يسئل عن المسئلة مما يتعلق بالآثار وكلام السلف فيوردها بجميع ما فيها مسندة من شيوخه إلى قائلها. قال الجزري: ومن نظر كتبه علم مقدار الرجل وما وهبه الله تعالى فيه، فسبحان الفتاح العليم. أشهرها: كتاب التيسير وأحسنها جامع البيان في القرآات السبع، وأرجوزته، والاقتصاد، والمقنع في رسم المصحف، والمحكم في النقط، والمحتوي في القرآات الشواذ، وطبقات القراء في أربعة أسفار، والفتن والملاحم، وشرح قصيدة الخاقاني في التجويد، وغير ذلك من الكتب. وكان بينه وبين أبي محمد بن حزم منافرة عظيمة أفضت إلى المهاجاة بينهما، والله تعالى يغفر لهما. توفي الحافظ أبو عمرو بدانية يوم الإثنين منتصف شوال سنة أربع وأربعين وأربع مائة، ومشى صاحب دانية أمام نعشه، وشيّعه خلق عظيم، رحمه الله تعالى.

وأما الشيخ الامام الشاطبي[(٤)]، فهو القاسم بن فيره، بكسر الفاء بعده آخر الحروف ساكنة ثم راء مشددة مضمومة بعدها هاء، ومعناه بلغة

---

(١) انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٩٨، بغية الملتمس ٣٩٩، الصلة ١/ ٣٩٨، نفح الطيب ٧/ ٢١، طبقات القراء ١/ ٥٠٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٥٤، شذرات الذهب ٣/ ٢٧٢.

(٢) مدينة اسبانية على أبرو غربي برشلونة. سكانها أكثر من نصف مليون نسمة، فتحها المسلمون عام ٧١٢م. وكانت من عواصم الأندلس أيام بني تجيب وبني هود من ملوك الطوائف، وصارت عاصمة مملكة الأراغون في القرن الثاني عشر. تعتبر من المراكز الثقافية والفنية، وفيها قصور وآثار ومتاحف. انظر: المنجد في الأعلام ٢٩٩.

(٣) هي اليوم مرفأ اسباني جنوبي بلنسية، سكانها حوالي مابة ألف نسمة. كانت من الممالك المزدهرة في عهد مجاهد العامري من ملوك الطوائف بالأندلس، اشتهرت بأسطولها. انظر عنها: المنجد في الأعلام ٢٤٠.

(٤) هو محمد بن قاسم بن فيرة الجمال، أبو عبد الله الشاطبي. انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/ ٢٣٠.

عجم الأندلس الحديد ابن خلف بن أحمد، أبو القاسم وأبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير، ولي الله، الإمام العلّامة أحد الأعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار. ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة بشاطبة، قرية بجزيرة الأندلس. قرأ ببلده القراءآت وأتقنها على أبي عبد الله محمد بن أبي العاص المنقري[١] ثم رحل إلى بلنسية[٢] بالقرب من بلده، فعرض بها التيسير من حفظه والقراءآت على ابن هذيل[٣]، وسمع منه الحديث وروى عنه وعن أبي عبدالله محمد بن حميد. أخذ عنه كتاب سيبويه والكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وعن غيرهم من الفضلاء، ثم رحل للحج فسمع من أبي طاهر السلفي[٤] بالإسكندرية وغيره. ولما دخل مصر أكرمه القاضي الفاضل وعرف مقداره، وأنزله بمدرسته بالقاهرة، وجعله شيخها وعظمه تعظيمًا كثيرًا، ونظم قصيدته اللامية والرائية بها، وجلس للإقراء، فقصده الخلائق من الأقطار. ثم إنه لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بيت المقدس توجّه فزاره سنة تسع وثمانين وخمس مائة. ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرىء حتى توفي. وكان رحمه الله إمامًا في علوم القرآن، ناصحًا لكتاب الله تعالى، متقنًا لأصول العربية، إمامًا في اللغة، رأسًا في الأدب، رحلة في الحديث وحافظًا له، يضبط نسخ الصحيحين من لفظه، أعجوبة في الذكاء، حاذقًا في تعبير الرؤيا كثير الفنون، مجيدًا في النظم، آية من آيات الله تعالى، غاية في القراءآت مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع والكشف، متواضعًا لله تعالى، قدوة للصلاح، ذا بصيرة صافية، تلوح منه الكرامات. كان يعذل أصحابه على أشياء ما اطلع عليها، وسمع الأذان بجامع مصر من غير المؤذنين مرارًا، وكان محفوظ اللسان يمنع جلساءه من فضول الكلام، لا يجلس للإقراء إلّا متطهرًا خاشعًا مواظبًا على السُّنَّةِ. كان شافعي المذهب، بلغنا أنه ولد أعمى. ولقد حكى عنه أصحابه ومن كان يجتمع به عجائب، وعظموه تعظيمًا بالغًا، حتى أنشد الحافظ العلامة أبو شامة المقدسي من نظمه في ذلك:

رأيت جماعة فضلاء فازوا
بـرؤية شيخ مصر الشاطبي
وكلهم يعظمه ويثني
كتعظيم الصحابة للنبي

قال الجزرى: أخبرني بعض شيوخنا الثقات عن شيوخهم أنّ الشاطبي كان يصلي الصبح بالفاضلية بغلس ثم يجلس للإقراء، فكان الناس يتسابقون السرى إليه ليلًا، وكان إذا قعد لا يزيد على قوله: مَنْ جاء أولًا فليقرأ، ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق. فاتفق أنْ قال يومًا: من جاء ثانيًا فليقرأ، وبقي الأول وكان من أصحابه لا

(١) هو محمد بن علي بن أبي العاص، أبو عبد الله المنقري الشاطبي، المعروف بابن اللاية. توفي حوالى عام ٥٥٦هـ. إمام، مقرىء، محقق كاملٌ له كتب انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٢٠٤.

(٢) مرفأ إسباني على مصب غوادا لافيار، في خليج بلنسية. سكانها أكثر من مليون نسمة. كانت من عواصم الأندلس أيام بني عامر من ملوك الطوائف. استردها الإسبان من المسلمين عام ١٢٣٨م. تشتهر بصناعة الحرير والمطرزات والورق والقرميد. فيها آثار تعود للقرن ١٣م. انظر عنها: المنجد في الأعلام ١٣٦.

(٣) هو علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي، أبو الحسن. ولد عام ٤٧١هـ. وتوفي عام ٥٦٤هـ. مقرىء عصره، إمام كبير، له مصنفات.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٠٦، العبر ٤/ ١٨٧، غاية النهاية ١/ ٥٧٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٢، شذرات الذهب ٤/ ٢١٣.

(٤) هو أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني، صدر الدين، أبو طاهر السلفي. ولد عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. وتوفي عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م. حافظ، مؤرخ، عالم، له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام١/ ٢١٥، وفيات الأعيان ١/ ٣١، مرآة الزمان ٨/ ٣٦١.

يدري ما الذنب الذي أوجب حرمانه، ففطن أنه أجنب تلك الليلة، ولشدة حرصه على النوبة نسي ذلك، فبادر إلى حمام جوار المدرسة فاغتسل ورجع قبل فراغ الثاني والشيخ قاعد أعمى. فلما فرغ الثاني قال الشيخ من جاء أولًا فليقرأ. وهذا من أحسن ما وقع لشيوخ هذه الطائفة، بل لا أعلم مثله وقع في الدنيا. ومن تصانيفه رائقه في الرسم فائقة نظرائها. وأما قصيدته اللامية في القراءآت واسطة عقد تصانيفه وغرة وجه تآليفه، وهي القصيد الذي[١] سارت في الأمصار وطارت في الأقطار، وصار إلى قبولها علماء الأعصار. قال الجزري: من وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله تعالى في ذلك خصوصًا اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها فإنه لا يعرف مقدارها إلّا من نظم على منوالها أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها. ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن، بل أكاد أنْ أقول ولا في غير هذا الفن، فإنني لا أحسب أنّ بلدًا من بلاد الاسلام يخلو منه، بل لا أظنّ أنّ بيت طالب علم يخلو من نسخة منه. ولقد تنافس الناس فيها ورغبوا في اقتناء النسخ الصحاح منها إلى غاية حتى أنّه كانت عندي نسخة باللامية والرائية بخط الجحيج صاحب السخاوي مجلدة فأعطيت بها وزنها فضة فلم أقبل. ولقد بالغ الناس في التغالي فيها، وأخْذِ أقوالها مسلمةً، واعتبار ألفاظها منطوقًا ومفهومًا حتى خرجوا بذلك عن حد أن يكون لغير معصوم. وتجاوز بعضٌ الحدَّ فزعم أنّ ما فيها هو القراءآت السبع، وأنّ ما عدا ذلك شاذ لا يجوز القراءة به. ومن أعجب ما اتفق للشاطبية في عصرنا هذا، أن به من بينه وبين الشاطبي باتصال التلاوة والقراءة رجلين، مع أنّ للشاطبي يوم تبييض هذه الترجمة مائتي سنة، وهذا لا أعلم أنه اتفق في عصر من الأعصار للقراءآت السبع، وإنْ كان اتفق في بعض القراءآت وقتًا ما، وما ذلك إلّا لشدة اعتناء الناس بها. ومن الجائز أن تبقى الشاطبية باتصال السماع بهذا السند إلى رأس الثمانمائة، كذا قاله الجزري. عرض عليه القراءآت جماعة، وأجل أصحابه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي وأمثاله. وسمع عليه القصيدة الإمام أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب وغيره، وبارك الله له في تصنيفه وأصحابه، ولا نعلم أحدًا أخذ عنه إلّا قد أنجب. توفي رحمه الله في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمس مائة بالقاهرة، ودفن بالقرافة بين مصر والقاهرة، وقبره مشهور معروف يزار. قال الجزري: وقد زرت قبره مرات، وعرض على بعض أصحابي الشاطبية عند قبره، ورأيت بركة الدعاء عند قبره بالإجابة، رحمه الله ورضي عنه.

وأما الشيخ السخاوي[٢] فهو علي بن محمد بن عبد الصمد ابن عبد الأحد بن عبد الغالب بن عطاء، الإمام العلّامة، علم الدين، أبو الحسن الهمداني السخاوي، المقرىء المفسّر النحوي اللغوي الشافعي، شيخ مشايخ الإقراء بدمشق. ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسماية بسخا[٣] من عمل مصر، وسمع باسكندرية من السلفي وأبي الطاهر بن عوف،

(١) كذا في الأصل، والصواب، التي لموافقة الصفة لموصوفها في التأنيث.
(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٤، البداية والنهاية ١٣/ ١٧٠، طبقات القراء ١/ ٥٦٨، إنباه الرواة ٢/ ٣١١، بغية الوعاة ٣٤٩، طبقات الشافعية ٥/ ١٢٦، مرآة الجنان ٤/ ١١٠، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٢.
(٣) قرية من الصعيد بمصر.

وبمصر من عساكر بن علي[١] والبوصيري وابن ياسين[٢] وغيرهم. قرأ القراءآت بالديار المصرية على ولي الله أبي القاسم الشاطبي وبه انتفع، وعلى أبي الجود[٣] وأبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي وعساكر بن علي، ثم رحل إلى دمشق فقرأ القراءآت الكثيرة على أبي اليمن الكندي[٤] وأخذ عنه النحو واللغة والأدب، وسمع من كثير من العلماء وغيرهم. وكان إمامًا علامة محققًا مقرئًا، مجودًا بصيرًا بالقراءآت وعللها، إماما في النحو واللغة والتفسير والأدب، أتقن هذه العلوم إتقانًا بليغًا، وليس في عصره من يلحقه فيها. وكان عالمًا بكثير من العلم غير ذلك، مفتيًا أصوليًا مناظرًا، وكان مع ذلك دينًا خيرًا متواضعًا مطرح التكلّف، حلو المحاضرة حسن النادرة، حاد القريحة، من أذكياء بني آدم، وافر الحرمة كبير القدر محببًا إلى الناس، ليس له شغل إلّا العلم والإفادة. أقرأ الناس نيفًا وأربعين سنة بجامع دمشق عند رأس يحيى بن زكرياء عليهما السلام، ثم بتربة أم الصالح، ولأجله بنيت وبسببه جعل شرطها على الشيخ أن يكون أعلم أهل البلد بالقراءآت، فقصده الطلبة من الآفاق وازدحموا عليه وتنافسوا في الأخذ عنه. قال الحافظ أبو عبد الله في تاريخ الإسلام: قرأ عليه خلق كثير إلى الغاية، ولا أعلم أحدًا من القراء في الدنيا أكثر أصحابًا منه. وعدّ الجزري من أصحابه ما ينيف على عشرين، وألّف من الكتب شرح الشاطبية وسمّاه فتح الوصيد، وهو أول من شرحها بل هو والله أعلم سبب شهرتها في الآفاق، وإليه أشار الشاطبي بقوله: يقيّض الله لها فتى يشرحها. وشرح الرائية للشاطبي وسمّاه الوسيلة إلى شرح العقيلة، وله كتاب المفضل في شرح المفصل في النحو، وهو كتاب نفيس في أربعة أسفار. وله شرح آخر على المفصل في النحو وسماه سفر السعادة[٥] وسفير الإفادة، وشرح الأحاجي النحوية للزمخشري وهو من أجلّ الكتب في موضوعه، والتزم أن يعقب كل أحجيتين للزمخشري بلغزين من نظمه، وكتاب التفسير وصل فيه إلى الكهف في أربعة أسفار، ومن وقف عليه علم مقدار هذا الرجل ففيه من النكت واللطائف والدقائق ما لم يكن في غيره، وكتاب القصائد السبع في مدح سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وشرحه الشيخ أبو شامة، وكتاب المفاخرة بين دمشق والقاهرة وغير ذلك من الكتب. قال ابن خلكان: رأيته راكبًا إلى الجبل وحوله إثنان أو ثلاثة يقرءون عليه في أماكن مختلفة دفعة واحدة وهو يرد على الجميع، قال الذهبي: وفي نفسي شيء من صحة الرواية على هذا النعت لأنه لا يتصور أنْ يسمع مجموع الكلمات. قال الجزري: بل في

---

(١) هو عساكر بن علي، أبو الجيوش، توفي عام ٥٨١هـ. مقرىء. له رواية وعدة مصنفات.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢١/ ١٣٠.

(٢) هو سعيد بن محمد بن ياسين بن عبد الملك بن مفرج، أبو منصور البغدادي البزاز السَّفار. توفي عام ٦٣٤هـ، محدث مسند، له عدة كتب.
انظر عنه: العبر ٥/ ١٣٧، شذرات الذهب ٥/ ١٦٤، سير اعلام النبلاء ٢٣/ ٥، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٨.

(٣) هو غياث بن فارس بن مكي اللخمي المنذري المصري الفرضي النحوي. أبو الجود. ولد عام ٥١٨هـ، وتوفي عام ٦٠٥هـ. إمام محقق، شيخ المقرئين في عصره. له مصنفات. انظر عنه: تاريخ الإسلام ١٨/ ٢٠٣، العبر ٥/ ١٣، غاية النهاية ٢/ ٤، سير اعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٣، النجوم الزاهرة ٦/ ١٩٦، بغية الوعاة ١/ ٢٣٧.

(٤) هو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري، أبو اليمن، تاج الدين الكندي. ولد عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م. متوفي عام ٦١٣هـ / ١٢١٧م. أديب، كاتب شاعر، عالم. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ٥٧، مرآة الزمان ٨/ ٥٧٥، وفيات الأعيان ١/ ١٩٦، الجواهر المضيئة ١/ ٢٤٦.

(٥) و(سفر السعادة) كتاب صنفه المجد الفيروز آبادي باللغة الفارسية، وبيَّن فيه الموضوعات من الأحاديث. (هامش الأصل).

النفس مما قاله الذهبي شيء، ألم يسمع وهو يرد على الجميع من أنّ السخاوي لا نشك في ولايته. وقد أخبرني جماعة من الشيوخ الذين أدركتهم عن شيوخهم أنّ بعض الجنّ كان يقرأ عليه، هذا ما ذكره الجزري. قال أبو شامة: وفي ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وست مائة توفي شيخنا علم الدين علامة زمانه وشيخ أوانه الشيخ السخاوي، وكانت ولادته سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمس مائة.

وأما الشيخ الجعبري[(١)]، فهو أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس، العلامة الأستاذ أبو محمد الربعي الجعبري السَّلفي بفتحتين نسبة إلى طريقة السلف، محقق حاذق ثقة كبير. شرح الشاطبية والرائية، وألّف التصانيف في أنواع العلوم. ولد سنة أربعين وست مائة أو قبلها تقريبًا بربض قلعة جعبر، وقرأ السبعة على مشايخ كثيرة، واستوطن بلد الخليل عليه أفضل السلام. وكان فقيهًا مقرئًا متفننًا، له التصانيف المفيدة في القراءة والمعرفة بالحديث وأسماء الرجال، وشرح الشاطبية وسمّاه كتاب كنز المعاني، وشرح الرائية أيضًا، وأحسن في هذين الكتابين سيّما شرح الشاطبية فإنّه أحسن فيه كل الإحسان، ولا يقدر على حلّ رموزه إلّا من برع في علوم القرآن بل العلوم العربية والشرعية أيضًا، ولا يعرف عسر ذلك الكتاب وقدر إتّقانه إلّا من خدمه حق الخدمة. توفي في ثالث عشر شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة.

وأما الشيخ منتجب الدين بن أبي العز بن رشيد، أبو يوسف الهمداني[(٢)]، إمام كامل علامة. كان رأسًا في القراءآت والعربية، صالحًا متواضعًا صوفيًا، قرأ على أبي الجود بمصر، وسمع بدمشق أبا اليمن الكندي وقرأ عليه، وشرح الشاطبية شرحًا لا بأس به، وأعرب القرآن العظيم إعرابًا متوسطًا، وشرح المفصّل للزمخشري، وأجاد، وذكره الذهبي في تاريخ الاسلام وقال: كان سوقه كاسدًا مع وجود السخاوي. وذكره أبو شامة في الذيل وقال: كان مقرئًا مجوّدًا، وانتفع بشيخنا السخاوي في معرفة قصيدة الشاطبي، ثم تعاطى شرح القصيدة فخاض بحراً عجز عن سباحته وجحد حق تعليم شيخنا له وإفادته. قال الجزري: وفي شرحه القصيدة مواضع بعيدة عن التحقيق لأنه لم يقرأ بها على الناظم ولا من قرأ عليه. توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وست مائة بدمشق.

وأما الشيخ الجزري[(٣)]، فهو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، يكنى أبالخير. ولد فيما حققه من لفظ والده في ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبع مائة بدمشق، وحفظ القرآن سنة أربع وستين وصلّى به سنة خمس، وسمع الحديث من جماعة، وأفرد القراءآت على بعض الشيوخ، وجمع السبع في سنة ثمان وستين، وحجّ في هذه السنة، ثم رحل إلى الديار المصرية في سنة تسع، وجمع القراءآت العشر والإثنتي عشر، ثم الثلاث عشر، ثم رحل إلى دمشق وسمع

---

(١) انظر ترجمته في: الاعلام ١/ ٥٥، الأنس الجليل ٢/ ٤٩٦، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٠.

(٢) هو المنتجب بن أبي العز بن رشيد، أبو يوسف، منتجب الدين الهمداني. توفي عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م. عالم بالعربية والقراءات. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٩٠، غاية النهاية ٢/ ٣١٠، شذرات الذهب ٥/ ٢٢٧.

(٣) انظر ترجمته في: الضوء اللامع ٩/ ٢٥٥، طبقات القراء ٢/ ٢٤٧، شذرات الذهب ٧/ ٢٠٤، البدر الطالع ٢/ ٢٥٧.

الحديث من أصحاب الدمياطي[١] والأبرقوهي[٢]، وأخذ الفقه عن الأسنوي[٣] وغيره، ثم رحل إلى الديار المصرية وقرأ بها الأصول والمعاني والبيان، ورحل إلى الإسكندرية وسمع من أصحاب ابن عبد السلام وغيرهم، وأذن له بالإفتاء شيخ الإسلام أبو الفداء إسمعيل بن كثير سنة أربع وسبعين، وكذلك الشيخ ضياء الدين سنة ثمان وسبعين، وكذلك شيخ الإسلام البلقيني سنة خمس وثمانين، ثم جلس للإقرآء، وقرأ عليه القراءآت جماعة كثيرون، وولي قضاء الشام سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة، ثم دخل الروم لما ناله من الظلم من أخذ أمواله وغيره بالديار المصرية في سنة ثمان وتسعين وسبع مائة، فنزل بمدينة برصه[٤] دار الملك العادل المجاهد بايزيد بن عثمان[٥]، فأكمل عليه القراءآت العشر بها جماعة كثيرون من أهل تلك الديار وغيرهم. ولما كانت الفتنة العظيمة المشهورة من قبل تيمورخان في أول سنة خمس وثمانمائة فأخذه الأمير تيمور معه إلى ما وراء النهر وأنزله بمدينة كش ثم إلى سمرقند، وقرأ عليه في كل منهما جماعة كثيرون. ولما توفي الأمير تيمور في شعبان سنة سبع وثمان مائة خرج من بلاد ما وراء النهر فوصل إلى خراسان ودخل إلى هراة ثم إلى مدينة يزد ثم إلى أصبهان ثم إلى شيراز، فقرأ عليه في كلٍ منها جماعة، بعضهم السبعة وبعضهم العشر، وألزمه صاحب شيراز بير محمد قضاء شيراز ونواحيها فبقي فيها كرهًا حتى فتح الله تعالى عليه، فخرج منها إلى البصرة، ثم فتح الله تعالى له المجاورة بمكة والمدينة سنة ثلاث وعشرين. وحين إقامته بالمدينة قرأ عليه شيخ الحرم، وألّف في القراءآت كتاب النشر في القراءآت العشر في مجلدين ومختصره التقريب وتخيير التيسير في القراءآت العشر وطبقات القرآء وتاريخهم كبرى وصغرى التي نقل هذه الترجمة من صغراها. ولما أخذه الأمير تيمور إلى ما وراء النهر ألّف هناك شرح المصابيح في ثلاثة أسفار وألف في التفسير والحديث والفقه، ونظم قديمًا غاية المهرة في الزيادة على العشرة، ونظم طيبة النشر في القراءآت العشر والجوهرة في النحو والمقدمة فيما على قارىء القرآن أن يعلمه وغير ذلك في فنون شتى.

---

(١) هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، أبو محمد، شرف الدين. ولد عام ٦١٣هـ/ ١٢١٧م. وتوفي عام ٧٠٥هـ/١٣٠٦م. حافظ للحديث، فقيه شافعي. ذو مكانة كبيرة في عصره، لغوي، مقرىء، له مصنفات عديدة. انظر عنه: الاعلام ٤/ ١٦٩، فوات الوفيات ٢/ ١٧، البداية والنهاية ١٤/ ٤٠، طبقات الشافعية ٤/ ١٠، شذرات الذهب ٦/ ١٢.

(٢) هو أحمد بن اسحاق بن محمد بن المؤيد، أبو المعالي، شهاب الدين الأبرقوهي، ولد عام ٦١٥هـ/١٢١٨م، وتوفي عام ٧٠١هـ/ ١٣٠٢. عالم بالحديث والقراءات له مصنفات. انظر عنه: الاعلام ١/ ٩٦، شذرات الذهب ٦/ ٤، تاريخ علماء بغداد ٢٠.

(٣) هو محمد بن الحسن بن علي بن عمر الاسنوي، عماد الدين. ولد عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م، وتوفي عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م. فاضل، من الشافعية. له عدة كتب.
الأعلام ٦/ ٨٧، الدرر الكامنة ٣/ ٤٢١، شذرات الذهب ٦/ ٢٠٢.

(٤) ويقال: بورصه أو بروسا، مدينة تركية في الأناضول على بحر مرمرة، سكانها حوالي نصف مليون نسمة. كانت عاصمة العثمانيين بين ١٣٢٧ - ١٤٥٣ م حتى فتح القسطنطينية. فيها مساجد أثرية وتشتهر بالحرير والمصنوعات الحرفية والمياه المعدنية.
انظر: المنجد في الاعلام ١٤٦.

(٥) هو السلطان بايزيد خان ابن السلطان مراد غازي، الملقب بيلدرم بايزيد. تولى السلطة بعد وفاة أبيه عام ٧٩١هـ. اهتم بالعلم والعلماء، وكان من كبار الزهاد الصوفية. وله أخبار ومآثر حميدة.
انظر عنه: البدر الطالع ١/ ١٦٠ - ١٦١.

هذا ما حكاه الجزري عن نفسه في طبقاته الصغرى، نقلته عن خطه. وقال بعض تلامذته بخطه، قال الفقير المغترف من بحاره: توفي شيخنا رحمه الله ضحوة الجمعة لخمس خَلَوْن من أول الربيعين سنة ثلاث وثلاثين وثمان مائة بمدينة شيراز، ودفن بدار القرآن التي أنشأها وكانت جنازته مشهودة تبادر الأشراف والخواص والعوام إلى حملها وتقبيلها ومسّها تبرّكًا بها، ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرّك بمن تبرّك بها. وقد إندرسَ بموته كثير من مهام الاسلام رضي الله عنه وعن أسلافه وأخلافه.

وكان للشيخ المذكور ابنان فاضلان: أحدهما وهو الأكبر: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، أبو الفتح الشافعي[١]. قال الشيخ رحمه الله: ولد هو في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وسبع مائة بدمشق، حفظ القرآن وله ثمان سنين، واستظهر الشاطبية والرائية ومنظومتي الهداية، وشرع في الجمع بالعشر عليَّ، ثم رحلت به إلى الديار المصرية وقرأ القراءآت من شيوخها، ثم اشتغل بالفقه وغيره فحفظ عدة كتب في علوم مختلفة، كالتنبيه[٢] للإمام أبي اسحاق، وألفية ابن مالك[٣]، ومنهاج[٤] البيضاوي، وتلخيص المفتاح[٥] والمنهج[٦] في أصول الدين لشيخه شيخ الاسلام البلقيني، وألفية[٧] شيخه العراقي في علوم الحديث، وغير ذلك. وقرأ محفوظاته مراتٍ على شيوخ عصره، وأجازوه، وأذن له بالإفتاء والتدريس شيخه الإمام برهان الدين الأنباسي. قال الشيخ: لما دخلت الروم باشر وظائفه بدمشق ودرّس وأقرأ حتى اخترمته يد المنون فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. ومات بمرض الطاعون سنة أربع عشر وثمان مائة وإنا لله وإنا إليه راجعون، وأنا بشيراز ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

وثانيهما وهو الأصغر، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الجزري أبو الخير[٨]. قال الشيخ: ولد هو في جمادي الأولى سنة تسع وثمانين وسبع مائة بعد عودنا من مصر وإتمام أخيه القراءآت، وأجازه مشايخ العصر، وحضر على أكثرهم، ثم رحلت به وبإخوته إلى مصر فسمع الشاطبية وسائر كتب القراءآت من مشايخ مصر بقرآءة أخيه أبي بكر أحمد، ولما عدنا إلى

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، أبو الفتح الشافعي.
انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/٢٥١.

(٢) ورد سابقًا.

(٣) الألفية في النحو، للشيخ العلامة جمال الدين أبي عبدالله محمدبن عبد الله الطائي الجياني المعروف بابن مالك النحوي (-٦٧٢هـ).
كشف الظنون ١/١٥١، معجم المطبوعات العربية ٢٣٣.

(٤) منهاج الوصول إلى علم الأصول، مختصر للقاضي الإمام ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي (-٦٨٥هـ).
كشف الظنون ٢/١٨٧٨.

(٥) تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، للشيخ الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق (-٧٣٩هـ).
كشف الظنون ١/٤٧٣.

(٦) منهج الأصلين في أصول الدين لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني (-٨٠٥هـ).
كشف الظنون ٢/١٨٨٠، هدية العارفين ١/٧٩٢.

(٧) ألفية العراقي في أصول الحديث، للشيخ الإمام الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (-٨٠٦هـ).
كشف الظنون ١/١٥٦.

(٨) هو محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، أبو الخير.
انظر ترجمته في: غاية النهاية ٢/٢٥٢.

دمشق سمع البخاري[١]، ولما دخلت الروم حضر إليَّ في سنة إحدى وثمان مائة فصلى بالقرآن وحفظ المقدمة والجوهرة، وأكمل عليَّ جميع القراءآت العشر في ذي القعدة سنة ثلاث، ثم أعادها في ختمة أخرى فختمها يوم الإثنين وهو يوم الوقفة تاسع ذي الحجة سنة أربع وثمان مائة، ثم لحقني إلى مدينة كش في أيام الأمير تيمور في أوائل سنة سبع وثمان مائة، ثم كان في صحبتي إلى شيراز وأكمل بها أيضًا القراءآت العشر من شهور سنة تسع وثمان مائة.

وللشيخ ولد آخر إسمه أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الجزري أبو بكر[٢]. قال الشيخ: ولد هو ليلة الجمعة سابع عشر شهر رمضان سنة ثمانين وسبع مائة بدمشق، أجازه مشايخ عصره بدمشق، ختم القرآن سنة تسعين وصلى به سنة إحدى، وحفظ الشاطبية والرائية وقصيدتي في العشرة، ثم قرأ بالقراءآت الاثني عشر بقراءة أخيه أبي الفتح، ثم قرأ ثانيًا القراءآت العشر، وأجازه المشايخ، وقرأ عليَّ كتابي النشر والطيبة، وسمعها غير مرة، وحفظ كتبًا، وكتب عن الشيخ الحافظ العراقي وغيره وسمع البخاري. ولما دخلت الروم لحقني بكثير من كتبي فأقام عندي يفيد ويستفيد، وانتفع به أولاد الملك العادل بايزيد بن عثمان الكامل محمد، والسعيد مصطفى والأشرف موسى، وصار متولى الجامع الأكبر البايزيدي بمدينة برصه، ونشأ مع دين وعفاف أسعده الله وبارك فيه. ثم لما وقعت الفتنة التيمورية فأرسله تيمورلنك رسولًا إلى السلطان الناصر فرج بن برقوق ففارقني نحو عشرين سنة هو بالروم وأنا بالعجم مع الأمير تيمور. ولما يسر الله تعالى لي الحج في سنة سبع وعشرين وثمان مائة كتبت إليه فحضر عندي واجتمعنا بمصر نحو ستة عشر يومًا، وتوجهت إلى الحج، وجاورت، وأقام هو بمصر من شوال سنة فحجّ معي سنة ثمان ورجعنا جميعًا إلى الديار المصرية، وتوجه إلى الروم ليحضر أهله، ففارقته بدمشق في جمادى الآخرة سنة تسع. ولما كان بمصر في غيبتي وأنا مجاور بمكة شرح طيبة النشر فأحسن فيه ما شاء مع أنه لم يكن عنده نسخة بالحواشي التي كنت كتبت عليها، ومن قبل ذلك شرح مقدمة التجويد ومقدمة علم الحديث من نظمي في غاية الحسن. وولاه السلطان الأشرف برسباي[٣] وظائف أخيه أبي الفتح رحمه الله تعالى من المشيخة والإقرآء والتدريس وتوجه لإحضار أهله من الروم وتوجهت أنا لذلك إلى العجم، والله تعالى يجمع شملنا في خير وذلك سنة تسع وعشرين وثمان مائة.

وللشيخ غير هؤلآء إبنان أبو البقاء اسمعيل وأبو الفضل إسحاق، وبنات فاطمة وعائشة وسلمى، جميع هؤلآء من القرآء المجوّدين والمرتلين، ومن الحفاظ المحدّثين، طاب أصلُ هؤلآء فروعه، وطوبى لفروع هذا أصلهم. ويا حبذا بيت هؤلآء أهله، وفخرًا لساكن مثل هذا البيت محله. رضي الله عنهم وأرضاهم، وأسكننا في فردوس الجنان وإياهم إنه قريب

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد البخاري، علاء الدين. ولد عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م. وتوفي عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م. فقيه، من كبار الحنفية، مقريء. له الكثير من المصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٧/ ٤٦، شذرات الذهب ٧/ ٢٤١، الضوء اللامع ٩/ ٢٩١.

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري أبو بكر.
انظر ترجمته في: غاية النهاية ١/ ١٢٩.

(٣) هو برسباي الدقماقي الظاهري، أبو النصر، السلطان الملك الأشرف ولد عام ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م. وتوفي عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م. من ملوك مصر المملوكية له أخبار مشهورة.
انظر عنه: الاعلام ٢/ ٤٨، ابن اياس ١/ ٢٥٨، الضوء اللامع ٣/ ١٠.

مجيب، عليه توكلت وإليه أنيب.

علم القرانات(*)

إعلم أنّ القِران هو اجتماع كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة[١] في درجة واحدة من برج واحد، ويبحث في هذا العلم عن الأحكام الجارية في هذا العالم بسبب قِران السبعة كلّها أو بعضها في درجة واحدة من برج معيّن.

وأعلم أنّ أرباب النجوم زعموا أنّ الكواكب السبعة كانت مقترنة في أول الميزان في مبدأ العالم، ثم تفرقت. فمتى اجتمعوا في برج واحد يكون سببًا لحادث عظيم بإذن الفاطر الحكيم القادر العليم في عالم الكون والفساد، كحدوث طوفان عظيم، منها طوفان نوح عليه السلام، أو تبدّل ملة كبعثة الأنبياء، أو دولة كغلبة إسكندر وجنكيزخان وتيمور وأمثالهم[٢] حسب تفاوت القرانات في البروج، وفي قران الكل أو البعض. ولنصير الدين الطوسي تآليف في هذا الباب، وكذا لجاماسب الحكيم.

وأعلم أنّ من القرانات ما يكون في كل عشرين سنة، ومنها ما يكون في كل مائتين وأربعين سنة، ومنها ما يكون في كل تسع مائة وستين سنة، ومنها ما يكون في كل ثلاثة آلاف سنة وثمانية وأربعين سنة مرة، ومنها ما يكون في كل سبعة آلاف سنة مرة،[٣] والله أعلم بحقيقة الحال.

علم قرض الشعر(**)

علم باحث عن أحوال الكلمات الشعرية لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسنها وقبحها من حيث إنّها شعر. وحاصله تتبع أحوال خاصة بالشعر من حيث الحسن والقبح والجواز والامتناع وأمثالها. وغرضه تحصيل ملكة إيراد الشعر على تلك الأحوال الخاصة. وغايته الاحتراز عن الخطاء في ذلك الإيراد. ومبادئه مقدّمات حاصلة من تتبع أشعار العرب استحسانات تقبلها الطّباع السليمة. ورأيت كتابًا منظومًا في هذا العلم وأنا في عنفوان الشباب في زمن اشتغالي بالعلوم الأدبية لكن لم أتذكر اسمه واسم مصنفه في هذا الآن، والله المستعان.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) كذا في الأصل. قال:

هفت كوكب كه هست عالم را	گاه زايشان نظام وگاه خلل
نام هريك ازآن ستاره كنون	بردهم تا بآخراز الأل
قمر است وعطارد وزهره	شمس ومريخ ومشتري وزحل

وترجمته في العربية مانصه:

الكواكب السبعة التي بها يكون نظام العالم، وحينا الخلل.

واسم كل واحد من هذه النجوم الآن اسوقها إلى الآخر من الأول: القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل.

(٢) أما الأول فمن الأمم السالفة، والثاني من أمة الدعوة، والثالث من أمة الإجابة. (هامش الأصل).

(٣) ونظيره كما ورد في هذا البيت الفارسي:

آسمان در دور هفتم بعد سال شش هزار	زاده خورشيدي كه تخنش تاج سعدان آمده

وترجمته باللغة العربية: السماء في الدور السابع بعد ستة الاف سنة جاء ابن الشمس الذي تخته تابع للسعد

قيل: هذا البيت من الخاقاني في نعت النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم. (هامش الأصل).

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

علم القرعة(*)

وهو علم يستعلم بذلك ما سيحدث في الاستقبال بطريق وقوع شكل من الأشكال التي تكتب عليها حروف، ويستدل بذلك على المطلوب، وذلك مثل علم الرمل بعينه، فاعتبر أحواله منه، إلّا أنه أضعف دلالة من الرمل مع ضعف دلالة الرمل كما ذكرناه.

علم القضاء(**)

وهو علم باحث عن آداب تختص بالقضاة، وقد اعتنى العلماء بشأن القضاء، فأفردوا آداب القضاء في تصنيف يستقل. وأشهر التصانيف في ذلك: كتاب الخصاف[١]، وغير ذلك من الكتب المشهورة التي يعرفها أهلها.

علم قلع الآثار من الثياب(***)

وتعريفه ظاهر من اسمه، لكنه علم شريف، يقدر به الانسان على إزالة الأدهان والصموغ والألوان التي يعسر إزالتها عن الثياب بأدنى شيء وأدنى حيلة، ويقدر على إزالة الأدهان عن أوراق الكتب، بل يقدر على إزالة الخط عن الأوراق من غير كشط ولا بقاء أثر فيها، وهذا من أعظم الحيل، ولا بد من كتمانها إذْ يؤول إلى إبطال الصكوك والسجلات وأمثالها.

فائدة: دبغ التوت الشامي يزول بورقها، وكذا دبغ التوت الحلو يزول بورق التوت الحلو، ودبغ العنب الأبيض يزول بالعنب الأسود وبالعكس، والآثار المجهولة في الثياب تزول بالنقع في خرء الحمام طول الليل، ثم يغسل بكرة بالصابون فإنها تنقلع.

علم قواعد العقائد(****)

وهي أصل الأصول، ومبنى الاسلام، ومقدمة جميع الأحكام، ومبناها تصحيح كلمتي الشهادة وتفصيلهما، ويرجع إلى معرفة المبدأ والمعاد.

ولما كان تفصيلها خارجًا عن طوق هذا الكتاب، وصارت كتب السلف مشحونة بها، ضربنا عن ذلك صفحًا والله الموفق.

وإجمال هذا الكلام أنّ هذا الركن من الاسلام على أربعة أركان، كل ركن عشرة أصول:

الركن الأول: معرفة الله عز وجل، ومداره على عشرة أصول، وهي: العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه، وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض، وأنه ليس مختصًا بجهة.

الركن الثاني: في صفاته، وهي أيضًا عشرة أصول، وهي: العلم بكونه حيًا عالمًا قادرًا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلمًا، متنزهًا عن حلول الحوادث، وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة.

الركن الثالث: في أفعال الله تعالى، ومداره أيضًا على عشرة أصول، وهي: أنّ أفعاله مخلوقة له تعالى، وأنها مكتسبة للعباد، وأنها مرادة لله تعالى، وأنه متفضل بالخلق، وأنه له تعالى

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثالث في فروع أحكام النجوم، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب السابع في فروع علم الفقه من مطالب الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها

(١) كتاب الخصال، للشيخ أبي بكر أحمد بن عمر بن يوسف الخفاف الشافعي (-٢٦١هـ) صاحب الشروط ببغداد. كشف الظنون ٢/١٤١٦.

(***) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) هذا هو الأصل الثاني من أصول الشعبة الأولى في العبادات من شعب الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

تكليف ما لا يطاق، وله إيهام البرى، ولا يجب عليه رعاية الأصلح، وأنه إلّا بالشرع، وأن بعثة الأنبياء جائزة، وأنّ نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة لا واجب مؤيدة بالمعجزات.

الركن الرابع: في السمعيات، ومداره أيضًا على عشرة أصول، وهي: إثبات الحشر، وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والميزان والصراط، وخلق الجنة والنار، وأحكام الإمامة.

وإذا عرفت هذا الإجمال فاطلب تفاصيلها من كتب القوم، والغرض بيان عقيدة أهل السنَّة، وأنهم بأي عقيدة يمتازون عما عداهم من أهل البدع والأهواء، نسأل كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين، والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده.

علم القوافي(*)

علم يبحث فيه عن تناسب أَعجاز البيت وعيوبها. وغرضه تحصيل ملكة إيراد الأبيات على أعجاز متناسبة خالية عن العيوب التي يتنفر عنها الطبع السليم على الوجه الذي اعتبره العرب. وغايته الاحتراز عن الخطاء فيه. ومبادئه مقدمات حاصلة من تتبع أعجاز أشعار العرب. ومن الكتب المختصرة فيه: كتاب الايكي[١]، ومن المتوسطة: كتاب لابن القطاع[٢] وهو علي بن جعفر بن علي السعدي المعروف بابن القطاع الصقلي. قال ياقوت: كان إمام وقته بمصر في علم العربية وفنون الأدب، قرأ على أبي بكر الصقلي وروى عنه الصحاح للجوهري، وكان نقاد المصريين ينسبونه إلى التساهل في الرواية، وذلك أنه لما قدم مصر سألوه عن الصحاح فذكر أنّه لم يصل إليهم. ثم لما رأى اشتغالهم به ركب لهم اسنادًا وأخذه الناس عنه مقلدين له. صنف: أبنية الأفعال، أبنية الأسماء، حواشي الصحاح، تاريخ صقلية، الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة، وغير ذلك. ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربع مائة، ومات سنة خمس أو أربع عشرة وخمسة مائة، ودفن بقرب ضريح الإمام الشافعي رحمة الله عليه.[٣]

ومن المبسوطة: كتاب لابن سيده[٤]، وكتاب الكافي في علمي العروض والقوافي في شرح القصيدة الغراء والخريدة الحسناء[٥] لصدر الدين الساوي، ولابن عصفور كتاب[٦] جمّ الفوائد. وما أورده السكاكي في كتاب المفتاح كافٍ فيه،

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) عروض الايكي، مختصر بديع.
كشف الظنون ٢/ ١١٣٥.

(٢) العروض البارع بالإختصار والجامع، تأليف أبي القاسم علي بن حعفر بن علي بن محمد المعروف بابن القطاع السعدي الصقلي المصري(-٥١٥هـ).
كشف الظنون ٢/ ١١٣٤.

(٣) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٢/ ٢٧٩، إنباه الرواة ٢/ ٢٣٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٢٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٨، شذرات الذهب ٤/ ٤٥، مرآة الجنان ٣/ ٢١٢، لسان الميزان ٤/ ٢٠٩.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده اللغوي (-٤٥٨هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٦١٦.

(٥) قصيدة لامية ضاهى [تضاهى] الحاجبية لصدر الدين محمد بن ركن الدين محمد الساوي (-؟هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٣٧٧، ١١٣٦.

(٦) الممتع في التصريف لابن عصفور علي بن مؤمن الحضرمي الاشبيلي (-٦٦٩هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨٢٢.

وأكثر كتب العروض مذيلة بعلم القوافي.

علم قوانين الكتابة(*)

وهو علم يعرف منه كيفية نقش صور الحروف البسائط، وكيف يوضع القلم، ومن أي جانب يبتدأ في الكتابة، وكيف يسهل تصوير تلك الحروف. ومن المصنفات فيه الباب الواحد من: كتاب صبح الأعشى[١].

علم قود العساكر والجيوش(**)

وهو علم باحث عن ترتيب العساكر ونصب الرؤساء. وذكر في الأحكام السلطانية[٢] للماوردي ما يكفي في هذا الباب لضبط أحوالهم، وتهيؤ أرزاقهم، وتمييز الشجاع عن الجبان، والقوي عن الضعيف، ويحسن إلى الأقوياء والشجعان، فوق إحسان الضعفاء من الأقران، ثم يستميل قلوب الشجعان بأنواع اللطف والإحسان، ويهيىء لهم ألبسة الحروب وما يليق بهم من السلاح، ثم يأمر كلًّا منهم بالزهد والصلاح، ليفوزوا بالخير والفلاح، ويأمرهم أن لا يظلموا أحدًا، ولا ينقضوا عهدًا، ولا يهملوا ركنًا من أركان الشريعة، فإنه إلى استئصال الدولة ذريعة. ولقد سمعت من مشايخي العظام، وشاهدت مرارًا في سوالف الأيام، أنّ من تعرّض لحرم الشريعة وأركان الاسلام لن يفلح أبد الآباد، ولا يمهله ربّ العباد.

يحكى أن الخشوار ملك الهياطلة، لما أسر عنده فيروز بن يزدجرد ملك فارس، أخذ عليه عهدًا أنْ لا يقصده بمكروه، فأطلقه ووضع تخوم أرض الهياطلة صخرة، وعهد أن لا يتجاوزها. ولما رجع فيروز إلى دار ملكه داخلته الحمية والأنفة، فقصد الخشوار بسوء، فحذّره وزراؤه فلم يسمع، وقال: مؤبذ موبذان[٣]، يعني حافظ حفظه الدين، وهو عندهم كالنبي: لا تفعل أيّها الملك، فإنّ ربّ العالم يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا في هدم أركان الشريعة، وإنّ العهود والمواثيق من أركانها. فقال فيروز: إني حلفت أنْ لا أتجاوز الصخرة وأنا آمر بحملها على فيل، ولا يتجاوزه أحد من جنودي، فغلب على فيروز سلطان الهوى فآل أمره إلى ما آل، على ما بُيِّن في كتب التواريخ كيفية الحال.

اللهم اعصمنا مما لا ترضاه من سوء الأفعال، وخطاء الأقوال، إنَّك الكريم المتعال.

علم قوس قزح(***)

وهو علم باحث عن كيفية حدوثه، وسبب حدوثه، وسبب استدارته، واختلاف ألوانه، وحصوله عقيب الأمطار وطرفي النهار، وحصوله في النهار كثيرًا، وفي ضوء القمر في الليل أحيانًا، وأحكام حدوثه في عالم الكون والفساد،

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ثم المصري (-٨٢١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٧٠.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع الحكمة العملية، ضمن علوم الدوحة الخامسة في الحكمة العملية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) الأحكام السلطانية للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي (-٤٥٠هـ). كشف الظنون ١/ ١٩.

(٣) في النسخة المصرية: مربذ موبذ.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

إلى غير ذلك من الأحوال.

علم قيافة الأثر ويُسمّى علم العيافة(*)

وهو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في الطرق القابلة للأثر، وهي التي تكون تربة حرّة تتشكل بشكل القدم. ونفع هذا العلم بَيِّن، إذْ القائف يجد بهذا العلم الهراب من الناس والضوال من الحيوان بتتبع آثارها وقوامها بقوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة، حتى سمعت بعض من اعتنى بهذا العلم أنهم يفرِّقون بين أثر قدم الرجل وأثر قدم المرأة، وبين أثر قدم الشيخ والشاب، والله أعلم بالصواب.

علم قيافة البشر(**)

وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات الأعضاء في الإنسان على الاشتراك بينهما في النسب والولاد وفي سائر الأخلاق والأحوال. ويختص هذا الاستدلال بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج، وآخرين يقال لهم بنو لهب، وذلك بمناسبة طبعية حاصلة فيهم لا يمكن تعلمه.

قال بعض الحكماء: خصّ الله تعالى بذلك العرب ليكون سببًا لارتداع نسائهم عما يورث شوب نسبهم وخبث حسبهم وفساد بذورهم وزروعهم، صيانةً للنسبة النبوية، وليكون ذلك شرفًا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا العلم والذي قبله حاصلان بالحدس والتخمين لا بالاستدلال واليقين.

حكى أنّ الامام محمد بن الحسن والإمام الشافعي رضي الله عنهما رأيا رجلًا، فقال محمد: إنه نجار، والشافعي إنه حداد. فسألا عن صنعته فقال: كنت حدادًا والآن نجار.

وإنّما سميت بقيافة البشر لكون صاحبه يتتبع بشرات الإنسان وجلوده وما ينتج ذلك من هيئات سائر الأعضاء خصوصًا الأقدام. ومبنى هذا العلم ما ثبت في المباحث الطبية من وجود المناسبة والمشابهة بين الولد ووالديه، وقد تكون تلك المناسبة في الأمور الظاهرة بحيث يدركها كل أحد، وقد تكون في أمور خفية لا يدركها إلا أرباب الكمال. وتدرك هذه المشابهة بمعونة القوة الباصرة والقوة الحافظة. ولهذا اختلفت أحوال الناس في هذا العلم كمالًا وضعفًا إلى حيث لا يشتبه عليه شيء أصلًا بسبب كماله في القوتين. وهذا العلم موجود في قبائل العرب، ويندر في غيرهم، إذْ لا يمكن تحصيل هذا العلم وكسبه وتعليمه، بل هو متوارث في أعراق مخصوصة من العرب لا يشاركهم فيه غيرهم. ولهذا لم يقع في هذا العلم تصنيف قلّ أو جل.

ويروى أنّ بعضًا من أكابر الفقهاء رأوا التعويل على أصحاب هذا العلم في تصحيح الأنساب كالشافعي رضي الله عنه مستشهدًا بما نقل عن رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم أنّه سُرَّ بقول القائف في أسامة بن زيد وكانا نائمين في قطيفة وقد بدت أقدامهما: إنّ هذه الأقدام بعضها من بعض. وإنما سُرَّ بذلك لما أنّ المشركين طعنوا في نسبه. وقال الشافعي رحمه الله: لو لم يكن حجة لم يسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقول القائف. وقال أبو حنيفة رحمه الله: سُروره لأجل إلزام المشركين بما هو حجة عندهم لا أنّه حجة قطعية في نفس الأمر.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة، في فروع فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

علم كتابة التقاويم(*)

وهو ترتيب خاص يثبتون ما خرج من الزيج من الأعمال على الترتيب الخاص، في أوراق إثني عشر، مجدولة بجداول على وجه خاص، ويرقمونها بأرقام مخصوصة، ويكتبون فيه الشهور الإثني عشر، وما يوجد فيها من المواسم والاختيارات والأحكام إلى غير ذلك مما يعرفه أهله. وبيَّن نصير الدين الطوسي جميع أحوال التقويم ومصطلحاته في رسالة[١] له هي ثلاثون بابًا.

علم الكحالة(**)

وهو علم باحث عن كيفية حفظ صحة العين وإزالة أمراضها. وموضوعه عين الإنسان. والغرض والنفع فيه لا يخفي. وكتاب التذكرة[٢] للمحلي أنفع كتب هذا الفن ونافع في الغاية.

علم الكسر والبسط(***)

هو علم بوضع الحروف المقطعة بأنْ يقطع حروف إسم من أسماء الله تعالى ويمزج مع حروف مطلوبك، ويوضع في سطر، ثم يعمل على طرق يعرفها أهلها حتى يغير ترتيب الحروف الموجودة في السطر الأول في السطر الثاني، ثم وثم إلى أنْ ينتظم عين السطر الأول، فيؤخذ منها أسماء ملآئكة ودعوات تشتغل بها حتى يتم مطلوبه.

علم كسر الشهوتين: شهوة البطن والفرج(****)

وفيه مطالب:

المطلب الأول:

فضيلة الجوع: لا تخفى على أولي الأبصار، وقد كثر ذكرها في الأخبار. قال ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه»[٣].

وقال: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإنّ القلب كالزرع يموت إذا كثر الماء[٤]». وقال: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنه، وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه. فإنْ كان لا بدّ، فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس»[٥].

ثم إنّ في الجوع عشر فوائد:

الأولى: صفاء القلب ونفاذ البصيرة، فإنّ الشبع يورث البلادة بالأبخرة المتصاعدة إلى

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) فصل في التقويم، لمحمد بن محمد بن الحسين الطوسي نصير الدين الفيلسوف (-٦٧٢هـ).
هدية العارفين ٢/ ١٣١.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) يوجد تذكرة الكحالين، لعلي بن عيسى الكحال وهي على ثلاث مقالات. الأولى في حد العين، الثانية في عدد امراضها، الثالثة في الأمراض الخفية عن الحس.
انظر: كشف الظنون ١/ ٣٩٠

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة من العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) هذا هو الأصل الثالث من أصول الشعبة الثالثة في ربع المهلكات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) اتحاف الزبيدي كتاب كسر الشهوتين، باب بيان فضيلة الجوع. . .، ٧/ ٣٨٦.

(٤) اتحاف الزبيدي، كتاب كسر الشهوتين، باب بيان فضيلة الجوع. . .، ٧/ ٣٨٧.

(٥) اتحاف الزبيدي، كتاب كسر الشهوتين، باب بيان فضيلة الجوع وذم الشبع، ٧/ ٣٨٧.

الدماغ ويعمى القلب.

الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر.

الثالثة: الانكسار والذّل، وزوال الفرح والبطر والأشر الذي هو مبتدأ الطغيان والغفلة عن الله، ولا تنكسر النفس ولا تذل كما تذل بالجوع، فإنّ عنده يتمسكن لربه ويخشع له، ويقف على عجزه وذله لما ضاقت حيلته بلقمة طعام فاتته، وأظلمت عليه الدنيا بشربة ماء تأخرت عنه.

الرابعة: أنْ لا ينسى بلاء الله وعذابه فيتذكر عذاب الآخرة وبلاءها.

الخامسة: وهي أكبر الفوائد، كسر شهوات المعاصي فإنّ منشأ المعاصي كلها الشهوات، وتندفع به شهوة الكلام وآفاته من الكذب والغيبة والفحش والنميمة، وشهوة الفرج والجوع يكفي شرها، وغير ذلك من الشهوات للأعضاء الخمسة الباقية من الأعضاء السبعة.

السادسة: دفع النوم ودوام السهر، فإنّ من شبع شرب كثيرًا، ومن كثر شربه كثر نومه، ومن كثر نومه ضاع عمره وتبلّد طبيعته وقسا قلبه.

السابعة: تيسر المواظبة على العبادة فإنّ الأكل والمرض يمنع منها.

الثامنة: صحة البدن فإنّ سبب الأمراض كثرة الأكل، والمرض ينغص العيش ويمنع من الذكر والفكر.

التاسعة: خفة المؤنة، لأنّ من تعوّد الشبع يتقاضاه بطنه فيقول: ماذا تأكل اليوم، فتدخل المداخل من الشبهات والحرام، أو يتعب في الحلال ويمدّ يد الطمع إلى الخلق.

العاشرة: أنْ يتمكن به من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة إلى اليتامى والمساكين.

المطلب الثاني:

طريق الرياضة في كسر شهوة البطن، وللمريد فيه أربع وظائف:

الوظيفة الأولى: أنّ لا يأكل إلّا حلالًا، إذْ العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحر.

الوظيفة الثانية: أنّ يقلل الطعام على التدريج، إذْ النقص دفعة ربما يؤدي إلى اختلال المزاج، مثلًا إنّ كان يأكل رغيفين كل يوم ربع رغيف، وهو إمّا جزء من ثمانية وعشرين جزءًا أو من ثلاثين جزءًا، فيرجع إلى رغيف في شهر ولا يتضرر به. ثم في نقص القوت أربع درجات:

الدرجة الأولى: أنّ يرد نفسه إلى القدر الذي لا يبقى دونه، وهو عادة الصديقين، وهو اختيار سهل التستري. وقال: استعبد الله الخلق بثلاث: بالحياة والعقل والقوة، فإنْ خاف العبد على الأولين أكل وأفطر إنْ كان صائمًا، ويكلف الطلب إن كان فقيرًا. وإنّ خاف على القوة فقط فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدًا، ورأى صلاته قاعدًا مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائمًا مع قوة الأكل.

الدرجة الثانية: أن يرد إلى نصف مد في اليوم والليلة وهو رغيف وشيء مما يكون إلّا ربعة منه منًا، ويشبه أنْ يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثر كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، وهو فوق اللقيمات، لأنّها جمع قلة لما دون العشرة، وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذا كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم.

الدرجة الثالثة: أن يرد نفسه إلى مقدار مد وهو رغيفان ونصف، وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين ويكاد ينتهي إلى ثلثيه ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر. وفي بعض الرواية ثلث للذكر بدل النفس.

الدرجة الرابعة: أنْ يزيد على المد إلى المنّ، ويشبه أن يكون ما وراء المن إسرافًا في حق الأكثرين. وههنا طريق خامس، وهو أنْ يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد، لكنه غلط إذْ قد يشتبه الشهوة الكاذبة بالصادقة لأنّ التميز بينهما مشكل. وقد ذكر

للجوع الصادق علامات: إحداها أن لا تطلب النفس إدامًا، بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان، ومهما طلب خبزًا بعينه أو إدامًا فهو ليس بجوع صادق. وقيل: أنْ يبصق فلا يقع عليه الذباب إذْ لا تبقى فيه دهنية ودسومة، إلّا أنّ معرفة هذه العلامات مشكلة، فالصواب للمريد أن يعمل بما ذكرناه من التقدير.

الوظيفة الثانية: في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضًا درجات:

الأولى: أن يطوى ثلاثة أيام فما فوقها، ومن المريدين من ردّ الرياضة إلى الطي لا إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين وأربعين يومًا، وقع ذلك عن كثير من السلف. وكان أبو بكر رضي الله عنه يطوي ستة أيام، وعبدالله بن الزبير سبعة أيام. قال بعض العلماء: من طوى أربعين يومًا ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية.

الدرجة الثالثة[١]: أن يطوي يومين أو ثلاثة، وهذا قريب الوصول وممكن الحصول.

الدرجة الرابعة: وهي أدناها أنّ يقتصر على أكلة واحدة في اليوم والليلة وما جاوز ذلك إسراف مذموم. روى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم: «كان إذا تغدّى لم يتعش، وإذا تعشى لم يتغد»[٢]. قيل: ومن اقتصر على أكلة واحدة في اليوم فيستحب أنْ يأكلها سحرًا قبل طلوع الفجر، فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح، فيحصل له جوع النهار للصيام، وجوع الليل للقيام، وخلوّ القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس إلى المعلوم، فلا تنازعه قبل وقته. فإنْ كانت نفسه تنازعه بالطعام فيأكل نصفه بعد المغرب ونصفه بعد التهجد. ومن كان يصوم يومًا ويفطر يومًا فلا بأس أنْ يأكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر.

الوظيفة الثالثة: في نوع الطعام وترك الإدام، وأعلى الطعام مخّ البر وإنْ نخل فهو غاية الترفه، وأوسطه شعير منخول، وأدناه شعير لم ينخل. وأعلى الإدام اللحم والحلاوة، وأدناه الملح والخل، وأوسطه المزورات بالأدهان من غير لحم. وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام لئلا تأنس أنفسهم باللذات فيكرهوا الموت ولقاء الله.

وينبغي أن يعلم ههنا أنّ ما ورد من مدح الجوع تارة والأمر بالاعتدال أخرى لا يتضادان، بل الطبع المعتدل الأليق به الجوع المفرط ليتعود الاعتدال، وإلّا فالجوع المفرط في نفسه مذموم. وإنما يمدح لترضى النفس بالاعتدال. وما وقع في الشرع من الاختلاف فبالنظر إلى اختلاف الطبائع. ولهذا يأمر الشيخ المريد بالإفراط في الجوع والاحتماء عن اللذائذ وهو الجوع ويتلذذ بالفواكه.

ومما ينبغي أن يحترز عنه أنْ يشتهي شيئًا ويخفيه عن الناس، بل الأحب أنْ يظهرها إذْ الكذب مع الإخفاء كذبان، فيكون مستحقًا لمتقين ولا يرضى منه إلّا بتوبتين، ولذلك شدّد أمر المنافقين، لأنّ سرّه لكفره كفر آخر استخف بنظر الله إلى قلبه، وعظم نظر المخلوقين. وأن يحترز أنْ يفرح بترك الشهوة ويشتهر بذلك لأنّه قد خالف شهوة الأكل، وأطاع شهوة هي أشدّ منها وهي شهوة الجاه، وذلك كمن هرب عن عقرب إلى حية، وشهوة الرياء بكثير من شهوة الطعام.

المطلب الثالث:

في شهوة الفرج، ولها فائدتان:

احداها: أنْ يقيس للذتها لذة الآخرة فيرغب

---

(١) هكذا في الأصل، ولم يذكر الدرجة الثانية.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب كسر الشهوتين، باب بيان طريقة الرياضة في كسر شهوة البطن، ٧/٤٠٩.

فيها.

وثانيتها: بقاء النسل ودوام الوجود. وفيها آفات إنْ لم تعتدل إمّا إفراطها بأنْ يجرْ إلى اقتحام الفواحش، أو بأنْ يصرف همته التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة، وقد ينتهي بطائفة إلى تناول المقويات فيؤدي إلى التنعم، وبطائفة أخرى إلى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع، ويستسخر عقله لخدمة الشهوة وهو مخدوم لها لا خادم. والعشق مرض قلب فارغ لاهمة له.

وإذا عرفت ذلك، فينبغي للمريد في ابتداء أمره أن لا يشتغل نفسه بالتزويج ليأمن الآفات المذكورة، ولا يترخص بكثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذْ لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى. وكيف لا وكان قد يخشى أحيانًا أن يسرى احتراق قلبه من حبّ الله تعالى إلى قالبه ويقول: كلميني يا عائشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه، كما أنه لا يطيق الصبر عن الله إذا جالس الخلق. وكان يقول: إذا ضاق صدره لذلك: أرحنا يا بلال. وهذا الذي ذكرناه إذا لم تغلبه الشهوة. وإنْ غلبته فليكسرها بالجوع الطويل، وإنّ كان مع ذلك لا يقدر على حفظ العين. وإنْ قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى، وكذا إنْ لم يقدر على حفظ النظر عن الصبيان بل ذلك أكثر في الشر من النساء إذْ يمكن استباحتهن دونهم، والنظر إلى الأمرد حرام ما لم يحصل الفرق بين نظر الأمرد ونظر الخضرة والأزهار في اللذة، إذْ لو مال إليهم أكثر منها صار النظر للشهوة لا للحسن.

علم كشف الدك وإيضاح الشّك(*)

وهو علم يتعرف منه الحيل المتعلقة بالصنائع الجزئية من التجارات وصنعة السمين واللازورد واللعل والياقوت وتغرير الناس في ذلك. ولما كان مبناه محرمًا أضربنا عن تفصيله. وإنْ أردت الوقوف عليه فارجع إلى كتاب المختار[1] المذكور الآن.

علم الكلام

سبق ذكره في علم أصول الدين

علم الكهانة(**)

وهو مناسبة الأرواح البشرية مع الأرواح المجردة من الجن والشياطين واستعلامها منها الأحوال الجزئية الجارية في عالم الكون والفساد، لكنها مخصوصة بالأمور المستقبلة، وكان ذلك في العرب كثيرًا. وآخر من وجد وروى عنه الأخبار العجيبة (شق) و(سطيح) وهما كانا كاهنين مشهورين في العرب في زمان الجاهلية. وقيل: كان وجود ذلك في العرب أحد أسباب معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يخبر به ويحثّ على اتباعه، كما يحكى منهم أخبارهم بمجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ولادته، وكونه نبي آخر الزمان، وخاتم الأنبياء. وفي هذا الباب حكايات غريبة عنهم لا يليق إيرادها بهذا المختصر، فمن أراد الاطلاع عليها فعليه بكتب السير والتواريخ سيما كتاب إعلام النبوة[2] للماوردي إلّا أنهم حجبوا بعد بعث نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عن

(*) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، ضمن عناقيد الشعبة، الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) المختار في كشف الأسرار وهتك الاستار، في علم الحيل، للشيخ الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر الجوبري الدمشقي. كشف الظنون ٢/١٦٢٣.

(**) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، ضمن عناقيد الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) اعلام النبوة، للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي (-٤٥٠هـ). كشف الظنون ١/١٢٦.

الاطلاع على المغيبات، حتى روي لا كهانة بعد النبوة، فلا يجوز تصديقهم بل المصدق يكون كافرًا كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»،[١] عليه الصلوة والسلام. إلّا أنّ المفهوم من كلام الإمام الرازي في كتابه المسمى بالسّر المكتوم[٢] أنّ الكهانة على قسمين: قسم يكون من خواص بعض النفوس، وهذا ليس بمكتسب. وقسم يحصل بالاشتغال على العزائم ودعوة الكواكب، وله طرق مذكورة في كتاب السر المكتوم. ثم إنّ المفهوم من ذلك الكتاب أنّ سلوك هذا الطريق محرم في شريعتنا هذا، فيجب التحرز عن اكتسابه وتحصيله. وأعلم أنّ القسم الأول الذي ليس بمكتسب داخل في علم العرافة، وقد نبهناك عليه هناك فلا تغفل.

علم الكون والفساد(*)

وهو علم باحث عن كيفية الأمطار والثلوج والرعد والبرق وأمثالها، ووجودها في بعض البلاد دون بعض، وفي بعض الأزمان دون آخر، وسبب نفع بعضها وضرر الآخر إلى غير ذلك من الأحوال.

علم كيفية الأرصاد(**)

وهو علم يتعرف منه تحصيل مقادير الحركات الفلكية والقوانين المتعلقة بتحصيلها وكيفية التوصل إليها بالآلات الرصدية. ومنفعته تكميل علم الهيئة وتحصيل الزيجات والاقتدار على تدوينها. كتاب الأرصاد[٣] لابن الهيثم يشتمل على نظري هذا الفن.

علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها(***)

هو علم يبحث فيه عن كيفية تولّد فروع الخطوط المستنبطة عن أصولها، بالاختصار والزيادة، وغير ذلك من أنواع التغيرات، بحسب قوم قوم وغرض غرض معلوم في فنه. وحذاق الخطاطين صنفوا فيها رسائل كثيرة، سيّما كتاب صبح الأعشى فليطلب التفاصيل منها.

علم الكيمياء(****)

وهو علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواصًا لم تكن لها. ولفظ الكيمياء عبراني معرب أصله كيم به، ومعنى ذلك آية من الله. وقد اختلف الناس فيها اختلافًا شديدًا، وكثير منهم قائلون بامتناعها، إلّا أنهم لم يأتوا في إثبات امتناعها إلّا ما يفيد الاستبعاد، والأول غير الثاني. وأما القائلون بإمكانها فمنهم الإمام فخر الدين الرازي استدل على إمكانها في

---

(١) مسند أحمد، ٢/ ٤٢٩.

(٢) السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر النجوم، للإمام فخر الدين محمود بن عمر الرازي (-٦٠٦هـ).
كشف الظنون ٢/ ٩٨٩.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) كتاب الارصاد الكلية لابن الهيثم.
كشف الظنون ٢/ ١٣٨٩.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية، ضمن علوم الدوحة الأولى في بيان العلوم الخطية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

كتابيه المباحث المشرقية والملخص. وحاصل دليله أنّ الفلزات كلها مشتركة في النوعية، والأخلاق الظاهرة منها إنّما هي أمور عرضية يجوز انتقالها لأنّ الاستحالة في الطبيعية غير منكرة. وممن ادعى امتناعها الشيخ ابن تيمية والجوهري[١] وابن الصائغ[٢] إلّا أنهما لم يأتيا بشيء يفيد ظنّ الامتناع فضلًا عن اليقين، وكذلك ليعقوب الكندي رسالة في امتناعها فياليته لو أتى بشيء يفيد الظن.

وأعلم أنّ هذا العلم كان معجزة لموسى عليه السلام علّمها لقارون، فوقع منها ما وقع، ثم ظهر في جبابرة قوم هود، وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد. وممن اشتهر بالوصول إليها مؤيد الدين الطغرائي، يقال إنّه وصل إلى الإكسير، وهو الدواء الذي يدبره الحكماء ويلقونه على الجسد حال انفعاله بالذوبان، فيحيله كإحالة السم الجسد الوارد عليه، لكن إلى الصلاح دون الفساد، ويعبرون عن مادة هذا الدواء بالحجر المكرم. وربما يقولون حجر موسى لأنه الذي علمه موسى عليه السلام لقارون. ويختلف حال هذا الدواء بقدر قوة التدبير وضعفه، حتى أنّ الطغرائي[٣] ألقى المثقال من الإكسير أولًا على ستين ألفًا من معدن آخر فصار ذهبًا، ثم إنه ألقى آخر المثقال على ثلاث مائة ألف.

وحكى أنّ مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد[٤] ألقى المثقال على ألف ألف ومأتي ألف مثقال، وأنّ مارية القبطية كانت تقول: والله لولا خشية الله لقلت إنّ المثقال يملأ ما بين الخافقين، وكان يقول الطغرائي:

ولولا ولاة الجور أصبحت والحصى
بكفي أنى شئت درّ وياقوت

ومن قوله أيضًا:

فذان هما البد وان فاذعن لعلمنا
تنل بهما ما يصبغ الألف دانقة

أقول: ولقد حقّ فيه وفي أمثاله قول القائل:

ويا دارها بالخيف إنّ مزارها
قريب ولكن دون ذلك أهوال

وقول أبي إسحاق المغربي[٥]:

كجوهرالكيمياء ليس يرى
من ناله والأنام في طلبه

وقول القائل:

أعي الفلاسفة الماضيين في الحقب
أنْ يصنعوا ذهبًا إلّا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة
إلّا من الفضة المعروفة النسب

روي أنّ بعض من جرَّب وتعب فأقلقه الوجد وظنَّ أنّ جدّها لعب، كتب على بعض مصنفات جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق رضي الله عنه:

---

(١) لعله محمد بن حسن الجوهري، صدر الدين. توفي عام ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م. عالم، مشارك في العلوم العقلية والنقلية. له مصنفات وتعليقات كثيرة.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٩/ ١٨٧.

(٢) هو محمد بن يحيى بن باجة، المعروف بابن الصائغ، أبو بكر التجيبي الأندلسي السرقسطي. توفي عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م. من فلاسفة الإسلام، عالم بالفلك والطب والموسيقى والطبيعيات، شاعر، له العديد من المؤلفات. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٣٧، وفيات الأعيان ٢/ ٧، طبقات الأطباء ٢/ ٦٢، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٩٥.

(٣) هو مؤيد الدين، أبو اسماعيل، الحسين بن علي، المعروف بالطغرائي. توفي عام ٥١٥هـ. له كتاب: حقائق الاستشهادات في الكيمياء، بيَّن فيه إثبات الصناعة وردّ على ابن سينا في إبطالها بمقدمات من كتاب الشفاء. (هامش الأصل).

(٤) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي. أبو هاشم توفي عام ٩٠هـ/٧٠٨م. حكيم قريش وعالمها في عصره. اشتغل بالطب والكيمياء والنجوم، له عدة رسائل وأخبار.
انظر عنه: الإعلام ٢/ ٣٠٠، البيان والتبيين ١/ ١٧٨، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨.

(٥) الغزّي. (هامش الأصل).

هـــذا الـــذي بـــمـــقـــالـــه
غـــرّ الأوائـــل والأواخـــر
مـــا أنـــت إلّا كـــاســـر
كـــذب الـــذي ســـمـــاك جـــابـــر

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا إلّا أنّه بعيد لأنّ له تصانيف كثيرة تدلّ على وجوده ومهارته في صنعتها. قال أبو الفرج الأصبهاني، صاحب الأغاني، في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية: وكان من رجالات قريش سخاءً وعارضةً وفصاحةً، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره، وأسقط نفسه. وحدثني من أثق به ممن كان يطّلع على أحوال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله أنه كان مغرى بالكيمياء وأنفق فيها مالًا وعمرًا. وقيل إنّ إمام الحرمين رحمه الله مات وهو يفكّ وصلًا من أوصالها فخرج إليه منه لسان نار فقتله. وكان شمس الدين شيخ الربوة المعروف بابن أبي طالب يقول: زعم بعضهم أنّ المقامات للحريري، وكتاب كليلة ودمنة رموز في الكيمياء، سمعته يقول ذلك غير مرة، وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها نسأل الله العفو والعافية.

والعجب من أحوالهم أنهم يطلبون الدنيا بالكيمياء، ولا يزيدهم ذلك إلّا فقرًا ومتربة.

يحكى أنّ واحدًا سأل من أحد مشايخ هذه الصنعة أنْ يعلمه هذه، وخدمه على ذلك سنين كثيرة، فقال: إنّ من شروط تعليم هذه الصنعة تعليمها لأفقر من في البلد، فاطلب رجلًا لا يكون أفقر منه في البلد حتى نعلمه وأنت تبصرها. فطلب مدة رجلًا مثل ما ذكره، فوجد رجلًا يغسل قميصًا له في غاية الرداءة والدرن، وهو يغسله بالرمل ولم يقدر على قطعة صابون. فقال في نفسه: لم أر فقيرًا يغسل ثوبه إلّا ويجد صابونًا، فأخبر الرجل بأني وجدت رجلًا وصفه كيت وكيت، وحاله كذا وكذا، ولم أر أفقر منه. فقال ذلك الرجل: والله إنّ الذي وصفته هو شيخنا جابر بن حيان الذي تعلمت منه الصنعة وبكى. وقال: إنّ من خاصية هذه الصنعة أنّ الواصلين إليها يكونون مفلسين في غاية الإفلاس، كما نقل عن الشافعي رحمه الله: أنّ من طلب المال بالإكسير فقد أفلس. ولقد صدق فيه إلّا أنهم يقولون: إنّ حب الدنيا يرتفع عن قلب من عرفها فلا يؤثر التعب في تحصيلها على الراحة في تركها، حتى قالوا: إنّ معرفة هذه الصنعة نصف السلوك لأنّ نصف السلوك لرفع محبة الدنيا عن القلوب، وذلك يحصل بمعرفتها أي حصول.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّ أصل هذه الصنعة أنّ الفلزات وهي الجواهر التي لا تحرقها النار بل تذيبها، فإذا فارقتها النار عادت إلى الحالة الأولى، وهي هذه المنطرقات السبع وهي: الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير[١] والرصاص والخارصيني، واحدة في ذواتها، والاختلاف الذي فيها ليس في ماهياتها وإنما هو في أعراضها، وتلك الأعراض إمّا مفارق سهل الانتقال، ويشبه أنْ يكون حال الذهب والفضة ونسبة أحدهما إلى الآخر منها، وإمّا لازم عسر الانتقال؛ وعلى كل تقدير داخلة تحت الإمكان إلّا أنها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل. وكيف لا يعسر والصنعة لا تقوم مقام فعل الطبيعة مع أنّ في الطبيعة أيضًا شرائط كثيرة بحيث يندر اتفاقها، ولهذا يندر الذهب والفضة في المعادن فضلًا عن وجودها في الصنعة، وذلك أنّ الزيبق الذي هو أصل الذهب والفضة ينبغي أن يكون في المعدن صافيًا غاية الصفاء، ويكمل نضجه، ثم يختلط به الكبريت النقي بأن يكون آخرًا، وهما على النسبة الأصلية. وينبغي أن يكون حرارة

(١) القصدير الأرزير وهو الرصاص الأبيض. (هامش الأصل).

المعدن في غاية الاعتدال لم يعرض لها عارض من البرد واليبس، ولا شيء من الملوحات والمرارات والحموضات، فحينئذٍ ينعقد من ذلك على طول الزمان بإذن الفاطر الحكيم والقادر العليم الذهب الإبريز. وعلى هذا القياس سائر الجواهر، فتبارك الله الفعال لما يريد.

فانظر أنت وتأمّل بالإنصاف أنّ الإنسان وإنْ بلغ في العلم والحكمة غاية لا يمكن للبشر أنْ يبلغ فوقها، هل يقدر أن يراعى تلك الشرائط على وفق ما يوجد في المعدن؟ وهل هذا إلّا ضرب في حديد بارد سيّما مراعاة النار على القدر الذي ينبغي له قريب من درجة الامتناع؟ قال بعضهم: وعمل الزجاج والفراريج بالديار المصرية مما يطمع العقول في عمل الذهب.

وأعلم أنّ المعتنين بشأن هذا الأمر طوائف: منهم من جمع بين الزيبق والكبريت الطاهر، ودبّره بالنار أشدّ من حرارة المعدن طلبًا لقرب المدة، ليحصل في مدة قريبة ما لا يحصل في المعدن في العرف من السنين، وهذا هو الطريق الصحيح العسر الشاق الصعب في العمل. ومنهم من عرف نسب الفلزات حجمًا ووزنًا، وأَلِف المعادن على هذا النسق وهم يسمون الموازيني. ومنهم من يطلب النتيجة مع جهله بالقياس، ويقصدون كشف المرام مع تماديهم في الالتباس، ويستعينون في هذه المطالب بالتصرف في الفلزات بالحلّ والعقد والتكليس وأمثالها من الأمور الصعاب، واستعانوا في ذلك تارة بالنباتات وأخرى بالحيوانات كالشعر والبيض والمرار ونحوها، ولم يثبتوا على طريقة واحدة، حيرةً منهم في تحقيق الحق وإيضاح الصدق، جعلنا الله وإياكم من الواقفين على إكسير معرفته، والاطلاع على دقائق توحيده، وقطع عنّا حبّ الدنيا والميل إلى حطامها ومزخرفاتها، بحرمة حبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

واعلم أنّ الحكماء وإنْ أشاروا إلى كيفية صنعة الإكسير والحجر لكنهم رمزوها أبعد من الأحاجي والألغاز لما في صيانة ذلك من المصلحة العامة. ومن قصد الوصول إلى ذلك بكتبهم وتعبيراتهم وإشاراتهم فقد صار منخرطًا في الأخسرين أعمالًا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. بل الوقوف على ذلك إنّ كان فبموهبة عظيمة من الملك المنان، أو بواسطة الكشف أو الإلهام من الله ذي الجلال والإكرام، أو بإنعام من جناب الواصلين إلى هذا الأمر المكتوم إشفاقًا وإحسانًا. ولا تتمنّ الوصول إلى ذلك بالجد والاهتمام. إلّا أنّا نذكر هاهنا بعضًا من كتبه إكمالًا للمرام، لا إطماعًا في الوصول إلى ذلك المنوال، منها: كتاب جابر بن حيان[١]، والتذكرة[٢] لابن كمونة[٣]، ورتبة الحكيم[٤] للحكيم

---

(١) كتاب الرحمة في الكيمياء، لجابر بن حيان بن عبد الله الكوفي الطرطوسي أبو موسى (-١٦٠هـ) تلميذ الإمام جعفر الصادق.
كشف الظنون ٢/ ١٤١٩، هدية العارفين ١/ ٢٤٩.

(٢) التذكرة في الكيمياء، لابن كمونة (-٦٨٣هـ).
كشف الظنون ١/ ٣٩٣

(٣) هو سعد بن منصور بن سعيد بن الحسن بن هبة الله، عز الدولة، ابن كمونة. توفي عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. كيميائي، له اشتغال بالمنطق والحكمة. له عدة كتب.
الاعلام ٣/ ١٠٢، كشف الظنون ١/ ٣٩٣، تذكرة النوادر ١٤٤، الذريعة ١٦/ ٣٠٥، هدية العارفين ١/ ٣٨٥.

(٤) رتبة الحكيم في الكيمياء، للشيخ الفيلسوف ابن محمد مسلمة بن أحمد بن عمر بن وضاح المجريطي إمام الرياضيين بالأندلس (-٣٩٥هـ).
كشف الظنون ١/ ٨٣٣.

المجريطي[١]، شرح الفصول[٢] لعيون ابن المنذر. وتصانيف مؤيد الدين الطغرائي كثيرة في هذا العلم ومعتبرة عند أربابها، منها: كتاب مفاتيح الرحمة، ومصابيح الحكمة، وكتاب جامع الأسرار، وكتاب تراكيب الأنوار، ورسالة وسمها بذات الفوائد، وكتاب حقائق الاستشهادات يبين فيه إثبات صناعة الكيمياء والرد على أبي علي بن سينا في إبطالها بمقدمات من كتاب الشفاء. والكتب والرسائل في هذا الباب كثيرة لكن لا خير في الاستقصاء فيها، وإنما التعرض بهذا القدر أنْ لا يخلو كتابنا عنها بالمرة. نسأل الله تعالى خيري الدنيا والآخرة.

علم اللغة(*)

وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي، وعما حصل من تركيب كل جوهر جوهر، وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي، وعن معانيها الموضوع لها بالوضع الشخصي. وموضوعه جواهر المفردات وهيئاتها من حيث الوضع للدلالة على المعاني الجزئية. وغايته الاحتراز عن الخطاء في فهم المعاني الوضعية، والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب. ومنفعته الإحاطة بهذه المعلومات، وطلاقة العبارة وجزالتها، والتمكن من التفنن في الكلام، وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة والأقوال البليغة.

وأعلم أن من أرباب اللغة من استغرق أفكاره التقعر في الألفاظ، وملأ خاطره ملازمة حواشي اللغة، بحيث خاطب به من لا يفهمه. ولا يخفى أنّ الفصاحة فن مطلوب، واستعمال غريب اللغة عزيز حسن، ولكن مع أهله ومع من يفهمه.

حكي أنّ أبا عمرو بن العلاء[٣] قصده طالب ليقرأ عليه، فصادفه بكَلَّاء[٤] البصرة وهو مع العامة يتكلم بكلامهم، لا يفرّق بينه وبينهم، فنقص من عينه. ثم لما دخل الجامع أخذ يخاطب الفقهاء بغير ذلك اللسان فعظم في عينه، وعلم أنه كلّم كلّ طائفة بما يناسبها من الألفاظ، وهذا هو الصواب. ومن ادّعى معرفه اللغة وتكلم مع كل أحد بالعالي والغريب من اللغة فهو ناقص العقل؛ إلّا أنّ بعضًا من العلماء يصير بملازمة اللغة بحيث يختلط بلحمهم ودمهم، ويسبق لسانهم إلى الغريب وإن كانوا يخاطبون من لا يفهمه. كما يحكى أن عيسى بن عمر النحوي[٥] سقط عن حماره وغشي عليه، فلما أفاق وأخذ في الاستواء للجلوس قال: ما

---

(١) هو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبدالله المجريطي، أبو القاسم. ولد عام ٣٣٨هـ/ ٩٥٠م متوفي عام ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م. حكيم، رياضي، فلكي، له كتب ومصنفات عديدة انظر عنه:
معجم المؤلفين ١٢/ ٢٣٤، عيون الأنباء ٢/ ٣٩، تاريخ الحكماء ٣٢٦، الاعلام ٨/ ١٢١.

(٢) شرح الفصول: فصول بقراط من شروحها، شرح للحكيم أمين الدولة أبي الفرج يعقوب بن اسحق القفطي الكركي النصراني (-٦٨٥هـ) في مجلدين وسماه الأصول في شرح الفصول.
ولابن المنذر تعليقة.
كشف الظنون ٢/ ١٢٦٧، ١٢٦٨.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى فيما يتعلق بالمفردات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) أحد القراء السبعة. (هامش الأصل).

(٤) الكلّاء: بالفتح ثم التشديد والمد، محلة مشهورة وسوق بالبصرة. انظر: مراصد الاطلاع ١١٧٣.

(٥) هو عيسى بن عمر الثقفي، أبو سليمان. توفي عام ١٤٩هـ/ ٧٦٦م. من أئمة اللغة، وأول من هذب النحو. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٥/ ١٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٣، ارشاد الأريب ٦/ ١٠٠، خزانة الأدب ١/ ٥٦.

لكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جِنَّةٍ إفرنقعوا عني. معنى تكأكأتم تجمّعتم، افرنقعوا تنحّوا بلغة أهل اليمن. وحكي أن يوسف بن عمر[١] لما ولّي العراق أخذ عيسى بن عمر النحوي يطالبه بوديعة أودعه ابن هبيرة[٢] الوزير إياها، فأمر بضربه فقال والسياط تأخذه: إنْ كانت إلّا أثيابًا في أسيفاط قبضها عشّاروك، وله من هذا النمط شيء كثير.

ويحكى أن علي بن الهيثم مرَّ به فارسي قد ركب حمارًا خلفه جحش، وبيده عِذق قد ذهب بسره إلا قليلًا يقود به بقرةً يتبعها عجل لها، فناداه علي بن الهيثم: يا صاحب البيدانة القمراء، يتلوها تولب بيده شملول، يطبي بها حرزمة يقفوها عجول، أتفائض بعجولك جحجحازهما؟ قال: فالتفت إليه الفارسي وقال: يابا بافارسي هم ندانم. البيدانة الأتان، والقمراء البيضاء الوجه، والتولب ولد الحمار، والشملول العذق، ويطبى يدعو، والحرزمة البقرة الوحشية، والجحجح الكبش، والزهم السمين. ولعله قصد بهذا المؤانسة لبعض الحاضرين، أو بدرت منه هذه الألفاظ بغير قصد وإلّا فهو سخيف العقل.

حكي أنّ أبا علقمة الواسطي مرض فأتاه أعين الطبيب فسأله عن سبب علته فقال: أكلت من لحوم هذه الجوازل، فطست طساةً، فأصابني وجع يمين الوابلة إلى داية العنق، فما زال يتماتى وينتمي حتى خالط الخلب وتألمت له الشراسيف. فقال له أعين: خذ شرففًا وسرقاً فزهزقه ودهدقه. فقال أبو علقمة: أعدْ لي فإني ما فهمت. فقال الطبيب: قبّح الله أقلنا إفهامًا لصاحبه. الجوازل فراخ الحمام، الواحدة جوزل، والطساة الهيضة، والوابلة طرف الكتف وهو رأس العضد، وداية العنق فقارها، ويتماتى يتمدد، وينتمي يزايد، والخِلب بالكسر حجاب القلب، ويقال مضغة فوق الكبد، والشراسيف غضاريف متصلة بالأضلاع.

حكى ابن دريد عن الأصمعي أن أعرابيًا شهد لرجل مشجوج عند صاحب الشرطة فقال: بينا أنا على كودن يضهززني، إذْ مررت بوصيد دار، فإذا أنا بهذا الأحيشب يدع هذا دعًا بترًا شفًا، فعلاه بمنسأته فقهقر، ثم بدره بمثلها فقطره، ثم أدبر وبرأسه جديع يسح نجيعًا على كتده. فقال صاحب الشرطة: شجني وأعفني من سماع شهادة هذا الأعرابي. الكودن البرذون، يضهززني يحركني، الوصيد الباب، الدع الدفع، المنسأة العصا، الأحيشب تصغير الأحشب وهو الغليظ، قهقر رجع القهقرى، قطره ألقاه على أحد قطريه وهما جانباه، السح الصب، النجيع الدم، الكتد ما بين الكاهل إلى الظهر وهو بعيد مغرز العنق.

وذكر الزبير بن بكار[٣]، أنّ بعض المتقعرين كتب إلى وكيل له بناحية البصرة: إحمل إلينا من الخوزج والكنعد الممهورين والأوز الممهوج ولحم مها البيد ما يصلح للتشزيز والقديد. فكتب إليه وكيله: ألعلّك تكفّ عن هذا الكلام تارب قريتك، فإنّ الفلاحين ينسبون من ينطق بهذه الألفاظ إلى الجنون. الكنعد ضرب من سمك البحر، والشيزازة اليبس.

---

(١) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم، أبو يعقوب الثقفي، توفي عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م. أمير العراقين أيام الأمويين. تولى لهشام بن عبد الملك. فصيح، جواد، له أخبار مشهورة.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٥/ ٤٤٢، الأعلام ٨/ ٢٤٣، وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٠، مرآة الجنان ١/ ٢٦٧.

(٢) هو عمر بن هبيرة بن معاوية بن سكين، أبو المثنى الفزاري توفي عام ١٠٧هـ. أمير العراقين. شديد البأس، له أخبار.
انظر عنه: مروج الذهب ٤/ ٣٧، خزانة الأدب ٣/ ١٤٤، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٢.

(٣) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي. أبو عبد الله. ولد عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م. وتوفي عام ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م. عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية له تصانيف عدة.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ٤٢، وفيات الأعيان ١/ ١٨٩، تاريخ بغداد ٨/ ٤٦٧.

حكى أنّ لصًا قصد دار نحويّ فاطلع وناداه: أيّها الطارق، ما الذي أولعك بنا؟ إنّ أردت المال فعليك بابن الجصّاص وفلان وفلان أقوامًا ذوي مال، وإنْ أردت الجاه فعليك بالقضاة، وإنْ أردت الكتابة فعليك بفلان وفلان أقوامًا يكتبون، وإنْ أردت اللغة والنحو فعليك بي، وإن كنت تبغي القرافلجْ الدار وادخل المخدع وأصب من الزاد ما يمسك حشاشة رمقك. فرفع اللص رأسه وقال: لو كانت الجنة دارك ما دخلتها.

حكى أنّ طبيبًا دخل على نحويّ مريض فقال: ما كان أكلك أمس؟ قال: أكلت لحم عطعط، وساقة خرنق، وجوجؤ حنفطان اقتنصه بازي. فلما كان في الدجى أصبت منه معمعة في الحشا وقرقرة في المعا. فقال الطبيب للحاضرين: هذه خفة ارتفعت إلى الدماغ فأصلحوا الغذاء له قبل أن يجن. (العطعط) الجدي، (الخرنق) ولد الأرنب، (الجوجؤ) الصدر، (والحنفطان) بالطاء المهملة الدراج الذكر.

حكى أبو القاسم الراغب قال: ابتاع تلميذ ليعقوب بن إسحاق الكندي جارية فاغتاضت عليه، فشكى حالها إلى يعقوب، فقال له: جئني بها. قال: فلما حضرت عنده قال لها: يا لعوبة، ما هذه الاختيارات الدالات على الجهالات، أما علمت أنّ فرط الاغتياضات من المواقعات على طالبي المودات مؤذنات بعدم المعقولات؟ فقالت الجارية: حيّاك الله وبياك. أما علمت أنّ هذه العفونات المتيسرات على صدور ذوي الرقاعات محتاجات إلى المواسى الحالقات؟ فقال يعقوب: لله درّها، لقد قسمت الكلام تقسيمًا.

واعلم أنّ الحكايات في هذا الباب تخرج عن حدّ الحصر وتقتضي الخروج عن الجد إلى ضرب من الهزل.

والحاصل أنّ ما كان الحامل عليه غلبة هذه الصناعة مذموم، من جهة أنّ ذا الصناعة كان ينبغي أن يقوِّم قلبه ودينه، قبل أن يقوِّم ألفاظه، فاللحن في اللفظ ولا اللحن في الدين. وأمّا ما كان الحامل عليه مجرد التقعر فهو رعونة. ومنهم من تكلّف المسجوع من الكلام حتى انتهى به الحال أن وقع في الكنيف، فجاؤه بكنافين، وكلمه أحدهم لينظر أهو حي فقال: أطلبا لي حبلًا دقيقًا، وشدّاني شدًا وثيقًا، واجذباني جذبًا رفيقًا. فقال أحدهم: أنا والله لا أنقذه فإنه في الكنيف إلى الحلق، ولا يدع الفضول. حكاها صاحب البصائر[1].

ثم إعلم أنّ مقصد علم اللغة مبني على أسلوبين، لأن منهم من يذهب من جانب اللفظ إلى المعنى بأن يسمع لفظًا ويطلب معناه، ومنهم من يذهب من جانب المعنى إلى اللفظ. فبكّل من الطريقين قد وضعوا كتبًا ليصل كلّ إلى مبتغاه، إذْ لا ينفعه ما وضع في الباب الآخر. فمن وضع بالاعتبار الأول فطريقه ترتيب حروف التهجي، إمّا باعتبار أواخرها أبوابًا وباعتبار أوائلها فصولًا، تسهيلًا للظفر بالمقصود كما اختار الجوهري في الصحاح ومجد الدين الشيرازي في القاموس. وإمّا بالعكس أي باعتبار أوائلها أبوابًا وباعتبار غير أوائلها فصولًا، كما اختاره ابن فارس[2] في المجمل[3] والمطرزي[4] في

(١) بصائر النظائر، في اللغة كشف الظنون ١/ ٢٤٦.
(٢) سيأتي الحديث عنه، وانظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٣، معجم الأدباء ٤/ ٨٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٦، يتيمة الدهر ٣/ ٣٦٥، النجوم الزاهرة ١/ ٢١٢، شذرات الذهب ٣/ ١٣٢، وغيرها.
(٣) لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني اللغوي (-٣٩٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٠٤.
(٤) هو ناصر بن عبد السيد أبي المكارم بن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي. ولد بخوارزم عام ٥٣٨هـ ١١٤٤م. وتوفي فيها عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م. أديب، عالم باللغة، فقيه حنفي. من علماء الاعتزال. له العديد من المؤلفات=

المغرب[١]. ومن وضع بالاعتبار الثاني فالطريق إليه أن يجمع الأجناس بحسب المعاني، ويجعل لكل جنس بابًا كما اختاره الزمخشري في قسم الأسماء من كتاب مقدمة الأدب[٢].

ثم إنّ اختلاف الهمم قد أوجب إحداث طرق شتى، فمن واحد أدّى رأيه إلى أنْ يفرد لغات القرآن المجيد، ومن آخر إلى أن يفرد غريب الحديث، وآخر إلى أن يفرد لغات الفقه كالمطرزي في كتاب المغرب، وآخر إلى أن يفرد اللغات الواقعة في أشعار العرب وقصائدهم وما يجري مجراها كنظام الغريب، والمقصود هو الإرشاد عند مساس أنواع الحاجات.

واعلم أنّ أول من دوّن علم اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي[٣] رحمه الله.

فائدة: هو معمر بن المثنى، اللغوي البصري، أبو عبيدة، مولى بني تيم، تيم قريش، رهط أبي بكر الصديق. أخذ عن يونس[٤] وأبي عمرو. وهو أوّل من صنف غريب الحديث. أخذ عنه أبو عبيد وأبو حاتم والمازني والأثرم[٥] وعمرو بن شبة[٦]. وكان أعلم من الأصمعي وأبي زيد بالانساب والأيام. وكان أبو نواس يتعلم منه ويصفه ويذمّ الأصمعي. قيل: دأب الأصمعي الإنشاد والتفرقة[٧] قليل الفائدة، وأبو عبيدة بضد ذلك. وقال يزيد بن مرة: ما كان أبو عبيدة يفتش عن علم من العلوم إلّا يظنّ أنه لا يحسن غيره. أقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد، وقرأ عليه، وكان شعوبيًا. قلت: الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم. وقيل: كان يرى رأي الخوارج الإباضية[٨]. قلت: هؤلآء متابعون فيه لعبد الله بن إباض[٩]، يقولون: مخالفونا من

=الاعلام ٧/ ٣٤٨، بغية الوعاة ٤٠٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، إرشاد الأديب ٧/ ٢٠٢، الفوائد البهية ٢١٨، الجواهر المضية ٢/ ١٩٠.

(١) المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد المطرزي (-٦١٠هـ) اختصره من كتابه المعرب. معجم المطبوعات العربية ١٧٦٠ - ١٧٦١، اكتفاء القنوع ٣٢١.

(٢) مقدمة الأدب في اللغة، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (-٥٣٨هـ): كشف الظنون ٢/ ١٧٩٨.

(٣) انظر ترجمته في: الاعلام ٧/ ٢٧٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٠٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٨، بغية الوعاة ٣٩٥، ميزان الاعتدال ٣/ ١٨٩.

(٤) هو يونس بن حبيب الضبي، أبو عبد الرحمن، ويعرف بالنحوي. ولد عام ٩٤هـ/ ٧١٣م. وتوفي عام ١٨٢هـ/ ٧٩٨م علامة بالأدب، وإمام النحو في عصره في البصرة. له عدة كتب.
الاعلام ٨/ ٢٦١، وفيات الأعيان ٢/ ٤١٦، طبقات النحويين ٤٨، البيان والتبيين ١/ ٧٧، مرآة الجنان ١/ ٣٨٨.

(٥) هو أحمد بن محمد بن هاني الطائي أو الكلبي الاسكافي، أبو بكر الأثرم. توفي عام ٢٦١هـ/ ٨٧٥م. حافظ متقن، له مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٠٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٣٥، تاريخ بغداد ٥/ ١١٠.

(٦) هو عمر بن شبة بن عبدة بن زيد بن رائطة، أبو زيد النميري البصري النحوي. ولد عام ١٧٣هـ، وتوفي عام ٢٦٢هـ. علامة، اخباري، حافظ حجة. له مصنفات. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٩، الجرح والتعديل ٦/ ١١٦، تاريخ بغداد ١١/ ٢٠٨، العبر ٢/ ٢٥، شذرات الذهب ٢/ ١٤٦.

(٧) هكذا في الأصل، وفي المصرية: الزخرفة.

(٨) اتباع عبد الله بن إباض. لمزيد من التفصيل عن هذه الفرقة ومعرفة مبادئها ومعتقداتها، انظر ما ذكره: الفرق بين الفرق ١٠٣، الملل والنحل ١٣٤، مقالات الإسلاميين ١/ ١٧٠، التبصير في الدين ٣٤، المعارف لابن قتيبة ٦٢٢، مروج الذهب ٣/ ٢٥٨.

(٩) هو عبد الله بن إباض المقاعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقاعس. توفي حوالي العام ٨٦هـ/ ٧٠٥م. رأس الإباضية. اضطرب المؤرخون في سيرته. كان معاصرًا لمعاوية. وناظر العلماء. الاعلام ٤/ ٦١، الكامل ٢/ ١٧٩، الأغاني ٧/ ٢٣٠، خطط المقريزي ٢/ ٣٥٥، شذرات الذهب ١/ ١٧٧.

أهل القبلة كفار غير مشركين، وإنّ مرتكب الكبيرة موحّد غير مؤمن، ومرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة لا كفر ملة، وكفّروا عليًا رضي الله عنه وأكثر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إلى غير ذلك من الجهالات.

قيل: قال الجاحظ في حق أبي عبيدة: لم يكن في الأرض خارجي أعلم بجميع العلوم منه. وقال أبو قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب وأخبارها. قال أبو حاتم: وكان مع علمه إذا قرأ البيت لم يقم بإعرابه، وينشده مختلف العروض. صنّف: المجاز في غريب القرآن، والأمثال في غريب الحديث، والمثالب في أيام العرب، ومعاني القرآن، وطبقات الفرسان، ونقائص جرير والفرزدق، والخيل والإبل، السيف، اللغات، المصادر، خلق الإنسان، فعل وأفعل، ما يلحن فيه العامة، وغير ذلك. وكان يقول شعرًا ضعيفًا. وقال هو: إن أبي حدّثني أنّ أباه كان يهوديًا. ولد أبو عبيدة سنة ثنتي عشرة ومائه، ومات سنة ثمان أو تسع أو عشر أو إحدى عشرة ومائتين.

ومن الكتب المختصرة في علم اللغة: كتاب العين[١] للخليل بن أحمد[٢] رحمه الله. هذا هو الصحيح. وقال أبو الطيّب اللغوي[٣]: هو لليث بن نصر بن سيار[٤]. وقيل: عمل الخليل قطعة منه أي كتاب العين، وكمله الليث، لأنّ أوله لا يناسب آخره. قال ابن المعتز[٥]: إنّ الخليل صنفه لليث وكان هو مكبًا على حفظه وقراءته. واتفق أنّ امرأة ليث غارته لأجل جارية، فأرادت أن تغيظه، وكانت تعرف أنه لا يبالي بالمال، فأحرقت الكتاب. فلما علم اشتد أسفه ولم يكن عند غيره نسخة غير تلك النسخة التي احترقت، وكان الخليل مات، فأملى النصف من حفظه، وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه، فعملوا هذا الذي بأيدي الناس اليوم، ولم يماثلوه وإن اجتهدوا.

فائده: الخليل هو ابن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن صاحب العربية والعروض، وهو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها، وكان دعا بمكة أن يرزقه الله علمًا لم يسبق إليه، فرجع وفتح عليه بالعروض، وكانت له معرفة بالإيقاع والنغم، وهو الذي أحدث له علم العروض، فإنهما متقاربان في المأخذ. وهو أستاذ سيبويه. وعامة الحكاية في كتابه عنه. وكلما قال سيبويه: وسألته، أو قال من غير أن يذكر قائله، فهو الخليل. وكان من الزهاد في

---

(١) قال السيوطي: هو أول من صنف فيه. (هامش الأصل).

(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٢١٦، معجم الأدباء ١١/٧٢، إنباه الرواة ١/٣٤١، اللباب ٢/٢٠١، بغية الوعاة ٢٤٣، طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨، البداية والنهاية ١٠/١١١، مرآة الجنان ١/٣٦٢، وغيرها.

(٣) هو عبد الواحد بن علي الحلبي، أبو الطيب اللغوي. توفي عام ٣٥١هـ/٩٦٢م. أديب، له مصنفات عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٤/١٧٦، بغية الوعاة ٣١٧.

(٤) هو الليث بن نصر بن سيار الخراساني. عالم باللغة والنحو والأدب. صحب الخليل بن أحمد الفراهيدي وأتم بعده كتاب العين.
انظر عنه: مراتب النحويين ٣١، بغية الوعاة ٣٨٣، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١٧٨، إنباه الرواة ٣/٤٢، معجم الأدباء ١٧/٤٣ طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨، المزهر ١/٧٧.

(٥) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس
ولد ببغداد عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م، وتوفي عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م. شاعر مبدع، تولى الخلافة ليوم وليلة فقط، له العديد من الكتب والدواوين.
الاعلام ٤/١٨٨، الأغاني ١٠/ ٣٧٤، وفيات الأعيان ١/٢٥٨، تاريخ الخميس ٢/٣٤٦، تاريخ بغداد ١٠/٩٥.

الدنيا والمنقطعين إلى العلم. وطلبه سليمان بن علي[(١)] من الأهواز[(٢)] لتأديب أولاده، فأخرج الخليل إلى رسوله خبزًا يابسًا وقال ما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي إلى سليمان. وقال النضر بن شميل[(٣)]. أقام الخليل في خص بالبصرة لا يقدر على فلسين، وتلامذته يكتسبون بعلمه الأموال، وكان الناس يقولون لم يكن في العرب بعد الصحابة أزكى منه، وكان يحج سنة ويغزو سنة، وأبوه أول من سمّي أحمد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ويقال: إنه كان عند رجل دواء لظلمة العين ينتفع به الناس فمات واحتاج الناس إليه، ولم يكن له نسخة وكان له آنية يعمل فيها الدواء، فأخرج الخليل بشمّها نوعًا نوعًا حتى أخرج خمسة عشر نوعًا، فعمله فانتفع به الناس. ثم وجدت النسخة فوجدوا الأخلاط ستة عشر لم يفته منها إلّا واحدة. والفراهيدي ويقال الفرهودي أيضًا وهو مفرد الفراهيد نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك ابن مضر بن الأزد.

وله تصانيف غير كتاب العين، كتب النغم، الجمل، العروض، الشواهد، النقط والشكل، كتاب فائت العين، كتاب الايقاع. توفي الخليل سنة خمس وسبعين ومائة أو سبعين أو ستين وله أربع وسبعون. وسبب موته أنه قال: أريد أنْ أعمل نوعًا من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال فلا يمكن أن يظلمها، فدخل المسجد وهو يعمل فكره فصدمته سارية وهو غافل فانصدع ومات. ورؤي في النوم فقيل له: ماصنع الله بك؟ فقال: رأيت ما كنا فيه لم يكن شيئًا، وما وجدت أفضل من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر.

ومن الكتب المختصرة في اللغة: المنتخب والمجرد، لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بكُراع النمل بضم الكاف، أبو الحسن النحوي اللغوي[(٤)]. قال ياقوت: هو من أهل مصر، أخذ عن البصريين وكان نحويًا كوفيًا. صنف: المنضد في اللغة المجرد، مختصر، المهجد مختصر، أمثلة غريب اللغة، المصحف المنظم. رأيت خطه على المنضد وقد كتبه سنة سبع وثلاثمائة إنتهى.

ومن المتوسطات: المجمل لابن فارس، وهو أحمد بن فارس بن زكرياء، أبو الحسين اللغوي القزويني. كان نحويًا على طريقة الكوفيين. سمع أباه وعلي بن إبراهيم بن سلمة القطان[(٥)]، وقرأ عليه الأديب الهمداني، وكان

---

(١) لعله سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي توفي عام ١٤٢هـ. أمير، شجاع، ولي البصرة، راوٍ محدث، يعد من الطبقة السادسة.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٦/ ١٦٢، تقريب التهذيب ٢٥٣، البيان والتبيين ١/ ١٢٧، التاريخ الكبير ٤/ ٢٥، تهذيب التهذيب ٤/ ٢١١.

(٢) أصله أحواز، جمع حوز، أبدلته الفرس لأنه ليس في كلامهم حاء. وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان. وقيل: اسمها هرمز شهر. وهي كورة عظيمة. قال صاحب كتاب المغني: هي سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم. والأهواز يجمعهن ولا ينفرد، الواحد منها هوز وأهل هذه البلاد بأسرها يقال لهم الحوز. انظر مراصد الاطلاع ١٣٥.

(٣) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن. ولد عام ١٢٢هـ/ ٧٤٠م. وتوفي علم ٢٠٣هـ/ ٨١٩م. عالم بأيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. له تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٨/ ٣٣، وفيات الأعيان ٢/ ١٦١، غاية النهاية ٢/ ٣٤١.

(٤) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٢/ ١٣، إنباه الرواه ٢/ ٢٤٠، بغية الوعاة ٣٣٣، روضات الجنات ٤٧٣، هدية العارفين ١/ ٦٧٦.

(٥) هو علي بن ابراهيم بن سلمة، أبو الحسن القزويني القطان. ولد عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م. وتوفي عام ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م. حافظ كبير، ثقة، له عدة كتب. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٥٠، العبر ٢/ ٢٦٧.

مقيمًا بهمدان(١) فحمل منها إلى الريّ(٢) ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر الدولة فسكنها، وكان شافعيًا فتحول مالكيًا، وقال: أخذتني الحمية لهذا الإمام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه. وكان الصاحب ابن عباد تلمذ له ويقول شيخنا ممن رزق حسن التصنيف، وكان كريمًا جوادًا، ربما سئل فيهب ثيابه وفرش بيته. صنّف المجمل في اللغة، فقه اللغة، مقدمة في النحو، ذم الخطاء في الشعر، فتاوى فقيه العرب، الاتباع، والمزاوجة، اختلاف النحويين، الانتصار لثعلب النحوي، الليل والنهار، خلق الإنسان، تفسير أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وغير ذلك. قال الذهبي مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة وهو أصح ما قيل في وفاته. ومن شعره:

إذا كنت في حاجة مرسلًا
وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيمًا ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدرهم

ومنها ديوان الأدب للفارابي(٣)، وهو إسحاق بن إبراهيم الفارابي، أبو إبراهيم وخال أبي نصر الجوهري. وترامى به الاغتراب إلى أرض اليمن، وسكن زبيد(٤)، وبها صنّف كتاب المجمل. ومات قبل أن يروى عنه قريبًا من سنة خمسين وثلاث مائة، وقيل في حدود السبعين. وقال ياقوت: رأيت نسخة من هذا الكتاب بخط الجوهري وقد ذكر فيها أنه قرأه على أبي ابراهيم بفاراب(٥). وقال الحاكم: قرأت بعضه على يوسف بن محمد بن إبراهيم الفرغاني، قال: قرأته على «أبي علي الحسن بن علي بن سعيد الزاميني. قال: قرأته على مؤلفه أبي إبراهيم، فهذا يبطل القول المذكور أعني أنه لم يروَ عنه هذا الكتاب. وله أيضًا: شرح أدب الكاتب، وبيان الاعراب.

ومن المبسوطات: العالم في اللغة لأحمد بن أبان بن أسيد اللغوي الأندلسي(٦). أخذ عن أبي علي القالي وغيره، وكان عالمًا إمامًا في اللغة والعربية حاذقًا أديبًا، سريع الكتابة. روى عنه إلاقليلي(٧)، وصنّف: العالَم بفتح اللام في اللغة مائة مجلد، مرتّب على الأجناس، بدأ فيه بالفلك وختم بالذرة، شرح كتاب الأخفش وغير ذلك. مات سنة ثنتين وثمانين وثلاث مائة. قلت أسمع بهذا الكتاب ولم أره.

ومنها: التهذيب والجامع للأزهري(٨)، وهو

---

(١) مدينة من الجبال، أعذبها ماء وأطيبها هواء، وهي أكبر مدنها. قيل: كانت أربع فراسخ في مثلها. وإنما خربها بخت، ولم تزل بعد ذلك خرابًا إلى أن عمرها بعد ذلك دارا بن دارا، وحصنها ونقل أمواله إليها. انظر: مراصد الاطلاع ١٤٦٤.

(٢) مدينة مشهورة من أمهات البلاد واعلام المدن، كثيرة الخيرات، قصبة بلاد الجبال، على طريق السابلة. قال الاصطخري: كانت أكبر من أصفهان بكثير. تفانى أهلها بالقتال في عصبية المذاهب حتى صارت كأحد البلدان.
انظر: مراصد الاطلاع ٦٥١.

(٣) انظر ترجمته في: اللباب ٢/١٨٨، معجم الأدباء ٦/٦١، بغية الوعاة ١٩١.

(٤) زبيد: بالفتح ثم الكسر وياء مثناة من تحت: اسم وادٍ به مدينة يقال لها الخصيب، وهي التي تسمى اليوم زبيد، وهي مشهورة باليمن، محدثة في أيام المأمون، وبإزائها ساحل غلافقة، وساحل المندب. انظر: مراصد الاطلاع ٣٥٨.

(٥) ولاية وراء نهر سيحون، في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من الشاش، قريبة من بلاد ساغون، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم. وهي ناحية سبخة بها غياض ومزارع في غربي الوادي. انظر: مراصد الاطلاع ١٠١١.

(٦) هو أحمد بن أبان بن سيد، أبو القاسم. توفي عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م. عالم أندلسي كبير، لغوي. له مصنفات. انظر عنه: الاعلام ١/٨٤، معجم الأدباء ٢/٢٠٣، إنباه الرواة ١/٣٠، بغية الملتمس ١٥٩.

(٧) الأقليطي. (هامش الأصل).

(٨) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٦٣٥، معجم الأدباء ١٧/١٦٤، تذكرة الحفاظ ٣/١٦٠، طبقات السبكي ٢/١٠٦، اللباب ١/٣٨، مرآة الجنان ٢/٣٩٥، وغيرها.

محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهر، الأزهري، اللغوي، الأديب، الهروي، الشافعي، أبو منصور. ولد سنة اثنتين وثمانين ومأتين، وأخذ عن الربيع بن سليمان ونفطويه وابن السرّاج، وأدرك ابن دريد ولم يروِ عنه، وورد بغداد وأسرته القرامطة، فبقي فيهم دهرًا طويلًا. وكان رأسًا في اللغة. أخذ عنه الهروى صاحب الغريبين. وله من التصانيف: التهذيب في اللغة، تفسير ألفاظ مختصر المزني، التقريب في التفسير وغير ذلك. وكان عارفًا بالحديث، عالي الإسناد، ثخين الورع. مات في ربيع الآخر سنة سبعين وثلاث مائة[١].

ومنها: العباب الزاخر[٢] للصغاني[٣]، ويقال الصاغاني بالألف، وهو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العدوي العمري، الإمام رضي الدين، أبو الفضائل الصَّغاني بفتح الصاد المهملة وتخفيف الغين المعجمة، ويقال الصاغاني بالألف، الحنفي، حامل لواء اللغة في زمانه. قال الذهبي: ولد بمدينة لوهور[٤] سنة سبع وسبعين وخمس مائة، ونشأ بغزنة[٥]، ودخل بغداد سنة خمس عشرة وست مائة، وذهب منها بالرياسة الشريفة إلى صاحب الهند فبقي مدة، وحجَّ ودخل اليمن، ثم عاد إلى بغداد، ثم إلى الهند، ثم إلى بغداد، وسمع من النظام المرغيناني، وكان إليه المنتهى في اللغة. كان يقول لأصحابه: إحفظوا غريب أبي عبيد، فمن حفظه ملك ألف دينار، فإني حفظته فملكتها. وأشرت على بعض أصحابي بحفظه فحفظها وملكها. حدَّث عنه الشرف الدمياطي، كان شيخًا طالحًا صدوقًا، صموتًا عن فضول الكلام، إمامًا في اللغة والحديث. وله من التصانيف: مجمع البحرين في اللغة إثني عشر مجلدًا، والتكملة على الصحاح، والعباب الزاخر، وصل فيه إلى باب بكم، وفيه قيل:

إنّ الصغاني الذي ... حاز العلوم والحكم
كان قصارى أمره ... أن انتهى إلى بكم

وصنَّف: الشوارد في اللغات، وتوشيح الدريدية، والتراكيب، وفعال وفعلان، والأضداد، وكتاب أسماء السعادة، وكتاب الأثر، وكتاب أسماء الدين، ومشارق الأنوار في الحديث وشرح البخاري مجلد، ودرّ السحابة في وفيات الصحابة، والعروض، وشرح أبيات المفصل، ونقعة الصديان، وكتاب في التصريف، وكتاب مناسك الحج، وغير ذلك. قال الدمياطي: وكان معه طالع مولود وقد حكم فيه بموته في وقته، فكان يترقب ذلك اليوم، فحضر ذلك اليوم وهو معافى، فعمل لأصحابه طعامًا شكران ذلك وفارقناه، وعديت إلى الشط فلقيني شخص أخبرني بموته، فقلت له: الساعة فارقته. فقال: والساعة وقع الحمام يخبر بموته فجأة، وذلك سنة خمسين وست مائة.

ومنها: المحكم لابن سيده[٦]، وهو علي بن

---

(١) بمدينة هراة. (هامش الأصل).
(٢) في عشرين مجلدًا. (هامش الأصل).
(٣) انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ٧/ ٢٦، بغية الوعاة ٢٢٧، معجم الأدباء ٩/ ١٨٩، مرآة الجنان ٤/ ١٢١، البدر الطالع ١/ ٢١٠، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٠، الجواهر المضيئة ١/ ٢٠١، وغيرها
(٤) مدينة مشهورة من بلاد الهند، انظر: مراصد الاطلاع ١٢١٢.
(٥) بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم نون، هكذا يقولونه. والصحيح عند العلماء: غزنين، ويعربونها فيقولون: جزنة. ويقال لمجموع بلادها زابلستان، وغزنة قصبتها. وهي مدينة مشهورة عظيمة، وولاية واسعة في طرف خراسان. وهي الحدّ بين خرسان والهند.
(٦) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٣١، معجم الأدباء ١٢/ ٢٣١، إنباه الرواة ٢/ ٢٢٥، لسان الميزان ٤/ ٢٠٥، بغية الوعاة ٣٢٧، البداية ١٢/ ٩٥، مرآة الجنان ٣/ ٨٢، شذرات الذهب ٣/ ٣٠٥، وغيرها.

أحمد بن سيده، اللغوي النحوي الأندلسي، أبو الحسن الضرير، وقيل: اسم أبيه محمد، وقيل: اسمعيل. كان حافظًا، لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلّق بها، متوفرًا على علوم الحكمة. روى عن أبيه وصاعد بن الحسن البغدادي[(١)]. قال أبو عمر الطلمنكي[(٢)]: دخلت مرسية[(٣)] فتشبث بي أهلها ليسمعوا عليَّ غريب المصنف، فقلت لهم: أنظروا من يقرأ لكم، فأتوا برجل أعمى يُعرف بابن سيده، فقرأ عليَّ من أوله إلى آخره من حفظه فعجبت منه. صنَّف: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، شرح إصلاح المنطق، شرح الحماسة، شرح كتاب الأخفش، وغير ذلك. مات سنة ثمان وخمسين وأربع مائة عن نحو ستين سنة.

ومنها: الصحاح للجوهري[(٤)]، وهو المشهور عند الجمهور، واسمه إسماعيل بن حماد الإمام أبو نصر الفارابي. قال ياقوت: كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلمًا، وأصله من فاراب الترك، وكان إمامًا في اللغة والأدب، وخطّه يضرب به المثل، لا يكاد يفرّق بينه وبين خط ابن مقلة، وهو مع ذلك من فرسان الزمان في الكلام والأصول، وكان يؤثر السفر على الحضر، ويطوف الآفاق، ودخل العراق فقرأ العربية على أبي علي الفارسي والسيرافي، وسافر إلى الحجاز وشافه باللغة العرب العاربة، وطوَّف بلاد ربيعة ومضر، ثم عاد إلى خراسان، ونزل الدامغان[(٥)] عند أبي الحسين بن علي أحد أعيان الكتاب والفضلاء. ثم أقام بنيسابور ملازمًا للتدريس والتأليف وتعليم الخط وكتابة المصاحف والدفاتر حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة. وصنّف: كتابًا في العروض، ومقدمة في النحو، والصحاح في اللغة، وهو الكتاب الذي بأيدي الناس اليوم، عليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه وأجاد تأليفه، وفيه يقول إسمعيل بن عبدوس النيسابوري:

هذا كتاب الصحاح سيدنا ... صنّف قبل الصحاح في الأدب
يشمل أبوابه ويجمع ما ... فرّق في غيره من الكتب

هذا مع تصحيف فيه في مواضع عدة تتبعها عليه المحققون. وقيل: إنّ سببه أنه لما صنّف سُمع عليه إلى باب الضاد المعجمة، وعرض له وسوسة، فانتقل إلى الجامع الكبير بنيسابور فصعد سطحه وقال: أيّها الناس، إني عملت في الدنيا شيئا لم أسبق إليه، فسأعمل للآخرة أمرًا لم أسبق إليه، وضمَّ إلى جنبيه مصراعي باب وتأبطهما بحبل، وصعد مكانًا عاليًا وزعم أنه يطير فوقع

---

(١) هو صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي، أبو العلاء. توفي عام ٤١٧هـ/١٠٢٦م. عالم باللغة والأدب، شاعر كاتب. عالم بالموسيقى والغناء. له أخبار وعدة كتب.
انظر: الأعلام ٣/١٨٦، بغية الملتمس ٣٠٦. وفيات الأعيان ١/٢٢٩، بغية الوعاة ٢٦٧، لسان الميزان ٣/ ١٦٠.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي، أبو عمر. ولد عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م. وتوفي عام ٤٢٩هـ/١٠٣٨م. عالم بالتفسير والقراءة والحديث. له تصانيف عديدة. انظر عنه:
الاعلام ١/٢١٢، الديباج ٣٩، غاية النهاية ١/ ١٢٠.

(٣) مدينة بالأندلس، من أعمال تدمير. انظر: مراصد الاطلاع ١٢٥٨.

(٤) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ٦/١٥١، يتيمة الدهر ٤/٣٧٣، لسان الميزان ١/ ٤٠٠، النجوم الزاهرة ٤/٢٠٧، إنباه الرواة ١/ ١٩٤، مرآة الجنان ٢/٤٤٦، شذرات الذهب ٣/١٤٣، بغية الوعاة ١٩٥، وغيرها.

(٥) بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قصبة قومسى: مدينة كثيرة الفواكه بنهاياتها، والرياح لا تنقطع بها ليلًا ولا نهارًا. ماؤها يخرج من مغارة في الجبل، وينحدر فينقسم على مائة وعشرين قسمًا، كل قسم كرستاق له مقسم كسروي عجيب. انظر مراصد الاطلاع ٥١٠.

ومات، وبقي سائر الكتاب مسودة غير منقح ولا مبيض، فبيّضه تلميذه إبراهيم بن صالح الورّاق[١] فغلط فيه في مواضع. قال ياقوت: وقد بحثت عن مولده ووفاته بحثًا شافيًا فلم أقف عليهما. وقد رأيت نسخة من الصحاح عند الملك المعظم بخطه، وقد كتبها في سنة ست وتسعين وثلاث مائة. وقال ابن فضل الله[٢] في المسالك[٣]: مات سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة، وقيل في حدود الأربع مائة. ومن شعره:

لو كان لي بدّ من الناس
قطعت حبل الناس باليأس
العزّ في العزلة لكنه
لا بدّ للناس من الناس

هذا ما ذكره السيوطي. قلت: رأيت في ظهر بعض نسخ الصحاح أنّ الجوهري ابن أخت الفارابي، وهو أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي صاحب ديوان الأدب، ذكره أبو سهل الهروي[٤] بخطه. ثم قال: توفي رحمه الله في سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة. وقد تلقت الأمة كتابه بالقبول. ولابن برّي عليه حواشٍ مفيدة. وله تكملة وحواش للصغاني، ويجمع بينهما وبين الصحاح في مجمع البحرين، إلّا أنه قال ابن الصلاح في مشكل الوسيط: لا يقبل ما تفرّد به، وأنكر عليه قوله سائر الناس جميعهم وقال: إنه تفرّد به. وردّ بأن التبريزي[٥] والجواليقي[٦] وغيرهما نقلوا ذلك. قال نصر بن عيسى بن علي بن خروي: وصلت إلى الموصل في سنة خمس وثمانين وخمس مائة ووجدت ثمة صحاح اللغة بخط الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، وعلى ظهرها مكتوب: عارضته من أوله إلى آخره، وهو كتاب حسن الترتيب، سهل المطلب لما يراد منه، وقد أتى بأشياء حسنة وتفاسير مشكلات من اللغة، إلّا أنه مع ذلك فيه تصحيف كثير لا يشك أنّه من المصنّف لا من الناسخ، لأنّ الكتاب مبني على الحرف. فمن جملته، المسئلة المعروفة من كتاب سيبويه ما أغفله عنك شيئًا، أي دَعْ الشك. ولفظ سيبويه بالغين المعجمة والفاء فأثبته في فصل العين المهملة والقاف، وإنما فسره سيبويه بقوله دع الشك إشارة إلى أن شيئًا

---

(١) هو ابراهيم بن صالح، أبو اسحاق النيسابوري الوراق الأديب. من علماء اللغة والنحو، شاعر، تلميذ الجوهري صاحب الصحاح.
انظر عنه: دمية القصر ٣٠٤، إنباه الرواة ١٦٩، طبقات ابن شهبة ١/ ١٧٠، معجم الأدباء ١/ ١٦٢.

(٢) هو أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين. ولد عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م. وتوفي عام ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. مؤرخ جغرافي، عالم بالأدب وأخبار الرجال. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٦٨، فوات الوفيات١/ ٧، الدرر الكامنة ١/ ٣٣١، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤.

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن محمد الكرماني العمري الشافعي المعروف بابن فضل الله الكاتب الدمشقي (-٧٤٩هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٦٦٢.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي. ولد عام ٣٧٢هـ/ ٩٨٣م. وتوفي عام ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م. لغوي، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٧٥، بغية الوعاة ٨٣، إنباه الرواة ٣/ ١٩٥.

(٥) هو يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا. ولد عام ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م. وتوفي عام ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م. من أئمة اللغة والأدب. له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٥٧، وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٣، ارشاد الأريب ٧/ ٢٨٦.

(٦) هو موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي. ولد عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م. وتوفي عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. عالم بالأدب واللغة. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٧/ ٣٣٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٤٢، بغية الوعاة ٤٠١، إنباه الرواة ٣/ ٣٣٥.

ليس مفعول أفعل لأنه إستوفى مفعوله. ومعناه أنّ إنسانًا توهّم أنّ إنسانًا معين بأمره كافل له، فقيل له: ما أغفل هذا الذي تظنه معينًا بأمرك عنك ودعْ الشك فيما أقوله. فقوله شيئًا مفعول دعْ المقدّر كأنه قال: دع أمرًا يشككك فيه، كذا بيّنه ابن جنّي. وقد بينت ما صحف فيه وأثبته في متن الكتاب بعلامة (ظ).

قلت: أراد به الخطيب. ولا يخلو الكتب الكبار من سهو يقع فيها أو غلط. وهذا أبو عبيد كم رُدَّ عليه في الغريب، غير أنّ القليل من الغلط في جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه وأتعبوا نفوسهم في تصحيحه وتنقيحه معفوّ عنه. أنشد الإمام رشيد الدين عمر بن محمد بن عمر بن نصر الفرغاني[(١)] رحمه الله:

لـيـسـت صـحـاح الـجـوهـري
إلّا صـحـاح الـجـوهـر
مـا فـيـه مـن مـكـسـر
حـاشـاه مـن مـكـسـر

ولبعض الأدباء في استعارة هذا الكتاب مخاطبًا لبعض الرؤساء:

مـولاي إنْ وافـيـت بـابـك طـالـبًا
مـنـك الـصـحـاح فـلـيـس ذا بـمـنـكـر
الـبـحـر أنـت وهـل يـلام فـتـى سـعـى
لـلـبـحـركي يـلـقـى صـحـاح الـجـوهـر

قيل: يقال كتاب الصحاح بفتح الصاد، وهو اسم مفرد بمعنى الصحيح. يقال: صحّحه الله فهو صحيح وصحاح، والجاري على ألْسنة الأكثر كسر الصاد على أنّه جمع صحيح مثل ظريف وظراف، وبعضهم ينكر الكسر بالنسبة إلى تسمية هذا الكتاب، ولا مستند له إلّا أنْ يقال إنه ثبت روايته عن مصنفه، والله أعلم.

قلت: وقد علّق ابن بري[(٢)] نكتًا مفيدة على الصحاح، وهو عبدالله بن بري بن عبد الجبار، أبو محمد المقدسي المصري النحوي اللغوي. شاع ذكره واشتهر، ولم يكن في الديار المصرية مثله. قرأ كتاب سيبويه على محمد بن عبد الملك الشنتريني[(٣)]، وتصدّر للإقراء بجامع عمرو، وكان مع علمه وغزارة فهمه ذا غفلة، يحكى عنه حكايات عجيبة، منها: أنه جعل في كمه عنبًا، فجعل يعبث به ويحدّث شخصًا حتى نقط على رجليه، فقال لرفيقه: تحسّ المطر، فقال: لا، وإنما هو من العنب فخجل ومضى. وكان قيمًا بالنحو واللغة والشواهد، ثقة. قرأ عليه الجزولي[(٤)]، وأجاز لأهل عصره، وكان له تصفح على ديوان الإنشاء، وصنّف: اللباب في الرّد على ابن الخشاب، في ردّه على درة الغواص للحريري. وله: حواش على الصحاح. قال الصفدي: لم يكملها بل وصل إلى وقش وهو ربع الكتاب، فأكملها الشيخ عبد الله بن محمد البسطي[(٥)]. مات ابن بري ليلة السابعة والعشرين

---

(١) لم يعثر له على ترجمة.

(٢) انظر ترجمته في: ايضاح المكنون ١/ ٤٩، وفيات الأعيان ١/ ٣٣٨، طبقات الشافعية ٤/ ٣٣٣، إنباه الرواة ٢/ ١١٠، البداية والنهاية ١٢/ ٣١٩، النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٣، بغية الوعاة ٢٧٨، شذرات الذهب ٤/ ٢٧٣، مرآة الجنان ٣/ ٤٢٤.

(٣) هو محمد بن عبد الملك بن محمد، أبو بكر ابن السراج، الأندلسي الشنتريني. توفي عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. من أئمة اللغة العربية، له مصنفات عديدة. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٤٩، بغية الوعاة ٦٨، نفح الطيب ١/ ٤٤٢.

(٤) هو عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخت الجزولي البربري المراكشي، أبو موسى. ولد في مراكش عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م. وتوفي فيها عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م. من علماء العربية والقراءات. له العديد من المؤلفات.
الأعلام ٥/ ١٠٤، بغية الوعاة ٣٧٠، ابن الوردي ٢/ ١٣٢، مرآة الجنان ٤/ ٢٠، دائرة المعارف الإسلامية ٦/ ٤٤٩.

(٥) هو عبد الله بن محمد البسطي. من علماء القرن السادس الهجري. نحوي، عالم باللغة. له مصنفات.
انظر عنه: كشف الظنون ٢/ ١٠٧٢.

من شوال سنة ثنتين وثمانين وخمس مائة.

ومن المبسوطات من كتب اللغة: اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب، وقد بلغ تمامه ستين مجلدة، ثم لخصه مؤلفه مجد الشيرازي في مجلدتين وسماه: القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من لغة العرب شماطيط. قلت: القاموس: معظم ماء البحر، والقابوس: الرجل الجميل الحسن الوجه الحسن اللون، ويقال رجل وسيط فيهم أي أوسطهم نسبًا وأرفعهم محلًا. ويقال: قوم شماطيط أي متفرقة، وجاءت الخيل شماطيط أي متفرقة أرسالًا.

وأعلم أنّ صاحب القاموس زاد على الصحاح مثل ما فيه وميّز زياداته بالحمرة، وأخذ على الصحاح في كثير من المواضع، وبيّن أغلاطه وأوهامه. وهو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن إدريس بن فضل الله الشيرازي الفيروز آبادي، العلامة مجد الدين، أبو الطاهر(١)، إمام عصره في اللغة. قال ابن حجر: كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه ويذكر بعد إبراهيم بن عمر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق، وكان الناس يطعنون في ذلك مستندين إلى أنّ الشيخ لم يعقب وكان لا يبالي من ذلك، ثم ارتقى فادعى بعد أن ولي قضاء اليمن أنه من ذرية أبي بكر الصديق، وكتب بخطه الصدّيقي. قال ابن حجر: ولم يكن مدفوعًا عن معرفة إلّا أنّ النفس تأبى قبول ذلك. ولد سنة تسع وعشرين وسبع مائة بكازرون(٢)، وتفقّه ببلاده، وسمع بها من محمد بن يوسف الزرندي المدني(٣)، ونظر في اللغة فمهر فيها إلى أن بهر وفاق واشتهر اسمه وهو شاب في الآفاق. وطلب الحديث وسمع من الشيوخ، وقدم الشام بعد الخمسين إمّا سنة خمس أو في السنة التي بعدها، فسمع بها من ابن الخباز(٤) وابن القيّم(٥)، والتقي السُّبكي وولده تاج الدين، والعرضي(٦)، وابن نباته(٧)، والشيخ خليل

---

(١) انظر ترجمته في: الضوء اللامع ١٠/ ٧٩، بغية الوعاة ١١٧، شذرات الذهب ٧/ ١٢٦، البدر الطالع ٢/ ٢٨٠، روضات الجنات ٢٠٧، وغيرها.

(٢) مدينة بفارس بين البحر وشيراز، يقال: هي دمياط الأعاجم، يعمل بها من الكتان على شبه القصب، وهي كلها قصور وبساتين ونخيل ممتدة عن يمين وشمال، وبينها وبين شيراز ثلاثة أيام. انظر: مراصد الاطلاع ١١٤٣.

(٣) هو محمد بن يوسف بن الحسن، شمس الدين الزرندي. ولد عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م. وتوفي عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٧م. فقيه حنفي، عالم بالحديث. له تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٥٢، الدرر الكامنة ٤/ ٢٩٥.

(٤) هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن سالم بن بركات، الدمشقي، الأنصاري، العبادي، الشهير بابن الخباز، ولد عام ٦٦٧هـ وتوفي عام ٧٥٦هـ، محدث، مسند، فقيه، عالم، له مصنفات. الدرر الكامنة ٣/ ٣٨٤.

(٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين. ولد بدمشق عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م. وتوفي فيها عام ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م. من أركان الاصلاح الاسلامي، ومن كبار العلماء، وأخلص تلاميذ ابن تيمية. له العديد من التصانيف والكتب الهامة. الاعلام ٦/ ٥٦، الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠، بغية الوعاة ٢٥، البداية والنهاية ١٤/ ٢٣٤، شذرات الذهب ٦/ ١٦٨، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٤٩.

(٦) هو علي بن أحمد بن محمد بن صالح، علاء الدين، العرضي الدمشقي. ولد عام ٦٧٧هـ وتوفي عام ٧٦٤هـ. محدث، فقيه، تاجر له مصنفات. الدرر الكامنة ٣/ ٢٠.

(٧) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري، أبو بكر جمال الدين. ولد بالقاهرة عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م. وفيها مات عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م. شاعر وأحد الكتاب والأدباء. له الكثير من المؤلفات الهامة. الاعلام ٧/ ٣٨، حسن المحاضرة ١/ ٣٢٩. البداية والنهاية ١٤/ ٣٢٢، الدرر الكامنة ٤/ ٢١٦، النجوم الزاهرة ١١/ ٩٥، طبقات الشافعية ٦/ ٣١، الوافي ١/ ٣١١.

المالكي[(١)]، وعن القاضي عزّ الدين بن جماعة وخلق كثير. ودخل القدس وسمع من الحفظ صلاح الدين العلائي[(٢)]، ثم دخل مصر وسمع بها، وقدم مكة وسمع بها، وجال في البلاد، ولقي جماعة من الفضلاء، وأخذ عنهم وأخذوا عنه، وظهرت فضائله، وكتب الناس تصانيفه. وذكره الصفدي في تذكرته وكتب عنه في سنة سبع وخمسين بدمشق، وجال في البلاد الشمالية والشرقية، ودخل الهند، ثم زبيد فتلقاه ملكها الأشرف إسمعيل[(٣)] بالقبول وقرّره في قضائها، وبالغ في إكرامه، ووافق دخوله بها وفاة القاضي جمال الدين الريمي[(٤)] شارح التنبيه، فقرّره الملك الأشرف إسماعيل في القضاء بالبلاد اليمنية، فلم يزل ذلك باسمه إلى أن مات، وكان الأشرف يكرمه كثيرًا. وصنف له كتابًا وأهداه على أطباق فملأها له فضة، ولم يقدر أنه دخل بلدًا إلّا وأكرمه متوليه.

وكان معظمًا عند الملوك، أعطاه تيمورلنك خمسة آلاف دينار، ودخل الروم فأكرمه ملكه ابن عثمان[(٥)]، وحصل له منه فيه دنيا طائلة، ومع ذلك أنه كان قليل المال لسعة نفقاته، وكان يدفعه إلى من يمحقه بالإسراف، ولا يسافر إلّا وصحبته عدة أحمال من الكتب، ويخرج أكثرها في كل منزلة ينظر فيها ويعيدها إذا رحل. وكان إذا أملق باعها، وكان سريع الحفظ. يحكى عنه أنه كان يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتي سطر. وأما معرفته باللغة واطلاعه على نوادرها فأمره مستفيض. ومصنفاته كثيرة، وقد عدّ منها بضع وأربعون مصنفًا. منها: اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب، لم يكمل، والقاموس المحيط، بالغ في اختصاره وتحريره وحذف الشواهد، وفتح الباري بالسيح الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري. قال ابن حجر: ملأه بغرائب المنقولات ونوادر اللغات، كمل منه ربع العبادات في عشرين جزأ. قال السيوطي: وقد أخذ ابن حجر منه اسمه وسمّي به شرح البخاري تأليفه. وصنّف شوارق الأسرار في شرح مشارق الأنوار، أربعة مجلدات. وصنّف للأشراف كتابًا سماه: تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول أربع مجلدات. [وصنف لولده الناصر كتابًا سماه: تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول، أربع مجلدات].[(٦)] وبصائر ذوي التمييز في لطايف الكتاب العزيز، مجلدان، وشرح عمدة الأحكام مجلدان، وكتاب المرقاة الأرفعية في طبقات الشافعية، وكتاب المرقاة الوفية في الطبقات الحنفية، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة كتاب لطيف في الغاية. وألف

---

(١) هو خليل بن اسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي. توفي عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. فقيه مالكي. تولى الإفتاء. وله مصنفات عديدة. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٣١٥، الشعر الحديث ٨٧.

(٢) هو خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي الدمشقي، أبو سعيد. صلاح الدين. ولد عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. وتوفي عام ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م. محدث، فاضل، باحث. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٢/ ٣٢١، الدرر الكامنة ٢/ ٩٠، الأنس الجليل ٢/ ٤٥١.

(٣) هو الأشرف اسماعيل بن العباس الأفضل ابن المجاهد علي ابن المؤيد داود. ولد عام ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م. وتوفي عام ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م. من ملوك اليمن في الدولة الرسولية. له معرفة بالحساب والتاريخ والأدب. وله مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ١/ ٣١٦، الضوء اللامع ٢/ ٢٩٩.

(٤) هو محمد بن عبد الله الحثيثي الصردفي الريمي، جمال الدين. توفي عام ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م. من كبار فقهاء الشافعية في اليمن، قاض. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٦/ ٢٣٦، شذرات الذهب ٦/ ٣٢٥.

(٥) يعنى السلطان بايزيد بن سلطان مراد بن السلطان أورخان بن السلطان عثمان الغازي رحمهم الله تعالى. (هامش الأصل).

(٦) مابين المعقوفين [...] ساقط من الهندية، وقد أثبتناه من النسخة المصرية.

كتابًا على المجمل لابن فارس، أخذ عليه فيه ألف مكان، ومع هذا كان يثني على صاحبه ابن فارس. وصنّف: تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين، الروض المسلوف فيما له إسمان إلى الألوف، وشرح الفاتحة، وكورة الخلاص في تفسير سورة الاخلاص، والمتفق وضعا المختلف صنعًا، ومن تسمّى بإسمعيل، وأسماء النكاح، وأسماء الليث، وأسماء الخندريس، أسماء العادة، مقصود ذوي الألباب في علم الإعراب، شرح خطبة الكشاف، شرح عمدة الأحكام، وغير ذلك من المصنفات الكثيرة. ولما اشتهرت مقالة ابن العربي باليمن، صار يدخل منها فيه، فشانه، ولم يكن متهمًا بالمقالة المذكورة، إلّا أنه كان يحب المداراة. توفي بزبيد ليلة العشرين من شوال سنة ست أو سبع عشرة وثمان مائة، وهو ممتع بحواسه، ودفن بتربة الشيخ إسمعيل الجبرتي، وهو آخر من مات من الرؤساء الذين انفرد كل منهم بفن فاق فيه أقرانه على رأس القرن الثامن، وهم: الشيخ سراج الدين البلقيني في الفقه على مذهب الشافعي، والشيخ زين الدين العراقي في الحديث، والشيخ سراج الدين بن الملقن في كثرة التصانيف في فن الفقه والحديث، والشيخ شمس الدين الفناري في الاطلاع على كل العلوم العقلية والنقلية والعربية، والشيخ أبو عبد الله بن عرفة في فقه المالكية وفي سائر العلوم بالمغرب، والشيخ مجد الدين الشيرازي في اللغة.

قلت: روى لنا غير واحد، وسئل بالروم عن قول عليّ كرم الله وجهه لكاتبه: ألصق روانفك بالجبوب، وخذ المزبر بشناترك، واجعل جندورتيك إلى قيهلي حتى لا أنغي نغية إلّا أودعتها حماطة جلجلانك. ما معناه؟ فقال: معناه: ألزق عضرطك بالصلة، وخذ المسطر بأجاحسك[1]، واجعل جحمتيك إلى ثعباني حتى لا أنبس نبسة إلّا وغيتها[2] في نمطة رياطك. فتعجب الحاضرون من سرعة الجواب مع هذا الإبداع والاغراب.

قلت: الروانف المقعدة، والجبوب الأرض، والمزبر القلم، والشناتر الأصابع، والجندورتان الحدقتان، وقيهلي أي وجهي، وانغي أي أنطق، والحماطه الحبة، والجلجلان القلب. هذا ما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى.

ومن الكتب الجامعة في اللغة: كتاب لسان العرب الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية، للشيخ محمد بن مكرم بن علي، وقيل: رضوان بن أحمد بن أبي القاسم ابن جبقه بن منظور، الأنصاري الأفريقي المصري، جمال الدين أبو الفضل[3]. ولد في المحرم سنة ثلاثين وست مائة، وسمع من ابن المقير[4] وغيره، وجمع وعمّر وحدّث، واختصر كثيرًا من كتب الأدب المطولة، كالأغاني والعقد والذخيرة ومفردات ابن البيطار. ويقال: إنّ مختصراته خمس مائة مجلد. وخدم في ديوان الإنشاء مدة عمره، وولي قضاء طرابلس، وكان صدرًا رئيسًا فاضلًا

(١) في النسخة المصرية: بأحاحسك، بالحاء المهملة.
(٢) في النسخة المصرية: وعيتها، بالعين المهملة.
(٣) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٤/٢٦٢، فوات الوفيات ٢/٢٦٥، بغية الوعاة ١٠٦، مرآة الجنان ٤/٢٥١، شذرات الذهب ٦/٢٦، حسن المحاضرة ١/٢١٩، الاعلام ٧/٣٢٩، وغيرها.
(٤) هو علي بن الحسن أو الحسين بن علي بن منصور الحنبلي، أبو الحسن بن المقير. توفي عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. عالم باللغة والحديث، مسند الديار المصرية له كتب عديدة.
انظر عنه: العبر ٥/١٧٨.

في الأدب، مليح الإنشاء، روى عنه السبكي والذهبي وقال: تفرّد بالعوالي، وكان عارفًا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، واختصر تاريخ دمشق في نحو ربعه، وعنده تشيّع بلا رفض. مات في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مائة.
ومن نظمه:

بالله إنْ جزت بوادي الأراك
وقبلتْ عيدانه الخضر فاك
ابعث إلى عبدك من بعضها
فإنني والله ما لي سواك

ومن المختصرات في اللغة: السامي في الأسامي للميداني[١]، وهو أحمد بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، أبو الفضل، الإمام الفاضل، الأديب النحوي اللغوي. قال ياقوت: قرأ على الواحدي وغيره، وأتقن اللغة والعربية، وصنّف: الأمثال والسامي في الأسامي والأنموذج في النحو والمصادر ونزهة الطرف في علم الصرف وشرح المفضليات وغير ذلك. ووقف الزمخشري على كتابه الأمثال فحسده عليه، فزاد في لفظه الميداني نونًا قبل الميم فصار النميداني، ومعناه بالفارسية الذي لا يعرف شيئًا، فعمد إلى بعض كتب الزمخشري فجعل الميم نونًا فصار الزنخشري، ومعناه بائع زوجته. قرأ عليه أئمة، ومات في رمضان سنة ثمان عشرة وخمس مائة.

قلت: المعنى المذكور أعني بائع زوجته ليس يحصل بتبديل الميم نونًا فقط، بل يجب مع ذلك تقديم الشين على الخاء ويقال زنش خرى[٢]. وأما بدون هذا التقديم فمعناه أمر بأمر قبيح شنيع، وهو تغوّط على ذقنه. والميداني نسبة إلى ميدان زياد بن عبد الرحمن، وهي محلة في نيسابور.

ومن المختصرات: الدستور[٣] ومرقاة الأدب[٤].

ومما يختص بلغة الفقهيات: المغرب للمطرزي[٥]، وهو ناصر بن عبد السيد بن علي بن المطرز، أبو الفتح، النحوي الأديب المشهور بالمطرزي، من أهل خوارزم[٦]. قرأ على الزمخشري[٧] والموفق خطيب[٨] أخطب خوارزم، وبرع في النحو واللغة والفقه، وكان

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٥٧، معجم الأدباء ٥/ ٤٥، الأنساب ٥٤٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٤، إنباه الرواة ١/ ١٢١، تذكرة الحفاظ ٤/ ٦٣، شذرات الذهب ٤/ ٥٨، بغية الوعاة ١٠٠، مرآة الجنان ٤/ ٢٢٣.

(٢) هذا خطأ فاحش لا يقبل التوجيه، لأن التركيب يطلق على الديوث بطريق الكناية، فإن كلمة خشرى تطلق على المرتكب المفسد ذكرًا كان أو أنثى، فيركبونها بزن ويكنون بالمركب عن الديوث كما لا يخفى على المتتبع لاستعمالاتهم. ومع هذه التكلفات لا يحصل معنى المقصود لأن معنى بائع زوجته يعبر عنه بالفارسية (زن فروش). وأما معنى (زنش خرى) تشتري زوجته، فتدبر. (هامش الأصل).

(٣) دستور اللغة، وهو من الكتب المختصرة في هذا الفن، لبديع الزمان حسين بن ابراهيم النطنزي (-٤٩٩هـ). والنطنزي، بنونين بينهما طاء وآخره زاي معجمة، أوله: «الحمد لله الذي أبدع العالم بقدرته...». وهو منقسم على ثمانية وعشرين كتابًا بعدد الحروف المناسبة لمنازل القمر. وأورد في كل كتاب اثني عشر بابًا بعدد الشهور للسنة.
انظر: كشف الظنون ١/ ٣٧٧.

(٤) مرقاة الأدب مختصر في اللغة. فارسي منظومة من منظومات الأحمدي الكرمياني (-٨١٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٥٦.

(٥) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٩٩، معجم الأدباء ١٩/ ٢١٢، مرآة الجنان ٤/ ٢٠، بغية الوعاة ٤٠٢، الجواهر المضيئة ٢/ ١٩٠، تاج التراجم ٥٨، وغيرها.

(٦) اسم لناحية كبيرة عظيمة قصبتها الجرجانية. أهلها يسمونهاكركانج، وهي ولاية متصلة العمران، متقاربة القرى، كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها، وأكثر ضياعها مدن ذات أسواق، وهي على جيحون. قيل: ثمانون فرسخًا في مثلها، وكلهم معتزلة. انظر: مراصد الاطلاع ٤٨٧.

(٧) لعله سهو من قلم الكاتب، فإن الزمخشري مات عام ٥٣٨هـ، وفيها ولد المطرزي. (هامش الأصل).

(٨) كلمة خطيب ساقطة من النسخة المصرية.

على مذهب الحنفية، وكان لهم كالأزهري للشافعية. وكان يقال: هو خليفة الزمخشري[١]، وكان معتزليًا. صنّف: شرح المقامات والمغرب في لغة الفقه والمعرب في شرح المغرب والاقناع في اللغة والمختصر الموسوم بالمصباح في النحو، وهو مشهور بأيدي الناس اليوم، ومختصر الإصلاح لابن السكيت. ولد في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة، ومات بخوارزم في يوم الثلاثاء حادي عشر من جمادى الأولى سنة عشر وست مائة.

ومما يختص بلغة الفقهيات أيضًا: كتاب طلبة الطلبة للشيخ الإمام الأجل الزاهد، نجم الدين أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن إسمعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي[٢]. سمع الحديث، له: كتاب طلبة الطلبة. قلت الطلبة بكسر اللام ما طلبته من شيء، والطلبة بفتح اللام جمع طالب، ذكر فيه ألفاظ الفقه الواقعة في كتب الحنفية، ونظم الجامع الصغير، وله كتاب المنظومة في الخلافيات، وله كتاب القند في علماء سمرقند وغير ذلك من التصانيف. قال السمعاني: كان إمامًا فاضلًا مبرزًا متقيًا. سمع أبا محمد التنوخي[٣]، وأبا الحسين محمد بن محمد بن الحسين البزدوي، وغيرهما. وصنّف في كل نوع من العلم: في التفسير والحديث والشروط، صنف قريبًا من مائة مصنف. وقد استقريت مصنفاته فرأيت فيها أوهامًا كثيرة، فعرفت أنه كان ممن أحب الحديث وطلبه ولم يرزق مهلة التجريد. قال صاحب تاج التراجم[٤]: ومن ذا سلم من ذا. قلت: ولقد أنصف في هذا القول فرضي الله عنه وعن سائر المنصفين. ولد بنسف[٥] في شهور سنة إحدى أو إثنتين وستين وأربع مائة، توفي ليلة الخميس ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. وفي هذه السنة توفي أيضًا العلامة أبو القاسم الزمخشري.

ومما يختص بغريب الحديث: الفائق، لمحمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، أبو القاسم، جار الله. وقد سبق تفصيله في باب التفسير في ذكر كتاب الكشاف لأنه أشهر بذلك منه بغيره.

ومما يختص بغريب الحديث: النهاية في غريب الحديث والأثر للجزري[٦]، وهو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، العلامة مجد الدين، أبو

---

(١) هامش: قال في الصحيفة الآتية في ترجمة النسفي: توفي سنة ٥٣٨هـ. قال: وفي هذه السنة توفي العلامة أبو القاسم الزمخشري. وقال هاهنا في ترجمة أبي الفتح المطرزي: ولد في رجب سنة ٥٣٨هـ، فيكون سنة موت الزمخشري سنة ولادة المطرزي، فلا يمكن أن يكون المطرزي تلميذ الزمخشري، وكونه خليفة كما ذكره، فلعله السهو في النسخة أو الرواية نفسها. (هامش الأصل).

(٢) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٦/ ٧٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٦٨، شذرات الذهب ٤/ ١١٥، تاج التراجم ٣٤، الجواهر المضيئة ١/ ٣٩٤، الفوائد البهية ١٤٩.

(٣) لعله يوسف بن محمد بن مقلد بن عيسى بن ابراهيم بن صالح التنوخي الجماهيري، أبو الحجاج أو أبو محمد. توفي عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م. فقيه، أصولي، لغوي. محدث، له تصانيف.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١٣/ ٣٣٢، هدية العارفين ٢/ ٥٥٢.

(٤) تاج التراجم في طبقات الحنفية، مختصر جمعه قاسم بن قطلوبغا (-٨٧٩هـ) الحنفي، من تذكرة شيخه التقى المقريزي ومن الجواهر المضيئة.
كشف الظنون ١/ ٢٦٩، ٢/ ١٠٩٨.

(٥) مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق، بين جيحون وسمرقند. انظر: مراصد الاطلاع ١٣٧١.

(٦) انظر ترجمته في: وفيات الاعيان ١/ ٥٥٧، طبقات الشافعية ٥/ ١٥٣، معجم الأدباء ١٢/ ٧١، النجوم الزاهرة ٦/ ١٩٨، بغية الوعاة ٣٨٦، البداية والنهاية ١٣/ ٥٤، شذرات الذهب ٥/ ٢٢، مرآة الجنان ٤/ ١١، وغيرها.

السعادات الجزري الإربلي، المشهور بابن الأثير، من مشاهير العلماء وأكابر النبلاء وأوحد الفضلاء. ولد سنة أربع وأربعين وخمس مائة بالجزيرة، وانتقل إلى الموصل، وأخذ النحو عن ابن الدهان[١] ويحيى بن سعدون القرطبي[٢]. وسمع الحديث متأخرًا من ابن عبد الوهاب بن سكينة[٣] وغيره. وتنقل في الولايات، وكتب في الإنشاء، ثم عرض له مرض كفّ يديه ورجليه ومنعه الكتابة، فانقطع في بيته، يغشاه الأكابر والعلماء. فجاءه مغربي فالتزم أنّه يداويه ولا يأخذ أجرة إلّا بعد برئه، وأخذ في معالجته بدهن صنعه، ولانت رجلاه وأشرف على البرء فأرضى المغربي بشيء وصرفه، فلامه أخوه عز الدين فقال: أنا كنت في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلآء القوم والتزام أخطارهم، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاؤني بأنفسهم ليأخذوا رأيي. وله من التصانيف: النهاية في غريب الحديث، وهو كتاب غريب لم يعهد نظيره في بابه، جامع الأصول في أحاديث الرسول، وهذا الكتاب أحد أركان الحديث وعون دين الاسلام، البديع في النحو، الباهر في الفروق في النحو، تهذيب فصول ابن الدهان، الإنصاف بين الثعلبي وصاحب الكشاف[٤]، شرح مسند الشافعي، البنين والبنات والآباء والأمهات والأذواء والذوات. قال السيوطي: وقفت عليه ولخصت منه الكنى في كراسة. مات يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وست مائة.

علم مبادىء الإنشاء وأدواته(*)

وهو علم باحث عما يحتاج إليه المنشىء من الخط والعربية والعلوم الشرعية والتواريخ وما يناسب ذلك. وموضوعه وغايته وغرضه ظاهرة للمتدبر. ومن المصنفات في هذا العلم بحيث لا يغادر قليلًا ولا كثيرًا إلّا أحصاها، ولا يدع شيئًا من المهمات إلّا كشف عنها واستقصاها: كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا للشيخ الإمام العلامة، جامع أشتات الفنون، أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي الشافعي، وهو كتاب نافع في بابه في الغاية. ولقد طالعت بعضًا منه وانتفعت به لكن لم أقف على ترجمة مصنفه، إلّا أنه مصري الدار وكاتب الإنشاء بالديار المصرية. مات في جمادي الآخرة سنة إحدى وعشرين وثمان مائة عن خمس وستين، كذا في تاريخ السخاوي[٥].

ومن الكتب النافعة المختصرة في صناعة

---

(١) هو سعيد بن المبارك بن علي الانصاري، أبو محمد. المعروف بابن الدهان. ولد عام ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م. وتوفي عام ٥٦٩هـ / ١١٧٤م. عالم باللغة والأدب. له تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٠٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٠٩، إرشاد الأريب ٤/ ٢٤١، إنباه الرواة ٢/ ٤٧.

(٢) هو يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، أبو بكر. ولد عام ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م. وتوفي عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م. عالم بالقراءات والحديث واللغة. له تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٨/ ١٤٧، وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٦، غاية النهاية ٢/ ٣٧٢، بغية الوعاة ٤١٢.

(٣) هو عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبدالله، ضياء الدين أبو أحمد البغدادي، المعروف بابن سكينة. ولد عام ٥١٠هـ/ ١١١٧م. وتوفي عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م. محدث كبير، عالم بالقراءات والفقه والأصول له تصانيف عديدة.
انظر عنه: طبقات الشافعية ٢/ ٣٩٠، البداية والنهاية ١٣/ ٦١، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠١، شذرات الذهب ٥/ ٢٥، طبقات السبكي ٥/ ١٣٦.

(٤) الإنصاف بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن الكريم، أخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري. (هامش الأصل).

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، من علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (-٩٠٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٨٩.

الإنشاء: كتاب مناظر الإنشاء لمحمود الشهير بخواجه جهان،(١) إلّا أنه وقع باللسان الفارسي، وصاحبه من مشاهير الدنيا، وكان ذا ثروة ومال عظيم، وكان يصل إحسانه من الهند إلى علماء الروم وفضلاء العجم، ويقال إنه كان وزيرًا في بلاد الهند.

علم مبادي الشعر(*)

علم باحث عن مقدّمات تخييلية يحصل منها الترغيب أو الترهيب، وتختلف تلك بحسب قوم وقوم. وموضوعه الشعر من حيث مقدماته المناسبة من تتبع الأمور التخييلية. ومباديه تحصل من تتبع أشعار الناس بحسب قوم وقوم. والغرض منه تحصيل ملكة إيراد الكلام الشعري على مواد متناسبة. وغايته الاحتراز عن الخطاء فيها. وكتاب الشعر(٢) من مواد الأقيسة المذكورة في الكتب الحكمية نافعة في هذا الباب.

علم المحاسبة والمراقبة(**)

واعلم أنّ التاجر يستعين بشريكه فيشارطه أولًا، ثم يراقبه، ثم يحاسبه، ثالثًا، ثم يعاتبه رابعًا، كذلك العقل هو التاجر في متاع الآخرة وشريكه النفس فعليه أن يحاسبها، لأنّ كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنوز لا تتناهى أبد الآباد، فيقول للنفس في صبيحة كل يوم: مالي بضاعة إلّا العمر، فمهما فنى فقد فنى رأس المال، ووقع اليأس عن التجارة، وهذا اليوم الجديد قد مهلني الله تعالى فيه، وأنساني أجلي، وأنعم عليّ به، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يومًا واحدًا أعمل فيه صالحًا، وأحسبني أني توفيت ثم رددت، فإياك أنّ يضيع هذا اليوم، فإنّ كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها، فهذه وصيته لنفسه في أوقاته. ثم يستأنف لها وصيته في أعضائه السبعة ويسلمها إليها، فإنها رعايا خادمة لها هذه التجارة، وبها تتم أعمال هذه التجارة. وإن لم يحفظ هذه الأعضاء صارت أبوابًا سبعة لجهنم. أما العين فيحفظها عن المحرمات بل عن الفضول، فإنها مسؤولة عن الفضول كالكلام، ثم يأمر بصرفها إلى ما خلقت هي له، وكذا اللسان يحفظه عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، وعن فضول الكلام، ويأمر له العلم والأذكار وسائر الخيرات، وكذا الأذن والبطن واليد والرجل والفرج.

ثم إنّ العقل بعدما شرط للنفس هذه الأمور ينبغي أن يراقبها عند العمل. ولا يخفى أنّ المراقبة من مبادىء مرتبة الإحسان، ففضلها ظاهر. وأما حقيقتها فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه. ولا يتم هذا إلّا بمعرفة وهي أنّ الله تعالى مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ۝﴾(٣). وإذا استولت على القلب هذه

---

(١) خواجه جهان أحمد كاوان أصله كان من العجم، لما دخل الهند وسار إلى بلاده تمكن في ملك الدكن وهو من أقاليم الهند، وحصلت له رتبة عظيمة عند ملك كلبركه، (بل بيدر وهو بلد في مملكة النظام آصف جاه سلطان حيدر آباد الدكن) وصار وزيرًا، وبالغ في عمارات الدين، وبنى مدرسة عالية في بلدة بيدر، وطلب لصدارته الملا جامي من وطنه، وكان يتهيأ للمجيء ولكن لم يتفق له، رحمهما الله تعالى. (هامش الأصل).

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، من علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) كتاب الشعر لجابر بن حيان الفيلسوف الطوسي (-١٦٠هـ) كشف الظنون ٢/ ١٤٣٠.

(**) هذا هو الأصل الثامن من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) الفجر / ١٤.

المعرفة لاجرم أمالت القلب إلى جانب ملاحظة الرقيب. والموقنون بهذه المعرفة هم المقرّبون المنقسمون إلى الصديقين وإلى صاحب اليمين. وأما مراقبة الصديقين فهو مراقبة التعظيم والإجلال بأن يستغرق قلبه في ملاحظة ذي الجلال، ويصير منكسرًا تحت الهيبة، فلا يبقى معه متسع للضرّ أصلًا، وتبقى جوارحه متعطلة عن التلفت إلى المناجاة فضلًا عن الحظورات[١]، فلا يحتاج إلى مدبر في حفظها على سنن السداد، وهذا هو الذي صار همه همًا واحدًا، فكفاه الله سائر الهموم. ومثل هذا يغفل من الخلق كلهم حتى لا يبصر من عنده وعينه ناظرة إليه، ولا يسمع الكلام وليس به صمم، وقد يمر على ابنه فلا يكلمه.

وقال بعضهم لمن عاتبه على عدم الالتفات إذا مررت فحركني. ومثل هذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه إذْ لا يتحرك إلّا بما هو فيه.

وأما مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب مطالعة جمال الله على قلوبهم وبواطنهم وظواهرهم، ولكن لم يدهشهم ذلك، بل بقيت قلوبهم على حدّ الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال، وهم يجمعون بين ممارسة الأعمال والمراقبة بغلبة الحياء من الله تعالى، فيتثبت فيه ويفرّ من الفضاحة في القيامة، فينظر قبل العمل أنّه لله تعالى فيمضيه، أو لغير الله فيستحيي من الله فيكفّ عنه، ثم يلوم نفسه على رغبتها فيه وهمها به وميلها إليه، وعرّفها سوء فعلها، وأنها عدوة نفسها إنْ لم يتداركها الله بعصمة، وعند الشروع في العمل في كيفية العمل ليقضي حقّ الله فيه، ويحسن النية في إتمامه، ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه، وهذا ملازم له في جميع أحواله من حركة وسكون.

فإذا راقب الله في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية ومراعاة الأدب وحسن الفعل. فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الآداب وحراستها عن الآفات، وإنْ كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير. وان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب، ثم شهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها.

ثم الناس في حق المطاعم والمشارب على أربع مراتب:

قسم ينظرون إليها بعين الاعتبار، فينظرون في عجائب صنعتها، وكيفية ارتباط قوام الحيوانات بها، وكيفية تقدير الله لأسبابها، وخلق الشهوة الباعثة عليها، وخلق الآلات المسخرة للشهوة، وهذا مقام ذوي الألباب.

وقسم ينظرون بعين المقت والكراهة، ويودّون لو اشتغلوا عنها، إلّا أنهم مضطرون إليها، وهذا مقام الزاهدين.

وقسم يرون في الصنعة الصانع وصفاته فتنفتح له أبواب الفكر، وهو أعلى المقامات، وهو من مقام العارفين والمحبين وذلك عزيز جدًا.

وقسم ينظرون إليها بعين الرغبة والحرص، فيتأسفون على ما فاتهم منها، ويفرحون بما حضرهم من جملتها، ويذمون ما لا يوافق طبعهم، ويعيبون الطبيخ والطباخ، مع أنّ من ذمّ شيئًا من خلق الله بغير إذنه فقد ذمّ الله تعالى، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: «لا تسبوا الدهر فإنّ الله هو الدهر»[٢].

وإذا عرفت محاسبة النفس ومراقبتها عند العمل، فاعلم أنّ مراقبتها محاسبتها بعد العمل

---

(١) كذا في الأصل. ولعله: عن المباحات فضلًا عن المحظورات.

(٢) مسند أحمد، ٥/٢٩٩.

وهي النظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان، فإنْ فضل حاصله شكره وإلّا طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل. ثم إنّ رأس مال السالك في دينه الفرائض وربحه النوافل وخسرانه المعاصي، وموسم التجارة جملة النهار، فليطالب نفسه الأمارة بالسوء، فليحاسبها على الفرائض، إنّ أدّاها على وجهها شكر الله عليه ورغبها في مثلها، وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء، وإن أدّاها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط.

ثم إنّه يحاسبها عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لِمَ سكت، وعن سكونه لم سكن، ثم إنّه بعد محاسبتها ينبغي أن لا يهمل تقصيرها وإلّا عسر فطامها بعد ذلك، وكان ذلك سبب هلاكها؛ بل ينبغي أن يعاقبها على ذلك، مثلًا إذا أكل لقمة بشبهة يعاقبها بالجوع، وإذا نظر إلى غير محرم يعاقب العين بمنع النظر، وهكذا. وإذا كنت عاقبت أهلك وعبدك وأمتك وولدك على تقصيرهم في أمر يؤدّي إلى ضرر في الدنيا فلأي شيء لا تعاقب جوارحك وهي أخص بك مما ذكر، مع أنّ ضررها في الآخرة.

ثم إذا أتممت أمر المحاسبة فعليك بالمجاهدة بأن تعاقبها بالعقوبات، مثلًا إنّ رآها تتنادى[1] في ورد من أورادها يعاقبها بتثقيل الأوراد عليها، ويلزمها فنونًا من الوظائف جبرًا لما فات، وتداركًا لما فرط. ولعمري ما أعظم حسرة من لا يمنع نفسه أيامًا قلائل عن شهوات مكدرة، ثم يأتيه الموت، ويحال بينه وبين ما يشتهيه أبد الآباد، نعوذ بالله من ذلك.

ثم إعلم أنّ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمّارة بالسوء، وأمرت بمنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها. فإنّ أهملتها شردت وجمحت، وإنْ عاتبتها كانت نفسك هي النفس اللوّامة، ورجوت أنّ تصير مطمئنة، فلا تغفل عن وعظها ساعة، وقلْ لها: أنت تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أحمق وأجهل. أما تعرفين الجنة والنار وأنك صائرة إلى إحداهما، فما لك تشتغلين باللهو. أما تعلم أنّ كل آتٍ قريبٍ، وأيضًا إنّه يأتي بغتة ولا أقل من أنّ المرض يأتي بغتة، فعند ذلك لا ينفعك الندم. وأيضًا ما أجرأك على المعاصي إنْ قلت إنّ الله لا يراك فما أعظم كفرك، وإنْ قلت إنّه يراك فما أشدّ وقاحتك، وإنْ اغتررت بمكره وفضله فمالك لا تغترين بهما في أمر الدنيا، وإنّ ربّ الدنيا والآخرة واحد، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾[2]. ولا تظنين أنّك إذا متّ انفلت وتخلصت. هيهات هيهات، كيف تكذبين أنبياء الله، فإن صدقتهم فما بالك تسوّفين العمل والموت لك بالمرصاد. فبماذا أمنت استعجال الأجل وما الباعث لك على التسويف، فتنظرين يومًا لا يعسر فيه مخالفة الشهوات، فهذا من أقبح الجهالات، إذْ الجنة حُفَّت بالمكاره والنار بالشهوات، مع أنّ شجرة الشهوة تقوى وترسخ مهما طال الزمان، سيّما والقوة مهما تأخرت تكون في النقصان، إذْ رياضة الهرم من العناء، والقضيب إذا غلظ لا يقبل الانحناء، وإنْ لم تصبري عن مقارفة الشهوات فتأملي أنّ ألم الصبر عنها أعظم أم ألم الصبر على النار.

فإذ عرفت هذا فلعلك لا تتوانين عن النظر لنفسك إلّا لضعف يقينك بيوم الحساب وهو الكفر الخفي، أو اعتمادك على كرم الله تعالى

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) النجم / ٣٩.

وعفوه من غير التفاتك إلى استدراجه ومكره واستغنائه عن عبادتك وهذا هو الحمق الجلي. وإنما كرم الله تعالى في تعريف أسباب الخلاص لا في أن يدفع عنك العقاب بدون التحصن بحصنه، أعني التوحيد والطاعات. ويحك فاحسبي أنك غافلة عن عذاب الله وثوابه. أما تعلمين أنّك تفارق الدنيا بالموت فلا يبقى لك إلّا حسرة مفارقتها تعمرها وأنت ترتحل عنها، وتخربين آخرتك وأنت تصير إليها، ولعلك أسكرك حبّ الجاه، وحاصله ميل قلوب الناس إليك، فاحسبي أنّ كل من على وجه الأرض سجدوا لك وأطاعوك، فما تعرف أنه بعد خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود، فأفٍّ لدنيا ربما يفضلك فيها المجوس واليهود، فيا حسرة عليك إنّ الموتى يتمنون الرجعة إلى الدنيا ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمنيتهم غافل عنها ذاهل. أفتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من الخالدين؟ هيهات هيهات، ساء ما تظنين. ما أنت إلّا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك. أما تخافين إذا بلغت النفس منك على التراق، وتبشري بالعذاب، فهل ينفعك حينئذ الندم، أو يقبل منك الحزن، أو يرحم منك البكاء، فانظري بأيّ قلب تقفين بين يدي الله، وبأي لسان تجيبين، وأعدّي للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا، فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجى إلّا إليه، ولا مقول إلّا عليه، قد ضاقت بك السبل، وانقطعت منك الحيل، ولا يجيب دعوة المضطر إلّا هو، ولا يغيث الطالب الملتهف إلّا هو. فقولي: يا رحمنُ يا رحيمُ، يا عظيم يا كريم، أنا البائس الفقير، والضعيف الحقير، هنا مقام المتضرع المسكين، والذليل المهين، فعجِّل إغاثتي وفَرَجي، وأرني آثار رحمتك، وأذقني بَرْدَ عفوك وشراب مغفرتك، وارزقني قوة عصمتك ولذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

علم المحاضرة(*)

وهو علم يحصل منه ملكة إيراد كلام للغير مناسب للمقام من جهة معانيها الوضعية، أو من جهة تركيبه الخاص. وغرضه تحصيل تلك الملكة. وفائدته الاحتراز عن الخطاء في تطبيق كلام منقول عن الغير على ما يقتضيه مقام التخاطب من جهة معانيها الأصلية، ومن جهة خصوص ذات التركيب نفسه. والفرق بينه وبين علم المعاني، أنّ المعاني تطبيق المتكلم كلامه على مقتضى الحال، وكلام الغير على خواص لائقة بحاله. والمحاضرات استعمال كلام البلغاء أثناء الكلام في محل مناسب له على طريق الحكاية. وموضوعه وغايته وغرضه ومباديه ظاهرة للمتدبر.

ومن الكتب المصنفة فيه: ربيع الأبرار لجار الله العلامة الزمخشري، رحمه الله. وقد عرفت ترجمته عند ذكر الكشاف في التفاسير. وفنون المحاضرة للراغب الأصفهاني[(١)]، وهو المفضل بن محمد الأصبهاني، أبو القاسم، الراغب، صاحب المصنفات، كان في أوائل المائة الخامسة. له: مفردات القرآن وأفانين البلاغة والمحاضرات. وله: تفسير، معناه من بعض الثقات. وله: تفصيل النشأتين، وله: كتاب الذريعة في أحكام الشريعة. والناس يظنون أنه معتزلي، لكن قال السيوطي: رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، من علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) انظر ترجمته في: تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ١١٢، روضات الجنات ٢٤٩، أعيان الشيعة ٢٧/ ٢٢٠، وغيرها.

الصغرى[١] لابن عبد السلام ما نصه: ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس[٢] في الأصول أنّ أبا القاسم الراغب من أئمة السُّنة وقرنه بالغزالي، وهذه فائدة حسنة، فلا عبرة بظنون الناس، وإنّ بعض الظن إثم.

ومن كتب المحاضرات: التذكرة الحمدونية وهي لأبي المعالي، محمد بن أبي سعد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب، الملقب كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي[٣]. كان فاضلًا ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة، من بيت مشهور بالرياسة والفضل، هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر. وسمع أبو المعالي من أبي القاسم إسمعيل بن الفضل الجرجاني[٤] وغيره. وصنف: كتاب التذكرة، وهو من أحسن المجاميع، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار لم يجمع أحد من المتأخرين مثله. وهو من الكتب الممتعة، مشهور، كثير الوجود بأيدي الناس. ولد في رجب سنة خمس وتسعين وأربع مائة، وتوفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة سنة إثنتين وستين وخمس مائة، ودفن يوم الأربعاء بمقابر قريش ببغداد، وكان موته في الحبس رحمه الله تعالى.

ومن كتب المحاضرات: ريحانه الأدب[٥] لابن سعد[٦]، ولم أقف على ترجمته. والعقد الفريد لابن عبد ربه[٧]، وهو أبو عمرو، أحمد بن محمد بن عبد ربه، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي. كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس، وصنف كتابه العقد، وهو من الكتب الممتعة، حوى من كل شيء. وله ديوان شعر جيد يشتمل أشعاره كل معنى مليح، وكل لفظ فصيح. وكانت ولادته في عاشر شهر رمضان سنة ست وأربعين ومائتين، وتوفي يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة، وكان قد أصابه الفالج قبل ذلك بأعوام.

ومن كتب المحاضرات: فصل الخطاب[٨] للتيفاشي[٩]، ونثر الدرر[١٠] للآبي[١١]، والأغاني

---

(١) القواعد الصغرى في فروع الشافعية للشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي الشامي (-٦٦٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٥٩

(٢) تأسيس التقديس في الكلام، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي (-٦٠٦هـ). كشف الظنون ١/ ٣٣٣.

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٦٥٤، فوات الوفيات ٢/ ١٨٦، مرآة الجنان ٣/ ٣٧٠، البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٣، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٥٧، المنتظم ١٠/ ٢٢١.

(٤) هو إسماعيل بن مسعدة بن اسماعيل بن أبي بكر الاسماعيلي، أبو القاسم الجرجاني. ولد عام ٤٠٧هـ، وتوفي عام ٤٧٧هـ. إمام مفتٍ، محدث، له تصانيف، انظر عنه: المنتظم ٩/ ١٠، العبر ٣/ ٢٨٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٥٤، سير اعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٤.

(٥) لم نعثر على كتاب ريحانة الأدب لابن سعد. ولكن يوجد ريحانة الأدب في المحاضرات لأبي الحسن علي بن موسى العمادي الأندلسي (-٦٧٣هـ). كشف الظنون ١/ ٩٤٠.

(٦) لم يقف الكاتب على ترجمته ممّا يعني وقوع إلتباس على الأرجح.

(٧) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٩، معجم الأدباء ٤/ ٢١١، بغية الملتمس ١٣٧، تذكرة الحفاظ ٣/ ٥٩، البداية والنهاية ١١/ ١٩٣، نفح الطيب ٤/ ٢١٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٦، شذرات الذهب ٢/ ٣١٢، وغيرها.

(٨) فصل الخطاب للشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشي (-٦٥١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٢٦٠.

(٩) سبق التعريف به.

(١٠) نثر الدرر في المحاضرات لابي سعيد منصور بن الحسين الآبي الوزير (-٤٢٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٢٧.

(١١) هو منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبي. توفي عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م. عالم بالأدب والتاريخ، وزير له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٩٨، معجم البلدان ١/ ٥٣، الذريعة ٣/ ٢٥٤، التاج ١/ ١٥١.

لأبي الفرج الأصفهاني[١]، وهو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد القرشي الأموي الكاتب الأصبهاني[٢]، صاحب كتاب الأغاني، ولد بأصبهان ونشأ ببغداد، كان من أعيان أدبائها وعالمًا بأيام الناس والأنساب والسير، وكان من المتشيعين، وكان يحفظ اللغة والنحو والصرف والسير والمغازي والشعر والأغاني. وكان يعرف من آلة المنادمة شيئًا كثيرًا، مثل علم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم، وشعره يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء، وله المصنفات المستملحة، منها: كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله، يقال جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة[٣] فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه. وحكي عن الصاحب ابن عباد أنه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملًا من الكتب، فلما وصل إليه كتاب الأغاني استغنى به عنها. ومن مصنفاته: كتاب جمهرة النسب وكتاب الغلمان المغنين وكتاب الإماء الشواعر وغير ذلك، وأشعاره كثيرة، ومآثره شهيرة. ولد سنة أربع وثمانين ومائتين، وفي هذه السنة مات البحتري الشاعر، وتوفي في يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاث مائة ببغداد[٤]، وقيل سنة سبع خمسين، والأول أصح.

ومن كتب المحاضرات: السكردان لابن أبي حجلة[٥]، وهو أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة، نزيل دمشق ثم القاهرة، شهاب الدين، أبو العباس. ولد بزاوية جده بتلمسان[٦] سنة خمس وعشرين وسبع مائة، واشتغل ثم قدم إلى الحج فلم يرجع، ومهر في الأدب، ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسّل ففاق، وعمل المقامات وغيرها. وكان حنفي المذهب حنبلي المعتقد، وكان كثير الحط على الاتحادية. وصنف كتابًا عارض به قصائد ابن الفارض، كلها نبوية. وكان يحط عليه لكونه لم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ويحط على نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم. وقد امتحن بسبب ذلك على يد السراج الهندي. وكان يقول الشعر مع أنه لا يحسن العروض، وكان كثير العشرة للظلمة ومدمني الخمر، وكان جده من الصالحين. وسمّي بأبي حجلة لأنّ حجلة أتت إليه وباضت على كمه، وكان كثير النوادر والنكت ومكارم الأخلاق، وجمع مجاميع حسنة، منها: ديوان الصبابة ومنطق الطير والسجع الجليل فيما جرى من النيل والسكردان والأدب الغض وأطيب الطيب ومواصيل

---

(١) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٢١، معجم الأدباء ١٣/ ٩٤، تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨، يتيمة الدهر ٣/ ٩٦، إنباه الرواة ٢/ ٢٥١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٥، ميزان الاعتدال، ٢/ ٢٢٣، مرآة الجنان ٢/ ٣٥٩، شذرات الذهب ٣/ ١٩، وغيرها.

(٢) وكان جده الأعلى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين. (هامش الأصل).

(٣) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي، أبو الحسن، سيف الدولة. ولد عام ٣٠٣هـ/ ٩١٥م. وتوفي عام ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م. أمير، كريم محب للعلماء والشعراء. له أخبار كثيرة.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٣٠٣، وفيات الأعيان ١/ ٣٦٤، يتيمة الدهر ١/ ٨.

(٤) وكان قد خلط قبل أن يموت، واتفق في سنة موت العالمين الكبيرين وموت ثلاثة ملوك كبار. فالعالمان هما أبو الفرج المذكور وأبو علي القالي. والملوك هم: سيف الدولة بن حمدان، ومعز الدولة بن بويه، وكافور الأخشيدي. (هامش الأصل).

(٥) انظر ترجمته في: الأعلام ١/ ٢٦٩، الدرر الكامنة ١/ ٣٢٩، آداب اللغة ٣/ ١٢٣.

(٦) وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام، بالمغرب: مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر. إحداهما قديمة والأخرى حديثة. اختطها الملثمون، يقال لها بافرزت، يسكنها الجند وأصحاب السلطان. واسم القديمة أقادير، ويسكنها الرعية، فهما كالفسطاط والقاهرة بمصر. انظر: مراصد الاطلاع ٢٧٢.

المقاطيع والنعمة الشاملة في العشرة الكاملة وحاطب ليل عمله كالتذكرة في مجلدات كثيرة، وبحر أعداء البحر وعنوان السعادة ودليل الموت على الشهادة وقصيرات الحجال. مات في مستهل ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبع مائة، وله إحدى وخمسون سنة[١].

ومن كتب المحاضرات: حياة الحيوان، لكمال الدين الدميري[٢]، ولها كبرى وصغرى. وهو كمال الدين، محمد بن موسى الدميري الشافعي المصري، صاحب التصانيف المفيدة في علوم عديدة. كان كثير العبادة ملازمًا للصوم، عديم النظير في وقته. وكان يكتسب أولًا بالخياطة ثم تركه، ولم يتقلد القضاء أصلًا، ولا لبس ثيابًا فاخرة تواضعًا، وما رؤي راكبًا قط. أخذ عن الأسنوي والعراقي وأعيان العلماء. ومن تأمل كتابه المذكور وما أودعه فيه من الغرائب والفوائد والعلوم المفيدة عرف فضله. ولد سنة إثنتين وأربعين وسبع مائة، وتوفي بالقاهرة سنة ثمان وثمان مائة.

قلت: الدميري منهم من يقول بكسر المهملة وكسر الميم، ومنهم من يقول صح بضم الأول وفتح الثاني على زنة التصغير، ومنهم من يقول بفتح الدال وكسر الميم. ولعلّ الصواب هو الأخير لأني وجدته مضبوطًا كذلك بخط بعض الثقات. قلت: وبعد مدة رأيت في كتاب الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية في كتاب الأنساب الذي أورده ذيلًا للكتاب ما صورته: (الدَّمِيري) بفتح الدال وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها راء، قرية بمصر، هذا ما ذكره والله أعلم.

ومن كتب المحاضرات: مؤنس الوحيد للثعالبي[٣]، صاحب كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وهو أكبر كتبه وأحسنها وأجمعها. والثعالبي هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسمعيل الثعالبي النيسابوري. والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب. وله كتاب: فقه اللغة وسحر البلاغة ونشر البراعة ومن غاب عنه المطرب. قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه: كان في وقته راعى تلعات[٤] العلم، وجامع أشتات النثر والنظم. رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم قرانه. سار ذكره مسير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب. ولد سنة خمسين وثلاث مائة، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربع مائة.

ومن لطائف كتب المحاضرات: محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار للشيخ الإمام العالم الرباني والبحر الصمداني، مرشد السالكين ومنقذ الهالكين، الشيخ أبي عبد الله، محيي الدين، محمد بن علي بن محمد ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي[٥]، قدّس الله سرّه العزيز. كان جليل الشأن، نسيج وحده في العرفان. وله المصنفات الوافرة والمؤلفات الزاخرة، وتصانيفه لا تحصى، ومنها: الفتوحات المكية التي ضمّن فيها غريب المعارف الكشفية والذوقية، وكذلك

(١) وألّف سكردان في سنة سبع وخمسين وسبعماية للملك الناصر، وهو على مقدمة وسبعة أبواب. (هامش الأصل).

(٢) انظر ترجمته في: الضوء اللامع ١٠/ ٥٩، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٩، شذرات الذهب ٧/ ٧٩، البدر الطالع ٢/ ٢٧٢.

(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٦٥، نزهة الألباء ٤٣٦، البداية والنهاية ١٢/ ٤٤، شذرات الذهب ٣/ ٢٤٦، مرآة الجنان ٣/ ٥٣.

(٤) التلعة ما ارتفع من الأرض، وما انخفض صعيد، وجمعها تلعات. (هامش الأصل).

(٥) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٣، فوات الوفيات ٢/ ٢٤١، لسان الميزان ٥/ ٣١١، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩، مرآة الجنان ٤/ ١٠٠، ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٨، شذرات الذهب ٥/ ١٩٠، وغيرها.

الفصوص. توفي سنة ثمان وثلاثين وستّ مائة، ومولده في رمضان سنة ستين وخمس مائة بمرسية. وعنه أخذ الشيخ شرف الدين ابن الفارض وستعرفه، والشيخ صدر الدين القونوي وسنذكره إن شاء الله تعالى. قال الجزري: قرأ القراءات بالأندلس. روى عن المشايخ، وروى عنه المشايخ. توفي بدمشق ودفن بالصالحية[١] بتربة بني الذكي، وقبره بها ظاهر يزار.

ومن كتب المحاضرات: سلوان المطاع في عدوان الاتباع[٢] لابن ظفر[٣]، وهو أبو عبد الله محمد بن[٤] أبي محمد بن ظفر الصقلي، المنعوت بحجة الدين، أحد الأدباء الفضلاء، صاحب التصانيف الممتعة، منها: سلوان المطاع في عدوان الاتباع صنفه لبعض الأمراء بصقلية[٥]، وخبر البشر بخير البشر، وتفسير كبير اسمه الينبوع، ونجباء الأبناء، وحاشية درة الغواص للحريري، وشرح المقامات للحريري وهو إثنان صغير وكبير، وغير ذلك. وكان قصير القامة دميم الخلقة غير صبيح الوجه. وله شعر. وكانت نشأته بمكة ومولده بصقلية، وتنقل في البلاد، وسكن آخر الوقت بمدينة حماه[٦]، وتوفي بها سنة خمس وستين وخمس مائة، ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات. قيل زوّج ابنته في حماه بغير كفؤ من الحاجة والضرورة، وإنّ الزوج رحل بها من حماه وباعها في بعض البلاد.

ومن كتب المحاضرات: كتاب المحاضرات والمناظرات وكتاب الامتاع والموانسة كلاهما لأبي حيان التوحيدي[٧]، وهو علي بن محمد ابن العباس، أبو حيان التوحيدي، نسبة إلى نوع من التمر يُسمّى التوحيد. قال ابن حجر: يحتمل أن ينسب إلى التوحيد الذي هو الدين. فإنّ المعتزلة يسمّون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، شيرازي الأصل، وقيل نيسابوري. كان متفننًا في جميع العلوم من النحو اللغة والشعر الأدب والفقه والكلام، معتزليًا يسلك مسلك الجاحظ، شيخ الصوفية، فيلسوف الأدباء، أديب الفلاسفة، إمام البلغاء. لكن كان سخيف اللسان قليل الرضى عند الإساءة إليه والإحسان. فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنة وفصاحة، واسع الرواية والدراية، يتشكى من زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه. أقام ببغداد مدة ومضى إلى الريّ، وصحب أبا الفضل ابن العميد والصاحب ابن عباد، فلم يحمدهما، وصنف في مثالبهما كتابًا وصنّف: الرد على ابن جني في شرح شعر المتنبي، المحاضرات والمناظرات، الإمتاع والمؤانسة، الحنين إلى الأوطان، تعريض الجاحظ البصائر، وغير ذلك. وأحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها، وضنًا بها على من لا يعرف مقدارها. وما وجد من

(١) قرية بظاهر دمشق. وتعتبر اليوم من الأحياء الرئيسة بدمشق.
(٢) الطباع. (هامش الأصل).
(٣) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٦٦٠، معجم الأدباء ١٩/ ٤٨، لسان الميزان ٥/ ٣٧١، بغية الوعاة ٥٩، هدية العارفين ٢/ ٩٦.
(٤) أبي القاسم بن علي القرشي المكي. (هامش الأصل).
(٥) من جزائر بحر المغرب، مقابلة أفريقية، مثلثة الشكل. . . وهي جزيرة حصينة، كثيرة البلدان والقرى والأمصار. قيل: إن لها ثلاثة وعشرين مدينة وثلاثة عشر حصنًا. انظر: مراصد الاطلاع ٧٤٧.
(٦) مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات، نزهة واسعة الرقعة، يحيط بها سور محكم، وبظاهر السور حاضر كبير جدًا، منه قطعة سفلى، وعليها أيضًا سور، وهي على جنب نهر العاصي، وبها جامع ومدارس وسوق. . . وهي مدينة قديمة جاهلية، وكانت من عمل حمص، وبينهما يوم، وبينها وبين شيراز نصف يوم. انظر. مراصد الاطلاع ٤٢٣.
(٧) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٥/ ٥، وفيات الأعيان ٢/ ٧٩، طبقات الشافعية ٤/ ٢، بغية الوعاة ٣٤٨، هدية العارفين ١/ ٦٨٤.

تصانيفه كتبت عنه في حياته. قال ياقوت: وكان يتألّه والناس على ثقة من دينه. وقال ابن النجار: كان صحيح العقيدة. وقال الذهبي: كان سيء العقيدة كذابًا، قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان والقدح في الشريعة. وقال ابن الجوزي: زنادقة الاسلام ثلاثة: ابن الراوندي والتوحيدي وأبو العلاء المعري، وشرّهم على الاسلام التوحيدي لأنهما صرّحا وهو مجمع ولم يصرح. مات في حدود الثمانين والثلاث مائة.

وكتب المحاضرات كثيرة مثل: نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب[(١)]، ورونق المجالس[(٢)]، وأنيس المحاضرة[(٣)]، والروض الخصيب ومؤنس الحبيب[(٤)]، ونظم السلوك في مسامرة الملوك[(٥)]، ونشوان المحاضرات[(٦)]، وعجائب الغرائب[(٧)]، وترويح الأرواح[(٨)]، وغير ذلك مما يطول تعدادها.

علم المحبة والشوق والأنس والرضا[(*)]

وفيه مطالب:

المطلب الأول:

في المحبة لله عز وجل:

وهي من أعلى المقامات، وكل مقام يتقدمها فهو مقدمة من مقدماتها، كالتوبة والصبر والزّهد وغيرها. وكل مقام بعدها من ثمراتها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها. وسائر المقامات وإن عزَّ وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها. وأما محبة الله تعالى فقد عزّ الإيمان بها حتى أنكر بعضهم إمكانها وقال: لا معنى لها إلّا المواظبة على طاعة الله. وأما حقيقة المحبة فمحال إلّا مع الجنس والمثل فلزمهم إنكار لوازم الحب من الأنس والشوق ولذة المناجاة، إلّا أنّ الأمة مجمعون على أنّ الحبّ لله ولرسوله فرض فيكون وجودها مجمعًا عليه، وجعلها مجازًا عن الطاعة لا حاجة إليه وكيف لا والطاعة ثمرة المحبة والقول بالطاعة يستلزم وجود المحبة. وأيضًا محبة الله تعالى في الكتاب والسنة كثير الذكر وكذا في الآثار وكلمات المشايخ بحيث لا يمكن الإنكار عليها، وحمل كلها على المجاز يؤدي إلى اللجاج والعناد.

---

(١) نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب، للشيخ الإمام السموءل بن يحيى بن عباس المغربي (-٥٧٦هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٩٤٠.

(٢) رونق المجالس، لابي حفص عمر بن عبد الله السمرقندي (-؟هـ).
كشف الظنون ١/ ٩٣٤.

(٣) يوجد أنيس الفريد وجليس الوحيد، في المحاضرات للشهاب أحمد بن سعد العثماني الدياجي (-؟هـ).
كشف الظنون ١/ ١٩٨.

(٤) الروض الخصيب ومؤنس الحبيب، في المحاضرات.
كشف الظنون ١/ ٩١٨.

(٥) نظم السلوك في وعظ الملوك، لأبي بكر محمد بن عيسى بن اللبانة اللخمي الأندلسي الشاعر (-٥٠٧هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٩٦٣.

(٦) نشوان المحاضرة، لأبي علي محسن بن علي القاضي التنوخي (-٣٨٤هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٩٥٣.

(٧) عجائب الغرايب في المحاضرات.
كشف الظنون ٢/ ١١٢٦.

(٨) ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح، للإمام أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (-٣٩٣هـ).
كشف الظنون ١/ ٤٠٢.

(*) هذا هو الأصل السادس من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.

واعلم أنّ الحب فرع المعرفة والإدراك، ولهذا لا يتصف الجماد بالحب. ثم المدرك إنْ كان ملذًا فهو محبوب، وإن كان مؤلمًا فهو مبغوض، وما لا يكون مؤلمًا ولا ملذًا فهو لا يكون محبوبًا ولا مكروهًا. فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ، فإن تأكّد ذلك الميل وقوي يسمّى عشقًا. والبغض عبارة عن نفرة الطّبع عن المؤلم المتعب فإذا قوي سمّي مقتًا.

ثم لما كان الحب تابعًا للإدراك وكان ذلك منقسمًا إلى الحواس، صارت لكل منها لذة مخصوصة. فلذة العين في الصور الجميلة، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة، وهكذا لا يخفى أنّ البصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكًا من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار. فإذًا لذة القلوب في إدراك الأمور الإلهية أتم وأبلغ، ويكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى. ولا معنى للحب إلّا الميل إلى ما في إدراكه لذة كما عرفت. فإذًا لا ينكر حبّ الله إلّا من لم يتجاوز إدراكه رتبة البهائم وقعد في رتبة الحواس.

المطلب الثاني:

في أقسام المحبة وأسبابها:

وأعلم أنّ كلّ حي يحبّ دوام وجوده ويكره الموت والقتل، ويحب أيضًا كمال وجوده ويكره نقصه. ولما توقف كمال الوجود ودوامه على سلامة الأعضاء يحبها أيضًا. ولما كان المال آلة في دوام وجوده يحبه أيضًا. وكذلك لما كان الولد يخلفه في الوجود يحبه أيضًا، وذلك لفرط حبه لبقاء نفسه، لما عجز أن يطمع في بقاء نفسه طمع في أن يبقى جزء منه. وكذلك الأقارب والعشائر لما كانوا وسائل إلى كماله يحبهم. فإذًا المحبوب عند كلّ حي ذاته، وكمال ذاته ودوام ذلك كله، والمكروه عنده ضد ذلك كله، فهذا هو أول الأسباب.

والسبب الثاني الإحسان فإنّ الانسان عبد الإحسان، وقد جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وهذا بالحقيقة يندرج في حبّ دوام الوجود أو كماله بالمال، إلّا أنه سبب بعيد والمال قريب.

الثالث ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه، بل يكون ذاته عين حظه كحبّ الجمال والحسن من حيث إنّه كذلك، لا لأنْ ينتفع بصاحبه بقضاء الشهوات.

السبب الرابع أنّ الحسن والجمال غير منحصر في المحسوسات، بل هو في المحسوسات[1] أعظم وأقوى، كما يقال هذا خلق حسن وعلم حسن وهذه سيرة حسنة وأخلاق جميلة. ألا ترى أنّ الأنبياء صلوات الله عليهم محبوبون بالطبع عند المؤمنين، وكذا الناس يحبون أبا حنيفة والشافعي ومالكًا، مع أنّهم لم يروهم وإنّما حبّهم لصفاتهم الباطنة من العلم والدين والتقوى.

السبب الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب إذ ربّ شخص[2] يتأكد المحبة بينهما، لا بسبب جمال أو حظ بل بمجرد تناسب الأرواح، كما قال صلى الله علي وسلم: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها إختلف»[3].

ثم إنّ هذه الأسباب إذا اجتمعت في شخص كان حبه أشد وأقوى وأكمل. وأيضًا يتفاوت بحسب قوة هذه الخصال وضعفها فيه. ثم إنّ هذه

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، ولعله شخصين.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ح (العنوان)، ٢٦٨/٤. صحيح، مسلم، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة، ح١٥٩، ٢٠٣١/٤.

الأسباب كلها مجتمعة في حق الله تعالى على وجه القوة والكمال، فلا محبة فوق محبته عز وجل. وتفصيل ذلك أنّ الحب لأجل دوام الوجود وكماله وبقائه موجود في حق الله تعالى على وجه الكمال، إذْ ليس وجوده ولا دوام وجوده إلّا من الله وبالله وإلى الله، فهو المخترع والمبقي والمكمل، إذْ العبد عدم صرف لولا إيجاده تعالى، وهالك محض لولا إبقاؤه تعالى، وناقص لولا تكميله تعالى. وكذا الحب للإحسان فليس إلّا لله تعالى، فإنّه الذي أنعم بخلقك وخلق مالك وخلق قدرتك وإرادتك وداعيتك، وكذا كل مال يصل إليك فإنما هو من الله تعالى بالذات، واليد الظاهرة وسيلة مضطرة اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه، فهو المنفرد بالجود والإحسان والطول والامتنان، وكذا حبّ الشخص لذاته وإحسانه مثل أنْ تسمع في الشرق ملكًا عالمًا عابدًا متلطفًا بالناس، فإنك تميل إليه، وهو الحب، مع أنك آيس من خيره. وكذا إذا سمعت ملكًا بضد ذلك فإنّك تنفر عنه، وهو البغض، مع أنك آمن من شره. ولا يخفى أنّ المستحق لمثل هذه المحبة ليس إلّا الله تعالى، إذْ هو المحسن إلى الكافة، المتفضل على أصناف الخلائق أولًا بإيجادهم ثم بتكميلهم بالأعضاء والأسباب الضرورية، ثم بتنعيمهم بخلق الأسباب المحتاج إليها، وإنْ لم تكن ضرورية، ثم بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي مظنة زينتهم كالثياب الجميلة والمراكب الحسنة. وأما محبة شخص لجماله المعنوي من العلم والقدرة فليس أحق بتلك المحبة من الله. أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من الله الذي يحيط بالكل، حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، بل نسبة علم الله تعالى إلى أعلم أهل الأرض أكثر من نسبة أعلم أهل الأرض إلى أجهل أهل الأرض، لأن زيادته بقدر متناه، وزيادة علم الله غير متناهية. وأما القدرة فلا قدرة ولا قادر إلّا وهو أثر من آثار قدرته، فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء. فإنْ كان يتصور أن يحب قادرًا لكمال قدرته فلا يستحق ذلك أحد سواه. وأما التنزه عن العيوب الذي هو أحد موجبات الحبّ فلا يتصور على وجه الكمال إلّا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والإكرام، إذْ كل مخلوق وإنْ كان منزهًا عن النقائص والعيوب فلا يخلو عن نقص من وجه آخر بل عن نقائص، ولا أقل كونه عاجزًا مخلوقًا مسخرًا مضطرًا، ولا كمال إلّا لله وحده.

وأما المحبة لأجل المناسبة والمشاكلة لأنّ شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل. والمناسبة إمّا في معنى ظاهر وذلك لا يخفى، وقد يكون لأمر باطن، وذلك في حق الله تعالى إمّا ممكن التعبير بأن يقرب من الله تعالى في الصفات التي أمرنا بأن نتخلق بها، حتى قيل: تخلّقوا بأخلاق الله، وذلك مثل العلم والإحسان والبرّ والرحمة على الخلق وإفاضة الخير وإرشادهم، إلى الحق ونحو ذلك؛ وإمّا غير ممكن التعبير بل يشار إليه بالرمز فقط مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[(١)]، وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[(٢)]، إذ لم يستحق آدم خلافة الله إلّا بتلك المناسبة. واليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم على صورته»[(٣)]. ومن تلك المناسبة ما سموه قرب النوافل بعد كمال الفرائض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه عز وجل: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر

(١) الاسراء / ٨٥.
(٢) ص / ٢٦.
(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه، ح١١٥، ٤/ ٢٠١٧.

به، ولسانه الذي ينطق به»[١]. وهذا موضع يجب كف عنان القلم فيه، إذْ الناس تحزبوا حزبين: قاصرون مائلون إلى التشبيه الظاهر، وغالون مسرفون متجاوزون حد المناسبة إلى الاتحاد والحلول، حتى ضلّ النصارى وقالوا: عيسى عليه السلام هو الإلّه. وقال بعضهم: تدرّع الناسوت باللاهوت. وقال آخرون: اتحد به. وقال بعض الناس أنا الحق. وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول، واتضح مع ذلك حقيقة السرّ فهم الأقلون، وهذه المناسبة هي أقوى أسباب الحب وأعظمها وأبعدها وأعزّها وأقلها وجودًا.

المطلب الثالث:

وأعلم أنَّ كل قوة في الإنسان لم تخلق عبثًا بل لأجل إدراك ما يلائمها، وإنما لذتها في الوصول إلى مدركها. ثم إنّ في الإنسان قوة ربانية هي العقل ولذتها إدراك العلوم. ولا يخفى أنّ اللذة العلمية أقوى من اللذة الحسية، إذْ الإنسان لا يصبر عن العلم والتمدح به ولو في الشيء الحقير كالشطرنج مثلًا، ولو ذكر أحدًا في مقابلته لذة الأكل لربما نسب أهله إلى البهيمية وعابوه.

ثم لا يخفى أنّ لذة العلم بحسب شرف المعلوم، فمعرفة الله تعالى ألذّ من جميع المعارف، إذْ لا معلوم أشرف من ذلك. وأيضًا هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت إذْ محلها الأمر الرباني الذي هو باق لا يفنى. ولعمري طلاب العلوم يجدون عند انكشاف المشكلات لذة عظيمة يعرفها أهلها. فكيف حالها إذا كان الانكشاف في جمال الله وجلاله إذْ يعرض له حينئذٍ من الفرح ما يكاد يطير به حتى يتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره، وهذا مما لا يدركه إلّا من ذاقه. ولعل من لم يذقها ينكر ذلك كما ينكر الصبي لذة السلطنة. وليت شعري من لا يفهم إلّا حبّ المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وليس له صورة ولا شكل مع أنّ الرؤية أكمل الانكشافات، وذلك لأنّ المدركات المتخيلة إدراكها حال الرؤية أتم من إدراكها حال التخيل، والدنيا بالنسبة إلى الآخرة بمنزلة الخيال، فإذا ارتفع حجاب البدن فإنْ لم يبق في النفس كدورات الدنيا يشاهد ربه في الحال، وإنْ بقي فيه كدورات لا ينفك عنها أصلًا، فهؤلآء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد، نعوذ بالله منه. ومنهم من يبقى فيه أثر ضعيف فيعرض على النار لتزكيتها بقدر الحاجة إلى التزكية، وأقلها لحظة خفيفة، وأقصاها في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة. فإذا تطهرت النفس عن الكدورات يتجلى له الحق تجليًا يكون تجليه بالإضافة إلى علمه كانكشاف المرئيات بالإضافة إلى المتخيلات، وهذه المشاهدة والتجلي يسمّى رؤية، لكن لا بصورة مخصوصة ولا بجهة ومكان، فإنّ ذلك مما يتعالى عنه ربّ الأرباب، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا فرق إلّا من حيث زيادة الكشف والوضوح، فيظهر منه أنّ من لم يعرف الله في الدنيا كيف يراه في الآخرة.

ولما كانت المعرفة على درجات كان التجلي أيضًا على درجات متفاوتة، إذْ تختلف بقلتها وكثرتها وقوتها وضعفها وجنسها، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة»[٢]، وذلك لأنه لما فضل الناس في الدنيا بسِرٍّ وقر في صدره فضل لا محالة بتجلٍّ انفرد به.

فإن قلت: كيف يقاس لذة النظر إلى وجه الله

---

(١) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، كتاب الفقر والزهد، باب (بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى)، ٩/٥٦٩.
(٢) إتحاف الزبيدي، كتاب المحبة والشوق. . .، باب بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة. . .، ٩/٥٨٢.

تعالى بلذة المعرفة في الدنيا وهي ضعيفة؟ فاعلم أنّ استحقار لذة المعرفة للخلو عن المعرفة وإلّا فلذتها فوق سائر اللذائذ، بل للعارفين لذائذ لم يستبدلوا بها في الدنيا الجنة، مع أنّ هذه اللذة لا نسبة لها أصلًا إلى لذة اللقاء والمشاهدة.

فإن قلت: فهل محل الرؤية في الآخرة القلب أو العين؟ فاعلم أنّ أرباب البصائر مطمح نظرهم الرؤية بأي آلة وقعت، وأما أهل النظر فقد اختلفوا، والحق أنّها بالعين كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ليكون لفظ الرؤية والنظر وأمثال ذلك مما ورد في الشرع مجرى على ظاهره، إذْ لا يجوز صرف الألفاظ عن الظواهر إلّا لضرورة.

المطلب الرابع:

في أسباب محبة العبد لله تعالى:

إعلم أنّ أسعد الناس حالًا وأكملهم لذة في الآخرة أقواهم حبًا لله تعالى. وأصل الحبّ لا ينفك عنه مؤمن إذْ لا ينفك عن أصل المعرفة. وأما قوة الحب المنتهي رتبة العشق فذلك ينفك عنه الأكثرون، وإنما طريق تحصيله قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب. وكمال الحب في أن يحبه بكل قلبه، فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه، ومنه حب المال والأهل والولد والأقارب والعقار والدواب ونحو ذلك. ومن جملة طرقه قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهير القلب من شواغل الدنيا وعلائقها، وهي الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، ولا يوصل هذه المعرفة إلّا الفكر الصافي والذكر الدائم؛ والواصلون إلى هذه المعرفة إمّا أقوياء يعرفون الله أولًا ثم يعرفون غيره به، وإما ضعفاء يعرفون الأفعال أولًا ثم يترقون منها إلى الفاعل، وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثر والأوسع على السالك، وذلك يحصل بالتفكر في عجائب الآفاق والأنفس وملكوت السموات والأرض، إذْ لا يبلغ فهمنا إلى استقصائها، وما بلغ إليه فهمنا بالنسبة إلى ما في علم الأنبياء والأولياء كقطرة من بحر، وكذا لا نسبة لعلومهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه. فإذا استغرقت في هذا الفكر ازداد محبتك جدًا.

ثم إنّ تفاوت الناس في المحبة لتفاوتهم في المعرفة، وأكثر الناس ما يعرفون الله تعالى إلّا بالصفات والأسماء، ثم إنّ بعضًا منهم آمنوا بها إيمان تسليم وتركوا البحث وهم أهل السلامة. ومنهم من يتخيّل لها معاني يتعالى عنها ربّ الأرباب وهم الضالون. والعارفون بحقائقها هم المقربون وحبّهم حبّ لذاته تعالى، فلا يتغير في السراء والضراء. وأما من أحبه تعالى لانعامه وإحسانه فربما يتغير حبه عند البلاء أو ينقص. وأما من أحبه لعجائب صنعه واستدل به على عظمته وجلاله فذلك لا يتغير بل يزداد متى ازداد مطالعته صنع الله تعالى وعجائب قدرته.

وأما قصور الناس في معرفة الله تعالى فأمران: أحدهما الإنهماك في الشهوات والاشتغال بأحوال نفوسنا، إذْ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه؛ فمهما اشتغل بذلك غفل عن معرفة الله تعالى. وثانيهما شدة ظهوره تعالى وتناهيه في وضوحه، فيصير ظهوره سبب خفائه. وتفصيل ذلك هو أنّ الإدراك وصول المدرك بالمدرك وإحاطته به، فلا بد في الوصول من غير المدرك عن غيره عنده[1]. فمن كان وجوده أخفى يكون تمييزه عسيرًا فيتعسر إدراكه، كأحوال الزمان مثلًا؛ فإنّ حقيقة الزمان لكون وجوده أخفى بسبب كونه عرضًا وغير قارّ يعسر إدراكه، وكذا من كان وجوده أظهر وأشد وأقوى لا يمكن تمييزه عن غيره، ولا إحاطة المدرك به، فيتعذر إدراكه، كالنور مثلًا فإنه لظهوره عند الحسّ يعسر إدراكه

(١) كذا في الأصل.

حتى لو لم يعقب ضده، أعني الظلمة لم يمكن تمييزه أصلًا فحينئذٍ حقيقة الواجب تعالى لما كان في العقل بمنزلة النور بالقياس إلى البصر ولم يمكن له ضد يتبين بسببه لم يمكن للعقل تمييزه عن غيره. وأيضًا لقوته وإحاطته بالكل تعذّر للعقل إحاطته ومعرفته. فسبحان من احتجب بإشراق نوره، واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره. وقيل:

لقد ظهرت فما تخفى على أحد
إلّا على أكمهٍ لا يعرف القمرا
لكن بطنت فما أظهرت محتجبًا
فكيف يعرف من بالعزة استترا

فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة ذي الجلال والإكرام. إلّا أنّ من قويت بصيرته ولم تضعف منته في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله، ولا يعرف غير الله، ويعرف أنّه ليس في الوجود إلّا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته، فهي تابعة له، ولا وجود لها بالحقيقة، وإنما الوجود للواحد الحق فقط. فعند ذلك لا تحتاج معرفته إلى تمييزه عن غيره، إذْ لا غير له، فلا يكون ناظرًا إلّا في الله، ولا عارفًا إلّا بالله، ولا محبًا إلّا لله. ولا ينظر إلى نفسه أيضًا، بل من حيث إنّه عبدالله فهذا هو الذي فني في التوحيد عن نفسه. وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا، ففنينا عنا، فبقينا بلا نحن.

وإذا عرفت محبة الله تعالى فاعلم أنّ المحبة مستتبعة للشوق، فلعل من أنكرها ينكره أيضًا.

وأعلم أنّ المدرك من كل وجه لا يشتاق إليه وكذا ما لم يدرك أصلًا، وإنما الشوق لمن أدرك من وجه ولم يدرك من وجه آخر فالله تعالى وإن كان مدركًا للعارفين لكنه غير مدرك لهم من وجهين:

أحدهما: أنّ الخيال في هذا العالم لا يفتر عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف، فلا تتضح المعلومات لأجلها غاية الاتضاح.

ثانيهما: أنّ ما انكشف لكل عبد بعض من الأمور وإلّا فالأمور الإلاهية لا نهاية لها، فعند ذلك تشتاق كل نفس إلى معرفة الله تعالى من جهة الاتضاح ومن جهة الزيادة، والشوق الأول يندفع في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمّى رؤية ومشاهدة ولقاء. وأما الشوق الثاني فيشبه أن لا ينتهي في الآخرة أيضًا، إذْ الأمور الإلاهية لا تتناهى؛ إلّا أنّ هذا الشوق لما كان في عين الوصال لا يظهر فيه ألم والآيات والأخبار في إثبات الشوق أكثر وأشهر.

المطلب الخامس:

في محبة الله تعالى للعبد:

وقد ورد ذلك في الشرع، إلّا أنّ المحبة في حق الله تعالى معنى مجازي لها لأنّ المحبة ميل للنفس إلى ما يوافقها، فلا بد فيها من عدم ما يوافقها وذلك محال في حق الله تعالى، إذْ كل جمال وكمال له تعالى بالفعل، بل محبته[1] إلّا إلى ذاته تعالى وأفعاله، وليس في الوجود شيء غير ذاته وأفعاله، فهو لا يحب إلّا ذاته. وما ورد من حبه لعباده فمؤول أو يرجع معناه إلى كشفه الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه، وإلى تمكينه إياه من القرب منه، وإلى إرادته ذلك به في الأزل. فحبه لمن أحبه أزلي إنْ نسب إلى قدرته الأزلية، وحادث بحدوث السبب المقتضي له إذا أضيف إلى فعله، كما قال: «ولا يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»، إلّا أنه قرب بالصفة لا بالمكان؛ إلّا أنّ هذا التغير على العبد لا على الرب. والعبد يتقرّب بقدر قربه وكماله، وإذْ لا نهاية للكمال فلا نهاية في درجات القرب.

ثم إنّ لمحبة الله للعبد علامات. قال النبي

---

(١) كذا في الأصل.

صلى الله عليه وسلَّم: «إذا أحب الله عبدًا ابتلاه، فإن أحبه الحبّ البالغ اقتناه. قيل وما اقتناؤه؟ قال: لم يترك مالًا ولا أهلًا»[١]. فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أحب الله عبدًا جعل له واعظًا من نفسه وزاجرًا من قلبه، يأمره وينهاه»[٢]. فأخص علاماته حبه لله، فإنّ ذلك يدلّ على حبّ الله. وأما الفعل الدال على كونه محبوبًا فهو أن يتولى الله أمره ظاهره وباطنه، سرّه وجهره، فيكون هو المشير عليه، والمدبر لأمره، والمزين لأخلاقه، والمستعمل لجوارحه، والمسدد لظاهره وباطنه، والجاعل همومه همًّا واحدًا، والمبغض الدنيا في قلبه، والموحش له من غيره، والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته.

وأما علامات محبة العبد لله تعالى فهي كثيرة، إلّا أنّ وجودها أعزّ من الكبريت الأحمر، وإنّ كثر مدعيها.

منها حب لقائه في دار السلام، وإذا علم أنه لا يمكن بدون الموت فيحب الموت لأجله.

ومنها حب القتل في سبيل الله، وأما من لا يحب الموت كما هو حال أكثر الناس فإما لمحبة الأهل والأولاد والمال فذلك القلب خال لا محالة عن محبة الله، وإما لأنه يحب هؤلاء حبًا مال بكل قلبه، فمحبة الله فيه ضعيفة، وإما لأنه لا يحبه لعدم استعداده الآن للقاء الله فذلك من أمارت المحبة.

ومنها أن يؤثر ما أحبه الله على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيتجنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظبًا على طاعة الله ومتقربًا إليه بالنوافل، وطالبًا عنده مزايا الدرجات. وأما العصيان فإنْ لم يضر أصل المحبة إذ قد يأكل المريض ما يضره، وإنْ علم ضرره لكن تضعف معرفته فيعجز عن القيام بحق المحبة.

ومنها حب ذكره لأنّ من أحب شيئًا أكثر ذكره، وحبّ كلامه وهو القرآن، وحبّ رسوله وكل ما ينسب إليه، بل عباد الله الصالحين لأتم حبيبه[٣]، بل حبّ كل الخلق لأنهم خلقه، ومن أحب أحدًا يحب كل ما في محلته. وحب الأشياء المذكورة من حيث نسبتهم إلى الله تعالى ليس محبة لغير الله تعالى بل محبة له تعالى.

ومنها أنْ يتلذذ بالخلوة معه وبمناجاته في الليالي وبتلاوة كتابه، ويغتنم بالتهجد وهدوء الليل وصفاء الوقت.

ومنها أنْ لا يأسف على ما يفوته مما سوى الله، ويعظم تأسفه على فوت ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته.

ومنها أنْ يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ولا يسقط عند تعبها[٤].

ومنها أنْ يكون مشفقًا على جميع عباد الله، شديدًا على جميع أعداء الله، وعلى كل من يقارف شيئًا مما يكره الله، ولا يصرفه عن الغضب لله صارف.

ومنها أن يكون في حبه خائفًا متضائلًا تحت الهيبة والتعظيم؛ وإدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن الجمال يوجب المحبة.

وللمحبين مخاوف في مقام المحبة، فأولها خوف الإعراض، وأشد منه خوف الحجاب، وأشد منه الإبعاد إلّا أنه إنما تعظم في قلبِ ألف القرب وذاقه وتنعم به.

---

(١) إتحاف الزبيدي، كتاب المحبة والشوق والأنس، باب بيان محبة الله للعبد ومعناها، ٩/ ٦١٤.
(٢) إتحاف الزبيدي، كتاب المحبة والشوق. . .، باب بيان محبة الله للعبد ومعناها، ٩/ ٦١٤.
(٣) كذا في الأصل، ولعله: لأنهم أحبته.
(٤) كذا في الأصل.

ثم أهل الخصوص ربما يحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادىء اللطف، وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز عنه إلّا ذوو الأقدام الراسخة.

ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من إظهار الوجد والمحبة، تعظيمًا للمحبوب وإجلالًا له، وهيبة منه، وغيرة على سِرِّه، فإنّ الحبّ سرّ من أسرار الحبيب، ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه، فيكون ذلك من الافتراء، وتعظم العقوبة عليه في العقبى، ويتعجل عليه البلوى في الدنيا، إلّا أنْ يغلب عليه سكر اضطره إلى إظهاره فيعذر. وإنما يقبح التظاهر بالحبّ لا إظهاره لما في التظاهر من الدعاوى والاستكبار. وحق الحبّ[1] أنْ تنم على حبه الخفي أعماله وأحواله دون أقواله وأفعاله، بل ينبغي أن يظهر حبه عن غير قصد إلى الإظهار، وينبغي أن يكون قصده إطلاع الحبيب فقط. أما إرادة إطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه، إلّا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه.

المطلب السادس

في الأنس والرضا والشوق:

واعلم أن هذه الأمور كلها من ثمرات المحبة، إلّا أنّ المحب إذا تطلع إلى منتهى الجمال من وراء حجاب الغيب، واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال، إنزعج قلبه للطلب وهاج إليه فسمّى هذه الحالة في الإنزعاج شوقًا، وهو بالإضافة إلى أمر غائب. وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وغير ملتفت إلى ما لم يدركه بعدما إستبشر القلب بما يلاحظه فيُسمّى استبشاره أنسًا. وإنْ كان نظره إلى صفات العجز والاستغناء وعدم المبالاة، وخطر إمكان الزوال والبعد، تألم قلبه بهذا الاستشعار فيُسمّى تألمه خوفًا. وأما علامة الأنس فضيق الصدر من معاشرة الخلق، والتبرم بهم، واستهتاره بعذوبة الذكر، حتى إنّه إنْ خالط الخلق يكون كمنفرد في جماعة، ومجتمع في خلوة، وغريب في حضر، وحاضر في سفر، وشاهد في غيبة، وغائب في حضور، مخالط بالبدن منفرد بالقلب. وبعض المتكلمين أنكروا الأنس والحب والشوق وظنوا أنّ هذه تشبيه، وذلك لجهلهم أنّ جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات، وإنكار ذلك من القصور. وأنكر بعضهم مقام الرضا وقال: ليس إلّا الصبر، وهذا أيضًا كلام قاصر، يقتصر من المقامات على القشور. وهؤلآء معذورون، إلّا أنّ عذرهم غير مقبول.

وأعلم أنّ الأنس إذا دام غلب واستحكم، ولم يشوشه قلق الشوق، ولم ينغصه خوف التغير والحجاب، فإنه يثمر نوعًا من الانبساط في الأقوال والأفعال مع الله تعالى، وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة، ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس، ومن لم يقم فيه وتشبه به في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر.

يحكى أنّ موسى عليه السلام خرج يستسقي في سبعين ألفًا من بني إسرائيل، فأوحى الله عليه كيف استجيب لهم وهم يدعونني على غير يقين، ويأمنون مكري، إرجع إلى عبدي برخ وهو عبد أسود حتى استجيب لهم. فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف، وقد استقبله عبد أسود وبين عينيه تراب من أثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور النبوة فسلّم عليه، وطلب منه الدعاء، فقال في كلامه: ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك، وما الذي بدا لك أنقصت عليك عيونك، أم عاندتك الرياح عن طاعتك، أم نفد ما عندك، أم أشتد غضبك

(١) لعله: المحب.

على المذنبين، ألست كنت غفارًا قبل خلق الخطائين، وأمثال ذلك. فما برح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالمطر وأنبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب.

قال برخ: كيف رأيت يا موسى حين خاصمت ربي، كيف أنصفني. فهمّ به موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه أنّ برخًا يضحكني كل يوم ثلاث مرات. وأمثال ذلك من المحبين كثيرة.

المطلب السابع:

في الرضا:

وهي من أعلى المقامات وقد أنكرها طائفة لغموضها[١]، وقالوا: إنْ أمكن الرضا بكل شيء من أفعال الله عز وجل فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي. وانخدع قوم فرأوا التسليم بالفجور والفسق وترك الإنكار من باب الرضا، وليس كذلك. وبيان الحق فيه أنّ فضيلة الرضا ثابتة بالآيات نحو قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[٢]، وقوله: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾[٣]. ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عنه، ونحو ذلك في الآيات والأخبار الكثيرة.

وأما حقيقته فإنّ الرضا مما يثمر المحبة وذلك لوجهين: إمّا أنْ لا يحس الألم ولا يدركه لاستغراقه بمشاهدة محبوبه، وإمّا أنْ يحس به ويدرك الألم ولكن يرضى به بل يرغب فيه، مريدًا بعقله وإنْ كان كارهًا بطبعه، كمن يجد ألم الفصد ويرضى به، بل يشكر الفصّاد، وقد يكون ذلك لطلب الأجر والثواب، وقد يكون لكون رضا حبيبه مطلوبًا ومرادًا عنده.

وأما الفسق والفجور والمعاصي فلها وجهان: وجه إلى الله تعالى من حيث إنّ فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليمًا للملك إلى ملكه، ورضًا بما يفعله، ووجه إلى العبد من حيث إنّه كسبه ووصفه، وعلامة كونه ممقوتًا وبغيضًا عند الله تعالى، فهو من هذا الوجه منكر ومذموم. فالسكوت عنه وتسميته حسن خلق جهل محض. ولا يخفى أنّ الرضا والكراهة ضدان لا يجتمعان من جهة واحدة ولكن من جهتين فجائز، وبهذا يتقرر كيفية الجمع بين الرضا بالقضاء وبين البغض في الله والحب في الله؛ والتشديد والتغليظ على الكفار والمبالغة في مقتهم. وبالجملة الخير والشر كلاهما من الله، ومن قال: الشر ليس منه فهو جاهل، وكذا من قال: إنّ كلاهما منه بوجه واحد، بل الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي، ووراء هذا سِرُّ القدر الذي منع عن إفشائه.

وأما الدعاء للبلاء مع وجوب الرضا بالقضاء فلأنّ الدعاء يستخرج منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع، ويكون ذلك جلاءً للقلب ومفتاحًا للكشف، وسببًا لتواتر مزايا اللطف، فيكون الدعاء من قبيل مباشرة الأسباب. ولا يخفى أنّ الرضا من باب التوكل، وقد عرفت أن لا منافاة بين مباشرة الأسباب والتوكل. وأما الفرار من بلاد تكثر فيها المعاصي فلا يخالف الرضا وليس ذلك فرارًا من القضاء، بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه. وأما نهي الفرار عن بلد الطاعون فذلك ليس لحرمة الخروج، بل لئلا يهمل أمر المرضى فيهلكون هزلًا وضرًا، وقد عرفت تفصيل ذلك.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) المائدة / ١١٩.

(٣) الرحمٰن / ٦٠.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الأول في فروع علم القراءة، ضمن علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

علم مخارج الألفاظ(*)

ولا يخفى أنّ للألفاظ مخارج تخصها مغائر المخارج الحروف، يعرفها أهلها. ولا يعرف هذين العلمين إلّا من أخذهما من أفواه المشايخ. وهذا العلم أيضًا ربما يجعل من فروع علم الألفاظ.

علم مخارج الحروف(*)

وهو معرفة تصحيح مخارج الحروف كيفيةً وكميةً، وصفاتها العارضة لها، بحسب ما يقتضيه طباع العرب. وإنما قلنا طباع العرب لشرفها وشدة اهتمامنا بضبط علومهم. فموضوعه بسائط الحروف العربية بحسب مخارجها وصفاتها. ومباديه بعضها بديهي وبعضها استقرائي، ويستمد من العلم الطبيعي وعلم التشريح. وغرضه تحصيل ملكة إيراد تلك الحروف في المخارج على ما هي عليه في لسان العرب. وغايته الأولية الاحتراز عن الخطاء في تلفظ كلام العرب بحسب مخارج حروفه. وغايته الأخيرة القدرة على قراءة القرآن كما أنزل بحسب مخارج حروفها وصفاتها. واعلم أنّ الحروف تختلف باختلاف اللغات بحسب تعدد مخارجها. فحروف السريانيين والروم والفرس والصقلب والترك من أربعة وعشرين حرفًا إلى ستة وعشرين حرفًا. وحروف العبرانيين واليونانيين والقبط الأول والهنود وغيرهم من إثنين وثلاثين إلى ستة وثلاثين، فيوجد في غير العربية من الحروف ما لا يوجد في العربية، كما يوجد في العربية ما لا يوجد في غيرها من اللغات، ويكثر في الاستعمال فيها ما لا يكثر في غيرها. فالحاء المهملة والظاء المعجمة مما أفردت بها العرب في لغاتها، واختصت بها دون غيرها من أرباب اللغات. والعين المهملة قليلة في كلام بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم، وكذلك الصاد والضاد منقوطة وغيرها. والذال المعجمة ليست في الفارسية. والثاء المثلثة ليست في الرومية ولا في الفارسية. والفاء ليست في التركية. قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله: ولذلك يقولون في فقيه بقيه بالباء الموحدة المشربة القوية.

ومن الكتب المختصرة المصنفة في علم المخارج: الأرجوزة المسماة بالمقدمة(١) للشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري رحمة الله عليه، وعليها شرح لولد المصنف رحمه الله. وكتبت عليها شرحًا جامعًا للفوائد، خاليًا عن الزوائد في زمن الشباب، وانتفع بذلك جماعة من الأصحاب. ومعظم المصنفات في هذا الفن مأخوذة من قصيدة الإمام الشاطبي(٢) قدّس الله روحه في علم القراءة حيث أدرج في ذيلها علم المخارج على وجه الإتقان، وتفاصيلها في شروحها. وقد ذكرنا شروحها عند التعرض لعلم القرآءة بمشيئة الله تعالى.

علم مخارج الحروف(**)

وهذا علم يبحث فيه عن أحوال الألفاظ العربية خارجة، وأنها من أيّ موضع تخرج. ويبحث عن صفاتها من الجهر والهمس والشدة وأمثالها. وقد مرّ هذا العلم على وجه التفصيل في فروع علم الألفاظ لأنّه يمكن أنّ يجعل فرعًا

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى فيما يتعلق بالمفردات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) المقدمة الجزرية في علم التجويد، منظومة للشيخ محمد بن محمد الجزري الشافعي (-٨٣٣هـ) كشف الظنون ٢/١٧٩٩.

(٢) وردت سابقًا.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الأول في فروع علم القراءة، ضمن علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، من الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

لهذين العلمين لكن من جهتين.

علم مراكز الأثقال(*)

وهو علم يتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول. والمراد بمركز الثقل حدّ في الجسم عنده يتعادل بالنسبة إلى الحامل. ومنفعته معرفة كيفية معادلة الأجسام العظيمة بما دونها لتوسط المسافة كما في القرسطون، وفيه كتاب لأبي سهل الكوهي(١) تساهل في مقدمات براهينه، ولابن الهيثم فيه كتاب مفيد.

علم المرايا المحرقة(**)

وهو علم تتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها، وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشمس عنها ونصبها ومحاذاتها. ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع. وقد كانت القدماء تعمل المرايا من أسطحة مستوية، وبعضهم من مقعر كرة، إلى أنّ ظهر دنوفلس وبرهن على أنها إذا كانت أسطحتها مقعرة بحسب القطع المكافيء فإنّها تكون في نهاية القوة والإحراق. وكتاب أبي علي بن الهيثم في المرايا المحرقة على هذا الرأي.

علم المساحة(***)

وهو علم يتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والأجسام بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب. ومنفعته جليلة في أمر الخراج وقسمة الأرضين وتقدير المساكن وغيرها. ومن الكتب المختصرة فيه: كتاب لابن محلى الموصلي. ومن المبسوطة: كتاب لابن المختار(٢) وكتاب ارشميدس(٣).

علم مسالك البلدان والأمصار(****)

وهو علم باحث عن أحوال الطرق الواقعة بين البلاد، وأنها برية أو بحرية عامرة أو غامرة، سهلية أو جبلية، مستقيمة أو منحرفة، والعلامات المنصوبة لتلك الطرق من الجبال والتلال

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو ويجن بن رستم الكوهي، أبو سهل. توفي عام ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م. مهندس عالم بالهيئة وآلات الرصد. له العديد من الكتب.
انظر عنه: الاعلام ٨/ ١٢٧، تاريخ الحكماء ٢٣٠، تاريخ حكماء الاسلام ٨٨.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) لعله صارم الدين بن يوسف المختار الرومي الملي. توفي عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م. له عدة كتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/ ٣١٧.

(٣) كان ارشميدس من أشهر علماء الرياضة والفلسفة الطبيعية، ووصف بأنه من أكبر علماء الرياضة الاغريق. ولد عام ٢٨٧ق.م. بمدينة سراقوسة بصقلية، ثم انتقل في شبابه إلى الاسكندرية وفيها انتج أهم أبحاثه الرياضية، وعُدّ من أساتذة مدرستها. اشتهر أرشميدس بمخترعاته الآلية. ترك عدّة مؤلفات. انظر: نقولا يوسف، اعلام من الاسكندرية، ص ٥٦. وقد أورد نصير الدين الطوسي في كتابه «التذكرة في علم الهيئة» في الباب الرابع الفصل الأول: في مساحة الأرض، كلامًا على لسان أرشميدس معتمدًا على تقديراته وحساباته في مساحة الدوائر وأقطارها، مما هيأ لقياس مساحة الأرض وخط نصف النهار وعرض البلاد وأقدار كثيرة.
وقد نشر كتاب التذكرة بتحقيق د. عباس سليمان في القاهرة عن دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

وأمثالها، ومعرفة ما في تلك المسالك من المخاوف الحيوانية أو النباتية أو السبعية وأمثال ذلك. ومنفعة هذا العلم لا تخفى على أحد.[١]

علم مسامرة الملوك(*)

وهذا من فروع المحاضرات، وهو علم باحث عن أحوال يرغب فيها الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال وغرائب الأقاليم وعجائب البلدان، وغير ذلك من الأحوال التي يرغب فيها الملوك. ومن الكتب المصنفة فيه: سلوان المطاع في عدوان الاتباع[٢] لابن ظفر، وقد عرفته[٣] وكتاب مفاكهة الخلفاء[٤]، وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك، وأكثر كتب المحاضرات وافية بهذا المطلب، سيّما كتاب حياة الحيوان ومحاضرات الراغب وقد عرفتهما في المحاضرات. وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة للعاقل الذكي.

علم المعادن(**)

وهي سبع مائة معدن، وهو علم يتعرف منه أحوال الفلزات من طبائعها وألوانها، وكيفية تولدها في المعادن، وكيفية استخراجها واستخلاصها عن الأجزاء الأرضية، وتفاوت طبائعها وأوزانها. وغايته ومنفعته لا تخفى على أحد حتى العوام. والتصانيف فيه كثيرة ولا أنفع ولا أجمع من تآليف الطوسي.

علم المعاني(***)

هو تتبع خواص تراكيب الكلام ومعرفة تفاوت المقامات حتى يتمكن من الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الأول على الثاني، وذلك لأنّ للتراكيب خواص مناسبة لها يعرفها البلغاء إمّا بسليقتهم أو بممارسة علم البلاغة. وتلك الخواص بعضها ذوقية وبعضها استحسانية وبعضها توابع ولوازم للمعاني الأصلية، لكن لزومًا معتبرًا في عرف البلغاء، وإلّا لما اختص فهمها بصاحب الفطرة السليمة، وكذا مقامات الكلام متفاوتة كمقام الشكر والشكاية والتهنية والتعزية والجد والهزل وغير ذلك من المقامات. وكيفية تطبيق الخواص على المقامات تستفاد من علم المعاني ومداره على الاستحسانات العرفية. وموضوعه التراكيب الخبرية والطلبية من حيث تطبيق خواصها على مقتضى الحال. ومسائله القواعد التي يتعرف منها أنّ أي مقام يقتضي أيّ خواص من الخواص. ومباديه المسائل النحوية واللغوية. وبالجملة المسائل الأدبية كلها. ودلائله استقراء تراكيب البلغاء. والغرض منه تطبيق الكلام على مقتضى الحال. وغايته الإقتدار على التطبيق المذكور، وتمام تفصيل هذا المقام لا يسعه نطاق الكلام. وأما الكتب المصنفة في علم المعاني فلما لم يفرز عن البيان والبديع رأينا أن

---

(١) قال صاحب أبجد العلوم: ورأيت فيه كتابًا بالفارسي لبعض علماء الهند. (هامش الأصل).

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، من الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) الاطباع. (هامش الأصل).

(٣) في أواخر علم المحاضرة. (هامش الأصل).

(٤) لعله كتاب مفاكهة الحكماء.
كشف الظنون ٢/١٧٥٨.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن علوم الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

نذكرها بعد ذكر الجميع إنْ شاء الله تعالى، ولابن الهيثم البحريني كتاب في علم المعاني فقط.

علم معرفة آداب تلاوة القرآن وتاليه[*]

أفرده بالتصنيف جماعة منهم النووي في التبيان[١]، وتلك نيف وثلاثون أدبًا:

منها أنه يستحب الإكثار من القرآءة والتلاوة، والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى.

ومنها أنّ نسيان القرآن بعد حفظه كبيرة، وقد ورد في ذلك حديث وهو: «عرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»[٢].

ومنها يستحب الوضوء لقرآءة القرآن لأنه أفضل الأذكار، فيحرم على الجنب والحائض ويكره على متنجس الفم، وقيل يحرم. نعم يجوز للجنب والحائض النظر في المصحف وإمراره على القلب.

ومنها أنه تسن القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد، وكرهه قوم في الحمام والطريق. وقال النووي لا يكره فيهما.

ومنها أنّه يستحب أنّ يجلس مستقبلًا القبلة متخشعًا بسكينة ووقار مطرقًا رأسه.

ومنها ويسنّ أن يستاك تعظيمًا وتطهيرًا.

ومنها أنه يسنّ التعوذ قبل القرآءة. قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾[٣]، أي إذا أردت قراءته وصفتها المختارة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ومنها أن لا يترك البسملة في أول كل سورة سوى براءة لأنّ الأكثر على أنها آية.

ومنها أنه لا يحتاج إلى النية كسائر الأذكار إلّا إذا نذرها خارج الصلوٰة، فلا بد من نية النذر أو الفرض.

ومنها أنه يسن الترتيل في قراءته. قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[٤]. وفرق بينه وبين التحقيق، وهو أنّ التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وإتمام الحركات وغير ذلك. والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط. وكل تحقيق ترتيل من غير عكس كلّي.

ومنها أنه تسنّ القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب.

ومنها لا بأس بتكرير الآية وترديدها.

ومنها أنه يستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكي لمن لا يقدر عليه والحزن والخشوع.

ومنها أنه يسنّ تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها.

ومنها أنه يستحب قراءته بالتفخيم أي يقرؤه على قرآءة الرجال، ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء.

ومنها أنه قد يجهر وقد يسر لأنّ المسر قد يمل فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار، إذْ قد وردت أحاديث تقتضي استحباب رفع الصوت وأحاديث تقتضي الإسرار وخفض الصوت. قلت: ولعل التوفيق بينهما أنّ نهي الجهر لمن أفرط حتى كاد يكل منه، ونهي الإسرار لمن أفرط حتى لم ينشط للقراءة. فالمسنون حينئذ رعاية النشاط ودفع الكلال.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي (-٦٧٦هـ). كشف الظنون ١/ ٣٤٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب (١٩)، ح ٢٩١٦، ٥/ ١٧٨.

(٣) النحل / ٩٨.

(٤) المزّمّل / ٤.

ويختلف قدره باختلاف الطبائع، ولهذا لم ينه الجهر أو الإسرار على الإطلاق، وهذا التوفيق لم أسبق إليه ولله الحمد والمنة.

ومنها أنّ القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه لأنّ النظر فيه عبادة مطلوبة. قيل: لو روعي حال الخشوع سواء كان في القراءة من الحفظ أو من المصحف لكان قولًا حسنًا لاختلاف الحال هناك، وهذا مختار النووي. وحكى النووي قولًا آخر وهو ترجيح القراءة من الحفظ مطلقًا، ونسبه إلى ابن عبد السلام، وعلله بأنّ فيه من التدبر ما لا يحصل في المصحف. قلت وهذا يختلف باختلاف الطبائع وباختلاف الأحوال لا مطلقًا.

ومنها إذا ارتج على القارىء وأراد أن يسأل غيره ينبغي أن يقرأ ما قبل الآية ويسكت، ولا يقول كيف كذا وكذا، إذْ ربما يلبس عليه، وهكذا ورد الأثر عن ابن مسعود والنخعي وبشير بن أبي مسعود. قال ابن مجاهد: إذا شك في التذكير والتأنيث كما في الياء والتاء فليقرأ على التذكير. وإذا شكّ أنّ الكلمة مهموزة أم لا فليترك الهمزة. وإنّ شكّ أنّ الحرف موصول أو مفصول فليقرأ بالوصل. وإنّ شكّ في المد والقصر فليقرأ بالقصر. وإنّ شكّ في فتح حرف وكسره فليقرأ بالفتح لأنّ الأول غير لحن في موضع والثاني لحن في بعض المواضع.

ومنها أنّه يكره قطع القراءة لمكالمة أحد لأنّ كلام الله لا ينبغي أن يؤثر عليه كلام غيره، ويكره أيضًا الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهي.

ومنها أنّه لا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقًا، سواء أحسن العربية أم لا، في الصلوٰة أم خارجها، لأنّ ذلك يذهب إعجازه. وما روي عن أبي حنيفة رحمه الله من تجويزه فقد حكي عنه الرجوع عن ذلك.

ومنها أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وقد جوّز في غير الصلوٰة. وقد نقل الإجماع على عدم الجواز.

ومنها أنّ الأوْلى القراءة على ترتيب المصحف لأنه يفوت ما في ترتيبه من الحكمة المرعية. قال ابن مسعود: فيمن يقرأ القرآن منكوسًا إنّه منكوس القلب. وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فمتفق على منعه. وأما من ينتقل من آية إلى آية وترك التأليف لآي القرآن، قال أبو عبيد: فإنما يفعله من لا علم له، لأنّ الله لو شاء لأنزله على ذلك. وقد نقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة لأنّ هذا التأليف مأخوذ من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأخذه عن جبريل، فالأولى بالقارىء أنْ يقرأ على التأليف المنقول. وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خير من تأليفكم. قلت: وقد ظهر لك بهذا كراهة ما شاع بين طلبة زماننا من أخذ بعض آيات من سورة الأنعام، ويزعمون أنّ الخواص الموجودة في السورة في هذه الآيات بخصوصها، وأنت تعرف أنّ هذا المسكين كيف اجترأ على هذا الافتيات، وخصّ الخواص ببعض الآيات وأخلى بعضها عنها، نعوذ بالله من ترك الأدب سيما مع الرّب تعالى.

ومنها أنه تسنّ القراءة على حرف واحد ولا يخلط حرفًا آخر في مجلس واحد. وقيل: ما دام الكلام مرتبطًا وقد يمنع مطلقًا، والصواب أنّ الجمع إنْ لم يجز في العربية حرم كمن يقرأ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾[1] برفع آدم على قراءة غير ابن كثير، ورفع كلمات على روايته. وما لم يكن كذلك، فإن كان رواية حرم أيضًا لأنه خلط الرواية، وأنه كذّب. وإنْ كان على سبيل التلاوة جاز.

---

(١) البقرة/ ٣٧.

ومنها أنه يسن الاستماع وترك اللغط والحديث بحضور القراءة.

ومنها يسنّ السجود عند قراءة آية السجدة.

ومنها أنه يختار الأوقات المحمودة والأيام الشريفة، وأفضل الأوقات ما كان في الصلوٰة، ثم الليل، ثم نصفه الأخير، وما بين المغرب والعشاء محبوبة. وأفضل أوقات النهار بعد الصبح، ولا تكره في شيء من الأوقات لمعنى فيه. وما يقال من كراهة القراءة بعد العصر لأنّها دراسة اليهود فلا أصل له. ويختار من الأيام يوم عرفة ثم الجمعة ثم الإثنين والخميس. ومن الأعشار العشر الأخير من رمضان والأول من ذي الحجة. ومن الشهور شهر رمضان. ويختار لابتدائه ليلة الجمعة ويختمه ليلة الخميس. والأفضل الختم أول النهار أو أول الليل. وعن ابن المبارك، يستحب في الشتاء أول الليل، وفي الصيف أول النهار.

ومنها أنه يسن صوم يوم الختم.

ومنها أنه يستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن.

ومنها أنه يسن الدعاء عقيب الختم.

ومنها أنه يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختم.

ومنها أنه روي عن الإمام أحمد المنع من تكرير سورة الإخلاص عند الختم، لكن عمل الناس على خلافه، والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن، فيحصل بذلك ختمة. فإن قيل: فكان ينبغي أن يقرأ أربعًا ليصل ختمتان. قلت: المقصود اليقين بوقوع ختمة واحدة، وحاصله جبر ما وقع من الخلل في القراءة أو ليحصل ثواب مضاعف.

ومنها أنه يكره اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها.

ومنها يكره أن يقول: نسيت آية كذا بل يقول أنسيتها.

ومنها الأئمة الثلاثة على وصول ثواب القراءة للميت، والشافعي يخالفهم لقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1].

علم معرفة الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب[*]

كل هذه مفصله في علم القرآءة فليعلم من كتبها.

علم معرفة الأرضي والسماوي[**]

أما الأرضي فظاهر. وأما السماوي فما نزل ليلة المعراج كالآيتين من آخر سورة البقرة. وأخرج مسلم عن ابن مسعود: «لما أسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انتهى إلى سدرة المنتهى»،[2] الحديث. وفيه فأعطي رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منها ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك من أمته بالله شيئًا المقحمات. وفي الكامل[3] للهذلي[4]: أنزلت:

---

(١) النجم/ ٣٩.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ح٢٥٩، ١/ ١٤٥.

(٣) الكامل في القراآت الخمسين، لأبي القاسم يوسف بن علي بن عبادة «حبارة» الهزلي المغربي (-٤٦٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٨١.

(٤) هو يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم الهزلي البسكري. ولد عام ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، وتوفي ببغداد عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م. متكلم عالم بالقراءات له عدة كتب. انظر عنه:
الاعلام ٨/ ٢٤٢، مرآة الجنان ٣/ ٩٣، غاية النهاية ٢/ ٣٩٧، لسان الميزان ٦/ ٣٢٥.

آمن الرسول إلى آخرها بقاب قوسين. قال ابن العربي: إنّ من القرآن سمائيًا وأرضيًا، وما نزل بين السماء والأرض، وما نزل تحت الأرض في الغار. أما الأرضي والسمائي فظاهران. وأما ما نزل بين السماء والأرض فلعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض، كالتي نزلت ليلة المعراج. قال ابن العربي: وأما ما نزل تحت الأرض في الغار فسورة المرسلات كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.

علم معرفة اسماء من نزل فيهم القرآن(*)

وأفرده بالتأليف بعض القدماء، لكنه وقع غير محرر. وكتاب أسباب النزول[١] والمبهمات[٢] يغنيان عن ذلك. وعن عليّ رضي الله عنه قال: ما في قريش أحد إلّا وقد نزلت فيه آية. قيل له: فما نزل فيك؟ قال: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[٣]. وعن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت فيّ أربع آيات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[٤]، و﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٥]، وآية تحريم الخمر وآية الميراث. عن رفاعة القرظي[٦] قال: نزلت ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾[٧] في عشرة أنا أحدهم. عن أبي جمعة جنيد بن سبع[٨] وقيل: حبيب بن سباع قال: فينا نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾[٩]، وتسعة نفر رجال وامرأتين.

علم معرفة أسمائه وأسماء سوره(**)

قال الجاحظ: سمّى الله كلامه أسماء مخالفًا كما سمّى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل سمى جملته قرآنًا كما سمّوا ديوانًا وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية.

إعلم أنّ الله سمّى القرآن بخمسة وخمسين إسمًا: كتابًا مبينًا، وقرآنًا، وكريمًا، وكلامًا، ونورًا، وهدى، ورحمة وفرقانًا، وشفاءً، وموعظةً، وذكرًا، ومباركًا، وعليًا، وحكمة، وحكيمًا، ومهيمنًا، وحبلًا، وصراطًا مستقيمًا، وقيمًا، وقولًا، وفصلًا، ونبأ، عظيمًا، وأحسن الحديث، ومثاني، ومتشابهًا، وتنزيلًا، وروحًا، ووحيًا، وعربيًا، وبصائر، وبيانًا، وعلمًا، وحقًا، وهاديًا، وعجبًا، وتذكرةً، والعروة الوثقى، وصدقًا، وعدلًا، وأمرًا، ومناديًا، وبشرى،

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) أسباب النزول، لشيخ المحدثين علي ابن المديني (-٢٣٤هـ)، وهو أول من صنف فيه.
كشف الظنون ١/ ٧٦.

(٢) مبهمات القرآن، للسهيلي ولابن عساكر وللقاضي بدر الدين ابن جماعة وللسيوطي.
كشف الظنون ٢/ ١٥٨٣.

(٣) هود/ ١٧.

(٤) الأنفال/ ١.

(٥) العنكبوت/ ٨.

(٦) هو رفاعة بن قرظة القرظي. محدث.
انظر عنه: أسد الغابة ٢/ ٨٠.

(٧) القصص/ ٥١.

(٨) هو جنيد بن سباع الجهني، وقيل حبيب، أبو جمعة. يعد من طبقة الشاميين
انظر عنه: أسد الغابة ١/ ٣٦٥.

(٩) الفتح/ ٢٥.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

ومجيدًا، وزبورًا، وبشيرًا، ونذيرًا، وعزيزًا، وبلاغًا، وقصصًا. وسماه أربعة أسماء في آية واحدة: صحف، مكرّمة، مرفوعة، مطهرة، انتهى.

ثم إن السورة قد يكون لها إسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها إسمان فأكثر. لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمّى؛ من ذلك الفاتحة ولها نيف وعشرون إسمًا: فاتحة الكتاب، فاتحة القرآن، أم الكتاب، أم القرآن، القرآن العظيم، السبع المثاني، الوافية، الكنز الكافية، الأساس، النور، سورة الحمد، وسورة الشكر، سورة الحمد الأولى، وسورة الحمد القصرى، الرقية، والشفاء الشافية، سورة الصلوٰة، والصلوٰة، وسورة الدعاء، وسورة السؤال، وسورة تعليم المسئلة، وسورة المناجاة، وسورة التفويض.

علم معرفة إعجاز القرآن(*)

صنّف فيه خلائق، منهم الخطابي(١)، والرماني، والزملكاني(٢)، والإمام الرازي، وابن سراقة(٣)، والقاضي أبو بكر الباقلاني. قال ابن العربي ولم يصنف مثل كتابه: إعلم أنّ المعجزة امر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، وهي إما حسّية كأكثر معجزات بني إسرائيل، وذلك لبلادتهم وقلة بصيرتهم، أو عقلية كأكثر معجزات هذه الأمة، وذلك لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم؛ ولأنَّ هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصّت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر.

ثم إعلم أنّ الله تعالى بعث نبيه محمدًا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرًا وخطيبًا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة. فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة. فلما قطع العذر وأزال الشبهة جنحوا إلى الحمية والجهل حتى خاطروا مهجهم بالسيوف، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحًا ومساءً إلى أنْ يعارضوه، فتحداهم أولًا على أن يأتوا بمثله، وأمهلهم طول السنين، ثم تحداهم بعشر سور منه، فلما عجزوا عنه تحداهم بسورة، فلما عجزوا عن ذلك أيضًا نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن، فتكشف من نقصهم ما كان مستورًا، وظهر منه ما كان خفيًا. فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف. قال: فهاتوها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، فدلّ ذلك العاقل على عجز القوم، مع كثرة كلامهم، واستحالة لغتهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم، مع أنّ العرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الدوحة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان. ولد في بُسْت عام ٣١٩هـ/ ٩٣١م. وفيها توفي عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م فقيه محدث. له العديد من الكتب الهامة في علم الحديث. الاعلام ٢/ ٢٧٣، وفيات الأعيان ١/ ١٦٦، إنباه الرواة ١/ ١٢٥، خزانة الأدب ١/ ٢٨٢، يتيمة الدهر، ٤/ ٢٣١.

(٢) هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني، أبو المكارم. كمال الدين. ويقال له ابن خطيب زملكا. توفي بدمشق عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م. أديب، من القضاة، له شعر حسن، وبعض الكتب. الاعلام ٤/ ١٧٦، بغية الوعاة ٣١٦، طبقات الشافعية ٥/ ١٣٣، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٤.

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم، أبو بكر، محي الدين الأنصاري الشاطبي، المعروف بابن سراقة. ولد عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م. وتوفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٦٤م. شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة. له مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٥/ ٣٢٢، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٣، مرآة الجنان ٤/ ١٦٠. النجوم الزاهرة ٧/ ٢١٧.

البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور. ثم تحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم، فمحال أكرمك الله أنْ يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطاء المكشوف البين، مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيّد عملهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر.

ولما ثبت كون القرآن معجزة وجب معرفة وجه الإعجاز.

فزعم قوم أنّ التحدي وقع بالقرآن القديم، وهو مردود، لأنّ من لا يوقف عليه لا يتصور التحدي به.

وزعم النّظام بالصِّرفة، أي صرف الله العرب عن معارضته، وسلب عقولهم مع قدرتهم عليه في نفسه، لكن عاقهم عنه أمر خارجي كسائر المعجزات. وهذا فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ﴾[1] الآية. فلو لم يكن فيهم قدرة لم يبق لاجتماعهم فائدة، مع أنّ الإجماع أنّ القرآن معجز، ولو كان كما ذكروه لكان المعجز هو الله تعالى دون القرآن، ولم يكن للكلام فضيلة على غيره.

وزعم آخرون أنّ وجه إعجازه ما فيه من الأخبار عن الغيوب المستقبلة. وقيل الأخبار عن قصص الأولين أو الأخبار عن الضمائر.

وقال القاضي أبو بكر: ما فيه من النظم والتأليف والترتيب والترصيف.

وقال الإمام الرازي: الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب.

وقال الزملكاني: وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف، بان وقع كل فن في المرتبة العليا في اللفظ والمعنى.

وقال ابن عطية: الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق أنّه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، ثم كذلك من أوله إلى آخره، فلم يكن ذلك في قدرة البشر، ولو نزعت منه لفظة لم يقدر طائفة البشر أنْ يأتوا بلفظ أحسن منها، بل مثلها.

وقال حازم[2] في منهاج البلغاء[3]: وجه الإعجاز استمرار الفصاحة والبلاغة في القرآن من جميع أنحائها في جميعه، إستمرارًا لا توجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر.

وقال المراكشي[4] في شرح المصباح[5]: وجه إعجازه ليس مفرداتها ولا تأليفها ولا إعرابها ولا مجرد أسلوبه، بل جميع هذه الأمور كلها.

قال الخطابي: وجه الإعجاز البلاغة، لكن

---

(١) الإسراء / ٨٨.

(٢) هو حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن. ولد عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م. وتوفي عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م. أديب، عالم له كتب ومصنفات. انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٥٩، نفح الطيب ١/ ٦٢٧، بغية الوعاة ٢١٤.

(٣) منهاج البلغاء في علمي البلاغة والبيان، لحازم ابن محمد القرطاجني (-٦٨٤هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٧٠.

(٤) هو محمد بن موسى بن النعمان، أبو عبدالله، شمس الدين المراكشي المزالي الهنتاني التلمساني الفاسي المالكي. توفي عام ٦٨٣هـ. عالم، له عدة تصانيف.
انظر عنه: كشف الظنون ٢/ ١٧٠٦.

(٥) لعله هو مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، كما ذكره صاحب كشف الظنون والله أعلم. (هامش الأصل).
مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام في اليقظة والمنام، للشيخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان المراكشي المزالي الهنتاني التلمساني الفاسي المالكي (-٦٨٣هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٧٠٦.

صعب عليهم تفصيلها، والأمر فيه إلى الذوق. وقال: والتحقيق أنّ أجناس الكلام في درجات البيان متفاوتة: البليغ الرصين الجزل، والفصيح القريب السهل، والجايز الطلق الرسل. فالأول أعلاها، والثاني أوسطها، والثالث أدناها، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام بجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين، لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة يعالجان نوعًا من الوعورة، فكان إجتماع كل من الأمرين في نظمه مع نبوّ كل واحد منهما عن الآخر، فضيلة خُصّ بها القرآن، ليكون آيةً بيّنةً لنبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وإنما تعذّر على البشر الإتيان بمثله لأنّ علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وجميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، ولا جميع وجوه النظوم التي بها يكون إئتلافها. والقرآن في هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة، وكذا معانيه، متقدم في أبوابه ومترقٍ إلى أعلى درجاته.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على تفرّق في أنواع الكلام، لكن مجموعة في نوع واحد، فلم توجد إلّا في كلام العليم القدير؛ فخرج من هذا أنّ إعجاز القرآن لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمنًا أصح المعاني من توحيد الله وتنزيهه في صفاته، ودعاءٍ إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته، من تحليل وتحريم وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعًا كلّ شيء منها موضعه، مودعًا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم، منبئًا عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الآتية، جامعًا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول له، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه. ومعلوم أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين أشتاتها أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا يبلغه قدرتهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله.

ثم صار المعاندون له يقولون مرة إنّه شِعر لما رأوه منظومًا، ومرة إنه سحر لما رأوه معجوزًا عنه غير مقدور عليه، وقد كانوا يجدون له وقعًا في القلوب، وفزعًا في النفوس يريبهم ويحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعًا من الاعتراف. ولذلك قال الوليد بن المغيرة(١) لما سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والله إنّ لقوله الذي يقول حلاوةً، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

وكانوا مرة بجهلهم يقولون: أساطير الأولين، اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا، مع علمهم أنّ صاحبهم أمّي، وليس بحضرته من يملي أو يكتب في نحو ذلك من الأمور التي أوجبها العناد والجهل والعجز.

ثم قال: وقد قلت في إعجاز القرآن(٢) وجهًا ذهب عنه الناس، وهو صنيعة في القلوب، وتأثيره في النفوس، فإنّك لا تسمع غيره، وقد خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن المهابة والروعة في حال آخر ما يخلص منه إليه.

وتلخيص الكلام، أنّ وجه الاعجاز إما

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس. ولد عام ٩٥ق.هـ/ ٥٣٠م. وتوفي عام ١هـ/ ٦٢٢م. من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش. له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٢٢، الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٦، رغبة الآمل ٥/ ٢٩.

(٢) إعجاز القرآن، للقاضي أبي بكر البلقلاني، وقد سبقت الإشارة إليه.

الإيجاز مع البلاغة، أو البيان والفصاحة، أو الرصف والنظم، أو كونه خارجًا عن جنس كلامهم مع كون مفرداته منه، أو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل، وإن تكررت عليه تلاوته، أو ما فيه من الأخبار عن الأمور الماضية أو المستقبلة، أو جامعًا لعلوم يطول شرحها ويشقّ حصرها، أو جميع ما سبق من الأقوال، أو كونه غضًا طريًا في الأسماع والألسنة، أو جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة مع تضادهما وعدم جمعهما في كلام البشر، أو جعله آخر الكتب، غنيًا عن غيره واحتياج ما تقدم إليه، أو ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي.

ثم إنهم اختلفوا في القدر المعجز منه، ذهب بعض المعتزلة إلى أنّه يتعلق بجميعه، وهذا مردود بنظم القرآن، وهو التحدّي بأقصر سورة منه. وقال القاضي: بسورة، طويلة كانت أو قصيرة. وقال في موضع آخر: يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام. وقال قوم: لا يكون الإعجاز إلّا بآيات كثيرة. وقال آخرون: يتعلق بقليله وكثيره وهو الأصح.

ثم اختلفوا، قال القاضي: كل كلمة فيه في الذروة العليا من البلاغة. واختار أبو نصر القشيري وعز الدين بن عبد السلام التفاوت، بل فيه الفصيح والأفصح.

ثم الحكمة في تنزيهه عن الشعر أنّ القرآن منبع الحق ومجمع الصدق، والشعر مبناه على تخييل الباطل في صورة الحق، حتى قال بعض الحكماء: لم ير متديّن صادق اللهجة مغلقًا في شعره، وما وقع فيه منظومًا فليس على وجه القصد. وشرط الشعر أن يقع قصدًا. وقيل البيت الواحد ليس بشعر وأقله بيتان. وأمّا الرجز فليس بشعر أصلًا. وقيل: أقله أربعة أبيات، وليس ذلك في القرآن بحال. وقيل: التحدي بالإنس دون الجن لأنّهم ليسوا من أهل اللسان العربي، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾[1] لتهويل أمر الإعجاز، إذْ في اجتماعهم قوة لا يخفى. قال الكرماني: لم يذكر الملائكة معهم لأنّه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يبعث إلى الملائكة.

علم معرفة إعرابه[*]

أفرده بالتصنيف خلائق، منهم مكي[2] وكتابه في المشكل خاصة، والحوفي[3] وهو أوضحها، وأبو البقاء العكبري[4] وهو أشهرها، والسّمين[5] وهو أجلها على ما فيه من حشو وتطويل،

---

(١) الإسراء / ٨٨.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) هو مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي، أبو محمد، ولد بالقيروان عام ٣٥٥هـ/ ٩٦٦م. وتوفي بقرطبة عام ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م. مقرىء عالم بالتفسير والعربية. له الكثير من المؤلفات الهامة. الاعلام ٧/ ٢٨٦، بغية الوعاة ٣٩٦، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٠، نزهة الألباء ٤٢١، إنباه الرواة ٣/ ٣١٣.

(٣) هو علي بن ابراهيم بن سعيد، أبو الحسين الحوفي. توفي عام ٤٣٠هـ/١٠٣٩م. نحوي، عالم باللغة والتفسير. له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٤/ ٢٥٠، بغية الوعاة ٣٢٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٣٢.

(٤) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، أبو البقاء، محب الدين. ولد عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م. وتوفي ٦١٦هـ/ ١٢١٩م. عالم باللغة والأدب والفرائض والحساب. له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ٨٠، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٦، بغية الوعاة ٢٨١.

(٥) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين. توفي عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م. مفسر، عالم بالعربية والقراءات. له تصانيف عديدة. انظر عنه: الاعلام ١/ ٢٧٤، غاية النهاية ١/ ١٥٢، الدرر الكامنة ١/ ٣٢٩.

ولخصه السفاقسي[١] فجوّده، وتفسير أبي حيان[٢] مشحون بذلك. قلت: وكذا تفسير ابن عادل[٣] يشتمل على المهمات. ومن فوائد هذا الفن معرفة المعنى لأنّ الإعراب يميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين.

واعلم أنه يجب على الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره، النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها، ككونها مبتدأ أو خبرًا أو فاعلًا أو مفعولًا، أو في مبادىء الكلام، أو في جواب، إلى غير ذلك.

ويجب على المعرب مراعاة أمور:

أحدها: وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه، مفردًا أو مركبًا، قبل الإعراب، فإنه فرع المعنى. ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه.

الثاني: أنْ يراعي ما تقتضيه الصناعة فيخطئ، مثل أن يجعل الباء في قوله تعالى ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[٤] متعلقة بناظرة وهو باطل، لأن الاستفهام له الصدر، بل هو يتعلق بما بعده.

الثالث: أن يكون مُلِمًّا بالعربية لئلا يخرج على ما لم يثبت، كقول أبي عبيدة: الكاف في ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾[٥] قَسَم وهذا باطل، لأن الكاف بمعنى واو القسم لم يثبت في العربية.

الرابع: أن يتجنّب الأمور البعيدة والأوجه الضعيفة واللغات الشاذة، ويخرج على القريب والقوي والفصيح، فإنْ لم يظهر فيه إلّا الوجه البعيد فله عذر. وإنْ ذكر الجميع لقصد الإعراب، والتنكير لضعف شديد، أو لبيان المحتمل وتدريب الطالب، فحسن في غير ألفاظ القرآن. أما التنزيل فلا يجوز أن يخرج إلّا على ما يغلب على الظن إرادته، فإنْ لم يغلب شيء فليذكر الأوجه المحتملة من غير تعسف. ومن ثم خطىء من قال في ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالجر أو النصب إنه عطف على لفظ الساعة أو محلها لما بينهما من التباعد. والصواب أنه قسم أو مصدر قال مقدرًا. ومن قال في ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾[٦] إنه مجرور على الجوار، لأنّ الجر على الجوار في نفسه ضعيف شاذ لم يروَ فيه إلّا أحرف يسيرة. والصواب أنه معطوف على ﴿بِرُءُوسِكُمۡ﴾، على أنّ المراد به مسح الخف، ونظائر هذا كثيرة.

الخامس: أنْ يستوفي جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة، فنقول: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ①﴾[٧] يجوز كون الأعلى صفة للربّ وصفة للإسم. وفي نحو ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ، ٱلَّذِينَ﴾[٨] يجوز كون الذين تابعًا ومقطوعًا إلى النصب بإضمار أعني أو أمدح، وإلى الرفع بإضمار هو.

---

(١) هو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم القيسي السفاقس، أبو اسحاق، برهان الدين. ولد حوالي عام ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م. وتوفي عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م. فقيه، عالم. له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٦٣، الدرر الكامنة ١/ ٥٥، بغية الوعاة ١٨٦، النجوم الزاهرة ١٠/ ٩٨.

(٢) البحر المحيط، في التفسير للشيخ أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (-٧٤٥هـ).
كشف الظنون ١/ ٢٢٦.

(٣) اللباب في علوم الكتاب لسراج الدين ابن عادل أبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (-؟هـ) وهو تفسير مشهور.
كشف الظنون ١/ ٤٣٨، ٢/ ١٥٤٣.

(٤) النمل / ٣٥.

(٥) الانفال / ٥.

(٦) المائدة / ٦.

(٧) الأعلى / ١.

(٨) البقرة / ٢ - ٣.

السادس: أن يراعي الشروط المختلفة بحسب الأبواب، ومتى لم يتأملها اختلطت عليه الأبواب والشرائط، ومن ثم خطيء الزمخشري في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝﴾[1] أنهما عطفا بيان، والصواب أنهما نعتان لاشتراط الاشتقاق في النعت والجمود في عطف البيان، وله نظائر. وهذا الأمر السادس عدّه ابن هشام في المغنى[2]، ويحتمل دخوله في الأمر الثاني.

السابع: أن يراعي في كل تركيب ما يشاكله، فربما خرج كلامًا على شيء ويشهد استعمال آخر في نظير ذلك الموضع بخلافه. ومن ثم خطيء من قال: إنّ الوقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾ و﴿فِيهِ﴾[3] خبر هدى، ويدلّ على خلاف ذلك قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[4] واعتبر نظائره.

الثامن: أن يراعي الرسم، ومن ثم خطيء من قال في ذلك ﴿سَلْسَبِيلًا﴾[5] أنها جملة أمرية أي سل طريقًا موصلة إليها، لأنها لو كانت كذلك كتبت مفصولة. ومن قال في ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[6] معناه أنها ذان وها ضمير القصة، وذان مبتدأ خبره لساحران، أي أنّ القصة ذان لساحران، والجملة خبر إنّ وهو باطل، برسم إنّ منفصلة وهذان متصلة. ومن قال ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ﴾[7] اللام للابتداء وما بعده مبتدأ وخبر وهو باطل إذْ الرسم ولا. ومن قال في ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾[8] أي مقطوعة عن الإضافة وهم أشد مبتدأ وخبر وهو باطل، إذْ الرسم أيّهم متصلة.

التاسع: أن يتأمّل عند ورود المشتبهات، ومن ثم خطيء من قال: أحصى أفعل تفضيل، وأمدًا تمييز وهو باطل، فإنّ الأمد ليس محصيًا بل يحصى، وشرط التمييز بعد أفعل كونه فاعلًا في المعنى، فالصواب أنه فعل وأمدًا مفعول مثل وأحصى كل شيء عددًا.

العاشر: أن لا يخرج على خلاف الأصل أو خلاف الظاهر لغير مقتض.

الحادي عشر: أن يبحث عن الأصلي والزائد نحو: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[9] إذْ الظاهر أن يكون الواو في يعفون ضمير الجمع، فيشكل إثبات النون، بل هي لام الكلمة والنون ضمير النسوة، والفعل معها مبني ووزنه يفعلن، بخلاف ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ﴾[10] فإنّ الواو فيه ضمير الجمع.

الثاني عشر: أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله فإنّ معنى الزائد ما لا معنى له، وكتاب الله منزّه عن ذلك. ولهذا فرّ بعضهم إلى التعبير عنه بالتأكيد والصلة والمقحم. ثم اختلف في جواز إطلاقه في القرآن، فالأكثرون على جوازه

---

(١) الناس / ٢ - ٣.
(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، في النحو للشيخ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي (-٧٦٢هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٧٥١.
(٣) البقرة / ٢.
(٤) السجدة / ٢.
(٥) الانسان / ١٨.
(٦) طة / ٦٣.
(٧) النساء / ١٨.
(٨) مريم / ٦٩.
(٩) البقرة / ٢٣٧.
(١٠) البقرة / ٢٣٧.

نظرًا إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم، ولأنها بإزاء الحذف، لأنّ الحذف للاختصار والتخفيف، والزيادة للتوكيد والتوطئة. ومنهم من أبى إطلاقه لأنّ تلك الألفاظ لها فوائد ومعان تخصها فلا يُقضى عليها بالزيادة.

قال ابن الخشاب[(١)]: والتحقيق أنه إنّ أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل لأنه عبث، فتعين أنّ إليها بنا حاجة، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد، فليست الحاجة إلى عدّ هؤلاء زيادة كالحاجة إلى اللفظ المزيد عليه، انتهى.

وقال جلال الدين السيوطي: بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة، وأنه لو ترك كان الكلام دونه، مع إفادته أصل المعنى المقصود، أبتر خاليًا عن الرونق البليغي لا شبهة في ذلك. ومثل هذا يستشهد عليه بالإسناد البياني الذي خالط كلام الفصحاء، وعرف مواقع استعمالهم، وذاق حلاوة ألفاظهم. وأما النحوي الجافي فعن ذلك بمنقطع الثرى، انتهى.

ومما ينبه عليه أنه يتجاذب المعنى والإعراب والمتمسك به صحة المعنى، ويؤول لصحة الإعراب؛ مثلًا يقتضي المعنى تعلق ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩﴾[(٢)] بالمصدر وهو رجع، والإعراب بمنع عنه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله، فيجعل العامل في يوم فعلًا مقدرًا دلّ عليه المصدر. وأيضًا يقع في كلامهم الفرق بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب بأنّ الثاني بملاحظة الصناعة النحوية، ولا يضر في الأول مخالفة ذلك.

فائدة مهمة: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن عن قوله: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[(٣)]، وعن قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[(٤)]، وعن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾[(٥)]. فقالت: يا ابن أخي، هذا عمل الكتاب، أخطأوا في الكتاب، هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. وقال: حدثنا حجاج[(٦)] عن هارون بن موسى[(٧)]، أخبرني زبير بن الخريت[(٨)] عن عكرمة قال: لما كتبت المصاحف، عرضت على عثمان رضي الله عنه فوجد فيها حروفًا من اللحن فقال: لا تغيروها، فإنّ العرب ستغيرها، أو قال: ستعربها بألسنتها، لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف. ثم أخرج ابن الانباري[(٩)] نحوه من طريق أبي بشر عن سعيد

---

(١) هو عبد الله بن أحمد، ابن الخشاب، أبو محمد. ولد عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م. وتوفي عام ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م. عالم كبير بالعربية وعلوم الدين، له تصانيف عديدة. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٦٦، بغية الوعاة ٢٧٦، وفيات الأعيان ١/ ٢٦٧، إنباه الرواة ٢/ ٩٩.

(٢) الطارق / ٩.

(٣) طة / ٦٣.

(٤) النساء / ١٦٢.

(٥) البقرة / ٦٢.

(٦) لعله حجاج بن المنهال الأنماطي. أبو محمد السلمي البصري. توفي عام ٢١٦هـ، محدث، ثقة، فاضل، يعد من الطبقة التاسعة. انظر عنه: تقريب التهذيب. ١٥٣.

(٧) هو هارون بن موسى الأزدي العتكي، أبو عبدالله، المنبوز بالأعور. توفي عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. عالم بالقراءات والعربية له تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٨/ ٦٣، بغية الوعاة ٤٠٦، طبقات المعتزلة ١٣٨.

(٨) هو الزبير بن الخريت البصري. محدث، ثقة، يعد من الطبقة الخامسة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٢١٤.

(٩) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان، أبو بكر، ابن الأنباري. ولد في الأنبار (على الفرات) عام ٢٧١هـ/ ٨٨٤م. وتوفي عام ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. نحوي، لغوي، محدث، مفسر، حافظ، علامة له الكثير من المؤلفات. =

بن جبير أنه كان يقرأ: والمقيمين الصلوٰة ويقول هو لحن من الكاتب.

قال السيوطي: وهذه الآثار مشكلة جدًا، وكيف يظن بالصحابة أولًا أنهم يلحنون في الكلام فضلًا عن القرآن وهم الفصحاء اللد. وكيف يظنّ بهم ذلك ثانيًا في القرآن الذي تلقوه من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما أنزل، وحفظوه وضبطوه وأتقنوه. ثم كيف يظنّ بهم ثالثًا اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته. ثم كيف يظنّ بهم رابعًا عدم تنبههم ورجوعهم عنه. ثم كيف يظن أنّ القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ، وهو مروي بالتواتر خلفًا عن سلف. وهذه الأمور مستحيلة عقلًا وشرعًا وعادةً.

وقد أجابوا عنه بوجوه ثلاثة: أحدها: إدعاء ضعف إسناده عن عثمان، ولأنّ عثمان جعل للناس إمامًا يقتدون به، فكيف يترك فيه لحنًا لتقيِّمه العرب بألسنتها، فإذا لم يقيموا ذلك وهم تولوا جمعه وكتابته فكيف يقيمه غيرهم. وأيضًا هو كتب مصاحف متعددة فلم لم يقم في بعضٍ منها، فإنْ ادعى وقوع اللحن في الكل فذلك بعيد، وإن ادعى أنه أقام البعض فلم لم ينقل ذلك إلينا. وثانيها: إنّ ما ذكره عثمان محمول على الرمز والإشارة ومواضع الحذف نحو: الكتب بلا ألف، والصبرين في الصابرين بلا ألف، وما أشبه ذلك. وثالثها: أنه محمول على مخالفة رسم الخط لأنّ خط المصحف خالف رسم الخط في كثير من المواضع.

وأجيب عنه بوجه أقوى وهو الأثر المروي عن عثمان بأنه لما عرض المصحف عليه نظر فيه فقال: أحسنتم وأجملتم، أرى شيئًا سنقيمه بألسننا، إذْ يفهم منه أنه رأى فيه شيئًا كتب على غير لسان قريش كالتابوه والتابوت، فوعد أنه سيقيمه على لسان قريش. ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئًا. ولعل راوي الآثار المتقدمة حرَّفها ولم يتقن الذي صدر منه، فلزم ما لزم من الإشكال. وأما حديث عائشة فلا يصح عنه هذه الأجوبة، إذْ ليس في إسناده ضعفًا، لأن إسناده صحيح. وأيضًا سألها عروة عن الأحرف فلا يحتمل الحمل على الرمز والإشارة، بل الجواب أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة لجمع الناس عليه. وأما قول سعيد بن جبير لحن من الكاتب أراد باللحن القراءة واللغة أي أنها لغة الذي كتبها وقراءته وفيها قراءة أخرى.

فائدة أخرى: ألّف أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني[1] كتابًا سماه: تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن:[2] الحمدُ لله، قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على المصدر وبالكسر على إتباع الدال اللام في حركتها؛ ربِّ العالمين بالجر على أنه نعت وبالرفع على القطع بإضمار مبتدأ وبالنصب عليه بإضمار فعل أو على النداء، ونظائر هذا كثيرة شائعة في القرآن. والغرض التنبيه على هذا الباب لا استقصاء الأمثلة، إذْ لا سعة في المقام بأكثر من هذا.

=معجم المفسرين ٢/ ٦٠٤، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٢، وفيات الأعيان ٤/ ٣٤١، تاريخ بغداد ٣/ ١٨١، بغية الوعاة ١/ ٢١٢، شذرات الذهب ٢/ ٣١٥.

(١) هو أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي البيري، أبو جعفر الأندلسي. توفي عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٨م. أديب، له نظم، عالم بالنحو. له مصنفات عديدة. انظر عنه:
الاعلام ١/ ٢٧٤، الدرر الكامنة ١/ ٣٤٠، بغية الوعاة ١٤.

(٢) تحفة الأقران فيما قرىء بالتثليث من حروف القرآن، لأحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي (-٧٧٧هـ). كشف الظنون ١/ ٣٦٢.

علم معرفة أفضل القرآن وفاضله(*)

ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر الباقلاني وابن حبان إلى المنع بأنّ في القرآن شيئًا أفضل من شيء، لأنّ الجميع كلام الله، ولئلّا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وروي هذا عن مالك. وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث، منهم إسحاق بن راهوية وأبو بكر ابن العربي والغزالي. وقال القرطبي: إنه الحق، ونقله عن جماعة من المتكلمين والعلماء. قال الغزالي في جواهر القرآن: فاعلم أنّ نور البصيرة إنّ كان لا يرشدك إلى الفرق بين آية الكرسي وآية المداينات، وبين سورة الإخلاص وسورة تبَّت، وترتاع على اعتقاد الفرق نفسك الخوّارة المستغرقة بالتقليد، قلّد صاحب الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فهو الذي أنزل عليه القرآن. وقال: «يس قلب القرآن»[(١)]، و«فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن»،[(٢)] و«آية الكرسي سيدة آي القرآن»[(٣)]، و«قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[(٤)]. والأخبار الواردة في فضائل القرآن، وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل، وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى، إنتهى.

وقال ابن الحصار[(٥)]: العجب ممن يذكر الاختلاف في ذلك مع النصوص الواردة بالتفضيل.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره. فقل هو الله أحد أفضل من تبَّت يدا أبي لهب.

وقال الخولي:[(٦)] كلام الله كله أبلغ من كلام المخلوقين. وهل يجوز أن يقال: بعض كلامه أبلغ من بعض، جوّزه قوم لقصور نظرهم. وينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل: هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام، أنّ هذا في موضعه له حسن ولطف، وذاك في موضعه له حسن ولطف، وهذا الحسن في موضعه أكمل من ذلك في موضعه. فلئن قال: إنّ قل هو الله أحد أبلغ من تبّت يدا أبي لهب، يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب، وبين التوحيد والدعاء على الكافر، وذلك غير صحيح، بل ينبغي أنْ يقال: تبت يدا أبي لهب دعاء عليه بالخسران، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه. وكذلك في: قل هو الله أحد، لا توجد عبارة تدلّ على الوحدانية أبلغ منها. فالعالم إذا نظر إلى: تبّت يدا أبي لهب في باب الدعاء بالخسران، ونظر إلى: قل هو الله أحد في باب التوحيد، لا يمكنه أن يقول: أحدهما أبلغ من الآخر، انتهى.

قلت: كلام الخولي لا يدلّ على نفي التفاوت في البلاغة وجهة المطابقة لمقتضى الحال، ولا يلزم منه نفي الفضيلة من جهة أخرى، من حيث شرف المدلول وشرف الثواب، وغير ذلك.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) مسند أحمد، ٥/ ٢٦.

(٢) كنز المتقي الهندي، كتاب التفسير، باب فاتحة الكتاب، ح٣٥٠٣، ١/ ٥٥٧، بلفظ «أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين».

(٣) مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، باب سيدة آي القرآن ٢/ ٢٦٠، بلفظ: «سيدة آي القرآن آية الكرسي».

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين. باب فضل قراءة قل هو الله أحد، ح٢٥٩، ١/ ٥٥٦.

(٥) هو علي بن محمد بن ابراهيم بن موسى الخزرجي، أبو الحسن الحصار. توفي عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م. فقيه، له عدة كتب. الاعلام ٤/ ٣٣١، التكملة ٦٨٦، جذوة الاقتباس ٢٩٨.

(٦) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن داود الخولاني الحرازي اليمني. توفي عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م. مفسر، فقيه، عالم بالعربية. له عدة تصانيف هامة.
معجم المفسرين ١/ ٢٦٧، خلاصة الأثر ٢/ ٣٦٠، إيضاح المكنون ١/ ٣٠٤، هدية العارفين ٢/ ٣٦٠.

وقال الحليمي ونقله عن البيهقي: معنى التفضيل يرجع إلى أشياء:

أحدها: أن يكون العمل بآية أولى من العمل بأخرى وأعود على الناس. وعلى هذا يقال: آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد خير من آيات القصص، لأنها إنما أريد بها تأكيد الأمر والنهي والإنذار والتبشير، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور، وقد يستغنون عن القصص، فكان ما هو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجري مجرى الأصول خيرًا لهم مما يجعل تبعًا لما لا بدّ منه.

والثاني: أن يقال: الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله وبيان صفته والدلالة على عظمته أفضل، بمعنى أنّ مخبراتها أسنى وأجل قدرًا.

الثالث: أن يقال سورة خير من سورة، أو آية خير من آية، بمعنى أنّ القارىء يتعجل فيه بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل، ويتأدى منه بتلاوتها عبادتها، كقراءة آية الكرسي والإخلاص والمعوذتين. فإنّ قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى، والاعتصام بالله، ويتأدى بتلاوتها عبادة الله لما فيه من ذكره سبحانه بالصفات العلى على سبيل الاعتقاد لها، وسكون النفس إلى فضل ذلك الذكر وبركته. فأما آيات الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم وإنما يقع بها علم.

ثم لو قيل: في الجملة إنّ القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور، بمعنى أنّ التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها، والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها، أو أنه من حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث، وتلك الكتب لم تكن معجزة، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء، بل كانت دعوتهم، والحجج غيرها، لكان ذلك أيضًا نظير ما مضى. وقد يقال: إنّ سورة أفضل من سورة لأنّ الله جعل قراءتها كقراءة ضعافها مما سواها، وأوجب لها من الثواب ما لم يوجب لغيرها، وإنْ كان المعنى الذي لأجله بلغ شأنها هذا المقدار لا يظهر لنا، كما يقال: إنّ يومًا أفضل من يوم أو شهرًا أفضل من شهر، بمعنى أنّ العبادة فيه تفضل على العبادة في غيره، والذنب فيه أعظم منه في غيره، وكما يقال: إنّ الحرم أفضل من الحل لأنّه يتأدى فيه من المناسك ما لا يتأدى في غيره، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام في غيره، انتهى كلام الحليمي.

قال ابن المنير[١] في حديث البخاري: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور»[٢]، معناه أن ثوابها أعظم من غيرها. وقال غيره: إنّما كانت أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذلك سميت أم القرآن. قال الحسن البصري رحمه الله: «إنْ الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة»؛ أخرجه البيهقي.

بيان اشتمالها على علوم القرآن على وجوه:

أحدها: ما قرّره الزمخشري باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله، وعلى التعبد بالأمر والنهي، وعلى الوعد والوعيد، وآيات القرآن لا تخلو عن أحد هذه الأمور.

وثانيها: ما قال الإمام فخر الدين الرازي: المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة: الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدر لله تعالى. فقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ يدلّ على الإلهيات. وقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ يدل على المعاد. وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

---

(١) هو عبد الواحدبن منصور بن محمد بن المنير، أبو محمد، فخر الدين الاسكندري المالكي، ولد عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م. وتوفي بالإسكندرية عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. مفسر، له شعر ونظم وبعض المؤلفات. الاعلام ٤/ ١٧٧، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٣، الدرر الكامنة ٢/ ٤٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، ح١، ٦/ ٤١.

﴿نَسْتَعِينُ﴾ يدل على نفي الجبر وعلى إثبات أنّ الكل بقضاء الله تعالى وقدره. وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] إلى آخر السورة يدل على إثبات قضاء الله تعالى وعلى النبوات.

فلما كان المقصد الأعظم من القرآن هذه المطالب الأربعة، وهذه السورة مشتملة عليها، سميت أم القرآن. وقال البيضاوي: هي مشتملة على الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم، والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء.

وقال الطيبي: هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين:

أحدها: علم الأصول، ومعاقده معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ ومعرفة النبوات، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ ومعرفة المعاد، وهي المومى إليه بقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وثانيها: علم الفروع، وأسّه العبادات، وهو المراد بقوله تعالى إياك نعبد.

وثالثها: علم ما يحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق، وأصله الوصول إلى الحضرة الصمدانية، والالتجاء إلى جناب الفردانية، والسلوك لطريقه والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ورابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية، السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

قال الغزالي: مقاصد القرآن ستة، ثلاثة مهمة وثلاثة متمة:

الأولى: تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدرها. وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرّح به فيها. وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى وهو الآخرة، كما أشير إليه بملك يوم الدين.

والأخرى: تعريف المطيعين، كما أشير إليه بقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وحكاية أقوال الجاحدين، وقد أشير إليها بـ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. وتعريف منازل الطريق، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ انتهى.

قال ابن العربي: وإنما صارت آية الكرسي أعظم الآيات لعظم مقتضاها، فإنّ الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته، وهي في آي القرآن كسورة الإخلاص في سوره، إلّا أنّ سورة الإخلاص تفضلها بوجهين: أحدهما أنها سورة، وهذه آية، والسورة أعظم لأنّه وقع بها التحدي، فهي أفضل من الآية التي لم يتحد بها. وثانيهما أنّ سورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفًا، وآية الكرسي اقتضت التوحيد في خمسين حرفًا، فظهرت القدرة في الإعجاز، فوضع معنى يعبر عنه بخمسين حرفًا، ثم يعبر عنه بخمسة عشر، وذلك بيان لعظم القدرة والانفراد بالوحدانية، انتهى.

وقال الغزالي: إنما كانت آية الكرسي سيدة الآيات لأنّها اشتملت على ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله فقط ليس فيها غير ذلك. ومعرفة ذلك هي المقصد الأقصى في العلوم وما عداه تابع له، والسيد اسم للمتبوع المقدّم. فقوله تعالى (الله) إشارة إلى الذات، و(لا آله إلّا هو) إشارة إلى توحيد الذات، (الحي القيوم) إشارة

(١) الآيات السابقة حتى هنا الفاتحة / ١ - ٦.

إلى صفة الذات وجلاله، فإنّ معنى القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره وذلك غاية الجلال والعظمة. (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة. (له ما في السموات وما في الأرض) إشارة إلى الأفعال كلها وأنّ جميعها منه وإليه. (من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه) إشارة إلى انفراده بالملك والحكم والأمر وأنّ من يملك الشفاعة إنّما يملكها بتشريفه إياه والإذن فيها، وهذا نفي الشركة عنه في الملك والأمر. (يعلم ما بين أيديهم) إلى قوله (إلّا بما شاء) إشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره إلّا ما أعطاه ووهبه على قدر مشيئته وإرادته. (وسع كرسيّه السمٰوات والأرض) إشارة إلى عظمة ملكه وكمال قدرته. (ولا يؤوده حفظهما) إشارة إلى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان. (وهو العلي العظيم) إشارة إلى أصلين عظيمين في الصفات.

فإذا تأملت هذه المعاني ثم نحوت جميع آي القرآن لم تجد جملتها مجموعة في آية واحدة. فإن: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾[1] ليس فيها إلّا التوحيد، وسورة الإخلاص ليس فيها إلا التوحيد والتقديس، و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[2] ليس فيها إلّا الأفعال، والفاتحة فيها الثلاثة، لكن غير مشروحة بل مرموزة، والثلاثة مجموعة مشروحة في آية الكرسي. والذي يقرب منها في جمعها آخر الحشر، وأول الحديد، لكنها آيات لا آية واحدة. فإذا قابلت آية الكرسي بأحد تلك الآيات وجدتها أجمع للمقاصد، فلذلك استحقت السيادة على الآي؛ كيف وفيها الحي القيوم وهو الإسم الأعظم كما ورد به الخبر، انتهى كلام الغزالي.

ثم قال: إنما قال صلى الله عليه وآله وسلم في الفاتحة أفضل وفي آية الكرسي السيدة لسرٍّ، وهو أنّ الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمّى أفضل، فإنّ الفضل هو الزيادة والأفضل هو الأزيد. وأما السؤدد فهو رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع ويأبى التبعية، والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت أفضل. وآية الكرسي تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المقصودة المتبوعة التي يتبعها سائر المعارف، فكان إسم السيد بها أليق، انتهى.

ثم قال: في حديث قلب القرآن (يٰسٓ) إنّ ذلك لأنّ الإيمان صحة بالاعتراف بالحشر والنشر، وهو مقرّر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك، واستحسنه الإمام فخر الدين الرازي.

وقال النسفي: يمكن أن يقال: إنّ هذه السورة ليس فيها إلّا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، وهو القدر الذي يتعلق بالقلب والجنان. وأما الذي باللسان وبالأركان ففي غير هذه السورة. فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سمّاها قلبًا، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر لأنّه في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله ورجع عمّا سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة في قلبه ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة، انتهى.

واختلف الناس في معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، فقيل: لأنّ القرآن مشتمل على قصص، وشرائع، وصفات، وسورة الإخلاص كلها صفات، فكانت ثلثًا. وقال

(١) آل عمران / ١٨.
(٢) آل عمران / ٢٦.

الغزالي في الجواهر: معارف القرآن المهمة ثلاثة: معرفة التوحيد، والصراط المستقيم، والآخرة، وهي مشتملة على الأول فكانت ثلثًا. وقال أيضًا: القرآن مشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته، وهي إما صفات حقيقية وإمّا صفات الفعل وإمّا صفات الحكم، وهذه السورة تشتمل على الصفات الحقيقية فهي ثلث. وقال الخولي: مطالب القرآن أصول ثلاثة للإيمان، من أنكر شيئًا منها كفر، وهي: معرفة الله، والاعتراف بصدق رسوله، واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى، وهذه السورة تفيد الأصل الأول، فهي ثلث. وقيل: القرآن خبر وإنشاء، والخبر خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة أثلاث، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهي ثلث. وقيل: تعدل في الثواب، ويشهد له ظاهر الحديث. لكن قال ابن عقيل[١]: لا يجوز ذلك لقوله: «من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات»[٢]. وقال ابن عبد البر: السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها، والله أعلم.

علم معرفة أقسام القرآن[*]

صنف فيه ابن القيّم مجلدًا سماه: التبيان[٣].

وأعلم أنّ القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده، حتى جعلوا مثل: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[٤] قسمًا. وقيل: القسم منه تعالى إنْ كان لتصديق المؤمن فهو يصدقه بمجرد الإخبار. وإنْ كان لأجل الكافر فلا يفيد. وأجيب: بأن القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتها القسم إذا أرادوا تأكيد أمر. وأجاب أبو القاسم القشيري: أنّ الله تعالى ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أنّ الحكم يفصل بإثنين: إمّا بالشهادة وإمّا بالقسم. فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[٦]. وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[٧] صاح وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين.

واعلم أنّ القسم لا يكون إلّا باسم معظّم، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع والباقي كله قسم بمخلوقاته.

فإن قيل: ورد النهي عن القسم بغير الله تعالى. أجيب عنه بوجوه: أحدها أنه على حذف مضاف، أي ورب التين وربّ الشمس وأمثالهما. وثانيها: نزل القرآن على ما يعرفه العرب من القسم مما يعظمونه من المخلوقات. وثالثها: أنّ

---

(١) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري، أبو الوفاء. ولد عام ٤٣١هـ، وتوفي عام ٥١٣هـ. إمام كبير، فقيه، متكلم، أصولي، له العديد من المصنفات. ناظر العلماء وله أخبار مشهورة. انظر عنه: المنهج الأحمد في تراجم اصحاب الإمام أحمد ٢/ ٢١٥، شذرات الذهب ٤/ ٣٥، المنتظم ٩/ ٢١٢.

(٢) [من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات] المتقي الهندي، كنز العمال، الكتاب الثاني من حرف الهمزة من قسم الأقوال، الباب السابع في تلاوة القرآن وفضائله، ح ٢٣٩٦، ١/ ٥٣٥. بلفظ: «كتب الله له» بدلًا من «فله».

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) التبيان في أقسام القرآن، لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي (-٧٥١هـ). كشف الظنون ١/ ٣٤١.

(٤) المنافقون / ١.

(٥) آل عمران / ١٨.

(٦) يونس / ٥٣.

(٧) الذاريات / ٢٣.

القسم يكون على ما فوق شخص، والله تعالى ليس فوقه أحد، فتارة يقسم بنفسه وتارة بمصنوعاته، لأنها تدل على بارئ وصانع.

علم معرفة الإمالة والفتح وما بينهما(*)

كل هذه مفصلة في علم القراءة، فليعلم من كتبها.

علم معرفة أمثال القرآن(**)

صنف فيه الإمام أبو الحسن الماوردي من كبار أصحاب الشافعية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾(١) لعلهم يتذكرون. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾(٢). قال الماوردي: من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات. والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام. وقيل: ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس. فإنّ الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس. ومن ثمة كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله. قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾(٣) فامتنّ علينا بذلك لما تضمنته من الفوائد. قال الزركشي في البرهان: ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة. وقال الأصبهاني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثال والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق، ورفع الأستار عن الحقائق، تريك المتخيّل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لصولة الجامح الآبق، فإنّه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه. ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال. ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال. وفشت في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الأنبياء والحكماء.

واعلم أنّ جعفر ابن شمس الخلافة(٤) عقد في كتاب الآداب(٥) بابًا في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل، ويسمّيه أرباب البديع إرسال المثل. وأورد من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾(٦)،

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الكهف / ٥٤.

(٢) العنكبوت / ٤٣.

(٣) ابراهيم / ٤٥.

(٤) هو جعفر بن محمد بن شمس الخلافة مختار الأفضلي المصري الملقب مجد الملك. أبو الفضل. ولد عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وتوفي عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م. شاعر، أديب، له عدة تصانيف.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٣/ ١٤٩، وفيات الأعيان ١/ ١٤١، شذرات الذهب ٥/ ١٠٠، حسن المحاضرة ١/ ٣٢٦.

(٥) لعله قسم من كتاب وليس كتابًا مستقلًا حيث كان العلماء يقسمون الكتاب الواحد إلى كتب وأبواب.

(٦) النجم / ٥٨.

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(١)، ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾(٢)، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾(٣)، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾(٤)، ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(٥)، ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(٦)، ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾(٧)، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾(٨)، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾(٩)، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾(١٠)، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(١١)، ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾(١٢)، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾(١٣)، ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾(١٤)، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾(١٥)، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ﴾(١٦)، ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾(١٧)، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾(١٨)، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(١٩)، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٢٠)، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾(٢١)، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾(٢٢)، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٢٣)، ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾(٢٤)، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(٢٥)، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾(٢٦)، ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾(٢٧)، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾(٢٨)، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾(٢٩)، في

---

(١) آل عمران / ٩٢.
(٢) يوسف / ٥١.
(٣) يسٓ / ٧٨.
(٤) الحج / ١٠.
(٥) يوسف / ٤١.
(٦) هود / ٨١.
(٧) سبأ / ٥٤.
(٨) الأنعام / ٦٧.
(٩) فاطر / ٤٣.
(١٠) الاسراء / ٨٤.
(١١) البقرة / ٢١٦.
(١٢) المدثر / ٣٨.
(١٣) النور / ٥٤.
(١٤) التوبة / ٩١.
(١٥) الرحمن / ٦٠.
(١٦) البقرة / ٢٤٩.
(١٧) يونس / ٩١.
(١٨) الحشر / ١٤.
(١٩) فاطر / ١٤.
(٢٠) الروم / ٣٢.
(٢١) الأنفال / ٢٣.
(٢٢) سبأ / ١٣.
(٢٣) البقرة / ٢٨٦.
(٢٤) المائدة / ١٠٠.
(٢٥) الروم / ٤١.
(٢٦) الحج / ٧٣.
(٢٧) الصافات / ٦١.
(٢٨) صٓ / ٢٤.

ألفاظ أخر.

واعلم أنّ أمثال القرآن قسمان: ظاهر مصرّح به نحو قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[١]، الآية، ونظائر ذلك. وكامن لا ذكر للمثل فيه. وهذا كما سئل الحسين بن المفضل: إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من كتاب الله تعالى، فهل تجد فيه: خير الأمور أوساطها؟ قال: نعم، في أربعة مواضع. قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾[٣] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾[٤] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[٥] الآية.

وقيل: فهل تجد في كتاب الله: ليس الخبر كالعيان؟ قال: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[٦]. قيل فهل تجد: كما تدين تدان؟ قال: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٧]. قيل: فهل تجد: لاتلد الحية إلّا الحية؟ قال: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٨]، وأمثال هذا كثيرة، ويكفيك هذا القدر في الاعتبار.

علم معرفة أول ما نزل(*)

والأمر في أحواله ظاهر. وفي أول ما نزل أقوال:

أحدها: وهو الصحيح: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾[٩]، رواه الشيخان في صحيحيهما، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل والطبراني في الكبير.

وثانيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[١٠]، رواه الشيخان. والتوفيق أنّ أول سورة نزلت المدثر فلا تنافي أن يكون صدر سورة[١١] القلم أول ما نزل على الإطلاق، والمدثر أول بالنسبة إلى ما بعد فترة الوحي لا مطلقًا. أو يقال: أولية المدثر اجتهاد جابر لا روايته، وأولية إقرأ رواية عائشة فيقدم عليه.

وثالثها: سورة الفاتحة وإليه ذهب أكثر المفسرين، وقد رواه عمرو بن شرحبيل مرسلًا. وأجيب: بأنه يحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعدما نزلت عليه إقرأ والمدثر، إذْ حاصله أنّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ناداه جبريل فقال: قل يا محمد: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، حتى بلغ ولا الضالين. إذْ يحتمل أنْ لا يكون هذا النداء أول نداء له، وأول قراءة قرأ عليه.

ورابعها: بسم الله الرحمن الرحيم، روي ذلك عن عكرمة والحسن وعن ابن عباس.

---

(١) الحشر / ٢.
(٢) البقرة / ١٧.
(٣) البقرة / ٦٨.
(٤) الفرقان / ٦٧.
(٥) الإسراء / ٢٩.
(٦) الإسراء / ١١٠.
(٧) البقرة / ٢٦٠.
(٨) النساء / ١٢٣.
(٩) نوح / ٢٧.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(١٠) العلق / ١.
(١١) المدثر / ١.
(١٢) لعله: العلق، والقلم تصحيف من الناسخ.

وأجيب: بأنّ هذا لا يعد قولًا برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق.

وأما آخر سورة نزلت براءة. وآخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾[(١)]، وقيل: آية الربا، وقيل: آية الدين. والتوفيق بين الأخيرين أنهما نزلتا دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنهما في قصة واحدة، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح، والمآل إلى تلقيب الآية بأية الربا تارة وآية الدين أخرى لاشتمالها على كل منهما. وما ذكر من أنّ آخر ما نزلت يستفتونك مقيد، أي آخر ما نزلت في شأن الفرائض هذه. وقيل: آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[(٢)] إلى آخر السورة، رواه أبي بن كعب. وقيل: آخر آية نزلت: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾[(٣)] الآية. وأول هذه بأنه لم ينزل بعدها آية تنسخها بل هي محكمة. وأوّل البيهقي هذه الأقوال بأنّ كل واحد أجاب بما عنده. قلت: ولا ينفع هذا التأويل أصلًا.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار[(٤)]: هذه الأقوال ليس فيها حديث مرفوع، وكلٌّ قاله بضرب من اجتهاده وغلبة ظنه. ويحتمل أنّ كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإنّ لم يسمعه هو. ويحتمل أيضًا أن تنزل الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع آيات نزلت معها، فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب، انتهى من الاتقان. أو تنزل آيات فيؤمر برسم آخر ما نزل أولًا وأوله آخرًا، فيظن الآخر في الترتيب آخر ما نزل، وفي الأقوال كثرة.

علم معرفة الآيات المشتبهات[(*)]

صنّف فيه جماعة، أوّلهم الكسائي، ونظمه السخاوي، وألّف في توجيهه الكرماني[(٥)] كتاب: البرهان في توجيه متشابه القرآن. وأحسن منه: درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله الرازي[(٦)]. وأحسن من هذا: ملاك التأويل[(٧)] لأبي جعفر بن الزبير[(٨)]. وللقاضي بدر الدين ابن جماعة كتاب لطيف سمّاه: كشف المعاني عن متشابه المثاني. وفي كتاب: أسرار التنزيل المسمّى قطف الأزهار في كشف الأسرار[(٩)] من

(١) النساء / ١٢٧.
(٢) التوبة / ١٢٨.
(٣) الكهف / ١١٠.
(٤) ورد سابقًا.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٥) المتوفي عام ٥٠٠هـ (هامش الأصل).
(٦) وهو الإمام فخر الدين الرازي. (هامش الأصل).
(٧) ملاك التأويل، «القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل وتوجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل» في متشابه القرآن في فنون التفسير. للشيخ الإمام أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الغرناطي (-٧٠٨هـ) لخص فيه كتاب الحصنكيفى وزاد عليه. كشف الظنون ٢/ ١٨١٣.
(٨) هو أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر. ولد عام ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م. وتوفي عام ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. محدث، مؤرخ، عالم بالعربية والتفسير والأصول. له العديد من الكتب. انظر عنه: الاعلام ١/ ٨٦، الإحاطة ١/ ٧٢، الدرر الكامنة ١/ ٨٤، البدر الطالع ١/ ٣٣.
(٩) قطف الأزهار في كشف الأسرار، يعني أسرار التنزيل، وهو في متشابه القرآن لجلال الدين السيوطي (-٩١١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٥٢.

ذلك الجم الغفير. والقصد به إمرار القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، بأن يأتي في موضع مقدمًا، وفي آخر مؤخرًا، أو في موضع بزيادة، وفي موضع بدونها، أو في موضع معرفًا، وفي آخر منكرًا، أو في موضع مفردًا، وفي آخر جمعًا، أو في موضع بحرف، وفي آخر بحرف آخر، أو في موضع مدغمًا، وفي آخر مفكوكًا، إلى غير ذلك من الاختلافات.

علم معرفة الإيجاز والإطناب(*)

إعلم أنهما من أعظم أنواع البلاغة، حتى نقل صاحب سر الفصاحة[1] عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب. قال صاحب الكشاف: كما يجب للبليغ في مظان الإجمال أن يجمل ويؤخر، فكذلك الواجب في مواردالتفصيل أن يفصل ويشيع. أنشد الجاحظ:

يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفه الرقباء

واختلف هل بين الإيجاز والإطناب مساواة أم لا؟ فالسكاكي ومتابعوه أثبتوها، لكنهم جعلوها غير محمودة ولا مذمومة. وتفصيل هذا المقام في شروح المفتاح.

واعلم أنّ الإيجاز والاختصار واحد، وما قيل: إنّ الاختصار خاص بحذف الجمل فقط فقد ردّه الفضلاء. وأما الإسهاب والحشو والتطويل غير الإطناب، ولهذا قالوا: الإطناب زيادة لفائدة دون غيره. ثم الإيجاز إمّا إيجاز قصر أو إيجاز حذف.

فالأول هو الوجيز بلفظه. قال الشيخ بهاء الدين: الكلام القليل إنْ كان بعضًا من كلام أطول منه فهو ايجاز حذف، وإن كان كلامًا يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر. وقيل: إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ. وقال آخر: هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة. وقال الطيبي في التبيان:[2] الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام:

أحدها: إيجاز القصر، وهو أن يقصر اللفظ على معناه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[3]. جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة.

الثاني: إيجاز التقدير، وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق ويسمّى بالتضييق أيضًا، وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح[4].

الثالث: الايجاز الجامع، وهو أن يحتوي على معان متعددة نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[5]، الآية. فإنّ (العدل) هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط إمّا في الاعتقاد أو الأخلاق أو الأعمال. (والإحسان) هو الإخلاص في واجبات العبودية كما فسّره في الحديث بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه»،[6] أي تعبده مخلصًا في نيتك وواقفًا في الخضوع، آخذًا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم لشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) سر الفصاحة في اللغة، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن محمد بن سنان الخفاجي الشاعر. كشف الظنون ١/ ٤٧٠.

(٢) التبيان في المعاني والبيان، للعلامة شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (-٧٤٣هـ). كشف الظنون ١/ ٣٤١.

(٣) النمل / ٣١.

(٤) المصباح في المعاني والبيان، للشيخ بدر الدين محمد بن محمد بن مالك الطائي، أبو عبد الله النحوي (-٦٨٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧١٠، معجم المطبوعات العربية ٢٣٢ - ٢٣٣، الاعلام ٧/ ٣١.

(٥) النحل / ٩٠.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان...، ح ٤٩، ١/ ٣٤.

(وإيتاء ذي القربى) زيادة على الواجب، هذا في الأوامر. وفي النواهي: (الفحشاء) إشارة إلى القوة الشهوانية، (وبالمنكر) إشارة إلى إفراط القوة الغضبية، (وبالبغي) إلى الاستعلاء الفائض عن القوة الوهمية. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية. ومن بديع الإيجاز ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾[1] إلى آخر السورة، فإنه نهاية التنزيه. وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة. وقد أفرد ذلك بالتصنيف بهاء الدين بن شداد[2].

ومن أنواع الإيجاز نوع مسمى بالتضمين، وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باسم هي عبارة عنه. قال القاضي أبو بكر: وهو نوعان: أحدهما: ما يفهم من البنية، نحو: معلوم، فإنه يوجب أنه لا بد له من عالم. والثاني من معنى العبارة نحو: بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه.

ومن إيجاز القصر باب الحصر، سواء كان بإلّا أو بإنما أو غيرهما من أدواته، لأنّ الجملة فيها نائب مناب جملتين؛ وباب العطف لأن حروفه وضعت للإغناء عن العامل، وباب النائب عن الفاعل لأنّه دلَّ على الفاعل بإعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه، وباب الضمير لأنه وضع للاستغناء به عن الظاهر اختصارًا، ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل، وباب علمت أنك قائم لأنه محتمل لاسم واحد سدَّ مسدّ المفعولين من غير حذف، وباب التنازع إذا لم تقدر على رأي الفرّاء.

ومنها طرح المفعول اقتصارًا على جعل المتعدي كاللازم.

ومنها أدوات الاستفهام والشرط، فإن كم مالُك، يغني عن قولك أهو عشرون أم ثلاثون، وهكذا.

ومنها الألفاظ الملازمة للعموم كأحد.

ومنها لفظ التثنية والجمع فإنه يغني عن تكرير المفرد وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصارًا. ومما يصلح أن يعد من أنواعه الاتساع، من أنواع البديع، وهو أن يؤتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني، كفواتح السور، ذكره ابن أبي الأصبغ.

القسم الثاني من قسمي الإيجاز إيجاز الحذف، وفيه فوائد ذكر أسبابه.

منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره.

ومنها التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وان الأشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء.

ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام. قال حازم في منهاج البلغاء: إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها. قال: وهذا القصد يؤثر في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل على النفوس.

---

(١) الإخلاص /١.

(٢) هو يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، أبو المحاسن، بهاء الدين ابن شداد، ولد بالموصل عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م. وتوفي في حلب عام ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م. مؤرخ، من كبار القضاة. له عدة تصانيف. الاعلام ٨/ ٢٣٠. وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٤، طبقات الشافعية ٥/ ١١٥، غاية النهاية ٢/ ٣٩٥، الأنس الجليل ٢/ ٤٤٧، ذيل الروضتين ١٦٣، مرآة الجنان ٤/ ٨٢.

ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾[(١)]، ونون ﴿لَمْ يَكُ﴾، وياء ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾[(٢)]. وسأل المؤرّخ السدوسي[(٣)] الأخفش عن هذه الآية فقال: عادة العرب أنها إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه. والليل لما كان لا يسرى وإنما يُسرى فيه نقص منه حرف، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[(٤)]، الأصل: بغية، فلما حوّل عن فاعل نقص منه حرف.

ومنها كونه لا يصلح إلّا له نحو: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[(٥)].

ومنها شهرته حتى يستوى ذكره وتركه. قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال.

ومنها صيانته عن ذكره تشريفًا.

ومنها صيانة اللسان عنه تحقيرًا له.

ومنها قصد العموم نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٦)]، أي على العبادة وعلى كل أمورنا.

ومنها رعاية الفاصلة نحو: ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾[(٧)] أي قلاك.

ومنها قصد البيان بعد الإبهام نحو: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[(٨)]. وقد ذكر أهل البيان أنّ مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلّا إذا كان غريبًا.

واعلم أنهم فرّقوا بين الحذف إقتصارًا واختصارًا. والأول حذف بغير دليل، والثاني الحذف بدليل. ثم الدليل إمّا حالي نحو ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[(٩)]، أي سلّمنا سلامًا. أو مقالي نحو: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾[(١٠)]، أي أنزل خيرًا. أو دليل عقلي حيث يدلّ على أنّ الكلام لا يصح إلّا بتقدير محذوف. فتارة يدلّ على أصل الحذف والتعيين من دليل آخر نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[(١١)]، والعقل يعلم أنّ الحرمة من صفات الأفعال والميتة من الأعيان، فيعرف أن هناك حذفًا، وكون المحذوف تناولها مستفاد من الحديث، وهو قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إنما حرم أكلها»[(١٢)].

وتارة يدلّ على تعيين المحذوف نحو: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[(١٣)]، أي أمره، لأنّ العقل دلَّ على استحالة مجيء الباري لأنه من سمات الحادث، وعلى أنّ الجائي أمره.

وقد تدلّ عليه العادة تارة نحو: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[(١٤)]، ولا يكون يوسف عليه السلام ظرفًا للوم عقلًا، فالعادة تعيّنه وهو المراودة، إذا

(١) يوسف / ٢٩.
(٢) الفجر / ٤.
(٣) هو عبد الله بن الفضل بن سفيان بن منجوق غنويه السدوسي، أبو محمد. توفي عام ٢٠٠هـ/٨١٦م. نسابة، إخباري مؤرخ، له عدة كتب انظر عنه: معجم المؤلفين ٦/ ١٠٢، الفهرست ١/ ١٠٩، هدية العارفين ١/ ٤٣٨.
(٤) مريم / ٢٨.
(٥) الأنعام / ٧٣.
(٦) الفاتحة / ٥.
(٧) الضحى / ٣.
(٨) البقرة / ٢٥٥.
(٩) هود / ٦٩.
(١٠) النحل / ٣٠.
(١١) المائدة / ٣.
(١٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي ﷺ حديث ٩٢، ٢/ ٢٥٥.
(١٣) الفجر / ٢٢.
(١٤) يوسف / ٣٢.

الحبّ المفرط لا يلام عليه عادة، والمحتمل هما لا غير بدليل السياق.

وتارة يدلّ عليه التصريح في موضع آخر وهو أقوى الدلائل نحو: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[١]، أي من عند الله بدليل: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٢].

ومن الأدلة على أصل الفعل العادة بأنّ لا يمنع العقل عن إجرائه على ظاهره من غير حذف نحو: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾[٣]، والعقل وإنْ جوّز عدم علمهم بالقتال لكن العادة تمنعه لأنهم كانوا أخبر الناس به، حتى كانوا يعيرون بعدم علمهم به، فلهذا قدّر مجاهد: لو نعلم مكان قتال، ويدلّ عليه أنّهم أشاروا على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنْ لا يخرج من المدينة.

فائده: اعتبر الأخفش في الحذف التدريج حيث أمكن، ولهذا قال في: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[٤] إنّ الأصل لا تجزي فيه فحذف حرف الجر فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزى، وهذه ملاطفة في الصناعة. ومذهب سيبويه أنهما حذفًا معًا. قال ابن جني: وقول الأخفش أوفق في النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معًا في وقت واحد.

فائده: ينبغي تقليل المقدّر مهما أمكن لتقل مخالفة الأصل، ومن ثمة ضعف قول الفارسي في ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾[٥] أنّ التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر، والأولى أن يقدر كذلك. قال الشيخ عز الدين: ولا يقدّر من المحذوفات إلّا أشدها موافقة للغرض وافصحها، لأن العرب لا يقدّرون إلّا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به نحو: جعل الله الكعبة البيت الحرام. قدَّر أبو علي نصب الكعبة، وقدّر غيره حرمة الكعبة، والثاني أفصح. ومهما تردّد المحذوف بين الأحسن والحسن وجب تقدير الأحسن لأنه تعالى وصف كتابه بأحسن الحديث، فليكن محذوفاته أحسن المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظ. ومتى تردد بين أن يكون مجملًا أو مبينًا فتقدير المبين أحسن.

قاعدة:

إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلًا والباقي فاعلًا، وبين كونه مبتدأ والباقي خبرًا، فالثاني أولى، لأن المبتدأ عين الخبر، فالمحذوف عين الثابت، فيكون حذفًا كلا حذف.

فأما الفعل فإنه غير الفاعل، اللهم إلّا أنْ يعتضد الأول برواية أخرى في ذلك الموضع أو موضوع آخر يشبهه.

وأيضًا إذ دار الأمر بين كون المحذوف أولًا أو ثانيًا، فكونه ثانيًا أولى، ومن ثم رجح أنّ المحذوف في نحو: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾[٦] نون الوقاية لا نون الرفع، وفي ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾[٧] التاء الثانية لا تاء المضارعة. وقد يجب كونه من الأول نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾[٨]، في قراءة

---

(١) البينة / ٢.
(٢) البقرة / ١٠١.
(٣) آل عمران / ١٦٧.
(٤) البقرة / ٤٨.
(٥) الطلاق / ٤.
(٦) الأنعام / ٨٠.
(٧) الليل / ١٤.
(٨) الأحزاب / ٥٦.

وملائكته بالرفع، لاختصاص الخبر بالثاني، لوروده بصيغة الجمع. وقد يجب كونه من الثاني نحو: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾(١)، أي بريء أيضًا لتقدم الخبر على الثاني.

واعلم أنّ الحذف على أنواع:

أحدها: ما يسمّى بالاقتطاع، وهو حذف بعض حروف الكلمة. وأنكر ابن الأثير وروده في القرآن. ورُدَّ بأنّ من جعل كل حرف من فواتح السور إسمًا من أسمائه تعالى مثّله بها؛ وادعى بعضهم أنْ الباء في: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾(٢)، أوّل كلمة بعض ثم حذف الباقي. ومنه قراءة بعضهم: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ﴾(٣) بالترخيم، ولما سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم. وأجاب بعضهم بأنّهم لشدة ما بهم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة. ويدخل في هذا النوع حذف أنا من قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾(٤)، إذْ الأصل لكن أنا، حذفت همزة أنا تخفيفًا، ثم أدغمت النون في النون.

وثانيها: ما يسمّى بالاكتفاء، وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالبًا بالارتباط العطفي، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾(٥)، أي والبرد. وخصص الحر بالذكر لأنّ الخطاب للعرب، والوقاية من الحرّ أهم في بلادهم لشدة الحرّ من البرد عندهم. وقيل لأنّ البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحًا في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ﴾(٦)، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾(٧)، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾(٨). ومن أمثلة هذا النوع: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾(٩) أي والشر. وإنما خصّ الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجودًا في العالم، أو لأنّ إضافة الشر إلى الله تعالى ليس من باب الأدب، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والشر ليس إليك»(١٠).

ومنها: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾(١١)، أي وما تحرّك، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرك يصير إلى السكون.

ومنها: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾(١٢)، أي والشهادة لأنّ الإيمان بكل منهما واجب وآثر الغيب لأنه أمدح، ولأنه يستلزم للإيمان بالشهادة من غير عكس.

ومنها: ﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾(١٣) أي والمغارب.

ومنها: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾(١٤) أي وللكافرين.

(١) التوبة /٣.
(٢) المائدة /٦.
(٣) الزخرف /٧٧.
(٤) الكهف /٣٨.
(٥) النحل /٨١.
(٦) النحل /٨٠.
(٧) النحل /٨١
(٨) النحل /٥.
(٩) آل عمران /٢٦.
(١٠) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ح ٢٠١، ١/ ٥٣٥.
(١١) الأنعام /١٣.
(١٢) البقرة /٣.
(١٣) الصافات /٥.
(١٤) البقرة /٢.

قال ابن الأنباري: ويؤيّده قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[١].

ومنها: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾[٢]، أي ولا والد، بدليل أنّه أوجب للأخت النصف، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها.

وثالثها: ما يسمّى بالاحتباك، وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقلّ من تنبّه له أو نبّه عليه من أهل فن البلاغة، ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى[٣] لرفيقه الأندلسي[٤]، وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم، بل سماه الحذف المقابلي، وأفرده بالتصنيف العلامة برهان الدين البقاعي[٥]. قال الأندلسي في شرح البديعية: من أنواع البديع (الاحتباك)، وهو نوع عزيز، وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ﴾[٦] الآية. التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة الذي ينعق عليه، ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه. وقوله تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾[٧]، فحذف من الأول تدخل غير بيضاء ومن الثاني وأخرجها. قال الزركشي: هو أنْ يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه. ومن أمثلته: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[٨] أي عملًا صالحًا بسيء وآخر سيئًا بصالح. ومن لطيفه قوله تعالى: ﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ﴾[٩] أي فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت. وله في القرآن نظائر، وهو أبلغ ما يكون من الكلام. ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشّد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب فحبك الثوب سّد ما بين خيوطه من الفرج وشدّه وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق. وبيان أخذه منه أنّ مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه، كان حائكًا له مانعًا من خلل يطرقه، فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق.

---

(١) البقرة / ١٨٥.

(٢) النساء / ١٧٦.

(٣) بديعية للشيخ شمس الدين أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهوازي المالكي (-٧٨٠هـ). وهي قصيدة مسماة بالحلة اليسرى في مدح خير الورى، أولها، بطيبة انزل ويمم سيد الأمم. . .
انظر: كشف الظنون ١/١٤٩.

(٤) هو شهاب الدين، أبو جعفر، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الأندلسي، توفي عام ٧٧٩هـ. وكان رفيق ابن جابر. شرح البديعية وأولها: الحمد لله البديع الأفعال، الرفيع عن المثال. . .
انظر كشف الظنون ١/١٤٩. (هامش الأصل).

(٥) هو ابراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن. ولد بقرية خربة روحا بالبقاع عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م. وتوفي بدمشق عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م مؤرخ، مفسّر، محدث وأديب. له الكثير من المؤلفات.
انظر عنه: الاعلام ١/٥٦ معجم المفسرين ١/١٧، البدر الطالع ١/١٩، الضوء اللامع ١/١٠١، شذرات الذهب ٧/٣٣٩، معجم المؤلفين ١/٧١، هدية العارفين ١/٢١، معجم المصنفين ٣/٢٧٧.

(٦) البقرة / ١٧١.

(٧) النمل / ١٢.

(٨) التوبة / ١٠٢.

(٩) آل عمران / ١٣.

النوع الرابع: ما يسمى بالاختزال، وهو ما ليس واحدًا مما سبق، وهو أقسام: لأن المحذوف إما كلمة اسم، أو فعل، أو حرف، أو أكثر. أمثلة حذف الاسم:

حذف المضاف: وهو كثير في القرآن جداً حتى قال ابن جني: في القرآن منه زهاء ألف موضع.

حذف المبتدأ: يكثر في جواب الاستفهام نحو: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ﴾[1] أي هي نار. وبعد فاء الجواب نحو: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾[2]، أي فعمله لنفسه ﴿وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ أي إساءته عليها. وبعد القول نحو: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[3]. وبعد ما الخبر صفة له في المعنى نحو: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ﴾[4].

وحذف الخبر: نحو: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾[5] أي دائم. ويحتمل الأمرين نحو: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾[6] أي أجمل أو فأمري صبر جميل.

حذف الصفة: نحو: ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾[7] أي صالحة بدليل أنه قرىء كذلك.

خذف المعطوف عليه: نحو: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾[8]، أي فضرب فانفلق.

وحذف المعطوف مع العاطف: نحو: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾[9] أي والشر.

حذف المبدل منه: نحو: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾[10]. أي لما تصفه والكذب بدل من الهاء.

حذف الفاعل: لا يجوز إلّا في فاعل المصدر نحو: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾[11]. أي من دعائه، وجوَّزه الكسائي مطلقًا لدليل، وخرَّج عليه: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾[12] أي الروح، ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾[13] أي الشمس.

حذف المفعول: تقدم أنه كثير في مفعول المشيئة والإرادة ويرد في غيرهما نحو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾[14] أي إلها، ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣﴾[15] أي عاقبة أمركم.

حذف الحال: يكثر إذا كان قولًا نحو: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ، سَلَٰمٌ﴾[16] أي قائلين.

حذف المنادى: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾[17] أي يا هؤلاء، يا ليت أي يا قوم.

---

(١) القارعة / ١١-١٢.
(٢) فصلت / ٤٦.
(٣) الفرقان / ٥.
(٤) البقرة / ١٨.
(٥) الرعد / ٣٥.
(٦) يوسف / ١٨ و٨٣.
(٧) الكهف / ٧٩.
(٨) الشعراء / ٦٣.
(٩) آل عمران / ٢٦.
(١٠) النحل / ١١٦.
(١١) فصلت / ٤٩.
(١٢) القيامة / ٢٦.
(١٣) ص / ٣٢.
(١٤) الاعراف / ١٥٢.
(١٥) التكاثر / ٤.
(١٦) الرعد / ٢٣ - ٢٤.
(١٧) النمل / ٢٥.

حذف العائد: يقع في أربعة أبواب: الصلة نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[١] أي بعثه الله. والصفة نحو: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾[٢] أي فيه. والخبر نحو: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣] أي وعده. والحال.

حذف مخصوص نعم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾[٤] أي أيوب.

حذف الموصول: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾[٥] أي والذي أنزل إليكم، لأنّ الذي أنزل إلينا غير الذي أنزل إليكم فيقدّر.

حذف الفعل: يطّرد إذا كان مفسرًا نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾[٦].

حذف الحرف: قيل حذف الحرف ليس بقياس لأنّ الحروف للاختصار، فلو كنت تحذفها لكنت تختصرها، واختصار المختصر إجحاف به.

حذف همزة الاستفهام: نحو: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾[٧] أي أو تلك.

حذف الموصول الحرفي: قال ابن مالك: لا يجوز إلّا في أنْ نحو: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾[٨].

حذف الجار: يطّرد مع أنْ وأنّ نحو: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾[٩] أي بأن ونحو: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾[١٠] أي بأنكم. وجاء مع غيرهما نحو: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[١١] أي قدرنا له، ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾[١٢] أي من قومه.

حذف العاطف: نحو: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾[١٣] أي ووجوه عطفًا على ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾[١٤].

حذف فاء الجواب: نحو: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾[١٥].

حذف حرف النداء: كثير نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ﴾[١٦]. وفي العجائب[١٧] للكرماني: كثر حذف ياء في القرآن من الربّ تنزيهًا وتعظيمًا لأنّ في النداء طرفًا من الأمر نحو: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾[١٨].

حذف قد: في الماضي إذا وقع حالًا نحو ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[١٩] أي قد حصرت.

---

(١) الفرقان / ٤١.
(٢) البقرة / ٤٨ و١٢٣.
(٣) الحديد / ١٠.
(٤) ص / ٤٤.
(٥) العنكبوت / ٤٦.
(٦) التوبة / ٦.
(٧) الشعراء / ٢٢.
(٨) الروم / ٢٤.
(٩) الحجرات / ١٧.
(١٠) المؤمنون / ٣٥.
(١١) يس / ٣٩.
(١٢) الاعراف / ١٥٥.
(١٣) الغاشية / ٨.
(١٤) الغاشية / ٢.
(١٥) البقرة / ١٨٠.
(١٦) يوسف / ٢٩.
(١٧) أي عجائب القرآن، لمحمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء، المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ. (هامش الأصل).
(١٨) مريم / ٤.
(١٩) النساء / ٩٠.

حذف لا النافية: يطرد في جواب القسم إذا كان المنفى مضارعًا نحو: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾(١) أي لا يطيقونه.

حذف لام التوطئة: نحو: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾(٢). حذف لام الأمر: نحو ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ﴾(٣).

حذف لام لقد: يحسن مع طول الكلام نحو: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾(٤).

حذف نون التوكيد: نحو قراءة ألم نشرح بالنصب.

حذف نون الجمع: عليه قراءة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ﴾(٥).

حذف التنوين: عليه قراءة: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾(٦) بالنصب.

حذف حركة الإعراب والبناء: وعليه قراءة: بارئكم، ويأمركم بسكونهما.

أمثلة حذف أكثر من كلمة:

حذف مضافين: نحو: ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾(٧) أي من أثر حافر فرس الرسول.

حذف ثلاثة مضافات: نحو: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾(٨) أي كان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين. فحذف ثلاثة من إسم كان وواحد من خبرها.

حذف مفعولي باب ظنّ: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾(٩) أي تزعمونهم شركاء.

حذف الجار مع المجرور: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾(١٠) أي بسيء وآخر سيئًا أي بصالح.

حذف العاطف مع المعطوف: تقدم.

حذف الشرط وفعله: يطرد بعد الطلب نحو: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾(١١) أي إن اتبعتموني.

حذف جواب الشرط: نحو: ﴿وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾(١٢) أي لنفد البحر.

حذف جملة القسم: نحو: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا﴾(١٣) أي والله.

حذف جوابه: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾(١٤) الآيات، أي لتبعثن. ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾(١٥) أي لمعجز.

حذف جملة مسببة عن المذكور: نحو: ﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ﴾(١٦) أي فعل ما فعل.

حذف جمل كثيرة: نحو: ﴿فَأَرۡسِلُونِ ۝ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾(١٧)، أي فأرسلون إلى يوسف لاستعبره الرؤيا، ففعلوا، فأتاه فقال له يا يوسف.

---

(١) البقرة / ١٨٤.
(٢) الانعام / ١٢١.
(٣) ابراهيم / ٣١.
(٤) الشمس / ٩.
(٥) البقرة / ١٠٢.
(٦) يٓس / ٤٠.
(٧) طهٓ / ٩٦.
(٨) النجم / ٩.
(٩) القصص / ٦٢، ٧٤.
(١٠) التوبة / ١٠٢.
(١١) آل عمران / ٣١.
(١٢) الكهف / ١٠٩.
(١٣) النمل / ٢١.
(١٤) النازعات / ١.
(١٥) صٓ / ١.
(١٦) الانفال / ٨.
(١٧) يوسف / ٤٥-٤٦.

واعلم أنه تارة لا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم، وتارة يقام ما يدلّ عليه نحو: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾(١)، فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم وإنما التقدير فإنْ تولوا فلا لوم عليَّ، أو فلا عذر لكم لأني أبلغتكم.

إذا عرفت حال الإيجاز وأنه ينقسم إلى إيجاز قصر وإيجاز حذف، فاعلم أنّ الاطناب ينقسم أيضًا إلى بسط وزيادة.

فالأول يكون بتكثير الجمل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٢) الآية في سورة البقرة، أطنب فيها أبلغ إطناب لكون الخطاب مع الثقلين وفي كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل والموافق والمنافق.

الثاني يكون بالمفردات، وذلك أنواع:

أحدها: دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة في نوع الأدوات، وهي: إن، وأن، ولام الابتداء، والقسم، وألّا الاستفتاحية، وأيا، وها للتنبيه، وكأنّ في تأكيد التشبيه، ولكن في تأكيد الاستدراك، وليت في تأكيد التمني، ولعلّ في تأكيد الترجي، وضمير الشأن، وضمير الفصل، وأمّا في تأكيد الشرط، وقد، والسين، وسوف، والنونان في تأكيد الفعلية، ولا التبرئة، ولن، ولما في تأكيد النفي. وإنما يحسن تأكيد الكلام بها إذا كان المخاطب به منكرًا أو مترددًا، ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الإنكار وضعفه، وقد تقرر تفصيله في علم المعاني.

الثاني دخول الأحرف الزائدة. قال ابن جني: كل حرف زيد في كلام العرب فهو قائم مقام إعادة الجملة مرة أخرى. وقال الزمخشري في كشافه: تقديم الباء في خبر ما وليس لتأكيد النفي كما أنّ اللام لتأكيد الإيجاب.

الثالث التأكيد الصناعي وهو أربعة أقسام:

أحدها: التوكيد المعنوي بكل وأجمع وكلا وكلتا، وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول.

وثانيها: التأكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ إمّا بمرادفه نحو: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾(٣)، وإما بلفظه ففي الاسم نحو: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾(٤)، وفي الفعل نحو: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾(٥)، واسم الفعل نحو: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾(٦)، والحرف نحو: ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾(٧)، والجملة نحو: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾(٨)، والأحسن اقتران الثانية بثم نحو: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦﴾(٩). ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل نحو: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾(١٠)، ﴿وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾(١١). ومن تأكيد المنفصل بمثله نحو: ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾(١٢).

وثالثها: تأكيد الفعل بمصدره وهو عوض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز في الفعل بخلاف التوكيد السابق، فإنه لرفع توهم

(١) هود / ٥٧.
(٢) البقرة / ١٦٤.
(٣) الأنعام / ١٢٥.
(٤) الفجر / ٢١.
(٥) الطارق / ١٧.
(٦) المؤمنون / ٣٦.
(٧) هود / ١٠٨.
(٨) الشرح أو الانشراح / ٥-٦.
(٩) النبأ / ٤-٥.
(١٠) البقرة / ٣٥.
(١١) الاعراف / ١١٥.
(١٢) هود / ١٩.

المجاز في المسند إليه. مثاله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[١] والأصل أنْ ينعت بالوصف المراد نحو: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[٢] ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[٣]. وقد يضاف وصفه إليه نحو: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٤]. وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو إسم عين نيابة عن المصدر نحو: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾[٥]، والمصدر تبتلًا، ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧﴾[٦] أي إنباتًا، والنبات اسم عين.

ورابعها: الحال بالمؤكدة نحو: ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[٧]، ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ﴾[٨].

الرابع: التكرير وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافًا لبعض من غلط، وله فوائد:

منها التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرّر. قال تعالى: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾[٩]، وهذا هو السبب في تكرير الأقاصيص والإنذار في القرآن.

ومنها التأكيد.

ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾[١٠]، فإنه كرر فيه النداء لذلك.

ومنها إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيًا تطرئة له وتجديدًا لعهده نحو: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ﴾[١١].

ومنها التعظيم والتهويل نحو: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢﴾[١٢]، و﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢﴾[١٣]، ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧﴾[١٤].

واعلم أنه قد يورد في صورة التكرار وليس منه كالقصص المتكررة. مثلًا، ذكر الله موسى في كتابه في مائة وعشرين موضعًا، وقصة نوح في خمس وعشرين آية، وذكر قصة موسى في سبعين آية. وألّف البدر بن جماعة كتابًا سماه: المقتص في فوائد تكرار القصص[١٥]، وذكر فوائد:

منها أنّ في كل منها زيادة ليس في الأخرى، أو ابدال كلمة بالأخرى، وهذه عادة البلغاء.

ومنها أن الرجال من الطوائف يترددون، فكرّر لئلّا يفوت عن كل طائفة كل هذه القصص.

ومنها أنّ في إبراز الكلام في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة.

ومنها أنّ الدواعي تتوفر على نقل الأحكام دون القصص فلهذا كررت القصص دون

---

(١) الأحزاب /٥٦.
(٢) الأحزاب /٤١.
(٣) الأحزاب /٤٩.
(٤) آل عمران /١٠٢.
(٥) المزمّل /٨.
(٦) نوح /١٧.
(٧) مريم/٣٣.
(٨) النساء /٧٩.
(٩) طة /١١٣.
(١٠) غافر /٣٨ - ٣٩.
(١١) يوسف /٤.
(١٢) الحاقة /١ - ٢.
(١٣) القارعة /١ - ٢.
(١٤) الواقعة /٢٧.
(١٥) المقتص في فوائد تكرير القصص، لبدر الدين ابن جماعة (-٧٣٣هـ). كشف الظنون، ٢/١٧٩٣.

الأحكام.

ومنها أنّ فيه إظهار عجز القوم لأنهم عجزوا عنه بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا.

ومنها أنه لما تحداهم وقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾(١) لربما توهم أنكم تعجزون كعجزنا، فكرّر دفعًا لهذا الوهم.

ومنها أنّ النفوس مجبولة على حب التنفل في الأشياء المتجددة واستلذاذها. وأيضًا مع هذا التكرير لم يحصل فيه الجنة، ولا ملل لسامعه، فباين كلام المخلوقين.

وأما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف عليه السلام فوجوه:

أحدها الإغضاء عن عشق النسوة وسترها أولى.

وثانيها أنّ فيها حصول الفرج بعد الشدة فتتوفر الدواعي على نقلها من غير تكرير.

وثالثها لم تكرر إشارة إلى عجز العرب، كأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: إنْ كان القرآن من البشر فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص. وهذا ما ذكره الأستاذ أبو اسحاق الاسفرايني.

ورابعها أنّها نزلت بسبب طلب الصحابة فنزلت مبسوطة تامة. قلت: وهذا الوجه جواب لبسطها لا لعدم تكريرها، والكلام في التكرير.

وخامسها وهو أقوى الوجوه، أنّ سائر القصص أنزلت لإفادة إهلاك من كذّبوا الرسل، والتنبيه على المشركين بذلك، والحاجة إلى هذا متكررة بخلاف قصة يوسف. وبهذا يعلم وجه عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح.

فإن قلت: قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين وليست من قبيل ما ذكرت؟ قلت: الأولى في سورة كهيعص وهي مكية، أنزلت خطابًا لأهل مكة. والثانية في سورة آل عمران وهي مدنية أنزلت خطابًا لليهود ونصارى نجران حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة.

النوع الخامس: الصفة وترد لأسباب:

أحدها التخصيص في النكرة نحو: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾(٢).

الثاني التوضيح في المعرفة أي لزيادة البيان نحو: ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾(٣).

الثالث المدح والثناء نحو صفات الله تعالى.

الرابع الذم نحو الرجيم.

الخامس التأكيد لرفع الإبهام نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾(٤) فنهى الاتخاذ لكونهما اثنين لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك. فكما أن الوحدة للنوعية ولنفي العدد، كذلك نفي التثنية قد يكون لنفي الوحدة النوعية وقد يكون لنفي الإثنينية.

فائدة: الصفة العامة لا تأتي بعد الخاصة، فلا يقال فصيح متكلم بل يعكس. ويشكل في إسمعيل ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾(٥). ويجاب: بأنه حال أي مرسلًا لا صفة. وإذا وقعت الصفة بعد متضايفين، أولهما عدد جاز إجراؤها على المضاف نحو: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾(٦)، وعلى المضاف إليه نحو: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾(٧).

(١) البقرة / ٢٣.
(٢) النساء / ٩٢.
(٣) الأعراف / ١٥٨.
(٤) النحل / ٥١.
(٥) مريم / ٥٤.
(٦) الملك / ٣.
(٧) يوسف / ٤٣.

وإذا تكررت النعوت لواحد فإن تباعد معانيها فالأحسن العطف نحو: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(١) وإلّا تركه نحو: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝﴾(٢) الآية.

فائدة: قطع النعوت في مقام المدح والذم أبلغ من إجرائها لأنّ المقام يقتضي الإطناب، والمعاني عند الاختلاف تتنوع وتتفنن، وعند الاتحاد تكون نوعًا واحدًا. مثاله في المدح: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٣) إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤). ومثاله في الذم: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝﴾(٥).

النوع السادس: البدل والقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وفائدته البيان والتأكيد. أما البيان فواضح. وأما التأكيد فلأنه على نية تكرير العامل فكأنه من جملتين، ولأنه دلّ على ما دلّ عليه الأول إما بالمطابقة في بدل الكل وإما بالتضمن في بدل البعض، أو بالالتزام في بدل الاشتمال.

النوع السابع: عطف البيان وهو في الإيضاح كالصفة لكن يفارقها في أنّه وضع ليدلّ على الإيضاح باسم مختص به بخلاف الصفة، فإنّها وضعت لتدلّ على معنى حاصل في متبوعها، ويفارق البدل بأنّ البدل هو المقصود، كأنّك قررته في موضع المبدل منه، وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود.

النوع الثامن: عطف أحد المترادفين على الآخر، والقصد منه التأكيد أيضًا نحو: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾(٦). وأنكر المبرّد وجود هذا في القرآن، وأوّل ما وجد منه باختلاف المعنيين، وقال: من جوّز وجوده أنّ في مجموع المترادفين معنى لا يوجد عند انفرادهما، فإنّ التركيب يحدث معنى زائدًا. وإذا كانت كثرة الحروف تفيد معنى زائدًا ففي كثرة الألفاظ أولى.

النوع التاسع: عطف الخاص على العام للتنبيه على فضله حتى كأنّه ليس من جنس العام، تنزيلًا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات.

وحكى أبو حيان عن شيخه أنّه سماه بالتجريد، كأنه جرّد من الجملة وأفرده بالذكر تفضيلًا نحو: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾(٧). ومما ينبغي أن ينبّه عليه أنّ المراد بالعام ما كان شاملًا، وبالخاص ما كان مشمولًا، لا مصطلح الأصوليين.

النوع العاشر: عطف العام على الخاص وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ لوضوح فائدته، وهي التعميم والاهتمام بالأول لإفراده بالذكر نحو: ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾(٨)، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝﴾(٩)، ونظائره كثيرة في القرآن.

النوع الحادي عشر: الإيضاح بعد الإبهام. وفائدته رؤية المعنى في صورتين مختلفتين من الإبهام والإيضاح، أو لتمكن المعنى تمكنًا قويًا إذ المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب، أو لتكمل لذة العلم به فإنّ الشيء إذا علم

---

(١) الحديد / ٣.
(٢) القلم / ١٠ - ١١.
(٣) النساء / ١٦٢.
(٤) البقرة / ١٧٧.
(٥) االمَسَد / ٤.
(٦) يوسف / ٨٦.
(٧) البقرة / ٢٣٨.
(٨) الأنعام / ١٦٢.
(٩) الحجر / ٨٧.

من وجه ما تشوقت النفس للعلم بباقي وجوهه، وتأملت، فإذا عرفتها كانت لذته أشدّ من لذة ما عرف من جميع الوجوه دفعة واحدة، ومنه: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[١].

النوع الثاني عشر: التفسير. قال أهل البيان: وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره، نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٢].

النوع الثالث عشر: وضع الظاهر موضع المضمر، وألّف فيه ابن الصائغ تأليفًا مفردًا، وله فوائد:

منها زيادة التقرير والتمكين نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[٣] مكان هو الصمد، ونحو: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[٤] مكان وبه نزل، وله نظائر كثيرة في القرآن.

ومنها قصد التعظيم نحو: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥].

ومنها قصد الإهانة والتحقير نحو: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾[٦] مكان ألا أنّ حزبه.

ومنها إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه عين الأول نحو: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾[٧]، إذْ لو قال تؤتيه لأوهم أنه الأول. ونحو: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾[٨]، ولو قال دائرته لأوهم أنّ الضمير عائد إلى الله.

ومنها قصد تربية المهابة وإدخال الروع على ضمير السامع، بذكر الأهم المقتضى لذلك كما يقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا.

ومنها قصد تقوية داعي المأمور نحو: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٩].

ومنها تعظيم الأمر نحو: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾[١٠].

ومنها الاستلذاذ بذكره نحو: ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾[١١] ولم يقل منها.

ومنها التوصل بالظاهر إلى الوصف نحو: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾[١٢].

ومنها التنبيه على علة الحكم نحو: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾[١٣] حيث لم يقل عدو لهم إعلامًا بأنّ من عادى لهم فهو كافر، وأنّ الله إنّما عاداه الكفرة.

ومنها قصد العموم نحو: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ﴾[١٤] لم يقل إنّها لئلّا يفهم تخصيص ذلك بنفسه.

---

(١) طة / ٢٥ – ٢٦.
(٢) المعارج / ١٩ – ٢١.
(٣) الإخلاص / ١ – ٢.
(٤) الاسراء / ١٠٥.
(٥) البقرة / ٢٨٢.
(٦) المجادلة / ١٩.
(٧) آل عمران / ٢٦.
(٨) الفتح / ٦.
(٩) آل عمران / ١٥٩.
(١٠) العنكبوت / ١٩.
(١١) الزمر / ٧٤.
(١٢) الاعراف / ١٥٨.
(١٣) البقرة / ٥٩ – ٩٨.
(١٤) يوسف / ٥٣.

ومنها قصد الخصوص نحو: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[١] لم يقل لك تصريحًا بأنه خاص به.

ومنها الإشارة إلى عدم دخول الجملة الثانية في حكم الأولى نحو: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾[٢]، فإنّ يمحوا الله استئناف لا داخل في حكم الشرط.

ومنها مراعاة الجناس نحو: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[٣] إلى آخر السورة.

ومنها مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب نحو قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾[٤].

النوع الرابع عشر: الإيغال هو الإمعان، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها وتوهم أنه خاص بالشعر، مردود بأنه وقع في القرآن نحو: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ، ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾[٥] فقوله وهم مهتدون يتم المعنى بدونه، إذْ الرسول مهتد لا محالة، لكن فيه زيادة مبالغة في الحثّ على اتباع الرسول والترغيب فيه، وله غير هذا نظير في القرآن.

النوع الخامس عشر: التذييل، وهو أن يؤتى بجملة عقيب جملة، والثانية تشتمل على معنى الأولى لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهمه، نحو: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾[٦].

النوع السادس عشر: الطرد والعكس، هو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس، نحو: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٧]، وهذا نظير الاحتباك في الإيجاز.

النوع السابع عشر: التكميل ويُسمّى بالاحتراس، وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٨]، فإنه لو اقتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم، ومثله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٩]، ولو اقتصر على أشداء لتوهم أنه لغلظهم.

النوع الثامن عشر: التتميم، وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[١٠] أي مع حب الطعام، أي اشتهائه فإنّ الإطعام حينئذٍ أبلغ وأكثر أجرًا، ومثله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[١١].

النوع التاسع عشر: الاستقصاء، وهو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافه الذاتية، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالًا، كقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾...[١٢]، الآية، إذْ لو اقتصر على قوله

---

(١) الأحزاب / ٥٠.
(٢) الشورى / ٢٤.
(٣) الناس / ١.
(٤) البقرة / ٢٨٢.
(٥) يس / ٢٠ - ٢١.
(٦) الإسراء / ٨١.
(٧) التحريم / ٦.
(٨) المائدة / ٥٤.
(٩) الفتح / ٢٩.
(١٠) الإنسان / ٨.
(١١) البقرة / ١٧٧.
(١٢) البقرة / ٢٦٦.

جنة لكان كافيًا إلّا أنه وصفها بالنخيل والأعناب، فإنّ مصاب صاحبها بها أعظم، ثم تمّم هذا الوصف بقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾، ثم كمّل وصفها بعد التتميمين فقال: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، فأتى بكل ما يكون، ليكون أسف من أفسدها أشدّ، ثم وصف صاحبها بقوله: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾، ثم استقصى المعنى بما يوجب تعظيم المصاب بقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ﴾، ثم وصفها بالضعاف، ثم ذكر استئصال الجنة بالهلاك في أسرع وقت فقال: ﴿فَأَصَابَهَآ﴾، ثم زاد قوله: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾، ثم رد إحتمال ضعف النار فأخبر باحتراقها دفعًا لما يتوهم من احتمال ضعف النار، أو منع الأنهار ورطوبة الأشجار تأثيرها، فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله. ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ فهذا أحسن استقصاء في كلام وأتمه وأكمله. قال ابن أبي الأصبغ: والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أنّ (التتميم) يرد على المعنى الناقص، (والتكميل) على التام، (والاستقصاء) على التام الكامل.

النوع العشرون: الاعتراض ويسمى التفاتًا، وهو الإتيان بجملة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب، في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى، لنكتة غير دفع الإبهام نحو: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1] فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك. وقد يكون الاعتراض بجملتين أو أكثر حتى إنّ في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[2] إلى قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾[3] اعتراض بسبع جمل. ومن وقوع اعتراض في اعتراض قوله تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[4]، فإن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ اعتراض، وقوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراض في ذلك الاعتراض. قال الطيبي في التبيان: ووجه حسن الاعتراض حسن الإفادة مع أنّ مجيئه مجيء ما لا يرقب، فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب.

النوع الحادي والعشرون: التعليل، وفائدته تقرير جواب اقتضته الجملة الأولى والأبلغية، فإنّ النفوس أبعث على قبول الأحكام المعلّلة من غيرها، وحروف التعليل: اللام وإن وأن وإذْ والباء وكي ومن ولعل.

ولعمري لقد آثرنا الاطناب في مباحث الإيجاز والإطناب لأنّها مما تمس إليه حاجة الطلاب، ومن الله التوفيق للصواب.

علم معرفة بدائع القرآن(*)

أورد فيها أبو الأصبغ نحو مائة نوع، وصنف فيه مستقلًا فارجع إليه. وذكره أهل البيان في أواخر علم البيان؛ إلّا أن المتأخرين زادوا عليها شيئًا كثيرًا سيما القصائد البديعية[5] للحلي، ولابن حجة[6]، وشرح البديعيات [7] لابن حجة. ومن أراد الاستقصاء في أنواع البديع

---

(١) الفتح / ٢٧.
(٢) الرحمن / ٤٦.
(٣) الرحمن / ٥٤.
(٤) الواقعة / ٧٥ - ٧٦.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٥) للشيخ أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (-٨٣٧هـ) سماها تقديم أبي بكر. وهي مؤلف من ١٤٣ بيتاً. كشف الظنون ١/ ٢٣٣.
(٦) هو أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي. (-٨٣٧هـ). عالم باللغة والأدب. كشف الظنون ١/ ٢٣٣.
(٧) شرح البديعيات. وردت سابقًا.

فليرجع إليه إلّا أنّ ابن أبي الأصبغ أجرى تلك الأنواع في الآيات القرآنية. منها أربعة وعشرون نوعًا تقدم فيما سبق، وهي: المجاز، والاستعارة، والكناية، والإرداف، والتمثيل، والتشبيه، والإيجاز، والاتساع، والإشارة، والمساواة، والبسط، والإيغال، والتشجيع، والتشريع، والتتميم، والتكميل، والاحتراس، والاستقصاء، والتذييل، والترديد، والتكرار، والتفسير، والإيضاح، ونفي الشيء بإيجابه.

وأما المذهب الكلامي والقول بالموجب، والمناقضة، والانتقال، والأسجال، والتسليم، فقد سبق ذكره في علم الجدل. وأما التمكين، والتوشيح، والتسهيم، وردّ العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، ولزوم ما لا يلزم، والتخيير، والإيهام، وهو التورية والاستخدام، فسيأتي في نوع الفواصل. وأما حسن التخلص والاستطراد فسيأتي في نوع المناسبات. وأما حسن الابتداء وحسن الختام فسيأتيان في نوعي الفواتح والخواتم. وها أنا أذكر الباقي مع مثال واحد من القرآن لكل منها، إذ المراد يتم بمثال واحد ولا حاجة إلى تكثير الأمثلة، فالمذكورات ثلاثة وأربعون.

فالباقي من المائة سبعة وخمسون:

الإيهام ويسمّى التورية، أنْ يذكر لفظ له معنيان، إما بالاشتراك أو التواطىء، أو الحقيقة والمجاز، أحدهما قريب والآخر بعيد، ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب، فيتوهمه السامع من أول وهلة. قال الزمخشري: لا ترى بابًا في البيان أدق ولا ألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات في كلام الله وكلام رسوله. ومن أمثلته: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[1] فإنّ للاستواء معنيين: الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لتنزّهه تعالى عنه، والآخر الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي وري عنه بالقريب المذكور، انتهى. وهذه التورية تسمّى مجردة إذْ لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به والمورى عنه. ومنها ما تسمّى مرشحة وهي التي فيها من لوازم هذا أو هذا، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[2] فإنه يحتمل الجارحة وهو المورى به، ورشح هو بالبنيان، ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود. وله نظائر في القرآن.

والاستخدام هو والتورية، أشرف أنواع البديع، وهما سيّان، وفضله بعضهم عليها، ولهم في تفسيره عبارتان: أحدهما مختار السكاكي وأتباعه أنْ يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادًا به أحد معانيه، ثم يوتى بضميره مرادًا به المعنى الآخر. والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر، وهذه طريقة بدر الدين بن مالك في المصباح، ومشى عليها ابن أبي الأصبغ، ومثّل له بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[3]: الكتاب يحتمل الأمد المحتوم والكتاب المكتوب، وأجل يخدم الأول، ويمحو يخدم الثاني.

والالتفات، إنّ ينتقل في الكلام من كل من التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخر لنكتة يقتضيها مقامها، وأمثلته مشهورة. ومن الالتفات نوع غريب في القرآن لم يوجد في الأشعار، وهو أن يؤتى بكلامين مرتين، ثم يخبر عن الأول منهما، ثم ينصرف إلى الإخبار عن الثاني، ثم إلى الإخبار عن الأول. مثاله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ

(١) طهٰ / ٥.
(٢) الذاريات / ٤٧.
(٣) الرعد / ٣٨.

لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾[١]، ذكر الإنسان وربه فأخبر عن الإنسان ثم انصرف إلى الإخبار عن الرّب بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾[٢]، ثم انصرف عنه إلى الإخبار عن الإنسان بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾[٣]. قيل: وهذا يحسن أنْ يسمى التفات الضمائر. ويقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد إلى الاثنين وبالعكس، ومنهما إلى الجمع وبالعكس. ويقرب منه أيضًا الانتقال من خطاب الماضي أو المضارع أو الأمر إلى آخر.

والاطراد أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على ترتيبها في الولادة، ومنه ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[٤].

والانسجام، أن يكون الكلام لخلوه عن العقادة متحدرًا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه أنْ يسيل رقة، والقرآن كله كذلك. قال أهل البديع: وإذا قوي الإنسجام في النثر جاءت فقراته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه. ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونًا، فمن بحر الطويل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٥]، ومن المديد: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[٦]، ومن البسيط: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾[٧]، ومن الوافر: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[٨]، ومن الكامل: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٩]، ومن الهزج: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾[١٠]، ومن الرجز: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾[١١]، ومن الرمل: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[١٢]، ومن السريع: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[١٣]، ومن المنسرح: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾[١٤]، ومن الخفيف: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[١٥]، ومن المضارع: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾[١٦]، ومن المقتضب: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[١٧]، ومن المجتث: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[١٨]، ومن المتقارب: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾[١٩].

والإدماج، أن يدمج المتكلم غرضًا في غرض

---

(١) العاديات / ٦.
(٢) العاديات / ٧.
(٣) العاديات / ٨.
(٤) البقرة / ١٣٣.
(٥) الكهف / ٢٩.
(٦) هود / ٣٧.
(٧) الاحقاف / ٢٥.
(٨) التوبة / ١٤.
(٩) البقرة / ٢١٣.
(١٠) يوسف / ٩٣.
(١١) الإنسان / ١٤.
(١٢) سبأ / ١٣.
(١٣) البقرة / ٢٥٩.
(١٤) الإنسان / ٢.
(١٥) النساء / ٧٨.
(١٦) غافر / ٣٢-٣٣.
(١٧) البقرة / ١٠.
(١٨) الحجر / ٤٩.
(١٩) الأعراف / ١٨٣.

أو بديعًا في غرض أو بديعًا في بديع بحيث لا يظهر في الكلام إلّا أحد الغرضين أو أحد البديعين، نحو: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾[١]، حيث أدمج البعث والجزاء في وصفه تعالى بالحمد.

والإفتنان: الإتيان في كلام فنين مختلفين كالجمع بين الفخر والتعزية في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[٢].

الاقتدار، أن يبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتدارًا على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به في صورة الاستعارة، وتارة في صورة الأرداف، وحينًا في مخرج الإيجاز، ومرة في قالب الحقيقة.

ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى:

الأول أن تكون الألفاظ تلازم بعضها بعضًا بأن يقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله، رعاية لحسن الجودة والمناسبة.

والثاني أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد، فإنْ كان فخمًا كانت ألفاظه مفخمة، أو جزلًا فجزلة، أو غريبًا فغريبة، أو متداولًا فمتداولة، أو متوسطًا بين الغرابة والاستعمال فكذلك.

مثال الأول: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾[٣]، اختار من الألفاظ أغربها فإنّ التاء أغرب حروف القسم لقلة استعمالها. وأتى بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار وهو تفتؤ، فإن تزال أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالًا منه، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض، فاقتضى حسن الائتلاف في اللفظ جمع هذه الألفاظ.

ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[٤]. لما كان الركون أي الميل إلى الظالم دون مشاركته في الظلم، أتى بالمس الذي هو دون الإحراق والاصطلام.

والاستدراك والاستثناء شرط كونهما من البديع أن يتضمنا ضربًا من المحاسن زائدًا على ما يدلّ عليه المعنى اللغوي. مثال الاستدراك: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[٥]، إذْ لو اقتصر على لم تؤمنوا لكان منفرًا لهم، فذكر الاستدراك إشارة الى أنّ الإيمان موافقة اللسان والقلب، واللسان المجرد يسمّى إسلامًا. ومثال الاستثناء: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[٦] فيه تمهيد عذر نوح في دعائه بهلاك قومه حيث دعاهم مدة طويلة ولم يجيبوه، وقال ألف تهويلًا لأسماعهم بحيث لا يلتفت بعده إلى الاستثناء. ولو قال تسع مائة وخمسين لم تحصل هذه الفائدة.

الاقتصاص، أن يكون الكلام في سورة مقتصًا من كلام في سورة أخرى أو في تلك السورة، نحو: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾[٧] مقتص من قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٨].

الإبدال، إقامة بعض الحروف مقام بعض نحو: ﴿فَٱنفَلَقَ﴾، أي انفرق بدليل: ﴿فَكَانَ كُلُّ

(١) القصص / ٧٠.
(٢) الرحمن / ٢٦-٢٧.
(٣) يوسف / ٨٥.
(٤) هود / ١١٣.
(٥) الحجرات / ١٤.
(٦) العنكبوت / ١٤.
(٧) الصافات / ٥٧.
(٨) الروم / ١٦.

فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(١)]. ومنه: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾[(٢)]، أي الخيل.

تأكيد المدح بما يشبه الذم: قال ابن أبي الأصبغ: ولم أدر منه في القرآن إلّا واحدة نحو: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[(٣)].

التفويف، هو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف وغيرهما من الفنون، كل فنّ في جملة منفصلة عن أختها مع تساوي الجمل في الرقة، ويكون في الجمل الطويلة والقصيرة والمتوسطة. فمن الطويلة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾، وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾، وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾[(٤)].

ومن المتوسطة: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[(٥)]. قيل: ولم يأت المركب من القصيرة في القرآن قاله ابن أبي الأصبغ.

التقسيم، هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة لا الممكنة عقلًا نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[(٦)] إذْ لا ثالث لهما في رؤية البرق، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[(٧)] استوفى جميع هيئات الذاكرة، وله نظائر في القرآن.

التدبيج، أن يذكر المتكلم ألوانًا لقصد التورية والكناية نحو: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[(٨)]، لما كان الطرف الأعلى في الظهور هو البياض ويقابله السواد في الخفاء، وبينهما الأحمر، وكذلك ألوان الجبال إمّا جادة بيضاء وإما سوداء أو حمراء بينهما، لا جرم قسم كل علم نصب للهداية إليها.

التنكيت، أنْ يقصد المتكلم إلى ذكر شيء دون غيره مما يسدّ مسدّه لأجل نكتة في المذكور ترجّح مجيئه على سواه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾[(٩)] مع أنه ربّ كل نجم وربّ كل شيء، لأنه ظهر في العرب رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى ودعا الناس إلى عبادتها.

التجريد، أنْ ينزع من شيء ذي صفة، آخر مثله، مبالغة في كمالها فيه نحو: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾[(١٠)] جرّد من الجنة دار الخلد وإلّا فالجنة نفسها دار الخلد، لا أنّ دار الخلد فيها بأنْ يكون فيها غير دار الخلد.

التعديد، هو إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد، وأكثر ما يوجد في الصفات نحو: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[(١١)] إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾.

الترتيب، هو أنّ يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها في الخلقة الطبيعية، ولا يدخل فيها وصفًا زائدًا نحو: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[(١٢)] الآية.

التضمين، يقع على أشياء: أحدها: إيقاع

---

(١) الشعراء / ٦٣.
(٢) صٓ / ٣٢.
(٣) الحج / ٤٠.
(٤) الشعراء / ٧٨ - ٨١.
(٥) آل عمران / ٢٧.
(٦) الرعد / ١٢.
(٧) آل عمران / ١٩١.
(٨) فاطر / ٢٧.
(٩) النجم / ٤٩.
(١٠) فصلت / ٢٨.
(١١) الحشر / ٢٣.
(١٢) فاطر / ١١.

لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز تقدم فيه.

الثاني: حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه، وهذا نوع من الإيجاز.

الثالث: تعلّق ما بعد الفاصلة بها وهذا مذكور في نوع الفواصل.

الرابع: إدراج كلام الغير في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم، وهذا هو النوع البديعي نحو: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾(١) الآية، تضمن شيئًا من التوراة والإنجيل. ومن هذا القبيل إيداع حكايات المخلوقين في القرآن كقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾(٢) وأمثال ذلك.

الجناس تشابه اللفظين في اللفظ، وفائدته أنّ مناسبة الألفاظ تحدث ميلًا وإصغاءً إليها، وهو أنواع:

منها التام، بأنّ يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها، نحو: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾(٣) إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾(٤).

ومنها المصحف، ويسمّى جناس الخط بأنْ يختلف الحروف في النقط نحو: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾(٥).

ومنها المحرف، بأنْ يقع الاختلاف في الحركات نحو: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٦) وفيه التصحيف(٧) أيضًا.

ومنها الناقص، بأن يختلفا في عدد الحروف والزائد إما في الأول أو في الوسط أو في الآخر نحو: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۝٣٠﴾(٨).

ومنها المذيل، بأن يزيد أحدهما أكثر من حرف في الآخر أو الأول ويسمّى الثاني بالمتوّج نحو: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾(٩) و ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾(١٠).

ومنها المضارع، وهو أنْ يختلفا بحرف مع مقارب في المخرج، سواء كان في الأول أو الوسط أو الآخر نحو: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾(١١).

ومنها اللاحق، وهو أن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك نحو: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾(١٢)، ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾(١٣) إلى قوله ﴿لَشَدِيدٌ﴾، ونحو ﴿أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾(١٤).

ومنها المرفو، وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى نحو: ﴿جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ﴾(١٥).

---

(١) المائدة / ٤٥.
(٢) البقرة / ٣٠.
(٣) النور / ٤٣.
(٤) النور / ٤٤.
(٥) الشعراء / ٧٩ - ٨٠.
(٦) الكهف / ١٠٤.
(٧) التحريف. (هامش الأصل).
(٨) القيامة / ٢٩ - ٣٠.
(٩) العاديات / ١١.
(١٠) النساء / ١٤٣.
(١١) الأنعام / ٢٦.
(١٢) الهُمزة / ١.
(١٣) العاديات / ٧.
(١٤) النساء / ٨٣.
(١٥) التوبة / ١٠٩.

ومنها اللفظي، بأن يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية نحو: ناضرة وناظرة.

ومنها تجنيس القلب، بأن يختلفا في ترتيب الحروف نحو بين بني إسرائيل.

ومنها تجنيس الاشتقاق، بأن يجتمعا في أصل الاشتقاق ويسمّى المقتضب نحو: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾(١)، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾(٢).

ومنها تجنيس الإطلاق، بأن يجتمعا في المشابهة فقط نحو: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾(٣). ولكون الجناس من المحاسن اللفظية ترك عند قوة المعنى نحو: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾(٤) حيث لم يقل وما أنت بمصدق ليكون من الجناس، إذْ في مؤمن وراء التصديق إعطاء الأمن. وقد زلّ بعض الأدباء بل ضلّ وقال في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾(٥) لو قال: وتدعون لكان فيه مراعاة الجناس، كأنه غفل عما ذكره الإمام الرازي بأنّ فصاحة القرآن ليست لأجل هذه التكلفات بل لأجل قوة المعاني وجزالة الألفاظ.

الجمع هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم نحو: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٦).

الجمع والتفريق هو أن يدخل شيئين في معنى ويفرق بين جهتي الإدخال نحو: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾(٧) الآية.

الجمع والتقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه نحو: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾(٨) الآية.

الجمع مع التفريق والتقسيم نحو: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(٩) الآية.

جمع المؤتلف والمختلف أن يريد التسوية بين ممدوحين فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فصل لا ينقص الآخر، فيأتي لأجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية نحو: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ﴾(١٠) الآية، سوى في الحكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم.

جمع المختلف والمؤتلف أنْ يأتي المتكلم بكلمات متتاليات معطوفات متلاحمات تلاحمًا سليمًا مستحسنًا، بحيث إذا أفردت كل جملة منها قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها نحو: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾(١١) الآية.

عتاب المرء نفسه نحو: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ﴾(١٢) الآيات.

العكس أنْ يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم نحو: ﴿تُولِجُ

(١) الواقعة / ٨٩.
(٢) الروم / ٤٣.
(٣) الرحمن / ٥٤.
(٤) يوسف / ١٧.
(٥) الصافات / ١٢٥.
(٦) الكهف / ٤٦.
(٧) الزمر / ٤٢.
(٨) فاطر / ٣٢.
(٩) هود / ١٠٥.
(١٠) الأنبياء / ٧٨.
(١١) هود / ٤٤.
(١٢) الفرقان / ٢٧.

ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾(١)، و﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾(٢).

ومن العكس القلب المستوي نحو: ﴿كُلٞ فِي فَلَكٖ﴾(٣)، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾(٤)، ولا ثالث لهما في القرآن.

العنوان أنْ يأخذ المتكلم في غرض فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنوانًا لأخبار متقدمة وقصص سابقة. ومنه نوع عظيم جدًا وهو عنوان العلوم بأنْ يذكر في الكلام ما يكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها. فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾(٥) الآية، فإنه عنوان قصة بلعام. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۝٣٠﴾(٦)، الآية، فيها عنوان علم الهندسة، فإنّ الشكل المثلث أول الأشكال، وإذا نصب في الشمس على أي ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه، فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظلّ هذا الشكل تهكمًا بهم. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(٧) فيها عنوان علم الكلام، وعلم الجدل، وعلم الهيئة.

الفرائد مختص بالفصاحة دون البلاغة وهي الإتيان بلفظة تنزل منزلة الفريدة من العقد، وهي المؤخرة التي لا نظير لها، تدلّ على عظم فصاحة الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته، بحيث لو أسقطت من الكلام عزّت على الفصحاء. ومنه لفظ حصحص في قوله تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾(٨) وخائنة في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾(٩).

القسم أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ذمّ لغيره، أو جاريًا مجرى الغزل والتزلف، أو خارجًا مخرج الوعظ والزهد نحو: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(١٠). أقسم سبحانه [بقسم يوجب الفخر، لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجلّ عظمة، ونحو: لعمرك، أقسم سبحانه](١١) بحياة نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تعظيمًا لشأنه وتنويهًا لقدره.

اللف والنشر أنْ يُذكر شيئان أو أشياء، إمّا تفصيلًا بالنص على كل واحد، أو إجمالًا بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد إلى ما يليق به. فالإجمالي نحو: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾(١٢). فقوله: وقالوا إجمال، واليهود والنصارى يفصله. ثم التفصيل إمّا على ترتيب اللف نحو: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾(١٣)، فالسكون لليل والابتغاء للنهار، وإمّا على عكس ترتيبه نحو:

---

(١) فاطر / ١٣.
(٢) الروم / ١٩.
(٣) الأنبياء / ٣٣.
(٤) المدثر / ٣.
(٥) الأعراف / ١٧٥.
(٦) المرسلات / ٣٠.
(٧) الأنعام / ٧٥.
(٨) يوسف / ٥١.
(٩) غافر / ١٩.
(١٠) الذاريات / ٢٣.
(١١) ما بين المعقوفين [...] ساقطة من الأصل، وأثبتناها من النسخة المصرية.
(١٢) البقرة / ١١١.
(١٣) القصص / ٧٣.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾(١) الآية، بدأ في النشر بالسواد وهو الثاني في اللف.

المشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا. فالأول نحو: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾(٢) فإنّ إطلاق المكر في جانب الباريء لمشاكلة ما معه. والثاني نحو: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾(٣) عبّر بها عن الإيمان لتطهيره النفوس، كما أنّ النصارى يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمّونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم، فعبّر لهذا عن الإيمان بالصبغة.

المزاوجة أنْ يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء أو ما جرى مجراهما نحو: ﴿ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾(٤) الآية.

المبالغة أنْ يذكر المتكلم وصفًا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده، وهي إمّا مبالغة في الوصف بأن يخرج إلى حد الاستحالة عادة، ومنه: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾(٥)، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾(٦). وإمّا مبالغة بالصيغة، وصيغ المبالغة معروفة.

المطابقة ويسمّى الطباق الجمع بين متضادين في الجملة، وهو إما حقيقي نحو: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾(٧) وإمّا مجازي نحو: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾(٨) أي ضالًا فهديناه، وإما إيجاب نحو ما مر، وإمّا سلب نحو: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾(٩)، وإمّا لفظي منهما نحو ما مر، وإمّا معنوي كذلك نحو: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾(١٠).

ومنه نوع يسمّى الطباق الخفي نحو ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾(١١). وذكر الغرق ذكر الماء معنى.

ومنه نوع يسمّى ترصيع الكلام، وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك نحو: ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾(١٢)، وهما اجتمعا في الاحتراق لأنّ الظمأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من الشمس.

ومنه نوع يسمّى المقابلة وهي أنْ يذكر لفظان فأكثر ثم أضدادها على الترتيب. والفرق بين الطباق والمقابلة أنّ الأول بين الضدين فقط، والثاني بما زاد من الأربعة إلى العشرة. وأيضًا الأول في الأضداد خاصة والثاني فيها وفي غيرها.

المواربة بالراء المهملة وباء موحدة أنْ يقول المتكلم قولًا يتضمن ما ينكر عليه، فإذا حصل الإنكار استحضر بحذقه وجهًا من الوجوه يتخلص به، إمّا بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص نحو: ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾(١٣)، فإنه قريء: ابنك سرق ولم

(١) آل عمران / ١٠٦.
(٢) آل عمران / ٥٤.
(٣) البقرة / ١٣٨.
(٤) الأعراف / ١٧٥.
(٥) النور / ٣٥.
(٦) الأعراف / ٤٠.
(٧) النجم / ٤٣.
(٨) الأنعام / ١٢٢.
(٩) المائدة / ٤٤.
(١٠) البقرة / ٢٢.
(١١) نوح / ٢٥.
(١٢) طه / ١١٩.
(١٣) يوسف / ٨١.

يسرق، فأتى الكلام على الصحة بإبدال ضمة من فتحة وتشديد في الراء وكسرها.

المراجعة أنْ يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاور له بأوجز عبارة وأعدل سبك وأعذب لفظ نحو: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾(١) إلى قوله ﴿الظَّالِمِينَ﴾، جمع فيه ثلاث مراجعات، فيها معاني الكلام من الخبر والاستخبار والأمر والنهي والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم. قال السيوطي: أحسن من هذا أن يقال: الخبر والطلب والإثبات والنفي والتأكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد.

النزاهة خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء: هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليها. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾(٢) الآية. وألفاظ هذا الهجاء أتت منزهة عما يقع في الهجاء من الفحش، وسائر هجاء القرآن كذلك.

الابداع بالباء الموحدة أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع. قال ابن أبي الإصبع: ولم أر في الكلام مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾(٣) الآية، فإنّ فيها عشرين ضربًا من البديع، وهي سبع عشرة لفظة، وذلك بالمناسبة التامة في إبلعي واقلعي، والاستعارة فيهما، والطباق بين الأرض والسماء، والمجاز في قوله يا سماء إذْ الحقيقة يا مطر السماء، والإشارة في وغيض الماء، فإنه عبّر به عن معان كثيرة من قلع مطر السماء وبلع الأرض العيون، فينقص ما على الأرض من الماء، والإرداف في واستوت، والتمثيل في وقضي الأمر، والتعليل فإنّ الغيظ علة الاستواء، وصحة التقسيم حيث استوعب أقسام نقص الماء من احتباس ماء السماء والنابع من الأرض وغيض ما على ظهرها، والاحتراس في الدعاء لئلّا يتوهم أنّ عموم الماء شمل من لا يستحق الهلاك فإنّ عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق، وحسن النسق، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والإيجاز لأنّه تعالى قصّ القصة مستوعبة بأخصر عبارة، والتسهيم لأنّ أول الآية يدلّ على آخرها، والتهذيب لأنّ مفرداتها موصوفة بصفات الحسن، كل لفظة سهلة، مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب، وحسن البيان من جهة أنّ السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه، والتمكين لأنّ الفاصلة مستقرة في محلها مطمئنة في مكانها غير قلقة ولا مستدعاة، والانسجام. قال السيوطي: وفيها أيضًا الاعتراض.

علم معرفة البرد ومسافاتها(*)

وهو علم يتعرّف منه كمية مسالك الأمصار فراسخ وأميالًا، وأنها مسافة شهرية أو أقل أو أكثر، ونفع هذا العلم كالعلم المتقدم(٤).

---

(١) البقرة / ١٢٤.
(٢) النور / ٤٨.
(٣) هود / ٤٤.
(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٤) أي علم مسالك البلدان والأمصار، وذلك بحسب التسلسل الذي اتبعه المؤلف، وهو يشترك مع هذا العلم في الشعبة نفسها، وقد تقدم الحديث عنه.

علم معرفة بيان الموصول لفظًا المفصول معنى(*)

وهذا العلم أصل كبير، عظيم النفع جدًا، وبه يحصل حل كثير من الإشكالات. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]، فإنّ الآية في قصة آدم وحواء كما يفهم من السياق، لكن آخر الآية مشكل حيث نسب الإشراك إليهما مع أنّ الاجماع منعقد على أنّ الأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها، فظهر منه أن آخر الآية مفصول عن قصة آدم وحواء. وعن السّدّي[2]: هذه مفصولة من آية آدم خاصة في آلهة العرب. وعن السّدّى عن أبي مالك قال: هذه مفصولة، أطاعاه في الولد فتعالى الله عما يشركون. هذه لقوم محمد، فظهر منه ان الآية من الموصول المفصول. ويوضح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصة واحدة لقال: عما يشركان، وحسن التخلص والاستطراد من أساليب القرآن. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾[3] الآية، فإنه على تقدير الوصل يكون الراسخون يعلمون تأويله مع أنّ الآية دلت على ذمّ متبع المتشابه ووصفهم بالزيغ، فظهر أنّ ذلك مفصول.

علم معرفة تحقيق الهمزة(**)

وقد أفرد جماعة بالتصنيف في هذه العلوم الثلاثة[4].

علم معرفة تشبيه القرآن واستعاراته(***)

والتشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها. قال المبرّد في الكامل[5]: لو قال قائل: هو أكثر كلام العرب لم يبعد، وهو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى. وقيل هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه. وقيل: هو أن تثبت للمشبه حكمًا من أحكام المشبه به. والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفيّ إلى جليّ، وإدناء البعيد من القريب بيانًا. وأدواته حروف نحو الكاف وكأنّ، وأسماء نحو مثل وشبه ونحوهما، وأفعال نحو حسب وخيل، نحو: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾[6]، ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[7]. إلّا أنّ الأصح أنّ الأفعال ليس من أدواته بل من أماراته فبقدر الأداة.

ثم إنّ لفظ المثل لا يستعمل إلّا في حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة، نحو: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الأعراف / ١٨٩ - ١٩٠

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد الحجازي الكوفي، الأعور السدي. توفي عام ١٢٧هـ. إمام مفسر، محدّث. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٢٣، اللباب ١/ ٥٣٧، التاريخ الكبير ١/ ٣٦٠، ميزان الاعتدال ١/ ٢٣٦.

(٣) آل عمران / ٧.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) يقصد المؤلف بالعلوم الثلاثة: علم المدّ والقصر وتحقيق الهمزة، بحسب تقسيمه لهذه العلوم.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) الكامل في اللغة، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي (-٢٨٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٨٢.

(٦) النور / ٣٩.

(٧) طه / ٦٦.

فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[١] الآية.

ثم إنّ الاستعارة مجاز علاقته المشابهة، ويعرف بلفظ مستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي، والأصح أنها مجاز لغوي لا عقلي. وأقسام التشبيهات والاستعارات مذكورة في علم البيان.

واعلم أنّ التشبيه من أعلى أنواع البلاغة كما تقدّم. وأيضًا الاستعارة أبلغ منه لأنها مجاز وهو حقيقة، والمجاز أبلغ، فالإستعارة أبلغ مراتب الفصاحة. وكذا الكناية أبلغ من التصريح، والاستعارة أبلغ من الكناية، لأنّ الاستعارة مجاز، وفي الكناية خلاف. وأبلغ أنواع الاستعارة: التمثيلية، ويليها المكنية، والترشيحية أبلغ من المجردة والمطلقة، والتخييلية أبلغ من التحقيقية. والمراد بالأبلغية إفادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه، لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك. وقد صنف أبو القاسم بن الهنداء البغدادي[٢] في تشبيهات القرآن كتابًا سمّاه: الجمان[٣]. ولما كان أكثر قواعد هذا الفن مبينًا في علم البيان آثرنا الاختصار.

علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه[*]

وفيه مطالب:

المطلب الأول
في التفسير والتأويل

واعلم أنّ التفسير تفعيل من الفَسْر، وهو البيان والكشف. ويقال: هو مقلوب السفر. تقول: أسفر الصبح إذا أضاء. وقيل: مأخوذ من التفسرة، وهي إسم لما يعرف به الطبيب المرض. والتأويل أصله من الأول وهو الرجوع، فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني. وقيل: من الإيالة وهي السياسة، كأن المؤوّل للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه.

واختلف في التفسير والتأويل فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى. وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري[٤] فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه. وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلّا وجهًا واحدًا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة. وقال الماتريدي: التفسير القطع على أنّ المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا. فإنْ قام دليل مقطوع به فصيح وإلّا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه. والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله. وقال أبو طالب التغلبي[٥]: التفسير بيان وضع

---

(١) آل عمران / ١١٧.
(٢) هو أبو القاسم عبدالله (عبد الباقي) بن محمد بن حسين المعروف بابن باقيا (-٤٨٥هـ). انظر: كشف الظنون ١/ ٥٩٤.
(٣) الجمان في تشبيهات القرآن، لأبي القاسم عبدالله وقيل عبد الباقي بن محمد بن حسين المعروف بابن باقيا (-٤٨٥هـ). كشف الظنون ١/ ٥٩٤.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٤) هو الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، أبو القاسم النيسابوري. توفي عام ٤٠٦هـ/١٠١٦م. أديب، مفسر، واعظ، له مصنفات. انظر عنه: بغية الوعاة ٢٢٧، الاعلام ٢/ ٢١٣، العبر ٣/ ٩٣، سير اعلام النبلاء ١٧/ ٢٣٧.
(٥) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم التعلبي، أبو طالب، وقيل أبو اسحاق، توفي عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م. مفسر، عالم بالتاريخ. له عدة كتب. الاعلام ١/ ٢١٢، ابن خلكان ١/ ٢٢، إنباه الرواة ١/ ١١٩، البداية والنهاية ١٢/ ٤٠، اللباب ١/ ١٩٤.

اللفظ إمّا حقيقة أو مجازًا، كتفسير الصراط بالطريق والغيث بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ، مأخوذ من الأَوَل، وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾(1). تفسيره أنه من الرصد. يقال: رصدته رقبته. والمرصاد مفعال منه. وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله تعالى والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه. وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

قال الأصبهاني في تفسيره: إعلم أنّ التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن، وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره. والتأويل أكثره في الجمل. والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة، أو في وجيز تبيّن بشرحه نحو: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾(2). وإمّا في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلّا بمعرفتها كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾(3)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾(4). وأما التأويل فإنّه يستعمل مرة عامًا ومرة خاصًا، نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى. وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود. وقال غيره: يتعلق التفسير بالرواية والتأويل بالدراية. وقال أبو نصر القشيري:(5) والتفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل. وقال قوم: ما وقع مبينًا في كتاب الله ومعيّنًا في صحيح السنة سُمّي تفسيرًا، لأنّ معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه. والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون بمعنى الخطاب الماهرون في آلات العلوم.

وقال قوم منهم البغوي(6) والكواشي(7): التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط. وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها، ومحكمها وناسخها، وخاصها ومطلقها، ومجملها، وحلالها، ووعدها وأمرها، ومقابلات هذه وغيرها

---

(1) الفجر / ١٤.

(2) البقرة / ٤٣.

(3) التوبة / ٣٧.

(4) البقرة / ١٨٩.

(5) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر. توفي عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م. واعظ كبير، له مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ٣٤٦، مرآة الجنان ٣/ ٢١٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٨٧.

(6) هو الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء. ولد عام ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م. وتوفي عام ٥١٠هـ/ ١١١٧م. في مروالروز.
لُقِبَ بمحي السُنَّة، فقيه، محدث ومفسر، وله العديد من المصنفات.
الاعلام، ٢/ ٢٥٩، وفيات الأعيان ١/ ١٤٥، تهذيب ابن عساكر، ٤/ ٣٤٥، دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٢٧.

(7) هو أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلي، موفق الدين أبو العباس الكواشي. ولد عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م. وتوفي عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م.
عالم بالتفسير، فقيه، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ١/ ٢٧٤، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٤٨، نكت الهميان ١١٦.

وأمثالها.

قال أبو حيان: علم التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك. قال: فقولنا علم جنس. وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة. وقولنا ومدولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية يشتمل علم التصريف والبيان والبديع. وقولنا ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب يشتمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، فإنّ التركيب قد يقتضي بظاهره شيئًا ويصد عن الحمل عليه صادّ، فيحمل على غيره وهو المجاز. وقولنا وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراآت، ويحتاج معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

المطلب الثاني

في وجه الحاجة إلى علم التفسير

واعلم أن كل من وضع من البشر كتابًا وضعه ليفهم بذاته من غير شرح، وإنما احتيج إلى الشرح لأحد أمور ثلاثة:

أحدها كمال فضيلة المصنف، فإنه لقوة علمه ربما يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده فيشرح بعبارات واضحة. ومن ها هنا شرح المصنفون كلامهم، لأنَّ شرحهم أدل على مرادهم من غيرهم.

وثانيها إغفاله بعض تتمات المسئلة أو شروط لها إعتمادًا على وضوحها، أو لأنها من علم آخر فيحتاج الشارح إلى بيانه.

وثالثها احتمال اللفظ لمعانٍ كالمجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط، أو تكرار الشيء أو حذفه، فيحتاج الشارح إلى التنبيه على ذلك.

إذا تقرر هذا فنقول: إنّ القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه دون بواطنه، لأنها تظهر[١] لهم أيضًا بعد البحث والنظر، مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأكثر، كسؤالهم لما نزل ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[٢] أيّنا لم يظلم نفسه؟ ففسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشرك[٣]، واستدل عليه بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤]. وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال: ذلك العرض[٥]. وكقصة عدي بن حاتم[٦] في الخيط الأبيض

---

(١) في المصرية: لم تظهر.

(٢) الأنعام / ٨٢.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ج٣، ص ٢٧. بلفظ: انه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم. إنما هو الشرك.

(٤) لقمان / ١٣.

(٥) الحساب اليسير هو العرض. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب. ح ٧٩، ٤/ ٢٢٠٤، بلفظ. «من حوسب عذب» فقلت (عائشة): أليس قد قال الله عز وجل: فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا؟ فقال: «ليس ذاك الحساب إنما ذاك العرض. من نوقش الحساب عذب».

(٦) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي. أبو وهب وأبو طريف. توفي عام ٦٨هـ/ ٦٨٧م. صحابي،=

والأسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلّم، فنحن أشد الناس احتياجًا إلى التفسير. ومعلوم أنّ بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.
قال الخولي: علم التفسير عسير يسير. أما عسره فظاهر من وجوه، أظهرها أنه لا يمكن سماع المراد من متكلمه، أو ممن سمع منه، فتعين طريق العلم في السماع من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في آيات قلائل. فطريق العلم بالمراد الاستنباط بأمارات ودلائل. وإنما لم يأمر الله تعالى نبيه بالتنصيص على المراد في الكل ليتفكر عباده في كتابه.

المطلب الثالث
في شرف علم التفسير

ولا يخفى شرفه على من نظر في الكتاب والسُّنة. قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]. عن ابن عباس في قوله تعالى: يؤتى الحكمة، قال: المعرفة بالقرآن. وعنه أيضًا موقوفًا يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البر والفاجر. وعن أبي الدرداء قال: قراءة القرآن والفكرة فيه. وكذا عن مجاهد وأبي العالية وقتادة. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[2]. عن عمرو بن مرة[3]: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلّا أحزنتني، لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، ولا حاجة إلى التطويل والإكثار فيما ورد فيه من الكتاب والسّنة والآثار، لأنّ ذلك لا يخفى على أولي الأبصار.

ثم أعلم أنّ العلماء أجمعوا على أن التفسير من فروض الكفايات وأجلّ العلوم الثلاثة الشرعية. قال بعضهم: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان معرفة تفسير القرآن، لأنّ شرف الصناعة إمّا بشرف موضوعها، كالصياغة بالنسبة إلى الدباغة، إذْ الذهب والفضة أشرف من جلد الميتة، وإمّا بشرف غرضها، كالطب بالنسبة إلى الكناسة، لأنّ غرض الطب إفادة صحة الأبدان للإنسان، وغرض الثاني تنظيف المستراح، وإمّا بشدة الحاجة إليها كالفقه بالنسبة إلى الطب، فإنّ الفقه يحتاج إليه في الدين وفي الدنيا، في كل الناس وفي كل الأوقات، والطب يحتاج إليه في الدنيا وفي بعض الناس وفي بعض الأوقات.

إذا عرفت ذلك، فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث لأنّ موضوعه كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه. وأيضًا الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى. وأيضًا كل كمال ديني أو دنيوي، عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف اللدنية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

=أمير شجاع جواد. له رواية وأخبار.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ٢٢٠، خزانة الأدب ١/ ١٣٩، رغبة الآمل ٦/ ١٣٥.

(١) البقرة / ٢٦٩.
(٢) العنكبوت / ٤٣.
(٣) هو عمرو بن مرة بن عبدالله بن طارق بن الحارث بن سلمة بن كعب بن وائل بن كنانة بن ناجية بن مراد، أبو عبدالله المرادي الكوفي الجملي. توفي عام ١١٦هـ، محدث، ثقة، له أخبار ورواية.
انظر عنه: سير أعلام النبلاء ٥/ ١٩٦، الجرح والتعديل ٦/ ٢٥٧، شذرات الذهب ١/ ١٥٢.

علم معرفة جدل القرآن(*)

صنف فيه نجم الدين الطوفي.(١) قال العلماء: اشتمل القرآن على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ينبيء عن كليات المعلومات العقلية والسمعية إلّا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

أحدهما بسبب ما قال ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾(٢).

والثاني أنّ المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أنّ يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلّا الأقلون، ولم يكن ملغزًا. فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليلها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة، ويفهم الخواص من أثنائها ما يربي على ما أدركه فهم الخطباء. قال ابن أبي الإصبع: زعم الجاحظ أنّ المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن وهو مشحون به، وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة يقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوع منطقي يستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فإنّ الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أنّ من أول سورة الحج إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾(٣) خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات:

منها: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾(٤)، وبرهانه أنّ الله تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظمًا لها، وذلك مقطوع بصحته، لأنّه خبر من ثبت صدقه عمن ثبت قدرته تواترًا، فهو حق، ولا يخبر بالحق عما سيكون إلّا الحق.

ومنها: أنه أخبر أنه يحيي الموتى لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر، وفائدته موقوفة على إحياء الموتى، وقد ثبت أنّه قادر على كل شيء، ومن الأشياء إحياء الموتى، فهو محيي الموتى.

ومنها: أنّه أخبر أنه على كل شيء قدير، برهانه أنّ من يتبع الشياطين ومن يجادل الله بغير علم نذقه من عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلّا من هو على كل شيء قدير، فهو على كل شيء قدير.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ برهانه أنه أخبر أنّ الساعة آتية لا ريب فيها بالخبر الصدق، ولا يأتي بالساعة إلّا من يبعث من في القبور لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها، وأنّه يبعث من القبور. وقيل: استدل سبحانه على المعاد الجسماني بضروب:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء. قال تعالى ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾(٥). ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين. ولد عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م. وتوفي عام ٧١٦هـ/١٣١٦م.
فقيه حنبلي، عالم، له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٢٧، جلاء العينين ٢٣، شذرات الذهب ٦/ ٣٩، الدرر الكامنة ٢/ ١٥٤.

(٢) ابراهيم / ٤.

(٣) الحج / ٧.

(٤) الحج / ٦.

(٥) الأعراف / ٢٩.

خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾(١) ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾(٢).

وثانيها: قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى. قال ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ﴾(٣)، الآية.

وثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات.

ورابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر.

وخامسها: في ﴿أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ ﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ﴾(٤) الآيتين. وتقريرها أنّ الحق في نفسه واحد، والاختلاف لا يفيد إلّا تعدد الطرق. ولما كان ها هنا حقيقة موجودة ولم يمكن لنا الوقوف عليها في هذه الحياة، لارتكاز الاختلاف في فطرنا في هذه الجبلة، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلّا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها إلى صورة غيرها، صحّ ضرورة أنّ لنا حياة أخرى غير هذه، يرتفع فيها الخلاف والعناد، وهذه هي التي وعد الله بالمصير إليها، فقد صار الخلاف الموجود أوضح دليل على تحقق البعث الذي ينكره المنكرون، كذا قرّره ابن السِّيد(٥). ومن ذلك الاستدلال على وحدة الصانع بدلالة التمانع وهذه مشهورة في الكتب الكلامية.

ومن أنواع الجدل السبر والتقسيم: ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾(٦) الآيتين؛ فإنّ الكفار حرّموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى، ردّ الله تعالى عليهم بالسبر والتقسيم. وطريقه ان علة الحرمة أما الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم عليهما أو التعبد عن الله، وذلك إمّا بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه بلا واسطة، فهذه وجوه التحريم لا غير. والأول يستلزم حرمة جميع الذكور، والثاني حرمة جميع الإناث، والثالث تحريم الصنفين معًا. والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدّعوه، وكذلك بواسطة رسول لأنّه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وإذا بطل الجميع ثبت المدعى وهو أنّ ما قالوه افتراء وضلال.

ومنها: القول بالموجب، قال ابن أبي الإصبغ: وحقيقته ردّ كلام الخصم من فحوى كلامه. وقيل: هو قسمان: أحدهما أن يقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فيثبتها لغير ذلك الشيء، كقوله تعالى: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾(٧) الآية. أرادوا بالأعز أنفسهم وبالأذل المؤمنين، فردّ الله تعالى كلامهم بأنه نعم، إنّ الأعز يخرج الأذل، لكن الأعز الله ورسوله والمؤمنون وهم المخرِجون، والأذل المنافقون وهم المخرَجون. والثاني حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه مثاله قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾(٨).

ومنها: التسليم وهو أنْ يفرض المحال منفيًا

---

(١) الأنبياء / ١٠٤.
(٢) قٓ / ١٥.
(٣) يٓس / ٨١.
(٤) النحل / ٣٨.
(٥) هو عبد الله بن محمد بن السيد النحوي، أبو محمد البطليموسي. توفي عام ٥٢١هـ، عالم بالنحو واللغة. له تصانيف كثيرة، انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٩/ ٥٣٢، قلائد العقيان ١٩٣، الصلة ١/ ٢٩٢، بغية الملتمس ٣٢٤، إنباه الرواة ٢/ ١٤١، وفيات الأعيان ٣/ ٩٦.
(٦) الأنعام / ١٤٣.
(٧) المنافقون / ٨.
(٨) التوبة / ٦١.

أو مشروطًا بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليمًا جدليًا، ويدلّ على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه، كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾(١). المعنى ليس مع الله من إله، ولو سلّم أنّ معه سبحانه إلهًا لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الإثنين بما خلق، وعلوّ بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلّهين فصاعدًا محال لما يلزم منه من المحال.

ومنها: الاسجال، وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾(٢)، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾(٣)، فإنّ في ذلك اسجالًا بالإيتاء والإدخال حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

ومنها: الانتقال، وهو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذًا فيه، لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول، كما جاء في مناظرة الخليل نمرود لما قال له: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾(٤). فقال اللعين ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾(٥)، ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله، فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة، أو علم وغالط بهذا الفعل، فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد اللعين إليه سبيلًا يتخلص به منه فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾(٦)، فانقطع الظالم وبُهت، ولم يمكنه ادعاؤه لأنّ من هو أسنّ منه يكذبه.

ومنها: المناقضة، وهو تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾(٧).

ومنها: مجاراة الخصم ليعثر بأنْ يسلّم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾(٨)، الآية. فقولهم إنْ نحن إلّا بشر مثلكم فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، وكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم وليس مرادًا، بل هو من مجاراة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا: ما ادعيتم من كوننا بشرًا حقّ لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أنْ يمنّ الله تعالى علينا بالرسالة.

علم معرفة جمعه وترتيبه(*)

قال الحاكم في المستدرك: جمع القرآن ثلاث مرات:

الأول بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قيل: وكانوا يكتبون في العسب واللخاف والرقاع وقطع الأديم والأكتاف والأضلاع والأقتاب. وكان ذلك جمع الآيات المفرقة في

(١) المؤمنون / ٩١.
(٢) آل عمران / ١٩٤.
(٣) غافر / ٨.
(٤) البقرة / ٢٥٨.
(٥) البقرة / ٢٥٨.
(٦) البقرة / ٢٥٨.
(٧) الأعراف / ٤٠.
(٨) ابراهيم / ١٠.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

سورها بإشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. قال الخطابي: إنّما لم يجمع صلى الله عليه وآله وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته. فلما انقضى نزوله بوفاته، ألهم الخلفاء الراشدون ذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة.

والثاني بحضرة أبي بكر. روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر غداة مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده. فقال أبو بكر: إنّ عمر أتاني فقال: إنّ القتل قد استحر[١] بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقرآء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنّك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتتبع القرآن، فاجمعه، فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري[٢] لم أجدها مع غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾[٣] حتى خاتمه براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

والثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان رضي الله عنه. روى البخاري عن أنس عن حذيفة بن اليمان[٤]: قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية آذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص[٥] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٦] فنسخوها في المصاحف. قيل: وأرسل إلى كل

---

(١) استحرّ القتل أي اشتد. (هامش الأصل).

(٢) لعله خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي. صحابي جليل، يكنى أبا عمارة. وهو ذو الشهادتين. شهد بدرًا وغيرها من المشاهد. مات يوم صفين عام ٣٧هـ. وله رواية.
انظر عنه: أسد الغابة ١/ ٦١٠.

(٣) التوبة / ١٢٨.

(٤) هو حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبدالله، واليمان لقب حسل. توفي عام ٣٦هـ/ ٦٥٦م. صحابي جليل، من الولاة الشجعان الفاتحين. كان صاحب سرّ النبي صلى الله عليه وسلم. روى كثيرًا من أحاديث الرسول عليه السلام وأخباره مستفيضة. انظر عنه: الاعلام ٢/ ١٧١، ابن عساكر ٤/ ٩٣، الاصابة ١/ ٣١٧، حلية الأولياء ١/ ٢٧٠، صفة الصفوة ١/ ٢٤٩.

(٥) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي. ولد عام ٣هـ/ ٦٢٤م. وتوفي عام ٥٩هـ/ ٦٧٩م. صحابي، أمير فاتح، له رواية وأخبار. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٩٦، طبقات ابن سعد ٥/ ١٩، التهذيب ٦/ ١٣١.

(٦) هو عبد الرحمن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني، أبو محمد. ولد عام ١هـ / ٦٢٢م. وتوفي عام ٤٣هـ/ ٦٦٣م. تابعي ثقة جليل القدر. أحد الأربعة الذين عهد إليهم عثمان بن عفان بنسخ القرآن الكريم.
انظر عنه: الأعلام ٣/ ٣٠٣، تهذيب التهذيب ٦/ ١٥٦

أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآت في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال: ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقرأ بها، فالتمسناها فوجدنا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[١] فألحقناها في سورتها في المصحف. قال ابن حجر: وكان ذلك في سنة خمس وعشرين.

فإن قلت: الآية إذا كانت مع واحد فكيف تكون متواترة؟ قلت: الآية متواترة، وتفصيلها وقع عن واحد، وعند ذكر ذلك الواحد تذكر الكلّ فتواترت.

ثم إنّ المصاحف التي أرسلها عثمان إلى الآفاق خمسة على المشهور. وروي عن أبي حاتم السجستاني[٢] أنها سبعة، أرسل إلى مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة، وحبس بالمدينة واحدًا.

واعلم أنّ الإجماع والنصوص المترادفة على أنّ ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وقد نقل الإجماع الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته. وأما النصوص فكثيرة يعرفها من تتبع كتب الأحاديث. وأيضًا ترتيب السور أيضًا توقيفي، وترتيبها على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ذكره السيوطي في الإتقان.

علم معرفة جواز الاقتباس وما جرى مجراه(*)

إعلم أنّ الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنّه منه، والقيد الأخير لإخراج أنْ يقال فيه: قال الله تعالى أو نحوه، لأنه ليس باقتباس. وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله. إلّا أن استعمال القاضي عياض الاقتباس في مواضع من خطبة الشفاء يدلّ على جوازه؛ وقد يخصّ إنكارهم بالنظم دون النثر، صرّح بذلك القاضي أبو بكر من المالكية. وأما قدماء الشافعية فلم يتعرضوا له، وكذا أكثر متأخريهم مع شيوع الاقتباس في أعصارهم، واستعمال الشعراء له قديمًا وحديثًا. إلّا أن جماعة من متأخريهم تعرّضوا له. فسئل عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه، واستدلّ بما ورد عنه عليه الصلوٰة والسلام من قوله في الصلوٰة وغيرها: «وجهت وجهي»،[٣] إلى آخره. وقوله: «اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا، إقض عني الدين واغنني من الفقر»[٤]. وفي سياق كلام لأبي بكر: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٥]. وفي آخر حديث لابن عمر: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٦]، انتهى. إلّا أنّ هذا يدلّ على جوازه في النثر دون الشعر، وفي مقام المواعظ والثناء والدعاء دون غيرها. قال شرف الدين

---

(١) الأحزاب / ٢٣.

(٢) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم الدارمي البستي. ولد عام بضع وسبعين ومائتين، وتوفي عام ٣٥٤هـ. حافظ، علامة، شيخ خراسان في عصره، له تصانيف. انظر عنه: إنباه الرواة ٣/ ١٢٢، اللباب ١/ ١٥١، تذكره الحفاظ ٣/ ٩٢٠، سير اعلام النبلاء ١٦/ ٩٢، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠٦.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل، ح٢٠١، ١/ ٥٣٤.

(٤) اتحاف الزبيدي، كتاب الأذكار والدعوات، الباب الخامس في الأدعية المأثورة. . .، ٥/ ١١١.

(٥) الشعراء / ٢٢٧.

(٦) الأحزاب / ٢١.

ابن المقري[١] في شرح البديعية[٢]: فما كان في الخطب والمواعظ ومدحه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وبالجملة كلام يرجى له المثوبة عند الله تعالى فمقبول ولو في النظم، وغيره مردود. وفي شرح البديعية لابن حجة الاقتباس ثلاثة أقسام: مقبول ومباح ومردود. فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود. والثاني ما كان في الغزل والرسائل في القصص. والثالث على ضربين: أحدهما ما نسبه الله إلى نفسه وينقله القائل إلى نفسه، فنعوذ بالله منه، كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[٣]. والآخر تضمين آية كلامًا فيه معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك، كقول الشاعر:

أوحـى إلـى عـشـاقـه طـرفـه
هـيـهـات هـيـهـات لـمـا تـوعـدون
وردفـه يـنـطـق مـن خـلـفـه
لـمـثـل هـذا فـلـيـعـمـل الـعـامـلـون

قال جلال الدين السيوطي: وهذا التقسيم حسن جدًا وبه أقول. وذكر الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته في ترجمة الإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية وأجلائهم: أن من شعره قوله:

يـا مـن عـدى ثـم اعـتـدى ثـم اقـتـرف
ثـم انـتـهـى ثـم ارعـوى ثـم اعـتـرف
أبـشـر بـقـول الله فـي آيـاتـه[٤]
إنّ يـنـتـهـوا يـغـفـر لـهـم مـا قـد سـلـف

وقال: هذا الأستاذ من أئمة الدين، واستعماله مثل هذا الاقتباس في شعره دليل على جوازه، ولا عبرة بنهي الناس عنه. قال السيوطي: ما ذكره الأستاذ تضمين لا إقتباس، لتصريحه بقول الله. وأما أخوه الشيخ بهاء الدين السبكي فقد قال في عروس الأفراح[٥]: الورع اجتناب ذلك كله، وأن تنزه عن مثله كلام الله ورسوله. قال السيوطي رحمه الله: رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء، منهم الإمام أبو القاسم الرافعي[٦]. فقال: وأنشده في أماليه[٧]، ورواه عنه أئمة كبار:

الـمـلـك لله الـذي عـنـت الـوجـوه
لـه وذلّـت عـنـده الأربـاب
مـتـفـرد بـالـمـلـك والـسـلـطـان قـد
خـسـر الـذيـن تـجـاذبـوه وخـابـوا
دعـهـم وزعـم الـمـلـك يـوم غـرورهـم
فـسـيـعـلـمـون غـدًا مـن الـكـذاب

---

(١) هو إسماعيل بن أبي بكر، شرف الدين، المعروف بابن المقري اليمني. توفي عام ٨٣٧هـ، عالم في اللغة والأدب، له عدة تصانيف. انظر عنه: كشف الظنون ١/ ٢٣٤.

(٢) بديعية لشرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المعروف بابن المقري اليمني (-٨٣٧هـ) وشرحها شرحًا حسنًا. كشف الظنون ١/ ٢٣٤.

(٣) الغاشية / ٢٥ - ٢٦،

(٤) هكذا ورد في الأصل. وقد ورد هذا البيت في مكان آخر من هذا الكتاب على هذه الصورة:
أبـشـر بـقـول الله فـي تـنـزيـلـه   إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

(٥) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، شرح لبهاء الدين أحمد بن علي بن (عبد الكافي) السبكي (-٧٧٣هـ) على تلخيص المفتاح في المعاني والبيان للشيخ القزويني (٧٣٩هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٣٣، ١/ ٤٧٧.

(٦) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني. ولد عام ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م. وتوفي بقزوين عام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م. فقيه، من كبار الشافعية، مفسر ومحدث. له مصنفات كثيرة وهامة. الاعلام ٤/ ٥٥، طبقات الشافعية ٥/ ١١٩، هدية العارفين ١/ ٦٠٩.

(٧) الامالي الشارحة على مفردات الفاتحة، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي الشافعي (-٦٢٣هـ). كشف الظنون ١/ ١٦٤.

وروى البيهقي في شعب الإيمان[١] عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي قال: أنشدنا محمد بن محمد بن يزيد لنفسه:

سل الله من فضله واتقه
فإنّ التقى خير ما يكتسب
ومن يتق الله يجعل له مخرجًا
ويرزقه من حيث لا يحتسب[٢]

ويقرب من الاقتباس شيئان:

أحدهما أن يقرأ القرآن ويراد به الكلام. قال النووي: فيه خلاف. روي عن النخعي الكراهة، ويفهم الجواز مما روي عن حكيم بن سعد[٣] أنّ رجلًا من المحكمة[٤] أتى عليًا وهو في صلاة الصبح فقال: «لئن أشركت ليحبطن عملك»، فأجابه في الصلوٰة: «فاصبر إنّ وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون»، انتهى. وقال غيره: يكره ضرب الأمثال من القرآن صرّح به من أصحابنا العماد التيمي تلميذ البغوي، كما نقله ابن الصلاح في فوائد رحلته.

وثانيهما التوجيه بالألفاظ القرآنية في الشعر وغيره، وهو جائز بلا شك. وروينا عن الشريف تقي الدين الحسيني أنه لما نظم:

مجاز حقيقتها فاعبروا
ولا تعمروا هوّنوا هاتهن
وما حسن بيت له زخرف
تراه إذا زلزلت لم يكن

خشي أنْ يكون ارتكب حرامًا لاستعماله هذه الألفاظ القرآنية في الشعر، فجاء إلى شيخ الاسلام تقي الدين ابن دقيق العيد يسأله عن ذلك، فأنشده إياهما، فقال له: قل وما حسن كهف، فقال: يا سيدي أفدتني وأفتيتني.

علم معرفة الحصر والاختصاص(*)

أما الحصر ويقال له القصر أيضًا، فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص. ويقال أيضًا: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه. وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف. وكل منهما إمّا حقيقي أو مجازي. وقصر الموصوف على الصفة حقيقيًا لا يكاد يوجد لتعذّر الإحاطة بجميع الأوصاف، وإثبات بعض منها ونفي ما عداه بالكلية. وينقسم الحصر أيضًا إلى أقسام أُخر باعتبار آخر، وهو قصر الأفراد، وقصر التعيين، وقصر القلب؛ وتفصيل هذه القواعد في علم البيان.

ثم من أتقنها يسهل عليه معرفة أمثلتها من القرآن.

ثم إن طرق الحصر كثيرة:

أحدها: النفي والاستثناء، سواء كان النفي بلا أو ما أو غيرهما، وسواء كان الاستثناء بإلّا أو غير.

وثانيها: إنما المكسورة، قيل بالمنطوق وقيل

---

(١) لأبي بكر أحمد بن الحسين الشافعي البيهقي (-٤٥٨هـ) المسمى بجامع المصنف في شعب الايمان. كشف الظنون ٢/ ١٠٤٧، ١/ ٥٧٤.

(٢) الوزن غير مستقيم ولا يمكن استقامته إلا بحذف لفظ: مخرجًا، على سبيل الاكتفاء البديعي. (هامش الأصل).

(٣) هو حكيم بن سعد الحنفي، أبو يحيى الكوفي. محدث، ثقة، صدوق. يعد من الطبعة الثالثة.
انظر عنه: تقريب التهذيب ١٧٧.

(٤) من فرق الخوارج، خرجوا على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يوم التحكيم، واجتمعوا بحروراء، وكفروا علياً والحكمين وكثيرًا من المسلمين، وأخبارهم مستفيضة في كتب المقالات.
انظر عنها: موسوعة الفرق والجماعات ٣٤٣، الفرق بين الفرق ٧٤، التبصير ٢٦، مقالات الإسلاميين ١/ ١٥٦، خطط المقريزي ٢/ ٣٥٢.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

بالمفهوم.

وثالثها: أنما بالفتح عند الزمخشري والبيضاوي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[١]. وصرح التنوخي[٢] في أقصى القرب في صناعة الأدب[٣]: بأنه فرْع إنما المكسورة، وما ثبت للأصل يثبت للفرع ما لم يثبت مانع منه، والأصل عدمه. ورد أبو حيان على الزمخشري بأنه يلزمه انحصار الوحي في الوحدانية. وأجيب بأنه حصر مجازي باعتبار المقام.

الرابع: العطف بلا وبل، اتفق عليه أهل البيان، إلّا أنه نازع فيه الشيخ بهاء الدين[٤] في عروس الأفراح، فقال: أي قصر في العطف بلا إنما فيه نفي وإثبات فقولك زيد شاعر لا كاتب، لا تعرض فيه لنفي صفة ثالثة، والقصر إنما يكون بنفي جميع الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازًا، وليس هو خاصًا بنفي الصفة التي يعتقدها المخاطب. وأما العطف ببل فأبعد منه لأنه لا يستمر فيها النفي والإثبات.

الخامس: تقديم المعمول نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٥]. وخالف فيه قوم وسنذكره.

السادس: ضمير الفصل نحو: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾[٦].

السابع: تقديم المسند إليه، على ما قال الشيخ عبد القاهر: قد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي. والحاصل على رأيه أنّ له أحوالًا: أحدها: أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتًا، فيأتي للتخصيص نحو: أنا قمت، وأنا سعيت في حاجتك. والثاني: أن يكون المسند منفيًا نحو: أنت لا تكذب. وثالثها: أن يكون المسند إليه نكرة مثبتًا نحو: رجل جاءني أي لا امرأة أو رجلان. ورابعها: أن يلي المسند إليه حرف النهي ويقيده نحو: ما أنا قلت هذا أي لم أقله مع أن غيري قاله. هذا حاصل رأي الشيخ عبد القاهر، ووافقه السكاكي وزاد شروطًا وتفاصيل بسطوا فيها القول في موضعه.

الثامن: تقديم المسند، ذكره ابن الأثير وابن النفيس[٧] وغيرهما. وردّه صاحب الفلك الدائر[٨]: بأنه لم يقل به أحد وهو ممنوع، إذْ قد صرّح به السكاكي وغيره بأنّ تقديم ما حقّه التأخير يفيد التخصيص ومثّلوه بنحو: تميمي أنا.

التاسع: ذكر المسند إليه، ذكره السكاكي والزمخشري في: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾[٩]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾[١٠].

---

(١) الأنبياء / ١٠٨.

(٢) هو محمد بن محمود التنوخي، زين الدين. توفي عام ٧٤٨هـ. عالم، لغوي، له عدة تصانيف. انظر عنه: كشف الظنون ١/ ١٣٧.

(٣) أقصى القرب في صناعة الأدب، للشيخ زين الدين محمد بن محمد التنوخي (-٧٤٨هـ). كشف الظنون ١/ ١٣٧.

(٤) هو الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الكافي السبكي (-٧٧٣هـ)، شرح تلخيص المفتاح، وهو شرح ممزوج مبسوط. (هامش الأصل).

(٥) الفاتحة / ٥.

(٦) الشورى / ٩.

(٧) هو علي بن أبي الحزم القرشي، علاء الدين الملقب بابن النفيس. ولد في دمشق وتوفي بمصر عام ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م. أعلم أهل عصره بالطب. له الكثير من المصنفات الطبية والمنطقية وغيرها. الاعلام ٤/ ٢٧٠-٢٧١، طبقات السبكي ٥/ ١٢٩، شذرات الذهب ٥/ ٤٠١، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٧، معجم الأطباء ٢٩٢.

(٨) الفلك الدائر على المثل السائر، لعز الدين عبد الحميد ابن هبة الله المدائني (المعروف بابن أبي الحديد) (-٦٥٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٢٩١.

(٩) الرعد / ٢٦.

(١٠) الأحزاب / ٤.

العاشر: تعريف الخبر، ذكر الإمام فخر الدين الرازي في نهاية الإيجاز[١] أنّه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة نحو: المنطلق زيد. ومثله الزملكاني بالحمد لله. قال: إنّه يفيد الحصر، أي الحمد لله لا لغيره.

الحادي عشر: نحو: جاء زيد نفسه. نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر.

الثاني عشر: نحو: إن زيدٌ القائمَ، نقله المذكور أيضًا.

الثالث عشر: نحو: قائم في جواب زيد إمّا قائم أو قاعد. ذكره الطيبي[٢] في شرح التبيان.

الرابع عشر: قلب بعض حروف الكلمة فإنه يفيد الحصر على ما نقل في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾[٣].

واعلم أنّ أهل البيان أطبقوا على أنّ تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولًا أو ظرفًا أو مجرورًا، ومثّلوا بـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[٤]، وخالفهم ابن الحاجب في خطبة المفصل[٥] في قوله: الله أحمد، وقال: التقديم للإهتمام والاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس وهم. واعترض أيضًا أبو حيان بنحو: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي﴾[٦]. وأجيب: بأنه لما كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله كان أمرهم بالشرك، كأنه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة. ورد أيضًا صاحب الفلك الدائر بقوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾[٧] وهو أقوى ما ردّ به. وأجيب: بأنه لا يدّعي فيه اللزوم بل الغلبة، وقد يخرج الشيء عن الغالب. قال الشيخ بهاء الدين: وقد اجتمع الاختصاص وعدمه في قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٨]، بل إياه تدعون. فإنّ التقديم الأول ليس للاختصاص، والثاني للاختصاص. هذا، وقال والده الشيخ تقي الدين السبكي في كتاب الاقتناص[٩] ما حاصله: وتلخيصه أنّ البيانيين على إفادة تقديم المعمول الاختصاص، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول: إنما يفيد الاهتمام فقط، إلّا أنّ الحق أنّ الاختصاص غير الحصر، والفضلاء لم يقولوا إنه يفيد الحصر بل قالوا يفيد الاختصاص. والفرق بينهما أنّ الحصر إثبات المذكور ونفي غير المذكور، والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه إذ الخصوص مركب من معنى عام مشترك بين الشيئين أو أشياء، ومن معنى ينضم إليه يفصله عن غيره. فقد يقصد إفادة جهة عمومه كقولك: ضربت زيدًا، وقد يقصد إفادة جهة خصوصه كقولك: زيدًا ضربت، وهذا هو الاختصاص، وإنه هو الأهم عند المتكلم، وهو الذي قصد إفادته للسامع من غير تعرض ولا قصد لغيره بإثبات ولا نفي، وفي الحصر معنى

---

(١) نهاية الايجاز في علم البيان، للامام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (-٦٠٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٨٦.
(٢) هو العلامة شرف الدين حسن بن محمد المتوفي عام ٧٢٣هـ. وقد تقدمت ترجمته.
(٣) الزمر / ١٧.
(٤) الفاتحة / ٥.
(٥) المفصل: شرح للشيخ أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (-٦٤٦هـ). سماه الايضاح على المفصل في النحو للعلامة الزمخشري (-٥٣٨هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٧٤.
(٦) الزمر / ٦٤.
(٧) الأنعام / ٨٤.
(٨) الأنعام / ٤٠.
(٩) الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص، للشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (-٧٥٦هـ). كشف الظنون ١/ ١٣٦.

زائد عليه وهو نفي ما عدا المذكور. وإنّما جاء هذا في: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ للعلم بأنّ قائليه لا يعبدون غير الله، ولذا لم يطّرد في بقية الآيات. فالحصر على ثلاثة مراتب:

أحدها: ما وإلّا، وهو أقوى طرقه لأنه بالمنطوق.

الثاني: الحصر بإنما وهو قريب من الأول ودونه لعدم ذكر النفي منطوقًا.

الثالث: الحصر الذي قد يفيد التقديم وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصرين الأولين، بل هو في قوة جملتين: إحداهما ما صدر به الحكم نفيًا كان أو إثباتًا، وهو المنطوق. والأخرى ما فهم من التقديم. والحصر يقتضي نفي المنطوق فقط دون ما دلّ عليه المفهوم، لأن المفهوم لا مفهوم له. فإذا قلت: أنا لا أكرم إلّا إياك، أفاد التعريض بأنّ غيرك يكرم غيره، ولا يلزم أنك لا تكرمه. ثم طوّل السبكي في الكلام، وقال آخرًا: وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ونحن نمنع ذلك، ونقول: إنه اختصاص، وإنّ بينهما فرقًا.

قلت: ما ذكره من الفرق بين الاختصاص والحصر مما استخرجه فكري أيضًا، لكن إفادة التقديم المذكور الحصر قد شيّد أركانه في بعض تعليقاتنا في علم المعاني.

علم معرفة الحضري والسفري(*)

وموضوعه ونفعه وغايته في غاية الظهور. وأمثلة الحضري كثيرة. وأما أمثلة السفري فقد ضبطوها وارتقت إلى نيّف وأربعين، استقصاها السيوطي في الإتقان.

علم معرفة حفاظه ورواته(**)

واعلم أنّك قد عرفت أئمة القرآء فيما سبق بحيث لا تحتاج إلى المزيد عليه فارجع إليه.

علم معرفة حقيقة ألفاظ القرآن ومجازها(***)

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن، وكذا المجاز عند الجمهور. وأنكر وقوع المجاز جماعة منهم الظاهرية[١] وابن القاص[٢] من الشافعية وبعض من المالكية، وشبهتهم أنّ المجاز أخو الكذب، وأن العدول إليه من ضيق الحقيقة. والأول القرآن منزّه عنه، والثاني محال على الله تعالى. وهذه شبهة باطلة نشأت من عدم التفرقة بين المجاز والكذب، ومن عدم الوقوف على أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ومن إيراد المجاز مع تيسر الحقيقة. وصنف فيه عز الدين بن عبد السلام، ولخّصه جلال الدين السيوطي في: كتاب مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن[٣]، مع زيادات كثيرة، وأنواع المجاز

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) مذهب أو اتجاه فكري اسلامي، اعتنقه عدد من الفقهاء المسلمين، اتبعوا فيه إمامهم الفقيه أبا سليمان داود بن علي، حيث أخذوا بظاهر النصوص من الكتاب والسنة، وألغوا ما سوى ذلك من الرأي والقياس. ولهم في تفسير القرآن واستنباط الأحكام منه اجتهادات خاصة بهم. ومن أهم فقهائهم المشهورين ابن حزم الأندلسي..
انظر عنه: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ٢٨٦، معجم الفرق الإسلامية ١٦٥.

(٢) هو أحمد بن أحمد الطبري ثم البغدادي، أبو العباس ابن القاص. توفي عام ٣٣٥هـ/٩٤٦م. فقيه شافعي. له عدة كتب.
الاعلام ١/ ٩٠، طبقات الشافعية ١٩، طبقات السبكي ٢/ ١٠٣.

(٣) مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن: مختصر لجلال الدين السيوطي على مجاز القرآن لابن عبد السلام (عبد العزيز سلطان=

وتفصيل علاقاتها في علم البيان.

علم معرفة حكم الشرائع(*)

واعلم أنّ الفقهاء اقتصروا على تعليل الأحكام الشرعية إمّا بالسمع من الكتاب والسّنة والإجماع، أو بالعقل وهو القياس؛ إمّا لكفاية ذلك في مقاصدهم أو لعجز العباد عن معرفة الحكم، حتى قال قائلهم: لم يخلق العقل دراكًا لحكمته لكن ليقبل ما يأتيه من حكم. لكن بعضًا من الفضلاء، شكر الله سعيهم، بذلوا مجهودهم فيما لم يكن الحكم فيه تعبديًا، في أن يستخرجوا الحكم في الأحكام لتطمئن قلوب العباد في قبوله، وتنشط أذهانهم بأنْ يطلعوا على حكمة آمرها، فدوّنوا حكم الشرائع ومحاسنها حسبما قدروا على ذلك. وصنف في هذا العلم كتابًا نافعًا وتأليفًا جامعًا مسمى: بمحاسن الشرائع والإسلام، الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البخاري(١) روّح الله روحه.

علم معرفة الخبر والإنشاء(**)

واعلم أن أهل البيان قاطبة والحذاق من النحاة على انحصار الكلام فيهما، ولا عبرة بمن قال: إنه عشرة أقسام: نداء ومسئلة وأمر وتشفع وتعجب وقسم وشرط ووضع وشك واستفهام. وقيل: تسعة بإدخال الاستفهام في المسئلة. وقيل: ثمانية بإدخال الشفع فيها أيضًا. وقيل: سبعة بإدخال الشك في الخبر. وقال الأخفش: ستة: خبر واستخبار وأمر ونهي ونداء وتمنّ. وقيل: خمسة: خبر وأمر وتصريح وطلب ونداء. وقيل: أربعة: خبر واستخبار وطلب ونداء. وقال كثيرون: ثلاثة: خبر وطلب وإنشاء. قالوا: لأنّ الكلام إمّا أن يحتمل التصديق والتكذيب أوْ لا. الأول الخبر، والثاني إنْ اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإنْ تأخر عنه فهو الطلب.

والمحققون قالوا: طلب الضرب مقترن بلفظ اضرب. وأما الضرب، يوجد بعد ذلك، فهو متعلق الطلب لا نفسه.

واختلفوا في حد الخبر، قيل: لا يحدّ لعسره. وقيل: لأنه ضروري، إذْ كل أحد يفرق بين الخبر والإنشاء ضرورة، ورجّحه الإمام في المحصول، والأكثر على حدّه. فقال القاضي أبو بكر والمعتزلة: الخبر الكلام الذي يدخله الصدق والكذب، وقد عرّفوه بحدود مزيفة ذكرها السكاكي في المفتاح، ثم يظهر منه حد الإنشاء لأنه يقابله.

والتعجب، قيل: تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأنّ التعجب لا يكون إلّا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله. وقال الرماني: التعجب إنما هو المعنى الخفي سببه، والصيغة الدالة عليه تسمّى تعجبًا مجازًا وكلما استبهم السبب كان التعجب أحسن، ولهذا لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه جهل، وهو تعالى منزّه عن ذلك. ولهذا لا يقولون: إذا صدرت صيغته عنه إنه تعجب من الله تعالى لأنه يصرف إلى المخاطبين.

واعلم أنّ من أقسام الخبر النفي بل هو شطر الكلام كله. والنفي أعم من الجحد، إذْ الجحد يختص بالتكذيب. وأدوات النفي: لا ولات

=العلماء المصري الشافعي) الدمشقي (-٦٦٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٥٩٠.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو محمد عبد الرحمن بن أحمد، أبو عبدالله البخاري، علاء الدين الملقّب بالزاهد. توفي عام ٥٤٦هـ/ ١١٥١م. مفسر، أصولي عالم بالكلام. له تصانيف. انظر عنه: الاعلام ٦/ ١٩١، الجواهر المضيئة ٢/ ٧٦. الفوائد البهية ١٧٥.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

وليس وما وإنْ ولم ولما.

واعلم أنّ انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلًا، وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه. وإنّ نفي الذات الموصوفة قد يكون نفيًا للصفة دون الذات، وقد يكون نفيًا للذات والصفة معًا، وقد ينفي الشيء رأسًا لعدم كمال وصفه أو انتفاء ثمرته، لا لنفيه في نفسه حقيقة نحو: لا يموت فيها ولا يحيى، لأنه ليس بموت صريح ولا حياة طيبة. ونفي الاستطاعة قد يراد به نفي القدرة والإمكان، وقد يراد به نفي الامتناع، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة. ونفي العام يدلّ على نفي الخاص، وثبوته لا يدلّ على ثبوته، وثبوت الخاص يدلّ على ثبوت العام، ونفيه لا يدلّ على نفيه. ولا شك أنّ زيادة المفهوم من اللفظ يوجب الالتذاذ به، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام. ونفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل. وقد أشكل على هذا آيتان وهما: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[2]. وأجيب عن الأولى بأجوبة:

أحدها: أن صيغة ظلّام في مقابلة العبيد الذي هو الجمع، فكثرة الظلم المنفي لكثرة العبيد، لا لكثرته في نفسه.

وثانيها: أنّ من ترك النفع الكثير بالظلم الكثير فلأنْ يترك القليل أولى.

وثالثها: أنّ معناه النسب أي ذو ظلم.

ورابعها: أنه مجرد عن معنى الكثرة بل بمعنى فاعل.

وخامسها: أنّ القليل منه تعالى كثير، كما يقال زلة العالم كبيرة.

وسادسها: أنه أراد ليس بظالم، ليس بظالم، ليس بظالم، تأكيدًا للنفي، فعبّر عن ذلك بليس بظلّام.

وسابعها: أنه ورد جوابًا لمن قال ظلام، والتكرار إذا ورد جوابًا لكلام خاص لم يكن له مفهوم.

وثامنها: أنّ صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات، فجرى النفي على ذلك.

وتاسعها: أنه قصد التعريض بأنّ ثم ظلامًا للعبيد من ولاة الجور.

ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة، وبعاشر وهو مناسبة رؤس الآي.

ومن أقسام الإنشاء الاستفهام، وهو طلب الفهم بمعنى الاستخبار. وقيل: الاستخبار ما وقع أولًا، والاستفهام ما وقع ثانيًا. وقد يستعمل في غيره مجازًا.

منها الإنكار، ومعناه النفي وما بعده منفي، ولذلك تصحبه إلا.

ومنها التوبيخ وما تقدم إنكار نفي وهذا إنكار توبيخ.

ومنها التقرير وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده.

ومنها التعجب أو التعجيب نحو: ﴿مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾[3].

ومنها العتاب نحو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[4].

ومنها التذكير وفيه نوع اختصار نحو: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾[5].

ومنها الافتخار نحو: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ

---

(١) فصلت / ٤٦.
(٢) مريم / ٦٤.
(٣) النمل / ٢٠.
(٤) الحديد / ١٦.
(٥) يس / ٦٠.

مِصۡرَ﴾[١].

ومنها التفجّع نحو: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾[٢].

ومنها التهويل والتخويف نحو: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢﴾[٣].

ومنها عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ﴾[٤].

ومنها التهديد والوعيد نحو: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾[٥].

ومنها التكثير نحو: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾[٦].

ومنها التسوية نحو: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾[٧].

ومنها الأمر نحو: ﴿ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ﴾[٨] أي أسلموا.

ومنها التنبيه نحو: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[٩].

ومنها الترغيب نحو: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[١٠].

ومنها النهي نحو: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾[١١].

ومنها الدعاء وهو كالنهي إلّا أنه من الأدنى إلى الأعلى نحو: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[١٢] أي لا تهلكنا.

ومنها الاسترشاد نحو: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾[١٣].

ومنها التمني نحو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾[١٤].

ومنها الاستبطاء نحو: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾[١٥].

ومنها العرض نحو: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾[١٦].

ومنها التحضيض نحو: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ﴾[١٧].

ومنها التجاهل نحو: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾[١٨].

ومنها التعظيم نحوَ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[١٩].

ومنها التحقير نحو: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾[٢٠].

---

(١) الزخرف / ٥١.
(٢) الكهف / ٤٩.
(٣) الحاقة / ١ - ٢.
(٤) النساء / ٣٩.
(٥) المرسلات / ١٦.
(٦) الأعراف / ٤.
(٧) يٓس / ١٠.
(٨) آل عمران / ٢٠.
(٩) الفرقان / ٤٥.
(١٠) البقرة / ٢٤٥.
(١١) التوبة / ١٣.
(١٢) الأعراف / ١٥٥.
(١٣) البقرة / ٣٠.
(١٤) الأعراف / ٥٣.
(١٥) البقرة / ٢١٤.
(١٦) النور / ٢٢.
(١٧) التوبة / ١٣.
(١٨) صٓ / ٨.
(١٩) البقرة / ٢٥٥.
(٢٠) الأنبياء / ٣٦.

ومنها الاكتفاء نحو: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[١].

ومنها الاستبعاد نحو: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾[٢].

ومنها الإيناس نحو: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾[٣].

ومنها التهكم والاستهزاء نحو: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾[٤].

ومنها التأكيد لما سبق من معنى أداة الاستفهام قبله نحو: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾﴾[٥].

ومنها الإخبار نحوَ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[٦].

هذه إثنان وثلاثون معنى للاستفهام يعني يوجد فيها معنى الاستفهام، مع انضمام معانٍ أخر وهو الأصح، لا ما يقال إنها تجردت عن معنى الاستفهام كما توهم.

ومن أقسام الإنشاء الأمر، وهو طلب فعل غير كفّ، وصيغته إفعل وليفعلْ، وهي حقيقة في الإيجاب نحو: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾.

ويرد مجازًا لمعان أخر:

الندب نحو: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾[٧].

والإباحة نحو: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾[٨].

والدعاء نحو: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾[٩].

والتهديد نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[١٠].

والإهانة نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[١١].

والتسخير نحو: ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾[١٢] فهو أخص من الإهانة.

والتعجيز نحو: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[١٣].

والامتنان نحو: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾[١٤].

والعجب نحو: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾[١٥].

والتسوية نحو: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾[١٦].

والإرشاد نحو: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[١٧].

والاحتقار نحو: ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ﴾[١٨].

والإنذار نحو: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾[١٩].

---

(١) الزمر / ٦٠.
(٢) الدخان / ١٣.
(٣) طة / ١٧.
(٤) هود / ٨٧.
(٥) الزمر / ١٩.
(٦) النور / ٥٠.
(٧) الأعراف / ٢٠٤.
(٨) النور / ٣٣.
(٩) الأعراف / ١٥١.
(١٠) فصلت / ٤٠.
(١١) الدخان / ٤٩.
(١٢) البقرة / ٦٥.
(١٣) البقرة / ٢٣.
(١٤) الأنعام / ١٤١.
(١٥) الإسراء / ٤٨.
(١٦) الطور / ١٦.
(١٧) البقرة / ٢٨٢.
(١٨) يونس / ٨٠
(١٩) إبراهيم / ٣٠.

والإكرام نحو: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾[١].

والتكوين وهو أعم من التسخير نحو: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[٢]، إذ التسخير النقل من حال إلى حال.

والإنعام أي تذكر النعمة نحو: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[٣].

والتكذيب نحو: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾[٤].

والمشورة نحو: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[٥].

والاعتبار نحو: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[٦].

والتعجب نحو: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[٧]. وهذه خمسة عشر معنى للأمر.

ومن أقسامه النهي، وهو طلب الكفّ عن فعل، وصيغته لا تفعل، وهي حقيقة في التحريم. وترد مجازًا لمعان:

منها الكراهة نحو: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٨].

والدعاء نحو: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾[٩].

والإرشاد نحو: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾[١٠].

والتسوية نحو: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾[١١].

والاحتقار والتقليل نحو: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾[١٢] الآية، أي فهو حقير قليل.

وبيان العاقبة نحو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾[١٣].

واليأس نحو: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾[١٤].

والإهانة نحو: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[١٥].

ومن أقسامه التمني، وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة، ولا يشترط إمكان المتمني بخلاف المترجى.

ومن أقسامه الترجي، وفرق بينه وبين التمني، بأنه في الممكن، والتمني فيه وفي المستحيل، وبأن الترجي في القريب والتمني في البعيد، وبأن الترجي في المتوقع والتمني في غيره، وبأن التمني في المعشوق للنفس والترجي في غيره. وحروف الترجي: لعل وعسى، وقد يرد مجازًا لتوقع محذور ويسمّى الإشفاق نحو: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[١٦].

ومن أقسامه النداء، وهو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف نائب مناب أدعو، وتصحب في الأكثر الأمر والنهي، والغالب تقدّمه نحو:

---

(١) الحجر / ٤٦.
(٢) البقرة / ١١٧.
(٣) الأنعام / ١٤٢.
(٤) آل عمران / ٩٣.
(٥) الصافات / ١٠٢.
(٦) الأنعام / ٩٩.
(٧) مريم / ٣٨.
(٨) الإسراء / ٣٧.
(٩) آل عمران / ٨.
(١٠) المائدة / ١٠١.
(١١) الطور / ١٦.
(١٢) طة / ١٣١.
(١٣) آل عمران / ١٦٩.
(١٤) التوبة / ٦٦.
(١٥) المؤمنون / ١٠٨.
(١٦) الشورى / ١٧.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾[١]. وقد يتأخر نحو: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٢]. وقد تصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر نحو: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[٣]. وقد لا تعقبها نحو: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾[٤]. وقد تصحب الاستفهامية نحو: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾[٥]. وقد ترد صورة النداء لغيره مجازًا كالإغراء والتحذير، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[٦].

والاختصاص كقوله: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[٧]:

والتنبيه كقوله ﴿ألا يا اسجدوا﴾.

والتعجب نحو: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾[٨].

والتحسر نحو: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[٩].

ومن أقسامه القَسَم، أجمعوا على أنه إنشاء، نقله القرافي. وفائدته تأكيد الجملة الخبرية وتحقيقها عند السامع.

علم معرفة خواتم السور[*]

هي أيضًا مثل الفواتح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشرّف إلى ما يذكر بعدها، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد، إلى غير ذلك. يظهر ذلك لمن تأمّل ببصيرة تامة نافذة ناقدة.

علم معرفة خواص القرآن[**]

صنَّف فيه جماعة منهم التميمي[١٠] وحجة الإسلام الغزالي، ومن المتأخرين اليافعي[١١] سمّاه الدر النظيم في خواص القرآن العظيم[١٢]. وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين. وورد في ذلك بعض من الأحاديث أوردها السيوطي في الاتقان فارجع إليه.

وها أنا أذكر بعضًا منها، وإن أدى إلى التطويل ليعم النفع على أرباب التحصيل.

---

(١) البقرة / ٢١.
(٢) النور / ٣١.
(٣) الحج / ٧٣.
(٤) الزخرف / ٦٨.
(٥) مريم / ٤٢.
(٦) الشمس / ١٣.
(٧) هود / ٧٣.
(٨) يس / ٣٠.
(٩) النبأ / ٤٠.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(١٠) هو سيف بن عمر الأسدي التميمي. توفي عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م. من أصحاب السير. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ١٥٠، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٥، هدية العارفين ١/ ٤١٣.
(١١) هو عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين. ولد في عدن باليمن عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م. وتوفي بمكة عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م، مؤرخ، باحث متصوف من شافعية اليمن. له عدة كتب. الاعلام ٤/ ٧٢، الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧، الفوائد البهية ٣٣، شذرات الذهب ٦/ ٢١٠.
(١٢) الدر النظيم في خواص القرآن العظيم، للشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن سهيل الخرزجي المعرف بابن الخشاب اليمني (-٥٦٧هـ). ولهذه النسخة مختصر منسوب إلى اليافعي وهو مقدرا نصف الأصل. كشف الظنون ١/ ٧٣٦.

عن أبيّ بن كعب قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله: إنّ لي أخًا وبه وجع، قال: وما وجعه؟ قال: به لمم. قال: فأتني به، فوضعه بين يديه، فعوَّذه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بفاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة، وهاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾(١)، وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(٢)، وآية من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾(٣)، وآخر سورة المؤمنين: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾(٤)، وآية من سورة الجنّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾(٥)، وعشر آيات من أول الصافات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾(٦)، والمعوذتين. «فقام الرجل فكأنه لم يشتك قط»(٧).

وعن ابن مسعود موقوفًا: «من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثًا من آخر صورة البقرة، لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلّا أفاق»(٨).

وعن ابن مسعود قال: «قال رجل يا رسول الله: علمني شيئًا ينفعني الله به. قال: إقرأ آية الكرسي، فإنه يحفظك وذريتك، ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك»(٩).

وعن الحسن أنّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «إنّ جبريل أتاني فقال: إنّ عفريتًا من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي»(١٠)،

وعن المغيرة بن سبيع(١١) وكان من أصحاب عبد الله قال: من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينسَ القرآن: أربع من أولها، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث من آخرها.

وعن معاذ(١٢) أنّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال له: «ألا أعلمك دعاءً تدعو به، لو كان عليك من الدين مثل صبير أداه الله عنك؟ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ إلى قوله ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١٣)، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي من تشاء منهما وتمنع من تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»(١٤).

عن ابن عباس رضي الله عنه إذا استصعبت

---

(١) البقرة / ١٦٣.
(٢) آل عمران / ١٨.
(٣) الأعراف / ٥٤.
(٤) المؤمنون / ١١٦.
(٥) الجن / ٣.
(٦) الإخلاص / ١
(٧) مسند أحمد، ٥/ ١٢٨، بلفظ: «... به وجع. قال: «ما وجعه». قال: به لمم. قال: «فائتني به»، فوضعه...
(٨) اتحاف الزبيدي، كتاب ترتيب الأوراد، باب بيان أعداد الأوراد وترتيبها، ٥/ ١٣٣.
(٩) السيوطي، الدر المنثور، ١/ ٣٢٣.
(١٠) السيوطي، الدر المنثور، ١/ ٣٢٧.
(١١) لم يعثر له على ترجمة.
(١٢) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن. ولد عام ٢٠ق. هـ/ ٦٠٣م. وتوفي عام ١٨هـ/ ٦٣٩م. صحابي جليل. أعلم الناس بالحلال والحرام. أسلم صغيرًا وأرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ليعلم أهلها الدين. وشهد الفتوح مع الرسول. روى الكثير من الأحاديث النبوية. الاعلام ٧/ ٢٥٨، ابن سعد ٣/ ١٢٠، أسد الغابة ٤/ ٣٧٦، حلية الأولياء ١/ ٢٢٨، سير اعلام النبلاء ١/ ٤٤٣، غاية النهاية ٢/ ٣٠١.
(١٣) آل عمران / ٢٦ - ٢٧.
(١٤) السيوطي، الدر المنثور، ٢/ ١٤.

دابة أحدكم أو كانت شَموسًا فليقرأ هذه الآية في أذنها ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[١].

عن علي رضي الله عنه: سورة الأنعام ما قرئت على عليل إلّا شفاه الله.

عن فاطمة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دنا ولادها أمر أم سلمة وزينب بنت جحش أنّ تأتياها فتقرأا عندها آية الكرسي و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، وتعوّذاها بالمعوذتين.

عن الحسين بن علي رضي الله عنهما: أمان لأمتي الغرق إذا ركبوا البحر أنْ يقولوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[٣] الآية.

عن ليث قال: بلغني أنّ هؤلاء الآيات شفاء من السحر يقرأ في إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التي في سورة يونس: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[٥] إلى آخر أربع آيات، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾[٦] الآية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما كربني أمر إلّا تمثل لي جبريل فقال: يا محمد، قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[٧]. إلى قوله تعالى ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾[٨].

عن ابن عباس مرفوعًا: هذه الآية أمان من السرق: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾[٩] إلى آخر سورة.

عن أنس: ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ولا مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلّا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت.

عن زر بن حبيش قال: من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل إلّا قامها. قال عبدة، وهو راوي الحديث عن زر بن حبيش: فجربناه فوجدناه كذلك.

وعن سعد بن أبي وقاص: دعوة ذي النون إذْ دعا ربه وهو في بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٠] لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلّا استجاب الله له. وفي رواية: إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلّا فرج الله عنه، كلمة أخي يونس ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وعن ابن مسعود: أنه قرأ في أذن مبتلي فأفاق، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ما قرأت في أذنه؟ قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[١١] إلى آخر السورة. فقال: لو أنّ رجلًا

(١) آل عمران / ٨٣.
(٢) هود / ٤١.
(٣) الأنعام / ٩١.
(٤) يونس / ٨١ - ٨٢.
(٥) الأعراف / ١١٨.
(٦) طة / ٦٩.
(٧) الإسراء / ١١١.
(٨) مستدرك الحاكم، كتاب الدعاء، باب دعاء دفع الكرب..، ١/ ٥٠٩.
(٩) الإسراء / ١١٠.
(١٠) الأنبياء / ٨٧.
(١١) المؤمنون / ١١٥.

موقنًا قرأ بها على جبل لزال»[1].

عن أبي ذرّ: ما من ميت يموت فيقرأ عنده (يٓسٓ) إلّا هوّن الله عليه.

أخرج ابن الضريس[2]: عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة (يٓسٓ) فبرىء.

وعن محمد بن علي: من وجد في قلبه قسوة فيكتب (يٓسٓ) في جام بزعفران ثم يشربه.

وعن عبد الله بن الزبير: من جعل (يٓسٓ) أمام حاجته قضيت له.

عن أبي هريرة: رضي الله عنه: من قرأ الدخان كلها وأول غافر إلى ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[3]، وآية الكرسي حين يمسي، حفظ بها حتى يصبح. ومن قرأها حين يصبح حفظ بها حتى يمسي.

عن ابن مسعود مرفوعًا من قرأ ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدًا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا في المرأة يعسر عليها ولادها قال: تكتب في قرطاس ثم تسقى: بسم الله الذي لا إله هو الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى ربّ العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾[4]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ، فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[5].

عن ابن عباس قال: إذا وجدت في نفسك شيئًا يعني الوسوسة فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[6].

عن عليّ رضي الله عنه قال: «لدغت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقرب فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ: قل يا أيها الكافرون، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس»[7].

عن أبي سعيد: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوّذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها.

قال السيوطي: هذه الأحاديث في باب الخواص مما وقفت عليه، ولم تصل إلى حد الوضع، وبعضها موقوفات عن الصحابة والتابعين. وأما ما لم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرًا جدًا، والله أعلم بصحته.

ومن لطيفه ما حكاه ابن الجوزي عن ابن ناصر[8] عن أشياخه عن ميمونة بنت شاقول البغدادية قالت: آذانا جار لنا، فصليت ركعتين، وقرأت آية من فاتحة كل سورة حتى ختمت القرآن وقلت: اللهم اكفنا أمره، ثم نمت، وفتحت عيني وإذا به وقت السحر قد نزل فزلت

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٥/ ١٧.

(٢) هو محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي الرازي، أبو عبدالله. ولد حوالي العام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م. ومات بالري عام ٢٩٤هـ/٩٠٦م. من حفاظ الحديث. له بعض المؤلفات. الأعلام ٦/ ٤٦، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٩٥، معجم المفسرين ٢/ ٤٩٦، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٥، العبر ٢/ ٩٨، هدية العارفين ٢/ ٢١، كشف الظنون ٤٥٨، شذرات الذهب ٢/ ٢١٦، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٢، الوافي ٢/ ٢٣٤.

(٣) غافر / ٣.

(٤) النازعات / ٤٦.

(٥) الأحقاف / ٣٥.

(٦) الحديد / ٣.

(٧) السيوطي، الحاوي للفتاوى، ٢/ ٧، بلفظ: «... عقرب وهو يصلي، فقال: لعنك الله لا تدعين نبيًا ولا غيره ثم دعا بماء وملح فجعل يمرسها عليها».

(٨) هو محمد بن ناصر بن محمد بن علي، أبو الفضل السلامي، ويقال له ابن ناصر. ولد عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م. وتوفي عام ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م. محدث العراق في عصره له عدة كتب. انظر عنه: الاعلام ٧/ ١٢١، وفيات الأعيان ١/ ٤٨٨، المنتظم ١٠/ ١٦٢.

قدمه فسقط فمات.

فائدة: قال ابن التين:[١] الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى. فلما عزّ هذا النوع فزع الناس إلى الطبّ الجسماني. ويشير إلى هذا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن رجلًا موقنًا قرأ بها على جبل لزال». أجاز القرطبي الرقية بكلام الله وأسمائه، قال: فإنْ كان مأثورًا استحب. قال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله. قال الحسن البصري، ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي: لا بأس بكتب القرآن في إناء ثم غسله وسقيه المريض، وكرهه النخعي. قال القاضي حسين والبغوي وغيرهما: لو كتب قرآنًا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله، إنتهى. ونقل الزركشي عن بعضهم أنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية، لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضًا لأنه تلاقيه نجاسة الباطن. قال السيوطي: وفيه نظر.

علم معرفة الزايرجة(*)

وهو قسم من الكسر والبسط مع طرق مخصوصة وأحوال معيّنة حتى تخرج حروف تخرج منها كلمات دالة على كيفية مرادك في الاستقبال، إمّا بالحصول أو عدمه حتى يخرج اسم من يتم مرادك عنده، واسم من هو المانع لحصوله. ورأيت بعض طرق يخرج منها كلمات المطلوب أبياتًا منظومة بالعربية على بحر واحد وروي واحد، وهذا علم عجيب موضوع في جداول، قلّما رأيت من يعرفه، وقلّما رأيت من يعلمه ولا يبخل به، والله المستعان في كل شأن.

علم معرفة سبب النزول(**)

والنزول قسمان: ابتدائي أو عقيب سؤال أو حادثة. صنّف فيه علي بن المديني شيخ البخاري، وصنّف فيه الواحدي واختصره الجعبري فحذف أسانيده ولم يزد فيه شيئًا. وألف شيخ الإسلام ابن حجر إلّا أنه مات فبقي في المسودة. وألف فيه السيوطي كتابًا حافلًا سماه: لباب النقول في أسباب النزول.

وفي هذا العلم فوائد: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وتخصيص الحكم به عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب، وأن اللفظ قد يكون عامًا ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته، والوقوف على المعنى، إذْ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية بدون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها. مثلًا قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[٢]. يقتضي عدم وجوب استقبال القبلة وهو خلاف الإجماع، ولا يعلم ذلك إلّا بأنّ نزولها في نافلة السفر، وفيمن صلّى بالتحري. وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[٣] الآية، يقتضي عدم وجوب السعي بينهما، ولا يعلم ذلك إلّا بما بينت عائشة رضي الله عنها بأنّ نزولها في أنّ الصحابة تأثموا من السعي

---

(١) هو الإمام عبد الواحد ابن التين السفاقسي. عالم بالحديث والقرآن. له مصنفات.
انظر عنه: كشف الظنون ١/٥٤٦.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) البقرة/١١٥.

(٣) البقرة/١٥٨.

بينهما لأنه من عمل الجاهلية.

ومن فوائد معرفة سبب النزول: دفع توهم الحصر ومعرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم فيها. وإذا عرفت هذه الفوائد تعرف بطلان زعم من زعم أنّه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ.

اعلم أنّ المحققين من أهل الأصول على أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، حتى أنه كم من آية نزلت في أسباب وهم عدّوها إلى غير أسبابها كنزول آية الظِّهار[(١)] في سلمة بن صخر[(٢)]، وآية اللعان في هلال بن أمية[(٣)]، وحدّ القذف في رماة عائشة رضي الله عنها، ولا عبرة بمن لم يعتبر عموم اللفظ. والتفصيل فيه في علم الأصول.

واعلم أنّ صورة السبب للنزول قطعية الدخول في العام. ثم إذا نزلت آيات على أسباب خاصة توضع مع ما يناسبها من الآي العامة رعاية لنظم القرآن وحسن السياقة، فيكون ذلك الخاص قريبًا من صورة السبب في كونه قطعي الدخول في العام، كما اختار السبكي أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق المجرد.

فائدة: قال الواحدي: لا يحلّ القول في أسباب نزول الكتاب إلّا بالرواية والسماع ممن شاهد التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها. وقيل: قول الصحابي نزلت الآية في كذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أنّ ذلك داخل في الآية. ويشترط في سبب النزول أن يكون نزولها أيام وقوع الحادثة، وإلّا كان ذلك من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كقصة الفيل وقصة قوم نوح وأمثالهما. ثم اختلفوا في قول الصحابي: نزلت الآية في كذا، هل هو في حكم المسند بناءً على أنه لا طريق لمعرفته غير السماع أم يكون من باب التفسير من الصحابي. وأيضًا إذا وقع من التابعي فهو مرفوع أيضًا لكنه مرسل، ويقبل إذا صحّ السند إليه، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر، ونحو ذلك.

فائدة: كثيرًا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابًا متعددة، وقد تقدّم أن قولهم نزلت في كذا يراد به التفسير، فلا منافاة بين التفسيرين إذا كان اللفظ يتناولهما، وإلّا فإنّ كان إسناد أحدهما صحيحًا فهو المعتمد، وإن قال واحد نزلت في كذا وصرَّح الآخر بأنّ سببه كذا وهما متخالفان، فالمصرّح بالسببية هو المعتمد عليه، وما قيل نزلت فهو الاستنباط.

علم معرفة شروط المفسر وآدابه[(*)]

ومما يجب أن يعلم أنّ ما أجمل في موضع من القرآن يطلبه في موضع آخر، إذْ ربما يفسره في موضع آخر، وكذا ما اختصر في مكان ربما يبسطه في مكان آخر. وألّف ابن الجوزي كتابًا ذكر فيه ما أجمل في القرآن في موضع وفسّر في موضع آخر. فإنْ أعياه ذلك طلبه من السُّنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له. قال الشافعي كل ما حكم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله

(١) هي الآية الثانية من سورة المجادلة، وهي قوله تعالى: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هنّ أمهاتهم..﴾.

(٢) هو سلمة بن صخر بن سلمان بن العمة الأنصاري، الخزرجي، ويقال له سلمان، والبياضي أيضًا. صحابي، ظاهر من امرأته. انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٤٧، أسد الغابة ٢/ ٢٧٨.

(٣) هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس الأنصاري، الواقفي. صحابي، شهد بعض المواقع والفتوح. وفيه نزلت آية اللعان مع شريك بن السحماء. انظر عنه: أسد الغابة ٤/ ٦٣٠.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

وسلم فهو مما فهمه من القرآن. وقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «ألا أوتيت القرآن ومثله معه»[١]، يعني السُّنة، فإنْ لم يجده في السُّنة رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح. وقد قال الحاكم في المستدرك إنّ تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم الفروع. وقال الإمام أبو طالب الطنزي[٢] في أوائل تفسيره: القول في أدوات المفسر إعلم أنّ من شرطه صحة الاعتقاد أولًا، ولزوم سُنَّة الدين، فإنْ كان مغموصًا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا، فكيف على الدين. ثم لا يؤتمن من الدنيا على الأخبار عن عالم، فكيف يؤتمن في أخبار عن أسرار الله، ولأنه لا يؤمن إنْ كان متهمًا بالإلحاد أن يبغي الفتنة، ويغرّ الناس بلية وخداعة، كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وإنّ كان متهمًا بهوى لم يؤمن أنْ يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية، فإنّ أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين، ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى. ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وعن أصحابه ومن عاصرهم، ويتجنب المحدثات. وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل، فيأخذ منها ما يدخل فيه الجميع، فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء وطريق السُّنة وطريق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وطريق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأي هذه الأقوال إنْ أفرده كان محسنًا، وإن تعارضت ردَّ الأمر إلى ما ثبت فيه السمع، فإنْ لم يجد سمعًا، وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدها رجح بأقوى الاستدلال فيه، كاختلافهم في معنى حروف الهجاء، يرجح قول من قال إنّها قسم. وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه، فيؤمن بمراد الله منها، ولا يتهجم على تعيينه، وينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه، ومن شرطه صحة المقصد فيما يقول ليلقي التسديد، فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٣]، وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أنْ يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة علمه.

وتمام هذه الشرائط أن يكون متمكنًا من عدة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إمّا حقيقة أو مجازًا، فتأويله تعطيله. وقد رأيت بعضهم يفسّر قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[٤] في أنه ملازمة قول الله، ولم يدر الغبي أنّ هذه جملة حذف عنها الخبر، والتقدير: الله أنزله. انتهى كلام أبي طالب.

واعلم أنّ الإختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك، والمنقول إمّا عن المعصوم أو غيره. ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك، وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه، عامته فيما لا فائدة فيه، ولا

(١) مسند أحمد، ٤/ ١٣١.

(٢) لعله يحيى بن سلامة بن الحسين، أبو الفضل (أبو طالب)، معين الدين، الخطيب الحصكفي الطنزي. ولد عام ٤٥٩هـ/ ١٠٦٧م. وتوفي عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م. أديب، كاتب شاعر، عالم بالفقه، له مصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٨/ ١٤٨، ارشاد الأريب ٧/ ٢٨١، وفيات الأعيان ٢/ ٢٣٧، سير اعلام النبلاء ٢٠/ ٣٢٠.

(٣) العنكبوت/ ٦٩.

(٤) الأنعام/ ٩١.

حاجة بنا إلى معرفته، كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولًا نقلًا صحيحًا عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قُبِل، وما لا، بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه، وكذا ما نقل عن بعض التابعين. وإنْ لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض. وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلًا صحيحًا فالنفس إليه أسكن مما ينقل عن التابعين، لأنّ احتمال أن يكون سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو من بعض من سمعه منه أقوى. ولأنّ نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال: إنّه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم.

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثيرًا ولله الحمد. وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإنّ التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلآء صرفًا، لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين، مثل تفسير عبد الرزاق[1] والفريابي[2] ووكيع[3] وعبيد[4] وإسحاق[5] وأمثالهم.

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسّروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزَّل عليه والمخاطَب به.

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان. والآخرون راعوا مجرّد اللفظ وما يجوز أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام. ثم هؤلآء كثيرًا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أنّ الأولين

---

(١) هو عبد الرزاق الصنعاني، بن همام بن نافع الحميري. ولد عام ١٢٦هـ/٧٤٤م. وتوفي عام ٢١١هـ/٨٢٧م. وتفسيره هو: تفسير القرآن، نقله الطبري في تفسيره برواية الحسن بن يحيى بن الجعد.
انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ٢٨١، طبقات المفسرين ١/ ٢٩٦، تذكرة الحفاظ ٣٦٤، ميزان الأعتدال ٢/ ٦٠٩، البداية والنهاية ١/ ٢٦٥، وغيرها.

(٢) هو محمد بن يوسف بن واقد الضبي، أبو عبدالله الفريابي. ولد عام ١٢٠هـ/٧٣٨م، وتوفي عام ٢١٢هـ/٨٢٧م. له: تفسير القرآن، رواه عنه عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، واستخدمه الثعلبي في كتابه الكشف والبيان. انظر عنه: معجم المفسرين ٢/ ٦٥٢، تذكرة الحفاظ ٣٧٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٤، طبقات المفسرين ٢/ ٢٩٢.

(٣) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان. ولد عام ١٢٩هـ/ ٧٤٦م، وتوفي عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م. له: تفسير القرآن، رواه عنه محمد بن اسماعيل الحساني واستخدمه الثعلبي في الكشف والبيان.
انظر عنه: معجم المفسرين ٢/ ٧١٩، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٦، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٨، العبر ١/ ٣٢٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٣٥، طبقات المفسرين ٢/ ٣٥٧.

(٤) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي، أبو زرعة الرازي. ولد عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م، وتوفي عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م. له تفسير القرآن. انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ٣٤٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٧، طبقات المفسرين ١/ ٣٦٩، تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٨، العبر ٢/ ٢٨.

(٥) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب بن راهويه. ولد عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م، وتوفي عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م. له تفسير القرآن، رواه عنه محمد بن يحيى بن خالد المروزي.
انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ٨٥، وفيات الأعيان ١/ ١٩٩، تاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥، ميزان الاعتدال ١/ ١٨٢، حلية الأولياء ٩/ ٢٣٤، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٣، طبقات المفسرين ١/ ١٠٢.

كثيرًا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسّروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون، وإنْ كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن على ما دلّ عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به. وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه وإثباته من المعنى باطلًا، فيكون خطاؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقًا، فيكون خطاؤهم فيه في الدليل لا في المدلول. فالذين أخطأوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع، اعتقدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلى القرآن فتأوّلوه على رأيهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل: تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم[١] والجبائي[٢] وعبد الجبار[٣] والرماني[٤] والزمخشري[٥] وأمثالهم، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدسّ البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروّج على خلق كثير من أهل السُّنة كثيرًا من تفاسيرهم الباطلة، حتى قال تاج الدين السبكي: واعلم أن الكشاف كتاب عظيم في بابه، ومصنفه إمام في فنه، إلّا أنه رجل مبتدع متجاهر ببدعته، يضع من قدر النبوة كثيرًا، ويسيء أدبه على أهل السُّنة والجماعة، والواجب كشط ما في كتابه الكشاف من ذلك كله. إلّا أنّ الأعاجم يدرسونها في هذا الزمان، فيجب منع من لا يرسخ في الشريعة والسُّنة قدمه عليها، والله أعلم.

وأما تفسير ابن عطية[٦] وأمثاله أتبع للسُّنة وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن، فإنه كثيرًا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري، وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها قدرًا. ثم إنه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرّروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السُّنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطي كل ذي

---

(١) هو عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم المعتزلي. توفي عام ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م. له: تفسير القرآن، أفاد منه الثعلبي في كتابه الكشف. انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ٢٧١، طبقات المفسرين ١/ ٢٦٩، لسان الميزان ٣/ ٤٢٧.

(٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمزة، أبو علي الجبائي. ولد عام ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م، وتوفي عام ٣٠٣هـ/ ٩١٦م. من أئمة الاعتزال، له تفسير القرآن في عشر مجلدات. انظر عنه: معجم المفسرين ٢/ ٥٧٠، طبقات المفسرين ٢/ ١٨٩، وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٧، لسان الميزان ٥/ ٢٧١، المنتظم ٦/ ١٣٧، شذرات الذهب ٢/ ٢٤١، البداية والنهاية ١١/ ١٢٥.

(٣) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني الأسد ابادي، أبو الحسن. ولد عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م. وتوفي عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٥م. من أئمة الاعتزال، وقاضي القضاة، له تفسير القرآن. انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ٢٥٥، طبقات المفسرين ١/ ٢٥٦، طبقات الشافعية ٥/ ٩٧، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٣٣، تاريخ بغداد ١١/ ١١٣.

(٤) هو علي بن عيسى بن علي بن عبدالله، أبو الحسن الرماني المعتزلي. ولد عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، وتوفي عام ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م. له: الجامع الكبير في التفسير. انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ٣٧٢، طبقات المفسرين ١/ ٤١٩، ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٩، لسان الميزان ٤/ ٢٤٨، البداية والنهاية ١١/ ٣١٤.

(٥) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم. ولد عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م، وتوفي عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م. له في التفسير: الكشاف عن حقائق التنزيل. انظر عنه: معجم المفسرين ٢/ ٦٦٦، طبقات المفسرين ٢/ ٣١٤، ميزان الاعتدال ٤/ ٧٨، لسان الميزان ٦/ ٤، المنتظم ١٠/ ١١٢، العبر ٤/ ١٠٦، وغيرها.

(٦) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد. ولد بغرناطة عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، وتوفي بلورقة (الأندلس) عام ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م. مفسر، فقيه، عارف بالأحكام والحديث، له شعر ومصنفات هامة. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٢٨٢، نفح الطيب ١/ ٥٩٣، قضاة الأندلس ١٠٩، بغية الملتمس ٣٧٦، بغية الوعاة ٢٩٥.

حق حقه، فإنّ الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسّروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين، صار مشاركًا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا. وفي الجملة من عدل عن مذهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله.

وأما الذين أخطأوا في الدليل، فمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء، يفسرون القرآن بمعاني صحيحة في نفسها، لكن القرآن لا يدلّ عليها، مثل كثير مما ذكره السّلمي في الحقائق[١]، فإن كان فيما ذكروه معاني باطلة دخل في القسم الأول. انتهى كلام ابن تيمية ملخصًا.

قال السيوطي بعد نقل كلامه على النمط المذكور، وهو نفيس جدًا. قلت: لقد حجر ابن تيمية الواسع، حيث قصر التفسير في النقل وبدع ما سوى ذلك، مثل تفسير الإمام فخر الدين الرازي، حيث فسر على قواعد المعقول، ومثل تفسير السّلمي حيث فسر على قواعد أرباب القلوب، وقد عرفت أنّ القرآن لا تنقضي عجائبه، وإنّ له ظهرًا وبطنًا ومطلعًا. قال الزركشي في البرهان للناظر في القرآن: للتفسير مآخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهذا هو الطراز المعلم، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير. ولهذا قال أحمد: ثلاثة كتب لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير.

قال المحققون من أصحابه: مراده أنّ الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلّا فقد صحّ من ذلك كثير، كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعرض، والقوة بالرمي في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢].

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإنّ تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وأما في قول التابعي قولان: الأصح قبوله لأنّ غالبه تلقوه من الصحابة وما ينقل عنهم. فأما اختلاف عبارة: إذْ يخبر بعضهم عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، وإنْ لم يمكن الجمع، فإنْ كانا عن شخص واحد فالمتأخر منهما مقدّم إن استويا في الصحة، وإلّا فالصحيح هو المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإنّ القرآن نزل بلسان عربي إلّا أنْ يخالف الظاهر بأنْ يدلّ عليها القليل من لغة العرب، ويكون المتبادر خلافها.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع. وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لابن عباس قال: «اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل»[٣]. والذي عناه علي رضي الله عنه بقوله: إلّا فهمًا يؤتاه الرجل في القرآن. ومن ها هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كلّ برأيه على منتهى نظره.

واعلم أنّه لا يجوز تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد من غير أصل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ

(١) الحقائق في التفسير للشيخ أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (-٤١٢هـ). كشف الظنون ١/ ٦٧٣.

(٢) الأنفال / ٦٠.

(٣) مسند أحمد ١/ ٢٦٦. صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ح٩، ١/ ١٨٠، دون لفظ: «وعلمه التأويل».

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٢)]. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[(٣)]. وقال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[(٤)].

ثم قالوا: الذي منع منه الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يشدّه برهان فالقول به جائز. وأيضًا المعنى فقد أخطأ حيث لم يراجع أخبار الصحابة في معرفة سبب نزوله، وناسخه ومنسوخه، ولم يراجع نقل اللغة في تفسير ألفاظه. وقيل: معناه من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه، فيكون موافقة للصواب، إنْ وافقه من حيث لا يعرفه، غير محمودة.

قال الماوردي: قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أنْ يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبها الشواهد ولم يعارض شواهدها نصّ صريح، وهذا عدول عما تعهدنا بمعرفته من التطور في القرآن، فينسدّ باب الاستنباط. والحديث إنْ صحّ فمعناه: من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على ما سوى لفظه، وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق، وإنما إصابته اتفاق لا عبرة بها، مثل تأويل يخالف الشرع، كتأويل الجاهلين، مثل تأويل الروافض ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾[(٥)] أنه علي وفاطمة، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾[(٦)] يعني الحسن والحسين رضي الله عنهما.

ثم اعلم أنّ القوم اختلفوا فقال، قوم: لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن وإنْ كان عالمًا أديبًا متسعًا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلّا أنْ ينتهي إلى ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في ذلك. ومنهم من قال: يجوز تفسيره لمن كان جامعًا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علمًا.

أحدها: اللغة، قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات القرآن، ولا يكتفي باليسير منها، إذْ اللفظ ربما يكون مشتركًا فيغفل عن أحد المعنيين والمراد ذلك.

وثانيها: النحو، لأنّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب. عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية، يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، فقال: حسن، فتعلمها فإنّ الرجل يقرأ الآية، فيعني بوجهها فيهلك فيها.

وثالثها: التصريف، لأنّ به معرفة الأبنية والصيغ. قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم، إذ كم من كلمة مبهمة اتضحت بمصادرها كما قال الزمخشري. ومن بدع التفاسير قول من قال: إنّ الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾[(٧)] جمع أم، وأنّ الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم. قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف، فإنّ أمًا يجمع على إمام.

ورابعها: الاشتقاق، لأنّ الاسم إذا اشتق من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما،

---

(١) الاسراء / ٣٦.

(٢) البقرة / ١٦٩.

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ح٢٩٥٢، ٥/ ٢٠٠، بلفظ: «من قال في القرآن...».

(٤) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ح ٢٩٥٠، ٥/ ١٩٩.

(٥) الرحمن / ١٩.

(٦) الرحمن / ٢٢.

(٧) الإسراء / ٧١.

كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح.

وخامسها وسادسها وسابعها: المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول توفية خواص تراكيب الكلام حقّها من المقام. وبالثاني من حيث تفاوتها بحسب زيادة وضوح الدلالة ونقصانها. وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه الثلاثة هي علوم البلاغة التي هي من أعظم أركان المفسر. قال السكاكي: فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل، أراد المعاني والبيان. وأما البديع فمن جهات الحسن. قال الزمخشري: من حقّ مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أنْ يتعاهد بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح. وقال غيره: معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كتاب الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة.

وثامنها: علم القراآت، إذْ به يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

وتاسعها: أصول الدين إذْ في القرآن ما لا يجوز ظاهره في حقّه تعالى، فالأصولي يؤوله، ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

وعاشرها: أصول الفقه، إذْ به يعرف وجه استنباط الأحكام.

والحادي عشر: منها أسباب النزول، إذْ لا يطلع على حقيقة المعنى إلّا بها.

والثاني عشر: منها الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

والثالث عشر: الفقه.

والرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

والخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورثه الله لمَن عمل بما علم، كما أشير إليه في حديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»[(١)].

فهذه هي العلوم التي لا يمكن تعاطي التفسير بدون واحد منها، ومن فسّر كان مفسّرًا بالرأي المنهي عنه.

قلت: وإيّاك أنْ تستشكل علم الموهبة اغترارًا بما سمعت من أقوال المنكرين، فتأمل الحديث المذكور وحديث: «من أخلص لله تعالى أربعين صباحًا فجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[(٢)]. إلّا أنّ الزمان لما خلا عن العلم وذويه، وعن العرفان ومنتحليه، وبار أهل الفضل، وكسد سوق القول الفصل، ترأس الجهال، وأكثروا القيل والقال، ولكن للحروب رجال وللثريد رجال.

قال ابن النقيب: جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

الأول: التفسير بلا تحصيل الآلة من العلوم.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلّا الله.

الثالث: التفسير المقرّر للمذهب الباطل بأنْ يجعل المذهب أصلًا والتفسير تابعًا له، فيرد إليه بأي طريق أمكن وإنْ كان ضعيفًا.

الرابع: التفسير أنّ مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالهوى.

ثم قال: واعلم أنّ علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: ما استأثر الله به من حقائق ذاته ودقائق أسمائه وصفاته، وتفاصيل علم غيوبه.

الثاني: ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به. والأول لا يجوز لأحد، والثاني لا يجوز لغير النبي ﷺ إلّا لمن أذن هو له. قيل: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل:

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، في تفسير آية الدَّين من سورة البقرة، ١/ ٣٧٢.
القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، في تفسير الآية ٦٩ من سورة العنكبوت، ١٣/ ٣٦٤.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب الحلال والحرام، باب فضيلة الحلال..، ٦/ ٧، بلفظ: «أربعين يوما ظهرت».

من القسم الأول.

الثالث: علوم علّمها الله تعالى نبيه وأمر بتعليمها، وهذا على قسمين:

منه ما لا يجوز الكلام فيه إلّا بطريق السمع كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراآت واللغات وقصص الأمم الماضية والحوادث الآتية وأحوال الحشر والمعاد.

ومنه ما يوجد بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ، وهو قسمان: قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات، وقسم: اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية، وكذا فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات.

قال أبو حيان: واعلم أنّ القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يرد. والأول إمّا أن يرد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعليك بالبحث عن صحة سنده، أو عن الصحابة فانظر: إنْ فسّره من حيث اللغة فاعتمده لأنهم أهل اللسان والعارفون بقرائن القرآن، وإذا تعارضت الأقوال فإنْ أمكن الجمع فذاك، وإلّا فقدِّم ابن عباس، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشّره وقال: «اللهم علِّمه التأويل»، ورجّح الشافعي قول زيد في الفرائض لحديث: «أفرضكم زيد»(١)، أو عن التابعين، فإنْ صحّ الاعتماد فكما سبق، وإلّا وجب الاجتهاد. وأما ما لم يرد فيه نقل فهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النظر في مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالاتها بحسب السياق.

قلت وقد صنف الشيخ جلال الدين السيوطي كتابًا فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وللصحابة فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف. وقد تم في أربع مجلدات وسمّاه: ترجمان القرآن(٢). قال: ورأيت أنا في أثناء تصنيفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام في قصة طويلة يحتوي على بشارة حسنة، جزاه الله خيرًا وأثابه الجنة بمنّه وكرمه.

واعلم: أنّ بعضًا من فوائد هذا الباب قد تقدّم في موضع آخر من هذا الكتاب، لكن سياق الكلام اقتضى هذا التكرار والإطناب، فالمرجو من المخلصين والطلاب أنْ لا يعاملوا باللوم والعتاب، لأنّ ما دخل تحت الاضطراب لا يشنع عليه ولا يعاب، ومن الله الوهاب التوفيق للحق والصواب.

علم معرفة الصيفي والشتائي(*)

وأمر موضوعه وغايته ومنفعته لا يخفى. قال الواحدي: أنزل الله تعالى في الكلالة آيتين: إحداهما وهي التي في أول النساء في الشتاء، والأخرى وهي التي في آخرها في الصيف. ومن الصيفي ما نزل في حجة الوداع كأول المائدة، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٣)، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾(٤)، وآية الدين، وسورة النصر، والآيات التي نزلت في غزوة تبوك. ومن الشتائي آية الإفك والآيات في غزوة الخندق.

(١) سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضائل خباب، ح١٥٤، ١/ ٥٥، بلفظ: «... وأفرضهم زيد...».

(٢) ترجمان القرآن في تفسير المسند، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ). كشف الظنون ١/ ٣٩٧.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) المائدة / ٣.

(٤) البقرة / ٢٨١.

علم معرفة طبقات المفسرين(*)

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير. ومن التابعين: مجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم، وهؤلاء علماء مكة. وفي الكوفة أصحاب ابن مسعود. وفي المدينة زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن والإمام مالك بن أنس. ومن المبرزين من التابعين: مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وعطاء بن أبي سلمة الخراساني ومحمد بن كعب القرظي وأبو العالية والضحّاك بن مزاحم وعطية العوفي وقتادة وزيد بن أسلم ومُرّة الهمداني وأبو مالك، ويليهم الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم، فهؤلاء كلهم قدماء المفسرين.

ثم بعد هذه الطبقة طبقة أخرى مجمع أقوال الصحابة والتابعين، كسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وآدم بن أبي إياس وإسحاق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد بن حميد وسنيد(١) وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين.

وبعد هؤلآء ابن جرير الطبري وكتابه من أجلّ التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم وابن ماجة والحاكم وابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وابن المنذر في آخرين، وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم إلّا ابن جرير فإنه تعرّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك. ثم ألّفوا تفاسير اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بترًا، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل.

واعلم أن هؤلآء الطبقات مع تراجمهم قد مرّت على وجه التفصيل. إذا عرفت هذا فقد ظهر لك أنّه تكمل بذلك فروع علم التفسير وقد تنيف على ثمانين ولله الحمد. هذا ما يقتضيه حسن الترتيب حيث أدمج بعض العلوم في بعض، وإلّا فلو فصّل ما يمكن فصله لزادت والله أعلم على الثلاث مائة، ولكن خير الأمور أوساطها(٢).

واعلم أنّ ها هنا بعضًا من العلوم رأيت درجها في علوم التفسير أحسن وأولى لأنّ لها تعلّقًا بالحروف التي هي فواتح السور، لأنّ لها خواص لا يطلع عليها إلّا متكلمها وهي هذه(٣).

علم معرفة العالي والنازل من أسانيده(**)

اعلم أنّ طلب الإسناد سُنَّة، فإنه قُرْب إلى الله تعالى، وهذا خمسة أقسام: أفضلها وأعلاها القرب من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وأعلاه في هذا الزمان، ستة عشر رجلًا، من قراءة ابن عامر من رواية ذكوان، ثم سبعة عشر من قراءة عاصم من رواية حفص، وقراءة يعقوب من رواية ورش، ثم القرب إلى إمام من أئمة القراءة. وأعلاه في هذا الزمان إلى نافع

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو حسين بن داود المصيصي، أبو علي، الملقب بسنيد. توفي عام ٢٢٦هـ. إمام حافظ محدث، مفسّر. له عدة كتب. انظر عنه: الجرح والتعديل ٤/٣٢٦، تاريخ بغداد ٨/٤٢، ميزان الاعتدال ٢/٢٣٦، سير اعلام النبلاء ١٠/٦٢٧، شذرات الذهب ٢/٥٩.

(٢) وقد أشرنا إلى كل علم بحسب وروده، كما أشار إليه المؤلف.

(٣) وقد رأينا إدراج هذه العلوم ضمن علوم التفسير تبعا لما ارتضاه المؤلف، لكن قمنا بتوزيعها حسب الحروف الهجائية، بناءً على المنهج الذي اتبعناه في تسلسل العلوم، وأشرنا إلى ذلك في الهامش.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

أربعة عشر، وإلى ابن عامر أربعة عشر، ثم العلو بالنسبة إلى الكتب المشهورة كالتيسير والشاطبية، وهذا بمنزلة علوّ المحدّثين بالنسبة إلى رواية الكتب السّتة، ويقع في هذا النوع الموافقات والأبدال والمساواة والمصافحات. وهذه الأقسام كما يعتبر في القراءة يعتبر في الحديث أيضًا من غير فرق.

فالموافقة أن يجتمع طريقه مع أحد أصحاب الكتب في شيخه، وقد يكون مع علوّ على ما رواه من طريقه وقد لا يكون.

والبدل أنْ يجتمع معه في شيخ شيخه فصاعدًا، وقد يكون أيضًا بعلو وقد لا يكون.

والمساواة أنْ يكون بين الراوي والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو الصحابي أو من دونه إلى شيخ أحد أصحاب الكتب، كما بيّن أصحاب الكتب، والنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو الصحابي أو من دونه على ما ذكر من العدد.

والمصافحة أنْ يكون أكثر عددًا منه بواحد، فكأنه لقي صاحب ذلك الكتاب وصافحه.

ومن أقسامه أيضًا العلو بموت الشيخ لا مع التفات إلى أمر آخر أو شيخ آخر متى يكون. قال بعضهم: يوصف الإسناد بالعلو إذا مضى عليه من موت الشيخ خمسون سنة. وقال ابن مندة: ثلاثون سنة.

واعلم أنّ هذه الأقسام الخمسة للعلو مما اعتبره المحدّثون في السّند أولًا، لكن يمكن اعتباره في سند القراء أيضًا من غير فرق. وإذا عرفت العلو بأقسامه عرفت النزول فإنه ضده، وحيث ذمّ النزول فهو ما لم ينجر بكون رجاله أعلم أو أحفظ أو أتقن أو أجل أو أشهر أو أورع. أما إذا كان كذلك فليس بمذموم ولا مفضول.

علم معرفة عام القرآن وخاصه ومجمله ومبيّنه(*)

ومباحث هذا العلم في علم الأصول، ومن أتقنها سهل عليه معرفتها في الآيات الفرقانية.

علم معرفة عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه(**)

أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتدّ به. وقيل: مائة وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة. وفي مصحف ابن مسعود ماية واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين. وفي مصحف أبيّ ستة عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع وهما هاتان: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك»[١]. «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إياك نعبد، ولك نصلّي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك إنّ عذابك بالكافرين ملحق»[٢]. وروي أنّ مصحف أبيّ مائة وستة عشر سورة، والصواب أنه خمسة عشر فإنّ سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة.

قيل: الحكمة في تسوير القرآن سورًا تحقيق كون السورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله، والإشارة إلى أنّ كلًا منها نمط مستقل. وإنما اختلفت بالطوال والقصار تنبيهًا على أنّ الطول

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٢١.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٢١.

ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وإنّها معجزة إعجاز سورة البقرة. وأيضًا فيه سهولة التعليم وتدريج الأطفال من القصار إلى الطوال، تيسيرًا من الله على عباده لحفظ كتابه. وأيضًا ما له أجناس وأصناف أحسن وأفخم من أن يكون بابًا واحدًا. وأيضًا حفظه شيئًا فشيئًا أنشط للقارىء وأبعث على التحصيل. وأيضًا الحافظ إذا حذق السورة يعظم عنده ما حفظه. قيل ولم يكن الكتب السالفة كذلك لأنها لم تكن معجزات من جهة النظم والترتيب، وإنها لم تيسر للحفظ، إلّا أنّ المروي عن قتادة أنّ الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ. وذكروا أنّ في الإنجيل سورة تسمّى سورة الأشبال.

وأما عدد الآي فعن ابن عباس أنها ستة آلاف آية وست مائة آية وست عشرة آية. وجميع حروفه ثلاث مائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وست مائة حرف وواحد وسبعون حرفًا. قال الداني: أجمعوا على أنّ عدد آيات القرآن ستة آلاف آية. واختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات. وقيل وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون، وقيل: وست وثلاثون.

فائدة: الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرًا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة. وقيل: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها. والاتفاق على أنها توقيفية لا مجال للقياس فيه، ولهذا عُدَّ (آلم) و(آلمص) آية، ولم يعد (آلمر) و(آلر) آية. ثم إنّ القوم ذكروا عدد آيات كل سورة على حدة وذلك خارج عن طوقنا. قال الهذلي في كامله: إعلم أنّ قومًا جهلوا العدد وما فيه من الفوائد، حتى قال الزعفراني: العدد ليس بعلم، وإنما اشتغل به بعضهم ليروج به سوقه. قال: وليس كذلك ففيه من الفوائد معرفة الوقف، ولأنّ الإجماع انعقد على أن الصلوٰة لا تصح بنصف آية. وقال جمع من العلماء: تجزى بآية، وآخرون بثلاث آيات، والآخرون لا بدّ من سبع، والإعجاز لا يقع بدون آية. فللعدد فائدة عظيمة في ذلك، إنتهى.

وأما كلمات القرآن سبعة وسبعون ألف كلمة وتسع مائة وأربع وثلاثون كلمة. وقيل: وأربع مائة وسبع وثلاثون. وقيل: ومائتان وسبع وسبعون، وقيل غير ذلك. وسبب الاختلاف أنّ الكلمة لها حقيقة ومجاز، ولفظ ورسم، واعتبار كل منها جائز، وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز. قال السخاوي: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة لأنّ ذلك إنْ أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك. ثم إنّ بعضًا من القراء جعل للقرآن العظيم أنصافًا باعتبارات، فنصفه بالحروف (النون) من (نكرا)[1] في الكهف، (والكاف) من النصف الثاني، ونصفه بالكلمات الدال من قوله (والجلود)[2] في الحج، وقوله (ولهم مقامع)[3] من النصف الثاني، ونصفه بالآيات (يأفكون)[4] من سورة الشعراء، وقوله (فألقي السحرة)[5] من النصف الثاني، ونصفه على عدد السور آخر الحديد، والمجادلة من النصف الثاني وهو عشرة بالأحزاب، وقيل: إنّ

(١) الكهف / ٧٤.
(٢) الحج / ٢٠.
(٣) الحج/ ٢١.
(٤) الشعراء / ٤٥.
(٥) الشعراء / ٤٦.

النصف بالحروف (الكاف) من (نكرا)، وقيل (الفاء) من قوله (وليتلطف)[١].

علم معرفة العلوم المستنبطة من القرآن[*]

قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ستكون فتن. قيل: وما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم».[٤] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإنّ فيه خبر الأولين والآخرين. قال البيهقي: يعنى أصول العلم. وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وجهه إلّا وجدت مصداقه في كتاب الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله. وقال الشافعي مرة بمكة: سلوني عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله. فقيل له: ما تقول في المُحرِم يقتل الزنبور؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٥]. وحدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش[٦]، عن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر».[٧] وحدثنا سفيان، عن مسعر بن كدام، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور.

وحكى ابن سراقة[٨] في كتاب الإعجاز[٩] عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يومًا: ما من شيء في العالم إلّا في كتاب الله. فقيل له: فأين ذكر الخانات فيه؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾[١٠]، فهي الخانات. وإن بعضًا قد استنبط عمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثلاثًا وستين من قوله تعالى في سورة المنافقين ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾[١١]، فإنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن بفقده. قال ابن مرجان[١٢]: ما قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من شيء فهو في القرآن أو فيه

---

(١) الكهف / ١٩.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) الانعام / ٣٨.

(٣) النحل / ٨٩.

(٤) اتحاف الزبيدي، كتاب آداب تلاوة القرآن، الباب الرابع في فهم القرآن، ٤/ ٥٣١.

(٥) الحشر / ٧.

(٦) هو ابراهيم بن معقل بن الحجاج بن حراش النسفي، أبو اسحاق. توفي عام ٢٩٥هـ/٩٠٨م. محدث، مفسر، قاضٍ، عالم، له تصانيف. انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ٢٣. تذكرة الحفاظ ٦٨٦، شذرات الذهب ٢/ ٢١٨، مرآة الجنان ٢/ ٢٢٣، العبر ٢/ ١٠٠، الاعلام ١/ ٧٠.

(٧) سنن الترمذي كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ح ٣٦٦٣، ٥/ ٦٠٩.

(٨) ورد سابقًا.

(٩) اعجاز القرآن، صنف فيه جماعة منهم ابن سراقة (-٦٢٢هـ). كشف الظنون ١/ ١٢٠.

(١٠) النور/ ٢٩.

(١١) المنافقون / ١١.

(١٢) هو أحمد بن سليمان بن أحمد، أبو العباس بن المرجاني المالكي الاسكندري. عالم بالقراءات، له مصنفات. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٥٨.

أصله، قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وعمه عنه من عمه، وكذا كل ما حكم أو قضي به، وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه. وقال ابن أبي الفضل المرسي[(١)]: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علمًا حقيقة إلّا المتكلم بها، ثم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله. ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، حتى قيل:

جميع العلم في القرآن لكن
تقاصر عنه أفهام الرجال

ثم إنّ بعضهم نوّعوا علومه، وقامت كل طائفة لفنٍّ من فنونه.

منهم من اعتنى بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها، وعدّ كلماته وآياته، وسوره وأحزابه، وأنصافه وأرباعه، وعدد سجداته، والتعليم عند كل عشر آيات، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المقابلة، من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه، فسمّوا القراء.

ومنهم من اعتنى بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال، واللازم والمتعدي، ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به، حتى إنّ بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة وهم النحاة.

ومنهم من اعتنى بألفاظه فوجدوا منه لفظًا يدلّ على معنى واحد، ولفظًا يدلّ على معنيين، ولفظًا يدلّ على أكثر، فأجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفي منه، وخاضوا في ترجيح أحد محتملات ذي المعنيين والمعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره، وهم المفسرون.

ومنهم من اعتنى بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[(٢)]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به، وهم الأصوليون العالمون بعلم أصول الدين.

ومنهم من تأمل في معاني خطابه فرأى منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك من أحكام اللغات من الحقيقة والمجاز والصريح والكناية، وتكلم في التخصيص والأخبار، والنص والظاهر، والمجمل، والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي، والنسخ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء، وهم علماء أصول الفقه.

ومنهم من أحكم صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله، وفرّعوا فروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطًا حسنًا، وسمّوا ذلك بعلم الفروع وبعلم الفقه أيضًا.

ومنهم طائفة تلمحت ما فيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم

---

(١) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي، أبو عبدالله. شرف الدين. ولد عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. وتوفي عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. عالم بالأدب والتفسير والحديث. له العديد من المصنفات.
انظر عنه: الاعلام ٦/ ٢٣٣، بغية الوعاة ٦٠، إرشاد الأريب ٧/ ١٦، نفح الطيب ١/ ٤٤٣.

(٢) الأنبياء / ٢٢.

ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الأشياء، وسمّوا ذلك بالتاريخ والقصص.

ومنهم آخرون تنبهوا لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقاتل قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال، فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار، فصولًا من المواعظ وأصولًا من الزواجر، فسمّوا بذلك الخطباء والوعاظ.

ومنهم قوم استنبط مما فيه من أصول التعبير، مثل ما ورد في قصة يوسف في البقرات السمان، وفي منامي صاحبي السجن، وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة، وسمّوه تعبير الرؤيا، واستنبطوا كل رؤيا من الكتاب، فإنْ عسر عليهم إخراجها منه فمن السُّنة التي هي شارحة للكتاب، فمن عسر فمن الحكم والأمثال. ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾(١).

ومنهم قوم أخذوا مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العَوَل، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ومنهم قوم نظروا إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنجوم والبروج، وغير ذلك، فاستخرجوا منه علم المواقيت.

ومنهم من نظر من الكتاب الشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ، وبديع النظم، وحسن السياق، والمبادي والمقاطع، والمخالص والتلوين في الخطاب، والإيجاز والإطناب، وغير ذلك من هذا الباب، فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع.

ومنهم من نظر فيه من أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق، جعلوا لها أعلامًا اصطلحوا عليها، مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والأنس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك.

هذه هي الفنون التي أخذتها الملة الإسلامية أبّد الله ذكرهم، وأيّد فكرهم. وقد احتوى القرآن أيضًا على علوم الأوائل من الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك.

أما الطب فمداره على حفظ الصحة واستحكام القوة واعتدالها، أو ردّ الصحة بعد اختلالها وحدوث الشفاء بعد اعتلالها، وأشار إلى الأول بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾(٢)، وبقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾(٣)، وإلى الثاني بقوله: ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾(٤).

وأما الهيئة ففي آيات ذكر فيها ملكوت السموات والأرض، وما بثّ في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات، وأحوال الشمس والقمر، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿بِرَبِّ

---

(١) الأعراف / ١٩٩.
(٢) الفرقان / ٦٧.
(٣) الأعراف / ٣١.
(٤) النحل / ٦٩.
(٥) الإسراء / ١٢.
(٦) يٓس / ٤٠.

﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾[١]، إلى غير ذلك، بحيث لو أحصي لوجد جميع أصول الهيئة وزيادة عليها.

وأما الهندسة ففي قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾[٢] الآية.

وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك شيئًا كثيرًا. ومناظرة إبراهيم نمرود ومحاجة قومه أصل في ذلك.

وأما الجبر والمقابلة فقد قيل: إنّ أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة، وإنّ فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة الدنيا، وما مضى وما بقي، مضروب بعضها في بعض.

وأما النجامة ففي قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾[٣]، فقد فسرّه بذلك ابن عباس. وفيه أيضًا أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها، كالخياطة في قوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ﴾[٤].

والحدادة: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾[٥]، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾[٦] الآية.

والبناء في عدة آيات.

والنجارة: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[٧].

والغزْل: ﴿نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾[٨].

والنسيج: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗا﴾[٩].

والفلاحة: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ﴾[١٠] الآية.

والصيد: في عدة آيات.

والغوص: ﴿كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾[١١]، ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ﴾[١٢].

والصياغة: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾[١٣].

والزجاجة: ﴿صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾[١٤]، ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾[١٥].

والفخارة: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾[١٦].

والملاحة: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ﴾[١٧] الآية.

والكتابة: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾[١٨].

والخبز: ﴿أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾[١٩].

---

(١) المعارج / ٤٠.
(٢) المرسلات / ٣٠.
(٣) الاحقاف / ٤.
(٤) الأعراف / ٢٢.
(٥) الكهف / ٩٦.
(٦) سبأ / ١٠.
(٧) هود / ٣٧.
(٨) النحل / ٩٢.
(٩) العنكبوت / ٤١.
(١٠) الواقعة / ٦٣.
(١١) صٓ / ٣٧.
(١٢) النحل / ١٤.
(١٣) الأعراف / ١٤٨.
(١٤) النمل / ٤٤.
(١٥) النور / ٣٥.
(١٦) القصص / ٣٨.
(١٧) الكهف / ٧٩.
(١٨) العلق / ٤.
(١٩) يوسف / ٣٦.

والطبخ: ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[١].

والغسل والقصارة: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾[٢] قال: الحواريون وهم القصارون.

والجزارة: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[٣].

والبيع والشراء في آيات.

والصبغ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[٤]، ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾[٥].

والحجارة: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[٦].

والكيالة والوزن في آيات.

والرمي: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[٧]، ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٨].

وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات، وجميع ما وقع أو يقع في الكائنات ما تحقق معنى قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[٩].

قال القاضي أبو بكر ابن العربي في قانون التأويل[١٠]: علوم القرآن خمسون علمًا وأربعمائة علم، وسبعة آلاف علم، وسبعون ألف علم، على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، إذْ لكل كلمة ظهر وبطن وحدّ ومطلع. وهذا مطلق دون اعتبار تركيبه وما بينها من الروابط، وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلّا الله.

قال: وأم علوم القرآن ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام.

فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن.

والأحكام منها التكاليف كلّها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب. ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لاشتمالها على هذه الأقسام الثلاثة. وسورة الإخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد.

وقال ابن جرير: القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء: التوحيد والأخبار والديانات. ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثه لأنها تشتمل التوحيد كله. وقال علي بن عيسى: القرآن يشتمل على ثلاثين شيئًا وعدّها. إلّا أنّ الأشياء الثلاثة التي قالها ابن جرير تشتمل ما ذكره كلها بل أضعافها، فلذلك اكتفينا بما ذكره ابن جرير ولم نذكر ما ذكره ابن عيسى.

والقرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه. وقد أفرد الناس كتبًا فيما تضمنه القرآن من الأحكام كالقاضي إسمعيل[١١]، وبكر بن العلاء[١٢]،

(١) هود / ٦٩.
(٢) المدثر / ٤.
(٣) المائدة / ٣.
(٤) البقرة / ١٣٨.
(٥) فاطر / ٢٧.
(٦) الشعراء / ١٤٩.
(٧) الأنفال / ١٧.
(٨) الأنفال / ٦٠.
(٩) الأنعام / ٣٨.
(١٠) للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله الاشبيلي المالكي المعروف بابن العربي الحافظ (-٥٤٦هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣١٠.
(١١) لم نعثر له على ترجمة.
(١٢) لم نعثر له على ترجمة.

وأبي بكر الرازي، والكيا الهراسي، وأبي بكر ابن العربي، وعبد المنعم بن الفارس[١]، وابن حويز منداد[٢]. وأفرد آخرون كتبًا فيما فيه من علوم الباطن. وأفرد ابن برجان[٣] كتابًا فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث. وألّف جلال الدين السيوطي كتابًا سماه الإكليل في استنباط التنزيل[٤]، ذكر فيه كل ما استنبط منه من مسئلة فقهية أو أصلية أو اعتقادية، وبعضًا مما سوى ذلك كثير الفائدة جم العائدة يجري مجرى الشرح لما أجمل من الأنواع المذكورة، فليراجعه من أراد الوقوف عليه.

علم معرفة غرائب التفسير[*]

ألّف فيه محمود بن حمزة الكرماني كتابًا في مجلدين سمّاه العجائب والغرائب[٥]، ضمّنه أقوالًا منكرة ذكرت في معاني الآيات، بحيث لا يحلّ الاعتماد عليها، وإنما ذكرها للتحذير منها. من ذلك قول من قال في (حمٓ عٓسٓقٓ) إنّ الحاء حرب علي ومعاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدرة مهدي، حكاه أبو مسلم[٦]. قال الكرماني: أوردت ذلك لتعلم أنّ فيمن يدعي العلم حمقى. ومن ذلك قول من قال في (الٓمٓ): معنى ألف: ألف الله محمدًا فبعثه نبيًا. ومعنى لام: لامه الجاحدون وأنكروه. ومعنى ميم: ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو البرسام. ومن ذلك قوله تعالى من قال في ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[٧] إنه قصص القرآن. ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في تفسيره في قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[٨] أنّ إبراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه، أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عيانًا. قال الكرماني: وهذا بعيد جدًا. ومن ذلك قول من قال في: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[٩] إنّه الحب والعشق، قد حكاه الكواشي في تفسيره. ومن ذلك قول من قال في: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾[١٠] إنه الذكر إذا قام. ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[١١] أراد بالشجر الأخضر إبراهيم عليه السلام،

---

(١) لم نعثر له على ترجمة.

(٢) هو محمد بن أحمد عبدالله بن خويذ منداد، المالكي العراقي. توفي عام ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م تقريبًا. فقيه أصولي. له عدة مصنفات. معجم المؤلفين ٨/ ٢٨٠، الوافي بالوفيات ٢/ ٥٢.

(٣) الأرجح أنه ابن مرجان وليس برجان تصحيفاً. وقد سبقته ترجمته.

(٤) ذكر فيه أنه ما من شيء إلا ويمكن استنباطه من القرآن، فذكر آية آية وما يستنبط منه. (هامش الأصل). الاكليل في استنباط التنزيل، للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ). كشف الظنون ١/ ١٤٤.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) عجائب القرآن، وهو كتاب الغرائب والعجائب لمحمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء. المتوفي بعد سنة ٥٠٠هـ. كشف الظنون ٢/ ١١٢٦ - ١١٩٧.

(٦) هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم. ولد عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م. وتوفي عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م معتزلي، كاتب، عالم بالتفسير والكلام. له تصانيف عديدة. انظر عنه: الاعلام ٦/ ٥٠، ارشاد الأريب ٦/ ٤٢٠.

(٧) البقرة / ١٧٩.

(٨) البقرة / ٢٦٠.

(٩) البقرة / ٢٨٦.

(١٠) الفلق / ٣.

(١١) يٓس / ٨٠.

وبالنار النور وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ تقتبسون الدين.

علم معرفة غريب القرآن(*)

إعلم أنّ معرفة هذا الفن للمفسّر ضروري ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماء وأفعالًا وحروفًا. فالحروف لقلّتها تكلم النحاة في معانيها، فيؤخذ ذلك من كتبهم. وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ من كتب اللغة وأكبرها: كتاب ابن السيدة[١]، ومنها التهذيب[٢] للأزهري، والمحكم[٣] لابن سيده، والجامع[٤] للفراء، والصحاح[٥] للجوهري، والبارع[٦] للفارابي، ومجمع البحرين[٧] للصاغاني. ومن الموضوعات في الأفعال: كتاب ابن القوفية، وابن الظريف[٨] وللسرقسطي[٩]. ومن أجمعها: كتاب ابن القطاع[١٠]. قال السيوطي: وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه في تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة، وقد ذكر ما نقل عنه جلال الدين السيوطي في كتاب الاتقان. وممن أفرد هذا العلم بالتصنيف أبو عبيدة وأبو عمر الزاهد وابن دريد والعزيزي[١١]، وهذا أشهرها. قيل: قد أقام العزيزي في تأليف غريب القرآن خمس عشرة سنة، يحرّره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري. ومن أحسنها: مفردات الراغب[١٢]، ولأبي حيان في ذلك مختصر مقدار كراسين. قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: قال أهل المعاني، فالمراد به مصنفو الكتب في معاني القرآن كالزجّاج والفراء والأخفش وابن الأنباري، وكتاب بصائر النظائر[١٣] وافٍ في هذا العلم.

علم معرفة الفراشي والنومي(**)

وأمر الموضوع والنفع كما مرّ. من أمثلة

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) المخصص في اللغة، لابن سيدة أبي الحسن علي بن اسماعيل اللغوي (-٤٥٨هـ). كشف الظنون ٢/ ١٦٣٩.

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري (-٣٧٠هـ). كشف الظنون ١/ ٥١٥.

(٣) ورد سابقًا.

(٤) لم يعثر على ثبت مرجعي لاسم هذا الكتاب.

(٥) الصحاح في اللغة، للإمام أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (-٣٩٣هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠٧١.

(٦) لم يعثر على ثبت مرجعي لاسم هذا الكتاب.

(٧) مجمع البحرين في اللغة، للإمام حسن بن محمد الصغاني (-٦٥٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٥٩٩.

(٨) هو محمد بن عبدالله الملقب بالنظام وابن الظريف. ولد ببلخ عام ٥٢٦هـ، وتوفي ببغداد عام ٥٩٦هـ. لغوي، فصيح، شاعر، واعظ، له كتب وأخبار.
انظر عنه: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين ١٨.

(٩) هو إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري، أبو الطاهر، توفي عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م. عالم بالقراءات له مصنفات عدة. انظر عنه: الأعلام ١/ ٣١٣، معجم الأدباء ٢/ ٢٦٩، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٧، لسان الميزان ١/ ٤٠٠.

(١٠) ورد سابقًا.

(١١) هو محمد بن عزيز السجستاني، أبو بكر العزيزي. توفي عام ٣٣هـ/ ٩٤١م. مفسر، له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٦٨، بغية الوعاة ٧٢، نزهة الألباء ٣٨٦.

(١٢) مفردات ألفاظ القرآن في اللغة، لأبي القاسم حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصبهاني (-٥٠٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٧٣.

(١٣) بصائر النظائر في اللغة. كشف الظنون ١/ ٢٤٦.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الفراشي ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[(١)] وآية الثلاثة الذين خلفوا. وأما النومي فسورة الكوثر، لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بين أظهرنا إذْ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا. فقلت: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: أنزل عليّ آنفًا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر، فصلّ لربك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر»[(٢)]. قال الإمام الرافعي في أماليه: فهم فاهمون من الحديث أنّ السورة نزلت في تلك الإغفاءة وقالوا: من الوحي ما كان يأتيه في النوم لأنّ رؤيا الأنبياء وحي. قال: وهذا صحيح، لكن الأشبه أنْ يقال إنّ القرآن كله نزل في اليقظة وكأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذي ورد فيه السورة، فقرأها عليهم وفسّرها لهم. قال: وورد في بعض الروايات أنه أغمى عليه، وقد يحمل ذلك على الحالة التي تعتري عند نزول الوحي ويقال لها برحاء الوحي، إنتهى.

قال السيوطي: الذي قاله الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذي كنت أميل إليه قبل الوقوف عليه، والتأويل الأخير أصحّ من الأول، لأنّ قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنزل علي آنفًا يدفع نزولها قبل ذلك. قلت: وكذا يؤيّده قول أنس بين أظهرنا إذ النوم لا يكون بين جمع كثير عادة، سيّما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأيضًا قال: ثم رفع رأسه ولم يقل ثم استيقظ أو ثم قام من مضجعه وما أشبه ذلك. وقوله: أنزل علي سورة فقرأ إلى آخرها يدلّ على أنها لم تنزل قبل ذلك، ولو كان كذلك لقال سورة الكوثر ولم يحتج إلى قراءة السورة بتمامها، فاندفع التوجيه الأول.

علم معرفة فضائل القرآن[(*)]

صنّف فيه أبو بكر بن أبي شيبة والنسائي وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الضريس وآخرون. وقد صحّ فيه أحاديث باعتبار الجملة، وفي بعض السور على التعيين، ووضع في فضائل السور أحاديث كثيرة. وصنف جلال الدين السيوطي كتابًا سماه: خمايل الزهر في فضائل السور[(٣)] حرّر فيه ما ليس بموضوع. والحديث الجامع في فضل القرآن ما أخرجه الترمذي والدارمي وغيرهما من طريق الحارث بن عبد الله الأعور[(٤)] عن عليّ: سمعت رسول الله صلى الله عليه آله وسلم يقول: «ستكون فتن. قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ

---

(١) المائدة / ٦٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة، ح٥٣، ١/ ٣٠٠.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) خمائل الزهر في فضائل السور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ).
كشف الظنون ١/ ٧٢٣.

(٤) هو الحارث بن عبدالله بن كعب بن أسد الهمداني الكوفي، الإمام أبو زهير الملقب بالأعور. توفي عام ٦٥هـ. تابعي كبير. فقيه، محدث، ثقة.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٦/ ١٦٨، العبر ١/ ٧٣، ميزان الاعتدال ١/ ٤٣٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٢، شذرات الذهب ١/ ٧٣.

به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الترداد، ولا تنقضي عجائبه. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم». ثم فضائل كل سورة سورة مذكورة في كتب التفاسير وكتب الأحاديث فليرجع إليها، فإنّ هذا الكتاب لا يحتمل بيانه.

علم معرفة فواتح السور(*)

صنف فيه ابن أبي الأصبع كتابًا سماه: الخواطر السوانح في أسرار الفواتح[1]. واعلم إنّ فواتح السور لا تخرج عن عشرة أنواع:

أحدها: الثناء عليه تعالى، وهو إما إثبات الصفات الكمالية كالتحميد في خمس سور، وتبارك في سورتين، أو التنزيه من صفات النقص وهو التسبيح في سبع سور.

وثانيها: حروف التهجي في سبع وعشرين سورة، وقد تقرّر أنها من المتشابهات.

الثالث: النداء في عشر سور، خمس بنداء الرسول وخمس بنداء الأمة.

الرابع: الجمل الخبرية في ثلاث وعشرين سورة.

الخامس: القسم في خمس عشرة سورة.

السادس: الشرط في سبع سور.

السابع: الأمر في ست سور.

الثامن: الاستفهام في ست سور.

التاسع: الدعاء في ثلاث سور.

العاشر: التعليل في لإيلاف قريش.

قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محررًا أقبل السامع على الكلام وإلّا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن. فينبغي أن يكون أعذب وأجزل وأرق وأسلس وأحسن نظمًا وسبكًا، وأصح وأوضح معنى، وأجلى من التعقيد والتقديم والتأخير واللبس وما لا يناسب البلاغة.

قالوا: وقد أتت فواتح السور كلها على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء وغير ذلك، سيّما براعة الاستهلال، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله. والعلم الأسنى في ذلك سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده.

قيل العلوم التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة:

الأصول: ومداره على معرفة الله وصفاته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ، ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[2]. ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بـ ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[3]. ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[4].

وعلم العبادات وإليه الإشارة بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[5].

وعلم السلوك وإليه الإشارة بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾[6]

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الخواطر السوانح في اسرار الفواتح، أي في فواتح السور لابن أبي الاصبع (عبد العظيم بن عبد الواحد القيرواني المصري (-٦٥٤هـ). كشف الظنون ١/ ٧٢٧.

(٢) الفاتحة / ٢ - ٣.

(٣) الفاتحة / ٧.

(٤) الفاتحة / ٤.

(٥) الفاتحة / ٥.

(٦) الفاتحة / ٥ - ٦.

وعلم القصص وإليه الإشارة بـ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ، غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[١]. فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، مع حسن الألفاظ والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة. ولله درّ الفاتحة، ما أعجب أسلوبها، وما أغزر علومها، بحيث لو جمع كما قاله علي كرم الله وجهه لكان أوقارًا من الكتب هذا قدر ما وصل إليه فهم البشر، وإلا فحقيقة لطائفها لا تفي بها قوة البشر، ولا يطلع عليها إلّا علام الغيوب.

علم معرفة فواصل الآي[*]

الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع. وفرق بين الفواصل ورؤس الآي، إذْ الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية، وقد يكون غيره. ورؤوس الآي قد يكون منفصلًا وقد لا يكون. قال الرماني في إعجاز القرآن[٢]: ذهبت الأشعرية إلى امتناع أنّ يقال في القرآن سجع، وفرقوا بأنْ السجع ما يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبًا. وتبعه على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني، ونقله عن نص أبي الحسن الأشعري. وذهب بعض من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن، وزعموا أنه مما يبين به فضل القرآن، ويقع به التفاضل في البيان، واستدلوا بأنّ موسى مع فضله على هارون، لمكان السجع قدّم عليه هارون. وردّه القاضي بأنه غير صحيح لورود قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «أسجع كسجع الكهان»[٣]، فجعله مذمومًا، وما توهّموا أنّه سجع من عدم التفرقة بين السجع والفاصلة، وقد عرفت الفرق بينهما. وأما ما ذكروه من تقديم هارون فليس للسجع، بل لإعادة القصة الواحدة بألفاظٍ مختلفة، تؤدي معنى واحدًا، وذلك من الأمر الصعب الذي تبين فيه الإعجاز، فيكون تقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها عنه لإظهار الإعجاز دون السجع؛ وكيف لا، ولو كان سجعًا لكان المشركون ذمّوا القرآن من جهة أنّ السجع عند البلغاء لا بد أنْ يكون معتدل الأجزاء، والقرآن ليس كذلك. هذا كلام القاضي وتلخيصه.

وذهب القاضي في الانتصار[٤] إلى جواز تسمية الفواصل سجعًا. وقال الخفاجي في سر الفصاحة[٥]: قول الرماني إنّ السجع عيب والفواصل بلاغة غلط، لأنه إنْ أراد أنْ السجع ما يتبع اللفظ المعنى فذلك حسن في السجع أيضًا، وإنْ أراد ما يتبع المعنى اللفظ فذلك عيب في الفاصلة أيضًا. وإنما لم يسموا القرآن سجعًا تنزيهًا عن الوصف اللاحق بكلام الكهنة.

فإنْ قيل: إذا كان السجع محمودًا فلم لم يرد

---

(١) الفاتحة /٧.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) اعجاز القرآن، صنف فيه جماعة منهم الرماني.
كشف الظنون ١/ ١٢٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب دية الجنين، ح(٣٧)، ٣/ ١٣٠، بلفظ: «اسجع كسجع الأعراب».
سنن أبي داود كتاب الديات، باب دية الجنين، ح(٤٥٧٤)، ٤/ ٧٠٠، بلفظ: «اسجع الجاهلية وكهانتها».

(٤) ورد سابقًا.

(٥) سر الفصاحة في اللغة، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي الشاعر (-٤٦٦هـ).
كشف الظنون ٢/ ٩٨٨.

القرآن كله مسجوعًا؟ قلنا: المحمود عند الفصحاء أنْ لا يكون الكلام سيّما إذا كان مع الطول مسجوعًا كله لما يكون حينئذٍ متكلفًا مستكرهًا، بل الفصيح عندهم الكلام الغير المسجوع غالبًا، ولم يخل عن السجع أيضًا في مواضع يحسن هو فيها، ولا يلزم من حسن شيء إذا قلّ حسنه مع الكثرة، كالخال في الوجه الصبيح فيقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوًا بلا تكلف، ويتنفر منه ما يكون مستمرًا على نمط واحد، ويملّ منه الطبع ولأنْ الافتنان من ضروب الفصاحة.

واعلم أنّ الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي[١] ألّف كتابًا سمّاه أحكام الرأي في أحكام الآي[٢]، وقال فيه: واعلم أنّ المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يرتكب بها أمور من مخالفة الأصول. قال: وتتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاةً للمناسبة، فعثرت منها على نيف وأربعين حكمًا.

أحدها تقديم المعمول إمّا على العامل نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣]، أو على الفاعل نحو: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾[٤]، أو تقديم خبر كان على اسمها نحو: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[٥].

والثاني تقديم ما هو مؤخر في الزمان نحو: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾[٦].

والثالث تقديم الفاضل على الأفضل نحو: ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[٧].

والرابع تقديم الضمير على ما يفسّره نحو: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[٨].

والخامس تقديم الصفة الجملة على الصفة المفرد نحو: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[٩].

والسادس حذف ياء المنقوص المعرف نحو: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[١٠].

والسابع حذف ياء الفعل غير المجزوم نحو: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾[١١].

والثامن حذف ياء الإضافة نحو: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾[١٢].

التاسع زيادة حرف المد نحو: الظنونا، والرسولا.

العاشر صرف ما لا ينصرف نحو: قواريرا.

الحادي عشر إيثار تذكير اسم الجنس نحو: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[١٣].

---

(١) قال في الفوائد البهية: محمد بن عبدالرحمن بن علي، المعروف بشمس الدين ابن الصائغ. ولد عام ٧١٠هـ، وتوفي في حادي عشر شعبان سنة ٧٧٦هـ. وفي حسن المحاضرة سنة ٧٧٧هـ، كما أرخه الكفوي. (هامش الأصل).

(٢) إحكام الراي في أحكام الآي، للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصايغ الحنبلي المعروف بابن أبي الفرس (-٧٧٦هـ). كشف الظنون ١/١٨.

(٣) الفاتحة /٥.

(٤) القمر /٤١.

(٥) الاخلاص /٤.

(٦) النجم /٢٥.

(٧) طه /٧٠.

(٨) طه /٦٧.

(٩) الاسراء /١٣.

(١٠) الرعد /٩.

(١١) الفجر /٤.

(١٢) القمر /١٦.

(١٣) القمر /٢٠.

الثاني عشر إيثار تأنيثه نحو: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[١].

الثالث عشر الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين قريء بهما في السَّبْع في غير ذلك نحو: ﴿فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[٢] ولم يجيء رشدًا في السبع[٣].

الرابع عشر ايراد الجملة التي ردّ بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الإسمية والفعلية نحو: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾[٤] الآية. وقولهم جملة فعلية وردها بجملة إسمية أي وما هم بمؤمنين.

الخامس عشر إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٥]، لم يقل الذين كذبوا.

السادس عشر إيراد أحد جزئي الجملتين على الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[٦].

السابع عشر ايثار أغرب اللفظين نحو: ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾[٧]، ولم يقل جائرة.

الثامن عشر اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٨]، وفي سورة طه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾[٩].

التاسع عشر حذف المفعول نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[١٠].

العشرون الاستغناء بالإفراد عن التثنية نحو: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ﴾[١١].

الحادي والعشرون الاستغناء به عن الجمع نحو: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[١٢]. ولم يقل أئمة.

الثاني والعشرون الاستغناء بالتثنية عن الإفراد نحو: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[١٣]. قال الفراء: أراد جنة وأنكره ابن قتيبة وأغلظ فيه، وقال: معاذ الله أن يعد الله جنتين فيجعلهما جنة واحدة لرؤس الآي. وكيف هذا وهو يصفها بصفات الإثنين قال: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۝٤٨﴾[١٤]. ونقل ابن الصائغ عن الفراء أنه أراد جنات فأطلق الإثنين في الجمع لأصل الفاصلة. وهذا هو الثالث والعشرون.

والرابع والعشرون الاستغناء بالجمع عن الأفراد نحو: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾[١٥] أي ولا خلة كما في الآية الأخرى.

الخامس والعشرون إجراء غير العاقل مجرى

---

(١) الحاقة / ٧.
(٢) الجن / ١٤.
(٣) وكذا: وهيء لنا من أمرنا رشدًا، لأن الفواصل في الصورتين محركة الوسط، وقد جاء: وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ، كذا في الاتقان. (هامش الأصل).
(٤) البقرة / ٨
(٥) العنكبوت / ٣
(٦) البقرة / ١٧٧.
(٧) النجم / ٢٢.
(٨) ابراهيم / ٥٢.
(٩) طه / ٥٤.
(١٠) الضحى / ٣.
(١١) طه / ١١٧.
(١٢) الفرقان / ٧٤.
(١٣) الرحمن / ٤٦.
(١٤) الرحمن / ٤٨.
(١٥) ابراهيم / ٣١.

العاقل نحو: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[١].

السادس والعشرون إمالة ما لا يمال كما في طه، والنجم.

السابع والعشرون الإتيان بصيغة المبالغة نحو: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٢].

الثامن والعشرون إيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٣] أوثر على عجيب.

التاسع والعشرون الفصل بين المعطوفين نحو: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[٤].

الثلاثون إيقاع الظاهر موقع المضمر نحو: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[٥]. ولم يقل أجرهم.

الحادي والثلاثون وقوع مفعول موقع فاعل نحو: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[٦] أي ساترًا.

الثاني والثلاثون وقوع فاعل موقع مفعول نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[٧] أي مرضية.

الثالث والثلاثون الفصل بين الموصوف والصفة نحو: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾[٨] أن إعراب أحوى صفة المرعى.

الرابع والثلاثون إيقاع حرف مكان غيره نحو: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[٩] مكان إليها.

الخامس والثلاثون تأخير الوصف غير الأبلغ عن الأبلغ ومن ذلك: الرحمن الرحيم، رؤف رحيم، لأنّ الرأفة أبلغ من الرحمة.

السادس والثلاثون حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾[١٠].

السابع والثلاثون إثبات هاء السكت نحو: ماليه، سلطانيه، ماهيه.

الثامن والثلاثون الجمع بين المجرورات نحو: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾[١١]، فإنّ الأحسن الفصل بينها، إلّا أنّ مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعًا.

التاسع والثلاثون العدول عن صيغة الماضي إلى صيغة الاستقبال نحو: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[١٢]. والأصل قتلتم.

الأربعون تغير بنية الكلمة نحو: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾[١٣] والأصل سيناء.

قال ابن الصائغ لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة، فإنّ القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه.

قال ابن أبي الأصبغ لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء:

أحدها: التمكين، ويسمى ائتلاف القافية، أنْ

---

(١) يوسف / ٤.
(٢) مريم / ٦٤.
(٣) صٓ / ٥.
(٤) طه / ١٢٩.
(٥) الأعراف / ١٧٠. يوسف / ٥٦ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.
(٦) الإسراء / ٤٥.
(٧) الحاقة / ٢١.
(٨) الأعلى / ٤ – ٥.
(٩) الزلزلة / ٥.
(١٠) الليل / ١٩.
(١١) الإسراء / ٦٩ هي ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا
وفي الإسراء / ٨٦ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا
(١٢) البقرة / ٨٧.
(١٣) التين / ٢.

يمهد الناثر للقرينة أو الشاعر للقافية تمهيدًا تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقًا معناها بمعنى الكلام تعلقًا تامًا، بحيث لو طرحت لاختلّ المعنى واضطرب الفهم، وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه، وأكثر فواصل القرآن من هذا القبيل، نحو قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴿١٠٣﴾﴾(١). فإنّ اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبير يناسب ما يدرك. وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

حكي أنّ أعرابيًا لم يقرأ القرآن، سمع قارئًا يقرأ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٢٠٩﴾﴾(٢)، فقال: إنْ كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، لأنّ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه.

وثانيها التصدير: وهو أنْ يكون لفظ الفاصلة بعينها تقدمت في أول الآية، ويسمى أيضًا ردّ العجز على الصدر. فهذا إمّا أنْ يوافق آخر كلمة في الصدر نحو: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٣)، أو يوافق أول كلمة منه نحو ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٤)، أو يوافق بعض كلماته نحو ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴿١٠﴾﴾(٥).

وثالثها التوشيح: وهو أنْ يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية، والفرق بينه وبين التصدير أنّ هذا دلالة معنوية وذاك لفظية نحو: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾(٦)، الآية، فإنّ من نظر إلى سلخ النهار من الليل يجزم بأنّ الآية الفاصلة: مظلمون.

ورابعها الإيغال: وقد تقدم تفسيره وتمثيله في الإطناب.

واعلم أنّ أرباب البديع قسّموا السجع ونظيره الفواصل إلى أقسام:

أحدها المعطوف، وهو أن يختلف الفاصلتان في الوزن ويتفقا في حروف السجع، نحو: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴿١٤﴾﴾(٧).

وثانيها المتوازي وهو أن يتفقا وزنًا وتقفية نحو: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴿١٤﴾﴾(٨).

وثالثها: المتوازن وهو أن يتفقا في الوزن دون التقفية نحو: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴿١٦﴾﴾(٩).

ورابعها المرصع وهو أنّ يتفقا وزنًا وتقفية ويكون ما في الأولى مقابلًا لما في الثانية كذلك نحو: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴿٢٦﴾﴾(١٠). ونحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴿١٣﴾، وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴿١٤﴾﴾(١١).

وخامسها المتماثل وهو أن يتساويا في الوزن دون التقفية ويكون إفراد الأولى مقابلة لما في

---

(١) الأنعام / ١٠٣.
(٢) صحة الآية هو فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وهي رقم ٢٠٩ من سورة البقرة. وقد قرأها الأعرابي بلفظ: غفور بدل عزيز.
(٣) النساء / ١٦٦.
(٤) آل عمران / ٨.
(٥) الأنعام / ١٠.
(٦) يس / ٣٧.
(٧) نوح / ١٣ - ١٤.
(٨) الغاشية ١٣ - ١٤.
(٩) الغاشية / ١٥ - ١٦.
(١٠) الغاشية / ٢٥ - ٢٦.
(١١) الانفطار / ١٣ - ١٤.

الثانية، فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازي نحو: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨﴾(١)، فالكتاب والصراط متوازنان، وكذا المستبين والمستقيم، واختلفا في الحرف الأخير.

وسادسها التشريع ويقال التوأم، وأصله أن يبني الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض، فإذا سقط منها جزء أو جزءان صار الباقي بيتًا من وزن آخر. وزعم قوم اختصاصه بالشعر، وقال آخرون بل يكون في النثر بأن يبنى على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تامًا مفيدًا، وإنْ ألحقت به السجعة الثانية كان فيه التمام والإفادة على حاله، مع زيادة معنى ما زاد من اللفظ، ومثلوه من القرآن بما في سورة الرحمن من قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾، لكن قيل: أنّه غير مطابق، والمثال المطابق مثل قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾(٢)، وغير ذلك من الآيات التي في أثنائها ما يصلح أن يكون فاصلة.

وسابعها لزوم ما لا يلزم ويسمّى الالتزام، وهو أن يلتزم في الشعر أو النثر حرف أو حرفان فصاعدًا قبل الروي، بشرط عدم الكلفة. مثال التزام حرفين: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾(٣)، كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق﴾(٤). ومثال التزام ثلاثة أحرف: ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ، وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾(٥).

تنبيهات:

الأول أحسن السجع، ونحوه ما تساوت قرائنه نحو: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾(٦). ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾(٧). أو الثالثة نحو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠﴾(٨) الآية.

قال ابن الأثير الأحسن في الثانية المساواة وإلّا فأطول قليلًا، وفي الثالثة أن يكون أطول. وقال الخفاجي لا يجوز أن يكون الثانية أقصر من الأولى.

الثاني أحسن السجع ما كان قصيرًا لدلالته على قوة المنشىء، وأقله كلمتان نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾(٩) الآيات. والطويل ما زاد على العشر كغالب الآيات، والمتوسط ما بينهما كآيات سورة القمر.

الثالث مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾(١٠) مع قوله: عذاب واصب وشهاب ثاقب.

الرابع كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون، وحكمته وجود التمكن من التطريب ليسهل مدّ الصوت، وجاء القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع.

---

(١) الصافات / ١١٧ - ١١٨.
(٢) الطلاق / ١٢.
(٣) الطور / ١ - ٢.
(٤) القيامة / ٢٦ - ٢٨.
(٥) الأعراف / ٢٠١ - ٢٠٢.
(٦) الواقعة / ٢٨ - ٣٠.
(٧) النجم / ١ - ٢.
(٨) الحاقة / ٣٠.
(٩) المدثر / ١ - ٢.
(١٠) الصافات / ١١.

الخامس حروف الفواصل إمّا متماثلة نحو: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾[(١)] الآيات، أو متقاربة نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[(٢)].

السادس كثر في الفواصل التضمين، وهو أن يكون ما بعد الفاصلة متعلقًا بها نحو: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ﴾[(٣)]، والإيطاء وهو تكرر الفاصلة بلفظها كقوله تعالى: في سورة الإسراء ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾[(٤)].

واعلم أنّ التضمين والإيطاء وإنْ كانا عيبين في النظم لكنهما ليسا بعيبين في النثر، يدلّ على ذلك وروده في القرآن.

علم معرفة قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر[(*)]

منها الضمائر. ألّف ابن الأنباري في الضمائر الواقعة في القرآن مجلدين، وأصل وضعها الاختصار. ولهذا قام قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[(٥)] مقام خمسة وعشرين كلمة لو أظهرها. وكذا قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ﴾[(٦)] قال مكي: ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، فإنّ فيها خمسة وعشرين ضميرًا. ومن ثم لا يعدل إلى المنفصل إلّا بعد تعذّر المتصل، إمّا في الابتداء نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[(٧)]، أو بعد إلّا نحو: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[(٨)].

ومنها مرجع الضمير. لا بد للضمير من مرجع يعود إليه، ويكون ملفوظًا سابقًا مطابقًا، نحو: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾[(٩)]، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[(١٠)]. أو متضمنًا له نحو: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾[(١١)]، فإنه راجع إلى ما تضمنه اعدلوا من العدل، أو دالًا عليه بالالتزام نحو: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾[(١٢)] أي القرآن اللازم للإنزال، أو متأخرًا لفظًا لا رتبة مطابقًا نحو: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾[(١٣)]، أو رتبة أيضًا كباب نعم وبئس وضمير الشأن والقصة، ومتأخرًا دالًا بالالتزام نحو: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾[(١٤)]، أي الشمس لدلالة الحجاب عليها. وقد يدل عليه السياق فيضمر ثقة بفهم السامع نحو: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾[(١٥)] أي الأرض أو الدنيا، ولأبويه أي الميت ولم يتقدم له ذكر. وقد يعود على لفظ

---

(١) الطور / ١ - ٢.
(٢) الفاتحة / ٣ -٤.
(٣) الصافات ١٣٧ - ١٣٨.
(٤) الإسراء / ٩٣.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٥) الأحزاب / ٣٥.
(٦) النور / ٣١.
(٧) الفاتحة / ٥.
(٨) الإسراء / ٢٣.
(٩) هود / ٤٢.
(١٠) طه / ١٢١.
(١١) المائدة / ٨.
(١٢) القدر / ١.
(١٣) طه / ٦٧.
(١٤) صۤ / ٣٢.
(١٥) الرحمن / ٢٦.

المذكور دون معناه ومثله شائع. وقد يعود على المعنى كما يعود الضمير جمعًا على من، حملًا على المعنى. وقد يذكر مثلين ويعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب كون المرجع إليه ثانيهما، نحو: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾[1] أي الصلوٰة. وقد يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين نحو: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾[2] وإنما يخرج من أحدهما. وقد يجيء الضمير متصلًا بشيء وهو لغيره نحو: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[3] يعني آدم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً﴾[4]، فهذا لولده، لأن آدم لم يخلق من نطفة. قيل: هذا هو باب الاستخدام. وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له نحو: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[5] أي ضحى يومها. وقد يعود على غير مشاهد محسوس والأصل خلافه نحو: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[6]، فضمير له عائد على الأمر وهو إذْ ذاك غير موجود، لأنه لما كان سابقًا في علم الله كونه كان بمنزلة المشاهد الموجود.

واعلم أنّ الأصل عود الضمير على أقرب مذكور إلّا أنْ يكون مضافًا ومضافًا إليه، فالأصل عوده إلى المضاف لأنه المحدث عنه نحو: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[7]. وقد يعود على المضاف إليه نحو: ﴿إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾[8]، وقد يمكن إرجاعه إلى كل منهما نحو: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾[9].

ثم الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرًا من التشتت. ولهذا قال الزمخشري إرجاع ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾[10] إلى موسى و﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾ إلى التابوت هجنة.

واعلم أن ضمير الفصل ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله تكلمًا وخطابًا وغيبة وإفرادًا، وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ. وقيل: خبر كذلك اسمًا نحو: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[11]، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾[12]، ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[13]، ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾[14]، ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا﴾[15]، ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[16]. وجوّز الأخفش وقوعه بين الحال وصاحبها وخرج عليه قراءة: هن أطهر بالنصب. وجوز الجرجاني وقوعه قبل مضارع وجعل منه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾[17]، ولا محل لضمير الفصل من الإعراب. وله

---

(١) البقرة / ٤٥.
(٢) الرحمن / ٢٢.
(٣) المؤمنون / ١٢.
(٤) المؤمنون / ١٣.
(٥) النازعات / ٤٦.
(٦) آل عمران / ٤٧.
(٧) إبراهيم / ٣٤.
(٨) غافر / ٣٧.
(٩) الأنعام / ١٤٥.
(١٠) طٰه / ٣٩.
(١١) البقرة / ٥.
(١٢) الصافات / ١٦٥.
(١٣) المائدة / ١١٧.
(١٤) المزمل / ٢٠.
(١٥) الكهف / ٣٩.
(١٦) هود / ٧٨.
(١٧) البروج / ١٣.

ثلاث فوائد: الإعلام بأنّ ما بعده خبر لا تابع. والتأكيد ولهذا سماه الكوفيون دعامة، لأنه يدعم به الكلام، أي يتقوّى ويؤكد، ولهذا لا يجمع بينه وبين التأكيد، فلا يقال: زيد نفسه هو الفاضل. والاختصاص وقال الزمخشري في: وأولئك هم المفلحون، فائدته الدلالة على أنّ ما بعده خبر لا صفة، والتوكيد وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره.

واعلم أنّ ضمير الشأن والقصة ويُسمّى ضمير المجهول. قال في المغني: خالف القياس من خمسة أوجه: أحدها عوده على ما بعده لزومًا إذْ لا يجوز للجملة المفسِّرة له أنْ يتقدم عليه ولا شيء منها. والثاني أنّ مفسِّره لا يكون إلّا جملة. والثالث أنّه لا يتبع بتابع فلا يؤكد ولايعطف عليه ولا يبدل منه. والرابع أنه لا يعمل فيه إلّا الابتداء أو ناسخه. والخامس أنه ملازم للإفراد، ومن أمثلته: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾[1]، ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾[2]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[3]. وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بأن يذكر أولًا مبهمًا ثم يفسر.

فائدة: متى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن لا ينبغي أن يحمل عليه، وخطأ ابن هشام الزمخشري في جعل اسم إنّ ضمير الشأن في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾[4] بل هو ضمير الشيطان، يؤيده قراءة وقبيله بالنصب وضمير الشأن لا يعطف عليه.

ومن القواعد إذا اجتمع في الضمير مراعاة اللفظ والمعنى، بدئ باللفظ ثم المعنى، ليكون الرجوع من الأضعف إلى الأقوى، ولا يعكس لئلا يرجع من الأقوى إلى الأضعف، لأن الحمل على المعنى أقوى، وعلى اللفظ أضعف.

ومن القواعد لا بد للمفسر من معرفة مقام التعريف والتنكير، وقد فصل في علم المعاني.

ومن القواعد إذا ذكر الاسم مرتين فله أربعة أحوال، لأنه إمّا أن يكونا معرّفتين، أو نكرتين، أو الأول معرّفة والثاني نكرة، أو بالعكس. فإن كانا معرّفتين فالثاني هو الأول غالبًا لدلالته على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ⑥﴾[5]، اللهم إلّا أنْ يراد الجنس وهو قليل. وإن كانا نكرتين فالثاني غير الأول غالبًا وإلّا لكان المناسب هو التعريف. وإنْ كان الأول نكرة والثاني معرفة فالثاني هو الأول حملًا على العهد نحو: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا، فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾[6]. وإنْ كان الأول معرفة والثاني نكرة فالأمر على القرائن، فتارة تقوم قرينة التغاير وتارة تقوم قرينة الاتحاد. ونقض هذه القاعدة بآيات كثيرة. أما الأول فبقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ⑥⓪﴾[7]. والثاني غير الأول إذْ الأول العمل والثاني الثواب. وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[8] أي القاتلة بالمقتولة. وأما الثاني فبقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[9] وكلاهما واحد ونحو ذلك. وأما

---

(١) الإخلاص / ١.
(٢) الأنبياء / ٩٧.
(٣) الحج / ٤٦.
(٤) الأعراف / ٢٧.
(٥) الشرح / ٥ - ٦.
(٦) المزمل / ١٥ - ١٦.
(٧) الرحمن / ٦٠.
(٨) المائدة / ٤٥.
(٩) الزخرف / ٨٤.

الثالث فبقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾(١). فإنّ الثاني فيهما غير الأول. قال السيوطي: لا انتقاض بشيء من ذلك، فإنّ اللام في الاحسان للجنس فيكون في المعنى كالنكرة، وكذا آية النفس كاللام في آية العسر فإنّ اللام فيها للعهد أو للاستغراق. وأما قوله تعالى: في السماء إله وفي الأرض إله من باب التكرير والإطناب، والله أعلم.

ومن القواعد الإفراد والجمع.

منها: السماء والأرض، ولم يذكر في القرآن الأرضون لثقلها، بل إنْ احتيج إليها يقال ومن الأرض مثلهن. وأما السماء فجمع عند إرادة العدد وإلّا فيفرد نحو: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾(٢) أي سكانها جميعًا، ونحو: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾(٣) أي كل واحدة على اختلاف عددها، وعند إرادة الجهة يؤتى مفردًا نحو: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾(٤).

ومنها الريح يجمع في سياق الرحمة ويفرد في ضده. وعن أبيّ بن كعب: كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب. وفي الحديث: «اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا»(٥). وحكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والهيئآت والمنافع، وإذا هاجت ريح نشر لها من مقابلها ما يكسر سورتها فينشأ من بينهما ريح لطيفة. وأما في العذاب فتأتي من جهة واحدة بلا معارض ولا دافع. وقد خرج عن هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾(٦)، وتوجيه أنه ورد في مقابلة ريح عاصف. ورب شيء يجوز في المقابلة دون الاستقلال. وأيضًا الرحمة في السفينة بوحدة الريح من وجه واحد، إذ الاختلاف يهلكها، ولهذا أكدها بقوله طيبة.

ومنها إفراد النور وجمع الظلمات، وإفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٧) لأن طريق الحق واحد وطرق الباطل متشعبة متعددة، والظلمات بمنزلة طرق الباطل والنور بمنزلة طريق الحق، بل هما هما. ولهذا وحّد ولي المؤمنين وجمع أولياء الكفار لتعددهم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(٨).

ومن ذلك إفراد النار وجمع الجنة وإفرادها، لأن النار مادة واحدة والجنان مختلفة الأنواع فحسن جمعها، ولأن الجنة رحمة والنار عذاب على حدّ الرياح والريح.

ومن ذلك إفراد السمع وجمع البصر: لأنّ السمع غلب عليه المصدرية فأفرد، والبصر اشتهر في الجارحة، ولأنّ متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة، ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق متخالفة.

ومن ذلك إفراد الصديق لقلته وجمع الشافعين لكثرته. قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾(٩).

ومن ذلك الألباب لم يقع إلّا مجموعًا لثقل مفرده لفظًا.

---

(١) هود / ٣.
(٢) الحديد / ١.
(٣) الإسراء / ٤٤.
(٤) الذاريات / ٢٢.
(٥) اتحاف الزبيدي، كتاب الأذكار والدعوات، باب الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث، ٥/١٠٣.
(٦) يونس / ٢٢.
(٧) الأنعام / ١٥٣.
(٨) البقرة / ٢٥٧.
(٩) الشعراء / ١٠٠ - ١٠١.

ومن ذلك مجيء المشرق والمغرب لأنهما قد أفردا باعتبار الجهة، وثنّيا اعتبارًا بمشرق الصيف والشتاء، وجمعا اعتبارًا بتعدد المطالع. ثم إنهما ثنيا في سورة الرحمن لكون سياقها على المزدوجين من الشمس والقمر والنجم والشجر وأمثال ذلك، وجمعا في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾(١) للدلالة على سعة القدرة والعظمة.

ومن ذلك البار في صفة الآدميين يجمع على أبرار، وفي صفة الملائكة قيل بررة، ذكره الراغب، ووجهه بأنّ الثاني أبلغ. والأخ مجموعًا يرد في النسب إخوة، وفي الصداقة إخوان، قاله ابن فارس. أورد عليه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٢) في الصداقة، ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾(٣)، ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾(٤) في النسب.

ومن القواعد مقابلة الجمع بالجمع يقتضي مقابلة الإفراد تارة ويقتضي ثبوت الجمع لكل فرد تارة. مثال الأول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾(٥)، ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾(٦)، ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾(٧). ومثال الثاني ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾(٨). وجعل منه الشيخ عز الدين ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾(٩)، ويحتمل الأمرين تارة فيحتاج إلى دليل يعين أحدهما.

ومن القواعد في ألفاظ يظن بها الترادف وليست منه.

من ذلك الخوف والخشية، ولا يكاد اللغوي يفرق بينهما، إلا أنّ الخشية أعلى من الخوف، ولذلك خصّت الخشية بالله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾(١٠). وقد يفرق بينهما بأنّ الخشية من عظم المختشى وإن كان الخاشي قويًا. والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا.

ومن ذلك الشح والبخل، والشح أشد البخل. قال الراغب: الشح بخل مع حرص، ويفرق بين البخل والضنّ بأنّ البخل في الهبات والضن بالعواري. يقال: ضنين بعلمه، ولا يقال بخيل بعلمه، لأنّ العلم لا يوهب وإنما يشبه بالإعارة.

ومن ذلك السبيل والطريق، والأول في الخير غالبًا والثاني إنّ استعمل في الخير يوصف بما يخصه به، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(١١). وقد شرط الراغب في الثاني السهولة فهو أخص.

ومن ذلك جاء وأتى، والأول في الجواهر والأعيان، والثاني في المعاني والأزمان. قال تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾(١٢)، ﴿وَجَآءُو

---

(١) المعارج / ٤٠.
(٢) الحجرات / ١٠.
(٣) النور / ٣١.
(٤) النور / ٦١.
(٥) النساء / ٢٣.
(٦) النساء / ١١.
(٧) نوح / ٧.
(٨) النور / ٤.
(٩) البقرة / ٢٥.
(١٠) الرعد / ٢١.
(١١) الاحقاف / ٣٠.
(١٢) يوسف / ٧٢.

﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾(١)، ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾(٢)، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾(٣)، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾(٤). وأما ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾(٥) أي أمره، أراد به أهوال القيامة المشاهدة، وكذا ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾(٦) لأنه كالمشاهد. قال الراغب: الاتيان مجيء بسهولة فهو أخص.

ومن ذلك مدّ وأمد، والإمداد في المحبوب غالبًا نحو: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾(٧)، والمد في المكروه نحو: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾(٨).

ومن ذلك سقى وأسقى. فالأول لما لا كلفة فيه، ولهذا ذكر في شراب الجنة نحو: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾(٩). والثاني لما فيه كلفة، ولهذا ذكر في ماء الدنيا نحو: ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾(١٠). قال الراغب: الاسقاء أبلغ لأنه ماء يستقى منه، والسقى أن يعطيه ماء يشرب.

ومن ذلك عمل وفعل. فالأول ما كان مع امتداد نحو: عملوا الصالحات، إشارة إلى مثابرتهم على الصالحات. والثاني ما يكون في طرفة عين نحو: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾(١١) أي أهلكهم في ساعة.

ومن ذلك القعود والجلوس. فالأول لما فيه لبث. والثاني بخلافه. يقال: قواعد البيت لمن يلزمها، ولا يقال جوالس البيت. ويقال جليس الملك لا قعيده، إذْ يطلب في جلوسه التخفيف.

ومن ذلك الإتمام والإكمال. فإنّ الأول في الأجزاء والثاني في الأوصاف والهيئات، مثلاً إتمام الصلاة إتيان أركانها، والإكمال تعديل أركانها، والقافية تمام البيت وكماله بصنائعه.

ومن ذلك الإعطاء والإيتاء، فإنّ الإعطاء يستعمل فيما ينتقل منه نحو: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾(١٢)، لأنه مورد ينتقل منه إلى منازل العزّ في الجنة، والايتاء يستعمل فيما له ثبات نحو: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾(١٣)، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾(١٤). ويقال: الايتاء فيما يحتاج إلى القبول، ولهذا يستعمل في الزكاة والصدقات.

ومن ذلك السَّنة والعام، فإنّ السَّنة فيما فيه شدة وجدب، والعام فيما فيه رخاء وخصب، كما قال تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾(١٥) حيث عبر عن المستثنى بالعام والمستثنى منه بالسَّنة.

ومن القواعد أمر السؤال والجواب. الأصل التطابق بينهما، وقد يعدل عنه تنبيهًا على أنه أليق بحال السائل. وسماه السكاكي الأسلوب الحكيم، وذلك يكون تارة بالزيادة في الجواب

---

(١) يوسف / ١٨.
(٢) الفجر / ٢٣.
(٣) النحل / ١.
(٤) يونس / ٢٤.
(٥) الفجر / ٢٢.
(٦) يونس / ٤٩.
(٧) الطور / ٢٢.
(٨) مريم / ٧٩.
(٩) الإنسان / ٢١.
(١٠) الجن / ١٦.
(١١) الفيل / ١.
(١٢) الكوثر / ١.
(١٣) البقرة / ٢٦٩.
(١٤) الحجر / ٨٧.
(١٥) العنكبوت / ١٤.

وتارة بالنقصان فيه. ومن هذا القبيل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾(١) تنبيهًا على أنّ الأليق بحالهم السؤال عن حكمه لا عن سببه، كذا قال السكاكي ومتابعوه. واسترسل التفتازاني في الكلام حتى قال: لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة. قال السيوطي: وما ذكروه وإنْ كان محتملًا إلّا أنّ الأصل في الجواب المطابقة، فيتعين سؤالهم عن الحكمة، لأنّ السؤال محتمل له أيضًا فلا يتعين ما ذكروه. ويؤيد ما قلناه ما أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله: لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾. فهذا صريح في أنّ سؤالهم عن حكمة ذلك لا عن كيفيته من جهة الهيئة، ولا يظن ذو دين بالصحابة الذين هم أدق فهمًا وأغزر علمًا أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة، وإنما اطلع عليها آحاد العجم الذين أطبق الناس على أنهم أقل أذهانًا من العرب بكثير. وقال السيوطي: وقد صنفت كتابًا في نقض أكثر مسائلها بالأدلة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي صعد إلى السماء ورآها عيانًا، وعلم ما حوته من عجائب الملكوت بالمشاهدة، وأتاه الوحي من خالقها، وعلم جميع الملكوتيات. نعم المثال الصحيح لهذا القسم جواب موسى ربّ السماوات والأرض عن سؤال فرعون: وما ربّ العالمين، لأنّ ما سؤال عن الجنس، وحيث لا جنس للباري تعالى أجاب بالوصف تنبيهًا على أنّ اللائق السؤال عن الوصف. ومثال الزيادة في الجواب قول موسى: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا﴾(٢) في جواب: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾. زاد في الجواب استلذاذًا بخطاب الله تعالى. ومثال النقص منه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾(٣) في جواب: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ حيث أجاب عن التبديل دون الاختراع، لأنّ التبديل في إمكان البشر دون الاختراع، فطوى ذكره للتنبيه على أنّه سؤال محال. وقال غيره: التبديل أسهل وقد نفى إمكانه، فالاختراع أولى.

واعلم أنه قد يعدل عن الجواب أصلًا إذا كان قصد السائل التعنت نحو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾(٤). قال صاحب الإفصاح(٥): الروح تقال بالاشتراك على روح الإنسان والقرآن وعيسى وجبريل وملك آخر وصنف من الملائكة، قصد اليهود التعجيز فبأي شيء أجابهم. أرادوا أن يقولوا ليس هو، فجاءهم الجواب مجملًا كيدًا ليردّ به كيدهم.

ومن القواعد أصل الجواب أنْ يعاد فيه نفس السؤال ليكون وفقه نحو: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾(٦)، فأنا في جوابه هو أنت في سؤالهم. وكذا: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ﴾(٧). ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحروف الجواب اختصارًا وتركًا للتكرار. وقد يحذف السؤال ثقة بفهم السامع بتقديره نحو: ﴿قُلْ هَلْ مِن

---

(١) البقرة / ١٨٩.
(٢) طه / ١٨.
(٣) يونس / ١٥.
(٤) الإسراء / ٨٥.
(٥) الإفصاح عن لب الفوائد والتلخيص والمصباح في المعاني والبيان، للشيخ رضي الدين محمد بن محمد العتري العامري. كشف الظنون ١/ ١٣٢.
(٦) يوسف / ٩٠.
(٧) آل عمران / ٨١.

شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾(١). ولما لم يستقم كون السؤال والجواب من واحد تعيّن أن يكون: قل الله، جواب سؤال، كأنهم سألوا لما سمعوا ذلك فمن يبدأ الخلق ثم يعيده.

ومن القواعد الأصل في الجواب أن يكون مشاكلًا للسؤال في الإسمية والفعلية، وكذا في السؤال المقدّر، إلّا أنْ ابن مالك قدّر الجواب فعلًا في جواب من قال: من قرأ آية، ثم قال: وإنما لم نقدره إسمًا مع احتماله جريًا على عادتهم في الأجوبة إذا قصدوا إتمامها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٢)، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾(٣)، فلما أتى بالفعلية مع فوات مشاكلة السؤال علم أنّ تقدير الفعل أولًا أولى. وقال ابن الزملكاني في البرهان: أطلق النحويون القول بأنّ زيدًا في جواب: من قام، فاعل، على تقدير قام زيد. والذي توجبه صناعة علم البيان أنه مبتدأ لوجهين: أحدهما: أنه يطابق الجملة المسئول بها في الاسمية كما وقع التطابق في قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾(٤) في الفعلية. وإنما لم يقع التطابق في قوله تعالى: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾(٥) لأنهم لو طابقوا لكانوا مقرين بالإنزال وهم من الإذعان به على مفاوز. الثاني أن اللبس عند السائل من فعل الفاعل، فوجب أن يقدم الفاعل في المعنى لأنه متعلق غرض السائل. وأما الفعل فمعلوم عنده ولا حاجة به إلى السؤال عنه، فجرى أن يقع في الأواخر التي هي محل التكملات والفضلات. وأشكل على هذا: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾(٦) في جواب. ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا﴾(٧) فإنّ السؤال عن الفاعل وصدر الجواب بالفعل. وأجيب بأنّ الجواب مقدّر دلّ عليه السياق، إذْ كلمة بل لا يصح أنْ يصدر بها الكلام، والتقدير ما فعلته بل فعله. قال الشيخ عبد القاهر: وحيث كان السؤال ملفوظًا به فالأكثر ترك الفعل في الجواب والاقتصار على الإسم وحده، وحيث كان مضمرًا فالأكثر التصريح به لضعفه عن الدلالة عليه. ومن غير الأكثر ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ، رِجَالٌ﴾(٨) في قراءة البناء للمفعول.

ومن القواعد: الخطاب بالاسم والخطاب بالفعل مختلفان، إذْ الإسم يدلّ على الثبوت والاستمرار، والفعل يدلّ على التجدد والحدوث، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر. ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾(٩) إذْ المقام لبيان ثبوت هذه الصفة للكلب لا مزاولته لها شيئًا فشيئًا. وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾(١٠) إذْ المقام بيان أنّ الرزق يتجدد شيئًا فشيئًا. وقد يورد الحال في صورة المضارع مع

(١) يونس / ٣٤.
(٢) يٓس / ٧٨ - ٧٩.
(٣) الزخرف / ٩.
(٤) النحل / ٣٠.
(٥) النحل / ٢٤.
(٦) الأنبياء / ٦٣.
(٧) الأنبياء / ٦٢.
(٨) النور / ٣٦ - ٣٧.
(٩) الكهف / ١٨.
(١٠) فاطر / ٣.

أنّ العامل الذي يفيده ماض نحو: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾(١) إذ المراد أن يفيد صورة ما هم عليه وقت المجيء وأنهم آخذون في البكاء يجددونه شيئًا بعد شيء، وهو المسمّى حكاية الحال الماضية. ولما كان للإيمان حقيقة يقوم بالقلب، يدوم مقتضاها، عبّر عنه بالمؤمنين. وكذا الحال في: المتقون، بخلاف النفقة فإنّها لتجددها وكونها أمرًا فعليًا شأنه الانقطاع عبّر بالذين ينفقون، وكذا الحال في نظائرها. وبهذا يشكل نحو علم الله وسائر صفاته القديمة فإنّها لا تتجدد مع أنه يستعمل فعلًا. ويدفع هذا بأنّ معنى نحو علم وقوع علمه في الماضي أعم من أن يستمر قبل ذلك أو بعده أم لا. ولهذا قال تعالى حكاية عن ابراهيم: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي﴾(٢) بالماضي لأنه أمر مفروغ منه، ثم ذكر: فهو يهديني ويسقيني ويشفيني، بالمضارع لأنها متكررة متجددة تقع مرة بعد أخرى. وأيضًا مضمر الفعل فيما ذكر كمظهره. قال أبو المطرف بن عميرة: دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد والحدوث أمر مشهور لا مستند له، فإنّ الاسم إنما يدلّ على معناه فقط، وأما أنه يثبت المعنى للشيء فلا. قال ابن المنير: طريقة العرب تلوين الكلام ومجيء الفعلية تارة والاسمية أخرى من غير تكلف لما ذكروه.

ومن القواعد المصدر المنصوب يفيد الوجوب والمرفوع الندب، لأن الجملة الاسمية أثبت وآكد. قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾(٣) يدلّ على الوجوب. قال سلام على الندب، ونظائر هذا كثيرة في القرآن.

ومن القواعد العطف إمّا على اللفظ وهو الأصل، وشرطه إمكان توجّه العامل على المعطوف، وإما على المحل، وله شروط أحدها: إمكان ظهور ذلك المحل في الفصيح، فلا يجوز: مررت بزيد وعمروًا لأنه لا يجوز مررت زيدًا. وثانيها: أنْ يكون الموضع بحق الأصالة، فلا يجوز: هذا الضارب زيدًا وأخيه، لأنّ الوصف المستوفي شروط العمل الأصل إعماله لا إضافته. وثالثها: وجود المجوز أي الطالب لذلك المحل، فلا يجوز إنّ زيدًا وعمرو قاعدان، لأنّ الطالب رفع عمرو هو الابتداء وقد زال بدخول إنّ. وعطف على التوهم نحو: ليس زيد قائمًا ولا قاعد بالخفض على توهم دخول الباء في الخبر. وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم. وشرط حسنه كثرة دخوله هناك، وقد وقع هذا العطف في المجرور في قول زهير:

بدا لي أني لست مدرك ما مضى
ولا سابق شيئًا إذا كان جائيًا

واعلم أنّ ابن مالك ظنّ أنّ المراد بالتوهم الغلط وليس كذلك، كما نبه عليه أبو حيان وابن هشام، بل هو مقصد صواب. والمراد أنّه عطف على المعنى أي جوز العربي في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه، فعطف ملاحظًا له، لا أنّه غلط في ذلك. ولهذا كان الأدب أن يقال في مثل ذلك في القرآن إنّه عطف على المعنى.

واعلم أنّ القوم اختلفوا في جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه، فمنعه البيانيون وابن مالك وابن عصفور، ونقله عن الأكثرين. وأجازه الصفار وجماعة مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٤) في سورة البقرة،

---

(١) يوسف / ١٦.
(٢) الشعراء / ٧٨.
(٣) هود / ٦٩.
(٤) البقرة / ٢٥.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١] في سورة الصف. قال الزمخشري: في الأولى إنه عطف جملة ثواب المؤمنين على جملة عقاب الكافرين، وفي الثانية، إنّ العطف على تؤمنون لأنه بمعنى آمنوا. ورَدّ بأنّ الخطاب به للمؤمنين وببشر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبأن الظاهر في تؤمنون أنّه تفسير للتجارة لا طلب. وقال السكاكي: الأمران معطوفان على قلْ مقدّرة قبل بائها وحذف القول كثير.

وأيضًا اختلفوا في عطف الاسمية على الفعلية وعكسه، فالجمهور على الجواز، وبعضهم على المنع. وقد لهج به الرازي في تفسيره كثيرًا. ورُدَّ به على الحنفية القائلين بتحريم أكل متروك التسمية آخذًا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾[٢] الآية، وقال: حجة للجواز لا للتحريم، وذلك لأنّ الواو الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ ليست للعطف، لتخالف الجملتين في الاسمية والفعلية، ولا للاستئناف لأنّ الواو تقتضي الربط، فهي للحال فتكون مفيدة للنهي، أي: لا تأكلوا حال كونه فسقًا. والفسق فسّره الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[٣]، فالمعنى لا تأكلوا إذا سمّى عليه غير الله، ومفهومه كلوا منه إذا لم يسم عليه غير الله، إنتهى.

واختلف في جواز العطف على معمولي عاملين. واختلف أيضًا في جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار. وتفصيل هاتين المسئلتين مفصّل في علم النحو فارجع إليه.

واعلم أنا قد أطنبنا في هذا الباب من هذا الكتاب لاشتماله على لطائف قلما توجد في كتاب، فليعذرني من رآه من الطلاب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

علم معرفة كنايات القرآن وتعريضاته(*)

وهما عند أهل البيان من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة. وقد تقرر أنّ الكناية أبلغ من التصريح. وعرّفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه. قال الطيبي: ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه في اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم. وأنكر وقوعها في القرآن من أنكر المجاز فيه بناءً على أنها مجاز، وقد تقدم الخلاف في ذلك.

وللكناية أسباب:

أحدها: عظم القدرة نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٤]، كنى بها عن آدم.

وثانيها: ترك اللفظ إلى ما هو أجمل نحو: ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[٥]، كنى بها عن المرأة، ترك التصريح بذكر النساء أجمل.

وثالثها: يقبح ذكر الصريح نحو الملامسة التي هي كناية عن الجماع.

ورابعها: قصد البلاغة والمبالغة نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٦]، كناية عن سعة جوده وكرمه جدًا.

وخامسها: قصد الاختصار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ فعل نحو: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾[٧]،

---

(١) الصف / ١٣.
(٢) الأنعام / ١٢١.
(٣) الأنعام / ١٤٥.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٤) الأعراف / ١٨٩.
(٥) صٓ / ٢٣.
(٦) المائدة / ٦٤.
(٧) البقرة / ٢٤.

أي فإنْ لم تأتوا بسورة من مثله.

وسادسها: التنبيه على مصيره نحو: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[١]، أي جهنمي مصيره إلى اللهب.

واعلم أنّ الإرداف من أنواع البديع، وهو أن يترك لفظ المعنى الموضوع هو له إلى ما يرادفه، يشبه الكناية، والفرق بينهما أنّ الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم، والإرداف من مذكور إلى متروك. مثال الإرداف قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[٢]، والأصل جلست، وعدل إلى استوت لأنه جلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل. وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس، وله نظائر كثيرة جدًا.

ثم اعلم أنّ التعريض أنْ يذكر شيئًا يدلّ به على شيء لم يذكره. وقيل الكناية اللفظ الدال على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما، والتعريض اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي، كقول من يتوقع صلة: والله إني محتاج، فإنه تعريض بالطلب، مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازًا، وإنما فهم من عرض اللفظ أي جانبه، هكذا ذكر ابن الأثير. ومثال التعريض: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا﴾[٣]، نسب الفعل إلى كبيرهم كأنه غضب أنْ تعبد الصغار معه تلويحًا لعابديها بأنّها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل، والإلآه لا يكون عاجزًا، فهو حقيقة أبدًا. قال السبكي: التعريض قسمان: قسم يراد به معناه الحقيقي ويشار به إلى المعنى الآخر المقصود، وقسم لا يراد به بل يضرب مثلًا للمعنى الذي هو مقصود التعريض، كقول إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا.

علم معرفة كيفية إنزال القرآن(*)

وفيها ثلاثة أقوال: الأول وهو الأصح الأشهر: نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجمًا في ثلاث أو خمس وعشرين أو عشرين، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة.

الثاني أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، ثم نزل بعد ذلك منجمًا في جميع السنة، وهذا القول نقله مقاتل وقال به الحليمي والماوردي. وذكره فخر الدين الرازي بقوله: ويحتمل، ثم توقف: هل هذا أولى أو الأول.

والثالث: أنه ابتدىء إنزاله ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجمًا في أوقات مختلفة من سائر الأوقات. وها هنا قول رابع غير مشهور وهو أنه نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ، إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرين سنة.

واعلم أنّ العلماء اختلفوا في معنى الإنزال. منهم من قال: إظهار القراءة. ومنهم من قال: ألهم كلامه جبريل وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض. ومنهم من قال: يتلقفه الملك من الله تلقفًا روحانيًا أو يحفظه من اللوح المحفوظ، فينزل به إلى الرسول ويلقيه عليه. ومنهم من قال: الذين يقولون: القرآن معنى قائم بذاته تعالى يقولون: إنزاله إيجاد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى وإثباته في اللوح. والذين

---

(١) المسد / ١.

(٢) هود / ٤٤.

(٣) الأنبياء / ٦٣.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن علوم الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

يقولون: إنه اللفظ فإنزاله مجرد إثباته في اللوح.

ثم في المنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أقوال: أحدها: أنه اللفظ والمعنى. وثانيها: أن جبريل نزل بالمعاني خاصة، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم علمها وعبّر عنها بلغة العرب، وتمسك بظاهر قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾(١). وثالثها: أنّ جبريل ألقى عليه المعنى، وأنه عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماء يقرؤنه بالعربية، ثم نزل به كذلك بعد ذلك.

ومنهم من قال: كلام الله المنزل قسمان: قسم قال الله تعالى لجبريل عليه السلام: قل له كذا وكذا، فيجوز تعبيره بعبارة نفسه. وقسم قال له: إقرأ عليه كذا وكذا، فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفًا. فالقرآن هو القسم الثاني. والقسم الأول هو السُّنة، كما ورد أنّ جبريل نزل بالسُّنة كما ينزل بالقرآن، ولهذا لم يجز تغيير نظم القرآن وجاز تغيير لفظ السُّنة.

واعلم أن في التنزيل طريقين: أحدهما: انخلاع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من صورة البشرية إلى صورة الملكية، ثم أخذه من الملك. وثانيهما: تمثل الملك بصورة البشرية حتى يأخذه الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم منه. والأول أصعب الحالين. ثم كيفية سماعه على وجوه: تارة يسمعه كصلصلة الجرس، وهذه الحالة أشد الحالات عليه. وعن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مرة يوحى إليَّ إلّا ظننت أنّ نفسي تقبض»(٢). قيل إنما ينزل كذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد. وتارة ينفث في روعه الكلام نفثًا كما قال: «إنّ روح القدس نفث في روعي»(٣). وتارة يأتيه في صورة الرجل فيكلمه كما قال: «وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول»(٤). وفي رواية: «وهو أهونه علي». وتارة يأتيه الملك في النوم، وتارة يكلمه الله، إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء، أو في النوم كما في حديث معاذ: «أتاني ربي فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى»(٥)، الحديث. وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم.

فائدة: عن سفيان الثوري قال: لم ينزل وحي إلّا بالعربية، ثم ترجم كل نبي لقومه.

علم معرفة كيفية تحمل القرآن(*)

اعلم أنّ حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة لئلا ينقطع عدد التواتر فيه، فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف. وتعليمه أيضًا فرض كفاية، وهو من أفضل القرب. ففي الصحيح: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٦). وأوجه التحمل عند أهل الحديث السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة والإجازة والمكاتبة والوصية والإعلام والوجادة. وأما عند القراء فلا يتأتى غير الأولين.

---

(١) الشعراء/١٩٣ - ١٩٤.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ٦/٢٧٨.

(٣) البغوي، شرح السنة، ح٤١١٢، ٤/٣٠٤.

(٤) الصحيحين، وصحيح ابن عوانة مع زيادة فيه. البخاري، بيان كيفية الوحي، ح٢، ١/٣. وذكر السيوطي في شرح سنن النسائي أن أبا عوانة زاد في صحيحه قوله صلى الله عليه وسلم: «وهو أهون عليّ». سنن، النسائي، كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن، ح٩٣٣، ٢/٢٤٦.

(٥) الدارمي، سنن، كتاب الرؤيا، باب في رؤية الله تعالى في النوم، ١٢٦.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن، ح٤٦، ٦/٢٣٠.

أما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفًا وخلفًا.

وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به ها هنا لأنّ الصحابة إنما أخذوا القرآن من في النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، لكن لم يأخذ به أحد من القراء لاحتياجهم على التمرن في الأداء، وعدم احتياج الصحابة إلى ذلك، لنزول القرآن بلغتهم وقدرتهم على الأداء لفصاحتهم.

وأما الحديث فلما كان المقصود منه المعنى أو اللفظ لا الهيئآت اكتفوا فيها بالسماع سلفًا وخلفًا. ومما يدلّ على فضيلة القراءة على الشيخ عرض النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم القرآن على جبريل في رمضان كل عام.

يحكى أنّ الشيخ شمس الدين الجزري لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لقراءة الجميع، فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة، فلم يكتف بقراءته. ويجوز القراءة على الشيخ عند قراءة غيره عليه إذا كان بحيث لا يخفى عليه حالهم، كما كان الشيخ علم الدين السخاوي يقرأ عليه إثنان وثلاثة في أماكن مختلفة، وهو يردّ على كل منهم. وكذا لو كان الشيخ مشتغلًا بشغل آخر كنسخ ومطالعة. وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط بل يكفي ولو من المصحف. ثم إنّ قدر ما يقرأ حال الأخذ عشرة آيات لكائن من كان وعليه الصدر الأول. وأما من بعدهم فبقدر قوة الآخذ. وعند ابن الجزري الأخذ في الإفراد بجزء من أجزاء مائة وعشرين، وفي الجمع من أجزاء مائتين وأربعين، ولم يحدّ له آخرون حدًا وهو اختيار السخاوي.

قيل لا يجوز رواية الحديث بدون الإجازة. وأما القرآن ففيه وجهان: في وجه لا يجوز لأن الاحتياط فيه أكثر. وفي وجه يجوز وهو الظاهر، إذْ القرآن محفوظ متلقى متداول ميسّر، ولا كذلك الحديث. وأما إقراء العلوم وإفادتها وكذا الإفتاء فلا يشترط الإجازة بل الأهلية لها فقط، وعلى ذلك السلف الصالح والصدر الأول. وإنما اصطلح الناس على الإجازة ليعرف المبتدىء أهلية الشيخ، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ المجاز بالأهلية.

ومما وجب معرفته ها هنا أنّ أخذ المال في مقابلة الإجازة لا يجوز، وما أخذه من المال حرام، بل إنْ علم أهليته تجب الإجازة وإنّ علم خلافها تحرم. وأما أخذ الأجرة على التعليم فجائز. وفي البخاري «إنّ أحق ما أخذ تم عليه أجرًا كتاب الله»[1]. وقيل: إنّ تعيّن عليه لم يجز. وقيل لا يجوز مطلقًا، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله. إلّا أنّ المتأخرين من أصحابه قالوا: لا بأس في أخذ الأجرة على تعليم القرآن وللتدريس لظهور التواني والتكاسل في هذا الزمان، ولو منع ذلك لانسدّ هذا الباب.

علم معرفة ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه(*)

مثال الأول قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾[2]. فالسورة مكية وقد ظهر أثر الحلّ يوم فتح مكة، حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أحلت لي ساعة من نهار»[3]. وكذلك نزل بمكة ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشرط في الرقية، ح٥٢، ٧/ ٢٤١.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) البلد / ١ – ٢.

(٣) مجمع الهيثمي، كتاب الحج، باب في حرمة مكة..، ٣/ ٢٨٣، بلفظ: «... لي مكة ساعة...».

ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[١]. قال عمر رضي الله عنه: فأي جمع؟ فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آثارهم مصلتًا بالسيف يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر. فكانت ليوم بدر. ومثال الثاني آية الوضوء فالآية مدنية إجماعًا، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلوٰة. قيل والحكمة فيه أن فرض أولًا ثم نزلت الآية ليكون فرضه متلوًا، وكآية الجمعة فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة.

علم معرفة ما تكرر نزوله(*)

قال الزركشي في البرهان: قد ينزل الشيء مرتين تعظيمًا لشأنه وتذكيرًا عند حدوث سببه خوف نسيانه. والحكمة في هذا أنّه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة يقتضي نزول آية وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فيوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الآية بعينها تذكيرًا لهم بها وما بها تتضمن هذه، والأحرف السبعة للقرآن من قبيل تكرار النزول. وبهذا عرفت بطلان ما قيل: ليس في القرآن ما هو مكرر النزول إذْ لا فائدة فيه لأنه تحصيل الحاصل.

علم معرفة ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم(**)

ومن الثاني فاتحة الكتاب وآية الكرسي وخاتمة البقرة. روى مسلم عن ابن عباس: «أتى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ملك فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة»[٢]. وفي بعض الأحاديث ذكر الكرسي وخواتيم سورة البقرة. ومن الأول: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾﴾[٣]. وعن أبي ميسرة[٤]: أنّ أول سورة الجمعة مكتوب في التوراة. وعن زيد أنّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، لم ينزل على نبي بعد سليمان غيري»[٥]. وعن كعب أول ما أنزل في التوراة عشر آيات من سورة الأنعام: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ﴾[٦] إلى آخرها. وعنه أيضًا: فاتحة التوراة فاتحة الأنعام، وخاتمتها خاتمة هود: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[٧] إلى آخرها. وعنه فتحت التوراة بأول الأنعام إلى قوله يعدلون، وختمت بالحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا إلى قوله: وكبره تكبيرًا. وعن عبد الله بن عمرو

---

(١) القمر / ٤٥.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين. باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، ح٢٥٤، ١/ ٥٥٤.

(٣) الأعلى / ١.

(٤) هو عمرو بن شرحبيل، أبو ميسرة الهمداني الكوفي. توفي أيام عبيد الله بن زياد، من كبار التابعين. راوٍ. زاهد. له أخبار وصحبة. انظر عنه: طبقات ابن سعد ٦/ ١٠٦، حلية الأولياء ٤/ ١٤١، تهذيب التهذيب ٨/ ٤٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٣٥.

(٥) المتقي الهندي، كنز العمال، كتاب التفسير، باب في فضائل السور والآيات والبسملة. ح٢٤٩٢، ١/ ٥٥٦، بلفظ: «ألا أنبئك بآية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داوود غيري، بسم الله الرحمن الرحيم». (وعزاه الطبراني في الكبير عن سليمان بن بريدة عن أبيه).

(٦) الأنعام / ١٥١.

(٧) هود / ١٢٣.

بن العاص قال: «إنه يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونبيًا وحرزًا للأميين»، الحديث. وعن أبي إمامة قال: أنزل الله على إبراهيم كما أنزل على محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «التائبون العابدون» إلى قوله: و«بشر المؤمنين». و: «قد أفلح المؤمنون». إلى قوله: «فيها خالدون»، و: «إنّ المسلمين والمسلمات...» الآية، والتي في: «سأل سائل»، و«الذين هم على صلاتهم دائمون» إلى قوله تعالى: قائمون. فلم يف بهذه السهام إلّا إبراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهما وآلهما وسلم.

علم معرفة ما نزل على لسان بعض الصحابة(*)

هو في الحقيقة من أسباب النزول، وقد أفرد بالتصنيف جماعة موافقات عمر. قال عمر رضي الله عنه: «وافقت ربي في ثلاث. قلت يا رسول الله: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾[1]. وقلت: يا رسول الله. إنّ نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب. واجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه إنْ طلقكن أنْ يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت كذلك»[2]. وأمثال هذه كثيرة يعرفها من تتبع كتب الأحاديث.

علم معرفة ما نزل مشيعًا وما نزل مفردًا(**)

وغالب القرآن نزل به جبرئيل مفردًا بلا تشييع. وأما المشيّع فسورة الأنعام شيعها سبعون ألف ملك. وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك. وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك. وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك. وآية: واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا. نزلت ومعها عشرون ألف ملك. قيل: وسورة الكهف أيضًا شيّعها سبعون ألف ملك.

علم معرفة مانزل مفرقًا وما نزل جمعًا(***)

مثال الأول: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، أول ما نزل إلى قوله تعالى: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[3]. ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أول ما نزل منها إلى قوله تعالى: ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾[4]. مثال الثاني: سورة الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، وتبّت، والمعوذتان نزلتا معًا، والنصر، ولم يكن، هذا كله في السور القصار. وفي الطوال المرسلات، وسورة الصف، وسورة الأنعام.

علم معرفة ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب(****)

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) البقرة / ١٢٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، ح(٢٤)، ٤/ ١٨٦٥.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) العلق / ١ - ٥.

(٤) الضحى / ١ - ٥.

(****) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

اعلم أنه تعالى ذكر من أسماء الأنبياء والمرسلين خمسة وعشرين وهم مشاهيرهم. فلنذكر أسماءهم تبركًا بذكرهم ورجاء بركتهم.

أولهم آدم أبو البشر، سُمّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض. وقيل: إسم سرياني أصله آدام، بوزن خاتام، ثم عرّب بحذف الألف الثانية. قال الشعبي: التراب بالعبرانية آدام فسمّي به. عاش تسع مائة سنة وستين سنة. وقيل: ألف سنة.

ومنهم نوح. قال الجواليقي: أعجمي معرّب. زاد الكرماني: ومعناه بالسريانية الساكن. قال الحاكم في المستدرك سمّي نوحًا لكثرة بكائه على نفسه، واسمه عبد الغفار. قال: وأكثر الصحابة على أنه قبل إدريس، وهو نوح بن لَمْك بفتح اللام وسكون الميم والكاف بعدها، ابن مَتّوشلخ، بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة، بعدها واو، وفتح الشين المعجم واللام بعدها معجمة، ابن أخَنُوخ بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة، بعدها واو ساكنة، ثم معجمة، وهو إدريس فيما يقال. وقيل: بين آدم ونوح عشرة قرون. بعثه الله لأربعين سنة، فلبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عامًا، يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا، وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عامًا. وفي التهذيب للنووي أنه أطول الأنبياء عمرًا.

ومنهم إدريس. قيل: إنه قبل نوح، وقيل: كان أول نبي أعطي النبوة، وهو أخنوخ بن برد بن مهلائيل بن أنوش بن قينان بن شيت بن آدم. قال وهب: إدريس جدّ نوح الذي يقال له خنوح، وهو اسم سرياني، وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة دراسته الصحف[1].

ومنهم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ألقي يوسف في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة، ولقي أباه بعد الثمانين، وتوفي وله مائة وعشرون سنة. وفي الصحيح أنه أعطى شطر الحسن. والصواب أنه عجمي لا اشتقاق له. وفي يوسف ست لغات، تثليث السين مع الياء[2].

ومنهم لوط. قال ابن اسحاق: هو لوط بن هاران بن آزر. وعن ابن عباس: لوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام.

ومنهم هود. اسمه عامر بن ارفخشد بن سام ابن نوح. وقيل: هود بن عبدالله بن رباح بن حاذ بن عاد بن عوص بن آزر بن سام بن نوح عليه السلام. قال كعب: كان أشبه الناس بآدم عليه السلام. قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رجلًا جلدًا.

ومنهم صالح. وهو ابن عبدالله بن رباح بن ثمود بن جابر بن سام بن نوح عليه السلام. بعث إلى قومه حين راهق الحلم، وكان رجلًا أحمر إلى البياض، سبط الشعر، فلبث فيهم أربعين عامًا، وكان من العرب، بعث إلى ثمود بعد هلاك عاد. كان غلامًا شابًا، دعاهم إلى الله حتى شمط وكبر، ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبي إلّا هود وصالح، فأقام فيهم عشرين سنة، ومات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

ومنهم شعيب. وهو ابن ميكائيل. وقيل: ابن ملكاين. وقيل: ابن ميكيل بن بشحن بن لاوي ابن يعقوب. وقيل: ميكيل بن يسجن بن مدين بن ابراهيم الخليل عليه السلام. كان يقال له خطيب الأنبياء، وبعث رسولًا إلى أمتين: مدين وأصحاب الأيكة، وكان كثير الصلوٰة، وعمي في

---

(١) وهي بحاجة إلى تمحيص، لأنه من غير المعقول أن يكون هناك كتابة، ومن ثم صحائف تقرؤ في هذا الزمن المتقدم. (هامش النسخة المصرية). ونقول: لعل ذلك من الصحف التي تنزلت على الأنبياء من لدن الله تعالى، والله أعلم.

(٢) لا يدري وجه ترك ذكر إبراهيم وابنيه اسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام، وكان محل ذكرهم قبل يوسف عليه السلام. (هامش الأصل). ولعل ذلك سهو من المؤلف رحمه الله.

أخر عمره. واختلف في أنّ مدين وأصحاب الأيكة واحد وقيل اثنان. واحتج الأول بأن كلًا منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان. والثاني بما روي عن السُّدّي وعكرمة أنهما قالا: ما بعث الله نبيًا مرتين إلّا شعيبًا، مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة، ومرة إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلّة. وقيل بعث إلى ثلاث أمم، الثالثة أصحاب الرَّسّ.

ومنهم موسى. هو ابن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام. لا خلاف في نسبه، وهو اسم سرياني. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الماء بالقبطية مو، والشجر سا، وإنما سمّي موسى لأنه ألقي بين شجر وماء. وفي الصحيح «أنه آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة». قال الثعلبي: عاش مائة وعشرين سنة.

ومنهم هارون، أخوه شقيقه. وقيل: لأمه فقط، وقيل: لأبيه فقط. كان أطول منه فصيحًا جدًا. مات قبل موسى، وكان ولد قبله بسنة. وفي وصفه في حديث الإسراء في بعض الروايات: «نصف لحيته بيضاء ونصفها أسود، تكاد لحيته تضرب سرته من طولها. فقلت: يا جبرائيل من هذا؟ قال: المحبب في قومه هارون ابن عمران». ذكر ابن مسكويه أن معنى هارون بالعبرانية المحبب.

ومنهم داود هو ابن إيشا، بكسر الهمزة وسكون التحتية، وبالشين المعجمة، ابن عوبد بوزن جعفر بمهملة وموحدة ابن باعر بموحدة ومهملة مفتوحة، ابن سلمون بن يحشون بن عمي بن ياب بتحتية وآخره موحدة، ابن رام بن حضروت بمهملة ثم معجمة، ابن فارص بفاء واحدة وصاد مهملة، ابن يهوذا بن يعقوب. في الترمذي: «أنه كان أعبد البشر». قيل: وكان أحمر الوجه، سبط الرأس، أبيض الجسم، طويل اللحية، فيها جعودة، حسن الصوت والخلق، وجمع له النبوة والملك. عاش مائة سنة، مدة ملكه منها أربعون سنة، وكان له اثنا عشر ابنًا.

ومنهم سليمان ولده. قال كعب: كان أبيض جسيمًا وسيمًا وضيئًا جميلًا خاشعًا متواضعًا، وكان أبوه يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه لوفور عقله وعلمه. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ملك الأرض مؤمنان: سليمان وذو القرنين، وكافران: نمرود وبخت نصر. ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين، ومات له ثلاث وخمسون سنة.

ومنهم أيوب. الصحيح أنه من بني إسرائيل، ولم يصح في نسبه شيء، إلّا أنّ اسم أبيه أبيض. قال ابن جرير: هو أيوب بن موص بن روح بن عيص بن اسحاق. وحكى ابن عساكر أنّ أمه بنت لوط، وأنّ أباه ممن آمن بإبراهيم، وعلى هذا يكون قبل موسى. قال ابن جرير: كان بعد شعيب. وقال ابن أبي خيثمة: كان بعد سليمان، ابتلي وهو ابن سبعين، وكان مدة بلائه سبع سنين، وقيل ثلاث عشر، وقيل ثلاث سنين. روى الطبراني أن عمره كان ثلاثًا وتسعين سنة.

ومنهم ذو الكفل. قيل: هو ابن أيوب. قيل: بعث بعد أيوب ابنه بشر نبيًا وسماه الله ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وأقام بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة. قيل: هو الياس. وقيل: يوشع بن نون. وقيل: نبي اسمه ذو الكفل. وقيل: كان رجلًا صالحًا تكفل بأمور فوفَى بها. وقيل: هو زكريا لقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. وقال ابن عساكر: نبي تكفل الله له في عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء. وقيل: لم يكن نبيًا وإنّ أليسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل. وقيل: أن يصلي كل يوم مائة ركعة. وقيل: هو أليسع وإنّ له إسمين.

ومنهم يونس. هو ابن متى بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية مقصور. وفي تفسير عبد الرزاق: إنه اسم أمه. قال ابن حجر: وهو مردود. وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ نسبته إلى أبيه، كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس، ولبث في بطن الحوت أربعين يومًا. وعن جعفر الصادق سبعة أيام. وعن الشعبي قال: التقمه ضحى ولفظه عشية. وفي يونس ست لغات: تثليث النون مع الياء والهمزة، والقراءة المشهورة بضم النون مع الياء. قال أبو حيان: قرأ طلحة بن مصرف: بكسر يونس ويوسف مشتقين من آنس وأسف على جعلهما عربيين وهو شاذ.

ومنهم الياس. هو ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون، أخي موسى بن عمران. حكى القتبي أنه من سبط يوشع. قال وهب: إنه عمّر كما عمر الخضر وإنه يبقى إلى آخر الدنيا. وقيل: روي عن ابن مسعود أنه إدريس، وهو بهمزة قطع عبراني. وزيد في آخره ياء ونون في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[1]، كما قالوا في إدريس إدريسين. ومن قرأ آل ياسين فقيل: المراد آل محمد ﷺ.

ومنهم أليسع. قال ابن جرير: هو ابن اخطوب بن العجوز. قال: والعامة يقرؤنه بلام واحدة مخففة. وقرىء: والليسع بلامين وبالتشديد، فعلى هذا فهو أعجمي، وكذا على الأول. وقيل: عربي منقول من الفعل من وسع يسع.

ومنهم زكرياء، من ذرية سليمان بن داود وقتل بعد قتل ولده، وكان له يوم بشر بولده اثنتان وتسعون سنة أو تسع وتسعون أو مائة وعشرون، وهو إسم أعجمي، وفيه خمس لغات، أشهرها المد، والثاني القصر، وقرىء بهما في السبع. وزكريّ بتشديد الياء وتخفيفها وزكر كقلم.

ومنهم يحيى، ولده، أول من سمّي بيحيى بنص القرآن. ولد قبل عيسى لستة أشهر، ونبىء صغيرًا، وقتل ظلمًا، وسلّط الله على قاتليه بخت نصر وجيوشه، وهو اسم أعجمي. وقيل: عربي، وعلى القولين لا ينصرف، وعلى كونه عربيًا إنّه سمّي به لأنه أحياه الله بالإيمان، أو لأنه حيي به رحم أمه، أو لأنه استشهد والشهداء أحياء. وقيل: معناه يموت كالمفازة للمهلكة والسليم للديغ.

ومنهم عيسى بن مريم بنت عمران، خلقه الله بلا أب، وكانت مدة حمله ساعة، أو ثلاث ساعات، أو ستة أشهر، أو ثمانية، أو تسعة أشهر؛ ولها عشر سنين، أو خمس عشرة، ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة. وفي الأحاديث أنه ينزل ويقتل الدجال، ويتزوّج، ويولد له، ويحج، ويمكث في الأرض سبع سنين، ويدفن عند النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وفي الصحيح: أنه ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس أي حمام، وعيسى اسم عبراني أو سرياني لا عربي. قيل: لم يكن في الأنبياء من له أسمان إلّا عيسى ومحمد.

ومنهم محمد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. سمّي في القرآن بأسماء كثيرة، منها: محمد وأحمد. قيل: خمسة سمّوا قبل أن يكونوا: محمد ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2]، ويحيى ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾[3]، وعيسى ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[4]، وإسحاق ويعقوب ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا

(١) الصافات / ١٣٠.
(٢) الصف / ٦.
(٣) مريم / ٧.
(٤) آل عمران / ٣٩. وهي آية متعلقة بيحيٰ لابعيسى

بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[١].

وفيه من أسماء الملائكة جبرئيل وميكائيل، وفيهما لغات. جبرئيل بفتح الجيم وكسرها بلا همز، وجبرائيل بالهمزة بعد الألف، وجبراييل بيائين بلا همز، وجبرئيل بهمز وياء بلا ألف، وجبرئيل مشددة اللام وقرىء بها. قال ابن جني: أصله كوريال، فغيّر بالتعريب وطول الاستعمال إلى ما ترى.

وقرىء ميكائيل بلا همز وميكييل وميكال. قيل: إيل بالعبرانية الله، وجبرئيل عبدالله، وكذا ميكائيل. وكل اسم فيه إيل فهو معبد الله. وقيل: جبرئيل خادم الله. وقيل ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[٢] بتشديد النون. قال ابن مهران: إنه اسم جبرئيل، حكاه الكرماني في عجائبه.

ومنهم هاروت وماروت. عن عليّ كرّم الله وجهه: هما ملكان من ملائكة الله. وقد أفرد السيوطي في قصتهما جزأ.

ومنهم الرعد. عن ابن عباس مرفوعًا: أنه ملك من الملآئكة موكل بالسحاب. وعن عكرمة: الرعد ملك يسبح. عن محمد بن مسلم قال: بلغنا أنّ البرق ملك له أربعة وجوه: وجه إنسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد. فإذا مصع[٣] بذنبه فذلك البرق.

ومنهم مالك خازن النار.

ومنهم السجل. عن أبي جعفر الباقر قال: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه. وعن السّدّي: أنه ملك موكل بالصحف.

ومنهم قعيد. عن مجاهد: أنه اسم كاتب السيئات. قيل: فهؤلآء تسعة. قيل: عاشرهم ذو القرنين. قيل: الحادي عشر الروح، وهو ملك من أعظم الملآئكة خلقًا.

ومنهم السكينة. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]. قيل: أنه ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه. كما روي أنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

وفيه من أسماء الصحابة: زيد بن حارثه، والسجل في قول من قال إنّه كاتب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وفيه من أسماء المتقدمين من غير الأنبياء والرسل: عمران أبو مريم. وقيل: فيه أبو موسى أيضًا وأخوها هارون، وليس بأخي موسى. وعزير وتُبّع، وكان رجلًا صالحًا، كما أخرجه الحاكم. وقيل نبي كما حكاه الكرماني في العجائب. ولقمان وقد قيل: إنّه نبي، والأكثر على خلافه؛ عن ابن عباس قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا. ويوسف بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب ذكر في سورة غافر. ويعقوب في سورة مريم يعقوب بن ماتاق. وتقي في سورة مريم ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[٥]، أي إنْ كنت مثله في الصلاح.

وفيه من أسماء النساء: مريم لا غير، ومريم بالعبرية الخادم. وقيل إنّ بعلًا في قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾[٦] اسم امرأة كانوا يعبدونها.

وفيه من أسماء الكفار: قارون وجالوت وهامان وبشرى في قوله: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾[٧] أي في سورة يوسف، في قول السدّي، وآزر أبو

---

(١) هود / ٧١.
(٢) مريم / ١٧.
(٣) مصع البرق أي لمع. (هامش الأصل).
(٤) الفتح / ٤.
(٥) مريم / ١٨.
(٦) الصافات / ١٢٥.
(٧) يوسف / ١٩.

إبراهيم. وقيل: إسمه تارخ وآزر لقب. وقيل: آزر اسم الصنم. ومنه النسيء من بني كنانة، كان يجعل المحرم صفرًا يستحل به الغنائم.

وفيه من أسماء الجن أبوهم إبليس وكان اسمه أولًا عزازيل، وهو المروي عن ابن عباس. وعن السّدي قال: كان اسم إبليس الحارث. وعن ابن عباس: إنما سمّي إبليس لأنّ الله أبلسه من الخير كله آيسه منه. وقيل: اسمه فتره، حكاه الخطابي، وكنيته أبو كردوس. وقيل: أبو فتره. وقيل: أبو مرة. وقيل: أبو لبيني، حكاه السهيلي في الروض الأنف.

وفيه من أسماء القبايل: يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم.

وفيه من أسماء الأصنام التي كانت أسماء لأناس. ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وهي أصنام قوم نوح. واللات والعزى ومناة وهي أصنام قريش. وكذا الرجز فيمن قرأ بضم الراء أنه إسم صنم، والجبت والطاغوت أنهما صنمان. والرشاد في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[1] اسم صنم من أصنام فرعون. وبعل هو صنم قوم الياس. وآزر إسم صنم كما تقدم.

علم معرفة ما وقع فيه بغير لغة الحجاز(*)

وقد أفردوه بالتصنيف، ذكره السيوطي في الاتقان. قال أبو بكر الواسطي[2] في كتابه الإرشاد[3] في القراآت العشر: في القرآن من اللغات خمسون لغة: قريش - وهذيل - وكنانة - وخعثم - والخزرج - وأشعر - ونمير - وقيس عيلان - وجرهم - واليمن - وأزدشنؤة - وكندة - وتميم - وحمير - ومدين - ولخم - وسعد العشيرة - وحضرموت - وسدوس - والعمالقة - وأنمار - وغسان - ومذحج - وخزاعة - وغطفان - وسبا - وعمان - وبني حنيفة - وتغلب - وطيّ - وعامر بن صعصعة - وأوس - ومزينة - وثقيف - وجذام - وبلى - وعذره - وهوازن - والنمر - واليمامة. ومن غير العربية: الفرس - والروم - والقبط - والحبشة - والبربر - والسريانية - والعبرانية. قيل ليس في القرآن حرف غريب من لغة قريش إلّا ثلاثة، لأنّ كلام قريش سهل لين واضح والغريب خلافه، وهي: فسينغضون وهو تحريك الرأس، مقيتًا مقتدرًا، فشرِّدْ بهم، سمع.

علم معرفة ما وقع فيه من غير لغة العرب(*)

أفرده بالتصنيف السيوطي، وسمّاه المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب[4].

واعلم أنّ الشافعي رحمه الله وابن جرير وأبا عبيدة والقاضي أبا بكر وابن فارس قالوا بعدم وقوعه في القرآن، مستدلين بقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا

---

(١) غافر/٢٩.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) هو محمد بن الحسين بن بندار، أبو العز القلانسي الواسطي. ولد عام ٤٣٥هـ/ وتوفي عام ٥٢١هـ. شيخ القراء في عصره، إمام كبير، محدث، له تصانيف عديدة. انظر عنه: المنتظم ١٠/٨، العبر ٤/ ٥٠، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٥، طبقات القراء ١/ ٣٨٤، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٦، كشف الظنون ١/ ٦٦.

(٣) ارشاد المبتدى وتذكرة المنتهى في القرآءات العشر، للشيخ أبي العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي (-٥٢١هـ.) كشف الظنون ١/ ٦٦.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، لجلال الدين السيوطي (-٩١١هـ): كشف الظنون ٢/ ١٩١٤.

عَرَبِيًّا﴾[1]. ونظائره. وشدّد الشافعي النكير على القائل بذلك. قال أبو عبيدة: من زعم أنّ فيه غير العربية فقد أعظم القول. وقال ابن فارس: لو كان كذلك لربّما توهّم متوهم أنّ العرب إنما عجزت عنه لمكان لغات لا يعرفونها. وقال ابن جرير: ما وقع عن ابن عباس من تفسير ألفاظ غير عربية إنما هو من توافق اللغات، بل العرب العاربة قد اختلطت بسائر الألسنة في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظًا حتى جرت مجرى الفصيح، واستعملوها في أشعارهم ومحاوراتهم، ولهذا نزل بها القرآن. وقال آخرون: كل هذه عربية صرفة، ولغة العرب متسعة جدًا، لا يبعد أنّ يخفى على الأكابر الجلة، حتى نقل عن الشافعي أنه قال: لا يحيط باللغة إلّا نبي. وذهب آخرون إلى وقوعه فيه وقالوا: الكلمات اليسيرة بغير العربية لا ينافي كونه قرآنًا عربيًا. واستدل بمنع صرف إبراهيم للعجمة والعلمية. ورَدّ بان الكلام في غير الأعلام. والحكمة في وقوعه أنّ القرآن حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كلّ شيء، فلا بد أنْ تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن، إلّا أنه اختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالًا للعرب. قيل لما وجب ذكر ثياب الجنة مثلًا، وكان ذكر المفرد أحسن، ذكر الاستبرق، إذْ ثياب الحرير ليس في العرب، فليس له إسم مفرد في العرب، وعلى هذا القياس غيره. وقد نظم القاضي تاج الدين السبكي منها سبعة وعشرين لفظًا في أبيات. وذيّل الحافظ ابن حجر عليه. وذيّل الحافظ جلال الدين السيوطي عليهما بالباقي، وهو بضع وستون، فتمت أكثر من مائة لفظة. فقال ابن السبكي:

السلسبيل وطه كورت بيع
روم وطوبى وسجيل وكافور
والزنجبيل ومشكوٰة سرادق مع
استبرق صلوات سندس طور
كذا قراطيس ربانيهم وغسا
ق ثم دينار القسطاس مشهور
كذاك قسورة واليم ناشئة
ويؤت كفلين مذكور ومسطور
له مقاليد فردوس يعد كذا
فيما حكى ابن دريد منه تنور

وقال ابن حجر:

وزدت حزم ومهل والسجل كذا
السرى والأب ثم الجبت مذكور
وقطنا وإناه ثم متكئا
وارست يصهر منه فهو مهصور
وهيت والسكر الأواه مع حصب
وأوبي معه والطاغوت مسطور
صرهن إصري وغيض الماء مع وزر
ثم الرقيم مناص والسنا النور

وقال السيوطي:

وزدت ياسين والرحمن مع ملكو
ت ثم سينين شطر البيت مشهور
ثم الصراط ودرى بحور ومر
جان اليم مع القنطار مذكور
وراعنا طفقا هدنا ابلعي ووراء
والأرائك والأكواب مأثور
هود وقسط وكفر رمزه سقر
هون يصدون والمنساة مسطور
شهر مجوس واقفال يهود حوا
ريون كنز وسجين وتبتير
بعير آزر حوب وردة عرم
ال ومن تحتها عيدت والصور
ولينة فومهار هو واخلد مز
جاة وسيدها القيوم موفور

---

(١) يوسف / ٢.

وقمل ثم أسفار عني كتبا
وسجدا ثم ربيون تكثير
حطة وطوى والرس نون كذا
عدن ومنفطر الاسباط مذكور
مسك أباريق ياقوت رووا فهنا
مافات من عدد الالفاظ محصور
وبعضهم عد الأولى مع بطائنها
والآخرة لمعاني الضد مقصور

علم معرفة مبهمات القرآن(*)

صنف فيه السهيلي، ثم ابن عساكر، ثم القاضي بدر الدين ابن جماعة. وللسيوطي فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب مع زوائد أخر على صغر حجمه جدًا. وكان من السلف من يعتني بهذا العلم كثيرًا. قال عكرمة: طلبت الذي خرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشر سنة.

وللإبهام في القرآن أسباب:

أحدها: الاستغناء ببيانه في موضع آخر كقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾(١) فإنه مبين في قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾(٢).

وثانيها: أنّ يتعين لاشتهاره كقوله: ﴿وَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾(٣) ولم يقل حواء لأنه ليس له غيرها.

الثالث: قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه نحو: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾(٤) الآية، هو الأخنس بن شريق(٥)، وقد أسلم بعد، وحسن إسلامه.

الرابع: إن لا يكون في تعيينه كثير فائدة نحو: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ﴾(٦)، ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾(٧).

الخامس: التنبيه على العموم وأنه غير خاص بخلاف ما لو عيِّن نحو: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾(٨).

السادس: تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ﴾(٩)، ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾(١٠)، ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾(١١) والمراد الصديق في الكل.

السابع: تحقيره بالوصف الناقص نحو: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾(١٢).

واعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأي فيه. ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير يذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها، أحلت ذلك إلى كتبها، إذْ لا يحيط كتابنا هذا بالاستقصاء فيها. ولما كان

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(١) الفاتحة / ٧.
(٢) النساء / ٦٩.
(٣) البقرة / ٣٥.
(٤) البقرة / ٢٠٤.
(٥) هو الأخنس بن شريق الثقفي. صحابي، حليف بني زهرة. انظر عنه: أسد الغابة ١/ ٧٠.
(٦) البقرة / ٢٥٩.
(٧) الأعراف / ١٦٣.
(٨) النساء / ١٠٠.
(٩) النور / ٢٢.
(١٠) الزمر / ٣٣.
(١١) التوبة / ٤٠.
(١٢) الكوثر / ٣.

التعرض لبعضها غير مفيد، أضربنا عن التعرّض لها كلًا وبعضًا، والله الموفق للصواب.

علم معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج[*]

قال القاضي جلال الدين البلقيني: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ. فالمتواتر السبعة المشهورة. والآحاد الثلاثة التي هي تمام العشرة، ويلحق بها قراآت الصحابة. والشاذ قراآت التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب[١] وابن جبير ونحوهم.

واعلم أنّ هذا كلام ظاهري، والتحقيق فيه ما ذكره أبو الخير ابن الجزري في كتاب النشر[٢]: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت إحدى المصاحف العثمانية ولو احتمالًا، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم. هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرّح بذلك الداني ومكي والمهدوي وأبو شامة.

قال أبو شامة في المرشد الوجيز[٣]: لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، وأنها أنزلت هكذا، إلّا إذا دخلت في ذلك الضابط. بل إنْ نقل عن غيرهم فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإنّ الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه. غير أنّ هؤلآء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم. ثم قال ابن الجزري: فقولنا في الضابط ولو بوجه يزيد به وجهًا من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحًا، مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضرّ مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالاسناد الصحيح، إذْ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم. وكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم، كإسكان بارئكم ويأمركم، وخفض والأرحام، ونصب ليجزي قومًا، والفصل بين المضافين في قتل أولادهم شركائهم، وغير ذلك.

قال الداني: وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الإفشاء في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل. وإذا ثبتت الرواية لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة، لأنّ القراءة سُنَّة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها.

ثم قال ابن الجزري: ونعني بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتًا في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ﴾ في البقرة بغير واو، و﴿وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَبِ﴾ بإثبات الباء فيهما، فإنّ ذلك ثابت في المصحف الشامي. وكقراءة ابن كثير: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ﴾ في آخر براءة بزيادة من، فإنه ثابت في المصحف

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي. توفي عام ١٠٣هـ/ ٧٢١م. تابعي، ثقة، عالم بالقرآن. له أخبار. انظر عنه: الأعلام ٨/ ١٧٦، غاية النهاية ٢/ ٣٨٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٥٢.

(٢) النشر في القرآت العشر، للشيخ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري (-٨٣٣هـ). كشف الظنون ٢ / ١٩٥٢.

(٣) المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز، لأبي شامة. كشف الظنون ٢/ ١٦٥٥.

المكي، ونحو ذلك. فإنْ لم يكن في شيء من المصاحف العثمانية فشاذة لمخالفتها الرسم المجمع عليه. وقولنا ولو احتمالًا يعني به ما وافقه ولو تقديرًا، كملك يوم الدين، فإنه كتب في الجميع بلا ألف. فقراءة الحذف توافقه تحقيقًا، وقراءة الألف توافقه تقديرًا، لحذفها في الخط اختصارًا. ومن هذا القبيل الصراط، أصله بالسين، فالصاد توافقه تحقيقًا، والسين تقديرًا، حتى لو كتب بالسين لم يجز قراءة الصاد لعدم توافقه حينئذٍ أصلاً. ثم قال: وقولنا: وصحّ سندها، نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله، وهكذا حتى ينتهي، وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن، غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذّ بها بعضهم. قال: وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن ولم يكتف بصحة السند، وزعم أنّ القرآن لا يثبت إلا بالتواتر. قال: وهذا مما لا يخفى ما فيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره، إذْ ما ثبت من أحرف الخلاف متواترًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجب قبوله وقطع بكونه قرآنًا، سواء وافق الرسم أم لا.

إذا عرفت هذا فقد تحرر لك منه أنواع القراآت:

الأول: المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب من مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراآت كذلك.

الثاني: المشهور وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء.

الثالث: الآحاد وهو ما صحّ سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به.

الرابع: الشاذ وهو ما لم يصح سنده، من ذلك قراءة مَلَكَ يوم الدين بصيغة الماضي ونصب يوم.

الخامس: الموضوع كقراآت الخزاعي[(١)].

السادس: المدرج وهو ما زيد في القراآت على وجه التفسير، كقراءة سعد بن أبي وقاص: له أخ أو أخت من أم، وقراءة ابن عباس: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[(٢)] في مواسم الحج، وقراءة ابن الزبير: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[(٣)] ويستعينون بالله على ما أصابهم. وجزم ابن الأنباري بأنه تفسير. قال ابن الجزري في آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءة إيضاحًا وبيانًا لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرآنًا، فهم آمنون من الالتباس. وربما كان بعضهم يكتبه معه. وأما من يقول إنّ بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب، انتهى.

علم معرفة المحكم والمتشابه[(*)]

قيل المحكم ما لا يتوقف على البيان، والمتشابه ما لا يرجى بيانه، كقيام الساعة وخروج

---

(١) وهو اسحاق بن أحمد بن اسحاق بن نافع، أبو محمد الخزاعي المكي. توفي عام ٣٠٨هـ. إمام مقرىء محدث، له مصنفات.

انظر عنه: طبقات القراء ١/ ١٨٤، العبر ٢/ ١٣٦، الوافي بالوفيات ٨/ ٤٠٣، سير اعلام النبلاء ١٤/ ٢٨٩، البداية والنهاية ١١/ ١٣١.

(٢) البقرة / ١٩٨.

(٣) آل عمران / ١٠٤.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

الدجال والحروف المقطعة من أوائل السور. وقيل المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه. وقيل المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهًا واحدًا والمتشابه ما احتمل أوجهًا. وقيل المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوٰات واختصاص القيام برمضان دون شعبان. وقيل المحكم ما استقل بنفسه والمتشابه ما لم يستقل بنفسه إلّا بردّه إلى غيره. وقيل المحكم ما تأويله تنزيله والمتشابه ما لا يدرك إلّا بالتأويل. وقيل المحكم ما لم يتكرر ألفاظه ومقابله المتشابه. وقيل المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال.

اختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلّا الله. وعلى الأول طائفة يسيرة منهم مجاهد وهو رواية عن ابن عباس. وروي أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾(١) أنا ممن يعلم تأويله. قال النووي في شرح مسلم: إنّه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته. وقال ابن الحاجب: إنه الظاهر. وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصًا أهل السُّنة فذهبوا إلى الثاني وهو أصح الروايات عن ابن عباس. قال ابن السمعاني: لم يذهب إلى الأول إلّا شرذمة واختاره القتبي، قال: وكان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سها في هذه المسئلة. قال: ولا غرو فإنّ لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة. وقد ورد على القول الثاني آثار وأحاديث. قال بعضهم: العقل مبتلى باعتقاد حقية المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة، كالحكيم إذا صنف كتابًا أجمل فيه أحيانًا ليكون موضع خضوع المتعلم لأستاذه، كالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سرّه. وقيل لو لم يبتلَ العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرّد، فبذلك يستأنس إلى التذلل بعجز العبودية. والمتشابه هو موضع خضوع العقل لباريها استسلامًا واعترافًا بقصورها، وفي ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ تعريض بالزائغين ومدح للراسخين، يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي العقول. ومن ثم قال: الراسخون ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ إلى آخر الآية، فخضعوا لباريهم لاستنزال العلم اللدني بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفساني. قال الراغب في مفردات القرآن: الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه متشابه من وجه.

فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومن جهة المعنى فقط، ومن جهتهما. فالأول ضربان: يرجع إلى الألفاظ المفردة، أو إلى الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب: ضرب لاختصار الكلام نحو: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾(٢). وضرب لبسطه نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٣) لأنه لو قيل: ليس مثله لكان أظهر للسامع. وضرب لنظم الكلام نحو: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا، قَيِّمًا﴾(٤) تقديره أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا.

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة. والمتشابه من جهتهما خمسة أضرب: الأول: من جهة الكمية كالعموم

(١) آل عمران / ٧.
(٢) النساء / ٣.
(٣) الشورى / ١١.
(٤) الكهف / ١ - ٢.

والخصوص نحو: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[١]. والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾. والثالث: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٢]. الرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها نحو: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[٣]. و﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[٤] فإنّ من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية. الخامس: من جهة الشروط التي يصحّ بها الفعل ويفسد كشرط الصلوٰة والنكاح.

قال: وهذه الجملة إذا تصوّرت علم أنّ ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج من هذه التقاسيم. ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك. وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة. وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم، وهو المشار إليه بقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل». وبقية مباحث المتشابه في علم التفسير.

علم معرفة المد والقصر(*)

وكذا علم معرفة تحقيق الهمزة. وقد سبق تفصيله في علم القراءة.

علم معرفة مرسوم الخط وآداب كتابته(**)

وهذا العلم قد يقع من فروع علم القراءة أيضًا، وقد فصّلناه هناك فلا نعيده. إذ التكرار مما يعاب عند أولي الألباب، والله أعلم بالصواب.

علم معرفة مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتناقض(***)

وصنّف في هذا العلم قطرب[٥].

واعلم أنّ كلام الله تعالى منزّه عن الاختلاف والتناقض، لكن ربما يمكن لبعض الأذهان القاصرة توهّم ذلك، ولذا أشار العلماء إلى دفعه. ولهذا قلنا وموهم الاختلاف، منها قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٦]. إلى قوله: ﴿طَائِعِينَ﴾. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[٧]. ثم قال تعالى:

---

(١) التوبة / ٥.

(٢) آل عمران / ١٠٢.

(٣) البقرة / ١٨٩.

(٤) التوبة / ٣٧.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من علوم الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) هو محمد بن المستنير بن أحمد البصري المعروف بقطرب، أبو علي. توفي عام ٢٠٦هـ/ ٨٢١م. لغوي، نحوي، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/ ١٥، تاريخ بغداد ٣/ ٢٩٨، وفيات الأعيان ١/ ٦٢٥، لسان الميزان ٥/ ٣٧٨، نزهة الألباء ١١٩، مرآة الجنان ٢/ ٣١.

(٦) فصلت / ٩.

(٧) النازعات / ٢٧.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾[١]. قال ابن عباس: خلق الأرض في يومين فإنّ الأرض خلقت قبل السماء، وكانت السماء دخانًا فسواهنّ سبع سماوات في يومين بعد خلق الأرض. وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ يقول جعل فيها جبلًا وجعل فيها نهرًا وجعل فيها شجرًا وجعل فيها بحورًا، وأمثال هذا في القرآن كثير يعرفها من تتبعها.

علم معرفة مطلق القرآن ومقيّده(*)

المطلق ما دلّ على الماهية بلا قيد والمقيد بخلافه. ونسبته إلى المقيد نسبة العام إلى الخاص. قالوا: متى وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه وإلّا فلا، بل يبقى كل منهما على حاله لأنّ الله تعالى خاطبنا بلغة العرب، وضابطتهم على ذلك والتفصيل فيه موكول إلى علم الأصول.

علم معرفة المعاد(**)

وهو علم باحث عن أحوال النفس بعد المفارقة عن البدن حيث تتعلق بالبدن أخرى أم لا، أم هل يمكن لها السعادة أو الشقاوة، وهل يتبدل إحداهما بالأخرى، وما سبب كل منهما. وموضوعه وغرضه ونفعه لا يحتاج إلى البيان.

علم معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر(***)

المراد بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف. اعلم أنّ معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[٢]، فاستعملت على في جانب الحق، لأنّ صاحب الحق كأنه مستعل يصرف نظره كيف يشاء. و«في» في جانب الضلال لأنّ صاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾[٣]، الآية. عدل في الأربعة الأخيرة عن اللام إلى في إذانًا إلى أنهم أكثر استحقاقًا للمتصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام، لأن في للوعاء، فنبّه بها على أنهم أحقاء بأنّ يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم كما يوضع الشيء في وعائه مستقرًا فيه. وقال الفارسي: وإنما لم يقل وللرقاب ليدل على أنّ العبد لا يملك. وعن ابن عباس قال: الحمد لله الذي قال: عن صلاتهم ساهون، ولم يقل في صلاتهم إذْ ما من أحد لا يسهو في صلاته، والوعيد لمن يسهو عن صلاته، وهو إمّا بتركه وهو كبيرة أو بعدم قصد العبادة فهو كفر. وتفصيل هذا الفن خارج عن طوق هذه الرسالة. وقد صنف فيها جماعة بالأصالة كالهروي[٤] في الأزهية[٥]، وابن أم

---

(١) النازعات / ٣٠.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في فروع العلم الإلهي، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالاعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) سبأ / ٢٤.

(٣) التوبة / ٦٠.

(٤) هو علي بن محمد أبو الحسن الهروي، عالم في النحو. كشف الظنون ١/ ٧٣.

(٥) الأزهية في النحو، للشيخ أبي الحسن علي بن محمد الهروي. كشف الظنون ١/ ٧٣.

قاسم[١] في الجني الداني[٢]، وأدرجه السيوطي في الإتقان.

علم معرفة مفردات القرآن[*]

وهو علم يبحث فيه عن أحوال آية آية من جهة أحكامها ومعانيها. مثال ذلك، أخرج السلفي في المختار من الطيوريات عن الشعبي قال: لقي عمر بن الخطاب ركبًا في سفر، فيهم ابن مسعود، فأمر رجلًا يناديهم: من أين القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفج العميق، نريد البيت العتيق. فقال عمر رضي الله عنه: إنّ فيهم لعالماً. فأمر رجلًا يناديهم: أي القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[٣]. قال: نادهم: أيّ القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[٤]. قال نادهم: أي القرآن أجمع؟ فقال: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾[٥]. فقال نادهم: أي القرآن أحزن؟ فقال: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ﴾[٦]. فقال نادهم: أي القرآن أرجى؟ قال: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[٧] الآية. فقال: أفيكم ابن مسعود؟ قالوا: نعم.

واختلف في أرجى آية في القرآن على أقوال:

أحدها: آية الزمر.

والثاني: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾[٨] واختاره ابن عباس.

الثالث: ما روي عن علي رضي الله عنه قال: إنّكم يا معشر أهل العراق، تقولون أرجى آية في القرآن: يا عبادي الذين أسرفوا، الآية. لكنّا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾[٩] وهي الشفاعة.

الرابع: ما روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: أشد آية على أهل النار ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾[١٠]، وأرجى آية في القرآن لأهل التوحيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[١١] الآية.

الخامس: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾[١٢]. إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ واختاره ابن المبارك.

السادس: قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[١٣] واختاره أبو عثمان النهدي[١٤].

---

(١) هو الشيخ بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (-٧٤٩هـ). كشف الظنون ١/ ٦٠٧.
(٢) الجنى الداني في حروف المعاني للشيخ بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (-٧٤٩هـ). كشف الظنون ١/ ٦٠٧.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٣) البقرة / ٢٥٥.
(٤) النحل / ٩٠.
(٥) الزلزلة / ٧ - ٨.
(٦) النساء / ١٢٣.
(٧) الزمر / ٥٣.
(٨) البقرة / ٢٦٠.
(٩) الضحى / ٥.
(١٠) النبأ / ٣٠.
(١١) النساء ١١٦.
(١٢) النور / ٢٢.
(١٣) التوبة / ١٠٢.
(١٤) هو عبد الرحمن بن مُلّ - وقيل ابن مليّ - ابن عمرو بن عدي البصري، أبو عثمان النهدي، عمّر طويلًا. مخضرم بين=

السابع: قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[١] وهذا عند أبي جعفر النحاس[٢].

الثامن: ما رواه أبو جعفر وكذا مكي عن ابن عباس أنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[٣] ولم يقل على إحسانهم.

التاسع: ما روي عن الشافعي وهو قوله تعالى: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾[٤]. وعنه أيضًا: أرجى حديث للمؤمن: «إذا كان يوم القيامة يدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه»[٥].

العاشر: قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾[٦].

الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[٧].

الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾[٨]، حكاه الكرماني في كتاب العجائب.

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[٩]. حكى هذه الأربعة النووي في رؤس المسائل، والآخر ثابت عن علي رضي الله عنه.

الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[١٠]. قال الشبلي رحمه الله: إذا كان الله أذن للكافر بدخول الباب إذا أتى بالتوحيد والشهادة أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها.

الخامس عشر: آية الدين ووجهه أنّ عناية الله بعباده إذا انتهى إلى حد الإرشاد إلى الأمور الدنيوية ومنها إلى كتابة ديونهم، فما ظنّك بمهماتهم الأخروية، سيّما حفظ التوحيد وغفران الكبائر والصغائر.

وعن ابن عباس قال: ثماني آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس أو غربت. أولاهن: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾[١١] الآية. والثانية: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾[١٢]

=الجاهلية والإسلام. غزا في خلافة عمر وبعدها. محدث حجة، عابد زاهد، شيخ وقته. وله أخبار.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٤/ ١٧٥. طبقات ابن سعد ٧/ ٩٧، أسد الغابة ٣/ ٣٢٤، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠٢، البداية والنهاية ٩/ ١٥، شذرات الذهب ١/ ١١٨.

(١) الأحقاف / ٣٥.

(٢) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس، توفي بمصر عام ٣٣٨هـ/ ٩٥٠م. مفسر، أديب، عالم بالقرآن. له عدة كتب هامة. الأعلام ١/ ٢٠٨، وفيات الأعيان ١/ ٢٩، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٠، البداية والنهاية ١١/ ٢٢٢، إنباه الرواة ١/ ١٠١.

(٣) الرعد / ٦.

(٤) البلد / ١٥ - ١٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل. . ، ح٤٩، ٤/ ٢١١٩، بلفظ: «إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول هذا فكاكك من النار»، ورواه البيهقي، مناقب الشافعي، ٢/ ١٧٩، بلفظ، «فيذهب به إلى النار» بدلًا من «فداؤه».

(٦) الإسراء / ٨٤.

(٧) سبأ / ١٧.

(٨) طه / ٤٨.

(٩) الشورى / ٣٠.

(١٠) الأنفال / ٣٨.

(١١) النساء / ٢٦.

(١٢) النساء / ٢٧.

الآية. والثالثة: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[١] الآية. والرابعة: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[٢] الآية. والخامسة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٣] الآية. السادسة: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾[٤] الآية. والسابعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[٥] الآية. والثامنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟﴾[٦] الآية.

واختلف في أشد آية في كتاب الله تعالى. قيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾[٧] الآية. وقيل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٨]. وعن أبي برزة الأسلمي:[٩] قال: هو ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾[١٠]. وعن سفيان هو: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[١١]. وعن ابن عباس: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾[١٢] الآية. وعن الحسن: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[١٣]. وعن ابن سيرين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[١٤]. وعن أبي حنيفة رحمه الله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[١٥]. وقيل: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾[١٦]. وعن مالك: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[١٧] وتأولها بأهل الأهواء. وعن أبي العالية: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[١٩]. قال السعيدي[٢٠]: سورة الحج من أعاجيب القرآن فيها المكي وهو من رأس الثلاثين إلى آخرها، والمدني وهو من رأس خمس عشر إلى رأس الثلاثين، والليلي وهو خمس آيات من أولها، والنهاري وهو من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشرة،

---

(١) النساء / ٢٨.
(٢) النساء / ٣١.
(٣) النساء / ٤٠.
(٤) النساء / ١١٠.
(٥) النساء / ٤٨.
(٦) النساء / ١٥٢.
(٧) فصلت / ٣٠.
(٨) النساء / ١٢٣.
(٩) هو نضلة بن عبيد بن الحارث الأسلمي، أبو برزة، توفي عام ٦٥هـ/ ٦٨٥م صحابي، عرف بكنيته. سكن المدينة ثم البصرة. شهد الفتوح، وله رواية. انظر عنه: تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٤٦، الاستيعاب ٣/ ٥١٣، سير اعلام النبلاء ٣/ ٤٠، الأعلام ٨/ ٣٣.
(١٠) النبأ / ٣٠.
(١١) المائدة / ٦٨.
(١٢) المائدة / ٦٣.
(١٣) الأحزاب / ٣٧.
(١٤) البقرة / ٨.
(١٥) آل عمران / ١٣١.
(١٦) الرحمن / ٣١.
(١٧) آل عمران / ١٠٦.
(١٨) غافر / ٤.
(١٩) البقرة / ١٧٦.
(٢٠) هو محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد السعيدي، أبو عبدالله المصري، ولد عام ٤٢٠هـ، وتوفي عام ٥٢٠هـ، علامة، شيخ العربية واللغة في عصره. له رواية، له تصانيف. انظر عنه: خريدة القصر ٢/ ١٥٦، معجم الأدباء ١٨/ ٣٩، إنباه الرواة ٣/ ٧٨، سير اعلام النبلاء ١٩/ ٤٥٥، مرآة الجنان ٧/ ٢٢٥.

والحضري وهو إلى رأس العشرين، والسفري وهو أولها، والناسخ وهو: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾[١] الآية، والمنسوخ وهو: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾[٢] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ﴾[٣] الآية نسخها: ﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾ الآية.

قال الكرماني: ذكر المفسرون أنّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾[٤] الآية من أشكل آية في القرآن حكمًا ومعنى وإعرابًا وقيل: قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾[٥] الآية، جمعت أصول أحكام الشريعة كلها: الأمر والنهي والإباحة والخبر.

قال الكرماني في العجائب: سمّى الله قصة يوسف أحسن القصص لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود، وشاهد ومشهود، ومالك ومملوك، وعاشق ومعشوق، وحبس وإطلاق، وسجن وخلاص، وخصب وجدب، وغير ذلك مما يعجز عن بيانها طوق الخلق.

وعن رؤبة[٦] ما في القرآن أعرب من قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[٧].

قال بعضهم: أطول السور البقرة، وأقصرها الكوثر، وأطول الآي آية الدين، وأقصرها والضحى، والفجر، وأطول الكلمات رسمًا: فأسقيناكموه.

وفي القرآن: آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ﴾[٨] الآية. ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾[٩] الآية. وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلّا في موضعين ﴿عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ﴾[١٠]، ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ﴾[١١]، ولا كافان كذلك إلا: مناسككم، وما سلككم، ولا غينان كذلك إلاّ ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ﴾[١٢]. ولا آية فيها ثلاثة وعشرون وقفًا إلا آية الدين، ولا آيتان فيها ثلاثة وعشرون وقفًا إلا آيتا المواريث، ولا ثلاث آيات فيها عشر واوات إلّا: والعصر إلى آخرها، ولا سورة إحدى وخمسين آية فيها إثنان وخمسون وقفًا إلّا سورة الرحمن، ذكر أكثرها ابن خالويه[١٣].

قال ابن عبد الله الخبازي[١٤] المقري: أول

---

(١) الحج / ٣٩.
(٢) الحج / ٦٩.
(٣) الحج / ٥٢.
(٤) المائدة / ١٠٦.
(٥) الأعراف / ٣١.
(٦) هو رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحاف أو أبو محمد. مات في البادية عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. راجز، من الفصحاء المشهورين، ومن المخضرمين في الدولتين الأموية والعباسية. لغوي كبير. له ديوان مطبوع. انظر عنه: الأعلام ٣/ ٣٤، وفيات الأعيان ١/ ١٨٧، البداية والنهاية ١٠/ ٩٦، خزانة الأدب ١/ ٤٣، الشعر والشعراء ٢٣٠.
(٧) الحجر / ٩٤.
(٨) آل عمران / ١٥٤.
(٩) الفتح / ٢٩.
(١٠) البقرة / ٢٣٥.
(١١) الكهف / ٦٠.
(١٢) آل عمران / ٨٥.
(١٣) هو الحسن بن أحمد بن خالويه بن حمدون، أبو عبد الله النحوي اللغوي. توفي بحلب عام ٣٧٠هـ. إمام في اللغة والنحو، قارىء، له تصانيف كثيرة. انظر عنه: غاية النهاية ١/ ٢٣٧.
(١٤) هو محمد بن علي بن محمد النيسابوري، أبو عبدالله الخبازي. ولد عام ٣٧٢هـ. شيخ القراء، محدث، ثقة. انظر عنه: اللباب ١/ ٤١٧، العبر ٣/ ٢١٩، الوافي بالوفيات، ٤/ ١٣٠، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٤، غاية النهاية ٢/ ٢٠٧، شذرات الذهب ٣/ ٢٨٣.

ما وردت على السلطان محمود بن ملكشاه سألني عن آية أولها غين. فقلت: ثلاث: غافر، وآيتان بخلف غلبت الروم، غير المغضوب عليهم.

قال جلال الدين السيوطي: نقلت من خط شيخ الاسلام ابن حجر: في القرآن أربع شدات متوالية، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾(١)، ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ﴾(٢)، ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(٣)، ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ﴾(٤).

علم معرفة مقدم القرآن ومؤخره(*)

وهو قسمان: الأول: ما أشكل معناه ظاهرًا واتضح بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾(٥)، والأصل هواه إلٓهه، لأنّ من اتخذ إلٓهه هواه غير مذموم، فقدّم المفعول الثاني للعناية به. وقوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(٦) والأصل سود غرابيب، لأنّ الغربيب الشديد السواد. وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾(٧) والأصل لولا أنْ رآى برهان ربه لهمَّ بها.

والثاني: ما ليس كذلك. وقد ألف فيه العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتاب المقدمة في سرّ الألفاظ المقدمة(٨)، والحكمة فيه الاهتمام كما قال سيبويه في كتابه، كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه أعنى، وهذه الحكمة إجمالية.

وأما تفاصيل أسباب التقديم والتأخير وأسراره في الكتاب العزيز عشرة أنواع:

الأول: التبرك نحو تقديم اسم الله في الأمور ذوات النسك.

الثاني التعظيم كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾(٩).

الثالث: التشريف نحو: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾(١٠)، و﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾(١١)، و﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾(١٢) الآية، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾(١٣)، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾(١٤)، وأمثال ذلك.

الرابع: المناسبة إما لسياق الكلام نحو: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾(١٥) فإنّ الجمال عند الرواح أكثر

---

(١) مريم / ٦٤-٦٥.

(٢) النور / ٤٠.

(٣) يٓس / ٥٨.

(٤) الملك / ٥.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) الجاثية / ٢٣.

(٦) فاطر / ٢٧.

(٧) يوسف / ٢٤.

(٨) مقدمة في سر الألفاظ المتقدمة، لابن الصائغ محمد بن عبد الرحمن الحنبلي. (-٧٧٢هـ). كشف الظنون ٢/١٨٠٣.

(٩) النساء / ٦٩.

(١٠) الأحزاب / ٣٥.

(١١) البقرة / ١٧٨.

(١٢) الأنعام / ٩٥.

(١٣) النحل / ٨.

(١٤) البقرة / ٧.

(١٥) النحل / ٦.

لأنها فيه بطان وفي السراح خماص. وأما اللفظ كقوله: الأول والآخر.

والخامس: الحث عليه كتقديم الوصية على الدين في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾[1] مع أنْ الدين مقدّم عليها شرعاً.

السادس: السبق إمّا زمانًا كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور، أو إنزالًا كتقديم التوراة على الإنجيل، أو تكليفًا نحو: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾[2].

السابع: السببية كـ:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[3] لأنّ العبادة سبب حصول الإعانة.

الثامن: الكثرة: ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾[4] والكافر أكثر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[5] و﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾[6] لأن السرقة في الذكور أكثر والزنا في الإناث أكثر. ومنه تقديم الرحمة على العذاب أينما وقع في القرآن غالبًا لما ورد أن رحمتي غلبت غضبي. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾[7] وذلك لأنّ العداوة فيهن أكثر منهم.

التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقوله: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾[8] الآية، بدأ بالأدنى للترقي من الأدنى وهو الرجل إلى الأشرف وهو اليد ثم العين ثم السمع.

العاشر: التدني من الأعلى إلى الأدنى وعليه: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[9] و﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً﴾[10]. هذه الوجوه ما ذكره ابن الصائغ. وزيد عليها أسباب أُخر: منها كونها أدل على القدرة وأعجب وكقوله: ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾[11] الآية، لأن المشي على البطن أدلّ على القدرة وأعجب. وكقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ﴾[12]. ولا يخفى أنّ تسخير الجبال له وتسبيحها أعجب وأدلّ على القدرة وأدخل في الإعجاز. ومنها رعاية الفواصل ومثالها كثير. ومنها إفادة الحصر للاختصاص وسيأتي تفصيلها.

علم معرفة المكي والمدني(*)

صنف فيه جماعة منهم مكي والعز الديريني[13]، وفائدته معرفة المؤخر ليكون ناسخًا أو مخصصًا. وها هنا أقسام ذكرها أبو

(١) النساء / ١١.
(٢) الحج / ٧٧.
(٣) الفاتحة / ٥.
(٤) التغابن / ٢.
(٥) المائدة / ٣٨.
(٦) النور / ٢.
(٧) التغابن / ١٤.
(٨) الأعراف / ١٩٥.
(٩) البقرة / ٢٥٥.
(١٠) الكهف / ٤٩.
(١١) النور / ٤٥.
(١٢) الأنبياء / ٧٩.
(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(١٣) هو عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني. ولد عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م. وتوفي عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م. فقيه شافعي، زاهد، له عدة تصانيف. انظر عنه: الاعلام ١٤/ ١٣، طبقات الشافعية ٥/ ٧٥.

القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري[١] في كتاب التنبيه[٢]: ما نزل بمكة، وما نزل بالمدينة، وما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، وما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلًا وما نزل نهارًا، وما نزل مشيعًا وما نزل مفردًا، والآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية، وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، وما اختلفوا فيه، فقال بعضهم مدني، وبعضهم مكي. فهذه ثلاثة وعشرون وجهًا، من لم يعرفها ولم يميز بينها لم يحلّ له أنْ يتكلّم في كتاب الله تعالى. ثم اختلفوا في المكي والمدني على ثلاثة اصطلاحات: أشهرها أنّ المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها، سواء نزل بالمدينة أم بمكة، عام الفتح أم عام حجة الوداع، أم بسفر من الأسفار، وقد رووا على ذلك أثرًا. الثاني أنّ المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة. وعلى هذا يكون ما نزل بالأسفار واسطة بينهما إلّا أنه يدخل في مكة ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، وفي المدينة ضواحيها كبدر وأحد وسلع. الثالث أنّ المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة.

علم معرفة الملكية[٣](*)

هي العلم الباحث عن المجرّدات التي لا تتصرف في البدن وأحوالها وكيفية صدورها عن مبدئها. وموضوعه وغايته وغرضه ظاهر لمن تمهر في العلم الإلٓهي.

علم معرفة مناسبة الآيات والسور(**)

صنف فيه أبو جعفر بن الزبير[٤] شيخ أبي حيان كتابًا سماه: البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن[٥]، وصنف فيه أيضًا الشيخ برهان الدين[٦] البقاعي كتابًا سماه: نظم الدرر في تناسب الآي والسور[٧]، وصنف فيه أيضًا الشيخ

---

(١) هو محمد بن حبيب، أبو القاسم النيسابوري، توفي عام ٢٤٥ هـ.
انظر عنه: كشف الظنون ١/ ٤٨٩.

(٢) التنبيه على فضل علوم القرآن، لأبي القاسم محمد بن حبيب النيسابوري (-٢٤٥هـ).
كشف الظنون ١/ ٤٨٩.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في فروع العلم الإلهي، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) الملائكة، في النسخة المصرية.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) المتوفى سنة ٧٠٨هـ. (هامش الأصل).

(٥) البرهان في تناسب سور القرآن، للشيخ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (-٧٠٨هـ).
كشف الظنون ١/ ٢٤١.

(٦) هو ابراهيم بن عمر البقاعي، برهان الدين، المتوفي سنة ٨٨٥هـ، إنه فرغ منه سابع من شعبان سنة ٨٨٥هـ، وكان ابتداؤه في سنة ٨٦١هـ. (هامش الأصل).

(٧) نظم الدرر في تناسب الآي والسور في التفسير، للشيخ الإمام برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي (-٨٨٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١٩٦١.

جلال الدين السيوطي كتابًا سماه: تناسق الدرر في تناسب السور[١]، وذكر مناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة في كتاب أسرار التنزيل[٢].

واعلم أنّ علم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته. قال الإمام الرازي أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط. قال ابن العربي في سراج المريدين[٣]: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلّا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه. فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه. وقال غيره: أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابوري[٤] وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وقال الشيخ عزالدين بن عبد السلام علم المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن الارتباط أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإنّ وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط. ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلّا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلًا عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، شُرعت لأسباب مختلفة. وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

وقال الشيخ ولي الدين الملوي: قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب، وأنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا. فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البيِّن أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أنْ يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له، انتهى.

وقال الإمام الرازي في سورة البقرة: إنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته. ولعلّ الذين قالوا إنّه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلّا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف، غير متنبهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلّا كما قيل:

والنجم تستصغر الأبصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

انتهى. قلت: ومن هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها، وقد صنف فيه السيوطي جزأ لطيفًا سماه: مراصد الطالع في تناسب المقاطع والمطالع[٥].

---

(١) تناسق الدرر في تناسب السور، للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ). كشف الظنون ١/ ٤٨٥.

(٢) أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار، ورد سابقًا.

(٣) سراج المريدين، للقاضي أبي بكر ابن العربي كشف الظنون، ٢/ ٩٨٤.

(٤) هو أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، أبو بكر. ولد عام ٢٩٥هـ/٩٠٨م. وتوفي عام ٣٨١هـ/٩٩١م. إمام عصره في القراءات. له عدة مؤلفات هامة. الاعلام ١/ ١١٥، ارشاد الأريب ١/ ٤١١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٦٠.

(٥) مراصد المطالع (الطالع)في تناسب المطالع والمقاطع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ). =

علم معرفة منطوق القرآن ومفهومه(*)

المنطوق ما دلّ عليه اللفظ في محل النطق. فإنْ أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص، أو مع احتمال غيره احتمالًا مرجوحًا فالظاهر. فإنْ حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل، ويسمّى المرجوح المحمول عليه مؤوّلًا. ثم إنْ توقفت صحة دلالة اللفظ على إضمار سمّيت دلالة اقتضاء نحو ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾(١) أي أهلها. وإنْ لم يتوقف ودلّ ما لم يقصد به سمّيت دلالة إشارة كدلالة قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾(٢) على صحة صوم من أصبح جنبًا لأنّ إباحة الجماع إلى طلوع الفجر يستلزم كونه جنبًا في جزء من النهار. وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظي.

ثم المفهوم ما دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق وهو قسمان: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة. فالأول ما يوافق حكمه المنطوق، فإن كان أولى سمّي فحوى الخطاب كدلالة: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾(٣) على تحريم الضرب لأنه أشد. وإن كان مساويًا سمّي لحن الخطاب أي معناه كدلالة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾(٤) على تحريم الإحراق لأنه مساوٍ للأكل. والثاني ما يخالف حكمه المنطوق أنواع: مفهوم صفة نعتًا كان أو حالًا، أو ظرفًا أو عددًا، ومفهوم شرط، ومفهوم حصر، والاختلاف في حجية هذه المفاهيم في علم الأصول. قال بعضهم: اللفظ إمّا أنّ تدلّ بمنطوقها ويسمّى دلالة المنطوق، أو بفحواها ومفهومها ويسمّى دلالة المفهوم، أو باقتضائها وضرورتها ويسمّى دلالة الاقتضاء، أو بمعقولها المستنبط منها ويسمّى دلالة الإشارة.

علم معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه(**)

أفرده بالتصنيف خلائق، منهم أبو عبيد القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وابن الأنباري ومكي وابن العربي وآخرون. قالت الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالى إلّا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ. وقد قال عليّ لقاصٍ: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلكت. وفيه مسائل:

الأولى: يرد النسخ بمعنى الإزالة، ومنه: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ﴾(٥) آياته. وبمعنى التبديل، ومنه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾(٦) وبمعنى التحويل، كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد، وبمعنى النقل من موضع إلى موضع، ومنه: نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيًا للفظه وخطه. وقيل: ومنه نسخ الكتاب من أم الكتاب إلى المصاحف. وأنكر بعضهم ذلك في القرآن بناءً على أنّ المنسوخ يأتي بلفظ آخر.

الثانية: النسخ مما خصّ الله به هذه الأمة لحكمة، وأجازه المسلمون، وأنكره اليهود ظنًا

=كشف الظنون ٢/ ١٦٥٢.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) يوسف / ٨٢.

(٢) البقرة / ١٨٧.

(٣) الاسراء / ٢٣.

(٤) النساء / ١٠.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) الحج / ٥٢.

(٦) النحل / ١٠١.

منهم أنّه بداء وهو باطل، لأنه بيان مدة الحكم كالطبيب يأمر المريض بمعالجات مختلفة بحسب أوقات مزاجه، وذلك لا يكون بداء.

ثم اختلف العلماء في وقوعه في القرآن، فقيل: لا ينسخ إلّا بقرآن كقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1]. قالوا: ولا يكون مثل القرآن أو خيرًا منه إلّا قرآن. وقيل: بل ينسخ بالسُّنة لأنها أيضًا من عند الله. قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾[2]. وقيل: ينسخ إذا كانت السُّنة من طريق الوحي، وإما عن اجتهاد فلا، حكاه ابن حبيب النيسابوري.

الثالثة: لا يقع النسخ إلّا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر. أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ. وكذا الوعد والوعيد، فمن أدخل في كتب النسخ كثيرًا من الأخبار والوعد والوعيد فقد خبط.

الرابعة: النسخ أقسام: أحدها: نسخ المأمور به قبل امتثاله، وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى. الثاني ما نسخ مما كان شرعًا لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية، أو كان أمر به أمرًا جمليًا،[3] كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان. وإنما يسمى هذا نسخًا تجوزًا. الثالث: ما أمر به بسبب ثم يزول السبب كالصبر عن القتال والصفح إلى أن يقوى المسلمون. وهذا في الحقيقة ليس نسخًا بل هو من قسم المنسأ، كما قال تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾، وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن آيات ترك القتال منسوخة بآية السيف. وقال مكي: المؤجل بأجل ليس بمنسوخ.

الخامسة: قال بعضهم: سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام: قسم ليس فيه شيء منهما وهو ثلاث وأربعون سورة. وقسم فيه كلاهما وهو خمس وعشرون. وقسم فيه الناسخ فقط وهو ست. وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الأربعون. وتفاصيل هذه السور في الكتب المصنفة في هذا العلم.

السادسة: النسخ أقسام: فرض نسخ فرضًا ولا يجوز العمل بالأول كنسخ الحبس للزواني بالحد. وفرض نسخ فرضًا، ويجوز العمل بالأول كآية المصابرة. وفرض نسخ ندبًا كالقتال كان ندبًا ثم صار فرضًا. وندب نسخ فرضًا كقيام الليل نسخ بالقراءة في قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[4].

السابعة: النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب: ما نسخ تلاوته وحكمه معًا. وما نسخ حكمه دون تلاوته، وهذا كثير في القرآن. وما نسخ تلاوته دون حكمه، وأمثلته كثيرة. وأمثلة هذه الأقسام وتفاصيل الآيات في كتب الناسخ والمنسوخ. وإنما غرضنا الإشارة الإجمالية إلى مباحثه ليكون باعثًا على الرغبة في طلبه.

علم معرفة النفوس الإنسانية بدأ وعودًا(*)

وإنها قديمة أو حادثة أو محشورة أو غير محشورة. وموضوعه وغرضه لا يخفى على الفطن.

---

(١) البقرة / ١٠٦.

(٢) النجم / ٣.

(٣) إجماليًا، في النسخة المصرية.

(٤) المزمل / ٢٠.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في فروع العلم الإلّهي، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان بحسب تقسيم المؤلف لها.

علم معرفة النهاري والليلي(*)

وموضوعه وغايته ومنفعته ظاهرة على الناظرين. قالوا: أنزل أكثر القرآن نهارًا، وأما الليلي فقد تتبعوه فبلغ إلى خمسة عشر آية، ذكر في الاتقان.

علم معرفة وجوه مخاطباته(**)

واعلم أنّ الخطاب في القرآن على خمسة عشر وجهًا. وقيل على أكثر من ثلاثين، والقول الأول لابن الجوزي.

الأول: خطاب العام أي العموم كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾(١).

والثاني: خطاب الخاص أي الخصوص كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾(٢).

الثالث: خطاب العام والمراد الخصوص نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾(٣) لم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

والرابع: عكس الثالث نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾(٤).

الخامس: خطاب الجنس نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

السادس: خطاب النوع نحو: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

السابع: خطاب العين نحو: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾(٥). قيل: ولم يقع في القرآن الخطاب بيا محمد بل يا أيها النبي ويا أيها الرسول تعظيمًا له وتشريفًا، وتخصيصًا بذلك عمن سواه، وتعليمًا للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه.

الثامن: خطاب المدح نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ولهذا وقع خطابًا لأهل المدينة الذي آمنوا وهاجروا.

التاسع: خطاب الذم نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

العاشر: خطاب الكرامة نحو: يا أيها النبي، يا أيها الرسول.

الحادي عشر: خطاب الإهانة نحو: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾(٦) ونحو: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾(٧).

الثاني عشر: خطاب التهكم نحو: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾(٨).

الثالث عشر: خطاب الجمع بلفظ الجمع نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾.

الرابع عشر: خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾(٩). الآية خطاب له ﷺ وحده، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(١٠) الآية.

الخامس عشر: خطاب الواحد بلفظ الإثنين

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) الروم / ٤٠.
(٢) المائدة / ٦٧.
(٣) النساء / ١.
(٤) الطلاق / ١.
(٥) البقرة / ٣٥.
(٦) الحجر / ٣٤.
(٧) المؤمنون / ١٠٨.
(٨) الدخان / ٤٩.
(٩) النحل / ١٢٦.
(١٠) النحل / ١٢٧.

نحو: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾(١) والخطاب لمالك خازن النار.

السادس عشر: خطاب الإثنين بلفظ الواحد نحو: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾(٢) أي ويا هارون.

السابع عشر: خطاب الإثنين بلفظ الجمع نحو: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾(٣).

الثامن عشر: خطاب الجمع بلفظ الاثنين نحو: ﴿أَلْقِيَا﴾ كما تقدم.

التاسع عشر: خطاب الجمع بعد الواحد نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾(٤).

العشرون عكسه نحو: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥).

الحادي والعشرون: خطاب الإثنين بعد الواحد نحو: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾(٦) الآية.

الثاني والعشرون: عكسه نحو: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

الثالث والعشرون: خطاب العين والمراد به الغير نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٧)، خاطب به صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به أمته لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان تقيًا ولا يمكن زواله عنه، وحاشاه من طاعة الكفار.

الرابع والعشرون: خطاب الغير والمراد العين نحو: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾(٨).

الخامس والعشرون: الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين نحو: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾(٩).

السادس والعشرون: خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره نحو: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾(١٠) إلى قوله: لتؤمنوا.

السابع والعشرون: خطاب التلوين وهو الالتفات.

الثامن والعشرون: خطاب الجمادات خطاب من يعقل نحو: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾(١١).

التاسع والعشرون: خطاب التهييج نحو: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١٢).

الثلاثون: خطاب التحنن والاستعطاف نحو: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾(١٣) الآية.

الحادي والثلاثون: خطاب التحبب نحو: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾(١٤)، ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾(١٥)، ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾(١٦).

---

(١) ق / ٢٤.
(٢) طه / ٤٩.
(٣) يونس / ٨٧.
(٤) الطلاق / ١.
(٥) يونس / ٨٧.
(٦) يونس / ٧٨.
(٧) الأحزاب / ١.
(٨) الأنبياء / ١٠.
(٩) الأنعام / ٢٧.
(١٠) الفتح / ٨.
(١١) فصلت / ١١.
(١٢) المائدة / ٢٣.
(١٣) الزمر / ٥٣.
(١٤) مريم / ٤٢.
(١٥) لقمان / ١٦.
(١٦) طه / ٩٤.

الثاني والثلاثون: خطاب التعجيز نحو: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾(١).

الثالث والثلاثون: خطاب التشريف وهو خطاب العباد بلا واسطة.

الرابع والثلاثون: خطاب المعدوم ويصح ذلك تبعًا لموجود نحو: يا بني آدم، خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم.

علم معرفة الوجوه والنظائر(*)

صنف فيه مقاتل بن سليمان من المتقدمين، ومن المتأخرين ابن الجوزي وابن الدامغاني(٢) وأبو الحسين محمد بن عبد الصمد المصري(٣) وابن فارس وآخرون.

فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، وكتاب معترك الأقران في مشترك القرآن(٤) للسيوطي كاف في هذا الفن. والنظائر كالألفاظ المتواطئة. وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني. وضعف هو بأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الكتب في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعًا للأقسام والنظائر نوعًا آخر. وقد جعل بعضهم ذلك من دلائل الإعجاز، حيث ترتقي كلمة واحدة إلى عشرين وجهًا أو أقل أو أكثر، ولا يوجد مثل ذلك في كلام البشر. وقد فسّر بأنْ يحمل اللفظ الواحد على معاني متعددة غير متضادة، ولا تقتصر به على معنى واحد. وقد يفسّر باستعمال الإشارات الباطنة وعدم القصر على التفسير الظاهر. وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء قال: إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا. قال حماد: فقلت لأيوب: أهو أنْ يرى له وجوهًا فيهاب الإقدام عليه؟ قال: نعم. هو هذا.

مثال الوجوه: الهدى يأتي على سبعة عشر وجهًا: بمعنى الثبات: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾(٥). والبيان: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾(٦). والدين: ﴿إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ﴾(٧). والإيمان: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾(٨). والدعاء: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٩). وبمعنى الرسل والكتب: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾(١٠). والمعرفة: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(١١). وبمعنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ

---

(١) البقرة / ٢٣.

(*) يتبع هذا العلم المطلب الثالث في فروع علم التفسير، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) هو جعفر بن عبد الله بن قاضي القضاة أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد الدامغاني، أبو منصور البغدادي. ولد عام ٤٩٠هـ، وتوفي عام ٥٦٨هـ. عالم كبير، محدث، له تصانيف. انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٢٠/ ٤٩٤، الوافي بالوفيات ١٠٨/١١ العبر ٤/ ٢٠٤، شذرات الذهب ٤/ ٢٢٧.

(٣) لم نعثر على ترجمة له.

(٤) معترك الأقران في مشترك القرآن، لجلال الدين السيوطي (-٩١١). كشف الظنون ٢/ ١٧٣١.

(٥) الفاتحة / ٦.

(٦) البقرة / ٥.

(٧) آل عمران / ٧٣.

(٨) مريم / ٧٦.

(٩) الرعد / ٧.

(١٠) البقرة / ٣٨.

(١١) النحل / ١٦.

﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾(١). وبمعنى القرآن: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾(٢). والتوراة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾(٣). والاسترجاع: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾(٤). والحجة: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٥) بعد قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾(٦) أي لا يهديهم حجة. والتوحيد: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ﴾(٧). والسنّة: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾(٨). ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾(٩). والاصلاح: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾(١٠). والإلهام: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(١١). أي ألهم المعاش. والتوبة: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾(١٢). والإرشاد: ﴿أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(١٣).

ومثال النظائر: كل ما فيه من البروج فهو الكواكب. إلّا: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(١٤) فهي القصور الطوال الحصينة. وكل صلوٰة فيه عبادة ورحمة إلا: ﴿وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾(١٥) فهي الأماكن. وكل قنوت فيه طاعة إلّا: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾(١٦). فمعناه مُقِرُّون. وكل كنز فيه مال إلّا في الكهف فهو صحيفة علم. وكل مصباح فيه كوكب إلّا الذي في النور فالسراج. وكل نكاح فيه تزوّج إلّا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾(١٧) فهو الحلم. وليكن هذا الأنموذج عندك، والاستقصاء فيه خارج عن طوقنا.

علم المعمى (*)

وقد عرفت تفصيله في علم اللغز ولا وجه لإعادته. لكنّا نذكرها هنا بعضًا من الأمثلة. المعمى على إسم محمد: يروي أنه لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، لكن هذه الرواية غير صحيحة.(١٨) لكن الغرض ها هنا المثال فلا

(١) البقرة / ١٥٩.
(٢) النجم / ٢٣.
(٣) غافر / ٥٣.
(٤) البقرة / ١٥٧.
(٥) البقرة / ٢٥٨.
(٦) البقرة / ٢٥٨.
(٧) القصص / ٥٧.
(٨) الأنعام / ٩٠.
(٩) الزخرف / ٢٢.
(١٠) يوسف / ٥٢.
(١١) طه / ٥٠.
(١٢) الأعراف / ١٥٦.
(١٣) القصص / ٢٢.
(١٤) النساء / ٧٨.
(١٥) الحج / ٤٠.
(١٦) البقرة / ١١٦.
(١٧) النساء / ٦.
(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، من الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(١٨) قال قطب الدين المكي في رسالته المسماة: بالكنز الأسمى في علم المعمى: وأما واضع هذا الفن ومدونه ابتداءً فهو مولانا شرف الدين علي اليزدي، صاحب التاريخ المشهور الذي سماه: ظفر نامه، يتضمن سيرة تيمور وفتوحاته، وكان مقربًا عنده، منظورًا بعين الجلال والتعظيم، وكان منشئًا بليغًا شاعرًا فصيحًا، فاق أهل العصره في فن الانشاء، مع المشاركة في الفنون العلمية، وله عدة مؤلفات، مثل: كنز المراد في الوفق والاعداد، ودوّن علم المعمى، وألف فيه رسالة طويلة الذيل سماها: الحلل المطرز في المعمى واللغز. توفي عام ثلاثين وثمانماية. ولازال فضلاء العجم يقتفون أثره، ويوسعون=

حاجة إلى صحة روايته.

ألا خـذ وعـد مـوسـى مـرتـيـن
وضـع أصـل الـطـبـائـع تـحـت ذيـن
وسـكـن خـان شـطـرنـج فـخـذهـا
وأدرج بـيـن ذيـن الـمـدرجـيـن
فـهـذا اسـم لـمـن يـهـواه قـلـبـي
وقـلـب جـمـيـع مـن فـي الـخـافـقـيـن

ومثال آخر في اسم أحمد:

أو لـه ثـالـث تـفـاحـة
ورابـع الـتـفـاح ثـانـيـه
وأول الـمـسـك لـه ثـالـث
وآخـر الـورد لـبـاقـيـه

ومثال آخر في اسم أحمد:

أحـاجـيـك فـي اسـم الـحـبـيـب الـذي
هـويـت وأنـت إمـام الـبـلـد
حـروف الـهـجـاء لـه أربـع
إذا زال حـرف فـيـبـقـى أحـد

وقال زهير في حق مدينة يافا:

وحـقـك خـبـرنـي عـن اسـم مـديـنـة
يـكـون ربـاعـيًّـا إذا مـا كـتـبـتـه
عـلـى أنـه حـرفـان حـيـن تـقـولـه
ولـكـنـه حـرف إذا مـا قـلـبـتـه

ومثال آخر في اسم سعيد:

اسـم مـن كـان أفـضـل الـقـوم
أول الـسـوم آخـر الـصـوم

ومما جاء في المسائل الفقهية:

ولـي خـالـة وأنـا خـالـهـا
ولـي عـمـة وأنـا عـمـهـا
فـأمـا الـتـي أنـا عـم لـهـا
فـإنّ أبـي أمـه أمـهـا
أبـوهـا أخـي وأخـوهـا أبـي
ولـي خـالـة هـكـذا أحـكـمـهـا

صورتها رجل له امرأتان، أولد واحدة بنتًا وأخرى ابنًا، ثم زوّج بنته من أبي امرأته التي ولدت ابنًا، فجاءت ببنت، وهي خالة ابنه وهو خالها. ثم إنّ صورة العمة رجل له ابن ولابنه أخ من أمه، فزوّج أخاهُ أم أبيه، فجاء ببنت وهي عمته، وهو عمها.

واعلم أنّ أكثر من يعتنى باللغز العرب، لكن لم يدوّنوه في الكتب، وأكثر من يعتني بالمعمى أهل فارس، ولهذا وقع جلّ التصانيف في المعمى على لسان الفرس، وقد رتّبوا له قواعد عجيبة وتقسيمات غريبة وتنويعات لطيفة. وأما ما يوجد في لسان العرب فشيء نزر جدًا. ولقد وجدت في لسان العرب[1] خمس معميات فقط مع شدة تنقيري وكثرة تتبعي عنه، على أنه لم

=دائرة هذا الفن، ويتعمقون فيه إلى أن ألّف فيه مولانا نور الدين الجامي قدس سرّه عدة رسائل، ودونت وشرحت، وكثر فيه التصنيف إلى أن نبغ في عصره مولانا مير حسين النيسابوري فأتى فيه بالسحر الحلال، وكتب فيه رسالة تكاد تبلغ حدّ الاعجاز، أتى فيها بغرائب التعمية والالغاز، بحيث إن مولانا نور الدين الجامي مع ما له قدرة ودقة نظر، لما اطلع على هذه الرسالة قال: لو اطلعت على هذه قبل الآن ما ألّفت شيئًا في علم المعمى، ولكن سارت الركبان برسائلي، فلا يفيد الرجوع عنها. وارتفع شأن مولانا مير حسين بسبب علم المعمى، مع تفننه في سائر الفنون، فصار سلاطين خراسان وملوكها ووزراؤها وأعيانها يرسلون أولادهم إليه ليقرأوا رسالته عليه إلى أن توفي عام اثنتي عشرة وتسعمائة، وذلك بعد وفاة مولانا الجامي بأربعة عشر عامًا، انتهى.

أقول: بلغت كثرة الشروح على تلك الرسالة إلى مبلغ يكاد أن لايحصى بعضها بالفارسية وبعضها بالتركية. وأدق ما اشتهر من الشروح: شرح مولانا نونداكي على ما لا يخفى على مهرة الفن. وقد تملكت كتابين غريبين في علم المعمى، أحدهما المسمى بالكنز الأسمى للقطب المكي، والآخر بالطراز الأسمى لابن البكاء، لكنهما متأخران عن زمن المصنف. (هامش الأصل).

(١) لسان العرب في اللغة، للشيخ جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المصري (-٧١١هـ). كشف الظنون ١٥٤٩/٢.

يقع في مرتبة لطافة أهل فارس الذين لو كان العلم عند الثريا لناله رجال منهم. وإنْ أردت صدق هذا المقال فارجع إلى كتاب مولانا عبد الرحمن الجامي قدّس سره، خصوصًا كتاب مولانا حسين المعمائي، فإنك إنْ طالعته وجدته السحر الحلال وترى فيه العجب العجاب.

علم المغازي(*)

وهذا وإنْ أمكن عدّه من فروع علم التاريخ، لكن لما كان ثبوتها بالأحاديث والآثار جعلناه من فروع علم الحديث. وفي هذا العلم مصنفات كثيرة أجلّها وأفضلها تصنيف عبد الملك بن هشام ومغازي ابن إسحاق وغير ذلك.

علم المغازي والسير(**)

وهذا أيضًا من فروع علم التاريخ وقد صنّف فيها العلماء كتبًا كثيرة، منها: سيرة ابن هشام[١]، وسيرة محمد بن إسحاق،[٢] وسيرة مغلطاي[٣]، وغير ذلك. وموضوع هذين العلمين ومنفعتهما والغاية والغرض فيهما لا يخفى على أحد.

علم مقادير العلويات(***)

وهو علم باحث عن قدر الكواكب والأفلاك بالأميال والفراسخ، وقدر الشمس والقمر والأرض، وبعد كل من هذه الأجرام بعضها عن بعض. وهذا علم بعيد المتناول، إلّا أنّ القدماء اجتهدوا فيه وبيّنوا تلك المسائل ببراهين قطعية، لا يشك من يتولاها في صحتها.

علم المقادير والأوزان(****)

المستعملة في علم الطب من الدرهم والأوقية والرطل وغير ذلك من الأوزان. ولقد صنّف له كتب مطوّلة ومختصرة يعرفها مزاولوها.

علم مقالات الفرق(*****)

وهو علم باحث عن ضبط المذاهب الباطلة المتعلقة بالاعتقادات الإلهية. وهي على ما أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الأمة اثنتان وسبعون فرقة. وموضوعه وغايته وغرضه ومنفعته ظاهرة جدًا. وقد تكفّل بتفصيل مجملاتها القاضي مولانا عضد الدين[٤] في آخر

(*) يتبع هذا العلم المطلب الرابع في فروع علم الحديث، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، من الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) واعلم أن سيرة ابن هشام تتخذ من سيرة ابن اسحاق المطلبي. (هامش الأصل). هذب أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (-٢١٨هـ) كتاب السيرة لأبي محمد بن اسحق.
كشف الظنون ٢/ ١٠١٢.

(٢) علم السير أول من صنف فيه الإمام المعروف بمحمد بن اسحق رئيس أهل المغازي (-١٥١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٠١٢.

(٣) ممن صنف في السيرة الحافظ مغلطاي. كشف الظنون ٢/ ١٠١٣.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، من علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم العنقود الأول في فروع علم الطب من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع فروع العلم الطبيعي، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(*****) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في فروع العلم الإلهي، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الأيجي، . توفي عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م. عالم بالأصول والمعاني والعربية. مات مسجونًا. له تصانيف عديدة هامة.
الأعلام ٣/ ٢٩٥، بغية الوعاة ٢٩٦، طبقات السبكي ٦/ ١٠٨.

كتابه المواقف[١] من علم الكلام. وممن أورد فرق المذاهب في العالم كلها محمد الشهرستاني في كتاب: الملل والنحل، هو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، المتكلم على مذهب الأشعري. كان إمامًا مبرزًا فقيهًا متكلمًا. تفقه على أحمد الخوافي[٢] المقدّم ذكره، وعلى أبي نصر القشيري وغيرهما، وبرع في الفقه. وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري[٣] وتفرّد فيه، وصنّف كتاب: نهاية الإقدام في علم الكلام، وكتاب الملل والنحل، والمناهج، والبينات، وكتاب المضارعة، وتلخيص الأقسام لمذاهب الأنام. وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة، يعظ الناس، ودخل بغداد سنة عشر وخمس مائة، وأقام بها ثلاث سنين، وظهر له قبول كثير عند العوام. وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور ومن غيره. وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني. وكانت ولادته سنة سبع وستين أو تسع وسبعين وأربع مائة بشهرستان، وتوفي بها أيضًا في أواخر شعبان سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمس مائة[٤]، وشهرستان مدينة في خراسان. وذكر في أول نهاية الإقدام المذكور بيتين ولم يذكر أن هذين البيتين لمن:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها
وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلّا واضعًا كفّ حائر
على ذقن أو قارعًا سن نادم

قلت: وجدت في بعض المجاميع أنّ البيتين اللذين ذكرهما الشهرستاني في نهاية الإقدام لأبي علي ابن سينا، والله أعلم. وفقنا الله تعالى للقول الصدق والمذهب الحق، وألّا تزلّ أقدامنا عن الصراط السوي، والمنهج الواضح القوي، ويسّر لنا الاهتداء بدين نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبطريقة من اتبع سنته، واختار شريعته، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

علم المقلوب(*)

وهذا أيضًا من فروع علم البديع أو المحاضرات كما عرفت في التصحيف، وهو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبته وابتدأت من حرفه الأخير إلى الحرف الأول كان الحاصل بعينه هو هذا الكلام، وهذا مغاير لتجنيس القلب المذكور في علم البديع، فإنّ المقلوب هاهنا يجب أن يكون عين اللفظ الذي ذكر بخلافه ثمّة، ويجب ثمة ذكر اللفظين جميعًا بخلافه ها هنا. والقلب قد يكون في النظم وقد يكون في النثر[٥]. أما في النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين

---

(١) المواقف في علم الكلام، للعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي القاضي (-٧٥٦هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨٩١.

(٢) هو أحمد بن محمد الخوافي الطوسي. توفي عام ٥٠٠هـ. شيخ الشافعية في عصره، فقيه. انظر عنه: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٥١.

(٣) هو سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد بن اسماعيل بن اسحاق بن زيد بن زياد بن ميمون بن مهران. أبو القاسم الأنصاري. توفي عام ٥١٢هـ/ ١١١٩م. مفسر، عالم بالكلام، زاهد، ورع. له عدة تصانيف.
انظر عنه: طبقات الشافعية ٢/ ٢٩١، الاعلام ٣/ ١٧٠، طبقات السبكي ٤/ ٢٢٢، شذرات الذهب ٤/ ٣٤، مرآة الجنان ٣/ ٢٠٣.

(٤) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٦١٠، تاريخ حكماء الاسلام ١٤١، طبقات الشافعية ٤/ ٧٨، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٠٤، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٧٨، لسان الميزان ٥/ ٢٦٣، مرآة الجنان ٣/ ٢٨٩، شذرات الذهب ٤/ ١٤٩، الأعلام ٧/ ٨٣.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٥) مثال النثر: مرادي دارم برآيديارب (هامش الأصل).

قلبًا للآخر كقوله: أرانا الإله هلالًا أنارا. وقد لا يكون كذلك، بل يكون مجموع البيت قلبًا لمجموعه، كقول القاضي الأرجاني[(١)]:

مودته تدوم لكل هول
وهل كل مودته تدوم

وكقول الحريري:

آس أرملًا إذا عرا
وارع إذا المرء أسا

إلا أنّ في قول الحريري نوع تكلف، وهو زيادة همزة مرء وحذفها في القلب. وأما في النثر فإمّا في مفرد نحو سلس، أو مركب كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾[(٣)]. والحرف المشدّد في هذا الباب في حكم المخفف لأن المعتبر هو الحروف المكتوبة. ومنه: سرْ فلا كبا بك الفرس، وهو قول عماد الكاتب. وقول القاضي الفاضل في جوابه: دام علاء العماد. وقد مرّ تفصيله. ومنه: كمالك تحت كلامك. ومنه: عقرب تحت برقع. ومنه: كبر رجاء أجر ربك. ومنه: لا بقاء للإقبال. وله نظائر كثيرة وأمثال غير قليلة.

علم الملاحة(*)

وهو علم يتعرف به آلات السفينة وكيفية إجرائها في البحر، وأنّ مقدار هذا الثقل بهذا المقدار من الريح كم فرسخًا يتحرك في مقدار هذه الساعات. ويتوقف على معرفة سموت البحار والبلدان والأقاليم، ومعرفة ساعات الأيام والليالي ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها ورخائها وممطرها وغير ممطرها، ومن مباديه علم الميقات وعلم الهندسة، ويتوقف على معرفة عجائب البحر وطبائعها وخواصها، وصور الأقاليم، وغير ذلك مما يعرفه أهله. وهذا العلم يعرف بالتمرن عند المتمهرين فيه، ولذلك قلّما يصنفون فيه. وهذا العلم عظيم النفع لأنّ الله تعالى امتنّ على عباده بالسفن، فهذا العلم مما يتم به أعظم منن الله تعالى على عباده. وفي هذا الفن كتب موجودة عند أهله، وأكثر مباديه مستندة إلى التجربة.

علم الملاحم(**)

وهي جمع ملحمة، وهي الوقعة العظيمة في الفتنة، ويعرف في هذا العلم بسبب ضبط أحوال أحكام النجوم، كل وقعة وفتنة عظيمة، مثل وقعة بخت نصر ووقعة جنكيز وهلاكو وتيمور، ما وقع منها وما سيقع، وتعيين زمان وقوعها في الآتي. وهذا علم يعتني الناس بها ويستخرجون أحكامها. إلّا أنك قد عرفت أنّ علم الأحكام لا يخلو عن شبهة وتخمين، ويكفيك في معرفة الملاحم ما وقع في الأحاديث النبوية، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم تفته حادثة يرجى وقوعها لأنّ هذا الاطلاع في منصب النبوة أدنى من نسبة القطرة إلى البحر المحيط. وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى معظم ما سيقع منها بل إلى كلها، فعليك بتتبع الأحاديث إنْ أردت معرفة هذا الشأن، إذْ ليس قرية وراء عبادان، وقد قال

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين الأرجاني. ولد عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، وتوفي عام ٥٤٤هـ/١١٤٩م. شاعر، قاض. له كتب. انظر عنه:
الاعلام ١/٢١٥، معاهد التنصيص ٣/٤١، وفيات الأعيان ١/٤٧.

(٢) المدثر/٣.

(٣) الأنبياء/٣٣.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع الهندسة، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[١].

علم منازل القمر[*]

وهو علم يتعرف منه صور المنازل الثمانية والعشرين وأسماؤها، وخواص كل واحد منها، وأحكام نزول القمر في كل منها، إلى غير ذلك.

علم المناظر[**]

وهو علم يتعرف منه أحوال المبصرات في كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن الناظر، واختلاف أشكالها وأوضاعها، وما يتوسط بين الناظر والمبصرات، وغلظته ورقته، وعلل تلك الأمور. ومنفعته معرفة أحوال الأبصار وتفاوت المبصرات، والوقوف على سبب الأغاليط الحسية الواقعة فيها، ويستعان بهذا العلم على مساحة الأجرام البعيدة والمرايا المحرقة أيضًا. ومن الكتب المختصرة فيه: كتاب إقليدس. ومن المتوسطة: كتاب علي بن عيسى الوزير[٢]. ومن المبسوطة: كتاب لابن الهيثم.

وهو علم باحث عن أحوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما. وهذا العلم من أنواع العلوم العقلية أيضًا، وقد مرّ تفصيله، لكن لا مانع فيه من أنّ يكون فرعًا لعلم الأصول.

علم المنطق ويسمى علم الميزان أيضًا[****]

وهو علم يتعرّف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية أو التصديقية من معلوماتها. وموضوعه المعقولات الثانية من حيث الايصال إلى المجهول أو النفع فيه. والغرض منه ومنفعته ظاهرة مما ذكرنا.

ومن الكتب المبسوطة في المنطق البحر الخضم: منطق الشفاء لأبي علي بن سيناء، وهو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سيناء الحكيم المشهور، كان أبوه من بلخ وانتقل منها إلى بخارى، وكان من العمال الكفاة، وتولى العمل بقرية من ضياع بخارى، يقال لها حرميتن[٣]، من أمهات قراها، وولد هو وأخوه بها. واسم أمه ستاره من قرية أفشنه[٤] بالقرب من حرميتن، ثم انتقلوا إلى بخارى، وانتقل الرئيس بعد ذلك في البلاد، واشتغل بالعلوم وحصل الفنون. ولما بلغ عشر سنين من عمره أتقن علم القرآن العزيز والأدب، وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة. ثم قرأ كتاب

---

(١) فاطر / ١٤.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة السابعة في فروع علم الهندسة، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) هو علي بن عيسى بن داود بن الجراح، أبو الحسن البغدادي الحسين. ولد عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٩م. وتوفي عام ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م. وزير عباسي، عالم أديب. له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٤/ ٣١٧، تاريخ بغداد ١٢/ ١٤، المنتظم ٦/ ٣٥١.

(***) يتبع هذا العلم المطلب السادس في فروع علم أصول الفقه، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى في علوم آلية تعصم عن الخطأ في الكسب، ضمن الدوحة الثالثة في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وفتح ميمه، وسكون الياء المثناة من تحت، وثاء مثلثة وأخره نون، من قرى بخارى، ويقال لها أيضًا: خرميثن. (هامش النسخة المصرية).

(٤) بالفتح ثم السكون، وشين معجمة مفتوحة، ونون وهاء، من قرى بخارى. (هامش النسخة المصرية).

إيساغوجي على أبي عبدالله الناتلي[1]، وأحكم عليه ظواهر المنطق لأنه لم يكن يعرف دقائقها، ثم حلّ هو نفسه دقائق غفل عنها الأوائل، وأحكم عليه إقليدس والمجسطي وفاقه أضعافًا كثيرة. وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسمٰعيل الزاهد، يقرأ ويبحث ويناظر، ثم اشتغل بتحصيل الطبيعي والإلٰهي وغير ذلك وفتح الله عليه أبواب العلوم، ثم فاق في علم الطب الأوائل والأواخر في أقل مدة، وأصبح عديم القرين فقيد المثل، وقرأ عليه فضلاء هذا الفن أنواعه، والمعالجات المقتبسة من التجربة وسِنُّه إذْ ذاك نحو ستة عشر. وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة، وكان إذا أشكلت عليه مسئلة توضأ، وقصد المسجد الجامع وصلى، ودعا الله عزّ وجل أن يسهلها عليه ويفتح مغلقها له. ثم اتصل بخدمة نوح بن نصر الساماني[2] صاحب خراسان بسبب الطب، ودخل إلى خزانة كتبه واطلع على كتب لم يقرع آذان الأزمان بمثلها، وحصّل نخب فوائدها، ولم يستكمل ثماني عشرة سنة.

ويحكى عنه أنه لم يطلع على مسئلة إلى آخر عمره إلّا وكان يعرفها في ثماني عشرة سنة من سنّه، حتى حكى عنه أنه قال: كل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن، لم أزدد فيه إلى اليوم، وهذا أمر عظيم، لا يكاد يقبله العقل لولا عرف حدة ذكائه. ثم تقلبت به الأحوال بأمور يطول شرحها، حتى استوزر، ثم عزل وحبس. وبعد هذه الأحوال كلها مرض، ثم صلح، ثم مرض إلى أنْ ضعف جدًا، ثم اغتسل وتاب، وتصدّق بما معه على الفقراء، وردّ المظالم على من عرفه، وأعتق مماليكه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة. مات يوم الجمعة من رمضان سنة ثمان وعشرين وأربع مائة بهمدان. وكانت ولادته سنة سبعين وثلاث مائة في شهر صفر. وقيل توفي بأصبهان وفضائله كثيرة شهيرة. وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه. وعدة تصانيفه ثمانية وستون على الأشهر. وقيل يقارب مائة مصنف ما بين مطول ورسالة. وله رسائل بديعة، منها: رسالة حي بن يقظان، ورسالة سلامان وابسال، ورسالة الطير، وقصيدة الورقاء يرمز بها عن النفس الناطقة. ومن كتبه المبسوطة: الشفاء كتبه بلا مطالعة كتاب، وكان يكتب كل يوم خمسين ورقة من حفظه، وهذا كما مرّ أمر يستحيله العقل، لكن لو نسب إلى غير أبي علي. وكتاب النجاة، والقانون والإشارات، وغير ذلك. ومناقبه لا تعد، ولنكتف ها هنا بهذا الحدّ.

ومن الكتب المبسوطة في المنطق والحكمة: كتاب بيان الحق، ومطلع الأنوار، والمناهج كلها للأرموي، وهو محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموي، الشيخ سراج الدين أبو الثناء، صاحب التحصيل مختصر المحصول في أصول الفقه، واللباب، ومختصر الأربعين في أصول الدين والبيان، والمطالع في المنطق والحكمة وغير ذلك. وقيل إنه شرح الوجيز للرافعي في الفقه، وكان شافعيًا. قرأ بالموصل على كمال الدين بن يونس[3]. مولده سنة أربع وتسعين

---

(١) هو أبو عبد الله الناتلي. حكيم عالم بفنون المنطق والرياضيات له عدة كتب ورسائل.
انظر عنه: تتمة صوان الحكمة ٤٦.

(٢) هو نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن عبد الملك بن نصر بن أحمد الساماني أبو القاسم. توفي عام ٣٨٧هـ. من ملوك الدولة السامانية. وكان سلطان بخارى. له أخبار مشهورة.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٦/٥٤١، الأعلام ٨/٥١، اللباب ٢/٩٤، البداية والنهاية ١١/٣٢٣، العبر ٣/٣٨.

(٣) هو موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي، كمال الدين، أبو الفتح، الموصلي. ولد عام ٥٥١هـ/١١٥٦م. =

وخمس مائة، وتوفي سنة اثنتين وثمانين وست مائة بمدينة قونية[١].

ومن كتب المنطق: كشف الأسرار للخونجي، وهو محمد بن بامادر بن عبد الملك القاضي أفضل الدين الخونجي. ولد في جمادى الأولى سنة تسعين وخمس مائة، وله اليد الطولى في المعقولات، وهو صاحب الموجز في المنطق وغيره. ولي قضاء القضاة بالقاهرة. وكان كثير الأفكار، بحيث يستغرق وقتًا صالحًا في ذلك، ودرس بالمدرسة الصلاحية بالقاهرة وغيرها. وتوفي في الخامس من شهر رمضان سنة تسع وأربعين وست مائة، ودفن بسفح المقطم[٢].

ومن الكتب المختصرة اللطيفة النافعة في هذا العلم: المطالع للأرموي وقد عرفته، وله شروح، منها: شرح شمس الدين الأصفهاني رحمه الله وقد عرفته في علم الكلام. ومنها: شرح قطب الدين الرازي التحتاني، وهو محمد ابن محمد الرازي الشيخ العلامة قطب الدين المعروف بالتحتاني، وهذه النسبة لتميزه عن قطب آخر فوقاني، وكانا يسكنان في مدرسة واحدة. أحدهما في الطبقة الفوقانية والآخر في الطبقة التحتانية، وهو إمام مبرز في المعقولات، اشتهر اسمه وبعُد صيته، ورد إلى دمشق في سنة ثلاث وستين وسبع مائة. قال ابن السبكي: بحثنا معه في دمشق فوجدناه إمامًا في المنطق والحكمة، عارفًا بالتفسير والمعاني والبيان، مشاركًا في النحو، يتوقد ذكاء. وله على الكشاف حواش مشهورة، وله شرح على مطالع الأرموي في المنطق، وهذا شرح عظيم الشأن، وله شرح على الرسالة الشمسية للكاتبي في المنطق. توفي في سادس ذي القعدة سنة ست وستين وسبع مائة بظاهر دمشق عن نحو أربع وسبعين سنة.

يروى أنه كان له عبد ربّاه من صغره وعلّمه حتى كان مدرسًا وفاضلًا في كل العلوم، وكان يدعى بمبارك شاه المنطقي، وهو الذي أخذ عنه الشريف الجرجاني شرح المطالع لمولاه قطب الدين الرازي، وكان طلب قراءته أولًا من الشارح، ولم يلتزم ذلك، وتعلّل بأنني شيخ وأنت شاب، ثم أرسله الشارح من شيراز إلى غلامه مبارك شاه وهو بمصر وقتئذ، فقبل الشريف ذلك وسار إليه مع كتاب من الشارح إليه، وأوصى في الكتاب أنْ يعلمه كما سمع منه. فلما أوصل الشريف الكتاب قبله، لكن بشرط أنْ يسمع فقط، ولا يقرأ ولا يتكلم أصلًا. ثم ليلة من الليالي كان يطوف المدرّس في المدرسة إذْ سمع مباحثة في بعض الحجرات، فإذا هو الشريف المذكور، وسمع منه تحقيقات عجيبة وتدقيقات غريبة، حتى لحقه البهجة والسرور بحيث رقص في فناء المدرسة، على أنّ مثل هذا الفاضل يقرأ عنده. فلما أصبح أذن له في القراءة والتكلم. يروى أنّ الشريف كتب حواشي شرح المطالع عند قراءته عليه.

ومن الكتب اللطيفة في المنطق: التلويحات والمطارحات للسهروردي، وهو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب شهاب الدين السهروردي، الحكيم المقتول. وقيل: اسمه عمر. كان من علماء عصره. قرأ الحكمة وأصول الفقه على الشيخ مجد الدين الجيلي أستاذ فخر الدين الرازي بمدينة المراغة، من أعمال آذربيجان إلى أن برع فيهما. وكان

=وتوفي عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م. فيلسوف، رياضي، عالم بالحكمة والأصول والموسيقى والأدب. له العديد من التصانيف. انظر عنه: الاعلام ٧/ ٣٣٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٢، طبقات السبكي ٥/ ١٥٨ شذرات الذهب ٥/ ٢٠٦.

(١) من أعظم مدن المسلمين بالروم، وبها وبأقصرى سكنى ملوكها. مراصد الاطلاع ١١٣٤.

(٢) هو الجبل المشرف على مقبرة الفسطاط وهي القرافة، بالقاهرة.

السهروردي أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية والفلسفية، بارعًا في الأصول الفقهية، مفرط الذكاء، فصيح العبارة. ويقال أنه كان يعرف علم السيمياء.

ويحكى عنه فيه أشياء غريبة، منها ما حكى بعض فقهاء العجم أنه كان في صحبته، وقد خرجوا من دمشق. قال: فلما وصلنا إلى القابون، القرية التي على باب دمشق في طريق من يتوجه إلى حلب، لقينا قطيع غنم مع تركمان، فاشتهينا غنمًا نأكله، وأعطانا عشرة دراهم كانت معه، فاشترينا بها غنمًا من رجل تركماني، فلم نمش إلّا قليلًا، ولحقنا رفيق له، وقال: ردّوا الرأس وخذوا أصغر من هذا الغنم، ورفيقي لم يعرف قيمته، وتقاولنا نحن وإياه. فلما عرف الشيخ ذلك قال: إمشوا وأنا أرضيه. فتقدّمنا نحن، وبقي الشيخ يتحدّث معه، ويطيّب قلبه. فلمّا أبعدنا قليلًا تبعنا وتركه، فغاظ التركماني وجذب اليد اليسرى للشيخ، وإذا بيد الشيخ قد انخلعت، ورمى التركماني يده وخاف منه، وفرّ وأخذ الشيخ تلك اليد بيده اليمنى، ولحقنا إلى أنْ غاب عن التركماني، فرأينا في يد الشيخ منديلًا له لا غير. ويحكى عنه مثل هذا أشياء كثيرة.

له تصانيف منها: التنقيحات في أصول الفقه، والتلويحات، والمطارحات في المنطق والحكمة، والهياكل وحكمة الاشراق في الحكمة، وله الرسالة المعروفة بالغربة الغربية، على مثال رسالة الطير ورسالة حي بن يقظان لأبي علي بن سيناء، وفيها بلاغة تامة للسهروردي أشار فيها إلى حديث النفس وما يتعلّق بها. وله في النظم والنثر أشياء لطيفة لا حاجة إلى الإطالة فيها. وكان شافعي المذهب. وكان يلقب بالمؤيد بالملكوت. وكان يتهم بانحلال العقيدة والتعطيل، ويعتمد مذهب الحكماء المتقدمين. وأفتى علماء حلب بإباحة دمه. وكان أشدهم عليه زين الدين ومجد الدين ابني جَهبَّل.

وقال الشيخ سيف الدين الآمدي، وسيجيء ذكره: اجتمعت بالسهروردي في حلب فقال لي: لا بد أن أملك الأرض. فقلت له: من أين لك هذا؟ قال: رأيت في المنام كأني شربت ماء البحر. فقلت: لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب هذا، فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه، ورأيته كثير العلم، قليل العقل. وبالجملة حبسه السلطان وخنقه في خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمس مائة بقلعة حلب، وعمره ثمان وثلاثون سنة. وكان الناس مختلفين في حقه. منهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد، ومنهم من يشهد له بحسن الاعتقاد. قال القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب: إنّ السهروردي كان كثير التعظيم لشعائر الدين القويم، وأطال الكلام في ذلك، وذكر نفسه في أواخر التلويحات في وصايا ذكرها هناك، واتق شرّ من أحسنت إليه من اللئام، ولقد أصابني منهم شدائد. قال شارحها: أراد به بعضًا من تلامذته الذين يصاحبونه في السفر والحضر، وينقلون عنه أشياء مخالفة للشرع. ولعلّ قتله كان بسبب هؤلاء، نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من أهل الحق والرشاد، وأن يعصمنا من شر أهل الزيغ والفساد، إنّه ولي الحق والإرشاد.

ومن لطائف كتب المنطق: الملخص، وشرح الإشارات وغير ذلك للإمام الرازي، وستعرف ترجمته إنّ شاء الله تعالى.

ومن الكتب النافعة في المنطق. المعتبر لأبي البركات البغدادي، وهو هبة الله بن ملكا، أبو البركات البغدادي اليهودي أولًا في أكثر عمره، والمهتدي إلى الاسلام في آخر أمره، الملقب أوحد الزمان. طبيب فاضل، عالم بعلوم الأوائل. كان حسن العبارة لطيف الإشارة.

صنف كتاب المعتبر أتى فيه بأقسام الحكمة غير الرياضي وهو أحسن كتاب صنّف في هذا الشأن في هذا الزمان، وكان ذا ثروة وتجمّل تام، وهجاه ابن أفلح[١] وقال:

لـنـا طـبـيـب يـهـودي حـمـاقـتـه ... إذا تـكـلـم تـبـدو فـيـه مـن فـيـه

يـتـيـه والـكـلـب أعـلـى مـنـه مـنـزلـة ... كـأنـه بـعـد لـم يـخـرج مـن الـتـيـه

ولما سمع ذلك علم أنه لا يبجلّ بالنعمة بلا إسلام، فقوى عزمه على الإسلام فأسلم، وجلس للتعليم والمعالجة، وعاش عيشة هنيئة إلى أنْ خانه الدهر وهو خؤون، وعصاه الزمان وهو ذو فنون، حتى استولت عليه والعياذ بالله آفات، لو وضع واحد منها على رضوى[٢] لتخلخلت أصوله الرواسخ، وتدكدكت رؤوسه الشوامخ، وذلك أنه عمي وطرش وبرص وتجذّم، فنعوذ بالله من نقمة لا تطيقها الأبدان، ومن زوال العافية وتقلب الإحسان. ولما أحس بالموت أوصى من يتولاه أنْ يكتب على قبره ما مثاله: هذا قبر أوحد الزمان أبي البركات ذي العبر، صاحب المعتبر، فسبحان من لا يغلبه غالب، ولا ينجو من قضائه متحيل ولا هارب. نسأل الله تعالى في حياتنا العافية، وفي مماتنا حسن العاقبة. ربّ قد أحسنت فيما مضى فلك أنْ تحسن إلينا فيما بقي. ولم يتحقق تاريخ وفاته إلّا أنه كان في أواسط المائة السادسة، والله أعلم.

ومن كتب المنطق: جامع الدقائق للكاتبي وشرح الكشف له أيضًا. والكشف، وتنزيل الأفكار، وحواشي ملخص الرازي كلها للكاتبي. وإنْ أردت بلوغ الغاية في المنطق فعليك بتعديل الميزان وهو أحد أقسام تعديل العلوم للإمام الهمام والحبر القمقام، فخر العلماء الاعلام، ونتيجة أسلافه الكرام، وسلالة أجداده العظام الإمام صدر الشريعة، أكرمه الله في الدرجات الرفيعة، وهو رحمه الله كشف في هذا الكتاب عن غوامض طالما تحيّر فيها عقول الأقدمين، وأبرز قواعد لم يهتد إليها أحد من الأوحدين. ومع هذا فهو للعلوم الشرعية أبو عذرها وابن بجدتها. وستعرف ترجمته إنْ شاء الله تعالى الكريم. وكتب المنطق أكثر من أن تحصى، وأجل من أن تستقصى. لكن من لم ينتفع بما ذكر، لا ينتفع بخزائن من الكتب، والله الموفق للرشاد والمعطي للسداد.

علم مواسم السنة(*)

واعلم أن لكل أمة من الأمم، ولكل طائفة من الأقوام مواسم وأعياد، يراعونها ويحفظونها، ويجعلون لها وقتًا معلومًا في كل سنة، لا يخطىء عنها أصلًا.

فالعلم المذكور يعرف منه أعياد كل قوم، وأنها من السنة في أي يوم، ويعرف شغل أهلها في ذلك اليوم، مثل يوم النيروز والمهرجان عند أهل فارس. وكان أهل القبط بمصر، يأتي ملكهم في يوم النيروز شخص ويرصد من الليل، ويكون مليح الوجه، حسن الثياب، طيب الرائحة، فيقف على الباب حتى يصبح. وإذا أصبح دخل على الملك بغير إذن، ويقف بحيث إنّ الملك يراه، فيقول له: من أنت؟ ومن أين

---

(١) هو علي بن أفلح بن محمد العبسي، أبو القاسم. ولد عام ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م. وتوفي عام ٥٥٣هـ/١١٥٨م. أديب، كاتب، شاعر، له ديوان وعدة رسائل.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٧/ ٣٩، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٥، كشف الظنون ١/ ٧٦٤.

(٢) رضوى جبل بالمدينة. وقيل بالعراق.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

أقبلت؟ وأين تريد؟ وما اسمك؟ ولأي شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول: أنا المنصور، واسمي المبارك، ومن قبل الله أقبلت، والملك السعيد أردت، وبالهناء والسلامة وردت، ومعي السَّنة الجديدة، ثم يجلس. ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة، وفيه حنطة وشعير وجلبان وذرة وحمص وسمسم وأرز، من كل سبع سنابل وسبع حبات، وقطعة سكر ودينار ودرهم جدد، فيضع الطبق بين يدي الملك. ثم يدخل عليه الهدايا، يبتدىء من الوزير، ثم الناس على قدر مراتبهم، ثم يقدم الملك رغيفًا كبيرًا مصنوعًا من تلك الحبوب، فيأكل منه ويطعم من حضره، ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد، من زمان جديد، يحتاج أنْ يجدد فيه ما أخلق الزمان. وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء، ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم، ويفرق عليهم ما حمل إليه من الهدايا.

وكان من عادة الفرس في عيدهم أن يدهن الملك بدهن البان تبركًا، ويلبس القصب والوشي، ويضع على رأسه تاجًا، فيه صورة الشمس. ويكون أول من يدخل عليه المؤبذان، يطبق عليه أترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وتفاح وعناب وعنقود عنب أبيض وسبع باقات آس، ثم تدخل الناس مثل الأول على طبقاتهم.

ومن عادتهم في يوم النيروز أنهم يجمعون بين سبعة أشياء: أول أسمائهم سينات يأكلونها وهي: السكر والسمسم والسميد والسفرجل والسماق والسذاب والسقنقور. وعادات الناس في الأعياد خارجة عن حدّ التعداد. وليكتف بهذا القدر، إذْ الغرض المثال لا الاستيفاء في الأمثال.

علم المواعظ(*)

وهو علم يعرف به ما هو سبب الانزجار عن المنهيات، والانزعاج إلى المأمورات، من الأمور الخطابية المناسبة لطباع عامة الناس. ومن مباديه حكايات الأمم المرضية الأعمال، والمشكورة الأخلاق، من الصلحاء والعباد والمشايخ والزهاد والعلماء العاملين بعلومهم، رضوان الله عليهم. وكذا حكايات الأشرار المبتلين بالبليات بسوء أعمالهم وأخلاقهم، إذْ الأخيار يتأدبون بصنيع الأشرار. والغرض من هذا كله الحثّ على تكميل النفوس بالعلم والعمل. وغايته الفوز بالسعادتين الدينية والدنيوية. ولما كان حل مبادىء هذا العلم الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جعلنا هذا العلم من فروع علم الحديث. ومصنفات الإمام الغزالي سيما الإحياء كاف في هذا العلم.

علم المواقيت(**)

وهو علم يتعرف منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها، وكيفية التوصل إليها. ومنفعته معرفة أوقات العبادات ونواحي جهتها، والطوالع والمطالع من إجراء البروج، والكواكب الثابتة التي منها منازل القمر، ومقادير الأظلال والارتفاعات، وانحراف البلدان وسموتها. ومن المصنفات فيه: نفائس اليواقيت في أحوال المواقيت(١)، وجامع المبادىء والغايات(٢) لأبي

(*) يتبع هذا العلم المطلب الرابع في فروع علم الحديث، من الشعبة الثامنة في العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) نفائس اليواقيت في أحوال المواقيت. ذكره في الموضوعات. كشف الظنون ٢/ ١٩٦٦.

(٢) جامع المبادىء والغايات في علم الميقات، للشيخ الإمام الأوحد أبي علي حسن بن علي المراكشي (-؟هـ). كشف الظنون ١/ ٥٧٢.

علي المراكشي.

علم مواقيت الصلوٰة(*)

وهو علم يتعرف منه أوقات الصلوٰة الخمس على الوجه الوارد في الشرع. وهذا العلم فرض علمه تقريبًا، لأنّ ما يتم الواجب المطلق إلّا به وهو مقدور للمكلف فهو واجب. وأما علمه التحقيقي ففرض في البلد، من يعرفه فيكون من فروض الكفايات.

علم الموسيقى(**)

وهو علم يعرف منه أحوال النغم والإيقاعات، وكيفية تأليف اللحون وإيجاد الآلات الموسيقاوية. وإنمّا وضعوا هذه الآلات لضرورة تخلل الفترات بالصوت الإنساني فتخلّ باللذة، ولأنه قد يوجد في بعض الآلات ما ليس في الطبيعة، فلم يرتضوا الإخلال به. وموضوعه الصوت من جهة تأثيره في النفس باعتبار نظامه في طبقته وزمانه. ومنفعته بسط الأرواح وتعديلها وتقويتها وقبضها أيضًا لأنها يحركها إمّا عن مبدئها فيحدث السرور واللذة والكرم والشجاعة وما يناسبها، وإمّا إلى مبدئها فتحدث الفكر في العواقب والاهتمام ونحوهما، ولذلك يستعملون النغم تارة في الأفراح والحروب وعلاج المرضى، وتارة في المآتم وبيوت العبادات. وأما ما يقال سبب انفعال النفس عن الألحان تذكرها عالمها الأول للمناسبات التي بين هذه الألحان، وألحان تسمع من حركات الأفلاك، فليس على ظاهره، إذْ ليس لحركات الأفلاك قرع، ولا هناك هواء حتى يحدث منهما الصوت، لما تقرر في الحكمة، بل معناه أنّ حركات الأفلاك حركة شوقية إلى مؤثراتها من العقول، وأنّ حركاتها لعشقها على الأمر اللطيف الذي هو العقل المؤثر. وكما أنّ نفوس الأفلاك عاشقة على الأمر اللطيف فكذلك نفوس الإنسان عاشقة على الأمور اللطيفة الموزونة. فإذا رأت النفس صورة حسنة أو سمعت صوتًا حسنًا، تتذكر عالم العقول فتنبسط لها، وتنشرح لأجلها، وترتاح لاستماعها، كارتياح الأفلاك للأمر اللطيف. وكتاب الفارابي أشهر كتب الفن، وكذا كتاب الموسيقى من أبواب الشفاء لابن سيناء. ولصفي الدين عبد المؤمن(١) مختصر لطيف. ولثابت بن قرة تصنيف نافع. ولأبي الوفاء الجوزجاني(٢) مختصر في فن الإيقاع. والكتب في هذا الفن كثيرة إلّا أنّ الكل يفيد العلم والعمل موقوف على سماع من الاستاذ الحاذق، ثم التمرن فيما سمعه. ولهذا الفن أيضًا فروع لا تحصى ستسمعها إنْ شاء الله تعالى.

علم ناسخ الحديث ومنسوخه(***)

وموضوعه ظاهر جدًا. وفائدته وغرضه لا يخفى بل أصل من أصول الشريعة، وعليه تدور أكثر الأحكام. وقد اعتنى بعض العلماء بتدوينه. وسمعت من الثقات كتابًا مدونًا في هذا العلم،

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة السادسة في العلوم، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) هو صفي الدين عبد المؤمن. عالم بالموسيقى. له عدة كتب. انظر عنه:
كشف الظنون ٢/١٩٠٣.

(٢) هو محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل، أبو الوفاء البوزجاني. ولد عام ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م. وتوفي عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م. مهندس، فلكي رياضي. له تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢١، أخبار الحكماء ١٨٨، الوافي بالوفيات ١/ ٢٠٩.

(***) يتبع هذا العلم المطلب الثاني في فروع علم الحديث، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

لكن لم يشتهر في بلادنا[1].

علم النبات(*)

وهو علم يبحث فيه عن خواص نوع النبات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارها. وموضوعه نوع النبات. وفائدته ومنفعته التداوي بها. ولابن البيطار فيه تصنيف فائق. ولا أجمع ولا أنفع من كتاب ما لا يسع الطبيب جهله[2]، ويوجد نبذ من خواصها في ضمن الكتب الطبية.

علم النحو(**)

علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعة وضعًا نوعيًا لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها. وغرضه تحصيل ملكة يقتدر بها على إيراد تركيب وضع وضعًا نوعيًا لما أراده المتكلم من المعنى، وعلى فهم معنى أي مركب كان بحسب الوضع المذكور. وغايته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الوضعية الأصلية. ومباديه المقدمات الحاصلة من تتبع الألفاظ المركبة في موارد الاستعمالات. وموضوعه المركبات والمفردات من حيث وقوعها في التراكيب والأدوات، لكونها روابط التراكيب. وإنما يبحث عنها في النحو على وجه المبدئية لأنها من مسائل اللغة حقيقة.

واعلم أنّ علم النحو من فروض الكفايات إذْ يحتاج إليه الاستدلال بالكتاب والسّنة، وإذْ ليس فرضًا عينًا، فكذا النحو، إلّا أنه يجب أن يكون متواترًا، إذْ اشتراط تواتر الشرع يوجب اشتراطه في اللغة أيضًا. ومن جملة أقسامها النحو. وها هنا إشكال من وجهين[3]: أحدهما: أنّ هذا بدعة، وكل بدعة حرام. وثانيهما: أنْ النحو يحتاج إلى الألفاظ المحتاجة إلى النحو فيدور. والجواب أنّ الصحابة كانوا يعرفون النحو، وإنما المبتدع الاصطلاحات، ولا مشاحة فيها، كما قيل: النحو علم مبتدع وقياس مخترع، بل هذه بدعة حسنة. وأيضًا بعض قواعد النحو معلوم بالضرورة وبعضها مكتسب، والذي يتوقف عليه تعلم النحو هو الأول، والذي يكتسب به هو الثاني، فلا دور. ولله درّ الكسائي في النحو:

إنما النحو قياس يتبع ... وبه في كل علم ينتفع
وإذا ما أتقن النحو الفتى ... مرّ في المنطق مرًا فاتسع
واتقاه كل من يعرفه ... من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم يعرف النحو الفتى ... هاب أنْ ينطق جبنًا فانقمع
فتراه ينصب الرفع وما ... كان من نصب ومن خفض رفع
أهما فيه سواء عندكم ... ليست السُّنة فينا كالبدع

واعلم أنّ كثيرًا من الناس بسبب جهلهم بعلم النحو وقعوا في مضاحك يضحك منها الصبيان. حكى أبو حيان التوحيدي أنّ رجلًا سئل عن قوم

(١) وقد ذكر صاحب كشف الظنون أسماء المصنفين في هذا العلم فليراجع. (هامش الأصل).

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) ما لا يسع الطبيب جهله، ليوسف بن اسماعيل الخويي الشافعي المعروف بابن الكبير (-مجهول هـ). كشف الظنون ٢/ ١٥٧٥.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات، ضمن الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) لا يخفى عليك أن الإشكال الاول يجري في جميع العلوم، بل الثاني أيضًا يجري في أكثرها فلا وجه للتخصيص، اللهم إلّا أن يقال: أوجبته دعوى الفرضية، فتدبر. (هامش الأصل).

فقال: هم خروج أرادهم خارجون. قيل: هذا غير صحيح. قال: كما قال تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾[١] أي قاعدون، فضحك به. قال أبو الفرج البغدادي: لعارف اللغة لغوي بفتح اللام. فقيل: هذا غير مسموع. قال: أما سمعتم قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ﴾[٢]. فضحك منه. وأعرب بعضهم قيمًا صفة لعوجًا في قوله تعالى: ﴿عِوَجًا، قَيِّمًا﴾[٣]، وهذه غفلة، إذْ المعوج لا يكون قيمًا، وإنما قيمًا حال من محذوف: أي أنزله قيمًا، أو من الكتاب. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ﴾[٤] أنّ ثمود مفعول مقدم، وهذا خطأ، فإنّ لما النافية الصدر فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٥] أنّ ما بمعنى من، ولو كان كذلك لرفع قليل على أنه خبر. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[٦] أنّ قوله: أنْ نفعل معطوف على أنْ نترك وذلك باطل، لأنه لم يأمرهم أنْ يفعلوا في أموالهم ما يشاؤن، وإنما هو عطف على ما، فهو معمول للترك، والمعنى أنْ نترك أنْ نفعل. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[٧] أنّ من متعلقة بأغنياء وهو فاسد، لأنه متى ظنهم ظان أغنياء من التعفف علم أنهم فقراء من المال، ولا يكون جاهلًا بحالهم، وإنما هي متعلقة بحسب وهي للتعليل. وقال بعضهم في قول الشاعر:

أقول لعبد الله لما سقاؤنا
ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

هذا لحن، فأين فعلا لما؟ وعلام نصبت الله؟ ولأي شيء فتح الدال من عبد؟ وجوابه: أنّ عبد ترخيم عبدة، والله نصب على الإغراء، ولما سقاؤنا مرفوع بفعل محذوف فسّره بقوله وها، أي ضعف. والجواب محذوف تقدير، قلت: بدليل قوله: أقول لما سقط سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس قلت لعبدة إحذر الله شم البرق. وقريب من هذا البيت قول الشاعر:

أقول لعبد الله لما لقيته
ونحن على جنب الظبا والقنا طِر

القنا الرماح، وطر فعل أمر من الطيران، ونظير هذين البيتين في الألغاز.

عافت الماء في الشتاء فقلنا
بردّيه تصادفيه سخينا

يقال: كيف تبرده ثم تصادفه سخينًا. وهذه غفلة، والأصل بل رديّه، ثم كتب جملة واحدة لأجل الألغاز.

وقول الشاعر:

لما رأيت أبا يزيد مقاتلًا
أدع القتال وأشهد الهيجاء

يقال: أين جواب لما وبم انتصب أدع، وهذه غفلة. فالأصل لن ما، أدغمت النون في الميم ووصلا في الخط للألغاز، وحقهما الفصل وانتصاب أدع بلن، وما للظرفية، وصلتها ظرف له فاصل بينه وبين لن للضرورة، فيسئل حينئذ: كيف يجتمع قوله: لن أدع القتال، مع قوله: لن

---

(١) البروج / ٦.
(٢) القصص / ١٨.
(٣) الكهف / ١ - ٢.
(٤) النجم / ٥١.
(٥) البقرة / ٨٨.
(٦) هود / ٨٧.
(٧) البقرة / ٢٧٣.

أشهد الهيجاء، والهيجاء شجر الحرب. والجواب أنّ أشهد ليس معطوفًا على أدع بل نصبه بأن مضمرة، وأن والفصل عطف على القتال أي لن أدع القتال وأشهد الهيجاء، على حدّ قول الشاعر:

للبس عباءة وتقرّ عيني.

وقول الشاعر:

ويــح مــن لام عــاشــقًــا فــي هــواه
إنّ لــوم الــمــحــب كــالإغــراء

يقال: كيف ارتفع الإغراء بعد كافِ التشبيه. والجواب: أنّ الكاف ضمير المخاطب متصلة بالمحب، والألف واللام في المحب بمعنى الذي، والإغراء خبر إنّ. والمعنى: أنّ لوم المحبك هو الإغراء، وحقّ الكاف أنْ يوصل في الخط بالمحب ولكن فصلت للغز.

وقول الشاعر:

يـا صـاحـب مـلـك الـفـؤاد عـشـيـة
زار الـحـبـيـب بـهـا خـلـيـل نـائـي
لـمـا بـدا لـم أدر بـدر دجـنـة
أم وجـه مـن أهـواه طـرفـي رائـي

فقال: كيف جرّ صاحب وهو منادى مفرد. وجوابه أنّ يا صاح مرخم، وبن فعل أمر من بان يبين إذا فارق، وكتبت هكذا على نحو صاحب لأجل الألغاز. ويقال: على مَ نصب بدر في قوله بدر دجنة، وما قيل: الاستفهام لا يعمل فيه ما بعده، وجوابه منصوب برائي، والمعنى: لم أدر طرفي رأي بدر دجنة أم وجه من أهواه.

وقول الشاعر:

لا تـقـنـطـن وكـن فـي الله مـحـتـسـبًـا
فـبـيـنـمـا أنـت ذا يـأس أتـى الـفـرجـا

الفرج مفعول العامل فيه اسم الفاعل وهو محتسب، والمعنى فكن في الله محتسبًا الفرج، فبينما أنت ذا يأس أتى. وقال العباس بن مرداس:

ومـن قـبـل آمـنـا وقـد كـان قـومـنـا
يـصـلّـون لـلأوثـان قـبـل مـحـمـدا

قال ابن السبكي: قال لي طالب نحوي مرة: كيف نصبت محمدًا وهو مضاف إليه؟ فقلت: ففكر، فإنّ أحدًا لم يصلّ للنبي عليه الصلوٰة والسلام لا قبل الأوثان ولا بعدها. والجواب: أنّ آمنا في البيت معناه صدقنا ومحمدًا مفعول آمنا، أي ومن قبل صدقنا محمدًا! وقد كان قومنا يصلّون للأوثان قبل، وقبل مقطوعة عن الإضافة بنيت على الفتح وهي لغة، واللغة العالية بناؤها على الضم. وقيل أراد النكرة أي قبلًا ثم حذف التنوين مضطرًا. وقال آخر:

فـرّ عـون لـي وهـامـان الأولـى زعـمـوا
أنـي بـخـلـت بـمـا يـعـطـيـه قـارونـا

فرّ فعل أمر من وفر له العطية ومنه عطاء موفور. وعونة امرأة رخمها فقال عون، والمعنى: أعط عونة لي. وأما (وها) فدعاء من وها يهي إذا ضعف. و(مان) جمع مانة البطن وهي أسفل السُّرة، يقول: ضعف مان الذين زعموا أني بخلت. و(قارون) المفعول الثاني ليعطيه، والأول الهاء العائدة إلى ما الموصولة، وفاعل يعطيه مضمر للعلم به كأنه يريد يعطيه الله قارون.

واعلم أنّ هذا بحر لا ساحل له، ولو استقصينا هذا الباب لأدى الكتاب إلى الإسهاب، والله أعلم بالصواب.

فصل في واضع علم النحو:

يروى أنه دخلت بنت خويلد الأسدي على معاوية فقالت: إنّ أبوي مات وترك لي مالًا بإمالة مال، فاستقبح منها معاوية ذلك، وبلغ الخبر عليًا كرّم الله وجهه، فرسم لأبي الأسود الدؤلي (باب إن) (وباب الإضافة) (وباب الإمالة)، ثم سمع أبو الأسود رجلًا يقرأ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾ بخفض رسوله، فصنّف (باب العطف) و(باب النعت). ثم إنّ ابنته

قالت له يومًا: يا أبت، ما أحسن السماء؟ على طريق الاستفهام. فقال: أي بنية: نجومها. فقالت: إنما أتعجب من حسنها. فقال: قولي ما أحسن السماءَ، وافتحى فمك. وقالت يومًا آخر له: يا أبت: ما أشد الحر على لفظ الاستفهام: فقال لها: أي بنية وغرة القيظ ومعمعان الصيف. فقالت له: إنما أتعجب منه. فقال لها: قولي ما أشد الحرَّ بالنصب. ثم صنف (باب التعجب والاستفهام)، فعلم من هذه الروايات أنّ أول من وضع النحو أبو الأسود، أخذه عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه.

وأبو الأسود، اسمه ظالم بن عمرو بن ظالم. وقيل: ابن سفيان بن عمرو بن حلس بن نغاثة بن عدي بن الدول بن بكر بن كنانة، أبو الأسود الدؤلي، الكوفي المولد، البصري المنشأ. أول من أسس النحو. كان من سادات التابعين، ومن أكمل الرجال رأيًا وأسدّهم عقلًا، شيعيًا شاعرًا، سريعًا في الجواب، ثقة في حديثه. روى عن عمر وعلي وابن عباس وأبي ذر وغيرهم. وروى عنه ابنه ويحيى بن يعمر، وصحب علي بن أبي طالب، وشهد معه صفين[١]، وقدم على معاوية فأكرمه وأعظم جائزته، وولّي قضاء البصرة. وهو أول من نقّط المصحف، وقد أسنّ. ومات سنة تسع وستين للهجرة بطاعون الجارف.

وتخرج بأبي الأسود معاذ بن مسلم الهراء[٢]، أبو مسلم. وقيل: أبو علي مولى محمد بن كعب القرظى وعمّ محمد بن سارة الرؤاسي[٣]. وهو أول من وضع التصريف، وأدب عبد الملك بن مروان وولد في أيامه. قال السيوطي: وقد وقع في شرح القواعد[٤] لشيخنا الكافيجي: أول من وضع التصريف معاذ بن جبل، وهو خطأ بلا شك. وقد سألته عنه فلم يجبني بشيء، وكان معاذ شيعيًا مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل سنة تسعين ببغداد، وكان شدّ أسنانه بالذهب من طول عمره، ومات أولاده وأولاد أولاده وهو باق. وروى عن جعفر الصادق، وله كتب في النحو، عاش مائة وخمسين سنة. وقال ابن النجار في تاريخ بغداد: كان من أعيان النحاة. أخذ عنه أبو الحسن الكسائي وغيره. وروى الحديث عن جعفر الصادق وعطاء ابن السائب. روى عنه عبد الرحمن المحاربي[٥] والحسن بن الحسين

---

(١) موضع بالقرب من الرقة على شاطيء الفرات من غربيها. قال: بين الرقة وبالس. قلت: هي أرض فوق بالس بمقدار نصف مرحلة، وهما غربي الفرات. وأما الرقة فهي شرقي الفرات أسفل من محاذاة بالس. بها كانت الوقعة بين عليّ رضي الله عنه ومعاوية.
انظر: مراصد الاطلاع ٨٤٦.

(٢) هو معاذ بن مسلم الهراء، أبو مسلم. توفي عام ١٨٧هـ/٨٠٣م. أديب شاعر، له تصانيف وأخبار.
انظر عنه: الاعلام ٧/ ٢٥٨، وفيات الأعيان ٢/ ٩٩، إنباه الرواة ٣/ ٢٨٨.

(٣) هو محمد بن أبي سارة علي (أو الحسن) الكوفي الرؤاسي، أبو جعفر. توفي عام ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. نحوي، عالم لغوي. أول من صنف بالنحو في الكوفة. له عدة كتب.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ٢٧١، نزهة الالباء ٦٥، ارشاد الأريب ٦/ ٤٨٠، بغية الوعاة ٣٣.

(٤) شرح الاعراب عن قواعد الاعراب، لمحمد بن سليمان بن سعد بن مسعود محي الدين أبي عبدالله الرومي الحنفي برغموي الأصل مصري المولد والوفاة الشهير بالكافيه جي (-٨٧٩هـ)
هدية العارفين ٢/ ٢٠٨ و٢٠٩.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن زياد، أبو محمد المحاربي الكوفي. توفي عام ١٩٥هـ. حافظ، ثقة، صدوق.
انظر عنه: طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٢، العبر ١/ ٣١٩، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٨٢، سير اعلام النبلاء ٩/ ١٣٦، شذرات الذهب ١/ ٣٤٣.

الكوفي[١]، وكان يبيع الثياب الهروية، فلذلك قيل له الهراء.

ثم إنّ أبا الأسود خلف خمسة نفر قعدوا أدبوا الناس: أولهم: عنبسة بن معدان الفيل[٢]، ولم يكن فيمن أخذ عنه النحو أبرع منه. وروى الأشعار سِيَّما جرير[٣] والفرزدق[٤]. وكان لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها كل يوم عشرة دراهم، فقال معدان: إدفعوها إليّ وأكفيكم المؤنة، وأعطيكم عشرة دراهم كل يوم. فدفعوها إليه، فأثرى وبنى قصرًا، فلذا قيل: معدان الفيل. وقيل: قتل معدان فيلًا لعبد الله بن عامر بن كريز[٥] فسمي معدان الفيل.

وثانيهم: ميمون الأقرن،[٦] أخذ النحو عن عنبسة، وقيل عن أبي الأسود، وإنّ عنبسة أخذ عنه.

وثالثهم: يحيى بن يعمر العدواني التابعي. قال الحاكم: فقيه أديب نحوي مبرز، سمع ابن عمر وجابرًا وأبا هريرة، وأخذ النحو عن أبي الأسود. ولما بنى الحجاج واسط سأل الناس ما عيبها، قالوا: ما نعرف عيبًا، وسندلّك على من يعرف عيبها يحيى بن يعمر، فبعث إليه فسأله، فقال: بنيتها من غير مالك، ويسكنها غير ولدك. فغضب الحجاج وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم أنْ لا يكتموا الناس حديثًا، فنفاه إلى خراسان، فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها، فقضى في أكثر بلادها نيسابور ومرو وهراة، وآثاره ظاهرة. وقيل: كان يحيى أديبًا فقيهًا، خدم العبادلة واستقضاه الخلفاء الأمويون.

ورابعهم وخامسهم أبناء أبي الأسود: عطاء وأبو حرب، ثم خلف هؤلاء رجالًا:

أحدهم: عبدالله بن أبي إسحاق زيد الحضرمي[٧]، أحد الأئمة في القراآت والعربية. أخذ القراآت عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وروى عن أبيه زيد عن جدّه الحرث، عن علي، وتناظر هو وأبو عمرو بن العلاء. قال السيرافي: وكان أشد تجويدًا للقياس، وأبو عمرو أوسع علمًا بكلام العرب ولغاتها. قال:

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن عطية العوفي، أبو عبد الله الكوفي. توفي عام ٢٠١هـ. قاضي عسكر المهدي، علامة، محدث فقيه، مع ضعف ولين.
انظر عنه: ميزان الاعتدال ١/ ٥٣٢، تاريخ بغداد ٨/ ٢٩، سير اعلام النبلاء ٩/ ٣٩٥.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي. من تميم. ولد عام ٢٨هـ/ ٦٤٠م. وتوفي عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م. أشعر أهل عصره. وكان واحدًا من المثلث الأموي مع الفرزدق والأخطل. وكانت له معهما نقائض. اشتهر بالغزل والهجاء. له ديوان مطبوع.
انظر عنه: الاعلام ٢/ ١١٩، وفيات الأعيان ١/ ١٠٢، الشعر والشعراء ١٧٩، خزانة الأدب ١/ ٣٦.

(٤) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس. الشهير بالفرزدق. ولد بالبصرة وتوفي فيها عام ١١٠هـ/ ٧٢٨م. شاعر من النبلاء، له أثر كبير في الأدب واللغة. قيل عنه: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة. وهو أحد أعمدة المثلث الأموي في الشعر مع جرير والأخطل. له ديوان شعر مطبوع، وقد كتب عنه الكثيرون.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٩٣، رغبة الآمل ١/ ١١٤، وفيات الأعيان ٢/ ١٩٦، معاهد التنصيص ١/ ٤٥، خزانة الأدب ١/ ١٠٥، الأغاني ٩/ ٣٢٤، الشعر والشعراء ٤٤٢.

(٥) هو عبدالله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبي الشامي. ولد عام ٨هـ/ ٦٣٠م. وتوفي عام ١١٨هـ/ ٧٣٦م. أحد القراء السبعة. قاضبي. له أخبار ورواية.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ٩٥، غاية النهاية ١/ ٤٢٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٥١.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٩٧، معجم الأدباء ١٦/ ١٤٦، نزهة الألباء ٢٥، طبقات القراء ١/ ٦١٣، إنباه الرواة ٢/ ٣٧٤.

وسئل عنه يونس، فقال: هو والنحو سواء، أي هو الغاية فيه. قال: وكان يطعن على العرب ويعيب الفرزدق وينسبه إلى اللحن، فهجاه الفرزدق بقوله:

ولو كان عبدالله مولى هجوته
ولكن عبدالله مولى مواليا

فقال له: لحنت، ينبغي أن تقول: مولى موال، وكان مولى آل الحضرمي، وهم حلفاء لبني عبد شمس. مات سنة سبع وعشرين ومائة عن ثمان وثمانين سنة.

وثانيهم: عيسى بن عمر الثقفي، أبو عمرو، مولى خالد بن الوليد. نزل في ثقيف فنسب إليهم. إمام في النحو والصرف والقراءة مشهور. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبي إسحاق، وروى عن الحسن البصري والعجاج بن رؤبة وجماعة. وأخذ عنه الأصمعي وغيره. وصنف في النحو: الاكمال والجامع. قال السيرافي: ولم يقعا إلينا ولا رأينا أحدًا ذكر أنه رآهما، ويقال: إنّ له نيفًا وسبعين مصنفًا ذهبت كلها، وكان يتقعر في كلامه.

حكى عنه الجوهري في الصحاح وغيره: أنّه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس فقال: ما لي أراكم تكأكأتم عليَّ تكأكؤكم على ذي جنة، إفرنقعوا عني. واتهمه عمرو بن هبيرة[(١)] بوديعة فضربه نحو ألف سوط، فجعل يقول: والله إنْ كانت إلّا أثياب في أسيفاط قبضها عشاروك. مات سنة تسع وأربعين أو خمسين ومائة.

وثالثهم: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبدالله المازني، النحوي المقرىء، أحد القراء السبعة المشهورين. اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولًا، والأصح أنّ اسمه ربان. وسبب الاختلاف أنه كان لجلالته لا يسئل عنه. كان إمام أهل البصرة في القراءة والنحو واللغة. أخذ عن جماعة من التابعين، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد. وروى عن أنس بن مالك وأبي صالح السمان[(٢)] وعطاء وطائفة. قال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراآت والعربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملأ بيته إلى السقف، ثم تنسك فأحرقها. وكان من أشراف العرب ووجوهها. مدحه الفرزدق، ووثقه يحيى بن معين وغيره. وقال الذهبي: قليل الرواية للحديث، وقال في حقه:

ما زلت أغلق أبوابًا وأفتحها
حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وهو صدوق حجة في القراءة، وكان نقش خاتمه:

وإنّ امرؤ دنياه أكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور

قرأ عليه اليزيدي وعبدالله بن المبارك وخلق. وأخذ عنه الأدب وغيره أبو عبيدة والأصمعي وخلق. وقال سفيان بن عيينة: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله، قد اختلفت عليّ القراآت، فبقراءة من تأمرني؟ فقال: بقراءة أبي عمرو بن العلاء. مات سنة أربع أو تسع وخمسين ومائة.

ثم خلفهم: الخليل بن أحمد وقد سبق ترجمته، ويقال له فيلسوف الوقت. فاق من قبله وما أدركه من بعده. ثم أخذ منه سيبويه وجمع العلوم التي استفادها منه في كتابه، فجاء كتابه أحسن من كل كتاب صنّف في النحو إلى الآن. ولله درّ القائل:

ألا صلى المليك صلاة صدق
على عمرو بن عثمان بن قنبر

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو ذكوان بن عبدالله، أبو صالح السمان. توفي عام ١٠١هـ حافظ، حجة، إمام كبير، ثقة.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ٣٦/٥، طبقات ابن سعد ٣٠١/٥، العبر ١٢١/١، تذكرة الحفاظ ٨٩/١.

فـإنّ كـتـابـه لـم يـغـن عـنـه
ذوو قـلـم ولا أبـنـاء مـنـبـر

وسيبويه، وهو عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام البصريين، أبو بشر. وقيل أبو الحسن، مولى بني الحارث بن كعب، ثم تولى الربيع بن زياد الحارثي. وسيبويه لقب، ومعناه رائحة التفاح. وقيل: كانت أمه ترقصه بذلك في صغره. وقيل: كان يُشم منه رائحة الطيب بذلك سمّي. وقيل: كان يعتاد شم التفاح. وقيل سمّي بذلك لنظافته لأنّ التفاح من لطيف الفواكه. كان أصله من البيضاء[١] من أرض فارس، ونشأ بالبصرة، وأخذ عن الخليل ويونس وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر. وسبب طلبه النحو أنه كان يستملي على حماد بن سلمة الحديث، فقال يومًا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أحد من أصحابي إلّا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء».[٢] فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فقال حماد: لحنت يا سيبويه. فقال: لا جرم، لأطلبن علمًا لا تلحنني فيه أبدًا. ثم لزم الخليل، انتهى ما ذكره السيرافي. قال أبو عبيدة: قيل ليونس بعد موت سيبويه: إنّ سيبويه صنّف كتابًا في ألف ورقة من علم الخليل، فاستبعد هذا. فلما نظر في كتابه قال: يجب أن يكون صدق فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عني. ويحكى أنه تخرق كتابه في كم المازني بضع عشرة مرة، وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه: هل ركبت البحر تعظيمًا واستصعابًا؟ قال بعضهم: كنت عند الخليل فأقبل سيبويه، فقال: مرحبًا بزائر لا يملّ. قال: وما سمعت الخليل يقولها لغيره. وكان شابًا نظيفًا جميلًا. وكان في لسانه حبسة وقلمه أبلغ من لسانه. قال الجرمي: في كتابه ألف وخمسون بيتًا سألت عنها فعرف ألف ولم يعرف خمسين.

حكى أنه ورد بغداد على يحيى البرمكي، فتناظر هو والكسائي في قولهم: كنت أظن أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو هو إياها. فاختار سيبويه الرفع ولم يجوّز النصب، وقال الكسائي أخطأت، العرب ترفع ذلك وتنصبه، وجعل يورد أمثلته. من ذلك: خرجت فإذا زيد قائم وقائمًا، وسيبويه يمنع النصب. فقال يحيى: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هذه العرب ببابك قد وفدوا عليك وهم فصحاء الناس. فقال يحيى: أنصفت. فسئلوا، فاتبعوا الكسائي، فاستكان سيبويه. وقال سيبويه: أيها الوزير. مرْهم أن ينطقوا بذلك، فإنّ ألسنتهم لا تطاوع خلاف الصواب، وكانوا إنما قالوا الصواب ما قاله هذا الشيخ.

يقال إنّ هؤلآء الأعراب قد رشوا[٣] على ترجيح جانب الكسائي، فقال الكسائي ليحيى: أصلح الله الوزير، إنه قد وفد عليك من بلده مؤملًا، فإنّ رأيت أن لا ترده خائبًا، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج إلى فارس ولم تطل مدته بعد ذلك. ومات بالبيضاء. وقيل بشيراز سنة ثمانين ومائة. قال الخطيب: وعمره اثنتان وثلاثون سنة. وقيل نيف على الأربعين. وقيل مات بالبصرة سنة إحدى وستين. وقيل سنة ثمان

---

(١) مدينة مشهورة بفارس، وهي أكبر مدينة باصطخر. وسميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء تبين من بعد. انظر: مراصد الاطلاع ٢٤٢.

(٢) مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب من ابتلاه الله ببلاء في جسده...، ٣/٢٦٦، بلفظ: «ما من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه في بعض خلقه غير أبي عبيدة بن الجراح» ولم نجده عن أبي الدرداء.

(٣) أي أخذوا الرشوة. (هامش الأصل).

وثمانين. وقال ابن الجوزي: مات بساوة[١] سنة أربع وتسعين. قيل: إذا رأيت سيبويه يقول: سألت يونس فهو ابن حبيب، وإذا رأيته يقول: حدثني الثقة فهو أبو زيد أوس الأنصاري[٢].

وأما الكسائي فهو علي بن حمزة بن عبدالله ابن عثمان الإمام، أبو الحسن الكسائي، من ولد بهمن بن فيروز، مولى بني أسد. إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين. وما ظنك برجل غلامه الفراء. وسمّي الكسائي لأنه أحرم في كساء. وقيل غير ذلك. وهو من أهل الكوفة واستوطن بغداد. وقرأ على حمزة، ثم اختار لنفسه قراءة، وسمع من سليمان بن أرقم[٣] وأبي بكر بن عياش. قال الخطيب: وتعلّم النحو على كبر فلزم معاذا الهراء حتى أنفد ما عنده، وخدم أبا عمرو بن العلاء نحوًا من سبع عشرة سنة، ثم خرج إلى البصرة، فلقي الخليل، وجلس في حلقته. فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمًا وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة. فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة. فخرج ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينة[٤] حبرًا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات، وفي موضعه يونس. فمرت بينهما مسائل أقرّ له فيها بالفضل يونس وصدّره في موضعه.

وقال ابن الأعرابي: كان الكسائي أعلم الناس، ضابطًا عالمًا بالعربية، قارئًا صدوقًا، إلّا أنه كان يديم شرب النبيذ، ويأتي الغلمان، وأدب ولد الرشيد، وجرى بينه وبين أبي يوسف القاضي مجالس حكيناها في: طبقات النحاة. وقال ابن درستويه[٥]: كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلّا في الضرورة، فيجعله أصلًا، فيقيس عليه، واختلط بأعراب الإبلة فأفسد بذلك النحو. صنف: معاني القرآن، مختصرًا في النحو، القراآت، النوادر الكبير، الأوسط، الأصغر، العدد، الهجاء، المصادر، الحروف، أشعار المعاياة، وغير ذلك. ومات هو ومحمد بن الحسن بالرّي في يوم واحد، وكانا خرجا مع الرشيد فقال: دفنت النحو والفقه في يوم واحد، وذلك سنة ثنتين أو ثلاث أو تسع وثمانين ومائة، أو ثنتين وتسعين ومائة.

ثم صار الناس فريقين: كوفيًا وشيخهم الكسائي وتلميذه المبرد. وبصريًا وشيخهم سيبويه والأخفش تلميذه.

أما المبرد فهو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري، أبو العباس المبرد. إمام العربية ببغداد في زمانه. أخذ عن الكسائي والأزدي وأبي حاتم السبحستاني. وروى عنه إسمٰعيل الصفار ونفطويه[٦] والصولي[٧]، وكان

---

(١) مدينة حسنة بين الري وهمذان، وبقربها مدينة يقال لها: آوة. فسادة أهلها سنية شافعية، وآوة شيعة إمامية، وبينهما نحو فرسخين. انظر: مراصد الاطلاع ٦٨٦.

(٢) هو أوس بن الصامت الأنصاري الخزرجي. صحابي، هو الذي ظاهر من امرأته. توفي أيام عثمان بن عفان. من أهل بدر. انظر عنه: تقريب التهذيب ١١٦.

(٣) هو سليمان بن أرقم البصري، أبو معاذ. محدث ضعيف، يعد من الطبقة السادسة. انظر عنه: تقريب التهذيب ٢٥٠.

(٤) القنينة كسكينة إناء من زجاج. (هامش الأصل).

(٥) هو عبدالله بن جعفر بن محمد بن درستويه ابن المرزبان، أبو محمد. ولد عام ٢٥٨هـ/ ٨٧١م. وتوفي عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م. من علماء العربية. له تصانيف كثيرة. الاعلام ٤/ ٧٦، بغية الوعاة ٢٧٩، وفيات الأعيان ١/ ٢٥١، تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٨.

(٦) هو ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي، أبو عبدالله. ولد عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م، وتوفي ببغداد عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م. من أئمة اللغة والنحو، فقيه ظاهري، ثقة في الحديث. له مناظرات وكتب عديدة. انظر عنه: الاعلام ١/ ٦١، وفيات الأعيان ١/ ١١، لسان الميزان ١/ ١٠٩، إنباه الرواة ١/ ١٧٦، تاريخ بغداد ٦/ ١٥٩.

(٧) هو محمد بن يحيى بن عبدالله، أبو بكر الصولي. وقد يعرف بالشطرنجي. توفي عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م. نديم، عالم بالأدب، =

فصيحًا بليغًا مفوهًا ثقة إخباريًا علامة، صاحب نوادر وظرافة، وكان جميلًا، لاسيما في صباه. كان الناس بالبصرة يقولون: ما رأى المبرد مثل نفسه. ولما صنف المازني: كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم، فأنت المبرِّد بكسر الراء، المثبت للحق، فغيّره الكوفيون وفتحوا الراء. وله من التصانيف: معاني القرآن، الكامل، المقتضب، الروضة، المقصور والممدود، الاشتقاق، القوافي، اعراب القرآن، نسب عدنان وقحطان، الرد على سيبويه، شرح شواهد الكتاب، ضرورة الشعر، العروض، ما اتفق لفظه واختلف معناه، طبقات النحاة البصريين، وغير ذلك. قال السيرافي: وكان بينه وبين ثعلب من المنافرة ما صار مثلًا حتى قال الشاعر:

فـأبـدانـنـا فـي بـلـدة والـتـقـاؤنـا
عـسـيـر كـأنـا ثـعـلـب ومـبـرد

وأما الأخفش تلميذ سيبويه، فهو سعيد بن مسعدة، أبو الحسن الأخفش الأوسط، وهو أحد الأخافش الثلاثة المشهورين، إلّا أنّ الحق أنّ الأخافش أربعة وسنذكرهم. كان مولى بني مجاشع بن دارم من أهل بلخ، وكان أفلح لا ينطبق شفتاه على أسنانه. سكن البصرة، وقرأ النحو على سيبويه، وكان أسنّ منه، ولم يأخذ عن الخليل، وكان معتزليًا. حدّث عن الكلبي والنخعي وهشام بن عروة. وروى عنه أبو حاتم السجستاني، ودخل بغداد وأقام بها مدة. وروى وصنف بها. قال: ولما ناظر سيبويه والكسائي ورجع، وجّه إليّ فعرفني خبره ومضى إلى الأهواز، وودعني، فوردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي، فصليت خلفه الغداة. فلما انفتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والأحمر[1] وابن سعدان، سلّمت عليه، وسألته عن مائة مسئلة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها، فأراد أصحابه الوثوب عليّ فمنعهم عني، ولم يقطعني ما رأيتهم عليه مما كنت فيه. ولما فرغت قال لي: بالله أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة؟ فقلت: نعم. فقام إليّ وعانقني وأجلسني إلى جنبه، ثم قال: لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك ويتخرجوا عليك، وتكون معي غير مفارق لي، فأجبته إلى ذلك. فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أنّ أؤلف له كتابًا في معاني القرآن، فألّفت كتابًا في المعاني فجعله إمامه، وعمل عليه كتابًا في المعاني، وعمل الفراء كتابًا في ذلك عليهما، وقرأ عليه الكسائي كتاب سيبويه سرًا، ووهب له سبعين دينارًا. وكان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل. صنف: الأوساط في النحو، معاني القرآن، مقاييس في النحو، الاشتقاق، المسائل الكبير، الصغير، العروض، القوافي، الأصوات، وغير ذلك[2]. مات سنة عشر أو إحدى وعشرين أو خمس عشرة ومائتين.

فائدة: الأخافش ثلاثة: الأكبر: عبد الحميد بن عبد المجيد[3]، والأوسط: سعيد بن

=نادم ثلاثة من خلفاء العباسيين. له عدة تصانيف. انظر عنه: الأعلام ٧/ ١٣٦، وفيات الأعيان ١/ ٥١٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٩٦، تاريخ بغداد ٣/ ٤٢٧، لسان الميزان ٥/ ٤٢٧.

(١) هو خلف بن حيان، أبو محرز، المعروف بالأحمر. توفي نحو ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. راوية، عالم بالأدب، شاعر، له كتب. انظر عنه: الأعلام ٢/ ٣١٠، إرشاد الأريب ٤/ ١٧٩، بغية الوعاة ٢٤٢.

(٢) ذكر له ابن النديم في الفهرست أيضًا: كتاب الأربعة، كتاب الملوك،كتاب معاني الشعر، كتاب وقف التمام، كتاب الغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها.انظر الفهرست ٧٨.

(٣) هو عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة، أبو الخطاب. توفي عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م. من كبار علماء العربية. انظر عنه: الاعلام ٣/ ٢٨٨، بغية الوعاة ٢٩٦، إنباه الرواة ٢/ ١٥٧.

مسعدة، والأصغر: علي بن سليمان[١]. وقيل أربعة. الرابع: أحمد بن عمران[٢]. وقيل أحد عشر. والخامس: أحمد بن محمد الموصلي[٣]. والسادس: خلف بن عمر[٤]. والسابع: عبد الله بن محمد[٥]. والثامن: عبد العزيز بن أحمد.[٦] والتاسع: علي بن محمد المغربي الشاعر.[٧] والعاشر: علي بن إسمٰعيل الفاطمي[٨]. والحادي عشر: هارون بن موسى بن شريك[٩].

ومن جملة تلامذة سيبويه، قطرب[١٠]: محمد بن المستنير، أبو علي النحوي، لازم سيبويه، وكان يدلج إليه. فإذا خرج رآه على بابه. فقال له: ما أنت إلّا قطرب ليل فلقب به. وأخذ عن عيسى بن عمر، وكان يرى رأي المعتزلة النّظامية، فأخذ عن النّظام مذهبه، واتصل بأبي دلف العجلي، وأدب ولده ولم يكن ثقة. قال ابن السكيت: كتبت عنه قمطرًا ثم تبينت أنه يكذب في اللغة، فلم أذكر عنه شيئًا. وله من التصانيف: معاني القرآن، لم يسبق إليه وعليه احتذى الفراء، الاشتقاق، القوافي، المثلث، النوادر، الصفات، الأصوات، العلل في النحو، الاضداد، الهمز، خلق الإنسان، خلق الفرس، اعراب القرآن، المصنف، الغريب في اللغة، مجاز القرآن، وغير ذلك، مات سنة ست ومائتين[١١].

ثم جاء صالح بن اسحاق أبو عمرو الجرمي البصري[١٢]، مولى جرم بن ريان من قبائل اليمن، وكان يلقب بالكلب وبالنباح لصياحه حال مناظرة أبي زيد. قال الخطيب: كان فقيهًا عالمًا بالنحو واللغة، دينًا ورعًا، حسن المذهب صحيح الاعتقاد. قدم بغداد وأخذ عن الأخفش

---

(١) هو علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن المعروف بالأخفش الأصغر. توفي ببغداد عام ٣١٥هـ/ ٩٢٧م، نحوي، من العلماء. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٤/ ٢٩١، بغية الوعاة ٣٣٨، وفيات الأعيان ١/ ٣٣٢، إنباه الرواة ٢/ ٢٧٦.

(٢) هو أحمد بن عمران بن سلامة الألهاني، أبو عبدالله. الملقب بالأخفش. توفي حوالي عام ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م. مؤدب لغوي نحوي. له مصنفات. انظر عنه: الاعلام ١/ ١٨٩، ارشاد الأريب ٢/ ٥، بغية الوعاة ١٥٢، اللباب ١/ ٦٦.

(٣) هو أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن أبي الخطاب الربعي الموصلي، أبو الطيب ابن الحلاوي. ولد عام ٦٠٣هـ، وتوفي عام ٦٥٦هـ. شاعر، له ظرف وخفة.
انظر عنه: العبر ٥/ ٢٢٧، الوافي بالوفيات ٨/ ١٠٢، سير اعلام النبلاء ٢٣/ ٣١٠، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٠.

(٤) هو خلف بن عمر بن خلف بن محمد بن ابراهيم، أبو بكر الهمذاني الحافظ. توفي حوالي العام ٤٠٠هـ. محدث، رحالة، له عدة كتب. انظر عنه: المشبه ١/ ٢٥٢، تبصير المنتبه ٢/ ٥١٦، سير اعلام النبلاء ١٧/ ٣٤٨.

(٥) لعله عبد الله بن محمد بن الوليد، أبو القاسم بن ولاد. من علماء العربية والنحو.
انظر عنه: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ١٢٥، طبقات اللغويين لابن أبي شهبة ٣٤٤.

(٦) لم يعثر له على ترجمة.

(٧) لعله محمد بن علي بن يحيى بن علي، أبو عبدالله الأندلسي الغرناطي، المعروف بالشامي. ولد عام ٦٧١هـ، وتوفي عام ٧٣٢هـ. عالم بالنحو والقراءات والهيئة. له العديد من المصنفات. انظر عنه: غاية النهاية ٢/ ٢١٢.

(٨) لم يعثر له على ترجمة.

(٩) هو هارون بن موسى بن شريك التغلبي، أبو عبدالله، المعروف بالأخفش الدمشقي. ولد عام ٢٠١هـ/ ٨١٦م. وتوفي عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م. عالم بالقراءات والتفسير والنحو والشعر. له عدة تصانيف.
انظر عنه: الاعلام ٨/ ٦٣، طبقات القراء ٢/ ٣٤٧، مرآة الجنان ٢/ ٢٢٠، النجوم الزاهرة، ٣/ ١٣٣.

(١٠) القطرب رويبة صغيرة لا تستريح نهارها سعيًا. (هامش الأصل).

(١١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/ ٢٩٨، وفيات الأعيان ١/ ٦٢٥، لسان الميزان ٥/ ٣٧٨، معجم الأدباء ١٩/ ٥٢، الكامل في التاريخ ٦/ ١٢٩، مرآة الجنان ٢/ ٣١، شذرات الذهب ٢/ ١٥، بغية الوعاة ١٠٤.

(١٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٣١٣، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٥، إنباه الرواة ٢/ ٨٠، البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٣، معجم الأدباء ١٢/ ٦٢٥، شذرات الذهب ٢/ ٥٧.

ويونس، واللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة. وحدّث عنه المبرد. وكان جليلًا في الحديث والأخبار، وناظر الفراء، وانتهى إليه علم النحو في زمانه. ومات سنة خمس وعشرين ومائتين، وله من التصانيف: التنبيه[١] وغيره.

ومن شركائه: صالح بن بكر بن عثمان المازني، وقد عرفت ترجمته.

ثم جاء بعدهما محمد بن يزيد الملقب بالمبرّد، وقد عرفت ترجمته.

ثم جاء بعده أبو اسحاق الزجاج، وأبو بكر بن السراج، وابن درستويه، وأبو بكر محمد بن مزيد، وأبو بكر محمد بن ميرمان، وابن كيسان، وهو أخذ عن المبرد وثعلب، إلّا أنّ أخذه عن المبرد أغلب، وابن مجاهد صاحب القرآآت أخذ عنهما، إلّا أنَّ أخذه عن ثعلب أغلب.

واعلم أنّ الزجاج هو إبرهيم بن محمد بن السّري بن سهل، أبو اسحاق الزجاج[٢]. قال الخطيب: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب. كان يخرط الزجاج. وقال للمبرد: كسبي كلّ يوم درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي وأنا أعطيك كل يوم درهمًا إلى أنْ يفرق الموت بيننا، ثم صار معلمًا لأولاد بعض بني مارقة. فنفذ إليه في كل شهر ثلاثين درهمًا. ثم طلب من المبرّد عبيد الله بن سليمان[٣] مؤدبًا لابنه القاسم. فقال له: لا أعرف لك إلّا رجلًا زجاجًا عند بني فلان، فكتب إليهم عبيدالله، فاستنزلهم عني وأحضرت، وأسلم القاسم إليّ، وكنت أعطي المبرّد بعد ذلك ألف درهم كل يوم إلى أنْ مات، ولا أخليه من التفقد. ثم إنّ القاسم نذر لي عشرين ألف دينار إنْ ولّي الوزارة مكان أبيه، فما مضت إلّا قليل حتى ولّي الوزارة، وصرت ملازمًا له ونديمه. وهبت من أذكاره بالوعد. فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرك أذكرتني بالنذر. فقلت: عولت على رعاية الوزير أيده الله تعالى، وإنه لا يحتاج إلى إذكار بنذر عليه في أمر خادم واجب الحق. فقال: أخاف مقالة أهل النفاق في دفعه إليك دفعة، فخذ متفرقًا. وجعلني على رقاع الناس في الحوائج الكبار، وآخذ منهم جعلًا. وربما قال لي: حصل مال النذر، فكنت أقول: لا مع أنه قد حصل في أقل مدة، إلى أنْ سألني يومًا، فاستحييت من الكذب المتصل. فقلت: قد حصل ببركة الوزير. فقال: فرّجت والله عني، فقد كنت مشغول القلب. ثم دفع لي بثلاثة آلاف دينار صلة.

فلما كان من الغد لم أعرض عليه شيئًا. فقال: هات ما معك من الرقاع؟ قلت: النذر وقع الوفاء به. فقال: سبحان الله، أتراني أقطع كرمًا صار عادة لي ولك، وعرفك الناس به، وصار لك به عندهم جاه، وربما يظنوا أنّ ذلك لضعف جاهك عندي. إعرض عليّ وخذ بلا حساب. فقبّلت يده ودمت على عملي إلى أنْ مات. وله من التصانيف: معاني القرآن، الاشتقاق، خلق الإنسان، فعلت وأفعلت، مختصر النحو، خلق

---

(١) مثل: كتاب السير، وهو مؤلف شريف، كتاب الأبنية، كتاب في العروض، مختصر في النحو، كتاب القوافي، كتاب الفرح، كتاب تفسير غريب سيبويه. (هامش الأصل).

(٢) انظر ترجمته في: الفهرست ٨٤، معجم الأدباء ١٠/ ١٣٠، تاريخ بغداد ٩/ ٨٩، بغية الوعاة ١٧٩، إنباه الرواة ١/ ١٥٩، ابن الأثير ٨/ ٤٥، المنتظم ٦/ ١٧٦، البداية النهاية ١١/ ١٤٨، وغيرها.

(٣) هو عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي، أبو القاسم. ولد عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م. وتوفي عام ٢٨٨هـ/ ٩٠١م. وزير، من أكابر الكتاب له أخبار.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٩٤، ابن الأثير ٧/ ١٦٨.

الفرس، شرح أبيات سيبويه، القوافي، العروض، النوادر، كتابات الأمالي، تفسير جامع النطق، وغير ذلك. مات في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاث مائة، وسئل عن سنِّه عند الوفاة فعقد سبعين. وآخر ما سمع منه: اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

واعلم أنّ أبا بكر بن السراج هو محمد بن السّري البغدادي النحوي(١). قال المرزباني: كان أحدث أصحاب المبرّد مع ذكاء وفطنة، قرأ عليه كتاب سيبويه، ثم اشتغل بالموسيقى. فسئل عن مسئلة بحضرة الزجاج فأخطأ في جوابها فوبخه الزجاج، وقال: مثلك يخطىء في مثل هذه المسئلة. والله لو كنت في منزلي ضربتك، ولكن المجلس لا يحتمل ذلك. فقال: قد ضربتني يا أبا إسحاق. وكان علم الموسيقى قد شغلني عن هذا الشأن. ثم رجع إلى الكتاب ونظر في دقائقه، وعوّل على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة. ويقال: ما زال النحو مجنونًا حتى عقله ابن السراج بأصوله. أخذ عنه أبو القاسم الزجاجي والسيرافي والفارسي والرماني ولم تطل مدته. ومات شابًا في ذي الحجة سنة ست عشر وثلاث مائة. وله من الكتب: الأصول الكبيرة، جمل الأصول، الموجز، شرح سيبويه، الاشتقاق لم يتم، احتجاج القراءة، الشعر والشعراء، الجمل، الرياح، والهواء، والنار الخط، والهجاء، والمواصلات والمذكرات في الأخبار.

واعلم أن ابن درستويه(٢)، هو عبدالله أبو محمد بن جعفر بن درستويه، بضم الدال والراء المهملتين، ابن المرزبان النحوي، أحد من اشتهر وعلا قدره وكثر علمه، جيد التصنيف. صحب المبرّد ولقي ابن قتيبة. وأخذ عنه الدارقطني وغيره. وكان شديد الانتصار للبصريين في النحو واللغة. وثقه ابن مندة وغيره، وضعّفه هبة الله اللالكائي(٣). ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين، ومات سنة سبع وأربعين وثلاث مائة. وصنّف: الإرشاد في النحو، شرح الفصيح، الرد على المفضل، الرد على الخليل، غريب الحديث، المقصور والممدود، معاني الشعر، أخبار النحاة، وغير ذلك.

واعلم أنّ محمد بن مزيد، هو محمد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد، أبو بكر الخزاعي المعروف بابن أبي الأزهر النحوي(٤). وسمّاه بعضهم: محمد بن أحمد بن مزيد. قال الخطيب في تاريخ بغداد: حدث عن المبرد وكان مستمليه، والزبير بن بكار وجماعة. وروى عنه أبو الفرج الأصبهاني والمعافى بن زكرياء وأبو بكر بن شاذان والدارقطني. وقال: كان ضعيفًا يروي المناكير. وقال غيره: كان كذابًا قبيح الكذب. صنّف: الهرج والمرج في أخبار المستعين والمعتز، وأخبار عقلاء المجانين. ومات سنة خمس وعشرين وثلاث مائة عن نيف

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ٣١٩، وفيات الأعيان ١/ ٦٣٦، المنتظم ٦/ ٢٢٠، معجم الأدباء ١٨/ ١٩٧، الكامل ٨/ ٦، الوافي ٣/ ٨٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٧٠، البداية والنهاية ١١/ ١٥٧، شذرات الذهب ٢/ ٢٧٣.

(٢) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٤٢٨، وفيات الأعيان ١/ ٣١٥، إنباه الرواة ٢/ ١١٣، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٣، بغية الوعاة ٢٧٩، هدية العارفين ١/ ٤٤٦.

(٣) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي. توفي عام ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م. حافظ، فقيه. له تصانيف عديدة.
انظر عنه: الأعلام ٨/ ٧١، شذرات الذهب ٣/ ٢١١، تذكرة الحفاظ ٣/ ٢٦٧، مرآة الجنان ٣/ ٣٣.

(٤) انظر ترجمته في: الفهرست ٢١١، بغية الوعاة ١٠٤، الأعلام ٧/ ٢١٥.

وتسعين.

واعلم أنّ محمد بن ميرمان، هو محمد بن علي بن إسمٰعيل أبو بكر العسكري، المعروف بميرمان[١]. ولد بطريق رامهرمز[٢]. وأخذ عن المبرد، وأكثر بعده عن الزجاج، وكان قيمًا بالنحو. أخذ عنه الفارسي والسيرافي، وكان ضنينًا لا يقرىء كتاب سيبويه إلّا بمائة دينار، فوعده أبو هاشم الجبائي أضعاف ما أراده على شرط أن يمهل في أداء المال. فلما تم الكتاب أرسل إليه زنفيلجة حسنة مغشاة بالأدم محلاة، فملأها حجارة وقفلها وختمها، وحملها في منديل. فقال: فليكن عندك إلى أن يجيئني مال لي ببغداد. فلما رأى منظرها وثقلها لم يشك في أنها دراهم بل ذهب. ثم كتب إليه رقعة فيها: قد تعذّر عليّ حضور المال وأرهقني السفر وقد أبحتك التصرف فيما عندك من المال. وخرج أبو هاشم لوقته إلى البصرة، ففتحها فإذا فيها حجارة، فقال: سخر منا أبو هاشم، لا حيّاه الله. وكان ميرمان مع علمه ساقط المروءة سخيفًا، إذا أراد أن يمضي إلى مكان بعيد طرح نفسه في طبق حمال وشدّه بحبل، وربما كان معه نبق أو غيره فيأكل ويرمي الناس بالنوى يتعمد رؤسهم، وربما بال على رأس الجمل، فإذا قيل له يعتذر. وله: شرح كتاب سيبويه لم يتم، شرح شواهده، شرح الأخفش النحو، المجموع على العلل، العيون، التلقين المجازي، صفة شكر المنعم. قال الزبيدي: توفي ميرمان سنة خمس وأربعين وثلاث مائة.

واعلم أنّ ابن كيسان[٣]، هو محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان، أبو الحسن النحوي. قال الزبيدي: وليس هذا بالقديم الذي له: العروض، والمعمى. قال الخطيب: كان يحفظ المذهبين البصري والكوفي في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، وكان أبو بكر بن مجاهد يقول: إنه أنحى منهما. قال ياقوت: لكنه إلى مذهب البصريين أميل. وكان ابن الأنباري يقول خلط المذهبين، فلم يضبط منهما شيئًا. قال أبو حيان التوحيدي: ما رأيت مجلسًا أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم والتحف والنتف من مجلسه، وكان يجتمع على بابه نحو من مائة رأس من الدواب للرؤساء والأشراف الذين يقصدونه، وكان إقباله على صاحب المرقعة والخلق كإقباله على صاحب الديباج والدابة والغلام. ومن تصانيفه في النحو: المهذب، غلط أدب الكاتب، السلامات، البرهان، غريب الحديث، معاني القرآن، علل النحو، مصابيح الكتاب، ما اختلف فيه البصريون والكوفيون، وغير ذلك. مات لثمان خلون من ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين، لكن هذا سهو، والأصح أنه مات سنة عشرين وثلاث مائة.

ثم جاء بعد هؤلآء أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، ويقال له الفسوي أيضًا، لأنه ولد بمدينة فسا[٤] من أعمال فارس.

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٨/ ٢٥٤، الوافي بالوفيات ٤/١٠٨، بغية الوعاة ٧٤.

(٢) ومعنى رام بالفارسية المراد. مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، والعامة يسمونها رامز اختصارًا.
انظر: مراصد الاطلاع ٥٩٧.

(٣) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١/ ٣٣٥، معجم الأدباء ١٧/ ١٣٧، نزهة الألباء ٣٠١، الوافي بالوفيات ٢/ ٣١، مرآة الجنان ٢/ ٢٣٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٣٢.

(٤) مدينة بفارس، أنزه مدينة بها، بينها وبين شيراز أربع مراحل، وبينها وبين كازرون ثمانية فراسخ. وهي مدينة قديمة كبيرة، لها حصن وخندق وربض، وبناؤهم من طين، وأسواقها في ربضها.
انظر: مراصد الاطلاع ١٠٣٥.

وأبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، وعلي بن عيسى الرماني. ثم تلميذ لأبي علي وهو أبو الفتح عثمان بن جني، وابن أخته محمد بن الحسين. ثم تلميذ له عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، وفاق أكثر من تقدمه في التحقيق والتدقيق، ولو لم يكن له سوى كتاب أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لكفاه شرفًا وفخرًا.

واعلم أنّ الفارسي هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الإمام أبو علي الفارسي الفسوي[(١)] المشهور، أوحد زمانه في علم العربية. أخذ عن الزجاج وابن السراج، وطوّف بلاد الشام، وكان يقول كثير من تلامذته إنّه أعلم من المبرد، وبرع من طلبته جماعة كإبن جني وعلي بن عيسى الربعي، وكان متهمًا بالاعتزال، وتقدّم عند عضد الدولة[(٢)]. وله صنّف: الايضاح في النحو، والتكملة في التصريف. ويقال إنّه لما عمل الايضاح استقصره وقال له: ما زدت على ما أعرف شيئًا وإنما يصلح هذا للصبيان، فمضى وصنّف التكملة وحملها إليه. فلما وقف عليها قال: غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو. ومن تصانيفه: الحجة، التذكرة، أبيات الإعراب، تعليقة على كتاب سيبويه، المسائل الحلبية، البغدادية، القصرية، البصرية، الشيرازية، العسكرية، الكرمانية، المقصور والممدود، الاغفال، وهو مسائل أصلحها على الزجاج وغير ذلك. توفي ببغداد سنة سبع وثلاث مائة.

وأما زيد بن علي بن عبد الله الفارسي أبو القاسم الفسوي النحوي اللغوي[(٣)]. قال ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن العديم في تاريخ حلب: كان فاضلًا بعلم اللغة والنحو، عارفًا بعلوم كثيرة. شرح الايضاح وحماسة أبي تمام، وأقرأ النحو بحلب، وروى بها الايضاح عن أبي الحسن ابن أخت الفارسي عن خاله، والحديث عن أبي نعيم الهروي وغيره. قرأ عليه الشريف أبو البركات عمر بن إبراهيم الكوفي[(٤)]، وسمع منه أبو الحسن علي بن طاهر[(٥)] النحو وغيره. وسكن دمشق وأقرأ بها. ومات بطرابلس في ذي الحجة أو ذي القعدة سنة سبع وستين وأربع مائة.

وأما حسن بن عبدالله السيرافي، هو حسن

---

(١) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٥، وفيات الأعيان ١/ ١٦٣، معجم الأدباء ٧/ ٢٣٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٧١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٥١، المنتظم ٧/ ١٣٨، إنباه الرواة ١/ ٢٧٣، شذرات الذهب ٣/ ٨٨، لسان الميزان ٢/ ١٩٥.

(٢) حتى قال في حقه عضد الدولة: أنا غلام أبي علي الفسوي في النحو. ويحكى أنه كان في ميدان شراء يومًا يساير عضد الدولة، فقال له لم انتصب المستثنى في قولنا: قام القوم إلا زيدًا. قال الشيخ: بفعل مقدر. فقال له: كيف تقديره؟ فقال: استثني زيدًا. فقال له عضد الدولة: هلا رفعته وقدرت الفعل: امتنع زيد. فانقطع الشيخ وقال له: هذا الجواب ميداني لا إمعاني. ثم أنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلامًا حسنًا وحمله إليه فاستحسنه. وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلّا؛ ويقال أيضًا: إن السبب في استشهاده في باب كان من كتاب الإيضاح ببيت أبي تمام الطائي، وهو قوله:

مـن كـان مـرعـى عـزمـه وهـمـومـه ... روض الأماني لم يزل مهزولا

ولم يكن ذلك من عادته لأن أبا تمام لم يكن ممن يستشهد بشعره. لكن عضد الدولة كان يحب هذا البيت وينشده كثيرًا. فلهذا استشهد به في كتابه. (هامش الأصل).

(٣) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١١/ ١٧٦، بغية الوعاة ٢٥٠، روضات الجنات ٣٠٠.

(٤) هو عمر بن ابراهيم بن محمد الحسيني العلوي، أبو البركات ولد عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م. وتوفي عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م. من رجال الحديث واللغة، له تصانيف.
انظر عنه. الاعلام ٥/ ٣٨، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٤٩، نزهة الألباء ٤٧٨، لسان الميزان ٤/ ٢٨٠.

(٥) هو علي بن أبي طاهر بن أحمد بن الصباح القزويني، أبو الحسن توفي سنة نيف وتسعين ومائتين. محدث، حافظ، ثقة.
انظر عنه: سير اعلام النبلاء ١٤/ ٨٧، تاريخ ابن عساكر ١١/ ٤٢٢.

بن عبدالله بن المرزبان القاضي أبو سعيد السيرافي النحوي[١]. قال ياقوت: كان أبوه مجوسيًا اسمه بهزاد فسمّاه أبو سعيد عبدالله. وكان أبو سعيد يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض. قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد، واللغة على ابن دريد، وقرأآهما عليه النحو، وأخذ هو النحو عن ابن السراج وميرمان، وأخذ عنه، وولّي القضاء ببغداد، وقال أبو حيان التوحيدي في تقريظ الجاحظ: أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ وإمام الأئمة، له معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة. أفتى في جامع الرصافة[٢] خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، فما وجد له خطأ، ولا عثر له على زلّة. وقضى ببغداد، هذا مع الثقة والديانة والأمانة والرزانة. صام أربعين سنة أو أكثر الدهر كله.

وقال في محاضرات العلماء[٣]: شيخ الدهر وقريع العصر، العديم المثل المفقود الشكل، ما رأيت أحفظ منه لجوامع الزهد نظمًا ونثرًا. وكان ديِّنًا ورعًا تقيًا نقيًا زاهدًا عابدًا خاشعًا. له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع. ما قرىء عليه شيء قط فيه ذكر الموت والبعث ونحوه إلّا بكى وجزع ونغّص عليه يومه وليلته، وامتنع من الأكل والشرب. وما رأيت أحدًا من المشايخ كان أذكر لحال الشباب وأكثر تأسفًا على ذهابه منه. وكان إذا رأى أحدًا من أقرانه عاجله الشيب تسلى به.

وقال في الامتاع[٤]: هو أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب، وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق، وألزم للجادة الوسطى في الخلق والدين، وأروى للحديث، وأقضى في الأحكام، وأفقه في الفتوى. كتب إليه ملوك عدة كتبًا مصدرة بتعظيمه تسأله فيها عن مسائل في الفقه والعربية واللغة. وكان حسن الخط، طلب أن يقرر في ديوان الإفتاء فامتنع. وقال: هذا أمر يحتاج إلى دربة وأنا عارٍ منها، وسياسة وأنا غريب فيها. وقال الخطيب: كان زاهدًا ورعًا، لم يأخذ على الحكم أجرًا إنما كان يأكل من كسب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلسه حتى ينسخ عشر ورقات بعشرة دراهم تكون قدر مئونته. وكان أبو علي وأصحابه يحسدونه كثيرًا. مولده بسيراف[٥] قبل السبعين ومائتين، وفيها ابتدأ طلب العلم، وخرج إلى عمان وتفقّه بها، وأقام بالعسكر مدة. ثم ببغداد إلى أن مات بها في

---

(١) انظر ترجمته في: الفهرست ٩٣، وفيات الأعيان ١/ ١٦٢، لسان الميزان ٢/ ٢١٨، النجوم الزاهرة ٤/ ١٣٣، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٤، بغية الوعاة ٢٢١، شذرات الذهب ٣/ ٦٥، وغيرها.

(٢) رصافة بغداد بالجانب الشرقي، كان المهدي عسكر بها. أمره المنصور أن يبني بها دورًا، فالتحق بها الناس وعمروها، فصارت بقدر مدينة المنصور، وبنى بها جامعًا أكبر من جامع أبيه.
انظر: مراصد الاطلاع ٦١٧.

(٣) المحاضرات والمناظرات، لعلي بن محمد بن العباسي الواسطي البغدادي أبو حيان التوحيدي (-٤٠٠هـ) وقيل ٣٨٠هـ. كما ذكر في كشف الظنون.
هدية العارفين ١/ ٦٨٥.

(٤) الامتاع والمؤانسة، للشيخ أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (-٣٨٠هـ).
كشف الظنون ١/ ١٦٧.

(٥) مدينة جليلة على ساحل البحر، كانت قديمًا فرضة الهند، وكانت قصبة أردشيرخرة من فارس، وهي في لحف جبل عالٍ جدًا، بينها وبين البصرة سبعة أيام، ومنذ عمرت جزيرة قيس صارت هي فرضة الهند، وخربت سيراف بذلك. (هامش الأصل)

خلافة الطائع يوم الإثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلاث مائة، وله من التصانيف: شرح كتاب سيبويه لم يسبق إلى مثله، وحسده عليه أبو علي الفارسي وغيره من معاصريه، وشرح الدريدية، الفات القطع والوصل، الاقناع في النحو لم يتم فأتمه ولده يوسف. وكان يقول: وضع والدي النحو في المزابل بالإقناع يعني أنه سهله جدًا فلا يحتاج إلى مفسر. وشواهد سيبويه، المدخل إلى كتاب سيبويه، الوقف والابتداء، صنعة الشعر والبلاغة، أخبار النحاة البصريين وهو كراسة كبيرة.

وأما الرماني، فهو علي بن عيسى بن علي بن عبدالله، أبو الحسن الرماني(١)، وكان يعرف أيضًا بالأخشيدي، وبالوراق، وهو بالرماني أشهر. كان إمامًا في العربية علّامة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي، معتزليًا. ولد سنة ست وسبعين ومائتين، وأخذ عن الزجاج وابن السراج وابن دريد. قال أبو حيان التوحيدي: لم ير مثله قط علمًا بالنحو، وغزارة بالكلام، وبصيرًا بالمقالات، واستخراجًا للعويص، وإيضاحًا للمشكل مع تألّه وتنزّه، ودين وفصاحة، وعفاف ونظافة. وكان يمزج النحو بالمنطق حتى قال الفارسي: إنّ كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء. قال السيوطي: النحو ما يقوله الفارسي، وهذه مؤلفات الخليل وسيبويه ومعاصريهما ومن بعدهما بدهر لم يعهد فيها شيء من ذلك.

صنف الرماني: التفسير، الحدود الأكبر، الأصغر، شرح أصول ابن السراج، شرح موجزه، شرح سيبويه، شرح مختصر الجرمي، شرح الألف واللام للمازني، شرح المقتضب، شرح الصفات، معاني الحروف وغير ذلك. مات في حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاث مائة.

وأما أبو الفتح عثمان بن جني فقد عرفت حاله.

وأما ابن أخت أبي علي الفارسي فهو محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث أبو الحسين الفارسي النحوي(٢). قال ياقوت: أخذ عن خاله أبي علي الفارسي العلم والعربية(٣)، وطوّف الآفاق، ورجع إلى الوطن، وكان خاله أوفده على الصاحب ابن عباد إلى الريّ فارتضاه وأكرم مثواه. وورد خراسان ونزل نيسابور دفعات، وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان، وآل أمره إلى أنْ اختصّ بالأمير إسمٰعيل بن سبكتكين(٤) بغزنة، ووزّر له ثم عاد إلى نيسابور، ثم جاور بمكة، ثم عاد إلى غزنة، ورجع إلى نيسابور، ثم انتقل إلى إسفراين(٥)، ثم استوطن جرجان إلى أن مات. وقرأ عليه أهلها، منهم عبد القاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه. وله تصانيف منها: كتاب في الهجاء، كتاب مائة الشعر. مات سنة إحدى وعشرين وأربع مائة.

وأما عبد القاهر الجرجاني فهو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، الإمام

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٤/ ٧٣، المنتظم ٧/ ١٧٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٨٢، نزهة الألباء ٣٨٩، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٣٥، النجوم الزاهرة ٤/ ١٦٨، إنباه الرواة ٢/ ٢٩٤، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٤، وغيرها.

(٢) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٨/ ١٨٦، الوافي بالوفيات ٣/ ٩، بغية الوعاة ٣٨، هدية العارفين ٢/ ٦٤.

(٣) علم العربية، في النسخة المصرية.

(٤) لم نعثر له على ترجمة.

(٥) بليدة حصينة من نواحي نيسابور، على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان، ومهرجان الآن قرية من أعمالها. (هامش النسخة المصرية).

المشهور أبو بكر[١]. أخذ النحو عن ابن أخت أبي علي الفارسي، ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج عن بلده. وكان من كبار أئمة العربية والبيان شافعيًا أشعريًا. صنّف: المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرحه، إعجاز القرآن، الكبير، الصغير، الجمل، العوامل المائة، العمدة في التصريف. ومن جملة مصنفاته: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة في علمي المعاني والبيان، وهما الآية الكبرى واليد البيضاء في العلمين المذكورين، وإليهما ينتهي علم من تأخر في ذينك العلمين، وغير ذلك من التصانيف. مات سنة إحدى أو أربع وسبعين وأربع مائة. ومن شعره:

كبر على العلم يا خليلي
ومل إلى الجهل ميل هائم
وعش حمارًا تعش سعيدًا
فالسعد في طالع البهائم

قلت: هؤلآء الأعلام الذين ذكرتهم كلهم من تلامذة سيبويه إمام أهل البصرة.

وأما تلامذة الكسائي إمام أهل الكوفة، فأشهر هؤلآء الفراء، وبعده أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وبعده القاسم بن محمد الأنباري.

أما الفراء[٢]، فهو يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان الديلمي، إمام العربية، أبو زكريا المعروف بالفراء. كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي. أخذ عنه وعليه اعتمد، وأخذ عن يونس، وأهل الكوفة يدّعون أنه استكثر عنه، وأهل البصرة يدفعون ذلك. وكان يحب الكلام ولا يميل إلى الاعتزال. وكان متدينًا متورعًا على تيه وعجب وتعظم، وكان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه، وكان يتفلسف في تصانيفه ويسلك ألفاظ الفلاسفة. وكان أكثر مقامه ببغداد. فإذا كان آخر السنة أتى الكوفة فأقام بها أربعين يومًا، يفرق في أهله ما جمعه. كان شديد المعاش لا يأكل حتى لا يمسه الجوع. وجمع مالًا خلفه لابن له شاطر صاحب سكاكين، وأبوه زياد هو الأقطع، قطعت يده في الحرب مع[٣] الحسين بن علي رضي الله عنهما، وكان مولى لأبي ثروان، وأبو ثروان مولى بني عبس. صنف الفراء: معاني القرآن، البهي فيما يلحن فيه العامة، اللغات، المصادر في القرآن، الجمع والتثنية في القرآن، آلة الكتاب، النوادر، المقصور والممدود، فعل وأفعل، المذكر والمؤنث، الحدود يشتمل على ستة وأربعين حدًا في الإعراب، وله غير ذلك، مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين عن سبع وستين سنة.

وأما أبو العباس ثعلب[٤]، فهو أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار الشيباني، مولاهم، البغدادي، الإمام أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة. ولد سنة مائتين، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست عشرة، وحفظ كتب الفراء فلم يشذّ منها حرف، وعني بالنحو أكثر من غيره. فلما أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب، ولازم ابن

(١) طبقات الشافعية ٣/ ٢٤٢، فوات الوفيات ١/ ٢٩٧، نزهة الألباء ٤٣٤، شذرات الذهب ٣/ ٣٤٠، إنباه الرواة ٢/ ١٨٨، مرآة الجنان ٣/ ١٠١.

(٢) انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٣٠١، الفهرست ٩٨، معجم الأدباء ٢٠/ ٩، بغية الوعاة ٤١١، نزهة الألباء ١٢٦، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦١، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٨، شذرات الذهب ٢/ ١٩.

(٣) قال ابن خلكان: فيه نظر، لأن الفراء عاش ثلاثًا وستين سنة، فيكون ولادته سنة أربع وأربعين ومائة، وحرب الحسين كانت سنة احدى وستين للهجرة، فتكون بينهما أربع وثمانون سنة. وكم قد عاش أبوه، فإن كان الأقطع جده فيمكن، والله أعلم. (هامش الأصل).

(٤) انظر ترجمته في الفهرست ١١٠، تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٤، وفيات الأعيان ١/ ٣٦، معجم الأدباء ٥/ ١٠٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٢١٤، إنباه الرواة ١/ ١٣٨، البداية والنهاية ١١/ ٩٨،

الأعرابي بضع عشرة سنة، وسمع من محمد بن سلام الجمحي[(١)] وعلي بن المغيرة الأثرم[(٢)] وسلمة بن عاصم[(٣)] وعبيدالله بن عمر القواريري الأصغر ونفطويه وأبي عمر الزاهد وجمع. قال بعضهم: إنما فضل أبو العباس أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور. قال أبو الطيب اللغوي: كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة، وعلى سلمة بن عاصم في النحو، ويروى عن ابن نجدة[(٤)] كتب أبي زيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة، وعن أبي حفص كتب الأصمعي، وعن عمرو بن أبي عمرو كتب أبيه. وكان ثقة متفننًا يستغني بشهرته عن نعته. وكان ضيق النفقة مقترًا على نفسه. قال أبو بكر بن مجاهد: قال لي ثعلب: يا أبا بكر، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا، وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي. فانصرفت من عنده، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة، فقال لي: أقرأ أبا العباس مني السلام وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل[(٥)]. وقال أبو عمرو الزاهد: سئل ثعلب عن شيء، فقال: لا أدري. فقيل له: أتقول لا أدري وإليك تضرب أكباد الإبل من كل بلد. فقال: لو كان لأمك بعدد لا أدري بعير لاستغنيت. صنف: المصون في النحو، إختلاف النحويين، معاني القرآن، معاني الشعر، القراآت، التصغير، الوقف والابتداء، الهجاء، الأمالي، غريب القرآن، الفصيح. وقيل: هو للحسن بن داؤد الرقي[(٦)]، وقيل: ليعقوب بن السكيت، وله أشياء أخر، وثقل سمعه بآخره، ثم صمّ فانصرف يوم الجمعة من الجامع بعد العصر وبيده كتاب ينظر فيه، وإذا بدواب من ورائه فلم يسمع صوت حافرها فصدمته، فسقط على رأسه في هوّة من الطريق، فلم يقدر على القيام، فحمل إلى منزله ومات منه يوم السبت لعشر خلون أو لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين ومائتين. وخلّف كتبًا تساوي جملة ألفي دينار وأحدًا وعشرين ألف درهم ودكاكين تساوي ثلاثة الآف دينار، فردّ ماله على ابنته. وذكره الداني في طبقات القراء فقال: روى القراءة عن سلمة بن عاصم عن أبي الحارث عن الكسائي وعن الفراء، وله كتاب حسن، فيها روى القراءة عنه ابن مجاهد وابن الأنباري وغيرهما.

وأما ابن الأنباري[(٧)]، فهو قاسم بن محمد بن بشار أبو محمد الأنباري النحوي. كان محدثًا إخباريًا عارفًا بالأدب والغريب، ثقة صاحب عربية. أخذ عن سلمة بن عاصم وأبي

(١) هو محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي، أبو عبدالله. ولد عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. وتوفي عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م. إمام في الأدب له تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٦/ ١٤٦، إرشاد الأريب ٧/ ١٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٦.

(٢) هو علي بن المغيرة، أبو الحسن الأثرم. توفي عام ٣٢١هـ. عالم باللغة والنحو. والرواية والأخبار.
انظر عنه: مراتب النحويين ٩٤، إنباه الرواة ٢/ ٣١٩.

(٣) هو سلمة بن عاصم النحوي، أبو محمد، توفي عام ٣١٠هـ/ ٩٢٢م. عالم بالعربية. له عدة كتب.
انظر عنه: الاعلام ٣/ ١١٣، إنباه الرواة ٢/ ٥٦، بغية الوعاة ٢٦٠.

(٤) هو ابن نجدة، من علماء اللغة والنحو، عاصر أبا عبيدة. وأخباره قليلة.
انظر عنه: مراتب النحويين. ٩٤.

(٥) قال أبو عبدالله الرودباري: أراد أن الكلام يعمل به والخطاب به يحمل، وأن جميع العلوم مفتقرة إليه. (هامش الأصل).

(٦) هو الحسن بن داود الرقي. من علماء اللغة والنحو. له عدة كتب.
انظر عنه: كشف الظنون ٢/ ١٢٧٢.

(٧) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٦/ ٣١٦، بغية الوعاة ٣٨٠، روضات الجنات ٥٢٦.

عكرمة الضبي. وصنّف: خلق الإنسان، خلق الفرس، الأمثال، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، غريب الحديث، شرح السبع الطوال. مات في غرة ذي القعدة سنة أربع أو صفر سنة خمس وثلاث مائة.

قلت: هذه مشاهير علماء الأدب، ولم يخلف من بعدهم مثلهم إلّا قليلًا، وستعرفهم إن شاء الله تعالى.

خاتمة:

في ذكر الكتب المشهورة المعتنى بشأنها في علم النحو وبيان أحوال مصنفيها.

ومن الكتب المختصرة فيه: مقدمة ابن الحاجب المسماة بالكافية. وقد عرفت ترجمة ابن الحاجب في علم الصرف عند ذكر كتاب الشافيّة، والناس قد اعتنوا بكتاب الكافية أشد الاعتناء بحيث لا يمكن إحصاء شروحها، وهي حقيق بذلك، وأجل شروحها الذي سار ذكره في الأمصار والأقطار مسير الصبا والأمطار، شرح نجم الأئمة رضي الدين الاستراآبادي[١] وهو شرح عظيم الشأن، جامع لكل بيان وبرهان، تضمن من المسائل أفضلها، وأعلاها، ولم يغادر من الفوائد صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها. قال: السيوطي في طبقات النحاة: الرضي الإمام المشهور، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب، الذي لم يؤلف عليها ولا في غالب كتب النحو مثله جمعًا وتحقيقًا وحسن تعليل، وقد أكبّ الناس عليه وتداولوه، واعتمده شيوخ هذا العصر، فمن قبلهم في مصنفاتهم ودروسهم وله فيه أبحاث كثيرة، مع النحاة واختيارات جمة، ومذاهب ينفرد بها، ولقبه نجم الأئمة، ولم أقف على اسمه ولا على شيء من ترجمته، إلّا أنه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وست مائة. وأخبرني في صاحبنا المؤرخ شمس الدين بن عزم[٢] بمكة أنّ وفاته سنة أربع وثمانين أو ست، الشك مني. وله: شرح على الشافية، انتهى ما ذكره السيوطي.

قلت: أما ما سمعته من شأن هذا الكتاب أنّ السعد التفتازاني سأل بعضًا من الطلبة أنّ الشريف الجرجاني بأي شيء يشتغل، قال: بشرح الكافية للشيخ رضي الدين. قال: لعله يريد أنْ يصنف شرحًا للمفتاح. وللشريف الجرجاني تعليقات وحواش على هذا الشرح، رأيناها واستفدنا منها. ويروى أنّ نجم الأئمة رضي الدين كان على مذهب الرفض.

يحكى عنه أنّه كان يقول: العدل في عمر ليس بتحقيقي موضع قوله، العدل في عمر تقديري؛ نعوذ بالله من الغلو في البدعة والعصبية في الباطل. يقال إنّه ليس في المتأخرين من اطلع على تدقيقات كتاب سيبويه مثله.

ومن شروح الكافية: شرح السيد ركن الدين ثلاثة شروح: كبير ومتوسط وصغير. وهذا المتوسط متداول بين الناس على أيدي المبتدئين، وصاحبه الحسن بن محمد بن شرفشاه العلوي الاستراآبادي، أبو الفضائل، السيد ركن الدين[٣]. قال ابن رافع[٤] في ذيل تاريخ

---

(١) هو محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي. توفي نحو ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م في استراباذ، عالم بالعربية، وله بعض التصانيف في النحو والصرف. انظر عنه: الأعلام ٦/ ٨٦، خزانة الأدب ١/ ١٢، بغية الوعاة ٢٤٨.

(٢) هو محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن عزم التميمي التونسي المكي المالكي، أبو عبدالله، شمس الدين. ولد عام ٨١٦هـ/ ١٤١٤م. وتوفي عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م. مؤرخ، له رحلات عدة وكتب. انظر عنه: معجم المؤلفين ١١/ ٩٠، الضوء اللامع ٨/ ٢٥٥، الأعلام ٧/ ٢٠٧.

(٣) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ١٦، طبقات الشافعية ٦/ ٨٦، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٣١، شذرات الذهب ٦/ ٣٥، بغية الوعاة ٢٢٨، مرآة الجنان ٤/ ٢٥٥.

(٤) هو محمد بن رافع بن هجرس بن محمد بن شافع السلامي الصميدي، تقي الدين أبو المعالي. ولد عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. =

بغداد[١]: قدم مراغة، واشتغل على مولانا نصير الدين، وكان يتوقد ذكاء وفطنة. وكان المولى قطب الدين حينئذٍ في ممالك الروم فقدمه النصير، وصار رئيس الأصحاب بمراغة، وكان يجيد درس الحكمة، وكتب الحواشي على التجريد وغيره. وكتب لولد النصير: شرحًا على قواعد العقائد. ولما توجه النصير إلى بغداد سنة اثنتين وسبعين وست مائة لازمه. فلما مات النصير في هذه السنة صعد إلى الموصل واستوطنها، ودرّس بالمدرسة النورية بها، وفوّض إليه النظر في أوقافها، وشرح مقدمة ابن الحاجب بثلاثة شروح أشهرها المتوسط وتكلم في أصول الفقة، وأخذ على السيف الآمدي، ثم فوّض إليه تدريس الشافعية بالسلطانية، ومات في رابع عشر صفر سنة خمس عشرة وسبع مائة. وذكره الأسنوي في طبقات الشافعية وقال: شرح الحاوي، ومات سنة ثمان عشرة. وقال الصفدي: كان شديد التواضع، يقوم لكل أحد حتى السقاء، شديد الحلم، وافر الجلالة عند التتار. شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي وشرح الشافية في التصريف، وعاش بضعًا وسبعين سنة.

ومن شروح الكافية: شرح مولانا الخبيصي المسمى بالوشاح، وهو قد بلغ النهاية في حسن الإيجاز مع تكثير للفوائد، والاستقصاء في الشواهد. قال السيوطي: أبو بكر الخبيصي[٢] صاحب شرح الحاجبيه المشهور، وهو ممزوج مختصر متداول بين الناس، سماه الموشح، ولا أعرف من ترجمته زيادة على هذا. قلت: خبيص قرية من قرى كرمان[٣]، ونسبته إليها لا إلى بايع الخبيصة كما توهمه بعض الناس. وعلى هذا الشرح: تعليقات وفوائد مهمة للسيد الشريف الجرجاني.

ومن شروح الكافية: شرح الهندي[٤] للكافية، ولعله لسراج الدين الهندي، وقد عرفت ترجمته في فن أصول الفقه لأنه أشهر بذلك من النحو.

ومن شروحها: شرح الفاضل السامي مولانا عبد الرحمن الجامي[٥]، بلغ غاية لا يمكن الزيادة عليها في لطف التحرير وحسن الترتيب،

=وتوفي عام ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م. حافظ متقن، عالم كبير، له مصنفات عديدة.
انظر عنه: طبقات الشافعية ٤/ ٢٧٥، الاعلام ٦/ ٣٦٠، الدرر الكامنة ٣/ ٤٣٩، النجوم الزاهرة ١١/ ١٢٤، غاية النهاية ٢/ ١٣٩.

(١) ذيل تاريخ بغداد، الذيل على ذيل ابن النجار لتقي الدين محمد بن رافع (-٧٧٤هـ) على تاريخ بغداد.
كشف الظنون ١/ ٢٨٨.

(٢) هو الشيخ محمد بن أبي بكر بن محمد الخبيصي، شمس الدين. من علماء القرن الثامن الهجري. عالم باللغة والنحو. له مصنفات.
انظر عنه: كشف الظنون ٢/ ١٣٧١.

(٣) ولاية مشهورة، وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، شرقيها مكران، ومفازة بين مكران والبحرين من وراء البلوصي، وغربيها أرض فارس، وشماليها مفازة خراسان، وجنوبيها بحر فارس. ولها في حدّ السيرجان دخلة في حدّ فارس مثل الكم، وفيما يلي البحر تقويس. وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع.
انظر: مراصد الاطلاع ١١٦١.

(٤) للكافية في النحو للشيخ جمال الدين المعروف بابن الحاجب (-٦٤٦هـ) شروح كثيرة منها. شرح شهاب الدين أحمد بن عمر الهندي (-٨٤٩هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٣٧١.

(٥) شرح الكافية، للمولى نور الدين عبد الرحمن بن أحمد نور الدين الجامي (-٨٩٨هـ). سماه الفوائد الضيائية.
كشف الظنون ٢/ ١٣٧٢.

وشهرة حاله في بلادنا أغنت عن التعرض لترجمته قدّس سره.

ومن شروحها: شرح الكافية لجلال الدين الغجدواني[١]، وهو أحمد بن علي بن محمود، جلال الدين الغجدواني. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة، إلّا أنّ هذا الشرح مشهور بأيدي الناس، لطيف، ذكر فيه أنه قرأ على الحسام السغناقي.

ومن شروح الكافية: شرح النجم السعيدي[٢]، وهو سعيد العجمي المشهور بالنجم سعيد شارح الحاجبية. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة، وشرحه هذا كبير، جعله شرحًا للمتن ولشرح المصنف للمتن وفيه أبحاث حسنة.

ومن شروح الكافية: شرح تقي الدين النيلي[٣] وهو ابرهيم بن الحسين بن عبدالله بن إبرهيم بن ثابت الطائي.

ومن المختصرات في علم النحو: لب اللباب[٤]، وعليه شروح، أحسنها وأفضلها شرح السيد عبدالله بن محمد الحسيني العجمي السيد جمال الدين النقره كار[٥] بضم النون وسكون القاف وبالراء المهملة معناه صائغ الفضة صاحب شرح اللب وشرح اللباب وشرح الشافية في التصريف، وهي تصانيف مشهورة ممزوجة متداولة بأيدي الناس. قال السيوطي لم أقف له على ترجمة إلّا أنه ذكر في شرح الشافية أنه ألّفه للأمير الجامي وهو قريب من الثمان مائة. ثم وقفت له على شرح التلخيص ممزوج، ذكر فيه أنه ألفه للأمير منكلي بغلي. وله شرح على التنقيح في أصول الفقه للفاضل صدر الشريعة. ورأيت في بعض نسخ هذا الشرح أنه أتم تصنيفه في يوم العيد من شوال سنة إحدى وسبعين وسبع مائة.

ومن المختصرات في علم النحو: لباب الإعراب[٦] للإمام الفاضل محمد بن محمد ابن أحمد تاج الدين الاسفرايني، صاحب اللباب، وصاحب شرح المصباح المسمى بضوء المصباح[٧] في النحو. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة، وله شروح كثيرة، منها: شرح السيد عبدالله شارح اللب وقد تقدّم، وشرح

---

(١) شرح الكافية في النحو، لجلال الدين أحمد بن علي بن محمود الغجدواني (- مجهول هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٣٧١.

(٢) شرح الكافية في النحو، لنجم الدين سعيد العجمي ويقال له الشرح السعيدي (- مجهول هـ).
كشف الظنون ١/ ١٣٧١.

(٣) شرح الكافية في النحو، لتقي الدين ابراهيم بن حسين بن عبدالله بن ثابت النحوي الطائي (- مجهول هـ) وسماه التحفة الوافية.
كشف الظنون ٢/ ١٣٧٦.

(٤) لب الألباب في علم الاعراب، للاسفرايني وهو تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد بن سيف الدين [أحمد بن السيف] الاسفرايني الشهير بالفاضل.
كشف الظنون ٢/ ١٥٤٥.

(٥) لب الألباب في علم الاعراب، للاسفرايني وهو تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد بن سيف الدين (أحمد بن السيف) (-٦٨٤هـ).
شرحه النقرة كار عبدالله محمد بن الحسيني العجمي السيد جمال الدين. كشف الظنون ٢/ ١٥٤٥.

(٦) اللباب في النحو، للعلامة الامام تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد بن السيف المعروف بالفاضل الاسفرايني (-٦٨٤هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٥٤٣.

(٧) ضوء المصباح لتاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الاسفرايني (-٦٨٤هـ)، شرح فيه كتاب المصباح في النحو للمطرزي (-٦١٠هـ).

قطب الدين الفالي[١]، وهو محمد بن سعيد بن محمود بن أبي الفتح السيرافي المعروف بالفالي بالفاء، صاحب شرح اللباب. قال السيوطي: لم أقف له على ترجمة. وشرح الإمام الزوزني[٢]، وهو محمد بن عثمان بن محمد بن أبي علي العَرَض، بفتح الراء، الزوزني، وزوزن بلد بين هراة ونيسابور. وشرح آخر موسوم بالعباب[٣] ولم يتحقق اسم مؤلفه. وشرح مولانا شيخ علي الشهير بمصنفك[٤]، كان رحمه الله من أولاد الإمام فخر الدين الرازي وكان للإمام الرازي ولد اسمه محمد. وكان الإمام يحبه كثيرًا، وأكثر مصنفاته صنفت لأجله. وقد ذكر اسمه في بعضها. ومات محمد في عنفوان شبابه، وولد له ولد بعد وفاته وسمّوه أيضًا محمدًا، وبلغ رتبة أبيه في العلم ثم مات، وخلف ولدًا إسمه محمود، وبلغ هو أيضًا رتبة الكمال، ثم عزم سفر الحجاز، وخرج من هراة. ولما وصل بسطام[٥] أكرمه أهلها لمحبتهم في العلماء، سيما أولاد فخر الدين الرازي، فأقام هناك بحرمة وافرة. وخلف ولدًا إسمه مسعود، وسعى في تحصيل العلم، لكنّه لم يبلغ رتبة آبائه، وقنع برتبة الوعظ لأنه لم يهاجر وطنه، وخلف ولدًا إسمه محمد أيضًا، وحصّل هو من العلوم ما يقتدى به أهل تلك البلاد، ثم خلف ولدًا اسمه مجد الدين محمد، وصار هو أيضًا مقتدى من الناس في العلم، وولد له ولد إسمه شيخ علي، وهو الذي اشتهر بمولانا مصنفك، لأنّه صنّف كتبًا شريفة في حداثة سنه كما سنذكره. والكاف في لغة العجم للتصغير، فهو شيخ علي بن مجد الدين بن محمد بن مسعود بن محمود بن محمد ابن محمد بن محمد بن عمر الشاهروردي البسطامي الهروي الرازي العمري البكري. وكان الإمام الرازي يصرح في مصنفاته بأنّه من أولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنهم. وذكر أهل التاريخ أنه من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. وولد المولى مصنفك في سنة ثلاث وثمان مائة، وسافر مع أخيه إلى هراة لتحصيل العلم في سنة إثنتي عشر وثمان مائة، وصنف: شرح الإرشاد في سنة ثلاث وعشرين، وشرح المصباح في النحو في سنة خمس وعشرين، وشرح آداب البحث في سنة ست وعشرين بإشارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشرح اللباب في سنة ثمان وعشرين، وشرح المطول في سنة اثنتين وثلاثين، وشرح شرح المفتاح للتفتازاني في سنة أربع وثلاثين. وصنّف حاشية التلويح في سنة خمس وثلاثين، وشرح البردة في تلك السنة أيضًا، وكذا شرح فيها القصيدة الروحية لابن سينا، ثم ارتحل في سنة تسع وثلاثين إلى هراة، وشرح هناك الوقاية، وشرح الهداية سنة تسع وثلاثين. وصنّف في هذه السنة أيضًا حدائق الايمان لأهل العرفان، ثم ارتحل سنة ثمان وأربعين إلى ممالك الروم، وصنّف هناك في سنة خمسين وثمان مائة، وشرح المصابيح للبغوي بإشارة

كشف الظنون ٢/١٧٠٨ - ١٠٩٠.

(١) شرح لقطب الدين محمد بن مسعود بن محمود السيرافي الفالي (-؟هـ)، على اللباب في النحو للاسفرايني (-٦٨٤هـ). كشف الظنون ٢/١٥٤٣، ١٥٤٤.

(٢) شرح لب الألباب (للاسفرايني في النحو)، لمحمد بن عثمان بن محمد شمس الدين أبو عبدالله الزوزني (-٧٩٢هـ). كشف الظنون ٢/١٥٤٣، ١٥٤٤، هدية العارفين ٢/١٧٤.

(٣) العباب، شرح للسيد جمال الدين عبدالله بن محمد الحسيني المعروف بالنقره كار (-٧٧٦هـ) على اللباب في النحو للاسفرايني (-٦٨٤هـ). كشف الظنون ٢/١٥٤٣.

(٤) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٧/٣٢٠، البدر الطالع ١/٤٩٧، الشقائق النعمانية ٢٥٥، هدية العارفين ١/٧٣٥.

(٥) بلدة كبيرة بقومس، على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين. انظر: مراصد الاطلاع ١٩٦.

حضرة الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم، وشرح في تلك السنة أيضًا شرح المفتاح الشريفي، وصنّف في هذه السنة أيضًا حاشية شرح شرح المطالع، وأيضًا شرح بعضًا من أصول فخر الاسلام البزدوي، وصنّف في سنة ست وخمسين شرح الكشاف للزمخشري، وصنّف من الكتب على اللسان الفارسي أنوار الأحداق وحدائق الايمان وتحفة السلاطين. وصنّف في تاريخ إحدى وستين كتاب التحفة المحمودية صنّفه لأجل الوزير محمود باشا، صنّفه على اللسان الفارسي في نصيحة الوزراء. وذكر هذه التواريخ في هذا الكتاب وذكر فيه أنه عزم على أنْ لا يصنّف شيئًا بعده اعتذارًا عنه بكبر السّن، سيّمْا الكتب الفارسية، وكان سنّه إذْ ذاك على ما ذكره في ذلك الكتاب ثمان وخمسين، إلّا أنّ له تصانيف أخر غير ما ذكره، ولم ندر أنه نقض عزيمته وصنفها بعد ذلك التاريخ أو صنّف قبلها ولم يذكر عند ذكر مصنفاته، وذلك كالتفسير الفارسي رأينا منه المجلدة الأولى وهي في تفسير الفاتحة خاصة، والمجلدة الأخيرة وهي من سورة النبأ إلى آخر القرآن. ولقد أجاد في ترتيبه، واعتذر هو عن تأليفه على ذلك اللسان، وقال: كتبته بأمر السلطان محمد خان والمأمور معذور. وله أيضًا شرح الشمسية على اللسان الفارسي، وله أيضًا حاشية على شرح الوقاية لصدر الشريعة وغير ذلك.

ثم قال في التحفة المحمودية بعد ذكر نسبه: هؤلاء آباء الأبدان، وأما آباء الأرواح فكثيرة.

أما في العلوم العربية فلي أستاذان.

أولهما مولانا جلال الدين يوسف الأوبهى رحمه الله، كان من مقدمي علماء خراسان وبالعراق وما وراء النهر، وكان وحيد دهره في علم العربية سيّما في حلّ الكشاف والمفتاح، وكان يضرب به المثل في ذكاء الطبيعة وقوة القريحة، وكان من تلامذة مولانا سعد الدين التفتازاني، وقد أجازه التفتازاني من بين تلامذته بتغيير مصنفاته.

وقال: أما بعد حمد الله والصلوٰة على رسول الله، فقد أجزت للمولى العالم الفاضل الكامل جلال الدين يوسف ابن الإمام المرحوم ركن الدين مسيح أن يروي عني مقروءاتي ومسموعاتي ومستجازاتي عمومًا، ومصنّفاتي خصوصًا. فقد قرأ الكثير وسمع الكثير مثل: شرح الكشاف والمفتاح وغيرهما، وأن يدرسها، ويصلح ما تيقن أنّه من سهو البنان أو البيان بعد التأمل والاحتياط والمراجعة والمطالعة الوافرة. وهذا خط الفقير سعد التفتازاني كتبه في آخر سفر حياته، والاتصال بوفاته، وهو الأواخر من محرم سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة بسمرقند.

والأستاذ الثاني في هذه العلوم الفاضل العلامة قطب الملة والدين أحمد بن محمد بن محمود الإمامي الهروي[1] بلغه الله إلى أقصى ما يتمناه، في دينه ودنياه، وفي آخرته وعقباه، وهو في هذه العلوم تلميذ الإمام المحق الفاضل المدقق، الذي كان مع كبر سنه يضيء بين العلماء كالبدر بين النجوم، مولانا جلال الملة والدين يوسف الأوبهي المذكور نوّر الله روحه، وكثر في كل لحظة فتحه وفتوحه. وهو تلميذ الإمام إمام الدنيا الذي أشرقت الأرض بنور علومه وتصنيفاته وتأليفاته، سعد الحق والملة والشريعة والدين التفتازاني، أحله الله دار رضوانه، وألبسه لباس عفوه وغفرانه.

---

(١) هو محمد بن يحيى بن أحمد بن حنش اليماني اليزدي الهروي. ولد عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. وتوفي عام ٧١٩هـ/١٣١٩م. فقيه، مجتهد، متكلم، له تصانيف عديدة.
انظر عنه: معجم المؤلفين ١٢/٩٨، البدر الطالع ٢/ ٢٧٧، الاعلام ٨/٨.

وأما أستاذي في الفقه أما في فقه الشافعي فهو الفاضل الكامل الذي كان يستضيء الآفاق في حياته بنور تقواه، ويستفيد العالمون بنور فتواه، الإمام الهمام عبد العزيز بن أحمد بن عبد العزيز الأبهري[1]، فقد قرأت كتاب الحاوي عنده، وكتب لي إجازتي في الدرس والفتوى، وكتاب إجازته طويل، إلّا أنّ من جملة ما كتب في شأني أنه قال بعد ما سابق أقران قرنه في هذه الحلبة، وفاق على أبناء عصره في التحلّي بهذه الحلية، وصار ممن يعول عليه وغصن شبابه نضير، ويرجع إليه وماله في الآفاق نظير، فأجزت له أنْ يدرس جميع الكتب المتداولة من كتب الفروع والأصول، ونسخ المعقول والمنقول، وأن يروي التفسير والحديث والفقه عني، وكل ما وضح وصحّ عنده أنه من مقروءاتي ومسموعاتي ومجازاتي بشرط الرعاية لما شرط أهل الصناعة في الرواية، وأن يكتب في الحوادث الدينية والوقائع الشرعية جواب الفتوى، بشرط الاحتياط والرجوع إلى الكتب مرة بعد أخرى، واختيار ما هو الأصح والأقوى، والله يعصمه وإياي من الميل واتباع الهوى.

ثم قال: ثم إني أخذت الفقه عن شيخي ووالدي قدوة المحققين زبدة المدققين سيف الحق والشريعة والدين أحمد ابن المولى الفاضل الكامل العامل نظام الدين عبد العزيز الأبهري، وهو عن الشيخ الفقيه النبيه غياث الدين محمد سبط صاحب الحاوي، وهو عن خاله جلال الحق والدين، عن أبيه نجم الدين عبد الغفار القزويني، عن الإمام المحقق والحبر المدقق أبي القاسم عبد الكريم الرافعي، عن أبيه الإمام نور الدين الرافعي، عن الإمام أبي منصور، عن الإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، عن إمام الحرمين، عن أبيه الإمام أبي محمد الجويني، عن الإمام أبي بكر القفّال، عن الإمام أبي زيد المروزي، عن الإمام أبي إسحاق الاسفرايني، عن ابن سريج، عن أبي القاسم الأنماطي، عن الإمامين إسمٰعيل والربيع، عن الإمام الأعلم والهمام المكرم محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وأرضاه، عن مسلم، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وبروايته أيضًا عن نافع عن ابن عمر، وهما رضي الله عنهما عن حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما في فقه أبي حنيفة رضي الله عنه فشيخي وسندي وأستاذي هو الإمام، قدوة علماء الأنام، فصيح الحق والملة والشريعة والدين، محمد بن محمد علا، أنزله في دار إكرامه منازل العلى. فلقد كان آية باهرة في الفتوى، وحجة قاهرة في التقوى. ومن جملة ما قال هذا الفاضل في إجازته لي: وإنّ من جملة من خصّ الله شأنه بالعلم الذي هو الفضل العظيم، والطول الجسيم، المولى الأعظم، المتحلى بأكارم الأخلاق، وأحاسن الشيم، محقق معضلات الأصول والفروع، موضح مشكلات المعقول والمسموع، صاحب النصاب الكامل من العلوم، الغالب بوفور فضله على القروم، الذي مجمل العلوم عنده مفصل، ولباب الفنون له محصل، ذهنه الفائق الرائق، كنز مشحون بجواهر الدقائق، الأخ في الله، السالك في محجة الانتباه، أبو المحامد، شرف الملة والدين، شيخ علي ابن الإمام المرحوم المبرور مولانا مجد الدين محمد الشاهروردي البسطامي، متّع

---

(١) هو محمد بن أحمد الأبهري، أبو عبدالله. توفي عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م. فقيه من القضاة، له تصانيف.
انظر عنه: معجم المؤلفين ٨/ ٢٢٧، هدية العارفين ٢/ ١٣١.

الله المستفيدين بأنفاسه النفيسة مدة طويلة، إلى أن قال: وسمع مني وقرأ عليّ، وحقّق لدي الدفتر الأول من الهداية للشيخ الرباني، والحبر الهمام الصمداني، شيخ الاسلام، برهان الشريعة والملة والدين المرغيناني، جعل الله سعيه مشكورًا ولقاه نضرة وسرورًا. وجرى بيننا مباحثات كثيرة بثيرة، ومناظرات غزيرة، فوقفت بتفتيشه على دقائق كانت مستورة في خيام الاستتار، واطلعت بتنقيره على حدائق ذات بهجة بروق عيون أولي الأبصار. ثم قال: فأجزت له أن يروي عني التفسير والحديث والكلام، والفقه وأصوله، والأدب وما ينخرط في ذلك النظام، وأن يجيب بالبنان والبيان، في الحوادث اليومية، والنوازل الشرعية، بعد الاتقان والإيقان، وتتبع مختارات الروايات بقدر الوسع والإمكان، على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة عليه شآبيب الرحمة والرضوان.

ومن المختصرات في علم النحو: المصباح للإمام المطرزي، وقد سبق ترجمته في علم اللغة، عند ذكر المغرب في لغة الفقهيات. وله شروح منها: شرح مسمى بضوء المصباح للاسفرايني وقد تقدّم هو، وله شرح آخر له سماه بالمفتاح واختصر منه الضوء، وله شرح آخر لمولانا مصنفك وهو شرح لطيف نافع في الغاية.

ومن كتب النحو: العمدة[1] لابن مالك وقد ذكرنا ترجمته. وتسهيل الفوائد[2] له أيضًا، يكاد أنْ لا يخل بمسئلة من النحو، لكن عباراته صعبة لا ينتفع به المبتدى. وله أيضًا ألفية[3] أورد فيها مهمات التسهيل وعليها شروح مفيدة سيّما شرح ابن قاسم[4]. ومن جملة شروحها شرح ولد المصنف رحمه الله، وهو محمد بن محمد بن عبدالله بن مالك الإمام بدر الدين ابن الإمام جمال الدين الطائي الدمشقي الشافعي النحوي ابن النحوي. قال الصفدي: كان إمامًا ذكيًا فهمًا، حاد الخاطر، إمامًا في النحو والمعاني والبيان والبديع والعروض، جيد المشاركة في الفقه والأصول، أخذ عن والده ووقع بينه وبينه شيء، فسكن بغلبك، فقرأ عليه جماعة منهم بدر الدين بن زيد، فلما مات والده طب إلى دمشق وولي وظيفة والده، وتصدى للأشغال والتصنيف، وكان اللعب يغلب عليه، وعشرة من لا يصلح، وكان إمامًا في مواد النظم من النحو والمعاني والبيان والعروض والبديع، ولم يقدر على نظم بيت واحد بخلاف والده. وله من التصانيف: شرح ألفية والده، شرح الكافية، شرح لامية لم يكمله، شرح التسهيل لم يتمه، المصباح في اختصار المفتاح في المعاني، روض الأزهار. فيه: شرح الملحة، شرح الحاجبية، مقدمة في العروض، مقدمة في المنطق، وغير ذلك. مات بالقولنج بدمشق يوم الأحد ثامن المحرم سنة ست وثمانين وست مائة، وتأسف الناس عليه.

ومن جملة شروحها: شرح ابن جابر وهو

(١) العمدة في النحو، مختصر لابن مالك محمد بن عبدالله النحوي (-٦٧٢هـ)، هو عمدة الحافظ وعدة اللافظ.
كشف الظنون ٢/ ١١٧٠.

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، للشيخ جمال الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بابن مالك الطائي الجياني النحوي (-٦٧٢هـ).
كشف الظنون ١/ ٤٠٥.

(٣) وردت سابقًا.

(٤) شرح الشيخ شمس الدين حسن بن القاسم المرادي المعروف بابن أم قاسم النحوي (-٩٤٩هـ) على الألفية في النحو لابن مالك النحوي (-٦٧٢هـ).
كشف الظنون ١/ ١٥٢.

محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي، أبو عبدالله، الأعمى النحوي[١]. ولد سنة ثمان وتسعين وست مائة، وقرأ القرآن والنحو على محمد بن يعيش، والفقه على محمد بن سعيد الراوندي[٢]، والحديث على أبي عبدالله الزواوي[٣]. ثم رحل إلى الديار المصرية صحبة أحمد بن يوسف الرعيني. وهذان هما المشهوران بالأعمى والبصير. فكان ابن جابر يؤلف وينظم، والرعيني يكتب، ولم يزالا هكذا على طول عمرهما، وسمعا بمصر من أبي حيان، ودخلا الشام وسمعا الحديث من المزّي والجزري وابن كامیار[٤]، ثم قطنا[٥] بحلب وحدّثا بها عن المزّي بصحيح البخاري، وسمع منهما البرهان الحلبي. ومن تصانيف ابن جابر: شرح الألفية لابن مالك، وهو كتاب مفيد يعتني بالإعراب للأبيات، وهو جليل جدًا، نافع للمبتدئين. وله: نظم الفصيح، ونظم كفاية المتحفظ، والحلة السيراء في مدح خير الورى، وهي بديعية ونظمها عال، لكنّه أخلّ فيها بذكر أنواع من البديع كثيرة جدًا. وأخبرني بعض أدباء صفد قدم علينا القاهرة أنه رأى له شرحًا على ألفية ابن معطي في ثمانية مجلدات، ولم أقف عليه، كذا ذكر السيوطي. مات في سنة ثمانين وسبع مائة، وأجاز لمن أدرك حياته.

ورفيقه هو: أبو جعفر، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني البصير الأندلسي غرناطي أديب ماهر. ولد بعد السبع مائة، وكان من حاله ما سبق في ترجمة ابن جابر، وكان مقتدرًا على النظم والنثر، عارفًا بالبديع وفنونه، دِّينًا، حسن الخلق، حلو المحاضرة. شرح بديعية رفيقه، ومات قبله بسنة في رمضان سنة تسع وسبعين، وأجاز أيضًا لمن أدرك حياته. وقبل هذا: ألفية لابن المعطي، وهو يحيى بن معطي بن عبد النون، أبو الحسين زين الدين الزواوي المغزلي النحوي الحنفي، كان إمامًا مبرزًا في العربية، شاعرًا محسنًا قرأ على الجروبي، وسمع من ابن عساكر، وأقرأ النحو بدمشق مدة، ثم بمصر، وتصدر بالجامع العتيق وحمل الناس عنه، وصنف: الألفية في النحو، الفصول له. ولد سنة أربع وستين وخمس مائة، ومات في سلخ ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وست مائة.

وألفية جلال الدين السيوطي أتى ما فيهما وزيادة عليهما مقدار الثلث.

ومن المنظومات: ملحة الإعراب للحريري، وهو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري، وستقف على ترجمته عند ذكر المقامات لأنه بها أشهر من غيرها. وأرجوزة الشيخ ابن الحاجب نظم فيه على أحسن وجه خاليًا عن تكلف النظم.

ومن المبسوطات في كتب النحو: المفصّل للزمخشري صاحب الكشاف وقد عرفت ترجمته

---

(١) انظر ترجمته في: النجوم الزاهرة ١١/ ١٩٢، الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٩، بغية الوعاة ١٤، نفح الطيب ٢/ ٢٩، شذرات الذهب ٦/ ٢٦٨.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) لعله عبدالله بن موسى بن عمر بن يونس، أبو محمد الزواوي. توفي عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م. من علماء الحديث. له عدة مصنفات.
انظر عنه: الدرر الكامنة ٢/ ٤١٣.

(٤) لم يعثر له على ترجمة.

(٥) قطن بالمكان أقام. (هامش الأصل).

عند ذكر الكشاف لأنه أشهر مصنفاته. والمقرّب لابن عصفور، وهو علي بن مؤمن بن محمد بن علي، أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، وقد عرفت ترجمته عند ذكر الممتع في التصريف.

ومن المبسوطات شروح المفصل، منها: الإيضاح لابن الحاجب وقد مرّ ترجمته. وشرح ابن يعيش[١] بن علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا، محمد بن علي بن المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى النحوي الحلبي، موفق الدين، أبو البقاء، المشهور بإبن يعيش، وكان يعرف بإبن الصانع أيضًا بصاد مهملة ونون. ولد في رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة بحلب، وقرأ النحو على فتيان الحلبي وأبي العباس البيزوري[٢]، وسمع الحديث على الرضي التكريتي، وأبي الفضل الطوسي. ورحل إلى بغداد ليدرك أبا البركات الأنباري فبلغه خبر وفاته بالموصل، وكان من كبار أئمة العربية، ماهرًا في النحو والتصريف، قدم دمشق وجالس الكندي، وتصدّر بحلب للإقراء زمانًا، وطال عمره وشاع ذكره، وغالب فضلاء حلب تلامذته. وكان حسن الفهم، لطيف الكلام، طويل الروح على المبتدى والمنتهى، ظريف الشمائل كثير المجون مع سكينة ووقار. حدّث عنه جماعة آخرهم أبو بكر الدشتي[٣]. وصنّف: شرح المفصل، شرح تصريف ابن جني. مات في الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وست مائة.

ومن شرح المفصل: الإقليد[٤] للجندي، وشرح آخر مسمى بالموصل[٥] ولم أقف على ترجمة مؤلفهما.

ومن الكتب المبسوطة: كتاب مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، وله مختصر سمّاه قواعد الإعراب، وعليهما شروح نافعة. وهو عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي، الفاضل العلامة المشهور، أبو محمد. قال في الدرر: ولد في ذي القعدة سنة ثمان وسبع مائة، ولزم الشهاب عبد اللطيف بن المرحل[٦]، وتلا على ابن السراج، وسمع على أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى ولم يلازمه ولا قرأ عليه، وحضر دروس التاج التبريزي[٧]، وقرأ على التاج الفاكهاني[٨] شرح الإشارة[٩] له

---

(١) انظر ترجمته: وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٠، بغية الوعاة ٤١٩، الأعلام ٨/ ٢٧٢، هدية العارفين ٢/ ٥٤٨.

(٢) لم يعثر له على ترجمة.

(٣) هو ابراهيم بن حسن محمد أفندي الدشتي القرمي، المعروف بتاتارشليم ابراهيم. توفي عام ١٠٠١هـ/١٥٩٣م. متصوف، له معرفة بالتفسير. له عدة كتب. انظر عنه: معجم المفسرين ١/ ١٢، الأعلام ١/ ٣٧، تلفيق الأخبار ٢/ ٤٣.

(٤) الاقليد، شرح لتاج الدين أحمد بن محمود بن عمر الجندى على المفصل في النحو للزمخشري. كشف الظنون ٢/ ١٧٧٥.

(٥) الموَصِّل، شرح المفصل في النحو (للزمخشري) لعلم الدين قاسم بن أحمد اللورقي الأندلسي (-٦٦١هـ). كشف الظنون ٢/ ١٧٧٥.

(٦) هو عبد اللطيف بن عبدالعزيز بن يوسف أبي العز بن نعمة، شهاب الدين أبو الفرج. الحراني المصري المعروف بابن المرحل. توفي عام ٧٤٤هـ، محدث، نحوي، مفسر، فقيه. له العديد من المصنفات انظر عنه: طبقات الشافعية ٣/ ١٨٢، الدرر الكامنة ٢/ ٤٠٦.

(٧) هو علي بن عبدالله بن الحسن بن أبي بكر، الشيخ تاج الدين التبريزي. ولد عام ٦٦٧هـ. وتوفي عام ٧٤٦هـ. عالم كبير، مشارك في كثير من العلوم حاذق فيها. له العديد من المصنفات. انظر عنه: طبقات الشافعية ٣/ ١٨٨، الاعلام ٥/ ١٢١، طبقات السبكي ٦/ ١٤٦، الدرر الكامنة ٣/ ٧٢، شذرات الذهب ٦/ ١٤٨.

(٨) هو عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الاسكندري، تاج الدين الفاكهاني. ولد عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. وتوفي عام ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م. عالم بالنحو واللغة. له العديد من المصنفات. انظر عنه: الاعلام ٥/ ٥٦، البداية والنهاية ١٤/ ١٦٨، الدرر الكامنة ٣/ ١٧٨، بغية الوعاة ٣٦٢.

(٩) الاشارة في النحو، للشيخ تاج الدين عمر بن علي الفاكهي (-٧٣١هـ). كشف الظنون ١/ ٩٨.

إلّا الورقة الأخيرة، وتفقه للشافعي ثم تحنبل، فحفظ مختصر الخرقي[١] في دون أربعة أشهر، وذلك قبل موته بخمس سنين، وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ، وحدّث عن ابن جماعة بالشاطبية، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم. تصدر لنفع الطالبين، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البالغ، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد مسهبًا وموجزًا، مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب. قال ابن خلدون[٢]: ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام، أنحى من سيبويه، وكان كثير المخالفة لأبي حيان شديد الانحراف عنه. صنف: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، اشتهر في حياته وأقبل الناس عليه. قال السيوطي: وقد كتبت عليه حاشية[٣] وشرحًا لشواهده[٤]. وصنّف: التوضيح على الألفية مجلد، رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة أربع مجلدات، عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب مجلدان، التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل عدة مجلدات، شرح التسهيل مسودة، شرح الشواهد الكبرى والصغرى، القواعد الكبرى والصغرى، شذور الذهب، شرحه. قال السيوطي: وقد كتبت عليه حاشية لما قرىء عليّ، قطر الندى، شرحه، الجامع الكبير، الجامع الصغير، شرح الملحة لأبي حيان، شرح بانت سعاد، وشرح البردة، التذكرة خمسة عشر مجلداً، المسائل السفرية في النحو، وغير ذلك. وله عدة حواش على الألفية والتسهيل. توفي ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبع مائة، وأصل هذه الكتب وأجمعها، وأحسنها وأنفعها، ومقبول أفاضل الآفاق، ومقتدى الأدباء على الأطباق، كتاب الشيخ الإمام، والمفاضل الهمام، الشيخ الأكبر عمرو بن عثمان بن قنبر، روّح الله روحه وجزاه الله عنّا وعن كافة المسلمين خير الجزاء، وقد عرفت ترجمة سيبويه فلا نعيدها.

علم نزول الغيث[*]

وهو علم يتعرّف به كيفية الاستدلال على المطر بأحوال البروق والسحب والرياح، وأخص الناس بهذا العلم العرب لاشتداد حاجتهم إلى الغيوث التي بها حصول معايشهم من السقي والرعي، وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة التجارب. ودليله الدوران بين أحوال السحب والأمطار. وأحوال السحب إمّا بحسب مواضعها، أو رقتها وكثافتها وألوانها، أو كيفية

(١) مختصر الخرقي في فروع الحنبلية، للشيخ أبي القاسم عمر بن الحسين الحنبلي (-٣٣٤هـ).
كشف الظنون ٢/١٦٢٦.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد. انظر ترجمته في: الأعلام ٣/ ٣٣٠، الضوء اللامع ٤/ ١٤٥، نيل الابتهاج ١٧، نفح الطيب ٤/ ٤١٤، العبر ٧/ ٣٧٩، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٥٢.

(٣) حاشية على مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، في النحو للشيخ جمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام (-٧٦٢هـ)، مسماة بالفتح القريب للشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٢٣٤، ١٧٥٣.

(٤) شرح شواهد مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (-٩١١هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٧٥٣.

(*) يتبع هذا العلم العنقود الثاني في فروع علم الفراسة، من الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

أحوال الرياح والبروق، ويعرفون أنّ أي هذه الأمور ماطر للجود[١]، وأيها ماطر للرذاذ، وأنّ أي البروق خلب وأيّها ذات صيّب. وجاء في غريب أبي عبدالله أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن سحابة مرّت فقال: «كَيف ترون قواعدها وبواسقها: أجون أم غير ذلك؟ ثم سأل عن البرق: أخفوًا أم وميضًا أم يشقّ شقًّا؟ فقالوا: بل يشقّ شقًّا. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: جاءكم الحيا»[٢]. ومن الداهية الدهياء والفتنة الشنعاء أن بعض الأتراك قد يدّعون وقوع الأمطار أو اندفاعها بسبب هذا العلم عند من لم يجرب هذا العلم من أهل الأمصار، فيريهم أنه يدفع الأمطار أو ينزلها إمّا لأجل الرقية أو لأجل الشفاعة عند الله تعالى، فيصير ذلك خديعة ومكيدة أكيدة وفتنة قوية عند الحشوية والعوام. والتوفيق من الملك العلام.

ومن هذا القبيل أنّ عند الأتراك في الجبال حجرًا جالبًا للمطر، وهم يعرفونها ويلقونها في الماء ويعملون بعضًا من الأعمال شبيه أعمال السحر، ويتكلمون بكلمات متضمنة للكفر، هكذا سمعت من رأى هذا العمل من الأتراك. قال: فينزل المطر في الحال، حتى إنّ رأس الفرس تحت الثلج والمطر ونصفه الآخر تحت الشمس. قال: ورأينا مرارًا والبهاليل غافلون عن حالها، فيتعجبون منها، فربما يحملونها على ولايتهم أو كرامتهم، إذا ادعوا من فعلوها ذلك، ولا يميزون بين الخواص والكرامة. وتعسًا لقوم بلغت عقولهم هذه المرتبة من السخافة والحمق.

علم النظر[*]

وهو علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين. وموضوعه الأدلة من حيث إنها يثبت بها المدعى على الغير. ومباديه أمور بيّنة بنفسها. والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب. ومن الكتب المختصرة فيه غاية الاختصار رسالة لمولانا عضد الدين، وستعرفه. وقد بيّن قواعدها كلها في مقدار عشرة أسطر. وشرحها بعض الفضلاء[٣] المعاصرين لنا شرحًا حسنًا، وهو مولانا محمد بن محمد البردعي، وكان ذكيًا في الغاية. مات في سنة سبع وعشرين وتسع مائة. ومن الكتب المختصرة النافعة فيه: رسالة مولانا شمس الدين السمرقندي[٤] صاحب قسطاس الميزان[٥]، وهذه الرسالة أشهر كتب هذا الفن، وعليها شروح[٦] منها: شرح علاء الدين البهشتي[٧]، وشرح قطب الدين الكيلاني[٨]،

---

(١) الجود هو المطر الكثير والرذاذ كسحاب المطر الضعيف. (هامش الأصل).

(٢) كنز المتقي الهندي، كتاب خلق العالم، باب السحاب ٦/ ١٧٤، بمعناه دون ألفاظه.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الثانية في علوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس، ضمن الدوحة الثالثة في علوم باحثة عما في الأذهان من المعقولات الثانية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) وشرحها أيضًا المولى الحنفي شرحًا وافيًا، وكتب على ذلك الشرح حاشية دقيقة، غاية الدقة، الفاضل مير أبو الفتح. فالمتداول في زماننا هذا ذلك الشرح مع تلك الحاشية. (هامش الأصل).

(٤) مفتاح النظر، شرح لمحمد بن أشرف السمرقندي شمس الدين الحكيم الحسن (توفي ٦٠٠هـ)، على المقدمة في الجدل والخلاف والنظر، لبرهان الدين محمد بن محمد النسفي (-٦٨٨هـ) أو (-٦٨٤هـ). كشف الظنون ٢/ ١٨٠٣، هدية العارفين ٢/ ١٠٦.

(٥) قسطاس الميزان، أي المنطق وهو على مقدمة ومقالتين الأولى في التصورات والثانية في التصديقات لشمس الدين محمد السمرقندي (-٦٠٠هـ). كشف الظنون ٢/ ١٣٢٦، هدية العارفين ٢/ ١٠٦.

(٦) وأشهر الشروح هو الأخير. وعلق عليه ميرزا إلغ حاشية صعبة المأخذ، ثم علق على تلك الحاشية شاه حسين، فحلل مغلقاتها وسهل معضلاتها، فكثر مزاولتها فيما بين الطلبة في أيامنا. (هامش الأصل).

(٧) شرح كتاب: قسطاس الميزان لشمس الدين السمرقندي.

(٨) شرح كتاب: قسطاس الميزان لشمس الدين السمرقندي.

وشرح مسعود الرومي[١]، وغير ذلك. ومن الكتب المختصرة فيه: كتاب مولانا سنان الدين الكنجي[٢]، وكنجة قرية من قرى بردعة،[٣] ولم يتفق له شرح إلى الآن.

علم النظر[*]

وهو علم المنطق الباحث عن أحوال الأدلة السمعية أو حدود الأحكام الشرعية. وهذا من فروع علم الأصول، لأنّ علم الأصول باحث عن أحوال الأدلة السمعية من حيث استنباط الأحكام الشرعية منها. والأدلة إما سمعية وهي الكتاب والسنَّة والإجماع، أو عقلية وهي القياس.

ثم البحث عن الأدلة السمعية بطرق سمعية، وعن العقلية بطرق عقلية باحثة عن الأدلة السمعية، وهو طرق القياس. فالطرق العقلية ليست إلّا القواعد المنطقية، فهي من فروعه لا محالة. ولهذا جعلها ابن الحاجب من مبادىء علم الأصول، إلّا أنّ الذي يكون مبادىء لعلم الأصول ليس جميع قواعد المنطق من جهة المادة، بل قواعد لها اختصاص بالمباحث السمعية. نعم لا تفاوت بين السمعية والعقلية من جهة الصورة، كما لا يخفى على من مارس في ذلك العلم.

علم النيرنجات[**]

وهو معرب نيرنك وهو التمويه والتخييل، وهو إظهار غرائب الامتزاجات بين القوى الفاعلة والمنفعلة. وبالجملة مؤلفة بين العالم الأكبر والأصغر، لصدور آثار مطلوبة من الحب والبغض، والإقبال والإعراض، وأمثال ذلك، بكتابات مخصوصة مؤلفة من الروحانيات المبثوثة في العالم، وإنْ كانت بكتابات مجهولة الدلالات، فكأنها أرقام وحروف للأوائل، وخواصها مجهولة اللّمية معروفة الإنية. وفيه كتاب غاية الحكيم للمجريطي[٤]، كتاب أسرار الشمس والقمر لابن وحشية[٥].

علم النية والإخلاص والصدق[***] وفيه مطالب:

المطلب الأول: في النية:

أما فضيلتها فبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[٦]،

---

(١) شرح كتاب: قسطاس الميزان لشمس الدين السمرقندي.
(٢) شرح كتاب: قسطاس الميزان لشمس الدين السمرقندي.
(٣) بلد بأقصى اذربيجان. وقيل هو قصبة أذربيجان. وقيل: هي مدينة أران، كانت كبيرة. وينسب إلى برذعة جماعة من الأئمة، منهم: مكي بن أحمد بن سعدوية البرذعي، أحد المحدثين المكثرين والرحالين المحصلين، وسعيد بن عمرو بن عمار أبو عثمان الازدي، وعبد العزيز بن الحسن البرذعي الحافظ العابد أبو بكر من الرحالة.
انظر: معجم البلدان ١/ ٣٧٩.
(*) يتبع هذا العلم المطلب السادس في فروع علم أصول الفقه، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(**) يتبع هذا العلم العنقود الرابع في فروع السحر، من عناقيد الشعبة الخامسة في فروع العلم الطبيعي، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان. بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٤) غاية الحكيم «وأحق النتيجتين بالتقديم»، في السحر للمجريطي الحكيم أبي القاسم مسلمة بن أحمد القرطبي (-٣٩٥هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٩١.
(٥) أسرار الشمس والقمر، في النيرنجات لابن وحشية. كشف الظنون ١/ ٨٣.
(***) هذا هو الأصل السابع من أصول الشعبة الرابعة في ربع المنجيات، ضمن علوم الدوحة السابعة في علوم الباطن، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٦) الأنعام / ٥٢.

والمراد بالإرادة النية. وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[١]، ونحو ذلك.

وأما حقيقتها فاعلم أنّ النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد، وهو صفة للقلب. وأعلم أنّ الإنسان يوافقه بعض الأمور ويخالفه بعضها، فافتقر أولًا إلى معرفة الملائم أي النافع، والضار أي المنافر، فخلق الله فيه الهداية والمعرفة لأجل ذلك، وجعل لها أسبابًا، وهي: الحواس الظاهرة والباطنة. ثم هذه المعرفة في حصول أمر إنْ لم يشته ذلك الأمر، فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والإرادة، أعني نزوعًا في نفسه إليه، وتوجهًا في قلبه إليه. ثم ذلك لا يكفيه إن عجز عن تحصيله، فخلق الله له القدرة والأعضاء للحركة، فالعضو لا يتحرك إلّا بالقدرة وهي تنتظر الداعية الباعثة، وهي تنتظر العلم والمعرفة، أو الظنّ والاعتقاد.

فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي إرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض، إمّا في الحال أو في المآل. ثم إنْ انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد، وقد يكون بباعثين، إمّا بالاجتماع في التأثير أو تأكيد التأثير، فههنا أقسام أربعة:

الأول: أنّ ينفرد الباعث الواحد كهجوم السبع في الهرب، فلا نية له غيره، وهذه تسمّى خالصة، والعمل بموجبها إخلاصًا.

الثاني: أنْ يجتمع باعثان كل منهما كاف بالانتهاض لو انفرد، كأن يتصدق لقريبه الفقير لفقره وقرابته، ويسمّى هذا مرافقة البواعث.

الثالث: أن يقوى مجموعهما على الانتهاض دون كل واحد منهما، كالتصدق عند الناس لغرض الثواب والثناء معًا، حتى لو كان الطالب فاسقًا لكان لا يعطيه، أو كان صالحًا وطلبه في الخلوة لا يعطيه أيضًا، ويسمّى هذا الجنس مشاركة.

الرابع: أنْ يستقل أحدهما لو انفرد والآخر لا يستقل، ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل، مثل أنْ يتصدق عند الناس، ولكن علم أنّه لو كان خاليًا لم يفتر عن عمله، ولكن صار الفعل أخفّ عليه بسبب مشاهدتهم، ويسمّى هذا الجنس المعاونة.

واعلم أنّ قوله ﷺ: «نية المرء خير من عمله»[٢]، قيل معناه إنّ النية سرّ، ولعمل السرّ فضل، وهذا صحيح، إلّا أنّه ليس بمراد، إذْ يقتضي عموم الحديث أن يكون نية ذكر الله خيرًا من ذكره بقلبه. وقيل: إنّ النية تدوم إلى آخر العمر دون العمل وهو ضعيف، إذْ معناه أنّ العمل الكثير خير من القليل، مع أنّ النية لم تكن إلّا في لحظات، فلا يكون خيرًا. وقد دلّ عموم الحديث على خيريته. وقد يقال: إنّ جهة النية فقط خير من جهة العمل فقط، وهو كذلك، لكنه بعيد أن يكون مرادًا، إذْ العمل بلا نية لا خير فيه أصلًا، مع أنّ المفهوم من الحديث اشتراكهما في أصل الخيرية، والحق أنّ المراد أنّ لكل من النية والعمل أثرًا في الخيرية، لكن أثر النية أكثر من أثر العمل.

المطلب الثاني:

في تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية:

والأعمال ثلاثة:

أحدها: المعاصي، وهي لا تتغير عن موضوعها بالنية، بل النية بها شر آخر. فالقائل به

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ١/ ٢ عن عمر بن الخطاب. كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي. الحديث رقم ١، ٨/ ٢٥٢، عن عمر، كتاب الايمان والنذور، باب النية في الايمان، الحديث رقم ٦٣، بلفظ النية. ٩/ ٤٠. عن عمر كتاب الحيل، باب ترك الحيل، الحديث رقم ١، بلفظ النية. وأخرجه مسلم في صحيحه، ٣/ ١٥١٥ عن عمر بن الخطاب، كتاب الإمارة (٣٣)، باب قوله (ص): انما الأعمال...، (٤٥)، حديث رقم ١٥٥/ ١٩٠٧.

(٢) اتحاف الزبيدي، كتاب النية والاخلاص، باب بيان سر قوله ﷺ نية المرء خير، ١٠/ ١٥.

إما معاند الشرع، وإما جاهل عاصٍ بجهله، إذْ طلب العلم فريضة على كل مسلم. مثال ذلك: من بنى مسجدًا أو مدرسة بمال حرام وقصده الخير، أو علم علمًا لمن يجعله آلة شر وفساد وقصد بذلك نشر العلم، فإنْ استعمله هو في الفساد فهو المعاتب لا أنا، إلّا أنه تلبيس إبليس.

وثانيها: الطاعات، وهي بالنيات في أصل صحتها وفضل طاعتها، فإنّ الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة، مثل أنْ يقعد في المسجد للاعتكاف ولانتظار الصلاة، ولكفّ الحواس عن المعاصي، وللزوم السرّ للفكر، ودفع الشواغل الدنيوية، وللتجرد لذكر الله أو استماعه، ولإفادة علم، ولأن يستفيد أخًا للّه، ولأن يترك الذنوب حياءً من الله تعالى في أن يفعل المعاصي في بيته.

وثالثها: المباحات، وتصير بالنية من القربات، فما أعظم خسران من يغفل عنها، مثلاً أنْ يطيّب يوم الجمعة للتلذذ فهو حلال، إلّا أنه يحاسب عليه وينقص من نعيم الآخرة بقدره. وأما إذا تطيب لدفع النتن عن عباد الله فتكون عبادة، وإنْ تطيب للتفاخر أو للتمكين في قلوبهم، أو تودّد إلى النساء الأجنبيات يكون معصية، فإياك وإياك أنْ تستحقر شيئًا من حركاتك فلا تحترز من شرورها وغرورها، وتعد الجواب يوم الحساب، فإنّ الله مطلع عليك وشهيد: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[1].

ثم إنّ النية غير داخلة تحت الاختيار، فلا تظن أنْ قولك: نويت أدرس للّه، أو أتجر لله نية، بل ذلك حديث نفس أو لسان أو فكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر. وإنما النية انبعاث النفس وتوجيهها وميلها إلى ما ظهر لها أنّ فيه غرضها، إما عاجلًا أو آجلًا. والميل إذا لم يكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة، بل ذلك كقولك: نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه، بل لا طريق إلى اكتسابه إلّا باكتساب أسبابه، وذلك مما يقدر عليه، وقد لا يقدر، وذلك يجري مجرى الفتوح من الله تعالى. نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين يتيسر عليه إحضار النية في أكثر الأحوال، وذلك إما للخوف أو للرجاء أو لذاته تعالى وجلاله لا لأمر سواه.

المطلب الثالث:

في الإخلاص:

وفضيلته كثيرة مذكورة في الآيات والأخبار. قال الله تعالى: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2]. وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[3]. وقال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4]. والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة.

وأما حقيقة الإخلاص فكل من خلص عن شوب غيره سمّي خالصًا، والفعل إخلاصًا، ويضاده الإشراك. فكما أنّ الشرك جلي وخفي، كذا الإخلاص.

ثم إنّ الإخلاص هو النية بشرط كون الباعث واحدًا فقط، فمن تصدق وغرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص، وكذا من تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص أيضًا لغة، إلّا أنّ العرف يخصص الإخلاص بالأول. كما أنّ الإلحاد هو الميل مطلقًا، والعرف خصصه بالميل عن الحق. ثم إنّ من انبعث لقصد القربة ولكن امتزج بخاطر آخر من حظوظ النفس، كمن صام للقربة وقصد معه الحمية، أو حجّ للقربة مع قصد

---

(١) ق / ١٨.

(٢) الأعراف / ٢٩.

(٣) الزمر / ٣.

(٤) الكهف / ١١٠.

صحة المزاج بحركة السفر، أو تعلم العلم لله مع قصد العز بين العشيرة، أو كتب مصحفًا للقربة وقصد أنْ يجود خطه بالمواظبة، ونحو ذلك من أمثال هذه الخطرات التي يخف معها العمل، فقد خرج بهذه عن الإخلاص، وتطرق إليه الشرك. ولما كان الإنسان قلما ينفك عن أمثال هذه الحظوظ قيل: من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا.

ثم إنّ هذه البواعث إمّا أنْ تكون مثل القربة أو أقوى منه أو أضعف. والإخلاص تجرّد النية عن هذه البواعث كلها حتى يتجرد فيه قصد القربة عن باعث غيره. وهذا لا يتصور إلّا من محبّ لله تعالى، حتى لا يحبّ الأكل والشرب إلّا ليتقوى بهما على عبادة الله تعالى، فلا يكون له همّ إلّا الله. ومن لم يكن كذلك فباب الإخلاص كالمسدود عليه، إلّا على الندور، فعلاج ذلك كسر حظوظ النفس والتجرد للآخرة، وغلب[1] ذلك على القلب.

ثم إنّ الإنسان ربما يتعب في الأعمال ويظنها خالصة وليس كذلك، فههنا موضع غرور قلما يسلم منه أحد، وقلما يتنبه له سيّما العلماء، إذْ الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والاستبشار بالحمد والثناء، وهو يظن أنّه غرضه نشر دين الله، والنضال عن شرع رسول الله ﷺ، وكذا الحال في الوعظ. وربما يظنّ العالم أنّ نشره للعلم لوجه الله حتى يظنّ من نفسه أنّه لو قام أحد مقامه فيه لفرح به ولم يغتم، إلّا أنّه غرور باطل إذْ لا عبرة بوعد النفس قبل نزول الأمر. فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الأكثرون، إلّا الشاذ النادر والفرد الفذ.

والكلام في تفسير الإخلاص كثير إلّا أنّ البيان الشافي ما وقع عن سيد الأولين والآخرين ﷺ إذْ سئل عن الإخلاص فقال: «أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت»[2]، أي لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلّا ربك، وتستقيم في عبادتك كما أمرت. وهذه إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عن النظر وهو الإخلاص حقًا.

ثم بيان درجات الشوائب المكدرة للإخلاص على مراتب: جليّ وخفي ضعيف مع الجلاء، وقوي مع الخفاء، وأظهر مشوشاتها الرياء، مثل أن يدخل داخل وهو يصلي فحسن صلاته لأجل أنّ يقول له إنّه صالح، أو لا يتبع الشيطان في ذلك، إلّا أنّه يحسن ليقتدى به ويتأسى غيره به، فيكون له مثل ثواب أعمالهم، أو لا يتبع الشيطان في ذلك أيضًا، فيحسن في الخلوة والملأ معًا، وهذا أيضًا مكر، لأنّ هذه التسوية من النظر إلى الخلق، أو لا يتبع الشيطان في ذلك أيضًا، إلّا أنّه إذا حضر أحد وهو في صلاته يقول له الشيطان: تفكر في عظمة الله وجلاله واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وأنت غافل عنه، فيظنه المسكين إخلاصًا فيتبعه، وهو عين المكر والخدع، فإنه لو كان إخلاصًا لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة. والفرق بين الخلوة والملأ من شوب الرياء الخفي.

واعلم أنّ العمل إذا كان محض رياء يستحق صاحبه المقت والعقاب، وإذا كان خالصًا لوجه الله يستحق الثواب. وإنما الخلاف في العمل المشوب المفهوم من ظواهر الأخبار أنْ لا ثواب له أصلًا. وقد يعارض فيه بعض الأخبار بعضًا، فالذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله أنْ ننظر إلى قدر الباعث الديني والباعث النفسي، فإن تساويا تساقطا، فالعمل لا له ولا عليه، وإنْ قوي الباعث النفسي فالعمل غير نافع، بل مقتضٍ

(١) كذا في الأصل.
(٢) اتحاف الزبيدي كتاب النية والإخلاص، باب بيان أقاويل الشيوخ. ١٠/٥٧.

للعقاب. وإنْ كان أخف من عقاب رياء لم يمتزج فيه جهة قرب أصلًا. وإنْ قوي الباعث الديني فله ثواب بقدر زيادته لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[2]، فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير، بل إنْ كان غالبًا على الرياء حبط منه القدر الذي يساويه ويبقى له الفضل ثوابًا. وإنْ كان مغلوبًا محى من الوزر ما كان يساويه، ويبقى له الباقي وزرًا. فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى، فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن تأثير في إنارة القلب وتسويده، وفي تقريبه من الله تعالى وتبعيده. وأما ما ورد في الأخبار من أنّ الرياء محبط للعمل مطلقًا فالمراد به الرياء المحض، أو الغالب على الخير فلا تناقض أصلًا.

المطلب الرابع:
في الصدق:

وفضيلته مركوزة في كل طبع، ولا حاجة إلى التنبيه عليها. وأما حقيقته ومراتبه فاعلم أنّ الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وفي النية، وفي الإرادة، وفي العزم، وفي الوفاء بالعزم، وفي العمل، وفي تحقيق مقامات الدين كلها. والمتصف بالصدق في جميع ذلك يسمّى صديقًا لأنه مبالغة في الصدق.

الأول: أعني صدق اللسان لا يكون إلّا في الأخبار أو فيما يتضمنها فالخبر، إمّا ماضٍ أو مستقبل، ويدخل فيه الوفاء بالوعد والخُلف فيه. وهذا الصدق الواقع في اللسان واجب على كل أحد، وله كمالان: أحدهما: الاحتراز عن المعاريض لأنه في حكم الكذب، من حيث إنه تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه، وإنْ صلح لغيره أيضًا، إلّا أنه قد يترجح على الصدق في بعض المواضع في تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجرى هؤلآء، وفي الحذر من الظلمة، وفي قتال الأعداء والاحتراز عن إطلاعهم على أسرار الغزاة. والصدق ههنا يتحول إلى النية. والكمال الثاني: أنْ يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كما في قولك: إنّي وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، فينبغي أن يكون قلبه متوجهًا إليه عند كلامه، وكذا إذا قلت: إياك نعبد، ينبغي أنّ لا تشرك أحدًا في عبادته.

الصدق الثاني: في النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص. فكل صادق لا بد أن يكون مخلصًا.

الصدق الثالث: صدق العزم مثل أنْ تقول: إن رزقني الله مالًا تصدقت بجميعه أو شطره، أو إن أعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم أظلم أحدًا، فصدقها بأنه لا يكون تردد عند هذا القول في عزمه، بل يكون عزمه جزمًا صادقًا. وإن كان مع ميل وتردد وضعف لا يكون عزمه صادقًا قطعًا.

الصدق الرابع: في الوفاء بالعزم، إذْ النفس قد تسخو في العزم والوعد، إذْ لا مؤنة فيه. لكن إذا آن أوان تحقيقه قد ينحل عزمه فيكذب أو يحقق فيصدق.

الصدق الخامس: في الأعمال وهو أن لا تدلّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر. مثلًا يتخشع في الأعمال وقلبه في السوق، وإنْ لم يقصد الرياء، فهذا هو الفرق بينه وبين الرياء. وبالجملة مساواة السرّ والعلانية من أحد أنواع الصدق.

الصدق السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزها

(١) الزلزلة / ٧.
(٢) النساء / ٤٠.

الصدق في مقامات الدين والخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحبّ والتوكل ونحو ذلك، فإنّ لهذه الأمور مبادىء هي ظهورها، وغايات هي حقائقها، وإذا غلب الشيء وتمت[1] يسمّى صاحبه صادقًا فيه، كما يقال: الخوف الصادق والشهوة الصادقة. مثلًا: كل مؤمن يخاف من النار، لكن صدق ذلك أنّ يصفر لونه ويتنغص عليه عيشه، ويستبدل بالأنس وحشة وبالراحة تعبًا. فالصادق في جميع المقامات عزيز جدًا.

ثم درجات الصدق لا نهاية لها، وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض الأمور دون آخر[2]، فإنْ كان صادقًا في الجميع فصاحبه يسمّى صديقًا وذلك نادر عزيز الوجود جدًا.

علم الهندسة(*)

وهو علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها، وأوضاع بعضها عند بعض، ونسبتها وخواص أشكالها. وموضوعه المقادير المطلقة، أعني الخط والسطح والجسم التعليمي ولواحق هذه من الزاوية والنقطة والشكل. ومنفعته الاطلاع على الأحوال المذكورة من الموجودات، وأن يكسب الذهن حدة ونفاذًا، ويروض بها الفكر رياضة قوية، لما اتفقوا على أنّ أقوى العلوم برهانًا هي العلوم الهندسية. ومن جملة منافعها العلاج بها على الجهل المركب لما أنها علوم يقينية لامدخل فيها للوهم، فيعتاد الذهن على تسخير الوهم. والجهل المركب ليس إلّا من غلبة الوهم على العقل. والمصنفات في هذا العلم كثيرة أشهرها وأوضحها: تحرير[3] خواجه نصير الدين الطوسي لكتاب اقليدس، وأخصرها وأحسنها: أشكال التأسيس[4] للأبهري، وشرحه لقاضي زاده الرومي[5]. وقد ذكر ابن سيناء في كتاب الشفاء جملة كافية منها، وكذا ذكر العلامة في كتبه من حقائق هذا الفن مافيه كفاية. ثم إنّ للهندسة عدة فروع ستقف على تفاصيلها إنّ شاء الله تعالى.

علم الهيئة(**)

وهو علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية، وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها. وموضوعه الأجرام المذكورة من الحيثية المذكورة. وقد يذكر هذا العلم تارة مع براهينه الهندسية، كما هو الأصل، وهو المذكور في المجسطي[6] لبطليموس، ولّخصه الأبهري

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة السادسة في العلوم الرياضية، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان. بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٣) تحرير هندسيات، للعلاّمة المحقق نصر الدين محمد بن محمد الطوسي (-٦٧٢هـ) فيها تحرير اقليدس. كشف الظنون ١/ ٣٥٧.

(٤) أشكال التأسيس، في الهندسة للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أشرف السمرقندي (-٦٠٠هـ)، ولم نعثر على كتاب آخر للأبهري. كشف الظنون ١/ ١٠٥.

(٥) أشكال التأسيس، في الهندسة شرحه الفاضل العلامة موسى بن محمد الشهير بقاضي زادة الرومي (-٨١٥هـ). كشف الظنون ١/ ١٠٥.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة السادسة في العلوم الرياضية، من الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٦) المجسطي، كلمة يونانية معناها الترتيب. وهو لبطليموس الفلوزي الحكيم. والكتاب من أفضل ما ألف في الهيئة وقد عربه حنين بن اسحق (-٢٦٠هـ)، وحرره ثابت بن قرة في عهد الخليفة العباسي المأمون، ولخصه نصير الدين الطوسي (-٦٧٢هـ). كشف الظنون ٢/ ١٥٩٤، ١٥٩٦.

وعرّبه[(١)].

ومن الكتب المختصرة فيه: هيئة ابن أفلح[(٢)]. ومن المبسوطة: القانون[(٣)] المسعودي لأبي ريحان البيروني، وشرح المجسطي[(٤)] للتبريزي.

وقد يجرد عن البراهين ويقتصر على التصور والتخيل دون اليقين، ويسمّى هيئة بسيطة. فمن المختصرة فيه: التذكرة[(٥)] لخواجه نصير الدين الطوسي. ومن المتوسطة: هيئة العرضي[(٦)]. ومن المبسوطة: التحفة[(٧)] ونهاية الإدراك[(٨)]، كلاهما للعلامة قطب الدين الشيرازي. ومن المختصر المشهور: الملخص[(٩)] لمحمود الجغميني، وعليه شروح كثيرة، كشرح مولانا فضل الله العبيدي[(١٠)]، وشرح كمال الدين التركماني[(١١)]، وشرح السيد الشريف[(١٢)]، وشرح قاضي زاده الرومي[(١٣)]. ومن الكتب المختصرة النافعة فيه غاية النفع: كتاب الفتحية[(١٤)] لمولانا علي بن محمد القوشجي، وعليه شرح لمولانا سنان، لكنه ما كان ماهرًا في هذا العلم. وشرحه أستاذي مولانا محمود الشهير بميرم جلبي[(١٥)]، وهو ابن بنت المصنف رحمه الله مولانا علي، وقد كتبه عند قراءتي عليه كتاب

---

(١) وحرره خواجه نصير الدين الطوسي أحسن تحرير، وشرحه مولانا نظام الدين والمولى قاضي زادة، والفاضل السمرقندي. (هامش الأصل).

(٢) هيئة ابن افلح.
كشف الظنون ٢/ ٢٠٤٧.

(٣) القانون المسعودي، في الهيئة والنجوم، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (-٤٣٠هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٣١٤.

(٤) شرح المجسطي، للفضل بن حاتم التبريزي (النيريزي) توفي في حدود ٢٩٠هـ.
كشف الظنون ٢/ ١٥٩٤.

(٥) التذكرة النصيرية، في الهيئة، لنصير الدين الطوسي (-٦٧٢هـ).
كشف الظنون ١/ ٣٩١.

(٦) من كتب الهيئة لم نعثر على ذكر له.

(٧) التحفة الشاهية، في الهيئة، للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (-٧١٠هـ).
كشف الظنون ١/ ٣٦٧، هدية العارفين ٢/ ٤٠٦-٤٠٧.

(٨) نهاية الادراك في دراية الأفلاك، في الهيئة، للعلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي (-٧١٠هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٩٨٥، هدية العارفين ٢/ ٤٠٧.

(٩) الملخص، في الهيئة البسيطة، لمحمود بن محمد الجغميني الخوارزمي (- مجهول هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨١٩.

(١٠) شرح الملخص، في الهيئة، لفضل الله العبيدي (- مجهول هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨١٩.

(١١) شرح الملخص، في الهيئة، لكمال الدين التركماني محمد بن أحمد الحنفي (-٧٥٠هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨١٩.

(١٢) شرح الملخص، في الهيئة، للسيد الشريف علي الجرجاني (-٨١٦هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨١٩.

(١٣) شرح الملخص، في الهيئة، لموسى بن محمود المعروف بقاضي زادة الرومي (-٨١٥هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٨١٩.

(١٤) الفتحية، رسالة في الهيئة البسيطة، للمولى علاء الدين علي بن محمد المعروف بالقوشجي (-٨٧٩هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٢٣٦.

(١٥) شرح الفتحية، في الهيئة البسيطة، لميرم جلبي الموسوم بمحمود بن محمد (-٩٣١هـ).
كشف الظنون ٢/ ١٢٣٦.

الفتحية.

وكانت القدماء قد اقتصروا في هيئة الأفلاك على الدوائر المجرّدة ويسمّى هيئة مسطحة، وفيه كتاب لأبي علي بن الهيثم. ومنفعة هذا العلم أعني علم الهيئة، وشرف موضوعه، ووثاقة أدلته، وثبات معلوماته، ظاهرة. وكفي بهذا العلم شرفًا قوله عزّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾[١]. وقد ذكرنا فروع هذا العلم فيما سبق بعون الله تعالى.

علم الوضع[*]

وهو علم باحث عن تفسير الوضع، وتقسيمه إلى: الشخصي والنوعي، والعام والخاص، وبيان حال وضع الذوات والهيئآت، إلى غير ذلك من الأحوال. وموضوعه وغايته ومنفعته لا يخفى على المتدرب. وهذا علم نافع في الغاية، إلّا أنه لم يدوَّن بعد، ولقد ذكر نبذًا منها مولانا عضد الدين في رسالته الوضعية[٢]، لكنها قطرة من البحر ورشفة من ذلك النهر، والله أعلم. ولئن وقع في الأجل فسحة وساعدني التوفيق لانتصب في إيفاء هذا الفن حقه، وبالله التوفيق وهو ميسّر كل عسير.

علم وضع الاسطرلاب[**]

وهو علم باحث عن كيفية وضع الاسطرلاب، ومعرفة صنعة خطوطه على الصفائح، ومعرفة كيفية الوضع في كل عرض من الأقاليم. وقد يعمل اسطرلاب شامل لجميع البلاد، وهذا عظيم النفع جدًا.

علم وضع ربع الدائرة المجيب والمقنطرات[***]

وتعريفه وموضوعه يعرف بالقياس إلى وضع الاسطرلاب.

علم وقائع الأمم ورسومهم[****]

وهذا من فروع المحاضرات والتواريخ، وهو علم يبحث فيه عن أماكن أقوام مخصوصين، ومواضع طوائف معينين، ورسوم مألوفة، وعادات معروفة، لكل قوم قوم، الموردة في أشعارهم وخطبهم ورسائلهم. وموضوعه أشعار العرب من الحيثية المذكورة. ومباديه مأخوذة من الاستقراء أو التواتر من الثقات. وغرضه تحصيل ملكة ضبط تلك الأمور المذكورة. وغايته الاحتراز عن الخطأ فيها. والكتب المؤلفة في هذا الفن كثيرة، صنّف فيه أبو عبيدة والأصمعي كتبًا كثيرة، وأكثر تقربهما عند الخليفة هارون الرشيد بسبب هذا.

---

(١) آل عمران / ١٩١.

(*) يتبع هذا العلم الشعبة الأولى فيما يتعلق بالمفردات، ضمن الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(٢) الرسالة العضدية، في الوضع، لعبد الرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار البكري القاضي عضد الدين الايجي (-٧٥٦هـ).
كشف الظنون ١/ ٨٧٧، هدية العارفين ١/ ٥٢٧.
كشف الظنون ١/ ٨٩٨.

(**) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(***) يتبع هذا العلم الشعبة الثامنة في فروع علم الهيئة، ضمن الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(****) يتبع هذا العلم الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية، ضمن الدوحة الثالثة في علوم تتعلق بالألفاظ، بحسب تقسيم المؤلف لها.

علم الوقوف(*)

الوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنًا يتنفس فيه عادة، بنيّة استئناف القراءة، لا بنيّة الإعراض، ويكون في رؤس الآي وأوساطها. ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسمًا. قيل: معرفة وقوف القرآن واجب حيث قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1]. قال علي رضي الله عنه: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. قال ابن الأنباري: من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه. قال النكزاوي[2]: لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلّا بمعرفة الفواصل.

وفي الوقف أقسام. لكن اختلفوا فيها: فقال ابن الأنباري إنها ثلاثة: تام وحسن وقبيح. فالتام ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولا يكون بعده ما يتعلق به، كقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]. والحسن هو الذي يحسن الوقف عليه دون الابتداء بما بعده، كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[4] لأنّ الابتداء برب العالمين لا يحسن. والقبيح ما ليس بتام ولا حسن كالوقف على بسم من بسم الله.

وقال بعضهم: الوقف أربعة أقسام: تام مختار، وكافٍ جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك. فالتام المختار ما لا يتعلق بما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده. والكافي الجائز منقطع في اللفظ متعلق في المعنى، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده أيضًا، نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾[5]. والحسن هو الذي يحسن الوقف عليه دون الابتداء بما بعده كالحمد للّه. والقبيح هو الذي لا يفهم منه المراد كالحمد للّه. وأقبح منه الوقف على: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾[6] ويبتدىء بما بعده.

وقال السجاوندي[7]: الوقف على خمس مراتب: لازم - ومطلق - وجائز - ومجوّز لوجه - ومرخص ضرورة. فاللازم ما لو وصل طرفاه غير المراد نحو: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[8]، ولا يوصل بقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾[9]. والمطلق ما يحسن الإبتداء بما بعده وقد مرّ مثاله. والجائز ما يجوز فيه الفصل والوصل لتجاذب الموجبين من الطرفين نحو: ﴿وَمَآ أُنزِلَ

(*) يتبع هذا العلم المطلب الأول في فروع علم القراءة، من الشعبة الثامنة في فروع العلوم الشرعية، ضمن الدوحة السادسة في العلوم الشرعية، بحسب تقسيم المؤلف لها.

(١) المزمل / ٤.

(٢) هو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر النكزاوي، معين الدين، أبو محمد. ولد عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م. وتوفي عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. مقرىء له عدة تصانيف.
انظر عنه: الأعلام ٤/ ١٢٥، غاية النهاية ١/ ٤٥٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٨٨.

(٣) البقرة / ٥.

(٤) الفاتحة / ١.

(٥) النساء /٢٣.

(٦) المائدة / ١٧.

(٧) هو محمد بن طيفور الغزنوي السجاوندي، أبو عبدالله، توفي عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م. مفسّر، مقرىء، عالم باللغة والنحو، له عدة مؤلفات.
معجم المؤلفين ١٠/ ١١٢، طبقات القراء، ٢/ ١٥٧، الوافي ٣/ ١٧٨.

(٨) البقرة / ٨.

(٩) البقرة / ٩.

مِن قَبلِكَ﴾[١] فإن واو العطف يقتضي الوصل وتقديم المفعول فيما بعده. وهو قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ يقطع النظم. والمجوز لوجه نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[٢] لأنّ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ للسببية والجزاء، وذلك يوجب الوصل، وكون نظم الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجهًا. والمرخص ضرورة مما لا يستغني ما بعده غير أنه جملة مفهومة كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾[٣] لأنّ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ﴾ لا يستغني عن سياق الكلام، فإنّ فاعله ضمير يعود إلى ما قبله، غير أن الجملة مفهومة لنا. وأما ما لا يجوز الوقف عليه كالشرط دون جزائه والمبتدأ دون خبره ونحو ذلك.

واعلم أنّ هذا الذي ذكرناه مقدمة لهذا الفن، وتمام التفصيل فيه إلى كتب الوقف، وشهرتها عند أهلها أغنتنا عن ذكر أساميها.

العلوم الرياضية(*)

وهي العلوم الباحثة عن أمور يصحّ تجرّدها عن المادة في الذهن فقط، وتنحصر هذه في أربعة أقسام، لأن نظرها إما عن الكمّ المتصل أو عن الكمّ المنفصل، وكل منهما إمّا قارّ الذات أوْ لا. فالأول الهندسة، والثاني الهيئة، والثالث العدد، والرابع الموسيقى[٤].

خاتمة

الحمدُ لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين وتبع التابعين، ورضي الله عنا وعن آبائنا وأستاذينا، وعن أصحاب الحقوق علينا، وعن أقاربنا وعشائرنا، وعن جميع المسلمين أجمعين، آمين.

مشقه أفقر عباد الله الصمد خصالي حسين بن أحمد بن محمد البودينى، في ليلة البراءة، من شهور سنة إحدى وثلاثين وألف.

تمّ الكتاب بعونه تعالى،
والحمد لله رب العالمين.

(١) البقرة / ٤.
(٢) البقرة / ٨٦.
(٣) البقرة / ٢٢.
(*) يتبع هذا العلم الشعبة السادسة، وهي أساسها، ضمن علوم الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالأعيان، بحسب تقسيم المؤلف لها.
(٤) وقد سبق تفصيل هذه العلوم في مواضعها بحسب الترتيب الهجائي الذي اتبعناه في هذا الموسوعة.

فهرس الأعلام والفرق والقبائل*

* تركت الأسماء كما وردت في متن النص حرفًا وتنوينًا.

ب

ت

خ

س

ش

ص

غ

ف

ن

هـ

فهرس أسماء الكتب*

* تركت الأسماء كما وردت في متن النص حرفًا وتنوينًا.

ذ

ر

ز

س

ص

ض

ط

هـ

و

ي

مسند مصطلحات العلوم*

عربي - فرنسي - انكليزي

علم الآثار	Archéologie, biographie, doctrine des adeptes	*Archeology, biography, doctrine and conduct*
علم الاحتساب	Politique civile	*Civil politic*
علم أحكام النجوم	Astronomie, astrologie	*Astronomy, astrology*
علم أخبار الأنبياء	Histoire des récits des prophètes	*Stories of the Prophets*
علم الاختيارات	Astrologie	*Astrology*
علم الإخفاء	Magie	*Magic*
علم الأخلاق	Éthique	*Ethics*
علم آداب الأكل	Le savoir-faire de la table	*Table manners*
علم آداب الدرس	L'art de l'éducation et de l'enseignement	*Education manners*
علم آداب السفر	L'art du voyage	*Travel manners*
علم آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق	Étiquette, l'art des bonnes manières, l'art des préséances	*Etiquette, decencies*
علم آداب الكسب والمعاش	L'art du gain et les procédés du profit	*Craft manners*
علم الأدعية والأوراد	Invocations, implorations de Dieu	*Invocation, plea to God*
علم الأسارير	Dire la bonne aventure, chiromancie	*Fortune telling, palmistry, chiromancy*
علم الاستحضار	Invoquer, évocation des bons esprits	*Invoke, evocation of good spirits*
علم استعمالات الألفاظ	Expression figurative, métaphore, métonymie	*Figurative expression, metaphor, metonymy*
علم الاشتقاق	Étymologie	*Etymology*
علم أصول الدين المُسمّى بعلم الكلام	Théologie	*Theology*
علم أصول الفقه	Les principes de la jurisprudence	*The principles of jurisprudence*

* تبيّن خلال وضع هذا المسند أنه يستحيل إيجاد مرادفات لهذه العلوم في اللغات الأجنبية. فمنها ما سمّي بالأوروبية فنًّا، ومنها رسمًا، ومنها حالًا يدلّ على إجراء أمرٍ ما ولا يوجد له تصنيف ضمن لفظ علم. وبعضها يطلق عليه اسم أو مصدر ولا مقابل له غير ذلك. فحاولنا قدر الإمكان تقريب هذه العلوم المصطلحية إلى الدلالات الأوروبية.

Science of acres	Science des acres	علم الأكر
Science of arms	Science des armes	علم الآلات الحربية
Synecdoche, sibylline language	Synecdoque, langage sibyllin	علم الألغاز
Metaphysic	Métaphysique	العلم الإلهي
Science of proverbs, aphoristical science, saying	Science des proverbes et des adages, science aphoristique, dictons	علم الأمثال
Hydrology, ground water extraction	Hydrologie, extraction de l'eau souterraine	علم إنباط المياه
Phraseology, stylistic	Phraséologie, stylistique	علم الإنشاء
Science of measurements of weights and capacities	Science de la mesure des poids et des capacités	علم الأوزان والموازين
Art of copulation, coït	Art de la copulation, du coït	علم الباه
Rhetoric	Rhétorique	علم البديع
Eloquence, rhetoric	Éloquence, rhétorique	علم البيان
Veterinary medicine	Médecine vétérinaire	علم البيطرة
Household management, domestic science	Aménagement de la maison, science domestique	علم تدبير المنزل
Art of epistolary	Art épistolaire	علم الترسل
Anatomy	Anatomie	علم التشريح
Alteration of a text	Altération d'un texte	علم التصحيف
Science of visions, reverie, oneiromancy	Science des visions, rêverie, oniromancie	علم تعبير الرؤيا
Exegesis of the Korān	Exégèse du Corān	علم تفسير القرآن
Status of reflection and meditation	Procédés de la réflexion et de la méditation	علم التفكّر
Division of sciences, classification	Division des sciences, classification	علم تقاسيم العلوم
History	Histoire	علم التواريخ
Science of repentance, penitence	Science du repentir, pénitence	علم التوبة
Confidence in God, delegate things to God	Résignation et confiance en Dieu	علم التوكل
Algebra	Algèbre	علم الجبر والمقابلة
Polemics	Polémique	علم الجدل

علم الجدل	Dialectique	*Dialectics*
علم الجراحة	Chirurgie	*Surgery*
علم جغرافيا ومعناه صورة الأرض	Géographie	*Geography*
علم الجفر والجامعة	Divination, art de prédire l'avenir	*Divination, art of telling the future*
علم الجناس	Paronomase, paronymie	*Paronomasia, paronymy*
علم الحجامة	Application de ventouses	*Cupping*
علم الحساب	Calcul, arithmétique	*Calculation, arithmetic*
علم حساب الخطائين	Calcul des deux erreurs	*Calculation of the two mistakes*
علم حساب النجوم	Calcul de la table astronomique	*Calculation of astronomical table*
علم الحلال والحرام	Science du licite et de l'illicite	*Lawfulness and unlawfulness*
علم الحيل الساسانية	Art des ruses, artifice	*Art of trick, artifice*
علم الحيوان	Zoologie	*Zoology*
علم خط العروض	Métrique, prosodie	*Metrics, prosody*
علم الخلاف	Différence, contraste	*Difference, contrast*
علم الخلاف	Polémique, dialectique	*Polemics, dialectics*
علم خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة	Études des nombres amis et des nombres adverses	*Study of amicable numbers and opposite numbers*
علم دراية الحديث	Tradition, science du Hadith	*Tradition, science of Hadith*
علم دعوة الكواكب	Astrologie	*Astrology*
علم الدواوين	Etude des recueils poétiques	*Study of collection of poems*
علم ربع الدائرة	Qadrant, quart de cercle (instrument)	*Quadrant (instrument)*
علم الرجاء والخوف	Espérance et crainte	*Hope and fear*
علم الرقص	Chorégraphie, danse	*Choregraphy, dancing*
علم الرمل	Géomancie	*Geomancy*
علم رواية الحديث	Narration	*Narration*
علم رياضة النفس وتهذيب الأخلاق	Retraite et recollection, ascétisme	*Practice of piety, asceticism*
علم الريافة	Extraction de l'eau souterraine	*Ground water extraction*
علم الزهد والورع	Ascétisme, piété	*Asceticism, piety*
علم الزيجات والتقاويم	Table astronomique, horoscope	*Astronomical table, horoscope*
علم السباحة	Océanographie, l'art de la natation	*Oceanography, art of swimming*

علم السحر	Magie	*Magic*
علم السياسة	Politique	*Politics*
علم السيمياء	Sorcellerie, magie blanche	*Witchcraft, White magic*
علم شرح الحديث	Exégèse de la tradition du Prophète	*Exegesis of the tradition of the Prophet*
علم الشعبذة والتخيلات	Escamotage, prestidigitation	*Jugglery, sleight of hand*
علم الصبر والشكر	Patience et actions de grâce	*Patience and thanking*
علم الصرف	Morphologie	*Morphology*
علم الصيدلة	Pharmacie	*Pharmacy*
علم الطب	Médecine	*Medicine*
علم طبخ الأشربة والمعاجين	Pharmacologie	*Pharmacology*
العلم الطبيعي	Physique	*Physics*
علم الطلسمات	Talisman, énigme	*Talisman, enigma*
علم الطيرة والزجر	Mauvais augure, superstition et présage	*Evil omen*
علم العدد	Arithmétique	*Arithmetic*
علم العرافة	Divination	*Divination*
علم العروض	Prosodie, métrique	*Prosody, metrics*
علم العزائم	Magie, rites et incantations	*Magic, rites and incantations*
علم عقود الأبنية	Génie civil	*Civil engineering*
علم عمل الاسطرلاب	Le fonctionnement de l'astrolabe	*The functioning of the astrolabe*
علم الغنج	Coquetterie, l'art de dorloter et de cajoler	*Coquetry*
علم الفأل	Auspice, augure	*Auspice*
علم الفتاوى	Opinions légales	*Legal opinions*
علم الفرائض	Obligations légales religieuses	*Religious duty*
علم الفراسة	Physiognomonie	*Physiognomy*
علم الفصد	Saignée, phlébotomie	*Bloodletting, phlebotomy*
علم الفقر والزهد	Pauvreté et piété, indigence et ascétisme	*Poverty and piety, indigence and asceticism*
علم الفقه	Jurisprudence musulmane	*Islamic jurisprudence*
علم الفلاحة	Agriculture, culture	*Agriculture, cultivation*

Recitation of the Korān, art of reading	Récitation du Corān, l'art de la lecture	علم القراءة
Conjunctions	Conjonctions	علم القرانات
Jurisdiction, judicial authorities	Juridiction, autorité judiciaire	علم القضاء
Rules of Islamic faith; ideology	Règles de la foi islamique, idéologie	علم قواعد العقائد
Rhymes	Rimes	علم القوافي
Tracking, pursuit	L'art de suivre les pistes, soin de suivre les traces	علم قيافة الأثر ويُسمّى علم العيافة
Theology	Théologie	علم الكلام
Divination	Divination	علم الكهانة
Generation and corruption, universe (cosmos)	Génération et corruption, univers (cosmos)	علم الكون والفساد
Astrological observation	Observation astrologique	علم كيفية الأرصاد
Chemistry	Chimie	علم الكيمياء
Linguistics, lexicology	Linguistique, lexicologie	علم اللغة
Stylistic	Stylistique	علم مبادىء الإنشاء وأدواته
Art of lecturing	Art de la lecture	علم المحاضرة
Pronunciation, phonology	Prononciation, phonologie	علم مخارج الحروف
Study of centers of gravities	Étude des centres de gravité	علم مراكز الأثقال
Optics	Optique	علم المرايا المحرقة
Topography	Topographie	علم المساحة
Mineralogy, metallurgy	Minéralogie, métallurgie	علم المعادن
Semantics	Sémantique	علم المعاني
Interpretation and exegesis of the Korān	L'interprétation et l'exégèse du Corān	علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه
Knowledge of enunciative phrases, phraseology	Connaissance de la phrase énonciative, phraséologie	علم معرفة الخبر والإنشاء
Knowledge of Korān explainers' classes	Connaissance des classes des exégètes du Corān	علم معرفة طبقات المفسرين
Eschatology, hereafter, after world, resurrection	Eschatologie, la vie future, résurrection	علم معرفة المعاد
Seraphical theology, knowledge of the Angels	Théologie séraphique (connaissance des Anges)	علم معرفة الملكية (الملائكة)

علم معرفة الوجوه والنظائر	Homonymes, synonymes et paronymes	*Homonymous, synonymous and paronymous*
علم المعمى	Propos énigmatique, allusion	*Enigmatic speech, allusion*
علم المغازي	Histoire des conquêtes	*History of conquests*
علم المقادير والأوزان	Pesages	*Weights*
علم مقالات الفرق	Théologie, science des doctrines des sectes	*Theology, science of the doctrines of sects*
علم المقلوب	Inversion (Rhétorique)	*Inversion (Rhetoric)*
علم الملاحة	Art de la navigation	*Art of navigation*
علم الملاحم	Art épique	*Epos*
علم المناظر	Optique	*Optics*
علم المناظرة	Polémique, controverse	*Debate, controversy*
علم المنطق ويسمى علم الميزان أيضًا	Logique	*Logic*
علم المواعظ	Art des homélies et des sermons	*Art of homilies and sermons, ritual*
علم المواقيت	Art de dresser les calendriers	*Calendar, timing*
علم الموسيقى	Musique	*Music*
علم النبات	Botanique	*Botany*
علم النحو	Grammaire, syntaxe	*Grammar, syntax*
علم نزول الغيث	Météorologie	*Meteorology*
علم النظر	L'art de la dispute et de la discussion, polémique	*Art of debate and discussion*
علم النظر	Déduction (logique)	*Deduction (Logic)*
علم النيرنجات	Magie	*Magic*
علم النية والإخلاص والصدق	Intention, dévotion et probité	*Intention and faithfulness and probity*
علم الهندسة	Géométrie	*Geometry*
علم الهيئة	Astronomie	*Astronomy*
علم الوضع	Terminologie	*Terminology*
علم وضع الاسطرلاب	Fabrication de l'astrolabe	*Farbrication of the astrolabe*
علم الوقوف	Biens inaliénables	*Entailed estate*
العلوم الرياضية	Mathématiques	*Mathematics*

مسند مصطلحات العلوم

انكليزي - فرنسي - عربي

Agriculture, cultivation	Agriculture, culture	علم الفلاحة
Algebra	Algèbre	علم الجبر والمقابلة
Alteration of a text	Altération d'un texte	علم التصحيف
Anatomy	Anatomie	علم التشريح
Archeology, biography, doctrine and conduct	Archéologie, biographie, doctrine des adeptes	علم الآثار
Arithmetic	Arithmétique	علم العدد
Art of copulation, coït	Art de la copulation, du coït	علم الباه
Art of debate and discussion	L'art de la dispute et de la discussion, polémique	علم النظر
Art of epistolary	Art épistolaire	علم الترسل
Art of homilies and sermons, ritual	Art des homélies et des sermons	علم المواعظ
Art of lecturing	Art de la lecture	علم المحاضرة
Art of navigation	Art de la navigation	علم الملاحة
Art of trick, artifice	Art des ruses, artifice	علم الحيل الساسانية
Asceticism, piety	Ascétisme, piété	علم الزهد والورع
Astrological observation	Observation astrologique	علم كيفية الأرصاد
Astrology	Astrologie	علم الاختيارات
Astrology	Astrologie	علم دعوة الكواكب
Astronomical table, horoscope	Table astronomique, horoscope	علم الزيجات والتقاويم
Astronomy	Astronomie	علم الهيئة
Astronomy, astrology	Astronomie, astrologie	علم أحكام النجوم
Auspice	Auspice, augure	علم الفأل
Bloodletting, phlebotomy	Saignée, phlébotomie	علم الفصد
Botany	Botanique	علم النبات
Calculation, arithmetic	Calcul, arithmétique	علم الحساب
Calculation of astronomical table	Calcul de la table astronomique	علم حساب النجوم
Calculation of the two mistakes	Calcul des deux erreurs	علم حساب الخطائين

Calendar, timing	Art de dresser les calendriers	علم المواقيت
Chemistry	Chimie	علم الكيمياء
Choregraphy, dancing	Chorégraphie, danse	علم الرقص
Civil engineering	Génie civil	علم عقود الأبنية
Civil politic	Politique civile	علم الاحتساب
Confidence in God, delegate things to God	Résignation et confiance en Dieu	علم التوكل
Conjunctions	Conjonctions	علم القرانات
Coquetry	Coquetterie, l'art de dorloter et de cajoler	علم الغنج
Craft manners	L'art du gain et les procédés du profit	علم آداب الكسب والمعاش
Cupping	Application de ventouses	علم الحجامة
Debate, controversy	Polémique, controverse	علم المناظرة
Deduction (Logic)	Déduction (logique)	علم النظر
Dialectics	Dialectique	علم الجدل
Difference, contrast	Différence, contraste	علم الخلاف
Divination	Divination	علم العرافة
Divination	Divination	علم الكهانة
Divination, art of telling the future	Divination, art de prédire l'avenir	علم الجفر والجامعة
Division of sciences, classification	Division des sciences, classification	علم تقاسيم العلوم
Education manners	L'art de l'éducation et de l'enseignement	علم آداب الدرس
Eloquence, rhetoric	Éloquence, rhétorique	علم البيان
Enigmatic speech, allusion	Propos énigmatique, allusion	علم المعمى
Entailed estate	Biens inaliénables	علم الوقوف
Epos	Art épique	علم الملاحم
Eschatology, hereafter, after world, resurrection	Eschatologie, la vie future, résurrection	علم معرفة المعاد
Ethics	Éthique	علم الأخلاق
Etiquette, decencies	Étiquette, l'art des bonnes manières, l'art des préséances	علم آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق
Etymology	Étymologie	علم الاشتقاق

Evil omen	Mauvais augure, superstition et présage	علم الطيرة والزجر
Exegesis of the Korān	Exégèse du Corān	علم تفسير القرآن
Exegesis of the tradition of the Prophet	Exégèse de la tradition du Prophète	علم شرح الحديث
Farbrication of the astrolabe	Fabrication de l'astrolabe	علم وضع الاسطرلاب
Figurative expression, metaphor, metonymy	Expression figurative, métaphore, métonymie	علم استعمالات الألفاظ
Fortune telling, palmistry, chiromancy	Dire la bonne aventure, chiromancie	علم الأسارير
Generation and corruption, universe (cosmos)	Génération et corruption, univers (cosmos)	علم الكون والفساد
Geography	Géographie	علم جغرافيا ومعناه صورة الأرض
Geomancy	Géomancie	علم الرمل
Geometry	Géométrie	علم الهندسة
Grammar, syntax	Grammaire, syntaxe	علم النحو
Ground water extraction	Extraction de l'eau souterraine	علم الريافة
History	Histoire	علم التواريخ
History of conquests	Histoire des conquêtes	علم المغازي
Homonymous, synonymous and paronymous	Homonymes, synonymes et paronymes	علم معرفة الوجوه والنظائر
Hope and fear	Espérance et crainte	علم الرجاء والخوف
Household management, domestic science	Aménagement de la maison, science domestique	علم تدبير المنزل
Hydrology, ground water extraction	Hydrologie, extraction de l'eau souterraine	علم إنباط المياه
Intention and faithfulness and probity	Intention, dévotion et probité	علم النية والإخلاص والصدق
Interpretation and exegesis of the Korān	L'interprétation et l'exégèse du Corān	علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه
Inversion (Rhetoric)	Inversion (Rhétorique)	علم المقلوب
Invocation, plea to God	Invocations, implorations de Dieu	علم الأدعية والأوراد
Invoke, evocation of good spirits	Invoquer, évocation des bons esprits	علم الاستحضار

علم الفقه	Jurisprudence musulmane	*Islamic jurisprudence*
علم الشعبذة والتخيلات	Escamotage, prestidigitation	*Jugglery, sleight of hand*
علم القضاء	Juridiction, autorité judiciaire	*Jurisdiction, judicial authorities*
علم معرفة الخبر والإنشاء	Connaissance de la phrase énonciative, phraséologie	*Knowledge of enunciative phrases, phraseology*
علم معرفة طبقات المفسرين	Connaissance des classes des exégètes du Corān	*Knowledge of Korān explainers' classes*
علم الحلال والحرام	Science du licite et de l'illicite	*Lawfulness and unlawfulness*
علم الفتاوى	Opinions légales	*Legal opinions*
علم اللغة	Linguistique, lexicologie	*Linguistics, lexicology*
علم المنطق ويسمى علم الميزان أيضًا	Logique	*Logic*
علم الإخفاء	Magie	*Magic*
علم السحر	Magie	*Magic*
علم النيرنجات	Magie	*Magic*
علم العزائم	Magie, rites et incantations	*Magic, rites and incantations*
العلوم الرياضية	Mathématiques	*Mathematics*
علم الطب	Médecine	*Medicine*
العلم الإلهي	Métaphysique	*Metaphysic*
علم نزول الغيث	Météorologie	*Meteorology*
علم خط العروض	Métrique, prosodie	*Metrics, prosody*
علم المعادن	Minéralogie, métallurgie	*Mineralogy, metallurgy*
علم الصرف	Morphologie	*Morphology*
علم الموسيقى	Musique	*Music*
علم رواية الحديث	Narration	*Narration*
علم السباحة	Océanographie, l'art de la natation	*Oceanography, art of swimming*
علم المرايا المحرقة	Optique	*Optics*
علم المناظر	Optique	*Optics*
علم الجناس	Paronomase, paronymie	*Paronomasia, paronymy*
علم الصبر والشكر	Patience et actions de grâce	*Patience and thanking*
علم طبخ الأشربة والمعاجين	Pharmacologie	*Pharmacology*
علم الصيدلة	Pharmacie	*Pharmacy*
علم الإنشاء	Phraséologie, stylistique	*Phraseology, stylistic*

Physics	Physique	العلم الطبيعي
Physiognomy	Physiognomonie	علم الفراسة
Polemics	Polémique	علم الجدل
Polemics, dialectics	Polémique, dialectique	علم الخلاف
Politics	Politique	علم السياسة
Poverty and piety, indigence and asceticism	Pauvreté et piété, indigence et ascétisme	علم الفقر والزهد
Practice of piety, asceticism	Retraite et recollection, ascétisme	علم رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
Pronunciation, phonology	Prononciation, phonologie	علم مخارج الحروف
Prosody, metrics	Prosodie, métrique	علم العروض
Quadrant (instrument)	Quadrant, quart de cercle (instrument)	علم ربع الدائرة
Recitation of the Korān, art of reading	Récitation du Corān, l'art de la lecture	علم القراءة
Religious duty	Obligations légales religieuses	علم الفرائض
Rhetoric	Rhétorique	علم البديع
Rhymes	Rimes	علم القوافي
Rules of Islamic faith; ideology	Règles de la foi Islamique, idéologie	علم قواعد العقائد
Science of acres	Science des acres	علم الأكر
Science of arms	Science des armes	علم الآلات الحربية
Science of measurements of weights and capacities	Science de la mesure des poids et des capacités	علم الأوزان والموازين
Science of proverbs, aphoristical science, saying	Science des proverbes et des adages, science aphoristique, dictons	علم الأمثال
Science of repentance, penitence	Science du repentir, pénitence	علم التوبة
Science of visions, reverie, oneiromancy	Science des visions, rêverie, oniromancie	علم تعبير الرؤيا
Semantics	Sémantique	علم المعاني
Seraphical theology, knowledge of the Angels	Théologie séraphique (connaissance des Anges)	علم معرفة الملكية (الملائكة)
Status of reflection and meditation	Procédés de la réflexion et de la méditation	علم التفكّر

Stories of the Prophets	Histoire des récits des prophètes	علم أخبار الأنبياء
Study of amicable numbers and opposite numbers	Études des nombres amis et des nombres adverses	علم خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة
Study of centers of gravities	Étude des centres de gravité	علم مراكز الأثقال
Study of collection of poems	Étude des recueils poétiques	علم الدواوين
Stylistic	Stylistique	علم مبادىء الإنشاء وأدواته
Surgery	Chirurgie	علم الجراحة
Synecdoche, sibylline language	Synecdoque, langage sibyllin	علم الألغاز
Table manners	Le savoir-faire de la table	علم آداب الأكل
Talisman, enigma	Talisman, énigme	علم الطلسمات
Terminology	Terminologie	علم الوضع
The functioning of the astrolabe	Le fonctionnement de l'astrolabe	علم عمل الاسطرلاب
The principles of jurisprudence	Les principes de la jurisprudence	علم أصول الفقه
Theology	Théologie	علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام
Theology	Théologie	علم الكلام
Theology, science of the doctrines of sects	Théologie, science des doctrines des sectes	علم مقالات الفرق
Topography	Topographie	علم المساحة
Tracking, pursuit	L'art de suivre les pistes, soin de suivre les traces	علم قيافة الأثر ويُسمّى علم العيافة
Tradition, science of Hadith	Tradition, science du Hadith	علم دراية الحديث
Travel manners	L'art du voyage	علم آداب السفر
Veterinary medicine	Médecine vétérinaire	علم البيطرة
Weights	Pesages	علم المقادير والأوزان
Witchcraft, White magic	Sorcellerie, magie blanche	علم السيمياء
Zoology	Zoologie	علم الحيوان

مسند مصطلحات العلوم
فرنسي - انكليزي - عربي

Agriculture, culture	*Agriculture, cultivation*	علم الفلاحة
Algèbre	*Algebra*	علم الجبر والمقابلة
Altération d'un texte	*Alteration of a text*	علم التصحيف
Aménagement de la maison, science domestique	*Household management, domestic science*	علم تدبير المنزل
Anatomie	*Anatomy*	علم التشريح
Application de ventouses	*Cupping*	علم الحجامة
Archéologie, biographie, doctrine des adeptes	*Archeology, biography, doctrine and conduct*	علم الآثار
Arithmétique	*Arithmetic*	علم العدد
Art de dresser les calendriers	*Calendar, timing*	علم المواقيت
Art de la copulation, du coït	*Art of copulation, coït*	علم الباه
L'art de la dispute et de la discussion, polémique	*Art of debate and discussion*	علم النظر
Art de la lecture	*Art of lecturing*	علم المحاضرة
Art de la navigation	*Art of navigation*	علم الملاحة
L'art de l'éducation et de l'enseignement	*Education manners*	علم آداب الدرس
L'art de suivre les pistes, soin de suivre les traces	*Tracking, pursuit*	علم قيافة الأثر ويُسمّى علم العيافة
Art des homélies et des sermons	*Art of homilies and sermons, ritual*	علم المواعظ
Art des ruses, artifice	*Art of trick, artifice*	علم الحيل الساسانية
L'art du gain et les procédés du profit	*Craft manners*	علم آداب الكسب والمعاش
L'art du voyage	*Travel manners*	علم آداب السفر
Art épique	*Epos*	علم الملاحم
Art épistolaire	*Art of epistolary*	علم الترسل
Ascétisme, piété	*Asceticism, piety*	علم الزهد والورع
Astrologie	*Astrology*	علم الاختيارات

Astrologie	*Astrology*	علم دعوة الكواكب
Astronomie	*Astronomy*	علم الهيئة
Astronomie, astrologie	*Astronomy, astrology*	علم أحكام النجوم
Auspice, augure	*Auspice*	علم الفأل
Biens inaliénables	*Entailed estate*	علم الوقوف
Botanique	*Botany*	علم النبات
Calcul, arithmétique	*Calculation, arithmetic*	علم الحساب
Calcul de la table astronomique	*Calculation of astronomical table*	علم حساب النجوم
Calcul des deux erreurs	*Calculation of the two mistakes*	علم حساب الخطائين
Chimie	*Chemistry*	علم الكيمياء
Chirurgie	*Surgery*	علم الجراحة
Chorégraphie, danse	*Choregraphy, dancing*	علم الرقص
Conjonctions	*Conjunctions*	علم القرانات
Connaissance de la phrase énonciative, phraséologie	*Knowledge of enunciative phrases, phraseology*	علم معرفة الخبر والإنشاء
Connaissance des classes des exégètes du Corān	*Knowledge of Korān explainers' classes*	علم معرفة طبقات المفسرين
Coquetterie, l'art de dorloter et de cajoler	*Coquetry*	علم الغنج
Déduction (logique)	*Deduction (Logic)*	علم النظر
Dialectique	*Dialectics*	علم الجدل
Différence, contraste	*Difference, contrast*	علم الخلاف
Dire la bonne aventure, chiromancie	*Fortune telling, palmistry, chiromancy*	علم الأسارير
Divination	*Divination*	علم العرافة
Divination	*Divination*	علم الكهانة
Divination, art de prédire l'avenir	*Divination, art of telling the future*	علم الجفر والجامعة
Division des sciences, classification	*Division of sciences, classification*	علم تقاسيم العلوم
Éloquence, rhétorique	*Eloquence, rhetoric*	علم البيان
Escamotage, prestidigitation	*Jugglery, sleight of hand*	علم الشعبذة والتخيلات
Eschatologie, la vie future, résurrection	*Eschatology, hereafter, after world, resurrection*	علم معرفة المعاد
Espérance et crainte	*Hope and fear*	علم الرجاء والخوف

Éthique	*Ethics*	علم الأخلاق
Étiquette, l'art des bonnes manières, l'art des préséances	*Etiquette, decencies*	علم آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق
Étude des centres de gravité	*Study of centers of gravities*	علم مراكز الأثقال
Étude des recueils poétiques	*Study of collection of poems*	علم الدواوين
Études des nombres amis et des nombres adverses	*Study of amicable numbers and opposite numbers*	علم خواص الأعداد المتحابة والمتباغضة
Étymologie	*Etymology*	علم الاشتقاق
Exégèse de la tradition du Prophète	*Exegesis of the tradition of the Prophet*	علم شرح الحديث
Exégèse du Corān	*Exegesis of the Korān*	علم تفسير القرآن
Expression figurative, métaphore, métonymie	*Figurative expression, metaphor, metonymy*	علم استعمالات الألفاظ
Extraction de l'eau souterraine	*Ground water extraction*	علم الريافة
Fabrication de l'astrolabe	*Farbrication of the astrolabe*	علم وضع الاسطرلاب
Le fonctionnement de l'astrolabe	*The functioning of the astrolabe*	علم عمل الاسطرلاب
Génération et corruption, univers (cosmos)	*Generation and corruption, universe (cosmos)*	علم الكون والفساد
Génie civil	*Civil engineering*	علم عقود الأبنية
Géographie	*Geography*	علم جغرافيا ومعناه صورة الأرض
Géomancie	*Geomancy*	علم الرمل
Géométrie	*Geometry*	علم الهندسة
Grammaire, syntaxe	*Grammar, syntax*	علم النحو
Histoire	*History*	علم التواريخ
Histoire des conquêtes	*History of conquests*	علم المغازي
Histoire des récits des prophètes	*Stories of the Prophets*	علم أخبار الأنبياء
Homonymes, synonymes et paronymes	*Homonymous, synonymous and paronymous*	علم معرفة الوجوه والنظائر
Hydrologie, extraction de l'eau souterraine	*Hydrology, ground water extraction*	علم إنباط المياه
Intention, dévotion et probité	*Intention and faithfulness and probity*	علم النية والإخلاص والصدق

L'interprétation et l'exégèse du Corān	*Interpretation and exegesis of the Korān*	علم معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة إليه
Inversion (Rhétorique)	*Inversion (Rhetoric)*	علم المقلوب
Invocations, implorations de Dieu	*invocation, plea to God*	علم الأدعية والأوراد
Invoquer, évocation des bons esprits	*Invoke, evocation of good spirits*	علم الاستحضار
Juridiction, autorité judiciaire	*Jurisdiction, judicial authorities*	علم القضاء
Jurisprudence musulmane	*Islamic jurisprudence*	علم الفقه
Linguistique, lexicologie	*Linguistics, lexicology*	علم اللغة
Logique	*Logic*	علم المنطق ويسمى علم الميزان أيضًا
Magie	*Magic*	علم الإخفاء
Magie	*Magic*	علم السحر
Magie	*Magic*	علم النيرنجات
Magie, rites et incantations	*Magic, rites and incantations*	علم العزائم
Mathématiques	*Mathematics*	العلوم الرياضية
Mauvais augure, superstition et présage	*Evil omen*	علم الطيرة والزجر
Médecine	*Medicine*	علم الطب
Médecine vétérinaire	*Veterinary medicine*	علم البيطرة
Métaphysique	*Metaphysic*	العلم الإلهي
Météorologie	*Meteorology*	علم نزول الغيث
Métrique, prosodie	*Metrics, prosody*	علم خط العروض
Minéralogie, métallurgie	*Mineralogy, metallurgy*	علم المعادن
Morphologie	*Morphology*	علم الصرف
Musique	*Music*	علم الموسيقى
Narration	*Narration*	علم رواية الحديث
Obligations légales religieuses	*Religious duty*	علم الفرائض
Observation astrologique	*Astrological observation*	علم كيفية الأرصاد
Océanographie, l'art de la natation	*Oceanography, art of swimming*	علم السباحة
Opinions légales	*Legal opinions*	علم الفتاوى
Optique	*Optics*	علم المرايا المحرقة
Optique	*Optics*	علم المناظر
Paronomase, paronymie	*Paronomasia, paronymy*	علم الجناس

Patience et actions de grâce	*Patience and thanking*	علم الصبر والشكر
Pauvreté et piété, indigence et ascétisme	*Poverty and piety, indigence and asceticism*	علم الفقر والزهد
Pesages	*Weights*	علم المقادير والأوزان
Pharmacie	*Pharmacy*	علم الصيدلة
Pharmacologie	*Pharmacology*	علم طبخ الأشربة والمعاجين
Phraséologie, stylistique	*Phraseology, stylistic*	علم الإنشاء
Physiognomonie	*Physiognomy*	علم الفراسة
Physique	*Physics*	العلم الطبيعي
Polémique	*Polemics*	علم الجدل
Polémique, controverse	*Debate, controversy*	علم المناظرة
Polémique, dialectique	*Polemics, dialectics*	علم الخلاف
Politique	*Politics*	علم السياسة
Politique civile	*Civil politic*	علم الاحتساب
Les principes de la jurisprudence	*The principles of jurisprudence*	علم أصول الفقه
Procédés de la réflexion et de la méditation	*Status of reflection and meditation*	علم التفكّر
Prononciation, phonologie	*Pronunciation, phonology*	علم مخارج الحروف
Propos énigmatique, allusion	*Enigmatic speech, allusion*	علم المعمى
Prosodie, métrique	*Prosody, metrics*	علم العروض
Quadrant, quart de cercle (instrument)	*Quadrant (instrument)*	علم ربع الدائرة
Récitation du Corān, l'art de la lecture	*Recitation of the Korān, art of reading*	علم القراءة
Règles de la foi Islamique, idéologie	*Rules of Islamic faith; ideology*	علم قواعد العقائد
Résignation et confiance en Dieu	*Confidence in God, delegate things to God*	علم التوكل
Retraite et recollection, ascétisme	*Practice of piety, asceticism*	علم رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
Rhétorique	*Rhetoric*	علم البديع
Rimes	*Rhymes*	علم القوافي
Saignée, phlébotomie	*Bloodletting, phlebotomy*	علم الفصد
Le savoir-faire de la table	*Table manners*	علم آداب الأكل
Science de la mesure des poids et des capacités	*Science of measurements of weights and capacities*	علم الأوزان والموازين

Science des acres	*Science of acres*	علم الأكر
Science des armes	*Science of arms*	علم الآلات الحربية
Science des proverbes et des adages, science aphoristique, dictons	*Science of proverbs, aphoristical science, saying*	علم الأمثال
Science des visions, rêverie, oniromancie	*Science of visions, reverie, oneiromancy*	علم تعبير الرؤيا
Science du licite et de l'illicite	*Lawfulness and unlawfulness*	علم الحلال والحرام
Science du repentir, pénitence	*Science of repentance, penitence*	علم التوبة
Sémantique	*Semantics*	علم المعاني
Sorcellerie, magie blanche	*Witchcraft, White magic*	علم السيمياء
Stylistique	*Stylistic*	علم مبادىء الإنشاء وأدواته
Synecdoque, langage sibyllin	*Synecdoche, sibylline language*	علم الألغاز
Table astronomique, horoscope	*Astronomical table, horoscope*	علم الزيجات والتقاويم
Talisman, énigme	*Talisman, enigma*	علم الطلسمات
Terminologie	*Terminology*	علم الوضع
Théologie	*Theology*	علم أصول الدين المسمى بعلم الكلام
Théologie	*Theology*	علم الكلام
Théologie, science des doctrines des sectes	*Theology, science of the doctrines of sects*	علم مقالات الفرق
Théologie séraphique (connaissance des Anges)	*Seraphical theology, knowledge of the Angels*	علم معرفة الملكية (الملائكة)
Topographie	*Topography*	علم المساحة
Tradition, science du Hadith	*Tradition, science of Hadith*	علم دراية الحديث
Zoologie	*Zoology*	علم الحيوان

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأبار : **تكملة الصلة**، الجزائر، ١٩١٩.

ابن أبي الحديد : **شرح نهج البلاغة**، بيروت، ١٣٧٤هـ، (٤ مجلدات).

ابن أبي الخطاب : **جمهرة أشعار العرب**، مصر، ١٣٠٨هـ.

ابن أبي شهبة : **طبقات الشافعية**، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن أبي يعلى : **طبقات الحنابلة**، دمشق، ١٣٥٠هـ.

ابن الأثير : **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مصر، ١٢٨٠هـ.

ابن الأثير : **الكامل**، مصر، ١٣٠٣هـ، (١٢ جزءًا).

ابن الأثير : **اللباب في تهذيب الأنساب**، مصر، ١٣٥٦-١٣٦٩هـ، (٣ أجزاء).

ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد : **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، مصر، ١٢٩٤هـ.

ابن إياس : **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، مصر، ١٣١١هـ، استنبول، ١٩٣١-١٩٣٢م، (٥ أجزاء).

ابن تغري بردي : **الدليل الشافي**، القاهرة، ١٩٨٣.

ابن تغري بردي : **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، مصر، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦م.

ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٤٨-١٣٧٥هـ، (١٢ جزءًا).

ابن تيمية : **منهاج السنة**، مصر، بولاق، ١٣٢١هـ، (٤ أجزاء).

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير : **غاية النهاية في طبقات القراء**، مصر، ١٣٥١هـ، (مجلدان).

ابن جلجل : **طبقات الأطباء والحكماء**، مصر، ١٩٥٥.

ابن الجوزي، أبو الفرج : **صفة الصفوة**، الهند، حيدر آباد، ١٣٥٥هـ، (جزءان).

ابن الجوزي : **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، حيدر آباد (الهند)، ١٩٥٧هـ - ١٣٥٩هـ.

ابن حبان : **الثقات**، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٩٧٣-١٩٨٣.

ابن حبان : **مشاهير علماء الأمصار**، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ابن حزم : **جمهرة الأنساب** (أنساب العرب)، مصر، ١٩٤٨.

ابن حوقل : **صورة الأرض**، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.

ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

ابن خلكان : **وفيات الأعيان**، تحقيق احسان عباس، بيروت، ١٩٦٨-١٩٧٢. (٧ أجزاء).

ابن سعد، محمد : **طبقات ابن سعد** (الطبقات الكبير)، ليدن، ١٣٢١هـ، (٨ مجلدات).

ابن سعيد الأندلسي : **المغرب في حلى المغرب**، مصر، ١٩٥٣-١٩٥٥.

ابن عبد البرّ : **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، (٤ أجزاء).

ابن عبد البر : **الإنتقاء في فضائل مالك والشافعي وأبي حنيفة**، مصر، ١٣٥٠هـ.

ابن عساكر : **تاريخ ابن عساكر** (تاريخ دمشق)، دمشق، ١٣٧٨هـ/ ١٩٧٧.

ابن عساكر : **تبيين كذب المفتري**، دمشق، ١٣٤٧هـ.

ابن عميرة الضبي : **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، مدريد، ١٨٨٤م.

ابن فرحون : **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (المالكي)**، مصر، ١٣٥١هـ.

ابن القاضي : **جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام مدينة فاس**، فاس، ١٣٠٩هـ.

ابن قتيبة : **الشعر والشعراء**، مصر، ١٣٦٤هـ.

ابن قتيبة الدينوري : **عيون الأخبار**، مصر، ١٣٤٣-١٣٤٩هـ.

ابن قتيبة، محمد : **المعارف**، مصر، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤.

ابن قطلوبغا، قاسم : **تاج التراجم**، ليبسيك، ١٨٦٢م.

ابن كثير : **البداية والنهاية في التاريخ**، مصر، ١٣٥١-١٣٥٨هـ، (١٤ جزءًا).

ابن ماجه : **سنن ابن ماجه**، عني به محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ.

ابن المرتضى، أحمد بن يحيى : **طبقات المعتزلة**، بيروت، ١٩٦١.

ابن النديم : **الفهرست**، تحقيق جوستان فلوجل، ليبسيك، ١٨٧١م، (جزءان).

ابن الوردي : **تاريخ ابن الوردي** (تتمة المختصر في أخبار البشر)، مصر، ١٢٨٥هـ، (مجلدان).

أبو داود : **سنن أبي داود**، عني به عزت الدعاس وعادل السعيد،

حمص، دار الحديث، ١٣٨٨هـ.

أبو نعيم الأصبهاني : **أخبار أصبهان**، (ذكر أخبار أصبهان)، ليدن، ١٩٣١.

أحمد بن حنبل : **مسند الإمام أحمد**، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية : **الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصوّرة**، مصر، ١٩٤٨.

الأدريسي : **نزهة المشتاق**، روما - نابلي، ١٩٧٠.

ادوارد فنديك : **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، مصر، ١٣١٣هـ/١٨٩٦م.

الاسفراييني، أبو المظفر : **التبصير في الدين**، تحقيق كمال الحوت، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

الأشرف عمر بن يوسف بن رسول الملك : **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب**، مصر، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م.

الأشعري، أبو الحسن : **مقالات الإسلاميين**، تحقيق ريتر، القاهرة، ١٩٦٣.

الأصبهاني، أبو الفرج : **مقاتل الطالبين**، تحقيق أحمد صقر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩.

الأصفهاني، أبو الفرج : **الأغاني**، مصر، ط. الساسي ودار الكتب المصرية، ١٣٢٣هـ، (٢١ جزءًا).

الأصفهاني، أبو نعيم : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مصر، ١٣٥١ هـ، (١٠ أجزاء).

آغا بزرك الطهراني : **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، النجف، ١٩٧١.

الأمين، محسن : **أعيان الشيعة**، دمشق، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م.

البخاري : **التاريخ الكبير**، بيروت، ١٩٨٦.

البخاري، الإمام : **صحيح البخاري**، استانبول، المكتبة الإسلامية، ١٩٧٩.

بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة النجار، القاهرة، د.ت.

البغدادي، اسماعيل باشا : **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، استانبول، ١٣٦٤-١٣٦٦هـ/١٩٤٥-١٩٤٧م (جزءان).

البغدادي، اسماعيل باشا : **هدية العارفين**، استانبول، ١٩٥١-١٩٥٥.

البغدادي السويدي، محمد أمين : **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، بغداد، ١٢٨٠هـ.

البغدادي، عبد القادر بن عمر : **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، مصر، ١٢٩٩هـ، (٤ مجلدات).

البغدادي، عبد القاهر : **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٩٦٣.

البكري، أبو عبيد : **سمط اللآلىء**، مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦.

بكري، حسين بن محمد الديار : **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مصر، ١٢٨٣هـ،

(مجلدان).

البكري، عبدالله بن عبد العزيز : **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، مصر، ١٣٦٤-١٣٧١هـ، (٤ أجزاء).

البلاذري : **فتوح البلدان**، مصر، ١٣١٩هـ.

البلاذري : **المنجد في اللغة والاعلام**، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٢.

بهادرخان : **مفتاح الكنوز الخفية**، فهرس مخطوطات وقفها بهادر خدا بخش خان، الهند، ١٩١٨-١٩٢٢، (مجلدان).

البيهقي : **تاريخ حكماء الإسلام**، دمشق، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

البيهقي، ظهير الدين : **تتمة صوان الحكمة**، تحقيق رفيق العجم، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤.

البيهقي : **سنن البيهقي** (السنن الكبرى)، الهند، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٧هـ.

الترمذي، أبو عيسى : **سنن الترمذي** (الجامع الصحيح)، تحقيق إبراهيم عوض، القاهرة، ط. مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ.

التنبكي : **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، مصر، ١٣٢٩هـ.

التوحيدي، أبو حيان : **الإمتاع والمؤانسة**، مصر، ١٩٣٩، (٣ أجزاء).

الثعالبي : **يتيمة الدهر**، القاهرة، ١٣٧٥-١٣٧٧هـ، (٤ أجزاء).

الجاحظ : **البيان والتبيين**، مصر، ١٣٦٧-١٣٦٩هـ.

حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، استانبول، ١٩٤٨، (جزءان).

الحافظ المزي : **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢، (٣٥ جزءًا).

الحاكم النيسابوري : **المستدرك**، حيدر آباد الدكن (الهند)، ١٣٤١هـ.

الحسني، عبد الحي بن فخر الدين : **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، الهند حيدر آباد، د.ت. (٣ أجزاء).

الحفني، عبد المنعم : **الموسوعة الصوفية**، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الحفني، عبد المنعم : **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، القاهرة، دار الرشاد، ١٤١٣هـ/١٩٩٣.

الحموي، ياقوت : **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** (معجم الأدباء)، مصر، ١٩٠٧-١٩٢٥. (٧ أجزاء).

الحموي، ياقوت : **معجم الأدباء**، تحقيق أحمد فريد زيد الرفاعي، القاهرة، ١٩٣٦-١٩٣٧.

الحميدي : **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، مصر، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢.

الحميري، محمد بن عبد المنعم : **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٠.

الحميري، محمد بن عبدالله : **صفة جزيرة الأندلس**، مصر، ١٩٣٧.

الحنبلي، ابن العماد : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، القاهرة، ١٣٥٠-١٣٥١هـ، (٨ أجزاء).

الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد**، مصر، ١٣٤٩هـ، (١٤ مجلدًا).

الخوانساري الأصبهاني، محمد باقر : **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، د. مكان ود. ناشر، ١٣٤٧هـ، (٤ أجزاء).

: **دائرة المعارف الإسلامية**، ١٩٣٣-١٩٥٧.

الدارقطني : **سنن الدارقطني**، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦، ٤ أجزاء.

الدارمي : **سنن الدارمي**، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧.

الداودي، محمد بن علي : **طبقات المفسرين**، تحقيق علي محمد عمر، مصر، ١٩٧٢، (جزءان).

الذهبي، شمس الدين : **تذكرة الحفاظ**، الهند، حيدر آباد، ١٣٣٣-١٣٣٤هـ، (٤ أجزاء).

الذهبي، شمس الدين : **سير أعلام النبلاء**، تحقيق جماعة من العلماء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

الذهبي، شمس الدين : **العبر في أخبار من غبر**، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، الكويت، ١٩٦٠-١٩٦٦.

الذهبي، شمس الدين : **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، مصر، ١٣٢٥هـ، (٣ مجلدات).

الرازي، فخر الدين : **التفسير الكبير** (مفاتيح الغيب)، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.

الرازي، عبد الرحمن بن محمد : **الجرح والتعديل**، الهند، حيدر آباد، ١٣٧١-١٣٧٣هـ/ ١٩٥٢-١٩٥٣، (٨ أجزاء).

الرازي، فخر الدين : **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، القاهرة، ١٩٢٨.

رضا زادة شفق : **تاريخ أدبيات إيران**، إيران جامعة شيراز، ١٣٥٣هـ.

الزبيدي : **إتحاف السادة المتقين**، مصر، ١٣١١هـ.

الزبيدي، محمد مرتضى : **تاج العروس من جواهر القاموس**، مصر، ١٣٠٦-١٣٠٧هـ، (١٠ مجلدات).

الزبيدي : **طبقات النحويين واللغويين**، مصر، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤.

الزبيري، مصعب : **نسب قريش**، مصر، ١٩٥٣.

الزركلي، خير الدين : **الأعلام**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٩، (٨ أجزاء).

زيدان، جرجي : **تاريخ آداب اللغة العربية**، مصر، ١٩١٣-١٩١٤، (٤ أجزاء).

زيدان، جرجي : **العرب قبل الإسلام**، مصر، ١٩٠٨.

السبكي، تاج الدين : **طبقات الشافعية الكبرى**، مصر، ١٣٢٤هـ، (٦ أجزاء).

السخاوي : **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، مصر، ١٨٩٦م.

السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مصر، ١٣٥٣-١٣٥٥هـ، (١٢ جزءًا).

سركيس، يوسف إليان : **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، مصر، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨، (مجلدان).

السلمي، أبو عبد الرحمن : **طبقات الصوفية**، مصر، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣.

سيد، فؤاد : **فهرس المخطوطات المصوّرة**، معهد إحياء المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، تصنيف فؤاد سيد، القاهرة، دار الرياض للطبع والنشر، ١٩٥٤.

السيوطي، جلال الدين : **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، مصر، ١٣٢٦هـ.

السيوطي، جلال الدين : **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، مصر، ١٢٩٩هـ، (جزءان).

السيوطي : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت، د.ت.

الشبلنجي : **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار**، مصر، ١٣٠٨هـ.

الشعراني عبد الوهاب : **طبقات الشعراني**، مصر، ١٩٢٥، (مجلدان).

الشهرستاني، عبد الكريم : **الملل والنحل**، مصر، ١٣١٧-١٣٢٠هـ.

الشوكاني : **البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع**، مصر، ١٣٤٨هـ، (مجلدان).

الصفدي، صلاح الدين : **نكت الهميان في نكت العميان**، تحقيق أحمد زكي، مصر، ١٣٢٩هـ/١٩١١.

الصفدي : **الوافي بالوفيات**، ١٩٣١-١٩٨٢، (١٢ جزءًا).

طاش كبري زادة : **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، بيروت، د.ت.

الطبراني : **المعجم الكبير**، العراق، ١٤٠٤هـ/١٩٨٥.

الطبري : **جامع البيان** (تفسير الطبري)، بيروت، ١٩٧٢.

الطبري، ابن جرير : **ذيل المذيل في تاريخ الصحابة والتابعين**، مصر، ١٣٢٦هـ.

العباسي، عبد الرحمن بن أحمد : **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، مصر، ١٣٦٧هـ، (٤

أجزاء).

عبد المؤمن بن عبد الحق : **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، بريل، ١٨٥٢-١٨٥٤م.

العجلوني : **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، تحقيق القلاس، حلب، مكتبة التراث الإسلامي، د.ت.

العسقلاني، ابن حجر : **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، الهند، حيدر آباد، ١٩٤٥-١٩٥٠ (٤ أجزاء).

العسقلاني، ابن حجر : **تقريب التهذيب**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المدينة المنوّرة، المكتبة العلمية، ١٣٨٠هـ.

العسقلاني، ابن حجر : **تهذيب التهذيب**، الهند، حيدر آباد، ١٣٢٥-١٣٢٧هـ، (١٢ جزءًا).

العسقلاني، ابن حجر : **لسان الميزان**، الهند، حيدر آباد، ١٣٢٩-١٣٣١هـ، (٦ أجزاء).

العلوي، الشريف علي بن الحسين : **أمالي المرتضى**، مصر، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م. (٤ أجزاء).

الغزي، نجم الدين : **الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة**، بيروت، المطبعة الأمريكية، ١٩٤٥-١٩٤٩ (جزءان).

الفندي، محمد ثابت وآخرون : **دائرة المعارف الإسلامية** (ترجمة)، مصر، ١٩٣٣-١٩٥٥.

فهارس : **سلسلة فهارس المكتبات الخطية النادرة**، قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامعة القرويين بفاس، الرباط، ١٩٦٠.

فواز، زينب : **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، مصر، ١٣١٢هـ.

القرشي، عبد القادر بن محمد : **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، الهند، حيدر آباد، ١٣٣٢هـ، (مجلدان).

القشيري، عبد الكريم بن هوازن : **الرسالة القشيرية**، مصر، ١٢٨٤هـ.

القفطي : **أخبار الحكماء** (إخبار العلماء بأخبار الحكماء)، مصر، ١٣٢٦هـ.

القفطي، علي بن يوسف : **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩-١٣٧٤هـ (٣ أجزاء).

القلقشندي : **صبح الأعشى**، مصر، ١٣٣١هـ - ١٣٣٨هـ.

القمي، عباس بن محمد رضا : **سفينة البحار** (سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار)، العراق، النجف، ١٣٥٥هـ، (مجلدان).

القنوجي، صديق حسن خان : **أبجد العلوم**، الهند، ط بهوبال، ١٢٩٥هـ.

الكتاني، محمد بن جعفر	: **الرسالة المستطرفة**، بيروت، ١٣٢٢هـ.
الكتبي، ابن شاكر	: **فوات الوفيات**، مصر، ١٢٩٩هـ، (مجلدان).
كحالة، عمر رضا	: **أعلام النساء**، دمشق، ١٣٥٩هـ، (٣ مجلدات).
كحالة، عمر رضا	: **معجم المؤلفين**، دمشق، ١٣٧٦هـ.
كرد علي، محمد	: **أمراء البيان**، مصر، ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م، (جزءان).
اللكنوي الهندي، محمد عبد الحي	: **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، مصر، ١٣٢٤هـ.
اللورد وليم	: **سلسلة فهارس المكتبات الخطية النادرة**، فهرست المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية في برلين، ألمانيا، ١٨٩٣.
مالك، ابن انس الإمام	: **الموطأ**، القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
المحبي	: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، مصر**، ١٢٨٤هـ، (٤ مجلدات).
محمد بن حبيب	: **المحبر**، حيدر آباد (الهند). ١٣٦١هـ/١٩٤٢.
مجير الدين الحنبلي	: **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مصر، ١٢٨٣هـ.
المرصفي، سيد بن علي	: **رغبة الآمل من كتاب الكامل**، مصر، ١٣٤٦-١٣٤٨هـ، (٨ أجزاء).
المسعودي	: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق شارل بيللا، بيروت، ١٩٧٠-١٩٧٤، (٥ أجزاء).
مسلم بن الحجاج، الإمام	: **صحيح مسلم**، عني به محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤.
المقدسي	: **البدء والتاريخ**، ط. شالون، ١٩١٦، (٦ أجزاء).
المقري	: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، مصر، ١٣٠٢هـ، (٤ أجزاء).
المقريزي	: **خطط المقريزي** (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، مصر، ١٣٢٧هـ، (مجلدان).
المقريزي	: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، مصر، ١٩٣٩-١٩٤١.
الموسوي، عباس	: **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس**، مصر، ١٢٩٣هـ (جزءان).
النباهي	: **تاريخ قضاة الأندلس** (المرقبة العليا)، القاهرة، ١٩٤٨.
النسائي، الإمام	: **سنن النسائي**، القاهرة، ١٩٣٠.
النوبختي	: **فرق الشيعة**، نشر ريتر، ليبزج، ١٩٣١.
النويري	: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، مصر، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
نويهض، عادل	: **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،

بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، (جزءان).

الهندي، البرهان علاء الدين علي المتقي : **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ضبطه وفسّر غريبه الشيخ بكري حياني، صحّحه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا، بيروت، الرسالة، ١٩٨٩، ١٦ ج.

الهيثمي : **معجم الزوائد ومنبع الفوائد**، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢.

وكيع، محمد بن خلف : **أخبار القضاة**، القاهرة، ١٣٦٦هـ، (٣ مجلدات).

اليافعي : **مرآة الجنان**، الهند، حيدر آباد، ١٣٣٧-١٣٣٩هـ، (٤ أجزاء).

اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن واضح : **تاريخ اليعقوبي**، العراق، النجف، ١٣٥٨هـ، (٣ أجزاء).

فهرس العلوم والمحتويات